مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة
للُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكَّمة



العدد : 20
أبريل - يونيو 2026م

الجزء 1

Arcif
معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي
Arab Citation & Impact Factor


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١
١٩٦١


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي

(رئيس هيئة التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي

(مدير التحرير)

أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي

أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي

أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي

أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان

أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة بمصر

أ.د. سعيد العوادي

أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بالمغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عياد بن عيد الثبيتي

أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى

أ.د. سالم بن سليمان الخماش

أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. منصور بن محمد الغامدي

أستاذ الصوتيات الحاسوبية بهيئة تقويم التعليم والتدريب

أ.د. عبد الفتاح محمد حبيب

أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الزقازيق بجامعة الأزهر

أ.د. حسن دربر

أستاذ الترجمة وعلم المصطلح بجامعة القاضي عياض بالمغرب

أ.د. عزالدين محمد المجدوب

أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية

أ.د. محمد بن صالح الشنقيطي

أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة جدارة بالأردن

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد بجامعة تونس

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.

– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.

– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.

– مقدّمة.

– صلب البحث.

– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.

– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.

– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: https://journals.iu.edu.sa/ALS

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	مقدمة في النحو للشيخ شمس الدين الكَلَائيّ (ت ٧٧٧هـ) دراسة وتحقيق **د. صالح بن حسين بن ناصر الحارثي**	١١
٢)	الرواية وقواعدها التوجيهية عند النحاس في إعراب القرآن دراسة نحوية **د. إبراهيم بن هادي محمد المباركي**	٦٩
٣)	عامل النصب في الظرف المستقَرِّ الواقعِ خبرًا عند سيبويه (دراسة وصفيَّة تحليليَّة) **د. موسى بن ناصر الموسى**	١٢٩
٤)	العلّة المخترعة عند الأعلم الشّنتمريّ في كتاب المخترع الممنوع من الصّرف أنموذجًا **غادة بنت سعد بن عبد الله السّعيديّ**	١٩١
٥)	اعتراضات الدَّماميْنِيّ الصَّرفيَّة على شرح الصَّفديِّ للاميَّة العجم ونقض ابن أقبرس لها **د. فهيد بن رباح بن فهيد الرَّباح**	٢٤٥
٦)	المفردة اللغوية الدّالة على الطّلب –دراسة نحويّة تداوليّة **د. أفراح بنت علي المرشد**	٢٧٥

م	البحث	الصفحة
٧)	مفهوم الإنصاف وتجلياته في شعر كعب بن معدان الأشقري الأزدي **د. مشاعل بنت علي العكلي**	٣٣٣
٨)	تداوليَّة الأفعال الكلاميَّة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل **د. مشعل بن فيحان بن بلَّاش العصيمي**	٣٩١
٩)	وسائل الإقناع في الخطاب الحواريّ (نماذج من خطاب الوافدات على معاوية بن أبي سفيان ﷺ) مقاربة حِجاجيَّة **د. فوزيَّة بنت محمَّد بن إبراهيم البطي**	٤٦٧
١٠)	جماليات الفوضى والنّظام الخفيّ في لزوميات أبي العلاء المعرّي (قراءة جمالية تأويلية) **د. مطير بن سعيد الزهراني**	٥١٩
١١)	أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات الحوار لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة **د. أحمد بن محمد بن أحمد شيخ**	٥٦٧
١٢)	برنامج مقترح لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بتوظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها **د. ماجد بن سالم بن جابر السناني**	٦١١

مقدمة في النحو
للشيخ شمس الدين الكَلَائيّ (ت ٧٧٧هـ) -دراسة وتحقيق

Introduction to Grammar
by Shaykh Shams al-Dīn al-Kalai (d. 777 AH): Study and Investigation

د. صالح بن حسين بن ناصر الحارثي

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بالكلية الجامعية بتربة بجامعة الطائف

البريد الالكتروني: s.alharethy@tu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
14/11/2025		30/12/2025

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-001

مستخلص البحث:

يكشف هذا العمل عن مقدمة في النحو للشيخ أبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن شرف الدين بن عادي القُرَشيُّ، الزُّبيريُّ، الكَلَائيُّ، الفَرَضَيُّ، الشافعيُّ (ت ٧٧٧هـ)، ممَّن تلمذ على علماء جهابذة كابن هشام الأنصاري، وابن عقيل، وغيرهما، ويسهم هذا البحث في الكشف عمَّا خلَّفه أحد سلفنا الكرام من تراث نحويٍّ، وتقديمه محقَّقًا للناشئة من المتعلمين؛ رجاء أن يُنتَفَع به في تيسير النحو للمبتدئين. وقد اعتمد البحث في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، في حين قام منهج التحقيق على ما استقرت عليه مناهج التحقيق المعتبرة من محاولة إخراج النص كما أراده مؤلفه؛ وفق المنهج المبين في المقدمة. وقد انتظم البحث في مقدّمة، وقسمين، القسم الأول: للدراسة، وفيها مبحثان: الأول: للتعريف بالمؤلف، والثاني: للتعريف بالكتاب، وأمَّا القسم الثاني: فللتحقيق، وفيه مقدمة بها وصف النُّسخة الخطيَّة للكتاب، مع نماذج منها، ثم النص المحقق، كما عقَّبْتُ البحث بثَبَت المصادر والمراجع، والفهرس التفصيلي للمحتويات.

الكلمات المفتاحية: شمس الدين الكلائي – متون النحو – مقدمة في النحو.

Abstract:

This work presents an introduction to grammar by Sheikh Abu Abdullah, Shams al-Din, Muhammad ibn Sharaf al-Din ibn Adi al-Quraishi, al-Zubairi, al-Kalai, al-Fardai, al-Shafi'i (d. 777 AH), who studied under eminent scholars such as Ibn Hisham al-Ansari, Ibn Aqil, and others. This study unveils the grammatical legacy left by one of our esteemed predecessors, and presents it in a verified form for young learners, aiming at facilitating grammar for beginners. The research adopted a descriptive and analytical approach. The investigation method was based on the eminent principles of investigation, aiming to present the text as intended by its author, in accordance with the method presented in the introduction. The study is organized into an introduction and two sections. The first section is devoted to the study and includes two subsections: the first introduces the author, and the second introduces the book. As for the second section, it is dedicated to investigation, and includes an introduction with a description of the manuscript of the book, along with selected samples from it, followed by the investigated text. The study concluded with a list of sources and references, as well as a detailed index of contents.

Keywords: Shams al-Din al-Kala'i - Grammar Texts - Introduction to Grammar.

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، مباركًا عليه، كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد تنوع التصنيف في علم النحو العربي بين المطولات والمختصرات، فضُمِّنَت المطولات - عند القدماء- التفصيلات والتفريعات، والمناقشات والخلافات، والتعليل والتوجيه والاستطراد، في حين جاءت مصنفات نحوية مختصرة؛ قصدًا لتيسير علم النحو وضبطه، ورغبةً في الجمع بين الإيجاز والوضوح؛ بما يصلح للمبتدئين والناشئة في علم العربية.

ومن هذه المختصرات: مقدمة في النحو لشمس الدين الكَلَائيّ المتوفَّى سنة ٧٧٧هـ؛ أحد تلاميذ ابن هشام الأنصاري رحمهما الله، وهي مقدمة أوجز فيها أصول العربية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لا ريب أن لعلوم العربية أهمية خاصة بين سائر العلوم؛ لارتباطها بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ ولذا أولاها سلفنا الكرام عناية خاصة على مستوى التأصيل والتقعيد، ومستوى الشرح والبسط، ومن جهودهم في ذلك: التصنيف للناشئة من متعلمي العربية؛ حيث ظهرت المقدمات النحوية في وقت مبكر في التأليف النحوي، وهو مما لا يخفى، وإن كان كثير من هذه المقدمات والمختصرات لم يُكتَب له الظهور حتى يومنا هذا، مما يعطي لما وصل إلينا منها ميزة خاصة؛ كونها تكشف عن معطيات علمية عن المقدمات النحوية التي ألفها العلماء في كل حقبة زمنية، ومنها هذه المقدمة المختصرة في النحو للعالم شمس

الدين الكَلَائيّ؛ التي جمع فيها أبواب النحو الأساسية في مقدمة وأبواب عشرة؛ لغرض التوطئة للمبتدئ في علم النحو، وتمهيد الطريق إلى تحصيل علم النحو بإحكام أصوله؛ بتقديم الأهم من فصوله كما ذكر الكلائي في المقدمة، فمن هذا المنطلق تظهر أهمية الموضوع، ومن الأسباب التي دعت لاختيار هذه المقدمة للدراسة والتحقيق أيضًا: الرغبة في إخراجها ونشرها بعد خدمتها، والإسهام في إحياء ما خلَّفه سلفنا الكرام وتقديمه للناشئة من المتعلمين؛ رجاء أن يُنتَفَع به، كما أن مؤلَّف هذه المقدمة هو الكلائي، وهو من تلمذ على علماء جهابذة كابن هشام، وابن عقيل، وغيرهما.

مشكلة البحث:

تُعَدّ مقدّمة الشيخ شمس الدين الكلائيّ نموذجًا من المختصرات النحوية التي غابت عن أعين الباحثين، فلم تنل حظّها من التحقيق والدراسة في العصر الحديث، وبالنظر إلى أهمّيتها – سالفة الذكر– في سياق المقدمات التعليمية تبرز الحاجة إلى تحقيقها تحقيقًا علميًّا ودراسة منهجها وموقعها بين مختصرات القرن الثامن؛ وتكمن مشكلة هذا البحث في غياب التحقيق العلمي الحديث لهذه المقدّمة، وفي الحاجة إلى دراستها دراسة تحليلية تبيّن ملامحها المنهجية، وتحدّد قيمتها ضمن أنماط المختصرات النحوية في عصرها.

أهداف البحث:

يمكن تحديد أبرز أهداف هذا البحث في:

أولًا: تحقيق هذه المقدّمة تحقيقًا علميًا موثّقًا؛ اعتمادًا على النسخة الخطية المتوفّرة، وضبط نصها وفق أصول التحقيق العلمي.

ثانيًا: دراسة المنهج الذي اتّبعه الشيخ شمس الدين الكلاعي في هذه المقدّمة، من حيث ترتيب الأبواب وطريقة عرض القواعد النحوية، ومقارنة ذلك بأنماط المختصرات النحوية الأخرى في القرن الثامن الهجري.

ثالثًا: بيان القيمة العلمية والتعليمية لهذه المقدّمة، وبيان إسهامها في المتون التعليمية التي تجمع بين الاختصار والشمول.

الدراسات السابقة:

يتكون البحث من قسمين:

القسم الأول: الدراسة: وقد حوى تعريفًا بشمس الدين الكلائي وبمقدمته، فأمَّا المؤلف فقد وردت له ترجمة يسيرة وغير شاملة ومتفرقة في كتب عدة، وقد غابت هذه الشخصية عن أعين الباحثين المعاصرين – على حد علمي– عدا ما يغلب على الظن مما كتبه الباحث محمد هلال في تحقيقه لكتابه الجامع الصغير في النحو، وقد حاولت الوصول لهذا التحقيق بطرق شتى، ولم ييسر الله لي الوقوف عليه.

القسم الثاني: التحقيق: يعدّ هذا التحقيق هو أول تحقيق لهذه المقدمة، فهي لم تحظَ بأي تحقيق سابق.

منهج البحث:

سار البحث في الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ لما فيها من مناحٍ تحليلية، في حين قام منهج التحقيق على نَسْخ الكتاب من النُّسخة المخطوطة حسب القواعد الإملائيَّة الحديثة، مع الالتزام بعلامات التَّرقيم، ومقابلة المنسوخ بأصله المنسوخ منه، مع بيان سبب العدول عن ما ورد في

نسخة الأصل، وما جزمت بخطئه في النُّسخة المخطوطة وضعته بين قوسين في المتن، مع الإشارة في الحاشية إلى الصواب، وسبب التصويب، وإذا وُجِدَ سقط في الأصل فإنّي أكمله مِن كتاب الجامع الصغير للمؤلّف؛ لأن جل المقدمة مختصر من هذا الكتاب، وأضعه بين معقوفين في المتن، مع الإشارة لذلك في الحاشية، وقد وضْعت خطًّا مائلًا هكذا / للدلالة على أول الصفحة ورقمها بالنسخة المخطوطة، مع الإشارة إلى ذلك على الجانب الأيسر مِن الصحيفة، وقمت بعزو الآيات القرآنيّة إلى سورها، وتخريج الشَّواهد الشعريَّة، وذكر بحورها، وبيان موضع الاستشهاد ووجهه، مع توثيق المسائل النحوية والصرفية والتعليق عليها متى دعت الحاجة، وغير ذلك مما استقرت عليه مناهج التحقيق المعتبرة من إخراج النص كما أراده مؤلفه.

خطة البحث:

يتكوَّن البحث من مقدّمة، وقسمين، الأول للدراسة، والثاني للتحقيق.

المقدمة: وبينت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث والتحقيق، وخطة البحث.

القسم الأول: الدراسة، وفيها مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف: اسمه ونسبه، مولده ووفاته، حياته ومكانته العلمية، شيوخه وتلاميذه، مؤلفاته وآثاره العلمية.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب: عنوان الكتاب، توثيق نسبته إلى مؤلّفه، مضمون الكتاب ومادته.

القسم الثاني: التحقيق، وفيه:

مقدمة التحقيق: وصف النُّسخة الخطيَّة للكتاب، نماذج منها.

النص المحقق.

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

وهذا أوان البدء، والله المستعان، وعليه التكلان.

القسم الأول: الدراسة

فيها مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف:

جاءت ترجمة شمس الدين الكلائي مقتضبة في أغلب كتب التراجم، فلم يُذكَر عنه إلا النزر اليسير، وفيما يلي نبذة عنه.

اسمه ونسبه:

هو الشيخ الإمام العالم العلَّامة الزاهد أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن شرف الدين بن عادي[١] القُرَشيُّ، الزُّبيريُّ، الكَلَائيُّ، الفَرَضَيُّ، الشافعيُّ[٢].

---

(١) ورد: أبو بكر بن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية". تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ)، ٣: ١٢٥: "عازي"، وهو تصحيف.

(٢) ينظر في ترجمته: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو". مخطوط، (تركيا: محفوظ بالمكتبة السليمانية، برقم: ٤٨٤٤)، ١/ب؛ ومحمد بن عبد الرحمن بن ناصر الدين الدمشقي، "توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم". تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ٧: ٣٥٠؛ وابن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية"، ٣: ١٢٥؛ وأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة". تحقيق: محمد عبد المعيد خان، (ط٢، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)، ٥: ١٩٥؛ وأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، "إنباء الغمر بأبناء العمر". تحقيق: حسن حبشي، (مصر: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، ١: ١٢٠؛ وأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، "تبصير المنتبه بتحرير المشتبه". تحقيق: محمد علي النجار، (بيروت: المكتبة العلمية)، ٣: ١٢٢٤؛ ومصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون". (بغداد: =

والكَلَائيّ بتخفيف اللام[١]، كذا أُثبِتَ في النسخة المخطوطة[٢]، وهو الأقرب للصواب؛ وقد نصّ عليه الدمشقي وابن قاضي شهبة وابن حجر؛ نسبةً إلى قرية كَلَا بمصر[٣]، ويقوّيه ما ورد في ترجمته من الكلام عن حياته ووفاته وشيوخه وتلاميذه ممَّا يدل على أنَّه من أهل مصر، وهو غير الكلَّائي -بتثقيل اللام؛ نسبةً إلى "الكَلَّا" موضعٌ بالبصرة[٤]، وقد اشتبه على بعض المتأخرين فنصّ على أنَّ "الكلّائي" بالتثقيل[٥]، وهذا لا يثبت كما بُيِّن.

مولده ووفاته:

لم يُذكَر شيء عن مولده في جمهرة المصادر التي عُنِيَت بالترجمة له، ولكن يمكن تقدير تاريخ مولده استنادًا على تاريخ وفاته وعمره عند وفاته، فالذي

مكتبة المثنى، ١٩٤١م)، ٢: ١٦٠٥؛ وخير الدين بن محمود الزركلي، "الأعلام"، (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٦: ١٥٧؛ وإسماعيل باشا البغدادي، "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون". عني بتصحيحه وطبعه: محمد شرف الدين بالتقايا/ ورفعت بيلكه الكليسي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٤: ٢٤٣؛ وعمر رضا كحالة، "معجم المؤلفين". (بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي)، ١٠: ٦٦.

(١) ينظر: الدمشقي، "توضيح المشتبه"، ٧: ٣٥٠.

(٢) شمس الدين الكلائي، "مقدمة في النحو". مخطوط، ٧٥/ب؛ والنص المحقق ص ١٧.

(٣) الدمشقي، "توضيح المشتبه"، ٧: ٣٥٠؛ وابن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية"، ٣: ١٢٦؛ وابن حجر العسقلاني، "تبصير المنتبه بتحرير المشتبه"، ٣: ١٢٢٤.

(٤) ينظر: الدمشقي، "توضيح المشتبه"، ٧: ٣٥٠.

(٥) حاجي خليفة، "كشف الظنون"، ٢: ١٦٠٥؛ والزركلي، "الأعلام"، ٦: ١٥٧.

نصت عليه التراجم أنه توفي سنة ٧٧٧هـ[١]، وقد قارب السبعين سنة[٢]، وعليه يمكن القول إن تاريخ مولده – على وجه التقريب– بين سنة ٧٠٠هـ و٧٠٧هـ، والله أعلم.

وأمَّا وفاته فقد أجمعت المصادر التي ترجمت له على أنها عام ٧٧٧هـ كما سبق، وقد كانت في شهر رجب بالمدرسة القبطية بالقاهرة[٣]، ونص تقي الدين المقريزي وكذا ابن حجر أنَّ وفاته كانت ليلة الثلاثاء تاسع شهر رجب[٤].

حياته ومكانته العلمية:

عُدَّ أبو عبد الله شمس الدين الكَلَائي من فقهاء الشافعية[٥]، وكان فاضلًا متقشفًا على طريقة السلف[٦]، كما كان عالمًا بالقراءات، والنحو، ولم يكن في

(١) ينظر: ابن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية"، ٣: ١٢٥؛ وابن حجر العسقلاني، "الدرر الكامنة"، ٥: ١٩٥؛ وحاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، ٢: ١٦٠٥؛ وخير الدين الزركلي، "الأعلام"، ٦: ١٥٧؛ والبغدادي، "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون"، ٤: ٢٤٣؛ وعمر رضا كحالة، "معجم المؤلفين"، ١٠: ٦٦.

(٢) ينظر: ابن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية"، ٣: ١٢٥؛ وابن حجر العسقلاني، "الدرر الكامنة"، ٥: ١٩٥.

(٣) ينظر: ابن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية"، ٣: ١٢٥؛ وابن حجر العسقلاني، "إنباء الغمر بأبناء العمر"، ١: ١٢٠.

(٤) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، "السلوك لمعرفة دول الملوك". تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)، ٤: ٣٩٣؛ وابن حجر العسقلاني، "الدرر الكامنة"، ٥: ١٩٥.

(٥) ينظر: خير الدين الزركلي، "الأعلام"، ٦: ١٥٧.

(٦) ابن حجر العسقلاني، "الدرر الكامنة"، ٥: ١٩٥.

عصره مثله في الفرائض[١]، فقد برع في الفرائض والحساب، وفاق أقرانه فيها، وصنَّف فيها التصانيف الواسعة النافعة، حتى أصبح إمام عصره في الفرائض[٢].

وقد جمع مع هذا العلم حسنَ التَّعليم، والتواضع ولين الجانب، فقد كان مطَّرح الكلفة، يقرّب المساكين ويعلّمهم، وكان أعجوبة في سرعة تعليم العربيَّة للطَّالب والمبتدئ؛ بحيث يرتقي عن درجة من يلحن[٣]، ومؤلّفاته في النحو تشهد له بذلك كما سيأتي.

وأمَّا الفرائض فقد كان الشيخ الكلائي إمام عصره فيها -كما سبق-، ومما يُذكَر في هذا أنّه عندما أردا الناصر أن يُقيم في مدرسته درسًا في الفرائض فقال له البهاء السبكي: هو باب من أبواب الفقه، فأعرض عن ذلك الناصر، فاتفق بعد ذلك وقوع قضية مشكلة في الفرائض سُئِلَ عنها السبكي، فلم يجب، فأرسلوا إلى الكلائي فقال: إذا كان الفرائض بابًا من أبواب الفقه فما له لا يجيب؟ فشقَّ هذا الجواب على بهاء الدين، وندم على ما قال، وقد قرره أبو غالب القبطي الكاتب في مدرسته، وبقي فيها حتى وافته المنية[٤].

ومن نظمه رحمه الله:

سَأَلتُ الله خـلّاقي بِنـــور جماله البـاقـي
بأن يغفـــرَ زلّاتـي ويحسـنَ سوءَ أخلاقي[٥]

(١) ينظر: ابن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية"، ٣: ١٢٥.
(٢) ينظر: ابن حجر العسقلاني، "الدرر الكامنة"، ٥: ١٩٥.
(٣) ينظر: ابن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية"، ٣: ١٢٥.
(٤) ينظر: ابن حجر العسقلاني، "إنباء الغمر بأبناء العمر"، ١: ١٢٠.
(٥) ينظر: ابن حجر العسقلاني، "الدرر الكامنة"، ٥: ١٩٥.

شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

تلمذ الشمس الكَلَائيّ على علماء أجلاء، نصَّ على الأخذ عن بعضهم في علوم العربية بقوله: "واعلم أني سمعت العربية من شيوخ كثيرة"(١)، وذكر منهم: الشيخ العالم العلّامة المحقق الصالح الرباني أبو محمد بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، والشيخ العالم العلامة المحقق بقية المجتهدين الشيخ بهاء الدين بن عقيل (٧٦٩هـ)، ومنهم الشيخ العالم برهان الدين الحكري (ت٧٤٩هـ)، ومنهم الشيخ العالم شهاب الدين ابن الرصَّاص النحوي (٧٧٠هـ)، ومنهم الشيخ العالم العلامة شهاب الدين بن المرحَّل الحلبي (ت٧٤٤هـ)، وغيرهم رحمهم الله تعالى(٢).

وقد نصت كتب التراجم على بعض شيوخه، ومنهم: الشيخ أبو الحجَّاج يوسف الكَوراني(٣).

تلاميذه:

اشتهر الكلائي –رحمه الله– بمعرفة الفرائض والحساب وصنف فيها التصانيف الفائقة، كما كان يقرئ العربية أيضًا، وقد سبق أنَّه حسن التَّعْلِيم جدًّا، مطَّرِح الكلفة على طريقة السَّلَف، يقرّب المساكين ويعلمهم، بل إنَّه كان أعجوبة في سرعة تعليم العربيَّة وتعلمها للطَّالب، هذا مع ما ذُكِر أنَّ أبا غالب الكاتب قد قرره في مدرسته؛ ولذا تلمذ عليه ناس كثر، وانتفعوا

(١) شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ١٩٥/ب.
(٢) ينظر: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ١٩٥/ب.
(٣) ينظر: الدمشقي، "توضيح المشتبه"، ٧: ٣٥١.

به[١]، ومنهم: يوسف بن خالد بن نعيم البِسَاطيّ المالكي[٢]، وأحمد بن شاور بن عيسى الشهاب العاملي الشَّافعي الفرضي[٣]، وعبدالقادر بن محمَّد بن طريف المحيوي الحنفيّ[٤]، وعلي بن عبدالرَّحمن بن محمَّد الشُلقامي الشَّافِعِي[٥]، وابن الحصري محمَّد بن أحمد البكريّ الشَّافعي السعودي، ويعرف بابن العَطَّار أيضًا[٦]، والغراقي أبو عبدالله محمَّد بن أحمد بن خليل الشَّافعي[٧]، وبرهان الدين إبراهيم بن أبي بكر بن محمد البرلسي الحسني المعروف بالفرضي[٨]، وبدر الدين حسن بن أحمد بن محمد البرديني[٩]، وسراج الدين عبد اللَّطِيف بن أَحْمد الفوي المصريّ[١٠]، وغيرهم.

مؤلفاته وآثاره العلمية:

(١) ينظر: ابن حجر العسقلاني، "إنباء الغمر بأبناء العمر"، ١: ١٢٠؛ وابن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية"، ٣: ١٢٥.

(٢) ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، "رفع الإصر عن قضاة مصر". تحقيق: علي محمد عمر، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، ص ٤٧٥.

(٣) ينظر: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع". (بيروت: دار مكتبة الحياة)، ١: ٣١١.

(٤) ينظر: السخاوي، "الضوء اللامع"، ٤: ٢٨٩.

(٥) ينظر: السخاوي، "الضوء اللامع"، ٥: ٢٣٧.

(٦) ينظر: السخاوي، "الضوء اللامع"، ٦: ٢٩١.

(٧) ينظر: السخاوي، "الضوء اللامع"، ٦: ٣٠٧.

(٨) ينظر: تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي، "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين". تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ٣: ١٣٠.

(٩) ينظر: ابن حجر العسقلاني، "إنباء الغمر بأبناء العمر"، ٣: ٤٠٩.

(١٠) ينظر: ابن قاضي شهبة، "طبقات الشافعية"، ٤: ٣٣.

لشمس الدين الكَلائي مصنفات تشهد بفضله وسعة علمه، فمن آثاره:

١- المجموع في الفرائض[١].

٢- القواعد الكبرى، وهو كتاب في الفرائض على المذاهب الأربعة[٢].

٣- الجامع الصغير في النحو[٣].

٤- مقدمة في النحو، وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

(١) ينظر: حاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، ٢: ١٦٠٥؛ وخير الدين الزركلي، "الأعلام"، ٦: ١٥٧؛ وعمر رضا كحالة، "معجم المؤلفين"، ١٠: ٦٦.

(٢) ينظر: خير الدين الزركلي، "الأعلام"، ٦: ١٥٧؛ والبغدادي، "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون"، ٤: ٢٣٤؛ وعمر رضا كحالة، "معجم المؤلفين"، ١٠: ٦٦.

(٣) ينظر: حاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، ١: ٥٦٤؛ وخير الدين الزركلي، "الأعلام"، ٦: ١٥٧؛ وعمر رضا كحالة، "معجم المؤلفين"، ١٠: ٦٦.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب

عنوان الكتاب:

خلت مقدمة هذا الكتاب من ذكر عنوانه، وكذا لم تأتِ المصادر التي عُنِيت بترجمة الكلائي على ذكره، وهذا يدل على أن المؤلف لم يضعْ اسمًا لكتابه هذا، بيد أن مضمون الكتاب ينبئ عن حقيقته وعنوانه، فهو مقدمة في أهم فصول النحو التي ينبغي تقديمها في الطريق إلى تحصيله، وهي الأصول التي إن أحكمها المبتدئ سَهُل عليه ما بعدها، وإنَّما الوصول بإحكام الأصول؛ إذ منها تتفرع الفروع، فمتى أُحكِمَت الأصول سَهُلت الفروع، وقد توخَّى المؤلف في هذه المقدمة الإيجاز والاختصار على ما يكفي المبتدئ في علم النحو، ونص على ذلك في المقدمة بقوله: "والطريق إلى تحصيله [أي: علم النحو] بإحكام أصوله، بتقديم الأهم من فصوله، والأهم منها: معرفة عشرة أشياء، وهي: الاسم، والفعل، والحرف، والرفع، والنصب، والجرّ، والجزم، والعامل، والتابع، والجُمَلُ"[(١)]، هذا بالإضافة إلى حجم هذا الكتاب؛ ولذا استقر الرأي أنَّ أنسب عنوان يصف حقيقته وحجمه هو: "مقدمة في النحو"؛ حتى لا يُترَك دون عنوان، واعتمادًا على مضمونه وحجمه، وممَّا استقرَّ أن "المقدمة" في التأليف عند علماء العربية القدماء تُطلق على كل كتاب مختصر في فنِّه الذي كُتِب فيه، والمقدمات في العلوم مما لا يخفى على المعنيين بها.

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

لم يرد هذا الكتاب عند من ترجم للكلائي، وهذا لا يعني عدم نسبته إليه، فبعض الكتب المقطوع بنسبتها إلى مؤلفيها لم ترد في كتب التراجم، ولا شك أن

(١) الكلائي، "مقدمة في النحو"، النص المحقق، ص ١٧.

هذا الكتاب ثابت النسبة إلى مؤلفه؛ بدليل ما أثبت في مقدمة النسخة المخطوطة: "قال الشيخ الإمام العالم العلَّامة الزاهد — شيخُنا – أبو عبدالله شمس الدين محمد بن شرف الدين بن عادي القرشي الزُّبيريُّ، ثمَّ الكَلَائيُّ، رضي الله عنه وعن علماء المسلمين أجمعين"(١)، كما أنَّه لا يوجد ما ينفي نسبته إليه، أو ما يؤكّد أنَّه من عمل أحد تلاميذه، ومما يؤكد هذا المخطوط ونسبته – أيضًا– التطابق الكبير بينه وكتاب المؤلِّف الآخر "الجامع الصغير في النحو"، فالناظر فيهما يدرك أنَّ جل هذه المقدمة مختصر من الجامع الصغير، فقد ضمّن الكلائي هذا الكتاب المقدمة والأبواب العشرة بحروفها مع اختصار لها هنا، وإضافات قليلة جدًا في بعض المواضع كما سيأتي، دون ذكر الخلافات وآراء العلماء، والبسط في القضايا النحوية على نحو ما جاء في الجامع الصغير، والذي يظهر أنَّه اختصر الجامع في هذه المقدمة ليسهل حفظها وفهمها واستيعابها.

مضمون الكتاب ومادته:

قدَّم الكلائي في هذه المقدمة مادة تعليمية مختصرة في علم النحو، ضمنها أهم أبواب النحو التي ينبغي للمبتدئين في علم العربية معرفتها، بأسلوب سهل وعبارة واضحة، وقد بدأ مقدمته بتعريف النحو، والغرض منه، والطريق إلى تحصيله، ثم تحدث عن أهم أبواب النحو التي ينبغي تقديمها لمتعلم العربية، وهي عشرة:

الباب الأول: باب الاسم: وفيه حد الاسم، وأقسامه، وأنواع كل قسم باختصار، وعلامات الأسماء، والمعرفة والنكرة.

الباب الثاني: باب الفعل: وفيه حد الفعل، وأقسامه الثلاثة، وعلامات كل قسم.

الباب الثالث: باب الحرف: وفيه حد الحرف، وأقسامه الثلاثة من حيث

(١) الكلائي، "مقدمة في النحو"، النص المحقق، ص ١٧.

العمل وعدمه، وعلامات الحرف.

الباب الرابع: باب الرفع: وفيه أنواع الرافع الأربعة، والمرفوعات، وعلامات الرفع.

الباب الخامس: باب النصب: وفيه أقسام الناصب، والمنصوبات، وعلامات النصب.

الباب السادس: باب الجر: وفيه أقسام الجار، والمجرورات، وعلامات الجر.

الباب السابع: باب الجزم: وفيه الجازم، وحروف الجزم، وأنواع الجازم، والمجزوم، وعلامات الجزم.

الباب الثامن: باب العامل: وفيه حد العامل، وأقسامه.

الباب التاسع: باب التابع: وفيه حد التابع، وأقسامه، وحكمه.

الباب العاشر: باب الجملة التي لها محل من الإعراب، والتي لا محل لها من الإعراب.

وقد ختم مقدمته بحد الإعراب، والمعرب، وحروف الإعراب.

وحديثه في هذه الأبواب مركز ومختصر، يقتصر في كل باب على ماهيته وأقسامه وعلاماته أو حكمه؛ إذ بها يحصل الغرض للمبتدئ في كل باب من هذه الأبواب العشرة، ولم يصرّح في هذه المقدمة بمصادره، ومما لا شك أنَّه قد استفاد من سابقيه من علماء العربية، كما أنَّه اختصر فيها كتابه الجامع الصغير في النحو، وسار فيها على خطاه في الجامع، وهو فيهما متأثر بابن بابشاذ في المقدمة المحسبة، حيث أورد ترتيب الأبواب فيهما بصورة قريبة مما في المقدمة المحسبة، عدا الباب العاشر فقد جعله للجملة في حين جعله ابن بابشاذ للخط.

وقد نص في الجامع الصغير على مصادره التي استقى منها مادَّته وهي ستة عشر كتابًا، الأول: شرح الألفية لابن أم قاسم، والثاني: شرح الألفية لابن هشام، والثالث: شرح الألفية لابن عقيل، والرابع: شرح الجمل الكبير لابن بابشاذ،

والخامس: شرح الجمل لابن هشام اللخمي، والسادس: شرح اللمع لابن الخباز، والسابع: شرح الشذور لابن هشام، والثامن: المغني لابن هشام، والتاسع: شرح المفيد لابن بابشاذ، والعاشر: المحسبة لابن بابشاذ، والحادي عشر: الفصول لابن معطٍ، والثاني عشر: الضوابط للقرافي، والثالث عشر: الذخائر للهروي، والرابع عشر: الأزهية للهروي، والخامس عشر: الإشارة لبعض النحويين(١)، والسادس عشر: الوقف والابتداء لابن الأنباري(٢).

وهذه المقدمة وإن كانت في جلها مختصرة من الجامع الصغير –كما ذُكِر– إلا أنَّها بلا شك غيره؛ بدليل الإضافات في بعض المواضع مما ليس في الجامع، ومنها في الباب الأول: حد الضمير(٣)، والقسم الخامس في المعرفة والنكرة في باب الاسم(٤).

ومما يجدر بالبحث بيانه تحديد موقع هذه المقدمة بين المختصرات في القرن الهجري الثامن، وبيان منهجها في ترتيب المادة النحوية؛ حيث شهد هذا القرن نشاطًا ملحوظًا في التأليف في المقدمات والمختصرات النحوية، وهي ظاهرة ارتبطت بتطوّر العلم وتنوّع مستوياته، وهذه المختصرات لم تكن على نمط واحد، بل اختلفت من حيث الغاية والمنهج وحجم المادة؛ بحسب طبيعة كل متن ووظيفته.

(١) يغلب على الظن أنَّه كتاب الإشارة في النحو لتاج الدين اللخمي الإسكندري (ت٧٣٤هـ)، وهو معاصر لشمس الدين الكلائي، وهو منشور بمجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الإنسانية – غزة – المجلد: ٢٠، العدد: ١، ص٢١٥ ص٢٣٠، يناير ٢٠١٢.

(٢) ينظر: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، مخطوط، ١٩٥/ب.

(٣) ينظر: الكلائي، "مقدمة في النحو"، النص المحقق، ص ١٨.

(٤) ينظر: الكلائي، "مقدمة في النحو"، النص المحقق، ص ٢٠.

والناظر في المختصرات النحوية في هذا القرن يدرك أنها لا تنتظم في نمط واحد، بل تتوزع – من حيث المنهج والغاية – إلى نمطين رئيسين يمكن تمييزهما بوضوح من خلال بنية المتون، فالنمط الأول: المقدمات التعليمية التأسيسية: وهي التي تقوم على تقديم تصور شامل لبنية النحو العربي في متن واحد، مع الحفاظ على الاختصار وترك التوسّع في التقسيمات، وتجنب الخلاف والجدل، ومن أبرز أمثلتها: الآجرُّومية لابن آجرُّوم (٧٢٣هـ)[١]، ومقدمة القاضي ابن جماعة (٧٣٣هـ)[٢]، ومقدمة الشيخ ولي الدين الملوي المنفلوطي (٧٧٤هـ)[٣]، وهذه المقدمات تكتفي بعرض أقسام الكلمة، وعلامات الاسم، وأقسام الفعل، وأبواب الإعراب في حدّها الأدنى، مع اعتماد منهج تعليمي قائم على التعريف والتقسيم والتمثيل، دون تعليل خلافي، ويمثّل هذا النمط المرحلة الأولى في سلّم التعلّم النحوي، كما يكشف هذا النوع من المقدمات عن قصد التأسيس والاستيعاب التعليمي.

وأمَّا النمط الثاني فهو: المختصرات التحليلية: وهي المقدمات التي تتجه إلى معالجة الإشكالات النحوية، مع إيراد الخلاف والترجيح، ومن أمثلته: شذور الذهب وقطر الندى لابن هشام (٧٦١هـ)[٤]؛ حيث لا يُقتَصَر على القاعدة،

(١) المقدمة الآجرُّومية من أشهر متون النحو، شرحها كثير من العلماء قديمًا وحديثًا، وهذا مما لا يخفى على أهل العربية.

(٢) ينظر: بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة، "مقدمة مختصرة جدًّا في صناعة النحو والعربية". د. محمد الخزيم. *مجلة العلوم العربية والإنسانية بجامعة القصيم* ٢، (٢٠١٩م): ٣٤٧ – ٣٩٨.

(٣) ينظر: ولي الدين محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي، "مقدمة في النحو". د. محمد بن حبيب الترجمي. *مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها ١٧*، (٢٠٢٥م): ٩ – ٦٢.

(٤) الشذور والقطر مشهوران، وقد شرحهما ابن هشام وغيره.

بل يتبعها التعليل أو الإشارة إلى الأقوال المختلفة، وهذا النمط مناسب للمتوسط في علم العربية.

ومقدمة الكلائي يظهر مما سبق في بيان مادتها ومنهجها وغايتها أنَّها تعتمد على التعريف والتقسيم والتعداد والتمثيل، دون توسّع في التعليل أو إيراد الخلاف، وهي بذلك تندرج ضمن المختصرات التعليمية التأسيسية في القرن الثامن الهجري، وتبرز قيمتها العلمية في كونها تمثّل نموذجًا واضحًا للمختصر التعليمي، وتقدّم تصورًا كليًا للنحو في متن واحد، فهي تصلح لتكون مادة تعليمية للمبتدئين قبل الشروع في المطوّلات، كما أنَّها تعكس تصورًا حقيقيًّا عن نمط من أنماط المتون التعليمية المختصرة في القرن الثامن الهجري، وهو نمط جدير بمزيد من العناية تحقيقًا ودراسة.

القسم الثاني: التحقيق، وفيه:

وصف النُّسخة الخطيَّة للكتاب:

اعتمدت في تحقيق هذه المقدمة المختصرة في النحو لمؤلفها شمس الدين الكلائي على نسخة خطية وحيدة، محفوظة في مكتبة قاضي زاده محمد، في تركيا، ضمن مجموع برقم (٥١٣)، به كتب ورسائل عدة في النحو وغيره.

عدد لوحات هذه النسخة (٦) لوحات، تبدأ من الصحيفة [٧٥/ ب]، وتنتهي في الصحيفة [٨١/أ]، وفي كل لوحة صحيفتان، وعدد الأسطر في الصحيفة (٢١) سطرًا، ومتوسط الكلمات في كل سطر (١١) كلمة.

وهي نسخة تامَّة سليمة وخالية من السقط، مكتوبة بخطٍّ واضح، كما أنَّها نسخة مقابلة، ومضبوطة بالشكل، ويظهر عليها عناية الناسخ، وقد كُتِبَت العناوين والأبواب والأنواع فيها بخط بارز وبلون أحمر، كما أنَّ ناسخها استعمل نظام التعقيبة للحفاظ على ترتيب اللوحات؛ بكتابة أول كلمة من كل لوحة في آخر اللوحة التي تسبقها.

وناسخها هو: محمد بن علي بن خليل، الشهير بالمنهاجي، وقد فرغ من نسخها يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر جمادى الأولى سنة (٨٢٦هـ).

نماذج من النسخة الخطية:

اللوحة الأولى من النسخة المخطوطة



اللوحة الأخيرة من النسخة المخطوطة



النَّصُّ المحقَّق

[مقدمة في النحو للشيخ شمس الدين الكَلَائيّ ت ٧٧٧هـ][(١)]

[٧٥/ب] بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

قال الشيخ الإمام العالم العلَّامة الزاهد — شيخُنا – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن شرف الدين بن عادي القرشي الزُّبيريُّ، ثمَّ الكَلَائيُّ، رضي الله عنه وعن علماء المسلمين أجمعين:

النَّحو: علمٌ يُعْرَفُ به أحكامُ الكَلِم العربية إفرادًا وتركيبًا[(٢)].

والغرضُ به: معرفةُ صواب الكَلِمِ من خطئه، وفهمُ معاني كتاب الله وفوائدِه، والطريقُ إلى تحصيله بإحكام أصوله، بتقديم الأهم من فصوله، والأهم منها معرفة عشرة أشياء، وهي: الاسم، والفعل، والحرف، والرفع، والنصب، والجرّ، والجزم، والعامل، والتابع، والجُمَلُ[(٣)].

---

(١) زيادة من المحقق (ينظر في توجيهها: الكلائي، "مقدمة في النحو"، قسم الدراسة: عنوان الكتاب، ص ٩).

(٢) النحو في اللغة: القصد؛ من قولهم: نحوت كذا وكذا. ينظر: طاهر بن أحمد بن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة". تحقيق: خالد عبدالكريم، (ط١، الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧٧م)، ١ : ٨٨.

(٣) هذا النص بحروفه لابن بابشاذ (ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١ :٩١)، وقد غير الكلائي الكلمة الأخيرة فجعل "الجمل" مكان: "الخط".

وترتيب هذه الأبواب ترتيب منهجي سار الكلائي فيه على منهج ابن بابشاذ في المقدمة المحسبة، وقد فسّر ابن بابشاذ منهجه في الترتيب بأن الاسم والفعل والحرف هي الأصول التي لا يُستَغنَى عنها، وأنَّه قُدّم الاسم لأنَّه أقواها وأمكنها في الإخبار به وعنه، وتلاه الفعل لأنَّه يُخبر به لا عنه، وأُخِّر عنهما الحرف لأنَّه لا يُخبَر به ولا عنه، =

باب الاسم

حدُّ الاسم: ما دلَّ على معنًى في نفسه غير مقترنٍ بزمانٍ مُحَصَّلٍ[1]، وهو على ثلاثة أقسام: ظاهرٌ، ومُضْمَرٌ، ومُبهَمٌ، فالظاهر: عشرة أنواع، والمضمَرُ خمسة أنواع، والمبهَمُ خمسة أنواع.

القسم الأول: الظاهر[2]:

وهو عشرة أنواعٍ[3]:

النوع الأول: يدخله الرفع والنصب والجرُّ والتنوين، وهو الاسم المتمكِّنُ مثل: زيدٍ.

النوع الثاني: عكسه[4]، وهو المقصور مثل: حُبْلَى.

وقُدِّم الرفع لأنَّه من حركات العُمَد، وتلاه النصب لكثرته، ثم جاء الجر لأنّه إعراب للاسم، وتأخر الجزم عنه لذلك، ثمّ قدّم العامل لأنَّه لا بد منه، وأخَّر التابع لأنه قد يُستَغنَى عنه، ثمَّ ختم بالجمل التي لها محل والتي لا محل لها. وينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١ :٩٢؛ وشمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٣/أ.

(١) اختلف النحويون في تعريف الاسم على أقوال، وهذا التعريف الذي ذكره الكلائي هو المختار عند أكثر النحويين. ينظر في هذه المسألة: أبو البقاء العكبري، "التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين". تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م) ص١٢١؛ وأبو البقاء ابن يعيش، "شرح المفصل للزمخشري"، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م) ١ :٨١؛ وشمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٣/أ.

(٢) المقصود به: كل اسمٍ دل بظاهره وإعرابه على المعنى المراد به. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١ :٩٨.

(٣) ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١ :١٠٠ وما بعدها؛ وشمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٤/أ.

(٤) أي: لا يدخله رفع ولا نصب ولا جر ولا تنوين. ينظر: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٤/أ.

النوع الثالث: يدخله الرفع والنصب والجرُّ ولا يدخله تنوينٌ، وهو المضاف[١] مثل: غلام زيدٍ.

النوع الرابع: يدخله التنوين وحده، وهو الذي في آخره الألف المفردة مثل: فتًى.

النوع الخامس: يدخله الرفع والنصب وحده، وهو ما لا ينصرف مثل: أحمد.

النوع السادس: يدخله النصب والتنوين ولا يدخله الرفع والجرُّ، وهو المنقوص مثل: قاضٍ.

النوع السابع: يدخله الرفع والجرُّ والتنوين ولا يدخله نصبٌ، [٧٦/أ] وهو جمع المؤنث السالم مثل: الهندات.

النوع الثامن: يُرفَعُ بالواو ويُنصَبُ بالألف ويُجَرُّ بالياء، وهي الأسماء الستة: أبوك، وأخوك، وحَمُوك، وفُوكَ، وهَنُوهُ، وذو مالٍ.

النوع التاسع: يُرفَع بالألف ويُنْصَبُ ويُجَرُّ بالياء، وهو المثنى مثل: الزَّيدانِ.

النوع العاشر: يُرفَع بالواو ويُنصَب ويُجَرُّ بالياء، وهو جمع المذكر السالم [الذي هو بالواو والنون نحو: جاءني مسلمون][٢].

القسم الثاني: المضمَر:

حد الضمير: على متكلِّمٍ، أو مخاطَبٍ، أو غائبٍ، وهو على خمسة أنواعٍ[٣]:

النوع الأول: المرفوع المتصل مثاله: أكرمْتُ، أكرمْنَا، أكرمْتَ، أكرمْتِ،

---

(١) خصَّه المؤلف في الجامع الصغير، بالمضاف لغير ياء المتكلم (ينظر: ٤/أ)، وهو مفهومُ تمثيله هنا.

(٢) تكملة من هامش النسخة المخطوطة، وهي بخط الناسخ، وبها يتم الكلام، ويقوّيها قول الكلائي "الجامع الصغير في النحو"، ٤/ب: "النوع العاشر: رفعه بالواو ونصبه وجره بالياء، وهو: الجمع المذكر السالم، مثاله: الزيدون والزيدِينَ".

(٣) ينظر في هذه الأنواع وتفصيلها: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١ :١٤١.

أكرمتما، أكرمتم، أكرمتُنَّ، أكرَمَ، أكرمَتْ، أكرَمَا، أكرَموا، أكْرَمْنَ.

النوع الثاني: المرفوع المنفصل مثاله: أنا، نحن، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتُنَّ، هو، هي، هما، هم، هُنَّ.

النوع الثالث: المنصوب المتصل مثاله: أكرَمَني، أكرَمَنا، أَكْرَمَكَ، أكرَمَكِ، أكرمَكُما، أكرَمَكم، أكرَمَكُنَّ، أكرَمَهُ، أكرَمَها، أكرَمَهُما، أكرَمَهما، أكرَمَهم، أكرَمَهُنَّ.

النوع الرابع: المنصوب المنفصل مثاله: إيَّاي، إيَّانا، إيَّاكَ، إيَّاكِ، إيَّاكُما، إيَّاكم، إيَّاكنُّ، إيَّاهُ، إيَّاها، إيَّاهما، إيَّاهم، إيَّاهُنَّ.

النوع الخامس: المجرور المتصل مثاله: عملي لي، عملنا لنا، عملكَ لكَ، عملكِ لكِ، عملكما لكما، عملكم لكم، عملكنَّ لكُنَّ، عمله له، عملها لها، عملهما لهما، عملهم لهم، عملهنَّ لهنَّ، (والياء في: تفعلي)[1].

القسم الثالث: المبهَم[2]:

وهو خمسة أنواع[3]:

النوع الأول: أسماء الإشارة خمسةٌ وهي: ذا، وتا، وذانِ وتانِ رفعًا، وذَينِ وتَينِ نصبًا وجرًّا، وأولاء للجمع مطلقًا.

النوع الثاني: أسماء الاستفهام تسعةٌ: كم، وكيفَ، ومَن، ومَا، ومتى، وأين،

---

(١) كذا في النسخة المخطوطة، والظاهر أنه سهو سببه انتقال نظر الناسخ؛ لأنَّ الياء في موضع رفع في "تفعلي"، فلا يصح ورودها في هذا الموضع، بل حقها أن تُثبَت في النوع الأول وهو المرفوع المتصل، كما أنَّ هذا لم يثبت في الجامع الصغير للمؤلف (شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٤/ب).

(٢) عبّر عنه ابن بابشاذ بالأسماء التي لا ظاهرة ولا مضمرة. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١ :١٦١.

(٣) زاد نوعًا سادسًا في الجامع الصغير في النحو، (٥/أ): "أسماء الظروف المبنية، وهي: إذ، وإذا، وأمسِ، والآن، وأبدًا ...".

وأنَّ، وأيَّان، و(إيَّاي)[١].

[٧٦/ب] النوع الثالث: الموصول وهو اثنا عشر: التي، والذي، واللذان واللتان رفعًا، واللذَينِ واللتين نصبًا وجرًّا، والذين، واللاتي، ومَن، وما، وألْ، وأيُّ، وماذا، وذو عند طيء.

النوع الرابع: أسماء الشرط اثنا عشر: مَن، وما، ومتى، ومهما، وكيفمَا، وحيثُما، وإذما، وإذاما، وأين، وأنَّ، وأيَّان، و(إيَّاي)[٢].

النوع الخامس: أسماء الأفعال: (نَزَالِ بمعنى انْزِلْ، ودَرَاكِ بمعنى أَدرِكْ، وهيهات بمعنى بَعُدَ، وشَتَّانَ بمعنى افْتَرَقَ، وصَهْ بمعنى اسْكُتْ، ومَهْ بمعنى اكفُفْ، وأُفٍّ بمعنى أَتَوَجَّع)[٣]، وما أشبهه.

القسم الرابع: في علامات الأسماء[٤]:

وهي أربعة: من أوله، ومن آخره، ومن وسطه، ومن معناه.

فمن أوله: حروف الجرّ، ولام التعريف، وحروف النِّداء، وإنَّ وأخواتها، وكان وأخواتها، وظننتُ وأخواتها، والإضافة إليه.

ومن آخِرِه سبعة: التنوين، والتثنية، والجمع، وهاء التأنيث، وألف التأنيث

(١) كذا في النسخة المخطوطة، وهو تحريف صوابه (شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٥/أ): "وأيّ". وينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١: ١٧٢.

(٢) كذا في النسخة المخطوطة، وهو تحريف صوابه (شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٥/أ): "وأيّ".

(٣) وردت أسماء الأفعال في النسخة المخطوطة سردًا دون تفسير، ووقع تفسير كل اسم فعل في السطر أسفله، مع إشارة ربط بين التفسير والمفسَّر.

(٤) ينظر في تفصيلها: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١ :١٨٩؛ وشمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٥/أ.

المقصورة، والممدودة، وياء النَّسَبِ.

ومن وسطه علامتان: ألف التكسير، وياء التصغير.

ومن معناه: الفاعلية، والمفعولية، ويُخْبَرُ به، ويُخْبَرُ عنه، والنَّعْتُ، والتنكير، وعطف البيان، والتأنيث، والعَدْلُ، والتركيب، والإضمار، والنِّسبة، وبدل البعض من الكل، وبدل الاشتمال، والتوكيد، وأن يكون ممدوحًا، ومذمومًا، ومندوبًا، ومستغاثًا، ومتعَجَّبًا منه(١).

القسم الخامس: في المعرفة والنَّكرة:

حَدُّ النَّكرة: كل اسمٍ شائعٍ في جنسه(٢).

وعلامة النكرة: ما تقبل رُبَّ وأل نحو: رُبَّ [٧٧/أ] رجلٍ، والرجل(٣).

وأقسامها خمسةٌ(٤) نحو: رَجُلٍ، وإنسانٍ، وحيوانٍ، ونَامٍ، وجسمٍ.

---

(١) قال شمس الدين الكلائي: "الجامع الصغير في النحو"، ٥/ب: "وزاد بعض النحويين إلى سبعين، وإلى مائة".

(٢) اختلفت عبارات النحويين في حد النكرة فقيل هي: مالم تخص الواحد من جنسه، وقيل: هي ما شاع في أمته، وقيل: ما دل على شيء لا بعينه. ينظر: أحمد بن الحسين بن الخباز، "توجيه اللمع". تحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب، (ط٢، مصر: دار السلام، ٢٠٠٧م)، ص ٢٩٧؛ وأبو حيان الأندلسي، "التذييل والتكميل في شرح التسهيل". تحقيق: أ. د. حسن هنداوي، (ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م) ٢: ١٠٢.

(٣) يرى ابن مالك أن الأجود في تمييز النكرة أن يُقال بعد عد المعارف: وما سواها فهو نكرة. ينظر: جمال الدين ابن مالك الطائي، "شرح تسهيل الفوائد". تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، (ط١، دار هجر، ١٩٩٠م)، ١: ١١٧.

(٤) يعني: أقسام النكرات في درجات التنكير من حيث العموم والخصوص. ينظر: أبو حيان الأندلسي، "ارتشاف الضرب". تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، ٢: ٩٠٧.

والمعارف ستة: المضمَر مثل: أنا، وأنت، وهو، وفروعها[١]، والعَلَمُ مثل: زيدٍ، وعبدِاللهِ، وأسامةَ، وبَرَّةَ، واسم الإشارة مثل: ذا، والمعَرَّف مثل: الرَّجُل، والمضاف مثل: غلام زيدٍ، والموصول مثل: الذين وأخواتها.

باب الفعل

حَدُّ الفعل: ما دَلَّ على حدثٍ وزمانٍ مُخْتَصٍّ[٢]، وهو ثلاثة أقسام: ماضٍ، ومضارع، وأمر.

القسم الأول: في الماضي:

وله أربع عشرة علامة من أوله ومن آخِره.

فمن أوله علامتان: قد، ولو، مثاله: قد ضَرَبَ، لو ضَرَبَ.

ومن آخِرِه (اثنا عشر)[٣]، وهي: تاء الفاعل مثل: ضربْتُ، ضَرَبْتَ، ضَرَبْتِ، ضَرَبَتْ، وفتحُ آخِرِه مثل: جاء، وأمسى، وألف الاثنين: ضَرَبَا، وواو الجماعة: ضَرَبُوا، ونون الوقاية: ضَرَبَنِي، ونون النِّسوةِ: ضَرَبْنَ، وكافُ الخطابِ: ضَرَبَكَ، وهاء الغائب: ضَرَبَهُ.

(١) لم يفصّل في المضمر لأنَّه سبق ذكر ذلك في أقسام الاسم. ينظر: الكلائي، "مقدمة في النحو"، النص المحقق، ص ١٧.

(٢) اختلف النحويون في تعريف الفعل على أقوال عدة، منها: أنَّه كل لفظ دلّ على معنى في نفسه، مقترن بزمان محصَّل، وقيل: ما أُسنِد إلى غيره، ولم يُسْنَد غيره إليه، وقيل غيرها. وينظر في تفصيلها: أبو البقاء العكبري، "التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين"، ص١٢١؛ وشمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٣/أ.

(٣) كذا في النسخة المخطوطة، وصوابه: "اثنتا عشرة"؛ لأن المعدود مؤنث "علامة"، وهو المثبت في: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٦/ب.

والماضي ثلاثيٌّ مثل: ضَرَبَ، وما زاد على ذلك مثله[1].

القسم الثاني: الفعل المضارع:

وهو ما كان في أوله حرفٌ من حروف "نأتي"؛ مثاله: يَضْرِبُ، أَضْرِبُ، تَضْرِبُ، نَضْرِبُ.

وله عشرون علامة، (ستةٌ)[2] من أوله وهي: قدْ، ولو، والسين، وسوف، ولن، ولم؛ مثالُهُ: قد يضرب، لو يضرب، سيضرب، سوف يضرب، لن يضربَ، لم يجعلْ.

وله (أربعة عشر)[3] علامة من آخِرِهِ وهي: ضَمُّ آخِرِهِ: يَضْرِبُ، وفَتْحُ آخِرِهِ: لن يضربَ، وجَزْمُ آخِرِهِ: لم يضربْ، وألف الاثنين: يَضْرِبَا، وواو الجماعة: يَضْرِبُوا، ونون الوقاية: يَضْرِبُنِي، ونون التوكيد الشديدة: يَضْرِبنَّ، والخفيفة:

---

(١) الماضي الرباعي مثل: دحرج، والماضي الخماسي مثل: انطلق، والماضي السداسي مثل: استغفر، وأقصى ما يصل إلى الفعل بالزيادة ستة أحرف، فليس في العربية فعل سباعي. ينظر: ابن القَطَّاع الصقلي، "أبنية الأسماء والأفعال والمصادر". تحقيق: أ. د. أحمد محمد عبد الدايم، (ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٩م)، ص ٩٧؛ وابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١ :١٩٥.
والفعل الماضي مبني، وبناؤه على الفتح، نحو: ضربَ. ينظر: أبو محمد جمال الدين بن هشام الأنصاري، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك". (ط٥، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٩م)، ١: ٦١.

(٢) كذا في النسخة المخطوطة، وصوابه: "ست"؛ لأن المعدود مؤنث: علامات، وهو المثبت في: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٦/ب.

(٣) كذا في النسخة المخطوطة، وصوابه: "أربع عشرة"؛ وقد ذكر ثلاث عشرة علامة، وسقطت العلامة الرابعة عشر (شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٦/ب): نون النسوة نحو: يضربْنَ.

يَضْرِبْنْ، وكاف الخطاب: يَضْرِبك، وهاء الغائب يضربُهُ، ويَضْرِبُ [٧٧/ب] غَدًا، ويَضْرِبُ الآن، ونون الجمع: يضربون.

تُضَمُّ حروف المضارعة إذا كان الماضي رباعيًّا مثل: دَحْرَجُ تقول: يُدحرج، وتُنصَبُ إذا كان الماضي ثلاثيًّا أو خماسيًّا أو سداسيًّا؛ مثاله: ذهب يَذهب، وانطلق يَنطلق، واستخرجَ يَستخرج(١).

القسم الثالث: فعل الأمر:

وهو ما فُهِمَ منه الأمر، وقَبِلَ نوني التوكيد(٢).

وهو مبنيٌّ على السكون(٣)، مثاله: اضْرِبْ، اضْرِبْنَ.

---

(١) الفعل المضارع معرَب بشرط عدم اتصاله بنون الإناث ونون التوكيد المباشرة، نحو يضربُ، ويُبنى مع النونين، فيُبنَى على السكون مع نون الإناث نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]، ويُبنَى على الفتح مع نون التوكيد المباشرة، نحو:﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ [سورة الهمزة: ٤]، وأما غير المباشرة فإنه معرب معها تقديرًا، نحو قوله سبحانه: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٦]، وقوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [سورة مريم: ٢٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ [سورة يونس: ٨٩]. ينظر: ابن هشام، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، ١: ٦٢.

(٢) إن دلت كلمة على الأمر ولم تقبل النون فهي اسم نحو: نزالِ، وإن قبلت النون ولم تدل على الأمر فهي فعل مضارع نحو قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا﴾ [سورة يوسف: ٣٢]. ينظر: ابن هشام، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، ١: ٥٦.

(٣) يُبنَى فعل الأمر على ما يُجزَم به مضارعه، فنحو: "اضرب" مبني على السكون، ونحو: "اضربا" مبني على حذف النون، ونحو: "اغْزُ" مبني على حذف آخر الفعل. ينظر: ابن هشام، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، ١ : ٦١.

باب الحرف[1]

حَدُّ الحرف: ما دلَّ على معنًى في غيره، ولم يكن أحد جزأي الجملة المفيدة[2]، وهو على ثلاثة أقسام: حروفٌ عاملةٌ، وحروفٌ غير عاملةٍ، وحروفٌ تعمل عند قومٍ دون آخرين.

القسم الأول: في الحروف التي تعمل[3]:

وهي ثمانية وثلاثون حرفًا.

منها ستةٌ تنصب الاسم وترفع الخبر - ما لم يكن معها ما — وهي: إنَّ، وأنَّ، وكأنَّ، ولكنَّ، وليتَ، ولعلَّ، تقول: إنَّ زيدًا قائمٌ، وكذلك الباقي، فإن أدخلتَ "ما" بطل عملها مثل: إنَّما زيدٌ قائمٌ.

ومنها تسعة تنصب الفعل المضارع، وهي: أنْ، ولن، وكي، وإذن، وتُضْمَر "أنْ" بعد الواو، وأو، واللام، وحتى، والفاء، مثل: أن يقومَ، ولن يقومَ، وكي أكرمَك، وإذن أُحسنَ إليك، وسرتُ حتى أدخلَ البلد، ولا تأكل السمك وتشربَ اللبن، ولألزمنَّك أو تُعطيَني حَقِّي، ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾[4].

ومنها ثمانية عشر تجرُّ الاسمَ، وهي: مِن، وإلى، وعن، وعلى، وفي، ورُبَّ، وحاشا، وخَلا، وعَدَا، والكاف، والباء، والتاء، والواو، واللام، وحتى، ومُذ،

---

(١) ينظر في تفصيل هذا الباب: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١: ٢١٥، وهو مصدر الكلائي في هذا الباب ما عدا الفصل في آخره "علامات الحرف".

(٢) عُرِّف الفعل بتعريفات عدة. ينظر في تفصيلها: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٨/أ.

(٣) ينظر في تفصيلها والأمثلة عليها: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١: ٢١٦.

(٤) سورة الفتح: ٢. وبقي مثال الفاء، وهو:﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ [سورة المنافقون: ١٠]. ينظر: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٨/ب.

ومُنذُ، وتاء القَسَمِ[١].

ومنها خمسة تجزم الفعل المضارع وهي: لم، ولمَّا، ولام الأمر، ولا الطلبية، وإنْ الشرطية، مثل: لم يضربْ، لمَّا يضربْ، ليضربْ، لا تضربْ، إن يضربْ أضربْ.

القسم الثاني: في الحروف التي لا تعمل[٢]:

وهي تسعة وخمسون حرفًا.

منها حروف الابتداء، وهي خمسة عشر، وهي: إنَّما، وأنَّما، وكأنَّما، ولكنَّما، وليتما، ولعلَّما، (وأنَّ)[٣]، وأمَّا [٧٨/أ] بمعنى التفصيل، وأَمَا بمعنى الافتتاح، ولولا بمعنى الامتناع، وحتَّى في أحد أقسامها، وألَا بمعنى التنبيه، ولام الابتداء، وواو الحال، وأنْ الخفيفة في أحد أقسامها، ولكنْ الخفيفة.

ومنها عشرة للعطف، وهي: الواو، والفاء، وثُمَّ، وأو، وإمَّا مكسورةً مكرَّرةً، وأم، وبل، ولكنْ بعد النفي، ولا بعد الإيجاب، وحتى في أحد أقسامها.

ومنها ستة للجواب، وهي: نَعَمْ، وبلى، وإيْ، وجَير، وأجل، وإنَّ في بعض المواضع.

ومنها أربعة للتحضيض، وهي: لولا، وهَلَّا، ولوما، وألَّا.

ومنها أربعة للمضارعة، وهي: نأتي.

---

(١) مما يجر الاسم أيضًا: "كي" في موضعيها، و"لعلّ" عند عقيل، و"متى" عند هذيل، و"لولا" عند سيبويه، وحقها أن تُثبَت هنا قياسًا على إثبات المؤلّف "ذو عند طيء" في الأسماء الموصولة (ينظر: الكلائي، "مقدمة في النحو"، النص المحقق، ص ١٩).

(٢) ينظر في تفصيلها والأمثلة عليها: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١: ٢٥٠.

(٣) كذا في النسخة المخطوطة، والصواب ألا تُذكَر هنا، فأنَّ زائدة في غير موضعها، وكذا وقع في الجامع الصغير، وهذا سهو واضح. ينظر: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ٦/ب.

ومنها أربعة للإعراب، وهي: الواو، والياء، والألف، والنون.
ومنها أربعة تختصُّ بالفعل من أوله، وهي: قد، ولو، والسين، وسوف.
ومنها ثلاثة للاستفهام، وهي: الهمزة، وهل، وأم.
ومنها ثلاثة للتأنيث، وهي: التاء، والألف المقصورة، والألف الممدودة.
ومنها حرفان للتنفيس، وهما: السين، وسوف.
ومنها حرفان لتأكيد الفعل، وهما: النون الشديدة، والخفيفة.
ومنها لام التعريف.
ومنها ياء النَّسب.

القسم الثالث: في الحروف التي تعمل عند قومٍ دون آخرين[1]:

وهي تسعة:
منها سبعة للنداء وهي: يا، وأَيَا، وهَيَا، وأي، وآ، والهمزة، ووَا.
ومنها "ما" الحجازية.
ومنها "لا" التي لنفي الجنس.

فصلٌ في علامات الحرف:

وعلامات الحرف التي تختصّ به دون الاسم والفعل عشرة: ما له عمل الجزم، ونصب الأفعال، والعطف، والربط، والغاية، والزيادة، وقَلْب معنى الكلام، والتحضيض، وقلب الفعل مصدرًا، والنقل والتعدية.

(١) ينظر في تفصيلها والأمثلة عليها: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١: ٢٧٤.

وقيل[١]: تَرْكُ العلامة له علامة، وقيل[٢]: ما لا يقبل علامات الأسماء ولا علامات الأفعال فهو حرفٌ.

والحروف كلها مبنيةٌ[٣]، وهي في بنائها على أربعة أنواع:

منها ما يُبنَى على الضم مثل: [٧٨/ب] مُنذُ.

ومنها ما يُبْنَى على الكسر مثل: باء الجرِّ.

ومنها ما يُبْنَى على الفتح مثل: إنَّ، وليتَ.

ومنها ما يُبْنَى على السكون مثل: عنْ، وهلْ.

باب الرفع[٤]

الرافع على أربعة أنواع: اسمٌ، وفعلٌ، وحرفٌ، ومعنًى، مثال الفعل: قام زيدٌ، ومثال الحرف: إنَّ زيدًا قائمٌ، ومثال المعنى والاسم: زيدٌ قائمٌ؛ فالابتداء رفع زيدًا، والمبتدأ رفع الخبر.

(١) ممن قال بذلك ابن جني. ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني، "اللمع في العربية". تحقيق: فائز فارس. (الكويت: دار الكتب الثقافية، ١٩٧٢م)، ص ٨.

(٢) ممن قال به الحريري. ينظر: القاسم بن علي الحريري، "ملحة الإعراب". (ط ١، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٦هـ)، ص ٦.

(٣) لا حظَّ للحروف في الإعراب، فهي كلها مبنيَّة؛ لأنَّها لا تتصرّف، ولا يعتقب عليها من المعاني ما تحتاج معه إلى الإعراب لبيانها. ينظر: بدر الدين محمد بن الناظم، "شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م)، ص ٤١؛ وخالد بن عبد الله الأزهري، "التصريح بمضمون التوضيح في النحو". تحقيق: د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم، (ط١، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٢م)، ١: ٢٠٥.

(٤) عرفه ابن بابشاذ فقال: "الرفع هو ما جلبه عامل الرفع لفظًا كان أو تقديرًا". ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٢٨٥.

فصل في المرفوعات:

المرفوعات سبعة: المبتدأ، والخبر، والفاعل، ونائبه، واسم كان، وخبر إنَّ، والفعل المضارع إذا تجرد عن النواصب والجوازم.

مثاله: زيدٌ قائمٌ، قام زيدٌ، ضُرِبَ عَمْرٌو، كان زيدٌ قائمًا، إنَّ زيدًا قائمٌ، يقومُ.

فصل في علامات الرفع:

وهي أربعة: الضمة، والواو، والألف، والنون، يجمعها: نُوأ[1].

الضمة في الاسم والفعل مثال ذلك: أحمدُ يقومُ.

والواو في (ستة)[2] مثال ذلك: أبوه وأخوه وحموه وفوه وهنوه وذو مالٍ، والزيدون.

والألف في التثنية مثل قولك: الزيدان.

والنون في الأمثلة (الخمس)[3] مثل: تفعلان، ويفعلان، وتفعلون، ويفعلون، وتفعلين.

---

(١) الضَّمة هي الأصل في علامات الإعراب؛ لأنها حركة، والحركات هي الأصل في الإعراب، والإعراب بالحروف فرعٌ عنها. ينظر: جمال الدين بن مالك الطائي، "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق: محمد كامل بركات، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٦٧م)، ص ٨؛ وابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٤٠؛ وابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٢٨٥.

(٢) كذا في النسخة المخطوطة، والصواب: "سبعة"؛ وهو المثبت في: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير"، ١٠/ب. ويقويه ما ذكره في المجرورات بالياء؛ حيث عدّها ثمانية، وسيأتي (ينظر: الكلائي، "مقدمة في النحو"، النص المحقق، ص ٢٦).

(٣) كذا في النسخة المخطوطة، وصوابه: "الخمسة"؛ وهو المثبت في: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير"، ١٠/ب..

باب النصب[١]

الناصب على ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف، فالاسم العامل كقولك: زيدٌ ضاربٌ عمْرًا، ومثال الفعل: ضرب زيدٌ عَمْرًا، ومثال الحرف: إنَّ زيدًا.

فصل: المنصوبات أحد عشر[٢]:

المفعول المطلَق، وبه، وله، ومعه، وفيه، والحال، والتمييز، والمستثنى، واسم إنَّ، وخبر كان، والمضارع إذا دخل عليه الناصب.

مثال ذلك: قام زيدٌ قيامًا، وضرب زيدٌ عَمْرًا، وجاء زيدٌ إكرامًا لك، وسرتُ والنيلَ، وجاء زيدٌ يومَ الجمعة خلفَك، وجاء زيدٌ ضاحكًا، وجاءني عشرون رجلًا، وقام القوم إلَّا زيدًا، وإنَّ زيدًا قائمٌ، وكان زيدٌ قائمًا، ولن يقومَ زيدٌ.

فصل في علامات النصب:

[٧٩/أ] للنصب خمس علامات: الفتحة، وأختها، والكسرة، وأختها، وحذف النون.

مثال الفتحة في الاسم والفعل: إنَّ أحمدَ لن يقومَ، ومثال الألف: إن أباك، ومثال الكسرة: إنَّ الهنداتِ، ومثال الياء: إنَّ الزيدَينِ، وإنَّ الزيدِينَ[٣].

(١) النصب هو ما جلبه عامل النَّصب. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٢٩٧.

(٢) المفاعيل الخمسة منصوبة بالمفعولية، وهي الحقيقية، وأمَّا المنصوبات الستة الأخر فهي مشبّهة بالمفعول الحقيقي. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٣٠٠.

(٣) لم يورد مثال حذف النون هنا، وقد أثبته في الجامع فقال (شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير"، ١١/أ): "ومثال حذف النون: لن تفعلا".

باب الجرّ[1]

الجارُّ على قسمين: اسمٌ، وحرفٌ، مثالهما: غلام زيدٍ في الدارِ.

فصلُ المجرورات:

ستُّ مجروراتٍ: مِلكٍ، وجنسٍ، وتخفيفٍ، وتشبيهٍ، ووصفٍ، وتعديةٍ.

مثال ذلك: غلامُ زيدٍ، وخاتمُ حديدٍ، وضاربُ زيدٍ، وحَسَنُ الوجهِ، وجانبُ الغربيّ، ومررت بزيدٍ.

فصلٌ في علامات الجرَّ:

للجرّ ثلاث علاماتٍ: الفتحة، والياء، والكسرة.

فالكسرة فيما ينصرف مثل: بزيدٍ، والياء في ثمانية مثل: بأبيك وأخواته، والزيدَينِ، والزيدِينَ[2].

باب الجزم[3]

الجازمُ: الحرفُ وما حُمِلَ عليه، وحروف الجزم خمسةٌ، وهي: لم، ولمَّا، ولام الأمر، ولا الطلبية، وإنْ الشرطية.

والجازم على ضربين:

ما يجزم فعلًا واحدًا، وهو: لم، ولمَّا، ولام الأمر، ولا في الطلب، والأمرُ، والنهيُ، والاستفهامُ، والنفيُ، والعرضُ، والتحضيضُ، والتمني، والدعاءُ.

---

(١) الجر هو ما جلبه عامل الجرّ، والجر خاص بالأسماء. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٣٢٩.

(٢) لم يورد مثال الفتحة هنا، وقد أثبته في الجامع فقال (شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ١١/ب): "والفتحة فيما لا ينصرف مثل: بأحمدَ".

(٣) الجزم هو ما جلبه عامل الجزم، والجزم خاص بالأفعال. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٣٤٠.

مثال ذلك: لم يضربْ، لمَّا يضربْ، لِيَضربْ، لا تَقُمْ، قُمْ أُكرمْكَ، لا تَقُم أُهِنْكَ، هل زيدٌ عندك نكرمْك، ما أنت صاحبي نُكرمْك، ألا تنزل عندنا نكرمْك، هلَّا تنزل عندنا نكرمْك، ليت مال أنفقْه، اللهم ارزقني مالًا أنفقْه.

ومنه ما يجزم فعلين وهو: إنْ وما حُمِلَ عليها، وهي: مَن، وما، ومتى، ومهما، وأينَ، وأنَّى، وأيَّان، وأيّ، وإذما، وإذا ما، وحيثما، وكيفما.

مثال ذلك: إن تَقُمْ أَقُمْ، ومَن يَقُمْ أَقُمْ معه، ما تصنعْ أصنعْ، متى تخرجْ أخرجْ، مهما تفعلْ أفعلْ، أين تَكُنْ أَكُنْ، [٧٩/ب] أنَّى تجلسْ أجلسْ، أيَّان تذهبْ أذهبْ، أيًّا تضربْ أضربْ، إذما تفعلْ أفعلْ، إذا ما تفعلْ أفعلْ، حيثما تكنْ أكنْ، كيفما تكنْ أكنْ.

فصلٌ المجزوم:

الفعلُ المضارع مثل: لم يضربْ.

فصلٌ في علامات الجزم:

للجزم علامتان:

السكون في المضارع الصحيح مثل: لم يضربْ.

والحذف في المضارع المعتلِّ مثل: يدعو، ويرمي، ويخشى؛ تقول في الجزم: لم يَدْعُ، ولم يَرْمِ، ولم يَخْشَ، وفي الأمثلة الخمسة كذلك مثل: لن تفعلا، وما أشبهه.

باب العامل

حدُّ العامل: هو الذي يعمل في غيره شيئًا[١].

وهو على أربعة أقسام: اسم، وفعل، وحرف، ومعنًى.

(١) أيْ: ما عمل في غيره شيئًا من رفع أو نصب أو جرّ أو جزم؛ بحسب اختلاف العوامل. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٣٤٤.

القسم الأول: في المعنى:

وهو: اهتمامك بالشيء قبل ذِكرِه، فهو العامل في المبتدأ[1]، أو في الفعل المضارع المجرَّد (عن الرفع)[2].

القسم الثاني: في الأفعال:

وهي كلها عاملة، وهي في عملها على ثمانية أنواع[3]:

منها ما يرفع الاسم وينصب الخبر، وهي كان وأخواتها.

ومنها ما ينصب مفعولين ثانيهما غير الأول، وهي كَسَا وأخواته.

ومنها ما يتعدى إلى ثلاثة، وهي أَعْلَمَ وأخواتها.

ومنها ما ينصب مفعولًا واحدًا مثل: سمعتُ القراءةَ.

ومنها ما يتعدى بواسطةٍ من (حروفِ)[4] جرٍّ أو غيره مثل: مررت بزيدٍ.

ومنها ما يُبْنَى لما لم يُسَمَّ فاعلُهُ، فالمضارع يُضَمُّ أوله ويُفْتَحُ ما قبل آخره مثل: يُضْرَبُ، والماضي يُضَمُّ أوله ويُكْسَرُ ما قبل آخره مثل: ضُرِبَ.

ومنها نوعٌ ثامنٌ لا ينصرف مثل: نِعْمَ، وبِئْسَ، وحبَّذا، وعسى، وليس، وفعل التَّعُّجب.

---

(١) وقع في النسخة المخطوطة: "فهو العامل في المبتدأ، أو في المبتدأ" بتكرار "في المبتدأ". ومعنى عبارته: أنَّ العامل في المبتدأ هو الابتداء، وهو معنوي لا لفظي.

(٢) كذا في النسخة المخطوطة، والمعنى: عامل الرفع في الفعل المضارع هو التجرّد، وهو عامل معنوي لا لفظي.

(٣) لم يورد هنا سوى سبعة أنواع؛ حيث سقط النوع الثاني، وهو (شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير"، ١٢/أ): "ومنها ما ينصب المبتدأ والخبر، وهي: ظننت وأخواتها ".

(٤) كذا في النسخة المخطوطة، والأنسب للسياق: "حرف"؛ بدليل عود ضمير المذكر بعدُ في قوله: "أو غيره"، وهو المثبت في: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير"، ١٢/ب.

القسم الثالث: في الحروف العاملة:

وهي ثمانية وثلاثون، أو سبعة وأربعون، وقد تقدَّم ذكرُها في باب الحرف(١).

القسم الرابع: في الأسماء العاملة:

وهي ثلاثة أنواع:

منها نوعٌ مُشْتَقٌّ، وهي خمسة: أسماء [٨٠/أ] الفاعلين مثل: الضارب، وأسماء المفعولين مثل: المستخرَج، والمصدر المقدَّر بأنْ والفعل مثل: العِلْم، وأسماء الأفعال مثل: نَزَالِ، والصفات المشبَّهة باسم الفاعل مثل: حسن الوجهِ(٢).

ومن الأسماء ما ليس بمشتَقٍّ وإنما هو واقعٌ موقع المشتَقِّ، وهو كل ظرفٍ وقع صفةً، أو صلةً، أو حالًا، أو خبرًا، مثل: زيدٌ عندك(٣)، وكذلك اسم الإشارة يعمل في حال النَّصبِ مثل: هذا زيدٌ واقفًا(٤).

ومن الأسماء العاملة ما ليس بمشتَقٍّ ولا يقع موقع المشتَقِّ، وهو مثل: غلام

(١) ينظر: الكلائي، "مقدمة في النحو"، النص المحقق، ص ٢٢.

(٢) والأمثلة عليها: اسم الفاعل: هذا ضاربٌ زيدًا، واسم المفعول: زيدٌ معلومٌ قائمًا، والمصدر المقدر بأن والفعل: يعجبني علمٌ زيدٌ خبرَك، واسم الفعل: نزالِ زيدًا، والصفة المشبهة باسم الفاعل: زيدٌ حَسَنٌ وجهًا.

(٣) يعني: زيدٌ عندك ضاحكًا، فـ"ضاحكًا" منصوب بـ"عندك" لأنَّه وقع موقع المشتق؛ إذا الأصل: زيدٌ مستقر عندك. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٤٠٢.

(٤) أيْ: عمل اسم الإشارة؛ لأنَّه وقع موقع الفعل، وتقديره: أُشير إليه واقفًا، أو أَشِرْ إليه واقفًا، أو على تقدير ها التنبيه على: أُنبِّه أو نَبِّهْ. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٤٠٣.

زيدٍ، وحكمُهُ على حسبِ عوامِلِهِ[١].

باب التابع

حَدُّ التابع: هو الجاري على ما قبله في إعرابه[٢]، وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: النعت[٣] مثل: جاء زيدٌ الظريفُ.

القسم الثاني: التوكيد[٤] مثل: جاء زيدٌ نفسُهُ.

القسم الثالث: البدل[٥] مثل: جاء زيدٌ أخوك.

القسم الرابع: عطفُ النَّسَقِ[٦] مثل: جاء زيدٌ وعمرٌو.

---

(١) هذا النوع يكون جارًّا، وتقديره يكون بمعنى الحرف المقدر الذي ناب عنه المضاف، ففي قولنا مثلًا: "هذا غلام زيدٍ" إضافة ملك والحرف المقدّر اللام، وفي قولنا: "هذا ثوبُ خزٍّ" إضافة جنس وهي المقدرة بمن. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٤٠٤.

(٢) أيْ: أنَّه يجري على ما قبله في إعرابه من رفعٍ ونصبٍ وجرٍّ وجزمٍ؛ لأنَّ شرط التابع أن يكون حكمه حكم متبوعه. ينظر: ابن بابشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ٢: ٤٠٧.

(٣) النعت هو: التابع المكمل متبوعه ببيان صفةٍ من صفاته، أو من صفات ما تعلق به وهو سببيه. ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٩٨٠ م)، ٣: ١٩١.

(٤) التوكيد هو: اللفظ التابع للاسم المؤَكَّد؛ تثبيتًا، وتقريرًا، ورفعًا للَّبس، وإزالةً للاتّساع. ينظر: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، "البديع في علم العربية". تحقيق: د. فتحي أحمد علي الدين، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ)، ١: ٣٣٠.

(٥) البدل هو: "التابع المقصود بالحكم بلا واسطة". ابن هشام، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، ٣: ٣٦٢.

(٦) عطف النسق هو: تابع مقصود بالنسبة يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من حروف العطف. =

القسم الخامس: عطف البيان[١] مثل: جاء زيدٌ أبو عبد الله. وحكمه: حكم المتبوع له في إعرابه.

باب الجملة التي لها محلٌّ من الإعراب، والتي لا محلَّ لها من الإعراب، أما التي لها محلٌّ من الإعراب فسبعٌ[٢]:

أحدها: الواقعة خبرًا، وموضعها رفعٌ في بابي المبتدأ وإنَّ، ونصبٌ في بابي كان وكاد.

الجملة الثانية: الواقعة حالًا؛ أيْ: صفةً، وموضعها نصبٌ، نحو:﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ ﴾[٣].

الجملة الثالثة: الواقعة مفعولًا، ومحلها النصبُ، نحو: ظننتُ زيدًا قائمٌ أبوه.

الجملة الرابعة: المضاف إليها، ومحلها الجرُّ، مثل: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾[٤].

الجملة الخامسة: الواقعة بعد الفاء وإذا جوابًا لشرطٍ جازمٍ، مثل المقرونة

ينظر: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، "شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب". تحقيق: أ. د. يوسف حسن عمر، (ط١، ليبيا: جامعة قار يونس، ١٩٧٥م)، ٢: ٣٣١؛ وابن هشام، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، ٣: ٣١٨.

(١) عطف البيان هو: "التابع المشبه للصفة في توضيح متبوعه إن كان معرفة؛ وتخصيصه إن كان نكرة". ابن هشام، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، ٣: ٣١٠.

(٢) ينظر في تفصيلها: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق: د. عبداللطيف الخطيب، (ط١، الكويت: التراث العربي، ٢٠٠٠م)، ٥: ١٦١.

(٣) سورة المدثر: ٦.

(٤) سورة المائدة: ١١٩.

بالفاء: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾[1]، ومثال المقرونة بإذا: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[2].

والفاء المقدَّرة كالموجودة، كقول الشاعر:

مَن يَفْعَلُ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا[3]

الجملة السادسة: التابعة لفردٍ، مثل: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ

(١) سورة الأعراف: ١٨٦.

(٢) سورة الروم: ٣٦.

(٣) صدر من البسيط وعجزه:

... ... *** والشَّرُّ بالشَّرِّ عندَ اللهِ مِثلانِ

قائله: اختلف فيه، فنُسِبَ لحسان بن ثابت "ديوان حسان بن ثابت الأنصاري". تحقيق: وليد عرفات، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م)، زيادات ديوانه ١: ٥١٦، ونُسِبَ لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري "شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري". جمع وتحقيق: سامي مكي العاني، (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧١م)، ص ٦١، ونُسِب لكعب بن مالك "ديوان كعب بن مالك الأنصاري". تحقيق: سامي مكي العاني، (ط١، بغداد: مطبعة المعارف، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م)، ص ٢٨٨، وفيه: "سِيَّانِ" مكان "مِثْلَانِ".

وهو من شواهد: عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، ٣: ٦٥؛ ومحمد بن يزيد المبرد، "المقتضب". تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، (بيروت: دار عالم الكتب)، ٢: ٧٢؛ وأبو بكر محمد بن السراج، "الأصول في النحو". تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ٣: ٤٦٢.

والشاهد فيه: " مَن يَفْعَلُ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا "؛ حيث حذف الفاء من جواب الشرط، والتقدير: "فالله يشكرها"، وقد خرّجه الجمهور على الضرورة الشعرية.

فِيهِ﴾[١]، [٨٠/ب] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[٢]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾[٣].

الجملة السابعة: التابعة (بجملة)[٤] لها محلٌّ من الإعراب، وتقع في بابي النَّسَق والبدل، فالأولى نحو: زيدٌ قام أبوه وقعد أخوه، والثاني شرطه كون الثانية أوفى من الأولى لتأدية المعنى المراد نحو:﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤﴾[٥]؛ فإن دلالة الثانية على نِعَمِ الله مفصَّلة بخلاف الأولى.

فهذه سبع جملٍ لها محلٌّ من الإعراب، وهي: الواقعة خبرًا، وصفةً، وحالًا، ومضافًا إليها، ومحكيَّةً، والتابعة بمفردٍ، والتابعة (بجملةٍ)[٦] لها محلٌّ.

وأما الجمل التي لا محل لها من الإعراب فسبعٌ أيضًا[٧]:

أحدها: الواقعة صلةً نحو:﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨﴾[٨]؛ فالجملة

(١) سورة البقرة: ٢٥٤؛ وسورة إبراهيم: ٣١.

(٢) سورة البقرة: ٢٨١.

(٣) سورة آل عمران: ٩.

(٤) كذا في النسخة المخطوطة، والصواب: "لجملة"، وهو المثبت في: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ١٣/ب.

(٥) سورة الشعراء: ١٣٢ و١٣٣ و١٣٤.

(٦) كذا في النسخة المخطوطة، والصواب: "لجملة"، وهو المثبت في: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ١٣/ب.

(٧) ينظر في تفصيلها: ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، ٥: ٣٩.

(٨) سورة الشعراء: ٧٨.

الواقعة بعد "الذي" لا محل لها.

الثانية: المعترضة كقوله تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾[1]؛ فجملة "ولن تفعلوا" معترضة بين جملتي الشرط والجزاء، فلا محل لها.

الثالثة: الواقعة جوابًا للقسم كقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ ﴾[2].

الرابعة: المستأنَفَة كقوله تعالى:﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾[3]؛ فهذه لا محل لها من الإعراب.

الخامسة: المفسِّرة كقوله تعالى: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ ﴾[4]؛ فجملة "قال ربي" مفسِّرة للنداء.

السادسة: الواقعة جوابًا لشرطٍ غير جازمٍ، أو لم تقترن بالفاء وإذا الافتتاحية[5]، فالأول جواب لولا ولمَّا وكيف، والثاني نحو: إن يَقُمْ أَقُمْ.

السابعة: التابعة لما لا محل لها نحو: قام زيدٌ ولم يَقُمْ عمرٌو؛ إذا قدَّرتَ الواوَ عاطفةً لا واوَ حالٍ.

فهذه سبع جملٍ لا محل لها من الإعراب، وهي: الواقعة صلةً، والمعترضة،

(١) سورة البقرة: ٢٤.

(٢) سورة الواقعة: ٧٧.

(٣) سورة الحج: ٥.

(٤) سورة مريم: ٣ و٤.

(٥) أي: أو الواقعة جوابًا لشرطٍ جازمٍ ولم تقترن بالفاء ولا بإذا الافتتاحية.

[و][(١)]جوابًا لقَسَمٍ، والمستأنَفة، والمفسِّرة، والواقعة لشرطٍ غير جازمٍ، والتابعة لما لا محل لها.

حَدُّ الإعراب:

في الاصطلاح: أثرٌ ظاهرٌ (ومقدَّرٌ)[(٢)] يجلبه العامل في آخر الكلمة، وفي اللغة: البيان.

[٨١/أ] والمعرَب: الاسم المتمكن، والفعل المضارع.

وحروف الإعراب آخِر الكلمة كالدال من "زيد" والميم من "يقوم"[(٣)].

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه؛ على يد كاتبها لنفسه العبد الفقير إلى الله تعالى: محمد بن علي بن خليل الشهير بالمنهاجي، غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين أجمعين، آمين، بتاريخ اليوم المبارك يوم الثلاثاء؛ لليلتين خلتا من شهر جمادى الأولى سنة ٨٢٦، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

(١) تكملة يقتضيها السياق ويستقيم بها النص.

(٢) كذا في النسخة المخطوطة، والمثبت في (شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ١٤/ب): "أو مقدر"، وهو الأنسب هنا.

(٣) أيْ: من قولك: زيدٌ يقومُ. ينظر: شمس الدين الكلائي، "الجامع الصغير في النحو"، ١٤/ب.

ثبت المصادر والمراجع:

أ. **المخطوطة:**

الكلائي، شمس الدين. "الجامع الصغير في النحو". مخطوط محفوظ في المكتبة السليمانية بتركيا برقم: (٤٨٤٤).

ب. الكتب المطبوعة:

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات. "البديع في علم العربية". تحقيق: د. فتحي أحمد علي الدين. (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ).

ابن الخباز، أحمد بن الحسين. "توجيه اللمع". تحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب. (ط٢، مصر: دار السلام، ٢٠٠٧م).

ابن السراج، أبو بكر محمد. "الأصول في النحو". تحقيق: عبد الحسين الفتلي. (بيروت: مؤسسة الرسالة).

ابن الناظم، بدر الدين محمد. "شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد باسل عيون السود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).

ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد. "شرح المقدمة المحسبة". تحقيق: خالد عبد الكريم. (ط١، الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧٧م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "اللمع في العربية". تحقيق: فائز فارس. (الكويت: دار الكتب الثقافية، ١٩٧٢م).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة". تحقيق: محمد عبد المعيد خان. (ط٢، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. "إنباء الغمر بأبناء العمر". تحقيق: حسن حبشي. (مصر: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ –

١٩٦٩م).
ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. "تبصير المنتبه بتحرير المشتبه". تحقيق: محمد علي النجار. (بيروت: المكتبة العلمية).
ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. "رفع الإصر عن قضاة مصر". تحقيق: علي محمد عمر. (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م).
ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (ط٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٩٨٠م).
ابن قاضي شهبة، أبو بكر. "طبقات الشافعية". تحقيق: الحافظ عبد العليم خان. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ).
ابن مالك الطائي، جمال الدين. "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق: محمد كامل بركات. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م).
ابن مالك الطائي، جمال الدين. "شرح تسهيل الفوائد". تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون. (ط١، القاهرة: دار هجر، ١٩٩٠م).
ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين. "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك". (ط٥، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٩م).
ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق: د. عبداللطيف الخطيب، (ط١، الكويت: التراث العربي، ٢٠٠٠م).
ابن يعيش، أبو البقاء. "شرح المفصل للزمخشري". تقديم: د. إميل بديع يعقوب. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

الأزهري، خالد بن عبد الله. "التصريح بمضمون التوضيح في النحو". تحقيق: د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم، (ط١، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٢م).

الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. "شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب". تحقيق: أ. د. يوسف حسن عمر. (ط١، ليبيا: جامعة قار يونس، ١٩٧٥م).

الأندلسي، أبو حيان. "ارتشاف الضرب من لسان العرب". تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب. (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

الأندلسي، أبو حيان. "التذييل والتكميل في شرح التسهيل". تحقيق: أ. د. حسن هنداوي. (ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م).

الأنصاري، حسان بن ثابت. "ديوان حسان بن ثابت الأنصاري". تحقيق: وليد عرفات. (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م).

الأنصاري، عبد الرحمن بن حسان. "شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري". جمع وتحقيق: سامي مكي العاني. (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧١م).

الأنصاري، كعب بن مالك. "ديوان كعب بن مالك الأنصاري". تحقيق: سامي مكي العاني. (ط١، بغداد: مطبعة المعارف، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

البغدادي، إسماعيل باشا. "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون". تصحيح: محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الشهير. "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون". (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١م).

الحريري، القاسم بن علي بن محمد. "ملحة الإعراب". (ط ١، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٦هـ).

الدمشقي، محمد بن عبد الرحمن بن ناصر الدين. "توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم". تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).

الزركلي، خير الدين بن محمود. "الأعلام". (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع". (بيروت: دار مكتبة الحياة).

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

العكبري، أبو البقاء. "التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين". تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين. (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م).

كحالة، عمر رضا. "معجم المؤلفين". (بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي).

المبرد، محمد بن يزيد. "المقتضب". تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة. (بيروت: دار عالم الكتب).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. "السلوك لمعرفة دول الملوك". تحقيق: محمد عبد القادر عطا. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م).

المكي، تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي. "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين". تحقيق: محمد عبد القادر عطا. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

ج. الدوريات:

ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم، "مقدمة مختصرة جدًّا في صناعة النحو والعربية". د. محمد الخزيم. *مجلة العلوم العربية والإنسانية بجامعة القصيم* ٢ ، (٢٠١٩م): ٣٤٧ – ٣٩٨.

المنفلوطي، ولي الدين محمد بن أحمد الملوي، "مقدمة في النحو". د. محمد بن حبيب الترجمي. *مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها* ١٧، (٢٠٢٥م): ٩ – ٦٢.

Bibliography

Manuscripts:

Al-Kallāʾī, Shams al-Dīn. "Al-Jāmiʿ al-Ṣaghīr fī al-Naḥw". (Manuscript preserved in al-Maktabah al-Sulaymāniyyah in Turkey, no. 4844).

Printed Books:

Ibn al-Athīr, Majd al-Dīn Abū al-Saʿādāt. "Al-Badīʿ fī ʿIlm al-ʿArabiyyah". Investigated by Fatḥī Aḥmad ʿAlī al-Dīn. (1st edition. Makkah al-Mukarramah: Jāmiʿat Umm al-Qurā, 1999).

Ibn al-Khabbāz, Aḥmad ibn al-Ḥusayn. "Tawjīh al-Lumaʿ". Investigated by Fāyiz Zakī Muḥammad Diyāb. (2nd edition. Miṣr: Dār al-Salām, 2007).

Ibn al-Sarrāj, Abū Bakr Muḥammad. "Al-Uṣūl fī al-Naḥw". Investigated by ʿAbd al-Ḥusayn al-Fatlī. (Beirut: Muʾassasat al-Risālah).

Ibn al-Nāẓim, Badr al-Dīn Muḥammad. "Sharḥ Ibn al-Nāẓim ʿalā Alfiyyat Ibn Mālik". Investigated by Muḥammad Bāsil ʿUyūn al-Sūd. (1st edition. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2000).

Ibn Bābshādh, Ṭāhir ibn Aḥmad. "Sharḥ al-Muqaddimah al-Muḥtasabah". Investigated by Khālid ʿAbd al-Karīm. (1st edition. Kuwait: al-Maṭbaʿah al-ʿAṣriyyah, 1977).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʿUthmān. "Al-Lumaʿ fī al-ʿArabiyyah". Investigated by Fāyiz Fāris. (Kuwait: Dār al-Kutub al-Thaqāfiyyah, 1972).

Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, Aḥmad ibn ʿAlī ibn Muḥammad. "Al-Durar al-Kāminah fī Aʿyān al-Miʾah al-Thāminah". Investigated by Muḥammad ʿAbd al-Muʿīd Khān. (2nd edition. Hyderabad: Majlis Dāʾirat al-Maʿārif al-ʿUthmāniyyah, 1972).

Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, Aḥmad ibn ʿAlī ibn Muḥammad. "Inbāʾ al-Ghumr bi-Abnāʾ al-ʿUmr". Investigated by Ḥasan Ḥabashī. (Miṣr: Lajnat Iḥyāʾ al-Turāth al-Islāmī, 1969).

Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, Aḥmad ibn ʿAlī ibn Muḥammad. "Tabṣīr al-Muntabah bi-Taḥrīr al-Mushtabah". Investigated by Muḥammad ʿAlī al-Najjār. (Beirut: al-Maktabah al-ʿIlmiyyah).

Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, Aḥmad ibn ʿAlī ibn Muḥammad. "Rafʿ al-Iṣr ʿan Quḍāt Miṣr". Investigated by ʿAlī Muḥammad ʿUmar. (1st edition. al-Qāhirah: Maktabat al-Khānjī, 1998).

Ibn ʿAqīl, ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Raḥmān. "Sharḥ Ibn ʿAqīl ʿalā Alfiyyat Ibn Mālik". Investigated by Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd. (20th edition. al-Qāhirah: Dār al-Turāth, 1980).

Ibn Qāḍī Shuhbah, Abū Bakr. "Ṭabaqāt al-Shāfiʿiyyah". Investigated by al-Ḥāfiẓ ʿAbd al-ʿAlīm Khān. (1st edition. Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1987).

Ibn Mālik al-Ṭāʾī, Jamāl al-Dīn. "Tashīl al-Fawāʾid wa Takmīl al-Maqāṣid". Investigated by Muḥammad Kāmil Barakāt. (1st edition. Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1967).

Ibn Mālik al-Ṭāʾī, Jamāl al-Dīn. "Sharḥ Tashīl al-Fawāʾid". Investigated by ʿAbd al-Raḥmān al-Sayyid and Muḥammad Badawī al-Makhtūn. (1st edition. al-Qāhirah: Dār Hajar, 1990).

Ibn Hishām al-Anṣārī, Abū Muḥammad ʿAbd Allāh Jamāl al-Dīn. "Awḍaḥ al-Masālik ilā Alfiyyat Ibn Mālik". (5th edition. Beirut: Dār al-Jīl, 1979).

Ibn Hishām al-Anṣārī, Abū Muḥammad ʿAbd Allāh Jamāl al-Dīn. "Mughnī al-Labīb ʿan Kutub al-Aʿārīb". Investigated by ʿAbd al-Laṭīf al-Khaṭīb. (1st edition. Kuwait: al-Turāth al-ʿArabī, 2000).

Ibn Yaʿīsh, Abū al-Baqāʾ. "Sharḥ al-Mufaṣṣal lil-Zamakhsharī". Presented by Īmīl Badīʿ Yaʿqūb. (1st edition. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2001).

Al-Azharī, Khālid ibn ʿAbd Allāh. "Al-Taṣrīḥ bi-Maḍmūn al-Tawḍīḥ fī al-Naḥw". Investigated by ʿAbd al-Fattāḥ Buḥayrī Ibrāhīm. (1st edition. al-Qāhirah: al-Zahrāʾ lil-Iʿlām al-ʿArabī, 1992).

Al-Istarābādhī, Raḍī al-Dīn Muḥammad ibn al-Ḥasan. "Sharḥ al-Raḍī ʿalā al-Kāfiyah li-Ibn al-Ḥājib". Investigated by Yūsuf Ḥasan ʿUmar. (1st edition. Libya: Jāmiʿat Qār Yūnus, 1975).

Al-Andalusī, Abū Ḥayyān. "Irti shāf al-Ḍarb min Lisān al-ʿArab". Investigated by Rajab ʿUthmān Muḥammad. Reviewed by Ramaḍān ʿAbd al-Tawwāb. (1st edition. al-Qāhirah: Maktabat al-Khānjī, 1998).

Al-Andalusī, Abū Ḥayyān. "Al-Tadhyīl wa al-Takmīl fī Sharḥ al-

Tashīl". Investigated by Ḥasan Hindāwī. (1st edition. Dimashq: Dār al-Qalam, 1998).

Al-Anṣārī, Ḥassān ibn Thābit. "Dīwān Ḥassān ibn Thābit al-Anṣārī". Investigated by Walīd ʿArafāt. (Beirut: Dār Ṣādir, 2006).

Al-Anṣārī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Ḥassān. "Shiʿr ʿAbd al-Raḥmān ibn Ḥassān al-Anṣārī". Collected and investigated by Sāmī Makkī al-ʿĀnī. (Baghdad: Maṭbaʿat al-Maʿārif, 1971).

Al-Anṣārī, Kaʿb ibn Mālik. "Dīwān Kaʿb ibn Mālik al-Anṣārī". Investigated by Sāmī Makkī al-ʿĀnī. (1st edition. Baghdad: Maṭbaʿat al-Maʿārif, 1966).

Al-Baghdādī, Ismāʿīl Bāshā. "Īḍāḥ al-Maknūn fī al-Dhayl ʿalā Kashf al-Ẓunūn". Corrected by Muḥammad Sharaf al-Dīn Baltaqāyā and Rifʿat Bilkah al-Kalīsī. (Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī).

Ḥājī Khalīfah, Muṣṭafā ibn ʿAbd Allāh. "Kashf al-Ẓunūn ʿan Asāmī al-Kutub wa al-Funūn". (Baghdad: Maktabat al-Muthannā, 1941).

Al-Ḥarīrī, al-Qāsim ibn ʿAlī ibn Muḥammad. "Mulḥat al-Iʿrāb". (1st edition. al-Qāhirah: Dār al-Salām, 2005).

Al-Dimashqī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir al-Dīn. "Tawḍīḥ al-Mushtabah fī Ḍabṭ Asmāʾ al-Ruwāh wa Ansābihim wa Alqābihim wa Kunāhum". Investigated by Muḥammad Nuʿaym al-ʿIrqsūsī. (1st edition. Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1993).

Al-Ziriklī, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd. "Al-Aʿlām". (15th edition. Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, 2002).

Al-Sakhāwī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Raḥmān. "Al-Ḍawʾ al-Lāmiʿ li-Ahl al-Qarn al-Tāsiʿ". (Beirut: Dār Maktabat al-Ḥayāh).

Sībawayh, ʿAmr ibn ʿUthmān ibn Qanbar. "Al-Kitāb". Investigated by ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn. (3rd edition. al-Qāhirah: Maktabat al-Khānjī, 1988).

Al-ʿUkbarī, Abū al-Baqāʾ. "Al-Tabyīn ʿan Madhāhib al-Naḥwiyyīn al-Baṣriyyīn wa al-Kūfiyyīn". Investigated by ʿAbd al-Raḥmān al-ʿUthaymīn. (1st edition. Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1986).

Kaḥḥālah, ʿUmar Riḍā. "Muʿjam al-Muʾallifīn". (Beirut: Maktabat al-Muthannā wa Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī).

Al-Mubarrad, Muḥammad ibn Yazīd. "Al-Muqtaḍab". Investigated by Muḥammad ʿAbd al-Khāliq ʿAẓīmah. (Beirut: Dār ʿĀlam al-Kutub).

Al-Maqrīzī, Taqī al-Dīn Aḥmad ibn ʿAlī. "Al-Sulūk li-Maʿrifat Duwal al-Mulūk". Investigated by Muḥammad ʿAbd al-Qādir ʿAṭā. (1st edition. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1997).

Al-Makkī, Taqī al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad al-Fāsī. "Al-ʿIqd al-Thamīn fī Tārīkh al-Balad al-Amīn". Investigated by Muḥammad ʿAbd al-Qādir ʿAṭā. (1st edition. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1998).

Periodicals:

Ibn Jamāʿah, Badr al-Dīn Muḥammad ibn Ibrāhīm. “Muqaddimah Mukhtaṣarah Jiddan fī Ṣināʿat al-Naḥw wa al-ʿArabiyyah.” By Muḥammad al-Khuzaim. Majallat al-ʿUlūm al-ʿArabiyyah wa al-Insāniyyah bi-Jāmiʿat al-Qaṣīm 2 (2019): 347–398.

Al-Manfalūṭī, Walī al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad al-Malawī. “Muqaddimah fī al-Naḥw.” By Muḥammad ibn Ḥabīb al-Tarjamī. Majallat al-Jāmiʿah al-Islāmiyyah lil-Lughah al-ʿArabiyyah wa Ādābihā 17 (2025): 9–62.

الرواية وقواعدها التوجيهية عند النحاس في إعراب القرآن -دراسة نحوية

Narration and Its Governing Rules according to al-Nahhas in "I‘rab al-Qur’an": A Grammatical Study

د. إبراهيم بن هادي محمد المباركي

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بكلية الآدب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

البريد الإلكتروني: ib055055@hotmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
16/01/2026		25/02/2026

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-002

مستخلص البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على "منهجية الرواية" عند النحاس، فهي لم تكن عنده مجرد جمع للنصوص، بل كانت عملية تخضع لقواعد توجيهية دقيقة ضابطة للرواية والراوي، تضمن سلامة النص وصحة الاحتجاج به، كما تبرز أهمية البحث في تتبع "أثر الرواية" في فكر النحاس، وكيف انعكست هذه الروايات على الأثر الإعرابي الذي يضبط المبنى، والأثر الدلالي الذي يوجه المعنى، وصولاً إلى موقفه النقدي المتمثل في الاعتراض النحوي على بعض وجوه القراءات أو الشواهد الشعرية.

الكلمات المفتاحية: الرواية – قواعد توجيهية – النحاس – إعراب القرآن – نحوية.

Abstract

The significance of this research lies in its exploration of the "methodology of narration" (Manhajiyat al-Riwayah) as employed by al-Nahhas. For him, narration was not merely a compilation of texts; rather, it was a process governed by precise "guiding rules" that regulated both the narration and the narrator, ensuring textual integrity and the validity of linguistic evidence (ihtijaj). Furthermore, this study highlights the impact of narration on al-Nahhas's thought, examining how these narrations influenced both the grammatical analysis (al-athar al-i'rabi)—which regulates structure—and the semantic impact (al-athar al-dalali)—which guides meaning. Finally, the research addresses al-Nahhas's critical stance, manifested in his grammatical objections to certain aspects of Qur'anic readings (Qira'at) or poetic citations (Shawāhid).

Keywords: Narration – Governing Rules – Al-Nahhas – I'rab al-Qur'an – Grammatical.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل العربية لغة كتابه الخالد، وقيّض لها جهابذةً حفظوا أصولها، وضبطوا روايتها، والصلاة والسلام على من أُوتي جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فإنَّ صرح اللغة العربية قد بُني في أصله على "الرواية"؛ فهي القناة التي عبرت من خلالها نصوص الوحي وشواهد الشعر العربي من جيل إلى جيل.

ومن بين القامات التي اتخذت من الرواية منهجاً ومن النقد سبيلاً، يبرز الإمام أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)؛ الذي مَثّل حلقة وصلٍ فريدة بين مدرسة البصريين والكوفيين، مُستنداً إلى رصيدٍ ضخم من المسموع والمنقول، حاملا في طياته تراث ثلاثة قرون.

وتتجلى أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على "منهجية الرواية" عند النحاس، فهي لم تكن عنده مجرد جمع للنصوص، بل كانت عملية تخضع لقواعد توجيهية دقيقة ضابطة للرواية والراوي، تضمن سلامة النص وصحة الاحتجاج به، كما تبرز أهمية البحث في تتبع "أثر الرواية" في فكر النحاس، وكيف انعكست هذه الروايات على الأثر الإعرابي الذي يضبط المبنى، والأثر الدلالي الذي يُوجّه المعنى، وصولاً إلى موقفه النقدي المتمثل في الاعتراض النحوي على بعض وجوه القراءات أو الشواهد الشعرية، وهو ما يكشف عن عقلية نحوية تجمع بين تقديس الأثر وإعمال القياس.

الدراسات السابقة: لقد حظي تراث النحاس بعناية الباحثين، ومن أبرز الدراسات التي تناولته:

– منهج أبي جعفر النحاس في عرض القراءات الشاذة وتوجيهها من خلال كتابه إعراب

القرآن، دراسة تأصيلية ، للباحث: المنهال بن أحمد بن محمد عكيري ، وهو بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية جامعة القصيم. وقد ركزت الدراسة على منهجه في عرض القراءات الشاذة.

- توجيهات أبي جعفر النحاس النحوية والتصريفية من خلال إعراب القرآن ، للدكتور أحمد محمد السعيد نافع ، وهو بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالإسكندرية. وهي دراسة ركزت على الجانب الوصفي لتوجيهاته النحوية والتصريفية دون التعمق في " الرواية وقواعدها التوجيهية " عنده.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء نصوص النحاس في كتابه (إعراب القرآن) ، ثم تحليل هذه النصوص لاستنباط القواعد الضابطة للرواية والراوي والآثار المترتبة عليها.

وجاء البحث في مقدمة وتمهيد، وفيه: مفهوم الرواية، وأشكال تحصيلها، ونبذة عن النحاس، يتلوها ثلاثة فصول:

الفصل الأول: قواعد الرواية التوجيهية عند النحاس، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من سمع حُجَّة على من لم يسمع.

المبحث الثاني: إذا صَحَّت الرواية فلا مَطْعن فيها ولا عدول عن اتباعها.

المبحث الثالث: الحمل على ما ثبت في لسان العرب أولى من الحمل على ما لم يثبت.

الفصل الثاني: القواعد التوجيهية الضابطة للراوي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفصاحة ميزان الرواية.

المبحث الثاني: مالا يُعْرف قائله لا تثبت به حُجّة.

الفصل الثالث: آثار الرواية عند أبي جعفر النحاس، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آثار تعدد الرواية من الناحية الإعرابية.

المبحث الثاني: آثار تعدّد الرواية من الناحية الدلاليّة.

المبحث الثالث: الاعتراض النحوي على الرواية ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القراءات القرآنية.

المطلب الثاني: الشعر.

ثم **خاتمة** ، وفهرس المصادر والمراجع.

تمهيد

أولاً: مفهوم الرواية وأشكال تحصيلها

- الرواية لغة: من (روى)، وتأتي بمعنى الحمل والنقل؛ يقال: رويت الحديث، أي: حملته ونقلته، والرواية هي الخبر المنقول.
- وفي الاصطلاح: هي طريقة نقل النص (قرآناً، أو حديثاً، أو شعراً، أو نثراً) من القائل أو الراوي إلى المتلقي(١).
- مرادفات الرواية (السماع، الاستقراء، النقل): السماع: وهو المصدر الأول للرواية، ويقصد به ما شافه به العربُ الخلصُ الرواةَ، أو ما نُقل إلينا من كلامهم وثبتت فصاحته. والنقل: هو تعميم للرواية، ويشمل نقل المدونات المكتوبة أو المسموعة عبر الأجيال. والاستقراء: هو تتبع جزئيات هذه الروايات المنقولة لاستنباط القاعدة الكلية، فبقدر صحة الرواية وسعة الاستقراء، تكون القاعدة النحوية أكثر انضباطاً(٢).

ويمكن القول: إن من نظر إلى هدف جمع اللغة وإيصالها للنحاة سماها نقلا، ومن نظر إلى وسيلة دراسة الكلام المنقول سماها استقراء؛ ولأن السمع حاسة إدراك المسموع سميت بالسماع.

- أشكال تحصيل الرواية وشروطها: تعددت طرق تحصيل الرواية عند العرب تبعاً

(١) ينظر: ابن منظور " لسان العرب" (روى) ٣٦٦/١٤ ؛ السيوطي، " الاقتراح في علم أصول النحو "، ص ٢١ – ٣٥.

(٢) ينظر: ابن جني، " الخصائص "، ١ /١٢٢، ٣٨٩ ؛ السيوطي " المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، ١/٨-٢٥، ١٣٥.

للمادة المنقولة، ففي القراءات القرآنية اعتمدت على "التلقي والمشافهة"، وسند متصل إلى النبي ﷺ، مع اشتراط موافقة الرسم العثماني، ووجه من وجوه النحو. وفي الحديث النبوي، اعتمدت على "الإسناد" (حدثنا وأخبرنا)، مع اشتراط عدالة الراوي، وضبطه. وفي الشعر، اعتمدت على "المشافهة"، والرحلة إلى البادية، واشترط النحاة في الراوي الحفظ، والأمانة، وعدم اللحن(١).

ثانياً: نبذة عن أبي جعفر النحاس

هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، وكنيته "أبو جعفر"، اشتُهر بلقب "النحاس". عاش في العصر العباسي الثاني، وهو عصر ازدهار التدوين والترجمة، وتوزعت حياته بين مصر (موطنه) وبغداد (مركز العلم). اتسمت حياته بالزهد والانقطاع للعلم، وكان بصري المذهب في نحوه، لكنه لا يجد غضاضة في الأخذ بآراء الكوفيين إذا قويت حجتها.

أبرز شيوخه (من روى عنهم): تأثر بكبار علماء عصره، ومنهم: الزجاج، وهو شيخه الأبرز الذي روى عنه كتاب (سيبويه) وتأثر بمنهجه في التفسير، والأخفش الصغير، ومنه أخذ الكثير من علوم اللغة، وابن الأنباري، المتبحر في علوم القرآن.

أبرز تلاميذه (من رووا عنه): أمَّ مجلسه طلاب العلم من المشرق والمغرب، ومن أشهرهم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. وأبو الحسن الأنطاكي.

توفي النحاس في مصر سنة (٣٣٨هـ) في حادثة مشهورة؛ إذ قيل إنه كان يجلس عند مقياس النيل يقطع شعراً، فظنه عامة الناس يسحر النيل فدفعوه فيه فغرق، رحمه الله(٢).

---

(١) ينظر: السيوطي، " الاقتراح في علم أصول النحو "، ص ٢١ – ٣٥، السيوطي " المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، ١/٨-٢٥، ١٣٥.

(٢) ينظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص ٢٢٥ – ٢٢٧ ؛ ابن خلكان، "وفيات =

الفصل الأول: قواعد الرواية التوجيهية عند النحاس

المبحث الأول: من سمع حُجَّة على من لم يسمع

تُغَلِّب هذه القاعدة التوجيهية جانب الإثبات على النفي في مسألة الرواية والنقل؛ فالراوي الثقة إذا روى من العرب شيئًا حفظه أو سمعه منهم لا سبيل إلى رد ومنع الأخذ به، بل قوله مُقَدَّم على مُنكِر ذلك أو على من يدعي عدم وجوده في كلام العرب، وللنحاة تعبيرات مختلفة لهذه القاعدة التوجيهية، ومنها قولهم: «من حفظَ حُجّةٌ على من لم يحفظْ»(١)، وقولهم: و«من عَلِم حُجَّةٌ على من لم يعلم» (٢).

ولبسط هذه القاعدة يقول ابن مالك: «ولا حجة في قول من خفي عليه ما ظهر لغيره(٣)». وقال الشاطبي: «السماع إذا أثبته ثقة لم يُطَّرح بسبب أن ثقة آخر لم يثبته لعدم اطلاعه عليه، بل القاعدة المستمرة أن المثبت في أمثال هذه الأمور مُقدَّم على النافي» (٤).

وقد اعتمد النحاس هذه القاعدة التوجيهية في مواضع متعددة، ومنها:

=

الأعيان وأنباء أبناء الزمان "، ١/٩٨–١٠٠ ؛ القفطي، " إنباه الرواة على أنباه النحاة "، ١/١٠٠– ١٠٥ ؛ السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، ١/٣٦٢ – ٣٦٣.

(١) أبو حيان، "التذييل والتكميل في شرح التسهيل": ١/١٦٣، ناظر الجيش؛ " تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، ٥/٢٥٣٢.

(٢) الشاطبي، " المقاصد الشافية "، ٥/٧٠٠.

(٣) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣/ ٤٦.

(٤) الشاطبي، " المقاصد الشافية "، ٤/ ٤٩١.

في قوله تعالى: ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾[1]، صَرَّح النحاس بهذه القاعدة في الرد على أبي حاتم في رده السماع، قال أبو حاتم[2]: «ذكر قوم «إن ابنك سُرِّق» قالوا معناه: رُمِي بالسَّرَق، كما يقال: ظُلِّمَ فلانٌ وخُوِّنَ، قال: ولم أسمع له إسنادًا» [3].

وردّ النحاس ما ذكره أبو حاتم بقوله: «ليس نفيه السماع بحجة على من سمع، وقد روى هذا الحرف غير واحد منهم محمد بن سعدان[4] النحوي في كتابه القراءات، وهو ثقة مأمون، وذكر أنها قراءة ابن عباس، قال أبو اسحاق وقُرئ (إن ابنك سُرِّق)[5] وهو يحتمل معنيين أحدهما علم منه السّرق، والآخر اتُّهِم بالسَّرِقة، والملاحظ على النص سعة اطلاع النحاس على مؤلفات من سبقه فقد روى عن كتابين مفقودين في عصرنا الحاضر، كما يلاحظ أن رد أبي حاتم كان موجهًا لسند الرواية.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ

(١) سورة يوسف: ٨١.

(٢) يقصد أبا حاتم السجستاني، له كتاب في القراءات وهو مفقود. وكتاب في: «إعراب القرآن» وهو كذلك مفقود، ينظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة"، ص٩٤.

(٣) النحاس، "إعراب القرآن "، ٢/ ٢١٢. وتنظر القراءة في: الفراء، " معاني القرآن "، ٥٣/٢، أبي حيان، "البحر المحيط"، ٢١٢/٥.

(٤) يقصد أبا جعفر محمد بن سعدان الكوفي الضرير ت ٢٣١ له كتاب «القراءات» وهو مفقود، ينظر الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص١٨ ؛ محيسن، "معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ"، ٢٦١/١.

(٥) الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، ٣ / ١٢٥ ؛ وينظر النص في النحاس، " إعراب القرآن " ٢ / ٢١٢.

﴿ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[١]، نقل النحاس قول الأصمعي: لا يُعرف «أفتنته بالألف» وردّ عليه بهذه القاعدة.

قال النحاس: «قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: فتنت الرجل، وتميم وربيعة وقيس وأسد وجميع أهل نجد يقولون. «أفتنت الرجل» [٢].

وفرق الخليل وسيبويه[٣] بينهما ، فقالا: فتنته، جعلت فيه فتنة مثل: عجلته، وأفتنته جعلته مفتتنا. وزعم الأصمعي أنه لا يعرف أفتنته بالألف» [٤]. ونقل النحاس قول الأصمعي بتمامه عند قوله تعالى: ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾[٥]، قال النحاس: «إعرابه لنفتنهم فيه حكى أبو زيد وأبو عبيدة: فتنته وأفتنته. قال أبو زيد: لغة بني تميم أفتنته، قال الأصمعي، فتنه يفتنه فهو فاتن وفتان، قال الله جلّ وعزّ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾[٦]، قال: ولا يقال: أفتنه. وأنكر هذه اللغة، ولم يعرفها. فأنشدهم[٧]:

لئن فَتَنَتْنِي لهي بالأمس أَفْتَنَتْ سعيدًا فأمسى قد قلا كلّ مُسْلِمِ

قال أبو جعفر: «وهذا شعر قديم، غير أن الأصمعي قال: لا بأس، هذا قد

(١) سورة النساء: ١٠١.

(٢) الفراء، "معاني القرآن للفراء "، ٢/ ٣٩٤.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٤ / ٥٧.

(٤) " إعراب القرآن "، ١/ ٢٣٦، ٢٣٧.

(٥) سورة الجن: ١٧.

(٦) سورة الصافات: ١٦٢.

(٧) البيت من بحر الطويل، وهو لأعشى همدان في أبي عبيدة، " مجاز القرآن "، ١٦٨/١؛ ابن دريد، " جمهرة اللغة"، ٦/١ ؛ المنتجب، " الفريد في إعراب القرآن المجيد " ٤١٩/٥.

سمعناه من مُخَنَّث فلا يُلتفت إليه، وإن كان قد قيل قديمًا[١]». ولم يرتض النحاس قول الأصمعي.

فقد قال: «قد حكى جُلَّة من أهل اللغة ممن يرجع إلى قوله في الصدق فتنه وأفتنه، غير أنّ سيبويه فرّق بينهما، فذهب إلى أن المتعدي أفتن، وأن معنى أفتنه جعل فيه فتنه[٢]». وفي الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾، ذكر النحاس أكثر أهل اللغة يقولون: سلكه وأسلكه، وأما الأصمعي فينكر سلكه بالألف مع أنه قد روى قول الشاعر[٣].

حَتَّى إذا أَسْلَكُوهُمْ في قَتَائِدَةٍ شَلًّا كمَا تَطْرُدُ الجمَّالةُ الشُّرُدَا

ولم يطعن فيه الأصمعي[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[٥]، رَدّ النحاس قول القتبي بهذه القاعدة، قال النحاس: «وسمع من العرب في جمع دخانٍ دواخنُ. وزعم القتبي أنه لم يأت على هذا إلاّ دُخَان وَعُثَان، قال أبو جعفر: وهذا القول ليس بشيء عند النحويين الحذاق، وإنما دواخن جمع داخنة، وهذا قول الفراء نصًّا وكل من يوثق بعلمه، وحكى الفراء: دخنت النار فهِي داخنة إذا أتت بالدخان[٦]».

(١) " إعراب القرآن "، ٥/ ٣٤.
(٢) المصدر السابق، ٥/ ٣٥.
(٣) البيت من البسيط، وهو في " ديوان الهذليين "، ٤٢/٢.
(٤) ينظر، النحاس، " إعراب القرآن "، ٥ / ٣٥.
(٥) سورة الدخان: ١٠.
(٦) " إعراب القرآن"، ٨٤/٤ ؛ وينظر قول ابن قتيّبة في " البحر المحيط"، ٣٩٥/٩.

المبحث الثاني: إذا صَحَّت الرواية فلا مَطْعن فيها ولا عدول عن اتباعها

إذا ثبتت صحة الرواية عن العرب الموثوق فيهم فلا عدول عن اتباعها ولا سبيل إلا بالأخذ بها، ولا يجوز معارضتها ودفعها بتعليلات ودعاوى لا أساس لها؛ فالرواية الصحيحة لا تُعارضُ بالرأي، والسماع هو الإمام المُتَّبَع(١).

يقول سيبويه «قف على هذه الأشياء حيث وقفوا» (٢)ويقول ابن يعيش: «إذا صحّت الرواية لم يكن سبيل إلى ردها» (٣).

وفي إعراب القرآن للنحاس، نجد تنظيرًا وتطبيقًا لهذه القاعدة التوجيهية؛ فالأصل أن الرواية الصحيحة حاكمة على القواعد النحوية، وليس العكس، وهي مقدمّة على الاختيارات المذهبية، فإذا وجد النحاة وجها إعرابيًا في القرآن يبدو غريبًا على مقاييسهم لكنه ثابت بالرواية فالواجب قبوله وتوسيع القاعدة النحوية لتشمله، وليس ردّه والطعن فيه.

ومن نماذج ذلك: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ﴾(٤)، ذكر النحاس في إعراب «والصابرين» خمسة أوجه وبعد أن ذكر الأوجه الثلاثة وهي: «أن يكون والموفون» رفعًا عطفًا على «من» و«الصابرين» على المدح، أي: وأعني الصابرين، ويكون «والموفون» رفعًا بمعنى «وهم الموفون مدحا للمضمرين و«الصابرين» عطفًا على ذوي

(١) ينظر: الشاطبي، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية"، ٣ / ٤٥٢.
(٢) "الكتاب"، ١/ ٢٦٦.
(٣) " شرح المفصل "، ٢ / ٢٨٣.
(٤) سورة البقرة: ١٧٧.

القربى، ويكون «والموفون» رفعا على وهم الموفون، «والصابرين بمعنى: وأعني الصابرين[1].

وعلّق النحاس على هذه الأوجه بقوله: فهذه ثلاثة أجوبة موجودة في كلام العرب، لا مَطْعن فيها. وأنشد سيبويه[2]:

لا يَبْعَدنْ قَومي الذين هُمُ سُمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الجُزْرِ

النازِلين بكلِّ مُعْتركٍ والطيبون معاقدَ الأزْرِ

وإن شئت قلت: النازلون والطيبين، وإن شئت رفعتهما جميعا، ويجوز نصبهما[3].

وفي قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾[4]، ذكر النحاس قراءة أبي عمرو[5] بإسكان الهمزة في «بارئْكم» ونقل طعن المبرد في هذه القراءة وردّ عليه بهذه القاعدة التوجيهية.

وفي هذه المسألة «حذف حركة الإعراب» اختلف النحاة والمعربون في جوازها على ثلاثة أقوال، وهي:

الأول: أن حذف الضمة والكسرة جائز في ضرورة الشعر فقط، وهو قول سيبوية

(١) ينظر: النحاس، "إعراب القرآن "، ١/ ٩١.

(٢) البيتان من بحر الكامل للخنساء في ديوانها، ص٣٨٣؛ سيبويه، " الكتاب "، ١/ ٣٣٧.

(٣) النحاس، "إعراب القرآن"، ١/ ٩١.

(٤) سورة البقرة: (٥٤).

(٥) "إعراب القرآن"، ٥٤/١ ؛ العكبري، "التبيان " ، ١ / ٣٧ ؛ الداني، "التيسير في القراءات السبع"، ٦٣.

وابن قتيبة والزجاج في أحد قوليه والأخفش الأصغر[١].

والثاني: أن حذف الضمة والكسرة غير جائز مطلقًا، وهو أحد قولي الزجاج، وإليه ذهب ابن السراج، ونُسِب للمبرد[٢].

والثالث: أن حذف الضمة والكسرة جائز مطلقًا في النثر والشعر، وهو قول الفراء، وأبي بكر الأنباري وابن جني، وابن مالك، وأبي حيّان[٣].

وفي هذه الآية نجد أن النحاس أجاز حذف حركة الإعراب من «بارئكم» قال النحاس: «وروي عن أبي عمرو بإسكان الهمزة من «بارئكم» وروى عنه سيبويه باختلاس الحركة[٤]، أما إسكان الهمزة فزعم أبو العباس[٥] أنه لحن لا يجوز في كلام ولا شعر؛ لأنها حرف إعراب. وقد أجاز ذلك النحويون القدماء الأئمة، وأنشدوا.

(١) ينظر: سيبويه، " الكتاب "، ٢٠٣/٤، ابن قتيبة، "الشعر والشعراء"، ٩٨/١، و الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه "، ٢٧٥/٤.

(٢) ينظر: الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه""، ١/ ١٣٦؛ ابن السراج، "الأصول في النحو "، ٣٦٥/٢؛ ولم أقف على قول المبرد في كتبه، وقوله مذكور في النحاس،" إعراب القرآن للنحاس"، ٥٤/١؛ الفارسي، "المسائل البغداديات"، ٤٣١، أبي حيان، " البحر المحيط"، ٤١/٩.

(٣) الفراء، "معاني القرآن "، ٣٧١/٢ ؛ الأنباري، "شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات"، ص١٠؛ ابن جني، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات"، ١٠٩/١ ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٥٧/١، أبو حيان، "البحر المحيط"، ٣٦٥/١.

(٤) سيبويه، "الكتاب"، ٢٠٢/٤.

(٥) ينظر قوله في الفارسي، "المسائل البغداديات "، ٤٣١ ؛ أبو حيان، "البحر المحيط "، ٤١/٩.

إذا اعْـوَجَجْن قلـتُ صَـاحِبْ قَـوِّم ..... [1]»

وما ذهب إليه النحاس هو الوجه السديد؛ لأن الرواية إذا ثبتت لا يمكن الطعن فيها، وقد قرأ بحذف حركة الإعراب من «بارئكم» إمام البصريين أبو عمرو بن العلاء؛ عربي صريح، وسامع لغة، وإمام في النحو، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا» [2].

وورد على هذه المسألة قراءة أبي عمرو أيضًا ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾[3]، بإسكان الراء، وقراءة الحسن، ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[4]، بإسكان الثاء.

وهذا الوجه قد أثبته بعض كبار أئمة اللغة ومنهم: أبو زيد الأنصاري[5]، والفراء قال ابن القَشِيرِيّ في هذه المسألة: «ما ثبت بالاستفاضة أو التواتر أنه قُرئ به، فلابد من جوازه ولا يجوز أن يقال لحن[6]»، ووردت عليه شواهد من الشعر كما في البيت الذي ذكره النحاس.

وفي دفاع ابن النحاس عن القراءات القرآنية يتردد ذكر هذه القاعدة التوجيهية

(١) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في: سيبويه، "الكتاب "، ٢٠٣/٤، والأخفش، " معاني القرآن "، ١٠٠/١. ينظر النص في " إعراب القرآن "، ٥٤/١.

(٢) ينظر " البحر المحيط "، ٥٢٤/٢.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧، وتنظر القراءة في ابن الجزري، " النشر في القراءات العشر "، ٤٠٠/٢ ؛ الدمياطي، "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر"، ص ١٣٦.

(٤) سورة طه: ١١٣، وتنظر القراءة في ابن جني، " المحتسب "، ٥٩/٢.

(٥) ينظر المنتجب، " الفريد في إعراب القرآن المجيد "، ٣٣٣/٥.

(٦) أبو شامة، "إبراز المعاني من حرز الأماني"، ص ٦٥٧ .

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾[١]، ذكر النحاس في «فزع» خمس قراءات ووضع الفروق بينها وأشار إلى ما يدل على بعضها من كتاب سيبويه ثم قال: «فهذه الروايات عن الحسن مستقيمات الطرق لا مَطْعن في واحد رواها» [٢].

وفي دفاعه عن الأحاديث النبوية يقول «فهذا حديث لا مَطْعن في سنده ثم جرت العلماء عليه[٣]». ويقول: «ونبدأ بما صحّ فيها عن الرسول ﷺ مما لا مَطْعن في إسناده»[٤].

والفرق بين هذه القاعدة التوجيهية وما قبلها «من سمع حجة على من لم يسمع» أن الأولى تحدثت عن إنكار وجود استعمال ورد عن العرب فيبطل هذا الإنكار بسماع الثقات وروايتهم له عن العرب، وأمّا هذه القاعدة فتتحدث عن اتباع السماع الصحيح وعدم جواز رده بتعليلات ضعيفة وحجج واهية.

(١) سورة سبأ: ٢٣.
(٢) "إعراب القرآن "، ٣ / ٢٣٦.
(٣) المصدر السابق، ١٤٣/٤.
(٤) المصدر السابق، ٤ / ٥٩.

المبحث الثالث: الحمل على ما ثبت في لسان العرب أولى من الحمل على ما لم يثبت

تُعرف هذه القاعدة بالحمل على المعهود، أو الاستمساك بالشائع، وهي تعني أن النص إذا احتمل وجهين، وجها ثابتا بكثرة في لسان العرب، ووجها لم يثبت، أو ثبت بندرة، وجب المصير إلى الثابت المطَّرد، يقول ابن جني في الحمل على مالم يثبت: «ليس لك أن تحمله على مالم يثبت له نظير في كلامهم، وإن كان القياس يُسَوِّغه في بعض المواضع؛ لأن النقل مُقَدَّم على القياس المحض» (١).

ومن نماذج اعتماد النحاس هذه القاعدة:

في قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾(٢)، قال النحاس: وقد قرأ عاصم الجحدري: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفَارِفٍ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِيٍّ حِسَانٍ ﴾(٣)،... فإن قال قائل: فما يمنع من أن يكون عباقرًا اسم موضع؟ ثم ينسب إليها كما في معافريّ، قيل له: إن كتاب الله لا يحمل على مالا يعرف وتترك حُجّة الإجماع(٤)».

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً

(١) ينظر: ابن جني، " الخصائص "، ١/١٢٥.
(٢) سورة الرحمن: (٧٦).
(٣) ابن جني، " المحتسب "، ١/٢٦.
(٤) "إعراب القرآن"، ٤/٢١٣.

﴿وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾[١]، قال النحاس: «وقد زعم قوم أن المعنى:... لأن لا يضلوا عن سبيلك. وحذف «لا» كما قال ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾[٢]، والمعنى أن لاتضلوا. قال أبو جعفر: ظاهر هذا الجواب حسن إلا أن العرب لا تحذف «لا» مع «أن» فموَّه صاحبُ هذا الجواب بقوله عزوجل: ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾[٤]، قال النحاس: «أصحّ ما قيل فيه أن المعنى: من أعلاهنّ، وقيل: من فوق الأرضين. وسمعت علي بن سليمان يقول: الضمير للكفار، أي: يتفطرن من فوق الكفار لكفرهنّ. قال أبو جعفر: «ولا نعلم أحدًا من النحويين أجاز في بني آدم رأيتهنّ، إلاّ أن يكون للمؤنث خاصة. فهذا يدل على فساد هذا القول[٥]».

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾[٦]، لم يرتض النحاس ما أجازه الفراء، قال النحاس: «وأجاز الفراء: آتيك بعدٌ يا هذا، بالضم والتنوين، وأنشد[٧].

(١) سورة يونس: (٨٨).
(٢) سورة النساء: (١٧٦).
(٣) " إعراب القرآن "، ١٥٦/٢.
(٤) سورة الشورى: (٥).
(٥) " إعراب القرآن "، ٤ / ٤٩.
(٦) سورة التين: (١٠).
(٧) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في ابن السكيت، " إصلاح المنطق "، ١١٢ ؛ ابن مالك، "أوضح المسالك "، ٥٨/٣.

ونحـــنُ قتلنَـــا الأَزْدَ أزدَ شَـــنُوءة فمـا شـربوا بعـدٌ علـى لـذّةٍ خمْـرا

قال أبو جعفر: «وهذا خارج عما جاء به القرآن وكلام العرب والمعقول، لا حُجَّة له في البيت إن كان يُعْرف قائله؛ لأنه بغير تنوين جائز عند أهل العروض» (١).

ويتبع هذه القاعدة ثلاث قواعد:

الأولى: الحمل على الأكثر أولى:

يُعبِّر النحاة عن هذا المعيار بعبارات متعددة، كقولهم: «الحمل على الكثير من كلام العرب أولى(٢) » و«مراعاة الأكثر أولى من مراعاة الأقل» (٣). فالنص إذا دار بين أن يُحمل على الأكثر أو على الأقل من كلام العرب فالأولى حمله على الأكثر؛ لأن العمل إنما هو على الأكثر لا على الأقل، كما قال ابن يعيش(٤).

وقال أبو علي الشّلوبين: «أما الحمل على الأكثر وهو أبدًا يبينون قوانينهم عليه»(٥)ومن اعتماد النحاس على هذه القاعدة، ما يلي:

قال النحاس: «وحكى الفراء «من قبلِ ومن بعدِ» (٦)مخفوضين بغير تنوين. وللفراء في هذا الفصل من كتابه في القرآن أشياء كثيرة، الغلط فيها بَيِّن، فمنها أنه زعمّ أنه يجوز «من قبل ومن بعد» (٧)كما قال الشاعر(٨):

(١) " إعراب القرآن "، ٥/١١.
(٢) ابن عقيل، "شرح الألفية "، ١/١٠١.
(٣) ابن مالك، "شرح التسهيل "، ١/١٢٥.
(٤) " شرح المفصل "، ٣/٣٤٢.
(٥) "شرح المقدمة الجزولية "، ٢/ ٤٥٩.
(٦) " معاني القرآن "، ٢/٣٢١.
(٧) سورة الروم: (٤).
(٨) البيت من الكامل، وهو للأعشى، في ديوانه، ص٢٠٩.

إلا عُلالـــــــةَ أو بُداهـــــــةَ ســـــابح نَهْـــــد الجُـــــزارهْ

وكما قال[١]:

يا مَـــنْ رَأى عَارِضَـــا أُكَفْكِفُـــه بـــين ذِراعَـــي وجبهـــة الأَسَـــدِ

والغلط في هذا بيّن؛ لأنه ليس في القرآن «لله الأمر من قبل ومن بعد ذلك، فيكون مثل قوله: «بين ذراعي وجبهة الأسد» ألا ترى أنك تقول: أخذته بنصف وربع الدرهم، ولا يجوز أخذته بنصف وربع، وتقول: قطع الله يد ورجل زيد، ولا يجوز يد ورجل، على أنّ هذا ليس بكثيرٍ في كلام العرب، وإنما يحمل كتاب الله على الكثير والفصيح» [٢].

ردُّ النحاس على الفراء في هذا النص يرتكز على ركيزتين:

الأولى: مخالفة السواد «رسم المصحف» فاللجوء إلى زيادة كلمة «ذلك» وتقديرها يُعِدُّه النحاس خروجًا عن النص، فالسّواد عنده شرط وليس توجيها.

والثانية: مخالفة القاعدة النحوية «بناء الظروف» [٣]«وهو يتبع البصريين هنا»: أنّ «قبل» وبعد «إذا قُطعتا عن الإضافة لفظًا ونويتا معنى، فإنهما تبنيان على الضم، أمّا إذا أعربناها بالكسر فلابد من وجود مضاف إليه ظاهر، وبما أن «ذلك» غير موجودة في النص فلا يجوز الجر. فالقياس يجب ألاّ يخالف النقل، حتى لو كان القياس النحوي يُسوّغ التقدير؛ فإن عدم وجود كلمة «ذلك» يجعل هذا القياس غلطا بَيّنا.

(١) وفي رواية (يا من رأى عارضا أُسَرُّ به) البيت من المنسرح،وهو للفرزدق، في ديوانه، ص ٢١٥.

(٢) " إعراب القرآن "، ١٧٩/٣.

(٣) تنظر المسألة في: سيبويه، " الكتاب "، ١٧٩/١؛ المبرد، "المقتضب "، ٢٢٨/٤ ؛ ابن يعيش، "شرح المفصل "، ٨٧/٢ ؛ ابن الحاجب " الأمالي"، ٦٢٦/٢؛ ابن مالك، " شرح التسهيل "، ٢٤٩/٣.

والقاعدة التوجيهية هنا «الحمل على الكثير» تستند على أن القرآن نزل بأفصح اللغات وأكثرها شيوعًا، فما دامت لغة العرب الغالبة والكثيرة هي البناء على الضم عند قطع الإضافة فلا يجوز لنا أن نترك هذا الكثير لنحمل القرآن على القليل.

وفي قوله تعالى ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، قال النحاس: «نرفع درجاتِ من نشاء هذه قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة[2]، وقرأ أهل الكوفة نرفع درجاتٍ بالتنوين، وهي على قراءتهم مما يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف، والتقدير: نرفع من نشاء إلى درجات. إلاّ أنّ أكثر كلام العرب على القراءة الأولى، يقولون اللهم ارفع درجته، ولا يكادون يقولون: اللهم ارفعه درجة... » [3].

رغم أن النحاس وغيره من المعربين قد يفضلون قراءة على أخرى ويطلقون عليها حكما كمّيا إلا أن القراءتين «بالإضافة والتنوين» متواترتان، ولكل منهما وجه من وجوه الإعجاز البياني. وما ذكره النحاس يمثل سمة بارزة في تلك الحقبة؛ فالنحاس بصري المنهج وكثير من القراءات التي انتقدها كانت قراءات كوفية، فالبصريون يتشددون في القياس، بينما الكوفيون كانوا أكثر مرونة ويقبلون الوجوه اللغوية النادرة. والنحاس لم يكن يطعن في قدسية القرآن بل كان يفرق بين ثبوت القراءة وبين جودتها وشيوعها في اللغة، وقد ردّ عليه لاحقا علماء كبار كأبي حيان، والإمام ابن الجزري، والسيوطي[4]، مؤكدين أن القراءة المتواترة هي الحاكمة على قواعد النحو وليس العكس.

(١) سورة يوسف: ٧٦.

(٢) الداني، " التيسير "، ص ١٠٥.

(٣) " إعراب القرآن "، ٢/٢١٠.

(٤) ينظر " البحر المحيط "، ١/٢٢ ؛ ابن الجزري، " منجد المقرئين ومرشد الطالبين "، ص٥٦، ٥٧ ؛ السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن "، ١/٢١٠.

والقاعدة الثانية: الحمل على أقوى الوجوه.

والمقصود بذلك ما عبّر عنه الزمخشري بقوله: «لا يجوز أن تُحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه» (١). فحد الكلام ووجهه هو الوجه الأقوى الذي ينبغي أن يُحمل عليه في إعراب القرآن.

يقول أبو حيّان: «وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلاّ الحمل على أحسن الوجوه(٢)» وتابعه على ذلك ابن هشام(٣)، والسيوطي حيث قال: يجب على من يعرب القرآن مراعاة أمور منها... أن يُخَرّج على القريب والقوي والفصيح» (٤).

والفرق بين هذه القاعدة والتي سبقتها أن هذه القاعدة تعتمد على الأحكام النوعية بخلاف القاعدة السابقة التي تعتمد على الأحكام الكميّة.

وقد عبّر النحاس في مواضع كثيرة عن الأحكام النوعية «أحسن» و «أجود» و«فصيح» و«أشهر».

ومن ذلك: في قوله تعالى: ﴿ **وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ** ﴾(٥)، قال النحاس: «قرآنا عربيا: منصوب على الحال، والضعيف في العربية يتوهم أنه حال من نكرة؛ لأن الذي قبله نكرة، والحال من النكرة ليس بجيّد ولا يقال في كتاب الله جَلَّ

(١) الزمخشري، " الكشاف "، ٢١٤/٥.
(٢) " البحر المحيط "، ٣٦/١.
(٣) "مغني اللبيب "، ١٢٨/٢.
(٤) ينظر السيوطي، " الإتقان "، ١٨٠/١.
(٥) سورة الأحقاف: ١٢.

وعزّ ما غيره أجود منه، فلسانا منصوب على الحال من المضمر الذي في مصدِّق، والمضمر معرفة، وجاز نصب لسان على الحال لأنه بمعنى مبين» [1].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[2]، قال النحاس: «وقرأ المدنيون بغير فاء[3]، وكذا في مصاحفهم، فالقراءة بالفاء بيّنة؛ لأنه شرط وجوابه.

والقراءة بغير الفاء فيها للنحويين ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون «ما» بمعنى الذي فلا تحتاج إلى جواب بالفاء...

والقول الثاني: أن يكون «ما» للشرط وتكون الفاء محذوفة كما قال» [4].

من يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكُرها والشّرُّ بالشّرِّ عند الله مِثلانِ

والقول الثالث: أن «ما» هاهنا للشرط إلاّ أنه جاز حذف الفاء؛ لأنها لا تعمل في اللفظ شيئا وإنما وقعت على الماضي، وهذا أولى الأقوال بالصواب.

فأمّا أن يكون «ما» بمعنى الذي فبعيد؛ لأنه يقع مخصوصا للماضي، وأمّا أن يشبه هذا البيت الذي ذكرناه فبعيد أيضًا لأن حذف الفاء مع الفعل المستقبل لا يجوز عند سيبويه إلاّ في ضرورة الشعر، ولا يحمل كتاب الله عزّ وجلّ إلاّ على الأغلب الأشهر» [5].

والقاعدة الثالثة: لا يحمل كتاب الله على الشاذ ولا إلى ما يضطر إليه الشاعر.

---

(١) " إعراب القرآن "، ٤ / ١٠٧.

(٢) سورة الشورى: ٣٠.

(٣) قراءة نافع وابن عامر، ينظر الفارسي، "الحجة للقراء السبعة"، ٦/ ١٢٨.

(٤) البيت من البسيط، وهو لكعب بن مالك في ديوانه، ص٢٨٨.

(٥) " إعراب القرآن "، ٤ / ٥٧.

الرواية التي فيها شذوذ أو ضرورة لا تُبنى عليها القواعد ولا تُتخذ أصلاً يقاس عليه.

والقرآن هو أفصح الكلام فلا يُخَرَّج على لغة ضعيفة، ولا على ضرورة شعرية، وما جاز للشاعر لا يجوز للناثر، والقرآن أجَلُّ قدرًا من أن يُلتمس له العذر في لغات العرب الشّاذّة.

قال أبو حَيَّان: «لم يكن القرآن ليأتي على الشاذ في الاستعمال والقياس، ويعدل عن الصحيح الفصيح» (١).

وقال السمين: «القياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به» (٢).

وقد قرّر النحاس هذه القاعدة تنظيرًا وتطبيقًا في مواضع متعددة ومن ذلك:

في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ** ﴾(٣)، قال النحاس: «فأمّا «ولا تخشى» إذا جزمت «لا تخف» (٤)فللنحويين فيه تقديران: أحدهما – وهو الذي لا يجوز غيره – أن يكون مقطوعًا من الأول... والتقدير الآخر: ذكره الفراء(٥) أن يكون «ولا تخشى يُنوى به الجزم وتثبت فيه الياء – زعم كما قال الشاعر(٦):

هَجَوْت زَبَّانَ ثم جِئْتَ مُعْتذرًا من سبّ زبّان لم تهجو ولم تَدَع

(١) " البحر المحيط "، ١٥٨/٢.

(٢) " الدر المصون"، ٤٣٨/٤.

(٣) سورة طه: ٧٧.

(٤) يعني على قراءة الأعمش وحمزة «لا تخف» ينظر ابن مجاهد، "السبعة في القراءات "، ص ٢١.

(٥) " معاني القرآن "، ١٦١/١.

(٦) البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٢/١ ؛ ابن مالك "شرح التسهيل "، ٥٦/١.

وأنشد[1]:

أَلَمَ يأتيـــكَ والأنبـــاءُ تَنْمِـــي بِمـــا لاقـــتْ لَبـــونُ بـــني زيادِ

ولم يرتض النحاس توجيه الفراء فقال: «هذا من أقبح الغلط أن يُحمل كتاب الله جَلَّ وعزّ على شذوذ من الشعر، وأيضًا فإن الذي جاء به من الشعر لا يُشبه من الآية شيئا؛ لأن الواو والياء مخالفتان للألف لأنهما تتحركان والألف لا تتحرك، فللشاعِر إذا اضطر أن يقدرهما متحركتين ثم يحذف الحركة للجزم، وهذا مُحال في الألف، وأيضًا فليس في البيتين اضطرار يوجب هذا؛ لأنهما إذا رُويا بحذف الواو والياء كانا وزنا صحيحا من البسيط والوافر...». والنص يوضح أن النحاس يرى أن الفعل «تخاف» في الآية مرفوع على الاستئناف أو هو حال، و «لا» نافية وليست ناهية، وحملها على النهي مع حذف الألف «تخف» دون مُسَوّغ إعرابي ظاهر هو تكلّف يُربأ بالقرآن عنه؛ ولذلك أبطل العلة التي ذكرها الفراء، وإن كان مقصد الفراء محاولة تسويغ القراءة بما وجده في «الشعر» إلاّ أن النحاس وضع سياجًا حول النص القرآني معتبرًا أن الاستشهاد بما فيه ضرورة شعرية لا يصلح أن يكون أصلا تخرج عليه آية قرآنية.

ومن أهم المسائل التي تمثل هذه القاعدة التوجيهية، «مسألة الجر على الجوار» ورأي النحاس فيها، وسأستعرض رأيه في أكثر من موضع في هذه المسألة:

في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ ﴾[2] قال النحاس: «قتال فيه: الخفض عند البصريين على بدل الاشتمال... وقال أبو عبيدة: «وهو مخفوضٌ على الجوار».

---

(١) البيت من الوافر، وهو لقيس بن زهير في: السيرافي، "شرح أبيات سيبويه "، ١/٣٤٠ ؛ السيوطي، "شرح شواهد المغني "، ص ٣٢٨ .

(٢) سورة البقرة: ٢١٧.

ولم يرتض النحاس ما ذهب إليه أبو عبيدة، قال النحاس: لا يجوز أن يُعرب شيء على الجوار في كتاب الله عزّ وجلّ ولا في شيء من الكلام، وإنما الجوار غلط وإنما وقع في شيء شاذ، وهو قولهم «هذا جحر ضبٍّ خربٍ»، والدليل على أنه غلط، قول العرب في التثنية: هذان جحرا ضب خربان، وإنما هذا بمنزلة الإقواء، ولا يجوز إضمار «عن». والقول فيه أنه بدل[(١)]» يكشف النحاس في هذه المسألة عن قاعدة توجيهية صارمة في حماية النص القرآني من التخريجات التي توهم بـ «الضعف» و«الاضطرار»، فالنحاس لا يرد على أبي عبيدة فحسب، بل يؤصل لقاعدة كبرى في التعامل مع النص القرآني، **ويمكن تحليل قول النحاس في أربع نقاط:**

الأولى: إبطال الخفض بالجوار ومنهجية «الغلط»: النحاس لا يرى «الجوار» لغة أو أسلوبًا بل يراه سقطة لسانية، ناتجة عن استيلاء حكم الكلمة المجاورة على الكلمة المتأخرة دون مُسوّغ إعرابي؛ ولذلك استخدم التثنية كدليل عقلي وحُجّة قويّة؛ فالعرب إذا ثنوا «هذا جحر ضب خرب» قالوا: خربان بالرفع، ولو كان الجر بالجوار قاعدة إعرابية لاستمر في التثنية، فلما عادوا للرفع عُلم أن الجر في المفرد كان انحرافًا عارضًا لا يُبنى عليه.

والثانية: تنزيه القرآن عن الإقواء والشذوذ وقد ربط النحاس بين «الجوار» «والإقواء» وهو اختلاف حركة القوافي في القصيدة الواحدة، وهو عيب عند الشعراء. وبما أن الإقواء عيب في الشعر فمن باب أولى أن يُنزّه القرآن عنه، فإن كان الشاعر يقع فيه اضطرارًا أو سهوا فإن كلام الله عزّ وجلّ مُنزّه عنهما، فلا يُخرّج قوله «قتال» على أنه مُجرد تأثّر بحركة ما قبله.

والثالثة: رفض النحاس إضمار «عن» عن قتالٍ؛ لأن حروف الجر عنده عوامل

(١) " إعراب القرآن "، ١/١٠٩.

ضعيفة؛ لا تعمل وهي محذوفة إلاّ في سماع نادر فهو يفضل دائما الأوجه الإعرابية التي تُبقي العامل معلوما بوضوح، والحذف والإضمار دون حاجة يعد تكلفًا.

والرابعة: اختياره البدل، فبعد أن هدم رأي أبي عبيدة قدّم البديل القوي، وهو بدل الاشتمال. وهو أسلوب عربي فصيح في النثر والنظم وهو يوافق القياس دون الحاجة لادعاء «الجوار».

وقد منع النحاس الجرّ بالجوار في مواضع متعددة، وله مقولات، منها قوله: «ولا يجوز الجوار في كتاب الله وإنما يقع في الغلط» [1]وقوله «فلا يجوز الجوار في كتاب الله بل على مذهب سيبويه لا يجوز في كلام ولا شعر، وإنما هو غلط، ونظيره في الغلط الإقواء» [2].

(١) " إعراب القرآن "، ١١٢/٤.

(٢) " إعراب القرآن "، ١٢١/٥، وينظر أيضا ٢٣٠/٢.

الفصل الثاني: القواعد التوجيهية الضابطة للراوي

المبحث الأول: الفصاحة ميزان الرواية

ضبط النحاة والمعربون «الرواية» بسياجين صارمين: زماني ومكاني[١]؛ لضمان استخلاص القواعد من اللغة قبل أن تشوبها العجمة.

أولاً: حد الإطار الزماني «عصر الاحتجاج» وهو المدى الزمني الذي يقبل فيه السماع، كحجة في إعراب القرآن، ويبدأ من الجاهلية ويستمر حتى فساد السليقة، وينقسم إلى طبقتين:

١ – في البادية: وقد استمر حتى منتصف القرن الرابع الهجري.

٢ – في الحواضر: توقف عند منتصف القرن الثاني الهجري.

ثانيًا: حد الإطار المكاني «معدن اللغة» وهو النطاق الجغرافي الذي يُسمح بالسماع عنه، وقد حصر النحاة والمعربون المكان في القبائل التي سكنت وسط الجزيرة العربية، مثل: قيس وتميم وأسد وطيء وهذيل. وبناء على هذين الإطارين فالنحاس لا يقبل من النقل إلا ما اتحد زمنه بالاحتجاج وخلص مكانه من العجمة ولذلك لا يستشهد النحاس بكلام المولدين، وهذا راجع للإطار الزماني. في قوله تعالى ﴿وَلَاتَ

(١) ينظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو "، ٥٩ ؛ تمام حسان، " الأصول دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب "، ص ٩٤. والمقصود هنا الرواية الشعرية.

﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾[1]. ذكر النحاس أقوال العلماء في «لات» وتحدّث عن التاء وذكر حجّة من قال الوقف على «لا» والتاء متصلة بـ «حين» قال النحاس: «قال أبو عبيد[2]: والحجة الثالثة: أنّا لم نجد العرب تزيد هذه التاء إلاّ في حين وأوان والآن.... وأنشد[3]:

نَــوِّلِي قَبْــلَ يــومِ بيــني جُمَــانَا وصِــلِينا كَمَــا زَعَمْــتِ تَــلاَنَا

قال النحاس «... **وأمّا البيت فبيتٌ مولّد**، لا يُعرف قائله، ولا تثبت به حُجّة على أن محمد بن يزيد[4] رواه «كما زعمت الآن» وقال غيره: المعنى كما زعمت، فأسقط الهمزة من أنت والنون» [5].

وجه الاستشهاد لمن زعم أن أصل الكلمة «الآن» ثم دخلت عليها التاء الزائدة، فصارت «تالآن» ثم خُفِّفت الهمزة وحُذفت الألف فصارت «تَلانا»، لإثبات أنها مرتبطة بـ «حين» وليس بـ «لا».

وردّ النحاس البيت بأنه «**مولّد**» وهذه التهمة تعني أن البيت صُنع لخدمة غرض نحوي مرذول، وما كان مولدّا لا يُبنى عليه حكم، وأيّد النحاس رأيه بأن هذا البيت لا

(١) سورة ص: ٣.

(٢) ينظر قوله في: المنتجب، " الفريد "، ٥/ ٤٠٨ ؛ السمين الحلبي، " الدر المصون "، ٣٤٩/٩.

(٣) البيت من بحر الخفيف، وهو لجميل بثنية في ديوانه ص١٩٦.

(٤) ينظر: المبرد، " المقتضب "، ٤/ ١٦٤.

(٥) " إعراب القرآن "، ٣/ ٣٠٥.

يُعرف قائله ثم رجّح بالرواية الأوثق، قَدَّم رواية المبرّد «كما زعمت الآن»؛ لأنها رواية إمام ضابط؛ ولأنها تخرج البيت عن كونه شاهدا شاذا.

والأصالة الزمانية والمكانية لا تعصم الراوي من الرد؛ فكل مرويٍّ شذَّ عن سُنن العرب المطردة أو اضطربت روايته بين الأئمة، أو وُصِم صاحبه بالضعف فهو ساقط الاحتجاج في إعراب القرآن وإن كان صاحبه فصيحًا. في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾[1]، قال النحاس: «أتعدانني: ذكر بعض الرواة أن نافع بن أبي نعيم قرأ «أتعدانَنِي» بفتح النون الأولى[2]، وذلك غلط غير معروف عن نافع وإنما فتح نافع الياء فغلط عليه. وفتح هذه النون لحن... وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: إن كان مثل هذا يجوز فليس بين الحق والباطل فرق. يتركون كتاب الله جَلَّ وعزَّ ولغات العرب الفصيحة ويستشهدون بأعرابي بوَّال! »[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾[4]، قال النحاس: «وأساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار... وحكى قطرب إسوار»[5]. قال

(١) سورة الأحقاف: (١٧).
(٢) ينظر: الداني، " التيسير "، ١٦٢.
(٣) "إعراب القرآن "، ٤/١١٠.
(٤) سورة الكهف: (٣١).
(٥) " إعراب القرآن "، ٢/٢٩٤.

النحاس: قطرب صاحب شذوذ، قد تركه يعقوب وغيره، فلم يذكروه» [1].

وقد يكون للرواية حضورها بسبب ثقة وجلالة الراوي. ومن ذلك: قال النحاس: [تأتي] «إنّ بمعنى نعم، كما حكى الكسائي عن عاصم، قال: العرب تأتي «بـ إنّ» بمعنى نعم.

وحكى سيبويه[2]: أن «إنّ» تأتي بمعنى أجل، وإلى هذا القول كان محمد بن يزيد وإسماعيل بن إسحاق يذهبان» [3].

(١) المصدر السابق الموضع نفسه.

(٢) سيبويه، "الكتاب "، ١٥١/٣.

(٣) " إعراب القرآن "، ٣١/٣ ويقصد بإسماعيل بن إسحاق: «القاضي»، وتنظر المسألة في: ابن جني، "سر صناعة الإعراب، ٣/ ١٥١ ؛ "البحر المحيط "، ٧/ ٣٥٠.

المبحث الثاني: مالا يُعْرف قائله لا تثبت به حُجّة

إذا كانت الجهالة في الراوي تُسقط الفصاحة في المروي – كما تحدثت عن ذلك في المبحث السابق – فإن المجهول لا يُؤصِّل قاعدة. والجهل بالراوي عند النحاس يُعدَّ أداةً للرفض.

في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾. قال النحاس: «وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو عمرو وأبو جعفر وشيبة ونافع. كَرْها. بفتح الكاف[١]. وعارض أبو حاتم السجستاني هذه القراءة بما لو صَحَّ لوجب اجتنابها؛ لأنه زعم أن الكَرْه: الغضب والقهر، وأن الكُرْه المكروه،... وذكر أن بعض العلماء سمع رجلاً يقرأ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾[٢]، [بفتح الكاف] فقال: لو حملته كَرْها لرمت به.

يذهب إلى أن الكَرْه الغضب والقهر» [٣]ولم يرتض النحاس احتجاج أبي حاتم، فقال: في هذا طعن على من تثبت الحجة بقراءته، وحكايته عن بعض العلماء لا حجّة فيها؛ لأنه لم يُسَمِّه ولا يُعْرف، ولو عُرف لما كان قوله حجّة إلا بدليل وبرهان» [٤].

(١) سورة الأحقاف: (١٥).
(٢) ينظر: الداني، "التيسير "، ١٦١؛ ابن مجاهد، " السبعة "، ٥٩٦.
(٣) " إعراب القرآن "، ٤/ ١٠٨.
(٤) المصدر السابق.

من خلال النص يتضح أن العالم المجهول الذي استنَّد عليه السجستاني لا يملك وزنا علميّا مقابل وزن القُرَّاء الأثبات؛ فقراءة الفتح من القراءات السبع المتواترة وتقديم قول مجهول القائل على الأصول الثابتة من القراءات واللغة يعُدُّه النحاس لغوا في ميزان الاحتجاج وقادحا في ضبط من استشهد به.

ومن نماذج توجيه النحاس لما كان فيه راوٍ مجهول. قال النحاس: أمّا البيتان اللذان أنشدهما سيبويه، وشركه الفراء في أحدهما فلا يعرف من قالهما، ولا تثبت بهما حجة، ولو عُرِف من قالهما لكانا شاذّين خارجين عن كلام العرب، وما كان هكذا لم يُحتجَّ به في كتاب الله جَلَّ وعزّ ولا يدخل في الفصيح» [(١)].

وفي موضع آخر قال النحاس: «فأمّا ما حكاه أبو عبيدة[(٢)] من أن «ليكة» هي اسم القرية التي كانوا فيها وأن «الأيكة» اسم البلد فشيء لا يثبت ولا يُعْرف من قاله، وإنما قيل: وهذا لا تثبت به حجة حتى يُعْرف من قاله فيثبت علمه» [(٣)].

والأولوية عند النحاس في التثبت، ووجود راوٍ مجهول في سند الحديث يُفْقِده حجيَّته ومن نماذج ذلك: احتجاج أبي عبيد لقراءة الكسائي ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾[(٤)]، بفتح الذال والثاء، فقد احتج بحديث كان في سنده جهالة، وهي قوله: عن خالد بن أبي قلابة عمّن أقرأه النبي ﷺ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ

(١) " إعراب القرآن "، ٣/ ٢٨٥.
(٢) " مجاز القرآن "، ٢/ ١٧٨.
(٣) " إعراب القرآن "، ٣/ ١٣٠.
(٤) سورة الفجر: ٢٥ وتنظر القراءة في: الداني، " التيسير "، ١٨٠.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥ – ٢٦] (١)، قال النحاس: «والحديث لا يصح سنده...؛ لأنه إذا وقع في الحديث مجهول لم يُحتج به في غير القرآن فكيف في كتاب الله، ومعارضته الجماعة الذين قراءتهم عن النبيﷺ ؟ » (٢).

قوله «عمّن» يعني رواية مجهولة السند عند النحاس. ومن خلال هذا المثال أظهر النحاس ملامح اللغوي المحدّث، الذي لا يقبل الرواية لمجرد نسبتها إلى مصدرٍ عالٍ كالنبي ﷺ بل يُخْضعها لمعايير الجرح والتعديل عند المحدِّثين.

(١) أبو داود، " السنن "، (كتاب الحروف والقراءات)، ٤/ ٦٣.
(٢) "إعراب القرآن "، ١٣٩/٥.

الفصل الثالث: آثار الرواية عند أبي جعفر النحاس

المبحث الأول: آثار تعدد الرواية من الناحية الإعرابية

إن تعدد الروايات واختلافها ظاهرة طبيعية في التراث العربي، نشأت بسبب عدة عوامل منها: النقل الشفوي؛ فتغيّر الزمان والمكان وطول العهد قد يؤدي لاختلاف السماع، ومنها التصحيف والتحريف؛ فالكتابة الأولى الخالية من النقط والشكل فتحت الباب لتفسيرات متعددة(١)، ومنها اختلاف لهجات العرب.

ويساعد هذا الاختلاف في استيعاب شخصية المعرب بشكل أعمق، وفهم كيفية استنباطه للقواعد.

والمعرب في هذا أمام خيارين إما أن يحاول التوفيق والترجيح للوجه الأقوى من وجهة نظره، أو أن يكون مُتعصِّبا لمدرسته «الكوفية أو البصرية» متمسكًا برواية معينة تخدم مذهبه.

ويمكن استنتاج أهم آثار تعدد الرواية عند النحاس في:

المفاضلة والترجيح بين الروايات، واستثماره تعدد الروايات لبيان سعة اللغة وقوة القياس النحوي في قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾(٢)، قرأ نافع وابن عامر ﴿**فديةُ طعامِ**﴾(٣)، بإضافة فدية إلى طعام. وقرأ الباقون «فديةٌ»(٤) بالتنوين «فديةٌ

(١) هذه الأسباب متعلقة بكلام العرب وشعرهم. وأما القراءات القرآنية فلسبب وحيد وهو اختلاف لهجات العرب.

(٢) سورة البقرة: (١٨٤).

(٣) ابن مجاهد، " السبعة "، ١٧٦.

(٤) هذه قراءة الجمهور، "البحر المحيط "، ٢/ ٤٤.

طعامُ مسكين» بالرفع.

قال النحاس: من قرأ بالإضافة، فالإضافة هنا للتبيين؛ لأن الفدية هي الطعام، وهو مثل: هذا ثوبُ خزٍّ. ومن قرأ بالتنوين، فقد زعم بعض النحويين أن «طعام» بدل من «فدية» ، وبعضهم يقول مرفوع بإضمار مبتدأ، أي: هي طعامُ مسكين، وهو أبين؛ لأن «فدية» اسم مبهم يقع على الطعام وغيره، فإذا نون كان التبيين بعده أوكدّ(١).

استثمر النحاس تعدد الرواية لبيان سعة اللغة، وكيف أن اللغة العربية تتسع للتعبير عن «البيان» بطريقتين: إمّا بالإضافة البيانية، فديةُ طعامِ، أو بالقطع والابتداء، فديةٌ طعامُ، ثم بعد ذلك انتصر لقوة القياس النحوي في المفاضلة بين القراءتين؛ فالتنوين يزيل الإبهام بشكل أوكد من الإضافة، فالنحاس يرى أن القراءة التي تتفق مع أصول النحو هي الأولى بالتقديم من جهة الصناعة النحوية، ويلحظ من هذا النص أيضا بأنه وجّه الإعراب بناء على المعنى؛ فقد ربط بين الإعراب وبين وظيفة الكلمة «الإبهام والبيان» فجعل الاختلاف في الرواية وسيلة لتدقيق المعنى الدلالي.

وفي قوله تعالى:﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ ﴾(٢)،ذكر النحاس في «ويكفرُ» سبع قراءات(٣)، بالنون وبالرفع «ونكفرُ»، والنصب «ونكفرَ»، والجزم «ونكفرْ»، وبالياء والرفع «ويكفرُ»، وبالياء والجزم «ويكفرْ»، وبالتاء وكسر الفاء والجزم «وتُكفِّرْ»، وبالتاء وفتح الفاء والجزم «وتُكفَّرْ».

(١) ينظر " إعراب القرآن "، ١/ ٩٥ بتصرف يسير.

(٢) سورة البقرة: (٢٧١).

(٣) الداني، " التيسير "، ص ٧١ ؛ " البحر المحيط "، ٢/ ٣٣٨.

قال النحاس: «أجود القراءات «ونُكَفِّرُ» بالرفع هذا قول الخليل وسيبويه. قال سيبويه[1] «والرفع ههنا الوجه، وهو الجيد»؛ لأن الكلام الذى بعد الفاء جرى مجراه في غير الجزاء وأجاز الجزم بحمله على المعنى؛ لأن المعنى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء يكن خيرا لكم ونكفّر عنكم، والذي حكاه أبو حاتم عن الأعمش بغير واو جزمًا، يكون على البدل، كأنه في موضع الفاء، والذي روي عن عاصم ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾، بالياء والرفع، يكون معناه: يكفر الله. هذا قول أبو عبيد، وقال أبو حاتم معناه يكفرّ الإعطاء، وقرأ ابن عباس «وتكفرَّ» معناه: وتكفرّ الصدقات، وقراءة عكرمة «وتكفر عنكم» أي: أشياء من سيئاتكم، فأما النصب «ونكفِّرَ» فضعيف، وهو على إضمار «أن» وجاز على بعد؛ لأن الجزاء إنما يجب به الشيء لوجوب غيره فضارع الاستفهام[2]».

يظهر من خلال النص أن المفاضلة والترجيح عند النحاس تقوم على الصناعة النحوية، فبالرغم من استعراضه لسبع قراءات مختلفة بين رفع وجزم ونصب وبالياء والتاء والنون، إلاّ أنّه فضل «الرفع» لكونه يوافق الخليل وسيبويه في «الاستئناف». وبذلك يتضح أن النحاس يستثمر تعدُّد القراءات لإثبات صحة الأصول البصرية، واصفًا ما وافقها بـ «الأجود» وما خالفها بأنه «محمول على المعنى» أو «على البدل».

(١) ينظر "الكتاب"، ٣/ ١٠٥.

(٢) " إعراب القرآن "، ١/١٣٢.

المبحث الثاني: آثار تعدّد الرواية من الناحية الدلاليّة

أ) دور تعدد الرواية في إثراء التفسير

في قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[١] قال النحاس: «وقرأ الحسين ومجاهد وطلحة بن مصرّف: التى وُقودها[٢]» بضم الواو. وقال الكسائي والأخفش سعيد، «الوَقود» بفتح الواو: الحطب. و«الوُقود» بضمها الفعل... يجب على هذا أن لا يقرأ إلاّ «وَقودها» بفتح الواو؛ لأن المعنى حطبها، إلاّ أن الأخفش قال: وحُكِى أن بعض العرب يجعل الوَقود والوُقود بمعنى الحطب والمصدر، وذهب إلى أن الأول أكثر، كما أنّ الوضوء الماء والوضوء المصدر[٣].

يوظف النحاس تعدّد الرواية في «وَقود، وُقود» لبيان الفرق بين المادة والحدث.

رواية الفتح: تدل على الحطب أو المادة التي تُشعل بها النار «الناس والحجارة» ورواية الضم: تدل على «المصدر» أي فعل الاشتعال نفسه.

بَيّن النحاس كيف يُسهم الاختلاف الصرفي بين الفتح والضم في تحويل زاوية النظر الدلالية المادة إلى الفعل ورغم ميله للفتح؛ لموافقة الدلالة إلا أنه استثمر الرواية الأخرى لبيان سعة السنن اللغوية عن العرب التي قد تدمج بين المصدر واسم الذات، مما يُعزّز من دور الرواية في إثراء الدلالة القرآنية.

---

(١) سورة البقرة: (٢٤).

(٢) ينظر ابن جني، " المحتسب "، ٢/ ٣٨١.

(٣) " إعراب القرآن" ، ١/ ٣٨.

ب) الارتباط الوثيق بين المعنى والاعراب

في قوله تعالى:﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [1]،قال النحلس: « [صمٌّ] على إضمار مبتدأ، أي: هم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ، وفي قراءة عبد الله وحفصة «صمّا بكما عميا»[2]؛ لأن المعنى: وتركهم غير مبصرين صمّا بكما عميّا، يكون أيضًا بمعنى: أعني »[3].

وظّف النحاس الجانب الدلالي من خلال تعدد زوايا الوصف، فكل حركة إعرابية ترسم صورة مختلفة للموصوف «المنافقين» دلالة الثبوت والدوام «عبر الرفع»، ودلالة القصد «عبر النصب»، بتقدير: أعني[4].

والتقدير الذي تفتحه القراءة ليس مجرد ملء فراغ، بل هو إضافة معنى جديد لم يكن ليظهر لو بقيت الحركة على وتيرة واحدة.

(١) سورة البقرة: (١٨).

(٢) ينظر ابن خالويه، "مختصر في شواذ القرآن" ؛ الفراء، " معاني القرآن "، ٦/١.

(٣) " إعراب القرآن "، ٣٣/١.

(٤) ينظر "البحر المحيط "، ١٣٣/١ ؛ المنتجب، "الفريد "، ١/ ١٧٢.

المبحث الثالث: الاعتراض النحوي على الرواية

هذا المبحث يرتكز على القراءات القرآنية والشعر، وأمّا الحديث النبوي الشريف فالملاحظ على النحاس أنه كان يعتمد عليه لخدمة الجانب الدلالي وتفسير الآيات، ومن ذلك: تدعيمه لاختياره بصحة مجيء "إنّ" بمعنى "نعم" [١]، اعتماداً على عدة شواهد منها حديث نبوي، قوله ﷺ: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه".[٢]

المطلب الأول: القراءات القرآنية

لم يكتف النحاس في كتابه إعراب القرآن بوظيفة «المفسِّر» أو«المعرب» بل مارس دور «الناقد اللغوي» الذي يمتلك سلطة المعيار، وقد أثار هذا المنهج جدلاً واسعا، خاصة عند اصطدامه بالقراءات القرآنية؛ فقد وصف النحاس بعض القراءات القرآنية ومنها المتواترة بعبارات قاسية، ومنها: لفظ «بعيد» كما في تعليقه على قراءة حمزة في سورة النساء «والأرحام»[٣] بالجر، حيث قال: وهذا في العربية بعيد جدًا، لا يجوز إلا في اضطرار الشعر[٤].

ومنها لفظ «لحن» وقد يطلقه على قراءة متواترة أو ينقل مقولات للبصريين بذلك مؤيدًا رأيهم، ومن ذلك قوله أيضًا تعليقًا على قراءة حمزة «والأرحام» فأمّا البصريون، فقال رؤساؤهم: هو لحن لا تحل القراءة به، وأما الكوفيون فقالوا: هو قبيح ولم يزيدوا على هذا[٥] وهذا مظهر من مظاهر إنكار القراءة ورفضها كقراءة، وبالتالي

(١) " إعراب القرآن" ، ٣/ ٣١.
(٢) ينظر مسلم، " الصحيح مسلم "، (باب تخفيف الصلاة والخطبة)، ٢/ ٥٩٣.
(٣) الآية: ١من سورة النساء، وتنظر القراءة في الداني، " التيسير "، ٧٨.
(٤) " إعراب القرآن "، ١/ ١٩٧.
(٥) المصدر السابق الموضع نفسه.

رفضها كشاهد.

وقد يجيز القراءة ولكنه لا يقبلها كشاهد على ما يخالف أقيسته، وذلك بأن توجب القراءة حكما ما إذا أخذ به كشاهد، ولكن هذا الحكم يخالف أقيسته.

يقول النحاس، في قراءة نافع ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ ﴾ (١)، بإسكان ياء «محياي» في الوصل: وهذا لم يجزه أحد من النحويين إلاّ يونس؛ لأنه جمع بين ساكنين، وإنما أجازه يونس لأن قبله ألفا، والألف المد التي فيها تقوم مقام الحركة، وأجاز يونس «اضربان زيدًا» وإنما منع النحويون هذا؛ لأنه جمع بين ساكنين، وليس في الثاني إدغام»(٢).

وفي قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٣)، قرأ الحسن وأبو جعفر «نُتَّخَذَ» بضم النون(٤). قال النحاس: «وقد تكلم في هذه القراءة النحويون، وأجمعوا على أن فتح النون أولى، فقال أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر: لا يجوز «نُتَّخَذَ» قال أبو عمرو: لو كانت «نُتَّخَذَ» لحذفت «من» الثانية... ومثل أبي عمرو على جلالته ومحلّه يُستحسن منه هذا القول؛ لأنه جاء بعلة بَيّنة»(٥).

ويقول أيضًا في قراءة ابن عامر وأهل الشام ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ

(١) سورة الأنعام: ١٦٢ ؛ وتنظر القراءة في الداني، "التيسير "، ٤٢/٢.
(٢) " إعراب القرآن "، ٢ / ٤٢.
(٣) سورة الفرقان: (١٨).
(٤) ينظر الفراء، " معاني القرآن "، ٢/ ٢٦٤.
(٥) " إعراب القرآن"، ١٠٧/٣.

لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾[١]،

بضم الزاي في «زين» ورفع «قتل» ونصب «أولادهم» وخفض «شركائهم»: «فأمّا ما حكاه أبو عبيد عن ابن عامر وأهل الشام فلا يجوز في كلام ولا شعر، وإنما أجاز النحويون التفريق بين المضاف والمضاف إليه في الشعر بالظرف؛ لأنه لا يفصل، فأمّا بالأسماء غير الظرف فلحن»[٢].

هذه النماذج وغيرها تدل على أن النحاس قد أخضع القراءات الثابتة لأقيسته وعِلَله العقلية، بحيث أصبحت القراءة التي تعارض الأقيسة لا يُستشهد بها على جواز ما لا يتفق مع هذه الأقيسة.

ويمكن للباحث استنتاج أهم الأسباب التي جعلت النحاس يتجاسر على نقد بعض الوجوه القرآنية، ومن أهمها: مخالفة القياس النحوي المشهور؛ فقد كان النحاس يرى أن القراءة إذا خالفت «الأصل المطَّرد» في لغة العرب وجب توهينها، وقد أسلم تقويم القراءة كشاهد بمقاييس العربية إلى هذه الأحكام المتطرفة، يقول السيوطى: «كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك؛ فإن قراءتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مَطْعن فيها، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية»[٣]. إن ثبوت القراءة عن النبي – صلى الله عليه وسلم- يرفعها فوق رتبة القياس البشري. وهذه القراءات الثابتة الصحيحة يُعدُّ أهم أسباب تعدُّدها وتنوعها التهوين والتسهيل

(١) سورة الأنعام: ١٣٧ وتنظر القراءة في الداني، "التيسير في القراءات السبع"، ٨٨ ؛ ابن الجزري،، "النشر في القراءات العشر"، ٢١١/١.

(٢) النحاس، "إعراب القرآن "، ٣٣/٢.

(٣) " الاقتراح "، ٣٧.

والتخفيف على الأمة. والأصل في الأقيسة التي وضعها النحاة أن تكون نابعة من النصوص الفصيحة وتابعة لها.

بل قد نجد النحاس يرد على من طعن في القراءات المتواترة إذا كانت توافق مذهبه، ففي قوله تعالى:﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ﴾[1]، قرأ أبو عمرو والكسائي والأعمش وحمزة «التناؤش»[2]. قال النحاس: «وأبو عبيد يستبعد هذه القراءة؛ لأن «التناؤش» البعد، فكيف يكون وأنى لهم البعد من مكان بعيد؟ قال النحاس: والقراءة جائزة حسنة، ولها وجهان في كلام العرب ولا يتناول بها هذا التناول البعيد » [3]

وتنبغي الإشارة إلى أنَّ هدف جميع المعربين ـ ومنهم النحاس ـ صون النص القرآني بالحفاظ على اطِّراد القاعدة النحوية، وليس الغرض الطعن في القراءات القرآنية – وحاشاهم ذلك – يقول النحاس: «الديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة»[4]، ويقول: «كتاب الله لا يُحمل على المقاييس، وإنما يُحمل بما تؤديه الجماعة، فإذا جاء رجل فقاس بعد أن كان مُتَّبعا... »[5]. وفي ظني أن المعربين القدماء لحَنُّوا بعض الروايات؛ لأن علم القراءات وتواترها برواتها ما كان قد استقر؛ لأن عدد الروايات كان كثيرًا، حتى أوصلها الهذلي (ت ٤٦٥ هـ) إلى خمسين رواية، في كتابه الكامل في القراءات.

(١) سورة سبأ: ٥٢.
(٢) ينظر الداني، " التيسير"، ١٤٧.
(٣) " إعراب القرآن"، ٢٤٢/٣.
(٤) المصدر السابق، ١٤٣/٥.
(٥) المصدر السابق، ٢٤٣/٤.

ومن أسباب نقد النحاس للقراءات تأثّره بمدرسة «إخضاع النص للقياس» فهذا المسلك لم يسلكه النحاس من فراغ، بل كان امتدادا لمدرسة نحوية «بصريّة وكوفيّة» أصَّلت لتقديم القياس على الرواية أحيانا، فقد تأثر بالفراء الذي كان ينتقد بعض القراءات وبالزجاج، وبالمبرد والمازنى اللّذيْن عُرِفا بتشددهما في ردّ ما خالف أصول البصريين، وقد نقل النحاس عنهم في مواضع كثيرة(١).

المطلب الثاني: الشعر

يُعَدُّ نقد الرواية الشعرية عند النحاس امتدادًا لمنهجه الصارم في تقديم القياس على السماع إذا كان الأخير مخالفًا للأصول المستقرة لديه، فالشعر عنده وإن كان ديوان العرب ومصدر الاحتجاج إلا أنه يظل مرتبة ثانية بعد القرآن الكريم بقراءاته، ويخضع لمعايير القبول والرد النحوية.

وتتجلى أهم مظاهر الاعتراض النحوي في الرواية الشعرية فيما يأتي:

أ) الطعن في صحة الرواية: إذا جاء البيت الشعري مخالفًا للقاعدة النحوية، فإن النحاس قد يشكِّك في ضبط الرواية، ويفترض أن الرواة قد حرّفوا الكلمة عن أصلها، أَو أن الشاعر قد لحن، ففي مسألة حذف الفاء من جواب الشرط في قول الشاعر(٢):

مـن يفعـل الحسـنات الله يشـكرها .....

يقول النحاس: «وسمعت علي بن سليمان يقول: حدثني محمد بن يزيد قال حدثني المازني قال: سمعت الأصمعي يقول: غيّر النحويون هذا البيت، وإنما الرواية:

(١) ينظر "إعراب القرآن "، ١٩٧/١، ٣٣/٢، ٤٣/٢، ١١١/٢، ١٨٦/٢، ٩٥/٤.

(٢) سبق تخريجه في الفصل الأول، المبحث الثالث.

«من يفعل الخير فالرحمن يشكره[1]». وذلك؛ لأن النحويين يكادون يتفقون على وجوب الفاء في جواب الشرط إذا كان جملة اسمية[2].

ب) الوصف بالضرورة الشعرية: فإن لم يستطع إنكار الرواية الشعرية يصفها بالضرورة، ومن ذلك: في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾[3]، قال النحاس: جُزِم بالشرط؛ فلذلك حذفت الألف منه، ولا يجوز إثباتها إذا كان شرطًا عند البصريين، ويجوز عند الكوفيين وشبهوه بقول الشاعر[4]:

ألم يأتيـــــك والأنبـــــاء تنمـــــي .....

والفرق بين ذا والأول أن الألف لا تتحرك في حال، والواو والياء قد يتحركان، وهذا فرق بَيّن، ولكن الكوفيين خلطوا حروف المد واللين فجعلوا حكمها حكما واحدًا، وتجاوزوا ذلك من ضرورة الشعر إلى أن أجازوه في كتاب الله[5]».

ج – توهين الاحتجاج بالشعر الشاذ: فالنحاس يرفض أن تُبنى قاعدة نحوية على بيت واحد، أو أبيات قليلة تخالف القياس المطِّرد، ويُسمي ذلك شذوذًا لا يُعتد به.

ومن ذلك اعتراضه على الفراء؛ لأنه جَوَّز أن يُنوى الجزم وتثبت الياء في «ولا

(١) " إعراب القرآن "، ٢/١٥٥.

(٢) ينظرسيبويه، "الكتاب "، ٣/٦٥ ؛ ابن مالك، "شرح الكافية الشافية "، ٢/٣٩٤ ؛ ابن هشام، " مغني اللبيب "، ١/٥٣.

(٣) سورة الحشر: ٩.

(٤) سبق تخريجه في الفصل الأول، المبحث الثالث.

(٥) " إعراب القرآن "، ٤/ ٢٦٢.

تخشى» من قوله تعالى: ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[١]، ونقل استشهاد الفراء بقول الشاعر[٢]:

هجـــوت زبّان ثمّ جئـــت معتـــذرًا مـــن هجـــو زبّان لم تهجـــو ولم تـــدع

قال النحاس: «هذا من أقبح الغلط أن يُحمل كتاب الله جَلَّ وعزّ على شذوذ من الشعر... [٣]»

لقد فرض النحاس على الرواية الشعرية نوعًا من الرقابة فقد كان يرفض الاعتداد بالشواهد الشعرية التى تصطدم بالأصول البصرية المطَّردة، كما سبق في النماذج – مُمَحِّصا في توثيقها أو واصفا إياها بالضرورة أو الشذوذ الذي لا يقاس عليه.

لقد رأى النحاس في القياس النحوي سياجًا يحمي فصاحة القرآن من أن تُقَاس عليه سقطات الشعراء أو اضطرار قوافيهم.

(١) سورة طه: (٧٧).

(٢) سبق تخريجه في الفصل الأول، المبحث الثالث.

(٣) " إعراب القرآن، ٣٦/٣.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناول الرواية وقواعدها التوجيهية عند النحاس يمكن استخلاص أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة:

- تبيّن أن الرواية عند النحاس لم تكن مجرد جمع للنصوص بل كانت عملية تخضع لقواعد توجيهية، وقد ظهرت شخصية النحاس العلمية كراوٍ ضابط، وموجهٍ بارع، يرى في القراءات المتواترة حجةً مقدمة على غيرها، وفي الحديث النبوي وسيلة لخدمة الجانب الدلالي، وفي الشعر ديواناً لغوياً يؤيد ما يذهب إليه.
- من أهم قواعد الرواية التوجيهية عند النحاس، قوله: «من سمع حُجَّة على من لم يسمع» وقوله: «إذا صَحَّت الرواية فلا مَطْعن فيها ولا عدول عن اتباعها»، وقوله: «الحمل على ما ثبت في لسان العرب أولى من الحمل على ما لم يثبت».
- من أهم القواعد التوجيهية الضابطة للراوي، الفصاحة؛ فالنحاس لا يستشهد بكلام المولدين وإنما قد يورده استئناسًا، وقوله: «مالا يُعْرف قائله لا تثبت به حُجّة»، فإذا كانت الجهالة في الراوي تُسقط الفصاحة في المروي، فإنّ المجهول لا يؤصِّل قاعدة، والجهل بالراوي عند النحاس يُعدَّ أداةً للرفض.
- من أهم آثار تعدد الرواية عند النحاس من الناحية الإعرابية: استثماره تعدد الروايات؛ لبيان سعة اللغة، وقوة القياس النحوي، والمفاضلة والترجيح بين الروايات.
- من أهم آثار تعدّد الرواية عند النحاس من الناحية الدلاليّة: دورها في إثراء التفسير، والارتباط الوثيق بين المعنى والاعراب.
- من أهم ملامح منهج النحاس في تعامله مع المروايات: «الاعتراض النحوي» وهو يرتكز على القراءات القرآنية والشعر، وأمّا الحديث النبوي الشريف فالملاحظ على النحاس أنه كان يعتمد عليه لخدمة الجانب الدلالي وتفسير الآيات.
- لم يكتف النحاس في كتابه إعراب القرآن بوظيفة «المفسِّر» أو«المعرب» بل

مارس دور «الناقد اللغوي» الذي يمتلك سلطة المعيار، وقد أثار هذا المنهج جدلاً واسعا، خاصة عند اصطدامه بالقراءات القرآنية؛ فقد وصف النحاس بعض القراءات القرآنية، ومنها المتواترة بعبارات قاسية، ومنها: لفظ «بعيد» و«لحن» وغيرها.

- من أهم أسباب نقد النحاس للقراءات القرآنية، صون النص القرآني بالحفاظ على اطِّراد القاعدة النحوية، وليس الغرض الطعن في القراءات القرآنية، وحاشاهم ذلك.
- ومن أسباب نقد النحاس للقراءات القرآنية، تأثّره بمدرسة «إخضاع النص للقياس»، فهذا المسلك لم يسلكَّه النحاس من فراغ، بل كان امتدادًا لمدرسة نحوية «بصرية وكوفية» أصَّلت لتقديم القياس على الرواية أحيانًا.
- تتجلى أهم مظاهر الاعتراض النحوي في الرواية الشعرية عند النحاس في الطعن في صحة الرواية، أو وصفها بالضرورة الشعرية، وتوهين الاحتجاج بالشعر الشاذ.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، "معاني القرآن"، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، (ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١١ هـ).

الأعشى، ميمون قيس، "ديوان الأعشى"، (ط٣، بيروت، دار صادر، ٢٠١٢م).

الأنباري، أبو البركات كمال الدين، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين"، (ط١، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ).

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، "شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار المعارف).

الأندلسي، أبو حيان، "البحر المحيط في التفسير"، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر).

الأندلسي، أبو حيان، "التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل"، تحقيق: د. حسن هنداوي، (ط١، دار كنوز إشبيليا).

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، "منجد المقرئين ومرشد الطالبين"، (ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ).

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، "النشر في القراءات العشر"، (بيروت، دار الكتب العلمية).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "الخصائص"، (ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "سر صناعة الإعراب"، تحقيق: حسن هنداوي، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٥ م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات"، تحقيق: علي النجدي وآخرين، (القاهرة، ١٣٨٦ هـ).

ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان، "أمالي بن الحاجب"، تحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، (بيروت، دار الجيل، ١٤٠٩ هـ).

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، "مختصر في شواذ القرآن"، تحقيق: ج. برجستراسر، (دار الوراق).

ابن خلكان، أحمد البرمكي الإربلي، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر).

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السهل، "الأصول في النحو"، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، (ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة).

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، "إصلاح المنطق"، تحقيق: محمد مرعب، (ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣ هـ).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك "،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ط٢٠ ،القاهرة، دار التراث – دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م)

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، "المساعد على تسهيل الفوائد"، تحقيق: محمد بركات، (دمشق، ١٩٨٠ م).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، "الشعر والشعراء"، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣ هـ).

ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، "شرح التسهيل"، تحقيق: عبد الرحمن السيد، (القاهرة، ١٩٧٤ م).

ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، "شرح تسهيل الفوائد"، تحقيق: د. عبد

الرحمن السيد ود. محمد المختون، (ط١، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، "شرح الكافية الشافية"، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، (ط١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م).

ابن مجاهد، أحمد بن موسى البغدادي، "السبعة في القراءات"، تحقيق: شوقي ضيف، (ط٢، مصر، دار المعارف، ١٤٠٠هـ).

ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ).

ابن هشام، جمال الدين عبد الله، "أوضح المسالك على ألفية ابن مالك"، تحقيق: بركات يوسف هبود، (ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ).

ابن هشام، جمال الدين عبد الله، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، (ط٦، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥م).

ابن يعيش، يعيش بن علي، "شرح المفصل"، تقديم: د. إميل بديع يعقوب، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ).

البناء (الدمياطي)، أحمد بن محمد بن عبد الغني، "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر"، تحقيق: أنس مهرة، (ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م).

جميل بثينة، جميل بن عبد الله العذري، "ديوان جميل بثينة"، (بيروت، دار صادر).

حسان، د. تمام حسان، "الأصول، دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢ م).

الخنساء ، تماضر بنت عمرو ، " ديوان الخنساء " شرحه: أبو العباس ثعلب ، تحقيق: د. أنور أبو سويلم ، (ط١ ، دار عمار ، الأردن).

الداني، أبو عمرو، "التيسير في القراءات السبع"، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م).

الزبيدي، أبو بكر، "طبقات النحويين واللغويين"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، ١٩٨٤ م).

الزجاج، أبو إسحاق، "معاني القرآن وإعرابه"، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ).

الزمخشري، محمود بن عمر، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، (ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ).

السجستاني، أبو داود، "سنن أبي داود"، (القاهرة، الريان، ١٩٨٧ م).

السيرافي، أبو محمد يوسف، "شرح أبيات سيبويه"، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، (ط١، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩٤هـ).

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (دمشق، دار القلم).

سيبويه، عمرو بن عثمان، "الكتاب"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

السيوطي، جلال الدين، "الإتقان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م).

السيوطي، جلال الدين، "الاقتراح في أصول النحو وجدله"، تحقيق: د. محمود فجال، (ط١، دمشق، دار القلم، ١٤٠٩ هـ).

السيوطي، جلال الدين، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (صيدا، المكتبة العصرية).

السيوطي، جلال الدين، "شرح شواهد المغني"، (بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٧٤ م).

السيوطي، جلال الدين، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، تحقيق: فؤاد علي منصور، (بيروت، دار الكتب العلمية).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية" تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، (الطبعة الأولى، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى).

الشلوبين، أبو علي عمر، "شرح المقدمة الجزولية الكبير"، تحقيق: د. تركي العتيبي، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٩٩٣ م).

الشيباني (أحمد بن حنبل)، الإمام أحمد، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣ م).

أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، "إبراز المعاني من حرز الأماني"، تحقيق: إبراهيم عطوة، (القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٨١م).

العكبري، أبو البقاء، "التبيان في إعراب القرآن"، تحقيق: علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي وشركاه).

الفارسي، أبو علي، "الحجة للقراء السبعة"، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، (ط٢، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤١٣ هـ).

الفارسي، أبو علي، "المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات"، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، (بغداد، مطبعة العاني).

الفراء، يحيى بن زياد، "معاني القرآن"، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، (ط١، مصر، دار المصرية).

الفرزدق، همام بن غالب التميمي، "ديوان الفرزدق"، تحقيق: علي فاعور، (دار الكتب العلمية).

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، "البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة"، (ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٠٦ هـ).
القيسي، مكي بن أبي طالب، "مشكل إعراب القرآن"، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، (ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).
كعب بن مالك، كعب بن مالك الأنصاري، "ديوان كعب بن مالك الأنصاري"، (ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٧٩ م).
المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، "المقتضب"، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، (بيروت، عالم الكتب).
محيسن، محمد محمد سالم، "معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ"، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط١، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٤١٢ هـ).
معمر بن المثنى (أبو عبيدة)، أبو عبيدة، "مجاز القرآن"، تحقيق: د. محمد فؤاد سركيس، (بيروت، ١٩٨١م).
ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، (ط١، القاهرة، دار السلام، ١٤٢٨هـ).
النَّحَّاس، أبو جعفر، "إعراب القرآن"، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ).
الهمذاني، المنتجب، "الفريد في إعراب القرآن المجيد"، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، (ط١، المدينة المنورة، دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٧ هـ).
الهذليون، الشعراء الهذليون، "ديوان الهذليين"، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، (القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م).

Bibliography

al-Qur'ān al-Karīm

al-Akhfash al-Awsaṭ, Sa'īd ibn Mas'adah, "Ma'ānī al-Qur'ān", Edited by: Dr. Hudā Maḥmūd Qurā'ah, (1st ed., Cairo, Maktabat al-Khānjī, 1411 AH).

al-A'shā, Maymūn Qays, "Dīwān al-A'shā", (3rd ed., Beirut, Dār Ṣādir, 2012 AD).

al-Anbārī, Abū al-Barakāt Kamāl al-Dīn, "al-Inṣāf fī Masā'il al-Khilāf bayna al-Naḥwiyyīn: al-Baṣriyyīn wa-al-Kūfiyyīn", (1st ed., al-Maktabah al-'Aṣriyyah, 1424 AH).

al-Anbārī, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Qāsim ibn Bashshār, "Sharḥ al-Qaṣā'id al-Sab' al-Ṭiwāl al-Jāhiliyyāt", Edited by: 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, (Dār al-Ma'ārif).

al-Andalusī, Abū Ḥayyān, "al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr", Edited by: Ṣidqī Muḥammad Jamīl, (Beirut, Dār al-Fikr).

al-Andalusī, Abū Ḥayyān, "al-Tadhyīl wa-al-Takmīl fī Sharḥ Kitāb al-Tashīl", Edited by: Dr. Ḥasan Hindāwī, (1st ed., Dār Kunūz Ishbīliyā).

Ibn al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Yūsuf, "Munjid al-Muqri'īn wa-Murshid al-Ṭālibīn", (1st ed., Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1420 AH).

Ibn al-Jazarī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Yūsuf, "al-Nashr fī al-Qirā'āt al-'Ashr", (Beirut, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ 'Uthmān, "al-Khaṣā'iṣ", (4th ed., al-Hay'ah al-Miṣriyyah al-'Āmmah lil-Kitāb).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ 'Uthmān, "Sirr Ṣinā'at al-I'rāb", Edited by: Ḥasan Hindāwī, (Damascus, Dār al-Qalam, 1985 AD).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ 'Uthmān, "al-Muḥtasib fī Tabyīn Wujūh Shawādhdh al-Qirā'āt", Edited by: 'Alī al-Najdī et al., (Cairo, 1386 AH).

Ibn al-Ḥājib, Abū 'Amr 'Uthmān, "Amālī Ibn al-Ḥājib", Edited by: Dr. Fakhr Ṣāliḥ Sulaymān Qudārah, (Beirut, Dār al-Jīl, 1409 AH).

Ibn Khālawayh, al-Ḥusayn ibn Aḥmad, "Mukhtaṣar fī Shawādhdh al-Qur'ān", Edited by: G. Bergsträsser, (Dār al-Warrāq).

Ibn Khallikān, Aḥmad al-Barmakī al-Irbilī, "Wafayāt al-A'yān wa-Anbā' Abnā' al-Zamān", Edited by: Iḥsān 'Abbās, (Beirut, Dār Ṣādir).

Ibn Durayd, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ḥasan al-Azdī, "Jamharat al-Lughah", Edited by: Ramzī Munīr Ba'labakkī, (1st ed., Beirut, Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, 1987 AD).

Ibn al-Sarrāj, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Sahl, "al-Uṣūl fī al-Naḥw", Edited by: Dr. ʻAbd al-Ḥusayn al-Fatlī, (3rd ed., Beirut, Mu'assasat al-Risālah).

Ibn al-Sikkīt, Abū Yūsuf Yaʻqūb ibn Isḥāq, "Iṣlāḥ al-Manṭiq", Edited by: Muḥammad Murʻib, (1st ed., Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 1423 AH).

Ibn ʻAqīl, ʻAbd Allāh ibn ʻAbd al-Raḥmān, "Sharḥ Ibn ʻAqīl ʻalā Alfiyyat Ibn Mālik", Edited by: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʻAbd al-Ḥamīd, (20th ed., Cairo, Dār al-Turāth - Dār Miṣr lil-Ṭibāʻah, Saʻīd Jawdah al-Saḥḥār wa-Shurakā'uh, 1400 AH - 1980 AD).

Ibn ʻAqīl, ʻAbd Allāh ibn ʻAbd al-Raḥmān, "al-Musāʻid ʻalā Tashīl al-Fawā'id", Edited by: Muḥammad Barakāt, (Damascus, 1980 AD).

Ibn Qutaybah, Abū Muḥammad ʻAbd Allāh ibn Muslim al-Dīnawarī, "al-Shiʻr wa-al-Shuʻarā'", (Cairo, Dār al-Ḥadīth, 1423 AH).

Ibn Mālik, Jamāl al-Dīn Muḥammad ibn ʻAbd Allāh, "Sharḥ al-Tashīl", Edited by: ʻAbd al-Raḥmān al-Sayyid, (Cairo, 1974 AD).

Ibn Mālik, Jamāl al-Dīn Muḥammad ibn ʻAbd Allāh, "Sharḥ Tashīl al-Fawā'id", Edited by: Dr. ʻAbd al-Raḥmān al-Sayyid and Dr. Muḥammad al-Makhtūn, (1st ed., Hijr lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr, 1410 AH - 1990 AD).

Ibn Mālik, Jamāl al-Dīn Muḥammad ibn ʻAbd Allāh, "Sharḥ al-Kāfiyah al-Shāfiyah", Edited by: ʻAbd al-Munʻim Aḥmad Harīdī, (1st ed., Makkah al-Mukarramah, Jāmiʻat Umm al-Qurā, 1402 AH - 1982 AD).

Ibn Mujāhid, Aḥmad ibn Mūsā al-Baghdādī, "al-Sabʻah fī al-Qirā'āt", Edited by: Shawqī Ḍayf, (2nd ed., Egypt, Dār al-Maʻārif, 1400 AH).

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, "Lisān al-ʻArab", (3rd ed., Beirut, Dār Ṣādir, 1414 AH).

Ibn Hishām, Jamāl al-Dīn ʻAbd Allāh, "Awdāḥ al-Masālik ʻalā Alfiyyat Ibn Mālik", Edited by: Barakāt Yūsuf Habbūd, (1st ed., Beirut, Dār al-Fikr, 1420 AH).

Ibn Hishām, Jamāl al-Dīn ʻAbd Allāh, "Mughnī al-Labīb ʻan Kutub al-Aʻārīb", Edited by: Dr. Māzin al-Mubārak and Muḥammad ʻAlī Ḥamad Allāh, (6th ed., Damascus, Dār al-Fikr, 1985 AD).

Ibn Yaʻīsh, Yaʻīsh ibn ʻAlī, "Sharḥ al-Mufaṣṣal", Introduced by: Dr. Emīl Badīʻ Yaʻqūb, (1st ed., Beirut, Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah, 1422 AH).

al-Bannā (al-Dimyāṭī), Aḥmad ibn Muḥammad ibn ʻAbd al-Ghanī, "Itḥāf Fuḍalā' al-Bashar fī al-Qirā'āt al-Arbaʻah ʻAshar", Edited

by: Anas Mahrah, (3rd ed., Beirut, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2006 AD).

Jamīl Buthaynah, Jamīl ibn 'Abd Allāh al-'Udhrī, "Dīwān Jamīl Buthaynah", (Beirut, Dār Ṣādir).

Ḥassān, Dr. Tammām Ḥassān, "al-Uṣūl, Dirāsah Epistemولوجية (Epistemological) lil-Fikr al-Lughawī 'inda al-'Arab", (Cairo, al-Hay'ah al-Miṣriyyah al-'Āmmah lil-Kitāb, 1982 AD).

al-Khansā', Tumāḍir bint 'Amr, "Dīwān al-Khansā'", Explained by: Abū al-'Abbās Tha'lab, Edited by: Dr. Anwar Abū Suwaylim, (1st ed., Dār 'Ammār, Jordan).

al-Dānī, Abū 'Amr, "al-Taysīr fī al-Qirā'āt al-Sab'", (Beirut, Dār al-Kitāb al-'Arabī, 1984 AD).

al-Zubaydī, Abū Bakr, "Ṭabaqāt al-Naḥwiyyīn wa-al-Lughawiyyīn", Edited by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (Dār al-Ma'ārif, 1984 AD).

al-Zajjāj, Abū Isḥāq, "Ma'ānī al-Qur'ān wa-I'rābuh", Edited by: 'Abd al-Jalīl 'Abduh Shalabī, (1st ed., Beirut, 'Ālam al-Kutub, 1408 AH).

al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn 'Umar, "al-Kashshāf 'an Ḥaqā'iq Ghawāmiḍ al-Tanzīl", (3rd ed., Beirut, Dār al-Kitāb al-'Arabī, 1407 AH).

al-Sijistānī, Abū Dāwūd, "Sunan Abī Dāwūd", (Cairo, al-Rayyān, 1987 AD).

al-Sīrāfī, Abū Muḥammad Yūsuf, "Sharḥ Abyāt Sībawayh", Edited by: Muḥammad 'Alī al-Rīḥ Hāshim, (1st ed., Cairo, Dār al-Fikr, 1394 AH).

al-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf, "al-Durr al-Maṣūn fī 'Ulūm al-Kitāb al-Maknūn", Edited by: Dr. Aḥmad Muḥammad al-Kharrāṭ, (Damascus, Dār al-Qalam).

Sībawayh, 'Amr ibn 'Uthmān, "al-Kitāb", Edited by: 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, (3rd ed., Cairo, Maktabat al-Khānjī, 1408 AH - 1988 AD).

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, "al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān", Edited by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (al-Hay'ah al-Miṣriyyah al-'Āmmah lil-Kitāb, 1394 AH / 1974 AD).

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, "al-Iqtirāḥ fī Uṣūl al-Naḥw wa-Jadalih", Edited by: Dr. Maḥmūd Fajjāl, (1st ed., Damascus, Dār al-Qalam, 1409 AH).

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, "Bughyat al-Wu'āh fī Ṭabaqāt al-Lughawiyyīn wa-al-Nuḥāh", Edited by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm,

(Sidon, al-Maktabah al-‘Aṣriyyah).
al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, “Sharḥ Shawāhid al-Mughnī”, (Beirut, Maktabat al-Ḥayāh, 1974 AD).
al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, “al-Muzhir fī ‘Ulūm al-Lughah wa-Anwā‘ihā”, Edited by: Fu’ād ‘Alī Manṣūr, (Beirut, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah).
al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsā, “al-Maqāṣid al-Shāfiyah fī Sharḥ al-Khulāṣah al-Kāfiyah”, Edited by: Dr. Muḥammad Ibrāhīm al-Bannā, (1st ed., Makkah al-Mukarramah, Ma‘had al-Buḥūth al-‘Ilmiyyah wa-Iḥyā’ al-Turāth al-Islāmī bi-Jāmi‘at Umm al-Qurā).
al-Shalūbīn, Abū ‘Alī ‘Umar, “Sharḥ al-Muqaddimah al-Juzūliyyah al-Kabīr”, Edited by: Dr. Turkī al-‘Utaybī, (Riyadh, Maktabat al-Rushd, 1993 AD).
al-Shaybānī (Aḥmad ibn Ḥanbal), al-Imām Aḥmad, “Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal”, (Beirut, al-Maktab al-Islāmī, 1983 AD).
Abū Shāmah, ‘Abd al-Raḥmān ibn Ismā‘īl, “Ibrāz al-Ma‘ānī min Ḥirz al-Amānī”, Edited by: Ibrāhīm ‘Atwah, (Cairo, ‘Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakā’uh, 1981 AD).
al-‘Akbarī, Abū al-Baqā’, “al-Tibyān fī I‘rāb al-Qur’ān”, Edited by: ‘Alī Muḥammad al-Bijāwī, (‘Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakā’uh).
al-Fārisī, Abū ‘Alī, “al-Ḥujjah lil-Qurrā’ al-Sab‘ah”, Edited by: Badr al-Dīn Qahwajī and Bashīr Jwayjābī, (2nd ed., Damascus, Dār al-Ma’mūn lil-Turāth, 1413 AH).
al-Fārisī, Abū ‘Alī, “al-Masā’il al-Mushkilah al-Ma‘rūfah bi-al-Baghdādiyyāt”, Edited by: Ṣalāḥ al-Dīn ‘Abd Allāh al-Sankāwī, (Baghdad, Maṭba‘at al-‘Ānī).
al-Farrā’, Yaḥyā ibn Ziyād, “Ma‘ānī al-Qur’ān”, Edited by: Aḥmad Yūsuf al-Najātī et al., (1st ed., Egypt, Dār al-Miṣriyyah).
al-Farazdaq, Hammām ibn Ghālib al-Tamīmī, “Dīwān al-Farazdaq”, Edited by: ‘Alī Fā‘ūr, (Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah).
al-Fayrūzābādī, Majd al-Dīn Abū Ṭāhir, “al-Bulghah fī Tarājim A’immat al-Naḥw wa-al-Lughah”, (1st ed., Dār Sa‘d al-Dīn lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, 1421 AH - 2000 AD).
al-Qiftī, Jamāl al-Dīn Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Yūsuf, “Inbāh al-Ruwāh ‘alā Anbāh al-Nuḥāh”, Edited by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (1st ed., Cairo, Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1406 AH).
al-Qaysī, Makkī ibn Abī Ṭālib, “Mushkil I‘rāb al-Qur’ān”, Edited by: Dr. Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin, (2nd ed., Beirut, Mu’assasat al-

Risālah, 1405 AH).
Ka‘b ibn Mālik, Ka‘b ibn Mālik al-Anṣārī, “Dīwān Ka‘b ibn Mālik al-Anṣārī”, (1st ed., Beirut, Dār Ṣādir, 1979 AD).
al-Mubarrad, Abū al-‘Abbās Muḥammad ibn Yazīd, “al-Muqtaḍab”, Edited by: Muḥammad ‘Abd al-Khāliq ‘Uḍaymah, (Beirut, ‘Ālam al-Kutub).
Muḥaysin, Muḥammad Muḥammad Sālim, “Mu‘jam Ḥuffāẓ al-Qur’ān ‘abra al-Tārīkh”, (1st ed., Beirut, Dār al-Jīl, 1412 AH - 1992 AD).
Muslim, al-Imām Muslim ibn al-Ḥajjāj, “Ṣaḥīḥ Muslim”, Edited by: Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, (1st ed., Cairo, ‘Īsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakā’uh, 1412 AH).
Ma‘mar ibn al-Muthannā (Abū ‘Ubaydah), Abū ‘Ubaydah, “Majāz al-Qur’ān”, Edited by: Dr. Muḥammad Fu’ād Sarkīs, (Beirut, 1981 AD).
Nāẓir al-Jaysh, Muḥammad ibn Yūsuf ibn Aḥmad, “Tamhīd al-Qawā‘id bi-Sharḥ Tashīl al-Fawā’id”, Edited by: Prof. Dr. ‘Alī Muḥammad Fākhir et al., (1st ed., Cairo, Dār al-Salām, 1428 AH).
al-Naḥḥās, Abū Ja‘far, “I‘rāb al-Qur’ān”, Edited by: ‘Abd al-Mun‘im Khalil Ibrāhīm, (1st ed., Beirut, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1421 AH).
al-Hamadhānī, al-Muntajab, “al-Farīd fī I‘rāb al-Qur’ān al-Majīd”, Edited by: Muḥammad Niẓām al-Dīn al-Futayyiḥ, (1st ed., Medina, Dār al-Zamān lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 1427 AH).
al-Hudhalīyūn, al-Shu‘arā’ al-Hudhalīyūn, “Dīwān al-Hudhalīyīn”, Arranged and Annotated by: Muḥammad Maḥmūd al-Shanqīṭī, (Cairo, al-Dār al-Qawmiyyah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, 1385 AH - 1965 AD).

عامل النصب في الظرف المستقَرِّ الواقعِ خبرًا عند سيبويه (دراسة وصفيَّة تحليليَّة)

The Operative Factor of the Stable Adverb Occurring as a Predicate According to Sibawayh (Descriptive analytical study)

د. موسى بن ناصر الموسى

دكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها، التّخصّص الدّقيق: النحو والصرف

جامعة المجمعة – كلية التربية بالمجمعة

البريد الإلكتروني: showwalah@hotmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
04/01/2026		25/02/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-003		

ملخص البحث

يعنى البحث بتحرير رأي سيبويه في عامل النصب في الظرف المستقر الواقع خبرًا، وإنما احتاج ذلك إلى تحرير؛ لأنَّ عباراته التي تناول فيها المسألة تحتمل أن يكون مراده أنَّ العامل في الظرف المبتدأ، وتحتمل أن يكون مراده متعلَّق الظرف المحذوف، وتحتمل أن يكون مراده النصب بالخلاف، وهو ما أدَّى إلى انقسام النحويين حول رأيه، فمنهم من نسب إليه القول بأنَّ العامل المبتدأ، ومنهم من نسب إليه أنَّ العامل المتعلَّق المحذوف، ومنهم من نسب إليه القول بأنَّ الناصب الخلاف.

وقد تتبَّع الباحث عبارات سيبويه التي تطرَّق فيها إلى عامل الظرف، وتناولها بالفحص والتحليل، مستهدفًا الوصول إلى التوجيه الأقرب لدلالة عباراته وفق ما ينتظم من مذهبه في مسائل النحو عامَّة، وما يتفق مع منهجه في التحليل النحوي، ويتسق مع دلالة ألفاظه ومصطلحاته في المواضع المتنازع عليها، وفي الكتاب عامَّة.

وقد ترجَّح لدى الباحث أن سيبويه يرى أنَّ العامل في الظرف المستقر هو المبتدأ.

الكلمات المفتاحية: عامل، لغو، استقرار، متعلَّق، مبتدأ.

Abstract

This research focuses on determining Sibawayh's opinion regarding the accusative operative factor (*'Amil*) in the stable adverb (*al-Zarf al-Mustaqarr*) when it occurs as a predicate. This clarification is necessary because Sibawayh's statements addressing this issue allow for multiple interpretations: he may have meant that the governor of the adverb is the subject (*Mubtada'*), or the deleted related factor (*Mutallaq*), or that the accusative case is due to dissimilarity (*al-Khilaf*). This ambiguity led to a division among grammarians regarding his view; some attributed to him the opinion that the governor is the subject, while others attributed to him that it is the deleted related factor.

The researcher traced Sibawayh's statements regarding the adverb's governor, subjecting them to examination and analysis. The aim was to reach the interpretation closest to the implications of his phrases, consistent with his general doctrine in grammatical issues, agreeing with his methodology of grammatical analysis, and aligning with the semantics of his terminology in the disputed passages and in *Al-Kitab* in general.

Ultimately, the researcher concluded that it is most probable that Sibawayh holds the view that the operative factor in the stable adverb is the subject (*Mubtada'*).

Keywords: Laghw (Non-settled Adverb) - Stability (*Istiqrar*) - Related Factor (*Mutallaq*) - Subject (*Mubtada'*) - Predicate (*Khabar*)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فلم يتفق النحويون قديمًا وحديثًا على أحدٍ كما اتفقوا على سيبويه، فهو إمام النحويين بلا منازع، وكتابه هو مصدر التشريع النحوي عبر العصور، فمنه استقى النحويون قواعدهم، وعلى خطاه ساروا في تنظيراتهم واستدلالاتهم النحوية، وعلى عباراته اعتمدوا في تقرير آرائهم وتعضيدها.

ونظرًا لأنَّ بعض عبارات الكتاب يشوبها الإبهام والغموض إلى درجة يصعب معها الوصول إلى دلالة قاطعةٍ يمكن معها الجزم بمراد سيبويه تعددت تأويلات النحويين لتلك العبارات، وانقسمت آراؤهم تبعًا لتلك التأويلات، ولم يكن يعني الكثير منهم في ذلك إزالة اللبس وكشف الغموض عن عبارات الكتاب بقدر ما كان يعنيهم إضفاء المشروعية لآرائهم، وتقويتها بموافقتها كلام سيبويه.

ومسألة العامل في الظرف المستقر الواقع خبرًا من المسائل التي شاب الغموض عبارات سيبويه فيها، وتعددت فيها الاحتمالات لمراده، وبرز فيها إشكال الفهم والتأويل عند النحويين، فمنهم من رأى أنَّ مراده ينصرف إلى القول بأنَّ العامل هو المبتدأ، ومنهم من صرفَه إلى القول بأن العامل فعل الاستقرار أو اسم الفاعل المقدَّر في الخبر.

من هنا تسعى هذه الدراسة إلى كشف الغموض عن عبارات سيبويه التي تطرَّق فيها إلى عامل الظرف المستقر، والموازنة بين محتملات كلامه وفق ما ينتظم مع مذهبه في مجمل الكتاب، في محاولة للوصول إلى ما يترجح أنه رأيه في هذه المسألة.

وقد ترَّجح لدى الباحث بعد دراسة نصوص الكتاب وتحليلها والموازنة بين الأقوال أنَّ سيبويه يرى أنَّ العامل في الظرف هو المبتدأ.

والله أسأل التوفيق والإعانة.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في الآتي:

١-أنَّه يهدف إلى تحرير رأي إمام النحاة والمنظِّر الأكبر للأحكام النحوية في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا.

٢- كون موضوع الدراسة من المسائل النحوية الشائكةٌ التي احتدم فيها الجدل بين عددٍ من النحويين المتقدمين والمتأخرين، ولا شكَّ في أنَّ الوقوف على ما يغلب على الظنِّ أنه رأي سيبويه سوف يسهم في حسم هذا الجدل المحتدم.

٣- اعتماد أطراف النزاع في إصدار أحكامهم بنسبة الآراء إلى سيبويه على عباراته في الكتاب، وهو ما يستدعي إعادة النظر في تلك العبارات، والتحقق من دلالاتها الراجحة

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم وجود نصٍّ قاطع وصريح يجلي رأي سيبويه في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا؛ إذ جاءت عباراته التي تناول فيها المسألة في مواضع متفرقة من الكتاب حمَّالةً لأوجه مختلفة، وهو ما أدَّى إلى انقسام النحويين حول تفسير مراده في تلك المواضع، ومن ثمَّ ترتَّبَ على ذلك تعدُّد آرائهم في تحديد عامل الظرف تبعًا لذلك الفهم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١- جمع آراء النحويين في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا.

٢- الوقوف على نصوص سيبويه التي اعتمد عليها النحويون في نسبة الرأي إليه.

٣- تحليل عبارات سيبويه في المواضع التي تناول فيها المسألة، في محاولة للوصول إلى ما يترجَّح أنَّه مراده.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال تتبع المواضع التي تكلم فيها سيبويه عن عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا، وتحليلها، وإيراد تفسيرات النحويين وتوجيهاتهم، وتقويمها، والموازنة بينها، وصولًا إلى ما يترجح أنه رأي سيبويه في المسألة.

واعتمد الباحث في توثيق نصوص النحويين على كتبهم، فإن لم يقف عليها فيها وثَّقها من كتب النحويين الأقرب إليهم زمنًا، وإن تعذَّر ذلك وثَّقها من كتب المتأخرين.

وأمَّا منهج الباحث في النقل فيعتمد على موضع الاستدلال بالنصوص من جهة، وأهميتها من جهة أخرى، ويترتب على ذلك تحديد طريقة النقل، فأحيانًا يكون النقل بالنصِّ إذا كان الاستدلال منوطًا به، كما في نصوص سيبويه، وأحيانًا يكون بالمعنى، وأحيانًا يكتفي الباحث بالإشارة إلى النقل في الهامش.

كما اعتنى الباحث بالضبط بالشكل لما يحتاج إلى ضبط، وما يحسن فيه

الضبط، وأمَّا التعريف بالأعلام فلم ير له حاجةً؛ لكون الأعلام المذكورة في البحث من علماء النحو المعروفين عند المتخصصين في مجال النحو.

خطَّة البحث:

قسم الباحث الدراسة إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة بأهم النتائج والتوصيات، وثبت بمصادر ومراجع البحث.

التمهيد: الظرف المستقر في الدرس النحوي، ويشمل:

المطلب الأول: مفهوم الظرف المستقر في التراث النحوي، ومواضعه من الكلام.

المطلب الثاني: آراء النحويين في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا.

المبحث الأول: اختلاف النحويين في تفسير كلام سيبويه في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا.

المبحث الثاني: الترجيح بين أقوال مفسري كلام سيبويه؛ لبيان مذهبه.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على دراسة حاولت الكشف عن مذهب سيبويه في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا من خلال نصوصه في الكتاب، وغاية ما وقف عليه دراسات تناولت العامل في الظرف المستقر والخلاف حوله، وبعضها أشار إلى رأي سيبويه اعتمادًا على ما نسبه إليه النحويون، ومن أهم هذه الدراسات:

(أ): دراسة بعنوان: (الجملة الاسميَّة عند النحويين العرب حتى نهاية القرن الثامن

الهجري، دراسة تحليلية وصفية) للباحث رشيد محمد حسن الزهوي[١]، وفيها خصَّص الباحث الفصل الأول للحديث عن الجملة الاسميَّة المثبتة، وتناول في المبحث الثالث منه أنواع خبر المبتدأ، وفيه تحدَّث عن الخبر شبه الجملة، وتطرَّق إلى الخلاف في عامل الرفع والنصب في الخبر، ناسبًا إلى سيبويه أنَّه يرى أن العامل في الظرف هو المبتدأ، دون أن يحرِّر رأيه، ويكشف عما تحتمله عباراته في المواضع التي تطرَّق فيها إلى عامل الظرف المستقر.

(ب): دراسة بعنوان (ناصب الظرف الواقع خبرًا)، للدكتور محمد حسين علي[٢]، تناول فيها الباحث خلاف النحويين في عامل النصب في الظرف الواقع خبرًا، وما له من أثرٍ في تهميش المعنى بسبب انصباب اهتمام النحويين على العامل اللفظي، دون أن يحرِّر رأي سيبويه، ويشير إلى محتملات عباراته التي تناول فيها عامل الظرف المستقر.

(١) رسالة ماجستير تقدَّم بها الطالب إلى كلية التربية، جامعة عدن، بإشراف الدكتور أحمد عوض باحمبص، ٢٠٠٧م.

(٢) بحث منشور في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، بالجامعة الإسلامية بالنجف، المجلد (١)، ع٧٠، سبتمبر ٢٠٢٣م.

تمهيد: الظرف المستقر في الدرس النحوي

المطلب الأول: مفهوم الظرف المستقر في التراث النحوي، ومواضعه في الكلام:

الظرف المستقَر هو الذي لا يمكن الاستغناء عنه، كقولك: (زيدٌ في الدار)، و(جاء الذي في الدار)، فإنَّ الكلام لا يتم إلا بذكر (في الدار)، ويقابله الظرف اللغو، وهو الذي يستقيم الكلام دونه، نحو (زيدٌ جالسٌ في الدار)؛ إذ لو قلنا (زيدٌ جالسٌ) لاستقام الكلام دون ذكر الظرف.

هذا على المستوى الصناعي، وأما على المستوى الدلالي فإنَّ الفرق بين الظرف المستقر واللغو يظهر من دلالة الأمثلة السابقة، فالظرف في قولنا: (زيدٌ في الدار) لا يفيد شيئًا أكثر من الدلالة على وجود زيدٍ في الدار وجودًا مطلقًا من غير زيادة معنىً آخر على هذا الوجود، كالجلوس أو النوم، فيما الظرف في قولنا: (زيد جالسٌ في الدار) يفيد معنًى إضافيًّا آخر غير الوجود المجرَّد، وهو الجلوس، وكذلك الحال لو قلنا: (زيدٌ نائمٌ في الدار)، ونحو ذلك.

وسمِّي مستقرًّا لأنه موضع للاستقرار، فإذا قيل: (زيدٌ في الدار) فإنَّ (في الدار) موضعٌ لاستقرار زيد(١).

والتعبير عن الظرف الذي لا يستغنى عنه بالمستقر وعن الظرف الذي يستغنى عنه باللغو هو اصطلاح سيبويه ومتقدمي النحاة، يقول سيبويه:

(١) الحسن بن عبد الله السيرافي، "شرح كتاب سيبويه". تحقيق الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف، (ط١، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميَّة، ٢٠٠٩م)، ٣: ١١، وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "الأشباه والنظائر". تحقيق عبد العال سالم مكرم، (ط١، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٨٧م)، ١: ٥١٠.

«وتقول: (ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك) و(ما كان أحدٌ مثلُك فيها) و(ليس أحدٌ فيها خيرٌ منك) إذا جعلتَ (فيها) مستقرًّا، ولم تجعله على قولك: (فيها زيدٌ قائمٌ)»[(١)]، ويقول: «وذلك قولك: (فيها عبد الله قائمًا) و(عبد الله فيها قائمًا)... وإن شئت ألغيت (فيها) فقلت: (فيها عبد الله قائم)»[(٢)]، ويقول: «وتقول: (إنَّ فيها زيدًا قائمًا)، وإن شئت رفعتَ على إلغاء (فيها)، وإن شئت قلتَ: (إنَّ زيدًا فيها قائمًا، وقائمٌ)، وتفسير نصبِ (القائم) ههنا ورفعِه كتفسيره في الابتداء»[(٣)]، ويقول المبرد: «تقول: (ما القومُ فيها إلَّا زيدٌ)؛ لأنَّ (فيها) مستقَرٌّ)»[(٤)].

وشاع في كتب النحويين المتأخرين التعبير عن الظرف المستقر بـ(الكون العام) أو (الكون المطلق)، وعن الظرف اللغو بـ(الكون الخاص)، أو (الكون المقيد)، ومن أمثلة ذلك قول ابن يعيش: «إذ المراد استقرارٌ مطلق، لا استقرار خاص»[(٥)]، وقول ابن مالك: «ويغني عن الخبر باطِّرادٍ ظرفٌ، أو حرفُ جرٍّ تامٌّ معمولٌ في الأجود لاسمِ فاعلِ كونٍ مطلقٍ»[(٦)]، وقول ناظر الجيش: «لأنَّ الكون

(١) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٥٥.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٨٨-٨٩.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٣٢.

(٤) المبرد، "المقتضب"، ٤: ٤٠٦. وينظر أيضًا: ابن السراج، "الأصول"، ١: ٨٥.

(٥) يعيش بن علي بن يعيش، "شرح المفصل"، (إدارة الطباعة المنيرية، دون رقم طبعة أو تأريخ)، ١: ٩٠.

(٦) محمد بن عبد الله بن مالك، "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق محمد كامل بركات، (ط١، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٧٦م)، ٤٩.

فيه كونٌ مقيَّدٌ، وأمَّا إذا كان الكون عامًّا»[١].

وعند الموازنة بين اصطلاح النحويين المتقدمين واصطلاح المتأخرين نجد المتقدمين يميزون بين نوعي الظرف بالنظر إلى الدور النحوي الذي يؤديه كلٌّ منهما داخل التركيب، فالظرف المستقر هو الذي لا يستغنى عنه؛ لكونه يمثِّل أحد أركان الجملة، والظرف اللغو هو الذي يأتي بعد اكتمال أركان الجملة، ولذلك يمكن الاستغناء عنه، ممَّا يعني أنَّهم راعوا في اصطلاحهم الجانب الصناعي، وأمَّا المتأخرون فانصبَّ اهتمامهم على الجانب الدلالي، ولذلك أطلقوا صفة الكون العام أو المطلق على الظرف الذي يدل على الوجود المجرد، وصفة الكون الخاص أو المقيَّد على الظرف الذي يدل على معنًى زائد عن مجرَّد الوجود.

وللظرف المستقر أربعة مواضع[٢]: الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[٣]، والتقدير: مستقرٌّ من ربِّك، أو: استقرَّ، والصفة، نحو قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[٤]، والتقدير: استقرَّ من السماء، أو: مستقرٍّ،

(١) محمد بن يوسف، المعروف بناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد". تحقيق الدكتور علي محمد فاخر وآخرين، (ط١، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م).

(٢) محمد بن الحسن الأستراباذي، "شرح الرضي على الكافية". تحقيق يوسف حسن عمر، (ط٢، بنغازي: منشورات جامعة قاز يونس، ١٩٩٦م)، ١: ٢٤٤؛ وعبد الله بن يوسف بن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، (ط١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة، ٢٠٠١م)، ٥: ٣٢٦-٣٣٣.

(٣) البقرة ١٤٧.

(٤) البقرة ١٩.

والحال، نحو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾[1]، والتقدير: كائنًا أو مستقِرًّا في زينته، والصلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾[2]، والتقدير: كان عنده، أو استقرَّ.

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ التعبير بالظرف يشمل في اصطلاح النحويين الجار والمجرور أيضًا[3].

المطلب الثاني: آراء النحويين في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا:

اختلف النحويون في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا على أقوال:

الأول: أنَّه منصوبٌ بالخلاف، وهو رأي الكوفيين[4]، ويعنون بذلك مخالفته للمبتدأ في كونه شيئًا غيرَه، بخلاف قولنا (زيدٌ أخوك)، فإنَّ (أخوك) هو بعينه (زيد).

---

(١) القصص ٧٩.

(٢) الأنبياء ١٩.

(٣) انظر: سيبويه، "الكتاب". تحقيق عبد السلام هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)، ١: ٥٦، ٢: ٨٧، ١١٨؛ ومحمد بن يزيد المبرد، "المقتضب". تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، (ط٢، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٩م)، ٤: ٣٠٢؛ ومحمد بن سهل بن السراج، "الأصول". تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م)، ١: ٦٣.

(٤) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ٢٦؛ وعبد الرحمن بن محمد الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٤، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦٠م)، ١: ٢٤٥؛ ومحمد بن عبد الله بن مالك، "شرح التسهيل". تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون، (ط١، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م)، ١: ٣١٣؛ والأستراباذي، "شرح الرضي على الكافية"، ١: ٢٤٣.

والتعالق بين المبتدأ والخبر علَّةٌ للعمل عند الكوفيين، فإذا كان الخبر هو عين المبتدأ –كما في (زيدٌ أخوك) – فإنَّ كل واحدٍ منهما يرفع الآخر، وأمَّا إذا كان مخالفًا له –كما في (زيدٌ عندَك) – فإنَّ هذه المخالفة هي علَّة النصب عندهم(١).

هذا في حال تأخُّر الظرف، وأمَّا في حال تقدمه –نحو (أمامك زيدٌ) – فالاسم مرفوعٌ عندهم بالفاعليَّة، والعامل فيه الظرف(٢)، وعزي القول إلى الأخفش(٣) والمبرد(٤).

(١) يحيى بن زياد الفراء، "معاني القرآن". تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، (ط٣، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م)، ١: ١٣؛ والسيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ٢٦؛ وعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، "المقتصد في شرح الإيضاح". تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، (ط١، العراق: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م)، ١: ٢١٤؛ والأنباري، "الإنصاف"، ١: ٤٤.

(٢) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ١٧٥؛ والأنباري، "الإنصاف"، ١: ٥١.

(٣) إبراهيم بن محمد الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م)، ١: ١٥٩؛ والحسن بن أحمد الفارسي، "المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات". تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي، (ط١، العراق، مطبعة العاني، دون تأريخ)، ١٤٠؛ والحسن بن أحمد الفارسي، "المسائل العسكرية". تحقيق الدكتور محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، (ط١، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٢م)، ١٠٨.

(٤) أحمد بن محمد بن ولاد، "الانتصار لسيبويه على المبرد". تحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م)، ١٢٧. وفيه نسب ابن ولاد القول للمبرد، وذكر أنَّه وافق الكوفيين على إعمال الظرف في المرفوع بعده إذا أريد به التقديم، وأمَّا إذا كان في نيَّة التأخير فهو في محل الخبر، وأنَّه عدَّ هذا قولَ أبي =

الثاني: أنَّه منصوبٌ بعاملٍ محذوف، واختلفوا في تقدير هذا المحذوف على قولين:

(أ): أنه مفردٌ تقديره (كائنٌ) أو (مستقرٌّ)، ونحوها، وهو قول ابن السراج[١]، وأحد قولَي الفارسي[٢]، وبه قال ابن جني[٣]، واختاره ابن مالك[٤]، وجعله رأي الأخفش تصريحًا، وسيبويه إيماءً.

(ب): أنَّه جملة فعليَّة، والتقدير (حصلَ) أو (استقرَّ) ونحوها، وذكر السيرافي[٥] أنَّه لا يعلم خلافًا بين البصريين في أنَّ الظرف الواقع خبرًا منصوبٌ بفعلٍ هو (استقرَّ) أو (وقع) أو (حدثَ) أو (كان)

الحسن الأخفشِ الذي لا يجوّز غيره، كما نُسب القول إلى المبرد في: الأنباري، "الإنصاف"، ١: ٥١. وكلامه في المقتضب ٤: ٣٠٠ على أنَّ الظرف في محل الخبر دون تفريق بين ما أريد به التقديم وما أريد به التأخير.

(١) هذا ظاهر كلامه في "الأصول"، ١: ٦٣. وذكر الفارسي في "المسائل العسكرية" ١٠٥ أنَّه ذهب في بعض كتبه إلى أنَّ الظرف قسمٌ برأسه، ورآه الفارسي مذهبًا حسنًا.

(٢) الحسن بن أحمد الفارسي، "الإيضاح". تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٦م)، ١٩٨؛ والفارسي، "المسائل العسكرية"، ١٠٥؛ وعثمان بن جني، "مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها". تحقيق الدكتور حسين أحمد بو عباس، (ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١٠م)، ٣٩٤.

(٣) عثمان بن جني، "سر صناعة الإعراب". تحقيق الدكتور حسن بن محمود هنداوي، (ط٢، دمشق: دار القلم، ١٩٩٣م)، ١: ١٢٥؛ وعثمان بن جني، "اللمع في العربية". تحقيق حامد المؤمن، (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م)، ٧٥.

(٤) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣١٧.

(٥) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ٢٦.

أو نحو ذلك، وهو الظاهر من كلام المبرد[١]، والفارسي[٢]، واختاره عبد القاهر الجرجاني[٣]، والزمخشري[٤]، وابن الحاجب[٥].

الثالث: أنَّه منصوبٌ بالمبتدأ، وهو قول ابن خروف[٦]، وجعله مذهب سيبويه ومتقدمي أهل البصرة، كما عزاه إلى سيبويه ابنُ الطراوة[٧].

(١) المبرد، "المقتضب"، ٣: ٢٧٥، ٤: ١٦٦، ٣٠٨، ٣٢٩.

(٢) الحسن بن أحمد الفارسي، "الإغفال". تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم، (ط١، أبوظبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٣م)، ١: ٢٣١؛ والحسن بن أحمد الفارسي، "المسائل الشيرازيات". تحقيق الدكتور حسن بن محمود هنداوي، (ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا، ٢٠٠٤م)، ١: ٣٤٠-٣٤١؛ والجرجاني، "المقتصد"، ١: ٢٧٥.

(٣) الجرجاني، "المقتصد"، ١: ٢٧٥. وظهر كالمتردد في: عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود محمد شاكر، (ط٥، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٤م)، ٢٢٠.

(٤) محمود بن عمر الزمخشري، "المفصل في صنعة الإعراب". تحقيق الدكتور فخر صالح قدَّارة، (ط١، عمَّان: دار عمَّار، ٢٠٠٤م)، ٤٩.

(٥) عثمان بن أبي بكر بن الحاجب، "الإيضاح في شرح المفصل". تحقيق الدكتور إبراهيم محمد عبد الله، (ط١، دمشق: دار سعد الدين، ٢٠٠٥م)، ١: ١٥٢.

(٦) علي بن محمد بن خروف، "شرح جمل الزجاجي". تحقيق الدكتورة سلوى محمد عمر عرب، (ط١، مكة المكرمة: معهد البحوث العلميَّة وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٩هـ)، ١: ٣٩٤؛ وعلي بن محمد بن خروف، "شرح كتاب سيبويه" (مخطوط)، ١١٧ و.

(٧) لم أقف على هذا العزو في كتب ابن الطراوة المطبوعة. وينظر: قاسم بن علي الصفار، "شرح كتاب سيبويه". تحقيق الدكتور معيض بن مساعد العوفي، (ط١، المدينة المنورة: دار المآثر، ١٩٩٨م)، ١: ٣٦٤.

المبحث الأول: اختلاف النحويين في تفسير كلام سيبويه في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا

لا بدَّ قبل عرض آراء النحويين وتوجيهاتهم لمذهب سيبويه في عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا أن نشير إلى أنَّ الظرف المستقرُّ يقع متقدِّمًا في الذكر عن المبتدأ، نحو (في الدار زيدٌ)، ويقع متأخِّرًا نحو (زيد في الدار)، وصورة تأخُّرِ الظرف لا إشكال فيها؛ لأنَّ سيبويه يعرب ما قبل الظرف فيها مبتدأً والظرف بعده واقعٌ موقع الخبر بلا خلاف بين مفسري كلامه، والخلاف بينهم في عامل النصب في الظرف، وأمَّا صورة تقدم الظرف فقد سبقت الإشارة[1] إلى أنَّ الكوفيين يرون أنَّ الظرف إذا تقدَّم رفَع ما بعده على الفاعلية، وأنَّ الأخفش والمبرد أجازا ذلك إذا لم ينو بالظرف التأخير، فإذا قلنا: (في الدار زيد) فـ(زيدٌ) فاعلٌ للظرف عند الكوفيين في كل حالٍ، وعند الأخفش والمبرد هو فاعلٌ إن أريد بالظرف التقديم، وخبرٌ إن أريد به التأخير، وأمَّا سيبويه فمذهبه في حال تقدم الظرف كمذهبه في حال تأخره، وهو أنَّ الظرف واقعٌ موقع الخبر وما بعده مبتدأ، إلا في صورة واحدةٍ وقع فيها خلافٌ بين النحويين في تفسير كلامه، وذلك في نحو (مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا) في قوله: «واعلم أنَّك إذا نصبتَ في هذا الباب فقلت: (مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا) فالنصبُ على حاله؛ لأنَّ هذا ليس بابتداءٍ، ولا يشبه (فيها عبد الله قائمٌ غدًا)؛ لأنَّ الظروف تُلغى حتى يكون المتكلم كأنَّه لم يذكرها في هذا الموضع، فإذا صار الاسم مجرورًا أو عاملًا فيه فعلٌ أو مبتدأ لم تلغِه؛ لأنَّه ليس يرفعه الابتداء، وفي

(١) انظر ما سبق ص ١١.

الظروف إذا قلتَ: (فيها أخواك قائمان) يرفعه الابتداء»[١]، فقد استنبط ابن السراج –فيما نقل عنه الفارسي[٢] ووافقه عليه– من قول سيبويه: «لأنَّ هذا ليس بابتداءٍ» أنَّ (صقر) في هذا المثال ليس مبتدأ، بل فاعلٌ للظرف، وعلَّل ابن السراج جنوح سيبويه إلى ذلك بأنَّ الأصل في المبتدأ المؤخَّر أن يكون في نيَّة التقديم، ولا سبيل إلى تقديم (صقر) على الظرف قبله، ومن ثمَّ فلا يصحُّ أن يقع مبتدأ، مشبِّهًا هذه الصورة بتعيُّن ارتفاع (أنَّك منطلقٌ) بالظرف قبله في نحو (في الدار أنَّك منطلقٌ) لأنَّه لا سبيل إلى تقدُّمه عليه، وعلَّل الفارسي ذلك بأنَّ تقدُّم (أنَّك منطلقٌ) يفضي إلى احتمال دخول (إنَّ) عليه، وهو ممتنعٌ؛ إذ لا يجوز اجتماع تأكيدين، كما علَّل عدم جواز تقدُّم (صقر) على الظرف (معه) في نحو (مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا) بأنَّه لو تقدَّم وقيل: (مررتُ برجلٍ صقرٌ معه صائدًا به غدًا) لأفضى ذلك إلى الفصل بين الموصوف (رجل) والصفة (معه) بأجنبيٍّ عنهما، وهو (صقر)، وهو ممتنعٌ، وهذا ما دفع سيبويه إلى إعمال الظرف في المرفوع بعده، والتخلي عن منهجه في إعراب ما بعد الظرف مبتدأً في هذه الصورة خاصَّة.

وممَّن أوَّل كلام سيبويه هذا التأويل عبد القاهر الجرجاني[٣] وابن

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٥٢.

(٢) الحسن بن أحمد الفارسي، "التعليقة على كتاب سيبويه". تحقيق الدكتور عوض بن حمد القوزي، (ط١، الرياض: مطابع الحسني، ١٩٩٦م)، ١: ٢٥٢-٢٥٤. وينظر: الحسن بن أحمد الفارسي، "المسائل البصريات". تحقيق الدكتور محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، (ط١، مصر: مطبعة المدني، ١٩٨٥م)، ١: ٥٠٩-٥١١.

(٣) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢٢٠.

الشجري[١]، وابن خروف[٢]، كما جزم به ابن عصفور، مقرِّرًا أنَّ سيبويه «نصَّ على أنَّ (صقر) مرفوع بـ(معه)؛ لأنَّه لو قدَّر المجرور خبرًا لـ(صقر) لكانت النيَّة به التأخير؛ لأنَّ النيَّة في الخبر أن يكون بعد المبتدأ، وإذا كان صفةً و(صقر) مرفوعٌ به كان في موضعٍ لا ينوى به التأخير، واللفظ إذا أمكن أنْ يكون في موضعه لم يَجُزْ أنْ ينوى به الوقوع في غير موضعه»[٣].

ولم يرتض السيرافي هذا التأويل، ناسبًا أصحابه إلى الوهم، ومؤكِّدًا ثبات سيبويه على منهجه؛ إذ يقول: «والذي عندنا من مذهب سيبويه في هذا الموضع وفي غيره أنَّ الاسم تقدَّم أو تأخَّر يُرفع بالابتداء، كقولك: (خلفك زيدٌ) و(عندكَ مالٌ)»[٤]، وردَّ استدلالهم بقوله: «لأنَّه ليس يرفعه الابتداء» بأنَّ (الهاء) في (لأنَّه) لا تعود إلى (صقر) كما توهَّم مخالفوه، بل تعود إلى أول الكلام، ومراد سيبويه:

(١) هبة الله بن علي بن الشجري، "أمالي ابن الشجري". تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٢م)، ٣: ١٤.

(٢) ابن خروف، "شرح كتاب سيبويه"، (مخطوط)، ١٣٣ ظ، وشرح الجمل ٧١٢/٢.

(٣) علي بن مؤمن بن عصفور، "شرح جمل الزجاجي". تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، (دون رقم طبعة أو تأريخ)، ١: ٤١٠.

(٤) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ١٣٦. وممَّن اختار هذا المذهب ابن السيد البطليوسي والأعلم الشنتمري والسهيلي. ينظر: عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، "الاقتضاب في شرح أدب الكتَّاب". تحقيق الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م)، ٣: ٥٥؛ ويوسف بن سليمان، الأعلم الشنتمري، "النكت في تفسير كتاب سيبويه". تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، (ط١، الكويت: معهد المخطوطات العربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧م)، ١: ٤٦٦؛ وعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، "نتائج الفكر". تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا، (ط٢، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٤م)، ٤٣٢.

«لأنَّ الهاء المجرورة في (معه)».

ويعني السيرافي بالموضع الذي يعود عليه الضمير في (لأنَّه) في أول الكلام قولَ سيبويه في مطلع الباب: «فقوله: (مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدٍ به) إنْ جعلته وصفًا وإنْ لم تحمله على الرجل وحملته على الاسم المضمر المعروف نصبته فقلت: مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به»[(١)].

ومراد السيرافي –وفق ما يظهر في تقريره للمسألة– أنَّ سيبويه حين وازن بين المواضع التي يُسْبَقُ فيها الظرف باسمٍ مجرور كما في (مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به) أو بمعمولٍ لفعلٍ كما في نحو (رأيت رجلًا معه صقرٌ صائدًا به) أو بمبتدأ نحو (زيدٌ معه صقرٌ صائدًا به) وبين ما جاء فيها الظرف خبرًا لمبتدأ لم يسبقه شيء كما في نحو (فيها عبد الله قائم) إنَّما يريد أنَّ الصور الثلاث الأولى لا يمكن فيها حذف الظرف (معه)؛ إذ لو حذف لما عاد إلى الموصوف شيءٌ من صفته، ولا إلى المبتدأ شيءٌ من خبره؛ لأنَّ (الهاء) هي الرابط في هذه الجمل، وليس الأمر كذلك في نحو (فيها عبد الله قائم)؛ إذ يمكن إلغاء الظرف ورفع (قائم) على الخبريَّة كما هو ظاهرٌ في المثال، ويمكن عدم إلغائه ونصبُ (قائم) على الحالية، فيقال: (فيها عبد الله قائمًا).

ويمكن تطبيق كلام سيبويه وفق تقرير السيرافي بأن يقال: إنَّما أمكننا إلغاء الظرف في قولنا (فيها عبد الله قائمًا) ورفعُ (قائم) خبرًا؛ لأنَّ صاحب الحال – وهو المبتدأ (عبد الله)– مرفوعٌ بالابتداء، وتعيَّن عدم الإلغاء في نحو (مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا) و(رأيت رجلًا معه صقرٌ صائدًا به غدًا) و(زيدٌ معه صقرٌ صائدًا به غدًا) «لأنَّه ليس يرفعه الابتداء»، أي: لأنَّ صاحب الحال في الصور الثلاث –وهو الهاء في (معه)–ليس مرفوعًا بالابتداء.

(١) سيبويه، "الكتاب" ٢: ٤٩.

ومن الواضح أنَّ السيرافي بنى تقريره السابق على ضبط كلمة (مبتدأ)[1] في قول سيبويه: «فإذا صار الاسم مجرورًا أو عاملًا فيه فعلٌ أو مبتدأ لم تلغِه» بالنصب، أي: أنَّه معطوفٌ على (مجرورًا)، وهو ما يعني أنَّ الاسم الذي قبل الظرف سيكون مبتدأً كما يكون مجرورًا ومعمولًا للفعل في الصورتين الأخريين، ولذلك مثَّل له بـ(زيدٌ معه صقرٌ صائدًا به)، فيما بنى ابن السراج والفارسي[2] تقريرهما على أنَّ (مبتدأ) معطوفٌ على (فعلٌ)، وهو ما يعني أنَّ الاسم الذي قبل الظرف سيكون معمولًا للمبتدأ، والذي يعمل فيه المبتدأ هو الخبر، ولذلك مثَّلا له بـ(هذا رجلٌ معه صقرٌ صائدًا به).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الاختلاف في ضبط كلمة (مبتدأ) ليس له تأثيرٌ على استدلال السيرافي؛ لأنَّ العلَّة التي تمنع من حذف الظرف (معه) -وهي

(١) ضبطت الكلمة في نصِّ سيبويه في شرح السيرافي بالرفع، وهو خطأ بلا ريب، وضبطت بالنصب في المخطوط ١٤٣ و، وهو الموافق لمراده، وبه ضبطت الكلمة في أغلب نسخ الكتاب المخطوطة، ومنها: نسخة مكتبة (كوبريلي) ١٠٩ و، ونسخة مكتبة جوروم باشا ١: ٢٥٧، ونسخة مكتبة لا لا إسماعيل ١٠٩ و، ونسخة مكتبة الحميدية ٩٥ و، ونسخة مكتبة راغب باشا ٨٣ و، ونسخة مكتبة الفاتح ١٣٢ و، ونسخة مكتبة أيا صوفيا ١١١ ظ.

وأمَّا الكتاب فقد تركت الكلمة دون ضبط في طبعة هارون، وضبطت بالرفع في الطبعتين الأوروبية وبولاق، وهي كذلك في نسخة مراد ملا ٤٦ظ، وعليه جاء كلام ابن خروف؛ إذ يقول: «فإذا صار الاسم معمولًا لجارٍّ ومجرورٍ أو لفعلٍ أو لمبتدأٍ». ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٥٢؛ وسيبويه، "الكتاب". تحقيق هرتويغ درنبرغ، (ط١، باريس: المطبع العامي، ١٨٨١م)، ١: ٢٠٧؛ وسيبويه، "الكتاب"، (ط١، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق)، ١: ٢٤٣؛ وابن خروف، "شرح كتاب سيبويه"، (مخطوط)، ١٣٣و.

(٢) الفارسي، "التعليقة"، ١: ٢٥١.

انعدام العائد من الخبر إلى المبتدأ– متحقِّقةٌ في الصورتين، وأمَّا استدلال ابن السراج والفارسي فلا يستقيم إلا برفع (مبتدأ)؛ لأنَّ العلَّة التي اعتمدا عليها – وهي الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي– تتحقق في الصورة التي يقع فيها الظرف صفةً كما في المثال الذي مثَّلا به (هذا رجلٌ معه صقرٌ...)، ولا تتحقق في الصورة الأخرى التي مثَّل لها السيرافي (زيدٌ معه صقر).

والأقرب لمراد سيبويه ما ذهب إليه ابن السراج والفارسي من أنَّه يرى ارتفاع الاسم بالظرف في الصورة السابقة، وذلك للأسباب الآتية:

١–أنَّه قال بعد أن مثَّل للمسألة بـ(مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا): «لأنَّ هذا ليس بابتداء، ولا يشبه (فيها عبد الله قائمٌ غدا)»، والمشار إليه في قوله: «لأنَّ هذا ليس بابتداء» إمَّا أن يكون الجملة بتمامها (مررت برجل...)، وإمَّا أن يكون جملة (معه صقرٌ)، وحَمْلُ الكلام على الجملة الفعلية غير مستقيمٍ على الرأيين؛ لأنَّ الصورة الأخرى التي قرن بها سيبويه هذه الصورة وهي (هذا رجلٌ معه صقرٌ صائدًا به غدًا) على رأي ابن السراج والفارسي، أو(زيدٌ معه صقرٌ صائدًا به غدًا) على رأي السيرافي مشتملةٌ على ابتداء، فلم يبق إلا حَمْلُ الكلام على جملة (معه صقر)، وهو مستقيمٌ على مذهب ابن السراج والفارسي، وغير مستقيمٍ على مذهب السيرافي؛ لأنَّه يرى أن سيبويه يعرب الاسم بعد الظرف مبتدأ، وهو ينصُّ هنا على أنَّه لا ابتداء في الكلام، فإذا كان الأمر كذلك فلا مناص من الحكم بأنَّ (صقر) فاعلٌ للظرف كما يقول ابن السراج والفارسي.

٢–ويقوي ذلك أيضًا سياق كلام سيبويه؛ لأنَّ إعادة الضمير في «لأنَّه» في قوله: «لأنَّه ليس يرفعه الابتداء» للمذكور القريب المنصوص عليه –وهو «صقر»– أولى من إعادته إلى المفهوم من كلامٍ يفصل بينه وبين الضمير

أكثر من صفحتين، ويضاف إلى هذا أنَّ نفيه للرفع بالابتداء يشعر بأنَّه يتحدث عن اسمٍ مرفوع، فأراد التنبيه إلى أنَّ ارتفاعه بعاملٍ آخر غير الابتداء، وهو الظرف.

٣-كما يمكن أن يستدلَّ لقول ابن السراج والفارسي بأنَّ سيبويه احتجَّ لعدم جواز إعمال الظرف فيما بعده في نحو (فيها عبد الله قائمًا) بقوله: «وهذا يدلُّك على أنَّ (فيها) لا يحدِثُ الرفعَ أيضًا في (عبد الله)؛ لأنَّها لو كانت بمنزلة هذا لم تكن لتلغى»[(١)]، فهو هنا يستدلُّ لعدم جواز إعمال الظرف المتقدم في الاسم الذي بعده بجواز إلغائه، ومفهوم المخالفة هنا يقتضي أنَّ إعمال الظرف فيما بعده يتأتَّى في الحالة التي لا يجوز فيها إلغاء الظرف كما في الصور الثلاث محلِّ النزاع.

تجدر الإشارة إلى أنَّ السيرافي نسب إلى مخالفيه الاحتجاج بقول سيبويه: «لأنَّه ليس يرفعه الابتداء»، وردَّ عليهم كما تقدم، ولم يشر إلى احتجاجهم بقوله: «لأنَّ هذا ليس بابتداء» مع أنَّ استدلالهم مبنيٌّ عليه، كما أنَّ توجيهه لا يبدو متَّسقًا معها، ولعله لم يفطن لهذه العبارة، أو أنَّ الأمر اشتبه عليه؛ نظرًا للتشابه بين العبارتين.

وأمَّا مذهب سيبويه في العامل في الظرف المستقرِّ الواقع خبرًا فقد وقع الخلاف بين عددٍ من النحويين في تحديده، ويرجع ذلك إلى غموض عباراته وتعدد دلالاتها المحتملة في الموضع الذي تكلم فيه عن هذه المسألة، وذلك في باب ما ينتصب من الأماكن والوقت؛ إذ يقول: «فانتصب لأنَّه موقوعٌ فيها ومَكُونٌ فيها، وعمل فيها ما قبلها، كما أنَّ (العلم) إذا قلت: (أنتَ الرجلُ علمًا) عمل فيه ما قبله، وكما عمل في الدرهم عشرون إذا قلت: (عشرون درهمًا)،

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٩٠.

وكذلك يعمل فيها ما قبلها وما بعدها»[١]، ويقول: «فهذا كلُّه انتصبَ على ما هو فيه وهو غيره، وصار بمنزلة المنوَّنِ الذي يعمل فيما بعده نحو (العشرين)، ونحو قوله: (هو خيرٌ منك عملًا)، فصار (هو خلفَك) و(زيدٌ خلفَك) بمنزلة ذلك، والعامل في (خلف) الذي هو موضعٌ له، والذي هو في موضع خبره، كما أنَّك إذا قلتَ: (عبد الله أخوك) فالآخِرُ قد رفعه الأوَّلُ وعمل فيه، وبه استغنى الكلام، وهو منفصلٌ عنه»[٢].

وتبرز إشكالات النص في تعدد احتمالات مراجع الضمائر وأسماء الإشارة، وغموض دلالات بعض الألفاظ والمصطلحات، بالإضافة إلى خفاء مناط الحكم وموضعه في قياسه عامل الظرف على مميِّز (العشرين) و(الرجل) و(خير).

وفيما يأتي بيان الأوجه المحتملة فيه، ومواضع استدلالات النحويين عليها من كلام سيبويه:

أولًا: أنَّ الظرف منصوبٌ على الخلاف:

هذا الرأي هو المشهور عن الكوفيين كما تقدَّم، ولم أقف على من نسب القول إلى سيبويه، غير أنَّ في كلام ابن مالك ما يدلُّ على أنَّ ثمَّ مِن النحويين مَنْ نسبه إليه؛ إذ يقول بعد أنْ سرَد وجوه إبطاله: «فسيبويه بريءٌ ممَّن عوَّل عليه، وجنحَ إليه»[٣].

وجاء في كلام سيبويه ما يحتمل أنه رأيه، وهو قوله: «فهذا كلُّه انتصب على ما هو فيه وهو غيره»، وعلَّق السيرافي على هذه العبارة بقوله: «وفي بعض هذه العبارة إيهامٌ لمذهب الكوفيين»، ثمَّ شرح موضع الإيهام بقوله: «فأمَّا ما

(١) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٤٠٣-٤٠٤.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٤٠٦.

(٣) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣١٥.

فيه من الإيهام لمذهب الكوفيين فقوله: «انتصب على ما فيه وهو غيره»، وقد حكيت عن مذهب الكوفيين أنَّهم ينصبون الظرف بالخلاف للأول، وهو نحوُ قوله: «وهو غيره»، وقوله: «على ما هو»، فـ(ما) للظرف، و(هو) للمبتدأ، و(الهاء) المتصلة بـ(في) عائدةٌ إلى (ما)، وهي للظرف، و(هو) الثاني عبارةٌ عن الظرف، و(الهاء) في (غيره) عبارة عن المبتدأ»[(١)]، وقال ابن مالك بعد أن أشار إلى احتمال كلام سيبويه انتصاب الظرف بالخلاف: «فإنَّه يوهمه سيبويه بقوله في الباب المذكور: فهذا كلُّه انتصب على ما هو فيه وهو غيره، فظاهر هذا القول شبيهٌ بما حكاه ابن كيسان من قول الكوفيين: إنَّ الظرف منصوبٌ بالمخالفة؛ لأنَّك إذا قلت: (زيدٌ أخوك) فالأخ هو زيدٌ، وإذا قلت: (زيد خلفَك) فالخلفُ ليس بزيدٍ، فمخالفته له عملت فيه النصب»[(٢)].

ثانيًا: أنَّ الظرف منصوبٌ بعاملٍ مقدَّر:

قال السيرافي بعد أن أورد احتمالات نصوص سيبويه السابقة: «ومراد سيبويه على ما ينتظم من مذهبه أنَّ الذي ظهر دلَّ على المحذوف»[(٣)]، ثم أبان عن وجه تشبيه سيبويه عامل الظرف بـ(أنت الرجل علمًا) و(عشرين درهمًا) بأنَّ (الرجل) إنَّما ينصب (علمًا) إذا كان بتقدير (كامل) ونحوه مما هو في معنى الفعل، و(عشرون) ينصب (درهمًا) على مذهب (ضاربين زيدًا).

وقال ابن مالك بعد أن قرَّر أنَّ الظرف ينتصب بتقدير (مستقر) أو (استقرَّ) وشبههما: «وكلام سيبويه قابلٌ لاستنباط ذلك منه؛ لأنَّه قال قاصدًا للظروف الواقعة بعد المبتدأ: وعمل فيها ما قبلها، كما أنَّ (العلم) إذا قلت:

(١) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ٢٩.
(٢) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣١٤-٣١٥.
(٣) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ٢٦.

(أنت الرجل علمًا) عمل فيه ما قبله»[١]، والمراد بـ(الذي قبلها) عند ابن مالك، أي: الذي قبلها في التقدير، وهو (مستقرٌّ) أو (استقرَّ) ونحوهما، وتشبيهه لعامل الظرف بـ(خيرٌ عملًا) عنده من جهة أنَّ ناصب التمييز خبرٌ، فينبغي أن يكون عامل الظرف كذلك، كما أوضح دلالة قول سيبويه: «فهذا كلُّه انتصب على ما هو فيه وهو غيره» على تقدير العامل بأنَّ المقصود بـ(ما هو فيه) ما حُذِفَ من (مستقر) ونحوه، والمقصود بـ(وهو غيره)، أي: وهو غير المبتدأ.

وبعد أن استنبط ابن مالك من كلام سيبويه أنَّه يرى أنَّ الظرف المستقرَّ الواقع خبرًا معمول لعاملٍ محذوف أشار إلى أنَّه أومأ إلى أنَّ العامل المحذوف اسمُ فاعل كونٍ مطلق، ثم أوضح موضع الإيماء في قوله: «والعامل في (خلف) الذي هو في موضعه، والذي هو في موضع خبره» قائلًا: «ثم قال: والعامل في (خلف) الذي هو في موضعه، أي: الذي (خلف) في موضعه، والذي (خلف) في موضعه هو مستقرٌّ أو نحوه من أسماء الفاعلين، فإنَّه الخبر في الحقيقة، فالظرف في موضعه لأنَّه عمدة، والظرف فضلة، ثم قال: والذي هو في موضع خبره، يعني (استقرَّ) ونحوه من الأفعال الدالَّة على كون مطلق، فإنَّ الظرف إذا عُلِّق بفعلٍ فذلك الفعل في موضع الخبر الأصلي، وهو اسم الفاعل، فأشار سيبويه بهذا إلى جواز تعليق الظرف باسم فاعلٍ وفعلٍ، ونبَّه على أنَّ تقدير اسم الفاعل أولى بأن أضاف الموضع إلى ضميره»[٢].

ثالثًا: أنَّ الظرف منصوبٌ بالمبتدأ:

أشار السيرافي إلى هذا الاحتمال دون أن ينسبه إلى أحد من النحويين، ثم جلَّى موضع الاحتمال بقوله: «وقوله: (على ما هو)، فـ(ما) للظرف، و(هو)

(١) ابن مالك، "شرح التسهيل" ١: ٣١٦.

(٢) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣١٦-٣١٧.

للمبتدأ، و(الهاء) المتصلة بـ(في) عائدةٌ إلى (ما) وهي للظرف، و(هو) الثاني عبارةٌ عن الظرف، و(الهاء) في (غيره) عبارةٌ عن المبتدأ، وقوله: وصار بمنزلة المنوَّن، يعني: صار المبتدأ بمنزلة المنوَّن، يعني: (العشرين) و(خيرٌ منك) في عملها فيما بعدها؛ لأنَّ (العشرين) ينصِبُ (درهمًا) إذا جاء بعده، و(خيرٌ منك) ينصب (عملًا)، فظاهر هذا أنَّ المبتدأ نصَبَ الظرف الذي بعده، ثم حقَّقَ هذا بقوله: فصار (هو خلفَك) و(زيدٌ خلفَك) بمنزلة ذلك، يعني بمنزلة (العشرين) و(خيرٌ منك) في نصبهما ما بعدهما، ثم قال: والعامل في خلف الذي هو موضعٌ له، فـ(هو) الذي بعد (الذي) يرجع إلى (خلف)، و(الهاء) في (له) ترجع إلى (الذي)، فكأنَّه قال: العامل في (خلف) الاسم الذي الخلفُ موضعٌ له، وذلك الاسم هو المبتدأ الذي هو [أي: الخلف] في موضع خبره، يعني: والاسم المبتدأ الذي الخلف في موضع خبره، فظاهر ذلك كلِّه أنَّ المبتدأ ينصبُ الظرفَ كما يرفع الخبرَ إذا كان هو هو، نحو قولك: (عبد الله أخوك)»[1].

وجزم ابن خروف بأنَّ ذلك مراد سيبويه؛ إذ يقول: «ونصَّ على ذلك في عدَّة مواضع، وشبَّه عمله في الظرف بـ(عشرين درهمًا)، وبقولهم: (أنت الرجل علمًا)، منها قوله في باب ما ينتصب من الأماكن والوقت، قال: فصار (هو خلفَك) و(زيدٌ خلفَك) بمنزلة ذلك، والعامل في (خلفك) الذي هو موضعٌ له، والذي هو في موضع خبره، كما أنَّك إذا قلت: (عبد الله أخوك)، فالآخِرُ قد رفعهُ الأول، وعمل فيه، وبه استغنى الكلام، وكرَّر ذلك في غير موضع»[2].

ويقول أيضًا: «ويريد بقوله: (على ما هو فيه وهو غيره) المبتدأ؛ لأنَّ الظرف

(١) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ٢٩. والعبارة فيه فيها اضطراب، والمنقول من المخطوط ١٢٤ظ.

(٢) ابن خروف، "شرح جمل الزجاجي"، ١: ٣٩٤.

محلٌ له، وهو غير الظرف، وبيَّن هنا أنَّ الناصب له المبتدأ، وقد بيَّن كذلك الذي هو موضعٌ له، يريد به المبتدأ، أي: الذي الظرف موضِعٌ له، ويريد: صار الاسم المبتدأ بمنزلة الاسم المنوَّن الذي يعمل فيما بعده، وصار الظرف كالتمييز»(١).

كما أشار ابن مالك(٢) إلى هذا الاحتمال في عبارة سيبويه السابقة، واصفًا إيَّاه بأنَّه أظهر في كلامه من احتمال النصب بالخلاف.

ونسب الصفَّار(٣) إلى ابن الطراوة أنَّه احتجَّ لإعمال سيبويه المبتدأ في الظرف بنصٍّ آخر له، وهو قوله في باب المسند والمسند إليه: «واعلم أنَّ الاسم أوَّلُ أحواله الابتداء، وإنَّما يدخل الرافع والناصب سوى الابتداء والجارُّ على المبتدأ»(٤)، واستدلاله مبنيٌّ على مجيء (الناصب) في النسخة التي عنده من الكتاب معطوفًا على (الرافع)، وهذا يعني أنَّ الاحتراز من الابتداء في قوله: «سوى الابتداء» يشمل الناصب والرافع، ويقتضي ذلك أن يكون الابتداء يعمل النصب، وهو غير واردٍ عنده، ولذا صرف ابن الطراوة مراد سيبويه بـ(الابتداء) إلى المبتدأ، وجعل عمله النصب في الظرف.

(١) ابن خروف، "شرح كتاب سيبويه"، (مخطوط)، ١١٧ ظ.

(٢) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣١٥.

(٣) الصفار، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٦٤.

(٤) كذا وردت العبارة عند القرطبي وابن خروف والصفار. ينظر: هارون بن موسى القرطبي، "شرح عيون كتاب سيبويه". تحقيق الدكتور عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه، (ط١، القاهرة: مطبعة حسَّان، ١٩٨٤م)، ١: ٣٩؛ وابن خروف، "شرح كتاب سيبويه"، (مخطوط)، ١٥و؛ والصفار، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٦٤. وهذا الضبط يوافق بعض نسخ الكتاب المخطوطة، ومنها: نسخة (كوبريلي) ٧ و، ونسخة الأسكوريال ٦ ظ، ونسخة مكتبة حكيم أوغلو ٥ و.

وأشار الأعلم[١] إلى ورود العبارة في بعض نسخ الكتاب على النحو الذي استدلَّ به ابن الطراوة، وأوَّلَ الكلام على التقديم والتأخير، ثم ألمح إلى احتمال أن يكون مراد سيبويه عمل النصب في الظرف إذا حُمِلَ الكلام على ظاهره، لكنَّه لم يشر إلى تأويل الابتداء بالمبتدأ، ممَّا يرجِّح أنَّه يرى أنَّ الابتداء هو ناصب الظرف لا المبتدأ كما يرى ابن الطراوة، وبهذا جزم القرطبي[٢]؛ إذ نصَّ على أنَّ الابتداء يعمل النصب في الظرف كما يعمل الرفع في المبتدأ.

وأكثر نسخ الكتاب[٣]جاء فيها النصُّ بعطف (الرافع) على (الناصب) لا العكس، والمعنى عليه في غاية الاستقامة؛ لأنَّ الاحتراز في قوله: «سوى الابتداء» ينصرف إلى الرافع دون الناصب، ولا حاجة حينئذٍ لصرف دلالة (الابتداء) إلى المبتدأ.

ومراد سيبويه بيان حال المبتدأ قبل دخول العوامل وبعد دخولها عليه، فالاسم يكون في أوَّل أمره مرفوعًا بالابتداء، ثم إذا دخلته عوامل الرفع والنصب والجر صار الاسم معربًا بها، واحتاج بعد ذكره عامل الرفع إلى الاحتراز من عمل الابتداء لينبِّه إلى أنَّ ارتفاع المبتدأ بالعوامل بعد دخولها عليه يختلف عن ارتفاعها

(١) الأعلم الشنتمري، "النكت"، ١: ١٣٠.

(٢) القرطبي، "شرح عيون كتاب سيبويه"، ١: ٣٩.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٣-٢٤، وهي كذلك في طبعة بولاق ١: ٧، وفي الطبعة الأوروبية ١: ٦، وفي: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ٦٣؛ والفارسي، "التعليقة"، ١: ٤٧؛ والأعلم الشنتمري، "النكت"، ١: ١٣٠. وهو الموافق لأكثر نسخ الكتاب المخطوطة، منها نسخة مكتبة جوروم باشا، ١: ٧، ونسخة مكتبة لا لا إسماعيل ٤ ظ، و، ونسخة مكتبة الحميدية ٣ ظ، ونسخة مكتبة راغب باشا ٣ ظ، ونسخة مكتبة الفاتح ٥ و، ونسخة مكتبة أيا صوفيا ٤ ظ، ونسخة مكتبة حافظ أحمد باشا ٤ ظ، ونسخة مكتبة حالت أفندي ٥ و.

بالابتداء قبل دخولها.

ومما يرجح أنَّه مراده قوله بعدها مباشرةً: «ألا ترى أنَّ ما كان مبتدأً قد تدخل عليه هذه الأشياءُ حتى يكون غيرَ مبتدأٍ، ولا تصل إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرتُ لك إلا أنْ تدعَه، وذلك أنَّك إذا قلتَ: (عبد الله منطلقٌ) إن شئتَ أدخلتَ (رأيتُ) عليه، فقلتَ: (رأيتُ عبدَ الله منطلقًا)، أو قلتَ: (كان عبد الله منطلقًا)، أو: (مررتُ بعبد الله منطلقًا)».

على أنَّ ابن خروف[١] لم ير في النص السابق ما يدلُّ على إعمال المبتدأ في الظرف مع أنَّ العبارة عنده توافق ما عند ابن الطراوة، ويعود ذلك إلى اختلاف فهمه للباب عمومًا، فهو يرى أنَّ حديث سيبويه الذي جاء فيه النص السابق في باب المسند والمسند إليه ليس عن المبتدأ بمفهومه الصناعي، بل بوصفه مخبَرًا عنه تتسلط عليه العوامل ويتغيَّر موقعه من الجملة تبعًا لذلك، فيقع فاعلًا ومفعولًا ومجرورًا بالحرف.

وقد سبق للسيرافي[٢] أن نسب هذا الفهم لبعض النحويين، وذكر أنَّهم توهموا بأنَّ مرادَ سيبويه بـ(الجارّ) الباءَ في (مررت بزيدٍ) و(مِنْ) في (أخذت من زيدٍ)، وبالمبتدأ ما يكون مبتدأً في حالٍ، يعني: في حالٍ دون حال، ثم ردَّ قولهم صارفًا مراده بالجارّ إلى العوامل التي إذا نُزِعَتْ من الاسم كان مبتدأً، كـ(الباء) في (بحسبك الدرهم)، و(مِنْ) في (ما عندي من أحدٍ).

ومن الواضح من كلام السيرافي أنَّه يوجِّه حديث سيبويه في الباب إلى المبتدأ بمفهومه الصناعي[٣]، ولذلك فهو يقصر مراده بالعوامل على التي تدخل

(١) ابن خروف، "شرح كتاب سيبويه"، (مخطوط) ١٥و.

(٢) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ٦٥-٦٦.

(٣) هذا ما يراه الفارسي أيضًا. ينظر: الفارسي، "التعليقة"، ١: ٤٧-٤٨.

على المبتدأ والخبر، أو الزائدة التي لا تأثير لها في بنية الجملة الاسميَّة، ويبدو أنَّه اعتمد في هذا على قوله في النصِّ السابق: «ولا تصل إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرتُ لك إلا أنْ تدعَه»، ففي قوله: «إلا أنْ تدعَه» دلالة على أنَّ نزع حرف الجرِّ يحيل الاسم مبتدأً، وهو معتمدٌ متين، لكن يشكل على هذا التوجيه تمثيل سيبويه لعامل الجرِّ بـ(مررت بعبد الله منطلقًا)، فالعامل هنا لا ينطبق عليه المعيار الذي ذكره السيرافي، فالباء ليست زائدةً كما في (بحسبك الدرهم)، و(عبد الله) لا سبيل فيه أن يكون مبتدأ إن نزعنا الحرف.

وبالرغم من ذلك يبدو من تمثيل سيبويه للرافع باسم (كان) وللناصب بمفعول (رأيت) -والجملتان ممَّا أصلهما المبتدأ والخبر- أنَّه بصدد الحديث عن دخول العاملين على المبتدأ بمفهومه الصناعي لا بوصفه مخبرًا عنه كما يرى ابن خروف، وعلى هذا يصدق عليهما معيار السيرافي، ويعود الاسم مبتدأً في حال نزع العامل، وأمَّا تمثيله للعامل الجارِّ فيبدو أنَّه نظر في ذلك إلى تحوُّل الجملة إلى اسمية بعد نزع الحرف مع الفعل المتصل به دون وضع لاعتبار اسميَّتها قبل دخول العامل، كما أنَّ الجملة في مثال المنصوب (رأيت عبد الله منطلقًا) لا تعود اسميَّة إلا بعد نزع الناصب مع فاعله.

من خلال ما سبق يتبيَّن لنا ضعف دلالة النص الذي احتجَّ به ابن الطراوة على إعمال سيبويه المبتدأ، ولذلك سنقتصر في المبحث الآتي على الترجيح بين أقوال النحويين في تفسير نصوص سيبويه الأخرى التي دار حولها الجدل بين أطراف النزاع.

المبحث الثاني: الترجيح بين أقوال مفسري كلام سيبويه؛ لبيان مذهبه

تبيَّن من خلال عرض آراء النحويين في المبحث السابق أنَّ عبارات سيبويه التي تحدَّث فيها عن عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا تحتمل أنَّ الظرف إما أن يكون منصوبًا بالخلاف، أو بالمبتدأ، أو بعاملٍ محذوف تقديره (استقرَّ) أو (مستقرٌّ) ونحوهما.

وسوف نعرض فيما يأتي لكل واحدٍ من هذه الاحتمالات، وننظر في أوجه القوة والضعف فيها، ومدى اتساقها مع سياق كلام سيبويه في المواضع المتنازع عليها، وانتظامها مع منهجه في التحليل النحوي، ومذهبه في مسائل النحو عامَّة.

فأمَّا الاحتمال الأول ففنَّده ابن مالك بقول سيبويه بعد أن مثَّل بظروف بعد مبتدآت في أوَّل الباب: «وعمل فيها ما قبلها»[(١)]، وهذه العبارة «لا تصلح أن يراد بها إلا شيءٌ متقدِّمٌ على الظرف، والمخالفة بخلاف ذلك، فتبيَّن أنَّ مراده غير مراد الكوفيين»[(٢)].

ويمكن أيضًا الاستدلال على ضعفه من العبارة نفسها، وبيان ذلك أنَّ قول سيبويه: «وهو غيره» ليس مناطًا للحكم، بل هي جملةٌ استئنافية يصف بها حال الظرف مع المبتدأ ليفرِّق بينها وبين الصورة الأخرى التي يكون فيها الخبر هو المبتدأ لا غيرَه، وكأنَّه أراد بالإشارة إلى أنَّ الظرف غير المبتدأ تمييز العامل في هذه الصورة عن العامل في الصورة الأخرى التي يكون فيها الخبر عينَ المبتدأ كما في (زيدٌ أخوك).

---

(١) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٤٠٤.

(٢) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣١٥.

ويضاف إلى ما سبق وجودُ تأويلات أخرى لعبارة سيبويه أكثر وجاهة وانسجامًا مع سياق كلامه، وصرفُ مراده إلى الاحتمال الأضعف مع وجود احتمالاتٍ أقوى خلافُ الأولى.

وأمَّا التأويل الثاني –وهو أنَّ الظرف منصوبٌ بعاملٍ مقدَّر– فهو يحتمل أن يكون العامل مقدَّرًا باسم الفاعل (كائن) أو(مستقرٍّ) ونحوهما، ويحتمل أن يكون جملة مقدَّرة بـ(استقرَّ) ونحوها.

والذي يظهر –إن سلَّمنا بأنَّ مذهب سيبويه التقدير– أنَّ القول بأنَّه يرى أن المقدَّر جملةٌ أولى بالقبول من القول بأنَّه مفردٌ، فالمتأمل في عباراته في المواضع التي تحدَّث فيها عن موضع الظرف يجده كثيرًا ما يعبِّر بـ(المستَقَرّ)، نحو قوله: «وتقول: (ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك)... إذا جعلتَ (فيها) مستقَرًّا»[(١)]، وقوله: «وأهل الجفاء من العرب يقولون: (ولم يكن كفوًا له أَحدٌ)، كأنهم أخروها حيث كانت غيرَ مستقَرَّة»[(٢)]، وقوله: «فيصير بمنزلة قولك: (إنَّ زيدًا فيها)؛ لأنَّ (فيها) لما صارت مستقَرًّا لـ(زيد)»[(٣)]، وقوله: «وأما (بك مأخوذٌ زيد) فإنَّه لا يكون إلا رفعًا، مِنْ قِبَلِ أنَّ (بك) لا تكون مستقَرًّا لـ(رجل)»[(٤)]، ومن الواضح أنَّه يعني بالتعبير بـ(المستقَرّ) محلَّ الاستقرار، والعبارة على هذا تحتمل أن يكون مراده تقدير اسم الفاعل، وتحتمل أن يكون مراده تقدير الفعل، غير أنَّه في بعض المواضع نصَّ على ذكر الفعل، نحو قوله: «كما كان (فيها زيدٌ قائمًا) بمنزلة (استقرَّ زيدٌ قائمًا)»[(٥)]، وقوله: «فصار قولك: (فيها) كقولك: (استقر عبد

(١) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٥٥.
(٢) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٥٦.
(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٨٨.
(٤) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٢٤.
(٥) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٣٩٦.

الله)»[١]، وقوله: «وذلك أنَّك إذا قلت: (فيها زيدٌ) فكأنَّك قلت: (استقرَّ فيها زيدٌ) وإن لم تذكر فعلًا»[٢].

وعلَّق السيرافي بعد أن أورد عبارة سيبويه الأخيرة بقوله: «وهنا أفصح سيبويه بنصب الظرف بـ(استقرَّ)»[٣].

وسواءٌ كان مراد سيبويه في المواضع السابقة تقدير الفعل بالمفهوم النحوي أو كان مراده تفسير المعنى فإنَّ هذا التصريح منه بذكر الفعل دون اسم الفاعل يرجِّح عند الموازنة بين القولين رأيَ مَنْ يقول إنَّ المقدَّر جملةٌ لا مفرد؛ لأنَّ طرفي النزاع هنا متفقان على أنَّ ثمَّ عاملًا مقدَّرًا، والخلاف بينهما في ماهيَّة هذا المقدر بين من يرى أنَّه فعلٌ ومن يرى أنَّه اسم فاعل، فإذا كان قد صرَّح بذكر الفعل في أكثر من موضع ولم يصرِّح بذكر اسم الفاعل في شيءٍ من المواضع فإنَّ في هذا دلالةً على أنَّه إن كان يرى أنَّ عاملَ الظرف مقدَّرٌ فلا مناص من القول إنَّ هذا العامل هو الفعل.

والموضع الذي أشار فيه ابن مالك إلى أن سيبويه أومأ فيه إلى أنَّ المقدَّر اسم فاعلٍ فيه تكلُّف ظاهر، كما أنَّه بنى تقريره على خطأٍ في نقل كلامه، فعبارة سيبويه: «والعامل في (خلف) الذي هو موضعٌ له، والذي هو في موضع خبره»[٤]، والعبارة عند ابن مالك: «والعامل في (خلف) الذي هو في موضعه،

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٨٩.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٨٧.

(٣) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ١٧٣.

(٤) هكذا وردت العبارة في النسخ المطبوعة من الكتاب، وهي كذلك في كل ما وقفت عليه من النسخ المخطوطة، وهو ما يرجِّح أنَّ الاختلاف ناتجٌ عن خطأ ابن مالك في نقلها، لا أنَّها كذلك في النسخة التي اعتمد عليها من الكتاب.

والذي هو في موضع خبره»[1]،، وقد بنى توجيهه على أنَّ سيبويه يريد بـ«والعامل في (خلف) الذي هو في موضعه»، أي: الذي (خلف) في موضعه، وهو (مستقر) ونحوه من أسماء الفاعلين، ويريد بـ«والذي هو في موضع خبره»، أي: الفعل (استقرَّ) ونحوه؛ لأنَّه في موضع اسم الفاعل، وعلى هذا فالعبارة بتمامها عند ابن مالك تشمل صورتين للتقدير، صورة يقدَّر فيها اسم الفاعل أصالةً، وصورة أخرى يقدَّر فيها الفعل نيابةً عنه، غير أنَّ سيبويه لما أضاف الموضع إلى ضمير اسم الفاعل في قوله: «موضعه» دلَّ ذلك على أولوية تقدير اسم الفاعل عنده، ثم لما كان الكلام عن عاملين في صورتين مختلفين أورد ابن مالك على هذا التقرير أنَّ الأولى -والحال هذه- أنْ يعطِف بحرف (أو) لا بالواو، فيقول: (والعامل في (خلف) الذي هو في موضعه، أو الذي هو في موضع خبره)، ثم أجاب عنه بأنَّ العرب يوقعون الواو موقع (أو) حيث لا تصلح الجمعيَّة، كقوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[2].

فإذا كان صواب عبارة سيبويه: «والعامل في (خلف) الذي هو موضعٌ له» لم يستقم الكلام على توجيه ابن مالك؛ لأنَّ دلالة (موضعٌ له) تنصرف حينها إلى موضع الاستقرار لا إلى موقع الظرف في الجملة، وهذا يعني أنَّنا لن نكون بإزاء صورتين لعامل الظرف تحتمل الأولى منهما تقدير اسم الفاعل والأخرى تقدير الفعل، بل بإزاء صورةٍ واحدة تحتمل عاملًا مقدَّرًا واحدًا، وعندها لا يمكن إيقاع (أو) موقع الواو، بخلاف دلالة (في موضعه) التي تماثل دلالة (في موضع خبره) في انصراف كلٍّ منهما إلى الموضع المكاني، ومن ثمَّ تحتمل وجود صورتين، وإذا كان الأمر كذلك ترجَّح صرف مراد العبارة -إن

(١) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣١٦-٣١٧.
(٢) النساء ٣.

كان ثمَّ تقدير– إلى تقدير الفعل؛ لكونه يوافق تفسير سيبويه في مواضع أخرى على ما تقدَّم ذكره.

وعلى هذا التأويل يكون المراد بقول سيبويه: «وعمل فيها ما قبلها» أنَّ الذي عمل في الظروف العاملُ المقدَّر قبلها، فالضمير في (فيها) و(قبلها) عائدٌ إلى الظروف، و(ما) للعامل المحذوف، وبقوله: «على ما هو فيه وهو غيره»، أنَّ العامل مقدَّرٌ في الظرف، وهو –أي العامل المقدَّر– غير المبتدأ، فالضمير (هو) في الموضعين عائدٌ إلى العامل المحذوف، والضمير في (فيه) عائدٌ إلى الظرف، والضمير في (غيره) عائدٌ إلى المبتدأ[١]، وقد يحتمل الكلام أن يكون الضمير في (غيره) عائدًا إلى الظرف، والمراد أنَّ العامل غير الظرف، والاحتمال الأول أليق بعبارته الآتية: «والذي هو في موضع خبره»، والمراد بقوله: «والعامل في (خلف) الذي هو موضعٌ له» أنَّ الظرف مستقَرٌّ للعامل المحذوف، فيكون الضمير (هو) عائدًا إلى الظرف، والضمير في (له) عائدًا إلى العامل المحذوف، وبقوله: «والذي هو في موضع خبره» أنَّ العامل حلَّ في موضع خبر المبتدأ، فيكون الضمير (هو) عائدًا إلى العامل المحذوف، والضمير في (خبره) عائدًا إلى المبتدأ.

ويستقيم تشبيه سيبويه لعامل الظرف بالعامل في التمييز في نحو (أنت الرجل علمًا) و(خير منك عملًا) و(عشرون درهمًا) على هذا التوجيه بما ذكره السيرافي[٢] من أنَّ (الرجل) إنَّما نصب (علمًا) لأنَّه في تقدير (كامل) ونحوه مما هو بمعنى الفعل، وكذلك (عشرون) نصب (درهمًا) على مذهب (ضاربين زيدًا) ونحوه، فكأنَّ اشتراكها في نصب ما بعدها كاشتراكها في تقدير ناصبٍ لما بعدها.

(١) هذا تقدير ابن مالك.

(٢) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ٢٦–٢٧. وينظر: الأعلم الشنتمري، "النكت"، ١: ٤٣٢.

وأمَّا توجيه كلام سيبويه على التأويل الثالث –وهو أنَّ الظرف منصوب بالمبتدأ– فيقال فيه إنَّ المراد بقوله: «وعمل فيها ما قبلها» المبتدأ الذي قبل الظرف، فالضمير في (فيها) و(ما قبلها) عائدٌ إلى الظروف، و(ما) للمبتدأ، وبقوله: «فهذا كلُّه انتصب على ما هو فيه وهو غيره» أنَّ الظرف انتصب بالذي فيه، والذي فيه هو المبتدأ؛ لأنَّ الظرف موضعٌ له، والمبتدأ غير الظرف، وسواءٌ أعدنا الضمير (هو) الثاني إلى المبتدأ والضمير في (غيره) إلى الظرف –كما فعل السيرافي– أو فعلنا العكس بأن أعدنا الضمير (هو) إلى الظرف والضمير في (غيره) إلى المبتدأ –كما في توجيه ابن خروف– فالمآل واحدٌ، وهو أنَّ أحدهما غيرُ الآخر، والمراد بقوله: «والعامل في (خلف) الذي هو موضعٌ له» أنَّ العامل في (خلف) الذي (خلف) موضعٌ له، والذي (خلف) موضعٌ له هو المبتدأ، فـ(الذي) هو المبتدأ، و(هو) عائدٌ إلى (خلف)، والضمير في (له) راجعٌ إلى (الذي)، وهو المبتدأ، والمراد بقوله: «والذي هو في موضع خبره» أنَّ (الخلف) في موضع خبر المبتدأ، فـ(الذي) هو المبتدأ، و(هو) عائدٌ إلى (الخلف)، والضمير في (خبره) عائدٌ إلى (الذي)، وهو المبتدأ، فكأنَّ سيبويه قال: العامل في الظرف الاسمُ الذي الظرف موضعٌ له، وواقعٌ في موقع خبره، وذلك الاسم هو المبتدأ.

ومراد سيبويه بتشبيه عمل المبتدأ في الظرف بعمل (عشرون) و(الرجل) و(خير) فيما بعدها على هذا التوجيه ظاهرٌ، فالمبتدأ نصَب الظرفَ كما أنَّ (عشرون) عمِلَ النصبَ في (درهمًا)، وكما عَمِلَ (الرجل) و(خير) النصبَ في (علمًا) و(عملًا).

وقد ظهر لي بعد التأمل في النصوص السابقة وتتبع المواضع الأخرى التي تطرَّق فيها سيبويه إلى ناصب الظرف الواقع خبرًا أنَّ صَرْفَ مراده في النصوص المتنازع فيها إلى أنَّه يرى أنَّ المبتدأ هو العامل في الظرف أولى وأحرى بالقبول من

القول بأنَّه يرى انتصاب الظرف بعاملٍ مقدَّر؛ وذلك لأنَّه التوجيه الموافق لظاهر كلامه، والأليق بعباراته، والأكثر انسجامًا مع سياق كلامه في جميع المواضع، ويظهر ذلك من وجوه عدَّة، وهي:

١- جلاء مراجع الضمائر واتساقها مع ظاهر سياق الكلام في المواضع المتنازع فيها، وليس الأمر كذلك في توجيه من يرى تقدير العامل، فإعادة الضمير في (قبلها) في قول سيبويه: «وعمل فيها ما قبلها» وفي (قبلها) و(بعدها) في قوله: «وكذلك يعمل فيها ما قبلها وما بعدها» إلى الاسم الظاهر – وهو المبتدأ– أولى من إعادته إلى مقدَّر غير مذكورٍ في الكلام، كما يرى القائلون بالتقدير، وعود الضمير في (غيره) في قوله: «فهذا كلُّه انتصب على ما هو فيه وهو غيره» على المبتدأ أو الظرف المدلول عليهما بالضمير السابق (هو) الثاني أولى من إعادته على المبتدأ دون أن يسبق له ذِكْرٌ كما يرى ابن مالك[(١)]، كما أنَّ إعادة الضمير في (خبره) إلى المبتدأ في قوله: «والذي هو في موضع خبره» والحديث عنه أولى من إعادته إليه والحديث عن غيره.

٢- أنَّ تشبيه سيبويه عامل نصب الظرف بعامل نصب التمييز في نحو (عشرون درهمًا) و(أنت الرجل علمًا) و(خيرٌ عملًا) يقتضي أن يكون مراده المبتدأ لا الفعل المقدَّر، ويظهر ذلك من عدة وجوه:

الأول: أنَّ العامل في التمييز هو الاسم الذي قبله باتفاق النحويين[(٢)]، فينبغي

(١) قد يندفع هذا الإيراد بإعادة الضمير في (غيره) إلى الظرف كما تقدم، إلا أن الإشكال سيتكرر في عبارة آتية.

(٢) حكى الإجماع أبو حيان، ونصَّ سيبويه على ذلك في أحد المواضع بقوله: «فيعمل ما =

أن يكون ناصب الظرف الاسم الذي قبله وهو المبتدأ، وأمَّا على القول بتقدير العامل فلا يستقيم تشبيه العمل في الظرف بالعمل في التمييز إلا على تقدير ما هو بمعنى الفعل كما قرَّر السيرافي، والأخذ بما يقتضيه ظاهر اللفظ دون تأويل أولى من اللجوء إلى التأويل.

الثاني: أنَّ سيبويه لم يقتصر في تشبيه عامل الظرف بالعامل في (عشرين درهمًا) على كونه قبله، بل أضاف إلى ذلك كونَه غيرَه، وذلك ظاهرٌ في قوله: «فهذا كلُّه انتصبَ على ما هو فيه وهو غيره، وصار بمنزلة المنوَّن الذي يعمل فيه ما بعده، نحو العشرين»، وقد أبان في موضعٍ آخر عن كونِ العشرين غير الدرهم بقوله: «لأنَّ الدرهم ليس من اسم العشرين ولا هو هي»[1]، كما أبان عن كون المبتدأ غير الظرف في مواضع أخرى، كقوله: «وذلك قولك: (فيها عبد الله قائما)، و(عبد الله فيها قائما)، فـ(عبد الله) ارتفع بالابتداء لأنَّ الذي ذكرت قبله وبعده ليس به، وإنما هو موضعٌ له»[2]، وهذا الوجه من المشابهة غير واردٍ بين العامل المحذوف والعامل في (عشرين درهمًا).

الثالث: أنَّ لجوء سيبويه إلى تشبيه العامل في الظرف بالعامل في (عشرين درهمًا) يقتضي أن يكون أمام صورةٍ خاصَّة من العمل، ولو كان مراده العامل المحذوف لكان في غنًى عن اجتلاب هذه الصورة الخاصَّة، ولَشبَّهه بعمل الفعل المقدَّر أصالةً.

قبله فيه عمَلَ عشرين في الدرهم إذا قلت: عشرون درهمًا». ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٨١؛ ومحمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي، "التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق الدكتور حسن بن محمود هنداوي، (ط١، الرياض: دار كنوز أشبيليا، ١٤٣١هـ)، ٩: ٢٢٣.

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١١٨.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٨٨.

الرابع: ممَّا يرجِّح أنَّ سيبويه بصدد التشبيه بعمل المبتدأ لا بعمل العامل المقدَّر أنَّه قال في الموضع الأول بعد أن أشار إلى أنَّ العامل فيها ما قبلها مباشرةً: «كما أنَّ العِلْمَ إذا قلت: (أنتَ الرجلُ علمًا) عمل فيه ما قبله، وكما عمل في الدرهم عشرون إذا قلت: (عشرون درهمًا)»، فلم يكتف بتقرير الشبه بين العامل في الظرف والعامل في (درهمًا) و(علمًا)، بل احتاج إلى التمثيل لكل صورةٍ بمثال يكون فيها العامل مرفوعًا والمعمول منصوبًا، بحيث تكون الصورتان مطابقتين تمامًا لصورة المبتدأ مع الظرف، لكنَّه حين كرَّر التشبيه في الموضع الثاني بقوله: «وصار بمنزلة المنوَّنِ الذي يعمل فيما بعده، نحو (العشرين)، ونحو قوله: (هو خيرٌ منك عملًا)»، اكتفى بذكر (عشرين) دون تمثيلٍ؛ لأنَّه سبق أن أورد لها مثالًا يجلي عن مراده من التشبيه، فيما اضطر إلى أن يمثِّل للصورة الأخرى لأنَّه جاء بعاملٍ لم يسبق له التمثيل به، وهو (خير)، فاحتاج إلى التمثيل لكي يظهره في صورة الرَّفع المطابقة لصورة المبتدأ كما احتاج إلى التمثيل في الموضع الأول.

٣- في قول سيبويه: «وكذلك يعمل فيها ما بعدها وما قبلها» إشارةٌ إلى صورتي تقدُّمِ الظرف عن المبتدأ وتأخُّره عنه، نحو (زيدٌ في الدار) و(في الدار زيدٌ)، وهذا يقوّي إرادة المبتدأ؛ لأنَّ عمله في الحالين سواءٌ، وأمَّا القول بتقدير العامل فيفضي في صورة تقديم الظرف إلى تأخير ما حقُّه التقديم؛ لأنَّ التقدير حينئذٍ سيكون: (زيدٌ في الدار استقرَّ)، وهذا ما دعا الأخفش إلى القول بارتفاع ما بعد الظرف على الفاعلية كما سيأتي.

٤- أنَّ صَرْفَ المراد بالموضع في قوله: «والعامل في (خلف) الذي هو موضعٌ له» إلى المبتدأ أولى من صرفها إلى العامل المحذوف؛ لأنَّه يوافق مواضع أخرى من الكتاب يترجح فيها انصراف الكلام إلى المبتدأ، منها قوله:

«وذلك قولك: (فيها عبد الله قائمًا) و(عبد الله فيها قائمًا)، فـ(عبد الله) ارتفع بالابتداء لأنَّ الذي ذكرت قبله وبعده ليس به، وإنما هو موضعٌ له»[١]، وقوله: «وتقول: (إنَّ قريبًا منك زيدًا) إذا جعلتَ (قريبًا منك) موضعَه، وإذا جعلت الأوَّل هو الآخِرَ قلت: إنَّ قريبًا منك زيدٌ»[٢]، وقوله: «كما كان الظرفُ موضعًا قد صِيرَ فيه بالنيَّة وإن لم يَذكر فعلًا، وذلك أنَّك إذا قلتَ: (فيها زيدٌ) فكأنَّك قلتَ: (استقرَّ فيها زيدٌ) وإن لم يذكر فعلاً»[٣]، وهذا الموضع الأخير قد يوهم أنَّه يعني بقوله: «قد صير فيه» صيرورة العامل المقدَّر في الظرف، غير أنَّ العودة إلى سياق كلامه تكشف لنا عن مراده الحقيقي؛ إذ الغرض من ذكره صورة الظرف الواقع خبرًا في ذلك الموضع تشبيه الحال بالظرف، فكما أنَّ الظرف يكون موضعًا للمبتدأ في نحو (فيها زيدٌ) يكون الحال موضعًا لصاحب الحال إذا قلنا: (هذا الرجل منطلقًا)، ولذلك فإنَّ المشبَّه به في قوله: «كما كان الظرفُ موضعًا قد صير فيه» هو قوله قبلها مباشرةً: «فيصير الخبر حالًا قد ثبت فيها وصار فيها»، فالصيرورة التي عناها سيبويه في الظرف بقوله: «قد صير فيه» هي بعينها التي عبَّر عنها في الحال بقوله: «وصار فيها».

وممَّا يقوّي إرادته حلول المبتدأ -لا العامل- في الظرف أنَّه قال عند بيانه علَّة انتصاب الظروف في مطلع الباب: «وذاك لأنَّها ظروفٌ تقع فيها الأشياء، وتكون فيها، فانتصب لأنَّه موقوعٌ فيها، ومكونٌ فيها»[٤]، ودلالة

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٨٨.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٤٢.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٨٧.

(٤) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٤٠٣-٤٠٤.

(الأشياء) في قوله: «تقع فيها الأشياء» على الأسماء التي قبلها أظهرُ من دلالتها على العامل المقدَّر، وإذا كان الأمر كذلك ترجَّح صرفُ مراده في المواضع الأخرى التي نصَّ فيها على أنَّ العامل في الظرف الذي فيه إلى المبتدأ، ومنها قوله في الموضع المتنازع فيه: «فهذا كلُّه انتصب على ما هو فيه وهو غيره»، وقوله في موضعٍ آخر: «وإنَّما انتصب (خلفك) بالذي فيه»[١]

٥- إقرار السيرافي[٢] -وهو ممَّن يرى تقدير العامل- بأنَّ ظاهر كلام سيبويه في مواضع النزاع يتوجه إلى إرادة إعمال المبتدأ لا العامل المقدَّر، فقد قال بعد أن فسَّر قوله: «وصار بمنزلة المنوَّن...» وجلَّى وجه تشبيه المنوَّن بالمبتدأ في العمل: «فظاهر هذا أنَّ المبتدأ قد نصب الظرف الذي بعده، ثم حقَّق هذا بقوله: فصار (هو خلفك) و(زيدٌ خلفك) بمنزلة ذلك»، وقال بعد أن فسَّر قوله: «والعامل في (خلف) الذي هو موضعٌ له، والذي في موضع خبره» وأبان عن مراجع الضمائر فيها: «فظاهر ذلك كلِّه أنَّ المبتدأ ينصب الظرف كما يرفع الخبر إذا كان هو هو»، وكرَّر الكلام بقوله: «فهذا ما يقتضيه اللفظ ظاهرًا»، ثم قال بعد أن فسَّر كلام سيبويه على هذا الوجه: «فهذا كلام سيبويه، وقد فسَّرتُ لك ألفاظه لفظًا لفظًا، وعرَّفتُكَ مذهبَ البصريين في نصب الظروف، ويجوز أن يكون سيبويه جعل المبتدأ لمَّا كان الفعلُ لا يظهر وكان ذِكْرُه نائبًا عن ذكرِ الفعل أقامه مُقام الفعل في العمل كما كان نائبًا عن ذكره ومغنيًا عنه، فنسب العمل إليه، ويجوز أن يكون

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٣٢.

(٢) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ٢٩-٣٠، والعبارة فيها اضطراب، والمنقول من المخطوط ١٢٤و، ظ.

نسب إلى المبتدأ العملَ في الظرف؛ لأنَّ فاعل (استقرَّ) هو المبتدأ، والمضمر هو المظهر، فلملابسته للفعل المضمر أجاز أنْ يعبَّر عنه أنَّه العامل فيه».

ومن الواضح من تصدير السيرافي للكلام السابق بأنَّه فسَّر ألفاظ سيبويه لفظًا لفظًا ثمَّ من إشارته إلى أنَّه قد عرَّف بمذهب البصريين في نصب الظروف -ويعني بذلك ما حكاه عن إجماعهم على القول بتقدير الفعل- أنَّه وجد في الكلام دلالةً واضحةً على إعمال المبتدأ تخالف ما أجمع عليه البصريون، ولذلك لم يجنح إلى اعتساف كلام سيبويه ليوافق رأي الجمهور كما فعل ابن مالك، بل ترك الكلام على دلالته الظاهرة، وحاول التماس مسوِّغٍ لنسبته العمل إلى المبتدأ، مع الاحتفاظ بكونه يرى العمل للعامل المحذوف.

وإذا كان السيرافي معنيًّا بالتوفيق بين رأي سيبويه ورأي الجمهور فإنَّ الذي يعنينا من كلامه -ونحن بصدد الوصول إلى رأيه في عامل الظرف المستقرِّ الواقع خبرًا – ما يبدو فيه من تأييدٍ لتوجُّه دلالة كلام سيبويه إلى أنَّ الناصب المبتدأُ لا العامل المقدَّر.

٦- ضعف ما أورده ابن مالك[1] من اعتراضٍ على هذا التوجيه لكلام سيبويه في المواضع المتنازع فيها، فأمَّا احتجاجه لعدم صحَّة إعادة الضمير (هو) الثاني على المبتدأ و(الهاء) في (غيره) إلى الظرف في قوله: «على ما هو فيه وهو غيره» بأنَّ الإعلام بذلك إعلامٌ بما لا يُجهَل فغير مستقيمٌ؛ إذ ليس مراد سيبويه من ذلك مطلقَ الغيريَّة حتى يرد عليه اعتراض ابن مالك، بل مراده تمييز الصورة التي يكون فيها الخبر غير المبتدأ عن الصورة التي يكون فيها الخبر هو المبتدأ كما في (زيدٌ أخوك)، وغرضه من ذلك بيان الفرق بين ما يعمل فيه المبتدأ النصبَ في الخبر كما في الصورة الأولى، وما يعمل

(١) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣١٦.

فيه الرفعَ كما في الصورة الأخرى، وقد كرَّر سيبويه هذا التنويه في أكثر من موضع عند كلامه عن الظرف المستقر الواقع خبرًا، نحو قوله: «وذلك قولك: (فيها عبد الله قائمًا) و(عبد الله فيها قائمًا)، فـ(عبد الله) ارتفع بالابتداء لأنَّ الذي ذكرت بعده وقبله ليس به، وإنما هو موضعٌ له»[١]، وقوله: «واعلم أنَّ المبتدأ لا بدَّ من أن يكون المبنيُّ عليه شيئًا هو هو، أو يكون في مكانٍ أو زمان»[٢]، وقوله: «وليست (فيها) بنفس (عبد الله) كما كان (هذا) نفسَ (عبد الله)»[٣].

والمتأمل في كلام سيبويه في مواضع كثيرةٍ من كتابه يجده يربط بين إسناد الأسماء إلى ما هو نفسها والحكم بالرفع من جهة، وبين إسنادها إلى ما هو غيرها والحكم النصب من جهة أخرى، وكأنَّه يجعل من المطابقة علَّةً لاقتضاء الرفع، ومن الغيريَّة علَّةً لاقتضاء النصب، ومن أمثلة ذلك قوله: «فإنْ قيل: (حَزَّنتُ قومَك بعضُهم أفضلُ من بعض) و(أبكيتُ قومَك بعضُهم أكرمُ من بعضٍ) كان الرفعُ الوجهَ؛ لأنَّ الآخِرَ هو الأولُ، ولم تجعله في موضع مفعولٍ هو غيرُ الأول»[٤]، وقوله: «وأمَّا (له صوتٌ صوتُ حمار) فقد علمتَ أنَّ صوتَ حمارٍ ليس بالصوت الأول، وإنما جاز لك رفعه على سعة الكلام »[٥]، وقوله: «وتقول: (أمَّا العِلمُ فعالمٌ بالعِلم) و(أمَّا العِلمَ فعالمٌ بالعلم)، فالنصب على أنَّك لم تجعل العِلْمَ الثاني العِلْمَ الأولَ الذي

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٨٨.
(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٢٧.
(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٣٢.
(٤) سيبويه، "الكتاب"، ١: ١٥٨.
(٥) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٣٦٣-٣٦٤.

لفظتَ به قبله، كأنَّكَ قلتَ: (أمَّا العلمَ فعالمٌ بالأشياء)، وأمَّا الرفع فعلى أنَّه جعل العِلْمَ الآخِرَ هو العِلْمَ الأوَّلَ، فصار كقولك: (أمَّا العِلْمُ فأنا عالمٌ به)، و(أمَّا العِلمُ فما أعلمني به)»[١]، وقوله: «باب ما ينتصب لأنَّه ليس من اسم ما قبله، ولا هو هو»[٢]، وقوله: «واعلم أنَّ جميع ما ينتصب في هذا الباب ينتصب على أنَّه ليس من اسم الأول ولا هو هو»[٣]، وقوله: «هذا باب ما يختار فيه الرفع إذا ذكرت المصدرَ الذي يكون علاجًا، وذلك إذا كان الآخِر هو الأول»[٤].

وقد تنبَّه السيرافي إلى مراد سيبويه من التنويه بأنَّ الظرف غير المبتدأ، ولذلك قال بعد أن فرغ من شرح عبارته: «وظاهر هذا كلِّه أنَّ المبتدأ ينصب الظرف كما يرفع الخبر إذا كان هو هو، نحو قولك: (عبد الله أخوك)»[٥].

وأمَّا احتجاج ابن مالك[٦] بأنَّ سيبويه شبَّه ناصب الظرف بالعامل في التمييز في (خيرٌ عملًا) وناصبُ التمييز الخبرُ لا المبتدأ فينبغي أن يكون ناصب الظرف خبرًا لا مبتدأ ففيه نظر؛ لأنَّ مناط الحكم عملُ الاسم فيما بعده لا موقع ذلك الاسم في الجملة، بدليل أنَّ سيبويه أورد المثال الآخر (عشرون درهمًا) في الموضع نفسه دون أن يضعه في جملة، بل إنَّه في موضع آخر من المواضع التي تكلَّم فيها عن هذه المسألة مثَّل لعامل التمييز باسمٍ واقع موقع المبتدأ، يقول: «فيعمل هذا الكلام في هذه الغايات بالنصب كما عمل (له عشرون درهمًا)

(١) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٣٨٥.
(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١١٨.
(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٢١.
(٤) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٢٧.
(٥) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٦: ٢٧.
(٦) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣١٦.

في الدرهم»[١]، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الغرض من التمثيل عنده ينحصر في عمل الاسم فيما بعده، دون النظر إلى موقعه الإعرابي.

٧- وجود دلائل أخرى في كلام سيبويه ترجِّح أنَّه يرى انتصاب الظرف بالمبتدأ، منها قوله –مباشرةً ودون فصلٍ– بعد أن ذكر أنَّ العامل في (خلف) الذي هو موضعٌ له والذي هو في موضع خبره: «كما أنَّك إذا قلت: (عبد الله أخوك) فالآخِرُ قد رفعَه الأول وعمل فيه، وبه استغنى الكلام»[٢]، ومنها قوله: «وأمَّا قولهم: (داري خلفَ دارك فرسخًا) فانتصب لأنَّ (خلف) خبرٌ للدار، وهو كلامٌ قد عمل بعضُه في بعضٍ واستغنى»[٣].

ويلحظ أن سيبويه نصَّ على أنَّ الكلام عمل بعضُه في بعضٍ، وصرفُ كلامه إلى عمل البعض الظاهر –وهو المبتدأ– أولى من صرفه إلى بعضٍ مقدَّر، ويؤيد ذلك أنَّه نصَّ هنا وفي الموضع قبله على أنَّ الكلام قد استغنى، وفي التعبير بالاستغناء دلالةٌ على عدم الحاجة إلى تقدير.

٨- أنَّ في القول بأنَّ سيبويه يعمل المبتدأ في الظرف دفعًا لإشكالٍ احتجَّ به الأخفش في إعرابه الاسم المتأخر عن الظرف في نحو (في الدار زيدٌ) فاعلًا، وهو أنَّ تقدير ناصبٍ للظرف يحتِّم أن يكون تقدير (في الدار زيدٌ): استقرَّ في الدار زيدٌ؛ لأنَّ الأصل في متعلَّق الظرف التقديم، وإذا كان الأمر كذلك تعيَّن أن يكون (زيدٌ) فاعلًا لا مبتدأ[٤]، كما أنَّ القول به يدفع إشكالًا

(١) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٤١٧.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٤٠٦.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٤١٧.

(٤) الفارسي، "المسائل العسكرية"، ١٠٨-١٠٩. وينظر: عثمان بن أبي بكر بن الحاجب، "أمالي ابن الحاجب". تحقيق الدكتور فخر صالح قدَّارة، (ط١، عمَّان: دار =

آخر قوَّى به الفارسي[1] ما نسبه إلى ابن السراج[2] مِنْ أنه ذهب إلى أنَّ الظرف المستقرَّ الواقع في موضع الخبر قسمٌ برأسه، وهو أنَّ تقدير ناصبٍ للظرف غير ممكنٍ مع الحروف الناسخة، نحو (إنَّ في الدار زيدًا)؛ إذ لا يجوز أن يكون الفعل مرادًا هنا؛ لأنَّ الحروف الناسخة مشبَّهةٌ به، وعاملةٌ عمَله، فكما لا يدخل فعلٌ على فعلٍ بلا واسطة اسمٍ كذلك لا يدخل شيءٌ من هذه الحروف على الفعل، ولا يجوز كذلك أن يكون اسم الفاعل مرادًا؛ لأنَّ الاسم لو كان مرادًا ما كان ليتخطى ذلك الاسمَ المرادَ ليعمل في الاسم المظهر.

والقول بأنَّ سيبويه يرى بأن عامل النصب في الظرف الواقع خبرًا هو المبتدأ يدفع هذين الإشكالين.

٩- أنَّ توجيه كلام سيبويه إلى هذا القول لا يتعارض مع ما سبقت الإشارة إليه[3] في المواضع التي صرَّح فيها بالفعل المقدَّر، كقوله: «كما كان (فيها زيدٌ قائمًا) بمنزلة (استقرَّ زيدٌ قائمًا)»، وقوله: «فصار قولك: (فيها) كقولك: (استقر عبد الله)»، وقوله: «وذلك أنَّك إذا قلت: (فيها زيدٌ) فكأنَّك قلت: (استقرَّ فيها زيدٌ) وإن لم تذكر فعلًا».

وبيان ذلك أن يقال: إنَّ سيبويه يرى أنَّ عامل النصب في الظرف هو المبتدأ، وتصريحه بذكر الفعل في المواضع السابقة لتفسير معنى الاستقرار في الظرف، لا لأنَّه يرى أنَّه العامل، وقد أوضح ذلك ابن خروف بقوله: «ولا ينوي

عمَّار، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩م)، ٢: ٧٢٩.

(١) الفارسي، "المسائل العسكرية"، ١٠٥-١٠٨. وينظر: ابن عصفور، "شرح جمل الزجاجي"، ١: ٣٤٤؛ وأبو حيان، "التذييل والتكميل"، ٤: ٥-٦.

(٢) انظر ما سبق ص ١٢ الهامش ١.

(٣) انظر ما سبق ص ٢٧.

(استقرَّ) ولا (مستقر)... أراد بذلك بيان المعنى، وأنَّه يتضمَّن معنى فعل، ولذلك عَمِلَ، لا لأنه متعلِّقٌ بمحذوف، فقولك (زيدٌ في الدار) قد عُلِمَ أنَّ (في) دلَّت على معناها الذي هو الاستقرار»[1].

ويضاف إلى ما سبق أنَّ سيبويه لم ينصَّ على العمل في أيِّ موضعٍ من المواضع التي صرَّح فيها بذكر العامل كما فعل في المواضع التي تحتمل المبتدأ، ومنها قوله: «وعمل فيها ما قبلها»، وقوله: «كما أنَّ (العلم) إذا قلت: (أنت الرجل علمًا) عمل فيه ما قبله، وكما عمل في الدرهم (عشرون)»، وقوله: «وكذلك يعمل فيها ما بعدها وما قبلها»، وقوله: «وعمل فيها ما قبلها»، وقوله: «والعامل في (خلف)»، وقوله: «كما أنَّك إذا قلت: (عبد الله أخوك) فالآخِر قد رفعه الأول وعمل فيه»، وهو ما يرجِّح أن يكون مراده في المواضع التي صرَّح فيها بذكر الفعل إيضاح المعنى لا النصَّ على العامل.

بقيت مسألةٌ في غاية الأهمية، وهي أنَّه إذا كان هذا هو رأي سيبويه فلماذا لَمْ يُفصِحْ عنه صراحةً ويَقُلْ إنَّ العامل هو المبتدأ؟! ولِمَ لجأ إلى التعبير بهذه العبارات التي تحتمله وتحتمل غيره؟!

والجواب عن هذا السؤال الجوهري له صلةٌ وثيقة بمنهج التأليف عند سيبويه وطريقته في عرض المسائل النحوية ومناقشتها ممَّا لا يتسع المجال لذكره في هذا البحث المختصر، ويعنينا منه هنا أن نقول إنَّ سيبويه لم ينصَّ على المبتدأ؛ لأنَّه كان بصدد وضع قاعدةٍ عامَّة لعامل الظرف المستقرِّ عمومًا لا الواقع خبرًا فحسب، بدليل أنَّه صدَّر الباب بقوله: «هذا باب ما ينتصب من الأماكن والوقت، وذاك لأنَّها ظروفٌ تقع فيها الأشياء، وتكون فيها، فانتصب لأنَّه موقوعٌ

(١) ابن خروف، "شرح كتاب سيبويه"، (مخطوط) ١١٧و.

فيها، ومكونٌ فيها»[١]، وهذا الضابط الذي ذكره يدخل فيه -بالإضافة إلى الظرف المستقرّ الواقع خبرًا- الظرف الواقع صفةً وحالًا وصلةً، ولذلك أورد لكلٍّ صورة مثالًا أو أكثر[٢]، فمثَّل للظرف الواقع صفةً بـ(هذا رجلٌ مكانَك)، و«هما خطَّانِ جنابَتَيْ أنفِها»، واستشهد للظرف الواقع حالًا بقول الشاعر:

سرى بَعْدَما غارَ الثُّريَّا وبَعْدَما كأنَّ الثُّرَيَّا حِلَّةَ الغَوْرِ مُنْخَلُ[٣]

وبقول الآخر:

نحنُ الفوارسُ يومَ الحِنْوِ ضاحِيةً جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ[٤]

واستشهد للظرف الواقع صلةً بقول الشاعر:

هَبَّتْ جَنُوبًا فذِكرى ما ذَكرتُكُمُ عِنْدَ الصَّفاةِ التي شَرْقِيَّ حُورانا[٥]

---

(١) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٤٠٣-٤٠٤.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٤٠٤-٤٠٧.

(٣) من الطويل، لبشر بن عمرو بن مرثد في: الحسن بن محمد الصغاني، "التكملة والذيل والصلة". تحقيق إبراهيم الأبياري، (ط١، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٧م)، ٥: ٣٢٣، وبلا نسبة في: الفارسي، "المسائل البصريات"، ١: ٥٠١، وأحمد بن محمد المرزوقي، "الأزمنة والأمكنة"، (ط١، الهند: دار المعارف، ١٩١٤م)، ١: ٣٠٦.

(٤) من البسيط، للأعشى، انظر: ميمون بن قيس، "ديوان الأعشى الكبير". تحقيق محمد محمد حسين، (القاهرة: مكتبة الجماميز، دون رقم طبعة أو تأريخ)، ٦٣؛ وحمد بن محمد الخطابي، "غريب الحديث". تحقيق عبد الكريم محمد العزباوي، (ط٢، مكة المكرمة: مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ٢٠٠١م)، ١: ٦٦١؛ وابن مالك، "شرح التسهيل"، ٢: ٢٢٥.

(٥) من البسيط، لجرير، انظر: جرير بن عطيَّة، "ديوان جرير". تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه، (ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦م)؛ وابن السراج، "الأصول"، ٢: ٢٠٢، وابن مالك، "شرح التسهيل"، ٢: ٢٢٥.

ثمَّ بعد أن فرغ من سرد الأمثلة والشواهد قال معمِّمًا الحكم على جميع الظروف التي تناولها: «واعلم أنَّ هذه الأشياء كلَّها انتصابها من وجهٍ واحد»، ويريد بذلك أنَّ العامل في هذه الظروف الأسماءُ التي تكون الظروفُ مواضعَ لها، فالعامل في الظرف المستقرِّ الواقع خبرًا هو المبتدأ، والعامل في الظرف المستقرِّ الواقع صفةً هو الموصوفُ، والعامل في الظرف المستقرِّ الواقع حالًا هو صاحب الحال، والعامل في الظرف المستقرِّ الواقع صلةً هو الموصول.

خاتمة

أولًا: أهم النتائج:

١- ترجَّح لدى الباحث أنَّ سيبويه يُعرب الظرف المستقرَّ المسند إلى الاسم المرفوع خبرًا تقدَّمَ أو تأخَّر، ويستثنى من ذلك الصورة التي أعمل فيها الظرف في الاسم الذي بعده، وارتفع فيها الاسم على الفاعليَّة، نحو: (مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا).

٢- المواضع التي تناول فيها سيبويه عامل الظرف المستقر الواقع خبرًا تحتمل دلالاتها أن يكون العامل عنده الخلاف، وتحتمل أن يكون فعلًا مقدَّرًا، وتحتمل أن يكون المبتدأ، ولم يظهر للباحث أنَّه يرى انتصاب الظرف بعاملٍ في تقدير اسم الفاعل.

٣- يرجح الباحث أنَّ سيبويه يرى أنَّ العامل في الظرف المستقر الواقع خبرًا هو المبتدأ.

٤-دلالة كلام سيبويه في المواضع التي تناول فيها المسألة على أنَّ المبتدأ هو عامل النصب في الظرف أقوى من دلالتها على إرادة الفعل المقدَّر.

٥-وقف الباحث على مواضع أخرى من كتاب سيبويه غير المتنازع فيها ترجِّح أنَّه يرى أنَّ المبتدأ هو ناصب الظرف لا العامل المقدَّر.

٦-المواضع التي نصَّ فيها سيبويه على الفعل عند حديثه عن الظرف المستقر الواقع خبرًا لم يشر فيها إلى العمل، بخلاف المواضع الأخرى التي تحتمل إرادة المبتدأ، ممَّا يرجِّح صرْفَ مراده في المواضع التي صرَّح فيها بذكر الفعل إلى معنى الاستقرار، لا إلى العمل.

ثانيًا: التوصيات:

١- إجراء دراساتٍ تطبيقية على نصوص تراثية أخرى، لرصد أثر توجيه سيبويه لعامل النصب في الظرف المستقر الواقع خبرًا.

٢- دراسة المصطلحات النحوية المرتبطة بالظرف المستقر عند سيبويه دراسة دلالية تاريخية؛ لبيان تطور دلالة تلك المصطلحات، كالاستقرار، والتعلق، والكون العام.

٣- إعادة النظر في محتوى مقررات النحو في الجامعات السعودية، بحيث يشار في باب المبتدأ والخبر إلى القول بأنَّ العامل في الظرف المستقر هو المبتدأ.

ثبت بمصادر ومراجع البحث

أولًا: الكتب المطبوعة:

الأستراباذي، محمد بن الحسن. "شرح الرضي على الكافية". تحقيق يوسف حسن عمر. (ط٢، بنغازي: منشورات جامعة قاز يونس، ١٩٩٦م).

الأعشى، ميمون بن قيس. "ديوان الأعشى الكبير". تحقيق محمد محمد حسين، (القاهرة: مكتبة الجماميز، دون رقم طبعة أو تأريخ).

الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان. "النكت في تفسير كتاب سيبويه". تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. (ط١، الكويت: معهد المخطوطات العربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧م).

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. "الإنصاف في مسائل الخلاف". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. (ط٤، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦٠م).

البطليوسي، عبد الله بن محمد. "الاقتضاب في شرح أدب الكتاب". تحقيق الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد. (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود محمد شاكر. (ط٥، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٤م).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. "المقتصد في شرح الإيضاح". تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان. (ط١، العراق: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م).

جرير بن عطيَّة. "ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب". تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه. (ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦م).

ابن جني، عثمان. "سر صناعة الإعراب". تحقيق الدكتور حسن بن محمود هنداوي. (ط٢، دمشق: دار القلم، ١٩٩٣م).

ابن جني، عثمان. "اللمع في العربية". تحقيق حامد المؤمن. (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م).

ابن جني، عثمان. "مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها". تحقيق الدكتور حسين أحمد بو عباس. (ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١٠م).

ابن الحاجب، عثمان بن أبي بكر. "أمالي ابن الحاجب". تحقيق الدكتور فخر صالح قدَّارة. (ط١، عمَّان: دار عمَّار، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩م).

ابن الحاجب، عثمان بن أبي بكر. "الإيضاح في شرح المفصل". تحقيق الدكتور إبراهيم محمد عبد الله. (ط١، دمشق: دار سعد الدين، ٢٠٠٥م).

أبو حيان، محمد بن يوسف. "التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق الدكتور حسن بن محمود هنداوي. (ط١، الرياض: دار كنوز أشبيليا، ١٤٣١هـ).

ابن خروف، علي بن محمد. "شرح جمل الزجاجي". تحقيق الدكتورة سلوى محمد عمر عرب. (ط١، مكة المكرمة: معهد البحوث العلميَّة وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٩هـ).

الخطابي، حمد بن محمد. "غريب الحديث". تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي. (ط٢، مكة المكرمة: مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ٢٠٠١م).

الزجاج، إبراهيم بن محمد. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي. (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م).

الزمخشري، محمود بن عمر. "المفصل في صنعة الإعراب". تحقيق الدكتور فخر صالح قدَّارة. (ط١، عمَّان: دار عمَّار، ٢٠٠٤م).

ابن السراج، محمد بن سهل. "الأصول". تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي. (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م).

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. "نتائج الفكر". تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا، (ط٢، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٤م).

سيبويه، عمرو بن عثمان. تحقيق هرتويغ درنبرغ. (ط١، باريس: المطبع العامي الأشرف، ١٨٨١م).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". (ط١، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق عبد السلام هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م).

السيرافي، الحسن بن عبد الله. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق الدكتور محمد علوني عبد الرؤوف. (ط١، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميَّة، ٢٠٠٩م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "الأشباه والنظائر". تحقيق عبد العال سالم مكرم. (ط١، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٧م).

الصغاني، الحسن بن محمد. "التكملة والذيل والصلة". تحقيق إبراهيم الأبياري. (ط١، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٧م).

الصفار، قاسم بن علي. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق الدكتور معيض بن مساعد العوفي. (ط١، المدينة المنورة: دار المآثر، ١٩٩٨م).

ابن عصفور، علي بن مؤمن. "شرح جمل الزجاجي". تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح. (دون رقم طبعة أو تأريخ).

الفارسي، الحسن بن أحمد. "الإغفال". تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر الحاج

إبراهيم. (ط١، أبو ظبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٣م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "الإيضاح". تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان. (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٦م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "التعليقة على كتاب سيبويه". تحقيق الدكتور عوض بن حمد القوزي. (ط١، الرياض: مطابع الحسني، ١٩٩٦م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "المسائل البصريات". تحقيق الدكتور محمد الشاطر أحمد محمد أحمد. (ط١، مصر: مطبعة المدني، ١٩٨٥م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "المسائل الشيرازيات". تحقيق الدكتور حسن بن محمود هنداوي. (ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا، ٢٠٠٤م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "المسائل العسكرية". تحقيق الدكتور محمد الشاطر أحمد محمد أحمد. (ط١، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٢م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات". تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي. (ط١، العراق، مطبعة العاني، دون تأريخ).
الفراء، يحيى بن زياد. "معاني القرآن". تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي. (ط٣، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م).
القرطبي، هارون بن موسى. "شرح عيون كتاب سيبويه". تحقيق الدكتور عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه. (ط١، القاهرة: مطبعة حسَّان، ١٩٨٤م).
ابن مالك، محمد بن عبد الله. "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق محمد كامل بركات. (ط١، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٧٦م).
ابن مالك، محمد بن عبد الله. "شرح التسهيل". تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون. (ط١، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م).

المبرد، محمد بن يزيد. "المقتضب". تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. (ط٢، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٩م).

المرزوقي، أحمد بن محمد. "الأزمنة والأمكنة". (ط١، الهند: دار المعارف، ١٩١٤م).

ناظر الجيش، محمد بن يوسف. "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد". تحقيق الدكتور علي محمد فاخر وآخرين. (ط١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م).

ابن هشام، عبد الله بن يوسف. "مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب". تحقيق الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب. (ط١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة، ٢٠٠١م).

ابن ولاد، أحمد بن محمد. "الانتصار لسيبويه على المبرد". تحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م).

ابن يعيش، يعيش بن علي. "شرح المفصل". (إدارة الطباعة المنيرية، دون رقم طبعة أو تأريخ).

ثانيًا: المخطوطات:

السيرافي، الحسن بن عبد الله. "شرح كتاب سيبويه". نسخة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحمل الأرقام: (١٢٩٦-١٣٠٠)، مصورة عن نسخة دار الكتب والوثائق القومية، مصر، رقم (١٣٧ نحو).

ابن خروف، علي بن محمد. "شرح كتاب سيبويه". نسخة دارة الملك عبد العزيز، برقم (٤٠)، مصوَّرة عن مكتبة دار النهضة العربية ببيروت.

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة مكتبة الأسكوريال، برقم (١).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة مكتبة أيا صوفيا، برقم

(٤٥٧٤).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة مكتبة جوروم باشا، بالأرقام: (٢٥٦٢-٢٥٦٣-٢٥٦٤-٢٥٦٥).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة مكتبة حافظ أحمد باشا (كوبريلي)، برقم (٣٠٩).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة مكتبة حالت أفندي، برقم (٤٦٦).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه"، نسخة مكتبة حكيم أوغلو، برقم (٨٩٧).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة المكتبة الحميدية، برقم (١٣٢٦).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة مكتبة راغب باشا، برقم (١٣٧٥).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة مكتبة الفاتح، برقم (٥٠٦٢).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة مكتبة لا لا إسماعيل، برقم (٦٣٤).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "كتاب سيبويه". نسخة مكتبة مراد ملا، برقم (١٧١٧) خارجي، و(١٦٩٠) داخلي.

Bibliography

Firstly: Printed Books:

Al-Astarabadhi, Muhammad bin Al-Hassan. "Sharh Al-Radiyy ‘alaa Al-Kaafiyyah". Investigated by Youssef Hassan Omar. (2nd edition, Benghazi: Garyounis University Publications, 1996 AD).

Al-A’lam Al-Shantamari, Youssef bin Suleiman. "Al-Nukat fi Tafseer Kitaab Sibawayh". Investigated by Zuhair Abdul Mohsen Sultan. (1st edition, Kuwait: Institute of Arab Manuscripts at the Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization, 1987 AD).

Al-Anbari, Abd al-Rahman bin Muhammad. "Al-Insaaf fi Masaail Al-Khilaaf". Investigated by Muhammad Mohiuddin Abdul Hamid. (4th edition, Cairo: Al-Sa'ada Press, 1960 AD).

Al-Batalyawsi, Abdullah bin Muhammad. "Al-Iqtidaab fi Sharh Adab Al-Kitaab". Investigated by Professor Mustafa Al-Sakka and Dr. Hamed Abdel-Majid. (2nd edition, Cairo: Egyptian Book House, 1996 AD).

Al-Jurjani, Abd al-Qaher bin Abd al-Rahman. "Dalaail Al-I’jaaz". Investigated by Mahmoud Muhammad Shaker. (5th edition, Cairo: Al-Khanji Library, 2004 AD).

Al-Jurjani, Abd al-Qaher bin Abd al-Rahman. "Al-Muqtasid fi Sharh Al-Idaah". Investigated by Dr. Kazim Bahr Al-Marjan. (1st edition, Iraq: Dar Al-Rashid Publishing House, 1982 AD).

Ibn Jinni, Uthman. "Sirr Sinaa’at Al-I’raab". Investigated by Dr. Hassan bin Mahmoud Hindawi. (2nd edition, Damascus: Dar Al-Qalam, 1993 AD).

Ibn Jinni, Uthman. "Al-Luma’ fi Al-Arabiya". Investigated by Hatem Al-Moamen. (2nd edition, Beirut: The World of Books, 1985 AD).

Ibn Jinni, Uthman. "Mukhtar Tadhkirat Abi Ali Al-Farsi wa Tahdheebuha". Investigated by Dr. Hussein Ahmed Bu Abbas. (1st edition, Riyadh: King Faisal Center for Research and Islamic Studies, 2010 AD).

Ibn Al-Hajib, Uthman bin Abi Bakr. "Amaali Ibn Al-Hajib". Investigated by Dr. Fakhr Saleh Qadara. (1st edition, Amman: Dar Ammar, Beirut: Dar Al-Jeel, 1989 AD).

Ibn Al-Hajib, Uthman bin Abi Bakr. "Al-Idaah fi Sharh Al-Mufassal". Investigated by Dr. Ibrahim Muhammad Abdullah. (1st edition, Damascus: Dar Saad Al-Din, 2005 AD).

Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf. "Al-Tadyeel wa Al-Takmeel fi Sharh Kitaab Al-Tasheel". Investigated by Dr. Hassan bin Mahmoud Hindawi. (1st edition, Riyadh: Dar Kunuz Ishbilia, 1431 AH).

Ibn Kharouf, Ali bin Muhammad. "Sharh Jumal Al-Zajaaji". Investigated by Dr. Salwa Muhammad Omar Arab. (1st edition, Makkah Al-Mukarramah: Institute of Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, 1419 AH).

Al-Zajjaj, Ibrahim bin Muhammad. "Ma'aani Al-Qur'an wa I'raabuhu". Investigated by Dr. Abdul Jalil Abdo Shalabi. (1st edition, Beirut: The World of Books, 1988 AD).

Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar. "Al-Mufassal fi San'at Al-I'raab". Investigated by Dr. Fakhr Saleh Qadara. (1st edition, Amman: Dar Ammar, 2004 AD).

Ibn Al-Sarraj, Muhammad bin Sahl. "Al-Usoul". Investigated by Dr. Abd al-Hussein al-Fatli. (3rd edition, Beirut: Al-Risala Foundation, 1996 AD).

Al-Suhaili, Abd al-Rahman bin Abdullah. "Nataaij Al-Fikr". Investigated by Dr. Muhammad Ibrahim Al-Banna, (2nd edition, Cairo: Dar Al-I'tisam, 1984 AD).

Sibawayh, Amr bin Othman. Investigated by Hartwig Derenbourg. (1st edition, Paris: Al-Matba' Al-'Aami Al-Ashraf, 1881 AD).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Al-Kitaab". (1st edition, Cairo, The Great Amiri Press in Bulaq).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Al-Kitaab". Investigated by Abd al-Salam Harun. (3rd edition, Cairo: Al-Khanji Library, 1988 AD).

Al-Sirafi, Al-Hassan bin Abdullah. "Sharh Kitaab Sibawayh". Investigated by Dr. Muhammad Awni Abdel Raouf. (1st edition, Cairo: Dar Al-Kutub and National Documents Press, 2009 AD).

Al-Saffar, Qasim bin Ali. "Sharh Kitaab Sibawayh". Investigated by Dr. Moaid bin Musaed Al-Awfi. (1st edition, Medina: Dar Al-Ma'athir, 1998 AD).

Ibn Asfour, Ali bin Mu'min. "Sharh Jumal Al-Zajaaji".

Investigated by Dr. Sahib Abu Jinnah. (without edition number or date).

Al-Farsi, Al-Hassan bin Ahmed. "Al-Ighfaal". Investigated by Dr. Abdullah bin Omar Al-Hajj Ibrahim. (1st edition, Abu Dhabi: Juma Al Majid Center for Culture and Heritage, 2003 AD).

Al-Farsi, Al-Hassan bin Ahmed. "Al-Idaah". Investigated by Dr. Kazim Bahr Al-Marjan. (2nd edition, Beirut: The World of Books, 1996 AD).

Al-Farsi, Al-Hassan bin Ahmed. "Al-Ta'leeqah 'alaa Kitaab Sibawayh". Investigated by Dr. Awad bin Hamad Al-Qawzi. (1st edition, Riyadh: Al-Hasani Press, 1996 AD).

Al-Farsi, Al-Hassan bin Ahmed. "Al-Masaail Al-Basriyyaat". Investigated by Dr. Muhammad Al-Shater Ahmed Muhammad Ahmed. (1st edition, Egypt: Al-Madani Press, 1985 AD).

Al-Farsi, Al-Hassan bin Ahmed. "Al-Masaail Al-Shiraziyaat". Investigated by Dr. Hassan bin Mahmoud Hindawi. (1st edition, Riyadh: Dar Kunuz Ishbilia, 2004 AD).

Al-Farsi, Al-Hassan bin Ahmed. "Al-Masaail Al-Askariyyaat". Investigated by Dr. Muhammad Al-Shater Ahmed Muhammad Ahmed. (1st edition, Cairo: Al-Madani Press, 1982 AD).

Al-Farsi, Al-Hassan bin Ahmed. "Al-Masaail Al-Mushkilah known as Al-Baghdadiyyat". Investigated by Salah al-Din Abdullah al-Sankawi. (1st edition, Iraq, Al-Ani Press, without date).

Al-Farraa, Yahya bin Ziyad. "Ma'aani Al-Qur'an". Investigated by Muhammad Ali Al-Najjar and Ahmed Youssef Najati. (3rd edition, Beirut: The World of Books, 1983 AD).

Al-Qurtubi, Harun bin Musa. "Sharh 'Uyoon Kitaab Sibawayh". Investigated by Dr. Abd Rabbo Abdel Latif Abd Rabbo. (1st edition, Cairo: Hassan Press, 1984 AD).

Al-Mubarrid, Muhammad bin Yazid. "Al-Muqtadab". Investigated by Muhammad Abd al-Khaleq Azimah. (2nd edition, Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs, 1979 AD).

Ibn Malik, Muhammad bin Abdullah. "Tasheel Al-Fawaaid wa Takmeel Al-Maqaasid". Investigated by Muhammad Kamel Barakat. (1st edition, Cairo: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1976 AD).

Ibn Malik, Muhammad bin Abdullah. "Sharh Al-Tasheel". Investigated by Dr. Abd al-Rahman al-Sayyid and Dr. Muhammad Badawi al-Makhtoon. (1st edition, Cairo: Hajar for printing, publishing and distribution, 1990 AD).

Ibn Hisham, Abdullah bin Yusuf. "Mughni Al-Labeeb ‘an Kitaab Al-A’aareeb". Investigated by Dr. Abdul Latif Muhammad Al-Khatib. (1st edition, Kuwait: National Council for Culture, 2001 AD).

Ibn Wallad, Ahmed bin Muhammad. "Al-Intisaar li Sibawayh ‘alaa Al-Mubarrid". Investigated by Dr. Zuhair Abdul Mohsen Sultan, (1st edition, Beirut: Al-Risala Foundation, 1996 AD).

Ibn Ya'ish, Ya'ish bin Ali. "Sharh Al-Mufassal". (Al-Muniriya Printing Administration, without edition number or date).

Secondly: Manuscripts:

Al-Sirafi, Al-Hassan bin Abdullah. "Sharh Kitaab Sibawayh". A copy in the library of Imam Muhammad bin Saud Islamic University bearing the numbers: (1296-1300), photocopied from the copy of the Dar Al-Kutub and National Documents, Egypt, No. (137 Grammar).

Ibn Kharouf, Ali bin Muhammad. "Sharh Kitaab Sibawayh". A copy of King Abdulaziz Foundation (Darah), No. (40), photocopied from the library of Dar Al-Nahda Al-Arabiya in Beirut.

Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Escorial Library copy, No. (1).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Hagia Sophia Library copy, No. (4574).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Corum Pasa Library copy, with numbers: (2562-2563-2564-2565).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Hafiz Ahmed Pasha (Koprulu) Library copy, No. (309).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Halet Efendi Library copy, No. (466).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Hekimoglu Library copy, No. (897).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Al-Hamidiya Library copy, No. (1326).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Raghib Pasa Library copy, No. (1375).

Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Al-Fatih Library copy, No. (5062).
Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Lala Ismail Library copy, No. (634).
Sibawayh, Amr bin Othman. "Kitaab Sibawayh". Murad Molla Library copy, No. (1717) external, and (1690) internal.

العلّة المخترعة عند الأعلم الشّنتمريّ في كتاب المخترع المنوع من الصّرف أنموذجًا

The Invented Grammatical Cause in al-Aʿlam al-Shantamarī's al-Mukhtaraʿ Diptote as Case Study

د. غادة بنت سعد بن عبد الله السّعيديّ

أستاذ النّحو والصّرف المساعد بقسم اللّغة والنّحو والصّرف بكليّة اللّغة العربيّة وآدابها بجامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

البريد الإلكتروني: gssaidi@uqu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
06/01/2026		16/03/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-004		

الملخّص

يُعدّ الأعلم الشّنتمريّ من أشهر علماء الأندلس في القرن الخامس الهجريّ الذين أسهموا في خدمة النّحو بجهودٍ متميّزةٍ كان منها تأليفه كتاب (المخترع في إذاعة سرائر النّحو)، الذي عُني الأعلم بتجويده، وأظهر فيه اهتمامه بإيراد علل الأحكام النّحويّة التي نصّ على أنّ بعضها مخترعٌ ومبتدعٌ، فكان هذه البحث: (العلّة المخترعة عند الأعلم الشّنتمريّ في كتاب المخترع – الممنوع من الصّرف أنموذجًا–)؛ لتحرير وصفه هذا، ببيان مذهب من سبقه من أئمة النّحو، والوقوف على ما اخترعه، وما هو مسبوقٌ إليه. وقد اخترت فصل العلل المانعة من الصّرف أنموذجًا للدّراسة؛ لأنّه مؤسّسٌ على تعليل مخالفة الاسم ما يقتضيه أصلُه الموضوعَ عليه، واتّبعتُ فيه المنهج الوصفيّ بشقيه: الاستقرائيّ والتحليليّ. وانتهى البحث إلى عدد من النّتائج أهمّها: انفراد الأعلم باختراع عللٍ لم يُسبق إليها كجعله المؤنّث بالتّاء ممنوعًا من الصّرف للتّركيب والعلميّة، وتعليله منع المركّب تركيب مزجٍ من الصّرف لحاجة جزئه الأوّل إلى الثّاني كحاجة الفعل إلى الفاعل، وكذا تعليله صرف المتضايفين بإرادة الانفصال بين الاسمين. وقد لا يخترع الأعلم أصل العلّة؛ لكنّه ينفرد بحسن الإبانة عنها، أو بالموازنة بين الاسم الممنوع من الصّرف والمصروف من نظائره، أو بالتّفصيل في بيان العلّة.

الكلمات المفتاحيّة: الأعلم الشّنتمريّ – المخترع – التّعليل النّحويّ – الممنوع من الصّرف.

Abstract

Al-Aʿlam al-Shantamarī is one of the most prominent Andalusian grammarians of the fifth century AH, whose contributions to Arabic grammar are marked by originality and depth. Among his most significant works is al-Mukhtaraʿ fī Idhāʿat Sarāʾir al-Naḥw, a book to which he devoted great care and refinement. In this work, al-Aʿlam shows particular interest in presenting the invented grammatical cause underlying grammatical rulings, explicitly stating that some of these causes are invented and innovated.

This study, entitled "The Invented Grammatical Cause According to al-Aʿlam al-Shantamarī in al-Mukhtaraʿ**:** Diptotes as Case Study", aims to critically examine this claim by clarifying the view of those grammarians who came before him and distinguishing between what al-Aʿlam innovated and what had already been established before him. The chapter on the grammatical cause preventing declension was selected as case study, it explains why a noun departs from its original form.

The study has adopted a descriptive methodology, combining inductive and analytical approaches. It concludes with several findings, most notably that al-Aʿlam independently formulated the grammatical cause not previously proposed, such as considering a feminine noun marked with (tāʾ) as diptote due to it being a compound and proper noun, explaining the non-declension of blended compounds by analogy with a verb's need for its subject. In other cases, although he did not originate the rationale itself, al-Aʿlam is distinguished by clarity of exposition, methodical comparison of the diptote with its declinable peers, and in the depth with which he unfolds the grammatical cause.

Keywords: al-Aʿlam al-Shantamarī - al-Mukhtaraʿ - Grammatical Reasoning - Diptotes.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ

فإنّه لا يخفى على ذي بصيرة ما للعلل في العلوم النظريّة والتّجريبيّة، وفي علم النّحو خاصّة من أهميّة كبيرة، لاسيّما ما يتعلّق بتصوّر الحكم النّحويّ؛ لذا اعتنى علماء النّحو منذ بداية التّأليف فيه بإيراد علل الأحكام، والأقيسة ليتمثّلها طالب العربيّة، لأنّه إن حذقها استقام لسانه وبنانه، وأمن الخطأ واللّحن، وكانت هذه العلل تمثّل موروثًا نحويًّا تتجلّى دقائقه على مرّ العصور، ويحرص اللّاحق على متابعة السّابق فيما يعلّل به، حتى كان أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشّنتمريّ (المتوفّى عام ستةٍ وسبعين وأربعمائة)[1] من أشهر علماء الأندلس الذين أسهموا في خدمة التّراث العربيّ، والنّحويّ

(١) تُنظر ترجمته بتفصيلٍ في: خلف بن عبد الملك ابن بشكوال، "الصّلة"، تحقيق شريف أبو العلا العدويّ، (ط١، القاهرة: مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ٢٠٠٨م)، ٢: ٣١٣؛ ياقوت بن عبد الله الحمويّ، "معجم الأدباء"، (بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، دون طبعة وتاريخ)، ٢٠ : ٦٠ – ٦١؛ الحسن بن عليّ القفطيّ، "إنباه الرّواة على أنباه النّحاة"، (ط١، القاهرة: دار الفكر العربيّ،١٩٨٦م)، ٤ :٦٥ – ٦٧؛ أحمد بن محمّد بن خلّكان، "وَفَيات الأعيان"، تحقيق إحسان عبّاس، (بيروت: دار الثّقافة، دون طبعة وتاريخ)، ٧ : ٨١ – ٨٣؛ محمّد بن أحمد الذّهبيّ، "سير أعلام النّبلاء"، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمّد العرقسوسيّ، (ط٢ ، بيروت: مؤسسة الرّسالة، ٢٠٢٠م) ، ١٨: ٥٥٥ – ٥٥٧؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطيّ، "بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة"، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، القاهرة: عيسى البابيّ الحلبيّ، دون تاريخ)، ٢ : ٣٥٦؛ عبد الحيّ بن أحمد ابن العماد، " شذرات الذّهب في أخبار من ذهب"، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط و محمود الأرنؤوط، (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٩م)، ٥ :٤١١.

بجهودٍ متميّزة كان منها تأليفه كتاب (المخترع في إذاعة سرائر النّحو)، وهو كتاب نحويّ عُني الأعلم بتجويده، وأودعه صفو فكره وعلمه، وكان أكثر ما يلفت في منهج تأليفه إيّاه عنايتُه ببيان العلل النّحويّة بصورة مستقصاة، فكأنّ سرائر النّحو عنده هي علله التي وصف بعضها بأنّها عللٌ مخترعة، أو مبتدعة لم يسبقه أحدٌ إليها، وأنّه أوّل مُوْرِدٍ لها، مصرّحًا في مواضعَ متعدّدةٍ من كتابه بأنّه لم يرَ أنّ أحدًا قد ذكرها قبله، ولما للعلل من أهميّة في الدّرس النّحوي؛ ولمكانة الأعلم العلميّة؛ ولقيمة كتاب المخترع في المصنّفات النّحوية الأندلسيّة عزمت على تحرير قوله هذا، بجمع طرف من هذه العلل؛ لدراستها، والحكم عليها؛ لتكون هذه الدّراسة مجيبة عن السؤال التّالي: هل العلل التي أوردها الأعلم في كتابه المخترع في إذاعة سرائر النّحو، ووصفها بالمخترعة أو المبتدعة كما وصف؟، أو هو متابع فيها ما ذكره النّحاة قبله؟.

الهدف من البحث:

تهدف هذه الدّراسة إلى تتبّع العلل الّتي وصفها الأعلم بأنّها مخترعة أو مبتدعة، وتحقيق القول في سَبْقه إليها، وانفراده بذكرها، مع الحكم عليها وفق ما تقتضيه صناعة النّحو حال كونها غير مسبوقة.

حدود البحث:

يتتبّع هذا البحث العلل المخترعة والمبتدعة في الفصل الثّاني من المقالة الأولى في كتاب المخترع، وهو الذي سمّاه الأعلم: (فصلٌ في تمثيل الاسم المتمكّن وغير المتمكّن)[1]، وهو ما اصطلح النّحاة على تسميته: بباب الممنوع من الصّرف، وقد

(١) يوسف بن سليمان الشّنتمريّ، "المخترع في إذاعة سرائر النّحو"، تحقيق حسن هنداوي، (ط١، الرّياض: كنوز إشبيليا، ٢٠٠٦م)، ١٠.

اخترتُه لدراسة العلل المخترعة فيه؛ لأنّه مؤسّسٌ على مخالفة الاسم أصلَه بمنعه ما يقتضيه من لحاق التّنوين، والجرّ بالكسرة التي هي من خصائص الأسماء المعربة، فكثر فيه إيراد العلل، ومن جملتها ما وصفه بالعلل المخترعة، وفي ختامه يقول الأعلم: " قد أتينا على آخر هذه الأقسام ممّا لا ينصرف في المعرفة بعد ذكرنا ما لا ينصرف البتّة، واحتجنا إلى تطويل هذا الفصل لكثرة تصرّفه في الكلام، وتشعّب علله، ولم يبق منه إن شاء الله أصلًا ولا فرعًا إلّا استوعبناه" (١)

وقد اقتصرت على المؤلّفات السّابقة لعصر الأعلم التي عُني مؤلّفوها ببيان العلل؛ لأنّ الغاية هي تحرير حكمه هذا باستقراء تعليلات النّحاة قبله والحكم على ما ذكره من العلل بالمتابعة أو الابتداع.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث اتّباع المنهج الوصفيّ بشقّيه الاستقرائيّ: وذلك بتتبّع العلل المخترعة ضمن حدود البحث، والتحليليّ: بتفسيرها عند الأعلم، وعند من سبقه من النّحاة المعنيين بذكر العلل وبيانها.

الدّراسات السّابقة(٢):

الذي وقفت عليه من الدّراسات السّابقة في هذا المضمار رسالة ماجستير بعنوان: (المباحث اللّغويّة والنّحويّة في كتابي: المخترع في إذاعة سرائر النّحو، وشرح ديوان أبي تمّام للأعلم الشّنتمريّ) للباحث: عدنان أحمد رشيد، نُوقشت بقسم اللّغة العربيّة في

(١) يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ٣٧. يُلحظ أنّ الأعلم قد ذكر أنّ ما ينصرف نكرة ويمتنع من الصّرف معرفة اثنا عشر قسمًا يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ٢٢؛ لكنّه ذكر أحد عشر قسمًا فقط.

(٢) أوردتها بحسب الأقدم.

كليّة التّربية الأساسيّة بجامعة ديالي في العراق، عام ٢٠١٤م.

ضمّنها الباحث مقدّمة وتمهيدًا جعله في ترجمة الأعلم، ووصف كتابيه، ثم أربعة فصول يدرس كلّ فصل منها قضيّة في الكتابين، فالفصل الأوّل في منهج الشنتمريّ، وأدلة الصّناعة، والثّاني: في المصطلحات اللغويّة والنحويّة، والثّالث: في المباحث اللّغويّة، والرابع في المباحث النّحوية، وجاء حديثه عن العلل في كتاب المخترع أولاً في التّمهيد[١]، حين تحدّث عن أهميّة الكتاب، حيث أشار بإيجاز أنّ الأعلم قد ذكر في كتابه هذا كثيرًا من العلل، وأن بعضها من اختراعه، وأنّها حَريّة بأن يُوقف عندها، وبأن تُتأمّل، ولم يتعرّض لمناقشة ما ذكر الأعلم أنه قد اخترعه من هذه العلل.

ثمّ تحدّث عن أنواع العلل الواردة في المخترع أخرى ضمن الفصل الأول في المبحث الثّالث في ثماني صفحاتٍ تقريبًا (٥٣ – ٦٠)، تحدّث فيها بإيجاز عن اهتمام الأعلم بالعلل في كتاب المخترع، وذكر أنواع العلل التي وقف عليها عنده كعلّة كراهية اللّبس، والتّخفيف، والشّبه، والفَرْق، وكثرة الاستعمال، والاستثقال، والنّظير[٢]، وكراهة التقاء السّاكنين، والتّعويض، والوجوب، والنّقيض[٣]، والأصل، ثمّ ذكر العلل في شرح ديوان أبي تمّام، ولم يعرض الباحث لقضيّة اختراع الأعلم لشيء من العلل، ولا ابتداعه لها.

والبحث الثّاني بعنوان: (العلّة النّحويّة في كتب أسرار النّحو– دراسة في المنهج والمفهوم) للباحث: جاسم صادق غالب، وهو بحث في ستٍّ وثلاثين صفحة (٥ –

(١) عدنان أحمد رشيد، "المباحث اللغوية والنحوية في كتابي المخترع في إذاعة سرائر النحو وشرح ديوان أبي تمام للأعلم الشنتمري"، (رسالة ماجستير، قسم اللّغة العربية بكليّة التّربية الأساسيّة في جامعة ديالي، ٢٠١٤م)، ١٢.

(٢) يعني الحمل على النظير.

(٣) يعني الحمل على النّقيض.

٤٠)، نشرته (مجلّة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانيّة) التّابعة لكليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة بجامعة البصرة، (في عددها ٣ – المجلّد ٤٢) في يونيو ٢٠١٧م، وهو دراسة مقارِبة للعلّة النّحويّة في كتب أسرار النّحو من حيث المفهوم، والمنهج الذي يُعنى ببيانها، وقد جعله الباحث في مقدّمة ومبحثين وخاتمة، درس في المبحث الأوّل منهما: مفهوم العلّة في أربعة كتب هي: المخترع للأعلم، وأسرار العربيّة للأنباريّ، وأسرار النّحو لابن كمال باشا، وإظهار الأسرار في النّحو للبركويّ، ودرس في المبحث الثّاني: منهج الكتب الأربعة في بيان العلّة.

وفي المبحث الأوّل أشار الباحث في معرض دراسته الجزءَ الأوّل من عنوان الكتاب (المخترع) إلى أنّ الأعلم صرّح باختراعه عللًا ذكر منها: علّة تسمية النّون تنوينًا [١]، وعلّة صرف (سَلْمَان) الذي مؤنّثه (سَلْمَى) وهما بمنزلة (سَكْرَان) و(سَكْرَى) [٢] ، وعلّة بناء (أَيْنَ) [٣] ، وعلّة رفع الفاعل [٤]، وهي إشارات مبنيّة على ما ذكره الأعلم دون تحرير قوله هذا، ثمّ ذكر في دراسة الجزء الثّاني من عنوان الكتاب أنّ السّرائر عند الأعلم تعني "المخفي من النّحو، وحقائقه، والمتشابه والمتباين فيه"[٥]، ثمّ عرض للعلل التي تمثّل هذه الأسرار فكان منها: علل منع الصّرف؛ "لأنّها فرعيّة داخلة على الأصل"[٦]. والحقّ

(١) يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ٥٢.

(٢) يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ٢٣.

(٣) يُنظر: المرجع السّابق: ٤٢.

(٤) يُنظر: المرجع السّابق: ٧٣–٧٤.

(٥) جاسم صادق غالب، "العلّة النّحويّة في كتب أسرار النّحو– دراسة في المنهج والمفهوم". *مجلّة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانيّة* ٣، (٢٠١٧م): ٧.

(٦) غالب، "العلّة النّحويّة في كتب أسرار النّحو". ١٠، ويُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ١٤.

أنّ الأعلم لم يشر إلى أنّ هذه العلل على وجه الخصوص تُعدّ من السّرائر، أو إلى أنّها مخترعةٌ في الجملة، ولم يفصّل الباحث القول في هذه العلل، ولا في الحكم عليها من حيث المتابعة والاختراع، ولكنّه أشار إلى أنّ الأعلم قد ذكر أنّه اخترع بعض العلل وليس كلّها، وبعضها الآخر قد ذكره النّحويون، وفي المبحث الثّاني: أشار في أثناء بيانه منهجَ الأعلم في التّعليل إلى أنّه -أعني الأعلم- قد يبيّن العلّة مضيفًا إليها حكمه الشّخصيّ حيث ينصّ على أنّها من اختراعه وأنّه لم يُسبق إليها، وضرب لذلك مثلًا تعليله منع المختوم بألف التّأنيث من الصّرف[1]، وقد عرض الباحث ذلك دون استقراء ما كتبه علماء النّحو الذين سبقوا الأعلم للحكم على ما ذكره، وهذا الحكم هو ما سيُعنى به هذا البحث إن شاء الله تعالى.

والبحث الثّالث بعنوان: (التّحليل النّحويّ للأسماء المعربة عند الأعلم الشّنتمريّ في كتابه المخترع في إذاعة سرائر النّحو) للباحثين: عبد الوهاب إدريس أمين، ووسام يعقوب هلال، وهو يقع في عشرين صفحة (٢٤٥- ٢٦٤)، نشرته (مجلّة آداب الرّافدين) التّابعة لكليّة الآداب بجامعة الموصل بالعراق (في عددها ١٠٠ - المجلّد ٥٤) في مارس من عام ٢٠٢٥م، وقد جعله الباحثان في مدخل، ومبحث، وخاتمة. تحدّثا في المدخل عن تعريف العلّة، والتّعليل لغة واصطلاحا، وأقسام العلّة عند طائفة من النّحويّين، ثم مبحث الدّراسة وقد تناولا فيه العلل الخاصّة بالأسماء المعربة دون استقصاء، وبلغت في مجملها ثنتي عشرة علّة، واحدةٌ منها فقط حكم عليها الأعلم بأنّها مخترعةٌ، وهي علّة منع العلم المركّب تركيبًا مزجيًّا من الصّرف، وتتقاطع هذه الدّراسة مع عملي هذا في هذه المسألة فقط، وتختلف معه في جهة التّناول فلم يكُ بيان منهج الأعلم في

(١) غالب، "العلّة النّحويّة في كتب أسرار النّحو". ٢١، ويُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ١٨.

التّعليل عامّة غاية بحثي، وإنما قصرته على ما وصفه الأعلم بأنّه مبتدع أو مخترع فقط، ثمّ حكمت على ما يعتلّ به إن خالف فيه من قبله من النّحاة، مع بيان ما انفرد به في تعليله وتفسيره إن كان ثَمَّ.

خطّة البحث:

اقتضت طبيعة البحث جعله في:

مقدّمة: بيّنت فيها سبب اختيار هذا الموضوع، والهدف منه، وحدود البحث، والمنهج المتّبع فيه، وخطّته.

تمهيد: ذكرت فيه بإيجاز معنى العلّة لغة واصطلاحًا، وعناية النّحاة بها بالإشارة إلى أشهر من صنّف فيها، ثمّ تحدّثتُ عن قيمة كتاب المخترع في إذاعة سرائر النّحو، ومنهج الأعلم في تقسيمه، يليه مباحث الدّراسة وهي خمسة:

المبحث الأوّل: ما خالف الأصل بالتّأنيث.

وفيه مسألة: علّة إقامة ألف التّأنيث في منع الصّرف مقام علّتين.

والمبحث الثّاني: ما خالف الأصل في طريقة تأنيثه مع العدل عن أصله، أو مع الزّيادة في آخره.

وفيه مسألتان:

الأولى: علّة امتناع العدد المعدول إلى (فُعال) و(مَفْعَل) من الصّرف.

والثّانية: علّة منع الاسم المعرّف ذي الزيادتين من الصّرف.

والمبحث الثّالث: ما خالف الأصل بالتّعريف والتّركيب.

وفيه مسألتان:

الأولى: علّة امتناع الأعلام المختومة بتاء التّأنيث من الصّرف.

والثّانية: علّة منع الاسم المركّب تركيب مزجٍ من الصّرف.

والمبحث الرّابع: ما خالف الأصل بمجيئه على بناءٍ قليلٍ في نظائره.

وفيه مسألة: علّة منع (دُئِل) من الصّرف.

المبحث الخامس: ما خالف الأصل بمجيئه على جزأين مسمًّى به مصروفًا.

وفيه مسألة: علّة صرف المتضايفين وهما شيئان جُعلا بمنزلة شّيءٍ واحد.

خاتمة: تتضمّن أهمّ النّتائج والتّوصيات.

ختامًا أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يكون باعثًا لأعمال علميّة أخرى تخدم هذا السّفر النّفيس، فتكون إضافة لأيكة النّحو الأندلسيّ الوارفة، ومنه تعالى أستمدّ الهداية والرّشاد.

التّمهيد

أولًا: معنى العلّة، وقيمتها في الدّرس النّحويّ، وأشهر المؤلّفات فيها

من معاني العلّة في اللّغة: السّبب، يُقال: هذا علّة لهذا، أي: سببٌ له(١).

وهي في الاصطلاح: "ما يتوقّف عليه وجود الشّيء، ويكون خارجًا مؤثّرًا فيه"(٢).

وفي اصطلاح النّحاة بيّن معناها الدّكتور مازن مبارك بقوله: "الوصف الذي يكون مظنّة وجه الحكمة في اتّخاذ الحكم، أو بعبارة أوضح: هي الأمر الذي يزعم النّحويّون أنّ العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجهًا معينًا من التّعبير والصياغة"(٣).

ولدراسة العلل أهميّة بالغةٌ في الدّرس النّحويّ؛ وذلك لأنّها كالأطناب التي تُرسي دعائم الأحكام النّحويّة، فمتى عرف المشتغل بهذا العلم علّة الحكم بَعُدَ أن يخطئ فيه.

وقد اهتمّ النّحاة ببيان العلل في مصنفاتهم منذ بدايات التأليف النّحويّ، يُلحظ هذا في أقدم مؤلّف نحويٍّ تامٍّ وصلنا أعني كتاب سيبويه –عليه سحائب الرّحمة والرّضوان–، وكذا عند من تلاه كالمبرّد، والسّيرافيّ، وابن جنّي، وغيرهم. وألّف بعضهم في ذلك كتبًا مختصّة(٤)وصلنا منها: الإيضاح في علل النّحو لأبي القاسم عبد الرّحمن بن

(١) يُنظر: محمّد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب"، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٠م)، مادّة (علل).

(٢) علي بن محمّد الجرجانيّ، "التّعريفات"، (مكة المكرّمة: المكتبة الفيصلية، دون طبعة وتاريخ)،١٥٤.

(٣) مازن عبد القادر المبارك، "النّحو العربيّ– العلّة النّحويّة نشأتها وتطورها"، (ط٣، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤م) ٩٠؛ وانظر كلام الخليل في: عبد الرحمن بن إسحاق الزّجاجيّ، "الإيضاح"، (ط٦، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٦م)، ٦٦؛ ويُنظر: حسن خميس الملخ، "نظريّة التّعليل في النّحو العربيّ"، (ط١، عمّان: دار الشروق، ٢٠٠٠م)، ٢٩ – ٣٠.

(٤) لكنّها لم تصل إلينا. يُنظر: مبارك، "العلّة النّحويّة نشأتها وتطورها"، ٦٩، ٩٤ – ٩٥.

إسحاق الزّجاجيّ (ت:٣٣٧هـ)، وعلل النّحو لأبي الحسن محمّد بن عبد الله الورّاق (ت:٣٨١هـ)، وألّف أبو البركات عبد الرّحمن كمال الدّين بن محمّد الأنباريّ (ت:٥٧٣هـ) كتابه أسرار العربيّة الذي تميّز بجمع الحكم النّحويّ مع العلّة في أبواب النّحو كلّها، مع ذكر ذلك في ثلاثة أبوابٍ من الأصوات هي: باب الإمالة، وباب الوقف، وباب الإدغام. وكتاب اللّباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبريّ (ت:٦١٦هـ) هذا عند المشارقة، وفي الأندلس ألّف أبو الحجّاج يوسف بن سليمان الأعلم الشّنتمريّ (ت: ٤٧٦هـ) كتابه المخترع في إذاعة سرائر النّحو الذي عُني فيه بالعلل عناية فائقة، وانفرد فيه بذكر علل وصفها بأنّها مخترعةٌ ومبتدعة.

ثانيًا: كتاب المخترع في إذاعة سرائر النّحو

ألّف الأعلم كتابه الموسوم بالمخترع في إذاعة سرائر النّحو سنة ثنتين وأربعين وأربعمائة[١] لأبي عمرو عبّاد بن محمّد بن عبّاد صاحب إشبيليّة[٢]، وهو يمثّل مرحلة متقدّمة من نضجه النّحويّ إذ ألّفه بعد كتابه النّكت في تفسير كتاب سيبويه[٣]، وهو كتاب اتّكأ فيه الأعلم على نفسه مظهرًا براعته النّحويّة، إذ أتى فيه على جميع الأبواب النّحويّة المتعلّقة بأقسام الكلمة الثّلاثة ممّا لا يستغني عنه دارس النّحو، فهو ليس بشرح لمتنٍ نحويّ أو شعريّ، ولا بيانٍ لمسألة نحويّة، ولا شرحٍ لشواهد شعريّة، ولا انتخابٍ لفوائد ونكتٍ سبقه إليها من قبله، وإنّما هو كتابٌ نفيسٌ يعطي تصوّرًا واضحًا لمذهب الأعلم النّحويّ فكرًا ومنهجًا. والنّاظر في عنوان هذا الكتاب يلمح عناية الأعلم بإذاعة سّرائر النّحو والكشف عمّا غمض منها، فقد نصّ في مقدّمته أنّه اخترعه وجعله في

(١) يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، المقدّمة ب.

(٢) يُنظر: المرجع السّابق: ٧.

(٣) يُنظر: يوسف بن سليمان الشّنتمريّ، ""النّكت في تفسير كتاب سيبويه"، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، (ط١، الكويت: المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، ١٩٨٧م)، ٣٩.

"كشف غوامض النّحو، وتجلية وجوه حقائقه، وإذاعة مطويّ سرائره"[١]، والنّاظر فيه يقف على ذلك جليًّا. وقد قسّمه إلى ثلاثة أقسامٍ سمّى كلّ قسمٍ منها: مقالةً، فجعل الأوّلى في الأسماء، والثّانية في الأفعال، والثّالثة في الحروف، وقد أولى –رحمه الله– العلّة في كتابه هذا عنايةً بالغةً؛ إذ كان حريصًا غاية الحرص على تبيين ما يذكره من علل الأحكام النّحويّة في المقالات التي عقدها، فلا تكاد تخلو صفحة من ذكر علّة الحكم النّحوي، وقد كان يورد العلل التّعليميّة، والقياسيّة التي يفيد منها المبتدئ مضيفًا إليها ضربًا آخر من العلل سمّاه: العلل المخترعة، أو المبتدعة.

والاختراع في اللغة: الإنشاء والابتداع[٢]، يقال: بدع الشّيء يبدعه بدعًا، وابتدعه: أنشأه وبدأه[٣]، ولا يَبْعُد هذان المعنيان اللّغويان عمّا أراده الأعلم، إذ ذكر في مواضع كثيرة من كتابه أنّ ما علل به من جملة هذه العلل لا يعلم سابقًا إليها قبله[٤]، وفيما يلي إن شاء الله تعالى تحريرٌ لقوله هذا.

(١) الشّنتمريّ، "المخترع"،٥.

(٢) يُنظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادّة (خرع).

(٣) يُنظر: المرجع السّابق: مادّة (بدع)

(٤) يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ١٨، ٢٣، ٣٢، ٤٠، ٤٢....إلخ.

المبحث الأوّل: ما خالف الأصل بلزوم التّأنيث

وفيه مسألة:

علّة إقامة ألف التّأنيث في منع الصّرف مقام علّتين:

علّل الأعلم قيام ألف التّأنيث مقام علّتين بقوله: "فلمّا كانت الألف تخرجه عن شبه الواحد المذكّر الّذي هو أصلٌ، وتجعله على غير لفظه ومعناه؛ قامت فيه مقام علّتين؛ لقوّتها. فتفهّم هذا، وتذكّره، فما أرى أنّ أحدًا ذكر ما قلنا"(١)، فهو يرى أن ألف التّأنيث تُبعد الاسم عن الشبه بنظيره الواحد المذكّر في اللّفظ والمعنى، أمّا في اللّفظ فلأنّ الألف تلزم الاسم الذي تؤنّثه، فلا تنفكّ عنه، ولا يمكن اطّراحها عند إرادة التّذكير كالتّاء، وأمّا في المعنى؛ فلأنّها تجعل الاسم مؤنّثًا، والتّأنيث فرع التّذكير كما هو معلوم، وهي بهذا – أعني إبعادها الاسم المؤنّث بها عن أصله لفظًا ومعنًى– قويت؛ فقامت مقام علّتين في منعه من الصّرف، ثم قال في ختام تعليله هذا: "فما أرى أنّ أحدًا ذكر ما قلنا"، والسّؤال هاهنا هل انفرد الأعلم بهذا التّعليل كما صرّح فلم يذكره غيره؟ أو هو مسبوق إليه؟

إنّ النّاظر فيما علّل به النّحويّون الّذين سبقوا الأعلم يجد أن ما ذكروه لا يبعد عمّا أورده، فإنّهم يرون أنّ تأنيث الاسم بالألف وحده علّة مانعة له من أن يُصرف، وذلك لقيام الألف مقام علّتين؛ لأنّها للتّأنيث وهذه علّة فرعيّة، ولأنّها تلزم الاسم لا تنفكّ عنه بحال، فالاسم الذي تتصل به مبنيٌ عليها، وتذكيره لا يكون باطراحها كالتّاء، بل يكون له بناء آخر مختلفٌ عن المؤنّث بها(٢)، وهذا مفضٍ به للبعد عن الأصل الذي

---

(١) الشّنتمريّ، "المخترع"، ١٨.

(٢) يُنظر: عثمان بن قنبر سيبويه: "كتاب سيبويه"، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ٣: ٢١٠-٢١١، ٢١٤؛ وإبراهيم بن السّريّ الزّجاج، "ما ينصرف وما لا ينصرف"، (ط٢، =

كان عليه قبل التّأنيث كما سيأتي.

وقد أشار المبرِّد إلى بُعد الاسم المؤنّث بها عن أصله المذكّر، حيث ذكر أنّ ما كانت الألف علامة لتأنيثه، فإنّ المذكّر منه يكون على بناء غير الّذي عليه مؤنّثه، فامتنع من الصّرف مذكّرًا، ومؤنّثًا؛ لبعده عن الأصل بهذا، نحو: حمراء، وأحمر، وعطشان، وعطشى[(١)]، فإنّ المؤنّث منها على بناء يخالف المذكّر، وكلاهما ممنوع من الصّرف. وصرّح السّيرافيّ كذلك بقوّة الألف في التّأنيث عن التّاء؛ إذ ذكر أنّها تُبنى مع الاسم، وتختلط بحروفه حتى تصير كالجزء منه، فتتغيّر لها بنيته، وتلزمه فلا تنفكّ عنه، وينكسر بناؤه عند إرادة التّذكير[(٢)].

وعلى هذا فإن ما ذكره الأعلم قد سُبق إليه، فقد أشار النّحاة قبله إلى ملازمة هذه الألف الاسم، وعبّروا عن هذه الملازمة بقولهم: اسم مبني على الألف[(٣)]، أو ألف

القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م)، ٣٧؛ ومحمّد بن سهل السّراج، "الأصول في النّحو"، تحقيق عبد الحسين الفتليّ، (ط٣، بيروت: مؤسسة الرّسالة، ١٩٨٨م)، ٨٤/٢؛ والحسن بن عبد الله السّيرافيّ، "شرح كتاب سيبويه"، تحقيق عبد الكريم محمّد حسن جبل ومراجعة حسن نصّار، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميّة، ٢٠٠٩م، دون تاريخ)، ١٢ :٣-٤؛ والحسن بن أحمد الفارسيّ، "الإيضاح"، تحقيق كاظم بحر المرجان، (ط٢، بيروت: عالم = =الكتب، ١٩٩٦م) ، ٢٣٠؛ وطاهر بن أحمد بن بابشاذ، "شرح جمل الزّجاجيّ" ، تحقيق عليّ بن توفيق الحمد، (ط١، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٦م)، ٢: ٤٦٥؛ وعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانيّ، "المقتصد في شرح الإيضاح"، تحقيق كاظم بحر المرجان، (بغداد: منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، ١٩٨٢م، دون طبعة)، ٢: ٩٨٥.

(١) يُنظر: محمّد بن يزيد المبرِّد، "المقتضب"، تحقيق محمّد عبد الخالق عضيمة، (بيروت: عالم الكتب، دون طبعة أو تاريخ)، ٣ :٣٢٠.

(٢) يُنظر: السّيرافيّ، "شرح الكتاب"، ١٢: ٣.

(٣) يُنظر: الزجّاج، "ما ينصرف وما لا ينصرف": ٣٧؛ والجرجانيّ، "المقتصد": ٢: ٩٨٥.

لازمة للاسم[١]، أو بهما معا فيقولون: ممنوع من الصّرف للزوم الألف، وبناء الاسم عليها[٢]، فقد أشار المبرّد إلى بُعْدِ الاسم بها عن الأصل[٣]، وصرّح السّيرافيّ بقوتها[٤]، لكنّ الأعلم أحسن الإبانة عن هذه العلّة بجمعه قوّة الألف في التّأنيث مع بُعد الاسم بها عن أصله المذكّر، وما وقفت على سابقٍ له قد جمع بينهما. وقوله: "فما أرى أن أحدًا ذكر ما قلنا" يحتمل أنه لم يقف على من يعلل امتناع صرف المؤنث بالألف؛ لبعده عن شبهه بالواحد المذكّر، وجعل الاسم بها مخالفًا لما كان عليه أصله في اللّفظ والمعنى بهذا النصّ، وإلّا فمؤداه مذكور في مجموع كلامهم.

(١) يُنظر: ابن السّراج، " الأصول"، ٢: ٨٤؛ وابن بابشاذ، " شرح جمل الزّجاجيّ"، ٢: ٤٦٥-٤٦٦.

(٢) يُنظر: الفارسيّ، "الإيضاح"،٢٣٠.

(٣) يُنظر: المبرِّد، "المقتضب"،٣: ٣٢٠.

(٤) يُنظر: السّيرافيّ،" شرح الكتاب"،١٢: ٣.

المبحث الثّاني: ما خالف الأصل في طريقة تأنيثه مع العدل عن أصله، أو مع الزّيادة في آخره

وفيه مسألتان:

الأولى: علّة امتناع العدد المعدول إلى (فُعال) و(مَفْعَل) من الصّرف

علّل الأعلم امتناع صرف الأعداد المعدولة إلى (فُعال)، و(مَفْعَل) من الصّرف بقوله: "وأمّا المعدول من العدد نحو: أُحاد ومَوْحَد، وثُناء ومَثْنى، وثُلاث ومَثْلث، ورُباع ومَرْبع، فإنّه لا يُصرف البتة اسمًا كان أو صفة. وعلّته: أنّه بَعُد عن الأصل من جهتين: إحداهما: أنّه لا يستعمل له مؤنّث بالتّاء، فيُقال فيه: ثُلاثة ومَثْلَثة، ورُباعة ومَرْبَعة، كما قيل: ثلاث وثلاثة وأربع وأربعة، فكان في امتناعه من التّاء بمنزلة: أحمر، وسكران. والعلّة الثّانية: أنّه معدول عن أصله كما عُدل: عُمر، وقُثم"(١).

فعلّة منع هذه الأعداد من الصّرف عنده هي البُعد عن الأصل، وهذا البُعد كائنٌ من جهتين:

الأولى: أنّه لا يؤنّث كما يؤنّث أصله، فهو بمنزلة الصّفات الممنوعة من الصّرف الّتي لا يكون مؤنّثها إلّا بالتّاء.

والثّانية: العدل بها عن أصولها.

واختلف النّحاة في تعليل منعها من الصّرف(٢)، فذهب صاحب الكتاب إلى أنها ممنوعة من الصّرف للصفة والعدل، ووافقه في ذلك كثير(٣)، ووُصف هذا المذهب بأنّه

(١) الشّنتمريّ، "المخترع"، ٢١.

(٢) يُنظر: السّيرافيّ، "شرح الكتاب"، ١٢: ٣١-٣٢.

(٣) منهم: الزّجاج، "ما ينصرف وما لا ينصرف"،٥٩ – وإن ذهب إلى غير هذا الرّأي في: معانيه يُنظر: إبراهيم بن السّريّ الزّجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، (ط١، ١٩٨٨م، بيروت: عالم =

مذهب المحققين[١].

وذهب غيره إلى أنّها ممنوعة من الصّرف للعدل في شيئين هما: اللّفظ، والمعنى. فمَثْنى معدول به في اللّفظ عن اثنين، ومعدول به في المعنى إذ لا يُقصد به العدد بعينه، بل يُقصد به: اثنين اثنين.[٢]

وذهب الفرّاء إلى أنّها ممنوعة من الصّرف للعدل والتّعريف[٣]؛ فهذه الأعداد عنده نكرات في لفظها، ومعارف في معناها؛ لأنّها معدولة عن أصلها المقترن بالألف واللام، ولذلك لم تُضف إلى معدوداتها كما تُضاف الأعداد المفردة إلى معدوداتها؛ لما قدّروه فيها من التّعريف بالألف واللام، وامتنع دخول الألف واللام عليها؛ لأن فيها تأويل الإضافة، فمُنعت من الصّرف للعدل والتّعريف.

وذكر السّيرافيّ أنّ منهم من يمنع هذه الأعداد من الصّرف للعدل والجمع؛ لأنّه يدلّ على عدد أكثر ممّا يدلّ عليه أصله[٤]. ولا أعلم قائلًا به، ولكنّي وقفت على قولٍ للمبرِّد قد يكون ممّا حمله السّيرافيّ على هذا المعنى، إذ يقول: "ومن المعدول قولهم: (مَثْنى وثُلاث ورُباع ...)، وتأويل العدل في هذا: أنّه أراد واحدًا واحدًا، واثنين اثنين، ألا تراه

الكتب)،٢: ٩؛ والفارسيّ، في "الإيضاح"،٢٣٥؛ والجرجانيّ، في "المقتصد"، ٢: ٩٨٤.

(١) يُنظر: ابن بابشاذ، "شرح جمل الزّجاجيّ"،٢: ٤٧٢.

(١) يُنظر: ابن السرّاج، " الأصول"،٢: ٨٨؛ والسّيرافيّ، "شرح الكتاب" السّيرافيّ،١٢: ٣١. وهذا الّذي جعلوه علّة لمنع صرف هذه الأعداد -أعني: العدل في المعنى- قد جعله سيبويه تفسيرًا لمعنى قولهم: (أُحاد، وثُناء، وثُلاث، ورُباع)، وإلّا فهي عنده بمنزلة (أُخَر) في الوصفيّة والعدل. يُنظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٢٢٥.

(٣) يُنظر: يحيى بن زياد الفرّاء، "معاني القرآن"، (بيروت: دار السّرور، دون طبعة وتاريخ)، ١: ٢٥٤.

(٤) يُنظر: السّيرافيّ، "شرح الكتاب"،١٢: ٣٢.

يقول: ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾[١]، والعدل يوجب التّكثير، كما أنّ (يا فُسق) مبالغة من قولك: يا فاسق، وكذلك (يا لُكع) و(يا لكاعِ)"[٢].

وفي معرض بيان علّة منع هذه الأعداد من الصّرف ذكر الأعلم أنّ منعها من الصّرف للوصفيّة والعدل، ومنعها من الصّرف للعدل في لفظها ومعناها[٣]قولان فاسدان عنده[٤].

فأمّا فساد الأوّل فمن جهة أن الأسماء المصروفة في الأصل إذا عرض لها مع التّعريف علّة فرعيّة أخرى مُنعت من الصّرف، فإذا زال عنها التّعريف، وبقيت على علّة واحدة رجعت إلى ما كانت عليه من إمكان صرفها، واستدلّ على ذلك بصرفهم (أربع)صفةً، وإن كان فيها ما يقتضي المنع من الصّرف مع الوصفيّة وهي زنة (أَفْعَل)، فإنهم لم يعتدّوا بعروض الوصفيّة فيها بعد إرجاعها إلى الأصل، وهو كونها اسمًا للعدد غير صفة.

وأمّا فساد القول الثّاني فقد استدلّ عليه بكلمتيّ (شفْع، وزكا)[٥]،فإنّ فيهما ما في (مَثْنَى، وثُناء) من العدل في اللّفظ عن اثنين، والعدل في المعنى عن قولهم: اثنين اثنين، ولم يكن ذلك موجبًا لمنعهما من الصّرف نكرة ومعرفة، فإنهما يُصرفان إذا سُمّي بهما مع عروض العدل في معنييهما، والتّعريف –وهو علّة ثانية– في لفظيهما؛ فإن كان وجود هاتين العلّتين غير مانعٍ من الصّرف، فلا يوجبه ما زعموه في هذه الأعداد من العدل

(١) سورة فاطر، آية (١)

(٢) المبرّد، "المقتضب"،٣: ٣٨١.

(٣) هذا مذهب ابن السّراج. يُنظر: ابن السّراج، "الأصول"، ٢: ٨٨؛ والسّيرافيّ، "شرح الكتاب"،١٢: ٣١.

(٤) يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"،٢١.

(٥) يُنظر: المرجع السّابق: ٢٢.

في اللّفظ والمعنى.

ويُجاب عن اعتراضه الأوّل بأنّ (أربعًا) أصله اسم، فلم يُلتفت لما عرض له من الوصفيّة فصُرف، أمّا ما كان من الأعداد على (فُعَال) و(مَفْعَل) فهي صفات قد تعرض لها الاسميّة على قلّة[1]، فتُصرف إذ ذاك[2]، فالفرق بينها وبين (أربع) بيّن.

وأمّا اعتراضه الثّاني فإنّ له وجاهته؛ فإنّ التّسمية بشفعٍ وزكًا تجمع مع العدل في المعنى علّة فرعيّة أخرى وهي التّعريف، فلو كان تفسير ما تدلّ عليه مانعًا لها من الصّرف؛ لوجب منعها من الصّرف للتّعريف والعدل، وقد تبيّن أن العدل في المعنى غير مانعٍ من الصّرف إلّا عند إرادة التّعريف. ولقائلٍ أن يقول: إنّ (شفعًا) و(زكا) تعني اثنين، ولا تدلّ على ما في (مَثْنَى) من تكرار التّثنية، فهما يعنيان أن الواحد قد ثُنّي، ولا يلزم من تثنية العدد تكراره، والجواب عن ذلك: أنّ التّثنية يُراد بها "التّكرير بكثرة"[3]، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾[4]، وقد فسّر بعضهم المراد (بالكرّتين) تكرار النّظر مرّة بعد مرّة[5]، فتكون

(١) يُنظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطيّ، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق وشرح عبد السّلام هارون – عبد العال سالم مكرم (ط٢، بيروت: مؤسسة الرّسالة، ١٩٨٧م)، ١: ١٠٢.

(٢) ذكر ذلك الفرّاء حيث قال: (ومن جعلها نكرة وذهب بها إلى الأسماء أجراها) الفرّاء، "معاني القرآن"،١: ٢٥٤.

(٣) محمود بن عُمر الزّمخشريّ، "الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق وتعليق ودراسة عادل عبد الموجود – عليّ محمّد معوّض، (ط١، الرّياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م)، ٦ :١٧١.

(٤) سورة الملك آية (٤).

(٥) يُنظر: الحسين بن مسعود البغويّ، "معالم التنزيل"، تحقيق محمّد النمر وعثمان ضميريّة وسليمان الحرش، (ط١، الرّياض: دار طيبة، ١٩٨٩م)، ٨: ١٧٦؛ محمّد بن أحمد القرطبيّ، "الجامع لأحكام القرآن"، قدّم له خليل الميس وراجعه صدقي جميل وخرّج أحاديثه وعلّق عليه عرفان =

(شفع وزكا) كذلك، ويكون فيهما عدلٌ في اللّفظ والمعنى. ولكن قد يرد على الاحتجاج بهما أمرٌ آخر، وهو انعدام النّظير في غير المثنّى، فإن الواحد إذا انضم معه غيرُه صار شفعًا وزكًا، ولا نظير لذلك فيما جاوزه من الأعداد، فلا لفظَ يُعدل إليه عن ثلاثة وما فوقها إلى تسعة غير ما كان على فُعَال، ومَفْعَل، فلا يسلم له الاضطراد.

بقي تحرير المذهبين الأخيرين في علّة منع هذه الأعداد من الصّرف، الأوّل: ما ذهب إليه الفرّاء من أنّ هذه الأعداد قد عُدل بها عن مُعَرَّف فهي معرّفة بتقدير الألف واللام، ففيه نظرٌ؛ إذ لا دليل عليه من كلامهم، فلم يُسمع عنهم تعريف هذه الأعداد بالألف واللام، وأمّا تركهم إضافتها إلى معدودها فغير مقتضٍ لأن تكون بمعنى ما فيه الألف واللام؛ لأمرين:

الأوّل: وقوعها صفاتٍ لنكرة قبلها[(١)]، فأخرجها ذلك عن أن تكون اسمًا لعدد يحتاج معدودًا، كما أنه أغنى عن إضافتها إلى معدود يُذكر بعدها.

والثّاني: مجيؤها مضافة في كلامهم كما في قول الشاعر[(٢)]:

ثُناءُ الرِّجَالِ وَوُحْدَانُهَا[(٣)]

العشّا، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م، دون طبعة)، ١٨: ١٩٣؛ أحمد بن يوسف الحلبيّ، "الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون"، تحقيق وتعليق علي معوّض – عادل عبد الموجود – جاد مخلوف – زكريا النّوتيّ، (ط١، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٤م)، ٦ :٣٤١.

(١) يُنظر: السّيوطيّ، "الهمع"،١: ٨٦.

(٢) لم يُسمَّ قائله.

(٣) عجز بيت من المتقارب، وصدره: وَخَيْلٍ كَفَاهَا وَلَمْ يَكْفِهَا، والشّاهد فيه: مجيء العدد (ثُناء) مضافًا لما بعده.

انظر البيت في: خالد بن عبد الله الأزهريّ، "شرح التّصريح على التّوضيح"، (دار الفكر، دون طبعة وتاريخ)، ٢: ٢١٥؛ السّيوطيّ، "همع الهوامع"، ١: ٨٦؛ أحمد بن الأمين الشّنقيطيّ، "الدّرر =

وقول الآخر[١]:

بِمَثْنى الزِّقاقِ الـمُتْرعاتِ وبالجُزُرْ[٢]

فلو كانت معرفة في معناها معدولٌ بها عن أصلها المقترن بالألف واللام لما أُضيفت.

وقد صرّح الفرّاء بأنّ من العرب من يصرفها حيث قال: "ومن جعلها نكرة، وذهب بها إلى الأسماء أجراها، والعرب تقول: دخلوا ثُلاثَ ثُلاثَ، وثُلاثًا ثُلاثًا"[٣]، فهذا دليلٌ على استعمالها صفات لموصوف قبلها مغنٍ عن إضافتها لمعدود بعدها؛ فتُركت إضافتها لذلك وليس لنيّة تقدير الألف واللام فيها.

أمّا المذهب الثّاني: وهو منع هذه الأعداد من الصّرف للعدل والجمع[٤]، فيظهر لي أنّه تفسيرٌ لمعنى الأصل الذي عُدل عنه، وقد صرّح المبرّد بهذا في قوله: "وتأويل العدل في هذا أنّه أراد واحدًا واحدًا، واثنين اثنين"[٥]، وأمّا قوله فيما تقدّم: "والعدل يوجب التّكثير"[٦]فهو بيانٌ للغاية من استعمال العدل هاهنا، وهي إرادة التّكثير، ولهذا

اللّوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربيّة"، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، (بيروت: مؤسسة الرّسالة، ١٩٩٤م)، ١: ٩٥.

(١) البيت لامرئ القيس في ديوانه. انظر امرئ القيس بن حجر الكنديّ، "ديوان امرئ القيس"، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، (ط ٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م)، ١١٣.

(٢) عجز بيت من الطّويل، وصدره: يُفَاكِهُنا سَعْدٌ وَيَغْدُوْا لِجَمْعِنَا. والشّاهد فيه: مجيء العدد (مثنى) مضافًا لما بعده.

انظر البيت في: السّيوطيّ، "همع الهوامع"، ١: ٨٦؛ الشّنقيطيّ، "الدرر اللّوامع"، ١: ٩٦.

(٣) الفرّاء، "معاني القرآن"،١: ٢٥٤.

(٤) تقدّمت الإشارة إليه.

(٥) يُنظر: المبرّد، "المقتضب"،٣: ٣٨١.

(٦) تقدّمت الإشارة إليه.

نظائره في كلامهم، وهو غير مقتضٍ للمنع من الصّرف؛ إذ لو كان هذا واجبًا لوجب أن تكون هذه علّة ثالثة لمنع فُسق، ولكاعِ، ونومان من الصّرف.

أعود للعلّة التي ذكرها الأعلم لمنع هذه الأعداد من الصّرف، والتي قال فيها: "فلم يكن ذلك[١] إلّا للعلّة التي ذكرنا أولًا وهي مبتدعةٌ"[٢]، فالحقّ أن الأعلم –رحمه الله– مسبوقٌ إلى هذا، فإنّ المنع من الصّرف للعدل، وترك التّأنيث بالتّاء قد ذكره الزّجاج في كتابه (معاني القرآن وإعرابه)، حيث قال: "وقوله عزّ وجلّ:﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[٣]،بدلٌ من ﴿مَاطَابَ لَكُم﴾[٤]، ومعناه: اثنتين اثنتين، وثلاثًا ثلاثًا، وأربعًا أربعًا، إلّا أنّه لا ينصرف لجهتين لا أعلم أنّ أحدًا من النّحويّين ذكرهما، وهي أنّه اجتمع فيه علّتان: أنّه معدولٌ عن اثنين اثنين، وثلاث ثلاث، وأنّه عدلٌ عن تأنيثٍ"[٥]. فالعلّة التي ذكرها الزّجاج هي عينها التي اعتلّ بها الأعلم وسمّاها البعد عن الأصل، فلعلّه لم يقف عليها عنده.

والنّاظر إلى ما اعتلّ به الزّجاج، ووافقه فيه الأعلم من أنّ علّة منع الصّرف هي ترك تأنيثه بالتّاء كما صنعوا بسكرانَ، وأحمرَ يجدها محجوجةً بانعدام النّظير؛ فإنّهم اشترطوا في الوصف أن يكون له مؤنّث بغير التّاء، فكان مؤنّثه على وزن آخر كفَعْلَى، وفَعْلَاء، وما كان على فُعَال، ومَفْعَل لم يُسمع له مؤنّثٌ البتّة؛ فتُرك تأنيثه، ولم يغاير المذكّر في

(١) أي: المنع من الصّرف.
(٢) الشّنتمريّ، "المخترع": ٢١.
(٣) سورة فاطر: (١).
(٤) سورة النّساء: (٣).
(٥) الزّجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، ٢: ٩.

زنة المؤنّث، وقد جاء عنهم صرف ما لا مؤنّث له لجهلهم بالنّقل فيه عن العرب(١).

وعلى هذا فالظاهر أنّ مانع الأعداد المعدولة إلى (فُعَال، ومَفْعَل) من الصّرف هو الوصفيّة، والعدل كما ذكر صاحب الكتاب سيبويه -رحمه الله-؛ لسلامته ممّا ورد على كلام غيره من النّحاة.

والثّانية: علّة منع الاسم المعرّف ذي الزيادتين من الصّرف

ذكر الأعلم أنّ نحو (سَلْمَان، وعِمْرَان، وعُثْمَان) ممنوعةٌ من الصّرف إذا كانت معرفة لشبهها (بسَكْرَان) في زيادة الألف والنّون، وفي عدم جريان مؤنّثه عليه، ثمّ قال: "فإذا تنكّر انصرف"(٢)، ثمّ أورد سؤالًا عن علّة منع صرف مثل هذه الأعلام إذا نُكّرت، وعدم حملها على (سَكْرَان) الذي يمتنع صرفه معرفة ونكرة، وأجاب عن ذلك بأنّ الأسماء لا أصل لها في النّكرة قبل التّسمية بها تنصرف فيه، فترجع إليه إذا نُكّرت ليمتنع صرفها، فكانت مخالفتها (سَكْرَان) في ذلك علّة لانصرافها حال تنكيرها(٣).

ثمّ أردف بسؤال آخر عن صرف نحو (سَلْمَان) مع أنّ المؤنّث فيه جارٍ على غير مذكّره، فقال: "فإن قال قائلٌ: أليس في كلام العرب أن يسمّوا الرّجل (سَلْمَان)، والمرأة (سَلْمَى)، فينبغي على هذا ألّا يصرف مذكّره البتّة؛ لأنّه بمنزلة (سَكْرَان، وسَكْرَى)؟"(٤). وأجاب عن ذلك بأنّ (سَلْمَان، وسَلْمَى) لم يُقصد بهما ما قُصد (بسَكْرَان، وسَكْرَى) من إرادة التّذكير والتّأنيث، بل كلّ واحد منهما علمٌ على حِدة، فلم يؤتَ بالمؤنّث (سَلْمَى) لمعارضة المذكّر (سَلْمَان) كما كانت (سَكْرَى) صفة للمؤنّث تقابل (سَكْرَان)

(١) يُنظر: محمّد بن يوسف بن عليّ الأندلسيّ، "التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التسهيل"، تحقيق حسن هنداوي، (ط١، الرّياض: دار كنوز إشبيليّة، ٢٠١٩م)، ١٥: ٢٣.

(٢) الشّنتمريّ، "المخترع"، ٢٣.

(٣) يُنظر: المرجع السّابق: ٢٣.

(٤) المرجع السّابق: ٢٣.

وصفًا لمذكّر، وهذا مطّرد في بابه -يقصد في باب فَعْلَان الذي مؤنّثه فَعْلَى-، ولكن تأنيث (سَلْمَان) على (سَلْمَى) لا يتأتّى في نظائره نحو: (مَرْوان)، و(عُثْمَان)، ثمّ أردف جوابه هذا بقوله: "فقف على هذا، واعرف الفرق بينه وبين غيره؛ فما أعلم أحدًا نبّه عليه قبلنا"(١).

وقد علّل النّحاة قبل الأعلم انصراف الأعلام المختومة بالألف والنّون حال تنكيرها بأنّها خالفت (سَكْرَان) في كون مؤنّثها ليس على (فَعْلَى)(٢)، وبأنّه لا مؤنّث له على حدته(٣)، فما كان فيما ذكروه تفصيلٌ للعلّة التي لها انصرفت هذه الأعلام منكّرةً، إذ لم يذكروا ما ذكره الأعلم من أنّ هذه الأعلام لا أصل لها تمنع فيه من الصّرف قبل التّسمية بها، فترجع إليه حال تنكيرها، بل كان حديثهم حول أمرين أشار صاحب المخترع إليهما، وهما:

الأوّل: أنّ هذه الأعلام لا مؤنّث لها كمؤنّث (سَكْرَان) على صيغة تخالفه (كسَكْرَى)، فلم يشبه (سَكْرَان) من كلّ وجه، فانصرف نكرة(٤).

والثّاني: أنّ تنكيره يحطّه عن درجة المعرفة، فينصرف(٥).

وكان جلّ حديثهم عن علّة منعه من الصّرف معرفةً، حيث جعل ابن السّراج التّسمية به مانعةً دخول التّأنيث عليه، فمُنع من الصّرف(٦)، وجعل غيرُه (الألف،

(١) المرجع السّابق: ٢٣.

(٢) يُنظر: المبرّد، "المقتضب"،٣: ٣٣٥.

(٣) الزّجاج، "ما ينصرف ومالا ينصرف"، ٨٦.

(٤) محمّد بن عبد الله الورّاق، "علل النّحو"، تحقيق محمود جاسم محمّد الدّرويش، (باكستان: مكتبة رشيديّة، دون طبعة وتاريخ)، ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٥) الورّاق، "علل النّحو"، ٤٦٤ - ٥٦٥.

(٦) ابن السّراج، "الأصول"،٢: ٨٦.

والنّون) في آخره مشبهة لألف (حمراء)، فلا تدخله تاء التّأنيث؛ لأنّ تأنيثه سيخلّ بعلميّته، فمُنع من الزّيادة عليه[1]، وذكر السّيرافيّ أنّ الألف والنّون فيه كألف الإلحاق التي يُمنع الاسم معها من الصّرف معرفة، وينصرف نكرة[2].

وعلى هذا فالأعلم –رحمه الله– قد انفرد بالتّنبيه على العلّة التي انصرفت بها هذه الأعلام حال تنكيرها، وهو أنّها أعلام مشتقّة لا تجري على مثل (سَكْرَان) وبابه في مخالفة المؤنّثِ المذكّر في صفته، وأنّ ما جاء منه مشبهًا (لسَكْرَان) (كسَلْمَان، وسَلْمَى) لم يُقصد بالمؤنّث منه المقابل للتّذكير، بل هما علمان مستقلّان، وبأنّ ما كان فيها لا يطّرد في غيرهما من الأعلام المختومة بالألف والنون، فأصل التّعليل مذكور معلوم قبل الأعلم، لكنّه انفرد بتفصيله، والتّنبيه عليه.

(١) عمر بن ثابت الثّمانينيّ، شرح اللّمع لابن جنّي، تحقيق فتحي عليّ حسانين، (ط١، القاهرة: دار الحرم للتراث، ٢٠١٠م)، ٢: ٧٩٠.

(٢)السّيرافيّ، "شرح الكتاب"، ١٢: ١٢.

المبحث الثّالث: ما خالف الأصل بالتّعريف والتّركيب

وفيه مسألتان:

الأولى: علّة امتناع الأعلام المختومة بتاء التّأنيث من الصّرف

ذكر الأعلم أنّ الأعلام المختومة بتاء التّأنيث ممنوعة من الصّرف –وإن كانت لغير المؤنّث–، وعلّل امتناع صرفها بأنّ علامة التّأنيث فيها –أعني التّاء– قد ضُمّت إليها، فلا يمكن أن تدخل هذه الأسماء علامة تأنيث أخرى، فهي معها بمنزلة الاسم المركّب، فيمتنع صرفها لعلّتين هما: التّركيب مع تاء التّأنيث، والعلميّة(١).

واستدلّ على ما ذهب إليه بدليلين:

أولهما: "أنّ تاء التّأنيث مفتوحٌ ما قبلها، والإعراب واقعٌ عليها، كما أنّ الاسم المركّب من اسمين يفتح أبدًا ما قبل الأخير منها، ويجري الآخر بوجوه الإعراب، إلّا أن يكون ما قبل الاسم الآخر ياء (كمَعْدِي كَرِب)؛ فإنّ العرب تسكّن الياء استثقالًا للحركة فيها؛ لانكسار ما قبلها مع ثقل الاسم المركّب"(٢). فوقوع علامة الإعراب على تاء التّأنيث، وانفتاح ما قبلها دليلٌ على أنّها قد تركّبت مع الاسم الذي لحقته؛ لأنّ الاسم المركّب يفتح جزؤه الأوّل، ويقع الإعراب على جزئه الثّاني إلّا ما كان الأوّل منه مختومًا بياء؛ فإنّه يُسكّن استثقالًا لحركة الياء مع التّركيب (كمَعْدِي كَرِب).

وثانيهما: " أنّ تاء التّأنيث لا يدخل عليها تأنيثٌ آخر، كما لا يدخل على الاسم الثّاني من (مَعْدِي كَرِب) اسمٌ ثالثٌ؛ إذ كان ذلك مؤدّيًا إلى جعل ثلاثة أشياء شيئًا واحدًا، وهذا معدوم البتّة؛ لتباعد الاسم عن أصله المفرد الأوّل لو فُعِل ذلك

(١) يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ٢٤.

(٢) المرجع السّابق: ٢٤.

به"[١]. فقد جعل امتناع تأنيث الاسم الذي لحقته -أعني تاء التّأنيث- بعلامة تأنيثٍ أخرى بمنزلة امتناع تركّب الاسم ذي الجزأين مع اسم ثالثٍ؛ لبعد الاسم بهذه الهيئة من التّركيب عن أصله المفرد.

ثمّ قال في آخر ذلك: "فتدبّر هذا؛ فإنّه صحيحٌ مبتدعٌ"[٢]، والنّاظر لتعليل النّحاة لهذا قبل الأعلم يجد صاحب الكتاب سيبويه -رحمه الله- قد علّل وقوع تاء التّأنيث موقع الجزء الثّاني من الاسم المركّب إذ يقول: "اعلم أنّ كلّ تاء كانت في اسم للتّأنيث فإنّ ذلك الاسم لا ينصرف في المعرفة، وينصرف في النّكرة. قلتُ: فما باله انصرف في النّكرة، وإنّما هذه للتّأنيث؟، هلّا تُرك صرف ما فيه ألف تأنيث؟، قال[٣]: من قِبل أنّ التّاء ليست عندهم في الاسم، وإنّما هي بمنزلة اسمٍ ضُمّ إلى اسمٍ فجُعلا اسمًا واحدًا، نحو: (حَضْرَمَوْتَ)"[٤]. فتاء التّأنيث ليست كالألف التي تلزم آخر الاسم، وتُنزّل منه منزلة الأصل، وإنّما هي مضمومة إليه، ومتركّبة معه كما في الأعلام المركّبة (كحَضْرَمَوْت)، وقد بيّن -رحمه الله- أنّ هذه التّاء لا تسقط في التّصغير كما تسقط الألف، فقال: "ألا ترى أنّ العرب تقول في (حُبَارى): (حُبَيِّر)، وفي (جَحْجَبَى)[٥]: (جُحَيْجِب)، ولا يقولون في (دَجَاجَة) إلّا (دُجَيْجَة)، ولا في (قَرْقَرَة)[٦] إلّا (قُرَيْقِرَة)، كما يقولون في (حَضْرَمَوْت)، وفي (خَمْسَةَ عَشَرَ): (خُمَيْسَةَ عَشَرَ)، فجُعلت هذه التّاء

(١) المرجع السّابق: ٢٤.

(٢) الشّنتمريّ، "المخترع"، ٢٤.

(٣) يعني: الخليل.

(٤) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٢٢٠.

(٥) حيٌّ من الأنصار. يُنظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادّة (جحجب).

(٦) هو ضَرْبٌ من الضّحك، أو الهدير، أو دعاء الإبل، وبه لُقّب (سَعْدٌ) الذي كان يضحك منه النّعمان بن المنذر. يُنظر: المرجع السّابق: مادّة (قرر).

بمنزلة هذه الأشياء"[١]. ثمّ قال: "ويدلّك على أنّ التّاء بهذه المنزلة[٢]أنّها لم تُلحِق بنات الثّلاثة ببنات الأربعة قط[٣]، ولا الأربعة بالخمسة؛ لأنّها بمنزلة (عَشَرَ)، و(مَوْتَ)، و(كَرِبَ) في (مَعْدِ يكَرِبَ). وإنّما تلحق بناء المذكّر، ولا يُبنى عليها الاسم كالألف، ولم يصرفوها في المعرفة كما لم يصرفوا (مَعْدِ يكَرِبَ) ونحوه"[٤].

فبيّن –رحمه الله– الفرق بين ألف التّأنيث، وتاء التّأنيث بأنّ الأوّلى يُبنى عليها الاسم، وقد تكون للإلحاق كذلك، فتجعل الثّلاثيّ ملحقًا بالرّباعي، والرّباعي ملحقًا بالخماسيّ، وهي عند تصغير الاسم، وردّه إلى أصله ساقطةٌ. أمّا التّاء فهي بمنزلة الجزء الثّاني من الاسم المركّب، فهي لا تُلحق الاسم بغيره ممّا هو أكثر بناء منه، ولا تسقط في التّصغير؛ فامتنع صرف الأعلام المختومة بها كما امتنع صرف الأعلام المركّبة.

وقد أشار السّيرافيّ في شرحه الكتاب إلى هذا الذي ذكره سيبويه[٥]، وذكره ابن برهان العكبريّ أيضًا في شرح اللّمع، حيث عقد موازنة بين تاء التّأنيث وألف التّأنيث قال في آخرها: "وأمّا تاء التّأنيث، فإنّها بمنزلة اسمٍ ضُمّ إلى آخر، فلم تكن مانعة من الصّرف إلّا أن يضامّها التّعريف"[٦].

وجملة القول هاهنا: أنّ ما اعتلّ به الأعلم لامتناع صرف المعرفة المختوم بتاء

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٢٢٠.

(٢) يعني بمنزلة اسم ضُمَ إلى الاسم الأوّل، فجعلا جميعً بمنزلة اسم واحد.

(٣) انظر الحديث عن تاء الألحاق في: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٢٢١؛ وفي: إبراهيم بن موسى الشّاطبيّ، "المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية" تحقيق عبد المجيد قطامش، (ط١، مكّة المكرّمة: معهد البحوث العلميّة وإحياء التّراث الإسلاميّ، ٢٠٠٧م)، ٥: ٦٢٦.

(٤) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٢٢٠.

(٥) يُنظر: السّيرافيّ، " شرح الكتاب"، ١٢/١٩– وما بعدها.

(٦) عبد الواحد بن عليّ الأسديّ، "شرح اللّمع"، تحقيق فائز فارس، (ط١، الكويت: المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤م)، ٢: ٤٣٨.

التّأنيث من كون التّاء بمنزلة الجزء الثّاني من الاسم المركّب قد سُبق إليه، وفصّل القول فيه من سبقه كسيبويه وغيره، ولكنّه انفرد بتفصيل شيء من هذا القياس حيث ذكر أنّ تاء التّأنيث تلزم آخر الاسم، ويكون ما قبلها مفتوحًا، وتظهر عليها علامات الإعراب كما يُفتح الجزء الأوّل من الاسم المركّب (غير المختوم بالياء) ويظهر الإعراب على الجزء الثّاني، وأنّها تمنع دخول علامة أخرى للتّأنيث عليها كما امتنع دخول جزء ثالثٍ على الاسم المركّب، ونصّ على أنّ هذا يُبعد الاسم عن أصله المفرد، أمّا إرجاع العلّة في ذلك كلّه إلى البعد عن الأصل المفرد كما أشار إليه -رحمه الله- فهو ممّا لم أقف عليه عند غيره، وهي علّة مبنيّة على أن الفرع منحطٌّ عن أصله فلا يتصرّف تصرّفه.

والثّانية: علّة منع الاسم المركّب تركيب مزجٍ من الصّرف

تقدّم أن الأعلم علّل امتناع صرف العلم المختوم بالتّاء بأنّه مؤنّث معرفة قد تنزّلت التّاء منه منزلة الجزء الثّاني من العلم المركّب، فصار بهذا التّركيب فرعًا كما أنّ التّعريف فرعٌ، والتّأنيث فرعٌ.

وفي هذا الموضع بيّن -رحمه الله- علّة منع الأسماء المركّبة تركيب مزجٍ من الصّرف، وهي أنّ التركّب فرعٌ عن الإفراد الذي هو أصلٌ في الأسماء، ثمّ ذكر أنّه ضارع بهذا التّركيب المؤنّث بالتّاء، فقال: "وعلّته أنّه لمّا أتى مركّبًا من شيئين -وأصل الأسماء الإفراد- ضارع ما رُكّب فيه المؤنّث على المذكّر بالتّاء، نحو: طلحة، وفاطمة وما أشبه ذلك"[(١)]، فحمل المركّب على المؤنّث بالتّاء في التركّب وهذا ما ذهب إليه النّحاة في تعليل صرفه[(٢)]، ثمّ ذكر أنّ فيه علّة أخرى مخترعة، وهي أنّ

(١) الشّنتمريّ، "المخترع"، ٣١.

(٢) يُنظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٢٩٧؛ والزّجاج، "ما ينصرف ومالا ينصرف"، ١٣٣؛ وابن السّراج، "الأصول في النّحو"،٢/٩٢؛ والسّيرافيّ، "شرح الكتاب"،١٢: ٢٠؛ والحسن بن أحمد الفارسيّ، "المسائل المنثورة"، تحقيق مصطفى الحيدريّ، (دمشق: مجمع اللّغة العربيّة، دون =

الاسم المركّب في حاجة جزئه الأوّل إلى الثّاني، وإسناده إليه كي يتمّ معناه، وتتحصّل الفائدة من التّسمية به؛ كالفعل في حاجته إلى اسم يُسند إليه، ويُبنى عليه، وهو الفاعل، فكما أنّ الفعل لا يقوم بنفسه دون فاعل؛ فإنّ هذه الأسماء لا يستقلّ جزؤها الأوّل عن الثّاني، ولا يستغني عنه(١).

ولم أقف على سابقٍ للأعلم في تعليله هذا، إذ أكثر النّحاة يعلّلون منع العلم المركّب تركيب مزجٍ من الصّرف بالتّعريف والتّركيب الذي أشبه به تركّب تاء التّأنيث مع الاسم الذي لحقته كما تقدّم، والأعلم يجعله كالفعل في حاجته إلى غيره وعدم انفراده، فإنّ الإسناد في معناه العام: "نسبة أحد الجزأين إلى الآخر..."(٢)، وفي اصطلاح النّحويّين: "ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التّامة"(٣)، وهذه العلّة تقتضي أن يكون الاسم المركّب محمولًا على الفعل الذي كانت مضارعة الاسم إيّاه سببًا لثقله، وبعده عن الأصل، ومنعه من التنوين والجرّ بالكسرة كما مُنع منها الفعل، وعلى هذا يكون جَعْل علّة منع هذه الأسماء من الصّرف؛ لمشابهتها الفعل في الثّقل، والبعد عمّا يقتضيه أصل الأسماء من الإفراد مع التّعريف أدقّ وأولى؛ لأنّ حمل الاسم المركّب على الفعل في منع الصّرف لحاجة جزئه الأوّل إلى الثّاني كحاجة الفعل إلى فاعله يَرِد عليه أنّ من النّحاة من يُعرب هذه الأعلام المركّبة إعراب المتضايفين –وهما جزآن منفصلان–، وإن لم يكن هو الوجه الجيّد أو المختار في إعرابه(٤)، والإضافة هاهنا لفظيّة

طبعة أو تاريخ)، ٢٤٢؛ والثّمانينيّ، "شرح اللّمع لابن جني"، ٢: ٨٠٨؛ والجرجانيّ، "المقتصد في شرح الإيضاح"، ٢: ١٠٣٦.

(١) يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ٣١.

(٢) المرجع السّابق: ٢٣.

(٣) المرجع السّابق: ٢٣.

(٤) يُنظر: المبرّد، "المقتضب"، ٤: ٢٤.

لا تقتضي تخصيصًا ولا تعريفًا[1]، لكنّه خرج على كلّ حال من منع الصّرف، وممّا نسبه إليه الأعلم من حاجة الجزء الثّاني منه إلى الأوّل.

وإذا عُلم أنّ كلّ علل منع الصّرف راجعةٌ إلى شبه الاسم بالفعل من وجهٍ ما؛ لم يكُ في ما علّل الأعلم به جديدًا مخترعًا في أصله، وإن كان تخصيص الاسم المركبّ تركيب مزجٍ به قد سبق إليه الأعلم فلم أعلمه عند غيره، يُضاف إلى هذا أنّ ما سمّاه الأعلم بـ(الحاجة) إن كانت بين اسم وجملة، أو اسم وحرف، أو بين اسمين فهي مقتضية للبناء لا للمنع من الصّرف، كما هو الحال في الأسماء الموصولة مع جملة الصّلة، و(لا) النّافية للجنس مع اسمها، وكذا تركُّب (خمسةَ عشرَ)؛ فإنّها جميعًا لا تستقلّ بنفسها، وحاجتها إلى ما بعدها كحاجة الفعل إلى فاعله؛ إذ لا يمكن للأوّل منهما أن يستقلّ بنفسه دون الثّاني، والمركّب اسمٌ قد جُعل جزآه اسمًا واحدًا، فكان الثّاني كتاء التّأنيث من الأوّل، وهذا اتّصال تامّ، وليس بحاجة ولا افتقار؛ فثقُل بهذا، وبعد عن الأصل من وجهين، هما: التركّب الذي هو فرعٌ عن الإفراد، وهو الذي أوجب فيه الثّقل، والتّعريف الذي هو فرعٌ عن التّنكير.

وقد نقل سيبويه –رحمه الله– عن شيخه يونس أنّ منع هذه الأسماء المركّبة من الصّرف هو حملها على الأعلام الأعجميّة، إذ يقول: "فقلتُ ليونس: هلّا صرفوه إذ جعلوه اسمًا واحدًا وهو عربيّ؟، فقال: ليس شيءٌ يجتمع من شيئين فيُجعل اسمًا سُمّي به واحدٌ إلّا لم يُصرف. وإنّما استثقلوا صرف هذا؛ لأنّه ليس أصلَ بناءِ الأسماءِ، يدلّك على هذا قلّته في كلامهم في الشّيء الذي يلزم كلّ من كان من أمّته ما لزمه، فلمّا لم يكن هذا البناءُ أصلًا، ولا متمكّنًا؛ كرهوا أن يجعلوه بمنزلة المتمكّن الجاري على الأصل، فتركوا صرفه كما تركوا صرف الأعجميّ.

وهو مصروفٌ في النّكرة كما تركوا صرف (إبراهيم، وإسماعيل)؛ لأنّهما لم يجيئا

(١) يُنظر: الجرجانيّ، "المقتصد في شرح الإيضاح"، ٢: ١٠٤١.

على مثال ما لا يُصرف في النّكرة (كأحمر)، وليس بمثال يخرج إليه الواحد للجميع نحو: (مساجد ومفاتيح)، وليس بزيادة لحقت لمعنى كألف (حُبلى)، وإنّما هي كلمة كتاء التّأنيث، فثقُلت في المعرفة إذ لم يكن أصل بناء الواحد؛ لأنّ المعرفة أثقل من النكرة"[(١)]، فالتعليل الذي نقله صاحب الكتاب[(٢)] قائمٌ على مخالفة الأصل باجتماع أكثر من علّة؛ فإنّ بناء الاسم من جزأين ليس من كلام العرب، فمُنع من الصّرف كما منعوا الأعجميّ من الصّرف، وصرفوه في التّنكير؛ لأنّه لم يشبه شيئًا ممّا منعوه من الصّرف منكّرًا في كلامهم، فهو ليس بوصفٍ كأحمر، ولا على صيغة منتهى الجموع، ولا ممّا لزمته الزّيادة كألف التّأنيث، وإنّما هو اسمٌ الثّاني منه بمنزلة تاء التّأنيث، فمُنع من الصّرف حال تعريفه؛ لثقله بالتّعريف، وبعده عن الأصل الذي عليه كلامهم إذ أصل الأسماء أن تكون مفردة، وهذا الذي ذهب إليه –رحمه الله– سالمٌ ممّا قد يرد على غيره من أسباب منع الصّرف.

(١) سيبويه، "الكتاب"،٣: ٢٩٧.

(٢) أعني: سيبويه، وهو المراد بقولي صاحب الكتاب في كلّ موضع.

المبحث الرّابع: ما خالف الأصل بمجيئه على بناءٍ قليلٍ في نظائره

وفيه مسألة:

علّة منع (دُئِل) من الصّرف:

ذكر الأعلم أنّ اجتماع التّعريف مع كون الاسم على وزنٍ يختصّ به الفعل مانعٌ له من أن يُصرف؛ وذلك لاجتماع علّتين فرعيتين فيه هما: التّعريف، ومضارعة الفعل في الثّقل(١)، ثمّ بيّن(٢) -رحمه الله- أنّ الاسم لا سبيل له لأن يكون على زنة الفعل إلّا في حالين:

أحدهما: أن يكون أعجميًّا نحو: بقّم(٣)، وشلّم(٤).(٥)

والثّاني: أن يكون منقولًا من الفعليّة إلى العلميّة، نحو: خضّم(٦).

(١) يُنظر: الشّنتمريّ، "المخترع"، ٢٩-٣٠.

(٢) المرجع السّابق: ٢٩-٣٠.

(٣) صبغ معروف، وهو العندم، (معرّب). يُنظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادّة (بقم).

(٤) بيت المقدس، ويقال: هو اسم مدينة بيت المقدس بالعبرانية. يُنظر: المرجع السّابق: مادّة (شلم).

(٥) للوقوف على حديث النّحاة عن هذه الأسماء يُنظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٢٠٨ - ٢٠٩؛ والحسن بن عبد الله السّيرافيّ، "شرح الكتاب" تحقيق عبد الرحيم الكردي وعبد الرحمن محمّد عصر ومراجعة حسين نصّار، (٢٠١١م)، ١١: ٢٠٦؛ الحسن بن أحمد الفارسيّ، "التّعليقة على كتاب سيبويه"، تحقيق عوض بن حمد القوزيّ، (ط١، الرّياض: مطابع الحسني، ١٩٩٣م)، ٣: ٢٩.

(٦) الجمع الكثير من النّاس، أو اسم بلد أو اسم ماء، و(خَضّم) على وزن (بقّم): اسم العنبر بن عمرو التميميّ، وقد غلب على القبيلة، يزعمون أنّهم إنّما سمّوا بذلك؛ لكثرة الخضم، وهو المضغ بالأضراس. يُنظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادّة (خضم).

ثمّ أورد – رحمه الله – استشكالًا في اسم (دُئِل)[١]؛ فإنّه قد جاء على صيغة قد اختصّ بها الفعل، وهي ليست بأعجميّة، ولا منقولة عن فعلٍ، فكيف مُنعت من الصّرف؟، وفي هذا يقول: "فإن قال قائلٌ: أليس من كلام العرب (دُئِل) اسم دابة، فهذا كما ترى على وزن (فُعِل) الذي زعمتَ أنّه مصوغٌ للفعل خاصة، وبه سُمّي رهط أبي الأسود الدؤليّ، وقال الشاعر[٢]:

... ... مَا كَانَ إلّا كَمُعْرَسِ الدُّئِلِ[٣]

فأدخل الألف واللام كما تدخل على الأسماء الأجناس لتعريف الجنس، فينبغي على هذا أن تصرف ما كان من الأفعال[٤] على وزن فُعِلَ"[٥].

فالإشكال هنا أنّ (دُئِل) قد جاء على وزنٍ مختصّ به الفعلُ، فإنّ بناء (فُعِل) يجيء عليه الفعل الثلاثي الذي لم يُسمّ فاعله، و(الدُّئِل) اسم جنس لدابّة، وقد قارنته الألف واللام الجنسيّة في قول الشاعر: "كمعرس الدُئِل"، فدلّ هذا على تمحّضه للاسميّة،

(١) اسم لدويبة كالثعلب، وهو: دويبة شبيهة بابن عرس، والدُئِل في كنانة رهط أبي الأسود مهموز. يُنظر: المرجع السّابق: مادّة (دأل).

(٢) البيت لكعب بن مالك. انظر: كعب بن مالك الأنصاريّ، "ديوان كعب بن مالك الأنصاريّ". تحقيق سامي مكّي العاني، (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٧م)، ١٩٩.

(٣) عجز بيت من المنسرح، وصدره: جَاؤُوا بِجَيْشٍ لَوْ قِيْسَ مَعْرَسُهُ. والشّاهد فيه: دخول الألف واللام الجنسيّة على كلمة (دُئِل)؛ لتعريف الجنس.
انظر البيت في: السّيرافيّ، "شرح الكتاب"، ١١: ٢٠٧؛ يعيش بن عليّ بن يعيش، "شرح المفصّل". (بيروت: عالم الكتب، دون طبعة وتاريخ)، ١: ٣٠؛ عبد القادر البغدادي، "شرح شواهد شافية ابن الحاجب"، تحقيق محمّد نور الحسن– محمّد الزّفزاف– محمّد محيي الدّين عبد الحميد، (دون طبعة، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٢م)، ١: ٣٧.

(٤) يعني ما سُمّي به من الأفعال التي على وزن (فُعِلَ).

(٥) الشّنتمريّ، "المخترع"، ٣٠.

وهذا ينبني عليه ألّا يكون وزن (فُعِل) ممّا اختصّ به الفعل، فينبغي صرف كلّ ما سُمّي به من الأفعال التي جاءت على هذا البناء لكونه ليس للفعل خاصّة.

وقد أجاب –رحمه الله– عن ذلك مُعلّلًا منع (دُئِل) من الصّرف من وجهين يقول في الوجه الأوّل منهما: "فالجواب أنّ دُئِلًا إذا صحّ أنّه اسمٌ لجنسٍ من الدوابّ لم يعارضه به ذلك في الأسماء؛ لقلّته في الأسماء مع كثرتها، وكثرته في الأفعال، وهي أقلّ من الأسماء، كما أنّا لمّا وجدنا البناء الذي هو (أَفْعَل) أكثر ما يكون في الأفعال والصّفات حملنا (أَيْدَع)[1]، و(أَفْكَل)[2] عليه، وإن كانا اسمين لا يُعلم اشتقاقهما، فلم يصرفهما في المعرفة على أنّ مثال (أَفْكَل)، و(أَيْدَع) موجودٌ في أسماء كثيرة، ولا يكاد يوجد لـ(دُئِل) نظير في الأسماء. فاعلمه"[3]. ومراده: أنّ (دُئِلًا) إن صح كونه اسم جنس على هذا البناء، فهو ليس بدليل على أنّ الفعل غير مختصّ به؛ لأنّ هذا الوزن لا نظير له في الأسماء على كثرتها، وهو في الأفعال أكثر من أن يُحصى، ثمّ قاسه على ما كان في (أَفْعَل)، فإنّهم منعوه من الصّرف إذا كان معرفة؛ لكونه على بناء هو أكثر ما يكون للفعل، والصّفات (اسم التّفضيل) مع وروده على كثرة في الأسماء نحو: (أَيْدَع)، و(أَفْكَل)، فلم يعتدّ بوروده اسمًا لردّ اختصاصه بالفعل، فكيف يُزيل (دُئِل) الذي لا نظير له من الأسماء اختصاص بناء (فُعِل) بالفعل؟

وفي تتمّة جوابه – وهو الوجه الثّاني– يقول: "وجوابٌ آخر، وهو أنّ (دُئِلًا) يمكن أن يكون فعلًا جُعل اسم جنس، كما أنّ (تُبُشِّرًا)، و(تُنُوِّطًا) طائران سُمّيا بالفعل، وهذا النّحو موجودٌ في كلامهم"[4].يريد أنّ (دُئِلًا) قد يكون فعلًا في الأصل، ثمّ نُقِل إلى الاسميّة

(١) صبغٌ أحمر، وقيل هو خشب البقّم (تقدّم ذكره)، وقيل هو: دم الأخوين، وقيل: هو الزعفران. يُنظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادّة (يدع).

(٢) رعدةٌ تعلو الإنسان، ولا فعل له. يُنظر: المرجع السّابق، مادّة (فكل).

(٣) الشّنتمريّ، "المخترع"، ٣٠ – ٣١.

(٤) المرجع السّابق: ٣١.

فصار اسم جنس، ولهذا نظائره في كلامهم، نحو: (تُبُشِّر)، و(تُنُوِّط)؛ فإنّهما فعلان في الأصل، ثمّ جُعلا اسمين لطائرين، فالفعليّة فيه هي الأصل، ثمّ صار اسم الجنس، فهذا دليلٌ على أنّ النّقل من الفعليّة إلى الاسميّة لا ينفي اختصاص البناء بالفعل.

ثمّ ذكر بعد هذا أنّه لا حجّة في (دُئِل) لمن زعم أنّه على بناء غير مختصّ بالفعل، فينبغي صرفه، ووجب ألّا يُجعل هذا البناء أصلًا في الأسماء؛ لأنّه من القليل النّادر الذي لا نظائر له في الاسم، وهو للفعل خاصّة، حيث يقول: "فإذا صحّ هذا لم يكن في (دُئِل) حجّة، ووجب ألّا يُدّعى في مثل هذا المثالُ للاسم البتّة، وأن يُجعل واجبًا للفعل خاصّة"(١). وختم جوابه بقوله: "فتدبّر هذه العلل فإنّها لطيفة حسنة، وأكثرها مخترعٌ بحمد الله"(٢).

ومثل هذا الاستشكال أورده السّيرافيّ في شرحه الكتاب، وأجاب عنه حيث قال: "فإن قال قائلٌ: فقد جاء في الاسم (فُعِلَ)، وهو (دُئِل)، فلا ينبغي أن يُمنع (ضُرِبَ) إذا سمّوا به الصّرف؛ قيل له: لم يذكر سيبويه في أبنية الأسماء (دُئِل)، وذكر الأخفش أنّه جاء مثل (ضُرِبَ) اسمًا معرفة، والمعارف غير معوّل عليها في الأبنية؛ لأنّه يجوز أن يُسمّى الرجل بالفعل، وبالحرف، وبما لا نظير له في كلام العرب، وذكر غير الأخفش أنّ (دُئِل) اسم دابّة شبيهة بابن عرس، وأنشد فيه:

جَاءُوا بجيشٍ لَو قِيْس مُعْرَسُهُمَا كَانَ إِلّا كَمُعْرَسِ الدُّئِلِ(٣)"(٤)

فبناء (فُعِل) لم يذكره صاحب الكتاب ضمن أبنية الأسماء، واحتجّ بقول الأخفش أنّ (دُئِل) قد جاء على بناء (ضُرِبَ) معرفةً، والمعارف لا يعوّل عليها في الأبنية؛ لأنّهم

(١) الشّنتمريّ، "المخترع"، ٣١.

(٢) المرجع السّابق: ٣١.

(٣) تقدّم الحديث عنه.

(٤) السّيرافيّ، "شرح الكتاب"، ١١: ٢٠٧.

قد يسمّون بالفعل، وبالحرف، وبشيءٍ لا نظير له في كلامهم، فنقْل البناء من الفعليّة إلى العلميّة لا يدلّ على أصالته، وتمحّضه للاسميّة، ثمّ أخبر بأنّ غير الأخفش يجعل (دُئِلًا) اسم جنس لدابّة تشبه ابن عرس، وهذا يفسّره كلامه التالي إذ يقول: "وقلتُ أنا [الضّمير للسّيرافيّ]: يجوز أن يكون (دُئِل) سُمّي بالفعل، وقد رأينا في أسماء الأجناس ما سُمّي بالفعل، كطائر يُقال له: (تُبُشِّر)، وآخر يُقال له: (تُنُوّط)، وهذان بناءان للفعل كأنّهما سُمّيا بفعلٍ يفعلانه، وهو التّنويط، يُقال: ناط، ونوّط ينوّط، وذلك أنّه يعلّق عشّه ضربًا من التّعليق المحكم الذي يُتعجّب منه، و(دُئِل) ما لم يُسمَّ فاعله من قولك: دأل يدأل، تقول: دُئِل في هذا المكان كما تقول: مُشيَ في هذا المكان إليّ، وهو مشْيٌ فيه بغيٌ من نشاط، فيجوز أن تكون هذه الدّابة لها مثل هذا المشي"[(١)].

فبيّن –رحمه الله– أنّهم قد يسمّون الجنس بفعلٍ بناء على معنى الفعل، فإنّ الطائر المسمّى: (تُنُوّط)، قد سُمّي بما كان يفعله من تعليق عشّه؛ لأن النوط ما عُلّق، سُمّيَ بالمصدر[(٢)]، وكذا (الدُّئِل)، فقد تكون تسمية بما كان يفعله؛ لأنّ الدَّأل هو الختل[(٣)]، فكأنّه كان يمشي مشيةً فيها ختلٌ، وتقارب في الخطو، أو السرعة. وكلا الوجهين اللذين أجاب بهما السّيرافيّ عمّا قد يُعترض به على منع (دُئِل) من الصّرف قد ذكره الأعلم، وإن كان أبو سعيد أكثر منه تفصيلًا، وكذا الفارسيّ، فقد ذكر أنّ (دُئِل) اسم قد نُقل من الفعل، فسُمّي به علمٌ[(٤)].

والذي يعنيني هاهنا ما ختم به الأعلم في تعليله منع (دُئِل)، وما كان على زنة

(١) المرجع السّابق: ١١: ٢٠٧–٢٠٨.

(٢) كلّ ما عُلّق من شيء فهو نوط. يُنظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادّة (نوط).

(٣) الختل: التّخادع على غفلة. يُنظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادّة (ختل)، والدّأل: الختل ... دألتُ للشيء أدأل دألًا ودألانًا: مشية شبيهة بالختل، ومشي المثقل. يُنظر: المرجع السّابق: مادّة (دأل).

(٤) يُنظر: الفارسيّ، "التعليقة"،٣: ٢٨.

(فُعِل) من الصّرف، إذ يقول: "فتدبّر هذه العلل، فإنّها لطيفة حسنة، وأكثرها مخترعٌ بحمد الله تعالى"(١).

والحقّ أنّ ما ذكره – رحمه الله– من وجهي جوابه قد سُبق إليه –كما تقدّم–، لكنّه انفرد بالنصّ على أنّ هذا البناء (فُعِل) قليلٌ في الأسماء كثيرٌ في الأفعال، ونصّ على أنّ الاسم (دُئِل) لا نظير له في الأسماء حيث يقول: "ولا يكاد يوجد لـ(دُئِل) نظيرٌ في الأسماء فاعلمه"(٢).

(١) الشّنتمريّ، "المخترع"،٣١.

(٢) المرجع السّابق: ٣١.

المبحث الخامس: ما خالف الأصل بمجيئه على جزأين مُسمًّى به مصروفًا وفيه علّة صرف المتضايفين، وهما شيئان جُعلا بمنزلة شّيءٍ واحد:

ذكر الأعلم أن المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشّيء الواحد، فهما متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، كما أن جزأي الأعلام المركّبة كذلك، وكما أنّ الفعل الذي حُمل عليه العلم المركّب –عنده– مع فاعله كذلك، فلم يمنعوه من الصّرف، وفي هذا يقول: "فإن قال قائلٌ: أليس المضاف والمضاف إليه بمنزلة شيء واحد لا يستغني بعضه عن بعض –كما كان (مَعْدِي كَرِب)، وكما كان الفعل والفاعل– فهلّا مُنع من الصّرف، فقيل: عبدُ عمرُو إذا سُمّي به، كما قيل: معديْ كربُ، وبلالَ آبادُ؟"(١).

ثمّ أجاب عن ذلك ببيان علّة صرفهم المتضايفين، وعدم حملهما على العلم المركّب في منع الصّرف بأنّ الأوّل منهما منفصلٌ عن الثّاني، فهو قائمٌ بنفسه، متقلّبٌ بين التّعريف والتّنكير كسائر الأسماء المتمكّنة، وهو قبل التّسمية به منفصلٌ عن المضاف إليه انفصالًا تامًّا، فإنّهم يقولون: غلامٌ، وزيدٌ، ويقولون: غلامٌ لعمرٍو، وعبدٌ لزيدٍ، وإنّما جُمع الأوّل منهما مع الثّاني لإرادة تخصيصه به، والدّليل على كمال انفصاله عنه قبل تخصيصه به أنّهم لم يضيفوه إليه إلّا بعد حذف شيءٍ منه (التّنوين، أو حرف الإضافة)؛ كي يكون الثّاني داخلًا فيه، حالًّا منه محلّ ما قد حُذف من آخره، وكلّ هذا حاصلٌ فيه قبل تعريفه، ونقله إلى العلميّة حيث يُسمّى به، فلمّا جعلوه معرفةً، وبَعُدَ عن حاله الأوّلى، ولم يصنعوا فيه ما صنعوه في الأعلام المركّبة –التي يُضمّ الثّاني فيها إلى الأوّل؛ ليكون منه بمنزلة تاء التّأنيث من الاسم الذي تلحقه– أضافوا الأوّل إلى الثّاني بعد حذف ما يدلّ

(١) الشّنتمريّ، "المخترع"، ٣١–٣٢. وقد كتبها المحقّق: بلالَ إيادُ، والصّواب ما أثبتُّه. يُنظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادّة (بلل).

على كمال انفصاله (أعني التّنوين)، والدّليل على ذلك أنّ الاسم المركّب تُجعل علامة التّأنيث والجمع في آخره، ويُحذف آخره أيضًا في التّرخيم، كما يحذفون التّاء من آخر الاسم المرخّم، ولا يكون هذا منهم في الاسم المضاف، فإنّ علامة التّأنيث أو الجمع تلحق آخر الاسم الأوّل (المضاف)، وهو ممّا يمتنع ترخيمه[١] خلافًا للكوفيين[٢].

وفي ختام تعليله هذا قال: "فتأمّل هذا وقف عليه؛ فإنّك لا تجده في غير هذا الكتاب، والحمد لله"[٣]، وهذا التّعليل ممّا انفرد به الأعلم –رحمه الله–، فما وقفت عليه عند غيره؛ فإنّ إرادة الانفصال في جزأي المضاف تقتضي ألّا يتركّبا، فلا يكون الثّاني منهما كتاء التّأنيث من الأوّل، فالاتّصال التّام بين الاسمين –وهو الذي يقتضيه التّركيب– غير حاصلٍ في جزأي المضاف كما تقدّم، والدّليل على ذلك أنّ الإضافة المعنويّة كائنةٌ بمعنى (اللام)، أو(في)، أو(من)، يُضاف إلى هذا أنّ الإضافة تعاقب التّنوين، فالمضاف غير منوّنٍ البتة، فكيف يُمنع جزؤه الأوّل من الصّرف؟، وأمّا المضاف إليه فيُنظر إلى حاله، فإن كان مصروفًا نوّن وجُرّ بالكسرة، وإلّا فإنّه يمنع من الصّرف ويُجرّ بالفتحة لعلّة ليست راجعة إلى التركّب البتّة، وهذا كما هو ظاهر يجعل للمضاف حالًا تخالف المضاف إليه، فلم يُجعلا كالاسم الواحد الذي

(١) المرجع السّابق: ٣٢.

(٢) يُنظر: عبد الرّحمن بن محمّد الأنباريّ، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين: البصريين، والكوفيين"، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، (دمشق: دار الفكر، دون طبعة وتاريخ)، المسألة الثامنة والأربعون؛ وعبد الله بن يوسف الأنصاريّ، "أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك"، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، (ط٥، القاهرة: مطبعة السّعادة، ١٩٦٧م)، ٤: ٥٦.

(٣) الشّنتمريّ، "المخترع"،٣٢.

تركّبت أجزاؤه. والإضافة لا تكون إلّا بحذف شيءٍ من آخر المضاف؛ لئلّا يثقُل بضمّه إلى الثّاني، وليكون الثّاني منه بمنزلة هذا الذي حُذف، وفي ذلك من التّخفيف ما ينأى به عن مقاربة الفعل أو مضارعته.

فإن عُلم هذا عُلم أنّ المقتضي للمنع من الصّرف ليس وقوع الاسم على جزأين، وإنّما هو ما يكون بين جزأيه من التركّب الذي يُثقل الاسم، ويبعده عمّا تكون عليه الأسماء من الخفّة بالانفراد في الأصل.

الخاتمة

انتهى هذا البحث إلى عددٍ من النّتائج أهمّها:

أوّلًا: انفرد الأعلم ببعض العلل التي لم أقف عليها عند غيره فيما رجعت إليه، وهي:

- إرجاعه علّة منع المؤنّث بالتّاء من الصّرف إلى بعده بهذه الهيئة من التّركب مع التّاء عن أصله المفرد، فالمؤنّث بالتّاء عنده ليس فرعًا عن المذكّر، بل هو فرعٌ عن المفرد غير المركّب.
- انفراده بالنصّ على أن (دُئِل) لا نظير له في الأسماء.
- انفراده بتعليل منع الاسم المركّب تركيب مزجٍ من الصّرف بأن جزأه الأوّل يحتاج الثّاني ليتمّ معناه، وتتحصّل الفائدة من التّسمية به كحاجة الفعل إلى الفاعل.
- انفراده بتعليل صرف المتضايفين مع أنّهما كالشّيء الواحد بإرادة الانفصال بين جزأيه، ممّا لا يقتضي التّركيب، ولا كمال الاتّصال.

ثانيًا: انفرد الأعلم بأمورٍ في العلل التي جعلها مخترعة، وهو مسبوق إليها، وهي:

- حُسْن الإبانة عن العلّة بجمع ما ذكره النّحاة مفرّقًا: كما في تعليله قيام الألف مقام علّتين في المنع من الصّرف.
- التنبيه والموازنة في بيان العلّة: كما في تعليله منع الوصف ذي الزيادتين من الصّرف كسَكْرَان وسَكْرَى على خلاف سَلْمَان وسَلْمَى مع أنّ لهما الوزن نفسه.
- التّفصيل في بيان العلّة: كما في تعليله منع المؤنّث بالتّاء من الصّرف بأن تاء التّأنيث تلزم آخر الاسم، ويكون ما قبلها مفتوحًا، وتظهر عليها علامات الإعراب كما يفتح الجزء الأوّل من الاسم المركّب (غير المختوم بالياء) ويظهر الإعراب على الجزء الثّاني، وأنّها تمنع دخول علامة أخرى للتّأنيث عليها كما امتنع دخول جزء ثالث على الاسم المركّب.

ثالثًا: أن الأعلم قد يشبّه الشّيء بالشّيء في علّة تجمعهما، ثمّ يعكس هذا التشبيه

كما شبّه المؤنّث بالتّاء بالمركّب تركيب مزجٍ، ثم ذكر أنّ المركّب تركيب مزجٍ قد ضارع المؤنّث بالتّاء، وهذا راجع في غالب الظنّ إلى ميله للاستقصاء.

أهمّ التّوصيات:

أن تُدرس مناهج علماء النّحو في التّعليل؛ للإفادة منها في تقرير الأحكام النّحويّة، وبيانها ممّا يعين الدّارسين على معرفتها. وأن يولي الباحثون كتاب (المخترع في إذاعة سرائر النّحو) خاصّة مزيدًا من العناية والدّراسة، كأن يُدرس فيه منهج الأعلم في التّعليل بصورة عامة، وتأثيره فيمن جاء بعده، وتعيين ما انفرد به من علل وأحكام لم يتابع فيها من قبله.

تمّ هذا البحث المسمّى:

العلّة المخترعة عند الأعلم الشّنتمريّ – دراسة وتحليل (باب الممنوع من الصّرف أنموذجًا) فالحمد لله على ما هدى إليه، وأعان عليه.

المراجع:

الكتب:

الأزهريّ، خالد بن عبد الله، "شرح التّصريح على التّوضيح"، (دار الفكر، دون طبعة وتاريخ).

الأسديّ، عبد الواحد بن عليّ، "شرح اللّمع"، (ط١، الكويت: المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤م).

الأنباريّ، عبد الرّحمن بن محمّد، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين: البصريين، والكوفيين"، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، (دمشق: دار الفكر، دون طبعة وتاريخ).

الأندلسيّ، محمّد بن يوسف بن عليّ، "التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التسهيل"، تحقيق حسن هنداوي (ط١، الرّياض: دار كنوز إشبيليّة، ٢٠١٩م).

الأنصاريّ، عبد الله بن يوسف، "أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك"، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، (ط٥، القاهرة: مطبعة السّعادة، ١٩٦٧م).

ابن بابشاذ، طاهر بن أحمد، "شرح جمل الزّجاجيّ"، تحقيق عليّ بن توفيق الحمد، (ط١، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٦م).

ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، "الصّلة". تحقيق شريف أبو العلا العدويّ، (ط١، القاهرة: مكتبة الثّقافة الدينيّة، ٢٠٠٨م).

البغويّ، الحسين بن مسعود، "معالم التنزيل"، تحقيق محمد النّمر وعثمان ضميريّة وسليمان الحرش، (ط١، الرّياض: دار طيبة، ١٩٨٩م).

الثّمانينيّ، عمر بن ثابت، شرح اللّمع لابن جنّي، تحقيق فتحي عليّ حسانين، (ط١، القاهرة: دار الحرم للتراث، ٢٠١٠م).

الجرجانيّ، عبد القاهر بن عبد الرحمن، "المقتصد في شرح الإيضاح"، تحقيق كاظم بحر

المرجان، (بغداد: منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، ١٩٨٢م، دون طبعة).
الجرجانيّ، علي بن محمّد، "التّعريفات"، (مكة المكرّمة: المكتبة الفيصليّة، دون طبعة وتاريخ).
الحلبيّ، أحمد بن يوسف، "الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون"، تحقيق وتعليق علي معوّض – عادل عبد الموجود – جاد مخلوف – زكريا النّوتيّ، (ط١، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٤م).
الحمويّ، ياقوت بن عبد الله، "معجم الأدباء"، (بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، دون طبعة وتاريخ).
ابن خلّكان، أحمد بن محمد، "وفيات الأعيان"، تحقيق إحسان عبّاس، (بيروت: دار الثّقافة، دون طبعة وتاريخ).
الذّهبيّ، محمد بن أحمد، "سير أعلام النّبلاء"، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسيّ، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرّسالة، ٢٠٢٠م).
الزّجاج، إبراهيم بن السّريّ، "ما ينصرف وما لا ينصرف"، (ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجيّ، ١٩٩٤م).
الزّجاج، إبراهيم بن السّريّ، "معاني القرآن وإعرابه"، (ط١، ١٩٨٨م، بيروت: عالم الكتب).
الزّجاجيّ، عبد الرحمن بن إسحاق، "الإيضاح"، (ط٦، بيروت: دار النّفائس، ١٩٩٦م).
الزّمخشريّ، محمود بن عُمر، "الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". تحقيق وتعليق ودراسة عادل عبد الموجود – عليّ محمّد معوّض، (ط١، الرّياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م).
السّراج، محمّد بن سهل، "الأصول في النّحو"، تحقيق عبد الحسين الفتليّ، (ط٣،

بيروت: مؤسسة الرّسالة، ١٩٨٨م).
سيبويه، عثمان بن قنبر، "كتاب سيبويه"، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م).
السّيرافيّ، الحسن بن عبد الله، "شرح كتاب سيبويه"، تحقيق عبد الرحيم الكردي وعبد الرحمن محمد عصر ومراجعة حسين نصّار، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميّة، ٢٠١١م، دون طبعة).
السّيرافيّ، الحسن بن عبد الله، "شرح كتاب سيبويه"، تحقيق عبد الكريم محمد حسن جبل ومراجعة حسين نصّار، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميّة، ٢٠٠٩م، دون طبعة).
السّيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، "بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، القاهرة: عيسى البابيّ الحلبيّ، دون تاريخ).
السّيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق وشرح عبد السّلام هارون وعبد العال سالم مكرم، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرّسالة، ١٩٨٧م).
الشّاطبيّ، إبراهيم بن موسى، "المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية" تحقيق عبد المجيد قطامش وآخرون، (ط١، مكّة المكرّمة: معهد البحوث العلميّة وإحياء التّراث الإسلاميّ، ٢٠٠٧م).
الشّنتمريّ، يوسف بن سليمان، "المخترع في إذاعة سرائر النّحو"، تحقيق حسن هنداوي، (ط١، الرياض: كنوز إشبيليا، ٢٠٠٦م).
الشّنتمريّ، يوسف بن سليمان، ""النّكت في تفسير كتاب سيبويه"، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، (ط١، الكويت: المنظمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، ١٩٨٧م).
الشّنقيطيّ، أحمد بن الأمين، "الدّرر اللّوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في

العلوم العربيّة"، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، (بيروت: مؤسسة الرّسالة، ١٩٩٤م).

ابن العماد، عبد الحيّ بن أحمد، " شذرات الذّهب في أخبار من ذهب"، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٩م).

الفارسيّ، الحسن بن أحمد، "الإيضاح"، تحقيق كاظم بحر المرجان، (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٦م).

الفارسيّ، الحسن بن أحمد، "التّعليقة على كتاب سيبويه"، تحقيق عوض بن حمد القوزيّ، (ط١، الرّياض: مطابع الحسنيّ، ١٩٩٣م).

الفارسيّ، الحسن بن أحمد، "المسائل المنثورة"، تحقيق مصطفى الحيدريّ، (دمشق: مجمع اللّغة العربيّة، دون طبعة وتاريخ).

الفرّاء، يحيى بن زياد، "معاني القرآن"، (بيروت: دار السّرور، دون طبعة وتاريخ).

القرطبيّ، محمّد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن"، قدّم له خليل الميس وراجعه صدقي جميل وخرّج أحاديثه وعلّق عليه عرفان العشّا، (بيروا: دار الفكر، ١٩٩٥م، دون طبعة).

القفطيّ، الحسن بن عليّ، "إنباه الرواة على أنباه النّحاة"، (ط١، القاهرة: دار الفكر العربيّ،١٩٨٦م).

الكنديّ، امرئ القيس بن حجر، "ديوان امرئ القيس"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط ٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م).

المبارك، مازن عبد القادر، "النّحو العربيّ العلّة النّحويّة نشأتها وتطورها"، (ط٣، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤م).

المبرِّد، محمد بن يزيد، "المقتضب"، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، (بيروت: عالم الكتب، دون طبعة وتاريخ).

الملخ، حسن خميس، "نظريّة التّعليل في النّحو العربيّ"، (ط١، عمَّان: دار الشروق، ٢٠٠٠م).

ابن منظور، محمّد بن مكرم، "لسان العرب"، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٠م).

الورّاق، محمّد بن عبد الله، "علل النّحو"، تحقيق محمود جاسم محمد الدّرويش، (باكستان: مكتبة رشيديّة، دون طبعة وتاريخ).

الدّوريات:

أمين، عبد الوهاب إدريس هلال، وسام يعقوب، "التّحليل النّحويّ للأسماء المعربة عند الأعلم الشّنتمريّ ت٤٧٦هـ في كتابه المخترع في إذاعة سرائر النّحو". *مجلّة آداب الرّافدين* ١٠٠، (مارس ٢٠٢٥م): ٢٤٥ – ٢٦٤.

غالب، جاسم صادق، " العلّة النّحوية في كتب أسرار النّحو: دراسة في المفهوم والمنهج". *مجلّة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانيّة* ٣، (يونيو ٢٠١٧م): ٥ – ٤٠.

الرّسائل الجامعيّة:

رشيد، عدنان أحمد، "المباحث اللغوية والنحوية في كتابي المخترع في إذاعة سرائر النحو وشرح ديوان أبي تمام للأعلم الشنتمري"، (رسالة ماجستير، قسم اللّغة العربية بكليّة التّربية الأساسيّة في جامعة ديالي، ٢٠١٤م).

Bibliography

Books:

Al-Azhari, Khalid bin Abdullah, "Sharḥ al-Taṣrīḥ ʿala al-Tawḍīḥ" (Dar al-Fikr, n. d.).

Al-Asadī, ʻAbd al-Wāḥid ibn ʻAlī. "Sharḥ al-Lumaʻ". (1st ed. Kuwait: - National Council for Culture, the Arts, and Literature, 1984).

Al-Anbārī, ʻAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad. "Al-Inṣāf fī Masāʾil al-Khilāf baina al-Naḥwiyyīn: al-Baṣriyyīn wa-al-Kūfiyyīn". investigated by Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʻAbd al-Ḥamīd. (Damascus: Dār al-Fikr, n.d).

Al-Andalusi, Muhammed bin Yusuf bin Ali, "al-Tadhyil wa-al-Takmīl Fī Shrḥ Ktāb al-Tashīl" (1st ed., Riyadh: Dar Kunuz Ishbiliya, 2019).

Al-Ansari, Abdullah bin Yusuf, "Awḍaḥ al-Masālik ila AlFiyat Ibn Mālik", investigated by Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid (5th ed., Cairo: Matba'at al-Sa'adah, 1967).

Ibn Babshadh, Tahir bin Ahmad, "Sharḥ Jumal al-Zajjāji", investigated by Ali bin Tawfiq al-Hamd (1st ed., Irbid: Alam al-Kutub al-Hadith, 2016).

Ibn Bashkuwal, Khalaf bin Abd al-Malik, "al-Silah", investigated by Sharif Abu al-'Ala al-'Adawi (1st ed., Cairo: Maktabat al-Thaqafah al-Diniyah, 2008).

Al-Baghawi, Al-Husain bin Mas'oud, "Maʿālim al-Tanzīl" investigated by Mohammed al-Nimr, Uthman Dumayriyah, and Sulayman al-Harsh (1st ed., Riyadh: Dar Tayibah, 1989).

Al-Thumanini, Umar bin Thabit, "Shraḥ al-Lumaʿ" by bin Jinni, investigated by Fathi Ali Hassanin (1st ed., Cairo: Dar al-Haram li-al-Turath, 2010).

Al-Jurjani, Abd al-Qahir bin Abd al-Rahman, "al-Muqtaṣid Fī Sharḥ al-Īḍāḥ" investigated by Kazim Bahr al-Marjan (Baghdad: Publications of the Ministry of Culture and Information, 1982, n.d.).

Al-Jurjani, Ali bin Mohammed, "al-Taʿrīfāt" (Makkah: Al-Faysaliyah Library, n.d.).

Al-Hamawi, Yaqout bin Abdullah, "Mu'jam al-Udaba'". (Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, n. d.).

Al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf. "Al-Durr al-Maṣūn fī ʻUlūm al-Kitāb al-Maknūn". Investigated by ʻAlī Muʻawwaḍ, ʻĀdil ʻAbd al-Mawjūd, Jād Makhlūf, and Zakarīyā al-Nūtī. (1st ed. Beirut: Dār al-Kutub

al-‘Ilmiyyah, 1994).
Ibn Khillikan, Ahmad bin Mohammed, "Wafīyāt al-Aʿyān", investigated by Ihsan Abbas, (Beirut: Dar al-Thaqafa, n. d.).
Al-Dhahabi, Mohammed bin Ahmad, "Siyarr Aʿlām al-Nubalā", investigated by Shu'ayb al-Arna'ut and Mohammed al-'Arqsusi, (2nd ed., Beirut: Al-Risalah Foundation, 2020).
Al-Zajjaj, Ibrahim bin al-Sari, "Mā Yanṣarif wamā Lā Yanṣarif" (2nd ed., Cairo: Maktabat al-Khanji, 1994).
Al-Zajjaj, Ibrahim bin al-Sari, "Mʿāni al-Qurān wa-Iʿrābuh", (1st ed., 1988, Beirut: 'Alam al-Kutub).
Al-Zajjaji, Abd al-Rahman bin Ishaq, "al-īḍāḥ", (6th ed., Beirut: Dar al-Nafa'is, 1996).
Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar. "Al-Kashshāf ‘an Ḥaqā’iq Ghawāmiḍ al-Tanzīl wa-‘Uyūn al-Aqāwīl fī Wujūh al-Ta’wīl". Investigated by ‘Ādil ‘Abd al-Mawjūd and ‘Alī Muḥammad Mu‘awwaḍ. (1st ed. Riyadh: Maktabat al-‘Ubaikān, 1998).
Al-Sarraj, Mohammed bin Sahl, "Ousoul fi al-Nahw", investigated by Abd al-Husayn al-Fatli (3rd ed., Beirut: Al-Risalah Foundation, 1988).
Sibawaih, Uthman bin Qunbar, "Ktāb Sībawaih", (1st ed., Beirut: Dar al-Jil, 1991).
Al-Sirafi, al-Hasan bin Abdillah, "Sharḥ Kitāb Sībawaih", investigated by Abd al-Rahim al-Kurdi and Abd al-Rahman Mohammed Asr, and reviewed by Husain Nassar (Cairo: National Library and Archives, 2011, n.d.).
Al-Sirafi, al-Hasan bin Abdillah, "Sharḥ Kitāb Sībawaih", investigated by Abd al-Karim Mohammed Hasan Jabal, and reviewed by Husain Nassar (Cairo: National Library and Archives, 2009, n.d.).
Al-Suyuti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, "Bughyat al-Wuʿāt Fī Ṭabaqāt al--Lughawiyīn wa al-Nuḥāt", investigated by Mohammed Abu al-Fadl Ibrahim (1st ed., Cairo: Isa al-Babi al-Halabi, n.d.).
Al-Suyuti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, "Hamʿ al-Hawāmiʿ Fī Sharḥ Jamʿ al-Jawāmiʿ", investigated and explained by Abd al-Salam Harun and Abd al-Aal Salim Makram (2nd ed., Beirut: Al-Risalah Foundation, 1987).
Al-Shatibi, Ibrahim bin Musa, "al-Maqāṣid al-Shafiyah Fī Sharḥ al-Khulāṣat al-Kāfiyah", investigated by Abd al-Majid Qatamish (1st ed., Makkah: Institute of Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, 2007).

al-Shantamarī, Yūsuf ibn Sulaymān. "al-Mukhtaraʿ fī Idhāʿat Sarāʾir al-Naḥw", investigated by: Ḥasan Hindāwī. (1st ed., Riyadh: Kunūz Ishbīliyā, 2006).

al-Shantamarī, Yūsuf ibn Sulaymān. "al-Nukat fī Tafsīr Kitāb Sībawayh", investigated by: Zuhayr ʿAbd al-Muḥsin Sulṭān. (1st ed., Kuwait: al-Munazzamah al-ʿArabiyyah li-l-Tarbiyah wa-l-Thaqāfah wa-l-ʿUlūm, 1987).

al-Shinqīṭī, Aḥmad ibn al-Amīn. "al-Durar al-Lawāmiʿ ʿalā Hamaʿ al-Hawāmiʿ Sharḥ Jamʿ al-Jawāmiʿ fī al-ʿUlūm al-ʿArabiyyah", investigated and explained by: ʿAbd al-ʿĀl Sālim Makram. (Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1994).

Ibn al-ʿImād, ʿAbd al-Ḥayy ibn Aḥmad. "Shadharāt al-Dhahab fī Akhbār man Dhahab", investigated by: ʿAbd al-Qādir al-Arnāʾūṭ and Maḥmūd al-Arnāʾūṭ. (1st ed., Damascus: Dār Ibn Kathīr, 1989).

al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad. "al-Īḍāḥ", investigated by: Kāẓim Baḥr al-Marjān. (2nd ed., Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1996).

al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad. "al-Taʿlīqah ʿalā Kitāb Sībawayh", investigated by: ʿAwaḍ ibn Ḥamad al-Qawzī. (1st ed., Riyadh: Maṭābiʿ al-Ḥusaynī, 1993).

al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad. "al-Masāʾil al-Manthūrah", investigated by: Muṣṭafā al-Ḥaydarī. (Damascus: Majmaʿ al-Lughah al-ʿArabiyyah, no edition or date).

al-Farrāʾ, Yaḥyā ibn Ziyād. "Maʿānī al-Qurʾān". (Beirut: Dār al-Surūr, no edition or date).

al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. "al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qurʾān", introduced by: Khalīl al-Mays; reviewed by: Ṣidqī Jamīl; ḥadīth-verification and commentary by: ʿIrfān al-ʿAshshā. (Beirut: Dār al-Fikr, 1995, no edition).

al-Qiftī, al-Ḥasan ibn ʿAlī. "Inbāh al-Ruwwāt ʿalā Anbāh al-Nuḥāt". (1st ed., Cairo: Dār al-Fikr al-ʿArabī, 1986).

al-Kindī, Imruʾ al-Qays ibn Ḥujr. "Dīwān Imruʾ al-Qays", investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (4th ed., Cairo: Dār al-Maʿārif, 1970).

al-Mubārak, Māzin ʿAbd al-Qādir. "al-Naḥw al-ʿArabī: al-ʿIllah al-Naḥwiyyah Nashʾatuhā wa-Tatawwuruhā". (3rd ed., Beirut: Dār al-Fikr, 1974).

al-Mubarrad, Muḥammad ibn Yazīd. "al-Muqtaḍab", investigated by: Muḥammad ʿAbd al-Khāliq ʿUḍaymah. (Beirut: ʿĀlam al-Kutub,

no edition or date).

al-Malakh, Ḥasan Khumays. "Naẓariyyat al-Taʿlīl fī al-Naḥw al-ʿArabī". (1st ed., ʿAmmān: Dār al-Shurūq, 2000).

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. "Lisān al-ʿArab". (1st ed., Beirut: Dār Ṣādir, 1990).

al-Warrāq, Muḥammad ibn ʿAbd Allāh. "ʿIlal al-Naḥw", investigated by: Maḥmūd Jāsim Muḥammad al-Darwīsh. (Pakistan: Maktabat Rashīdiyyah, no edition or date).

Journal Articles:

Amin, Abdul Wahab Idris Hilal, and Wissam Yaqoub, "Ltwḥlīl N-Nḥwyw Ll'asmā' L-Mʿrbt ʿnd L-Aʿlm Sh-Shwntmry T476h Fī Ktābh L-Mkhtrʿ Fī Idhāʿt Srā'ir N-Nḥū" *Adab al-Rafidain Journal* 100 (March 2025): 245-264.

Ghalib, Jassim Sadiq, "L-ʿllt N-Nḥwyt Fī Ktb Asrār N-Nḥū: Drāst Fi L-Mfhūm Wālmnhj" *Basra Research Journal for Human Sciences* 3 (June 2017): 5-40.

Theses and Dissertations

Rashīd, ʿAdnān Aḥmad. "al-Mabāḥith al-Lughawiyyah wa-l-Naḥwiyyah fī Kitābay al-Mukhtaraʿ fī Idhāʿat Sarāʾir al-Naḥw wa-Sharḥ Dīwān Abī Tammām li-l-Aʿlam al-Shantamarī". (Master's thesis, Department of Arabic Language, College of Basic Education, University of Diyālā, 2014).

اعتراضات الدَّماميني الصَّرفيَّة على شرح الصَّفدي للاميَّة العجم ونقض ابن أقبرس لها

Al-Damamini's morphological objections and Ibn Akbar's refutation of them in the explanation of Lamiya al-'Ajam by al-Safadi

د. فهيد بن رباح بن فهيد الرَّباح

الأستاذ المشارك بقسم النَّحو والصَّرف وفقه اللغة بكليَّة اللغة العربيَّة بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة

البريد الإلكتروني: fhrabah@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
22/11/2025		05/03/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-005		

ملخَّص البحث

يكشف هذا البحث عن اعتراضات الدَّمامينيّ (٨٢٧هـ) في الصَّرف الَّتي ذكرها على شرح الصَّفديّ على لاميَّة العجم، كما يعرض لنقض الاعتراضات من ابن أقبرس (٨٦٢هـ) الَّتي حاول فيها ردَّ ما اعترضه الدَّمامينيُّ نصرةً للصَّفديّ.

وعند إعمال النَّظر في الاعتراض والانتقاض يتخالج النَّاظر المراوحة والمزاوجة ما بين عِلميَّة الاعتراضات والرُّدود في العرض والطَّرح وبين انفعاليَّتها، ويتغيَّا كاشفاً ما كان مستنده علميّاً وما كان انفعاليّاً.

وأبان البحث التَّكلُّف والوجاهة من عدمهما في الاعتراض وفي الانتقاض، وأبرز كذلك ما جنح به لفظ المعترض وعبارته من التَّعدِّي والتَّنقُّص، ومثله ما جنح به كلام المنتقض ممَّا هو خلاف العلميَّة، وبابه هو الذَّمُّ، والشَّتم.

الكلمات المفتاحيَّة: الاعتراض/ الانتقاض/ الدَّمامينيّ/ ابن أقبرس/ الصَّفديّ.

Abstract:

This research reveals Aldamamini's grammatical and morphological objections to Alsafadi's explanation of the Lamiyatil 'Ajam (Persian Lamiya)

827 Anno Hegirae

It also refutes the objections of Ibn Aqbars (862 anno hgirae) in which he tried to refute what aldamamini objected to in support of alsafadi

When considering objections and rebuttals, the observer experiences the fluctuation and confusion between the scientificity of objections and responses in presentation and their emotionality and changes revealing what was scientifically based and what was emotional.

The research showed the affectation and validity or lack thereof in objection and rebuttal and also highlighted what the objector's word and phrase misdemeanored such as transgression and diminution, and likewise what the disapproving person's speech misdemeaned, which is contrary to scientific knowledge, and its chapter is disparagement, cursing, and deprecating**.**

Keywords: Objection - Cassation - Damamini - Ibn Aghbars - Safadi.

المقدِّمة

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على مَن لا نبيَّ بعده.

أمَّا بعدُ فليس أمر النَّقد غريباً في مؤلَّفات التُّراث العربيِّ، ولا نادراً في مصنَّفاته، ولا حدوثه عزيزاً بين الكتب والمدوَّنات، وأَمْرُ النَّقد والاعتراض واقع في العلوم شتَّى في مختلف المعارف والفنون سائر العصور قديمها وحديثها، والنَّقد فيه إعذاب للمورد المنقود، إذ لولا قيمة هذا المنتقَد لما اعترض عليه، وقد دأب العلماء على ذلك لصوقاً بالحقيقة، وتبياناً للصَّواب.

وقد أثمر هذا الجهد النَّقديُّ عِلماً جديداً هو فن الرُّدود ونقض الرُّدود، يزين ذلك حسن الاحتجاج وقوَّة الاستنباط، وبقي ما قيَّدوه وضبطوه مُعلِماً بمكانتهم، ومذيعاً لجليل علومهم.

إنَّ لاميَّة العجم قد اطَّلعت عليها وعلى شرحها للصَّفديِّ قديماً، وكان عنوان الكتاب وقتما اطَّلعتُ عليه هو (**الغيث المنسجم على لاميَّة العجم**)، وهي طبعة تجاريَّة، ثُمَّ انطوى عقدان وتصرَّما، ووقع بين يديَّ كتاب جديد مطبوع طباعةً أنيقة بتحقيق عالٍ للعلَّامة الدَّماميني عنوانه (**نزول الغيث الَّذي انسجم في شرح لاميَّة العجم**)[1] للدَّماميني، وعند تقليبي للكتاب وجدتُه يحوي نقداً علميّاً لشرح الصَّفديِّ، واعتراضاتٍ في علوم العربيَّة قاطبةً، وقد خصُّصت بالتَّقرِّي منها النَّحو، والصَّرف، والإعراب، والأدوات النَّحويَّة، وحروف المعاني، وقد ذكر المحقِّق القدير "أ.د. عبد السَّلام الهمَّالي سُعُود" أنَّه قد صُنِّف نقض لهذا النَّقد في كتاب يحمل عنوان (**تحكيم العقول**

(١) نُشرته بطبعة أنيقة الدَّار المالكيَّة في تونس، بتأريخ: ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م، وله نشرة سابقة لهذه بتحقيق أ د. عبد الخالق الزهراني العام: ١٤٢٨هـ، وأسبق منها ما حقَّقه د. محمد أحمد الطهراوي، وقد نشرت العام: ١٤٢٢هـ.

بأفول البدر بالنُّزول)[١] لابن أقبرس الشَّافعيّ، وأنَّه شارعٌ في تحقيقه ونشره، فارتقبت نشره فلمَّا يلبث أن ظهر.

وبعد أمدٍ لم يطل أطلَّ شرح الصَّفديّ للَّاميَّة كتاباً جديداً بتحقيق الهمَّاليّ عينه، وكان عنوان الكتاب بعد التَّحقيق هو **(غيث الأدب الَّذي انسجم في شرح لاميَّة العجم)**[٢]، فلمَّا أن اجتمعت الكتب الثلاثة، تيسَّر هذا البحث.

وعند إعمال النَّظر في الاعتراض والانتقاض يتخالج النَّاظر وقوع مراوحة ومزاوجة في الأحكام ما بين عِلميَّتها في العرض والطَّرح وبين الانفعال في الاعتراض والنَّقض؛ لذا جاء هذا البحث كاشفاً ما كان مستنده علميّاً وما كان انفعاليّاً في فقرتَي التَّعليق والحكم.

وكانت الاعتراضات –كما أسلفت– متنوِّعة كثيرة، وقد قصرتُ النَّظر منها في هذا البحث على ما كان في الصَّرف، وهذا هو الجزء الثَّاني، وسيليه آخر فيما جاء منها في الأدوات النَّحويَّة، وكذلك آخر في ما جاء في الإعراب فعسى أن يتيسَّر نشره لاحقاً، وقد سبقهما الجزء الأوَّل في المسائل النَّحويَّة.

هذا، وإنَّه عند النَّظر في التُّراث العربيّ والبحث عن وجود مثل هذه الاعتراضات ومثل الرَّدِّ على الاعتراضات ونقضها، أُوجِدَتْ فيه أم خلا منها؟ فالجواب: نعم، قد وجدت، وللمثال أذكر منها ممَّا لم أذكره في الجزء الأوَّل ما يأتي:

- "فرحة الأديب" للأسود الغندجانيّ في الرَّدِّ على ابن السِّيرافيّ في شرح أبيات (كتاب سيبويه).
- " قيد الأوابد" للأسود الغندجانيّ في الرَّدِّ على ابن السِّيرافيّ في شرح أبيات (إصلاح المنطق).
- "إصلاح ما غلط فيه النَّمريُّ" للأسود الغندجانيّ في الرَّدِّ على أبي الحسين

(١) نشرتُه الدَّار المالكيَّة في تونس، بتأريخ: ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

(٢) نُشرته الدَّار المالكيَّة في تونس، بتأريخ: ١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م

النَّمريّ في كتابه (تفسير مشكل أبيات الحماسة).

- "ضالَّة الأديب" للأسود الغندجانيّ في الرَّدّ على ابن الإعرابيّ في كتابه (النَّوادر).
- "نزهة الأديب" للأسود الغندجانيّ في الرَّدّ على أبي عليٍّ الفارسيّ في كتابه (التَّذكرة).
- اعتراضات ابن الخشَّاب على الحريريّ في مقاماته، ورد ابن برّيّ عليه، وإنصاف عبد اللطيف البغداديّ بينهما في كتابه (الإنصاف بين ابن برّيّ وابن الخشَّاب في كلامهما على المقامات).
- المآخذ على شرَّاح ديوان المتنبيّ لابن معقل المهلَّبيّ.
- نقد (الفسر) لابن جنّي، نقده أبو العلاء المعرّيّ في (اللامع العزيزيّ)، ونقده الواحديُّ في شرحه لدّيوان أبي الطَّيّب، والتَّبريزيُّ في (الموضِح)، والكنديُّ في كتابه (الصَّفوة)، وأشدُّها (قشر الفسر) للزَّوزنيّ.
- اعتراض العينيّ على ابن حجرٍ، ونقض ابن حجرٍ لاعتراضات العينيّ بكتاب اسمه (انتقاض الاعتراض)، وكتاب (مبتكرات اللآلئ والدُّرر في المحاكمة بين العينيّ وابن حجر) للمحدّث عبد الرَّحمن البوصيريّ.
- "نفوذ السَّهم فيما وقع للجوهريّ من الوهم" كتابٌ للصَّفديّ في نقد كتاب (صحاح العربيَّة) للجوهريّ، وكذا فعل الفيروز أباديُّ في كتابه (القاموس المحيط) من توهيم الجوهريّ.
- الفتح الرَّبَّانيّ في الرَّدّ على منهاج التَّبيانيّ في اعتراضه على مصابيح الجامع الصَّحيح، والفتح والمصابيح للدَّمامينيّ.
- الآيات البيّنات على اندفاع أو فساد ما وقفتُ عليه ممَّا أُورد على جمع الجوامع وشرحه للمحقِّق المحلّيّ" لشهاب الدَّين أحمد بن قاسم العبَّاديّ (٩٩٤هـ).

- "الجاسوس على القاموس" للشِّدياق، وهو نقد لكتاب (القاموس المحيط) للفيروز أبادي.
- "البِشر في نقد المقدِّمات العشر لابن عاشور/ أو قبسة نورٍ في الرَّدِّ على كتاب الأستاذ ابن عاشور"، للشَّيخ: عثمان بن منصور التُّونسيّ، وهو كتاب لنقد كتاب (المقدِّمات العشر) للطَّاهر ابن عاشور.

وما ذكرتُه نماذج من النَّقد في عصور مختلفة، ممَّا له عُلقة بما نحن فيه إمَّا من جهة نوع المصنَّف وإمَّا من جهة طريقة النَّقد أو الرَّدِّ، وما إليها.

وأمَّا موضوعي هذا بجناحَيه الاعتراض والنَّقض فلم يُطَّرق بدراسةٍ معاً حسْب ما اطَّلعت عليه، وقد عُني بأحد جزأيه، وهو ما يخصُّ الدَّماميْنيَّ، وكذا الأصل وهو شرح الصَّفديّ، من ذلك الآتي:

- دراسة المسائل النَّحويَّة والتَّصريفيَّة في كتاب (الغيث المسجم في شرح لاميَّة العجم للصَّفديّ)؛ د. حسن بن يحيى بن أحمد ضائحي، العام (١٤١٢هـ). (رسالة علميَّة).
- اعتراضات بدر الدِّين الدَّمامينيّ ومناقشاته في (نزول الغيث) لصلاح الدِّين الصَّفديّ في شرحه (الغيث المسجم في شرح لاميَّة العجم) دراسة نحويَّة وصرفيَّة؛ أ. وديعة رحيل إبراهيم، العام (١٤٣٥هـ). (رسالة علميَّة).
- منهج الدَّمامينيّ في اعتراضه على الصَّفديّ في شرحه لقصيدة لاميَّة العجم؛ د. محمود محمَّد العموديّ، العام (١٤٣٩هـ). (بحث منشور).

وبعد هذا، فقد ائتلف هذا البحث من مقدمةٍ، تليها المسائل الصَّرفيَّة، تلتهما خاتمة، فثَبَتٌ للمصادر والمراجع، وقد استغنيت عن التَّمهيد اكتفاء بما ذكرته في الجزء الأوّل، وكنتُ قد ذكرت هنالك حديثاً عن المؤلِّفين الثَّلاثة الصَّفديّ والدَّمامينيّ وابن أقبرس، وعن مؤلَّفاتهم المعنيَّة بهذا البحث.

وقد جرت دراسة المسائل على النَّسق الآتي:

- أورد **المسألة** بذكر عدٍّ لها مع تقييدها بعنوانٍ خاصٍّ بها يحكي المسألة.
- أذكر بيت اللاميَّة الَّذي جاءت في شرحه وبيانه المسألة سواء أكانت المسألة في ألفاظ البيت أو في معانيه، أم في تلافيف شرح البيت، ومطارح الحديث في شُعَبِهِ؛ لأنَّ الصَّفديَّ يستعرض القول في بيت اللاميَّة ويستطرد كثيراً في أفانين الأدب والبلاغة واللغة والشِّعر وأضراب ذلك.

وقد بنيت مسائل هذا البحث على فِقرٍ هي الآتية: (**القول، والاعتراض، والانتقاض، والتَّعليق، والحكم**)، وإيضاح ذلك على وَفق ما يأتي:

- **القول**: أنقلُ فيه نصَّ قول الصَّفديّ بلفظه، أو بمعناه إن كان طويلاً، أو ذا شُعبٍ.
- **الاعتراض**: أورد فيه ما نقده الدَّماميُّ على الصَّفديّ، وفي الغالب أن يكون بغير لفظه؛ لأنَّ المعترض يشعب في كلامه على المسألة إحاطة للمطلوب ودفعاً للإلباس المجلوب.
- **الانتقاض**: أسوق فيه ما نقض به ابن أقبرس اعتراض الدَّماميّ، أو ما جوَّد فيه قول الصَّفديّ المنقود، أو كلاهما إن كانا.
- **التَّعليق**: أذكر قيمة ما أُورِد من اعتراض أو جواب عنه، وما أوجه القوَّة فيه أو القصور، وما يمكن أن يوجَّه إليه من إيراد، وما يقوّي أحد القولين من تأصيلٍ أو استدلال مع توثيق ما يورد من أحكام من كتب أهل الصِّناعة.
- **الحكم**: أبيّن وجاهة الاعتراض وقوَّته أو تكلُّفِه وضعفه، وكذلك قوَّة الجواب عنه، وعلميَّة نقضه أو تكلُّفه في تصحيحه.

والخطَّة منسوقة مبنيَّة على وَفق التَّرتيب الآتي:

- **المقدِّمة:** (فيها دوافع البحث، ومشكلته، ومقاصده، وشيءٌ من حديثه).
- **مسائل الصَّرف**، وفيه سبع مسائل.
- **الخاتمة.**
- **ثبت المصادر والمراجع.**

وختاماً، إنِّي لأرجو الله أَنَّي وفِّقتُ فيما نحوتُ، وعدلت فيما رقمت.

والله وليُّ التَّوفيق.

المسائل الصَّرفيَّة

وهي سبع مسائل، مسردها ما يأتي:

١- (**ناءٍ**) أصلها (نائئ).

٢- بناء (**مِيل**)، وأنَّ كسر أوَّلها ككسر أوَّل (مِيزان ومِيعاد).

٣- علَّة كتابة (يُشفَىٰ) وأمثاله بالياء.

٤- مسألة عدم مجيء (الافتعال) للواحد.

٥- منازعة تحديد نوع (أحيا وأيسر) اسم تفضيل أم فعل.

٦- مسألتا جمع (يد)، ومفرد (الأيادي).

٧- مسألة أصالة التَّاء في (مسلمات).

المسألة (١): (ناءٍ) أصلها (نائئ).

ناءٍ عن الأهل صِفر الكفِّ مغتربٌ* كالسَّيف عُرِّي متناه من الخِلَلِ [٤]**

القول: قال الصَّفديُّ: «(ناءٍ) اسم فاعلٍ من (نأى)، وأصله (نائئ، مثل: جائئ وشائئٍ) إلَّا أنَّه لمَّا اجتمع همزتان في الكلمة الواحدة قلبوا الثَّانية ياء لانكسار ما قبلها؛ فقالو: نائي، وجائي، وشائي فصار من باب قاضٍ»(١).

الاعتراض: اعترض الدَّماميُّ قوله هذا أنَّ الفعل المصوغ منه (نأىٰ) وهو من النَّأي، وعلى ذلك ففاؤه نونٌ، وعينه همزة ولامه ياءٌ، فلا وجود لهمزتين اجتمعتا، ولو قيل إنه اسم فاعلٍ من (نَاءَ) بزنة (فلع) مقلوب (نأى) فيصلح قوله(٢)، لكنَّه خروج من الوجه السَّالم القريب إلى التَّعسُّف بالأخذ بالوجه البعيد(٣)؛ تمحُّلاً لتصحيح القول(٤).

الانتقاض: تلمَّس ابن أقبرس نقضاً لاعتراض الدَّماميِّ بالتَّعلُّق بالوجه الآخر الَّذي ذكره الدَّماميُّ من أنَّ الصَّفديَّ أراد أنَّه مصوغ من الفعل المقلوب(٥).

التَّعليق: اعتراض الدَّماميِّ ناهضٌ، وذكره الوجه الآخر بعد تمام الاعتراض عن طريق الفنقلة، معلن عن علوِّ كعبه في هذا الصِّناعة ورسوخ قدمه، ولا شكَّ أنَّ الدَّماميَّ أرسخ قدماً من ابن أقبرس في علوم الآلة فضلاً عن الصَّفديِّ.

فالدَّماميُّ مقدَّم في هذه الصَّنعة بلا منازع؛ لذا هو ينقد ويعترض، ويورد على نفسه محتملات من افتراض اعتراض الاعتراض، ويجيب عنها إجابة العالم المتمكِّن المتمرِّس، وليس يطلب بذلك عذراً للصَّفديِّ، بل صنيعه ذلك خدمةً للعِلْمِ لا للعَلَمِ،

(١) الصَّفديُّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ١/ ٢٨٢

(٢) انظر: ناظر الجيش، تمهيد القواعد: ١٠/ ٥٢٢١، وابن عقيل، المساعد: ٤/ ٢٢١

(٣) انظر: ابن جنِّي، الخصائص: ٢/ ٧٠، والرضي، شرح شافية ابن الحاجب: ١/ ٢٣

(٤) انظر: الدَّماميُّ، نزول الغيث الَّذي انسجم: ١١٣

(٥) انظر: ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ٥٤

إذ لو كان يعتذر له لما انتقده أوَّلاً، ولما صنَّف كتابه هذا ثانياً.

أمَّا تعليل ابن أقبرس فبارد، وذلك لقوله إنَّ المطعن فيه أنَّه خلاف الأولىٰ عنده، وزاد فقال: «لا نسلِّم بانحصاره فيما ذكره من الإعلال حتَّى يلزم خلاف الأوليَّة، إذ طرق الإعلالات كثيرة، فلعلَّ له طريقاً آخر غير هذا، وعلى كلِّ تقديرٍ فغير لازم عليه الخطأ في هذا المقام، والسَّلام»[1].

وهما قد سلما من شَين العبارة والتَّجاوز اللفظيّ، وإن كان فيه إيحاء تهكميٌّ من الدَّماميني لقوله عن الصَّفديّ قبل ذكر اعتراضه له: «هذا ممَّا يدلُّ على رسوخ قدمه في علم التَّصريف»[2].

الحكم: الاعتراض وجيهٌ مقبول، والرَّدُّ والجواب كلا جوابٍ، إذ التَّعليل ضعيف.

المسألة (٢): بناء (مِيل)، وأنَّ كسر أوَّلها ككسرة (مِيزان ومِيعاد).

والرَّكب مِيلٌ على الأكوارِ مِنْ طَرِبٍ* صاحٍ وآخرَ من خمرِ الكرَى ثَمِلِ [١٣]**

القول: ذكر الصَّفديُّ أنَّ (ميلاً) مضمومة الأوَّل، لكنَّهم استثقلوا الضَّمَّة تليها الياء فكسروا الميم لمناسبة الياء كما في (بِيع، وقِيل، ومِيزان، ومِيعاد)، فالأصل ضمُّ أوائل هذه الأربعة[3].

الاعتراض: استعجب الدَّماميني من الصَّفديّ هذا القول من ضمّ أوائل (ميزان، وميعاد)؛ لأنَّه سيجعل أصلها (مُفعال)، وهذا غير صحيح، والصَّحيح أنَّ (ميزاناً وميعاداً) واويَّا الفاءِ؛ لأنَّهما من الوزن والوعد، فلو كانت مضمومة الميم فما وجه قلب واويهما ياءً، والياء لو وقعت وقبلها مضموم لقلبت واواً؛ كقولهم: موقظ وموسر، ولا

(١) ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ٥٤

(٢) الدَّماميني، نزول الغيث الَّذي انسجم: ١١٣

(٣) انظر: الصَّفديّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ١/ ٥٩٥

خلاف أنَّ (ميزاناً وميعاداً) وزنهما مِفْعَال بكسر الأوَّل[١].

الانتقاض: جادل ابن أقبرس نصرةً للصَّفديّ بعدم التَّسليم أنَّ كلامه صريح بأنَّ (ميزاناً وميعاداً) مضمومة الميم، بل الأصل ضمُّ ما قبل الواو السَّاكنة فيهما لاستثقال الانتقال من الكسرة إلى الواو، ولذا قلبوا الياء واواً للمجانسة لا في (موقظ وموسر)، ولكنهم لمَّا أرادوا بها اسم الآلة أدخلوا الميم مكسورة في محلِّ ما حقُّه الضَّمُّ، فقلبت واواتهما ياءً، وعلى هذا يُحمل قول الصَّفديّ[٢].

التَّعليق: اعتراض الدَّماميني وجيه لدَّقة مسائل الإعلال، ولعدم تساوي الممثَّل به من قبل المنتقَد، فـ(بيع وقيل) كُسر ما قبل ياءاتهما لأجل اليَّاء، أو نقلت حركة عين (فُعِلَ) إلى الفاء بعد تجريدها من حركتها[٣]، في حين أنَّ (ميزاناً وميعاداً) قلبت واواتهما ياءً لأجل الكسرة قبلهما[٤].

وحاول ابن أقبرس النَّهضة بكلام الصَّفديّ من جهة أنَّ (ميزاناً وميعاداً) مضموما الأوَّل، ولم يُقم على ذلك دليلاً، ولا أبان بناءً من أبنية كلامهم يصدِّق ذلك.

الحكم: الاعتراض وجيه ناهض قوي، والاعتراض غير ناهض ومتكلَّف جدّاً.

المسألة (٣): علَّة كتابة (يُشفَىٰ) وأمثاله بالياء.

يُشْفَى لـديغُ العَـوَالي في بيـوتهمُ * بِنَهلـةٍ مِن غـديـرِ الخمــرِ والعَسَلِ [٢٥].**

لو أنَّ في شرفِ المأوى بُلُوغَ مُنىً * لـم تبرح الشَّمسُ يوماً دارةَ الحَمَــلِ [٣٦].**

لـم أرتضِ العيشَ والأيَّـام مُقْبِلَـةٌ * فكيفَ أرضَى وقد ولَّت على عَجَلِ؟![٤٠].**

(١) انظر: الدَّماميني، نزول الغيث الَّذي انسجم: ١٤٨

(٢) انظر: ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ١٠٨– ١٠٩

(٣) انظر: ابن جنّي، المنصف: ١/ ٢٤٩

(٤) انظر: ابن الحاجب، الشَّافية: ٣٣٠

القول: قال الصَّفديُّ: «(يُشفَىٰ) ويكتب بالألف؛ لأنَّه من "شفيت"»[(١)].

وقال عن (المأوىٰ): «ويكتب بالياء لدخول الإمالة فيه، ولأنَّه من "أويت"»[(٢)].

وقال أيضاً عن (أرضَىٰ): «إنَّما كُتبت بالياء؛ لأنَّه من "رضيت"»[(٣)].

الاعتراض: قال الدَّماميني معترضاً: «هذا أيضاً يدلُّ على معرفته بعلم الخطِّ، فإنَّ قوله: يكتب بالياء لأنَّه من "شفيت" يدلُّ على أنَّ كونه من ذوات الياء هو الموجب لكتابته بالياء، ومقتضاه أنَّه لو لم يكن من ذوات الياء لكتب على خلاف ذلك، مثل (يُرجَىٰ) فإنَّه من (رجوت)، فليس من ذوات الياء، فينبغي ألَّا يكتب بالياء، وهو خلاف المنصوص لأئمة الخط؛ لأنَّهم نصُّوا على أنَّ كلَّ ألف تقع رابعة فصاعداً في اسم أو فعل؛ نحو: المغزىٰ، ويُغزَىٰ فإنها تكتب ياء تنبيهاً على أنَّها تقلب في التَّثنية ياء، أو على أنَّها ممَّا يمال إلَّا فيما قبلها ياء»[(٤)].

وقال عن الموضع الثَّاني: «ليس ذلك السَّبب[(٥)]، وإلَّا فما يقول هو في مثل (مشتكَىٰ) فإنَّه يكتب بالياء مع أنَّه من "شكوت"؟ إنَّما كُتب مثل ذلك بالياء؛ لأنَّ الألف متى وقعت رابعة فما زاد كتبت ياء سواء كان أصلها واواً نحو (مغزىٰ)، أم ياء نحو (مأوىٰ)، أم لم يكن شيئاً منهما نحو (حبلَىٰ)؟»[(٦)].

وقال مثل هذا في (أرضَىٰ) وزاد عليه: «في هذا الخطأ ما تقدَّم قريباً في مسألة

---

(١) الصَّفديُّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ٢/ ٨٣٢

(٢) الصَّفديُّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ٣/ ١٠٣٨

(٣) الصَّفديُّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ٣/ ١١٣٩

(٤) الدَّماميني، نزول الغيث الَّذي انسجم: ١٦٥

(٥) يعني بذلك الإمالة، وأنَّه من (أويت).

(٦) الدَّماميني، نزول الغيث الَّذي انسجم: ١٩٤

الخطِّ السَّابقة[١]، وفيه المناقشة السَّابقة[٢]، وفيه المناقشة من وجه آخر، وهو دعواه أنَّ (رَضِيَ) يائيٌّ، وإنَّما هو واويٌّ، وأصله من (رَضِوَ)؛ لأنَّه من الرِّضوان، فقلبت الواو ياءً لوقوعها بعد كسرة لازمة»[٣].

الانتقاض: قال ابن أقبرس ناقضاً الاعتراض: «ليت شعري من أين يدلُّ على كونه من ذوات الياء هو الموجب حصراً! ولا يخفى كون هذا الحصر قِشراً، غايته السُّكوت عمَّا عدا ذوات الياء، ولا يلزم من ذلك نفي ما يكتب بالياء من غير ذوات الياء؛ لأنَّ المستفاد من التَّعليل بكونه من (شفيت) أنَّ كل ما كان من ذوات الياء يكتب بها، ... والحاصل أنَّ ما ذكره الصَّفديُّ تعليل المفرد ممَّا يكتب بالياء، وما ذكره هذا المتعقِّب نقل الضَّابط الكُلِّيّ فيه»[٤].

وقال في الموضع الثَّاني: «ما ذكره من هذا الضَّابط[٥] لا يصلح أن يكون تخطئة للصَّفديِّ؛ لأنَّه لم يدَّع أنَّه لا يكتب بالياء إلَّا ما كان يائيّاً، والشَّيء قد يكون له أسباب كثيرة يضبطها ضابط، فذكر بعض الأسباب لا ينافي ذلك»[٦].

وفي الموضع الثَّالث أورد نقلاً عن الجوهريِّ في الفعل (رضي) جاء في آخر النَّقل

(١) يريد موضع كلامه على كتابة (المأوىٰ) بالياء.
(٢) يريد موضع كلامه على (يُشفَىٰ).
(٣) الدَّماميُّ، نزول الغيث الَّذي انسجم: ٢٠٠
(٤) ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ١٣٣– ١٣٤
(٥) يعني بالضَّابط: هو أنَّ ما كانت ألفه رابعة فما فوق يرسم باليَّاء دون النَّظر إلى أصله.
(٦) ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ١٧٧

قول الجوهريُّ: «ومن العرب من يقولهما[(١)] بالياء على الأصل»[(٢)]، ونقل عن الجاربرديّ قوله: «الأصل في كلِّ كلمة أن ترسم بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها»[(٣)]، وعقَّب بقوله: «وقوله[(٤)]: "لأنَّه من رضيت"؛ أي: من مادَّة صورة "رضيت"، لا من جهة المأخذ الاشتقاقيّ؛ لأنَّ الإعلال لازم على كلا المذهبين، سواء أكان مأخوذاً من الفعل أو من المصدر»[(٥)].

التَّعليق: بدأ الدَّمامينيُّ اعتراضه بتهكُّمٍ بالصَّفديّ، وأمَّا اعتراضه فقائم سديد، ذلك أنَّ الألف في آخر الكلمة إذا كانت رابعة فما فوق رسمت ياءً، اسماً كانت أم فعلاً، ولا ترسم قائمة إلَّا إذا سبقت بياءٍ، هذا ما عليه أهل الصَّنعة، وسار علم الكتابة العربيَّة عليه[(٦)].

أمَّا الجواب عن الاعتراض فغير ناهضٍ، وإن حسَّنه بالأسجاع والصَّنعة البديعيَّة، وما نقله عن الصَّحاح لا يدفع الاعتراض لكن يخفِّفه، لذا يلام الصَّفديُّ على عدم البيان، مع اشتهار واويَّة (رضي)، وعليه فليس مانعاً من الانتقاد، ولا ناقضاً للاعتراض، والقول بأنَّه مراعاة للصَّورة ليس بناهضٍ جواباً أيضاً، إذ لا يعدو أن يكون تكلُّفاً للجواب عن الاعتراض؛ لأنَّ ابن الحاجب قيَّد مراعاة الصُّورة بالوقوف عليها وبالابتداء

---

(١) يريد كلمتَي (الرِّضا، والحِما).

(٢) الجوهريُّ، الصَّحاح (ر ض و): ٦/ ٢٣٥٧

(٣) الجاربرديُّ، شرح الشَّافية (أبو عمشة): ٦٨٨، وهذا المذكور هو نصُّ الشَّافية لابن الحاجب: ٤٣١، وأمَّا الجاربرديُّ فقال عن مقولة ابن الحاجب تلك: «وهذا أصل معتبر في الكتابة».

(٤) الضَّمير يعود على الصَّفديّ.

(٥) ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ١٨٨

(٦) انظر: ابن درستويه، كتاب الكتَّاب: ٤٤، والحريريّ، درَّة الغوَّاص: ٢٠٦، وابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٥٨، والقلقشنديُّ، صبح الأعشىٰ: ٣/ ٢٠١

بها، وعليه أمثلة الشُّرَّاح.

الحكم: الاعتراض قائم، والجواب لا يسدُّ الاعتراض فضلاً أن ينقضه.

المسألة (٤): مسألة عدم مجيء (الافتعال) للواحد.

ولا أهابُ الصِّفاحَ البيضَ تُسعِدُني * باللمحِ من خَلَلِ الأستار والكِلَلِ [٢٨]**

غـــالَى بنفســي عِــرفــاني بِقِيمَتِهــا * فصنتُها عن رخيصِ القَدْرِ مبتذلِ [٤١]**

القول: ساق الصَّفديُّ قصَّةً له بدمشق أنَّه سأل تقيَّ الدِّين[(١)] عن معنى كلمتَين[(٢)] في آيتَين[(٣)]، وذكر أنَّ (المتشابهات) في الآية جمع متشابهة إذ المراد بها الآية، والتَّشابه تفاعل لا يقع إلَّا بين اثنين، وكذا (يقتتلان) كيف يقتتل الرَّجل مع نفسه؟ وأنَّ تقيَّ الدِّين لم يجبه، بل شكره على سؤاله.

وأجاب الصَّفديُّ عن ذلك بأنَّ هذه الصِّيغة تأتي عن العرب لا يُراد بها المفاعلة كـ"طارقت النَّعل"، وأنَّ الأشياء المتشابهة إذا اجتمعت حصل بالاجتماع المشابهة فصحَّ وصف الجمع بالجمع[(٤)].

وفي الموضع الآخر ذكر عن الفعل (غالىٰ) فذكر المغالاة، وأنَّها لا تكون إلَّا من اثنين كـ"قاتل، وضارب، وخاصم"، وقد تكون من الواحد كقوله تعالى:

---

(١) هو الشَّهير بشيخ الإسلام، وبابن تيميَّة الحرَّانيُّ، واسمه: أبو العبَّاس تقيُّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام النُّميريُّ الحرَّانيُّ، علم الأعلام شيخ الإسلام. انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيميَّة: ٦، ١١١، وغيرهما.

(٢) الكلمتان هما (متشابهة، ويقتتل).

(٣) الآيتان هما ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾آل عمران: ٧، و﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ القصص: ١٥

(٤) انظر: الصفديّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ٣/ ٨٨٣- ٨٨٥

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[1] ، ويؤيده قراءة[2] وردت فيها، هي قراءة الأَخوين[3] من غير ألفٍ[4].

الاعتراض: وصف الدَّماميُّ الصَّفديَّ بالتَّبجُّح بالأمور السَّهلة، وأنَّه أظهر نفسه متقدِّماً على الإمام تقيِّ الدِّين ابن تيميَّة حيث نسبه إلى العجز، وعن المسألة ذكر الدَّماميُّ أنَّها أوضح من أن تخفىٰ على شيخ الإسلام، ومن أين يلزم اقتتال الرَّجل مع نفسه؟! وشرح معنى الاقتتال في الآية.

وكذا الآية الأخرىٰ أنَّ الأمر متعلَّقُه شيء آخر؛ أي: آيات أُخر؛ أي: كلُّ آية متشابهة هي وغيرها من الآي، وأمَّا (طارقت النَّعل) فالكلام فيه وَهَمٌ؛ لأنَّ الكلام في (التَّفاعل) لا (المفاعلة)، وبين الصِّياغتين فرقٌ، وإيراد المفاعلة في مقام التَّفاعل خطأٌ[5].

وفي الموضع الآخر[6] ذكر أنَّ المفاعلة لا تكون إلَّا من اثنين هذا الغالب فيها، وقد تأتي متعلِّقة بالواحد، لكن حملها على الغالب مقدَّم على حملها على القليل، وهو الأَولىٰ، وهو ما تخرَّج عليه الآية، إذ المخادعة في الآية[7] تخرَّج على المجاز على سبيل الادِّعاء من جهة صنيع هؤلاء المنافقين، وبيَّنَ ذلك وأطال به الحديث[8].

---

(١) البقرة: ٩

(٢) قرأ الكوفيُّون وابن عامر من غير ألفٍ، وبفتح الياء: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾. انظر: ابن مجاهد، السَّبعة: ١٣٩، والنَّوزاوازي، المغني في القراءات: ١/ ٣٨٢

(٣) الأَخَوان هما حمزة والكسائيُّ.

(٤) انظر: الصفديّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ٣/ ١١٤٩

(٥) انظر: الدَّماميني، نزول الغيث الَّذي انسجم: ١٧١- ١٧٢

(٦) هو موضع ما جاء في البيت (٤١).

(٧) هي:﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾. البقرة: ٩

(٨) انظر: الدَّماميني، نزول الغيث الَّذي انسجم: ٢٠٢- ٢٠٤

الانتقاض: اعترض ابن أقبرس الاعتراض بأنَّ الصَّفديَّ كان متبجِّحاً بأمرٍ سهلٍ أنَّه لا يُسلِّم ذلك، بل هو واقع في أعظم مواقعه، وأنَّه لا يلزم من عدم استحضار الجواب العجز، وأمَّا ما ذكر الدَّماميُّ في (الاقتتال) وتأويله له فهذا لم يذكره الصَّفديُّ. وأنّ توهيم الدَّماميِّ للصَّفديِّ بعدم تفريقه بين (التَّفاعل والمفاعلة) غير سديد، وهو مغالطة منه، وذلك أنَّ بينهما فرقاً من جهة البنية، لكن لا فرق بين (ضارب وتضارب) في اقتضاء النِّسبة(١).

وفي الموضع الآخر ذكر ابن أقبرس حيرة فكره من صنيع الدَّماميِّ أنَّه مرَّة يهبط بالصَّفديِّ وأخرى يعلي منه كما هنا عند مفاتشته إيَّاه في معنى المخادعة في الآية، وأبان أن ليس تخريج الدَّماميِّ بأنهض من تخريج الصَّفديِّ، وتخريج الصَّفديِّ مقدَّم؛ لأنَّ به جمعاً بين القراءتين المتواترتين(٢)، وهو ما يُشعِر بسلامة تخريجه، وقوَّته، وتقديمه(٣).

التَّعليق: اعتراض الدَّماميِّ مقبول مع احتداده ولا ملامة، لكن الصَّفديَّ رام بيان سلامة فهمه، وحسن بصره لمَّا ساءل ابن تيميَّة، وإن انكشف شيء يشي بأنَّ فيه نوع مبارزة أو مغالبة، وأنَّه هو مَن غَلَب، وهو ما سمَّاه المنتقِد بالتَّبجُّح، وأمَّا (تَفَاعَلَ، وفَاعَلَ) فتأتيان لعدَّة معانٍ(٤) منها الاشتراك والانفراد، وأمَّا ما ذكره من حيث الغالبيَّة والأولويَّة فليس مطلقاً، فما ذكره هو تنظيرٌ، ولكن المحتكم إليه مع هذا انسياق المعنى وتوارد خواطر القصد من المتكلِّم أراد المشاركة أم الانفراد؟

وانتصار ابن أقبرس جيِّد صواب، وتغليب تخريج الجمع حسن، إذ توافق القراءتين

(١) انظر: ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ١٤٢

(٢) انظر: مكيّ القيسيّ، الكشف عن وجوه القراءات السَّبع: ١/ ٢٢٧

(٣) انظر: ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ١٩٢

(٤) انظر: ابن الحاجب، الشَّافية: ١١٦، ١١٨

أولىٰ من اختلافهما[1]، وهو مقصد من مقاصدهم عند تفسير القراءات.

الحكم: النَّقد والجواب عنه متعادلان، فلكلِّ واحدٍ منهما جهة مستراح يلوذ بها فيصحُّ قوله حينها.

المسألة (٥): منازعة تحديد نوع (أحيا وأيسر) آسم تفضيلٍ أم فعل؟

ولا أهابُ الصِّفاحَ البيضَ تُسعِدُني * باللمحِ من خَلَلِ الأستار والكِلَلِ [٢٨]**

القول: ذكر الصَّفديُّ أنَّ (أَحْيَا)[2] روي بضمِّ الهمزة (أُحْيَا) فكأنَّه استفهام عن حياته، ومن فتح أراد اسم التَّفضيل[3].

الاعتراض: اعترض الدَّماميْنيُّ أنَّ الَّذي فَتَحَ لا يتعيَّن كونه أراد التَّفضيل، إذ يجوز أن يكون (أحيا) مضارع (حَيِيَ)، وحذفت منه همزة الاستفهام للإنكار، وأصله: أأحيا وأيسر شيء قاسيته قد قتل غيري؟ ومن جهة المعنى يجوز أن يكون من (حَيِيَ) ومن (أحييتُه)[4].

الانتقاض: تلمَّس ابن أقبرس نصراً للصَّفديّ بأنَّ ما ذكره الدَّماميْنيُّ قِشر لا لبٌّ، وأنَّه أراد التَّقرير فأوهم التَّحرير، وأنَّه عند التَّأمُّل فالخطب يسير، فما ذكره الدَّماميْنيُّ من محتملات تقريره إرادةَ اسم التَّفضيل، وقد نقله عن ابن الحاجب[5]، وعلى هذا فما موقع

---

(١) انظر: السَّمين الحلبيّ، الدُّر المصون: ٣/ ٥٥٥

(٢) كلمة بيت أبي الطَّيِّب:

أحيا وأيسرُ ما لاقيت ما قتلا *** والبين جارَ على ضعفي وما عدلا

انظر: ديوان المتنبّي: ١٧، وفيه: «ما قاسيت» مكان «ما لاقيت»

(٣) انظر: الصَّفديّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ٣/ ٨٩٠

(٤) انظر: الدَّماميْنيّ، نزول الغيث الَّذي انسجم: ١٧٢- ١٧٣

(٥) انظر: ابن الحاجب، الأماليُّ النَّحويَّة: ٣/ ١١٣، الأُمليَّة (١١١).

الإنكار على الصَّفديّ مع صحَّة المعنى واحتمال المراد[١].

التَّعليق: اعتراض الدَّماميني واردٌ؛ لأنَّ الصَّفديَّ أفهم أنَّ الفتح لاسم التَّفضيل فحسب، فأوهم أنَّه غير محتملٍ لغيره، وهذا غير صحيح كما بيَّنه الدَّماميُّ، وأمَّا الإجابة عنه فغير ناهضةٍ مع المعابة عليها بالبدء بالتَّهكُّم، والإزراء بتحرير الدَّماميني.

كذلك اعتذاره للصَّفديّ لا ينتهض؛ لأنَّ الاحتمالات جميعها تُورد إذا طُرِق بابها، أو يقال الأظهر أنَّه ذيت وذيت، وزاد ابن أقبرس أن كدَّر قوله بسوء لفظه، والتَّعديّ على الدَّماميني بشَين العبارة.

الحكم: الاعتراض له وجه من جهة المحتملات، كما أنَّ ذلك هو المشهورٌ في تفسير البيت[٢]، وهذا موضع إيراده فلم يورده الصَّفديُّ، وهو من عادته أن يطيل في استجلاب المعاني، وأمَّا نقض ابن أقبرس فَعَينُ الاعتراض.

المسألة (٦): مسألتا جمع (يد)، ومفرد (الأيادي).

رضا الذَّليلِ بخفضِ العَيْشِ مَسْكَنةٌ * والعزُّ عند رَسِيمِ الأَيْنُقِ الذُّلُلِ [٣٣]**

القول: في معرض شرحه لهذا البيت أطال الصَّفديُّ في تخطئة النَّاس، ومعشر الأدباء في أنَّهم يخلطون بين (الأيدي، والأيادي)، ويستعملونهما أحياناً في غير موضعهما، وذلك أنَّ (الأيدي) للجوارح، وأنَّ (الأيادي) للنِّعم[٣].

الاعتراض: نقل الدَّماميُّ نقلاً عن الجوهريّ من معجمه ما يخالف ما ذكره الصَّفديُّ من التَّفريق بين (الأيدي، والأيادي)، وكان ممَّا جاء فيه أنَّ (الأيادي) جمع

(١) انظر: ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ١٤٥

(٢) انظر: العكبريّ، التِّبيان في شرح الدِّيوان: ٣/ ١٦٢– ١٦٣

(٣) انظر: الصَّفديّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ٣/ ٩٦٧– ٩٦٨

(الأيدي)، و(الأيدي) جمع (اليد) الجارحة[١].

إذن (الأيادي) جمع الجمع لليد الجارحة، وأنَّ (اليد) لا تجمع على (أيادٍ) قياساً، ولم تجئ كذلك سماعاً، فبطل بذلك تفريق الصَّفديّ[٢].

الانتقاض: رام ابن أقبرس النُّصرة للصَّفديّ أنَّ مقامه هنا مقام نقلٍ لا تصرُّف فيه من جهة العقل، وأنَّ كلام الجوهريّ لا يصلح ردّاً عليه؛ إذ ليست اللغة منحصرة في كتابه[٣].

التَّعليق: اعتذار ابن أقبرس أنَّ الصَّفديَّ ناقلٌ، ولم يذكر ممَّن نقل عنه ليعرف صحَّة المورَد، أقولُ: كذلك الدَّماميُّ ناقلٌ أيضاً، غير أنَّه أورد مصدر نقله، وهو مصدر صحيح أصيل، وليت ابن أقبرس لمَّا ذكر أنَّ اللغة غير منحصرة في (الصَّحاح) أنَّه ذَكَرَ مصدراً واحداً ينتصر به للصَّفديّ مؤَيِّداً به قوله.

الحكم: كلام الدَّماميّ محكم، واعتراضه وجيه مؤصَّل، وأمَّا كلام ابن أقبرس فظنونٌ، وتمحُّل للجواب، ولم يأتِ بما يصحِّح به قول الصَّفديّ ويوسِّع ما ذكره الجوهريُّ.

المسألة (٧): مسألة أصالة التَّاء في (مسلمات).

فاذْرَأْ بها في نحورِ البِيدِ جافلةً * مُعارِضاتٍ مثاني اللجمِ بالجُدُلِ [٣٤]**

القول: ذكر الصَّفديُّ أنَّ التَّاء للتَّأنيث في (مسلمات)، وهي أصليَّة في المفرد، هذا الأصل فيها، مثل (شجرة ومسلمة)، أمَّا إذا كانت غير أصليَّة مثل (رواة) فهي تُعرب على الأصل، ومثلها إذا كانت لغير التَّأنيث كـ(أبياتٍ)[٤].

الاعتراض: انتقد الدَّماميُّ هذا القول بأنَّه كلام غير علميٍّ ولا محرَّر، وهو غير

(١) انظر: الجوهريّ، الصَّحاح (ي د ي): ٦/ ٢٥٣٩

(٢) انظر: الدَّماميّ، نزول الغيث الَّذي انسجم: ١٨٤

(٣) انظر: ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ١٦١

(٤) الصَّفديُّ، غيث الأدب الَّذي انسجم: ٣/ ٩٨٣

مفهوم المراد، فالتَّاء في المفرد غير التَّاء في الجمع، ولعلَّ مراده أنَّ التَّاء للتَّأنيث في المفرد بالأصالة، لكن يرد عليه تاء (أختٍ وبنتٍ)، فجمعهما يعرب إعراب جمع المؤنَّث السَّالم، وما ذكره عن غير الأصليَّة فيه اختلال إذ التَّاء الَّتي في الجمع هي للتَّأنيث[١].

الانتقاض: ذكر ابن أقبرس أنَّ مراد الصَّفديِّ التَّاء الَّتي في الجمع لا الَّتي في المفرد، وأنَّ الأصل فيها أن تكون هي التَّاء الَّتي في مفرده، ولا يَتخيَّل أحدٌ أنَّ التَّاء الواقعة في الجمع هي الواقعة في المفرد، وأنَّ هذا تحكُّم من الدَّماميِنيِّ[٢].

التَّعليق: اعتراض الدَّماميِنيِّ قائم؛ لأنَّ هذا هو دلالة ألفاظ الصَّفديِّ، وانتقاده وجيه لوما كدَّره بعبارته الشَّانئة، واعتراضه بتاء (أخت، وبنت) مندفع لوقوع الخلاف في كنه التَّاء فيهما[٣].

وأمَّا انتصار ابن أقبرس فعلى عادته في تسليم قول الصَّفديِّ أنَّ مراده التَّاء الَّتي في الجمع، واحتجَّ بعد التَّخيُّل، وجرَّح الدَّماميِنيَّ بلفظه، والدَّماميِنيُّ ليس له إلَّا ظاهر اللفظ، وهذا هو عمل المصحِّح والمدقِّق.

الحكم: للاغتفار وجه من جهة الاحتمال، وللاعتراض وجه من جهة ظاهر الألفاظ، وعلى ذلك يبقى كلام الصَّفديِّ منتقداً لا ينتهض بالاحتمال؛ لاندفاعه بالظَّاهر، ولو حرَّره بما يجعل المحتمل ظاهراً، وظاهر الألفاظ مندفعاً لما كان للانتقاد مدخل.

---

(١) انظر: الدَّماميِنيّ، نزول الغيث الَّذي انسجم: ١٨٧– ١٨٨

(٢) انظر: ابن أقبرس، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول: ١٦٥– ١٦٦

(٣) انظر: سيبويه، الكتاب (هارون): ٣/ ٢٢١، وأبا عليٍّ الفارسيَّ، التَّعليقة: ٣/ ١٨٤، وابن جنِّي، المنصف: ١/ ٥٨– ٥٩

الخاتمة

في مختتم هذا البحث أودُّ ذكر النَّتائج والثَّمرات مقيّداً لها؛ ممَّا تحصَّلتُه مع انتهاء معاناة ما في البحث من الاعتراض والانتقاض، وهو ما سأورده الآن.

١- الباعث للتَّصنيف عند الصَّفديّ باعث أدبيٌّ وعلميٌّ، وعند الدَّماميني انفعاليٌّ وعلميٌّ، وعند ابن أقبرس عاطفيٌّ وتعصُّب غضبيٌّ للصَّفديّ.

٢- المسائل المدروسة هي سبع مسائل في الصَّرف.

٣- عدد المسائل ذات المناقشات العلميَّة عند الدَّماميني (٤) مسألة، وأمَّا عند ابن أقبرس فخلت نقوضه من ذلك.

٤- عدد المسائل ذات المناقشات غير العلميَّة عند الدَّماميني فلم يوجد لديه منها شيء، وأمَّا عند ابن أقبرس فجاءت من ذلك (٣) مسائل.

٥- جاء المناقشات غير العلميَّة أصنافاً ما بين النَّقض للنقض كما عند ابن أقبرس في المسألتين (١، ٣، ٥)، أو تكلُّف التَّخطئة وتمحلها كما عند الدماميني في المسألة (٥) لكونها من المحتملات، وجاء تكلُّف تصحيح الاعتراض عند ابن أقبرس في المسألة (٢)، والنَّقض بالظُّنون جاء عند ابن أقبرس في المسألة (٦)، وجاءت المسألتان (٤، ٧) قد تعادلتا اعتراضاً ونقضاً.

٦- بان التَّحيُّز من خلال عناوين الكتابين، وهو أظهر عند ابن أقبرس، وذلك أنَّ الدَّماميني ورَّىٰ بالنُّزول في حين أنَّ ابن أقبرس صرَّح باسم المؤلِّف ذمّاً، ووارىٰ باسم الكتاب.

٧- جنح الدَّماميني في بعض عباراته إلى التَّعدِّي اللفظيّ بحقِّ الصَّفديّ، وصنع مثل ذلك وزاد ابن أقبرس في حقِّ الدَّماميني، وهو ألسن بالمعابة من الدَّماميني.

٨- بدا الدَّماميني عالماً غاضباً من تجرُّؤ غير الضَّابط لمسائل العلم فيما أبداه من نقداتٍ

على الصَّفديّ، في حين بدا ابن أقبرس مناصراً للصَّفديّ حامشاً على الدَّماميني.

٩- مبتدأ الدَّماميني في تعقُّب الصَّفديّ الخوف من انغرار النَّاس بالصَّفديّ لحسن لفظه وبراعة كلامه الأدبيّ؛ فأراد أن يبيّن أنَّه دون ذلك في أمور اللغة العلميَّة.

١٠-أنَّ الدَّماميَّ من أهل الغيرة على العلم لذا نجد له أكثر من كتابٍ في نقد مصنَّفات غيره، كما صنع مع كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام، وهو أوسع تأليفاً من ابن أقبرس، وأمتن نسجاً وتأصيلاً.

وصلِّ اللَّهمَّ وبارك على نبيِّنا محمَّد.

والحمد لله ربِّ العالمين.

ثبت المصادر والمراجع:

الأَستراباذيُّ رضيُّ الدِّين؛ شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق الأساتذة المحمَّدون: محمَّد نور الحسن، وَمحمَّد الزَّفزاف، وَمحمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الكتب العلميَّة، لبنان/ بيروت، د ط، د ت.

ابن أقبرس علاء الدِّين، تحكيم العقول بأفول البدر بالنُّزول، تحقيق: أد. عبد السَّلام الهمَّالي سعود، الدار المالكيَّة، تونس، ط ١، العام: ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

الجاربرديُّ، شرح الشَّافية، تحقيق: د. نبيل أبو عمشة، هيئة أبوظبي للسِّياحة والثَّقافة، ط ١، العام: ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.

ابن جنِّي؛ الخصائص، تحقيق الأستاذ: محمَّد عليّ النَّجَّار، دار الكتب المصريَّة، مصر/ القاهرة، د ط، د ت.

ابن جنِّي؛ المنصف شرح كتاب (التَّصريف للمازنيّ)، تحقيق الأستاذين: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة البابيّ الحلبيّ، مصر/ القاهرة، ط ١، العام: ١٣٧٣هـ= ١٩٥٤م.

الجوهريُّ؛ الصَّحاح (تاج اللغة وصِحاح العربيَّة)، تحقيق: أ د. أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، لبنان/ بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

ابن الحاجب؛ الأمالي النَّحويَّة، تحقيق: أد. هادي حسن حمُّودي، عالم الكتب، لبنان/ بيروت، ط ١، العام: ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

ابن الحاجب؛ الشَّافية في علمَي الخطِّ والتَّصريف، تحقيق: أد. حسن أحمد عثمان، المكتبة المكيَّة، مكة المكرَّمة، ط ٢، العام: ١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م.

الحريريُّ؛ درَّة الغوَّاص في أوهام الخواص، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة

نهضة مصر، القاهرة/ مصر، ط (١)، العام: ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

ابن درستويه؛ كتاب الكُتَّاب، تحقيق: أد. إبراهيم السَّامرَّائيّ، أد. حسين الفتليّ، دار الكتب الثَّقافيَّة، الكويت/ حولِّي، ط١، العام ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

الدَّماميني بدر الدِّين؛ نزول الغيث الَّذي انسجم في شرح لاميَّة العجم، تحقيق: أد. عبد السَّلام الهمَّالي سُعود، الدَّار المالكيَّة، تونس، ط ١، العام: ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

السَّمين الحلبيُّ؛ الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أد. أحمد الخرَّاط، دار القلم، سوريا/ دمشق، ط ١، العام: ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

سيبويه؛ الكتاب، تحقيق الأستاذ: عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجيّ، مصر/ القاهرة، خمسة أجزاء لكلِّ جزء تاريخ طباعة.

الصَّفديُّ؛ غيث الأدب الَّذي انسجم في شرح لاميَّة العجم، تحقيق: أد. عبد السَّلام الهمَّالي سُعود، دار المالكيَّة، تونس، ط ١، العام: ١٤٤١هـ = ٢٠٢١م.

لابن عقيل؛ المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: د. محمَّد كامل بركات، الجزء (٣، ٤)، طبعة دار المدنيّ، جدة، د ط، العام: ١٤٠٥ = ١٩٨٤م.

العكبريُّ؛ التِّبيان في شرح الدِّيوان، ضبط الأستاذ: مصطفى السَّقَّا وزميلَيه، دار المعرفة، لبنان/ بيروت، د ط، د ت.

أبو عليٍّ الفارسيُّ؛ التَّعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق: أد. عوض القوزيّ، مطبعة الأمانة، ودار المعارف، مصر/ القاهرة، ودار الحسنيّ بالرِّياض، (٦) أجزاء لكلِّ جزء تاريخ طباعة.

ابن قتيبة؛ أدب الكاتب، تحقيق: أد. محمد أحمد الدَّالي، مؤسسة الرِّسالة، بيروت/ لبنان، ط (١)، العام: ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢.

القلقشنديُّ؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة/

مصر، د ت، العام: ١٣٤٠هـ = ١٩٢٢م.

المتنبِّيُّ؛ ديوان المتنبِّي، دار بيروت للطِّباعة والنَّشر، لبنان/ بيروت، د ط، العام: ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

ابن مجاهد؛ السَّبعة في القراءات، تحقيق: أ د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر/ القاهرة، ط ٣، العام: ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

محمَّد عزير شمس وَد. عليُّ بن محمَّد العمراني؛ الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيميَّة خلال سبعة قرون، طبعة مؤسسة سليمان بن عبر العزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة، نشر دار عالم الفوائد، مكَّة المكرَّمة، ط ٢، العام: ١٤٢٢هـ.

مكيٌّ القيسيُّ؛ الكشف عن وجوه القراءات السَّبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محيي الدِّين رمضان، مؤسسة الرِّسالة، لبنان/ بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

ناظر الجيش؛ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: أد. عليّ محمَّد فاخر، وَزملائه، دار السَّلام للطِّباعة والنَّشر، مصر/ القاهرة، ط ١، العام: ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

النَّوزاوازيُّ؛ المغني في القراءات، تحقيق: د. محمود بن كابر بن عيسى الشَّنقيطيِّ، جمعيَّة (تبيان)، الرِّياض، ط١، العام: ١٤٣٩هـ= ٢٠١٨م.

Bibliography

Al-Astarabadi, Radi al-Din. Sharh al-Shafiyya li-Ibn al-Hajib, Investigated by Muhammad Nur al-Hasan, Muhammad al-Zafzaf, and Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, n.d.

Ibn Aqbaris, Ala al-Din. Tahkim al-Uqul bi-Uful al-Badr bil-Nuzoul. Investigated by Abd al-Salam al-Hammali Saud. Dar al-Malikiya, Tunis. 1st ed., 1437 AH / 2016.

Al-Jarabardi. Sharh al-Shafiyya, Investigated by Dr. Nabil Abu Amsha. Abu Dhabi Authority for Culture and Tourism, Abu Dhabi. 1st ed., 1435 AH / 2014.

Ibn Jinni. Al-Khasa'is, Investigated by Muhammad Ali al-Najjar. Dar al-Kutub al-Misriyya, Cairo, Egypt. n.d.

Ibn Jinni. Al-Munsif: Sharh Kitab al-Tasrif li-al-Mazini. Investigated by Ibrahim Mustafa and Abd Allah Amin. Matbaʿat al-Babi al-Halabi, Cairo, Egypt. 1st ed., 1373 AH / 1954.

Al-Jawhari. Al-Sihah (Taj al-Lugha wa Sihah al-'Arabiyya). Investigated by Ahmed Abd al-Ghafour Attar. Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, Lebanon. 3rd ed., 1404 AH / 1984.

Ibn al-Hajib. Al-Amali al-Nahwiyyah. Investigated by Hadi Hasan Hammoudi. Alam al-Kutub, Beirut, Lebanon. 1st ed., 1405 AH / 1985.

Ibn al-Hajib. Al-Shafiyya fi ʿIlmi al-Khat wa al-Tasrif. Investigated by Hasan Ahmad Uthman. Al-Maktaba al-Makkiyya, Makkah al-Mukarrama. 2nd ed., 1435 AH / 2014.

Al-Hariri. Durrat al-Ghawwas fi Awham al-Khawas. Investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Matbaʿat Nahdat Misr, Cairo, Egypt. 1st ed., 1395 AH / 1975.

Ibn Durustawaih. Kitab al-Kuttab. Investigated by Ibrahim al-Samarra'i; Husayn al-Fatli. Dar al-Kutub al-Thaqafiyya, Hawalli, Kuwait. 1st ed., 1397 AH / 1977.

Al-Dammamini, Badr al-Din. Nuzoul al-Ghaith al-ladhī Insajama fī Sharḥ Lamiyyat al-ʿAjam. Investigated by Abd al-Salam al-Hammālī Suʿūd. Dar al-Malikiyya, Tunis. 1st ed., 1437 AH / 2016.

Al-Samīn al-Halabī. Al-Durr al-Maṣūn fī ʿUlūm al-Kitāb al-Maknūn. Investigated by Ahmad al-Kharrāt. Dār al-Qalam, Damascus, Syria. 1st ed., 1406 AH / 1986.

Sibawaih. Al-Kitāb. Investigated by Abd al-Salam Hārūn.

Maktabat al-Khānjī, Cairo, Egypt. Five volumes; printing dates for each volume.

Al-Ṣafadī. Ghaith al-Adab alladhī Insajama fī Sharḥ Lamiyat al-ʿAjam. Investigated by Abd al-Salam al-Hammālī Suʿūd. Dar al-Malikiyya, Tunis. 1st ed., 1441 AH / 2021.

Ibn ʿAqīl. Al-Musāʿid ʿalā Tashīl al-Fawāʾid. Investigated by Dr. Muhammad Kāmil Barakāt. Parts 3–4. Dar al-Madani, Jeddah. n.d.; 1405 AH / 1984.

Al-ʿAkbarī. Al-Tibyān fī Sharḥ al-Dīwān. Investigated by Mustafa al-Saqqā and colleagues. Dār al-Maʿrifa, Beirut, Lebanon. n.d.

Abū ʿAlī al-Fārisī. Al-Taʿlīqa ʿalā Kitāb Sibawaih. Investigated by ʿAwad al-Qawzī. Matbaʿat al-Amāna; Dār al-Maʿārif, Cairo; Dār al-Ḥusnī, Riyadh. Six volumes; printing dates for each volume.

Ibn Qutaiba. Adab al-Kātib. Investigated by Muhammad Aḥmad al-Dālī. al-Risāla Foundation, Beirut, Lebanon. 1st ed., 1402 AH / 1982.

Al-Qalqashandi. Subh al-A'sha fi Sinaʿat al-Insha. Dar al-Kutub al-Misriyya, Cairo, Egypt. 1340 AH / 1922.

Al-Mutanabbi. Diwan al-Mutanabbi. Dar Beirut, Beirut, Lebanon. 1403 AH/ 1983.

Ibn Mujahid. Al-Sabʿa fi al-Qiraʾat. Investigated by Shauqi Daif. Dar al-Maʿarif, Cairo, Egypt. 3rd ed., 1408 AH / 1988.

Muhammad Uzair Shams; Dr. Ali bin Muhammad al-Umrani. Al-Jamiʿ li-Sira Shaykh al-Islam Ibn Taymiyya Khilal Sabʿa Quroun. Sulaiman bin ʿAbd al-Aziz al-Rajhi Charitable Foundation; published by Dar ʿAlam al-Fawaʾid, Makkah al-Mukarrama. 2nd ed., 1422 AH.

Makki al-Qaisi. Al-Kashf ʿan Wujouh al-Qiraʾat al-Sabʿ wa ʿIlalha wa Ḥujajuha. Investigated by Muhyi al-Din Ramadan. al-Risala foundation, Beirut, Lebanon. 3rd ed., 1404 AH / 1984.

Nazir al-Jaish. Tamheed al-Qawaʿid be-Sharh Tashil al-Fawaʾid. Investigated by Ali Muhammad Fakhr and colleagues. Dar al-Salam, Cairo, Egypt. 1st ed., 1428 AH / 2007.

Al-Nawzawazi. Al-Mughni fi al-Qiraʾat. Investigated by Dr. Mahmoud bin Kabr bin ʿIsa al-Shanqiti. Tibyān Association, Riyadh. 1st ed., 1439 AH / 2018.

المفردة اللغوية الدّالة على الطّلب
دراسة نحويّة تداوليّة

The Linguistic Lexeme Denoting Request: A Grammatical and Pragmatic Study

د. أفراح بنت علي المرشد

أستاذ مساعد بقسم اللّغة العربية وآدابها بكلية اللّغات والعلوم الإنسانية بجامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: Af.almarshad@qu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
12/01/2026		03/03/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-006		

الملخص:

يظهر هذا البحث قدرة اللّغة العربيّة. فمن خصائصها القدرة على اختزال جملة تامة وما يتعلّق بها من دلالات ثانويّة في أقلّ ما يتركّب منه الكلام في العربيّة وهو حرف واحد، أو حرفين، لتتجاوز المفردة دلالتها على الحروف الأبجديّة وحدود المعجم وتندمج في السياقات الاجتماعية والانفعاليّة التي تؤدّي معنى الكلام. وتؤثّر على المخاطب في التّوجيه والتّأثير بأقلّ الحروف. ويظهر هذا الاختزال في أربع مسائل: أوّلا: الطلب بالفعل الصريح، ثانيا: الطّلب بحذف الفعل. وذهب النّحاة إلى أنّ الحذف في الطّلب أكثر منه في الخبر. وهو ما يناسب طبيعته حيث يُكتفى معه بشاهد الحال الذي يقتضي سرعة الاستجابة. ثالثا: الطّلب بأسماء الأفعال، وأخيرا: الطّلب بالحكاية، والتّركيب، كما بيّن البحث إمكانيّة حمل المفردة الواحدة لأكثر من معنى فقد تكون دعاء للمخاطب أو عليه، أو تعجبا أو غير ذلك... ويرجع تحديد المعنى للسّياق الاجتماعي والعلاقة بين المتخاطبين. وأظهرت المسائل ارتباط القواعد النّحوية عند النّحاة (الحذف الواجب والجائز، والتّعريف والتّنكير، والإعراب، والتّركيب) بالسّياق التّداولي والخلفيات المشتركة بين المتخاطبين.

الكلمات المفتاحية: الأمر، التّداولية، الحذف، التّركيب، المفردة.

Abstract:

This study demonstrates the expressive power of the Arabic language. One of its distinctive features is the ability to condense a complete sentence, along with its secondary semantic implications, into the smallest possible linguistic unit in Arabic namely a single letter or two letters so that the lexical item transcends its alphabetic and dictionary boundaries and becomes integrated into social and emotional contexts that convey meaning. In this way, it influences the addressee through guidance and impact using the fewest possible sounds.

This condensation appears in four issues: first, the directive expressed through an explicit verb; second, the directive expressed through verb deletion. Grammarians have observed that ellipsis occurs more frequently in directives than in declaratives, which suits its communicative nature, as contextual evidence alone is often sufficient to prompt rapid response. Third, directives expressed through verb-nouns; and finally, directives conveyed through quotation and syntactic construction.

The study also demonstrates the capacity of a single lexical item to carry multiple meanings: it may function as a supplication for or against the addressee, an expression of wonder, or other meanings. Determining the intended meaning depends on the social context and the relationship between interlocutors. These issues further reveal the connection between grammatical rules discussed by grammarians such as obligatory and optional ellipsis, definiteness and indefiniteness, inflection, and syntactic structure and the pragmatic context and shared background knowledge between speakers.

Keywords: Imperative, pragmatics, ellipsis, structure, lexeme.

المقدمة

تعدّ الجملة الطلبية المكوّنة من مفردة واحدة ظاهرة لغوية فريدة في النّحو العربي تتقاطع مع الدّراسات التّداوليّة. فالطّلب يكون بما يطلبه المتكلّم من المخاطب لتحقيق أمر لم يكن حاصلا وقت الطّلب، وهو من أهمّ الأفعال الكلامية التّداوليّة والسّياقية. ومن أبرز الظّواهر اللافتة أنّه يمكن لمفردة واحدة تعدّ أصغر وحدة في التّركيب اللّغوي أن تؤدّي دور جملة بكل عناصرها. وسيعنى هذا البحث على وجه الخصوص بدراسة المفردات التي تؤدّي في مفردة واحدة معنى الطّلب. ليكون عنوان هذا البحث: " المفردة اللغوية الدّالة على الطلب دراسة نحويّة تداوليّة".

وتكتسب هذه الظاهرة أهميّة خاصة في الدّراسات النّحويّة والتّداوليّة؛ لكون الطّلب يضمّ عددًا من المسائل منها:(الأمر، والنهي، والاستفهام، والعرض، التّحضيض، وغيرها من المعاني). كما يشمل عدّة عناصر تداوليّة منها: العلاقة الاجتماعيّة بين المتكلّم والمخاطب، والمقام التّواصلي الذي يتطلب مواقف متعددّة، والإشارات غير اللّفظيّة.

ومن هنا جاءت هذه الدّراسة؛ لتبرز مختلف المفردات العربيّة التي تظهر ثراء اللّغة، وقدرتها على الاقتصاد اللّغوي، مع الحفاظ على تمام المعنى وأداء الوظيفة التّواصلية، وهو ما ذكره ابن جني بقوله: «واعلم أنّ العرب – مع ما ذكرنا– إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد. ألا ترى أنّها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملالها، ودالّة على أنّها إنّما تجشمتها لما عناها هناك وأهمها؛ فجعلوا تحمل ما في ذلك على العلم بقوة الكلفة فيه دليلا على إحكام الأمر فيما هم

عليه»[١] ويتناول هذا البحث أشكالها وسياقاتها وآليات اشتغالها في الخطاب من خلال تقسيم هذا البحث إلى أربعة عناصر:

العنصر الأوّل: الطّلب بالفعل الصّريح.

العنصر الثّاني: الطّلب بحذف الفعل.

العنصر الثّالث: الطّلب بأسماء الأفعال.

العنصر الرّابع: الطّلب بالحكاية، والتّركيب.

العنصر الأوّل: الطّلب بالفعل الصّريح:

أوّلا: الأمر والدّعاء:

يعدّان من أكثر المفردات التي ترتبط بالسّياق التّداولي، فالأمر: «صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب»[٢]. لذلك لما وقف النّحاة على أقسام الفعل قالوا: «فأبعد الأفعال من الأفعال المضارعة فعل الأمر، وأقربها إليها الفعل الماضي»[٣]، فابتعد عن باقي الأفعال؛ لكون الأقسام الأخرى تكون في الخبر وهو يقع في الطّلب.

وقد يتحقّق فعل الأمر بكلمة واحدة تشكّل معنى تامًا قادرا على فهم الأبعاد الاستعمالية والسّياقة للفعل. ويقع فعل الأمر في عدد من الصّيغ في النّحو العربي، نذكر منها:

١. لِتَفْعل.

٢. افْعَل.

٣. أتَفْعَل، قال سيبويه: «أتُخْبِرُني، فيه معنى افعل، وهو كالأمر في الاستغناء

(١) ابن جني، "الخصائص"، ١: ٨٤.

(٢) ابن الحاجب، "الكافية في علم النّحو"، ١: ٤٦.

(٣) السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٨٧.

والجواب»[١].

ويمكن أن يقع بغير هذه الصّيغ، لكن الغالب في العربيّة أن تكون بهذه الصّيغ، والذي يُعنى به البحث الصّيغة الثّانية لكونها تقع في مفردة واحدة، وعدّها النّحاة فرعا عن الأوّل[٢]، فالأولى مركّبة من أكثر من مفردة فأصلها (لـ+أن المضمرة + تفعل)، وأمّا الثّالثة فهي مركّبة من (حرف الاستفهام الهمزة+ تفعل).

فالصّيغة التي وقعت ببنية واحدة (افعل) ولا يتغير عن حال واحدة، يكون فيها للمخاطب[٣]، وذهب النّحاة على أنّ الفاعل في صيغة (افعل) واقع بالفعل بغير علامة في اللّفظ، قال السّيرافي: «لأنّ ضمير الفاعل قد يكون في الفعل بغير علامة كقولك: قم، واذهب؛ فيه ضمير المخاطب ولا علامة له في اللّفظ»[٤]، فأدرك النّحاة أنّها صيغة واحدة بمعنى الجملة الفاعل فيها مستتر لكونه للمخاطب، وقد سمى بعض النّحاة هذا الفعل (أمر المواجهة)[٥]، فأدركوا أن عناصر السّياق والتّواصل الاجتماعي بينهما عندما يقابل المتّكلم وجهًا لوجه منحت اللّفظ المعجمي معنى آخر استتر فيها؛ لتكون البنية العميقة لجملة (افعلْ) مكونة مما يلي:

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥١٦.

(٢) انظر: ابن الوراق، "علل النّحو"، ١٤٩. العكبري، "التبيين عن مذاهب النّحويين"، ١٧٧، ابن الحاجب، "الكافية في علم النحو"،١:٤٦.

(٣) انظر: سيبويه، "الكتاب"،١: ١٣٨، ٣: ٢٧٧.

(٤) السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٣: ١٤٢، ١٤٣.

(٥) انظر: ابن ولاد، "الانتصار لسيبويه على المبرد"، ١٧٦، ابن جني، "اللمع في العربية"، ص٢٢٢، السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٣: ١٩٥، ابن باشاذ، "شرح المقدمة المحسبة"، ١: ٢٤٤، الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين"، ٢: ٤٢٧.

١. افعل: هو المسند.

٢. الضمير المستتر تقديره (أنت) هو المسند إليه.

ففعل الأمر هنا للواحد المخاطب، وهذا الضمير لا يجوز إبرازه؛ لأنّه لا يحل محله الاسم الظّاهر فلا تقول: افعل زيد «فأمّا افعل أنت، فأنت تأكيد للضمير المستتر في افعل وليس بفاعل»[١]، فجعلوا الفاعل ضميرا مستترا للمخاطب، ثم لم يقف النّحاة على تفسير دلالة ضمائر الخطاب، بل شرحها ناظر الجيش شرحا تداوليا، فقال: «وذلك أن ضمير المخاطب إنّما يدلّ على معناه بالمواجهة. وقول المصنف: ما لم يعضد اللّفظ بمواجهة، يدلّ على أنّ المواجهة في إيراد المثال الذي ذكره مفقودة، وإذا فقدت المواجهة فقد الخطاب، وإذا فقد الخطاب فقدت دلالة اللّفظ على ما يقصد به»[٢]، لذلك جعلوا الضمير المستتر في فعل الأمر من ضمائر المخاطبة؛ لأنّ فعل الأمر للمواجهة ويفهم الضّمير من خلال المواجهة.

ويكون الطّلب بين البشر بإيقاع الفعل من الجهة العليا التي يكون لها سلطة على المخاطب أو من الأقران أو من الأدنى للأعلى، أو يكون من العابد للمعبود، ولذلك صنّف النّحاة أقسام (افعل) إلى معنيي الأمر والدّعاء، قال ابن السّراج: «أنّ أصل الدّعاء أن يكون على لفظ الأمر وإنما استعظم أن يقال: أمرٌ، والأمر لمن دونَك، والدّعاء لمن فوقك، وإذا قلت: اللهم اغفر لي فهو كلفظك إذا أمرت فقلت: يا زيدُ أكرم عمرًا، وكذلك إذا عرضت فقلت: انزل، فهو على لفظ اضربْ»[٣].

فميّز النّحاة في صيغ (افعل) تمييزا تداوليًّا في تسمية الصّيغة:

(١) ابن عقيل، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، ١: ٩٦.

(٢) ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، ١: ٤٤٠.

(٣) ابن السراج، "الأصول في النّحو"، ٢: ١٧٠.

١. إن كان المخاطب شخصًا من البشر سمي أمرًا، نحو: قم.

٢. إن كان المخاطب معبودًا سمي دعاء، نحو: اغفر لي، وارحمني.

فأدركوا هنا أن الطّلب يقع من الجهة الأعلى للأدنى، فلمّا وقع من الأدنى للأعلى سمّوا ذلك دعاء؛ لأنّ هذا مخالف لمعنى الأمر مع أن (الصّيغة) تحمل ذات الخصائص النّحويّة، لكن من المحال أن يأمر الشخص جهة عليا (المعبود) بالقيام بأمر ما.

ووقع الاختلاف في المعنى والسّياق ففعل الأمر يطلب المتكلّم فيه من مخاطبه إيقاعه بعد التّكلُم، في حين يرجو المتكلّم في الدّعاء أن يقع. وهذا يظهر الجانب التّداولي عند النّحاة ومراعاتهم للجانب السّياقي التّواصلي الاجتماعي.

ويكون فعل الأمر، إمّا لازمًا وإمّا متعدّيا. وما يُعنى به البحث المواضع التي يفهم المتكلّم فيها للمعنى من مفردة واحدة، وذلك نحو:

١. اذهب.

٢. قم.

٣. اكتب. عندما يتوقف طالب عن الكتابة أثناء الدّرس.

٤. ادخل. عندما يقف الرّجل أمّام بيت جاره.

ويقع في المفردة غالبا في الفعل اللّازم. ففعل الأمر لا يرفع إلّا ضمير المأمور المخاطب[١]، ويقل في الفعل المتعدي فيبقى المفعول واجب الذّكر إن لم يدلّ عليه دليل، فإن دلّ عليه دليل حذف؛ لأنّه يصبح بمنزلة الظّاهر[٢] وبقيت المفردة دالّة على جملة تامة، والمتأمل في الأمثلة السّابقة وتنوعّ أفعال الأمر بين اللّازمة والمتعدّية يجد أنّها

(١) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٤١٨، ٤١٩.

(٢) انظر: ابن جني، "الخصائص"، ١: ٢٨٨، ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، ٧: ٣٤٩٤.

تحمل قوّة إنجازية صريحة ومباشرة يأمر فيها المتكلّم مخاطبه بإيقاع الفعل:

ففي الفعلين الأوّل والثّاني: الفعل فيهما لازم. ومن سمات الفعل اللّازم ارتكازه على الحدث نفسه، دون تجاوزه إلى موضوع خارجي، ويطلب المتكلّم تحقيق الذّهاب والقيام ذاتهما دون تعلقهما بمفعول خارجي.

أمّا في الفعلين الثّالث والرّابع: فيتجاوز الفعلُ الحدثَ لموضوع خارجي وهو المفعول به المحذوف لدلالة السّياق عليه في المثال الثّالث (اكتب الدّرس)، وحذف المتكلّم في المثال الرّابع (ادخل البيت) لدلالة الإشارات غير اللّفظية، وقد يكون الحذف لدلالة لفظيّة، فالحذف في الغالب يخدم الغرض ويتماشى مع المقام التّواصلي، فمثلا في قول (أُكتب) لا يتطلب الحدث المماطلة بل يتطلب منه سرعة الاستجابة، لذا أجاز النّحاة دخول نون التّوكيد على فعل الأمر بدون شروط[١]، وذلك نحو:

- اضربنّ.
- اضربنْ.

فدخول نون التّوكيد وامتزاجها بفعل الأمر، يدلّ على زيادة طلب إيقاع الفعل تأكيد المتكلّم لمخاطبه على سرعة الاستجابة.

فالتّكثيف الدّلالي في الأمر يوحي بشدّة فعالية التّواصل في المقامات التي تتطلب استجابة فوريّة، لذا لما وصف النّحاة استتار الضمير في فعل الأمر المخاطب جعلوه من الحذف الواجب: «فمنه واجب الخفاء ... بفعل أمر المخاطب»[٢]، وقد ورد فعل الأمر بمعانٍ عدّة في سياقات استعمالية مختلفة، نحو:

١. رَ: وقد يقولها ليطلب شهادة مخاطبه، أو لفت انتباهه لمشهد، أو من معلم

(١) انظر: المرادي، "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك"، ٣: ١١٧١.

(٢) ابن مالك، "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"، ١: ٢٢.

لتلميذ، وغيرها من السّياقات التي يفهم معناها في الموقف التّواصلي.

٢. عِ: إذا أراد المتكلّم أن يعي المخاطب كلامه.

٣. قِ: في التّوجيه والإرشاد يريد بها قِ نفسك.

٤. اسمع: قد تكون توجيها، وقد تكون للالتماس.

٥. قم، وزد: تستعمل في السّياقات التّربوية والتّوجيهية.

٦. أُدخل، وانزل: فقد تكون من باب التّوجيه من سلطة عليا، وقد يقولها شخص لصديقه ادخل، وانزل للبيت فيكون فيها معنى العرض، قال ابن السّراج: «وكذلك إذا عرضت فقلت: انزل، فهو على لفظ اضربْ»(١).

٧. انتظر: فقد يكون توجيها، قد يكون تهديدا في بعض السّياقات.

٨. اسجد، اركع، اعبد، وغيرها من الأفعال التي تكون للعبادات.

٩. وراقب: قد تكون أمر للحفاظ على الأمن وقد يراد بها التّجسس.

١٠. أكرم به: بمعنى الماضي أي: أكرم زيد بمعنى صار ذا كرم، فخرجت هنا صيغة (افعل) من معنى الأمر إلى معنى الخبر(٢).

ولا يمكن حصر السّياقات الاستعمالية هنا، لكن ما يمكن أن نلفت له الانتباه أن ما يعرف عن الصّيغ المباشرة (افعل) يوحي إلى أنّ قائلها يصدر أوامر مباشرة لمخاطبة غير قابلة للنّقاش، لكن ما يظهر لنا في العربية أنّه قد يخرج إلى معانٍ تداوليّة تظهر في السّياقات المتعددة، ففي ما سماه النّحاة بالدّعاء يظهر جانب التّذلل والرّجاء قال ابن يعيش: «والدّعاءُ حقُّه أن يكون على لفظ الأمر»(٣)، فلما رأوا الاطراد في

(١) ابن السّراج، "الأصول في النّحو"، ٢: ١٧٠.

(٢) انظر: الفارسي، "التعليقة"، ٤: ٢٤٧، الملك المؤيد، "الكناش في فني النحو والصرف"، ٢: ٥١.

(٣) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٨٤.

خروجه عن معنى الأمر لأسباب سياقية سموه باسم الدّعاء، وفي قول الرّجل لمخاطبه (انزل) عندما يكون عند بيته، يظهر جانب العرض والرّغبة الملحة في تضييفه كما أشار لذلك ابن السّراج، وهكذا دواليك. والبحث في خروج صيغ الأمر إلى معاني التّلطف والأغراض الأخرى يلزمه بحثا مطولا لا يسع هذا البحث عرضها.

ولا مِريَةَ أنّ فهم اللّغة لا يقتصر على فهم البنية النّحوية أو الدّلالة المعجمية بل يتعداه إلى فهم السّياق التّواصلي. ففعل الأمر وقع في حرف معجمي (رَ) بمعنى انظر، فلو لم يكن في سياق يتطلب الأمر لما عرف المتكلّم قصده. وفي هذا الموضع قام الحرف مقام الجملة، كما وقعت المفردة موقع الجملة. فقد يكون وضع المفردة في سياقها الصّحيح أبلغ من الجملة، فلو كان المتكلّم في موقف يخشى أن يفوت على مخاطبه فقال له: (رَ) ليرى ما يريد منه مخاطبه أن يراه، فأوقع الأمر بحرف يتطلب سرعة استجابة بأبسط بنية؛ لأنّ الرّؤية تتطلب السّرعة في الالتفات فلو تأخر في الاستجابة فقد يفوته المشهد قبل التفاته، ولو قال قائل: (رَ) مجرّدا من سياقها التّواصلي لم يفهم مخاطبه منه إلّا أنّه نطق بحرف الهجاء.

ويتوافق بناء المفردات في العربية مع الطلب الذي يحمل قوّة إنجازية مباشرة وسريعة، وقد أشار النّحاة إلى إمكانيّة ورود الأمر: «على حرفين نحو قل وبع وسل، وقد يرد على حرف واحد نحو "ع كلامي، وق نفسك" وذلك فيما أعلت فاؤه ولامه»[(١)].

ثانيا: فعل النّهي:

يتحقق فعل النّهي بعدد من الصّيغ، منها:

١. لا تفعل.

(١) المرادي، "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك"، ٣: ١٥١٠.

٢. افعل.

فالصّيغة الأولى مكونة من أكثر من مفردة، أمّا الصّيغة الثّانية (افعل) فهي بمفردة واحدة وتكثر في الأمر أكثر منها في النهي، ومن النهي:

١. انته.

٢. احذر.

٣. كفّ.

٤. اترك.

٥. اجتنب.

فلمّا وقف بعض النّحاة على هذه الصّيغ التي كثر ورودها في معنى الأمر، وقلّ في معنى النّهي، ردّها بعضهم لمعنى الأمر فقالوا إنّ "انته"، محمولٌ على أمر يخالف المنهي عنه؛ لأنّ النهْي عن الشّيء أمرٌ بضدّه[١]. وينطبق هذا القول كذلك على الأمر. فالأمر بفعلٍ نهي عن خلافه، لكنّ الأمر يعود إلى أنّها ضمنت معنى النّهي من خلال المعاني المعجمية والسّياقية. وذاك ما أشار له ابن ولاّد في قوله: «فأمّا ما تأتي به العرب على لفظ الأمر وهو في معنى النّهي، وعلى لفظ النّهي وهو في معنى الأمر فكثير،... وذلك نحو قولهم: انته عن كذا، قال الله عز وجل: ﴿انتهوا خيرا لكم﴾[٢]، فهذا على الحقيقة نهي، وإن كان على بناء الأمر... وليس الأمر نهيًا من حيث كان أمرًا، ولا النّهي أمرًا من حيث كان نهيًا، وإذا أمرنا بالشّيء فإنما نعلم أنا نهينا عن خلافه باستدلال لا بنفس لفظ الأمر، ولو جاز أن يكون الأمر نهيًا والنّهي أمرًا لكان

(١) انظر: الزمخشري، "المفصل في صنعة الإعراب"، ٧٣، ابن الأثير، "البديع في علم العربية"، ١: ١٤٢، ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٣٩٤.

(٢) سورة النسّاء، آية: ١٧١.

المأمور به هو المنهي عنه والمأمور هو المنهي، وهذا خطأ»[١].

فالعلاقة بين الأمر والنّهي علاقة تضادّ تفهم من خلال الاستدلال. ويعدّان من الأفعال الكلاميّة التي تتضمن ثلاثة مستويات:

المستوى الأوّل: يتعلّق بالفعل اللّفظي وهو وقوعهما بصيغة (افعل) ببنية تركيبيّة واحدة.

المستوى الثّاني: يمثّل قوّة الطّلب بفعل صريح ومباشر.

المستوى الثّالث: يتجسّد في الفعل التّأثيري المتمثل في استجابة المخاطب بإيقاع الفعل أو الكف عنه.

(١) ابن ولاد، "الانتصار لسيبويه على المبرد"، ٩١.

ويمكن المقارنة بين هذه الأفعال تداوليًّا في الجدول أدناه[١]:

المعاني	الوجه التّداولي				
	الفعل الإنجازي	السّياق	الوظيفة التّداوليّة	القوّة الإنجازيّة	التّأثير في المتلقي
الأمر	توجيهي مباشر، يطلب إيقاع الفعل	يكون من الأعلى للأدنى غالبا	تحفيز القيام بالفعل، والمأمور ملزم بالاستجابة	قويّة ومباشرة وملزمة.	تنفيذ أو رفض مباشر للفعل، ويعتمد على قوة العلاقة والسّلطة.
الدّعاء	التّماس غير مباشر، رجاء وتضرع لإيقاع الفعل	يكون من الأدنى للمعبود.	التّوسل وإظهار الافتقار والعجز للمعبود.	ضعيفة في ظاهرها، وغير ملزمة.	روحي وعاطفي فهو انتظار الاستجابة من من الله.
النّهي	توجيهي مباشر، يطلب ترك الفعل.	يكون من الأعلى للأدنى غالبا.	منع وقوع الفعل، والمأمور ملزم بالكف والانتهاء.	قويّة ومباشرة وملزمة.	امتناع أو مخالفة مباشرة للفعل، ويعتمد على درجة قناعته بخطر المنهي عنه.

لقد حقق فعل الأمر عدّة مسائل تداوليّة أساسيّة[٢] نذكر منها:

(١) انظر: مسعود صحراوي، "التّداولية عند العلماء العرب"، ٣٠-٤٥، محمود عكاشة، "النّظريّة البراجماتيّة اللّسانية التّداوليّة دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، ٨٣-١١٥.

(٢) انظر: أوزوالد دوكرو، جان، ماري شافار، "القاموس الموسوعي للتّداولية"، ٢١١-٢١٩ ، مسعود صحراوي، "التّداولية عند علماء العرب"، ٣٣- ٤٠، محمود عكاشة، "النّظريّة البراجماتيّة اللّسانية التّداوليّة دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، ٩١- ١١٥، أحمد المتوكل، "اللّسانيّات الوظيفيّة مدخل نظري"، ٢١-٣٢، حافظ إسماعيل يعلوي، "التّداوليات علم =

١. مبدأ التّعاون: وخاصة قاعدة الكميّة التي تقتضي أن يكون الكلام قدر الحاجة، فلمّا كان المخاطب حاضرا جعلوا المواجهة تغني عن ذكر المخاطب.
٢. مبدأ الاقتصاد اللّغوي: ويتحقق التّواصل بأقل جهد لغوي. وقد وقع الاقتصاد في فعل الأمر حتى أصبح الحرف الأبجدي يؤدّي معنى الجملة، نحو :(رَ، قِ، عِ) وهو ما يتوافق كذلك مع البرنامج الأدنويّ لتشومسكي(١) قوامه الاقتصاد والاكتفاء بالأدنى الضروريّ، خاصّة في عمليّات التمثيل بمستوياتها، وفي مراحل عمليات الاشتقاق وأطوارها.

=

استعمال اللّغة"، ١٦٣-١٦٦، المجدوب، "مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية"، ٤٨٩-٤٩٦.

(١) تمثّل الأدنويّة أحدث المناهج اللسّانية في النّحو التّوليدي. وتقوم على فكرة أساسية تتمثّل في أنّ الجملة نتيجة حوسبة تبدأ من تمثيل بنيويّ مجرّد يتغيّر هيكليّا بالاعتماد على بنية التّحويلات. كما تمثل الأدنويّة آخر المراحل في النّحو التّوليدي. ومدار البحوث اللسانيّة أنّ الجملة هي الوحدة الأساسيّة التي تقوم عليها البحوث النّظريّة والتّطبيقيّة في اللّسانيات بعد أن كانت الكلمة لفترة طويلة محور الدّراسات اللّسانية. وقد تعاقبت مفاهيم أساسيّة على اللّسانيات التّشومسكية انطلاقا من هذا البرنامج الأدنويّ نجملها في النّقاط الآتية:
- المعجم الذهنيّ: يخزّن كلّ المعلومات المتعلقة بالوحدات اللّغوية في شكل مداخل معجمية وتعتبره النّظرية التّوليدية جزءا لا يتجزّأ من المنظومة اللغوية.
- قواعد بنية المركّبات: التي تجمع بين عناصر معجمية لتكزون بنى أساسيّة.
- قواعد النقل: التي تحرّك العناصر في الأبنية التركيبيّة.

وقد كانت هذه النّقاط مجالا رئيسا للبحث في الأدنويّة وارتكزت جميعها على مبدأ الاقتصاد الذي يعتبر بدوره أساس حوسبة اللّغات البشريّة. انظر: حافظ إسماعيل، "البرنامج الأدنوي الأسس والثوابت"، ١٧١-١٨٧.

٣. الكفاءة التّواصليّة: حيث يحقق فعل الأمر بلفظة واحدة تغني عن الجملة، وهو ما يتطلبه فعل الأمر الذي يقتضي سرعة الاستجابة في المواقف التّواصليّة.

العنصر الثّاني: الطّلب بحذف الفعل:

ذكر بعض النّحاة أنّ أغلب الحذف عند العرب وقع في فعل الأمر أكثر منه في الخبر قال ناظر الجيش: «كثرة حذفهم فعل الأمر لدلالة الحال عليه، قالوا: ولم يكثر ذلك منهم في الأخبار وإنما يجيء مواضع قليلة تحفظ ولا يقاس عليها»[١]، وقد حذف فعل الطّلب وبقي المفعول في كثير من المسائل النّحويّة، ومنع النّحاة عند حذف الفعل توكيده فقال ابن جني: « فكل ما حذف تخفيفًا فلا يجوز توكيده لتدافع حاليه به من حيث التّوكيد للإسهاب والإطناب والحذف للاختصار والإيجاز. فاعرف ذلك مذهبًا للعرب»[٢]، في إشارة إلى أن الحذف يتناسب مع المقام بأن المخاطب قد علم، والتّوكيد غالبا ما يكون لمخاطب شاكّ، وهذا ينافي غرض الحذف.

وقد ذكر سيبويه المسائل التي حذف فيها الفعل في باب «ما جرى من الأمر والنّهى على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أنّ الرّجل مستغن عن لفظك بالفعل»[٣]، كجواب الاستفهام أو في حال وجود قرينة مقاميّة، وفي أبواب قياسيّة أو سماعية، ويمكن عرض المسائل التي وقعت في مفردة واحدة اختزلت فيها بنية مطوّلة معنى ووظيفة:

(١) ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، ٣: ٣٨٤١، ٣٨٤٢.
(٢) ابن جني، "الخصائص"، ١: ٢٩٠.
(٣) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٥٣.

أوّلا: الحذف القياسي الجائز لدلالة سياقية، أو القرينة المقامية:

يكثر حذف الفعل وفاعله في الاستفهام، لذا يكثر أن نرى الاسم منصوبًا بفعل محذوف وجوبا نحو قولنا:

- زيدًا. في جواب من أكرم؟[١]
- زيدا. في جواب من أضرب؟[٢]

جاء الاسم في هذه الأمثلة منصوبا؛ لأنّه عندما حذف الفعل ودلّت عليه القرينة المقالية جاء السّؤال مطابقا للمحذوف في الإعراب ليدلّ على ذلك المحذوف[٣]، ويجوز أن يقول: أكرم زيدًا، واضرب زيدًا، فالقرينة السّياقية أغنت عن ذكر الفعل، كما أنّ فعل الطلب يتطلّب سرعة الاستجابة، فناسب حذف فعل الأمر مبدأ الاقتصاد اللّغوي في عدم ذكر ما هو معلوم، فالخلفيات المشتركة بين المتخاطبين تغني عن كثرة الكلام.

وكذلك القرينة المقامية أو الاشارات غير اللّفظية أغنت عن اللّفظ بالفعل[٤]، نحو:

(١) انظر: ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، ٤: ١٦٠٤.

(٢) انظر: ابن الحاجب، "الكافية في علم النّحو"، ١٩، الملك المؤيد، "الكناش في فني النّحو والصّرف"، ١: ١٦٠، ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب"، ١: ٧٨٧، الأزهري، "التّصريح بمضمون التّوضيح"، ١: ٤٧٣.

(٣) انظر: سيبويه، "الكتاب" ١: ٩٣، الرّماني، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٩٣٩، "التّذييل والتّكميل"، ٧: ٥٤، ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، ٤: ١٧٥١.

(٤) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٥٣، ابن الوراق، "علل النّحو"، ٢٩٩، الرّماني، "رسالة منازل الحروف"، ٨٢، ابن جني، "الخصائص"، ١: ٢٦٥، ابن الأثير، "البديع في علم العربيّة"، ١: ١٣٩، ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٣١٠، أبو حيان الأندلسي، =

- زيدا، لمن رأيته يضرب، أي: اضرب
- عمرا، لمن رأيته يشتم، أي: اشتم عمرا
- حديثَك. إذا رأيتَ رجلا يحدَّث حديثا فقاطعه شخص، فتقول: حديثَك، أي: أكمل أو أتم حديثك.
- زيدا. والفعل للشَّاهد من الإعطاء، فيقول: زيدا، أي: أعْط زيدا.

حذف الفعل وفاعله وتمّ الاقتصار على المفعول به. وقال ابن جني: «غير أنّ دلالة الحال عليه نابت مناب اللّفظ به. وكذلك قولهم لرجل مهوٍ بسيف في يده: زيدًا، أي اضرب زيدًا. فصارت شهادة الحال بالفعل بدلا من اللّفظ به»[(١)]، فجعلوا الحال المشاهدة عوضا عن اللّفظ بالفعل، فتنبيه النّحاة على جواز حذفه إن دلّ عليه الدّليل يظهر حرصهم على إبراز محاسن العربيّة في مراعاتها لضبط قواعد التّواصل والخلفيات المشتركة بين المتواصلين.

وقد منع النّحاة الحذف إذا انتفت القرينة، فقال ابن الوراق: «فأن تقول: زيدًا، فتضمر الفعل، وهو لم يجر له ذكر، فهذا لا يجوز؛ لأنّه لا يدري أنّك تريد: اضْرِب زيدا، أو أكرمه، فلمّا لم يكن على الضمير دليل، لم يجز»[(٢)]، وقال السّيرافي: «فأمّا ما لا يجوز فيه الإضمار لعامل فأن تقول مبتدئا: زيدا، من غير سبب نحويّ ولا حال حاضرة دالة على معنى»[(٣)]، وبهذا قال ابن يعيش وذلك قوله: «"زيدًا" مثلًا،

=

"التّذييل والتّكميل"، ٧: ٤٤.

(١) ابن جني، "الخصائص"، ١: ٢٨٦.

(٢) ابن الوراق، "علل النّحو"، ٢٢٩، ٣٠٠.

(٣) السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ١٥٣.

وتريد: اضرب زيدًا، وليس ثمّ قرينة تدلّ عليه. فهذا لا يجوز؛ لاحتمال أن يكون المراد: اضرب زيدًا، أو أكرم زيدًا، أو اشتم زيدًا، أو غير ذلك، ممّا لا يحصى، فهذا يكون إلباسًا، فلذلك لا يجوز مثلُه»[(١)]، وقد ذُكر هنا أكثر من نصّ مع تقاربها في المعنى؛ لإبراز جانبٍ من مراعاة النّحاة للجانب التّداولي والخلفيات المشتركة بين المتخاطبين، فإذا انعدمت المعرفة المشتركة لم يجزِ الحذف، وكيف ربطوا الحكم النّحوي بناء على الخلفيات المعرفيّة بين المتكلّمين، وأنّ الأحكام النّحوية في الوجوب والجواز لا تراعي صحة التّركيب النّحوي فقط بل هي مرتبطة بالسّياق التّداولي.

وقد أدرك النّحاة أنّ أكثر الحذف في العربيّة وقع في الأمر؛ لأنّك «تقول لمن أشال سوطًا، أو سدد سهمًا، أو شهر سيفًا: "زيدًا"، أو"عمرًا"، فتستغني بشاهد الحال عن أن تقول: "أوجعْ "، أو "ارْمِ"، أو "اضربْ"، ويكفي من ذلك الإشارةُ وشاهد الحال، وقامت المخاطبة وحضور المأمور مقام اللّفظ بالأمر»[(٢)]، فبينوا أنّ شرط توافق هذه العلاقة الاجتماعيّة بينهما –القائمة على المواجهة بين المتخاطبين مع فعل الأمر – يتطلّب سرعة الاستجابة.

ثانيا: الحذف القياسي الواجب:

ورد ذلك في باب ما ضبط في النّحو بباب التّحذير والإغراء وجعلوه من المنصوب بفعل محذوف وجوبا، فقد سمى سيبويه الباب «ما جرى من الأمر والنهى على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أنّ الرّجل مستغن عن لفظك بالفعل»[(٣)]، ويكون بحسب اللّفظ فالمذموم في التّحذير، والإغراء في المحمود نحو:

(١) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٣١٠.

(٢) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٧، ٨.

(٣) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٥٣.

- الغشَّ الغشَّ.

أي: احذر الغش.

- الأسدَ الأسدَ.

أي: احذر الأسد، قال ابن السراج: «وتقول في النهي: الأسدَ الأسدَ، نهيته أن يقرب الأسد، وهذا الإضمار أجمع في الأمر والنهي، وإنّما يجوز مع المخاطب ولا يجوز مع الغائب»(١)

- الصّدق الصّدق.

أي: الزم الصّدق.

يوحي حذف الفعل في هذه الأمثلة، وتكرار المفردة بضرورة إسراع المخاطب لإيقاعه. أمّا عن المقصود من الكلام أهو التّحذير أم الإغراء فيعود ذلك إلى السّياقات والعادات الاجتماعية. ويظهر ذلك في الأمثلة التي صنّفت عند النّحاة في باب التّحذير والإغراء، لتوافقها في الخصائص التّركيبية، وابتعادها في المعاني، فمثلا قولُ: الغشّ أمر مذموم، قولٌ يستلزم أن يكون تحذيرا، والصّدق من الأمور المحمودة فيلزم أن يكون في باب الإغراء. وتمييز النّحاة بين البابين يظهر جزءا من الجانب التّداولي في التّقعيد. كما يظهر ذلك جليّا بجعل المحذوف من خصائص المخاطب الذي يشاهد الأحوال وليس للغائب كما يظهر في قول ابن السّراج، وقد يكون التّحذير والإغراء دون تكرار، وذلك نحو:

- الكذب. فهو بالخيار وإن شاء أظهر فقال: احذر الكذب.
- الصّلاة. ويجوز أن يقول: الزم أو احضر الصّلاة.

وإن حاول النّحاة ضبطه بالأمور المذمومة والمحمودة، لكن البابين قد

(١) ابن السّراج، "الأصول في النّحو"، ٢: ٢٤٧.

يتداخلان في الحال المشاهدة، فمثلا لو أخطأ الولد في تصرفه متعمدا، وكان يخاف أباه فيقول له المتكلّم:

- أباك أباك.

أي: احذر أباك.

على خلاف إن شاخ الوالد، ويريد من الابن برّه، فيقول:

- أباك أباك.

أي: الزم أباك.

وقد أشار سيبويه أنّها من الأبواب التي حذف فيها الفعل، وعلّل الحذف بقوله: «استغنيتَ عن الفعل بعلمه»[١] فجعل علم المخاطب بالمحذوف مسوغا للحذف، وتظهر هذه القواعد مراعاة النّحاة لقواعد التّواصل.

ثالثا: الحذف السماعي الواجب في المصادر المسموعة:

وهذه المصادر منصوبة بفعل محذوف وبقي المصدر وحده قائما بالمعنى نائبا عن جملة فعلية كاملة، والحذف الواجب أقوى أثرا من الحذف الجائز؛ لأنّ الصيغة استقرت على حذف ما يعلمه المخاطب وغالبا ما تكون في مواضع تتطلّب سرعة الاستجابة، وقد ضَمَّنَت هذه المصادرُ معاني متعددة منها ما جاء في الخبر ومنها ما جاء بمعنى الطّلب، والتي يعنينا منها ما جاء منها على معنى الطّلب؛ وهي:

١. معنى الأمر: وردت عدّة مصادر في معنى الأمر منها:

- صبرًا. وتقال عند ذكر شدّة[٢]، أي: اصبر صبرا.

(١) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٥٣.

(٢) انظر: ابن مالك، "شرح الكافية الشّافية"، ٢: ٦٦١.

- قيامًا. أي: قم قياما.
- قعودا. أي: اقعد قعودا.
- إقداما. أي: أقدمْ إقداما.

فيريد بها المتكلّم النّصح والإرشاد والتّخفيف عن المخاطب بما أصابه، والأمر بها أقل حدّة من الأمر بالفعل (اصبر)، وقد يقولها المتكلّم في سياق ما أصابه من شدّة فيقول: صبرا، أي: اِصبر صبرا(١)، والسّياق بين المتخاطبين كفيل بإبراز المعنى، وكذلك بقية المصادر فالأمر بها أخف من الأمر بالفعل، فهذه المصادرُ (قيامًا، وقعودًا، وإقدامًا) فيها لطف في الأمر أكثر من التّصريح بالفعل.

٢. معنى الدّعاء:

يقع الدّعاء كثيرا في المصادر، قال سيبويه: «واعلم أَنّ الدّعاء بمنزلة الأمر والنّهى، وإنّما قيل: "دعاءٌ"؛ لأنّه استعظم أن يقال: أمر أو نهي»(٢)، قال السّيرافي :«اعلم أن جمهور النّحويين لا يسمون مسألة من هو فوقك أمرًا، وإنّما يسمونها مسألة أو دعاء، وينكرون تسمية ذلك أمرًا»(٣)، ومن ذلك:

أولا: الدّعاء له:

يطلب المتكلّم في هذا الموضع من الله ويدعو لمخاطبه بأن يعطيه ما يريح باله ويسعد به، من الأمور المحمودة، من ذلك:

(١) انظر: ابن القيم، "إرشاد السّالك إلى حل ألفية ابن مالك"، ١: ٣٦٢، والأزهري، "التّصريح بمضمون التّوضيح، ١: ٥٠٣.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ١: ١٤٢.

(٣) السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ٤٩٧.

- سقيًا، أي: سقاك الله سقيا[١]، قال ابن يعيش: «"سَقْيًا لك" لبيان من تعني بالدّعاء. فإن علم الدّاعي أنَّه قد علم من يعني، جاز ألا يأتي به لظُهوره، وربّما جاء به مع العلم تأكيدًا، وإن لم يعلم المعنى بالدّعاء؛ فلا بدّ من الإتيان به»[٢]، فبيّن ابن يعيش أنّ الدّعاء يقع بمفردة واحدة يرجع لسياق التّداولي بين المتخاطبين، فإن كان المخاطب علم المقصود أوجز، وإن لم يعلم بيَّن وأظهر.
- رعيًا: أي: رعاك الله رعيًا.
- هنيئًا. أي: هنأَك الله هنيئا[٣]. «وذلك لشيء تراه عنده مما يأكله وممّا يستمتع به أو يناله من الخير، فاختزل الفعل وجعل بدلا من اللفظ بقولهم هنأك، ويدلّ على ذلك أنّه قد يظهر "هنأك" في الدّعاء»[٤].
- مريئا. أي: صار مريئا سائغا[٥]، فرأى بعض النّحاة أن مريئًا لا تأتي وحدها، فقال أبو حيان: «مريئًا تابع لهنيء، وزعم بعضهم أن مريئًا يستعمل وحده غير تابع لهنيء، ولا يحفظ ذلك إلّا في بيت فرق بينهما»[٦] قال:

كل هنيئًا وما شربت مريئًا ثم قم صاغرًا فغير كريم[٧]

(١) انظر: السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٤٦٣، ٢: ١٤٨.
(٢) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٣٠١.
(٣) الفارسي، "التّعليقة"، ١: ١٩٤.
(٤) السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ٢٠٨.
(٥) انظر: ابن الحداد، "كتاب الأفعال"، ٣: ٢٠٠.
(٦) أبو حيان الأندلسي، "ارتشاف الضّرب"، ٣: ١٣٧٩.
(٧) ورد بلا نسبة في أبو حيان الأندلسي، "ارتشاف الضّرب"، ٣: ١٣٧٩، أبو حيان الأندلسي، "التّذييل والتّكميل"، ٧:٢٢٦.

تنصب هذه المصادر على الفعل المضمر، وجعلوا المصدر بدلا من اللّفظ بالفعل،[١]، ولم يرد في «الباب غير هذين الحرفين، هنيئا مريئا صفة دعائها»[٢].

ثانيا: الدّعاء عليه:

يطلب فيها المتكلّم من الله أن يصيب مخاطبه بأمور غير محمودة، ومن المحال أن تكون العلاقة الاجتماعية بين المتكلّم والمدعو عليه علاقة ودّية، ومن هذه الأفعال الكلامية لإنشاء الدّعاء[٣]:

- جدعا، أي: جدعك الله.
- سحقا، أي: سحقه الله سحقًا.
- عقرا، أي: عقره الله عقرًا.
- بؤسا، أي: أبأسه الله بؤسًا.
- بعدًا، أي: أبعده الله بعدًا.
- بهرا، بمعنى: قهرا، أي: قهروا قهرا.
- جوعا، وجوسا، وجودا، أي: أجاعك الله.
- ونوعا، أي: أعطشك الله.
- تعسا، أي تعس تعسا.
- خيبة، أي: خيبك الله خيبة.

(١) انظر: السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ٢٠٤.

(٢) السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ٢٠٨.

(٣) انظر: الفراهيدي، "الجمل في النحو"، ١: ١١٢، سيبويه، "الكتاب"، ١: ٣١١، المبرد، "المقتضب"، ٣: ٢٢١، السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ٢٠٤، ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٣٠٠، أبو حيان الأندلسي، "التّذييل والتّكميل"، ٧: ١٦٧.

- تربًا، أي: تربت يداك ومعناه: ألزمك الله أو أطعمك الله تربًا، أي: ترابًا [١].
- جندلا، أي: جندلت يداك وجندلًا، أي: صخرًا ومعناه: ألزمك الله أو أطعمك اللهُ صخرا.
- ويلا، أي: أهلكه الله.
- تبا، أي خسرانا لك وهلاكًا.
- ويحا، وويسا، ألزمه الله ويحا، قيل إنها بمعنى الويل وقيل إنه بمعنى الرحمة[٢].
- أفة، وتفّة ودفرا[٣]، بمعنى: نتنًا، وغيرها من الأدعية التي ذكرت في الكتب النّحويّة.

جاءت المفردات التي قامت مقام الجمل في الدّعاء عليه أكثر منها في الدّعاء له. ويتناسب هذا مع السّياق الاجتماعي، فعندما يكون الشّخص في حال غضب يلجأ لمفردة موجزة نابت مناب جملة، كُثّفت فيها الدّلالة؛ لتظهر الشّحنة الانفعالية التي تحتاج إلى تعبير سريع، على خلاف الدّعاء له، فقد يكثر الكلام في الأمور الحميدة؛ ليظهر الرّضا عن المخاطب، وقد وعى النّحاة بذلك من خلال تمييزهم بين الدّعاء له وعليه، كذلك إجازتهم لحذف متعلقات المفردة استغناء بعلم المخاطب، قال ابن يعيش: «وإنّما هو دعاء منك لإنسان كقولك: سقيا ورعيا، أو دعاء عليه كقولك: تعسا وتبّا وجدعا، **وتركوا الفعل استغناء بعلم المخاطب**، وربما جاءوا به توكيدا فقالوا: سقاك الله سقيا»[٤]؛ لأنّ الدّعاء انفعال شديد بالفرح أو الغضب،

(١) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٣٠٠.
(٢) انظر: ابن سيدة، "المخصص"، ٣: ٣٩٢، الرّازي، "مختار الصحاح"، ٣٤٦.
(٣) انظر: ابن الأثير، "البديع في علم العربية"، ١: ١٣١.
(٤) السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ٢٠٥.

ويظهر ذلك في تصنيفهم بالدّعاء له، أو عليه.

ولم يقف النّحاة[١] عند هذا الحدّ بل أشاروا إلى أن بعض الأدعية تتّضمن معاني أخرى حسب السّياق، قال ابن سيدة: «ويْحاً وويْساً هما كنايتان عن الويل؛ لأنّ الويل كلمة شتم معروفة مصرحة، وقد استعملتها العرب حتَّى صارت تعجبا يقولها أحدهم لمن يحبّ ومن يبغض فكنوا بالويس عنها ولذلك قال بعض العلماء الويس رحمة»[٢]، فالمفرّدة الواحدة قد تكون للمخاطب له أو عليه ويرجع ذلك للسّياق الاجتماعي والعلاقة بين المتخاطبين فإن كانت محمودة فالدّعاء له، أو مذمومة فيكون عليه، أو في مقام تعجب فخرجت من الدّعاء، أو في مقام شتم أو غير ذلك.

وقيل: «(ويح) قريبة من الويل، إلّا أنّها أقلّ جفاء منها، وقال بعضهم: (ويح) كلمة فيها استعتاب»[٣]، في إشارة إلى أن استخدام المترادفات في بعض السّياقات ألطف منها من بعض الكلمات واختيار المتكلّم للمفردة الألطف تحدد العلاقة بينهما.

٣. معنى النّهي:

ويعد النّهي الواقع في مفردة واحدة أقلّ من غيره؛ لأنّ الغالب في العربيّة أن يكون النّهي بـ(لا النّاهية)، ومما وقع بمفردة واحدة قولهم:

- حذرا.
- انتباها.

فلما كانت هذه المصادر مضمنة معنى التّحذير الذي يحمل المخاطب على

(١) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٢٩٩.

(٢) ابن سيدة، "المخصص"، ٣: ٣٩٢.

(٣) إيهاب سلامة،" شرح أبي العلاء والخطيب التّبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحويّة صرفيّة"، ٤٠٥.

الحذر من القيام بالفعل سميت نهيًا، والنّهي من السّياقات التي تتطلب سرعة الاستجابة فناسبها الحذف.

٤. المصادر الدّالة على التّحية والدّعاء:

وقد أدرج هذا المعنى تحت الطلب مع كونه من المصادر الدّالة على التّحية والاستقبال؛ لأنّها مضمّنة معنى الدّعاء مع دلالتها على الاستهلال، وتظهر مصادر التّحية تداوليّة العرب، فأكثر ما يسر به الإنسان هو الدّعاء، لذلك كانت تحية العرب بالدّعوات الموجزة للمخاطب التي تظهر حسن العلاقة بينهم وإظهار الانفعال الشّديد بالفرح، ويمكن إدراج هذه المصادر ضمن باب الدّعاء له، لكننا نجد من المصادر ما أفردت لمصادر التّحية؛ لأنّها من أهم العلاقات الاجتماعية عند اللّقاء، ومن أبرز مصادر التّحية ما يلي:

- سلاما: منصوب بفعل محذوف تقديره اسلَمْ سلاما، «ولكنّه على قولك: " براءة منكم " وتسلُّما، لا خير بيننا وبينكم ولا شرَّ»[(١)]، فكأنّه أعطاه عهداً بالمسالمة.
- أهلا، أي: صادفت وأصبت أهلا وسعة وأنسا؛ لأنّ الإنسان إنّما يأنَس بأهله[(٢)].
- سهلا، أي: وطئت أو أصبت مكانًا سهلًا لا حزنًا وخشونةً[(٣)].
- مرحبا. أي: رحبت بلادك رحبا[(٤)].

(١) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٣٢٥.
(٢) انظر: السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ١٩٣، ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٣٩٦.
(٣) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٣٩٦.
(٤) المبرد، "المقتضب"، ٣: ٢١٨.

قال المبرد لما وقف على التّحايا: «وَمَعْنَاهُ: الدُّعَاء»[1]، وقال ابن يعيش في تقدير المحذوف: «إنّما قدّرها بالفعل، لأنّ الدعاء إنّما يكون بفعل، فرَدَّه إلى فعل من لفظ المدعوّ به»[2]، فلمّا كان الحذف كثيرا في الطّلب وقع في التّحية الحقيقية؛ لأنّها من المصادر التي تكثر استعمالها في السّياقات الاجتماعية، فكانت أولى بالاختصار والإيجاز من غيرها، كما تظهر هذه المصادر قيمة الاستقبال والتّحية إذ كونها مرتبطة بما يعظمه المجتمع وهو الدّعاء.

يعدّ الحذف من المعاني التّداوليّة لأنّه ارتبط بسياقات اجتماعية معينة فاتجّهت هذه المصادر من المتكلّم للمخاطب وسعت إلى التّأثير في المخاطب وحمله على فعل الفعل أو تركه، بخلاف المصادر المضمّنة معنى الخبر. فهي تتّجه من المتكلّم نحو الخارج، كما يظهر أنّ الحذف وقع كثيرا فيما يتّصل بالحوارات والاستعمالات اليوميّة.

(١) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٩٥.

(٢) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١: ٣٩٦.

ويمكن مقارنة هذه الأعمال التي وقع فيها حذف فعل الطّلب تداوليًّا:

الحذف	الوجه التّداولي				
	الفعل الإنجازي	السّياق السّابق	الوظيفة التّداوليّة	القوّة الإنجازيّة	التّأثير في المتلقي
الحذف الجائز	فعل توجيهي مباشر	كلام تمهيدي سابق أو استفهام مباشر	التّنويع بين الإيجاز والإطناب حسب مقتضى الحال	قوّة متوسطة عند الحذف وتقوى عند الذكر الأمر المباشر	تأثير مرن بين الالزام أو التوجيه أو الإرشاد
الحذف الواجب القياسي	فعل توجيهي مضمر	وجود أمر محمود أو مذموم	التّكثيف الدّلالي من خلال تكرار المفردة	قوّة عالية ومركزة والإلحاح على فعل المذكور أو تركه	تأثير مباشر وقوي يشعر المتلقي بأهميّة الاستجابة الفورية
الحذف الواجب السماعي	فعل توجيهي مضمر	سياق تعبيري متوارث عبر الأجيال	الاقتصاد اللغوي في صيغ اجتماعية جاهزة، تتناسب مع الاستعمالات اليومية	قوّة أضعف من سابقتيها؛ لأنّها تلقائية	تأثير سريع وتلقائي فقد يحقق الألفة كما في مصادر التّحية، والدّعاء له، وقد يولد الغضب كما في الدّعاء عليه، وقد يولد التّوجيه والإرشاد كما في مصادر الأمر أو الاجتناب كما في مصادر النّهي

ويكشف الحذف عن وعي العرب بعدة مسائل تداوليّة[1] نذكر منها:

(١) انظر: أوزوالد دوكرو، جان، ماري شافار، "القاموس الموسوعي للتّداولية"، ٢١١-٢١٩، =

١. مبدأ التّعاون، وخاصة قاعدة الكمية التي تقتضي أن يكون الكلام قدر الحاجة، فتنوع المصادر المذكورة في سياقات اجتماعية متعددة توحي بأنّ العرب راعت حاجات المتكلّم في أثناء الحديث، فحذف ما دلّ عليه السّياق اللغوي أو السّياق الخارجي.
٢. الاقتصاد اللغوي، وهذا يتوافق مع هذه العناصر التي قامت فيها الكلمة مقام جملة بفعل محذوف جوازا أو جوبا، وهو ما يوافق قول ابن جني: «واعلم أن العرب –مع ما ذكرنا– إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد»(١)، حيث يعتمد المتكلّم على المعرفة المشتركة ليكون المعنى ظاهرا عند المخاطب.
٣. الملاءمة، والتي تقض أن يبذل المخاطب جهدا في تأويل المعنى، ويظهر ذلك مثلا في بعض الأدعية التي يحدد السّياق هل هي للمخاطب أو عليه، فالمخاطب يفهم المعنى من خلال سياقات لغوية أو خارجية، لا يحتاج لتّكرارها أثناء الخطاب.

العنصر الثّالث: أسماء الأفعال:

وُضعت أسماءُ الأفعال لتدلّ على صيغ الأفعال، كما تدلّ الأسماء على مسمَّياتها، وتنقسم إلى قسمين منها ما يؤدّي معنى الخبر وأغلبها يؤدّي معنى الأمر؛ «لأنّ الغرض بها الإيجاز مع ضرب من المبالغة. وذلك بابُه الأمر؛ لأنّه الموضع الذي

=

مسعود صحراوي، "التّداولية عند علماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللساني العربي"، ٣٠–٣٩، المجدوب، "مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربيّة"، ٤٨٩–٤٩٦.

(١) ابن جني، "الخصائص"، ١: ٨٤.

يجتزأ فيه بالإشارة، وقرينة حال، أو لفظ عن التّصريح بلفظ الأمر»[١]، وسنعنى هنا ما دلّ منها على الأمر[٢]:

١. الأمر المباشر:

- هَلُمَّ، أي: إيت، وتعال.
- حيّ، على انفرادها كانت بمعنى: أقبل.
- هلّا، على انفرادها كانت بمعنى: تقدّم.
- حَيَّهَلَ، أي: عجل، أو أقبل أو ادعُ.
- نَزالِ، أي: انزل.
- بَراكِ، أي: ابْرُكْ.
- دَراكِ، أي: أَدْرِكْ
- نَعاءِ، أي: انْعَهُ، أي: أَظْهر خبر وفاته.
- نظار، أي: انظر.
- قرقار، أي: قرقر.
- يأيأ، في زجر الخيل.

(١) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣:٧.

(٢) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٣٠٢، المبرد، "المقتضب"، ٣: ١٧٩– ٢٠٢، ابن السّراج، "الأصول في النّحو"، ٢:١٣٠، ابن الوراق، "علل النّحو"، ٤٣٥، السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٢: ١٤٣، ٤: ٣٩، السّيرافي، "شرح أبيات سيبويه"، ٢: ٢٧٠، الجزولي، "المقدمة الجزولية في النّحو"،٢٢٥، ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٣–٩٢، محمد بن مالك، "شرح ابن الناظم"، ١: ٤٣٥–٤٣٨، ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، ٨: ٣٨٣٥– ٣٨٦٦.

- سَأ وتُشُؤْ، دعاء للحمار إلى الشرْب.
- جاهِ، زجر للسبُع.
- "قُوسْ، دعاء للكلب

قال ابن يعيش: «ومن الأصوات؛ لأنّ أسماء الأفعال والأصوات متواخيةٌ؛ لأنّها مزجورٌ بها، كما أنّ الأصوات كذلك»(١)، والزّجر في الأصوات كثير يصعب حصرها هنا.

٢. الطّلب المهذب والاستئناس:

- إيه، زد في الحديث.
- ها وهاء، أي: خُذ.
- هَيتَ وهيّا، أسرع، وقيل أنّها ترد للخبر والأمر(٢).
- دَعْ، ومعناه: انْتَعِشْ، «يقال ذلك للعاثر، أو لمنْ أصابتْه حادثة»(٣).

٣. الكفّ والمنع والزّجر:

- صه، أي: اسكت.
- مه، أي: كفّ.
- إيها، أي: كفّ.
- رويد، وتيد، أي: أمهل.
- بَلْه، كذاك، أي: دع.
- تراكِ، اترك.
- مناع، أي: امنع.

(١) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٨٩.
(٢) انظر: أبو حيان الأندلسي، "ارتشاف الضّرب"، ٥: ٢٢٩٥.
(٣) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ١٦.

- بَسّ، بمعنَى: اكْتَفِ، أو ارفق.
- مِضّ، وهو اسم بمعنى "اعْذِرْ"، والمراد به الردّ على إطماع[١]
- بَجَلْ، فتكون من أسماء الأفعال معناها: اكْتَفِ، واقْطَعْ، وقد ترد بعدة معانٍ، منها حرف جواب، واسم فعل بمعنى المضي والسّياق يظهر المعنى[٢].
- إخ. اسم للفظ الفعل: أكره، وأتكره.
- كخ. اسم للفظ الفعل: أكره، وأتكره.
- وحَجْ، وعَهْ، وعِيزَ، زجر للضّأن.

٤. التّحذير والتّنبيه[٣]:

- حذار.
- تيد، أي مهلا.
- رويدا، أي: أمهل.

٥. الدّعاء:

- آمين: استجب

٦. الاستفهام:

- مهيم؟ اسم فعل معناه الاستفهام، معناه: ما وراءك، أو أحدث لك شيء[٤].

(١) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٩٢.

(٢) انظر: أبو حيان الأندلسي، "ارتشاف الضرب"، ٥: ٢٢٩٥، حروف الجواب، في مقال "الخبر في المفردة الواقعة موقع الجملة في النّحو العربي دراسة تداوليّة".

(٣) انظر: ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، ٨: ٣٨٤٢.

(٤) انظر: أبو حيان الأندلسي، "ارتشاف الضرب"، ٥: ٢٣٠٠، ناظر الجيش، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، ٨: ٣٨٤٣.

وتمثّل أسماء الأفعال قمّة الإيجاز فهي تحمل اقتصادا لغويا دون أن يفقد شيئا من معناه، بل يزيد أحيانا في القوّة التّأثيرية على الفعل في كثافة لغوية تضع معنى جملة في لفظة واحدة، فمثلا (صه) أقوى في الدّلالة والبلاغة من قولك: (اسكت) فصيغة اسم الفعل حملت معنى قاطعا وحكما قويا في السّكوت دون إطالة أو إسهاب أو إخلال في المعنى، وهو ما نبه له ابن يعيش فقال: « وأما المبالغة، فإنّ قولنا: (صَهْ) أبلغ في المعنى من "اسْكُتْ"، وكذلك البواقي»[1]، فهي من الأسماء التي تستعمل في ضبط سلوك المخاطب وتوجيهه بشكل قاطع وهذا يتطلّب حسما سريعا فيأتي بالاسم الذي هو أبلغ من الفعل (اسكت عن الكلام)، فكأنّه حديث غير مناسب فأمره بالسّكوت.

ولم يكتفِ النّحاة في ضبط قاعدة التّعريف والتّنكير، بل بينوا أثرها، ففرقوا بين الأسماء التي يدخلها التعريف والتّنكير معا، فقالوا: «منها ما يُستعمل معرفة ونكرة، ومنها ما لم يستعمل إلَّا معرفة، ومنها ما لم يستعمل إلَّا نكرة. فالأوّل نحو قولك: (إيهِ، وإيهٍ)، و(صَهْ، وصَهٍ)، و(مَهْ، ومَهٍ)»[2]، كما ميّزوا بين المعنيين فقالوا: « وإذا قلت: (صهْ) بغير تنوين أمرته بالسكوت المعهود، وإذا نونت أمرته بسكوت ما»[3]، فأظهروا أثر المقام في صياغة القاعدة بين التّنكير والتّعريف، فهل يريد المتكلّم السّكوت تماما أو السّكوت عن الموضوع الذي يتحدّث فيه المخاطب. فقد يتحدّث في موضوع خاص فيقول له: (صهْ)، أي أسكت عن هذا الموضوع ولا يمنعه من الحديث في غيره، فإن قال له: (صهٍ) فيريد السّكوت التّام إمّا لكون حديثه مزعجا فأراد السّكوت التّام، فجاء باسم يحمل قوّة إنجازيّة صريحة ومناسبٍ لحمل المخاطب

(١) ابن يعيش، " المفصل"، ٣: ٤.

(٢) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٨٠.

(٣) الملك المؤيد، "الكناش في فني النحو والصرف"، ٢: ١٢٤.

إلى القيام بالفعل، ومثله (إيهِ) فيريد الاستزادة في ذات الموضوع، وإذا نكّر (إيهٍ) فيريد بالتّنكير الاستزادة بأي موضوع، وكذلك (مهْ) يريد الكف عن الأمر المعهود، فإذا نكر أراد الكفّ عن كل شيء.

كما ينطبق ذلك على باقي أسماء الأفعال في كونها وضعت للاختصار والإيجاز والمبالغة [١] فقالوا: «لِما ذكرناه من إرادة الإيجاز والمبالغة في المعنى، فـ (نَزالِ) أبلغ في المعنى من (انْزِلْ)» [٢] وهكذا دواليك، فتعدّ أسماء الأفعال والأصوات قوّة إنجازية مباشرة وصريحة تحمل معنى الفعل حتّى أصبحت كالعلم عليها[٣]، وهذا يتناسب مع الأمر الذي يتطلب سرعة الإيقاع فجاءت المفردات مختصرة موجزة اختزلت الجملة الفعليّة في مفردة واحدة. وقد تتضمّن المفردة أكثر من معنى [٤] كما أشرنا إلى هذه المعاني التي ضبطها النّحاة عند ذكر الاسم، و يدلّ السّياق على أحد هذه المعاني، وهو ما أشار إليه ابن يعيش فقال:« وقد تقدم أنّ باب هذه الأسماء إنّما الأمر للمخاطَب؛ لأنّ أمر المخاطب يُكتفى معه بشاهد الحال»[٥]، فجعل الإشارات غير اللّفظيّة محدّدة للمعنى لكون الأمر للمخاطب والمخاطب حاضر شاهد لما يحصل فيفهم المقصود من خلال السّياق، ونابت هذه الأسماء عن فعل الأمر فأدّت معناه، وحملت قوّة إنجازيّة سريعة ومباشرة.

(١) انظر: ابن الأثير، "البديع في علم العربية"، ١: ٥٣١، الملك المؤيد، "الكناش في فني النحو والصرف"، ١: ٢٧٤.

(٢) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٤٧.

(٣) انظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣:٣.

(٤) الجزولي، "المقدمة الجزولية في النّحو"، ٢٢٥.

(٥) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ١٦.

ويمكن مقارنة هذه المعاني من وجهة تداوليّة على النّحو الآتي:

المعاني	الوجه التّداولي				
	الفعل الإنجازي	السّياق	الوظيفة التّداوليّة	القوّة الإنجازيّة	التّأثير في المتلقي
الأمر المباشر	توجيهي مباشر	علاقة سلطة أو موقف يتطلب الحسم	إلزام المخاطب بتنفيذ الأمر فورا	قويّة جدا	الامتثال، أو يشعر بالإلزام بفعل المطلوب
الطّلب المهذب والاستئناس	توجيهي غير مباشر	احترام للمخاطب فكأنّه يعرض عليه	طلب القيام بالفعل مع اشعار المخاطب بالاختيار	متوسّطة أو ضعيفة	الشعور بالاحترام، والقبول الطّوعي
الكف والمنع والزجر	توجيهي سلبي	فعل أو تصرف خاطئ.	منعه المخاطب من الفعل بشكل قاطع وحاسم	قويّة جدا	التّوقف المباشر، ويشعر بالرّدع
التّحذير والتّنبيه	توجيهي	وجود خطر، أو عواقب غير محمودة من فعله	إعلامه المخاطب وتجنيبه الخّطر	قويّة؛ لكونها تنبيهات استباقية	الحذر أو الشعور بالخطر فيتجنّبه.
الدّعاء	طلبي موجه للخالق	حاجة أو رجاء عاجز عن تحقيقه بذاته	التّماس تحقيق الفعل	ضعيفة غير ملزمة، لكن تحمل قوّة انفعالية من المتكلّم	إظهار الضعف والحاجة للخالق
الاستفهام الطّلبي	توجيهي استفهام ظاهر	وجود حالة ترقب لم خفي عن السائل، وجود حدث للمخاطب	حث المخاطب على الاسراع في الاجابة	متوسطة تتطلب الإجابة	تشجيع وحث المخاطب على الإخبار عمّا حدث له.

وحقق اسم فعل الطّلب عدّة مسائل تداوليّة أساسيّة[١]:

٧. **مبدأ التّعاون:** وخاصة قاعدة الكميّة التي حقق التّوازن المثالي بين الإيجاز والمبالغة والإفادة، بسرعة إيصال المعنى في المواقف العاجلة مع تجنب الحشو الذي يضعف القوّة الإنجازية، ويظهر ذلك من خلال قول ابن يعيش: «الغرض منها الإيجاز والاختصار، ونوعٌ من المبالغة»[٢].

٨. **مبدأ** الاقتصاد اللّغوي: تحقق أسماء الأفعال أقصى معنى بأقل جهد منطقي، وتحمل دلالة كبيرة تقوم مقام جملة، ويظهر ذلك من قول صاحب حماة: «فائدة أسماء الأفعال؛ الاختصار»[٣]

٩. **الكفاءة** التّواصليّة: تحقيق سرعة الاستجابة في المواقف الطّارئة، والوضوح والتّكيف السّياقي، وهو ما يظهره قول النّحاة: « وأما المبالغة، فإنّ قولنا: (صَهْ) أبلغ في المعنى من "اسْكُتْ"، وكذلك البواقي»[٤]

١٠. **مبدأ** الملاءمة: تحقيق أثرٍ إدراكيٍّ بجهد أقل.

(١) انظر: أوزوالد دوكرو، جان، ماري شافار، "القاموس الموسوعي للتّداولية"، ٢١١-٢١٩ ، مسعود صحراوي، "التّداولية عند علماء العرب"،٣٣- ٤٠، محمود عكاشة، "النّظريّة البراجماتيّة اللّسانية التّداوليّة دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، ٩١- ١١٥، أحمد المتوكل، "اللّسانيّات الوظيفيّة مدخل نظري"، ٢١-٣٢، حافظ إسماعيل يعلوي، "التّداوليات علم استعمال اللّغة"، ١٦٣-١٦٦، المجدوب، "مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربيّة"، ٤٨٩-٤٩٦.

(٢) ابن يعيش، "شرح المفصل، ٣: ٣.

(٣) الملك المؤيد، الكناش في فني النحو والصرف"، ١: ٢٧٤.

(٤) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٤.

العنصر الرّابع: الحكاية، والتّركيب:

أولا: الحكاية:

وقعت الحكاية في مسائل كثيرة لكن ما سيعنى به البحثُ هنا حكاية الاستفهام؛ لكونه وقع في مفردة واحدة ضمنت معنى جملة، وتقع الحكاية في اسمي الاستفهام (من) و(أي)، وقد ضبط النّحاة قواعد الحكاية، إذ تكون في الاستفهام عن نكرة[1]:

- فيقول قائل: جاء رجل؟
- فيقول السّائل: منو؟ أو منْ؟ في الوقف، وفي (أي): أيُّ؟
- أو يقول قائل: رأيت رجلا؟
- فيقول السّائل: منا؟ في الوصل والوقف، وفي (أي): أيًّا؟
- أو يقول قائل: مررت برجلٍ؟
- فيقول السّائل: مني؟ أو منْ؟ في الوقف، وفي (أي): أيٍّ؟
- أو يقول قائل: جاء رجلان؟
- فيقول السّائل: منَان؟ وفي (أي): أيّان؟
- أو يقول قائل: رأيت رجلين؟
- فيقول السّائل: منَين؟، وفي (أي): أيَينِ؟
- أو يقول قائل: مررت برجلين؟

(١) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ٢: ٤٠٨–٤١١، المبرد، "المقتضب"، ٢: ٣٠٦– ٣٠٨، ابن السّراج، "الأصول في النّحو"، ٢: ٣٩٤، السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٣: ١٧٣– ١٧٥، الفارسي، "التّعليقة"، ٢: ١١٥، الرّماني، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٧٢٦– ٧٤٠، ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٢: ٤١٧.

- فيقول السّائل: منَين؟، في (أي): أيَينِ؟
- أو يقول قائل: جاء رجال؟
- فيقول السّائل: منُون؟، في (أي): أيُّونَ؟
- أو يقول قائل: رأيت رجالا؟
- فيقول السّائل: منِين؟، وفي (أي): أيِينَ؟
- أو يقول قائل: مررت برجالٍ؟
- فيقول السّائل: منِين؟، وفي (أي): أيِينَ؟
- أو يقول قائل: جاءت امرأة؟
- فيقول السّائل: منه؟، وفي (أي): أيّةٌ؟
- أو يقول قائل: رأيت امرأة؟
- فيقول السّائل: منَه؟، وفي (أي): أيَّةً؟
- أو يقول قائل: جاءت امرأتان؟
- فيقول السّائل: مَنْتَانْ ؟، وفي (أي): أيَّتان؟
- أو يقول قائل: رأيت امرأتَيْن؟
- فيقول السّائل: مَنْتَيْنْ؟، وفي (أي): أيَّتين؟
- أو يقول قائل: مررت بامرأتَيْن؟
- فيقول السّائل: مَنْتَيْنْ؟ وفي (أي): أيَّتين؟
- أو يقول قائل: جاءت نساء؟
- فيقول السّائل: مَنَاتٌ؟، وفي (أي): أيَّاتٌ؟
- أو يقول قائل: رأيت نساء؟
- فيقول السّائل: مَنَاتٍ؟، وفي (أي): أيَّاتٍ؟
- أو يقول قائل: مررت بنساء؟

– فيقول السّائل: مَنَاتٍ؟، وفي (أي): أيَّاتٍ؟

يُسأل عن النّكرة في باب الحكاية بمفردة واحدة تؤدّي دور الجملة، فمثلا: (منو) كأنّه قال: من هذا الرّجل؟، وألزم النّحاة أن تكون الحكاية في الاستفهام في باب النّكرة دون المعرفة مراعاة للعلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين؛ لأنّ النّكرة يجهلها المخاطَب، في حين المعرفة الغالب أن تكون معلومة عند المخاطَب، لذا قال الرّماني في منع حكاية المعرفة: «والمعرفة تكتفي ببيانها عن الزّيادة، وإنْ كان قد يعرض فيها التّنكير الذي لا يعتدّ به؛ لأنّه عارض؟ .

رأيت عبد الله, أو قال: مررت بعبد الله, أن تقول: أيٌّ عبد الله؟ , فتستأنف الاستفهام؛ لاستغناء المعرفة عن الحكاية»[1]، فرأى أنّ الغالب في العلاقات الاجتماعيّة أن يكون المخاطَب عالما بالعلَم المعرفة، والجهل عارض وقليل بين المتخاطبين لذا لم تعتّد به العرب في باب الحكاية، لأنّ في السّؤال قوّة إنجازية يطلب بها المتكلّم من مخاطبه أن يخبره بما جهله من حديثه، لذلك طلب النّحاة أن يكون الإعراب في الحكاية مطابقا لقوله كما بينا في الأمثلة السّابقة وهو ما أشار له ابن يعيش فقال: «اعلم أنّ الاستفهام هنا استثبات، وهو ضرب من الحكاية، والغرض به إعلام السامع أنّه قد تقدم كلام هذا إعرابه، خوفًا من أن يكون عرض له غفلة من استماع الكلام المتقدّم»[2]، وقد أشار النّحاة في هذا النّص الطّريف إلى الرّبط بين السّياق التّداولي وبين التّقعيد النّحوي، مراعين سياق العلاقات الاجتماعية في قاعدتي التّعريف والتّنكير، وفي باب الإعراب.

وما زالت الحكاية مستخدمة حتّى الآن في بعض لهجات العرب لكن اللّحن

(١) الرّماني، "شرح كتاب سيبويه"،١: ٧٣٤.

(٢) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٢: ٤١٧.

دخلها كما في كلمة (منو) عند أهل الكويت للاستفهام عن مجهول لكنها استعملت في الرّفع النّصب والجر بصيغة وحدة، وهذا مخالف للاستعمال الفصيح الذي يشترط أن يكون لفظ الحكاية موافقا للسّياق السّابق.

ثانيا: التّركيب:

باب التّركيب واسع ولا يمكن حصر هنا، لكن ما سنُعنى به هنا ما وجد عن العرب من بعض المفردات التي ركّبت من كلمين وأدّت دور الجملة بمتعلقاتها، نحو(١):

- ويلمِّه، والأصل: وَيْلٌ لأمّه.
- أيش، أصلها: أي شيء؟

فالمتأمّل في المفردات السّابقة يرى أن التّركيب واقع في سياقي الدّعاء (ويلمّه)، والاستفهام (أيش)، وتكثر هذه الأساليب في الاستخدام اليومي، وهو ما تنبّه له النّحاة بأنّ الحذف تخفيف لكثرة الاستخدام قال سيبويه: «ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم كما قالوا: ويلمّه يريدون ويْ لأمه... وجعلت بمنزلة حرف واحد»(٢)، وقال ابن يعيش: « والوجهُ في ذلك كثرةُ استعمالها، ولكثرة الاستعمال أثر في التّغيير، ألا ترى أنّهم قالوا: (أيْش)، والمراد: (أيُّ شيءٍ)، وقالوا: (وَيْلُمِّهِ)، ...، فغيروا هذه الأشياء عن مقتضاها لضرب من التخفيف عند كثرة الاستعمال»(٣)، فاللّغة وسيلة تؤدّي مقاصد النّاس واستعمالهم فغضب المتكلّم وانفعاله جعله يختزل جملة في مفردة

(١) انظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥، السّيرافي، "شرح كتاب سيبويه"،١: ٣، ٤١، ٣: ١٩٠-١٩٣، الفارسي، "التّعليقة"، ٢: ١٢٦، ابن جني، "الخصائص"، ٣: ١٥٢، ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ١٣٠، ٤: ٢٢٦.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥.

(٣) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ١٣٠.

واحدة تناسب شدّة انفعاله وسرعة غضبه، وكذلك مفردة (أيش) وهي لاتزال تستعمل حتى يومنا هذا يقولها السّائل يطلب من مخاطبه ضرورةَ إخباره بمقاصده، وتتضمن أحيانا معنى الغضب أو التّعجب، فناسبه ذلك الاختصار.

ويظهر وعي النّحاة في تقعيد القواعد بإبراز العلاقة بين المتخاطبين وكثرة الاستعمال التي جوّزت حكاية الكلمات، وتركيبها، ويمكن مقارنة هذ المسائل تداوليًّا[1] على النّحو الآتي:

(١) انظر: محمود عكاشة، "النّظريّة البراجماتيّة اللّسانية التّداوليّة دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، ٨٣-١١٥.

المسائل	الوجه التّداولي				
	الفعل الإنجازي	السّياق	الوظيفة التّداوليّة	القوّة الإنجازيّة	التّأثير في المتلقي
الحكاية	استفهام ظاهر	وجود سياق سابق،	استخبار تفاعلي؛ لتنبيه المخاطَب على عدم الغفلة عن المقصود من خلال حركة الإعراب	متوسطة تتطلب الإجابة	حث المخاطَب على إخباره بالمسؤول عنه
التّركب	طلب موجه للخالق (ويلمّه) لوقوع فعلا ما على المدعو عليه	غضب المتكلّم	اظهار السّخط تجاه المدعو عليه	ضعيفة غير ملزمة، لكن تحمل شحنة انفعالية قويّة من المتكلّم	الخوف والغضب من مخاطِبه
	واستفهام ظاهر (أيش)	وجود أمر ما عند المخاطَب	استخبار يحمل شنة انفعالية يحددها السّياق (استخبار، غضب، تعجب..	متوسطة تتطلب الإجابة	تشجيع وحث المخاطب على الإخبار عمّا حدث.

انطلاقا ممّا سبق حقّقت مسألة الحكاية والتّركيب عدّة مسائل تداوليّة أساسيّة:

١. مبدأ التّعاون: وخاصة قاعدة الكميّة التي تقتضي أن يعطي التّركيب المطلوب دون زيادة، ويظهر من خلال قاعدة الإعراب في باب الحكاية، أو التّركيب للكلمات لإظهار الشحنة الانفعالية.

٢. مبدأ الاقتصاد اللّغوي: يتمثل في تحقيق المسائل السّابقة (الحكاية، والتّركيب) أقصى تواصل بأقل جهد، وهو ما ذكره ابن يعيش وقال ابن يعيش: «والوجهُ في ذلك كثرةُ استعمالها، ولكثرة الاستعمال أثر في التّغيير...، فغيروا هذه

الأشياء عن مقتضاها لضرب من التخفيف عند كثرة الاستعمال»[1].

٣. الكفاءة التّواصليّة: نسبة المعلومة إلى الجهد المبذول، ويظهر ذلك جليا في لفظة واحدة قامت مقام جملة، فمثلا (منو) فهم المخاطَب أن المسؤول عنه الفاعل من خلال حركة الإعراب، ويظهر ذلك جليا في تفسير النّحاة «اعلم أنّ الاستفهام هنا استثبات، وهو ضرب من الحكاية، والغرض به إعلام السامع أنّه قد تقدم كلام هذا إعرابه، خوفًا من أن يكون عرض له غفلة من استماع الكلام المتقدّم»[2]، فأدّت المعلومة كاملة بكلمة واحدة متبوعة بعلامة إعرابية.

٤. مبدأ الملاءمة: يميل الإدراك البشري لمعالجة المعلومات التي تحقق أكبر تأثير معرفي بأقل جهد، ويظهر هذا في ميل العرب إلى التلفّظ بجملة كاملة لحكايته بلفظة واحدة وضبط قواعدها، وكذلك تركيب عدّة كلمات بكلمة واحدة تعطي معنى الجملة.

(١) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ١٣٠.

(٢) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٢: ٤١٧.

الخاتمة:

يؤدّي وقوع الطّلب في كلمة واحدة معاني متنوعة كالأمر والنّهي والاستفهام والعرض وغيره. ويُعد ذلك من باب الاقتصاد اللّغوي. وهو ما يُفصح عن ثراء اللّغة العربية وقدرتها على اختزال معانٍ متعدّدة في بنية واحدة. وبدا عدم اقتصار اللّغة على فهم البنية النّحوية أو الدّلالة المعجمية بل تعدّاه إلى فهم السّياق التّواصلي، ويظهر ذلك في عدد من المسائل نذكر منها:

١. يوحي فعل الأمر (اِفعل) إلى أن القائل به يصدر أوامر مباشرة لمخاطبه غير قابلة للنّقاش. لكنّه قد يخرج في العربية إلى معانٍ تداولية تظهر من خلال تمييز النّحاة بين الأفعال الدّالة على الأمر والأفعال الدّلة على الدّعاء مع مشاركته خصائص بنية الأمر إلّا أنهم أسموه بالدّعاء؛ لكونه يظهر جانب التّذلل والرّجاء. فالمخاطب لا يطلب من (المعبود). ولكنّهم لما رأوا الاطراد في خروجه عن معنى الأمر لأسباب سياقية سموه بالدّعاء، كما تخرج صيغة (اِفعل) عن التّوجيه المباشر نحو: قول الرّجل لمخاطبه (انزل) عندما يكون عند بيته ما يجلّي جانب العرض والرّغبة الملحة في تضييفه كما أشار إلى ذلك ابن السّراج.

٢. ورد بناء المفردات في العربيّة متوافقا مع معنى الطّلب التي يتضمّن قوّة إنجازية مباشرة وسريعة. فوقع فعل الأمر تارة في حرفين، وطورا في حرف معجمي واحد يؤدّي دور الجملة ويتناسب مع خصائصه التي تتطلب السّرعة نحو: (رَ) بمعنى أُنظر، فلو لم يكن في سياق يتطلب الأمر لما عرف المتكلّم قصده. فقام الحرف مقام الجملة. كما وقعت المفردة موقع الجملة. ما يبرر القول بأنّ وضع المفردة في سياقها الصّحيح قد يكون أبلغ من الجملة. فلو كان المتكلّم في موقف يخشى أن يفوت على مخاطبه فإنّه يقول له: (رَ) ليرى مخاطبه ما يريد منه أن يراه فأوقع الأمر بحرف يتطلب سرعة استجابة بأبسط بنية، ولو قال قائل: (رَ) مجرّدة من

سياقها التّواصلي لم يفهم مخاطبه منه إلا أنّه نطق بحرف الهجاء.

٣. يبرز التّكثيف الدّلالي في الأمر بدخول نون التّوكيد وامتزاجها بفعل الأمر بنجاعة التّواصل في المقامات التي تتطلب استجابة فوريّة.

٤. استدراك النّحاة على أنّ المواجهة بين المتخاطبين أوجب استتارَ الضمير في فعل الأمر. فأغنت الإشارات غير اللّفظيّة عن ذكر المخاطب.

٥. نزّل النّحاة السّياق والإشارات غير اللّفظية منزلة اللّفظ بالكلام، فجعلوا شهادة الحال بالفعل بدلا من اللّفظ به.

٦. أشار النّحاة إلى أنّ الحذف في الطّلب أكثر منه في الخبر. ويبرز ذلك مراعاة العربيّة للخصائص السّياقية التّداولية. فلا يتطلّب الأمر كثرة الكلام بل يطلب المتكلّم من مخاطبه سرعة الإنجاز فجاءت خصائصه النّحوية متناسبة مع هذه السّرعة.

٧. قد تحمل المفردة الواحدة أكثر من معنى. وقد تكون دعاء للمخاطب أو عليه، أو تعجّبا أو غير ذلك. ويرجع فضل تحديد المعنى للسّياق الاجتماعي والعلاقة بين المتخاطبين. فإن كانت محمودة فالدّعاء له، وإن كانت مذمومة فيكون عليه، أو في مقام تعجب فتخرج من الدّعاء، أو شتم أو غيره.

٨. أنّ الحذف وقع كثيرا فيما يرتب بالاستعمالات اليومية كالتّحية والدّعاء.

٩. أنّ أسماء الأفعال والأصوات وضعت للإيجاز والاختصار؛ لأنّ أسماء الافعال لأمر المخاطب وأمر المخاطب يُكتفى معه بشاهد الحال الذي يقتضي سرعة الاستجابة.

١٠. اقترنت قاعدة التّعريف والتّنكير عند النّحاة بالسّياق التّداولي والخلفيات المشتركة بين المتخاطبين، فيعرف من خلال اختيار أحدهما هل المراد الكف العام عن الفعل، أو الكف الجزئي.

١١. ربط النّحاة بين السّياق التّداولي وبين التّقعيد النّحوي، وبينوا كيف راعت العرب سياق العلاقات الاجتماعية في قاعدتي التّعريف والتّنكير، وفي باب الإعراب.

١٢. إن كثرة الاستعمال جعل العرب تركّب من الكلمات كلمة واحدة تؤدّي دور جملة، نحو: ويلمه، وأيش؟ لتناسبها مع الانفعالات اليوميّة.

تكشف تلك المسائل الطّلبية عن ثراء اللّغة العربية وقدرتها على أداء جملة كاملة وما يتعلّق به من دلالات ثانويّة في كلمة واحدة بإيجاز يناسب القوّة الإنجازيّة التّي تتجه من المتكلّم إلى المخاطَب وتسعى إلى التّأثير فيه وحمله على فعل الفعل أو تركه.

المصادر والمراجع:

أولا: الكتب العلمية

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري. "البديع في علم العربية". تحقيق ودراسة فتحي أحمد علي الدين. (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٠ هـ).

الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ. "شرح التّصريح على التّوضيح أو التّصريح بمضمون التّوضيح في النّحو". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري. "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين: البصريين والكوفيين". (ط١، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

أوزوالد دوكرو، جان، ماري شافار. "القاموس الموسوعي للتّداولية". ترجمة مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدّين المجدوب. (ط١، المركز الوطني للترجمة- تونس، ٢٠١٠م).

آيت أوشان، علي. "السّياق والتّداولية في الخطاب القرآني". (ط١، الرّباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).

ابن باشاذ، طاهر بن أحمد بن بابشاذ. "شرح المقدمة المحسبة". تحقيق خالد عبد الكريم، (ط١، الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧٧م).

الجزولي، عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبَخْت الجزولي البربري المراكشي. "المقدمة الجزولية في النحو". تحقيق شعبان عبد الوهاب محمد. (د.ط، مكة: مطبعة أم القرى، د.ت).

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. "اللّمع في العربية". تحقيق فائز فارس.

(د.ط، الكويت: دار الكتب الثّقافية، د.ت).

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. "الخصائص". (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).

ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري المالكي. "الكافية في علم النّحو". تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر. (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠ م).

ابن الحداد، سعيد بن محمد المعافري القرطبي ثم السرقسطي." كتاب الأفعال". تحقيق حسين محمد محمد شرف. (د.ط، القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م).

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. "ارتشاف الضرب من لسان العرب". تحقيق وشرح ودراسة رجب عثمان محمد. (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م).

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. "التّذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق حسن هنداوي. (ط١، دمشق: دار القلم، د.ت).

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. "مختار الصحاح". تحقيق يوسف الشيخ محمد. (ط٥، صيدا: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

الرّماني، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني. "رسالة منازل الحروف". تحقيق إبراهيم السامرائي. (د.ط، عمان: دار الفك، د.ت).

الرّماني، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني. "شرح كتاب سيبويه". سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي. (د.ط، الرياض، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م).

الزّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري. "المفصل في صنعة الإعراب". علي بو ملحم. (ط١، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م).

الزّناد، الأزهر. "نسيج النّص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً". (ط٢، بيروت: المركز الثّقافي العربي، ٢٠١٠م).

ابن السّراج، محمد بن سهل السراج النحوي البغدادي. "الأصول في النّحو" عبد الحسين الفتلي. (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

سلامة، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة. "شرح أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية"، (د.ط، القاهرة: كلية دار العلوم، ٢٠١٢م).

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. "الكتاب". تحقيق عبد السلام هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي. "المخصص". تحقيق خليل إبراهم جفال، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

السّيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان. "شرح أبيات سيبويه". تحقيق محمد علي الريح هاشم. (د.ت. مصر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م).

السّيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. "استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداوليّة". (د.ط، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة،٢٠٠٤م).

صحراوي، مسعود. "التّداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللساني العربي" (د.ط، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٥م).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).

عكاشة، محمود. "النّظرية البراغماتية اللّسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ: التّداولية". (د.ط، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م).

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله."التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين". تحقيق عبد الرحمن العثيمين. (ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

العياشي: منذر، اللّسانيات والتّداولية: مبادئ وتطبيقات، لبنان- بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٢م.

الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ. "التعليقة على كتاب سيبويه". تحقيق عوض بن حمد القوزي. (ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. "الجمل في النّحو". تحقيق فخر الدين قباوة، (ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م).

ابن القيم، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية. "إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك". تحقيق محمد بن عوض بن محمد السهلي، (ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م).

ابن مالك، بدر الدّين محمد ابن الإمام جمال الدّين محمد بن مالك. "شرح ابن النّاظم على ألفية ابن مالك". تحقيق محمد باسل عيون السود. (ط١، القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

ابن مالك، محمد بن عبدالله الطائي. "شرح الكافية الشافية". تحقيق عبد المنعم هريدي. (ط١, مكة المكرمة: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، د.ت).

ابن مالك، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي. "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق محمد كامل بركات، (د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).

المبرد، أبو العباس المبرد. "المقتضب". تحقيق عبد الخالق عضيمة. (د.ط، لبنان: عالم الكتب.د.ط).

المتوكل، أحمد. "اللسانيات الوظيفية مدخل نظري". أحمد المتوكل. (ط١، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م).

المجدوب، عز الدين. "مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية". (ط١، بريدة: جامعة القصيم، ١٤٤٠هـ).

المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبدالله. "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك". تحقيق عبد الرحمن سليمان. (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

الملك المؤيد، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل شاهنشاه بن أيوب. "الكناش في فني النحو والصرف" دراسة وتحقيق رياض بن حسن الخوام، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٠م).

ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد". دراسة وتحقيق علي محمد فاخر وآخرون، (ط١، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ).

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف. "مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق مازن المبارك، محمد علي حمد الله، (ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م).

ابن الوراق، محمد بن عبد الله بن العباس." علل النحو" تحقيق محمود جاسم محمد

الدرويش، (ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٠ هـ).

ابن ولاد، أحمد بن محمد بن ولاد التميمي النحوي. "الانتصار لسيبويه على المبرد، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦) م.

يعلوي، حافظ إسماعيل. "التّداوليات علم استعمال اللّغة". (ط٢، أربد: عالم الكتاب الحديث، ٢٠١٤م).

ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي المعروف بابن يعيش. "شرح المفصل". قدم له إميل بديع يعقوب. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م).

ثانيا: المجلات العلمية:

يعلوي، حافظ إسماعيل، الملاخ، محمد، "البرنامج الأدنوي: الأسس والثّوابت". مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية ٣١، (٢٠١٧م)، ١٧١– ١٨٨.

Bibliography

Books

Ibn al-Athīr, Majd al-Dīn Abū al-Sa‘ādāt al-Mubārak al-Shaybānī al-Jazarī. "al-Badī‘ fī ‘ilm al-‘Arabīyah". taḥqīq wa-dirāsat Fatḥī Aḥmad ‘Alī al-Dīn. (Ṭ1, Makkah al-Mukarramah : Jāmi‘at Umm al-Qurá, 1420 H).

al-Azharī, Khālid ibn ‘Abd Allāh ibn Abī Bakr ibn Muḥammad aljrjāwī. "sharḥ alttṣryḥ ‘alá alttwḍyḥ aw alttṣryḥ bmḍmwn alttwḍyḥ fī alnnḥw". (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1421h-2000M).

al-Anbārī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn ‘Ubayd Allāh al-Anṣārī. "al-Inṣāf fī masā’il al-khilāf bayna alnnḥwyyn : al-Baṣrīyīn wa-al-Kūfīyīn". (Ṭ1, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, 1424h-2003m).

awzwāld dwkrw, Jān, Mārī shāfār. "al-Qāmūs al-mawsū‘ī llttdāwlyh". tarjamat majmū‘ah min al-bāḥithīn bi-ishrāf ‘Izz alddyn al-Majdūb. (Ṭ1, al-Markaz al-Waṭanī lltrjmt-Tūnis, 2010m).

Āyt Awshān, ‘Alī. "alssyāq wālttdāwlyh fī al-khiṭāb al-Qur’ānī". (Ṭ1, alrrbāṭ : Dār al-Amān lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 2011M).

Ibn bāshādh, Ṭāhir ibn Aḥmad ibn Bābashādh. "sharḥ al-muqaddimah almḥsbh". taḥqīq Khālid ‘Abd al-Karīm, (Ṭ1, al-Kuwayt : al-Maṭba‘ah al-‘Aṣrīyah, 1977M).

al-Jazūlī, ‘Īsá ibn ‘Abd al-‘Azīz ibn yalalbakht al-Jazūlī al-Barbarī al-Marrākushī. "al-muqaddimah al-Juzūlīyah fī al-naḥw". taḥqīq Sha‘bān ‘Abd al-Wahhāb Muḥammad. (D. Ṭ, Makkah : Maṭba‘at Umm al-Qurá, D. t).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ‘Uthmān ibn Jinnī al-Mawṣilī. "alllm‘ fī al-‘Arabīyah". taḥqīq Fā’iz Fāris. (D. Ṭ, al-Kuwayt : Dār al-Kutub alththqāfyh, D. t).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ‘Uthmān ibn Jinnī al-Mawṣilī. "al-Khaṣā’iṣ". (ṭ4, al-Qāhirah : al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, D. t).

Ibn al-Ḥājib, Jamāl al-Dīn ibn ‘Uthmān ibn ‘Umar ibn Abī Bakr al-Miṣrī al-Mālikī. "al-Kāfiyah fī ‘ilm alnnḥw". taḥqīq Ṣāliḥ ‘Abd al-‘Aẓīm al-shā‘ir. (Ṭ1, al-Qāhirah : Maktabat al-Ādāb, 2010 M).

Ibn al-Ḥaddād, Sa‘īd ibn Muḥammad al-Ma‘āfirī al-Qurṭubī thumma al-Saraqusṭī. "Kitāb al-af‘āl". taḥqīq Ḥusayn Muḥammad Muḥammad Sharaf. (D. Ṭ, al-Qāhirah : Mu’assasat Dār al-Sha‘b, 1395 H-1975 M).

Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf ibn ʻAlī ibn Yūsuf ibn Ḥayyān Athīr al-Dīn al-Andalusī. "Irtishāf al-ḍarb min Lisān al-ʻArab". taḥqīq wa-sharḥ wa-dirāsat Rajab ʻUthmān Muḥammad. (Ṭ1, al-Qāhirah : Maktabat al-Khānjī bi-al-Qāhirah, 1418 H-1998 M).

Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf ibn ʻAlī ibn Yūsuf ibn Ḥayyān Athīr al-Dīn al-Andalusī. "alttdhyyl wa-al-takmīl fī sharḥ Kitāb al-Tasʹhīl". taḥqīq Ḥasan Hindāwī. (Ṭ1, Dimashq : Dār al-Qalam, D. t).

al-Rāzī, Zayn al-Dīn Abū ʻAbd Allāh Muḥammad ibn Abī Bakr ibn ʻAbd al-Qādir al-Ḥanafī. "Mukhtār al-ṣiḥāḥ". taḥqīq Yūsuf al-Shaykh Muḥammad. (ṭ5, Ṣaydā : al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, 1420h-1999M).

alrrmāny, Abū al-Ḥasan ʻAlī ibn ʻĪsá al-Rummānī. "Risālat Manāzil al-ḥurūf". taḥqīq Ibrāhīm al-Sāmarrāʼī. (D. Ṭ, ʻAmmān : Dār alfk, D. t).

alrrmāny, Abū al-Ḥasan ʻAlī ibn ʻĪsá al-Rummānī. "sharḥ Kitāb Sībawayh". Sayf ibn ʻAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir al-ʻArīfī. (D. Ṭ, al-Riyāḍ, 1418 H-1998 M).

alzzmkhshry, Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ʻAmr ibn Aḥmad, al-Zamakhsharī. "al-Mufaṣṣal fī ṣanʻat al-iʻrāb". ʻAlī Bū Mulḥim. (Ṭ1, Bayrūt : Maktabat al-Hilāl, 1993M).

alzznād, al-Azhar. "Nasīj allnṣ : baḥth fī mā yakūn bi-hi al-malfūẓ naṣṣan". (ṭ2, Bayrūt : al-Markaz alththqāfy al-ʻArabī, 2010m).

Ibn alssrāj, Muḥammad ibn Sahl al-Sarrāj al-Naḥwī al-Baghdādī. "al-uṣūl fī alnnḥw" ʻAbd al-Ḥusayn al-Fatlī. (ṭ3, Bayrūt : Muʼassasat al-Risālah, 1408h-1988m).

Salāmah, Īhāb ʻAbd al-Ḥamīd ʻAbd al-Ṣādiq Salāmah. "sharḥ Abī al-ʻAlāʼ wa-al-khaṭīb al-Tabrīzī ʻalá Dīwān Abī Tammām dirāsah naḥwīyah ṣarfīyah", (D. Ṭ, al-Qāhirah : Kullīyat Dār al-ʻUlūm, 2012m).

Sībawayh, Abū Bishr ʻAmr ibn ʻUthmān ibn Qanbar. "al-Kitāb". taḥqīq ʻAbd al-Salām Hārūn. (ṭ3, al-Qāhirah : Maktabat al-Khānjī, 1408h-1988m).

Ibn Sayyidat, Abū al-Ḥasan ʻAlī ibn Ismāʻīl ibn sydh al-Mursī. "almkhṣṣ". taḥqīq Khalīl Ibrāhim Jaffāl, (Ṭ1, Bayrūt : Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī, 1417h 1996m).

alssyrāfy, Abū Saʻīd al-Ḥasan ibn ʻAbd Allāh ibn al-Marzubān. "sharḥ abyāt Sībawayh". taḥqīq Muḥammad ʻAlī al-rīḥ Hāshim. (D. t. Miṣr :, Dār al-Fikr lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ, 1394 H-1974 M).

alssyrāfy, Abū Saʿīd al-Ḥasan ibn ʿAbd Allāh ibn al-Marzubān. "sharḥ Kitāb Sībawayh". taḥqīq Aḥmad Ḥasan Mahdalī, ʿAlī Sayyid ʿAlī. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, 2008M).

al-Shahrī, ʿAbd al-Hādī ibn Ẓāfir. "Istirātījīyāt al-khiṭāb : muqārabah lughawīyah tdāwlyyh". (D. Ṭ, Bayrūt : Dār al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah, 2004m).

Ṣaḥrāwī, Masʿūd. "alttdāwlyh ʿinda al-ʿulamā' al-ʿArab : dirāsah tadāwulīyah li-ẓāhirat al-afʿāl al-kalāmīyah fī alttrāth al-lisānī al-ʿArabī" (D. Ṭ, Bayrūt : Dār al-Ṭalīʿah, 2005m).

Ibn ʿAqīl, ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Raḥmān al-ʿAqīlī al-Hamadānī, "sharḥ Ibn ʿAqīl ʿalá Alfīyat Ibn Mālik". taḥqīq Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd, (ṭ20, al-Qāhirah : Dār al-Turāth, 1400 H-1980 M).

ʿUkāshah, Maḥmūd. "alnnẓryh albrāghmātyh alllsānyh al-Tadāwulīyah dirāsah al-mafāhīm wa-al-nash'ah wa-al-mabādi' : alttdāwlyh". (D. Ṭ, al-Qāhirah : Maktabat al-Ādāb, 2005m).

al-ʿUkbarī, Abū al-Baqā' ʿAbd Allāh ibn al-Ḥusayn ibn ʿAbd Allāh. "al-Tabyīn ʿan madhāhib al-naḥwīyīn al-Baṣrīyīn wa-al-Kūfīyīn". taḥqīq ʿAbd al-Raḥmān al-ʿUthaymīn. (Ṭ1, Dār al-Gharb al-Islāmī, 1406h-1986m).

al-ʿAyyāshī : Mundhir, alllsānyāt wālttdāwlyh : Mabādi' wa-taṭbīqāt, lbnān-Bayrūt : Dār al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah, 2012m.

al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad ibn ʿAbd al-Ghaffār alfārsī. "al-Taʿlīqah ʿalá Kitāb Sībawayh". taḥqīq ʿAwaḍ ibn Ḥamad al-Qawzī. (Ṭ1, 1410h-1990m).

al-Farāhīdī, Abū ʿAbd al-Raḥmān al-Khalīl ibn Aḥmad. "al-Jamal fī alnnḥw". taḥqīq Fakhr al-Dīn Qabāwah, (ṭ5, Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah, 1416h 1995m).

Ibn al-Qayyim, Burhān al-Dīn Ibrāhīm ibn Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb ibn Qayyim al-Jawzīyah. "Irshād al-sālik ilá ḥall Alfīyat Ibn Mālik". taḥqīq Muḥammad ibn ʿAwaḍ ibn Muḥammad al-Sahlī, (Ṭ1, al-Riyāḍ : Aḍwā' al-Salaf, 1373 H-1954 M).

Ibn Mālik, Badr alddyn Muḥammad Ibn al-Imām Jamāl alddyn Muḥammad ibn Mālik. "sharḥ Ibn alnnāẓm ʿalá Alfīyat Ibn Mālik". taḥqīq Muḥammad Bāsil ʿUyūn al-Sūd. (Ṭ1, al-Qāhirah : Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, 1420 H-2000 M).

Ibn Mālik, Muḥammad ibn Allāh al-Ṭā'ī. "sharḥ al-Kāfiyah al-shāfiyah". taḥqīq ʿAbd al-Munʿim Harīdī. (Ṭ1, Makkah al-Mukarramah :

Jāmi‘at Umm al-Qurá Markaz al-Baḥth al-‘Ilmī, D. t).

Ibn Mālik, Muḥammad ibn ‘Abd Allāh Ibn Mālik al-Ṭā’ī. "Tas′hīl al-Fawā’id wa-takmīl al-maqāṣid". taḥqīq Muḥammad Kāmil Barakāt, (D. Ṭ, Dār al-Kitāb al-‘Arabī lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, 1387h-1967m).

al-Mibrad, Abū al-‘Abbās al-Mibrad. "al-Muqtaḍab". taḥqīq ‘Abd al-Khāliq ‘Uḍaymah. (D. Ṭ, Lubnān : ‘Ālam al-Kutub. D. Ṭ).

al-Mutawakkil, Aḥmad. "al-lisānīyāt al-waẓīfīyah madkhal naẓarī". Aḥmad al-Mutawakkil. (Ṭ1, Banghāzī : Dār al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah, 2010m).

al-Majdūb, ‘Izz al-Dīn. "Mafāhīm dalālīyah wlsānyh lwṣf al-‘Arabīyah". (Ṭ1, Buraydah : Jāmi‘at al-Qaṣīm, 1440h).

al-Murādī, Abū Muḥammad al-Ḥasan ibn Qāsim ibn Allāh. "Tawḍīḥ al-maqāṣid wa-al-masālik bi-sharḥ Alfīyat Ibn Mālik". taḥqīq ‘Abd al-Raḥmān Sulaymān. (Ṭ1, al-Qāhirah : Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1422h-2001m).

al-Malik al-Mu’ayyad, Abū al-Fidā’ ‘Imād al-Dīn Ismā‘īl Shāhinshāh ibn Ayyūb. "al-Kunnāsh fī Fannī al-naḥw wa-al-ṣarf" dirāsah wa-taḥqīq Riyāḍ ibn Ḥasan al-Khawwām, (Ṭ1, Bayrūt : al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, 2000M).

Nāẓir al-Jaysh, Muḥammad ibn Yūsuf ibn Aḥmad, Muḥibb al-Dīn al-Ḥalabī thumma al-Miṣrī, "tamhīd al-qawā‘id bi-sharḥ Tas′hīl al-Fawā’id". dirāsah wa-taḥqīq ‘Alī Muḥammad Fākhir wa-ākharūn, (Ṭ1, al-Qāhirah : Dār al-Salām, 1428h).

Ibn Hishām, ‘Abd Allāh ibn Yūsuf ibn Aḥmad ibn ‘Abd Allāh Ibn Yūsuf. "Mughnī alllbyb ‘an kutub al-a‘ārīb". taḥqīq Māzin al-Mubārak, Muḥammad ‘Alī Ḥamad Allāh, (ṭ6, Dimashq: Dār al-Fikr, 1985m).

Ibn al-Warrāq, Muḥammad ibn ‘Abd Allāh ibn al-‘Abbās. "‘Ilal al-naḥw" taḥqīq Maḥmūd Jāsim Muḥammad al-Darwīsh, (Ṭ1, al-Riyāḍ : Maktabat al-Rushd, 1420 H).

Ibn Wallād, Aḥmad ibn Muḥammad ibn Wallād al-Tamīmī al-Naḥwī. "al-Intiṣār li-Sībawayh ‘alá al-Mibrad, dirāsah wa-taḥqīq Zuhayr ‘Abd al-Muḥsin Sulṭān, (Ṭ1, Mu’assasat al-Risālah, 1416 H-1996m).

Ya‘lāwī, Ḥāfiẓ Ismā‘īl. "alttdāwlyāt ‘ilm isti‘māl alllghh". (ṭ2, arbd : ‘Ālam al-Kitāb al-ḥadīth, 2014m).

Ibn Ya‘īsh, Ya‘īsh ibn ‘Alī ibn Ya‘īsh ibn Abī al-sarāyā Muḥammad ibn ‘Alī al-ma‘rūf bi-Ibn Ya‘īsh. "sharḥ al-Mufaṣṣal". qaddama

la-hu Imīl Badī‘ Ya‘qūb. (Ṭ1, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1422 H-2001M).

Second: Scientific Journals:

Ya‘lāwī, Ḥāfiẓ Ismā‘īl, al-Mallākh, Muḥammad, "al-Barnāmaj al’dnwy : al-Usus wālththwābt". Majallat al-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah 31, (2017m), 171-188.

مفهوم الإنصاف وتجلياته في شعر كعب بن معدان الأشقري الأزدي

The Concept of Fairness and Its Manifestations in the Poetry of Kaʿb ibn Maʿdān al-Ashqarī al-Azdī

د. مشاعل بنت علي العكلي

أستاذ مشارك / تخصص أدب ونقد بقسم اللغة العربية

بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

البريد الإلكتروني: malokly@iau.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
19/11/2025		01/02/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-007		

ملخص البحث

عرف شعرنا العربي أشعاراً سميت بـ: "بالأشعار المنصفات"، تحرر فيها الشاعر من ذاته وعصبيته، فأسبغ على عدوه السمات التي تنصفه، وقد ارتبطت المنصفات بالحروب، والنظرة الحيادية للعدو، ولكن مفهومه لم يكن قاراً ثابتاً في كل عصر، بل تعددت صوره، واختلف مفهومه بالنظر موقف المقاتل ذاتاً وقبيلة من الآخر.

والبحث يدرس مفهوم الإنصاف وتجلياته في شعر كعب بن معدان الأشقري، الذي حمل أبعادًا متعددة تتجاوز مفهوم المنصفات في العصر الجاهلي، إلى مفهوم أشمل، يرتبط بكونه فارساً شهد المعارك الطاحنة مع خصومه، ووقف على وقائعها، وعايش أحداثها، وخبر قوة عدوه، فأعلى من شجاعته وأنصفه، ووصفه بصدق، ووقف على الحياد في أشد مفاصل المعركة ضراوة، وهو المعروف بعصبيته لقومه، وولائه لهم؛ ولكنه لم يقف عند هذا الحد من الإنصاف المرتبط بالأشعار التي قيلت في الحرب، بل تجاوزه في شعره إلى موقف من الآخر، تجلت في إمحاض الإخاء، وهو الجانب الذي أغفله بعض الدرسين لدى دراستهم للأشعار المنصفة.

ويهدف البحث إلى دراسة مفهوم الإنصاف لدى الشاعر؛ للكشف عن نزعة الإنصاف لديه وارتباطها بخصوصيته الثقافية وانتمائه القبلي، وتمثيله لرؤية الدولة في النظر إلى الآخر العدو، المختلف عقدياً. وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الظاهرة وأبعادها مع الاستعانة بالمنهج التاريخي الذي يعين على تبين مفهوم الأشعار المنصفات التطوري.

وقد انتهى البحث إلى نتائج من أهمها: أن معنى الإنصاف لدى الشاعر يتصف بنزعة التوثيق الخطابية، ويحمل معنى تقدير الشجاعة وأهميتها في إثبات الوجود، وتحقيق الذات القبيلية متجاوزاً الفخر والتعالي على الآخرين.

كلمات مفتاحية: الأشعار المنصفات، الإنصاف، الواقعية، الصدق، العصبية القبلية.

Abstract

Arabic poetic heritage includes a distinct category known as al-ashʿār al-munṣifāt ("poems of fairness"), in which poets rise above personal and tribal bias to acknowledge the virtues of their adversaries. Although this tendency is tied to wartime contexts, its meaning varied according to cultural circumstances and the poet's relationship with the "other".

This study examines fairness in the poetry of Kaʿb ibn Maʿdān al-Ashqarī, a warrior-poet who directly witnessed major battles. His poetry presents an expanded notion of fairness that goes beyond neutral depiction of the enemy. He offers realistic portrayals and explicit recognition of his opponents' courage, despite his strong tribal affiliation.

Moreover, Kaʿb's fairness extends beyond the battlefield to a broader appreciation of the religiously different "other," reflecting values of sincerity and human fellowship often overlooked in previous studies.

The research adopts a descriptive-analytical method supported by a historical approach. Findings show that fairness in Kaʿb's poetry embodies a documentary rhetorical tendency grounded in realism and an esteem for courage as a form of tribal self-affirmation.

Keywords: al-ashʿār al-munṣifāt, fairness, realism, truthfulness, tribal identity.

المقدمة

عرف العرب أشعاراً منصفة، ارتبطت بالحروب بداية، ثم تفرع معناها، واتسع ليشمل أكثر من فن شعري في مجالات الحياة المختلفة. وقد اكتسبت الأشعار المنصفة أهمية كبيرة عند العرب، إذ كانت العرب تولي شعر الإنصاف اهتمامًا كبيراً، وتسبغ عليه قيمة عظمى؛ كونه ارتبط بالحرب، التي دارت رحاها على امتداد الحياة العربية، وهي المناسبة التي ولدت معظم تقاليد الحياة العربية.

والإنصاف نزعة سامية تمثل الجانب الإنساني في الحرب، وتكشف عن الموقف المضمر منها، رفضاً أو قبولا، كما تبينه مآلات الأشعار المنصفة، وهذا مالحظناه من تضمنها نزعتين مختلفتين؛ نزعة بدوية تذهب بالخصومة إلى نهايتها، ونزعة إنسانية تنتهي إلى المصالحة بين المتحاربين، واستئناف المودة والمحبة بين طرفين كانا متحابين فيما سلف قبل أن تدق الحرب إسفينها بينهم. وقد سجل لنا التاريخ الأدبي قصائد عرفت بالمنصفات، صورت الإنصاف والعدل في وصف العدو بإعطائه حقه من سمات الشجاعة ووصف حرّ اللقاء معه في معارك لم تبق ولم تذر، في بضع قصائد معلومات، تجاوز فيها أصحابها العصبية القبلية، والمبالغة والغلواء في النظر إلى الذات، ولم يكن هذا الأمر هيناً عليهم، لذلك قلت الأشعار المنصفة، وبقيت صوتاً خافتاً، كاد أن يضيع في فضاء مثار النقع وصليل السيوف ودعوات الانتقام.

ولم يبق الإنصاف مقصوراً على القصائد التي قيلت في الحروب، إذ تطور مفهومه بعد العصر الجاهلي وفق معطيات العصر وطبيعة الحروب وتأثير الدين الإسلامي في النفوس، وتغير أهداف الحروب إلى حد ما.

والبحث يدرس مفهوم الإنصاف وتجلياته في شعر كعب بن معدان الأشقري، ودوافعه وميزاته؛ لأنه يشكل حلقة مهمة من حلقات شعر الإنصاف في تراثنا العربي، تمتع بخصوصية الشاعر الذي عايش مرحلة الفتوحات الإسلامية، وشارك بها، وقدّم لنا

صورة عن الإنصاف تمتد بجذورها إلى العصر الجاهلي، وتتفرع في ظلال الإسلام، الذي كان له تأثيره في النفوس، وتشكيله رؤية خاصة للشعر تقوم على الصدق على صحوة العصبيات القبلية في عصر الشاعر، ولم يقتصر في أشعاره المنصفات على شعر المعارك والحروب، التي ارتبطت بالفتوحات الإسلامية وما تحمله من أهداف تقوم على مبدأ تعزيز قوة الدولة، وتثبيت أركانها، بل وجدنا لديه ما يتعلق بالإنصاف في العلاقات الاجتماعية، ليتخذ الإنصاف لديه سمات نتبينها في البحث بعد الوقوف المتأني على أشعاره؛ للخلوص إلى ما أضافه الشاعر إلى مفهوم الإنصاف، لعلنا نكمل حلقة من حلقات دراسة التراث العربي المتعلق بهذا الجانب.

ويطرح البحث **إشكالية**، تتحدد بالسؤال الآتي: ما مفهوم الإنصاف في شعر كعب بن معدان الأشقري؟

ولحل الإشكالية لابد من الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- مافهوم الإنصاف في النقد العربي القديم والحديث؟
- كيف تجلى الإنصاف في شعر كعب بن معدان الأشقري؟
- هل قدم الشاعر لمفهوم الإنصاف جديداً؟
- ما علاقة الإنصاف بذاتية الشاعر وموقفه من الآخر؟

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في كونه حلقة متممة لدراسة جانب من تراثنا الأدبي يتعلق بالأشعار المنصفة؛ لإن معظم الدارسين لم يدرجوا شعره ضمن الأشعار المنصفة، واقتصر من ذكره من الدارسين على قصيدة له على سبيل الاستشهاد على الإنصاف وتمثّل فكرته، أو الإشارة إلى أنه وصف المعارك مع عدوه، ولكن هؤلاء الدارسين لم يتبينوا معاني الإنصاف في شعره كله، ولم يبينوا فيما لو تطور مفهوم الإنصاف لديه عما كان عليه في الشعر الجاهلي. ويأتي البحث ليسد ثغرة

في دراسة تاريخنا الأدبي في سبيل وضع لبنة في ابتناء الهيكل العام للجانب الأخلاقي في آداب الحروب في أدبنا العربي عبر دراسة الإنصاف، الذي تجلى في خطاب الشاعر الحربي المتسم بالتسجيلية والواقعية والصدق، وتداخل الشعري السياسي بالديني، والتاريخي بالجغرافي، ونحن لانريد أن نفسر الإنصاف بوصفه خطاباً أدبياً واقعياً فحسب، بل نهدف أيضاً إلى إظهار كيف أنتج الأدب وعيًا بما حدث أدى إلى تحقق الإنصاف في مواقف الحياة المختلفة.

أهداف البحث:

- دراسة مفهوم الإنصاف بين النقد القديم والحديث.
- دراسة الأشعار المنصفة في شعر كعب بن معدان الأشقري.
- تحديد مفهوم الإنصاف ودواعيه في شعر الشاعر، وبيان ما أضافه كونه من شعراء العصر الأموي.

منهج البحث

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليل الذي يعين في تحديد الأشعار المنصفة، ووصف الظاهرة وأسبابها ومتغيراتها، وسبر أغوارها مع الاستعانة بالمنهج التاريخي لتتبع تطور مفهوم الأشعار المنصفة.

الدراسات السابقة

لم يفرد الدارسون دراسة مستقلة للأشعار المنصفات في شعر كعب بن معدان الأشقري، بل جاء ذكره في سياق الشعراء الفرسان، وشعر الحروب، والمنصفات بشكل عام، ومن هذه الدراسات:

- "شعراء أميّون" القسم الثاني لنوري حمودي القيسي[١]، الذي أفرده بدراسة عن حياته وشعره، وأشار إلى إنصافه، وأنه جدير بأن يوضع إلى جانب الشعراء الذين عرفوا بإنصاف الخصوم، وأرجع هذه النزعة إلى سمو أخلاقه، ولكنه لم يفصّل في دراسة أشعاره المنصفات.
- شعر الحروب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة لزكي المحاسني[٢]، وقد تناول الباحث الشاعر تحت عنوان (شاعر الحروب الأموية)، ودرسه بوصفه شاعرًا فارسًا، شارك في حرب الفتوح، وجعل قصائده من باب المعذرة في القتال، وثأر وقصاص.
- أضواء على شعر المنصفات في الأدب العربي لمحمد بدر معبدي[٣]، الذي درس فيه رائية كعب بن معدان، وجعلها من القصائد التي أنصفت الفريقين: الأموي والخوارج، وأدرج الشاعر ضمن أصحاب المنصفات، ولكنه لم يدرس معاني الإنصاف في القصيدة كلها، إضافة إلى أنه لم يلتفت إلى أشعاره الأخرى، التي تجسد معنى الإنصاف.
- معاني البطولة في شعر كعب بن معدان الأشقري لخليل إبراهيم عبد الوهاب،

(١) ينظر: نوري حمودي القيسي، "شعراء أميون القسم الثاني دراسة وتحقيق". (ط١، بيروت: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦م)، ٢: ٣٧٣- ٣٨٧.

(٢) ينظر: زكي المحاسني، " شعر الحروب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة". (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت)، ٨٣- ٨٧.

(٣) ينظر: محمد بدر معبدي، " أضواء على شعر المنصفات في الأدب العربي". (مصر: المطبعة التجارية، ١٩٨٩م)، ٧٥- ٧٧.

حاول فيه الباحث جمع معاني البطولة المعنوية والمادية في شعر، ولكنه لم يتعرض لمعاني الإنصاف في شعره[١].

- الذات والآخر في الأدب العربي (عصر بني أمية) (رؤية تحليلية نصية)، للشحات الغمري أحمد، درس فيه تجربة الشاعر الشعرية من حيث صدقيتها[٢].
- المنصفات من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي دراسة موضوعاتية فنيّة للباحث مراد زعباط، أورد مقطعة شعرية للشاعر في وصف صراع قوم الشاعر مع الترك، معقباً عليها بأنه لم يبخسهم حقهم، وجعل الإنصاف خياراً ذاتياً، وهذا ما كشف لنا تنوع الدوافع التي تقمصت دور الموضوعات المهيمنة في النصوص الشعرية[٣].

وهذه الدراسات على أهميتها، تتسم بالجزئية؛ كونها اقتصرت على إشارات بسيطة إلى إنصاف الشاعر عبر إيراد بعض الأبيات الشعرية دليلاً على عدم بخسه حق عدوه في المواجهة في المعركة. وهذا البحث يحاول الإحاطة بتجليات الإنصاف في شعر كعب الأشقري، وتحديد مفهوم الإنصاف لديه، لنضع أشعاره المنصفات في نصابها ضمن تاريخ التراث العربي.

---

(١) ينظر: خليل إبراهيم عبد الوهاب، " معاني البطولة في شعر كعب بن معدان الأشقري". مجلة ديالى للبحوث الإنسانية ٣، (٢٠٠٧م): ٤٢٠- ٤٣١.

(٢) ينظر: الشحات الغمري أحمد،" الذات والآخر في الأدب العربي (عصر بني أمية) (رؤية تحليلية نصية)"، *حولية اللغة العربية بجرجا*، ١٤، ٣، (٢٠١٠م): ٢٥٣٩- ٢٥٤٨.

(٣) ينظر: مراد زعباط،"المنصفات من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي دراسة موضوعاتية فنيّة".(رسالة دكتوراه، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة١، ٢٠٢٠م): ٦٣.

خطة البحث

- المبحث الأول: مفهوم الإنصاف في الدراسات النقدية والأدبية قديماً وحديثاً.
- المبحث الثاني: كعب بن معدان الأشقري (التعريف بالشاعر).
- المبحث الثالث: تجليات الإنصاف في شعر كعب بن معدان الأشقري.
- المبحث الرابع: مفهوم الإنصاف ودواعيه لدى الشاعر.
- خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية.

المبحث الأول: مفهوم الإنصاف بين النقد القديم والحديث

قبل الخوض في مفهوم الإنصاف في النقد العربي قديمه وحديثه لابد من تأصيل معنى الإنصاف لغويًا من المعاجم، التي فسرت الإنصاف، الذي ورد فيها بمعنيين اثنين، هما:

الأول: النِّصْفُ أَحد شقَّي الشيء، النِّصْفُ والنُّصف بالضم والنَّصِيفُ والنَّصْفُ الأَخيرة عن ابن جني أَحد جزأَي الكمال، وقرأَ زيد بن ثابت فلها النُّصْف، وفي الحديث الصبر نِصْف الإيمان، قال ابن الأَثير: أَراد بالصبر الوَرَع؛ لأَن العبادة قِسمان، نُسُك وورَعٌ، فالنُّسُك ما أَمَرَتْ به الشريعة، والورَعُ ما نَهَت عنه، وإنما يُنْتَهى عنه بالصبر، فكان الصبرُ نِصفَ الإيمانِ والجمع أَنْصاف ونصَفَ الشيءَ يَنْصُفُه نَصْفاً وانتَصَفه وتَنَصَّفَه ونَصَّفه أَخذ نِصْفَه.

الثاني: الإنْصاف إعطاء الحق، وقد انتصف منه وأَنصف الرجلُ صاحبه إنْصافاً وقد أَعطاه النَّصفَةَ، ابن الأَعرابي أَنصف إذا أَخذ الحق وأَعطى الحق، والنصَفة اسم الإنصاف، وتفسيره أَن تعطيه من نفسك النصَف، أَي تُعْطيه من الحق كالذي تستحق لنفسك. وأنصفه من نفسه وانْتَصَفَ هو منه وتَنَاصَفَ القوم أنصف بعضهم بعضا من نفسه. وأنصف الرجل أي عدل"(١). وذكر الفيروزآبادى "وتناصفوا: أنصف بعضهم بعضًا وناصفه قاسمه على النصف وانتصف منه استوفى حقه منه كاملاً حتى صار كل على النصف سواء كاستنصف منه"(٢). وفسر الجوهري الإنصاف بمعنى

(١) ابن منظور الأفريقي،" لسان العرب "تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، (ط٣، بيروت: دار احياء التراث العربي،١٩٩٩ م)،١٤: ١٦٥. مادة: (نصف).

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، "القاموس المحيط". تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، (ط٦، دمشق: مؤسسة الرسالة، =

العدل، إذ قال: "وأنصف أي عدل، يقال أنصفه من نفسه وانتصفت أنا منه، وتناصفوا أي أنصف بعضهم بعضًا"(١)، يرتسم المشهد بين المتناصفين وذلك بتحليل الصورة بين الأخذ والعطاء بالتساوي، وذلك ألا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه ولاينيله من المضار إلا مثل ما يناله منه والمساواة بين النصفين حتى في الشر(٢)، ويتطابق معنى النصف مع معنى الإنصاف لدى ابن قتيبة كما تبدى في تعليقه على قول القطامي(٣):

فاسأل نزاراً فقد كانت تُنازلني بالنِّصْف من بين إسخانٍ وإبرادِ

ويجعل الراغب الأصفهاني النصفة في الخدمة تقتضي" أن يعطي صاحبه ما عليه بإزاء ما يأخذ من النفع"(٤).

ومن "مرادفات كلمة الإنصاف، القسط والعدالة والحق، ويقابلها الجور والظلم والعتو والبغي والاستبداد"(٥).

=

١٩٩٨م)، ٨٥٦. مادة نصف.

(١) ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م)،٤: ١٤٣٢- .١٤٣٣ مادة نصف.

(٢) ينظر: ابن قتيبة الدنيوري، " كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني. تصحيح سالم الكرنكوى، (بيروت: دار النهضة الحديثة، ١٩٥٣م)، ٢: ٨٠٥.

(٣) القطامي، " ديوان القطامي". تحقيق إبراهيم السامرائي، أحمد مطلوب، (ط١، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠م)، ٨٣.

(٤) الراغب الأصفهاني،" المفردات في غريب القرآن ". (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ١٩٦٢م)، م ٤٩٥- ٤٩٦.

(٥) سعدي الضناوي، جوزيف مالك. " معجم المترادفات والأضداد. (طرابلس: ناشرون، ٢٠٠٧م)، مادة أنصف.

نخلص مما تقدم إلى اتفاق معاني الإنصاف لغوياً على معاني إعطاء الحق، أو أخذ الحق، عدلاً وإنصافًا ومناصفة. فالمعنى اللغوي يحمل دلالتين اثنتين: أولهما: القسمة بالنصفة، وثانيهما: العدل وإعطاء كل حقه، والعدل فضيلة يقصدها المادح من جملة الفضائل الأخرى (العقل والشجاعة- والعدل – والعف) عند قدامة بن جعفر(١). وعلامة" العدل ألا تجعل الحكم حكمين فتحكم لنفسك بحكم وللناس بآخر حتى يكون الحكم في نفسك وفي غيرها حكماً واحداً وإنصاف الناس في نفسك"(٢). ولم يرد مفهوم الإنصاف وصفاً للشاعر المنصف إلا في مرجع واحد فقط (٣)؛ لأن الشاعر إن لم ينصف في كل أشعاره لايستحق وسم المنصف. فقد ينصف أحدهم في بعض شعره، أو في قصيدة، أو في الأبيات المفردة فقط، ولذلك يقال الأشعار المنصفة في شعر شاعر ما.

أما المعنى الاصطلاحي فنتلمسه في كتب **النقد العربي القديم**، التي أصلت مفهوم الأشعار المنصفة.

جاء ذكر الأشعار المنصفة أو القصائد المنصفة لدى الأصمعي لدى تعليقه على قصيدة المفضل النكري، فقال: "وتسمى المنصفة"(٤)، وجعل قصيدة العباس بن

(١) قدامة بن جعفر، " نقد الشعر". تحقيق عبد المنعم خفاجي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٩٦.

(٢) أبو عبد الله حارث بن أسد المحاسبي، " آداب النفوس. تحقيق عبد القادر أحمد عطا، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٤م)، ١٨٢.

(٣) ينظر: محمد بن عمران بن موسى المرزباني، " معجم الشعراء" تحقيق فاروق اسليم، (ط١، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٥م) ، ٥٥٥.

(٤) الأصمعي،" الأصمعيات" تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، (ط٣، مصر: دار المعارف، د.ت) ، ١٩٩.

مرداس من" المنصفات"[١]. وجاءت بالتسمية عينها عند ابن سلام الجمحي[٢] وصفاً لقصيدة المفضل النكري. ووردت في كتاب البيان والتبيين بمسمى" الأشعار المنصفة"[٣] التي تعطي المتحاربين حقوقهما، ولكنه في موضع آخر في أدبه، يعد الإنصاف مرادفاً لصدق الشاعر، ففي معرض حديثه عن ابن قميئة، يقول "وهو ممن أنصف في شعره وصدق"[٤]. فابن قتيبة يربط الإنصاف بالناحية الأخلاقية، ويفسرها تفسيراً أخلاقياً.

ونقل الخالديان عن الرواة أن المنصفات ثلاث قصائد؛ فأولها قصيدة عامر بن معشر ابن أسحم بن عدي، والعباس بن مرداس السلمي، وثانيها منصفة عبد الشارق بن عبد العزيز الجهني، وثالثها منصفة العباس بن مرداس"[٥].

وعد المرزوقي قصيدة العباس بن مرداس من المنصفات، إذ قسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه وأصحابهم وتناول كل فرقة منهم[٦] ، وفي تعليقه على أبيات عبد

(١) الأصمعي، "الأصمعيات"، ٢٠٤.

(٢) ابن سلام الجمحي،" طبقات فحول الشعراء". تحقيق محمود محمد شاكر، (جدة: دار المدني، د.ت)، ١: ١٤٥.

(٣) الجاحظ، " البيان والتبيين". تحقيق عبد السلام هارون، (ط٧، جدة: مطبعة المدني، ١٩٩٨م)، ٤: ٢٣.

(٤) ابن قتيبة، " الشعر والشعراء". تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢ م)، ١: ٣٧٧.

(٥)أبو بكر محمد، أبو عثمان سعيد، الخالديان. الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين تحقيق السيد محمد يوسف، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشرن ١٩٥٨م)، ١: ١٤٩.

(٦) أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي،" شرح ديوان الحماسة"، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م) ، ١: ٤٤٠.

الشارق الجهني، يقول: وهذه الأبيات تسمى المنصفة، لما تقابل فيها من صفات الجيشين على وجه التعادل، وسنن التصادق، لأن قصده اقتصاص الحال الدائرة بينهم(١)، وجعل تعظيم الخصم والإكبار من شأنه، راجع إليه إذ صار قتيله(٢).

وتوسع المعنى في خزانة الأدب، فبرز معنيا الإنصاف في وصف الشعر الذي أنصف فيه قائله عدوه في الحرب، وفي الإخاء(٣).

وأورد عن الطبرسي في شرحه أبيات العباس بن مرداس من "باب المنصفات، وهو من باب التناصف، وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء، وفيما وصفوه من أحوالهم في إمحاض الإخاء، قد سموها المنصفات"(٤). ففي قول الطبرسي، نجد معنى التناصف في القصائد التي قيلت الحرب وغيره، وأغفل المقطعات والنتف والأبيات المفردة.

وجاء معنى الإنصاف في التذكرة الحمدونة" بمعنى التناصف، وجعل "العدل في النَّصَفَةِ"(٥)، مقابلًا للقسمة العادلة بين طرفين متعادلين"لايجري لأحد إلا جرى عليه، ولايجري على أحد إلا جرى له، يستوي الملك والسوقة في واجبه، ويعتدل البغيض

(١) ينظر: المرزوقي، " شرح ديوان الحماسة"، ١: ٤٤٩.

(٢) ينظر: المرزوقي، " شرح ديوان الحماسة"، ١: ٦٧٢.

(٣) ينظر: عبد القادر البغدادي،" خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م)،٨: ٣٢٦.

(٤) عبد القادر بن عمر البغدادي،" خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب". (ط٤، مصر: الخانجي، ٢٠٠٠م)، ٨: ٣٢٦- ٣٢٧.

(٥) ابن حمدون، "التذكرة الحمدونية" تحقيق إحسان عباس، بكر عباس، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٦م) ، ٣: ١٩٠.

والحبيب في تحقيقه، طالبه حاكم على خصمه، وصاحبه أمير على أمره"[١]، فالنَّصَفَةُ تقوم على مبدأ المساواة وعدم التحيّز لطرف، وترجيح الكفة بين طرفين، فمن امتلك القدرة على" النَّصَفَةِ "، يمتلك سلطة معنوية على خصمه، ومن يتحلى به يملك زمام أمره. وهذا الموقف يتحرر من الهوى، القائم على الاعتراف بالفضل للآخرين ولو كانوا خصوماً، وعلى تقييم النصوص بمعيار الحق لا بمعيار المودة أو الخصومة. ومن هنا يتبين أنّ الإنصاف النقدي امتداد تطبيقي لتلك الرؤية العامة للعدل؛ فهو يضع الشاعر الكبير والمغمور، والحبيب والعدو، في كفة واحدة، فلا يُمدح إلا ما يستحق المدح، ولا يُذم إلا ما يستحق الذم، وبذلك يتحقق التوازن الذي عناه القول ويترسخ العدل في ساحة النقد كما في شؤون الحياة. ويجعل من أشعار العرب المنصفة قول حكمة بن قيس الكناني دلالة على معنى التناصف.

وقد كان للمنصفات أهمية كبيرة في تراثنا الأدبي والنقدي، تتصل بقيمة المناسبة التي أنتجته، وهي الحرب، وقد أشار الجاحظ إلى أهميتها وعد حفظها من مقومات الرواية والنقد، فقد" أدركت رواة المسجديين والمربديين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب، ونسيب الأعراب، والأرجاز الأعرابية القصار، وأشعار اليهود، والأشعار المنصفة، فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة"[٢]. فالجاحظ يجعل المنصفات غرضاً مستقلاً، يعتدبه الرواة، ومع هذه الأهمية، التي بوأها إياها الجاحظ، بقيت أشعاراً متناثرة قليلة، ولايعرف منها إلا قصائد معدودة[٣].

(١) ابن حمدون، "التذكرة الحمدونية"، ٣: ١٩١.

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،" البيان والتبيين". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (ط٧، مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م)،٤: ٢٣.

(٣) ينظر: عبد الله عسيلان،" العباس بن مرداس الصحابي الشاعر، (المملكة العربية السعودية: دار المريخ، ١٩٧٨م) ، ١٠٠.

يبدو جلياً أن النقد القديم قد اقتصر في تناوله للأشعار المنصفات على المفهوم والدلالة والاختيار، وأطلقوا صفة المنصفات على الأشعار التي أنصف قائلها الطرفين المتحاربين، والتزم بأخلاق الإنصاف، وحمّلوا الصفة معنى الصدق والواقعية والموضوعية في الوصف على وجه الحقيقة والعدل، وبروز الحكمة والرزانة، مع انتفاء صفة المبالغة في وصف الفريقين المتحاربين، ماعدا الطبرسي الذي جعل الإنصاف في الحرب وإمحاض الإخاء على حد سواء، كما جاءت لديهم بمعنى المناصفة بمعنى المقاسمة، إذ إن الشاعر جعل القصيدة نصفين بين القائل وعدوه، ووزع الصفات واحدة بواحدة من باب الإنصاف.

أما في النقد الحديث، فقد تناول الدارسون القصائد المنصفات من زوايا متعددة، نالت القصائد الثلاث الجاهلية حظاً وافراً من هذه الدراسات(١)، وتناولت بعض الدراسات الإنصاف في سياق الحديث عن الشعراء الفرسان، ولكنها انطلقت جميعاً من تحديد مفهوم الإنصاف في الأشعار المنصفة، وتلمس معاني الإنصاف فيها ودواعيه وأسبابه ونتائجه.

أولى الدراسات التي أشارت إلى مفهوم الإنصاف في النقد الحديث هي دراسة نوري حمودي القيسي(٢)، الذي ربط فيها بين الإنصاف والبعد الأخلاقي للفرسان في مواقفهم مع خصومهم – على عصبياتهم القبلية– فالفارس لنبله يعترف بما لخصمه من قوة حتى في موقف الهجاء(٣)، والباحث يوسع دائرة الأشعار المنصفات، فيدخل فيها

(١) قصيدة عامر بن معشر بن أسحم بن عدي (المفضل النكري) جاهلي، والعباس بن مرداس مخضرم، منصفة عبد الشارق بن عبد العزيز الجهني.

(٢) نوري حمودي القيسي، "المنصفات في الشعر الجاهلي". *مجلة الأقلام* ٦، (١٩٦٥).١٥٨- ١٦٤.

(٣) القيسي، "المنصفات في الشعر الجاهلي"، ١٥٨.

كل قصيدة تحمل الطابع نفسه، الذي تتمتع به القصائد المنصفات الثلاثة من" الاعتراف ببطولة الخصوم، وشهدوا لهم بالثبات والجلد، والحرب والشجاعة، والإقدام عند التحام المعارك، يمكن إضافتها إلى تلك القصائد"(١). فالقيسي يعدّ الإنصاف اعترافاً، ويخرجه من باب التفاخر والتعالي، ويجعله من باب تقدير الشجاعة والإعجاب بهذه الصفة المحببة إلى نفوسهم، وهذا جانب أخلاقي في شعر الحرب، وهذا المفهوم للإنصاف المرتبط بالجانب الأخلاقي، هو المفهوم الذي طرحه في دراسته للمنصفات(٢).

ويرى علي الجندي أن الإنصاف هو: الاعتدال والحد من المبالغة والمغالاة في تصوير حال الأعداء، من غير تحيز بما يقارب الحقيقة والواقع(٣).

والإنصاف عند عبد المعين الملوحي، يأتي مرادفاً للاعتدال، والصدق، ونفي المبالغة، والمغالاة في تصوير حال الأعداء، وهو تجل لانتصار الفارس؛ لأنه أنصف عدوه، إضافة إلى انتصاره وغلبته.

وهو يفصّل في مواقف الإنصاف، ويجعل الاعتراف بما للخصم من قوة في النصر وفي الهزيمة وحيث لا نصر ولا هزيمة موقفا نبيلاً، ويقابل ذلك موقف الإنصاف في العلاقات الاجتماعية، وهو الإخاء المحض، وهو لون من الصداقة الحذرة، فسجلها الشاعر في الشعر وعدها لوناً من الإنصاف، وهناك الإنصاف في البغضاء، وهو لم يلتفت إليه النقاد، بل أدركه الشعراء، فللمنصفات إذاً وجوه خمسة، ثلاثة وجوه منها

(١) القيسي، " المنصفات في الشعر الجاهلي"، ١٦٣.

(٢) نوري حمودي القيسي" شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري". (ط١ بيروت: عالم لكتب،١٩٨٦م)، ٦.

(٣) علي الجندي، "شعر الحرب في العصر الجاهلي". (ط٦، بيروت: دار مكتبة الجامعة، ١٩٦٦م)، ١٩٩- ٢٠٠

في الحرب، ووجهان في السلم.

وعد القصائد المنصفات أكثر من ثلاث قصائد، بل ست قصائد، أربع منها في الإنصاف في الحرب، واثنتان في الإنصاف في الإخاء، وهناك مقطوعات أخرى، ويرد على الخالديين في جعلهما القصائد المنصفة في ثلاث قصائد، فالملوحي يجعل للمنصفات وجوهاً خمساً، ثلاثة وجوه منها في الحرب، ووجهين في السلم، فقد جمع "خمسة جوانب من الإنصاف، ثلاثة في الحرب في حالة النصر والهزيمة والتعادل، ورابع في الحب والإخاء، وخامس في الحقد والبغضاء"(١).

ويرادف الإنصاف التصوير الواقعي الحقيقي للخصم عند عفيف عبد الرحمن، إذ يقوم به الفارس محاولا إنصاف الخصوم، بإعطائنا صورة حقيقية لشجاعتهم ونبلهم(٢).

ويرى ثابت محمد صغير مقبل أن المنصفات هي الأشعار التي قيلت في الحرب والسلم، وتوخى قائلوها الصدق والعدل والنصفة في ذكر الوقائع والأحداث والعواطف(٣)، وهي إضافة إلى ذلك تقرير حقائق تحدث على أرض المعركة(٤).

وينظر محمد بدر معبدي إلى المنصفات على أنها نزعة العدل في وصف العدو على شدة عداوتهم لهم، ولذا عرفها على أنها" القصائد التي قالها أصحابها في أعدائهم

(١) عبد المعين الملوحي "المنصفات". (دمشق: وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي،١٩٦٧م)، المقدمة ب، هـ، ت، خ.

(٢) ينظر: عفيف عبد الرحمن، "الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي". (ط١، بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٤م)، ٣٠٢.

(٣) ينظر: ثابت محمد صغير مقبل "المنصفات في الشعر الجاهلي دراسة ونقدا". (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ١٩٨٨٧م)، ١٥٩-١٨١.

(٤) ينظر: مقبل، " المنصفات في الشعر الجاهلي دراسة ونقدا "، ٤٥٩.

ينصفونهم من أنفسهم، إذ لم تمنعهم خصومتهم وشدة عداوتهم لهم أن يقولوا كلمة الحق فيهم، لذلك كانت المنصفات تمثل عنصراً مهماً وقسماً حيوياً من أقسام الشعر"[١].

ويرى غازي طليمات أن مفهوم الإنصاف في الشعر توزيع المفاخر على أصحابها من الجمعين بلا تطفيف ولا تعصب، وهي إقرار من الشاعر بقوة العدو واستعداده للمنازلة الشريفة، وإنصاف في تصوير الملاحم، ينطق اللسان بإطراء الأعداء، واعتراف بسمو العدو في الخلق والسلوك، وتكريم للبطولة والرجولة أيا يكن أصحابها[٢]، ويعد فنّ المنصفات في الشعر اعترافاً بالفضائل وتقدير الآخر، وهي نموذج راق من التعبير الإنساني، يسمو الشاعر فيه عن مشاعر الحقد والتعصّب، ويعبّر عن خصومته بروح نزيهة يسودها العدل والصدق. فالمنصفة ليست ميدانًا للتفاخر أو للانتقام، بل مساحة يلتقي فيها الخصمان على الاعتراف، فيتحوّل العدوّ إلى ندٍّ كريم أو صديقٍ ودود .وبهذا يعكس هذا النمط الشعري نزعة إنسانية سامية تجعل من الشعر وسيلة لتزكية النفس وإعلاء قيم التسامح والإنصاف[٣]. فهذا التفسير يعوّل على تفسير الإنصاف نفسيا " فالشاعر المنصف عندهما هو الذي يضع نفسه موضع خصمه، فيعبر عن معاناته مبرزاً القيم الجميلة التي يخفيها قبح الحرب من بعد الحقد والكراهية وتحول الاحتقار

(١) ينظر: محمد بدر معبدي، "أضواء على شعر المنصفات في الأدب العربي". (القاهرة: المطبعة التجارية، ١٩٨٩م)، ١١.

(٢) ينظر: غازي مختار طليمات،" المنصفات". *مجلة دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر*، ١١-١٢، ١٩٩٢م): ٧٣٤.

(٣) ينظر: غازي طليمات، عرفان الأشقر." الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه. (ط١، حمص: دار الإرشاد، ١٩٩٢م)، ١٥٠.

إلى إكبار، وتعبير عن مشاعر الخصم ومشاركة لأحاسيسه"[١].

وعرّف فتحي عبد المحسن محمد القصائد المنصفات على أنها: هي القصائد التي يتحدث فيها الشاعر عن معركة حدثت بين قبيلته وقبيلة أخرى، فيصف ماحدث في المعركة بين الطرفين على سنن الإنصاف ووجوه العدل[٢]. فالباحث يربط شعر الإنصاف بشعر الحرب، وطبيعة الوصف القائمة على المشاهدة. وقد نُظر إلى المنصفات على أنها نتاج تأمل نفسي ذاتي بعد انتهاء الحرب، فيسقط الفارس ما في نفسه من مدركات شعورية ولا شعورية على الخصم، الذي يغدو مرآة تتحمل كل صور الانعكاس الذاتي للشاعر الفارس[٣].

والإنصاف لدى شوقي ضيف اعتراف بالهزيمة وشجاعة العدو، والواقعية بوصف الحرب، وضبط الانفعال وكظم الغيظ تجاه العدو، فالإعجاب بالخصم والحزن والأسى لمقتله، رفض للحرب لما تجره عليهم من مآس[٤].

ونظر أسامة أبو علامة إلى القصائد المنصفة على أنها: إقرار بما للخصم من قوة

(١) مراد زعباط،"تجليات الإنصاف في شعر صدر الإسلام"، *مجلة اللغة العربية وآدابها*. ١٣، (٢٠١٥): ١٩٧.

(٢) ينظر: فتحي عبدالمحسن محمد، "القصائد المنصفات: دراسة موضوعية فنية". *مجلة كلية التربية جامعة عين شمس* ٧، ٣ (٢٠٠١): ١٧٤.

(٣) ينظر: ليلى نعيم الخفاجي، "البواعث النفسية في شعر فرسان عصر ما قبل الإسلام". (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م)، ١٤٢.

(٤) ينظر: شوقي ضيف،"تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي". (ط٢٤، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٣م)، ٢٢٠.

واعتراف له بالشجاعة، ويجعل للإنصاف وجوهاً منها في الحرب: الإنصاف في حال النصر، وفي حال الهزيمة وفي حال التعادل، وفي غير الحرب الإنصاف في حالة الود والإخلاص، وفي حال البعضاء[١].

ويجعل مراد زعباط الأشعار المنصفة الحياد في الحكم بين قبيلتين متحاربتين، يتخللها وصف للوقائع وصفاً يحمل مشاعر الإعجاب بالخصم وشجاعته والأسف والأسى لمقتله، وقد يورد الشاعر هذا الإنصاف مفتخراً بنفسه، فقوته من قوة أنداده، أو مادحاً معجباً بشجاعة خصومه أو معتذراً من فرار مبرراً هروبه من عدوه، فإذا حمل الشعر إحدى هذه المعاني جاز تصنيفه في خانة الأشعار المنصفة سواء كان بيتاً مفرداً، أو مقطعة، أو قصيدة"[٢]. هو المعنى ذاته الذي أورده المؤلف في موضع في كتاب آخر له[٣] خلص إليه من استقراء المفهوم في الدراسات القديمة والحديثة.

ويرى ربيع سعداوي أن المنصفات: قصائد توخّى فيها أصحابها الصدق والنصفة، مصورين خصومهم بصورة حقيقية لشجاعتهم ونبلهم[٤]. وقسم المنصفات إلى الأشعار المنصفة التي عنى بها كل شعر قلّ أو كثر وتتضمن معنى الإنصاف في

(١) ينظر: أسامة علي أحمد أبو علامة، " القَصَائدُ المنْصِفَةُ". (رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم،٢٠٠٣م)، ٢٢،٣٢، ٤٦،٣٩، ٥٢.

(٢) زعباط ،"تجليات الإنصاف في شعر صدر الإسلام"، ١٩٧.

(٣) ينظر: مراد زعباط، "المنصفات من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي دراسة موضوعاتية فنيّة". (رسالة ماجستير، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة١، ٢٠٢٠م)، ١٥.

(٤) ينظر: ربيع سعداوي، "المنصفات في شعر الفرسان في العصر الجاهلي". (رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر ٢٠١٩م)،٥١.

بيت واحد من أبياتها، سواء أكان في الحرب أم في السلم في كل عصر من العصور، والقصائد المنصفة، التي كل قصيدة تتضمن معنى الإنصاف في أكثر من بيتين في الحرب أو السلم وفي كل عصر(١) .

ولكن ذهبت حصة الدوسري، إلى أن المنصفات نوع من تمجيد الذات، والفخر الذاتي والقبلي، ونفت صفة الإنصاف عنها، بقولها:" نستشف من معظم القصائد التي وُصِفَت (بالمنصفات) أنها في مجملها ذاتية أكثر منها غيرية، وفيها إعلاء وتمجيد للذات يفوق إنصاف الخصم والثناء عليه؛ مما يعني أنها لم تتعارض مع النسق الاجتماعي السائد في العصر الجاهلي، الذي يعلي من شأن العصبية القبلية، ويعتد بالفخر الذاتي والانتماء القبلي"(٢). وكذلك تذهب نورا علي يسلم صحران، هذا المذهب، فتقول:" إنَّ الشاعر في هذه القصائد لا يسعى من وراء وصْف خصمه والثناء عليه في صبره وثباته إلى إنصافه ومساواته بقبيلته، بل هو وسيلة غير مباشرة، أو هو إشارة عكسية للثناء على الذات، إذ تبن بالشاهد أنَّ القصائد قصائد فخر وليست من التناصف في شيء"(٣).

نستخلص من جملة ما سبق، أن معنى الإنصاف لا يخرج عن معاني تقرير الواقع، والصدق في الوصف، إعطاء الحق كاملا في المواقف المختلفة، سواء أكانت في

(١) ينظر: سعداوي، "المنصفات في شعر الفرسان في العصر الجاهلي"، ٤٧، ٤٨.

(٢) الدوسري، حصة: "تمجيد الذات في شعر منصفات العصر الجاهلي"، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*، جامعة الكويت: ١٦٠ (٢٠٢٢م): ٢٦٦.

(٣) نورا علي يسلم صحران،" النسق الناسخ لما يُسمَّى بالقصائد المنصفة "دراسة وصفية تحليلية" *مجلة أبحاث المجلد كلية التربية – جامعة الحديدة*، ١١، ١، (٢٠٢٤ م):٨٣٦.

الحرب أم غير الحرب؟ وهي قصائد تعبر عن موقف أخلاقي، أو موقف نفسي ناتج عن تأملات نفسية عميقة، وحالات إنسانية داخلية، ترسم مسار سلوك أخلاقي تجلى في الأشعار المنصفة، ومنهم من نفى وجود الإنصاف، وأدخل الأشعار المنصفة في باب الفخر وتمجيد الذات.

ويمكن لنا أن نقول تعقيباً على مفهوم الإنصاف أنه كان فلسفة في الحياة لدى الفرسان، تخفف من غلواء العصبية، وترفض الحرب، التي أنهكت المتحاربين، وقطعت أواصر العلاقات بين ذوي القربى، وصرمت حبال الود بينهم، فكان الإنصاف نزعة واقعية في وصف المعارك الطاحنة في الأشعار المنصفة تسجيلا لموقف عقلاني ضد للحرب، وتكريهاً بها.

المبحث الثاني: كعب بن معدان الأشقري الأزدي[١]

قصَدنا ألا يكون التعريف بالشاعر هامشياً؛ نظراً لارتباط مفهوم الإنصاف بحياته ورؤيته، وولائه للمهلب بن أبي صفرة، وتمثيله لوجهة نظر الدولة الأموية، وموقفه من الآخر. فهو أبو مالك، كَعْب بن مَعْدان الأَشْقَري، والأشاقر هم بنو عائذ بن دوس من قبيلة الأزد اليمانية، وأمه من بني عبد القيس، شاعر فارس خطيب، معدود بين الشجعان، ومن جِلَّةِ أصحاب المهلّب بن أبي صُفرة والي خراسان في عهد عبد الملك بن مروان، كانت له مشاركة كبيرة في حروبه مع الخوارج الأزارقة، أوفده المهلب إلى الحَجّاج لينقل له بعضاً من وقائع ذلك الصراع.

وكان له أخوان كان لأحدهما ابن يعادي كعباً، وقد قتل كعباً فَقُتِلَ به، كان جرئياً صادقاً في ولائه للمهلب، وقد كان في حضرته عندما وفد إليه رسول الحجاج بن يوسف الثقفي، يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطئه ويضعفه، ويعجزه في تأخيره أمرهم ومطاولتهم، فقال المهلب لرسوله: قل له: إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه، وطلب منه أن يمهله حتى يتدبر أمره في الوقت المناسب، فوافق بناء على طلب عبد الملك، فأنشد كعب مخاطباً المهلب بحضرة رسول الحجاج قصيدة منها[٢]:

فدعِ الحروبَ لشيبِها وشبابِها وعليكَ كلَّ غريرةٍ معطار

وبعد أن حلت ملابسات القضية والعفو عنه بأمر من عبد الملك، حضر إلى

(١) ينظر في ترجمته:

أبو الفرج الأصفهاني، " الأغاني". تحقيق إبراهيم السعافيين، بكر عباس، (ط٣، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٨م)، ١٤: ١٧٩، ١٩٠. خير الدين الز ركلي، الأعلام. (ط٢، بيروت: دار العلم للملايين،١٩٨٩م)،٦: ٨٦.

(٢) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري، ٧٨.

الحجاج ليوضح موقفاً مما قاله: "أيها الأمير، والله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزماتها، ويُوردناه المهلب من خطرها، أن أنجو منها وأكون حجّاماً وحائكا، فقال له الحجاج: أولى لك، لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع، فالحق بصاحبك وردّه من وقته"[١].

بقي على ولائه إلى أن توفي المهلب، واستمر على وده مع يزيد بن المهلب والي خراسان إلى أن وليها قتيبة بن مسلم الباهلي، فمدحه كعب، ونال من يزيد، ومن ثم وليها يزيد، فهرب كعب إلى عمان، فأقام بها مدة ثمَّ اجتواها، وساءت حاله بها، فكتب أبياتاً يعتذر فيها إلى يزيد بن المهلب عما اقترفه بحقه، إلا أن يزيداً قد حبسه، ودس إليه ابن أخ له فقتله، واختلف في تاريخ وفاته[٢]. أما فيما يخص شاعريته، فقد وضع في مرتبة متقدمة من الشعراء كما ورد في خبر عن أبي قتادة قوله:" سمعت الفرزدق يقول: شعراء الإسلام أربعة: أنا، وجرير، والأخطل، وكعب الأشقري"[٣]. وقد تناقلت الأخبار أيضاً أن الفرزدق سئل عنه: يا أبا فراس، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له "كعب"؟ فقال الفرزدق:" أي والذي خلق الشعر"[٤].

ويمثل شعره جانباً مهماً من جوانب شعرنا العربي إبّان الفتوحات الإسلامية؛ فقد شهد الوقائع، فكان شعره نقلاً أميناً لوقائع نشر الدعوة وما رافقها من أهوال، وصورة حيّة للصراع بين الأمويين ومناوئيهم من الخوارج والأزارقة، وقد استطاع بعبقريته أن يُطوّع الشعر للسياسة، فكان نصيراً للأمويين بسيفه ولسانه، وجمع في شعره

(١) الأصفهاني،" الأغاني"، ١٤: ١٨٥.

(٢) فؤاد سيزكين، " تاريخ التراث العربي"، ترجمة محمود فهمي حجازي، راجعه عرفة مصطفى ، سعيد عبد الرحيم، (د.ط، الرياض: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام، ١٩٩١م)، ٢/٣: ١٠٢.

(٣) الأصفهاني،" الأغاني"، ١٤/ ١٧٩.

(٤) الأصفهاني،" الأغاني"،١٤: ١٧٩.

أخلاق فرسان الجاهلية وقيم الإسلام، فكان صادقاً في شعره، ينقل وقائع الحروب بكل واقعية كما تتمثل أمام عينيه.

ويتميز شعره بميزة تفرد بها وهي ظهور جانب من الصراع العقدي في شعره الذي صور فيه صراع المهلب مع الأزارقة والخوارج، وبين بطلان معتقدهم بقوله[١]:

لَـوْلَا المهَلَّبُ لِلجَيْشِ الّـذِي وَرَدُوا كَـرْمَـانَ بَعْـدَ اللهِ مَـا صَـدَرُوا
إِنَّـا اعْتَصَمْنَـا بِحَبْـلِ اللهِ إِذْ جَحَـدُوا بِالمحْكَمَـاتِ وَلَـمْ نَكْفُرْ كَمَـا كَفَرُوا
جَـارُوا عَـنِ القَصْدِ وَالإِسْلَامِ وَاتَّبَعُوا دِينـاً يُخَـالِفُ مَا جَـاءَتْ بِهِ النُّـذُرُ

في هذه الأبيات يمتزج المدح بالاحتجاج العقائدي، فالشاعر يمدح المهلب وجنده من جهة، ويدين خصومهم الخارجين عن العدل والإسلام من جهة أخرى. وقد نال قومه مجدهم بالدماء والتضحيات، فكانت حياتهم قائمة على الكفاح في سبيل الحق. ويرى أن الكرامة الحقيقية لا تُنال إلا في أوقات الشدة، أي لا تنبت في أرض الرفاه، بل في المواقف الصعبة التي تُظهر الصادق من المدّعي.

ويمجّد المهلب بن أبي صفرة، الذي مثّل في نظره القائد الفذّ الجامع بين القوة والإيمان، فهو الذي حمى جيشه من الهلاك بعد الله، فصار رمزًا للبطولة والحكمة العسكرية. كما يبيّن الشاعر المبدأ العقدي الذي يربط هؤلاء الأبطال بسلوكهم، فهم لا يقاتلون طمعًا في دنيا، بل اعتصامًا بحبل الله وتمسكًا بالوحي، في حين أن خصومهم جحدوا الآيات وخرجوا عن "المحكمات"، أي عن الأصول الواضحة في الدين، فانحرفوا عن الدين، واتبعوا دينا يخالف ما جاءت به السماء.

وكان الأشقري أحد الشعراء الذين تتبعوا أماكن الفتوحات، فأشار إلى فتح

(١) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٥٨.

سمرقند، وكرمان وغيرها، كما في قوله(١):

إِلَى كِـرْمَانَ يَحْمِلْـنَ المَنَايَـا بِكُـلِّ ثَنِيَّـةٍ يُـوقِـدْن نَـارَا

وَيَوْمَ الزَّحْفِ بِالأَهْوَازِ ظِلْنَا نُـرَوِّي مِنْهُمُ الأَسَلَ الحِرَارَا

فهو يتتبع جيش الفتح، حتى ليظن القارئ أنه يتتبع خط سير مسيرة التاريخ، ويحدد خريطة رسمتها سنابك الخيول، وثبتت مراكزها، وحددت مواقعها.

وقد أعجب عبد الملك بن مروان بشعره، فقد كان يقول للشعراء:" تشبهوني مرة بالأسد، ومرة بالبازي، ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده"(٢):

بَرَاكَ اللهُ حِينَ بَـرَاكَ بَحْـراً وَفَجَّـرَ مِنْكَ أَنْهَاراً غِـــزَارَا

بَنُوكَ السَّابِقُونَ إِلَى المعَالِي إِذَا مَا أَعْظَمَ النَّاسُ الخِطَارَا

فما يتميز شعر المديح عند الأشقر هو امتزاجه بالعصبيات القبلية، وأنه كان يأتي في معظمه عقب المواقع والحروب، فيعبر عن عاطفة صادقة" وقوة العاطفة لانبثاقه عن عاطفة الولاء القبلي في المرتبة الأولى، ولانسجامه مع عصبية الشاعر لقومه. وجل هذا المديح مقول إثر وقائع خاضها الممدوح ... ولاتصال هذا المديح بالعصبية القبلية كان الشاعر يحرص فيه على الفخر بقومه، والإشادة ببطولاتهم وشجاعتهم ومناقبهم"(٣)

إن شاعراً شهد البطولات في سبيل الحق، ووصف بعينيه الباصرتين، المعارك،

(١) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٦٥- ٦٦.

(٢) الأصفهاني،" الأغاني"،١٤: ١٨١. والأشقري، "شعر الأشقري"، ٦٥، ٦٦.

(٣) إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي. (ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٣م)، ٦٠٦.

وما تخلفه من قتلى، لابد أن ينصف طرفي النزاع عبر تقريره الواقع، وإيراد الحقائق، ولكن بفنية عالية، فقدم "صوراً صادقة لمشاعره وهي تتدفق حساً وعاطفة، فكما كان اندفاعه في تخليد مواقع الفتح صادقاً، كانت قدرته على تصوير بسالة خصومه صادقة أيضاً... فقد أصبح بإمكاننا أن نضع كعباً إلى جانب الشعراء الذين عرفوا بإنصاف الخصوم، وشهدوا لهم بالبلاء الحسن، والثبات في مواطن المعارك، وأن نمنح قصائده صفة الإنصاف؛ لإنصافه خصومه قبل أصحابه"(١).

وشيء آخر يميز الأشقري، فهو من الشعراء القلائل الذين كانوا يمثلون طرفاً في الصراع الفكري الذي احتدم في العصر الأموي، فهو صاحب المهلب بن أبي صفرة، قصر مدحه عليه وعلى أبنائه، والمهلب من القواد الذين نهضوا لمقاومة الأزارقة من الخوارج، واستطاع التغلب عليهم، وكان كعب يشهد المعارك بينهما، فخبر حقيقتها، وعرف عن كثب قوة الرجال، وقدرتهم على المقارعة، فجاءت قصائده أناشيد بطولة تفخر بالقوة، وتشيد بصلابة العقيدة، وتمدح بالقدرة على الثبات، وكان يسجل من خلالها حركة الجيش الإسلامي وهو يناهض الخصوم، وقوافل الفتح وهي تخترق تخوم المشركين(٢)، وهو بين فرحة الانتصار وتعثر الجيش كان يرقب طرفي الصراع، وينظر بعين العدل إلى الفريقين والإنصاف.

(١) نوري حمودي القيسي،" شعراء أميون القسم الثاني". (د.ط، جامعة الموصل: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر١٩٦٧ م)، ٣٨١.

(٢) ينظر: القيسي،" شعراء أميون القسم الثاني"، ٣٧٦.

المبحث الثالث: تجليات الإنصاف في شعر كعب بن معدان الأشقري

نستطيع أن نقسم الإنصاف في شعر الأشقري إلى قسمين: قسم في الحرب، وقسم في السلم، فدائرة "شعر الإنصاف دائرة متسعة تشمل كثيراً من الأشعار سواء فيما يختص بالحرب أو غير الحرب"(١).

الإنصاف في الحرب

لم يأت الإنصاف في قصيدة كاملة من شعر الأشقري، بل جاء الإنصاف في أبيات من قصائد ومقطعات، وفي النتف والبيتين والبيت الواحد. وتأخذ صفة الإنصاف لدى هذا الشاعر سمة خاصة، تتعلق بشخصيته من ناحية وبشعره من ناحية أخرى، إذ تهيأت له ظروف وبواعث عضدت الإنصاف لديه، فهو شاعر فارس شهد المعارك والفتوح الإسلامية، التي خرجوا فيها عن أهداف الحرب في العصر الجاهلي إلى أهداف سامية تمس العقيدة بغية نشرها مدفوعين للتضحية في سبيل نشر التعاليم السمحة. فكان الصراع صراع هداية وليس صراع وجود، وقد أوفده المهلب إلى الحجاج لينقل له بعضاً من وقائع ذلك الصراع مع الأزارقة، وكان مما قاله أمامه(٢):

خَبُّوا كمينَهُمُ(٣)بالسفح إذ نزلوا بِكَازَرُوْنَ فما عَزوا وما نُصروا

بَاتَتْ كَتَائِبُنَا تَرْدِي مُسَوَّمَةً حَوْلَ المهَلَّبِ حَتَّى نَوَّرَ القَمَرُ

(١) فتحي عبدالمحسن. "القصائد المنصفات: دراسة موضوعية فنية". مجلة كلية التربية – القسم الأدبي ٧, (٣)، (٢٠٠١): ١٧٥.

http://search.mandumah.com/Record/139812

(٢) شعر كعب بن معدان الأشقري، جمعه وحققه أحمد محمد عبيد، (ط١، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١٠م) ، ٥٣، ٥٥.

(٣) ورد البيت في الديوان عبَّوْا جنودَهمُ.

هُنَاكَ وَلَّوْا حِزَاناً بَعْدَ مَا فَرِحُوا وَحَالَ دُونَهُمُ الأَنْهَارُ وَالجُدُرُ
تَأْبَى عَلَيْنَا حَزَازَاتُ النُّفُوسِ فَمَا نُبْقِي عَلَيْهِمْ وَمَا يُبْقُونَ إِنْ قَدَرُوا

فضحك الحجاج وقال له: إنك لمنصف ياكعب... كيف كان حالكم مع عدوكم؟ قال: كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم، أنسنا منهم، فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم"(١).

فالحجاج يقصد البيت الأخير، ففيه إنصافٌ للذات والآخر، من حيث إن الأضغان التي تحفر في النفس تدفع كل فريقٍ لقضاء الآخر فيما لو قدر، فهو حكم منصف وصادق وواقعي. فالشاعر يُبدي إنصافاً في الرؤية؛ إذ لا يُبرّئ نفسه ولا قومه، بل يعترف بأن الجميع سواء في الميل والخصومة، ومن هنا يُعدّ البيت حكماً بالعدل من حيث الاعتراف المتوازن بالخطأ المشترك؛ فالشاعر منصفٌ في حكمه ووصفه، إذ جعل الفريقين متساويين في النوايا، وقسّم سوءها بالتساوي بين قومه وأعدائهم، ويشير قوله عندما سُئل عن أعدائه، إلى أن الحرب ليست هدفاً بحد ذاتها، فإذا ارعوى الطرفان انتفت الحرب، أما إذا استعرضا قوتهما، فلا بدَّ من الحرب طمعاً بالنصر لإعلاء كلمة الحق. وهو المعنى الذي يبرز في الأبيات(٢):

وَلَا يُقِيلُونَنَا فِي الحَرْبِ عَثْرَتَنَا وَلَا نُقِيلُهُمْ يَوْماً إِذَا عَثَرُوا
لَا عُذْرَ يُقْبَلُ مِنَّا دُونَ أَنْفُسِنَا وَلَا لَهُمْ عِنْدَنَا عُذْرٌ لَوِ اعْتَذَرُوا
صَفَّانِ بِالقَاعِ كَالطَّوْدَيْنِ بَيْنَهُمَا كَالبَرْقِ يَلْمَعُ حَتَّى يَشْخَصَ البَصَرُ

فالشاعر يعدل في تقسيم روح الغلظة والانتقام وعدم المسامحة بينهم وبين الآخرين، ويساوي بين الفريقين في مستوى الفعل ورد الفعل، فيقول: لا يُقبل منا أي

(١) الأصفهاني، " الأغاني"، ١٤/ ١٨٠.
(٢) الأشقري، " شعر كعب"،٥٦.

عذر إلا ما نراه نحن مقبولاً، ولا نقبل منهم عذراً لو اعتذروا. وهو يشبّه الفريقين المتحاربين بجبلين شاهقين يتقابلان في ساحة المعركة، تتطاير بينهما السيوف، وينتثر بريقها فيشتد التركيز لهول ما يحدث، فتتسع الأعين وتحدّق دون أن تطرف خوفاً وفزعاً ودهشة. إنه تصوير فني رائع يجسّد حدة الصراع، ولكنه أيضاً يرمز إلى تصلّب المواقف وغياب التسامح، فالشاعر منصف هنا عندما يصف ما يكنّه قومه، ويسقطه على الآخر العدو، فلا يداهن ولا يدّعي السلام، بل يفصح عن نواياهم ونوايا الخصوم بناء على انعكاس صورة الآخر على الذات.

ويستحضر الشاعر أحداث المعركة والصراع المحتدم بين قومهم وخصومهم، فيبدأ بالإشارة إلى فضائل قومه وتفوقهم فما من أحد يدانيهم فضلاً وقوة وتصميماً، ومن ثم يدلف إلى وصف الفريقين، فيساوي بينهما على امتداد القصيدة، لينتهي في البيت الأخير إلى وصف حال الأبطال وهم يتطلعون إلى إنهاء المعركة، إذ بدت عيونهم الشاخصة لطلب النجاة كراهة الحرب.

والشاعر منصف في وصفه حرب خاضها قومه، فيبدأ بتعداد مكارم قومه، ووقائع الحرب بشكل تقريري مفصل، يقول الشاعر(١):

وَلَمْ أَرَ حَيّاً صَابِراً مِثْلَ صَبْرِنَا ... وَلَا كَافَحُوا مِثْلَ الّذِينَ نُكَافِحُ
إِذّا شِئْتُ لَاقَانِي كَمِيٌّ مُدَجَّجٌ ... عَلَى أَعْوَجِيٍّ بِالطِّعَانِ مُسَامِحُ
فَلَمَّا دَنَا الزَّحْفَانِ لَمْ تَكُ نُهْبَةً ... وَمُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهِنَّ المسَالِحُ
وَأَقْبَلَ صَفَّانَا وَفِي عَارِضَيْهِمَا ... حَبِيٌّ تُرَى فِيهِ البُرُوقُ اللَّوَامِحُ
وَدَبَّتْ رِجَالٌ نَحْوَ أُخْرَى عَلَيْهِمُ الـ ... ـحَدِيدُ كَمَا تَمْشِي الجِمَالُ الدَّوَالِحُ
إِذَا أَقْبَلُوا فِي السَّابِغَاتِ حَسِبْتَهُمْ ... سُيُولاً إِذّا جَاشَتْ بِهِنَّ الأَبَاطِحُ

(١) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٢٤، ٢٦.

كَأَنَّ القَنَا الخَطِّـيَّ فِينَـا وَفِيهِـمْ نَوَاشِطُ بِئْـرٍ هَيَّجَتْهَا المَـوَاتِـحُ
إِلَيْهِمْ وَفِيهِمْ مُنْتَهَى الحَرْبِ وَالنَّـدَى وَلِلكَرْبِ فِيهِمْ وَالخَصَاصَـةُ فَاسِـحُ
تَرَى عَلَقاً يَغْشَى الجُلُودَ رَشَاشُـهُ إِذَا انْفَرَجَـتْ عَنْ نَفْثِهِنَّ الجَوَانِـحُ
وَثَمَّ قَـذَفْنَـا بِالرِّمَـاحِ فَمَـا يُـرَى هُنَالِكَ فِي جَمْـعِ الفَـرِيقَيْنِ رَامِـحُ
وَدُرْنَا كَمَا دَارَتْ عَلَى قُطْبِهَا الرَّحَى وَدَارَتْ عَلَى هَامِ الرِّجَالِ الصَّفَـائِحُ
فَطُلَّتْ عُيُونٌ حِينَ دَارَتْ رَحَاهُـمُ لِمَا قَطَرَتْ مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ طَامِحُ

يبدأ الشاعر بالإقرار بأفضلية قومه، إذ لم ير مثلهم، صبراً ولا مكافحة، فهو في الحرب لا يلاقي إلا الأبطال المدججين بالسلاح المتمرسين بالقتال، وهو وصف موضوعي لا تحيز فيه، ثم ينتقل إلى وصف المعركة التي لم تكن مبارزة أو مغنمة، بل كانت حرباً ضروساً استشعرها من كلف لمراقبة العدو، قوم يراقبون العدو لإنذار الجيش، بدأت المعركة وأقبل الصفان وكأنهما سحاب يعترض الأفق، وينذر بآت جلل، بدأت المواجهة بين فريقين مثقلين بالأسلحة، يحملون الدروع ويندفعون بشدة كالسيل، ثم يصور الفريقين بصورة فريدة فهما يتبادلان الرمي بالرماح كأشطان بئر تتسارع لمتح الماء، فالرماح تصوب مسرعة تتوالى وكأنها حبال، ثم يصف الجانب الإنساني لخصومه فهم منتهى القوة والكرم في الحرب ، وهم في حزن الشديد ضاغط على نفوسهم لفقرهم وحاجة في حياتهم، ويقدم صورة مرعبة لمعاناة المتحاربين، فالطعنات الدامية في القلب تتبدى لدى نفثات قلوبهم قطرات من دماء على جلودهم، وانتهت المعركة إلى نفاد الرماح لدى الفريقين، والتف قومه على خصومهم كما تدور رحى الحرب، وأخذت السيوف تقطع هام الرجال، ولكن انتهت المعركة بصورة إنسانية رائعة، إذ لم تأخذ العداوة أبعادها، بل تغلبت النزعة الإنسانية عندما احتدمت الحرب واشتدّ القتال، سالت دموع بعض المقاتلين خشية الموت، وشخصت عيونهم رهبة وخوفاً كأنها تطلب النجدة والنجاة.

ونرى أن الشاعر استخدم الرحى للدلالة على تكافؤ الفريقين في القتال، فهي تدور وتأتي على كل شيئ، وفي حركة دورانها تسحق الجميع، وفي هذا إنصاف في وصف الفريقين من حيث القتل والدمار.

لقد تجلى إنصاف الخصم في الوصف الواقعي للقوة الجماعية والعنف والدمار دون تمجيد أي من الفريقين، والموازنة بين النصر والمعاناة لديهما، وإظهار الجانب الإنساني والخوف الطبيعي للمحاربين، والكشف عن مآسي الحرب لرفضها بشكل غير مباشر. وهو ينصف أعداءه الترك، ويصف معركة بين قومه وبينهم[1]:

وَالتُّرْكُ تَعْلَـمُ إِذْ لَاقَى جُمُـوعَهُـمُ ... أَنْ قَدْ لَقُوهُ شِهَاباً يُفْـرِجُ الظُّلَمَـا

بِفِتْيَةٍ كَأُسُـودِ الغَابِ لَمْ يَجِـدُوا ... غَيْرَ التَّأَسِّي وَغَيْرَ الصَّبْرِ مُعْتَصَمَا

نَرَى شَرَائِحَ تَغْشَى القَوْمَ مِنْ عَلَقٍ ... وَمَـا أَرَى نَبْـوَةً مِنْهَـا وَلَا كَزَمَـا

وَتَحْتَهُمُ قُـرَّحٌ يَـرْكَبْنَ مَا رَكِبُـوا ... مِنَ الكَـرِيهَةِ حَـتَّى يَنْتَعِلْنَ دَمَـا

فِي حَازَةِ المَوْتِ حَتَّى جَنَّ لَيْلُهُـمُ ... كِلَا الفَرِيقَيْنِ مَا وَلَّى وَلَا انْهَزَمَـا

والشاعر يصف موقعة لقوم المهلب مع عصابات الترك، الذين لاقوا جموعاً كآساد الغاب، اعتصموا بالصبر لشدة ما لاقوه من هول المعركة، فاعتصموا بالصبر والشجاعة لا بالغرور، وهو وصف واقعي متزن بعيد عن المبالغة. والصبر في المعركة نوع من مواجهة ضرواتها، للثبات وعدم الهروب، ولذلك لم يتراجعوا، إذ لم ير فيهم نفوراً ولانكوصاً ولا تردد، فتعابير وجوههم لاتنبي بأي رد فعل ذاتي، يظهر ماخفي من ردة فعل على تلك المأساة الدموية المشتركة التي تناثرت فيها الدماء، حتى خيولهم غرقت فيها. فالحرب لديه مأساة دموية مشتركة، تناثرت فيها بقع الداء، ومع هذا لم تنب سيوفهم ولم يعض القوم أو يزموا شفاههم تعبيراً عن شدة المعركة وضرواتها

(١) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٥٤.

ونفورهم منها، ومع ذلك لم يرَ فيهم ضعفًا ولا تراجعًا ولا نُبوة ولا نكوص، ولا كزمًا، ولا انقباضاً ولا تردداً، لقد شاركت الخيول الكريمة في المعركة بشدة، حتى صارت أقدامها تنتعل الدم من كثرة ما سال في الميدان. ويتجلى الإنصاف بشكل جلي أن الفريقين في ذروة المعركة، وليل مدلهم، لم يهربا ولم ينهزما.

فهو لم يُنكر بأسهم، بل أنصفهم بوصفهم رجالًا قاتلوا حتى النهاية. فيكشف عن الحقيقة المرة دون تجميل، وهو وجه من وجوه الإنصاف، فلم يجعل النصر المطلق لطرفه، بل وصف الواقع كما هو: جماعة متقابلة وثبات من الجانبين.

والملفت للنظر تركيزه على هول المعركة، فوصفها بالكريهة نتيجة فعل القتل والتدمية، وهما فعلان غير محببين، ولكنه وصف يشي بمعرفة الحرب عن تجربة ودراية، ومعرفة خباياها، فالقومان المتحاربان على دربة، وممارسة القتال والحرب.

والشاعر ساوى بين الفريقين في رد الفعل عليها؛ قصد الإنصاف في اقتصاص مايجري من الأحوال، ولم يقصد تفضيل أحد الفريقين على الآخر، لذلك غابت صورة المنتصر في نظر الشاعر.

ومن إنصافه وصفه حال الناس بالبصرة، واستخفافهم بأمر الأزارقة، حتى تعاظم خطرهم، فاختبأ الرجال في منازلهم، وأحجموا عن قتالهم، وأصبحوا كالنساء يرتجفون رعبا ورهبا. حتى إذا هب المهلب لنضالهم، فلبت قبيلته نداءه، وخرجت في كتائب جرارة لمكافحتهم، ثم نصيحته لقومه بعدم التهوين من شأن العدو والاستهانة به حتى كانت المفاجأة في الحرب، وفي هذا اعتراف بقوته بعيداً عن المبالغة في القوة الذاتية؛ لأن التجربة الواقعية أثبتت لهم قدرة عدوهم على الحرب ومقارعتهم الند للند، فيقول[1]:

(١) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٥١، ٥٢.

وَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ العَدُوُّ بِهِمْ فَمَا لِأَمْرِهِمُ وِرْدٌ وَلَا صَدَرُ
كُنَّا نُهَوِّنُ قَبْلَ اليَوْمِ شَأْنَهُمُ حَتَّى تَفَاقَمَ أَمْرٌ كَانَ يُحْتَقَرُ
حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِسَابُورِ الجُنُودِ وَقَدْشُبِّتْ لَنَا وَلَهُمْ نَارٌ لَهَا شَرَرُ
نَلْقَى مَسَاعِيرَ أَبْطَالاً كَأَنَّهُمُ جِنٌّ نُقَارِعُهُمْ مَا مِثْلِهِمْ بَشَرُ
نُسْقَى وَنَسْقِيهِمُ سُمّاً عَلَى حَنَقٍ مُسْتَأْنِفِي اللَّيْلِ حَتَّى أَسْفَرَ السَّحَرُ
قَتْلَى هُنَالِكَ لَا عَقْلٌ وَلَا قَوَدٌ مِنَّا وَمِنْهُمْ دِمَاءٌ سَفْكُهَا هَدَرُ

الشاعر يصف حالا قبل الحرب وبعدها، إن آل المهلب استهانوا بالعدو بداية، فكانت الاستهانة غروراً، تبين بطلانه لدى لقاء أعدائهم الأشداء الأبطال في وطيس الحرب، فهم يورون نار الحرب ويزيدونها اشتعالا، قوتهم خارقة فهم في حال من الكر والفر والإقبال والأدبار كأنهم أشباح، وأخذوا يتساقون الموت طوال الليل، ولدى انبلاج الصباح أسفر عن قتلى لايعرف قاتلهم، حيث كانوا في حالة عمياء، ولذلك لاعقل لهم ولا قود، أي لا دية ولاقصاص، فكان سفك الدماء هدراً.

فالفريقان متكافئان، والتكافؤ هو المعنى الحقيقي للمنصفات، وهذا إنصاف في حال التعادل، "وهو أنْ يتكافأ القِرْنان في المعركة فلا ينهزم أيٌّ منهما، ولا ينتصر، فيتساويا في المصاب فيخرج كُلٌّ منهما وقد أثخنته جراح الآخر، أو يتساوى عدد الجرحى والقتلى في قوميهما"(١). والشاعر العربي – عادة – في مثل هذا الموقف، يكون منصفاً، بل "يكاد يكون ميزان صدق، وقسطاس حق، إنه يمثل العدل الذي يقرب أن يكون كاملاً، يضع أعداءه في كفة ويضع قومه في كفة، وتترجح الكفتان مرة تميل هنا، ومرة تميل هناك"(٢).

(١) أبو علامه، " القصائد المنصفة"، ٣٩.
(٢) الملوحي، " المنصفات"، المقدمة ق.

نتلمس في قول الشاعر نوعاً من الأسى لهذه الحرب التي أتت على أرواح ذهبت هدراً، ولذا نجد "أن مشاعر الحقد والكراهية التي تغذيها حالة الحرب إلى تقارب ورغبة في التعرف على الآخر وتلمس مواضع ألمه ومعاناته، من خلال ألم الذات ومعاناتها، إن كلا منها يواجه المصير نفسه، ولا منتصر إلا الحرب التي تبدد إنسانيتهما معا"(١).

ولكن السؤال لماذا صور استهانة قومه بالعدو، وكيف كانت وبالاً بداية؟ نقول: إن "الشاعر المنصف مطالب بأن يرصد الحقائق ويتحراها، وأن يكون كالعدسة اللاقطة التي تغطي كل معلم على أرض المعركة"(٢).

نخلص إلى القول: إن الشاعر قد أنصف قومه وعدوهم في كل شيء: في الشجاعة والإقدام والقتل والدماء والفعل ورد الفعل، ولم يرجح كفة أحد الفريقين على الآخر، فكلا الفريقين خاسر، وهو توجه ضمني من الشاعر ليكون بديلا من الفخر الذاتي والقبلي، الذي يسهم في تأجيج الصراع، ربما يكون للدافع الديني الذي دفع قومه إلى قتال الخوارج أثر في ذلك.

وقد حرص الأشقري على تسويغ مشاركة قومه في الحروب، ليس حباً في الحرب، بل انتقاماً لقتلاهم، التي تحولت ذكراهم إلى ذكرى تنكأ جراحهم، ومن ثم قدم صورة لإنصافهم، في اعترافه بقتلى قومه، يقول(٣):

وَزَادَنَا حَنَقاً قَتْلَى نُذَكِّرُهَا لَا تَسْتَفِيقُ عُيُونٌ كُلَّمَا ذُكِرُوا

(١) هلال الجهاد، "جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي"، ٣٧٢.

(٢) مقبل، " المنصفات في الشعر الجاهلي دراسة ونقدا "، ٤٠٠.

(٣) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٥٥.

إِذَا ذَكَرْنَـا جَرُوزاً وَالّذِينَ بِهَا قَتْلَى مَضَى لَهُمْ حَوْلَانِ مَا قُبِرُوا

يتحدث الشاعر بلغة الجميع، الذين يزدادون غضبنا وحنقنا حين يتذكرون قتلاهم، فهم ضحّوا وقُتلوا ظلمًا، وظلت ذكراهم تنكأ الجراح، وأبقت العيون ذاهلة تعتصر الذاكرة، لستحضر صورتهم، التي تمتلئ بصور القتلى، ولكي يزيد من فجائعيتها، يذكر وجود قتلى لم يقبروا بعد، ليصور فداحة الخطب، فالإنصاف جاء في سياق الحديث عن قتلى قومه، فلا يخفي خسارتهم.

والشاعر منصف في تجسيده للصعوبة التي يلاقيها قومه الأزد في مقارعة الأعداء، فحروبهم شنيعة لهول مايلاقون من أعدائهم، شناعة تتجاوز حد القبح لشدتها، فالطرفان يخوضان معركة قاسية تشيب الشعر هلعاً وخوفاً، يقول[1]:

فِـي كُـلِّ يَوْمٍ تُلَاقِي الأَزْدُ مُفْظِعَـةً يَشِيبُ فِي سَاعَةٍ مِنْ هَوْلِهَا الشَّعَرُ

وَالأَزْدُ قَوْمِي خِيَارُ القَوْمِ قَدْ عَلِمُوا إِذَا قُرُومُهُـمُ يَـوْمَ الـوَغَى خَطَـرُوا

فِيهِـمْ مَعَاقِـــلُ مِـنْ عِزٍّ يُلَاذُ بِهَـــا يَوْمـاً إِذَا شَـمَّرَتْ حَـــرْبٌ لَهَـا دِرَرُ

والشاعر صادق مع نفسه، عادل في وصفه ما يواجه قومه، فهم على منعتهم يواجهون الأهوال، صحيح أنه منحاز إلى قومه، ولكنه في الحقيقة أنصف عدوهم عندما وصف ما يلاقيه قومه من شدة في الحرب، فشجاعة قومه لا يمكن أن يتصورها السامع أو القارئ إلا بلقاء قوم أشداء في معارك ضارية. وهنا يتفهم الشاعر "المأزق الوجودي الرهيب الذي تعاني منه أطراف الصراع، وأن يعيروا العدو الذي عادة ما يخضع للبطش الدموي لساناً يعبر فيه عن ذاتيته وألمه ومعاناته"[2]. وهنا يمكننا القول:

(١) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٥٨.

(٢) هلال الجهاد، " جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي"، ٣٧١.

إن الأشقري، كان فارساً مرتين؛ مرة في والمعركة وأخرى الأخلاق.

ويشكل الأشقري حالاً خاصة في موقفه من الحرب، تلك الحروب التي خاضها آل المهلب، وهي حروب عقدية؛ لذلك كان صادقاً وهو يشهد المعارك في صراع مرير، تهون في سبيله الأنفس، ويرسم الملامح التي تميز ذلك الصراع، إنه صراع بين الحق والباطل من وجهة نظر الدولة التي يمثلها، ويدين لها بالولاء، ومن هذه الزاوية نظر إلى حروب آل المهلب مع الخوارج، الذي يرى أنهم "خرجوا على الدين، وكفروا، وجاروا عن القصد، واتبعوا ديناً يخالف ما جاءت به النذر، وجحدوا بآيات الله، وأن قتالهم أصبح من مستلزمات العقيدة صدقاً أو متابعة، وهي وجهة نظر الدولة التي دفعت بالمهلب ومن سار تحت لوائه، أو ارتبط بسياسته إلى إعلان الحرب عليهم، ومحاولة القضاء عليهم مهما كلف الأمر؛ لمخالفتهم سياسياً ودينياً"(١). يقول(٢):

لَوْلَا المهَلَّبُ لِلجَيْشِ الّذِي وَرَدُوا كَرْمَانَ بَعْدَ اللهِ مَا صَدَرُوا
إِنَّا اعْتَصَمْنَا بِحَبْلِ اللهِ إِذْ جَحَدُوا بِالمحْكَمَاتِ وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرُوا
جَارُوا عَنِ القَصْدِ وَالإِسْلَامِ وَاتَّبَعُوا دِيناً يُخَالِفُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّذُرُ

فهو يسند الانتصار إلى المهلب، فالحروب التي خاضها مع الخوارج كانت على أشدها، فكلا الطرفين استبسل في القتال، وكل طرف يرى الحق في جانبه، وكل واحد يفند آراء الآخر، ويعده مخالفاً للشريعة، وخارجاً على الجماعة. هذه هي فلسفة الحرب عند الأشقري، الذي يمثل رؤية الدولة، وهذه "جهة نظر من يقوم بها ويشنها على غيره، ويسوغ لها، إما بنشره فكرة، أو مبدأ، أو رد عدوان أودفع ضرر، أو غضب لدين الله وهو ما يسمى بالجهاد، وهذا النوع من الحرب مباح عند هؤلاء إن

(١) القيسي، " شعراء أميون، القسم الثاني"، ٣٨١.
(٢) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٥٨.

كان لأسباب أخلاقية أو دينية أو مبدئية لمن يقوم به، في محاولة لتأسيس مجتمع مدني أو جماعة عاملية على أسس العدالة"[١].

وقد وفق الأشقري في تصوير صراع الطرفين، وشدة قتالهما، وقوة كل فريق، وهذا ما تبدّى في أبيات الإنصاف، وكأن الشاعر اضطر للحديث عن الفريق الآخر.

المنصفات في غير الحرب

ذكرنا فيما سلف الإنصاف في الحرب، وله وجوه كما بينا، ولكن الإنصاف تتسع دائرته، لتشمل الحياة الاجتماعية والعلاقات بين الناس، وهو ما ذكره الطبرسي وقد شرح أبياتاً للعباس بن مرداس، وجعلها من المنصفات: "وهو من باب التناصف، وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء، وفيما وصفوه من أوالهم في إمحاض الإخاء قد سموها المنصفات"[٢]. وإمحاض الإخاء هو وجه من وجوه الإنصاف الاجتماعي، أشار إليه الطبرسي، ولكن معين الملوحي[٣] يرى له وجهاً ثانياً، وهو الإنصاف في البغضاء.

الإنصاف في حالة الود والإخلاص

(إمحاض الإخاء) "وهو أنْ تنصف أخاك فيما يستحق من المعاملةِ والود"[٤]. ومثاله ما قاله الأشقري في مدح المهلب[٥]:

شفيت صدوراً بالعـراقينِ طالمـا تجاوبَ فيها النائحاتُ الصوادحُ

(١) حسن مجيد العبيدي، " فلسفة الحرب عند ابن خلدون". *مجلة متون* مج١٤، ٤، (٢٠٢١م):١٩.

(٢) عبد القادر بن عمر البغدادي، "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب". ٨: ٣٢٦- ٣٢٧.

(٣) ينظر: الملوحي، "المنصفات"، المقدمة و.

(٤) أبو علامه، "القصائد المنصفة"، ٤٩.

(٥) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٢٧.

مددتَ الندى والجودَ للناسِ كلّهم فهم شَرَعٌ فيه صديقٌ وكاشحُ

يقول الشاعر: لقد أبرأت صدورًا في معارك العراقين (الكوفة والبصرة)، كانت هذه الصدور تغلي بالحقد والعداوة حتى كأنّها تنوح كما تنوح النساء أو الطيور الصادحة بالصوت العالي، ولكن بشجاعته وبأفعاله أطفأ غيظها وشفَى ما فيها من حقد.

فالأشقري يشيد ببطولة المهلب، التي شفت الصدور التي ملأها الحقد والضغينة نتيجة الحروب والقتل والموت، فكان الانتصار على الأعداء شفاء القلوب، كما يشيد بكرمه، الذي عمّ الجميع عدواً وصديقاً، فكان بطلاً في السلم والحرب، يوزع خيره وانتصاراته على الورى، فأعطى بذلك للبطولة معنى يتجاوز الغزو والموت إلى العطاء وبث الحياة.

وينصف الشاعر نفسه عندما أدرك خطأه واعترف بما ارتكب من أخطاء، وينصف من أساء إليهم باعترافه بأنه كان مدفوعاً دفعاً لهجاء ولد المهلب، إذ أوغر قتيبة صدره عليه. ويذكر الأصفهاني، أن الأشقري فارق يزيد بن المهلب، ومدح قتيبة بن مسلم، وأساء ليزيد، وعابه، ولكنه ندم عندما عاد يزيد واليًا على خراسان للمرة الثّانية، وعلم أنّه غضب عليه وأضمر شرًا له لانتقاصه إياه، هرب إلى عمان وأخذ يرسل القصائد إليه يعتذر فيها عما فرّط، وأنّه أذنب ذنبًا عظيمًا لجهله وتسرعه، ويعترف بأن قتيبة الذي كان يكره المهالبة، هو الّذي استعداه عليه وأغراه بعيبه[١]، في هذا الموقف، يقول معتذراً، ويتراجع عما أقدم عليه، فينصف نفسه ويزيدا[٢]:

بِئْسَ التَّبَـدُّلُ مِنْ مَـرْوٍ وَسَـاكِنِهَـا أَرْضُ عُمَانَ وَسُكْنَى تَحْتَ أَطْوَاد

يُضْحِي السَّحَابُ مَطِيراً دُونَ مَنْصِفِهَا كَـأَنَّ أَجْبَـالَهَـا عُلَّتْ بِفِرْصَـادِ

(١) ينظر: الأصفهاني، "الأغاني"، ١٤: ١٨٥.

(٢) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٣٦.

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى أَمْرٍ خَطَلْتُ بِـهِ وَمَا شَفَيْتُ بِهِ غِمْرِي وَأَحْقَـادِي
أَفْنَيْتُ خَمْسِينِ عَاماً فِي مَـدِيحِكُـــمْ ثُمَّ اغْتَرَرْتُ بِقَوْلِ الظَّـالِمِ العَــادِي

يحمل القول ألام نفس الشاعر النادمة على ما اقترفه من سوء القول بحق آل المهلب، وما آلت إليه حاله؛ ولذلك يعترف بخطئه، ويظهر ندمه، ويعبر عن حسرته، فيحاول باعترافه رأب الصدع، وسلَّ الضغائن، لعل الأمور تعود إلى نصابها، ولكنه لم يفلح.

وكان الأشقري منصفاً في هجائه، حين واجه عمر بن عبد العزيز بحقيقة عماله، فيقول مخاطباً الخليفة ومنددا بموظفي الخراج والجزية بخراسان في خلافته، تنديداً قصد منه دون ريب إلى مهاجمته مباشرة؛ لأنه اتهم يزيد بن المهلب بسرقة المبالغ الطائلة من بيت المال بخراسان، وأعفاه من ولاتها، وسجنه(١):

إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَا يَلِيكَ فَإِنَّمَا عُمَّـالُ أَرْضِكَ فِي البِلَادِ ذِئَابُ
لَـنْ يَسْتَجِيبُوا لِلّذِي تَدْعُو لَهُ حَـتَّى تُجَلَّدَ بِالسُّيُـوفِ رِقَــابُ
بِـأَكُفِّ مُنْصِلِتِينَ أَهْلِ بَصَائِرٍ فِـي وَقْعِهِنَّ مَزَاجِــرٌ وَعِقَــابُ

إن الشاعر صادق في قوله، فلم يداج الخليفة، ولم يمالئه، بل لفت انتباهه إلى الانتهاكات المنافية للشرع التي كان يمارسها عمالهم مؤكداً عقابهم كوسيلة ناجعة؛ لتطهير الأرض من خبثهم.

فالشاعر صادق في نقده، صادق في دفاعه عن يزيد بن المهلب، الذي اتهمه بسرقة المبالغ الطائلة من بيت المال بخراسان، وأعفاه من ولاتها، ويرى أحد الدارسين أن هذا الشعر نوع من الهجاء القبلي والسياسي، هدفها "الدفاع عن الأزد، ونقض تخرصات خصومهم التي عابوا بها زعماءهم والمحافظة على مصالح الأزد والدعوة إلى

(١) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ١٨.

احتجاز كلّ فائدة لهم، والدعوة إلى إعادة النظر في سيادتهم مع حلفائهم ابتغاء اتباع أسلوب جديد ينسجم مع مواقف كلّ حليف منهم"(١).

ونحن لا نخرج هذا من الهجاء، ولكنه الهجاء الذي أنصف فيه المهجو، وصدق فيه؛ لأن القصد منه هو هجاء عماله، الذين حادوا عن الحق والعدل، ومحاولة ردع كل من ينال من آل المهلب.

وبعد أن عرضنا لإنصاف الشاعر كعب بن معدان الأشقري، نسأل: هل كان الأشقري منصفاً؟ لم يكن الشاعر منصفاً في قصائده كلها، بل جاءت أبيات الإنصاف في قصائده متفرقة، وفي البيت والبيتين في حالي الحرب والسلم.

وأرى أن الإنصاف يحدد موقف الشاعر من الآخر، ومن نفسه، فالشاعر يضبط انفعاله، ويكظم غيظه، وحقده، ويتخلى عن عصبيته، فيعجب بالخصم القوي إعجابه بأبطال قومه، ويأسى لما جرته الحروب من مآس. فالذات والآخر غير منفصلين لديه، بل متلازمان، ولعل تحديد مفهوم الأنا يسهم في إبراز الآخر، وبما أن حضور أحدهما يستدعي تلقائيًا حضور الآخر بما يعني "أن وجود الآخر يستلزم وجود الذات، ويعينها على التعرف على حقيقتها، والصورة التي تكوّنها الذات عن الآخر في ذهنها هي التي تحدد العلاقة الموجودة بينهما"(٢). فخصوم الأشقري عمقت رؤيته لقومه، فعلى مقدار ما هم عليه الخصوم كان يتصور قومه نداً لهم، ومن هنا تولدت النظرة المنطقية، الصادقة، العدل، الحقة للفريقين.

(١) حسين عطوان، "الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي". (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤م)، ٢٧٤– ٢٥٧.

(٢) عبد الله عازار، "الآخر حسب سارتر وظاهرية ميرلوبونتي". *مجلة الفكر العربي المعاصر*٨٦ ، ٨٧، (١٩٩١م): ١٠٦.

والذات لاتكتشف حقيقتها إلا من خلال علاقتها بالآخر، و"لا وجود للأنا من دون آخر، ولا وجود لآخر من دون أنا، وصورتنا عن ذاتنا لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما أن صورة الآخر لدينا تعكس صورة ذاتنا"(١).

وبناء على هذا، فالشاعر منصف، وخطاب الإنصاف خطاب عن الذات في علاقتها بالآخر؛ فالأخلاق تبدأ مع الآخر، والإنسان لا يكتمل في ذاته فقط، بل في علاقته به. فالآخر ليس مجرد شخص مثلنا، بل وجود يتجاوزنا ويطلب منا مسؤولية أخلاقية. والإنسان مطالب بالاستجابة للآخر، والآخر يفرض علينا الاحترام والمسؤولية، لا كخيار، بل كواجب أولي.

إن الإنسان في النهاية "لا يبتلع الآخر ولا تمتص الذات الآخر، ولا تخوض في حربٍ معه حتى الموت"(٢).

(١) الطاهر لبيب، "صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه". (د.ط، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية لعلم الاجتماع، ١٩٩٩م)،٨.

(2) Emmanuel Levinas, Totality and Infinity: An Essay on Exteriority, trans.Alphonso Lingis (Pittsburgh: Duquesne University Press, 1969).p.77

المبحث الرابع: مفهوم الإنصاف ودواعيه لدى الشاعر

لقد كان الأشقري لسان الجماعة والقبيلة، شهد حروب الفتح، وناصر آل المهلب، وقد اصطبغت المعارك التي شهدها الأشقري بصبغة عقائدية، فكان منافحاً عن عقيدته، يحاول ردع من يعتقد بغيهم، فكان صادقاً في دعوته. كان ينظر إلى عدوه نظرة إنصاف، تحذوه رغبة عميقة في وقف القتال أحياناً، فيذكر قتلى الطرفين وأساه عليهم، فأنصف عدوه، وأنصف نفسه، ولم تقف العصبية القبلية حائلا دون إنصافه، بل تغلبت إنسانيته على قبح الحرب، فكان الإنصاف لديه رؤية جمالية ذاتية لتغطية قبح الحرب، ومنفذاً للتواصل بين فريقين لايمكن أن يلتقيا إلا في الحروب، وفي الحرب تسفر النفوس عن حقيقتها، فيكون وصف الآخر بكل موضوعية وصدق نوعا من الإيجابية في تلك الصلة المتوترة بين الفريقين، ففي القصائد المنصفة، يحاول" فيها بعض الشعراء أن يتفهموا المأزق الوجودي الرهيب الذي تعاني منه أطراف الصراع، وأن يعيروا العدو الذي عادة ما يخضع للبطش الدموي لساناً يعبر فيه عن ذاتيته وألمه ومعاناته، الأمر الذي يعني أن الوعي الشعري كان يحاول التنبه إلى إنسانية الإنسان (في ذاته وفي الآخر) بوصفها قيمة جمالية يمكن أن توجد في عمق كيان الحرب وقبحها"[(١)]. ومع العلم أن الحرب بذاتها لاتستطيع "أن تحض على النشاط الجمالي. ولكنها قد توصل إلى هذه النتيجة بواسطة التواصل الذي تقيمه بالضرورة بين جماعات تظل معزولة سياسياً لولا الحرب. ولذا يتفق للحرب أن تؤثر على نحو واحد، سواء كان تأثيراً حسناً أم سيئاً: قد يكون للنصر أو للهزيمة نفس التأثير في الفنون، أي أن النتائج الجمالية للحرب متفاوتة تفاوتاً مطلقاً بالنسبة إلى صفاتها النوعية، على

(١) هلال الجهاد، "جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي"، ٣٧١.

نقيض ما كنا نرقب منها لو كانت للحرب بذاتها فضيلة جمالية"[١].

فالشاعر الأشقري في ذروة المعركة واحتدامها، كان في بعض أبياته يأسى لمقتل أعدائه بدون ثأر ولا دية، وأن رحى الحرب تدور على الأبطال، وتذهل أبصارهم من هول ما يرون، وأن الدماء تزهق هدراً، فأنصف قومه في انتصاراتهم وهزيمتهم، وحذّر من مغبة الاستهانة بالعدو. "بإزاء هذه الخسارة الفادحة، وتتحول مشاعر الحقد والكراهية التي تغذيها حالة الحرب إلى تقارب ورغبة في التعرف على الآخر وتلمس مواضع ألمه ومعاناته من خلال ألم الذات ومعاناتها. إن كلاً منهما يواجه المصير نفسه ولا منتصر إلا الحرب التي تبدد إنسانيتهما معاً"[٢].

ولم يقتصر إنصاف الشاعر على شعر الحرب، بل كان لديه شعر منصف خارج الحرب، فأنصف نفسه في الاعتراف بخطئه وندمه على ما جنته يديه عندما تحول إلى قتيبة بن مسلم، وهجا يزيد بن المهلب، وأنصف في مدحه للمهلب الذي عم خيره الجميع، وكان واقعياً بخطابه للخليفة عمر بن عبد العزيز بنقد عماله.

إن حروب قوم الشاعر كانت تنتهي دوما بالإصرار على الانتصار كونها حروباً عقدية، لا يمكن أن تنتهي بسلام لأن الفريقين كانا يحاولان إنهاء بعضهما، فهي حروب الدولة ضد الخارجين على الدين.

فالشاعر خاض المعارك لا من أجل الأسلاب والغنائم، بل من أجل إحقاق الحق وإقامة العدل، وإقامة الشريعة الحقة من وجهة نظر الدولة، وهي الأبيات التي

(١) شارل لالو، "الفن والحياة الاجتماعية". ترجمة عادل العوا، (ط١، بيروت: دار الأنوار، ١٩٦٦م)، ٢٦٣.

(٢) هلال الجهاد، "جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي"، ٣٧٢.

ختم بها ملحمته الرائية[١].

وإذا بحثنا في دواعي الإنصاف لوجدنا أن دواعي الإنصاف تنسرب عبر مسارين:

- الدين الإسلامي وتأكيده قيم الحق والعدل.
- روح الإنصاف في الصدق وعدم المبالغة، والالتزام بالرؤية الإسلامية للشعر.

فالتزامه بالدين الإسلامي وصدقه جعل شعره وثيقة تاريخية صادقة تعبّر عن روح الجهاد الإسلامي، ونموذجًا للعدالة في القول والوصف، فهو يربط بين الشجاعة والعقل، وبين القوة والخلق.

وعلى هذا، فالإنصاف في شعر كعب بن معدان الأشقري هو عدالة في الرؤية ووصف متوازن للذات والآخر. فالأدب في هذه الحال يستطيع أن يولد رؤية بما حدث عبر الوصف الواقعي والتسجيل التاريخي عن طريق التخييل، فالتخييل هو الذي ينقل التاريخ إلى الأدب، ويسمح بإعادة بناء الحدث، فيستطيع بذلك توظيفه فيما يريد.

(١) الأشقري، " شعر كعب بن معدان الأشقري"، ٥٨.

الخاتمة

في ختام البحث، يمكن أن نقول: إن الإنصاف مطلب عزيز المنال في الحياة العادية، فكيف الحال في الحروب حيث تبلغ النفوس ذروة حنقها وحقدها، وتتطلع للنيل من العدو وسحقه بلا رحمة، ومن هنا كان الإنصاف جهاد النفس ضد التحيز والمغالاة والعصبية القبلية.

وقد أسفر البحث عن عدد من النتائج، نوجزها بما يأتي:

- لقد قصر النقاد القدماء الإنصاف على شعر الحرب، وعنوا بها إعطاء الحق لأهله، بلا مبالغة ولاتحيز ولا تزييف، كما أشار بعضهم إلى معنى النّصَفة، وجعل القصيدة مناصفة بين الفريقين. أما عند المحدثين فقد كان المعنى أكثر اتساعاً؛ لأنهم أدخلوا قصائد أخرى تضمنت إنصافاً في الحرب والحياة الاجتماعية، فلم يشترطوا أن يكون موضوعها هو الحرب، ويمكن أن يكون في القصيدة والمقطعات والبيتين والبيت المفرد، وقال بعضهم بعدم وجود الإنصاف؛ وهو من باب الفخر الذاتي والقبلي.
- اكتسب مفهوم الإنصاف في شعر كعب بن معدان الأشقري معنى جديداً عما كان عليه في العصر الجاهلي، إذ اتخذ طابعاً قبلياً، تنتهي فيه الحرب بنزعة الإصرار على القتال إلى حدّ الإفناء؛ لأن الخصم مخالف في العقيدة والمعتقد.
- يتخذ الإنصاف لدى الأشقري معنى الصدق في التعبير والوصف الواقعي في إطار أخلاقي وديني، كان منصفاً في حال التعادل، ومنصفاً في حال الاستسلام، ومنصفاً في حال الود، أما في النصر فكان يسوغه بأمر إلهي فهم أصحاب الحق والحقيقة.

وفي الختام توصي الباحثة الدارسين بالبحث والتقصي عن ثغرات لم يطرقها الباحثون في قضايا الأدب الكبرى بشكل موسع، ويستقصي أبعادها، ليستكمل حلقات هذا التراث العظيم، ولاسيما في دراسة المنصفات في كل العصور، ويتتبعون تطور معناه ليكملوا حلقة الإنصاف في كل العصور، ليبينوا كيف كان معنى مضيئاً في حياة قانونها المظلم.

المصادروالمراجع

أولاً: المراجع العربية

آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز. "القاموس المحيط". تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. (ط٦، دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م).

أحمد، الشحات الغمري." الذات والآخر في الأدب العربي (عصر بني أمية) (رؤية تحليلية نصية)". حولية اللغة العربية بجرجا١٤، ٣، (٢٠١٠ م):٢٤٨٥-٢٥٨٧.

أسامة علي أحمد أبو علامة،" القَصَائدُ المُنْصِفَةُ". (رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٣م)

الأشقري، "شعر كعب بن معدان الأشقري"، جمعه وحققه أحمد محمد عبيد، (ط١، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١٠م).

الأصفهاني، أبو الفرج." الأغاني". تحقيق إبراهيم السعافيين، بكر عباس. (ط٣، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٨م).

الزركلي، خير الدين." الأعلام. (ط٢، بيروت: دار العلم للملايين،١٩٨٩م).

الأصمعي، عبد الملك بن قريب."الأصمعيات". تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. (ط٣، مصر: دار المعارف، د.ت).

الأفريقي، ابن منظور. "لسان العرب". تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي. (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٩٩٩ م).

البغدادي، عبد القادر. "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر." البيان والتبيين". تحقيق عبد السلام محمد هارون.

(ط٧، مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م).
ابن جعفر، قدامة. " نقد الشعر". تحقيق عبد المنعم خفاجي. (بيروت: دار الكتب العلمية).
الجمحي، ابن سلام الجمحي." طبقات فحول الشعراء". تحقيق محمود محمد شاكر. (د.ط، جدة: دار المدني، د.ت).
الجندي، علي."شعر الحرب في العصر الجاهلي". (ط٦، بيروت: دار مكتبة الجامعة، ١٩٦٦م).
الجوهري، إسماعيل بن حماد. " الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. (ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م).
حصة، الدوسري." تمجيد الذات في شعر منصفات العصر الجاهلي". *المجلة العربية للعلوم الإنسانية* ١٦٠(٢٠٢٢م):٢٣٧- ٢٧٢.
ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد. "التذكرة الحمدونية". تحقيق إحسان عباس، بكر عباس. (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٦م).
الخالديان، أبو بكر محمد، أبو عثمان سعيد. "الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين". تحقيق السيد محمد يوسف. (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر١٩٥٨م).
الخفاجي، ليلى نعيم."البواعث النفسية في شعر فرسان عصر ما قبل الإسلام". (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م).
الدنيوري، ابن قتيبة. " كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني". تصحيح سالم الكرنكوى. (بيروت: دار النهضة الحديثة، ١٩٥٣م).
الدنيوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة." الشعر والشعراء". تحقيق أحمد محمد شاكر. (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢ م).

الراغب، الأصفهاني." المفردات في غريب القرآن ". (القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ١٩٦٢م).

زعباط، مراد. "تجليات الإنصاف في شعر صدر الإسلام". *مجلة إشكالات في اللغة والأدب* ١٠، (٢٠١٦): ٨ – ٣٣.

زعباط، مراد "المنصفات من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي دراسة موضوعاتية فنيّة". (رسالة دكتوراه، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة١، ٢٠٢٠م).

سعداوي، ربيع. "المنصفات في شعر الفرسان في العصر الجاهلي". (رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر ٢٠١٩م).

سيزكين، فؤاد." تاريخ التراث العربي". ترجمة محمود فهمي حجازي. راجعه عرفة مصطفى، سعيد عبد الرحيم. (د.ط، الرياض: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام، ١٩٩١م).

شوقي ضيف،"تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي". (ط٢٤، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٣م).

الضناوي، سعدي. مالك، جوزيف. " معجم المترادفات والأضداد".(طرابلس: ناشرون، ٢٠٠٧م).

طليمات، غازي مختار. "المنصفات". *مجلة دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر*، ١١-١٢، (١٩٩٢م).٧٢٩ – ٧٣٥.

http://search.mandumah.com/Record/134083

طليمات، غازي، الأشقر، عرفان. "الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه. (ط١، حمص: دار الإرشاد، ١٩٩٢م).

عازار، عبد الله. "الآخر حسب سارتر وظاهرية ميرلوبونتي". *مجلة الفكر العربي المعاصر*، ٨٦، ٨٧، (١٩٩١م): ١٠٦-١٠٩

عبد الرحمن، عفيف."الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي". (ط١، بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٤م).

عبد المحسن، فتحي. "القصائد المنصفات: دراسة موضوعية فنية". مجلة كلية التربية – القسم الأدبي ٧، ٣، (٢٠٠١): ٢١٦. – ١٧١

http://search.mandumah.com/Record/139812

عبد الوهاب، خليل إبراهيم." معاني البطولة في شعر كعب بن معدان الأشقري". *مجلة ديالى للبحوث الإنسانية* ٣، (٢٠٠٧ م): ٤٢٠- ٤٣١.

العبيدي، حسن مجيد." فلسفة الحرب عند ابن خلدون". *مجلة متون* مج١٤، ٤، (٢٠٢١م): ٨-١٩.

عسيلان، عبد الله." العباس بن مرداس الصحابي الشاعر. (المملكة العربية السعودية: دار المريخ، ١٩٧٨م).

عطوان، حسين. "الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي". (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤م).

القطامي، عمير بن شييم بن عمرو بن عباد." ديوان القطامي". تحقيق إبراهيم السامرائي،

أحمد مطلوب. (ط١، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠م).

القيسي، نوري حمودي."المنصفات في الشعر الجاهلي". *مجلة الأقلام* ٦، (١٩٦٥).١٥٨-١٦٤.

القيسي، نوري حمودي،" شعراء أميون القسم الثاني". (د.ط، جامعة الموصل: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر١٩٦٧م).

القيسي، نوري حمودي. "شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري". (ط١بيروت: عالم الكتب،١٩٨٦م).

لالو، شارل." الفن والحياة الاجتماعية". ترجمة عادل العوا، (ط١، بيروت: دار

الأنوار، ١٩٦٦م).
لبيب، الطاهر."صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه". (د.ط، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية لعلم الاجتماع، ١٩٩٩م).
المحاسبي، أبو عبد الله حارث بن أسد." آداب النفوس. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٤م).
المحاسني، زكي. " شعر الحروب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة". (د.ط، بيروت: دار الفكر العربي، د.ت).
المرزباني، محمد بن عمران بن موسى. " معجم الشعراء" تحقيق فاروق اسليم. (ط١، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٥م).
معبدي، محمد بدر معبدي. "أضواء على شعر المنصفات في الأدب العربي". (القاهرة: المطبعة التجارية، ١٩٨٩م).
مقبل، ثابت محمد صغير."المنصفات في الشعر الجاهلي دراسة ونقدا". (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ١٩٨٨٧م).
الملوحي، عبد المعين. "المنصفات". (دمشق: وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي،١٩٦٧م).
النص، إحسان." العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي". (ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٣م).
نورا علي يسلم صحران،" النسق الناسخ لما يُسمَّى بالقصائد المنصفة "دراسة وصفية تحليلية" مجلة *أبحاث المجلد كلية التربية – جامعة الحديدة*١١، ١. (٢٠٢٤ م):٨٠٥- ٨٤١.

ثانيًا: المراجع الإنجليزية

Emmanuel Levinas, Totality and Infinity: An Essay on Exteriority, trans. Alphonso Lingis (Pittsburgh: Duquesne University Press, 1969).

Bibliography

Ābādī, Majd al-Dīn Muḥammad ibn Yaʿqūb al-Fayrūz. "al-Qāmūs al-Muḥīṭ". Investigated by by Maktab Taḥqīq al-Turāth fī Mu'assasat al-Risālah under the supervision of Muḥammad Naʿīm al-ʿIrqsūsī. (6th ed., Damascus: Mu'assasat al-Risālah, 1998).

Aḥmad, al-Shaḥḥāt al-Ghamrī. "al-Dhāt wa-al-Ākhar fī al-Adab al-ʿArabī (ʿAṣr Banī Umayyah) (Ruʾyah Taḥlīlīyah Naṣṣīyah)." *Ḥawliyyat al-Lughah al-ʿArabīyah bi-Jirjā* 14, iss. 3 (2010): 2485–2587.

Abū ʿAllāmah, Usāmah ʿAlī Aḥmad. "al-Qaṣāʾid al-Munṣifah". (MA thesis, University of Khartoum, 2003).

al-Ashqarī. "Shiʿr Kaʿb ibn Maʿdān al-Ashqarī". Collected and investigated by by Aḥmad Muḥammad ʿUbaid. (1st ed., Abu Dhabi: Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage, 2010).

al-Aṣfahānī, Abū al-Faraj. "al-Aghānī". Investigated by by Ibrāhīm al-Saʿāfīn and Bakr ʿAbbās. (3rd ed., Beirut: Dār Ṣādir, 2008).

al-Ziriklī, Khayr al-Dīn. "al-Aʿlām". (2nd ed., Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, 1989).

al-Aṣmaʿī, ʿAbd al-Malik ibn Qarīb. "al-Aṣmaʿiyyāt". Investigated by and annotated by Aḥmad Muḥammad Shākir and ʿAbd al-Salām Hārūn. (3rd ed., Egypt: Dār al-Maʿārif, n.d.).

Ibn Manẓūr al-Afrīqī. "Lisān al-ʿArab". Revised by Amīn Muḥammad ʿAbd al-Wahhāb and Muḥammad al-Ṣādiq al-ʿUbaidī. (3rd ed., Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 1999).

al-Baghdādī, ʿAbd al-Qādir. Khizānat al-Adab wa-Lubb Lubāb Lisān al-ʿArab". Investigated by by ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn. (4th ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 2000).

al-Jāḥiẓ, Abū ʿUthmān ʿAmr ibn Baḥr. "al-Bayān wa-al-Tabyīn". Investigated by by ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn. (7th ed., Egypt: Maktabat al-Khānjī, 1998).

Ibn Jaʿfar, Qudāmah. "Naqd al-Shiʿr". Investigated by ʿAbd al-Munʿim Khafājī. (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah).

Ibn Sallām al-Jumaḥī. "Ṭabaqāt Fuḥūl al-Shuʿarāʾ". Investigated by Maḥmūd Muḥammad Shākir. (n.ed., Jeddah: Dār al-Madanī, n.d.).

al-Jundī, ʿAlī. "Shiʿr al-Ḥarb fī al-ʿAṣr al-Jāhilī". (6th ed., Beirut: Dār Maktabat al-Jāmiʿah, 1966).

al-Jawharī, Ismāʿīl ibn Ḥammād. "al-Ṣiḥāḥ Tāj al-Lughah wa-Ṣiḥāḥ

al-ʿArabīyah". Investigated by Aḥmad ʿAbd al-Ghafūr ʿAṭṭār. (3rd ed., Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, 1984).

al-Dawsarī, Ḥiṣṣah. "Tamjīd al-Dhāt fī Shiʿr Munṣafāt al-ʿAṣr al-Jāhilī". *The Arab Journal of Humanities* 160 (2022): 237–272.

Ibn Ḥamdūn, Muḥammad ibn al-Ḥasan ibn Muḥammad. "al-Tadhkirah al-Ḥamdūnīyah". Investigated by Iḥsān ʿAbbās and Bakr ʿAbbās. (1st ed., Beirut: Dār Ṣādir, 1996).

al-Khālidiyyān, Abū Bakr Muḥammad and Abū ʿUthmān Saʿīd. "al-Ashbāh wa-al-Naẓāʾir min Ashʿār al-Mutaqaddimīn wa-al-Jāhilīyah wa-al-Mukhaḍramīn". Investigated by al-Sayyid Muḥammad Yūsuf. (Cairo: The Committee of Authorship, Translation, and Publication, 1958).

al-Khafājī, Laylá Naʿīm. "al-Bawāʿith al-Nafsīyah fī Shiʿr Fursān ʿAṣr Mā Qabla al-Islām". (MA thesis, University of Baghdad, 2002).

Ibn Qutaybah al-Dīnawarī. "Kitāb al-Maʿānī al-Kabīr fī Abyāt al-Maʿānī". Revised by Sālim al-Karnakawī. (Beirut: Dār al-Nahḍah al-Ḥadīthah, 1953).

al-Dīnawarī, Abū Muḥammad ʿAbdullāh ibn Muslim ibn Qutaybah. "al-Shiʿr wa-al-Shuʿarāʾ". Investigated by by Aḥmad Muḥammad Shākir. (2nd ed., Cairo: Dār al-Maʿārif, 1982).

al-Rāghib al-Aṣfahānī. "al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān". (Cairo: Maṭbaʿat Muṣṭafá al-Ḥalabī wa-Awlādih, 1962).

Zaʿbāṭ, Murād. "Tajalliyāt al-Inṣāf fī Shiʿr Ṣadr al-Islām". *Majallat Ishkālāt fī al-Lughah wa-al-Adab* 10 (2016): 8–33.

Zaʿbāṭ, Murād. "al-Munṣafāt min al-ʿAṣr al-Jāhilī Ḥattá Nihāyat al-ʿAṣr al-Umawī: Dirāsah Mawḍūʿātīyah Fannīyah". (PhD dissertation, Frères Mentouri Constantine 1 University, 2020).

Saʿdāwī, Rabīʿ. "al-Munṣafāt fī Shiʿr al-Fursān fī al-ʿAṣr al-Jāhilī". (MA thesis, Emir Abdelkader University, 2019).

Sezgin, Fuat. "Tārīkh al-Turāth al-ʿArabī". Translated by Maḥmūd Fahmī Ḥijāzī. Reviewed by ʿArafah Muṣṭafá and Saʿīd ʿAbd al-Raḥīm. (n.ed., Riyadh: The Department of Culture and Publishing at Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, 1991).

Ḍaif, Shawqī. "Tārīkh al-Adab al-ʿArabī fī al-ʿAṣr al-Jāhilī". (24th ed., Cairo: Dār al-Maʿārif, 2003).

al-Ḍannāwī, Saʿdī, and Jūzīf Mālik. "Muʿjam al-Mutarādifāt wa-al-Aḍdād". (Tripoli: Nāshirūn, 2007).

Ṭulaymāt, Ghāzī Mukhtār. "al-Munṣafāt". *Dar Al-Yamamah Journal for Research, Translation, and Publishing* 11–12 (1992): 729–735.

Ṭulaymāt, Ghāzī, and ʿIrfān al-Ashqar. "al-Adab al-Jāhilī: Qaḍāyāhu, Aghrāḍuh, Aʿlāmuh, Funūnuh". (1st ed., Homs: Dār al-Irshād, 1992).

ʿĀzār, ʿAbdullāh. "al-Ākhar Ḥasb Sartre wa-Ẓāhirīyat Merleau-Ponty". *The Contemporary Arab Thought Journal*, 86–87 (1991): 106–109.

ʿAbd al-Raḥmān, ʿAfīf. "al-Shiʿr wa-Ayyām al-ʿArab fī al-ʿAṣr al-Jāhilī". (1st ed., Beirut: Dār al-Andalus, 1984).

ʿAbd al-Muḥsin, Fatḥī. "al-Qaṣāʾid al-Munṣafāt: Dirāsah Mawḍūʿīyah Fannīyah". *The Journal of the College of Education – Humanities Division* 7, iss. 3 (2001): 171–216.

ʿAbd al-Wahhāb, Khalīl Ibrāhīm. "Maʿānī al-Buṭūlah fī Shiʿr Kaʿb ibn Maʿdān al-Ashqarī". *The Diyala Journal for Humanitarian Research* 3 (2007): 420–431.

al-ʿUbaidī, Ḥasan Majīd. "Falsafat al-Ḥarb ʿinda Ibn Khaldūn". *Mutūn journal* 14, iss. 4 (2021): 8–19.

ʿUsaylān, ʿAbdullāh. "al-ʿAbbās ibn Mirdās al-Ṣaḥābī al-Shāʿir". (Saudi Arabia: Dār al-Mirrīkh, 1978).

ʿAṭwān, Ḥusain. "al-Shiʿr fī Khurāsān min al-Fatḥ ilá Nihāyat al-ʿAṣr al-Umawī". (1st ed., Beirut: Dār al-Jīl, 1974).

al-Qaṭāmī, ʿUmayr ibn Shuyaim ibn ʿAmr ibn ʿAbbād. "Dīwān al-Qaṭāmī". Investigated by by Ibrāhīm al-Sāmarrāʾī and Aḥmad Maṭlūb. (1st ed., Beirut: Dār al-Thaqāfah, 1960).

al-Qaisī, Nūrī Ḥammūdī. "al-Munṣafāt fī al-Shiʿr al-Jāhilī". *al-Aqlām Journal* 6 (1965): 158–164.

al-Qaysī, Nūrī Ḥammūdī. "Shuʿarāʾ Ummiyyūn: al-Qism al-Thānī". (n.ed., Mosul University: Muʾassasat Dār al-Kutub, 1967).

al-Qaisī, Nūrī Ḥammūdī. "Shiʿr al-Ḥarb Ḥattá al-Qarn al-Awwal al-Hijrī". (1st ed., Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1986).

Lalou, Charles. " Art and Social Life". Translated by ʿĀdil al-ʿAwwā. (1st ed., Beirut: Dār al-Anwār, 1966).

Labīb, al-Ṭāhir. "Ṣūrat al-Ākhar al-ʿArabī Nāẓiran wa-Manẓūran Ilayh". (n.ed., Beirut: Center for Arab Unity Studies in Sociology, 1999).

al-Muḥāsibī, Abū ʿAbdillāh Ḥārith ibn Asad. "Ādāb al-Nufūs". Investigated by by ʿAbd al-Qādir Aḥmad ʿAṭā. (1st ed., Beirut: Dār al-Jīl, 1984).

al-Maḥāsinī, Zakī. "Shiʿr al-Ḥurūb fī Adab al-ʿArab fī al-ʿAṣrayn al-Umawī wa-al-ʿAbbāsī ilá ʿAhd Sayf al-Dawlah". (n.ed., Beirut:

Dār al-Fikr al-ʿArabī, n.d.).
al-Marzubānī, Muḥammad ibn ʿImrān ibn Mūsá. "Muʿjam al-Shuʿarāʾ". Investigated by by Fārūq Aslīm. (1st ed., Beirut: Dār Ṣādir, 2005).
Maʿbadī, Muḥammad Badr Maʿbadī. "Aḍwāʾ ʿalá Shiʿr al-Munṣafāt fī al-Adab al-ʿArabī". (Cairo: al-Maṭbaʿah al-Tijāriyyah, 1989).
Muqbil, Thābit Muḥammad Ṣaghīr. "al-Munṣafāt fī al-Shiʿr al-Jāhilī: Dirāsah wa-Naqdan". (MA thesis, Umm al-Qurá University, 1987).
al-Mallūḥī, ʿAbd al-Muʿīn. *"al-Munṣafāt"*. (Damascus: Ministry of National Culture, Tourism, and Guidance Affairs, 1967).
al-Naṣṣ, Iḥsān. "al-ʿAṣabīyah al-Qabalīyah wa-Atharuhā fī al-Shiʿr al-Umawī". (2nd ed., Damascus: Dār al-Fikr, 1973).
Ṣaḥrān, Nūrā ʿAlī Yaslam. “al-Nasaq al-Nāsikh limā Yusammá be-al-Qaṣāʾid al-Munṣifah: Dirāsah Waṣfīyah Taḥlīlīyah". Research Journal, Faculty of Education, Al Hudaydah University 11, iss. 1 (2024): 805–841.

تداوليَّة الأفعال الكلاميَّة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل

A Pragmatic Speech Acts in the Prophetic Hadiths about Camels

د. مشعل بن فيحان بن بلَّاش العصيمي

أستاذ البلاغة والنَّقد المشارك بالكليَّة الجامعيَّة برنية بجامعة الطَّائف

البريد الإلكتروني: mf.alosaimi@tu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
02/11/2025		25/02/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-008		

المستخلص:

تُعدُّ الأفعال الكلاميَّة أحد الأبعاد الأساسيَّة لمكوناتها الَّتي تُستخدم كمنطلق لتحليل الخطاب؛ بهدف استنباط الدَّلالات التَّداوليَّة، والكشف عن الغايات الكامنة وراء عمليَّات التَّواصل، كما تتيح هذه المقاربة فهم العلاقات بين المتكلِّمين والمخاطَبين؛ ممَّا يعزِّز إمكانيَّة تفسير أبعاد المعاني المتضمِّنة في نصوص مختلفة.

انطلاقًا من هذا المفهوم، تسعى الدِّراسة إلى تحليل أفعال الكلام الواردة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل، وفق تقسيمات (**سيرل**)؛ بغرض التَّعرف على الأبعاد التَّداوليَّة الَّتي تحملها هذه النُّصوص، وتتمثَّل منهجيَّة البحث في استخراج الأفعال الكلاميَّة وتحديد أنواعها وأغراضها، مع التَّركيز على القوَّة الإنجازيَّة لهذه الأفعال، وذلك بالاعتماد على التَّصنيف الخماسي الَّذي وضعه (**سيرل**) لأفعال الكلام، والَّذي يضم: الإخباريَّات، والتَّوجيهات، والإعلانيَّات، والإلزاميَّات، والتَّعبيريَّات، من أجل تحقيق هدف الدِّراسة بشكل منهجي وشامل.

جاءت أهميَّة البحث في كونه يكشف عن أفعال الكلام وأغراضها الإنجازيَّة في هذه الأحاديث، تتمثَّل أهميته في نقله لمتن الحديث النَّبويّ من مجرد كونه سردًا تاريخيًّا أو وصفًا لغويًّا إلى كونه حدثًا اجتماعيًّا وتشريعيًّا ديناميكيًّا، هذا التَّحول يُبرز مدى مرونة التَّشريع وعمق البصيرة النَّبويَّة في التَّعامل مع البيئة المحيطة وتحليله، ولتحقيق أهداف عدَّة، منها: التَّعرف على أفعال الكلام باعتبارها درسًا لسانيًّا مهمًّا، والكشف عن القوَّة الإنجازيَّة للأفعال الكلاميَّة في الأحاديث.

اتَّخذ الباحث المنهج (**الوصفي والتَّحليلي التَّداولي**) في وصف التَّداوليَّة والأفعال الكلاميَّة في الخطاب النَّبويّ عن الإبل وفق تقسيم (**سيرل**) لها، وتحليل المواضع الَّتي وردت فيها هذه الأفعال، وهو منهج يقوم على أساس علاقة النَّصّ بالمتكلِّم والمخاطب، وعلاقة ذلك بالسِّياق الَّذي يرد فيه.

توصَّلت الدِّراسة إلى نتائج، منها: تجسيد أفعال الكلام في الأحاديث من خلال أقوال تحمل قوَّة إنجازيَّة مباشرة، وأخرى مستلزمة ترتبط بالمقام، وكذلك تتوزَّع أفعال الكلام النَّبويَّة المتعلِّقة بالإبل بين أنواع متعدِّدة تشمل: الإخباريَّة، التَّوجيهيَّة، الإعلانيَّة، الإلزاميَّة، التَّعبيريَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: التَّداوليَّة، الفعل الكلامي، نظرية الأفعال، أحاديث الإبل.

Abstract:

Speech acts are one of the basic dimensions of its components that are used as a starting point for discourse analysis, with the aim of deducing pragmatic meanings and revealing the underlying purposes behind communication processes. This approach also allows for understanding the relationships between speakers and listeners, which enhances the possibility of interpreting the dimensions of meanings contained in different texts.

Based on this concept, the study seeks to analyze the speech acts found in the Prophetic hadiths about camels according to Searle's classifications, in order to identify the pragmatic dimensions that these texts carry. The research methodology consists of extracting the speech acts. Identifying their types and purposes, with a focus on the performative power of these verbs, based on the five-part classification developed by John Searle for speech acts, which includes: declarative, directive, declarative, imperative, and expressive verbs, in order to achieve the study's objective in a systematic and comprehensive manner.

The importance of this research lies in its revelation of speech acts and their performative purposes in these hadiths. Its significance is further highlighted by its transformation of the hadith text from a mere historical narrative or linguistic description into a dynamic social and legislative event. This shift underscores the flexibility of Islamic law and the profound insight of the Prophet in engaging with and analyzing the surrounding environmentTo achieve several objectives, including: to recognize speech acts as an important linguistic lesson, and to reveal the performative power of speech acts in conversations.

The researcher adopted the (descriptive and analytical pragmatic) approach in describing pragmatics and speech acts in the prophetic discourse about camels according to Searle's division of them, and analyzing the places in which these acts were mentioned. This approach is based on the relationship of the text to the speaker and the addressee, and the relationship of that to the context in which it is mentioned.

The study reached several conclusions, including: the embodiment of speech acts in hadiths through statements that carry direct performative power, and others that are implied and related to the context. Also, the prophetic speech acts related to camels are distributed among several types, including: informative, directive, rhythmic, obligatory, and expressive.

Keywords: Pragmatics, speech act, act theory, camel hadiths.

المقدِّمة

الحمد لله الَّذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان مالم يعلم، والصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ الأميِّ خير من نطق بالضَّاد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

فتركِّز التَّداوليَّة على دراسة اللُّغة في سياقاتها الاستعماليَّة، حيث تُعدُّ الأفعال الكلاميَّة أحد الأبعاد الأساسيَّة لمكوناتها الَّتي تُستخدم كمنطلق لتحليل الخطاب؛ بهدف استنباط الدَّلالات التَّداوليَّة، والكشف عن الغايات الكامنة وراء عمليَّات التَّواصل، كما تتيح هذه المقاربة فهم العلاقات بين المتكلِّمين والمخاطَبين؛ ممَّا يعزِّز إمكانيَّة تفسير أبعاد المعاني المتضمِّنة في نصوص مختلفة.

موضوع البحث يدور حول تداوليَّة أفعال الكلام في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل، من خلال تقسيم (**سيرل**) للأفعال الكلاميَّة المتمثلة في الإخباريَّات أو التَّقريريَّات، التَّوجيهات أو الطَّلبيَّات، الإيقاعيَّات أو الإعلانيَّات أو التَّصريحيَّات، الالتزاميَّات أو الوعديَّات، التَّعبيريَّات أو البوحيَّات.

– سبب اختيار الموضوع:

تُعدُّ أحاديث (**الإبل**) في السُّنَّة النَّبويَّة مادَّة غنيَّة للدِّراسات التَّداوليَّة والمنهجيَّة؛ وذلك بسبب طبيعة الإبل في الثَّقافة العربيَّة والبيئة الصَّحراويَّة، حيث لم تكن مجرد وسيلة نقل، بل كانت ركيزة اقتصاديَّة واجتماعيَّة، حيث استخدم النَّبيـ ﷺ ـ الإبل كنموذج لتقريب المفاهيم العقديَّة والتَّشريعيَّة، فالأحاديث لم تكن مجرد إخبار، بل كانت أفعالًا كلاميَّة تهدف لتغيير السُّلوك، فالنَّبي ـ ﷺ ـ ربط القول بالعمل، أي ربط النَّص بالواقع البيئي للمخاطب؛ لضمان أعلى درجات الفهم والاستجابة، وجعل الإبل أداة إيضاح لغويَّة وتشريعيَّة.

استند البحث إلى الأحاديث النَّبويَّة الَّتي تناولت موضوع الإبل، والَّتي وردت فيها لفظة (**الإبل**) بشكل مباشر في نصوصها، مع الأخذ في الاعتبار أنَّ الحديث قد يحوي أكثر من فعل كلامي، وقد تتداخل فيه خطابات مختلفة، وهنا يحاول البحث أن يوظف بينها، أو يتناولها حسب التَّقسيم المتبع.

– أهميَّة البحث:

يتناول البحث تداوليَّة الأفعال الكلاميَّة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل، وتأتي أهميَّة هذا البحث كونه يكشف عن أفعال الكلام وأغراضها الإنجازيَّة في هذه الأحاديث.

– أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

* التَّعرف على الأفعال الكلاميَّة باعتبارها درسًا لسانيًّا مهمًّا.
* تتبُّع أفعال الكلام الواردة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل، وفق تقسيمات (سيرل).
* الكشف عن الأغراض الإنجازيَّة للأفعال الكلاميَّة الواردة في الأحاديث النَّبويَّة، مع التَّركيز على الأفعال التَّوجيهيَّة الَّتي تحقق امتثالًا شرعيًّا؛ كالأمر بالرفق بالإبل وإخراج زكاتها، وكذلك الأفعال التَّقريريَّة الَّتي تمتد لتشكيل وعي المسلم بما يتجاوز التَّوصيف المادي؛ لتعزيز تقدير النِّعم الإلهيَّة كالإبل ودورها الاجتماعي.
* الانتقال من الفهم القاصر للدَّلالة المعجميَّة للألفاظ إلى فحص السِّياق المقامي الَّذي يبرز مقاصد التَّشريع؛ كتحليل مقصد النَّهي عن الصَّلاة في مرابض الإبل، والَّذي يتَّضح أنَّه توجيه إرشادي للحفاظ على طهارة الصَّلاة، وإبعاد المصلِّي عن المخاطر المرتبطة بها.
* دراسة تأثير الأفعال الكلاميَّة النَّبويَّة في تشكيل السُّلوكيَّات على مستوى

الصَّحابة، وتحليل قدرتها على توجيه النُّفوس نحو تغييرات سلوكيَّة جذريَّة، مثل: الحثُّ على التَّحلِّي باللُّطف واللِّين بدلًا من الغلظة في تعامل رعاة الإبل مع الحيوان.

– منهج البحث:

اتَّخذ الباحث المنهج (الوصفي والتَّحليلي التَّداولي) في وصف تداوليَّة الأفعال الكلاميَّة في الخطاب النَّبوي عن الإبل وفق تقسيم (**سيرل**) لها، وتحليل المواضع الَّتي وردت فيها هذه الأفعال، وهو منهج يقوم على دراسة العلاقة بين النَّصِّ والمتكلِّم أو المخاطب، وعلاقة ذلك بالسِّياق الَّذي يرد فيه.

– مشكلة البحث:

تتَّضح من خلال عدَّة تساؤلات:

* ما مفهوم التَّداوليَّة؟ وما أهم محاورها؟
* ما مدى كفاية المنهج التَّداولي لدراسة الأسلوب النَّبوي؟
* ما أفعال الكلام الواردة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل؟
* ما الغرض الإنجازي التَّأثيري للأفعال الكلاميَّة؟

– الدِّراسات السَّابقة:

لم يجد الباحث من تناول تداوليَّة الأفعال الكلاميَّة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل بشكل خاصٍ، وإن كانت هناك دراسات عامَّة درست أفعال الكلام في أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ، ومن هذه الدِّراسات:

– رسالة دكتوراه لوناسة كرازي، بعنوان (**أفعال الكلام في أحاديث الرَّسول ـ ﷺ ـ دراسة تداوليَّة في موطَّأ الإمام مالك**).

تتناول هذه الدِّراسة الموسَّعة مختلف الأفعال الكلاميَّة، مثل: الأمر، النَّهي، الوعد، التَّهديد، والتَّشريع، ضمن أبواب العبادات والمعاملات، ممَّا يضفي عليها تنوعًا

كبيرًا من حيث الموضوعات والمجالات. أمَّا فيما يتعلَّق بأحاديث الإبل، فإنَّها تتَّسم بكونها دراسة محددة وذات طابع نوعي، تركِّز على نصوص بعينها، حيث تتمحور الأفعال الكلاميَّة حول سياقات محدَّدة؛ كالرعاية، الركوب، النَّحر، والصَّدقة، ممَّا يحد من نطاق تداولها.

إضافة إلى ذلك، تناول الباحث سياق مقام النُّبوة التَّشريعي والتَّعليمي العام في الدِّراسة الأولى، بينما كان السِّياق في أحاديث الإبل يتَّصل بمواقف واقعيَّة تتعلَّق بالرعاية اليوميَّة والتَّدبير والقصص المرتبطة بالإبل، ممَّا يجعل الأفعال الكلاميَّة في هذا السِّياق أكثر مباشرة ومرتبطة بظروف ميدانيَّة خاصَّة.

في دراسة أحاديث الموطأ، ركَّز الباحث على تحليل كيفيَّة صياغة النَّبي ـ ﷺ ـ للتَّشريع من خلال أفعاله الكلاميَّة، أمَّا في أحاديث الإبل، فقد اهتمَّ بتحليل الكيفيَّة الَّتي استُخدم بها الخطاب النَّبوي في التَّعامل مع شؤون الحيوان، والسِّياقات اليوميَّة المرتبطة بذلك.

– دراسة لتنوير بنت أحمد علي هندي، بعنوان (**أحاديث كتاب الصُّلح في صحيح البخاري.. مقاربة تداوليَّة**)، وهو بحث يركِّز على سياقات النِّزاع وتأثير القوَّة الإنجازيَّة للخطاب في تحقيق السلم وتغيير الواقع، مستخدمًا أدوات تداوليَّة أوسع، بينما يركِّز بحث (الأفعال الكلاميَّة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل) على تصنيف أنواع أفعال الكلام (طلب، أمر، خبر) في نصوص محدَّدة، غالبًا ضمن سياق إرشادي أو تشريعي؛ تهدف قوته الإنجازيَّة إلى توجيه المخاطب لاتخاذ موقف عملي أو معرفي معين تجاه الإبل.

– رسالة ماجستر لخولة لعلاونة، بعنوان (**أفعال الكلام في الأحاديث القدسيَّة.. دراسة تداوليَّة**)، رغم اشتراك البحثين في المنهج (التَّداوليَّة) والأداة (أفعال الكلام) إلَّا أنَّ هناك فرق في طبيعة المتن المدروس، فبحث الأحاديث القدسيَّة يوضِّح

كيف يبني النَّص علاقة الخالق بالمخلوق، بينما البحث في أحاديث الإبل يوضح كيف ينظم النَّص حياة الإنسان مع محيطه المادي، فيبرز الفعل الإشاري بقوَّة، حيث ترتبط الأقوال بأفعال تطبيقيَّة أو إشارات إلى أعيان مشاهدة، بينما في الأحاديث القدسيَّة فيبرز الفعل القولي المجرد عن الإشارة الحسيَّة.

– رسالة الماجستر لآمنة ميلود وخديجة العقون، بعنوان (**تداوليَّة أفعال الكلام في الخطاب النَّبوي ... باب المغازي من مختصر صحيح البخاري**)، وهي دراسة خاصَّة لأفعال الكلام الَّتي وردت في أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ في غزواته من مختصر صحيح البخاري، حيث يركِّز على أفعال الكلام الإنجازيَّة (الطَّلب، الأمر، التَّهديد) في سياق الحرب والقيادة والتَّوثيق، بينما في أحاديث الإبل يأتي التَّركيز على الأفعال التَّعبيريَّة والتَّقريريَّة المتعلقة بالمعاملات، والرفق، والتَّشريع القائم على الدَّلالة المباشرة وغير المباشرة.

– خطَّة البحث:

أولًا: المقدِّمة

ثانيًا: التَّمهيد: وتناولت فيه:

– مفهوم التَّداوليَّة.

– مفهوم الفعل الكلامي.

– أنواع الفعل الكلامي.

ثالثًا: أساس البحث، وجاء على مبحثين:

المبحث الأول: نظريَّة أفعال الكلام

المطلب الأول: الأفعال الكلاميَّة عند (**أوستين**)

المطلب الثَّاني: الأفعال الكلاميَّة عند (**جون سيرل**)

المبحث الثَّاني: الأفعال الكلاميَّة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل

المطلب الأول: الإخباريَّات.

المطلب الثَّاني: التَّوجيهات.

المطلب الثَّالث: الإعلانيَّات/ التَّصريحات.

المطلب الرَّابع: الالتزاميَّات.

المطلب الخامس: التَّعبيريَّات.

رابعًا: الخاتمة: وفيها نتائج البحث

خامسًا: قائمة المصادر والمراجع.

ختامًا، أسأل الله العليَّ القدير التَّوفيق والسَّداد لي ولكم، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التَّمهيد:

أ– مفهوم التَّداوليَّة (The concept of pragmatics):

التَّداوليَّة هي مجال يركّز على ما يتجاوز المعنى الظَّاهر للكلام المنطوق، فهي تهتمُّ بكشف الجوانب الخفيَّة للإشارات الَّتي يستخدمها المتحدِّثون أثناء التَّواصل، حيث تحمل العبارات دلالات ومفاهيم تتخطَّى المعنى الحرفي للكلمات أو النُّصوص نفسها؛ لذا يقول (**يول**): "التَّداوليَّة هي دراسة كيفيَّة إيصال أكثر ممَّا يقال"(١).

يرى (**جورج يول**) أنَّ التَّداوليَّة تهتمُّ بدراسة المعنى، كما يوصله المتكلِّم ويفسره المستمع ـ أي: في حال الاستعمال ـ لذا فهي "مرتبطةٌ بتحليل ما يعنيه النَّاس بألفاظهم أكثر من ارتباطها، بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة، التَّداوليَّة هي دراسة المعنى الَّذي يقصده المتكلِّم"(٢).

كما يرى أنَّ التَّداوليَّة مجال يرتبط بشكل وثيق بالسِّياق أو الموقف الَّذي يُعبَّر فيه عن فكرة أو يُقال فيه شيء ما، وتأخذ ـ أيضًا ـ في الاعتبار جوانب السِّياق، مثل من يتحدَّث إليه النَّاس؟ ومتى؟ وأين؟ وتحت أيّ ظرف؟ والَّتي ستحدِّد طريقة قولهم وماذا يريدون قوله؟ ومن ثمَّ يُصبح التَّركيز على السِّياق جزءًا بالغ الأهميَّة بالنِّسبة للمتحدِّثين لضمان فعاليَّة التَّواصل، وتحقيق فهم مُتكامل للنُّصوص أو الخطاب المطروح، فيقول: "التَّداولية هي دراسة المعنى السِّياقي"(٣).

الدِّراسة التَّداوليَّة تركِّز على ما قيل حرفيًّا مع تحليل البِنية الدَّلاليَّة للفعل

(١) جورج يول، **التَّداوليَّة**، ترجمة: قصي العتابي، الدَّار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت/لبنان، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، (ص: ١٩).

(٢) المصدر السَّابق، (ص:١٩).

(٣) المصدر السَّابق، (ص: ١٩).

الكلامي؛ لأنَّ المعنى الحرفي هو العتبة الأولى لفهم المقصد، ثمَّ النَّظر إلى ما يقصده المتكلِّم من وراء قوله وهو القوَّة الإنجازيَّة، ولا ينجح فعل الكلام إلَّا بدراسة السِّياق والظروف المحيطة، أو ربط النَّص بالواقع الخارجي والزَّمان والمكان، ثمَّ التَّركيز على كيفيَّة تطويع اللُّغة في التَّفاعل بين المتكلِّم والمخاطب لكشف الأدوات التَّداوليَّة الَّتي يستخدمها المتكلِّم لتحقيق مقصده، وفي النِّهاية النَّظر إلى النَّتيجة أو رد الفعل الذَّي أحدثه المتكلِّم في السَّامع، أو قياس مدى فاعليَّة الفعل الكلامي في تغيير الواقع أو التَّأثير في سلوك المستمعين.

يعرِّفها مسعود صحراوي بأنَّها "ليست علمًا لغويًّا محضًا بالمعنى التَّقليدي، علمًا يكتفي بوصف وتفسير البُنى اللُّغويَّة، ويتوقَّف عند حدودها وأشكالها الظَّاهرة، ولكنَّها علم جديد للتَّواصل يدرس الظَّواهر اللُّغويَّة في مجال الاستعمال ..." (١)، ومن ثمَّ فهي تهتم بدراسة اللُّغة أثناء التَّواصل، وتعالج العلاقة بين العلامات ومفسرها، وتعنى بالمعنى في خطاب ما، ولا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، إذ لابدَّ من دراسة المفردات والعبارات الَّتي يوجهها المتكلِّم داخل السِّياق من خلال الظُّروف المحيطة به، وزمان ومكان التَّخاطب؛ لكي تتَّضح مقاصد المتكلِّم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب، والَّتي يرمي إليها المتكلِّم في حدِّ ذاتها.

ب- مفهوم الفعل الكلامي (The concept of speech act):

الفعل الكلامي هو نوع من التَّواصل اللَّفظي، وأحد فروع علم التَّداوليَّة، وغالبًا ما يحدث في التَّواصل اللَّفظي وغير اللَّفظي، يقول (**جورج يول**): إنَّه "عند محاولة النَّاس التَّعبير عن أنفسهم، فإنَّهم لا ينشؤون ألفاظًا تحوي بُنى نحويَّة وكلمات فقط،

(١) مسعود صحراوي، **التَّداوليَّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليَّة (للأفعال الكلاميَّة) في التُّراث اللِّساني العربي**، دار الطَّليعة، بيروت/لبنان، ط١، ٢٠٠٥م، (ص: ١٦).

وإنَّما ينجزون أفعالًا ...، وتعرف الأفعال المنجزة من خلال الألفاظ عمومًا بأفعال الكلام، وتعطي غالبًا ألفاظًا أكثر تحديدًا مثل الاعتذار، الشَّكوى، الإطراء، الدَّعوة، الوعد، أو الطَّلب"(١)، ومن ثمَّ، فالفعل الكلامي هو اللَّفظ الَّذي يحدث فعلًا، فهناك أهداف معيَّنة تتجاوز الكلمات أو العبارات عندما يقول المتحدِّث شيئًا ما.

يرى (**أوستين**) أنَّ الملفوظ لا يقتصر على كونه وسيلة لنقل المعلومات فحسب، بل يُعدُّ أداة تُستخدم لتحقيق أفعال ترتبط بشروط نجاح أو إخفاق، بدلًا من الاقتصار على معايير الصِّدق والكذب فقط، فيقول: "إنَّ قول شيء ما هو إنجاز فعل ما " (٢).

يرى (**سيرل**) أنَّ الأفعال الكلاميَّة هي الوحدات الأساسيَّة للتَّواصل البشري، فهي ليست مجرد ظواهر لغويَّة، بل هي حقائق تعتمد على وجود قواعد اجتماعيَّة متعارف عليها، فيقول: "إنَّ إنتاج المكتوب أو المنطوق هو إنتاج لفعل كلامي، والأفعال الكلاميَّة هي الكيانات الَّتي نؤدِّي من خلالها أشياء، مثل: تقديم وعود، أو إصدار أوامر، أو تقديم تقارير"(٣).

ت– أنواع أفعال الكلام (Types of speech act):

يرجع أوستن أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع(٤)، وهي:

(١) جورج يول، **التَّداولية**، (ص: ٨١).

(٢) جون أوستين، **نظريَّة أفعال الكلام العامَّة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)**، ترجمة: عبدالقادر قينيني، أفريقيا الشَّرق، ١٩٩١م، (ص: ٣٩).

(٣) جون سيرل، **العقل واللُّغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)**، ترجمة: سعيد الغنامي، المركز الثقافي العربي، لبنان/ بيروت، ط١، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ، (ص: ١٧٧).

(٤) ينظر: جون أوستين، **نظريَّة أفعال الكلام العامَّة**، (ص: ٧).

أ. فعل الكلام:

يُعادل فعل الكلام فعل التَّلفُّظ، و"يختصُّ بمخارج الحروف الماديَّة"(١)، و"هو مجرد فعل التَّلفُّظ ببعض الأصوات المقروعة المحمولة في الهواء"(٢)، ويسميه **(جورج يول)** بالفعل التَّعبيري، وهو" إنشاء تعبير لغويّ ذي معنى"(٣).

ب. قوَّة فعل الكلام:

هو فعل النُّطق "ويتعلَّق بمقاصد العبارة"(٤)، وهو "النُّطق ببعض الألفاظ والكلمات، أي: إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متَّصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبطة به، ومتمشِّية معه، وخاضعة لنظامه"(٥)، ويسميه **(جورج يول)** بالفعل الوظيفي، فـ"نحن نصوغ لفظًا؛ ليؤدِّي وظيفة نريد إتمامها، وينجز الفعل الوظيفي عبر قوَّة اللَّفظ التَّواصليَّة"(٦)، ويُسمَّى هذا الفعل ـ أيضًا ـ فعل القيام بشيء ما عند قول شيء ما، ويُعدُّ أهم مستوى من مستويات الفعل في الفعل الكلامي؛ لأنَّ القوَّة الَّتي يرغب بها المتحدِّثون تُحدد هذا الفعل.

ج. لازم فعل الكلام:

هو فعل الخطاب، ويهتمُّ "بمقاصد المتكلِّم الخارجة عن العبارة، والمفهومة من

(١) المصدر السَّابق، (ص:٧).
(٢) المصدر السَّابق، (ص:١١٦).
(٣) جورج يول، **التَّداوليَّة**، (ص:٨٢).
(٤) جون أوستين، **نظريَّة أفعال الكلام العامَّة**، (ص: ٧).
(٥) المصدر السَّابق، (ص:١١٦).
(٦) جورج يول، **التَّداولية**، (ص: ٨٣).

السِّياق" [١]، "وهو طريق تأدية الإنجاز، وكيفيَّته باستعمال الألفاظ مقرونة إلى حدٍّ ما، وبمعنى ما، بالمعنى والمرجع"[٢]، ويسميه **(جورج يول)** بالفعل التَّأثيري فـ "نحن بالطَّبع لا ننشئ لفظًا ذا وظيفة معينة، دون أن نقصد أن يكون له تأثير معين اعتمادًا على الظُّروف، ويعبّر المتحدِّث عن الفعل الكلامي من خلال أشكال مختلفة، مثل: الأمر أو النَّهي، بهدف إحداث تأثير على المتلقِّي؛ ونتيجة لذلك يقوم المتلقِّي برد فعل يستجيب لفعل المتحدِّث الكلامي، إذًا فهو كلُّ ملفوظ يراد من ورائه إنجاز عمل ما.

يقصد **(أوستن)** بالفعل الكلامي "الخروج عن التَّلفظ والنُّطق إلى الفعل الخطابي، وما يتَّصل بالسِّياق من دلالات ومعانٍ على معنى أنَّ هناك محيطًا إنسانيًّا هو نسيج متَّصل من العلاقات تتحدَّد داخل مواقف كليَّة، تصبح فيها اللُّغة أفعالًا للتَّواصل لا أقوالًا متراصَّة خالية من الدَّلالات والإحالات المرجعيَّة"[٣].

كان اهتمام **(أوستن)** في نظريته الأفعال الكلاميَّة بالجمل الَّتي ينتج عنها أفعال بمجرد النُّطق بها، وكان للقصد والسِّياق الدَّور الأكبر في الوصول إلى هذه الأفعال، فالمعنى في هذه الأفعال لا يمكن تحديده إلَّا بمعرفة السِّياق والقصد، إذ يكون القصد هو تحديد لغرض معين لم يصرح به إمَّا طلبًا أو توبيخًا أو تحذيرًا[٤].

يعرِّفه مسعود صحراوي بأنَّه " كلُّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلًا عن ذلك يعدُّ نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسَّل أفعالًا قوليَّة؛ لتحقيق أغراض إنجازيَّة، كالطَّلب والأمر الوعد والوعيد، وغايات تأثيريَّة تخصُّ ردود فعل

(١) جون أوستين، **نظريَّة أفعال الكلام العامَّة**، (ص: ٧).

(٢) المصدر السَّابق، (ص:١١٦).

(٣) جون أوستين، **نظريَّة أفعال الكلام العامَّة**، (ص: ٨).

(٤) ينظر: جون سيرل، **العقل واللُّغة والمجتمع**، (ص: ١٨١).

المتلقِّي كالرَّفض والقبول"[1].

يصرّح خليفة بوجادي أنَّ أفعال الكلام هي "الفكرة الأولى الَّتي نشأت منها اللِّسانيَّات التَّداوليَّة، ومن أهم مراجعها، بل يمكن التأريخ منها للتَّداوليَّة؛ حيث ارتبطت اللُّغة بإنجازها الفعلي في الواقع"[2] بمعنى أنَّ استعمالها ليس فقط فرض المنطوق اللُّغوي، بل يجب إدخال الحدث الاجتماعي؛ ليتماشى الإنجاز الكلامي مع وتيرة الواقع.

(١) مسعود صحراوي، **التَّداوليَّة عند العلماء العرب**، (ص: ٤٠).

(٢) خليفة بوجادي، **في اللِّسانيات التَّداوليَّة مع محاولة تأصيليَّة في الدَّرس العربي القديم**، بيت الحكمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م، (ص:٨٦).

المبحث الأول: نظريَّة أفعال الكلام

المطلب الأول: الأفعال الكلاميَّة عند (أوستين)

يعدُّ الفيلسوف الإنجليزي (**جون أوستين**) مؤسِّس نظريَّة أفعال الكلام، الَّتي كشف عن ملامحها من خلال محاضراته ومقالاته، والَّتي "جُمعت بعد وفاته، ونُشرت تحت عنوان (**كيف ننجز الأشياء بالكلام How to accomplish things with words**)، وهو عنوان يكشف عن هدف صاحبه منه؛ إذ يطمح إلى الكشف عن الجوانب الَّتي ننجزها باللُّغة محدثًا تطوُّرًا في نطاق الفلسفة آنذاك القائلة بأنَّ اللُّغة لا تهدف إلَّا إلى وصف الواقع"(١)، بمعنى أنَّ اللُّغة لا تُختزل في كونها مجرد أداة لنقل الأخبار أو وصف الأحوال، بل تتجاوز ذلك لتؤدِّي وظيفة أكثر عمقًا وأهميَّة، فهي تُعدُّ وسيلة لإنجاز الأفعال، وذلك وفقًا لمنظور نظريَّة أفعال الكلام الَّتي تُركِّز على الجانب الإنجازي للُّغة، فكلُّ لفظ منطوق يحمل في داخله دلالةً إنجازيَّة تعكس فعلًا معيَّنًا يمكن تحقيقه من خلال الكلام ذاته، "ومن ذلك قولهم: آمرك بالصَّمت، وأعدك بأن آتي غدًا، فهي جمل تغيِّر الواقع، أو تحاول ذلك دون أن تكون واصفة له، فالأمر بالصَّمت يحاول نقل حالة الكون من الضَّجيج إلى الهدوء، والواعد بالحضور يلزم نفسه أخلاقيًّا بالحضور إلى مخاطبه"(٢).

يرى أنَّ الوظيفة الأساسيَّة للُّغة لا تكمن في إيصال المعلومات أو التَّعبير عن الأفكار فقط، بل تتمثَّل في كونها مؤسَّسة تعمل على تحويل الأقوال ضمن سياقات معيَّنة إلى أفعال تحمل طابعًا اجتماعيًّا، ومن ثمَّ "فاللُّغة ليست أداة أو وسيلة

(١) معاذ بن سليمان الدِّخيل، **منزلة معاني الكلام في النَّظريَّة النَّحويَّة العربيَّة مقاربة تداوليَّة**، نادي القصيم الأدبي، ودار التَّنوير، ٢٠١٤م، (ص: ٣٧).

(٢) المصدر السَّابق، (ص: ٣٨).

للتَّخاطب والتَّفاهم والتَّواصل فحسب، وإنَّما اللُّغة وسيلتنا للتَّأثير في العالم، وتغيير السُّلوك الإنساني من خلال مواقف كليَّة"(١).

يتجلَّى هذا المفهوم بوضوح في التُّراث البلاغيِّ العربيِّ، حيث يرتكز على أصول علم المعاني، ولا سيَّما في التَّمييز بين الحقيقة والمجاز العقلي، فقد أدرك البلاغيون العرب منذ وقت مبكر أنَّ اللُّغة لا تقتصر على كونها وصفًا للواقع فقط، بل تعدُّ أداة لتحقيق مقاصد وأفعال تُفسر من خلال سياق الاستخدام، وليس من المعاني المباشرة للألفاظ(٢).

قسَّم **(أوستن)** في بداية الأمر الأفعال الكلاميَّة إلى قسمين(٣):

أ- الأفعال الإخباريَّة (Assertive acts):

مثل هذه الأفعال وسيلة لوصف أحداث العالم الخارجي، ويترتَّب عليها إمكانيَّة الاتِّصاف بالصِّدق أو الكذب بناءً على مدى توافقها مع الواقع، فهي تُعدُّ صادقة عندما تعكس حقيقة الواقع بدقَّة، وفي المقابل تُعدُّ كاذبة إذا لم تتطابق مع الواقع، وهو الحدُّ الفاصل الَّذي وضعه العلماء لتعريف الجملة الخبريَّة. فقد ذهب جمهور البلاغيين ومنهم الخطيب القزويني إلى أنَّ الخبر ما يحتمل الصِّدق والكذب لذاته(٤).

(١) جون أوستين، **نظريَّة أفعال الكلام العامَّة**، (ص: ٦).

(٢) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق :محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، (ص: ٢٦٢-٢٦٣).

(٣) ينظر: محمود عكاشة، **النَّظريَّة البراجماتيَّة (التَّداوليَّة)، المفاهيم والنَّشأة والمبادئ**، مكتبة الآداب، مصر، ط١، ٢٠٠٢م، (ص: ٩٧).

(٤) ينظر: جلال الدِّين القزويني الشَّافعي، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣، (٥٩/١).

ب– الأفعال الإنجازيَّة (Performative Utterances):

هي الأفعال الَّتي لا يصدر عليها الحكم بالصِّدق والكذب، ولا تقوم بالوصف ولا حتَّى الإخبار، وإنَّما مهمتها هي عندما نتلفظ بقول فإنَّنا ننجز فعلًا في الواقع(١).

أمَّا معيارُه لتقييم الأفعال الأدائيَّة؛ فيرتكز على ما وصفه بالنَّجاح أو الفشل، وهو ما يتَّضح بصورة جليَّة في قوله: "إنَّ التَّلفظ بالعبارة لم يكن في الحقيقة فصيحًا فقط، بل غير مطابق لمقتضى الحال، أو هو على خلاف مقتضى الحال... "(٢).

يتَّضح من هذا السِّياق وجود ترابط واضح بين مبادئ اللِّسانيَّات الحديثة، المتمثلة في نظريَّة أفعال الكلام عند (**أوستن**) و(**سيرل**)، وبين التُّراث البلاغيّ العربيّ، فمفهوم الأفعال الإنجازيَّة له جذور عميقة وثابتة في الفكر البلاغي والنَّحوي العربيّ، ويُعرف بمصطلح (**الإنشاء**)، وأشار الخطيب القزويني إلى ذلك بقوله: "وأمَّا الإنشاء: فهو كلامٌ ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه"(٣)، هذا التَّعريف ينطبق تمامًا على مفهوم الفعل الإنجازي، إذ أنَّ الجملة الإنجازيَّة لا تكتفي بوصف واقع موجود مسبقًا، وإنَّما تخلق واقعًا جديدًا بمجرد النُّطق بها.

وضع (**أوستين**) لتحقُّق الأفعال الأدائيَّة شروطًا لمناسبة الموقف، وجعلها الشُّروط التَّكوينيَّة، وإن لم تتحقَّق هذه الشُّروط أخفق الأداء(٤)، غير أنَّ (**أوستن**) رأى

(١) ينظر: جون أوستين، **أفعال الكلام العامَّة**، (ص: ٢٦).

(٢) المصدر السَّابق، (ص: ٢٧).

(٣) ينظر مثلًا: يوسف بن أبي بكر بن محمَّد بن علي السَّكاكي، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت / لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م، (ص: ١٦١)، وينظر: جلال الدِّين القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، (ص:٥٦/١)، وينظر: عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، (ص: ١٨١– ١٨٢).

(٤) ينظر: محمود عكاشة، **النَّظريَّة البراجماتيَّة (التَّداوليَّة)**، (ص: ٩٧–٩٨).

أنَّ كثيرًا من الأفعال الإخباريَّة تقوم بوظائف الأفعال الأدائيَّة؛ ممَّا جعله يجيب بإجابة جديدة على سؤاله (**كيف ننجز الأشياء بالأفعال؟**)، مفادها أنَّ الفعل الكلامي مركَّب من ثلاثة أفعال فرعيَّة[١]:

– الفعل النُّطقي (utterence act):

يتمثَّل في مستويات الجملة الصَّوتيَّة، والنَّحويَّة، والصَّرفيَّة، والدَّلاليَّة.

– الفعل الإنجازي (perlocutionar act):

هو الحدث الَّذي يقصده المتكلِّم بالجملة؛ كالأمر، أو النَّصيحة ...؛ ممَّا يشير إلى أنَّ الفعل حمل في طيَّاته أكثر من معنى: الفعل الأول ظاهر والثَّاني مضمر، ويحتاج المتلقِّي إلى تحليله وفهمه بعمق، وهذا التَّداخل بين المعنيين اتَّضح لدى (**أوستين**) عندما أشار إلى أنَّ اللُّغة ليست مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل هي أداة لإحداث تأثيرات وإيصال جوانب متعدِّدة من المعاني الَّتي تتجاوز الكلمات، "فبإنجازنا لفعل كلامي، سنكون منجزين لبعض ما تناوله كلامنا، وما لم يتناوله"[٢].

– الفعل التَّأثيري (perlocutionary act):

هو "التَّأثير العملي للقول، أو الأثر الَّذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقِّي ورد فعل المتلقِّي؛ كقبول الدَّعوة، وإجابة السُّؤال، وامتثال الأمر، أو توليد فعل آخر موازٍ للقول"[٣].

ثمَّ يصل (**أوستين**) إلى تصنيف الأفعال الكلاميَّة على أساس قوَّتها الإنجازيَّة إلى

(١) ينظر: المصدر السَّابق، (ص: ٩٩).

(٢) جون أوستين، **نظريَّة أفعال الكلام العامَّة**، (ص:١١٩).

(٣) محمود عكاشة، **النَّظريَّة البراجماتيَّة التَّداوليَّة**، (ص:١٠٠).

خمسة أصناف[١]:

أ– أفعال الأحكام. ب– أفعال القررات. ج– أفعال التَّعهد. د– أفعال السُّلوك. هـ – أفعال الإيضاح.

المطلب الثَّاني: الأفعال الكلاميَّة عند (جون سيرل)

يتبيَّن أنَّ تصنيف (**أوستين**) للأفعال يعتمد على الوظيفة الَّتي يلعبها التَّعبير اللُّغوي في سياقات الكلام الواقعيَّة، بدلًا من التَّركيز على الخصائص الشَّكليَّة الَّتي ثبت أنَّها غير كافية لتصنيف هذه التَّعبيرات، ومع ذلك فقد واجه هذا التَّصنيف انتقادات من قبل العديد من الباحثين بسبب وجود تداخل بين الأقسام المختلفة، ومنهم (**جون سيرل**)، فقد جاء (**سيرل**) ووجد بعض الاضطراب والتَّباين في تصنيف (**أوستن**) للأفعال الكلاميَّة، من حيث إنَّ كلَّ الأفعال ليست أفعالًا إنجازيَّة؛ فقام بإعادة تقييمها وتحديد ما فيها من نقاط ضعف، ثمَّ أعاد صياغتها وتحسينها حتَّى قدَّم لنا نظريَّة أكثر دقَّة.

فـ "ظهرت على يده نظرية منتظمة(**Systematic**) ؛ لاستعمالات اللُّغة بمصطلحات الأفعال الكلاميَّة قائمة على أنَّ الكلام محكوم بقواعد مقصديَّة(**intentional**) ، وأنَّ هذه القواعد يمكن أن تحدَّد على أسس منهجيَّة واضحة، ومتَّصلة باللُّغة"[٢]؛ لذا عدَّ الغرض المتضمِّن في القول عنصرًا ومكونًا أساسيًّا من مكونات القوَّة المتضمِّنة في القول، ومشدِّدًا على أنَّ (فعل القول) لا يمكن تحققه من دون قوَّة إنجازيَّة، مع إجراء تعديلات على تصنيف (**أوستين**) للأفعال اللُّغويَّة،

(١) ينظر: محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعيَّة، الأسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م، (ص:٦٩ – ٧٠).

(٢) محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر** (ص: ٧١).

فضلًا عن اهتمامه ورؤيته الخاصَّة للمعنى، والمحتوى القضوي.

* قام بتقسيم الأفعال الكلاميَّة إلى أربعة أقسام(١)، أي عندما ينطق المتكلِّم يقوم بالأفعال الآتية:

١- الفعل النُّطقي (utterence act):

أي إنجاز فعل ما، وهو الفعل التَّعبيري، ويتمثَّل في نطق الأصوات كما يقتضيه العرف النَّحوي، والمعجمي بشكل صحيح(٢)، إذًا، فهو فعل القول، أو التَّلفظ بأصوات مركَّبة في كلمات مرتَّبة وفق القواعد النَّحويَّة والدَّلاليَّة، والمعجميَّة في سياقات تواصليَّة محدَّدة.

٢- الفعل القضوي (ropositional act):

هو "يتمثَّل في مرجع هو محور الحديث فيها جميعًا...، والقضية هي المحتوى المشترك بينها جميعًا"(٣)، ويتمُّ من خلال ربط الكلمات بعضها بعضًا، وإحالتها إلى مراجعها المناسبة.

٣- الفعل الإنجازي (Apological act):

هو الفعل الَّذي يتحقَّق بمجرد النُّطق به، أو هو الفعل الَّذي يحصل بالتَّعبير عن قصد المتكلِّم من أدائه(٤)، أي الفعل الَّذي يحدِّد الطَّريقة الَّتي يستعمل بها التَّعبير، ويرتبط بغرضه من القول أو الكلام المتلفَّظ به، فقد يكون الأمر، أو الاستفهام، أو التَّمني، أو الإخبار ...، ويرى (**سيرل**) أنَّ الفعل القضوي مرتبط بالفعل الإنجازي ولا

(١) ينظر: المصدر السَّابق، (ص: ٧٢).

(٢) ينظر: المصدر السَّابق، (ص: ٧٢).

(٣) المصدر السَّابق، (ص: ٧٢).

(٤) ينظر: خليفة بوجادي، **في اللِّسانيَّات التَّداوليَّة**، (ص: ٩٦).

ينفصل عنه، حيث لا يمكن التَّلفظ بفعل قضوي دون الهدف من إنجاز فعل معين.

٤– الفعل التَّأثيري (perlocutionary act):

هو المفهوم الَّذي يجسِّد النَّتائج والتَّأثيرات الَّتي تحدثها الأفعال الإنجازيَّة على مشاعر وأفكار المستمع(١)، أو هو الأثر الَّذي يخلفه المتكلِّم لدى المخاطب، فقد يكون تصديقًا للخبر أو تكذيبًا له، أو قبولًا أو رفضًا أو استحسانًا أو استهجانًا، أو غير ذلك، وليس له أهميَّة كبرى عند **(سيرل)**، حيث يرى أنَّه ليس من الضَّروري أن يكون لكلِّ فعل تأثير في السَّامع يدفعه ليقوم بذلك الفعل(٢).

يرى **(سيرل)** أنَّ الفعل الكلامي "أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلِّم؛ بل هو مرتبط بالعرف اللُّغوي، والاجتماعي"(٣)، وتضبطه شروط أربعة تعرف بشروط الملائمة الَّتي وضعها **(أوستين)**، فقام بتطويرها، ووضع مجموعة من الشُّروط على الفعل الكلامي لا ينجح الإنجاز ولا يتحقَّق إلَّا بتوفرها، وهي:

١– شرط المحتوى القضوي (content propositional):

أن يكون: "فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب"(٤)، ويتحقَّق في فعل الوعد مثلًا.

٢– الشَّرط التَّمهيدي (preparatory):

يكون فيه المخاطب قادرًا على إنجاز الفعل، والمتكلِّم على يقين من قدرة

(١) ينظر: الزواوي بغورة، **الفلسفة واللُّغة (نقد المنعطف اللُّغوي في الفلسفة المعاصرة)**، دار الطَّليعة، بيروت/لبنان، ط١، ٢٠٠٥م، (ص: ١٠٨).

(٢) ينظر: محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص: ٧٣).

(٣) المصدر السَّابق، (ص: ٤٧).

(٤) المصدر السَّابق، (ص: ٧٤).

المخاطب على إنجاز الفعل، مع الوضع في الاعتبار ـ أيضًا ـ أنَّه لا يكون من الواضح عند كل من المتكلِّم والمخاطب أن فعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد للأحداث أو لا ينجز[١]، ويتحدَّد ذلك من خلال الظُّروف المحيطة بعمليَّة إنتاج الكلام.

٣- شرط الإخلاص (sinceri):

"يتحقَّق حين يكون المتكلِّم مخلصًا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنَّه قادرًا على فعل ما لا يستطيع"[٢].

٤- الشَّرط الأساسي (essential):

يتمُّ تحقيقه حين يحاول المتكلِّم التَّأثير في المخاطب للقيام بالفعل وإنجازه[٣].

* استند **(سيرل)** إلى اثني عشر معيارًا في تصنيفه للأفعال الإنجازيَّة[٤]، وميَّز بين الأفعال الإنجازيَّة المباشرة، والأفعال الإنجازيَّة غير، مستندًا إلى البِنية والوظيفة، فـ "كلَّما وجدت علاقة مباشرة بين البِنية والوظيفة، نحصل على فعل كلام مباشر، بينما كلَّما وجدت علاقة غير مباشرة بين البِنية والوظيفة، نحصل على فعل كلام غير مباشر؛ لذا يُعتبر استعمال البِنية الخبريَّة لتكوين جملة خبريَّة فعل كلام مباشر، ولكن

(١) ينظر: المصدر السَّابق، (ص: ٧٥).

(٢) ينظر: محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص: ٤٨).

(٣) ينظر: المصدر السَّابق، (ص: ٧٥).

(٤) ينظر مثلًا: فرانسواز ارمينكو، **المقاربة التَّداوليَّة**، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرِّباط، ١٩٦٨م، (ص: ٦٣_٦٦)، وينظر: محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص: ٧٠ _ ٧٧)، وينظر: صلاح عبدالحق، **التَّحليل اللُّغوي عند مدرسة أكسفورد**، دار التَّنوير، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، (ص: ٢٢٥ _٢٢٩)، وينظر: علي الصرَّاف، **في البراجماتيَّة (الأفعال الإنجازيَّة في العربيَّة المعاصرة) دراسة دلاليَّة ومعجم سياقي**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ، (ص: ٥٦_ ٦٠).

استعمال البِنية الخبريَّة لتكوين طلب فعل كلام غير مباشر"[١].

- الفعل الكلامي المباشر (Direct speech act):

هو الَّذي تتوافق فيه قوَّة العبارة مع الغرض الإنجازي الَّذي يسعى المتحدِّث إلى تحقيقه، حيث يتمكَّن المتكلِّم من التَّعبير بوضوح عن نواياه، فيكون المعنى الحرفي لما يقوله مطابقًا لما يرغب في إيصاله، مثل: الأوامر أو التَّعهدات، ومن ثمَّ فهو الفعل الَّذي "يتلفَّظ به المرسل في خطابه، وهو يعني حرفيًّا ما يقول، وفي هذه الحالة فإنَّ المرسل يقصد أن ينتج أثرًا إنجازيًّا على المرسل إليه، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المرسل إليه يدرك قصده في الإنتاج"[٢].

يُفهم من ذلك أنَّ كلَّ فعل لغوي واضح في الإشارة إلى هدف الكلام، سواء كان إخبارًا، أو أمرًا، أو نهيًا، أو سؤالًا، يتجلَّى من خلال صيغ الجمل وأساليب التَّعبير الواضحة. وتتحقَّق هذه الأفعال بفضل الطَّاقة الإنجازيَّة المضمَّنة في تركيبات الجمل؛ ممَّا يجعلها أفعالًا لغويَّة مباشرة.

– الأفعال الكلاميَّة غير المباشرة (Indirect speech act):

يتَّضح قصد المتكلِّم عند تحليل السِّياق الَّذي يحيط بالحدث، كما يحدث عندما يعبِّر المتكلِّم عن طلبه بأسلوب غير مباشر، فهي "الَّتي تخالف فيها قوَّتها الإنجازيَّة مراد المتكلِّم"[٣]، وذلك يعني أنَّه عندما يتعارض المعنى الظَّاهر للحديث مع الغرض الَّذي ينوي المتحدِّث إيصاله إلى المستمع، ويتَّضح ذلك من خلال السِّياق،

(١) جورج يول، **التَّداولية**، (ص: ٩٢).

(٢) عبدالهادي بن ظافر الشِّهري، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليَّة**، دار الكتاب الجديد، بيروت/ لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، (ص: ١٣٥).

(٣) محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص: ٥٠-٥١).

يُطلق عليه مصطلح الأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة فيُنفَّذ الفعل الإنجازي من خلال إجراء فعل إنجازي بديل، حيث "يتواصل المرسل بالأفعال اللُّغويَّة غير المباشرة مع المرسل إليه بأكثر ممَّا يتكلَّم به في الواقع، وذلك من خلال الاتِّكاء على خلفيتهم المعرفيَّة المشتركة، اللُّغويَّة وغير اللُّغويَّة، بالإضافة إلى توظيف المرسل إليه لقدراته العامَّة؛ العقليَّة والاستنتاجيَّة" (١).

هذا ما يوضحه **(سيرل)** في قوله: "إنَّنا في حالة التَّعبير البسيط ننطق بجملة واحدة ونقصد ما نقول تمامًا، ولكنَّ المشكلة تكمن في أنَّ الأمور لا تسير دائمًا بهذه البساطة، ففي كثير من الأحيان يختلف المعنى المقصود عن التَّعبير الحرفي الدَّلالي للمنطوق، كما يحدث في الاستعارة والتَّشبيه والكناية ... "(٢).

لاحظ **(سيرل)** أنَّ أهم البواعث للأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة هو التَّأدب في الحديث، وأنَّ الفعل الكلامي غير المباشر غرضه أنَّ المتكلِّم يقصد تبليغ المتلقِّي معطيات أكثر ممَّا يقوله؛ معتمدًا في ذلك على السِّياق بما يشمل من قرائن لغويَّة وحاليَّة وعقليَّة واستدلاليَّة(٣).

يضع الشِّهري تعريفًا جامعًا يشمل أهم خصائص الأفعال الكلاميَّة غير المباشرة مفاده أنَّها استراتيجيَّة لغويَّة تلميحيَّة "يعبِّر بها المتكلِّم عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي؛ لينجز بها أكثر ممَّا يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبِّر عنه بغير ما يقف عنده اللَّفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السِّياق"(٤).

---

(١) عبدالهادي الشِّهري، **استراتيجيات الخطاب**، (ص:٣٩٢).

(٢) علي الصرَّاف، **في البراجماتيَّة**، (ص:١٢٤).

(٣) ينظر: محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص: ٥١)

(٤) عبدالهادي الشِّهري، **استراتيجيات الخطاب**، (ص: ٣٧٠).

* قسَّم **(سيرل)** الأفعال الكلاميَّة بحسب قوَّتها الإنجازيَّة إلى خمسة أصناف، هي:(الإخباريَّات، التَّوجيهات، الإيقاعيَّات، الالتزاميَّات، التَّعبيريَّات)[١]، وتقوم على فكرة مفادها: أنَّ أيَّ فعل كلامي ذو بعد مقصدي، وهذه الأقسام الخمسة معدَّلة من خلال إعادة النَّظر في تصنيف **(أوستين)** للأفعال الإنجازيَّة، ومستنتجة ممَّا وضعه من أسس منهجيَّة لتصنيف الأفعال الكلاميَّة، وممَّا وضعه من معايير وشروط تساعد في نجاح الإنجاز، فيقول: "إنَّه بتبنِّي هدف الخطاب مفهومًا محوريًّا لتصنيف استعمالات اللُّغة، فإنَّه سيوجد لدينا عددًا محدودًا من الأشياء الأساسيَّة الَّتي نفعلها باللُّغة؛ إذ أنَّنا نخبر النَّاس عن كيفيَّة الأشياء، ونحاول التَّأثير عليهم لفعل أشياء معيَّنة، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبِّر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات معيَّنة بملفوظاتنا، وغالبًا ما نفعل أكثر من واحد من هذه الأشياء بتلفُّظ واحد"[٢].

سيقوم الباحث بدراسة وتحليل نماذج من تداوليَّة الأفعال الكلاميَّة الواردة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل حسب تصنيف **(سيرل)** لأفعال الكلام، وسيتَّضح هذا في المبحث الثَّاني.

(١) ينظر: محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص: ٦٩-٧٠).

(٢) عبدالهادي الشِّهري، **استراتيجيات الخطاب**، (ص: ١٥٨).

المبحث الثَّاني: الأفعال الكلاميَّة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل

المطلب الأول: الإخباريَّات (Assertive):

إنَّ الأفعال الإخباريَّة أو الإثباتيَّة ـ كما يقول (سيرل)[١] ـ تعدُّ عنصرًا أساسيًّا في تقسيمه للأفعال الكلاميَّة، وتعدُّ من الوظائف التَّداوليَّة للفعل الكلامي التَّقريري الَّذي يخبر عن مواقف وأحداث تاريخيَّة، ويروي أخبار الأمم السَّابقة، ويقصُّ علينا قصص الأوَّلين.

يقصد بالإخباريَّات الأفعال الكلاميَّة "الَّتي تصف وقائع وأحداثًا في العالم الخارجي ...، أمَّا غرضها الإنجازي هو نقل الوقائع نقلًا أمينًا، فإذا تحقَّقت الأمانة في النَّقل؛ فقد تحقَّق شرط الإخلاص، وإذا تحقَّق شرط الإخلاص؛ أنجزت الأفعال إنجازًا ناجحًا أو تامًّا ... "[٢]، وهي أفعال ترتبط بالحدث التَّداولي، حيث لا يهدف المتكلِّم إلى مجرد إيصال المعلومة، وإنَّما يسعى إلى التَّأثير في المتلقِّي.

أفعال الإخباريَّات كلُّها تحتمل الصِّدق أو الكذب، ويتضمَّن هذا الصِّنف أكثر أفعال الإيضاح عند (**أوستين**)، وكثيرًا من أفعال الأحكام، واتِّجاه الملاءمة من الكلمات إلى العالم[٣].

اتَّخذت الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل من الخبر وسيلة لنقل الإخبار عنها ووصفها، وتقرير الحقائق والمعلومات عنها، والجزم والاستنتاجات، ويبلغ فعلها الإنجازي قوَّة إنجازيَّة لها معان مباشرة؛ كالوصف والإخبار، ومعان غير مباشرة؛ كالحثِّ والتَّحذير، والتَّنبيه، والوجوب، والإثبات، والنَّهي.

---

(١) جون سيرل، **العقل واللُّغة والمجتمع**، (ص: ٢١٧).

(٢) محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص: ١٠٣).

(٣) ينظر: المصدر السَّابق، (ص:٧٨).

من أمثلة الإخباريَّات في أحاديث الإبل النَّبويَّة:

- **عن عروة بن أبي جعد البارقي - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "الْإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا، وَالْغَنَمُ بَرَكَةٌ، وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"**(١).

جاء الحديث النَّبوي في صورة فعل كلامي إخباري، غرضه الإنجازي بيان أحوال البشر وإبراز صفاتهم، فالجملة التَّقريرية (**الإبل عزٌّ لإهلها**) جاءت بغرض إفادة المخاطب، والغرض هو فهم دقيق ينم عن مدى خبرتهـ ﷺ - بمشاعر النُّفوس.

الحديث ينتج فعلًا تأثيريًّا على المتلقِّي، فيحثه على اقتناء الإبل وتربيتها، فالقوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي تتَّضح من خلال:

- **المحتوى اللَّفظي**: الجملة الاسميَّة (الإبل عزٌّ لإهلها).

- **المحتوى القضوي (المتكلِّم والمخاطب والعبارة والقصد التَّواصلي/ فعل الإسناد)**: الإخبار الحقيقي من رسول الله - ﷺ - بأحوال البشر وخبرته بمشاعر النُّفوس، وإخباره بقيمة اقتناء الإبل وتربيتها.

– القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة: الحثُّ على اقتناء الإبل وتربيتها، وحسن رعايتها والحثُّ على ذلك؛ لأنَّها من أهم مصادر الرِّزق، والثَّروة لأهل البادية.

من الإخباريَّات الَّتي جاءت في أحاديث النَّبي - ﷺ - عن الإبل، تلك المتعلِّقة بالإعلام بحقوقها، والتَّنبيه على أهميَّة العناية بها، والاهتمام بشؤونها، بالإضافة إلى الإشارة إلى الواجبات المفروضة تجاهها، ومنها:

- **عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: "مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلاَ بَقَرٍ وَلاَ**

(١) ابن ماجة أبو عبدالله محمَّد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه** تحقيق: محمَّد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتاب العربيَّة، فيصل عيسى البابلي الحلبي، (٢/٧٧٣).

غَنَمٍ، لاَ يُؤَدِّي حَقَّهَا، إِلاَّ أُقْعِدَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، تَطَؤُهُ ذَاتُ الظِّلْفِ بِظِلْفِهَا، وَتَنْطَحُهُ ذَاتُ الْقَرْنِ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا يَوْمَئِذٍ جَمَّاءُ وَلاَ مَكْسُورَةُ الْقَرْنِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ :إِطْرَاقُ فَحْلِهَا، وَإِعَارَةُ دَلْوِهَا، وَمَنِيحَتُهَا، وَحَلْبُهَا عَلَى الْمَاءِ، وَحَمْلٌ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ"(١).

في هذا الحديث يُوضِّح النَّبيُّ ـ ﷺ ـ عقوبة من يمتنع عن أداء زكاة الأنعام الَّتي يملكها، ويحذر من عاقبة منع الزكاة بخلًا، وهذا ما أهال أصحابه رضوان الله عليهم، وجعلهم يسرعون متخوفين يسألونه عن حقِّ الإبل، فالاستفهام الصَّادر منهم استفهام حقيقي مباشر، الغرض منه طلب العلم والمعرفة، وكان جوابه ـ ﷺ ـ بأفعال كلاميَّة إخباريَّة توضح المعهود والمتعارف عليه بين العرب من حقِّ الإبل، مثل(٢):

– **إطراق الفحل**: إذا أراد شخص منك فحلًا حصانًا أو جملًا، عنده أنثى ويريد الذَّكر طرق الأنثى؛ فلا يجوز لك أن تمنعه ذلك.

– **وإعارة دلوها**: أي من حقوق الماشية أن يعير صاحبها الدلو الَّذي يسقيها به، إذا طلبه منه من يحتاج إليه.

– **ومنيحتها**: أن يعطي الشَّاة أو النَّاقة للمحتاج؛ لينتفع بحلبها ثمَّ يردها.

– **وحلبها على الماء**: أي: تحلب وهي تشرب على الماء، ويُعطى من الحليب من يحتاج.

---

(١) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **المسند الصَّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ ـ، المحقق: محمَّد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، (٢/ ٦٨٥).

(٢) ينظر: أبو الحسن علي بن مختار الرملي، **فضل رب البريَّة بشرح الدُّرر البهيَّة**، دار الأفنان، القاهرة/مصر، ط١، ١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م، (٢/٢٥١).

– **والحمل عليها في سبيل الله:** أي: يبذلها المالك لمن أراد أن يستعيرها؛ لينتفع بها في الغزو في سبيل الله.

لكنَّ الأفعال الكلاميَّة السَّابقة لها قوَّة إنجازيَّة تتعدَّى الإعلام والإخبار، بل تحقيق أغراض أخرى؛ كالحثِّ على مكارم الأخلاق والإحسان والجود والكرم، والتَّنبيه على المروءة وحسن المعاملة ومواساة الفقراء، كما تدعو إلى التَّكافل الاجتماعي، والرِّفق بالحيوان، ثمَّ التَّأكيد على أنَّ هناك حقوقًا على الإبل غير الزَّكاة، وللأفعال الكلاميَّة السَّابقة ـ أيضًا ـ قوَّة إنجازيَّة غير مباشرة تتمثَّل في الوعيد والتَّهديد والتَّرهيب، كما سيتَّضح في تحليلها ضمن الإلزاميَّات(١).

فالقوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي تتَّضح من خلال:

– **المحتوى اللَّفظي:** الجملة الاسميَّة في قوله: (إطراق فحلها، وإعارة دلوها، ومنيحتها، وحلبها على الماء، وحمل عليها في سبيل اللَّه).

– **المحتوى القضوي (المتكلِّم والمخاطب والعبارة والقصد التَّواصلي/فعل الإسناد):** الإخبار الحقيقي من رسول الله ـ ﷺ ـ بحق الإبل والمتعارف والمعهود عليه بين العرب.

– **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة:**

* الحثُّ على مكارم الأخلاق، والإحسان، والجود، والكرم.
* التَّنبيه على المروءة، وحسن المعاملة، ومواساة الفقراء.
* الدَّعوة إلى التَّكافل الاجتماعي، والتَّعاون، والمواساة بين المسلمين.
* الرِّفق بالحيوان، والتَّأكيد على أنَّ هناك حقوقًا على الإبل غير الزَّكاة.

● **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ نَهَى عَنْ بَيْعِ**

(١) ينظر هذا البحث: (ص:٣٨).

حَبَلِ الحَبَلَةِ، وَكَانَ بَيْعًا يَتَبَايَعُهُ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ، كَانَ الرَّجُلُ يَبْتَاعُ الجَزُورَ إِلَى أَنْ تُنْتَجَ النَّاقَةُ، ثُمَّ تُنْتَجُ الَّتِي فِي بَطْنِهَا"(١). قِيْل: "إنَّه كَانَ يَبِيْعُ الشَّارِفُ – وَهِيَ الكَبِيْرَةُ الْمُسِنَّةِ – بِنَتَاجِ الْجَنِيْنِ الَّذِيْ فِيْ بَطْنِ نَاقَتِهِ"(٢).

يندرج هذا الحديث ضمن الإخباريَّات؛ لأنَّه يتضمَّن أفعالًا ماضية (**كان، قيل**)، وأفعالًا مضارعة (**يتبايعه، يبيع، تنتج**) تخبر وتصف نوعًا من البيع كان متعارفًا عند أهل الجاهلية ويعملون به، فالقوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي تتَّضح ممَّا يأتي:

– المحتوى اللَّفظي:

* نهى عن بيع حبل الحبلة.
* كان بيعًا يتبايعه أهل الجاهليَّة.
* كان الرَّجل يبتاع الجزور إلى أن تنتج النَّاقة، ثمَّ تنتج الَّتي في بطنها.
* قيل: إنَّه كان يبيع الشَّارف ـ وهي الكبيرة المسنَّة ـ بنتاج الجنين الَّذي في بطن ناقته.

– المحتوى القضوي (المتكلِّم والمخاطب والعبارة والقصد التَّواصلي/فعل الإسناد):

المتكلِّم هو عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ، هذا الحديث موجَّه لجميع المسلمين بهدف شرح مفهوم بيع حبل الحبلة.

---

(١) محمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله ـ ﷺ ـ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المحقق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، (٣ /٧٠).

(٢) عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، **عمدة الأحكام من كلام خير الأنام ـ ﷺ ـ**، دراسة وتحقيق: محمود الأرناؤوط، مراجعة وتقديم: عبد القادر الأرناؤوط، دار الثَّقافة العربيَّة ، دمشق ـ بيروت، مؤسسة قرطبة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، (ص:١٧٧).

يتمثَّل هذا البيع في قيام الرَّجل ببيع ما في رحم النَّاقة أو البقرة أو أي من الأنعام من جنين، أو بيع الجنين المستقبلي الَّذي يُفترض أن يوجد في رحم الجنين الحالي الموجود في بطنها. ويُعدُّ هذا النَّوع من البيع أحد التَّصرفات الَّتي كانت معروفة ومنتشرة بين أهل الجاهليَّة حيث اعتادوا على مثل هذه المعاملات. مثال على ذلك أن يشتري الرَّجل النَّاقة على أن تلد، ثمَّ تعيش النَّاقة المولودة حتَّى تكبر وتلد هي الأخرى، فيخبرنا أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ نهى عن هذا البيع.

– القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة:

ينظِّم الشَّرع أمور التَّعامل بين النَّاس في البيع والشِّراء؛ كي تتمَّ وهي خالية من الجهالة أو الخداع أو الحرمة، ففي الحديث إبطال بيع أهل الجاهليَّة، وإشارة إلى أنَّ البيع والشِّراء لابدَّ أن يكون في شيء معلوم وثمن معلوم؛ حتَّى لا يفضي إلى أكل المال بالباطل، أو إلى التَّشاجر والتَّنازع المنافي للمصلحة الكليَّة، فالنَّهي في الحديث غرضه التَّحريم، تحريم بيع الجنين منفردًا، وتحريم البيع إلى أجل مجهول، وتحريم بيع الجزور وغيره إلى أن تلد النَّاقة ثم يلد مولودها؛ لأنَّه صادر من الله ـ ﷻ ـ على لسان رسول الله ـ ﷺ ـ..

- **عَنْ جَابِرِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا، فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ، قَالَ: "فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ فَدَعَا لِي، وَضَرَبَهُ، فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ، قَالَ: بِعْنِيهِ بِوُقِيَّةٍ، قُلْتُ: لَا، ثُمَّ قَالَ: بِعْنِيهِ، فَبِعْتُهُ بِوُقِيَّةٍ، وَاسْتَثْنَيْتُ عَلَيْهِ حُمْلَانَهُ إِلَى أَهْلِي، فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ، فَنَقَدَنِي ثَمَنَهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ، فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِي، فَقَالَ: أَتُرَانِي مَاكَسْتُكَ لِآخُذَ جَمَلَكَ، خُذْ جَمَلَكَ، وَدَرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ"**(١).

(١) مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (٣ /١٢٢١).

يندرج هذا الحديث ضمن الإخباريَّات؛ لأنَّه يتضمَّن أفعالًا ماضية (**كنت، أعيا، أردت، لحقني، دعا، ضربه،سار، قال، قلت، قال، بعته، استثنيت، بلغنا، أتيته، نقدني، رجعت، أرسل، قال، خذ**)، وأفعالًا مضارعه (**أسيبه، أتراني، لآخذ**)، وهي أفعال تحمل قوَّة إنجازيَّة متضمِّنة في القول، هي: الإخبار عمَّا حدث بين جابر بن عبدالله ورسول الله ـ ﷺ ـ في سفرهما، وهي أفعال إنجازيَّة غير مباشرة تتضمَّن معنى خفي، وهو أنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ مطَّلعًا على أحوال أصحابه، سواء في الغنى أوالفقر، وكان يقدِّم الدَّعم لهم بأسلوب حكيم لا يمس كرامتهم أو يحرجهم.

هذا المثال يعكس مدى حرصه على مراعاة مشاعرهم وظروفهم، وهو جزء من حسن تعامله ورفقه بأصحابه، وفي تجسيده لقيم الرَّحمة والتَّعاطف الَّتي تميَّز بها.

– القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة:

هو جواز طلب شراء سلعة حتَّى إن لم يعلن صاحبها عن رغبته في البيع، وكذلك التَّفاوض على سعرها، ويشترط أن يتمَّ دفع الثَّمن وقت تسليم السِّلعة، مع التَّأكيد على جواز بيع البعير مع استثناء حقِّ ركوبه، بالإضافة إلى ذلك إذا كان البيع مشروطًا بشرط لا يتعارض مع الغاية من العقد؛ فإنَّ البيع والشَّرط كلاهما جائز.

المطلب الثَّاني: التوجيهات (Directive)

هي توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، أو يقوم بشيء ما، ودفعه ليتصرَّف بسلوك متلائم مع الخبر الموجه له، و"هدفها جعل المرسل إليه يفعل شيئًا ما، ويحاول المرسل تحقيق هذا الهدف بدرجات مختلفة تتراوح بين اللِّين والقسوة، وذلك بالإغراء أو الاقتراح أو النُّصح، وبين العنف والشِّدَّة، وذلك بالإصرار على فعل الشَّيء"[1].

غرضها الإنجازي؛ هو توجيه المخاطب الى الفعل ومحاولة التَّأثير فيه، فـ "الأفعال

(١) عبدالهادي الشِّهري، **استراتيجيات الخطاب**، (ص: ١٥٨).

التَّوجيهيَّة تعبِّر عن توجُّه المرسل إلى أن ينفِّذ المرسل إليه بعض الأفعال في المستقبل، كما أنَّها تعبر عن رغبة المرسل أو أمنيته بأن يكون خطابه، أو بأن تؤخذ إرادته الَّتي انطوى عليها خطابه، على أنَّها هي السَّبب الرئيس أو الدَّافع الحقيقي في الفعل الَّذي سوف يأتي به المرسل إليه مستقبلًا"[(١)]، ويشمل هذا النَّوع من الأفعال كلُّ الأفعال الكلاميَّة الدَّالة على الطَّلب؛ كالأمر، والنِّداء، والنَّهي، والاستفهام، والعرض، والتَّحضيض، وقد يشمل مقصد نفسي بمعنى الأمر أو الاستفهام الَّذي يقصده المتكلِّم من خلال حديثه، فقد يخبر المتكلِّم وهو يقصد الأمر أو الاستفهام.

وردت نماذج من هذا النَّوع من الأفعال الكلاميَّة في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل الَّتي اختلفت أغراضها باختلاف سياقاتها ومقاصدها، فكانت أساليب (**الأمر، والنَّهي، والاستفهام**) متمثِّلة بغرض الوعظ، والإباحة، والنُّصح، والتَّوجيه، والإرشاد.

أولًا: الأمر.

هو "طلب الفعل بصيغةٍ مخصوصة، وله ولصيغته أسماءٌ بحسب إضافاته، فإن كان من الأعلى إلى مَن دونه، قيل له: (أمر)، وإن كان من النَّظير إلى النَّظير، قيل له: (طلبٌ)، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى، قيل له: (دعاءٌ) "[(٢)].

تُستخدم صيغ الأمر خارج نطاقها الأساسي الَّذي وُضعت لأجله، فتُعبِّر عن معانٍ متعدِّدة، مثل: التَّوجيه والإرشاد، أو التَّهديد والوعيد، أو التَّرغيب، أو التَّهكم، أو حتَّى التَّعجيز والتَّحدِّي، وذلك وفقًا للسِّياق وقرائن الأحوال، وتتَّضح في

(١) المصدر السَّابق، (ص:٣٣٧).

(٢) ابن يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السَّرايا محمَّد بن علي، **شرح المفصل للزَّمخشري**، قدَّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت/لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، (٤/ ٢٨٩).

الأحاديث الآتية:

- **عَنْ نَاجِيَةَ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ عَمْرٌو فِي حَدِيثِهِ: وَكَانَ صَاحِبَ بُدْنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَصْنَعُ بِمَا عَطِبَ مِنَ الْبُدْنِ؟ قَالَ: انْحَرْهُ، وَاغْمِسْ نَعْلَهُ فِي دَمِهِ، ثُمَّ اضْرِبْ صَفْحَتَهُ، وَخَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَلْيَأْكُلُوهُ"**(١).

في هذا الحديث مجموعة متواليَّة من الأفعال الكلاميَّة الطَّلبيَّة الواردة في صيغة فعل الأمر، وهي أفعال إنشائيَّة مباشرة تجيب الصَّحابي السَّائل وتوجِّهه إلى ما يجب أن يفعله إذا عطب أو مرض الهدي من الإبل أثناء أداء النُّسك، وليس العطب بسبب تفريط صاحبه أو إهماله، وقد اتَّضح هذا المقام من خلال سياق الحديث، فالسَّائل هو الصَّحابي ناجية الخزاعي، وهو صاحب بدن رسول الله - ﷺ - أي: المتمرِّس والخبير بتربية الإبل، فالسُّؤال الصَّادر منه هو مدار القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي **(قال: انحرْهُ، واغمِسْ نعلَهُ في دمِهِ، ثم اضربْ صفحتَهُ، وخَلِّ بينَ النَّاسِ وبينَهُ فليأكلُوه)**، وفائدته: الإرشاد، والتَّعليم، والبيان، والتَّوضيح.

الحديث الشَّريف يُظهر حكمًا فقهيًّا متعلِّقًا بالأضحية إذا أصابها مرض أو تعب يُحتمل أن يؤدي إلى هلاكها أو موتها قبل وصولها إلى موضع الذَّبح، حيث يُلزم في هذه الحالة ذبحها في مكانها دون تأخير إذا أُهمِلت حتَّى تهلك، يتوجَّب على صاحبها ضمانها كما لو فرَّط في حفظ وديعة حتَّى تلفت عند ذبحها، تكون هناك شعائر معينة مثل غمس النَّعل الَّذي قلِّد بها في دم الذَّبيحة وضربها على صفحة سنامها، كإشارة واضحة للمارَّة بأنَّها هدي حتَّى يعلموا بذلك، فيأكل منها المحتاجون دون أن تُعدَّ ميتة.

(١) ابن ماجة، **سنن ابن ماجه**، (٢/ ١٠٣٦).

إلى جانب ذلك، ينبغي تركها للمساكين، ويحرم على صاحبها وأصحابه الَّذين معه في الركب تناول شيء منها، سواء كان هؤلاء الرِّفاق مخالطين له مباشرة، أو مجرد جماعة من النَّاس غير مخالطين. ويعود السَّبب في تحريم الأكل منها على صاحبها ومن معه إلى سد باب الذَّريعة، الَّتي قد تؤدِّي إلى استغلال هذا الحكم من بعض النَّاس لتبرير النَّحر أو التَّعييب قبل الأوان، تجنبًا للفوضى وعدم تحقيق مقصود الأضحية، الَّذي يرتبط بأحكام وشعائر محدَّدة تُراعى قبل الأداء الكامل لها.

تتَّضح القوَّة الإنجازية للفعل الكلامي كالآتي:

– **المحتوى اللَّفظي**: الأمر (انحرْه، واغمسْ نعله في دمه، واضربْ صفحته، وخل بين النَّاس وبينه ليأكلوه).

– **المحتوى القضوي**: هو البِنية الدَّلاليَّة الَّتي تستند حكمًا أو فعلًا إلى مرجع معين، ويمكن فهمها مستقلة عن سياق التَّلفظ وسلطة المتكلِّم ونتاج الخطاب.

السَّائل: صحب البدن (صحابي)، **المرجع**: البدن المعطوبة، **المسند**: النَّحر والوسم، وإباحة الأكل، **القضية**: إذا عطبت البدنة تنحر ...

– **القوَّة الإنجازيَّة والتأثيرية**: التَّوجيه والإرشاد وتعليم الصَّحابة، وتوضيح الإجراءات الواجب اتباعها في حال تعرُّض الهدي من الإبل للتَّلف، أو إصابته بمرض يمنعه من إكمال دوره أثناء المناسك.

- **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** ـ ﷺ ـ: **"إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ، فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ بِاللَّيْلِ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهَوَامِّ بِاللَّيْلِ"**[(١)].

في هذا الحديث الشَّريف ثلاثة أفعال طلبيَّة (**فاعطوا، فأسرعوا، فاجتنبوا**)

(١) مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (٣/ ١٥٢٥).

جاءت في صيغة الأمر المسند إلى واو الجماعة، وغرضها الإنجازي توعية وتثقيف المسافرين بضرورة مراعاة الرِّفق بالحيوان، وضمان توفير الرَّاحة والإطعام له؛ ليتمكَّن من متابعة سيره بشكل أفضل، هذه المبادئ تشكِّل مجموعة من القيم الَّتي توازن بين مصالح الإنسان.

ينصح النَّبي ـ ﷺ ـ أصحابه الَّذين يسافرون على الإبل أو الدَّواب مثل البغال والحمير خلال زمن الخصب، وهو الوقت الَّذي يكون فيه العشب وفيرًا، أن يمنحوا تلك الحيوانات حقَّها من الرَّاحة والرَّعي، ويتمُّ ذلك من خلال تقليل السُّرعة ومنحها فرصة لتأخذ نصيبها من العشب الَّذي حولها، دون أن تُحرم منه، أمَّا إذا كان السَّفر في زمن الجدب وقلَّة العشب، فقد وجَّه النَّبي ـ ﷺ ـ بالإسراع في السَّير قبل أن تصاب تلك الدَّواب بالإرهاق، لتتمكَّن من إيصال المسافرين إلى وجهتهم، وهي ما زالت تحتفظ بشيء من قوَّتها؛ لأنَّ التَّباطؤ في مثل هذا الظَّرف قد يؤدِّي إلى إنهاك الحيوانات، وتجعلها تضعف عن إكمال الرِّحلة، خاصة أنَّها في هذه الحالة لا تستفيد من الرَّعي، ولا تعوض ما تفقده من طاقتها.

هذا التَّوجيه يختلف عن مفهوم الرِّفق المعتاد بالحيوان؛ لأنَّ الرِّفق ارتباطه يكون أساسًا بوجود الخصب والأمان، وعدم وجود ما يستدعي الإسراع والتَّنقل العاجل.

أوصى النَّبي ـ ﷺ ـ المسافر واهتمَّ بمصلحته، حيث قال: وإذا أردتم الرَّاحة والنَّوم ليلًا، فتجنَّبوا الطَّريق، والمقصود هنا هو عدم النَّوم في مناطق المرور، فهذه الطُّرق تُستخدم من قبل الدَّواب وتمشي عليها، ما قد يسبب لكم الأذى، كما قد تشكِّلون عقبة أمام سيرها إذا استغللتم الطَّريق للاستراحة.

تُعدُّ الطُّرق مأوى للهوام كالحشرات، والعقارب، والأفاعي خلال اللَّيل، وهذه الهوام تلجأ إلى الطَّريق؛ لأنَّها طرق ممهَّدة وسهلة العبور، وقد تقصدها بحثًا عمَّا يمكن أن يكون قد تركه المارة أو سقط منهم؛ لذا فقد يتعرَّض من ينام في الطَّريق للأذى من

هذه المخلوقات.

ثانيًا: الاستفهام.

يعدُّ أسلوب الاستفهام وسيلة يستخدمها المتكلِّم لاستقصاء معلومة لم يكن على دراية بها مسبقًا، أو لطلب المعرفة بشأن أمر غامض باستخدام إحدى أدوات الاستفهام الخاصَّة. وينطَّوي الطَّلب على فهم أمر مجهول ضمن سياق يهدف إلى جذب انتباه المتلقِّي نحو أهميَّة تقديم الإجابة المطلوبة؛ ممَّا يمنح المتكلِّم فرصة إستراتيجيَّة للتَّأثير في سير الأحداث وتوجيهها بطريقة مدروسة، علاوة على ذلك يسهم هذا النَّوع من الطَّلب في تشكيل أنماط التَّفكير لدى المتلقِّي، بما يمكن من توجيه مسار الحوار نحو تحقيق الهدف المأمول الَّذي يسعى إليه المتكلِّم.

فهو "طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، فقولنا: «طلب المراد»، عام فيه وفي الأمر، وقولنا: «على جهة الاستعلام»، يخرج منه الأمر، فإنَّه طلب المراد على جهة التَّحصيل والإيجاد"(١).

جاء الاستفهام في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل وهو استفهام غير العارف، الَّذي يهدف من خلاله الاستعلام عن أمور الدِّين والإلمام بها، ومنها:

- **عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ أَأَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: "إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ، قَالَ أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: نَعَمْ..."**(٢).

(١) يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، **الطِّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، تحقيق: د. عبدالحميد الهنداوي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، (١٥٨/٣).

(٢) مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (٢٧٥/١).

أسئلة الصَّحابي هي أفعال كلاميَّة استفهاميَّة مباشرة، استخدم فيها حرف الاستفهام الهمزة الَّتي تستخدم لطلب التَّصور والتَّصديق[1]، فالسُّؤال (**أنتوضَّأ من لحوم الغنم؟**)، و(**أنتوضَّأ من لحوم الإبل؟**)، استفهام حقيقي مباشر؛ لأنَّ الصَّحابي كان جاهلًا بالحكم ومتردِّدًا فيه، فغرضه الإنجازي طلب معرفة الحقيقة، ودليل على حرصه على فهم الحكم في الوضوء من لحم الغنم والإبل.

جاءت إجابة رسول الله ـ ﷺ ـ مختصرة وموجزة؛ لتزيل أي تردُّد وشك عن السَّائل، حيث جاءت عن السُّؤال الأول بـ: (**إن شئت**)، فالفعل الطَّلبي غرضه الإنجازي التَّخيير بين الفعلين، (**إن شئت فتوضَّأ**)، و(**إن شئت فلا تتوضَّأ**)، أي أنَّ الوضوء من لحم الغنم ليس واجبًا بل مستحبًّا وجائزًا لمن أراد التَّجديد أو الطَّهارة، وليس لأجل ناقضيَّة الأكل للوضوء، أمَّا الإجابة عن السُّؤال الثَّاني جاءت بـ (**نعم**)، حيث وجوب الوضوء من لحم الإبل، فهي إجابة مختصرة وصريحة مباشرة؛ لتزيل أي تردُّد أوشكٍّ في نفس السَّائل.

تتَّضح القوَّة الإنجازية للفعل الكلامي، كالآتي:

- **المحتوى اللَّفظي**: الاستفهام (أنتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: إن شئت، قال: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: نعم).
- **المحتوى القضوي**: طلب معرفة الحقيقة، ودليل على حرصه على فهم الحكم في الوضوء من لحم الغنم والإبل.
- **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة**: التَّخيير بين الفعلين، أي أنَّ الوضوء من لحم الغنم

(١) ينظر: محمَّد بن عبد الله، ابن مالك جمال الدِّين، **شرح تسهيل الفوائد**، تحقيق: د. عبد الرحمن السَّيد، د. محمَّد بدوي المختون، هجر للطِّباعة والنَّشر، ط١٤١٠،١هـ /١٩٩٠م، (١٠٩/٤).

ليس واجبًا، بل مستحبًّا وجائزًا لمن أراد التَّجديد أو الطَّهارة، ووجوب الوضوء من لحم الإبل.

- **عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيّ، قَالَ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ: "لَا تُصَلُّوا فِي عَطَنِ الْإِبِلِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْجِنّ خُلِقَتْ، أَلَا تَرَوْنَ عُيُونَهَا وَهَيْئَتُهَا إِذَا نَفَرَتْ؟ وَصَلُّوا فِي مُرَاحِ الْغَنَمِ، فَإِنَّهَا هِيَ أَقْرَبُ مِنَ الرَّحْمَةِ"**(١).

يوضِّح رسول الله ـ ﷺ ـ التَّعليل الشَّرعي للنَّهي؛ بأنَّ الإبل لها علاقة بالشَّياطين، ويقرِّر ذلك بالاستفهام (**أَلَا تَرَوْنَ عُيُونَهَا وَهَيْئَتُهَا إِذَا نَفَرَتْ؟**) الَّذي يحمل قوَّة إنجازيَّة غير مباشرة تفيد التَّقرير والتَّأكيد بقرينة المقام، فقد انتقلت دلالة التَّركيب من مستوى إلى آخر؛ فتحوَّل الاستفهام إلى تقرير؛ لأنَّ الرَّسول ـ ﷺ ـ أنجز فعلًا لغويًّا غير مباشر باستعمال فعل آخر.

تتَّضح القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي، كالآتي:

– **المحتوى اللَّفظي**: (ألا ترون إلى عيونها وهيئتها إذا نفرت؟)

– **المحتوى القضوي**: المرجع: عيون الإبل عند نفارها، المسند: رؤية مظهر العيون عند نفارها، أي لعيون الإبل عند نفارها هيئة يمكن إدراكها بالحسّ.

– **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة**: حجاجي إقناعي أراد أن يقنعهم النَّبي ـ ﷺ ـ بالنَّهي عن الصَّلاة في أماكن الإبل كون الإبل تعمل عمل الشَّياطين والأجنَّة؛ لأنَّ

(١) الإمام أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المحقق: شعيب الأرنؤوط ـ محمَّد نعيم العرقوسي ـ إبراهيم الزيبق، إشراف: د. عبدالله بن عبدالمحسن التُّركي، مؤسَّسة الرِّسالة. (١٧٤/٣٤). هذا الحديث صحيح، وقد ورد بألفاظ متقاربة في عدة مصادر، وصححه الإمام الألباني وغيره من أهل العلم، ورواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود، وابن ماجه، والنسائي بألفاظ متقاربة.

الإبل كثيرة النِّفار والشراد فتشوش قلب المصلي وتمنع الخشوع، ومن ثمَّ تفسد على المصلِّي صلاته.

ثالثًا: النَّهي.

النَّهي أسلوب إنشائي طلبي، فهو "قول ينبيء عن المنع من الفعل على جهة الاستعلاء، كقولك: لا تفعل، ولا تخرج. فقولنا: «قول ينبيء»، يدخل فيه جميع ما يدل على المنع من الفعل في سائر اللُّغات، وقولنا: «على جهة الاستعلاء»، نحترز به عن الرُّتبة، فإنَّها غير معتبرة"(١).

يُعدُّ النَّهي عملًا كلاميًّا تداوليًّا يوظف قوَّة إنجازيَّة ذات طبيعة طلبيَّة، تستمد معانيها من السِّياق الَّذي يضبط العلاقات الدَّلاليَّة بين الكلمات. يتفاعل هذا السِّياق بكل من مستوييه الإدراكي والعاطفي، مع المقام ومع نية المتحدِّث؛ ليسهم في توجيه دلالة النَّهي وتوضيح مقاصده الواقعيَّة.

- **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ، قَالَ: "لاَ تَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلاَ تُصَرُّوا الغَنَمَ، وَمَنِ ابْتَاعَهَا فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْتَلِبَهَا، إِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ"(٢).**

يُظهر الحديث الشَّريف مجموعة من الأفعال الكلاميَّة الَّتي تحمل طابعًا طلبيًّا بصيغة النَّهي، موجَّهة إلى تجَّار المسلمين بشكل عامٍّ، فقد نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن بعض الممارسات التَّجارية الضَّارة والمخلَّة بالنَّزاهة والعدل في التَّعاملات التَّجاريَّة، ومن ذلك: نهي شراء السِّلع قبل وصولها إلى الأسواق، وأن يشتري شخص سلعة، فيقوم

(١) يحي العلوي، **الطِّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، (١٥٦/٣).

(٢) محمَّد البخاري، **صحيح البخاري**، (٧١/٣).

آخر بإغراء البائع بفسخ البيع ليبيعها له بسعر أفضل أو بشروط أخرى، والنَّهي عن (التَّناجش)، وأن يعمل المقيم في المدينة سمسارًا للقادم من البادية ببيع سلعه، وتصرية الإبل والغنم(١).

هذه التَّوجيهات النَّبويَّة جاءت لتُرسخ قيم الصِّدق والأمانة، وتمنع أيَّ تصرف يؤدِّي إلى خداع النَّاس أو الإضرار بهم في المعاملات.

تتَّضح القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي، كالآتي:

- **المحتوى اللَّفظي**: النَّهي المباشر في (**لا تلقَّوا الركبان، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، ولا تناجشوا، ولا يبع حاضر لباد، ولا تصروا الإبل والغنم**).
- **المحتوى القضوي**: تحريم (تلقي الركبان، وبيع بعضكم على بيع بعض، والتَّناجش، وبيع حاضر لباد، وتصرية الإبل والغنم).
- **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة**: النُّصح والإرشاد، والإبلاغ والتَّوجيه بحرص الإسلام على صيانة أموال النَّاس وحفظ حقوقهم، والحثُّ على العدل في الأسعار، وترسيخ قيم الصِّدق والأمانة، وبذلك يضمن للمجتمع بناءه الاجتماعي السَّليم.

- **عن أبي هُريرةَ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: "لا سَبق إلا في خُفٍّ أو حافرٍ أو نَصلٍ"**(٢).

(١) ينظر: أبو المطرف عبدالرحمن بن مروان القنازعي القرطبي الأندلسي، **تفسير الموطَّأ**، حقَّقه وقدَّم له وخرَّج نصوصه: د. عامر حسن صبري، إصدارات وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، إدارة الشُّؤون الإسلاميَّة، قطر، (ص: ٤٨٩).

(٢) أبو داود سليمان، **سنن أبي داود**، المحقق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا، (٣ / ٢٩).

النَّهي في اللُّغة يمتدُّ ليشمل جميع الأفعال الكلاميَّة الَّتي تعبِّر عن المنع أو التَّحريم، بما في ذلك نفي وقوع الحدث[1]، كما يظهر ذلك في الحديث الشَّريف، حيث أوضح النَّبي ـ ﷺ ـ أنَّ المال والعطاء لا يكون مستحقًّا إلَّا في ثلاثة أمور: (إلَّا في خفٍّ)، أي: الإبل، أو في (حافر)، أي: الخيل، أو (نصل)، أي: رمي السَّهم، وبعدئذٍ، فإنَّ أخذ المال على مسابقات الإبل أو الخيل أو رمي السِّهام لا يُعدُّ من المنهي عنه.

يشجِّع الإسلام على كلِّ الوسائل الَّتي تسهم في تأهيل المسلمين ـ قديمًا ـ للجهاد في سبيل الله، وأباح السِّباق في الخيل والإبل ورمي السهام وأخذ المال عليها؛ لأنَّها أدوات تساعد في التَّغلب على الأعداء، وتشكِّل وسيلة للتَّحفيز والتَّشجيع على الجهاد.

تتَّضح القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي، كالآتي:

- **المحتوى اللَّفظي**: نفي الحدث، وهو من الأفعال الكلاميَّة الدَّالة على النَّهي (لا سبق إلَّا في نصل، أو خفٍّ، أو حافر).
- **المحتوى القضوي**: المتكلِّم: رسول الله ـ ﷺ ـ، **المرجع**: حدث السَّبق، **المسند**: الأنواع الثَّلاثة (سبق، نصل، حافر)، **القضية**: تأهيل المسلمين للجهاد في سبيل الله، وتشكِّل وسيلة للتَّحفيز والتَّشجيع على الجهاد.
- **القوَّة الإنجازيَّة والتأثيرية**: الحثُّ أو التَّنبيه على أهميَّة المسابقة والرِّياضة بهذه المذكورات وما أشبهها من وسائل الجهاد؛ لما في ذلك من العون على القيام بهذه الفريضة العظيمة ـ الجهاد في سبيل الله ـ فهي من عدَّة القتال في سبيل الله تعالى، وفيها ترغيب في الجهاد.

- **عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ عَنْ عَسْبِ**

(١) ينظر: محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص:١٠٢).

الفَحْلِ"[١].

- **عَن جَابِر بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ - ﷺ - عَنْ بَيْعِ ضِرَابِ الْجَمَلِ..."**[٢].

يظهر من خلال الحديثين المتضمّنين صيغة النَّهي في حكم الصَّريحة: (**نهى النَّبي - ﷺ -**) دلالة النَّهي على التَّحريم دلالة واضحة؛ ليتكوَّن الفعل الكلامي من فعل إسنادي موضوعه النَّهي المسند إلى رسول الله - ﷺ -، والمتضمّن تحريم (بيع عسْب الفحل، أو ضرِاب الجمل)، يعني: لا يجوز للمسلم أن يبيع عسب الفحل، وهو ضرابه، قال الزبيدي:" العسب: ضراب الفحل...،أو العسب: ماؤه، أي: الفحل، فرسًا كان أو بعيرًا... والعسب إعطاء الكراء على الضراب..."[٣]، وبناء على نصِّ الحديث، فإنَّه يحرم بيع ماء الفحل؛ لأنَّ هذه أمور طبيعية يتعامل بها المسلمون فيما بينهم دون الحاجة إلى مقابل مادي، وهي من أساسيَّات التَّعاون والتَّكافل بين النَّاس، وينبغي أن تُقدم بلا مقابل؛ لأنَّها ممَّا يخدم مصالح المسلمين العامة؛ ولذلك لا يصح التَّعامل معها كمجال للبيع والشِّراء.

تتَّضح القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي، كالآتي:

- **المحتوى اللَّفظي**: صيغة النَّهي في حكم الصَّريحة (نهى النَّبي - ﷺ - عن عسب الفحل، ونهى رسول الله - ﷺ - عن بيع ضراب الجمل).
- **المحتوى القضوي**: تحريم بيع عسب الفحل أو ضراب الجمل؛ لأنَّه قد لا

(١) محمَّد البخاري، **صحيح البخاري**، (٩٤/٣).

(٢) مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (١١٩٧/٣).

(٣) محمَّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية، (٣/ ٣٦٧).

ينجح التَّلقيح ولا يحصل الحمل؛ ممَّا يجعل الأجر غير مضمون؛ ولأنَّه من جنس الماعون، أي: ما يعار من الأشياء ويستفاد منه.

– **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة**: الحثُّ على مكارم الأخلاق، والتَّسامح والتَّكافل بين النَّاس، وأن يتبرَّع أصحاب الفحول بإعارتها للتَّلقيح دون مقابل.

- **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -، قَالَ: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ"**[1].

فعل الكلام، هو التَّحذير في(**إيَّاكم**)، وهو فعل إنجازي مباشر يسترعي الاهتمام وانتباه المخاطب؛ ممَّا يستأثر التَّفاعل الإيجابي مع مضمون الخطاب، جاء في سياق توجيه وتحذير النَّبي - ﷺ - ونهيه للمؤمنين من أن يستخدموا ظهور دوابِّهم منابر للجلوس عليها عند الخطبة، والحديث فيما بينهم؛ وخاصَّة عندما تكون لهم عادة أو لغير حاجة؛ فتتعب الدَّابة لغير داع.

يتحقَّق الغرض الإنجازي انطلاقًا من السِّياق التَّواصلي الَّذي وظفت فيه بنية الفعل الكلامي، فالغاية المرجوة من هذا النَّهي هي التَّأثير في المخاطب وحمله على أدائه فعل ما، وهو الدَّعوة إلى ترك الجلوس على الإبل والدَّواب؛ لأنَّها تؤذى بطول الجلوس الَّذي لا يحصل من ورائه فائدة، فلا يتَّخذها الإنسان مستقرًّا له وهي واقفة، ويجلس يحدِّث صاحبه كأنهما جالسان على الأرض يتحدَّثان ويؤذيان الدَّابة.

يستعين الرَّسول - ﷺ - ترك الجلوس على الإبل والدَّواب في الإقناع بالأفعال الكلاميَّة الحجاجيَّة الموحية بالفعل الإنجازي والمفسرة للغرض من النَّهي، وهي أنَّ الله - ﷻ - جعل وظيفة الدَّواب حمل النَّاس في أسفارهم الَّتي يصعب عليهم الوصول إليها

(١) أبو داود سليمان، **سنن أبي داود**، (٢٧/٣).

إلَّا بعد مشقَّة وجهد، مع العلم أنَّ هناك بدائل سخَّرها الله لهم، فقد هيَّأ الأرض لتكون وسيلة انتفاع لهم، حيث تحملهم في كلِّ الأحوال والأوقات، سواء في خطبهم أو أحاديثهم أو غيرها، لذلك افعلوا على ظهر الأرض ما تشاؤون، فهي منصَّة لكم، تحمل منابر خطبكم ومجالسكم، ومن خلال هذا الطَّرح، يتحقَّق تأثير قوي على المتلقِّي، نتيجة التَّحذير الَّذي يدفعه تلقائيًّا إلى تحقيق المطلوب، وتنفيذ الفعل المرجو بصورة تامَّة ومؤثِّرة.

المطلب الثَّالث: الإعلانيَّات/ التَّصريحات(Declarations):

هي أفعال كلاميَّة "يكون إيقاع الفعل فيها مقارنًا للفظه في الوجود، فأنت توقع بالقول فعلًا"(١)، بمعنى أنَّها أفعال كلاميَّة عندما يتلفَّظ بها المتكلِّم يصبح الكلام نافذًا، ويترتَّب عليه تغيير في الواقع المتَّصل بهذا الحكم، والهدف منها يكون إحداث واقعة، أو إحداث تغيير في الوضع القائم عن طريق الإعلان أو التَّصريح، وكأنَّه قد تغيَّر فعليًّا، ويكون للمتكلِّم سلطة شرعيَّة أو قانونيَّة تخوِّله إصدار هذه الأحكام أو الإعلانيَّات، وبما أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ جاء مشرِّعًا بعد القرآن، فسنَّته منها كثير يدخل في هذا النَّوع، ومن ثمَّ هي" أنواع أفعال الكلام تلك الَّتي تغيِّر الحالة عبر لفظها... ويتوجَّب على المتكلِّم تسنُّم دور مؤسَّساتي في سياق معين؛ لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة...وباستعمال الإعلانات يفيد المتكلِّم العالم عبر الكلمات"(٢).

أهم سمة من سمات الإعلانيَّات هي أنَّه يقتضي عرفًا غير لغوي، كما أنَّ محتواه القضوي مطابق للعالم الخارجي، واتِّجاه المطابقة فيها مزدوج من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، فـ "السِّمة المميزة لها أنَّ أداءها النَّاجح يتمثَّل في مطابقة

(١) محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص:٩٨).

(٢) جورج يول، **التَّداولية**، (ص: ٨٩).

محتواها القضوي للعالم الخارجي... فضلًا عن أنَّها تقتضي عرفًا غير لغوي"[١]، كما أنَّ "اتِّجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط إخلاص"[٢].

المسؤول عن تحقيق المطابقة في الإعلانيَّات قد يكون المتلقِّي، أو المتكلِّم، وقد يكون غيرهما[٣]، وتشمل الإقاعيَّات، أفعال الطَّرد، والإقالة، وإعلان الحرب، والزَّواج، والطَّلاق ...[٤].

في الأحاديث النَّبويَّة المتعلِّقة بالإبل عن رسول الله ـ ﷺ ـ، إعلان حكم بنصاب زكاة الإبل ومقدارها، هذا البيان يأتي كتشريع واضح يُرشد المسلمين الَّذين يأتون بعد ذلك، ويوضِّح لهم كيفيَّة أداء هذه العبادة بما يتَّفق مع تعاليم الإسلام، وبمجرد التَّصريح به سيترتَّب عليه تغيير في الوضع القائم، أو تغيير في حق الامتلاك، فهي أفعال كلاميَّة إيقاعيَّة تؤثِّر على العالم الخارجي، ويترتَّب على تركها مخالفة شرعيَّة.

- **عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: "انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَوْ وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، أَوْ كَمَا حَلَفَ، مَا مِنْ رَجُلٍ تَكُونُ لَهُ إِبِلٌ، أَوْ بَقَرٌ، أَوْ غَنَمٌ، لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا، إِلَّا أُتِيَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَعْظَمَ مَا تَكُونُ وَأَسْمَنَهُ، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا جَازَتْ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاس"[٥].**

(١) محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص: ٥٠).

(٢) المصدر السَّابق، (ص:٥٠).

(٣) ينظر: علي الصرَّاف، **في البراجماتية**، (ص: ٢٠٩).

(٤) ينظر: جون سيرل، **العقل واللُّغة والمجتمع**، (ص: ٢١٩).

(٥) محمَّد البخاري، **صحيح البخاري**، (١١٩/٢).

في قوله ـ ﷺ .: أسلوب قسم وأسلوب استثناء، وأفعال خبريَّة مبنية للمجهول، وجمل زمانيَّة بمجرد التَّلفُّظ بها يصف لنا العذاب الأخروي الغيبي المؤجل الَّذي سيتحقَّق حدوثه بصدور الأمر الإلهي إلى المأمور، فيتمثَّل له، وجاء الحديث ليعظم قضية زكاة الأنعام، وفريضة إخراجها على أصحابها، ويحذر من التَّهاون فيها.

غرض الأفعال الكلاميَّة الوعيد العظيم من الله ـ ﷻ ـ، ويدلُّ على عظم الخطر في البخل بالزَّكاة وعدم أدائها، وبيان قدرة الله ـ ﷻ ـ وعدله، حيث يوضِّح الحديث عظمة الله وقدرته في كيفيَّة تمثيل الأنعام يوم القيامة؛ لتكون سببًا في عذاب المفرطين.

تعدَّلت القوَّة الإنجازيَّة بإسناد فعل الإتيان يوم القيامة للمجهول (**أُتي بها يوم القيامة ...**)، ومعلوم من قام بالفعل هو الله ـ ﷻ ـ، ولكن لما كان فعل الإتيان من ورائه إلزام الحجَّة الَّتي يتَّبعها استمرار العذاب، حيث تأتي الإبل يوم القيامة أعظم ما كانت عند الَّذي منع زكاتها، فتطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها،كلَّما جازت أُخراها ردَّتْ عليه أُولاها، ويستمرُّ هذا العقاب حتَّى يفرغ الحساب، وينتهي الحكم بين النَّاس.لم يسند النَّبي ـ ﷺ ـ هذا الشَّر الَّذي سيناله العبد تأدُّبًا مع الله ـ ﷻ ـ، كما أنَّ هناك علَّة أخرى تكمن وراء إسناد فعل الإتيان للمجهول، ذلك بأنَّ المقام مقام ذمٍّ لمانع الزَّكاة، فلم يظهر الله ـ ﷻ ـ ذاته، ولم ينسب الفعل لنفسه تنزيهًا له سبحانه.

اشتمل الخطاب على أفعال كلاميَّة غير مباشرة مستلزمة مقاميًّا، إذ جاءت على حسب وصف (**فان ديك**) أفعالًا إضافيَّة مساعدة جزئيَّة للفعل الكلّي المركَّب لتجعله فعلًا ناجحًا، في حين أنَّ الفعل المساعد قد ينجز فقط بجعل جزء الفعل وحده ناجحًا[1]، مثل التَّهديد والوعيد، والتَّحذير والتَّرهيب من ترك إخراج حق الله ـ ﷻ ـ في

(١) ينظر: فان ديك، **النَّص والسِّياق (استقصاء البحث في الخطاب الدَّلالي والتَّداولي)**، ترجمة: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشَّرق، المغرب، ٢٠٠٠م، (ص: ٢٤٠-٢٤١).

الأنعام، والتَّرغيب في عمل الخير، والتَّعظيم لقدرة الله ـ ﷻ ـ وعدله، والتَّنبيه على قدرة الله ـ ﷻ ـ في جمع النَّاس ومحاسبتهم، وأنَّه لا ظلم في هذا اليوم حتَّى يقضى بين النَّاس.

أمَّا الحالة النَّفسيَّة الَّتي تعبِّر عنها الإيقاعيَّات، فهي إرادة المتكلِّم في وقوع هذا الفعل وتحققه بنجاح، وبذلك يكون قد أوقع فعلًا بمجرد القول، عن طريق إيجاد واقع، إذ لا يراد بالإيقاعيَّات وصف واقع، لكنَّ الانتقال إلى واقع جديد يتحقَّق فيه هذا الفعل.

تدعَّمت القوَّة الإنجازيَّة بالمدخل إلى فعل الإيقاع بالقسم (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَوْ وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، أَوْ كَمَا حَلَفَ..**)، للدَّلالة على تعظيم جواب القسم، وبيان أهمِّيته وجسامته وتوكيده، كما تدعَّمت القوَّة الإنجازيَّة في سوق فعل الإيقاع واضحًا خاليًا من المجاز، يفهمه العامَّة ولا يحتاج إلى شرح.

تتَّضح القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي، كالآتي:

- **المحتوى اللَّفظي**: أسلوب القسم وأسلوب الاستثناء، أفعال خبريَّة مبنيَّة للمجهول، وجمل زمانيَّة.
- **المحتوى القضوي**: من يملك الإبل ولا يؤدِّي زكاتها يعذب في الآخرة.
- **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة**: التَّهديد والوعيد، والتَّحذير والتَّرهيب من ترك إخراج حق الله ـ ﷻ ـ في الأنعام، والتَّرغيب في عمل الخير، والتَّعظيم لقدرة الله ـ ﷻ ـ وعدله، والتَّنبيه على قدرة الله ـ ﷻ ـ في جمع النَّاس ومحاسبتهم.

- **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَالَ: "...، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةٌ..."**(١).
- **عَنْ أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ، كَتَبَ لَهُ هَذَا الكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى البَحْرَيْنِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ عَلَى**

(١) مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (٦٧٥/٢).

الْمُسْلِمِينَ، وَالَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ، "فَمَنْ سُئِلَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِهَا، فَلْيُعْطِهَا وَمَنْ سُئِلَ فَوْقَهَا فَلاَ يُعْطِ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الإِبِلِ، فَمَا دُونَهَا مِنَ الغَنَمِ مِنْ كُلِّ خَمْسٍ شَاةٌ إِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ إِلَى خَمْسٍ وَثَلاَثِينَ، فَفِيهَا بِنْتُ مَخَاضٍ أُنْثَى..."(١).

- **عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَالَ: "فِي كُلِّ سَائِمَةِ إِبِلٍ فِي أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ، وَلَا يُفَرَّقُ إِبِلٌ عَنْ حِسَابِهَا مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا – قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ مُؤْتَجِرًا بِهَا – فَلَهُ أَجْرُهَا، وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ، عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ لِآلِ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَيْءٌ"**(٢).

منح فعل الكلام قوَّة إنجازيَّة؛ لأنَّ إصدار الحكم، وتحديد وضبط نصاب ومقدار زكاة الإبل من واقع سلطة النَّبي ـ ﷺ ـ، وغرضه الإنجازي هو التَّشريع والتَّصريح والإعلان والإعلام بما يجب أن يتمَّ في زكاة الإبل، وجعل المخاطبين يخرجون نصابه المقدَّر.

تتَّضح القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي، كالآتي:

– **المحتوى اللَّفظي**: (ليس فيما دون خمس من الإبل صدقة...)، و(في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم، في كلِّ خمس شاة، فإذا بلغت خمسًا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها ابنة مخاض أنثى...)، و(في كلِّ سائمةِ إبلٍ في أربعين بنت لبون...).

– **المحتوى القضوي**: تحديد رسول الله ـ ﷺ ـ مقدار زكاة الإبل، وجعل المخاطبين يخرجون المقدار المعلوم منها.

– **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة**: هو فعل كلامي إيقاعي أحدث تغييرًا في العالم

(١) محمَّد البخاري، **صحيح البخاري**، (١١٨/٢).

(٢) أبو داود سليمان، **سنن أبي داود**، (١٠١/٢).

بمجرد إعلانه؛ لأنَّ التَّلفُّظ به يؤدِّي إلى تحقيقه وإيقاعه، وهو التَّصريح والإعلان بمقدار أونصاب زكاة الإبل، وقد أكَّد الرَّسول ـ ﷺ ـ عزمه على تحقيق هذا الفعل والعمل به؛ ممَّا يبرز حرصه على نجاحه وتنفيذه بشكل فعَّال، وبهذا يكون قد أحدث تغييرًا ملموسًا بمجرد التَّصريح، مكرِّسًا القول كوسيلة فعَّالة لإيجاد واقع جديد.

ثمَّ أعلن بأنَّه (لا تُفرَّق إبلٌ عن حسابها، من أعطاها مُؤتَجِرًا بها فله أجرها، ومن منعها فإنَّا آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات ربِّنا، لا يحلّ لآل محمَّدٍ منها شيء)، وهذا فعل إيقاعي آخر يؤكِّد على أهميَّة إخراج زكاة الإبل السَّائمة الَّتي ترعى بنفسها، فلا يجوز تفريق الإبل المتجاورة لتجنب بلوغ النِّصاب، وتسقط عنه الزَّكاة، فمن يؤدِّي زكاة إبله طواعية له أجرها عند الله، ومن يمتنع عن أدائها يؤخذ منه الزَّكاة بالقوَّة، بالإضافة إلى نصف ماله كعقوبة. وهذا الحكم هو أمر ثابت من الله ورسوله، ولا يجوز لأهل بيت النَّبي محمَّد ـ ﷺ ـ أن يأخذوا شيئًا من هذه الزَّكاة، وقد دلَّت الصِّيغة الخبريَّة على أفعال كلاميَّة غير مباشرة، مثل: التَّرغيب والوعد لمن أعطاها، والتَّهديد والوعيد لمن منعها.

- **عَنْ أَبِي الْبَدَّاحِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ "رَخَّصَ لِرِعَاءِ الْإِبِلِ فِي الْبَيْتُوتَةِ يَرْمُونَ يَوْمَ النَّحْرِ، ثُمَّ يَرْمُونَ الْغَدَ، وَمِنْ بَعْدِ الْغَدِ بِيَوْمَيْنِ وَيَرْمُونَ، يَوْمَ النَّفْرِ"**[1].

قوله: (**رخَّص**) فعل كلامي غرضه إيقاع الفعل، فهو إعلان للصَّحابة وكافَّة المسلمين بإباحة وجواز ترك المبيت بمنى لرعاة الإبل من الحجَّاج، وجواز رمي الجمرات في يوم واحد لهم، وقد أحدث هذا الإعلان تغييرًا في العالم بمجرد إعلانه، فقد أعطى

(١) أبو داود سليمان، **سنن أبي داود**، (٢/٢٠٢).

رسول الله ـ ﷺ ـ للمشتغلين برعي الإبل من الحجاج حكمًا سيترتب عليه تغيير في الوضع، ولا دمّ عليهم، فقد أباح وأجاز لهم:

– ترك المبيت بمنى ليال التَّشريق، وأن يبيتوا حيث يعملون ولو كانوا بعيدين عن منى؛ لأنَّه لا يستطيع أن يترك إبله حتَّى لا تسرق أو تموت.

– جمع رمي الجمرات في يوم واحد، أي يرمون يوم النَّحر (جمرة العقبة)، ثمَّ يرمون بعد الغد ليومين (يرمون الجمار الثَّلاث مرَّتين في يوم واحد، مرَّة عن اليوم الحادي عشر ومرَّة عن اليوم الثَّاني عشر، ثمَّ يرمون يوم النَّفر)، أي: يوم الدَّفع والخروج من منى لمن لم يتعجَّل، أي: يرمون الجمار الثَّلاث يوم الثَّالث عشر.

كلُّ هذه أمور تغيَّرت وأحدثت بإعلان رسول الله ـ ﷺ ـ أو برخصته لأصحاب الإبل من الحجاج، لقد منح فعل الكلام قوَّة إنجازيَّة؛ لأنَّ إصدار الرُّخصة وإعلانها من واقع سلطة النَّبي ـ ﷺ ـ، وغرضه الإنجازي هو التَّشريع والتَّصريح والإعلان بجواز وإباحة ما رخَّص به لأصحاب الإبل من الحجَّاج من التَّيسير في أمر المبيت والإقامة عند الرَّمي، تخفيفًا عنهم من مشقَّة السَّفر والعبادة، فقد جاء الإسلام رحمةً بالنَّاس، مراعيًا مصالحهم وحاجاتهم فيما ينظِّم شؤون حياتهم، مع الحرص على أن يؤدُّوا عباداتهم بأكمل صورة ممكنة؛ بدءًا من القيام بالواجبات والأركان الأساسيَّة، والتَّيسير في بعض السُّنن عند وجود أعذار مشروعة، بذلك يظلُّ الدِّين قريبًا من النَّاس، بلا حواجز تمنعهم عن أداء فرائضهم، وما هذا إلَّا دليل واضح على سماحة التَّشريع الإسلامي الَّذي يسعى لتحقيق المصالح العامَّة وتخفيف المشقَّة، لا سيَّما لمن كان له ظروف استثنائيَّة أو عذر معتبر.

تتَّضح القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي، كالآتي:

– المحتوى اللَّفظي: فعل (**رخَّص**) متعدِّيًا إلى (**رعاة الإبل في البيتوتة**)، مع ترتيب أزمنة الرَّمي (**يرمون يوم النَّحر، ثمَّ يرمون الغد ليومين، ثمَّ يرمون يوم النَّفر**).

– **المحتوى القضوي**: رعاة الإبل يرمون الجمار في قت مختلف عن بقية الحجاج.

– **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة**: رفع الحرج العملي عن رعاة الإبل بيان رحمة الإسلام بالنَّاس، مراعيًا مصالحهم وحاجاتهم فيما ينظِّم شؤون حياتهم، مع الحرص على أن يؤدُّوا عباداتهم بأكمل صورة ممكنة، والتَّيسير وتخفيف المشقَّة في بعض السُّنن عند وجود أعذار مشروعة، بذلك يظلُّ الدِّين قريبًا من النَّاس، بلا حواجز تمنعهم عن أداء فرائضهم، وهذا دليل على سماحة التَّشريع الإسلامي، الَّذي يسعى لتحقيق المصالح العامَّة .

- **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ** ـ ﷺ ـ **قَالَ: "الْبَقَرَةُ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْجَزُورُ عَنْ سَبْعَةٍ"**(١).

أقرَّ الرَّسول ـ ﷺ ـ من خلال هذا الفعل الكلامي حُكمًا أو قانونًا يُجيز الاشتراك في الهدي، ويُقاس عليه الاشتراك في الأضحية، حيث يمكن للبدنة أو البقرة أن تجزيء عن سبعة أشخاص، ويحصل كلُّ شخص منهم على أجر أضحية كاملة، ومع ذلك يُشترط ألَّا يزيد العدد عن سبعة، وإن كان بالإمكان أن يقل.

هذا الحُكم النَّبوي يُعدُّ محتوى قضويًا صادقًا، صادرًا عن مصدر التَّشريع نفسه وهو رسول الله ـ ﷺ ـ، ويتضمَّن توجيهًا واضحًا بجواز مشاركة الأشخاص في الأضحية أو الهدي، شريطة الالتزام بعددهم المحدد، مع التَّحذير من مخالفته إذا تجاوز العدد المصرَّح.

إنَّ الشُّروط المرتبطة بهذا الفعل تضمن انسجامه مع الواقع من جهة المطابقة بين القول والعالم المحيط، والغرض من هذا التَّشريع يتجسَّد في إحداث تغيير إيجابي يسمح بالجواز، بهدف تعزيز المشاركة والتَّكافل الاجتماعي بين النَّاس، إلى جانب توسيع

(١) أبو داود سليمان، **سنن أبي داود**، (٩٨/٣).

دائرة الانتفاع باللُّحوم وتوزيعها على أكبر عدد ممكن من الأفراد والأسر،كما يهدف إلى التَّيسير على المسلمين في أداء هذه الشَّعيرة بطريقة جماعيَّة، و ـ أيضًا ـ هذا الاشتراك يشكِّل تعبيرًا جميلًا عن التَّراحم والتَّآلف بينهم، حيث يجتمعون لأداء هذه العبادة واقتسام فرحتها معًا، من جانب آخر يبدو أنَّ عمليَّة المطابقة تتَّخذ اتجاهًا مزدوجًا، حيث تنسجم الكلمات مع العالم، وكذلك العالم مع الكلمات.

أمَّا الحالة النَّفسيَّة الَّتي تعبِّر عنها الإيقاعيَّة، فهي الإرادة الواضحة للنَّبي ـ ﷺ ـ بتحقيق هذا الفعل وإنجاحه. وهكذا يُعدُّ هذا الفعل الكلامي أكثر من مجرد وصف للواقع؛ بل يمثِّل دافعًا نحو الانتقال إلى واقع جديد يتأسَّس عليه هذا الحُكم النَّبوي، ويُرسَّخ فيه بنجاح.

المطلب الرَّابع: الإلتزاميَّات (Commissives):

الإلتزاميَّات هي "أفعال كلاميَّة يقصد بها المتكلِّم الالتزام طوعًا بفعل شيء للمخاطب في **المستقبل**، بحيث يكون المتكلِّم مخلصًا في كلامه، عازمًا على الوفاء بما التزم به"(١).

- **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَالَ: "... وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا، إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، فَيُبْطَحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، فَتَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، كُلَّمَا مَضَتْ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّار"(٢).**

وردت الأفعال الالتزاميَّة في قوله: (... **يبطح لها بقاع قرقر، تطؤه بأخفافها،**

(١) محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص: ١٠٤).

(٢) أبو داود سليمان، **سنن أبي داود**، (١٢٤/٢).

كلَّما مضت عليه أخراها ردَّت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثمَّ يرى سبيله إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار)، وهي أفعال توعَّد من خلالها الرَّسول ـ ﷺ ـ كلُّ من بخل ولم يؤدِّ زكاة إبله المفروضة.

هي أفعال التزاميَّة أفادت فعلًا إنجازيًّا هو التَّرهيب والوعيد بعذاب أليم يوم القيامة، حيث يوضِّح الحديث إنَّه سيبسط له يوم القيامة في (قاع قرقر)، ـ وهو أرض مستوية واسعة أو ما يشبه الصَّحراء ـ، وستطأه الإبل بخفافها، وكلَّما مرَّت عليه الإبل آخرها عادت عليه أولاها، ـ أي: يتكرَّر هذا العذاب بحيث لا ينتهي إلَّا بعد انقضاء المدَّة المحدَّدة ـ، في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة، ثمَّ بعد هذا العذاب الطَّويل يرى مصيره إمَّا إلى الجنَّة أو إلى النَّار.

القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي تتَّضح من خلال:

- **المحتوى اللَّفظي**: (وما من صاحب إبل لا يؤدِّي حقَّها إلا بسط لها بقاع قرقر، تطأه بخفافها، كلَّما مرَّت عليه أخراها ردَّت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثمَّ يرى سبيله إمَّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النَّار)، أسلوب الشَّرط والعطف.
- **المحتوى القضوي**: يقرِّر رسول الله ـ ﷺ ـ أنَّ الَّذين يبخلون ولم يؤدُّوا زكاة إبلهم المفروضة؛ بأنَّه سيبسط لهم يوم القيامة في قاع قرقر، وستطؤهم الإبل بخفافها، كلَّما مرَّت عليهم الإبل آخرها عادت عليهم أولاها، في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة، ثمَّ بعد هذا العذاب الطَّويل يرون مصيرهم إمَّا إلى الجنَّة أو إلى النَّار.
- **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة**: الوعيد والتَّرهيب لكلِّ من يبخل ولم يؤدِّ زكاة إبله المفروضة، واستخدام رسول الله ـ ﷺ ـ لهذه الأفعال الالتزاميَّة الَّتي أدَّت غرض الوعيد والتَّرهيب كوسيلةً فعَّالة لتربية الإنسان وتوجيهه نحو السُّلوك القويم،

حيث يسهم في تهذيب النَّفس وتقويمها وإرشادها إلى مسارات السَّلامة في الدُّنيا والآخرة؛ بهدف تحقيق رضا الله ﷻ - باجتناب المحرَّمات، واتِّباع التَّعليمات الَّتي تحثُّ على توخِّي الحذر من الأعمال الَّتي ورد فيها وعيد أو تحذير، كما إنَّ إدراك الإنسان للعواقب المترتِّبة على هذه المخالفات، قد يدفعه إلى الامتناع عن الوقوع فيها، مدفوعًا بالخشية من العقاب الأخروي النَّاتج عنه.

- **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: "مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ"**[(١)].

في هذا الحديث سلسلة من الأفعال الكلاميَّة الوعديَّة التَّبشيرية المصاغة في هيئة جمل شرطيَّة، يوضِّح من خلالها النَّبي - ﷺ - لأصحابه مقدار الجزاء العظيم المنتظر لمن يبكر إلى صلاة الجمعة، واستخدم النَّبي - ﷺ - أسلوب التَّمثيل؛ لتقريب الفكرة وتوضيح قيمتها، حيث شجَّع أصحابه على الاغتسال يوم الجمعة، والتَّبكير إلى الصَّلاة خلال السَّاعات الأولى؛ لنيل الثَّواب الأكبر الَّذي يعادل في قيمته التَّصدُّق ببدنة.

تتَّضح القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي، كالآتي:

– **المحتوى اللَّفظي**: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثمَّ راح، فكأنَّما قرب بدنة).

– **المحتوى القضوي**: يوضح الحديث الشَّريف أنَّ التَّبكير إلى صلاة الجمعة له

(١) محمَّد البخاري، **صحيح البخاري**، (٢/٣).

فضل عظيم، وأنَّ كلَّ ساعة مبكرة يذهب فيها المسلم إلى المسجد يعادل التَّصدق على الفقراء بشيء معين، فالأول كبدنة، والثَّاني كبقرة ...، هذا يدلُّ على عظم الأجر والثَّواب لمن بكَّر في الذَّهاب إلى صلاة الجمعة.

- **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة:** يحثُّ رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه على الاغتسال ليوم الجمعة، ويرغبهم في التَّبكير لصلاتها في السَّاعات الأولى، ويبشِّرهم بالحصول على الثَّواب الأعظم الَّذي يعادل التَّصدق بالبدنة.

- **عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ تُسَمَّى: العَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لاَ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ العَضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: "إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ"**(١).

الفعل الكلامي (**إنَّ حقًّا على الله أن لا يرفع شيئًا من الدُّنيا إلَّا وضعه**) يتضمَّن فعل التزامي صريح يقرِّر سنَّة إلاهيَّة كونيَّة واضحة غير قابلة للتَّبديل أو التَّعديل، فسنن الله ـ ﷻ ـ في الكون لا تتبدَّل ولا تتغيَّر، وجاء بصيغة جازمة موكِّدة لا تحتمل شكًّا ولا ريبًا ممَّن لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى، وهو وعد يوضِّح فيه رسول الله ـ ﷺ ـ أمرًا مؤكَّدا ثابتًا على الله، بأنَّه من سنن الله في خلقه، إذ أن بعد كل صعود يكون هبوط، فلا يدوم حال في هذه الدُّنيا لأحد، إذ تتغيَّر الأحوال من حال إلى حال، وهذا الفعل يؤثِّر على العالم الاعتباري الخارجي، ويصل تأثيره إلى ضبط العلاقات بين النَّاس بعضهم بعضًا، ولا شكَّ أنَّ عدم انتباه النَّاس لهذا الوعد والوعيد من الله ـ ﷻ ـ سيترتَّب عليه مخالفات شرعيَّة كثيرة، إذ إنَّ معظم مشاكل النَّاس اعتقادهم أنَّهم سيخلَّدون، أو أنَّ كلَّ شيء سيدوم على حاله.

---

(١) محمَّد البخاري، **صحيح البخاري**، (١٠٥/٨).

الفعل الإلزامي هو محتوى قضوي صادق، والَّذي سنَّه هو الله ـ ﷻ ـ، فمصدره السَّلطة الإلهيَّة القدريَّة، وما يحمله من إعلام بأنَّ أمور الدُّنيا ناقصة غير كاملة، والغرض من هذا الفعل هو إحداث تغيير في العالم بذكر هذا الفعل الإلزامي الَّذي نفى مفهوم الأبديَّة أو البقاء وعدم الفناء، بهدف الحثِّ على التَّواضع والاعتدال والصَّبر والتَّفاؤل، وتعويد النَّفس على تقوى الله ـ ﷻ ـ والخوف منه؛ لأنَّه لا دوام ولا بقاء ولا ثبات لشيء، كما يبدو في هذا الفعل أنَّ اتِّجاه المطابقة مزدوج، من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم.

أمَّا الحالة النَّفسيَّة الَّتي تعبِّر عنها الإلزاميَّات، فهي إرادة الرَّسول ـ ﷺ ـ في وقوع هذا الفعل وتحقِّقه بنجاح، وبذلك يكون قد أوقع فعلًا بمجرد القول، عن طريق إيجاد واقع جديد يسيطر عليه هذا الفعل.

ينطوي تحت الفعل الإلزامي أفعالًا كلاميَّة غير مباشرة مستلزمة مقاميًّا، مثل:

- التَّنبيه على ترك المباهاة، والفخر بمتاع الدُّنيا.
- التَّرغيب والحثُّ على التَّواضع والاعتدال، والصَّبر والتَّفاؤل.
- التَّرهيب من الفخر بمتاع الدُّنيا؛ لأنَّ المتاع به قليل والحساب عليه طويل، فحقَّ على ذي عقل ودين الزُّهد فيه، وترك التَّرفع بنيله.

تدعَّمت القوَّة الإنجازيَّة بالمدخل إلى فعل الإلزام بالقسم الضِّمني **(إنَّ حقًّا)**؛ لدلالة على تعظيم هذا الإلزام وتأكيده، كما تدعَّمت القوَّة الإنجازيَّة في سوق فعل الإلزام واضحًا خاليًا من المجاز، يفهمه العامَّة، ولا يحتاج إلى شرح، وكي يجعل المتلقِّي خير مستقبل، أتى بالإجمال والعموم والشُّمول في النَّكرة **(شيئًا)**، لكيلا يعتقد السَّامع أنَّ كلَّ شيء يرفع يوضع؛ لأنَّ هناك من رفعه الله بالعبادة والطَّاعة، فهذا لا يوضع بل يزداد قربًا من الله ـ ﷻ ـ ورفعة بالإخلاص والصِّدق والعمل الصَّالح، فهذا إلى ارتفاع وعلو وفضل؛ لذا احترس، وقال: **(من الدُّنيا)**، فالمراد الدُّنيا قد ترتفع، أي: يرفع

الإنسان فيها بأسباب من منصب، أو تجارة، أو وظيفة، أو غير ذلك، ثمَّ تتغيَّر الأحوال فيحصل الوضع.

تتَّضح القوَّة الإنجازيَّة للفعل الكلامي، كالآتي:

- **المحتوى اللَّفظي**: جملة خبريَّة مؤكدة بـ(**إن**) تتضمَّن أسلوب القصر بـ(**لا**) و(**إلَّا**) تسند فعل الرَّفع إلى الله ـ ﷻ ـ.
- **المحتوى القضوي**: كلُّ ما يرفع من متاع الدُّنيا يقابله وضع وزوال.
- **القوَّة الإنجازيَّة والتَّأثيريَّة**: التَّنبيه على ترك المباهاة والفخر بمتاع الدُّنيا، التَّرغيب والحثُّ على التَّواضع والاعتدال، والصَّبر والتَّفاؤل، والتَّرهيب من الفخر بمتاع الدُّنيا، والإعلام بأنَّ أمور الدُّنيا ناقصة غير كاملة.

- **حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: "لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ"**(١).

وعد رسول الله ـ ﷺ ـ في هذا الحديث الرجل بأنَّ الله سيعطيه سبعمئة ناقة مخطومة في الآخرة ـ وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى ـ من خلال الفعل الكلامي (**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مَخْطُومَةٍ**)، وفعل الكلام المباشر هنا أنتج فعلًا لفظيًّا هو ما نطق به ـ ﷺ ـ، وفعلًا قضويًّا يندرج في باب الوعديَّات أو الالتزاميَّات، وفعلًا إنجازيًّا تأثيريًّا في كلِّ مسلم، حيث الحث والتَّرغيب بالتَّبرع بما يستعان به على القتال من فرس أو ناقة أو غير ذلك، فالمبشِّر هو: رسول الله ـ ﷺ ـ، والمبشَّر: هو الرجل، والمبشّر به: هو سبعمئة ناقة مخطومة في الآخرة، والسَّبب الموصل

(١) مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (١٥٠٥/٣).

لهذه البشارة: هو وقف النَّاقة للجهاد في سبيل الله، مع أدواتها الَّتي تستخدم في توجيهها، أي للتَّصدق بها، واستخدامها في خدمة المسلمين.

المطلب الخامس: التَّعبيريَّات (Expressives):

هي أفعال كلاميَّة يعبِّر بها المتكلِّم عن حالته النَّفسيَّة أو عن موقفه النَّفسي اتِّجاه واقعة أو غرض ما، وما ينتابه من انفعالات ومشاعر" في حالات الرِّضا والغضب والسُّرور والحزن والنَّجاح والفشل ...، وليس من اللَّازم أن تقتصر هذه الأفعال على ما هو خاص بالمتكلِّم من الأحداث، بل تتعدَّاها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتنعكس آثاره النَّفسيَّة والشُّعوريَّة على المتكلِّم"(١)، وفي التَّعبيرات ليس على المتكلِّم جعل العالم يطابق كلماته، ولا الكلمات تطابق العالم، فاتِّجاه المطابقة فارغ فيها، "إذ يغني عنه شرط الإخلاص، فإذا تحقَّق أنجز الفعل إنجازًا ناجحًا"(٢)، أي إخلاص المتكلِّم في التَّعبير عن الحالات النَّفسيَّة، والغرض الإنجازي الَّذي توصله هذه الأفعال؛ هي إيصال رسالة واضحة للسَّامع أو مجموعة السَّامعين بأنَّ هناك عاطفة وشعور موجودين لدى المتحدِّث يتوفَّر فيهما شرط الإخلاص.

تلعب اللُّغة دورًا جوهريًّا في التَّعبير عن المشاعر ونقلها للآخرين، لكن من المهمّ الإشارة إلى أنَّها ليست الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك، فهناك وسائل أخرى يمكن من خلالها إيصال العواطف، مثل: لغة الجسد الَّتي تُظهر علامات تعبيريَّة واضحة، كأن يبرز على وجه الشَّخص الغاضب تقطيب الحاجبين، أو تغير تعابير الوجه، بالإضافة إلى ذلك يمكن لنبرة الصَّوت أثناء الكلام أن تعكس مشاعر معينة، حتَّى لو كانت الكلمات المستخدمة تخلو من أيِّ إشارات لفظيَّة صريحة إلى تلك المشاعر.

(١) محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، (ص:١٠٤).

(٢) المصدر السَّابق، (ص:١٠٤).

- **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ ﷺ ـ قَالَ:"كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ سِنٌّ مِنَ الإِبِلِ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ، فَطَلَبُوا سِنَّهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلاَّ سِنًّا فَوْقَهَا، فَقَالَ: أَعْطُوهُ، فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى اللَّهُ بِكَ، قَالَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً"**(١).

السِّياق الَّذي ورد فيه الحديث هو: كان لرجل دَين على النَّبي ـ ﷺ ـ، وكان النَّبي ـ ﷺ ـ قد استقرض من ذلك الرَّجل ناقة صغيرة، فجاء إلى النَّبي ـ ﷺ ـ يطلب منه قضاء دَيْنِه، فأمر الصَّحابة أن يعطوه بعيرًا مساويًا لبعيره في السِّن، فلم يجدوا، فأمر أن يعطوه بعيرًا أكبر من بعيره، ثمَّ قال: فإنَّ أفضلكم في معاملة النَّاس وأكثركم ثوابًا، أحسنكم قضاءً للحقوق، وقد تضمَّن الفعل الكلامي الآتي:

– فعل الأمر المكرَّر مرتين (**أعطوه**) والموجَّه من الرَّسول ـ ﷺ ـ إلى الصَّحابة، يعدُّ توكيل منه لغيره بالقضاء عنه، وغرضه الإنجازي هو رغبة الرَّسول ـ ﷺ ـ في توجيه الصَّحابة إلى إنجاز هذا الفعل، ويُلحظ الحالة النَّفسيَّة له ـ ﷺ ـ، وهي الإلزام والحثُّ والرَّغبة في أداء الدَّين إذا حلَّ أجله، ولا ينبغي مجافاة صاحب الحقِّ؛ وذلك للتَّأثير في المسلمين وترغيبهم ودفعهم لسداد ديونهم، وجواز التَّوكيل في قضاء الدَّين، وجواز أن يردَّ الدَّين بأجود من الَّذي عليه دون أن يشترط المقرض ذلك، وهذا يدلُّ على حرص رسول الله ـ ﷺ ـ الشَّديد في تعليم أصحابه وتوجيههم.

– يأتي رسول الله ـ ﷺ ـ بجملة تقريريَّة تُعدُّ من الأفعال الكلاميَّة التَّعبيريَّة يفصح من خلالها عن مشاعره اتِّجاه الواقع، ويؤكِّد حسن خلقه ـ ﷺ ـ ومكارم الأخلاق المحمودة عرفًا وشرعًا، وهدفها الإنجازي مدح فئة من المؤمنين يتَّصفون بصفة حسن قضاء الحقوق، فيعدُّون أفضلهم في معاملة النَّاس، كما تهدف إلى الحثِّ على حسن

(١) محمَّد البخاري، **صحيح البخاري**، (٣/٩٩).

المعاملة واللُّطف في القول، والتَّرغيب في حسن الخلق والتَّنفير من ضدِّه.

- **عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، أَنّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، عَنِ اللُّقَطَةِ، قَالَ: "عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اعْرِفْ وِكَاءَهَا، وَعِفَاصَهَا، ثُمَّ اسْتَنْفِقْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ"، فَقَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَضَالَّةُ الْغَنَمِ؟ فَقَالَ" :خُذْهَا، فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَضَالَّةُ الْإِبِلِ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَقَالَ: "مَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا حِذَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا حَتَّى يَأْتِيَهَا رَبُّهَا"**(١).

في هذا الحديث الشَّريف وصف سردي خبري يوحي بغضب الرَّسول - ﷺ -، ويلخِّص موقفه من الأعرابي، **الأول**: يصفه الرَّاوي نفسه بقوله: (**فغضب رسول اللهِ - ﷺ - حتَّى احمرَّت وجنتاه أو احمرَّ وجهه**)، فهو يدلُّ على حالة الغضب الشَّديد، **والآخر**: يعبِّر عنه رسول الله - ﷺ - بنفسه عن طريق الاستفهام التَّوبيخي (**ما لك ولها؟**)، فهو فعل كلامي تعبيري غير مباشر جاءت قوَّته الإنجازيَّة عبر الأسلوب الإنشائي مستعملًا الاستفهام، فإن كانت قوَّته الإنجازيَّة الاستفهام، إلَّا أنَّ غرضه ليس استفهامًا، بل إنَّ غرضه الإنجازي يفيد الزَّجر، والغضب إظهار المنع والنَّفي، والإنكار، والتَّوبيخ، والتَّعجب.

السِّياق اللُّغوي للحديث هو من كشف عن حقيقة هذا الاستفهام وغرضه، حيث أراد أن يبيّن - ﷺ - مدى قلَّة إدراك السَّائل وتقصيره في الفهم، حيث لم ينتبه إلى المعنى المقصود ولم يراعِ الدِّقة فيه. فقد وقع في خطأ القياس، عندما قارن بين أمرين لا يشتركان في نفس الطَّبيعة أو الخصائص، فاللُّقطة تُطلق على الشَّيء الَّذي يسقط من صاحبه ويجهل مكانه، أمَّا ضالة الإبل فلا ينطبق عليها ذلك، فالإبل لديها القدرة

(١) مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (٣/ ١٣٤٨).

على الرَّعي لعدَّة أيام قبل أن تعود للمكان الَّذي تعرفه، أو يتمكَّن صاحبها من إيجادها واستعادتها بسهولة.

الغرض الإنجازي من هذه الأفعال التَّعبيرية: هو الزَّجر والمنع والنَّهي، وردع المخاطب عن الفعل، والامتناع والتَّحذير من أخذ ضالة الإبل؛ لإنَّها توفَّرت لها كلُّ أسباب المعيشة، ومن أهم مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة الحفاظ على أموال النَّاس وحمايتها من النَّهب والسَّرقة والتَّلف، وكذلك منعت الشَّريعة طمع الآخرين فيها عند فقدانها.

- **عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، قَالَ فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ"**(١).

يُلحظ في هذا الحديث وصفًا خبريًّا سرديًّا تمَّ من خلالها نقل ما حدث من رسول الله ـ ﷺ ـ في غزوة حنين، حيث كان هناك تركيز خاص على استقطاب شخصيَّات بارزة، وتفضيلهم في توزيع الغنائم بمنحهم زيادة، وذلك بدافع حرص النَّبي ـ ﷺ ـ على إدخال جميع النَّاس في دين الله، فكان يسعى إلى استمالة الزُّعماء والمطاعين في قبائلهم بقصد جذبهم للإسلام، وتشجيع أقوامهم على اتِّباعهم والثَّبات عليه؛ لذا منح الأقرع بن حابس مئة من الإبل، وقدَّم نفس الكمية لعُيينة بن حصن،

(١) مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (٢/٧٣٩).

كما خصَّ آخرين من أشراف العرب بالتَّفضيل في القسمة آنذاك.

من هذه الأفعال: **(لَمَّا كانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ)**، **(آثَرَ النبيُّ ـ ﷺ ـ أُنَاسًا في القِسْمَةِ)**، **(فأعْطَى الأقْرَعَ بنَ حَابِسٍ مِئَةً مِنَ الإبِلِ)**، **(وأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذلكَ)**، **(وأَعْطَى أُنَاسًا مِن أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَومَئذٍ في القِسْمَةِ)**، **(قالَ رَجُلٌ: واللَّهِ إنَّ هذِه القِسْمَةَ ما عُدِلَ فِيهَا، وما أُرِيدَ بهَا وجْهُ اللَّهِ)**، **(فَقُلتُ: واللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ)**، **(فأَتَيْتُهُ، فأخْبَرْتُهُ)**، **(فَقالَ: فمَن يَعْدِلُ إذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ ورَسولُهُ ؟)**، **(رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قدْ أُوذِيَ بأَكْثَرَ مِن هذا فَصَبَرَ)**، **(فَقُلْتُ: لاَ جَرَمَ لاَ أَرْفَعُ إلَيْه بَعدَهَا حَدِيثًا)**.

في الجمل السَّابقة مجموعة من أفعال القول الَّتي تحمل قوَّة إنجازيَّة متضمِّنة في القول مفادها الوصف والإخبار ونقل الحادثة الَّتي حدثت مع عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ورد فعل رسول الله ـ ﷺ ـ، أمَّا الفعل التَّأثيري النَّاتج عن الفعل الإنجازي؛ هو بيان حلم رسول الله ـ ﷺ ـ، ومدى عفوه وحلمه وإعراضه عن الجاهل، والتَّعريض بقول الرَّجل لعبد الله بن مسعود ونفيه وتكذيبه.

كما يُلحظ **أفعال الوعديَّات أو (الالتزاميَّات)** في قوله: **(واللَّهِ إنَّ هذِه القِسْمَةَ ما عُدِلَ فِيهَا، وما أُرِيدَ بهَا وجْهُ اللَّهِ)**، **(واللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ)**، هنا فعلان دالان على الحلف واليمين يفيدان التَّأكيد، فالقوَّة الإنجازيَّة الَّتي يتضمَّنها القول عرضت بقوَّة (القسم) ، وهو أسلوب إنشائي غير طلبي؛ ليحقِّق فعلًا إنجازيًّا مباشرًا يتمثَّل في الحلف واليمين، حيث يقسم الرَّجل على رأيه في قسمة رسول الله ـ ﷺ ـ، فالجملة تحمل قوَّة إنجازيَّة متضمِّنة في القول عرضت للتَّأكيد المباشر؛ ولتحقِّق فعلًا إنجازيًّا هو عدم الرِّضا، ظنًّا منه بأنَّها قسمة غير عادله، كما أنَّ عبدالله بن مسعود يقسم ـ أيضًا ـ على أن يخبر رسول الله ـ ﷺ ـ؛ لأنَّ في كلام الرَّجل اتِّهام لرسول الله، فالجملة تحمل قوَّة إنجازيَّة متضمِّنة في القول عرضت للتَّأكيد المباشر؛ لتحقِّق فعلًا إنجازيًّا هو الوعيد، كما أنَّه عبَّر عن ذلك في غياب النَّبي ـ ﷺ ـ؛ ممَّا يعكس خللًا في

قلب هذا الرَّجل؛ حيث إنَّه لم يُبادر بمواجهة النَّبي ـ ﷺ ـ برأيه، ليتيح للنَّبي ـ ﷺ ـ فرصة توضيح الحكمة من الأمر، أو ليعيد النَّظر في موقفه إذا كان قد أخطأ، وقد استعمل كلًّا منهما القسم للتَّأكيد.

يُلحظ ـ أيضًا ـ مجموعة من الأفعال التَّعبيرية الَّتي تعبِّر عن موقف نفسي تعبيرًا يتوفر فيه شرط الإخلاص، وهي أساليب خبريَّة تحمل دلالات: الغضب، والإنكار التَّكذيبي، والتَّأسف والنَّدم، وتمثَّلت في الجملة الآتية:

(فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كالصِّرْفِ)، (فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَالم يَعْدِلِ اللهُ وَرسولُهُ؟)، (يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبر)، (لاَ جَرَمَ لاَ أَرْفَعُ إِلَيْه بَعدَهَا حَدِيثًا).

الفعل الكلامي (**تغيَّر وجهُه**) فعل إنجازي غير مباشر يحمل معنى ضمنيًّا خفيًّا، وجاء ليحقِّق فعلا إنجازيًّا هو الغضب؛ لأنَّ الرَّسول ـ ﷺ ـ لما سمع كلام الرَّجل غضب غضبًا شديدًا، فظهرت على وجهه علامات الحزن والألم. (**حتَّى كان كالصِّرف**)، أي: احمرَّ وجهه، وعبَّر عن شدَّة غضبه بالاستفهام الإنكاري الَّذي جاء بمعنى النَّفي، ويحمل دلالة التَّعريض والاستهجان، والمعنى لا أحد يعدل إذا لم يعدل رسول الله ـ ﷺ ـ، في قوله: (**فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَالم يَعْدِلِ اللهُ وَرسولُهُ؟**)، وذكر لفظ الجلالة هنا للإشارة إلى أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ مبلغ عن الله، أمَّا الفعل التَّأثيري النَّاتج عن الفعل الإنجازي هو ضرورة اتِّباع ما أمرنا به الله ـ ﷻ ـ ورسوله ـ ﷺ ـ؛ لأنَّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى، كما يدلُّ على سعة حلمه ـ ﷺ ـ، فلم يحاسب الرَّجل ويحاكمه، بل العفو والإحسان والتَّسامح.

الفعل الكلامي (**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبر**)، هو فعل كلامي تعبيري مباشر، جاء عبارة عن دعاء رسول الله ـ ﷺ ـ لموسى، وجاء ليحقَّق فعلا إنجازيًّا هو التَّرحم، أمَّا بالنسبة للأثر النَّاتج عن هذا الفعل، فهو أنَّ الأنبياء

يستلهمون بعضهم البعض ويتأسَّون بخصال بعضهم. فقد استلهم النَّبي - ﷺ - من صبر موسى - عليه السلام - مع قومه، فصبر هو الآخر على هذا الرَّجل، وهي دعوة إلى الاقتداء بالأنبياء - عليهم السلام - في الصَّبر على الأذى، والاقتداء بمن سبق من الأقران الصَّالحين، وأن نحتسب الأجر من الله - عزَّ وجلَّ -.

أمَّا الفعل الكلامي **(لا جَرَمَ)**، **فهو** فعل التزامي صريح مباشر يفيد معنى التَّأكيد والتَّحقيق، وأن ما بعده أمر مؤكَّد لا شكَّ فيه الغرض منه التَّعهد، وقد جاءت العبارة عن التزام المتكلِّم بالفعل وتعهده بألَّا يرفع حديثًا يسمعه إلى رسول الله - ﷺ - بعد هذه الحادثة لئلا يغضبه **(لاَ أَرْفَعُ إِلَيْه بَعدَهَا حَدِيثاً)**، أمَّا الفعل التَّأثيري النَّاتج عن الفعل الإنجازي، فهو شعور عبد الله بن مسعود بالتَّأسف والنَّدم، وأنَّه تأثَّر بغضب النَّبي - ﷺ -، وقرَّر ألَّا يثير غضبه مرَّة أخرى.

- **حدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ مَوْلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ : أن رسول الله ﷺ .،... دَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ من الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ .، حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ .، فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: " مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟"، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ :لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ .فَقَالَ: "أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ"**(١).

يُلحظ في هذا الحديث أفعالًا دالة على الوصف والإخبار، كما تدل على التَّعبيريَّات والبوحيَّات، فقد تمَّ من خلالها نقل ما حدث من رسول الله - ﷺ - عندما دخل، **(حائطًا)**، أي: بُستانًا، **(لِرَجُلٍ من الأنصار)**، ومن هذه الأفعال: **(دخل،**

(١) أبو داود سليمان، **سنن أبي داود**، (23/٣).

رأى، حنّ، ذرفت، فأتاه، فمسح، فسكت، فقال، فجاء، فقال، تتقي، ملكك، شكا، تجيعه، تدئبه)، فهي أفعال تحمل قوَّة إنجازيَّة متضمِّنة في القول؛ لتحقِّق فعلًا إنجازيًّا هو الإخبار، ووصف ما فعله الجمل، فلمَّا رأى الجمل النَّبيَّ - ﷺ - (**حَنَّ**)، أي: بكى بالحنين، (**وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ**)، أي: سالت عيناه دمعًا، وهي أفعال تعبِّر عن حالة الحزن والألم والوجع، فأتاه النَّبيُّ - ﷺ - (**فَمسحَ ذِفْرَاهُ**)، وهو الموضع الَّذي يعرق من قفا البعير عند أذنه، وهما ذفريان، (**فَسكت**)، أي: عن الحنين والدَّمع، أمَّا الفعل التَّأثيري النَّاتج عن الفعل الإنجازي هو التَّعبير عن مشاعر الرَّحمة والعطف، والرفق بالحيوان وتقدير حقوقه، كما تدلُّ على رضا الجمل وفرحه.

يُلحظ ـ أيضًا ـ في الحديث فعل توجيهي يحاول من خلاله رسول الله - ﷺ - توجيه المخاطب إلى شيء معين، تمثل في جملة الاستفهام الإنكاري (**أفلا تتَّقي اللَّهَ في هذِهِ البَهيمةِ الَّتي ملَّكَكَ اللَّهُ إيَّاها؟ فإنَّهُ شَكا إليَّ أنَّكَ تُجيعُهُ وتُدئبُهُ**)، والَّتي تحمل قوَّة إنجازيَّة مفادها التَّوبيخ، فأراد رسول الله - ﷺ - أن يوبّخ صاحب الجمل، ويبيّن له مدى تقصيره في حقِّه، كما أنَّها تعبِّر عن موقف نفسي تعبيرًا يتوفَّر فيه شرط الإخلاص وهو الغضب والأسي، وذلك أنَّ الرَّسول - ﷺ - عندما رأى الجمل حنَّ وذرفت عيناه، فحزن وغضب لحاله الَّتي عليها، أمَّا الفعل التَّأثيري النَّاتج عن الفعل الإنجازي؛ فهو ضرورة الرِّفق بالحيوان، وتقدير حقوقه، وتحريم ظلم الدَّواب بإتعابها وتجويعها.

الخاتمة:

التَّداوليَّة علم لغوي يركِّز على دراسة اللُّغة ضمن سياق استخدامها، إذ تهتمُّ بتحليل الخطاب في إطار ظروفه، مع النَّظر إلى قصد المتحدِّث، وكيفيَّة استيعاب السَّامع للرِّسالة وأدائها، ومن أبرز النَّظريَّات المنبثقة عن التَّداوليَّة نظريَّة أفعال الكلام، الَّتي تؤكِّد أنَّ كلَّ تلفُّظ يحمل في جوهره هدفًا إنجازيًّا يؤثِّر على الواقع المحيط، إذ طبِّقت هذه النّظريَّة عند **(سيرل)** في الأحاديث النَّبويَّة عن الإبل، وتوصَّل الباحث إلى عدَّة نتائج، منها:

- يظهر المفهوم جليًّا في الأحاديث النَّبويَّة المتعلِّقة بالإبل، حيث تجسَّدت أفعال الكلام في الأحاديث من خلال أقوال تحمل قوَّة إنجازيَّة مباشرة، وأخرى مستلزمة ترتبط بالمقام.
- تتوزَّع أفعال الكلام النَّبويَّة المتعلِّقة بالإبل بين أنواع متعدِّدة، تشمل: الإخباريَّة، والتَّوجيهيَّة، والإعلانيَّة، والإلزاميَّة، والتَّعبيريَّة.
- دأب النَّبيُّ ـ ﷺ ـ على استخدام الأفعال الإخباريَّة؛ بهدف إقرار حقائق عن الإبل ووصفها بغرض إيصال تلك المعلومات إلى السَّامعين.
- برزت في أحاديث النَّبي ـ ﷺ ـ آليات متعدِّدة، فيما يتعلَّق بالجانب التَّوجيهي والطَّلبي، مثل: الأمر، والاستفهام، والنَّهي، وكلُّ ذلك يعكس المقصد الَّذي يرمي إليه النَّبي ـ ﷺ ـ، وهو إرشاد النَّاس نحو السُّلوك القويم في أمور دينهم ودنياهم للوصول إلى رضا الله ـ ﷻ ـ.
- استعمل الرَّسول ـ ﷺ ـ الأفعال الإعلانيَّة؛ لإصدار الأحكام المتعلِّقة بشؤون الإبل، مثل: البيع والشِّراء، والتَّربية، وتحديد مقدار الزَّكاة عند بلوغ النِّصاب.
- وظَّف النَّبيُّ ـ ﷺ ـ الأفعال الإلزاميَّة والوعديَّة والتَّوهيبيَّة؛ بهدف التَّشجيع على إخراج زكاة الإبل أو التَّبرع بها للفقراء والجهاد، والتَّنبيه على الحثِّ لحضور

صلاة الجمعة مبكرًا، والتَّواضع والاعتدال، والتَّحذير من التَّفاخر والمباهاة.

- استخدم النَّبيُّ ـ ﷺ ـ الأفعال التَّعبيريَّة والبوحيَّة؛ للتَّعبير عن حالته النَّفسيَّة في مناسبات متنوعة، مثل: المدح والدُّعاء، والحزن والغضب؛ بهدف التَّأكيد على أهميَّة تربية الإبل والعناية بها، وحقوق أصحابها تجاهها.

ختامًا، ينبغي على الباحثين في مجال الدِّراسات اللُّغويَّة الحديثة أن يستفيدوا من المناهج اللِّسانيَّة المعاصرة بما تقدمه من أدوات تحليل وفهم؛ لتطبيقها على النُّصوص النَّبويَّة الشَّريفة.

من الضَّروري أن يتَّجه الدَّارسون إلى الأحاديث النَّبويَّة لدراستها دراسة لغويَّة شاملة ومُعمَّقة باستخدام مناهج لسانيَّة متنوِّعة؛ تسهم في الكشف عن الجوانب التَّواصليَّة الفريدة في السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة.

المصادروالمراجع:

الإمام أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المحقق: شعيب الأرنؤوط ـ محمَّد نعيم العرقوسي ـ إبراهيم الزيبق، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، مؤسَّسة الرِّسالة.

ابن ماجة أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتاب العربيَّة، فيصل عيسى البابلي الحلبي.

ابن يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السَّرايا، **شرح المفصل للزَّمخشري**، قدَّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت/لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

أبو الحسن علي بن مختار الرملي، **فضل رب البريَّة بشرح الدُّرر البهيَّة**، دار الأفنان، القاهرة/مصر، ط١، ١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م.

أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج القشيري النيسابوري، **المسند الصَّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ**، المحقق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، المحقق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا/ بيروت.

أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي القرطبي الأندلسي، **تفسير الموطَّأ**، حقَّقه وقدَّم له وخرَّج نصوصه: د. عامر حسن صبري، إصدارات وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، إدارة الشُّؤون الإسلاميَّة، قطر.

جلال الدِّين القزويني الشَّافعي، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٣.

جورج يول، **التَّداوليَّة**، ترجمة: قصي العتابي، الدَّار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت/لبنان، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

جون أوستين، **نظريَّة أفعال الكلام العامَّة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)**، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشَّرق، ١٩٩١م.

جون سيرل، **العقل واللُّغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)**، ترجمة سعيد الغنَّامي، المركز الثَّقافي العربي، لبنان/ بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ١٤٢٧هـ.

خليفة بوجادي، **في اللِّسانيات التَّداوليَّة مع محاولة تأصيليَّة في الدَّرس العربي القديم**، بيت الحكمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

الزواوي بغورة، **الفلسفة واللُّغة (نقد المنعطف اللُّغوي في الفلسفة المعاصرة)**، دار الطَّليعة، بيروت/لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

صلاح إسماعيل عبد الحق، **التَّحليل اللُّغوي عند مدرسة أكسفورد**، دار التَّنوير، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، **عمدة الأحكام من كلام خير الأنام ـ ﷺ ـ**، دراسة وتحقيق: محمود الأرناؤوط، مراجعة وتقديم: عبد القادر الأرناؤوط، دار الثَّقافة العربيَّة، دمشق ـ بيروت، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق :محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

علي محمود حجي الصرَّاف، **في البراجماتيَّة) الأفعال الإنجازيَّة في العربيَّة المعاصرة) دراسة دلاليَّة ومعجم سياقي**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ /٢٠١٠م.

عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليَّة**، دار الكتاب الجديد، بيروت/ لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

فان ديك، **النَّص والسِّياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتَّداولي)**، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشَّرق، المغرب، ٢٠٠٠م.

فرانسواز ارمينكو، **المقاربة التَّداوليَّة**، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي،

الرِّباط، ١٩٦٨م.

محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله ـ ﷺ ـ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المحقق: محمَّد زهير النَّاصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

محمَّد بن عبد الله، ابن مالك جمال الدِّين، **شرح تسهيل الفوائد**، تحقيق: د. عبد الرحمن السَّيد، د. محمَّد بدوي المختون، هجر للطِّباعة والنَّشر، ط١٤١٠،١هـ /١٩٩٠م.

محمَّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعيَّة، الأسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م.

محمود عكاشة، **النَّظريَّة البراجماتية (التَّداوليَّة)، المفاهيم والنَّشأة والمبادئ**، مكتبة الآداب، مصر، ط1، ٢٠٠٢م.

مسعود صحراوي، **عند العلماء العرب، دراسة تداوليَّة (للأفعال الكلاميَّة) في التُّراث اللِّساني العربي**، دار الطَّليعة، بيروت/لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

معاذ بن سليمان الدِّخيل، **منزلة معاني الكلام في النَّظريَّة النَّحويَّة العربيَّة مقاربة تداوليَّة**، نادي القصيم الأدبي، ودار التَّنوير، ٢٠١٤م.

يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، **الطِّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

يوسف بن أبي بكر بن محمَّد بن علي السَّكاكي، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت / لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

Bibliography

Imam Ahmad ibn Hanbal, Musnad of Imam Ahmad ibn Hanbal, edited by Shu'ayb al-Arna'ut, Muhammad Na'im al-'Arqusi, and Ibrahim al-Zaybaq, supervised by Dr. Abdullah ibn Abdul-Muhsin al-Turki, Al-Risalah Foundation.

Ibn Majah, Abu Abdullah Muhammad ibn Yazid al-Qazwini, Sunan Ibn Majah, edited by Muhammad Fu'ad Abdul-Baqi, Dar Ihya' al-Kitab al-'Arabiyyah, Faisal Isa al-Babli al-Halabi.

Ibn Ya'ish ibn Ali ibn Ya'ish ibn Abi al-Saraya, Muhammad ibn Ali, Sharh alMufassal by al-Zamakhshari, introduction by Dr. Emil Badi' Ya'qub, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1422 AH/2001 CE.

Abu Bakr Ahmad ibn al-Husayn ibn Ali al-Bayhaqi, Al-Sunan al-Kubra, edited by Muhammad Abd al-Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 3rd edition, 1424 AH/2003 CE.

Abu al-Hasan Ali ibn Mukhtar al-Ramli, Fadl Rabb al-Bariyya bi Sharh al-Durar al-Bahiyya, Dar al-Afanan, Cairo, Egypt, 1st edition, 1446 AH/2025 CE.

Abu al-Husayn Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi, Al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar bi Naql al-Adl an al-Adl ila Rasul Allah (peace and blessings be upon him), edited by Muhammad Fuad Abd al-Baqi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, 1374 AH/1955 CE.

Abu Dawud Sulayman ibn al-Ash'ath ibn Ishaq ibn Bashir ibn Shaddad ibn 'Amr al-Azdi al-Sijistani, Sunan Abi Dawud, edited by Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid, al-Maktabah al-'Asriyyah, Sidon/Beirut.

Abu Zakariya Muhyi al-Din Yahya ibn Sharaf al-Nawawi, al-Minhaj Sharh Sahih Muslim ibn al-Hajjaj, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, 2nd edition, 1392 AH.

Abu al-Mutarrif 'Abd al-Rahman ibn Marwan al-Qanaza'i al-Qurtubi al-Andalusi, Tafsir al-Muwatta', edited, introduced, and its texts referenced by Dr. 'Amir Hassan Sabri, Publications of the Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Department of Islamic Affairs, Qatar.

Ahmad ibn Ali ibn Hajar al-Asqalani, Fath al-Bari bi Sharh al-Bukhari, numbered by Muhammad Fuad Abd al-Baqi, edited and proofread by Muhibb al-Din al-Khatib, al-Maktabah al-

Salafiyyah, Egypt, 1st edition, 1380 AH.
Badr al-Din Abu Muhammad Mahmud ibn Ahmad al-Ayni, Umdat al-Qari Sharh Sahih al-Bukhari, Dar Ihya al-Turath al-Arabi and Dar al-Fikr, Beirut.
George Yule, Pragmatics, translated by Qusay al-Attabi, al-Dar al-Arabiyyah lil-Ulum Nashirun, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1431 AH/2010 CE.
John Austin, General Speech Act Theory (How We Get Things Done with Words), translated by Abd al-Qadir Qinini, Africa al-Sharq, 1991 CE.
John Searle, Mind, Language, and Society (Philosophy in the Real World), translated by Saeed Al-Ghannami, Arab Cultural Center, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2006 CE / 1427 AH.
Khalifa Boujadi, On Pragmatic Linguistics with an Attempt at Rooting It in Classical Arabic Studies, Bayt al-Hikma, Algeria, 1st edition, 2009 CE.
Al-Zawawi Baghoura, Philosophy and Language (A Critique of the Linguistic Turn in Contemporary Philosophy), Dar al-Tali'a, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2005 CE.
Salah Ismail Abdul-Haq, Linguistic Analysis at the Oxford School, Dar al-Tanweer, Lebanon, 1st edition, 1993 CE.
Sayyid Hashim al-Tabataba'i, Speech Act Theory between Contemporary Philosophers of Language and Arab Rhetoricians, Kuwait University Press, 1994.
Abd al-Rahman ibn Hasan Habannakah al-Maydani al-Dimashqi, Arabic Rhetoric, 1st ed., Dar al-Qalam, Damascus, Dar al-Shamiyyah, Beirut, 1416 AH/1996 CE.
Abd al-Ghani ibn Abd al-Wahid al-Maqdisi, The Essence of Rulings from the Words of the Best of Mankind (peace be upon him), Study and Verification by Mahmud al-Arna'ut, Review and Introduction by Abd al-Qadir al-Arna'ut, Dar al-Thaqafah al-Arabiyyah, Damascus-Beirut, Qurtuba Foundation, 2nd ed., 1408 AH/1988 CE.
Abdullah ibn Salih al-Fawzan, The Gift of the Learned in Explaining Bulugh al-Maram, Dar Ibn al-Jawzi, 1st ed., 1427 AH.
Ali Mahmoud Hajji Al-Sarraf, On Pragmatics (Actual Verbs in Contemporary Arabic): A Semantic Study and Contextual Lexicon, Al-Adab Library, Cairo, 1st ed., 1431 AH/2010 CE.
Abdulhadi bin Dhafer Al-Shahri, Discourse Strategies: A Pragmatic

Linguistic Approach, Dar Al-Kitab Al-Jadeed, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2004 CE.

Van Dijk, Text and Context (An Investigation into Semantic and Pragmatic Discourse), translated by Abdulqader Qanini, Africa Al-Sharq, Morocco, 2000 CE.

Françoise Armengaud, The Pragmatic Approach, translated by Said Alloush, National Development Center, Rabat, 1968 CE.

Muhammad Ashraf ibn Amir ibn Ali ibn Haydar Abu Abd al-Rahman Sharaf al-Haqq al-Siddiqi al-Azim Abadi, Awn al-Ma'bud Sharh Sunan Abi Dawud, with Ibn al-Qayyim's marginal notes: Tahdhib Sunan Abi Dawud wa Idah 'Ilalihi wa Mushkilatuh, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 2nd ed., 1415 AH.

Muhammad ibn Isma'il Abu Abdullah al-Bukhari al-Ju'fi, Al-Jami' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min Umur Rasul Allah (peace and blessings be upon him) wa Sunanihi wa Ayyamihi = Sahih al-Bukhari, edited by Muhammad Zuhair ibn Nasir al-Nasir, Dar Tawq al-Najat, 1st ed., 1422 AH.

Muhammad Murtada al-Husayni al-Zabidi, Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus, edited by a group of scholars, Dar al-Hidayah.

Mahmoud Ahmed Nahla, New Horizons in Contemporary Linguistic Research, Dar Al-Ma'rifah Al-Jami'iyah, Alexandria, 1st ed., 2002.

Mahmoud Akasha, Pragmatic Theory: Concepts, Origins, and Principles, Maktabat Al-Adab, Egypt, 1st ed., 2002.

Masoud Sahrawi, Among Arab Scholars: A Pragmatic Study of Speech Acts in the Arabic Linguistic Heritage, Dar Al-Tali'ah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2005.

Mu'adh bin Sulaiman Al-Dakhil, The Status of Speech Meanings in Arabic Grammatical Theory: A Pragmatic Approach, Al-Qassim Literary Club and Dar Al-Tanweer, 2014.

Yahya ibn Hamza ibn Ali ibn Ibrahim al-Alawi al-Yamani, *Al-Tiraz al-Mutadammamin li-Asrar al-Balaghah wa-Ulum Haqaiq al-I'jaz* (The Style Containing the Secrets of Eloquence and the Sciences of the Realities of Inimitability), Dar al-Kutub al-Khidawiyya, al-Muqtataf Press, Egypt, 1333 AH/1914 CE.

Yusuf ibn Abi Bakr ibn Muhammad ibn Ali al-Sakkaki, *Miftah al-'Ulum* (The Key to the Sciences), edited, annotated, and commented upon by Na'im Zarzur, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 1407 AH/1987 CE.

وسائل الإقناع في الخطاب الحواريِّ

(نماذج من خطاب الوافدات على معاوية بن أبي سفيان ﷺ)

مقاربة حِجاجيَّة

Persuasive Techniques in Discourse (Examples from the speeches of women who came to Mu'awiyah ibn Abi Sufyan) An Argumentative Approach

د. فوزيَّة بنت محمَّد بن إبراهيم البطي

الأستاذ المساعد بقسم اللُّغة العربيَّة وآدابها بجامعة القصيم

البريد الإلكتروني: Fawziah786@hotmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
06/01/2026		25/02/2026

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-009

ملخَّص البحث

تبحث هذه الدِّراسة عن الدَّور الإقناعيّ في الحوار بين الوافدات ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ؛ إذ الإقناع عمليَّة تفاعليَّة تقوم على التَّأثُّر والتَّأثير، فالخطيب يعمد من خلالها إلى محاولة التَّأثير في مخاطَبه.

وتهدف الدِّراسة إلى استجلاء وسائل الإقناع التي يتبادلها المتحاوران وكيفيَّة تشكُّلها في الخطاب، ومن ثمَّ تبيُّن دورها في العملية الإقناعيَّة؛ وذلك بالاستعانة بنظريَّة أرسطو في مبحثي الإيتوس والباتوس، واستعانت بمنهج بيرلمان بوصفه امتدادًا لخطابة أرسطو في الكشف عن الحجج العقليَّة (اللوغوس) وتمظهراتها في الخطاب للوصول إلى تحديد وظيفتها الحجاجيَّة.

وتوصَّلت الدِّراسة إلى عدد من النتائج، كان أبرزها نجاح الخطيب في مشروعه الحجاجيّ عبر وسائل الإقناع الثَّلاث، وهي الإيتوس والباتوس واللوغوس، وإقناع السَّامع بالأطروحة التي عرضها عليه.

الكلمات المفتاحيَّة: الإيتوس – الباتوس – اللوغوس– معاوية – خطاب الوافدات.

Abstract

This study explores the role of persuasion in the discourse occurred between the female visitors and Muawiyah ibn Abi Sufyan (may Allah be pleased with him). Persuasion is a dynamic process based on mutual influence, through which the addresser seeks to influence their addressee.

This study aims to expound the persuasive methods used by the two parties in dialogue and how they are formed within the discourse, thus demonstrating their role in the persuasive process. It draws upon Aristotle's theory of ethos and pathos and employs Perelman's methodology to reveal the rational arguments (logos) and their manifestations in the discourse to identify their argumentative function.

The study reached several findings, the most significant being the addresser's success in their argumentative discourse through the three means of persuasion—ethos, pathos, and logos—and in convincing the addressee of the proposition put forth.

Keywords: Ethos, Pathos, Logos, Muawiyah, Discourse of the female comers.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الخلق أجمعين نبيِّنا محمَّد عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم.

وبعد:

فقد اعتاد العرب على الانفتاح والتَّواصل بين الخليفة والرَّعيَّة في تسيير أمور حياتهم المعيشيَّة؛ لذا كان لزامًا أن يتمَّ الحوار بينهما بخطاب إقناعيٍّ بلاغيٍّ؛ ومهمَّة البلاغة (الخطابة) كما حدَّها أرسطو "الكشف عن الطُّرق الممكنة للإقناع في أيِّ موضوعٍ كان"(١)، فليست مهمَّة "البلاغة الإقناع بقدر ما هي البحث عن الوسائل الموجودة للإقناع في كلِّ حالةٍ من الأحوال، والأمر نفسه في بقيَّة الفنون، فالطِّبُّ مثلًا ليست مهمَّته إعادة الصِّحَّة إلى المريض، بل فقط محاولة بلوغ هذه الغاية قدر المستطاع"(٢)، وتتمثَّل هذا الطُّرق عنده في وسائل ثلاث؛ هي (الإيتوس والباتوس واللوغوس)، وإن كانت الأخيرة تتضمن الحجج العقلية فإن الأولى تحيل إلى المكوِّن الذَّاتيّ، أمَّا الثَّانية فتتعلَّق بالحجج الانفعالية، وجميعها تؤدِّي دورًا مهمًّا في عملية الإقناع، خاصَّةً إذا تعلَّق الأمر بالخطاب الشَّفويّ.

ومع عودة الدِّراسات البلاغيَّة إلى ما كانت عليه عند أرسطو، أي أنَّها اهتمت بالبعد الحجاجيّ؛ لُوحظ أنَّ غالبيَّة هذه الجهود البحثيَّة تَصبُّ عنايتها في دراسة الحجج العقليَّة في المقام الأوَّل، تليها بفارق كبير حجَّة الإيتوس، أمَّا الباتوس فلا تكاد تُذكر له دراسات تطبيقيَّة إلَّا نادرًا(٣)، ومن هنا انبثقت فكرة الدِّراسة، فجاء وسم البحث بعنوان

(١) أرسطو، "الخطابة". ترجمة: عبد الرحمن بدوي، (ط٢، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامَّة، ١٩٨٦)، ٢٩.

(٢) ينظر: حاتم عبيد، "منزلة العواطف في نظريات الحجاج". *مجلة عالم الفكر*، ٢، (٢٠١١)، ٢٤١.

(٣) ينظر: حسن المودن، "بلاغة الحجاج- الحجاج بالإيطوس والباطوس بحوث وترجمات". (ط١، =

"وسائل الإقناع في الخطاب الحواريّ نماذج من الوافدات على معاوية مقاربة حجاجيَّة"، ولبلوغ هذا الهدف في استجلاء آليات الإقناع الممكنة في أيّ خطابٍ كان المنهج الحجاجيُّ هو الأنجعَ في مقاربته.

أهمِيَّة الدِّراسة:

يمكن إجمال أهمِيَّة هذه الدِّراسة في محورين: أوَّلهما أن الإقناع أحد مكوِّني البلاغة الأرسطيَّة إلى جانب الإمتاع، ويتَّصل الثَّاني ببروز البعد الحجاجيّ وتعدد آليَّات الإقناع في خطاب الوافدات على معاوية بن أبي سفيان ﷺ؛ لذلك يركِّز البحث على دراسة هذا الخطاب.

تساؤلات الدِّراسة:

تسعى الدِّراسة إلى الإجابة عن التَّساؤلات الآتية:

١– ما الوسائل الإقناعيَّة الموظَّفة في الخطاب الحواريّ بين الوافدات ومعاوية ﷺ؟

٢– ما التَّمظهرات التي تشكَّلت بها وسائل الإقناع الثَّلاث (الإيتوس / الباتوس / اللوغوس) في الخطاب؟

٣– ما الوظيفة الحجاجيَّة التي نهضت بها هذه الوسائل؟

أهداف الدِّراسة:

ترمي دراستنا هذه إلى تحقيق جملة من الأهداف، يمكن إجمالها في الآتي:

١– البحث عن الوسائل الإقناعيَّة التي توظَّف في الخطاب الحواريّ.

٢– معرفة صور الإيتوس وأنواعه في الخطاب الحواريّ بين معاوية والوافدات، وكذلك صور الباتوس واللوغوس.

الأردن، دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٢)، ٥. وبناء على ما وجدناه عند البحث عن مراجع في قاعدة المعلومات (المنظومة)، والكتب الإلكترونية والمطبوعة، فالباتوس –على وجه الخصوص– لم يُفرَد ببحوث تطبيقية مستقلة، مماثلة للعنصرين الآخرين.

٣- إبراز المقاصد البلاغيَّة الإقناعيَّة ومدى تأثيرها في الخطاب ومتلقِّيه.

الدِّراسات السَّابقة:

في ظلِّ المساعي المبذولة في إعداد فكرة الدِّراسة لم نقف على دراسة تناولت الحوار في خطب الوافدات على معاوية ﷺ بالمنهج المتَّبع في دراستنا، ولكنَّنا وقفنا على دراسات تتقاطع مع هذا العمل في جوانب محدَّدة وتختلف في أخرى، وبيان ذلك على النَّحو الآتي:

١- قراءة في كتاب "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية" للدكتور أحمد السري.

٢- الاحتجاج النِّسائي كأداة دعائيَّة في العصر الأُمويّ، دراسة تحليليَّة تاريخيَّة في ضوء أخبار الوافدات على معاوية أنموذجًا للدكتورة مريم الكندريّ.

ولئن اتفقت هاتان الدِّراستان مع عملنا في المدوَّنة فإنَّهما تختلفان عنه في المنهج؛ فقد اتَّبعتا المنهج التَّاريخيَّ؛ لذا فإنَّ خصوصيَّة هذه الدِّراسة أوَّلًا في مجالها العلميّ، وهي البلاغة، وثانيًا تكمن في تطبيق المقاربة الحجاجيَّة على الحوار في خطب الوافدات.

٣ – أساليب الحجاج في (جمهرة خطب العرب) لأحمد زكي صفوت دراسة بلاغيَّة، للباحث عمران الأحمد.

وقد اقتصر عمل الباحث فيها على المكوِّن العقليّ، متَّبعًا منهج البلاغة الجديدة. درس الفصل الأوَّل الروابط الحجاجيَّة والعوامل الحجاجيَّة والتَّوكيد والتَّكرار. ونظر الفصل الثَّاني في الأساليب البلاغيَّة في مستوياتها الثَّلاثة (الكلمة / التَّركيب / الصُّورة)، وهي أمور لم يتطرق إليها عملنا. أمَّا الفصل الثَّالث فاختصَّ بدراسة الأساليب المنطقيَّة فقط دون غيرها من الحجج العقليَّة، ويضاف إلى ذلك أنَّ جميع شواهد هذا الفصل لا تتَّصل بمعاوية ﷺ ولا بأخبار الوافدات عليه. وبذلك تفترق عن دراستنا التي نظرت في دراسة الإقناع بما يتَّصل بالمكوِّن الذَّاتيّ والانفعاليّ والمكوِّن العقليّ.

خطَّة البحث:

جاءت هذه الدِّراسة من حيث التَّبويب في مقدِّمةٍ متبوعةٍ بتمهيدٍ وثلاثة مباحث، ومتلوَّة بخاتمة، وهي على النَّحو الآتي:

التَّمهيد، وقد بدأ الحديث فيه بعرض لماهيَّة الحجاج في اللغة والاصطلاح، وخُتم بعرض موجَز يُبرز جهود العرب، واهتمامهم بالوظيفة الإقناعيَّة.

المبحث الأوَّل: الإقناع بالإيتوس.

المبحث الثَّاني: الإقناع بالباتوس.

المبحث الثَّالث: الإقناع باللوغوس.

الخاتمة، وفيها عرضٌ لأهمِّ النتائج التي توصَّلت إليها الدِّراسة، وبعدها فهرس للمصادر والمراجع التي استفدنا منها في هذا العمل.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذا العمل على المنهج الحجاجيِّ، مستثمرين في ذلك منطلقات الحجاج البلاغيِّ قديمًا وحديثًا.

حدود البحث:

وردت الخطب المدروسة في عدد من المراجع، ولكننا اعتمدنا في توثيقها على منابعها الأصلية حسب التقدم التاريخي، فأثبتناها من كتاب (أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان ﷺ) للعباس بن بكار الضَّبي (١٢٩– ٢٢٢هـ)[١]، وقد جاءت نصوص المدوَّنة بشكل حواريٍّ بين الرَّاعي والرَّعيَّة، يمثِّل معاوية بن أبي سفيان ﷺ الطَّرف الأوَّل، أمَّا الطَّرف الثَّاني فيتَّصل بالمرأة الوافدة، وقد صِيغت هذه النُّصوص بأسلوبٍ خطابيٍّ، ومأتى السِّمة الخطابيَّة فيه من المواجهةِ بين المتخاطبَيْن، وهما القائل

(١) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ". تحقيق: سكينة الشهابي، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ).

(معاوية بن أبي سفيان ﷺ)، وفيه يتنزَّل منزلةَ الخطيب الذي يحاجُّ من أجل حمل الأذهان على التَّسليم بالقضايا التي يعرضها على مخاطَبه، فيتحوَّل من "مخيل إلى مصدق"(١)، وبناءً على ذلك يشكِّل هذا الطَّرف تمظهرات الإيتوس في الخطاب. ويتَّصل المقول له (المخاطَب) بالمرأة الوافدة فتنزَّل منزلةَ السَّامع الخاصِّ الذي يشارك الخطيبَ مقام التَّلفُّظ في بناء صورة الباتوس. أمَّا اللوغوس فمشترَك بين الطَّرفين معاوية والوافدات، ففيه يسأل الأوَّلُ الثَّانيَ فيجيبه، وعليه تمثِّل الوافدة الخطيب، وهي تتوجَّه بخطابها الحجاجيِّ إلى السَّامع وهو معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

وأخيرًا فالله تعالى وحده نسأله العون والسَّداد، وما كان في عملنا من صواب فمنه سبحانه، وما كان من خطأ فمن أنفسنا والشَّيطان، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّ الرَّحمة.

(١) محمَّد العمري، "المغالطة في فضاء الاحتمال". *مجلة سياقات اللغة والدراسات البينيَّة*، ٥، (٢٠١٧)، ١.

تمهيد

ماهيَّة الحجاج لغةً واصطلاحًا:

تدور معاني الحجاج في اللُّغة حول الغَلَبة والقصد والدَّليل، فقد أورد ابن منظور المعانيَ المرتبطة بمادَّة (حجج) مستشهدًا بقول الأزهريّ: "الحجَّة: الوجه الذي يكون به الظَّفَر عند الخصومة. والتَّحاجُّ التَّخاصم. حاجَّه محاجَّةً وحِجاجًا: نازعه الحجَّةَ. وحجَّه يحُجُّه حجًّا: غلبه على حجَّته الحجَّة: البرهان، وذكر صاحب اللسان أنَّه قيل: الحجَّة: ما دُوفع به الخصم"(١).

أمَّا المعنى الاصطلاحيُّ فلا يبعُد كثيرًا عن المعنى اللُّغويِّ، فرغم "تعدُّد مفاهيمه المثيرة للالتباس لتعدُّد ميادينه ومظاهره واستعمالاته"(٢) اجتهدَ باحثو الحجاج في تحديد ما يميّزه عن المفاهيم المتعالقة معه دلاليًّا، كالبرهان والجدال، ومن أبرز هذه المحدِّدات كون الحجاج خطابًا إقناعيًّا، وهو ما يتَّفق مع حدِّ أرسطو للخطابة (الحجاج) بأنَّها: "الكشف عن الطُّرق الممكنة للإقناع في أيِّ موضوعٍ كان"(٣). وعلى هذا الأساس أعاد بيرلمان قراءة بلاغة أرسطو مركِّزًا على المكوِّن الإقناعيِّ، والحجاج يتمثَّل كما يعرِّفه بيرلمان في "مجموعة من التِّقنيات الخطابيَّة الموجَّهة إلى إقناع الجمهور الخاصِّ أو الكليِّ بالآراء والقضايا المعروضة عليه، أي أنَّها تؤدِّي بالأذهان إلى التَّسليم بالأطروحة المعروضة، أي

(١) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب". (ط٨، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٨)، ٤: ٣٨.

(٢) ينظر: حبيب أعراب، "الحجاج والاستدلال الحجاجي". (ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠)، ٣: ٣٠.

(٣) أرسطو، "الخطابة"، ٢٩.

أن الغاية هي الإذعان والقبول والاقتناع"[١]. وترى موسوعة البلاغة أنَّ الحجاج عبارة عن "تقديم براهين بواسطة البشر لتبرير معتقداتهم وقيمهم للتَّأثير في أفكار الآخرين وأفعالهم"[٢]. والحاصل أنَّ هذه التَّصوُّرات وغيرها تتفق في أنَّ الإقناع غاية كلِّ حجاجٍ، وأنَّ ذلك يتحقَّق بالخطاب من خلال عناصر ثلاثة هي: الإيتوس والباتوس واللوغوس، كما حدَّدها معلِّم البلاغة الأوَّل أرسطو.

أمَّا في المدونة العربية؛ فقد شهدت الوظيفة الإقناعيَّة للبلاغة اهتمامًا بالغًا، حيث حرَص عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) على إبرازها في وقوفه على بعض الأساليب البلاغيَّة، التي تجعل السامع يُسهِم في إنتاج المعنى المقصود فيقتنع؛ لكونه أسهم في إنتاج المعنى وانتهى إليه بنفسه. ويوضح ذلك ما قاله عبد القاهر عن التمثيل، فـ"المعنى إذا أتاك ممثَّلًا، فهو -في الأكثر- ينجلي لك بعد أن يُحوِجَك إلى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له، والهمة في طلبه، وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر..."[٣].

وظهر اهتمام السَّكاكي (٦٦٢هـ) بالوظيفة الإقناعيَّة عند تعريفه لعلم المعاني، بتركيزه على السامع والمقام، فقال: "اعلم أن علم المعاني هو تتبُّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، [ثم يفسره] وأعني بخاصية التركيب ما

(١) أبو بكر العزاوي، "الحجاج في اللغة والبلاغة (ديكرو وبيرلمان أنموذجًا)". *مجلة فصول*، ١٠١، (٢٠١٧)، ٤٠٣.

(٢) توماس أ. سلوان، "موسوعة البلاغة". ترجمة: نخبة من الباحثين، إشراف: عماد عبد اللطيف، مراجعة: عماد عبد اللطيف ومصطفى لبيب، (ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠١)، ١: ١٤٣.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط٣، القاهرة، مطبعة المدني، ١٤١٣هـ)، ١٣٩.

يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريًا مجرى اللازم له..."[١]. وقريب من هذا ما قاله عند تعريفه لعلم البيان.

أمَّا حازم القَرْطاجَنِّي (٦٨٤هـ)؛ فبلغ اهتمامه بالإقناع أن جعله "قوام المعاني الخطابية"[٢]، بعكس الأقوال الشعرية التي يكون التخييلُ مكوِّنَها الأساسي كما يراه حازم.

إنَّ هذه الجهود –وإن كان عرضُنا لها موجَزًا– وغيرها ممن لم نذكرهم –كالجاحظ، وابن وهب– تدلُّ على وعي العرب بالحجاج والإقناع، وإن كان حديثهم عنها بمصطلحاتٍ تختلف عن التصور اليوناني، فإنَّها تتفق معها في المفهوم.

(١) السكاكي، "مفتاح العلوم". تحقيق: حمدي محمد قابيل، (القاهرة، المكتبة الوقفية، د. ت)، ١٥١.
(٢) حازم القرطاجني، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء". تحقيق: محمد الحبيب خوجة، (ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١)، ٣٦١.

المبحث الأوَّل: الإقناع بالإيتوس

حظِيَ الإيتوس باهتمام كبير في البلاغتين القديمة والجديدة في مستوى تشكُّله وتجلّيه في الخطاب، ويضاف إلى ذلك وظائفه الحجاجيَّة المنوطة به.

وفي هذا الصَّدد ينبغي الإشارة إلى أنَّ الإيتوس مفهوم لم يستقرَّ بل "شهد تحوُّلاتٍ كثيرةً"(١)، فتتباين دلالاته حسَب الحقل النَّظريّ الذي يوظَّف فيه، "فهو يعني عند بعضهم أخلاق الخطيب [أرسطو]، ويدلُّ عند آخرين على الوصف الخلقيّ [لوكيرن]، وله عند فريق ثالث معنى الصُّورة [ديكرو، أموسي]، ويُستخدم بمعنى السَّمت، كما يعبَّر عنه باللَّهجة أو النَّبرة [مانغنو]"(٢). ولعلَّ الخيط الرَّابط بينها هو دلالة الإيتوس بصفة عامَّة على "صورة الذَّات التي ينتجها الخطيب في خطابه، لا بالشَّخص العينيّ"(٣)، انطلاقًا من البلاغة اليونانيَّة التي تؤكِّد على دور الخطيب في الإقناع، وهي الوسيلة الصِّناعيَّة الأولى للإقناع عند أرسطو، وتتعلَّق بـ "أخلاق القائل "، ومن مبدأ استحالة حصول الإقناع دون أن يظهر الخطيب بصورةٍ تجعله "خَليقًا بالثِّقة والمصداقيَّة"(٤).

وتتحصَّل هذه الثَّقة من خلال الهيئة التي يقدِّم بها الخطيب نفسه إلى جمهوره من خلال كلامه وطريقة إلقائه، وليس من خلال صورته في الواقع، أي الشَّخص العينيُّ "ينبغي أن يحدث هذا عن طريق ما يقوله المتكلِّم، لا عن طريق ما تظنُّه النَّاس عن خلقه قبل أن يتكلم، وليس صحيحًا كما يزعم بعض الكتاب في مقالاتهم عن الخطابة أن

(١) كمال الزماني، "الحجاج بالإيتوس في الخطاب السياسي". (ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٩)، ٦٨، ٦٩.

(٢) حاتم عبيد، "في تحليل الخطاب". (ط، تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، ٢٠٠٥)، ١١٧.

(٣) باتريك شارودو ودومينيك منغنو، "معجم تحليل الخطاب". ترجمة: عبد القادر المهيري وحمَّادي صمُّود، (ط١، تونس، دار سيناترا، ٢٠١٣)، ٢٣٠.

(٤) ينظر: أرسطو، "الخطابة"، ٢٩.

الطِّيبة الشَّخصيَّة التي يكشف عنها المتكلِّم لا تسهم بشيء في قدرته على الإقناع، بل بالعكس ينبغي أن يعدَّ خلقه أقوى عناصر الإقناع لديه"(١).

ومفاد ذلك أنَّه يتوجَّب على الخطيب أن تكون لغته أخلاقيَّة تعينه على إقناع جمهوره وكسب ثقته، فهي مفيدة جدًّا لنجاعة الخطاب "مهما كان موضوعه، وهو صحيح صحَّة مطلقة في الأحوال التي يستحيل فيها اليقين وتختلف الآراء"(٢)، كما يلزم الخطيبَ التَّحلِّي بثلاث خصال كيما يحدث الإقناع، وهي "اللُّبُّ والفضيلة والبرُّ"(٣).

إنَّ مفهوم الإيتوس في البلاغة "مرتبط بدراسة الوسائل الخطابيَّة التي تسهم في تقديم الخطيب صورته على نحو يجعلها جديرةً بثقة السَّامع"(٤)، أمَّا في تحليل الخطاب فيرى منغنو بوصفه أوَّل مَن أدخل مفهوم الإيتوس إلى هذا الحقل(٥) أنَّ وظيفة الإيتوس البلاغيَّة تكمن في "ترك انطباع حسن لدى المخاطَب من خلال الطَّريقة التي يُبنى بها الخطاب، وفي تقديم صورة للذَّات تكون قادرةً على إقناع المخاطَب ونيل ثقته"(٦). ومن هنا كان لِزامًا على الخطيب أن "يستعين بكلِّ ما من شأنه إرسال صورته في اتِّجاه المخاطَب، كانسيابيَّة الكلام وتدفُّقه والحركات ... وغيرها"(٧)، مما يكشف لنا "دور

(١) أرسطو، "الخطابة"، ٣٠.

(٢) أرسطو، "الخطابة"، ٣٠، الهامش رقم ١.

(٣) أرسطو، "الخطابة"، ١٠٣.

(٤) محمَّد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطابات". (ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٧)، ١٨٠.

(٥) ينظر: كمال الزماني، "الإيتوس المفهوم والتحولات". *مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانيَّة*، ٤: ٩، (٢٠٢١)، ٧٣.

(٦) ينظر: دومنيك منغنو، "مشكلات الحجاج بواسطة الإيطوس من البلاغة إلى تحليل الخطاب". ترجمة: حسن المودن، (ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٢)، ٨٥.

(٧) ينظر: دومنيك منغنو، "مشكلات الحجاج بواسطة الإيطوس من البلاغة إلى تحليل الخطاب"، ٨٥.

اختيار المتكلِّم علامات لُغويَّة تبني صورة الذَّات"[١] التي تحقِّق له رضا جمهوره عنه، وانقياده له، بغضِّ النَّظر عن شخصه الواقعيّ.

الحاصل مما سبق هو الإشارة إلى أنَّ الإيتوس يحيل إلى المكوِّن الأخلاقيّ في الخطاب بنوعيه (الشَّفهيّ والمكتوب)، وله شكلان: الأوَّل إيتوس خطابيٌّ، والآخر إيتوس سابق للخطاب[٢].

ولئن اقتصر أرسطو في حجَّة الإيتوس على النَّوع الأوَّل فإنَّ البلاغة الجديدة وسَّعت هذا الأفق ليشمل النَّوعين السَّالف ذكرهما.

وبناءً على هذا التَّصوُّر يغدو الإيتوس إستراتيجيَّة يشغلها المتكلِّم في خطابه؛ ليؤدِّيَ وظائف حجاجيَّة تتمثَّل في الإقناع، حينئذٍ تصبح "صورة الذَّات شكلًا من أشكال الإقناع والتَّأثير"[٣]، فما هي إذن تمظهرات الإيتوس في خطاب القائل؟

أولًا: الإيتوس القبليُّ

ويراد به "كيفيَّة تصوِّر المخاطبين لشخص المتكلِّم السَّابق عن تناوله الكلام"[٤]، وقد تنوَّعت المصطلحات الدَّالَّة عليه، فيسمَّى "إيطوسًا سابقًا أو ما قبل خطابيّ"[٥].

إنَّ الإيتوس السَّابق للخطاب يُبنى بالاعتماد على المكانة التي يشغلها الخطيب في النَّسيج الاجتماعيّ، مثل الوظيفة المؤسَّساتيَّة أو السُّلطة... مما يكسِب كلامَه مشروعيَّةً، تقول أموسي: "إنَّ قوَّة الكلمات تنبع من الملاءمة بين الوظيفة الاجتماعيَّة للمتكلِّم وبين خطابه، فليس للخطاب سلطة إنْ لم يصدر من شخص له مشروعيَّة قوله

(١) ينظر: جورجيانا بوربيا، "الإيتوس أو بناء الهوية في الخطاب". ترجمة: أحمد الوظيفي، (ط١، المملكة المغربية، مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٩)، ٤.

(٢) يأتي بيان النوعين في تمظهرات الإيتوس.

(٣) محمَّد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطابات"، ١٧٦.

(٤) باتريك شارودو ودومينيك منغنو، "معجم تحليل الخطاب"، ٢٣١.

(٥) ينظر: باتريك شارودو ودومينيك منغنو، "معجم تحليل الخطاب"، ٢٣١.

في وضعيَّة مشروعيَّة، فالحديث عن قانون السَّير مثلًا لن يكون له سلطة ما لم يصدر عن رجل يمارسه في وظيفته الاجتماعيَّة، كرجل الأمن [...] وهكذا فالوضع المؤسَّسيُّ للخطيب ودرجة المشروعيَّة التي يمنحها له هذا الوضع يسهمان في إيجاد صورةٍ سابقة له، وهذه الصُّورة جزء من الوسائل التي يملكها المتحاورون ويعبِّئونها حسب المواقف"(١).

وفي هذا النوع سنتتبَّع صورة معاوية بن أبي سفيان عند النِّساء الوافدات عليه قبل التَّلفُّظ بالخطاب. وقد أسلفنا القولَ أنَّ الإيتوس الجاهز "يتعلق بجملة من العوامل، أهمُّها:

- الدَّور الاجتماعيُّ للخطيب (الموقع/ السُّلطة).
- السُّمعة، ويُقصد بها ما يُشاع عن الخطيب من ادِّعاءاتٍ سلبيَّةً كانت أو إيجابيَّةً"(٢).

يستند القائل بشكلٍ رئيسٍ في بناء إيتوسه القبليّ إلى الارتكاز على موقعه في السُّلطة ونفوذه المؤسسيّ، ويبرز ذلك في وفادة النِّساء عليه، فكونه أمير المؤمنين يفترض احترامًا وهيبةً، فلا يمكن الوصول إلى مجلسه إلَّا بعد إذنه، وهذا يبيِّن أنَّ العلاقة الرَّابطة بين المتخاطبَين علاقة سلطويَّة، يمثِّل معاوية فيها القوَّة الأعلى بمعناها الجسديّ والمعنويّ في مقابل الأضعف؛ امرأةٍ من عامَّة الشَّعب معارضة لخلافته ومناوِئة له، وإعطائها حريَّة الحديث أمام الجميع، والخطيب على علم بأنَّ له في تمثُّلات المخاطب تصورًا سلبيًّا يظهر في قول سَودة بنت عُمارة عن ابن أَرطاة: "فإمَّا عزلتَه فشكرناك، وإمَّا لا فعرفناك"(٣). فالصورة التي تحملها عنه الوافدة أنَّ معاوية ظالم بناءً على معطَياتٍ سابقةٍ، وهو ما يكشفه قولها: (فعرفناك).

(١) ينظر: كمال الزماني، "الإيتوس المفهوم والتحولات"، ٧٨.

(٢) ينظر: علي الشَّبعان، "الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطَّبري". (ط١، تونس، مسكيلياني للنَّشر والتَّوزيع، ٢٠٠٨)، ٣٦.

(٣) العبَّاس بن بكَّار الضَّبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٦٩.

وتستمر هذه الصورة في تصور الوافدات على نحو ما نجده في قول أروى بنت الحارث لمعاوية: "يا ابن أخي، لقد كفرتَ يدَ النعمة، وأسأت لابن عمّك الصُّحبة، وتسمَّيت بغير اسمك، وأخذت غيرَ حقِّك"(١)، فأخذُ المرءِ ما ليس له، يبني له في أذهان الناس تصورًا يحمل في طيَّاته معنى الظلم، فالوافدة تبادر مخاطبَها بما لديها من تصور مسبَق عنه، فقولها: (أخذت غير حقك)، جاء مباشرة بعد أن رحَّب بها معاوية، وقبل أن يدور أيُّ حديثٍ بينهما، فتستشف منه أروى أنَّه ظالم، وهو ما يعزّز موقفَها المناوئ له؛ ولأجل ذلك حرَص على إعادة بناء هذه الصُّورة وتصحيحها حتى يستردَّ ثقة سامعيه، فظهر بإيتوس أكثر تسامحًا حتى مع مخالفيه، ويبرز ذلك في قول معاوية لأمِّ سِنان بنت خَيثمة: "ما أقدمَكِ أرضنا وقد عهِدتُكِ تشنئين قربي وتحُرضِّين عليّ عدوَّي؟!"(٢). فقوله: (عهدتكِ) يشهد بأنَّ أمَّ سنان كانت مناوِئة لخلافة معاوية ﷺ، والمعارضة حال جميع الوافدات عليه باستثناء دارميَّة التي لم تفِدْ بل طلبها معاويةُ، وقد كان على علمٍ بمعارضتهنَّ لولايته (تشنئين/ تحرضين عليّ عدوَّي)، ومع ذلك فلم يعاقبهنَّ بل تحدَّث إليهنَّ ويسألهنَّ في بعض رأيهنَّ، وهو ما يبني صورة الحاكم المنفتح على النَّقد وتقبُّل الرأي ومن الممكن محاورته.

هكذا تشكَّلت مظاهر الإيتوس القبليّ، وهي عناصر مستمدَّة من خارج الخطاب، فكيف تجلَّت مظاهر الإيتوس الخطابيّ؟

ثانيًا: الإيتوس الخطابيُّ

ويُقصد به "الصُّورة التي يرسمها المتكلِّم لذاته في الخطاب"، وهذا النَّوع لا يبتعد عن سابقه، بل هو "في علاقةٍ قريبة بالصُّورة المسبَقة التي يمكن أن تكون لدى السَّامعين عن الخطيب [...] إنَّ تمثُّل شخص المتكلِّم السَّابق عن تناوله الكلام، ويسمَّى أحيانًا

(١) العبَّاس بن بكَّار الضَّبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٤٧.

(٢) العبَّاس بن بكَّار الضَّبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٣.

إيطوسًا سابقًا أو ما قبل خطابيٍّ، يكون غالبًا في أساس الصُّورة التي يبنيها في خطابه، فهو يحاول بالفعل دعمها وتصحيحها أو إعادة صياغتها أو محوها"(١).

وبوسع الخطيب في هذا النَّوع حسب روث أموسي التَّنويع في الإيتوس، فقد "يبني لنفسه صورةً تتناسب مع أحد جوانب شخصيَّته، كما يمكنه أن يظهر بصورةٍ لا تتطابق مع ما يحمله عنه مخاطَبُه، وقد يختار –الخطيب– التَّخلّيَ عن أيّ تصوُّرٍ جماعيٍّ لا يناسبه، فيمحو الآثار التي تدينه ويقدِّم نفسه بصورةٍ تحظى بالقبول لدى الجمهور"(٢)، ويتمُّ ذلك للخطيب –أي بناء إيتوسه الخطابيّ– تصريحًا أو تلميحًا، ففي الأولى "يعمد إلى ذكر سماته وفضائله، ويسمى بالإيتوس الصَّريح (البورتريه الذَّاتيّ)، أمَّا الثَّانية فتدلُّ على الصُّورة الذَّاتيَّة التي يستنتجها المتلقِّي من علامات الخطاب المختلفة، ويسمى بالإيتوس المضمر [...] وإذا كان الإيتوس الصَّريح يفرض على محلِّل الخطاب اعتماد السِّمات والفضائل التي ينسبها [الخطيب] لذاته، فإنَّ الإيتوس المضمر يقتضي تأويل كلِّ العلامات اللُّغويَّة والخطابيَّة التي يُفترض أنَّها تسهم في بناء صور الخطيب الذَّاتيَّة باعتبارها صورًا بُنيت في سياقٍ حجاجيٍّ، أي أنَّ محلِّل الإيتوس المضمر مضطرٌّ لاختيار العلامات التي سينطلق منها في عمليَّة إعادة البناء والتَّأويل بناءً على تصوُّرٍ يفيد أنَّ المتكلِّم في الخطاب الإقناعيّ يبني صورته في صورة تتعارض مع صور أخرى نسجتها خطابات متناقضة، مستثمرًا كافة الوسائل التي تتيحها اللغة بمفهومها اللِّسانيّ والتَّداوليّ والأسلوبيّ والعاطفيّ والمنطقيّ"(٣). ولئن كانت الصورة صريحة أو ضمنيَّة فإنَّ ما يعنينا أنها تمثيل للإيتوس بواسطة الخطاب.

(١) باتريك شارودو ودومينيك منغنو، "معجم تحليل الخطاب"، ٢٣١.

(٢) ينظر: محمَّد النَّاصر كحولي، "الحجاج الخطابي أسسه وتقنياته من خلال ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي"، (ط١، تونس، زينب للنَّشر والتَّوزيع، ٢٠١٧)، ٢٢٠-٢٢١.

(٣) ينظر: محمَّد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطابات"، ١٨٧.

وقد شكَّل الإيتوس الخطابيُّ حجَّةً متواترة في نصوص الدِّراسة، فقد كان معاوية بن أبي سفيان ﷺ على وعيٍ بأنَّ له عند السَّامعين (الرَّعيَّة) صورتين: الصُّورة المثاليَّة للخليفة المستحقِّ، ويحملها عنه السَّامع المناصر، وصورة الحاكم الذي لا يملك شرعيَّة الخلافة ويحملها عنه السَّامع الخصم. وقد وظَّف القائل الصُّورتين وحرص على بناء صورة لذاته داخل خطابه، تخص الصُّورة الأولى خطاب الرَّجل، وهو خارج حدود هذه الدِّراسة، ولهذا فإنَّ اهتمامنا سيتركَّز حول الصُّورة الثَّانية التي تتمحور حول الهيئة التي يقدِّم بها القائل ذاته أمام الوافدات عليه، وكذلك صورته التي تتراءى عند الوافدات، وقد اتَّخذت تلك الهيئة في خطاب معاوية تمظهراتٍ خطابيَّةً تتجاوز المقصديَّة الإخباريَّة إلى المقصديَّة الإقناعيَّة.

تتعدَّد الصُّور التي رسمتها الوافدات عن معاوية رضي الله عنه، ومن أبرزها ما يأتي:

١– صورة القائد الظَّالم:

وهي صورة يتداخل فيها إيتوس معاوية عند الوافدات، أي فصورة الظلم يشترك فيها الإيتوس القبليُّ كما في قول سودةَ: "فعرفناكَ"(١)، وترسِّخها له في الإيتوس الخطابيِّ بقولها: "ولا تزال تُقدِم علينا من ينهض بعزِّك ويبسط سلطانك، فيحصدنا حصاد السُّنبل، ويدوسنا دِيَاس البقر، ويَسُومنا الخسف (الخَسيسةَ)، ويَسألنا الجليلةَ"(٢). وتتوالى هذه الصُّورة عند غيرها من الوافدات؛ فها هي أروى بنت الحارث بن عبد المطَّلب تقول: "يا ابن أخي، لقد كفرتَ يدَ النعمة، وأسأت لابن عمِّك الصُّحبة، وتسمَّيتَ بغير اسمك، وأخذت غير حقِّك من غير بلاءٍ كان منك ولا من آبائك ولا سابقة في الإسلام"(٣)، وهكذا فالصُّورة الإيتوسيَّة لمعاوية ﷺ عند الوافدات تنطوي على حمولة

(١) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٦٩.
(٢) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٦٨.
(٣) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٤٧.

ذات دلالة سلبيَّة. وصورة الظُّلم ليست الوحيدة لمعاوية في نظر الوافدات المعارضات، بل تقابلها صورة أخرى.

٢– صور القائد العادل:

ويتشكَّل هذا الإيتوس بصورة العفو، وذلك نحو قول أمِّ سِنان بنت خيثمة لمعاوية ﷺ: "فأتيتك يا أميرَ المؤمنين لتكون في أمري ناظرًا، وعليه مُعْدِيًا، قال [معاوية]: صدقتِ"(١)، وفي قول أمِّ البرَاء بنت صفوان: "قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، ومِثلُك مَن عفا"(٢)، وطلب العفو إقرار من الطَّالب بما صدر منه من زلل، وغالبًا ما يكشف الاستعفاء إذا اقترن بوليِّ الأمر معانيَ الإجلال والهيبة التي تمثِّل صورة ثالثة.

٣– صورة القائد المَهيب:

وتتجلَّى معاني الهيبة فيما يعكسه كلام معاوية ﷺ حين يذكِّرهنَّ بأفعالهنَّ السَّابقة ويستوجب تأثيرًا في نفسيَّة المرأة ويعتمل فيها، ولا تجد عن الاعتراف بما فعلتْ مناصًا، فتقرُّ أو ترجو أو تُطرِق باكية، وكلُّها دلالات تحمل صورة القائد ذي الهيبة في نفوسهنَّ؛ ومن شواهد ذلك قول سودة: "إي والله، ما مِثلي مَن رغِب عن الحقِّ أو اعتذر بالكذب... مات الرَّأس وبُتر الذَّنَب، وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي ممَّا استعفيت منه"(٣). أمَّا أمُّ سِنان فمن مظاهر هيبة معاوية عندها رجاؤها أن يكون خَلَفًا لعليِّ بن أبي طالب ﷺ في رعيَّته قائلةً: "قد كان ذلك يا أميرَ المؤمنين، وإنا لنطمع بك منه خلفا"(٤).

وهكذا فالملاحظ أن الصُّوَر التي تُشكِّل إيتوس معاوية عند الوافدات تتغير إيجابًا

(١) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٦.
(٢) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٤٥.
(٣) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٦٧.
(٤) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٤.

وسلبًا بتغيُّر المطالب والمصالح.

ولئن تنوعت الصُّور التي رسمتها الوافدات عن معاوية، فإنَّنا في مرحلة ثانية نتبيَّن صورة الإيتوس التي يرسمها معاوية لنفسه، والتي تشكِّل الغالبية العظمى في خطاب الوافدات عليه.

يبني معاوية بن أبي سفيان لذاته صورةً كبرى قِوامها القائد السِّياسيُّ المحنَّك، ولا عجب في ذلك؛ فقد ولَّاه أبو بكر قيادة الجيش، وجعله عمر واليًا على الأردن، وأعطاه عثمان ولاية الشَّام[١]، ﷺ أجمعين. وتنضوي تحت هذه الصُّورة الأساسيَّة خمس صورٍ فرعيَّةٍ، وهي على النَّحو الآتي:

١ – صورة الحاكم المتواضع:

إنَّ أوَّل ما يلفت نظر القارئ الرُّوح الودِّيَّة التي يبادر بها معاوية بن أبي سفيان الوافدات عليه بالسُّؤال عن أحوالهنَّ، ويظهر ذلك في موقفه مع سودة ابنة عمارة حين دخلت عليه وسلَّمت "فقال لها: هيه يا ابنةَ الأشل"[٢]، وقوله لأمِّ سنان: "مرحبًا بكِ يا ابنةَ خيثمة"[٣]، وكذلك ما فعله مع أَروى بنت الحارث بن عبد المطَّلب لَمَّا دخلت عليه وهي عجوز كبيرة، فلما رآها قال: "مرحبًا بكِ وأهلًا يا خالة، فكيف كنتِ بعدي؟"[٤].

إنَّ هذا الاستقبال الحافل منذ البداية من معاوية مع مخاطَبات يعرف مواقفهنَّ ضدَّه في صراعه للاستيلاء على السُّلطة يكشف نوعًا من الذَّكاء الاجتماعيّ الذي يتمتَّع به، فهو يبني إيتوس الإنسانيَّة الذي يتمثَّل في إظهار التَّعاطف مع الضُّعفاء،

(١) ينظر: محمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء". تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨)، ٣: ١٣٣– ١٣٦.

(٢) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٦٧.

(٣) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٣.

(٤) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٤٧.

فالمخاطَب امرأة وكبيرة في السِّنِّ، ويَقتضي هذا الوضع أن تكون المعاملة مبنيَّةً على التَّوقير والاحترام، ويدعم هذه الصُّورة بمناداته لهنَّ بـ (خالة)، وهي من عادات الاحترام عند العرب، وتنمُّ عن تقديرٍ للآخر، وبها يرسم معاوية لذاته صورةَ المتواضع، فرغم مكانته السُّلطويَّة لم يتكبَّر أو يتعالَ على امرأةٍ من عامَّة الشَّعب، وفي مقابل هذا التَّواضع يحتفظ معاوية بهيبته فيظهر بإيتوس الرجل السِّياسي.

٢ – صورة الحاكم الحازم:

يتمثَّل هذا الحزم في ظهور معاوية بإيتوس رجل السِّياسة الذي يسعى في مبارزته لخصمه إلى تحطيمه مع المحافظة على أخلاقه عند شعبه، إنَّها السُّخرية التي يهاجم بها خصمه بطريق غير مباشر، وذلك على نحو قوله لسودة حين اشتكت إليه ابنَ أرطاةَ قائلةً: "هذا ابن أرطاة قدِم بلادي وقتل رجالي[...] فإما عزلتَه فشكرناك، وإما لا فعرفناك. فقال معاوية: إيَّاي تهدِّدين بقومكِ؟! والله لقد هممتُ أن أحملكِ على قِتْب أشرس[١] فأردَّكِ إليه فينفذ فيكِ حكمه"[٢]. ينطوي هذا الملفوظ على أسلوبٍ تخويفيٍّ ترهيبيٍّ، فالمتكلِّم يتوجَّه به نحو مخاطَبٍ حاول المساس بكفاءته، ويبدو فيه أنَّ معاوية كان حريصًا على التَّأكيد بما يتَّصف به من شجاعة وقوَّة بمعناها الجسديّ والمعنويّ، يقمع بهما عدوَّه في خطابٍ شديد اللهجة، وقد أنجز ذلك بعملين لغويَّين: يتمثَّل أوَّلهما في استعمال ضمير المتكلِّم المفرد (إيَّاي)، وفيه إشارة إلى التَّركيز على المتكلِّم بوصفه أعلى سلطةٍ في قومه. ويتمثَّل ثانيهما في القَسَم و(لقد)، ومفادهما التَّوكيد والتَّشديد على أنَّه يمتلك سلطة القرار وكلمته نافذة، وله السَّمع والطَّاعة.

وتذكر المصادر التاريخية ثناء عمر بن الخطاب ﷺ على معاوية حين قدم الشام

(١) المراد به البعير الخشن الغليظ.

(٢) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٦٧.

ورأى معاوية، فقال: هذا كسرى العرب[١]. وفي مقابل هذا التَّرهيب المستعمل تأتي صورة التَّرغيب التي تكشف عن إيتوس العدل.

٣ – صورة الحاكم العادل:

من صور الإيتوس التي وظَّفها معاوية صورة الحاكم العادل؛ فقد رُوي عن الأعمش قوله: "لَوْ رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ لَقُلْتُمْ: هَذَا الْمَهْدِيُّ"[٢]، الذي يملأ الأرض عدلًا. ويظهر ذلك في قوله لسودة: "اكتبوا لها بالعدل – اكتبوا لها ولقومها"[٣]، وقوله لبكارة الهلاليَّة: "ليس ذاك بالذي يمنعنا من برِّكِ يا خالة فاذكري حاجتَكِ"[٤]، وقوله لأروى بنت الحارث بعدَما أمر لها بستَّة آلاف دينارٍ: "يا عمَّة، أنفقي هذه فيما تحبِّين، فإذا احتجتِ فاكتبي إلى ابنِ أخيكِ يحسن صَفَدَكِ ومعونتَكِ إن شاء الله"[٥]

فهذه الأقوال تبرز جدِّيَّة صاحبها بصفته مسؤولًا عن أحوال النَّاس والبلاد الواقعة تحت حكمه، فهو يلتزم بتحسين ظروف العيش؛ وقد استعان على توصيل هذه الصِّفات بوسائل لغويَّة وأسلوبيَّة، من ذلك استخدامه لأفعال إنجازيَّة، تدل على التزام المتكلِّم بتبنِّي موقف معين، فالتَّعبير في قوله: "فإذا احتجتِ فاكتبي"، وقوله: "اذكري حاجتكِ" اللذين يفيدان معنى فعل (أعِدُكِ) ينجزان ما يعِدان به، بمجرَّد وصولهما للمخاطَب وفهمهما، وهي كما بدت في السِّياق أفعال توحي بتحلِّي القائل بالمسؤوليَّة والالتزام بما يقوله من وعد، وقد تعزَّزت هذه الأفعال بإجرائها بصيغة الأمر.

والملاحَظ أنَّ معاوية يعتمد في أقواله التي يتفقَّد بها أحوال رعيَّته ويقضي فيها

(١) ينظر: محمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، ٣: ١٣٤.

(٢) أبو القاسم الطَّبراني، "المعجم الكبير". تحقيق: حمدي السلفي، (ط٢، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ)، ١٩: ٣٠٨.

(٣) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٧٠.

(٤) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٧٢.

(٥) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٥١.

مآربهم على الأعمال اللُّغويَّة المباشرة، فقد أحرز الأمر نصيبًا في بناء صورة القائد الحازم، ويتجلَّى ذلك في قوله: "اكتبوا لها بالإنصاف" و"اكتبوا لها ولقومها"، واتِّجاه الفعل في الأمر من الأعلى إلى الأدنى، فهي أوامر حقيقيَّة يجب فعلها وترك ما يخالفها، فالفعل الإنجازيُّ يقتضي الوجوب، في الوقت ذاته جاء الاستفهام الحقيقيُّ في السُّؤال عن حوائجهنَّ: "هل لكِ من حاجة؟" تعزيزًا لإيتوس الحاكم المسؤول.

وما من شكٍّ في أنَّ الإيتوس الاجتماعيَّ يبرز جانبًا من هيبة السُّلطان، وذلك بواسطة عمل لغويٍّ (إثبات) يتجلَّى بإقراره لما يتَّصف به آباؤه من مكارم الأخلاق: "قالت [أمُّ سِنان]: إن لبني عبد مناف أخلاقًا طاهرة، وأعلامًا ظاهرة، وأحلامًا وافرة، لا يجهلون بعد علمٍ، ولا يَسفَهون بعد حلمٍ، ولا ينتقمون بعد عفوٍ، وإنَّ أولى النَّاس باتِّباع ما سنَّ آباؤه لأنتَ، قال: صدقتِ، نحن كذلكِ"(١). وتتوالى صور الإيتوس التي يبنيها معاوية لنفسه مستثمرًا خصلة حميدة يحبُّها الله ورسوله ﷺ وهي الحلم.

٤ – صورة الحاكم الحليم:

تبرز صورة معاوية بن أبي سفيان ﷺ بإيتوس الحاكم الحليم بعدما بعث إلى أمِّ البرَاء بنت صفوان بجائزةٍ قائلًا لها: "إذا أنا ضيَّعتُ الحلمَ فمن يحفظه؟!"(٢) بما يحمله الاستفهام الإنكاريُّ من معاني التَّوبيخ. وفي مقابل هذا التَّوبيخ يعمد المتكلِّم في بناء إيتوسه إلى استثمار الحوار في أساليبَ حجاجيَّة أخرى.

وقد عكست صورةُ الحليم التي بناها معاوية عن نفسه الصورةَ ذاتها في خطاب بعض الوافدات، وذلك على نحو ما دار بينه وبين أُمِّ سنان بنت خيثمة، عندما قالت: "إنَّ لبني عبد منافٍ أخلاقًا طاهرة... لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا يعاقبون بعد عفو، وإنَّ أَوْلى النَّاس باتباع سنن آبائه لأنت. قال: صدقتِ، نحن

(١) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٣-٢٤.

(٢) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٤٦.

كذلك... قال: فِيمَ استحققتُ ذلك عليهما؟ قالت: بسعة حلمك، وكريم طبعك، وكثرة عفوك"[١]. ففي قول معاوية: (صدقتِ) تأكيدٌ لاتِّصافه بالحلم، واستطاع ترسيخه عند المعارضات مستعينًا عليه بالحوار الهادئ، فكانت النتيجة الإقرار له بصفة الحلم حتى عند المعارضة له بولاية أمر المؤمنين.

وقد ورد في كتب التاريخ ما يشهد لمعاوية ﷺ بهذه الصفة؛ حيث قال عبد الملك بن مروان يومًا –وقد ذكر معاوية–: ما رأيتُ مثلَه في حلمه. وقال قَبِيصَةُ بن جابر: ما رأيت أحدًا أعظمَ حلمًا من معاوية. ولمَّا سمع معاوية كلامًا سيِّئًا، قال: إني لَأستحيي من الله أن يَضِيقَ حلمي عن ذنب أحدٍ من رعيتي[٢]. وغيرها من الأقوال التي تنقلها كتب التراجم.

٥ – صورة الحاكم المتعاون والمتفتّح:

يعتمد معاوية في رسم هذه الصُّورة على تقنية التَّنازل البلاغيّ، ومفادها: "أنا أحترم وجهة نظرك وأتَّفق مع ما تقوله ولكن ما أرُومُ بلوغَه أمرٌ مختلف"[٣]، ومن أمثلة هذه التِّقنية قوله لدارميَّة الحَجُونيَّة: "علامَ أحببتِ عليًّا وأبغضتِني، ووالِيتِه وعاديتِني؟"[٤]، تُكسِب هذه التِّقنيةُ في الحوار المتكلِّمَ صورةً أخلاقيَّةً تجعله جديرًا بالثِّقة عند سامعيه؛ إذ يبدو في إيتوس المتعاون والمتفتح والمتأدب، ويَعضُدُ هذه التِّقنيةَ تقنيةٌ أخرى يمكننا تسميتها بالتَّعريض المهذَّب[٥]، ومدارها على إحراج الخصم دون أدنى مسؤوليَّة للقول على القائل، وكثيرًا ما يستعمل معاوية هذا الأسلوب، ومن شواهده قوله لسودة: "أنتِ القائلة لأخيكِ يوم صِفِّين:

---

(١) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٣، ٢٥.

(٢) ينظر: إسماعيل بن كثير، "البداية والنهاية". (ط٣، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ)، ٨: ١٩٦.

(٣) محمَّد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطابات"، ١٨٨.

(٤) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٤٠.

(٥) هذه التَّسمية من إنشاء الباحثة.

شِمّرْ كفعلِ أبيكَ يا ابنَ عُمارةٍ * * * يومَ الطِّعانِ ومُلتقى الأقرانِ

وانصُـرْ عليًّا والحسينَ ورَهْطَـه * * * واقصِدْ لهندٍ وابنِها بهوانِ"[١]

وقريب من هذا ما فعله مع أمِّ سِنان ... وبهذه الطَّريقة ينجح القائل في انتقاده وهجومه على سامعه دون أن يفقد رصيده الأخلاقيَّ، فيبقى محافظًا على إيتوسه بوصفه شخصًا مهذَّبًا.

وهكذا ارتأينا أنَّ الإيتوس في خطاب معاوية يتشكَّل في نوعين؛ أوَّلهما الإيتوس القبليُّ، ويتمثَّل الثَّاني في الإيتوس الخطابيّ؛ لتحقيق وظيفة إقناعيَّة تمكِّن القائل من التَّأثير في السَّامع وحمله على تبنِّي موقف المتكلِّم، وهو الاقتناع بشرعيَّة معاوية حاكمًا والانضمام تحت لوائه.

ولئن كان الإيتوس وسيلة إقناعيَّة يسعى من خلالها المتكلِّم إلى التَّأثير في المتلقِّي، فإنَّه لا يشتغل في الخطاب إلَّا بمعونة العنصر الثَّاني الذي يتأتَّى دوره في عملية الإقناع من خلال استثارة العواطف.

(١) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٦٧.

المبحث الثَّاني: الإقناع بالباتوس

تحدَّث أرسطو عن الباتوس في المقالة الثَّانية من كتابه الخطابة، وهو عنده –شأن حجَّتي الإيتوس واللوغوس– نوع من الحجج الصِّناعيَّة القائمة في الخطاب، و"يقوم [الباتوس] على تصيير السَّامع في حالةٍ نفسيَّةٍ ما"(١)، فهناك "إقناع بواسطة السَّامعين حين يُدفَعون بواسطة الخطاب إلى الإحساس بانفعالٍ ما؛ لأنَّنا لا نصدر أحكامنا على نفس الشَّاكلة بحسب ما إذا كنَّا مملوئين غمًّا أو فرحًا، ودًّا أو كراهيةً"(٢). ثمَّ يوضِّح المقصود بالانفعال بقوله: "إنَّ الانفعالات هي كلُّ التَّغييرات التي تجعل النَّاسَ يغيّرون رأيهم فيما يتعلَّق بأحكامهم، وتكون مصحوبة باللَّذَّة والألم، مثل الغضب والرَّحمة والخوف وكل الانفعالات المشابهة وأضدادها"(٣). وهذه الانفعالات تُستثار من قِبل المتكلِّم بطريق الخطاب، فعلى "الخطيب أنْ يجعل المستمع في حالة ينزِعُ فيها إلى الشُّعور بالغضب بواسطة الخطاب، ويجعل خصومه مسؤولين عن الأمور التي تثير الغضب"(٤).

وللأهمِّيَّة الكبرى التي يحتلها الباتوس في بلاغة الحجاج "ربط كبيدي فارغا بين الحجاج والتَّأثير في المخاطب واعتبر البلاغة هي فنَّ توجيه الأهواء"(٥)، وعلى ذلك فإنَّ نجاح الخطيب في حجاجه ومقدرته على الإقناع مرهون بشكلٍ كبير بما يهزُّ الذَّات التي نتوجَّه إليها بالخطاب، ولا يتأتَّى ذلك إلَّا أنْ يكون الخطيب "على معرفة بسيكولوجيَّة المخاطَب وبأحواله النَّفسيَّة أو بما يحرِّكه ويؤثِّر فيه"(٦). وهذه المعرفة تُعَدُّ النَّواةَ الأساسيَّة

(١) أرسطو، "الخطابة"، ٢٩.

(٢) الحسين بنو هاشم، "بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية". (ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٤)، ٢١٥.

(٣) أرسطو، "الخطابة"، ١٠٤.

(٤) الحسين بنو هاشم، "بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية". ٣١٢.

(٥) ينظر: محمَّد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطابات"، ٢٥٧.

(٦) محمَّد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطابات"، ٢٥٧.

في العمليَّة الحجاجيَّة؛ لأنَّها تقود المخاطَبَ نحو الاتِّجاه الذي يريده الخطيب.

وبالنَّظر إلى مكانة الباتوس العليا في البلاغتين القديمة والحديثة بوصفه وسيلةَ إقناعٍ فإنَّ دلالاته لم تكن قارَّة، فهو عند أرسطو "مرتبط بثنائيَّة اللَّذَّة والألم"[١]، في حين أنَّ البلاغة الجديدة[٢] ممثَّلة في موقف بيرلمان، فالباتوس عنده يشبه ما قاله عن الإيتوس، فـ"لم يذكر لفظة الإيتوس إلَّا نادرًا، كما أنَّه لم يعالجه في مبحث مستقلٍّ، ولم يرد في خطاطته، بل عمل على إدماجه في مباحث من قبيل مبحث الحجاج بالسُّلطة ومبحث العلاقة بين الشَّخص وأعماله أو أقواله، وكأنَّه رام امتصاص كل ما يحيل إلى الأشخاص أو العواطف في الاعتبارات العقليَّة (اللوجوس)"[٣] ومهما اختلفت الرُّؤَى وتباينت التَّصوُّرات حول الباتوس فإنَّه يبقى المنبع العاطفيَّ الانفعاليَّ في الخطاب، ويهدف إلى إحداث استجابةٍ ذهنيَّة تنطلق من الانفعالات والأهواء، وهنا ينبغي التَّنبيه إلى الاختلاف بين الحجاج بالباتوس والحجاج للباتوس، ففي الأوَّل تغدو العاطفة إحدى وسائل الإقناع "فالكلمات تُعَد من بين أضمن المصادر المسبِّبة للشُّعور والتَّأثير علينا أو تحريكنا لنتأثَّر"[٤]. أمَّا في الحجاج للباتوس "فتتحوَّل العاطفة من حجَّة تُستخدم لحمل الآخر على إتيان فعل أو الاعتقاد بصحَّة فكرة إلى نتيجةٍ يقوم المتكلِّم بالاحتجاج لها وإضفاء المشروعيَّة عليها"[٥]، أي أنَّ العاطفة ستؤول إلى موضوع خلافيٍّ يحاول فيه كلُّ طرفٍ حمْل الآخر على الاعتقاد بصحَّة ذلك الشُّعور. وما يعنينا في هذا العمل هو

(١) ينظر: أرسطو، "الخطابة"، ١٠٤.

(٢) بوصفه مَن عمِل على إحياء مفهوم الباتوس.

(٣) محمَّد مشبال، "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطابات"، ٢٦٠

(٤) ستيفن فروش، "المشاعر". ترجمة: عبد الله عسكر، (ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥)، ١٥.

(٥) حاتم عبيد، "منزلة العواطف في نظريات الحجاج"، ٢٦٣.

الحجاج بالباتوس بوصفه وسيلةً من وسائل الإقناع الأرسطيَّة.

ولمَّا انتبه أرسطو إلى ما يؤدِّيه الباتوس من دور في عمليَّة الإقناع انصبَّ تركيزه على الجانب الحجاجيّ فقدَّم تحليلًا عميقًا للأهواء التي لا تنفكُّ عن كونها مصحوبةً بلذَّة أو ألم، وبناءً على هذه الثُّنائيَّة يمكن تقسيم الانفعالات إلى قسمين يستوعبان جميع الأهواء الأربعة عشر التي عدَّدها أرسطو، ويمكن تسمية أوَّلهما بالباتوس الإيجابيّ، ويشمل عددًا من الانفعالات، من بينها: الرَّغبة والأمن والفرح والغِبطة والشَّفقة، وكلُّ ما يكون مصحوبًا بلذَّة. ويطلَق على القسم الثَّاني الباتوس السَّلبيَّ، ومن انفعالاته الخوف والكراهيَة والغضب وكلُّ ما يُشعِر بألم.

وتتلخَّص معالجة أرسطو لكلِّ هوًى من الأهواء في مستويات ثلاثة يسبقها تعريف لكل هوًى، وذلك على النَّحو الآتي:

"أوَّلها: طبع الأشخاص الذين تنتابهم هذه الأهواء عادةً أو مِزاجهم، إنَّها الحالة النَّفسيَّة التي يشعر بها الإنسان.

ثانيها: الأشخاص الذين يكونون موضوعًا للهوى.

ثالثها: الظُّروف التي تستثير هذه الانفعالات والدَّوافع المسبِّبة لها"(١).

وينبغي للخطيب أن يتخيَّر عاطفةً أو اثنتين "فيوقد الكامنة أو يخمد المتوهِّجة تبعًا لموضوع خطابه، وإذا تمَّ له ذلك كان دليلًا على أنَّ الخطيب قد أقنع بخطابه السَّامعَ وهيَّأه لإصدار حكمٍ ما حول الموضوع الذي أثاره بعد أن يكون قد أَعمل عقلَه في ذلك الموضوع"(٢). فما الانفعالات والعواطف التي أثارتها المرأة في السَّامع وكانت دليلًا على اقتناع معاوية بن أبي سفيان بخطابها؟ سيأتي الجواب عن ذلك فيما يأتي:

(١) ينظر: الحسين بنو هاشم، "بلاغة الحجاج الأصول اليونانية"، ٣٠٨.

(٢) حاتم عبيد، "منزلة العواطف في نظريات الحجاج"، ٢٤٣-٢٤٤.

١–الحجاج بباتوس الشَّفقة:

تناول أرسطو الشَّفقة بصفة عامةٍ فيما يخصُّ "الإحسان ونقيضه"[١]، وتمثل الشَّفقة عنده "نوعًا من الألم الذي يثيره منظر الشَّرِّ القاتل أو الأليم الذي يصيب من لا يستحقُّه، ويشعر المرء بالشَّفقة حين يضع نفسه أو أحد ذويه أو أصدقائه مكان الشَّخص الذي تعرض لمعاناة شرٍّ ما أو وقع عليه ظلم أو يتوقَّع حدوث مثل ذلك في المستقبل، إنَّها جميعًا أمور أليمة ومدمِّرة. والشُّعور بالشَّفقة ينشأ عن دواعٍ، أهمُّها: الموت، وسوء المعاملة، والإهانات، والشَّيخوخة، والمرض، وأن يُفصل المرء عن أصدقائه وذويه ... والنَّاس يشفقون على من يعرفونهم من الآخرين بشرط ألا يكونوا وثيقي الصِّلة بهم، أمَّا ذوو القربى فالمرء ينتابه الرُّعب والفزع متى نزل بقريبه ظلم أو مكروه"[٢]. ومن شواهد هذا الباتوس ما دار بين معاوية وأم سنان بنت خثيمة قائلة: "يا أمير المؤمنين، إنَّ مروان تبنَّكَ[٣] بالمدينة تبنُّكَ من لا يريد البراح، لا يحكم بعدلٍ ولا يقضي بسنةٍ، يتتبَّع عورات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين، حبس ابن ابني فأتيته فقال كيت وكيت، فألقمته أخشن من الحجر وألعقته أمرَّ من الصَّبر، ثمَّ رجعت إلى نفسي باللائمة، فأتيتك يا أميرَ المؤمنين لتكون في أمري ناظرًا وعليه مُعدِيًا، قال: صدقتِ، لا أسألك عن ذنبه ولا عن القيام بحجته، اكتبوا لها بإطلاقه"[٤]. فقد سيق هذا الخطاب في موقف تواصليٍّ قضائيٍّ؛ إذ يدور حول أمورٍ وقعت في الماضي وتندرج ضمن ثنائيَّة (العدل / الظُّلم)، فجدَّة الغلام تنشد غايتها في الإفراج عن ابن ابنها وإطلاق سراحه، ولبلوغ هذه الغاية توجهت أم سنان إلى مخاطبة القلب بوصفه مستودَع العواطف، فاختارت من وسائل الإقناع

(١) ينظر: أرسطو، "الخطابة"، ١٢٩.

(٢) ينظر: أرسطو، "الخطابة"، ١٢٩–١٣١.

(٣) أي: أقام بها. ولعل المراد: طول مدة ولايته على المدينة.

(٤) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٤.

الحجاج بباتوس الشَّفقة أملًا في التَّأثير في أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان وتوجيهه نحو تبني موقف محدَّد يكون لصالحها خاصَّة بعدما تعرضت للإهانة من والي المدينة.

واكتسبت حجة الباتوس بالشَّفقة طاقتها الإقناعيَّة من ثلاثة مصادر: يتعلق الأوَّل منها بمسبِّبات الشُّعور بالشَّفقة، فقد صوَّرت أم سنان نفسها بصورة من تعرَّض للإهانة والمعاملة السَّيِّئة، فقد أغلظ لها مروان في الكلام، وكذلك الحرمان من أقرب النَّاس إليها ابن ابنها الذي هو بمنزلة أبيه عندها.

أمَّا المصدر الثَّاني فيتَّصل بإثارة الشُّعور بالألم عند أمير المؤمنين بسبب الشَّرِّ الذي لحقها من مروان بن الحكم والي المدينة، وهو حبس حفيدها، وممَّا لا شك فيه أنَّ أمير المؤمنين سيتوقَّع أو يتخيَّل وقوع هذا الشَّرِّ لأقرب النِّساء إليه كابنته مثلًا. ويتعلق الأمر من ناحيةٍ ثالثة بطبيعة العلاقة التي تجمع بين الخطيب والسَّامع، فمعاوية بن أبي سفيان لا تربطه بأمِّ سنان رابطة قرابة فينتابه حينئذ الفزع للشَّرِّ الذي لحِقها، بل هو من عموم النَّاس الذين سيشعرون بالشَّفقة عندما يصيب شرٌّ ما مَن لا يستحقه.

وبهذا أدَّت حجة الباتوس بالشَّفقة التي توسلت بها جدَّة الغلام المحبوس مفعولًا حجاجيًّا قويًّا فصيّرت أمير المؤمنين في حالة نفسيَّة تشعره بالشَّفقة تجاه الشَّر الذي أصابها، فأصدر حكمًا لصالحها (اكتبوا لها بإطلاقه). وليست عاطفة الشَّفقة هي الانفعال الوحيد الذي أثارته أم سنان في نفسيَّة سامعها، بل أثارت معها نزعة الرَّغبة.

٢-الحجاج بباتوس الرَّغبة:

التَّرغيب ضد التَّرهيب، وتتمحور معانيه في اللُّغة حول "الحرص على الشَّيء والطَّمع فيه"(١)، ويُراد بالرَّغبة "حركة تكون من شهوةٍ يُرجى بها منفعة"(٢)، وهي على

(١) ابن منظور، "لسان العرب". ٦: ١٨٢.

(٢) أبو حيان التوحيدي، "الإمتاع والمؤانسة". تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، (ط١، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧)، ٥١٨.

نوعين، فإذا كانت "نطقيَّة كانت سببًا باعثًا على التَّحلِّي بالفضائل، وإذا كانت سبُعيَّة أو بهيميَّة كانت ملْهجة بمواقعة الرَّذائل التي هي أضَّداد الفضائل"(١).

فالرغبة انفعال نفسيٌّ وشعور ينتاب الشَّخص فيدفعه إلى تحقيق عمل يعود عليه بنفع ماديٍّ كان أو معنويٍّ، وعلى هذا فالخطاب الاستشاريُّ هو ما يناسب هذا النَّوع من العواطف، فالخطيب فيه ينصح بالفعل أو عدمه. ويتغيَّا الخطاب المشوريُّ إثبات ثنائيَّة (النَّافع/ الضَّارّ) في موضوع النِّقاش "لأنَّ من يحضُّ يوصي بمسلك بوصفه الأحسن، ومن ينهى ينصح بتجنُّب مسلك لأنَّه الأسوأ"(٢).

ومن أمثلة استدعاء باتوس الرَّغبة ما قالته أم سنان لمعاوية بن أبي سفيان: "يا أمير المؤمنين، لسان نطق وقول صدق، ولئن تحقَّق فيك ما ظننَّاه لحظك الأوفر، والله ما أورثك الشَّنآن في قلوب المسلمين إلَّا هؤلاء، فأدحض مقالتهم وأبعد منزلتهم، فإنَّك إن فعلت ذلك تَزدَد من الله قربًا ومن المؤمنين حبًّا، قال: وإنَّكِ لتقولين ذلكِ؟ قالت: يا سبحان الله، ما مِثلك من مُدح بباطل ولا اعتُذر إليه بكذب..."(٣).

والقارئ لهذا الخطاب يدرك أنَّ حجَّة باتوس الرَّغبة قد استمدَّت قوَّتها الإقناعيَّة من الظَّفَر بوافر الحظِّ، وهذه المنفعة تتحقَّق لها من طريقين، يتعلَّق الأوَّل بزيادة القرب من الله تعالى، ويتعلَّق الثَّاني بالمنزلة التي سيحظى بها في قلوب المؤمنين ومحبتهم له. وقد كان لهذا الباتوس مفعول قويٌّ آتى ثماره، فقد تمكَّنت الرَّغبة في الظَّفر بالمنافع السَّابق ذكرها في نفس الخليفة أيَّما تمكُّن، ويبدو ذلك واضحًا في قوله: "والله لقد قاربت فما حاجتك؟"(٤).

(١) ينظر: أبو حيان التوحيدي، "الإمتاع والمؤانسة"، ٥١٨.

(٢) أرسطو، "الخطابة"، ٣٧.

(٣) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٥.

(٤) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٥.

٣-الحجاج بباتوس الغضب:

لم يُثر خطاب الوافدات الانفعالات المحمودة فحسب، بل أثار إلى جانب ذلك انفعالاتٍ مذمومةً، ومن أشهرها نازعة الغضب.

وهو كما يرى أرسطو "شهوة مصحوبة بألم للانتقام الحقيقيّ أو الظَّاهريّ بسبب إهانةٍ حقيقيَّةٍ أو ظاهريَّةٍ تنال الشَّخص نفسه أو أحد أصدقائه إذا كانت هذه الإهانة بغير حق"(١)، وليس الغضب مصحوبًا بألمٍ فقط، بل يكون مصحوبًا "بنوع من اللَّذَّة الرَّاجعة إلى الأمل في الانتقام الذي سيجيء"(٢).

والشُّعور بالألم كفيل بإثارة الغضب، فـ"الألم الحاضر في نفس الإنسان يهيّئ السَّبيل أمام غضبه في كل موقف"(٣)، فالذي يصيبه ألم أو يشتهي شيئًا ولا يستطيع نيله يكون عُرضة للغضب.

إنَّ الإنسان يغضب من كل من "يستهزئ به أو يسخر منه؛ لأنَّ هذا شتيمة له، ويغضب أيضًا على كل من يؤذيه بجميع الطرق التي هي دلائل على الشَّتم، أو يحتقر الأشياء التي يعدُّها مهمَّة جدًّا، وكذلك يغضب الإنسان على من يعارضه ولا يبادله الرِّقَّة والإحسان... وتزداد حدَّة الغضب إن صدر من الأصدقاء، فالغاضب يظنُّ أن له الحقَّ على صديقه في المعاملة بالحسنى، ويكثر الغضب على التَّافهين إذا استحقروه فالاحتقار دلالة على عدم الاهتمام"(٤).

ومن الأمثلة التي تبيِّن ما يحمله باتوس الغضب من طاقة حجاجيَّة ما دار في مجلس معاوية حين دخلت عليه أروى بنت الحارث وهي عجوز كبير، فقالت: "يا ابنَ

(١) أرسطو، "الخطابة"، ١٠٤.
(٢) أرسطو، "الخطابة"، ١٠٤.
(٣) ينظر: "الخطابة"، أرسطو، ص١٠٧.
(٤) ينظر: أرسطو، "الخطابة"، ١٠٧-١٠٩.

أخي، لقد كفرتَ يدَ النِّعمة، أسأتَ لابن عمّك الصُّحبة... فقال لها عمرو بن العاص: كُفِّي أيتها العجوزُ الضَّالَّة وغُضِّي طرفك، وأقصِري من شر لفظِك قولَكِ؛ فإنَّه أمير المؤمنين. قالت له: إيهِ عنكَ يا ابن النفيرة[١]... قال مروان: كُفِّي أيَّتها العجوز، وأقصري لما جئتِ له، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك فلا تجوز شهادتك، فقالت: وأنت أيضًا يا ابنَ الزَّرقاءِ تتكلَّم؟! ... ثمَّ التفتت إلى معاوية فقالت: والله ما جرَّأ عليَّ هؤلاء غيرك، وإن أمَّك للقائلة يوم أُحُد... فقال معاوية لمروان وعمرو: ويلَكما! أنتما عرَّضتماني لها وأسمعتماني ما أكره، ثم قال لها: يا خالة، اقصدي أنا الفداء لك لحاجتك ودعي عنكِ أساطير النِّساء"[٢].

يكتسب الحوار السَّابق قيمته الإقناعيَّة من ثلاثة أوجه؛ أمَّا الأوَّل منها فمصدره دوافع الغضب ومسبِّباته، فعندما تعرَّض عمرو ومروان لأروى بنت الحارث ليضعا لها حدًّا للتَّوقُّف عن كلامها المؤذي للخليفة غضِبت أروى بنت الحارث عادَّةً أقوالهما شتيمةً لها وازدراءً بها، فقولهم: (عجوز ضالة، ساخ بصرك، ذهب عقلك) يُشعِرها بألم، "فالنَّاس يزدرون ممَّا ليس بذي شأن، ويتهاونون بما يعدُّونه عديم القيمة، فلا ينال أيَّ شرف"[٣]، وهذا الألم يصحبه لذَّة تتمثل في "الأمل في الانتقام الذي سيجيء؛ إذ من اللَّذيذ أن يعتقد الإنسان أنَّه سيحصل على ما يتشوَّق إليه"[٤]، وتحقَّقت هذه اللَّذَّة فكانت ردودها عليهم قاسيةً جدًّا تؤذيهم في منبتهم.

وأمَّا الوجه الثَّاني فيتعلَّق بالمغضوب عليه، وهو معاوية بن أبي سفيان، فالمرأة

(١) أي: الغَيْرَى الغَضْبى، فكأن جوفها يغلي من الغيظ؛ فالوافدة تشتم عمرو بن العاص بأُمِّه بهذه اللفظة. وفي بعض الروايات: (يا ابن اللَّخْناء).

(٢) ينظر: العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٤٩-٥٠.

(٣) ينظر: أرسطو، "الخطابة"، ١٠٥-١٠٦.

(٤) أرسطو، "الخطابة"، ١٠٤.

توجَّه ملامُها إليه؛ إذ ينبغي عليه أن يوقفهما عن الإساءة وإلحاق الأذيَّة بها، أمَّا الوجه الثَّالث فيرتبط بسكون الغضب، فالسُّكون "تهدئة الغضب وكسر سورته"(١)، وقد تحقَّق لمعاوية تهدئة ثورة غضب المرأة من طريقين: يتجلَّى أوَّلهما في إسكاته لعمرو ومروان، فبسببهما نال ما لا يرضاه، ويكشف ثانيهما المعاملة القائمة على التَّوقير والاحترام، فبعد أن انتهى معاوية من معاتبة صاحبيه توجَّه بالحديث إليها مطالبًا إيَّاها بالإفصاح عمَّا جاءت له من أجله، فقد سكن غضبها وأدلت بطَلِبتها لمعاوية، فالنَّاس يسكنون "تجاه من يُسدُون إليهم خدماتٍ أكبر"(٢)؛ إذ هي أمارة تواضع في التَّعامل، لا دليل على ازدراء.

هكذا بدت حجَّة الباتوس وسيلةً إقناعيَّة في خطاب الوافدات على معاوية بما هو استثمار للعواطف النَّفسيَّة.

ولئن كان الإيتوس استثمارًا للمكوِّن الذَّاتيّ والباتوس استثمارًا للمكوِّن الانفعاليّ بوصفهما وسيلتَين إقناعيتَين في المقام الخطابيّ، فقد تعزَّز هذا الإقناع بطريقة ثالثة تستنِد إلى الخطاب.

(١) أرسطو، "الخطابة"، ١١٠.

(٢) أرسطو، "الخطابة"، ١١١.

المبحث الثَّالث: الإقناع باللوغوس

اللوغوس حسب أرسطو ثالث الحجج الصِّناعيَّة، ويتعلق بالخطاب ذاته، يقول عنه: "وأخيرًا فإنَّ الإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة"(١)، ومن بين المظانِّ التي يستمد منها الخطاب قدرته على الإقناع الأسلوب، يقول أرسطو: "وفي الحقيقة فإنَّ من ضروب الأقاويل الخطبيَّة التي تُكتب إنمَّا تنتج من الأثر بواسطة الأسلوب التَّعبيريِّ أكثر مما تحدث بالفكر"(٢)، ثمَّ يبيِّن أهمِّيَّة جودة العبارة وتحسينها وما تؤدِّيه من دور في عمليَّة الإقناع قائلًا: "لا يكفي أن يعرف المرء ماذا يجب عليه أن يقوله، بل عليه أيضًا أن يعرف كيف يقوله، وهذا يسهم كثيرًا في جعل الكلام يظهر ذا طابع معين"(٣).

وقد خصَّص أرسطو حديثه في المقالة الثَّالثة من كتابه (الخطابة) عن الأسلوب وما يتعلَّق به.

أمَّا بيرلمان –بمعيَّة تيتكا– فقد استفاد من هذا التَّصوُّر الأرسطيِّ حينما أعاد قراءة بلاغة أرسطو في مؤلَّفهما (مصنَّف في الحجاج)، مؤكدًا على أنَّ السَّامع هو العنصر المستهدَف في البلاغة الإقناعيَّة، "فالقاعدة العامَّة والمبدأ الأساس في التَّأثير في المستمع هو تكيُّف الخطيب مع مستمعه، وانطلاق الحجج من مسلَّماته وقوَّة الحجَّة رهينة بالكيفيَّة التي يتلقَّاها بها المستمع"(٤).

ولتعدُّد التَّصوُّرات واختلاف المناهج حول دراسة الحجج بوصفها مرتكَز الحِجاج الخطابيِّ فإنَّنا سنتبع في هذا المبحث تصور بيرلمان لسببين؛ "يعود الأوَّل إلى أنَّ تصور

(١) أرسطو، "الخطابة"، ٣٠.

(٢) أرسطو، "الخطابة"، ترجمة: قنيني، (ط١، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨)، ١٨١.

(٣) أرسطو، "الخطابة"، ١٩٣.

(٤) ينظر: الحسين بنو هاشم، "نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان"، ٣٨–٤١.

بيرلمان أشملَ التَّصوُّرات النَّظريَّة، وأشدَّها تماسكًا، وأكثرها نسقيَّة، وأقربها إلى الخطاب السَّرديّ، ويُعزى الثَّاني إلى تواتر الحجج التي نظَّر لها بيرلمان في خطاب كل شخصيَّة واقعيَّة أو تخيُّليَّة وهي تحاجُّ داعمةً أو داحضةً"(١).

ولمَّا تضمنت نصوص المدوَّنة المدروسة شخصيَّاتٍ متنوعةً في وضعيَّاتٍ تواصليَّةٍ مختلفة، فتباينت مواقفها وتضاربت آراؤها، وقد بلغت الخصومة مبلغ المواجهة والحرص على تبكيت الخصم والتَّشهير به؛ فإنَّنا سنعتمد في دراسة اللوغوس على النَّظر في الحجج الخطابيَّة التي أدلت بها الوافدات، وقد حرَصت كلُّ وافدة على البرهنة على صدق أطروحتها متوسِّلة حسب ما يقتضيه المقام بمختلف طرائق الحجج القائمة على الوصل، وهي على النَّحو الآتي:

أولًا: الحجج شبه المنطقيَّة

هذا النَّوع من الحجج "يتطلَّع إلى قوَّة معيَّنة للاقتناع بقدر ما تتحقَّق باعتبارها قابلةً للمقارنة مع الاستدلالات الصُّوريَّة المنطقيَّة أو الرِّياضيَّة، ومع ذلك فإنَّ الذي يُخضِعها للتَّحليل يلاحظ على الفور الفوارق بين الحِجاجات والبرهنات الصُّوريَّة؛ إذ إن الجُهد وحده لأجل اختزال وتدقيق من طبيعة غير صوريَّة يسمح بإكساب هذه الحجج مظهرًا برهانيًّا، هذا هو السَّبب الذي جعلنا نصفها بشبه المنطقيَّة"(٢). ويعد التَّضمين والمقارنة من أبرز الحجج شبه المنطقيَّة.

١-الإقناع بحجَّة التَّعدية:

تمتلك حجَّة التَّعدية "خاصيَّة صوريَّة لبعض العلاقات التي تسمح بالانتقال من تأكيد أنَّ نفس العلاقة التي تقوم بين طرفي (أ) و (ب) وبين طرفي (ب) و (ج) [تؤدِّي]

(١) ينظر: محمَّد النَّاصر كحولي، "الحجاج الخطابيُّ أسسه وتقنياته"، ١٢٩.

(٢) شاييم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتكا، "المصنَّف في الحجاج". ترجمة وتقديم: محمَّد الولي، (ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٢٣)، ٣٢١.

إلى الاستنتاج أنَّ هناك نفس العلاقة بين (أ) و (ج)، ومن بين العلاقات القائمة على التَّعدية علاقة التَّضمُّن"[١].

وحجة التَّضمين "تكتفي بمقابلة الكل مع واحدٍ من أجزائه، لا تنسب أيَّ خاصيَّة إلى بعض الأجزاء ولا إلى الكل؛ إنَّه يعامل باعتباره شبيهًا لكل واحدٍ من أجزائه، إنَّنا لا نستحضر إلَّا العلاقات التي تسمح بمقارنة شبه رياضيَّة بين الكل وأجزائه. إنَّ هذا يسمح بتقديم حججٍ قائمةٍ على الخطاطة (إنَّ ما يصلح للكل يصلح أيضًا للجزء)"[٢]، وبالقياس إلى ذلك فإنَّ ما يمنع الكل يمنع الجزء.

وقد وجدت سودة بنت عمارة حجَّة التَّضمين وسيلة الإقناع المثلى حين وفدت على معاوية وأمر بالإنصاف لها، فقالت: "أليَ خاصَّةً، أم لقومي عامَّةً؟ قال: وما أنتِ وغيركِ؟ قالت: هي والله الفحشاء واللؤم، إن لم يكن عدلًا شاملًا وإلا يسعني ما يسع قومي، قال: هيهاتَ، لَمَّظكم[٣] ابن أبي طالب الجرأة على السُّلطان ... اكتبوا لها ولقومها"[٤].

من الواضح في المثال السَّابق أنَّ رفض سودة قبول العطيَّة التي أمر بها الخليفة لها كان له تأثيرٌ في نفسه، فقد أقنعت الوافدة معاوية بن أبي سفيان بواسطة حجَّة التَّضمين؛ إذ هي جزء من قومها الذين هم من رعيَّة معاوية، فما منُع عن قومها عامَّة يُمنع عن واحدٍ منهم، فحملت المخاطَب على الاقتناع بأطروحتها والكتابة لها ولقومها. ولا تقل حجَّة المقارنة إقناعًا عن حجَّة التَّضمين.

(١) ينظر: شاييم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتكا، "المصنَّف في الحجاج"، ٣٦٣.

(٢) شاييم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتكا، "المصنَّف في الحجاج"، ٣٦٨.

(٣) أي: أعطاكم الجرأة، وتعودتم عليها.

(٤) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٧٠.

٢-الإقناع بحجَّة المقارنة:

المقارنة عمليَّة قياسيَّة تُبنى على رصد أوجه التَّشابه أو الاختلاف التي تبرِّر اختيار أحد العنصرين وترك الآخر، والحجاج كما يرى بيرلمان يتقدَّم بواسطة "اللجوء إلى المقارنة، حيث نواجه أشياء عديدة لتقويم أحدها في علاقته بالآخر، فعندما نقارن وقائع فيما بينها فإنَّ هذه المقارنة تبدو قابلة لكي تكون حجَّةً أكثر من مجرد إقرار للمشابهة. هذا الانطباع يصح لأنَّ فكرة الوزن متضمَّنة في هذه الأقوال حتى إن انعدم أيُّ معيارٍ لإنجاز هذا الوزن"(١).

وبمجرد أن تكون هذه "المقارنة بين عناصر غير مندرجة في نسق، فإنَّ أطراف المقارنة -ومهما كانت- تدخل في تفاعل أحدها مع الآخر"(٢).

وتنجَّز حجة المقارنة بمعايير، من بينها استعمال صيغة التَّفضيل التي تعُدُّ شيئًا ما أنَّه الأفضل أو أنَّه لا يقبل المقارنة، وتكتسب هذه الحجَّة في حال "اقترابها من البنيات الرِّياضيَّة جزءًا كبيرًا من قوتها الإقناعيَّة"(٣).

وقد وظَّفت أمُّ سنان بنت خيثمة حجَّة المقارنة في تفضيل عليّ بن أبي طالب ﷺ على معاوية حين وفدت على الأخير، فقالت: "كان والله عليٌّ أحبَّ إلينا منك إذ كان حيا وأنت في الأحياء أحبُّ إلينا من غيرك"(٤)، فالوافدة تقدِّم حجَّتها على قياس ظهر في كلمة (أحبَّ)، وتكررت في سياقين، يظهر في الأوَّل تفضيل عليٍّ ﷺ على معاوية، ويكمن مفعول الحجاج في هذا السياق في تنزيل المفضَّل (الممدوح) منزلة في المحبة أعلى من المفضَّل عليه، ويكتسب الاستعمال الثَّاني لصيغة التَّفضيل حجاجيَّته

(١) ينظر: شاييم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتكا، "المصنَّف في الحجاج"، ٣٨٢.
(٢) شاييم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتكا، "المصنَّف في الحجاج"، ٣٨٤.
(٣) ينظر: شاييم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتكا، "المصنَّف في الحجاج"، ٣٨٩.
(٤) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٢٥.

في تنزيل المخاطب، وهو معاوية ﷺ، منزلةً في الحب أعلى من غيره، ولكنَّ العلوَّ هذه المرة دون العلوِّ في المرَّة السَّابقة؛ إذ يتَّصل بالتَّعميم الذي يخلِّص المتكلِّم من تبعات أيِّ حكم يصدره، وبهذا أصبحت المقارنة حجَّةً شبهَ منطقيَّةٍ تمكِّن الإقناع في ذهن السَّامع بشكل أكبر.

ولئن اعتمدت الوافدات في الحجج شبه المنطقيَّة على حجَّتي التَّضمين والمقارنة فقد كان للحجج المؤسَّسة على بنية الواقع نصيبٌ في تدعيم الأطروحات.

ثانيًا: الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع

يقتضي هذا النَّوع من الحجج عند بيرلمان "الرَّبط بين أحكام مسلَّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولةً مسلَّمًا بها، وذلك بجعل الأحكام المسلَّم بها والأحكام غير المسلَّم بها عناصر تنتمي إلى كلٍّ واحدٍ يجمع بينها، بحيث لا يمكن التَّسليم بأحدها دون أن يُسلَّم بالآخر، ومن هنا جاء وصفها بكونها حججًا اتصاليَّة"(١). ولا يعنينا في إطار الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع ـ انطلاقًا من التَّعريف السَّابق ـ وصف الواقع وصفًا موضوعيًّا، وإنَّما المهم أنها "طريقة في عرض الآراء المتعلقة بهذا الواقع، ويمكن أن تكون هذا الآراء وقائع أو حقائق أو افتراضات"(٢)، ويتمُّ هذا التَّرابط بين الآراء بطريقتين هما: "الأولى علاقات التَّعاقب التي تربط بين مظاهر من مستوى واحد، وفي الثَّانية نربط بين أطراف متفاوتة المستوى فنكون حينئذ أمام علاقات التَّعايش"(٣).

(١) ينظر: عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات". (ط١، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١)، ٤٩.

(٢) عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، ٤٩.

(٣) ينظر: الحسين بنو هاشم، "نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان"، ٧١.

١- علاقات التَّعاقب:

تُستخدم الحجج القائمة على علاقات التَّعاقب لربط "ظاهرةٍ ما إمَّا بأسبابها أو بنتائجها. فنكون أمام ثلاثة أضرب من الحجاج: حجاج يسير في اتجاه البحث عن أسباب ظاهرةٍ ما، فإذا تعلَّق الأمر بأفعال عمديَّة يكون البحث عن الأسباب مصحوبًا بالبحث عن دوافعه. حجاج يرمي إلى تحديد آثار ظاهرةٍ ما. حجاج يرمي إلى تقييم حدَثٍ ما بواسطة نتائجه"(١). ومن بين حجج علاقات التَّعاقب الواردة في نصوص المدوَّنة الوصل السَّببيُّ.

- **حجَّة السَّببيَّة:**

ويُقصد بها عند بيرلمان "الحجَّة التي يحصل بها تقويم عملٍ ما أو حدثٍ ما، باعتبار نتائجه الإيجابيَّة أو السَّلبيَّة"(٢)، وعمل هذه الحجَّة يعتمد على "الرَّبط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببيٍّ، بحيث يسمح الرَّابط السَّببيُّ بالمرور في الاتجاهين، أي من السَّبب إلى النَّتيجة من قَبيل: اجتهدَ فنجحَ، أو يمر من النَّتيجة إلى السَّبب، كقول: نجح لأنَّه اجتهد"(٣).

وقد وردت الحجَّة السَّببيَّة في جواب دارميَّة الحجونيَّة عندما سألها معاوية عن حبِّها لعليٍّ ﷺ وموالاتها له وبُغضها إيَّاه: "علامَ أحببتِ عليًّا وأبغضتِني ووالِيتِه وعاديتِني؟ قالت: أوَ تعفيني يا أميرَ المؤمنين؟ قال: لا أعفيك، قالت: أمَّا إذا أبيتَ فإنِّي أحببتُ عليًّا على عدله في الرَّعيَّة وقسمه بالسَّويَّة، ... قالت: يا هذا بهند... قال: يا هذه اربعي فإنا لم نقل إلَّا خيرًا"(٤).

(١) الحسين بنو هاشم، "نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان"، ٧١.
(٢) عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، ٥٠.
(٣) ينظر: عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، ٥٠.
(٤) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٤٠- ٤١.

قدَّمت دارميَّة الحجونيَّة سلسلةً من الأسباب التي كشفت بها عن حبِّها لعلي ﷺ وموالاتها له وبغضها للسامع، وهو معاوية بن أبي سفيان ﷺ، ومعاداتها إياه، ولمَّا كان الحجاج في الحالتينِ يمرُّ من النَّتيجة إلى السَّبب فإنَّنا سنكتفي بترتيب المتوالية السَّببيَّة المتعلِّقة بحبِّها لعليٍّ ﷺ وولائه له، وأمَّا البغض فهو قياس على سابقه، وذلك على النَّحو الآتي:

- كان حبُّها لعليٍّ ﷺ بوصفه الخليفةَ المثاليَّ، مستنِدةً في ذلك إلى مبدأ الإنصاف والعدل والاهتمام بالرَّعيَّة.
- اللواء المعقود لعلي ﷺ من رسول الله ﷺ، إضافة إلى عطفه على المحتاجين وتعظيمه للدِّين وأهله، تلك هي أسباب ولائها له.

لقد تمكَّنت دارميَّة باستعمالها الوصل السَّببيَّ من إقناع معاوية ﷺ بموقفها تجاه عليٍّ ﷺ دون أدنى شكٍّ، فكلُّ ما تحدَّثت به من مبرِّرات حبِّها كان حجَّةً مقنعةً للسَّامع، ويدل على ذلك تقبُّله لوجهة نظرها، بل وسؤالها إن كان لها حاجة فيقضيها، ومن هنا "كان للحجَّة [السَّببيَّة] تأثير مباشر في توجيه السُّلوك، وعُدَّت من أهم وسائل الحجاج"(١)، إنَّها لا تقتصر على تقييم النَّتائج، بل توجِّه العمل أيضًا. وعلى خلاف دارميَّة تقابلنا أمُّ البراء بنت صفوان، وقد آثرت الاحتجاج بروابط التَّعايش.

٢– علاقات التَّعايش:

تجمع طبيعة علاقات هذا النَّوع "بين واقعتين متفاوتتي المستوى، حيث تُطرح إحداهما بوصفها تعبيرًا أو تجلِّيًا للأخرى، والنَّموذج الأصليُّ لهذه العلاقة هو الصِّلة الموجودة بين الشَّخص وتجلياته"(٢). ومن أبرز مظاهر هذه العلاقة حجَّة السُّلطة.

– حجَّة السُّلطة:

وهي السُّلطة التي تغذِّيها "هيبة شخص أو مجموعة أشخاص لدفع المخاطَب إلى

(١) عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، ٥٠.

(٢) الحسين بنو هاشم، "نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان"، ٧٦.

تبنّي دعوى ما. وتتنوَّع حجج السُّلطة تنوُّعًا كبيرًا، فقد تكون الإجماعَ أو الرَّأي العامَّ تارَةً، وقد تكون فئاتٍ من النَّاس أحيانًا أخرى، كالعلماء والفلاسفة ورجال الدِّين والأنبياء، وقد تكون السُّلطة غير شخصيَّة، كالفيزياء أو الكتب المنزَّلة، وقد تكون أحيانًا سلطة معيَّنة بالاسم. ولا ترِد حجَّة السُّلطة في الحجاج وحيدةً وإنَّما تأتي مكمِّلة لحجج أخرى، كما يحرص مستعمِلُها على الرَّفع من قيمة السُّلطة التي تنسجم مع دعواه والغضِّ من سلطة الخصم؛ لأنَّه في الجدال لا تناقش حجَّة السُّلطة بل السُّلطة المستند إليها"(١).

وتُعَد حجَّة السُّلطة أكثر أنواع الحجج تواترًا في خطاب الوافدات، وقد اتَّخذت أشكالًا متعدِّدةً، كالاستدلال بالكتب المنزلة أو بالمشترَك الإنسانيّ. ومن أمثلة الاستدلال بالقرآن الكريم ما دار بين معاوية وأمِّ البرَاء بنت صفوان في الحوار التَّالي: "قال[معاوية]: شتَّان بينكِ اليوم وحين تقولين... قالت: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، ومثلك من عفا، والله تعالى يقول: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، قال: هيهات..."(٢).

تستمد حجَّة السُّلطة طاقتها الحجاجيَّة عبر المسلَّمات المشتركة بين المتخاطبَيْن، فقد أكَّد بيرلمان أنَّ شرط الحجاج "هو ألا يختار الخطيب نقطة انطلاق حجاجه إلَّا من مقدِّمات مقبولة ومسلَّم بها من قِبل من يوجَّه إليهم الخطاب. فالهدف من الحجاج ليس تقديم الدَّليل على صدق النَّتيجة انطلاقًا من صدق المقدِّمات، كما هو عليه الأمر في البرهنة الصُّوريَّة، بل الهدف هو نقل الاعتناق الحاصل حول المقدِّمات إلى النَّتائج"(٣).

فالطَّرفان يشتركان بذات المسلَّمة، وهي اعتناق الإسلام والإيمان بالقرآن الكريم، ومن هذا كان اختيار أمِّ البراء في توظيف حجَّة من القرآن الكريم لتدعيم أطروحتها في

(١) الحسين بنو هاشم، "نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان"، ٧٩.

(٢) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٤٤- ٤٥.

(٣) الحسين بنو هاشم، "نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان"، ٤١.

طلب العفو عمَّا بدر منها، ولتأخذ هذه الحجَّة قوَّتها جاء إقرار الوافدة بسلطة غير قابلة للنِّقاش، وهي السُّلطة الإلهيَّة في قولها: (والله تعالى يقول)، ويظهر مفعول هذه الحجَّة في إقناع أمِّ البراء للسَّامع بصدق القضايا ووجوب التَّسليم بها؛ لأنَّها تمارس أعلى السُّلطات وأقواها عليه، وهي السُّلطة الدِّينيَّة.

ولم يقتصر الحجاج في خطاب الوافدات على الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع، وإنما حملت السَّامع على الاقتناع اعتمادًا على ضربٍ ثالث من حجج الاتصال.

ثالثًا: الحجج المؤسِّسة لبنية الواقع

يرى بيرلمان أنَّ حجج هذا النَّوع من الحجج القائمة على الوصل تُؤسَّس بشكلين، هما: "التَّأسيس بالحالة الخاصَّة أو الاستدلال بواسطة التَّمثيل"(١)، ومدار اهتمامنا هنا هو تأسيس الواقع بالحالة الخاصَّة لوروده في المدوَّنة، ومن بينها حجَّة الشَّاهد.

– حجَّة الشَّاهد

تقتضي المحاجَّة بواسطة الشَّاهد "افتراض وجود انتظام أو اطِّراد لما يوفر الشَّاهد تجسيدًا له، فهو يسعى إلى إثبات قاعدة؛ إذ يبحث انطلاقًا من حالةٍ خاصَّة عن القانون أو البنية التي تكشف عنها هذه الحالة"(٢)

وقد يتمُّ الحجاج بالشَّاهد عبر "المرور من حالةٍ خاصة إلى قاعدةٍ عامَّةٍ، وربما كان القصد المرور من حالة خاصَّة إلى أخرى خاصَّة"(٣).

ومن أمثلة توظيف حجَّة الشَّاهد خبر معاوية مع سودة حين اشتد الحوار بينهما حول موقفها وموقف أخيها يوم صِفِّين، فقال معاوية: "ما مثل مقام أخيكِ يُنسى، وما

(١) ينظر: شاييم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتكا، "المصنَّف في الحجاج"، ٥٢١، ٥٤٨؛ عبد الله صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، ٥٤، ٥٦.

(٢) الحسين بنو هاشم، "نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان"، ٨٣.

(٣) ينظر: الحسين بنو هاشم، "نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان"، ٨٤.

لقِيتُ من أحدٍ ما لقِيتُ من قومكِ وأخيكِ. قالت [سودة]: صدَقتَ والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخي خفيَّ المقام ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

وإنَّ صخرًا لتأتمُّ الهداةُ به *** كأنَّه عَلَمٌ في رأسِه نارُ

قال: صدقتِ، لقد كان كذلكِ، فقالت: مات الرأس وبُتر الذَّنَب، وبالله أسأل أمير المؤمنين استعفائي مما استعفيته"(١).

يكتسب هذا الخبر قوَّته الحجاجيَّة من وجهين: فهو من وجهٍ يمثِّل حالةً خاصَّةً جيء بها لتأسيس قاعدةٍ عامَّة يمكن تقديرها: امنح العفو لمن يطلبه، وأمَّا الوجه الثَّاني فيتَّصل بالمرور من حالةٍ خاصَّةٍ إلى حالةٍ خاصَّةٍ أخرى دون التَّصريح بالقاعدة، ويُستنتج ذلك من خلال ذكر سودة لامرأة عربيَّة يعرفها السَّامع وهي الخنساء، وقد اشتهرت بحبّها لأخيها صخرٍ، وهو استشهاد بما يعرفه معاوية بن أبي سفيان ﷺ لتقوية إقناعه بما كان منها تجاه أخيها.

(١) العبَّاس بن بكَّار الضبي، "أخبار الوافدات من النِّساء على معاوية ﷺ"، ٦٨.

الخاتمة

توصَّلت الدِّراسة إلى عددٍ من النتائج، أهمُّها ما يأتي:

١- تنوَّعت الأدوات الحجاجيَّة في نصوص الدِّراسة للخطابة العربيَّة بكونها خطابًا إقناعيًّا بامتياز.

٢- أنَّ الحجاج كان سبيل الوافدات اللَّائي قصدنَ معاوية ﷺ لرفع مظلِمة أو قضاء حاجة، باستثناء دارميَّة الحجونيَّة فلم تفِد إليه، بل أرسل معاوية في طلبها.

٣- كان لحجَّة الإيتوس دورٌ مهمٌّ في الإقناع، فالخطيب لم يعرض صورته بشكل صريح، بل كثيرًا ما كان يعتمد على الإيتوس المضمر تاركًا للسَّامع استنتاج صور الإيتوس المتنوِّعة الثَّاوية في خطابه عبر وسائل لُغويَّة وأسلوبيَّة.

٤- أدَّت حجَّة الباتوس مفعولًا حجاجيًّا قوِيَ تأثيره في السَّامع نتيجة استثارة عاطفةٍ ما، فتكون سبيلًا للتأثير في العقل، ومن ثَم يتغيَّر موقف السَّامع فيستجيب لما يعرضه الخطيب من أطروحات ورؤى.

٥- تركَّز الحجاج في خطاب الوافدات على استثارة العاطفة بنوعيها: (المحمود، والمذموم)، مع ملاحظة طغيان العواطف الإيجابية على نظيرتها السَّلبية، ويتعلق هذا الطغيان بالأسباب الدَّاعية إلى استثارة العاطفة.

٦- تكشف حجَّة اللوغوس براعة المرأة العربيَّة في استعمالها حجَّة السُّلطة بالقرآن الكريم، وهي حجَّة لا تقبل النِّقاش، فتحمي بذلك أطروحتها من أيِّ ردٍّ أو استهزاء. من ناحيةٍ أخرى يدلُّ توظيفها للحجَّة السَّببيَّة على جعل النتيجة المقصودة محلَّ تأثير في السَّامع وموضعَ إفحامٍ له.

٧- تتكامل هذه الدِّراسة مع دراسات سبقتها وهي بعنوان: أساليب الحجاج في جمهرة خطب العرب دراسة بلاغية فقد أضافت الدراسة الحالية إلى سابقتها الحجاج بالإيتوس في خطاب معاوية رضي الله عنه والباتوس في خطاب الوافدات عليه.

٨- كشف تعدُّد الدِّراسات بمناهج مختلفة عن ثراء النصِّ العربيّ؛ فدراسة: الاحتجاج النسائي كأداة دعائية في العصر الأموي، سلَّطت الضوء على سلوك المرأة العربية في التعبير عن رأيها ومشاعرها في مواجهة ما يقابلها من أزمات. ثم جاءت الدراسة الحالية لتكون امتدادًا لسابقتها، فتنظر في الكيفية التي توظِّف فيها المرأة هذه المشاعر، وتبيان المصادر التي تكتسب العاطفة منها قوتها الإقناعية.

٩- اتَّضح من خلال الدِّراسة الحواريَّة المتَّبعة، تكامل الوسائل الإقناعيَّة الثلاث في الوصول إلى تغيير موقف السامع، ومن ذلك ما دار بين أم البراء ومعاوية ﷺ؛ فالأولى تمثِّل باتوس الشفقة، حين أجابت معاوية عن حالها التي ضعفت بعد قوة، وكسلت بعد نشاط. وبرز أمير المؤمنين معاوية بإيتوس الحاكم العادل، فقد قضى حاجتها مع علمه بمعارضتها لولايته، واستندت أم البراء في خطابها إلى حجة السُّلطة الدينية.

إنَّ هذه الاستنتاجات التي أدلت بها الدِّراسة تؤكِّد أنَّ النَّصَّ الحواريَّ ذو بعدٍ إقناعيٍّ ما زال بحاجةٍ إلى مزيد عناية بحثيَّة، ولعلَّ دراسة تتغيَّا الاهتمام بقوانين التحادث في خطاب المرأة السُّعوديَّة خاصَّة والمرأة العربيَّة بصفة عامَّة، واستنطاق بلاغته الإقناعيَّة والإمتاعيَّة وَفق اتجاهات التَّداوليَّة المتعددة بدراسة مستقلَّة، وهذا ما نوصي به.

المصادروالمراجع

الكتب:

أعراب، حبيب. "الحجاج والاستدلال الحجاجي". (ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠).

بوربيا جورجيانا. "الإيتوس أو بناء الهوية في الخطاب". ترجمة: أحمد الوظيفي، (ط١، المملكة المغربية، مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٩).

بيرلمان، شاييم وتيتكا لوسي أولبريخت. "المصنَّف في الحجاج". ترجمة وتقديم: محمَّد الولي، (ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٢٣).

التَّوحيدي، أبو حيان. "الإمتاع والمؤانسة". تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، (ط١، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧).

الجرجاني، عبد القاهر. "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط٣، القاهرة، مطبعة المدني، ١٤١٣هـ).

الذهبي، محمد. "سير أعلام النبلاء". تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨).

الزماني، كمال. "الحجاج بالإيتوس في الخطاب السياسي". (ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٩).

السكاكي، أبو يعقوب. "مفتاح العلوم". تحقيق: حمدي محمد قابيل، (القاهرة، المكتبة الوقفية، د.ت).

سلوان، توماس أ. "موسوعة البلاغة". ترجمة: نخبة من الباحثين، إشراف: عماد عبد اللطيف، مراجعة: عماد عبد اللطيف ومصطفى لبيب، (ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠١).

شارودو باتريك ومنغنو دومينيك. "معجم تحليل الخطاب". ترجمة: عبد القادر المهيري

وحمادي صمود، (ط١، تونس، دار سيناترا، ٢٠١٣).
الشَّبعان، علي. "الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطَّبري". (ط١، تونس، مسكيلياني للنَّشر والتَّوزيع، ٢٠٠٨).
صولة، عبد الله. "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات". (ط١، تونس، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١).
الضَّبِّيّ، العباس بن بكار. "الوافدات من النساء على معاوية ﷺ". تحقيق: سكينة الشهابي، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ).
طاليس، أرسطو. "الخطابة". ترجمة: عبد الرحمن بدوي، (ط٢، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامَّة، ١٩٨٦).
طاليس، أرسطو. "الخطابة". ترجمة: قنيني، (ط١، الدَّار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨).
الطَّبراني، أبو القاسم. "المعجم الكبير". تحقيق: حمدي السلفي، (ط٢، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ).
عبيد، حاتم. "في تحليل الخطاب". (ط، تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، ٢٠٠٥).
فروش، ستيفن. "المشاعر". ترجمة: عبد الله عسكر، (ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥).
القرطاجني، حازم. "منهاج البلغاء وسراج الأدباء". تحقيق: محمد الحبيب خوجة، (ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١).
ابن كثير، إسماعيل. "البداية والنهاية". (ط٣، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ).
كحولي، محمَّد النَّاصر. "الحجاج الخطابي أسسه وتقنياته من خلال ثمرات الأوراق لابن حجَّة الحموي"، (ط١، تونس، زينب للنَّشر والتَّوزيع، ٢٠١٧).
مشبال، محمَّد. "في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطابات".

(ط١، الأردنُّ، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٧).
ابن منظور، محمَّد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٨، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٨).
منغنو، دومينيك. "مشكلات الحجاج بواسطة الإيطوس من البلاغة إلى تحليل الخطاب". ترجمة: حسن المودن، (ط١، الأردنُّ، دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٢).
المودن، حسن. "بلاغة الحجاج– الحجاج بالإيطوس والباطوس بحوث وترجمات". (ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٢).
بنو هاشم، الحسين. "بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية". (ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٤).

الدَّوريَّات:

الزماني، كمال. "الإيتوس المفهوم والتحولات". *مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانيَّة*، ٤: ٩، (٢٠٢١): ٧٣، ٧٨.
عبيد، حاتم. "منزلة العواطف في نظريات الحجاج". *مجلة عالم الفكر*، ٢، (٢٠١١): ٢٤٣-٢٤٤، ٢٦٣.
العزاوي، أبو بكر. "الحجاج في اللغة والبلاغة (ديكرو وبيرلمان أنموذجًا)". *مجلة فصول*، ١٠١، (٢٠١٧): ٤٠٣.
العمري، محمَّد. "المغالطة في فضاء الاحتمال". *مجلة سياقات اللغة والدراسات البينيَّة*، ٥، (٢٠١٧): ١.

Bibliography

Books:

al-Ḍabbī, al-ʿAbbās ibn Bakkār. "Al-Wāfidāt min al-Nisāʾ ʿalā Muʿāwiya". Investigated by Sukayna al-Shihābī. (1st ed. Beirut: Muʾassasat al-Risāla, 1403 AH).

al-Dhahabī, Muḥammad. "Siyarr Aʿlām al-Nubalāʾ". Investigated by Shuʿayb al-Arnāʾūṭ. (2nd ed. Beirut: Muʾassasat al-Risāla, 2008).

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir. "Dalāʾil al-Iʿjāz". Investigated by Maḥmūd Muḥammad Shākir. (3rd ed. Cairo: Maṭbaʿat al-Madanī, 1413 AH).

al-Mūdan, Ḥasan. Balāghat al-Ḥijāj: al-Ḥijāj bi-l-Īṭūs wa-al-Bāthūs Buḥūth wa-Tarjamāt. 1st ed. al-Urdunn: Dār Kunūz al-Maʿrifa, 2022.

al-Qarṭājannī, Ḥāzim. "Minhāj al-Bulaghāʾ wa-Sirāj al-Udabāʾ". Investigated by Muḥammad al-Ḥabīb Khūja. (2nd ed. Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1981).

al-Sakkākī, Abū Yaʿqūb. "Miftāḥ al-ʿUlūm". Investigated by Ḥamdī Muḥammad Qābīl. (Cairo: al-Maktaba al-Waqfiyya, n.d).

al-Shabʿān, ʿAlī. "Al-Ḥijāj bayna al-Manwāl wa-al-Mithāl: Naẓarāt fī Adab al-Jāḥiẓ wa-Tafsīrāt al-Ṭabarī". (1st ed., Tunis: Maskīlyānī lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 2008).

al-Ṭabarānī, Abū al-Qāsim. "Al-Muʿjam al-Kabīr". Investigated by Ḥamdī al-Salafī. (2nd ed. Cairo: Maktabat Ibn Taymiyya, 1415 AH).

al-Tawḥīdī, Abū Ḥayyān. "Al-Imtāʿ wa-al-Muʾānasa". Investigated by Aḥmad Amīn and Aḥmad al-Zayn. (1st ed., the United Kingdom: Muʾassasat Hindāwī, 2017).

al-Zammālī, Kamāl. Al-Ḥijāj be-al-Īṭūs fī al-Khiṭāb al-Siyāsī. (1st ed., Jordan: ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth, 2019).

Aʿrāb, Ḥabīb. "Al-Ḥijāj wa-al-Istidlāl al-Ḥijājī". (1st ed., Jordan: ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth, 2010).

Arisṭū. "Al-Khiṭāba". Translated by ʿAbd al-Raḥmān Badawī. (2nd ed., Baghdād: Dār al-Shuʾūn al-Thaqāfiyya al-ʿĀmma, 1986).

Arisṭū. "Al-Khiṭāba". Translated by Qanīnī. (1st ed., Casablanca: Ifrīqiyā al-Sharq, 2008).

Banū Hāshim, al-Ḥusain. "Balāghat al-Ḥijāj: al-Uṣūl al-Yūnāniyya". (1st ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥida, 2014).

Bourbia, Georgiana. "Ethos, or the Construction of Identity in Discourse".

Translated by Ahmad al-Wazīfī. (1st ed., Kingdom of Morocco, Mu'minūn belā Ḥudūd, 2019).

Charaudeau, Patrick & Maingueneau, Dominique. " - Dictionary of Discourse Analysis". Translated by ʿAbd al-Qādir al-Mahīrī and Ḥammādī Ṣumūd. (1st ed., Tunis: Dār Sīnatrā, 2013).

Frosh, Stephen. "The Feelings". Translated by ʿAbdullāh ʿAskar. (1st ed., Cairo: al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjama, 2015).

Ibn Kathīr, Ismāʿīl. "Al-Bidāya wa-al-Nihāya". (3rd ed. Damascus: Dār Ibn Kathīr, 1434 AH).

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. "Lisān al-ʿArab". (8th ed., Beirut: Dār Ṣādir, 2008).

Kaḥūlī, Muḥammad al-Nāṣir. " The Foundations and Techniques of Rhetorical Argumentation in Ibn Ḥijjah al-Ḥamawī's Thamarāt al-Awrāq" (in Arabic). (1st ed., Tunis: Zainab Publishing and Distribution, 2017).

Maingueneau, Dominique. "Issues in Ethos-Based Argumentation: From Rhetoric to Discourse Analysis". Translated by Ḥasan al-Mūdan. (Ṭ1, al-Urdunn: Dār Kunūz al-Maʿrifa, 2022).

Mishbāl, Muḥammad. "On the Rhetoric of Argumentation: Toward a Rhetorical-Argumentative Approach to Discourse Analysis" (in Arabic). (1st ed., Jordan: Dār Kunūz al-Maʿrifa, 2017).

Perelman, Chaim & Olbrechts-Tyteca, Lucie. "A Treatise on Argumentation". Translated with a by Forewordby Muḥammad al-Walī. (1st ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥida, 2023).

Ṣūla, ʿAbdullāh. "In Argumentation Theory: Studies and Applications" (in Arabic). (1st ed., Tunis: Maskīlyānī for publication, 2011).

Sulwān, Thomas A. "Encyclopedia of Rhetoric". Translated by a group of researchers, supervised by ʿImād ʿAbd al-Laṭīf; revised by ʿImād ʿAbd al-Laṭīf and Muṣṭafā Labīb. (1st ed., Cairo: National Center for Translation, 2001).

ʿUbaid, Ḥātim. "On Discourse Analysis" (in Arabic). (Tunis, Faculty of Arts and Humanities in Sfax, 2005).

Periodicals:

al-Zammālī, Kamāl. "Ethos: Concept and Transformations," Journal of Arts,

Languages and Humanities" (in Arabic), 4(9), (2021): 73, 78.

ʿUbaid, Ḥātim. "The Status of Emotions in Argumentation Theories" (in Arabic). ʿĀlam al-Fikr journal, 2, (2011): 243–244, 263.

al-ʿAzzāwī, Abū Bakr. "Argumentation in Language and Rhetoric (Ducrot and Perelman as Models)", (in Arabic) Fusūl Journal, 101, (2017): 403.

al-ʿUmārī, Muḥammad. "Fallacy in the Space of Probability", (in Arabic). Journal of Language Contexts and Interdisciplinary Studies, 5, (2017): 1.

جماليات الفوضى والنّظام الخفيّ
في لزوميات أبي العلاء المعرّي (قراءة جمالية تأويلية)

The Aesthetics of Chaos and the Hidden Order in Abu al-Ala al-Ma'arri's Luzumiyyat A Hermeneutic-Aesthetic Reading

د. مطير بن سعيد الزهراني

أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الباحة –المملكة العربية السعودية

البريد الإليكتروني: mszahrani@bu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
04/01/2026		12/04/2026

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-010

المستخلص:

يتناول هذا البحث جماليات الفوضى في لزوميات أبي العلاء المعرّي بوصفها نسقًا جماليًا وفكريًا فاعلًا في إنتاج المعنى، من خلال قراءة جمالية تأويلية تُعنى باستكشاف انتظامها الداخلي وما تنطوي عليه من توتر دلالي خفي. ويقارب البحث الفوضى بوصفها بنية تتشكّل عبر الشك والمفارقة وبعض الظواهر الأسلوبية المرتبطة بالانزياح، مثل التكرار، بما يكشف عن وعي شعري يعيد تشكيل الدلالة خارج المسارات الخطية التقليدية.

ويعتمد البحث تحليل نماذج مختارة من اللزوميات للكشف عن تحوّل الفوضى الفكرية واللغوية والإيقاعية إلى آلية جمالية منتجة، تسهم في إعادة بناء العلاقة بين العقل واللغة والوجود داخل الخطاب الشعري عند المعرّي.

وينتهي البحث إلى قراءة ترى أن جماليات الفوضى في اللزوميات تمثّل بنية واعية تنتظمها قوانين داخلية، أسهمت في تشكيل خطاب شعري عميق يعكس فلسفة تقوم على الشك المعرفي والانضباط العقلي، وتفتح أفقًا تأويليًا يتيح قراءة النص في ضوء تداخل المستويات الجمالية والفكرية، ويعزّز من إمكانات الشعر العربي في استيعاب مفاهيم جمالية مركبة ضمن سياقات نقدية حديثة.

الكلمات المفتاحية: جماليات الفوضى، أبو العلاء المعرّي، اللزوميات، التأويل، إنتاج المعنى.

Abstract:

This study examines the aesthetics of chaos in the Luzūmiyyāt of Abū al-ʿAlāʾ al-Maʿarrī as an aesthetic and intellectual system actively engaged in meaning production, through a hermeneutic-aesthetic reading concerned with uncovering its internal order and the latent semantic tension it embodies. The study approaches chaos as a structure shaped through epistemological doubt, paradox, and certain stylistic phenomena associated with deviation, such as repetition, thereby revealing a poetic consciousness that reconfigures meaning beyond linear modes of construction.

The research relies on the analysis of selected examples from the Luzūmiyyāt to demonstrate how intellectual, linguistic, and rhythmic chaos is transformed into a productive aesthetic mechanism that contributes to restructuring the relationship between reason, language, and existence within al-Maʿarrī's poetic discourse.

The study concludes with an interpretive reading that views the aesthetics of chaos in the Luzūmiyyāt as a conscious structure governed by internal laws, which have shaped a profound poetic discourse reflecting a philosophy grounded in epistemological doubt and rational discipline. It further opens a hermeneutic horizon that allows the text to be read through the interplay of aesthetic and intellectual dimensions, while enhancing the capacity of Arabic poetry to accommodate complex aesthetic concepts within contemporary critical frameworks.

Keywords: Aesthetics of Chaos, Abū al-ʿAlāʾ al-Maʿarrī, Luzūmiyyāt, Hermeneutics, Meaning Production.

المقدمة:

تمثّل لزوميات أبي العلاء المعرّي نصًّا شعريًا إشكاليًا في بنيته، لما ينطوي عليه من توتّرٍ أسلوبي وتعدّدٍ تأويلي أربك القراءة التقليدية، وقد تناولت الدراسات هذا التوتّر غالبًا من زوايا فكرية أو بلاغية جزئية، دون الالتفات إلى أنّه يقوم على منطق جمالي يعيد تنظيم المعنى عبر كسر النسق المألوف.

وينطلق هذا البحث من تصورٍ يرى الفوضى في اللزوميات نسقًا جماليًا واعيًا، تتأسس فيه الدلالة على توتّرٍ خفيّ بين الانفلات والضبط، ويغدو القارئ شريكًا في إنتاج المعنى.

مشكلة البحث:

تنبع مشكلة هذا البحث من غياب قراءة جمالية تأويلية نسقية تُفسّر ما في لزوميات أبي العلاء المعرّي من تعقيدٍ لغويّ وانكسارٍ أسلوبيّ واضطرابٍ دلاليّ، إذ غالبًا ما عولجت هذه الظواهر بوصفها انعكاساتٍ فكرية أو نفسية منفصلة، لا بوصفها نظامًا جماليًا منتجًا للمعنى.

ومن هنا تتحدد إشكالية البحث في سؤالٍ رئيس: كيف تتحوّل الفوضى في اللزوميات إلى بنية جمالية قائمة على نظامٍ خفيّ، يُعيد تنظيم المعنى ويجعل الانزياح إطارًا تتجلى من خلاله آليات مثل التناقض، بوصفها عناصر فاعلة في بناء الخطاب الشعري؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحليل البنية الجمالية للفوضى في لزوميات أبي العلاء المعرّي، من خلال تتبّع آليات اشتغالها داخل الخطاب الشعري، ورصد أنماطها الأسلوبية المرتبطة بالانزياح، كالتكرار والمفارقة والتقابل الدلالي، والكشف عن علاقتها بالبناء الفكري والفلسفي للشاعر، بما يتيح قراءة جمالية تأويلية نسقية تبرز كيفية إنتاج المعنى داخل هذا النسق، وتُسهم في سدّ فجوة بحثية تتعلّق بدراسة الفوضى بوصفها مكوّنًا

جماليًا فاعلًا في تشكيل الدلالة الشعرية.

مبرّرات اختيار الموضوع وأهميته:

تنبع أهمية هذا البحث من إسهامه في إعادة توجيه قراءة لزوميات أبي العلاء المعرّي من المقاربات الفكرية الجزئية إلى تحليل بنيتها الجمالية العميقة، بوصفها بنيةً داخليةً منتجةً للدلالة، كما يقدّم إطارًا تأويليًا يُسهم في فهم آليات تشكّل المعنى داخل النص الشعري، ويعزّز من حضور المقاربات النسقية في النقد الأدبي العربي، إلى جانب فتح أفق قرائي يتجاوز الأحكام الجاهزة المرتبطة بالتشاؤم أو الاضطراب، نحو إدراك أكثر تركيبًا لطبيعة التجربة الشعرية عند المعرّي.

الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات الحديثة لزوميات أبي العلاء المعرّي من زوايا معرفية وفكرية وبلاغية متعدّدة، دون أن تتناول جماليات الفوضى بوصفها بنية جمالية منظّمة. فقد ركّزت بعض الدراسات على البعد المعرفي، كما في دراسة محمد محمود ديور[١]حول الاستعارات المفهومية، ودراسة ثريا العباسي[٢] في الدلالات المعرفية، مع حضور فكري واضح مقابل غياب التصوّر الجمالي النسقي. واتجهت دراسات أخرى إلى

(١) محمد محمود ديور، "الاستعارات المفهومية في حقل الإنسان المفهومي في لزوميات أبي العلاء المعرّي: مقاربة معرفية"، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية ١٠، العدد ٤ (أكتوبر ٢٠٢٥م).

(٢) ثريا عبد الله عبد الباقي العباسي، "الدلالات المعرفية في شعر أبي العلاء المعرّي: اللزوميات أنموذجًا"، مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة، العدد ٥١ (أغسطس ٢٠١٢م).

المقاربة الفلسفية، مثل أعمال نبيلة نصّاح[٣] ونادية الصاعدي[٤] وأسماء بوسعيد[٥]، التي قرأت اللزوميات في إطار القلق الفكري والتأمّل الوجودي، دون النظر إلى الفوضى بوصفها خيارًا جماليًا واعيًا، كما عالجت بعض البحوث جوانب بلاغية جزئية، كدراسة محمد مشعالة[٦] في الصورة الشعرية، وأمل الفريدي[٧] في النسق الضدّي، أو أبعادًا نقدية ونفسية كما عند أيمن القبيسي[٨]، ومحمد حسن أمرائي[٩]، وهي مقاربات كشفت جوانب مهمّة من النص، لكنها لم تتناول الفوضى باعتبارها بنية تنظيميّة تُعيد بناء الدلالة الشعرية. ومن هنا تتحدّد إضافة هذا البحث في تقديم قراءة جمالية تأويلية للفوضى في اللزوميات بوصفها نسقًا منظِّمًا يحوّل التفكك الظاهري إلى اتساق دلالي عميق.

(٣) نبيلة نصّاح، "أبو العلاء المعرّي والتفكير الفلسفي في لزومياته"، مجلة التراث ٧، العدد ٤ (٢٠١٧م).

(٤) نادية الصاعدي، "أبو العلاء المعرّي والتفكير الفلسفي في لزومياته"، مجلة بحوث التربية النوعية –جامعة المنصورة، العدد ٢٦ (يوليو ٢٠١٢م).

(٥) أسماء بوسعيد، "أصول الفكر وهواجسه في لزوميات أبي العلاء المعرّي: دراسة وصفية تحليلية"، مجلة دراسات ١٣، العدد ٣١ (يوليو ٢٠٢٠م).

(٦) محمد مشعالة، "الصورة الشعرية في لزوميات أبي العلاء المعرّي"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد ٢١ (ديسمبر ٢٠٠٩م).

(٧) أمل بنت مليح الفريدي، "النسق الضدّي في ثنائيات أبي العلاء المعرّي: دراسة سيميائية"، مجلة كلية اللغة العربية بسيوط – جامعة الأزهر، العدد ٤٣، ج٢ (مايو ٢٠٢٤م).

(٨) أيمن علي جاسر القبيسي، "تجليات الموقف النقدي في الخطاب الشعري عند أبي العلاء المعرّي: اللزوميات أنموذجًا"، مجلة المهرة الإنسانية، العدد ١٤ (يونيو ٢٠٢٣م).

(٩) محمد حسن أمرائي، "ملامح النرجسية في أشعار أبي العلاء المعرّي في ضوء نظرية أوتو كرنبرغ"، مجلة إضافات نقدية ١١، العدد ٤١ (٢٠٢١م).

منهج البحث وخطته:

يعتمد البحث قراءة جمالية تأويلية بوصفها الإطار المنهجي الرئيس في تحليل لزوميات أبي العلاء المعرّي، من خلال قراءة النص في ضوء بنيته الداخلية وآليات اشتغاله، مع توظيف الوصف والتحليل بوصفهما أدوات إجرائية في تفكيك النصوص ورصد أنماطها الأسلوبية والدلالية، وتتوزّع خطة البحث على مقدمة، وتمهيد يتناول الإطار النظري لمفهوم الفوضى، وثلاثة مباحث: أولها يعالج الفوضى الفكرية بوصفها نظامًا للشكّ، وثانيها يدرس الفوضى اللغوية من خلال أنماط الانزياح والتقابل، وثالثها يتناول الفوضى الجمالية القائمة على المفارقة، وتُختتم الدراسة بخاتمة تجمع أبرز النتائج.

التمهيد: الفوضى من المفهوم إلى النسق:

نشأت نظرية الفوضى في سياقها الفلسفي قبل أن تنتقل إلى حقل الدراسات الإنسانية والنقدية والأدبية، حيث أُعيد النظر في هذا المفهوم بما يحرّره من دلالات العشوائية والاضطراب والخلل، ويكشف عن صلته بالنظام الخفي والجمالية اللغوية والنسق الفكري، ولا سيما في المقاربات الإنسانية. وفي هذا الإطار، يتيح التقريب اللغوي لمادة (**فيض**) مدخلًا دلاليًا كاشفًا يربط بين الجذر اللغوي للمصطلح وأبعاده المفهومية، تمهيدًا لتتبّع حضوره في الحقول الفلسفية ثم النقدية والأدبية، دون ادّعاء اشتقاق مباشر، وإنما على سبيل الإضاءة الدلالية، إذ تشير مادة (فيض) في المعاجم إلى الكثرة والامتلاء والتدفّق، كما في قولهم: "فاض صدر فلان بسرِّه إذا امتلأ "(١٠)، و"أفاض الناس من عرفة إذا دفعوا وذلك كجريان السَّيْل"(١١)، و"فاض الماء، أي كثر حتى سال على ضفة الوادي، وفاضت عينُه تفيضُ فيضًا إذا سالت، وفاض الماء إذا كثُر، والفيض النَّهر، ونهرٌ فيَّاض أي كثير الماء"(١٢).

ومن خلال التعريف المعجمي يتبيّن أن أصل استعمال لفظة (الفوضى) في اللسان العربيّ يدلّ على الكثرة والاتساع والاندفاع، وهي دلالات لا تنطوي في ذاتها على الاضطراب أو التشتت أو العشوائية، وإن كانت قد تنشأ عنها في بعض السياقات اللاحقة، فالوضع اللغوي يشير ابتداءً إلى الزيادة والمزاحمة وجريان العناصر، وهي

(١٠) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، "تهذيب اللغة"، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت)، ١٢: ٧٩.

(١١) أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ١: ٤٦٥.

(١٢) ابن منظور، "لسان العرب"، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ٥: ٣٥٠٠-٣٥٠٢.

خصائص قد تُفضي إلى التفرّق أو الخلط دون أن تفترض غيابًا أصليًا للنظام. ويقترب هذا المعنى من تعريف معجم أكسفورد للفوضى بوصفها "غياب تام للنظام"(١٣)، كما يلتقي مع تعريف أندريه لالاند في موسوعته الفلسفية حين عرّفها بأنها "خليط غامض من كل عناصر الكون قبل أن تقوم قوة بتنظيمها وترتيبها"(١٤)، إذ تُطلق الفوضى – وفق ذلك– ويراد بها "حالات غير منتظمة في سلوك العناصر المتفاعلة، يكون هذا التغيير فيها نتيجة اضطرابات خارجية عشوائية محيطة، وقد تكون هذه التغييرات غير محسوسة أو غير لافتة للإدراك"(١٥).

ولعلّ دلالة الاضطراب الملازمة للمفهوم هي ما مهّد لانتقاله إلى الحقل الفلسفي، حيث عُدّت الفوضى فرعًا فلسفيًا وعلميًا يدرس "السلوك المعقد وغير المنظم للعديد من النُّظم في الطبيعة والأفعال التي تسلك سلوكًا فوضويًّا لا يُمكن التَّنبُّؤ بنتائجه..."(١٦)، وقد تبلور هذا التصوّر في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ولا سيما في الفيزياء، مُحدثًا تحوّلًا في مسار العلم الغربي الذي انشغل طويلًا بالحساب الكميّ على حساب الكيف، ومن ثمّ غدت الفوضى عِلْمًا "يُعنى بالعمليات المتحركة أكثر من عنايته بالحالات الثابتة، ليكون علم ما قد يتحقق وما قد يكون أكثر من كونه علمًا قائمًا ومتحققًا فعلًا"(١٧).

(١٣) معجم أكسفورد، ١٣٩.

(١٤) أندريه لالاند، "موسوعة لالاند الفلسفية"، ترجمة خليل أحمد خليل، (بيروت: منشورات عويدات، ٢٠٠١م)، ١٦٨.

(١٥) نهال عبد الله عبد الرحمن غرابية، "جماليات الفوضى ودلالاتها في الشعر العباسي: أبو نواس وأبو تمام والمتنبي نموذجًا"، رسالة دكتوراه، (الجامعة الهاشمية، ٢٠٢٠م)، ٢٠.

(١٦) ابتسام بنت عبد الله بن مبارك الحجرية، "الفوضى الانفعالية في شعر المتنبي"، رسالة ماجستير، (جامعة نزوى، ٢٠١٠م)، ٣٠-٣١.

(١٧) غرابية، "جماليات الفوضى"، ١٠–١١.

وبدأ الاهتمام العلمي المنهجي بنظرية الفوضى في أوائل ستينات القرن العشرين مع أعمال إدوارد لورينز، حين أدخل أنماط حركة الطقس في حاسوب محدود الذاكرة، فلاحظ أن تغيّرًا طفيفًا في المعطيات يُفضي إلى اختلافات كبيرة في النتائج، وهو ما تجلّى بصريًا في شكل فراشة، ليظهر ما عُرف لاحقاً بـ " تأثير الفراشة الذي بقي حاضرًا إلى اليوم"(١٨)، وقد كشفت هذه النظرية أن كثيرًا من الأنساق التي بدت فوضوية تمامًا تنطوي في عمقها على قدر من النظام، وإن كانت أنساقًا غير خطية ومعقّدة، تخضع لقوانين يمكن – في مدى زمني محدود – استشراف مساراتها، بما يؤكد أن الظواهر الفوضوية لا تخلو من انتظام، بل تحتضن في بنيتها "نظامًا خفيًا مستورًا "(١٩).

ويُشير ذلك إلى أن الفوضى تمثّل سلوكًا في الطبيعة يتجاوز النماذج التفسيرية التي صاغها الإنسان في صورة قوانين ونظريات، دون أن يعني ذلك غياب التفسير أو انعدام النظام؛ إذ قد تنتج الظواهر الفوضوية عن مؤثّرات غير مدركة تعمل خارج الأطر المعرفية السائدة، لكنَّها تظل خاضعة لأنظمة أخرى لم تُكتشف بعد، ومن ثمّ، فإن الفارق بين الفوضى والنظام هنا فارق معرفي لا جوهري، إذ تُفهم الفوضى بوصفها نظامًا محكومًا بقوانين غير مُدركة، أو نظامًا غير واعٍ لم تتكشف آلياته بعد.

وتكشف لزوميات أبي العلاء عن حضورٍ واضح لما يمكن تسميته بالنظام اللاواعي، الكامن وراء تراكم معرفي واسع في فنون القول شكّل مرجعيته الأدبية واللغوية، وانعكس في بنية خطابه الشعري، ويتداخل هذا الرصيد المعرفي مع وعيٍ حادّ بالمجتمع وتناقضاته، بين التدين والزندقة، والزهد والترف، وغيرها من المفارقات التي أسهمت في تشكيل رؤية شعرية تُجسّد علاقة الشاعر بعالمٍ مأزوم، يتبدّى في مستواه العميق قريبًا من

(١٨) المرجع نفسه، ١١.

(١٩) إلياس بلكا، "الوجود بين السببية والنظام"، ط١، (الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٩م)، ٣٣٨.

منطق الفوضى الجمالية.

وقد تزامن حضور نظرية الفوضى في الحقل الأدبي مع التحوّل من البحث عن الوحدة والنظام إلى مساءلة منطق النسق ذاته؛ إذ أفضت النماذج العقلانية القائمة على الاستقراء والاستنباط إلى قراءة تُقصي الظواهر الدينامية المعقّدة، "لكن المبالغة في التجريد أدى إلى استبعاد الظواهر الدينامية المعقدة التي تخترق وحدة النظام وتشوش على منطق النسق، وبالمفارقات المفاجئة والتحولات اللاخطية كان لابد من ولادة نموذج نظري بديل يتمرد على مركزية النص وطبيعة النسق لتفعيل دينامية الظواهر العمائية المتحولة من حالة إلى أخرى، بفعل تغيرات غير منتظمة، وهو ما فعلته النظريات ما بعد البنيوية وخاصة التفكيكية"(٢٠).

ومن هذا المسار ارتبطت الفوضى بالمنهج التفكيكي، حيثُ "بزغت في الحقل النقدي بعدِّها حالة تغيير تُصيب المنظومة، وبكونها حركة تستعصي على التَّنبُّؤ، فهي غير ثابتة"(٢١)، كما حضرت في الدرس النقدي ضمن سياقات النقد الثقافي وتحليل الأنساق، وفي بعض مفاهيم الأسلوبية، وعلى رأسها الانزياح، وما يتصل به من آليات تفكيكية تستفزّ القارئ لاستقراء المدلولات وتتبع بنيات المعنى. ومن هنا "برزت مشروعية القراءات المتعددة، لأن النص يحفل بمناطق الصمت التي ينبغي على القارئ أن يملأها، وهذا ما يجعل القارئ يقوم بمهمة كتابة النص ثانية"(٢٢).

وتمثّل إعادة القارئ كتابة النص فعلًا تأويليًا ناتجًا عن انزياح الخطاب، إذ يعاد إدراج النص داخل نظام واعٍ يُمكن من استجلاء مراد الشاعر، ويكشف ذلك عن الصلة

(٢٠) محمد بوعزة، "هيرمينوطيقا المحكي: النسق والكاوس في الرواية العربية"، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، د.ت)، ٤٦.

(٢١) الحجرية، "الفوضى الانفعالية"، ٣١.

(٢٢) غرابية، "جماليات الفوضى"، ٢٧.

الوثيقة بين الفوضى والانزياح، الذي يعرّفه عبد الملك مرتاض بأنه: "المروق عن المألوف"(٢٣)؛ فالعلاقة بينهما، وإن بدت متعارضة في ظاهرها، تقوم في جوهرها على إعادة تنظيم الدلالة، حيث لا تعمل الفوضى على هدم المعنى، بل تتيح عبر الانزياح بعث المعاني المُزاحة، وإنتاجها داخل توتر لغوي مقصود.

وترتبط الفوضى في لزوميات أبي العلاء بمفهوم التنافر، إذ يولِّد الشاعر هذا الأثر عبر مزاوجة الجد بالدعابة، أو إيراد المديح مشوبًا بالسخرية، جامعًا أصواتًا متعدّدة داخل القصيدة على نحو مقصود، ويمكن فهم الفوضى، في هذا السياق، بوصفها تداخلًا خطيًا في الأنساق، يتجسّد فنيًا في بنية النص ذاتها، بما يرسّخ ما يمكن تسميته بقانونية الفوضى؛ حيث تنطلق القصيدة من استهلال محدد، وتتنامى نتائجها وفق نظام خفي، قد يفضي فيه أي اختلال أوّلِي طفيف إلى آثار غير متوقعة عبر سلسلة دلالية مفتوحة(٢٤)، ويظهر أثر هذا التصور بوضوح في تلقي لزوميات أبي العلاء، وما أثارته من تباين في تقويم إيمانه وسلامة فكره، نتيجة تداخل الفلسفة بالنقد الاجتماعي، والسخرية بالجد والهزل.

ومن هنا يمكن إجمال خصائص الفوضى التي يعتمدها البحث في قراءة لزوميات أبي العلاء المعرى في سمات رئيسة، أبرزها النظام الخفي، الذي يُقارب عبر الإيقاع والتكرار، واللاخطية المتجلية في بنية دلالية غير مستقرة لا تسير في مسار واحد، إضافة إلى الحساسية الابتدائية حيث تتبدل الدلالة بتبدل السياق، والاحتمال الدلالي القائم على انفتاح المعنى وتعدّد تأويلاته دون انغلاق على قراءة واحدة.

---

(٢٣) عبد الملك مرتاض، "شعرية القصيدة: قصيدة القراءة"، ط١، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٤م)، ١٣٠.

(٢٤) يُنظر: سوزان ناجي فيصل، "الفوضوية وتمثلاتها في فنون ما بعد الحداثة: دراسة تحليلية"، مجلة نابو للبحوث والدراسات، العدد ٥٢ (أكتوبر ٢٠٢٥م): ٨٤٣.

إنَّ الشعر العباسي، بوصفه مرآة لتحولات عصره السياسية والاجتماعية والفكرية، شهد حضورًا واضحًا لملامح الفوضى الجمالية واللغوية، تجلّت في اضطراب الدلالة، وتنامي التنافر الأسلوبي، وتكثيف المفارقات، وبرز ذلك عند شعراء مثل ابن الرومي وبشار بن بُرد وأبي تمام[٢٥]، في صور أسلوبية متعددة تتقاطع مع الانزياح، مثل التضاد وتعدد الأصوات، غير أنّ هذه الفوضى ظلّت في معظمها ظاهرةً أسلوبية جزئية، حتى بلغت ذروتها في القرن الرابع الهجري عند أبي العلاء المعرى، حيث تحوّلت من أثرٍ متفرّق إلى رؤية شعرية وفكرية واعية، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى تحليله في فصولها اللاحقة.

(٢٥) محمد عبد العزيز الموافي، "حركة التجديد في الشعر العباسي"، (القاهرة: مطبعة التقدم، د.ت)، ٢٠١.

المبحث الأول: الفوضى الفكرية- نظام الشكّ

يعدُّ الشك أحد أبرز الدوافع التي يُمكن من خلالها تفسير الفوضى الفكرية في لزوميات أبي العلاء المعرّي، ولاسيّما إذا كنا بصدد شاعر عاش توترًا حادًا بين مقتضيات العقل واصطدامه بالواقع، وهو توتر ترك أثره الواضح على بنيته الفكرية وخطابه الشعري، وقد تجلّى هذا التوتر في صورة قلق معرفي وحيرة ذهنيّة ممتدة، انعكست في مواقف متعددة، تبرز في مقدمتها القضايا المتصلة بالدين، حيث انفتحت تجربته الشعرية على تساؤلات وإشكالات شائكة.

وتكشف اللزوميات عن حضور مزدوج داخل الخطاب الشعري؛ إذ تتجاور نصوص تُحيل إلى مرجعية إيمانية مع أخرى تُصاغ بلغة إشكالية تُثير السؤال وتوسع دائرة الشك، وهو ما يُنتج صورة مركبة للمعتقد داخل النص، تعمل بوصفها بنية دلالية متوترة. ومن هذا المنطلق يتناول هذا المبحث الشك عند أبي العلاء باعتباره نسقًا فكريًا منتجًا للمعنى، يتشكّل داخل اللغة الشعرية عبر آليات السؤال، والتناقض، وكسر اليقين، ضمن ما يمكن تسميته بنظام الشك بوصفه أحد تجليات الفوضى الفكرية في الخطاب المعرّي.

ومن هنا فإن حضور الشك واللايقين في خطاب أبي العلاء لا ينشأ عن موقف عدمي أو إنكار مباشر، بقدر ما يتولّد عن اشتغال العقل في مساءلة ما يصطدم به من تقاليد دينية واجتماعية، وهو ما دفعه إلى اتخاذ العقل مرجعًا نقديًا يعكسه شعره بوضوح، ويتجلى ذلك في تمييزه الدقيق بين الدين بوصفه سننًا كونية وقيمًا حاكمة لسلوك الإنسان، وبين ممارسات بشرية تزعم التدين ظاهرًا، في حين تنطوي أفعالها على ما يناقض تلك القيم. وفي هذا السياق يقول[٢٦]:

(٢٦) أبو العلاء المعري، "اللّزوميات"، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، (بيروت/القاهرة: مكتبة الهلال؛ مكتبة الخانجي، د.ت)، ٢: ٢٠٨.

آلـيـتُ: مـا تَـوْراتـكـم بِمُـنـيرةٍ إنْ أُلْقِيَـتْ فيهَـا الكُمَيْـتُ مُحلَّلَـة

هفت الحنيفةُ، والنَّصـارى ما اهتدتْ ويهودُ حـارتْ، والمجوسُ مُضـلَّلَـهْ

اثنـان أهـلُ الأرضِ ذو عقـلٍ بِلَا دِيـنٍ، وآخـرُ دَيِّـنٌ لا عـقـلَ لَـهْ

وتأتي هذه الأبيات لتوسّع هذا التصوّر، إذ تنتقل من مساءلة التفاوت بين القيم الدينية وممارساتها إلى تصوير أنماط إنسانية يتجلّى فيها هذا الاختلال؛ حيث يقسّم الشاعر أهل الأرض إلى نموذجين متقابلين: أحدهما يمتلك العقل دون أن يستند إلى إطار ديني، والآخر يتمسّك بالدين دون أن يصاحبه وعيٌ عقلي، وهو ما يكشف خللًا في التوازن بين هذين البعدين داخل التجربة الإنسانية.

وعلى هذا النحو، تتشكّل مفارقة دلالية تقوم على توتر العلاقة بين العقل والتدين، من حيث تمثّلهما داخل التجربة الإنسانية، بما يكشف عن صور من الاختلال في توازن القيم حين ينفصل أحدهما عن الآخر، وفي هذا المجال الوسيط يتجلّى الشك بوصفه حالة معرفية منتجة، تتجاوز حدود اليقين الجامد، وتفتح أفقًا للتساؤل وإعادة النظر، بما يفضي إلى بناء نمط من الفوضى الفكرية التي تشتغل داخل النسق نفسه، عبر كشف مواضع اختلاله وإعادة مساءلته.

وبالإضافة إلى ذلك، تُفضي الفوضى الفكرية عند أبي العلاء، في سياق منهجه في الشَّكّ إلى كسر سلطة الموروث لا من حيث انتماؤه الديني فحسب، بل من حيث تمثلاته التاريخية والخطابية، إذا يتجاوز نقده أتباع الديانات إلى مساءلة الخطاب الديني كما تداوله الناس وفهموه، ويتجلى ذلك في توجيه الخطاب نحو الكتب المقدسة بوصفها نصوصًا أُفرغت – في نظره – من فاعليتها الأخلاقية بسبب سوء التلقي والممارسة، فيقول (٢٧):

(٢٧) المعري، اللّزوميات، ١: ٣١٩.

أمـورٌ تســـتـخـفُّ بهـا حُـلـومٌ ... ومـا يـدري الفـتى لمـن الثُّبـورُ
كتـابُ محمـدٍ وكتـابُ موسَـــى ... وإنجـيـلُ ابـنُ مـريمَ والـزَّبُـورُ
نَهَـتْ أُمَمًـا فـمـا قـبـلـتْ وبارتْ ... نصـــيحتهـا فكـلُّ القومِ بُورُ
أصـــولٌ قـد بُنين على فســـادٍ ... وتـقـوى الله ســـوقٌ لا يـبـورُ

ولا يتجه هذا الخطاب – في بنيته العميقة – إلى نفي قدسية هذه النصوص أو إنكار مرجعيتها العقدية، بقدر ما يركّز على المفارقة التي يولّدها التناقض بين ما تحمله من منظومات أخلاقية وقيمية، وبين واقع أتباعها الذين لم ينتصحوا بها في السلوك والعمل، كما تنبثق جمالية الفوضى هنا من هذا التوتر الحاد بين الأصل والممارسة، إذ تُعرّي لغة الشاعر خلل التمثّل البشري للنص، فتغدو الفوضى أداة كشفٍ نقدي لا موقفًا عدميًا، ونظامًا من الشك يعيد مساءلة الموروث من داخله لا من خارجه.

وتندرج هذه النظرة ضمن المسار نفسه؛ إذ تتوجه لغة أبي العلاء في بعض مواضيع اللزوميات إلى نقد الخطاب الديني كما يتداوله الناس، من زاوية ما آل إليه من تزييف في الفهم وتأويل نفعي في الممارسة، فتظهر الكتب المقدسة – في تمثّل الخطاب الشعري – عناصر داخل منظومة سردية متوارثة يُروّج لها أتباعها، من غير أن يتحقق أثرها الأخلاقي في الواقع، ويعبّر عن هذا التوتر بقوله[٢٨]:

ديـنٌ وكُـفـر وأنبـاء تُـقـصُّ وفُـرْ ... قـانٌ يـنـصُّ وتـوراةٌ وإنجـيـلُ
في كـل جيـل أباطيـل يُـدان بهـا ... فهـل تفرَّدَ يومًـا بالهُـدى جيـلُ
ومن أتاه ســـجلُّ الســـعد عن قدرٍ ... عـالٍ فليسَ لـه بالخلدِ تســـجيلُ

(٢٨) المعري، اللّزوميات، ٢: ١٨٣.

وتتولّد حدّة هذا الخطاب من حالة ضيق معرفي وتبرّم أخلاقي ارتبطت بموقف الشاعر من علماء الدين، وممن رأى في ممارستهم صورًا من الظلم والابتزاز وتشويه الحقائق، وهو ما عمّق الحيرة ورفع منسوب الشك في وعيه، وتكشف هذه النصوص عن صوت شعري متمرّد، يتوسّل بالمبالغة والهجوم بوصفهما أداتين بلاغيتين للتعبير عن أزمة الوعي، فتغدو الفوضى الفكرية مسارًا نقديًا يهدف إلى هدم الصور الجاهزة للدين في تمثلاته الاجتماعية، ويجعل الخطاب الشعري قناعًا تعبيريًا لأزمة فكرية ومعرفية، تنتج دلالتها عبر الصدمة والتناقض والتوتر.

وتتجلى نزعة الشك في لزومياته من خلال تأمله القَلِق في الوجود ومآلاته، وما يتصل بذلك من تساؤل حاد حول معنى الحياة والموت، وحدود المصير الإنساني بعد الفناء، وهو تساؤلٌ يعبَّر عنه بلغة تتسم بالمرارة والسخرية الوجودية، ويكشف هذا النسق في قوله (٢٩):

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحُقَّ لسكَّان البسيطة أن يبكُوا

يُحطِّمُنا ريبُ الزمان كأننا زُجاجٌ، ولكن لا يعاد له سبكُ

وتوحي الأبيات بصورة إنسانية مأساوية تقوم على تشبيه الإنسان بالزجاج في قابليته للكسر أمام تقلبات الزمن، مع الإشارة إلى خصوصية المصير الإنساني الذي لا يسمح بعودة الجسد إلى حالته الأولى بعد الفناء، على خلاف الزجاج الذي يمكن إعادة سبكه في عالم المادة، ويُنتج هذا التصوير الشعري حالة من القلق الوجودي المرتبط بإدراك هشاشة الإنسان وزواله، وهو قلق يُغذّي نسق الشك في اللزوميات بوصفه تعبيرًا عن فوضى فكرية ناتجة عن التأمل في المصير، دون أن يتحول ذلك إلى تقرير عقدي مباشر، أو تصريح نهائي في قضايا الغيب، وإنما يظل مندرجًا في إطار الرؤية الشعرية

(٢٩) المعري، اللّزوميات، ٢: ١٤٧.

التي تبني معناها عبر المفارقة والتوتر.

ويواصل أبو العلاء تمثيل نزعة الشك في لزومياته عبر صورٍ تقوم على التردد وعدم الاطمئنان، وتُجسّد قلق الوجود وتقلب الموقف الذهني، فيقول (٣٠):

فقلنـــا للهزيـــزِ أأنـــتَ ليـــثٌ فشـــكَّ وقـــال عَلِّـــي أو كـــأنِّي

وضـــعتُ علـــى قـــرَى الأيام فمـــا أنا للمقـــام بمطمـــئنِّ

أحـــنُّ ومـــا أجـــنُّ ســـوى غـــرامٍ بغـــير الحـــق مـــن حـــنٍّ وجـــنِّ

وتكشف هذه الأبيات عن بنية تردٍ ذهني تتأسس على الشك في التعيين والهوية والاستقرار، حيث يتجلّى الوجود بوصفه حالة عبور دائم، ويغدو المقام فعلًا مؤقتًا لا يورّثُ الطمأنينة، ويعبّر هذا النسق عن حيرة عقلية عميقة تتنازعها الاحتمالات، وتنعكس في لغةٍ تقوم على التعليق والترديد والانتقال، وهو ما يجعل الشك هنا مكونًا بنيويًا في الرؤية الشعرية، وليس عرضًا عابرًا، وتحيل هذه الصياغة إلى عبث الوجود الذي يعاينه الشاعر في مجتمعه وعلاقاته، فتغدو الأبيات تمثيلًا مكثفًا لقلقه الفكري وتردده أمام ترجيحات العقل.

ويعود هذا المنحنى في الشك إلى ما امتلكه أبو العلاء من مواهب فطرية، وما راكمه من علوم ومعارف شكّلت ركيزة أساسية للفوضى الفكرية في تجربته، ولاسيّما حين تصطدم هذه المعارف بواقعٍ اجتماعي متناقض عبّر عنه مرارًا في لزومياته، وقد أسهمت عزلته الطويلة وملازمته مكتبته في تكثيف هذا الزخم المعرفي بما أتاح له الاشتغال على أبواب متعددة من المعرفة، شملت الأدب والفلسفة واللغة والاجتماع والدين، وغيرها.

وفي هذا السياق يُروى عنه أنه "كان له شأن عظيم ونفوذ كبير في بلدته، وكان

(٣٠) المعري، اللّزوميات، ٢: ٣٨٥.

له مال يُنفق على الفقراء، وكان شخصية غريبة الأطوار، فهو شاعر فيلسوف، وعبقري كبير، كان يرى أن الناس هم الذين لا يفهمونه، كما كان يرى كذلك أنه لا تناقض في هذه الآراء التي تبدو له واضحة على عكس ما تبدو لقرائه وناقديه"(٣١)، وتؤكد هذه الشهادة أن الشك عند أبي العلاء ليس نتاج عزلة نفسية، وإنما ثمرة وعي معرفي كثيف يرى في التعدد والتوتر سبيلًا لفهم العالم، وينتج من هذا الوعي فوضى فكرية تُبقي المعنى مفتوحًا، وتقاوم الاستقرار النهائي في الرأي والموقف.

وإذا أمعنَّا النظر في الفكر الفلسفي عند أبي العلاء، بدا لنا نسيجًا مشدودًا إلى هذا الاضطراب العقلي الذي أفرزته الفوضى الفكرية في وعيه، من خلال موازنة دائمة بين ما يقرُّه الإيمان من حيث المبدأ، وبين ما يراه الشاعر واقعًا معاشًا في المجتمع من اختلالات سلوكية وقيمية، ويعكس هذا التوتر موقفًا نقديًا حادًا من التناقض بين الخطاب الديني والممارسة الاجتماعية، وهو ما يدفعه إلى القول (٣٢):

تَورَّعُوا يا بني حوَّاء عن كـذبٍ فما لكُم عند ربِّ صـاغَكُم خطرُ

لم تُجـدبُوا لقبيحٍ من فِعـالكمُ ولم يَجِئْكُم لُجِسـن التوبـةِ المطرُ

ويُجسّد هذان البيتان نزعة الشك العقلي من خلال نفي العلاقة السببية المباشرة بين أفعال البشر ومجريات الكون، حيث يُصوّر الشاعر الإنسان ككائن محدود الأثر أمام سنن إلهية مطلقة لا تخضع لمقاييس الثواب والعقاب كما يتداولها الوعي الاجتماعي السائد، ويتّصل هذا التصوير بتعظيم مقام الألوهية وتنزيهها عن أن تكون رهينة لتقويم بشري مضطرب، فتغدو الحوادث الكونية– من جدب أو مطر– جارية وفق أقدار إلهية

(٣١) محمد ألف سيسه، "مظاهر التشاؤم في شعر أبي العلاء المعرّي"، مجلة حوليات التراث، العدد ٢٣ (سبتمبر ٢٠٢٣م): ٨٩.

(٣٢) المعري، اللّزوميات، ١: ٣١٢.

محضة، تتجاوز التأويل الأخلاقي المباشر الذي يسقطه الناس على الواقع.

وفي هذا السياق؛ يتبدّى خطاب أبي العلاء بوصفه تعبيرًا عن مقتٍ فكري موجَّه إلى إنسان فقد بوصلته القيمية، وإلى مجتمعٍ راجت فيه المظاهر على حساب العقل والضمير، وهو ما عبَّر عنه بعض الدارسين بقولهم إن موقفه يمثّلُ "مقتًا لإنسان تاه عن حقيقته، ومجتمعًا راج فيه كل شيء إلا العقل والقلب والضمير، وأديان شوهت حقائقها، وغاياتٍ قُلِبت مقاييسها وأصبحت أشبه بالمتاجر منها بالمنائر..."(٣٣)، ويغدو هذا الموقف جزءًا من نسق الشك الذي يشتغل في لزومياته بوصفه فوضى فكرية ناتجة عن صدام الوعي المعرفي بالواقع، تنتج معناها عبر التوتر والمساءلة، وليس عبر التقرير والحسم.

ويؤكد أبو العلاء هذا المعنى في أبيات أخرى يقول فيها (٣٤):

لم يسقِكم ربكم عن حُسن فعلكُم ... ولا حماكُم غَمامًا سُوء أعمالِ

وإنما هي أقدارٌ مرتَّبةٌ ... ما عُلِّقَتْ بإساءاتٍ وإجمالِ

دليلُ ذلك أن الحُرَّ أعوزهُ ... قُوتٌ وأنَّ سواه فاز بالمالِ

كم جُدَّ بالرزق ثاوٍ في منازلهِ ... وحُدَّ سارٍ بأفراسٍ وأجمالِ

فأمِّلُوا الله وارجُوا منه عاقبةً ... فليس دُنياكُمُ أهلًا لآمالِ

دِنتُم بأن سَيُجازِيكُم إلهكمُ ... فما لأفعالكم أفعالُ إهمالِ

إن أبا العلاء يعيد في مطلع هذه الأبيات ربط أفعال البشر، بخيرها وشرها، بمنظومة القدر، ثم يُبْرِزُ عبر بناء شعري متدرّج اختلال العلاقة المتداولة بين العمل

(٣٣) خليل شرف الدين، "أبو العلاء المعرّي مبصر بين عميان: في سبيل موسوعة فلسفية"، (د.م: د.ن، د.ت)، ١٦٢.

(٣٤) المعري، اللّزوميات، ٢: ٢٣٢.

الإنساني ومآلات الرزق والعيش، فتغدو الأقدار في تمثّل الخطاب الشعري، غير خاضعة لقياس أخلاقي مباشر، ولا مرتبطة ارتباطًا سببيًا بسيطًا بما يصدر عن الإنسان من أفعال. ومن هنا تتولّد أسئلة عميقة حول معنى الفعل الإلهي، ودلالة القدر، وحدود العدالة كما يتصورها الوعي الاجتماعي، وهي أسئلة لا تُطرح طلبًا لحسم نهائي، وإنما لتكريس أفق تأويلي مفتوح قائم على اللايقين.

ويعزز الشاعر هذا المنحى بتقديم شواهد واقعية داخل النص نفسه، كما في البيتين الثالث والرابع، حيث يُقابِل بين المجتهد الذي يصادف العوز، والمترف الذي يحوز الثراء من غير عناء، فتتشكل صورة لعالم تتفكك فيه العلاقة الخطية بين السبب والنتيجة. ومع ذلك، يتجه الخطاب في خواتيم الأبيات إلى توجيه الإنسان نحو ربط أفعاله برجاء العاقبة الإلهية، والتعامل مع الدنيا بوصفها دار ابتلاء لا دار جزاء، في محاولة لتخفيف حدّة الغموض عبر أفق قيمي عام.

وتنتج هذه المفارقات في توزيع الرزق عند أبي العلاء تصورًا لعالم غير قابل للتنبؤ، تتجاور فيه الاحتمالات وتتداخل المسارات، وهو تصور يلتقي مع منطق النظم غير الخطية في نظرية الفوضى، حيث لا تقود المدخلات المتشابهة بالضرورة إلى نتائج متماثلة. ومن هنا ينفتح باب التأويل في شعر المعرّي، كما ينفتح في فكره، عبر نزعة شك واعية تُبقي المعنى في حالة حركة، وتدفع المتلقي إلى إعادة التفكير في الفهم السائد للعلاقة بين الفعل والجزاء، والسبب والمآل.

وتُفهم الفوضى الفكرية في هذا السياق بوصفها حالة من الاضطراب المعرفي المنتج، تُفضي إلى تعميق القراءة وتوسيع أفق التأويل، وقد لازم هذا النسق تجربة أبي العلاء في اللزوميات، حتى وُصِفَ بأنه "مفكر، ورمز للعقل البشري الحائر الوثاب في الوقت نفسه، غير المحدود في عظمه، وغير المحدود في صغره أيضا" (٣٥).

(٣٥) شرف الدين، "أبو العلاء المعرّي مبصر بين عميان"، ١٦٣.

لقد أفضت نزعة الشك العقلي في لزوميات أبي العلاء إلى توجيه نقد حاد لتمثّلات أهل الكتب في الواقع الاجتماعي، ولا سيما في اليهودية والمسيحية، حيث يتخذ الخطاب الشعري طابعًا هجوميًا يكشف ما يراه الشاعر انحرافًا في الممارسة الدينية، وتحولًا نحو توظيفها في سياقات نفعية، ويتبدّى هذا التوجّه في عدد من الأبيات التي تتدرّج من التقرير المباشر إلى بناء صورة نقدية أكثر تركيبًا، كما في قوله(٣٦):

ولا تُطيعنَّ قومًا ما ديانتُهم ... إلا احتيالٌ على أخذِ الإتاواتِ

وإنما حمَّلَ التوراةَ قارئَهَا ... كسبُ الفوائدِ لا حبُّ التلاواتِ

إنَّ الشرائعَ ألقَت بيننا إحنًا ... وأودعتنا أفانين العداواتِ

وهل أُبيحت نساءُ القومِ عن عرضٍ ... للعُربِ إلا بأحكامِ النُّبوَّاتِ

وتكشفُ هذه الأبيات عن اختلال العلاقة بين الموروث الديني وتمثّلاته في الواقع الاجتماعي، إذ يكشف الخطاب الشعري عن انزياح الممارسة نحو توظيف نفعي تتراجع فيه القيم لصالح المصالح، ويتحوّل التدين إلى أداة اجتماعية مشوبة بالاختلال، ويُبقي النصُّ دلالته مفتوحة بين قراءتين محتملتين: قراءة تحمل نبرة وعظية تدعو إلى تصحيح الاعتقاد وإقامة الدين على أساسه الأخلاقي، وقراءة أخرى تُفصح عن ازدراء حادّ نابع من خيبة وعي الشاعر بمن لم يدركوا قيمة الرسالات وما تنطوي عليه من صلاح للإنسان في دنياه وآخرته، وفي هذا التردد الدلالي يتجسّد نسق الشك بوصفه فوضى فكرية تُنتج معناها عبر التوتر والاحتمال، وتُبقي الحكم النهائي معلقًا داخل أفق التأويل.

ويُعمّق أبو العلاء هذا المنحى في موضع آخر بقوله (٣٧):

(٣٦) المعري، اللّزوميات، ١: ١٧٥.

(٣٧) المعري، اللّزوميات، ٢: ١٨٣.

ديـنٌ وكـفـرٌ، وأنبـاءٌ تُـقـصُّ وفُـرْ	قـانٌ يـنـصُّ وتـوراةٌ وإنجـيـلُ
في كـلِّ جيـلٍ أباطيـلٌ يُـدانُ بهـا	فهـل تفرَّد يومًـا بالهُـدى جيـلُ
ومن أتاه سـجلُّ السَّـعدِ عن قدرٍ	عـالٍ، فليس لـه بالخُلدِ تَسـجيلُ
وما تَزالُ لأهل الفضـل منقَصَـة	وللأصـاغرِ تعظيم وتبجيـلُ
هل سُـرَّتِ الخيلُ أن زانَتْ سـوابقَها	بـينَ المـواكـبِ غُـراتٌ وتحـجيـلُ

وتبنى هذه الأبيات على ثنائية دلاليّة تُنتج منطقة وسطى بين الإيمان والشك في خبر السماء كما تتناقله الكتب المقدسة، وبين التمرد والإعراض عن تمثّلاته الاجتماعية، ويكشف هذا البناء عن رؤية ترى الباطل يتجدّد حضوره عبر الأجيال، وأن الهداية لا تتحقق بصورة كليّة في أمة من الأمم، رغم تعاقب النذر وتعدد الرسالات. ومن هنا يتشكّل تصور نقدي يبرز فيه أهل الفضل في موقع المنقصة الاجتماعية، في حين ينال الأصاغر حظَّهم من التعظيم والتبجيل، وهي مفارقة تُعيد ترتيب القيم السائدة وتُزعزع التصورات الموروثة حول غلبة الحق في الواقع المعاش.

ويؤدي هذا التفكيك القيمي إلى كسر سلطة الموروث في تمثّل العلاقة بين الحق والباطل، انطلاقًا من حرية عقلٍ يلتقط تناقضات المجتمع ويحوّلها إلى صور شعرية ناقدة، وتغدو نزعة الشك هنا مسارًا فكريًا يشتغل داخل الخطاب الشعري بوصفه فوضى منتجة للمعنى، تُبقي الدلالة في حالة توتّر واحتمال، وتفتح أفق التأويل في فهم الدين كما يُمارَس اجتماعيًا، لا كما يُتْلقّى في أصوله النصية.

ومن مظاهر الشك في تمثلات عقيدة الناس، كما يعكسها خطاب أبي العلاء، ما يتولّد عن هذا الاضطراب العقلي من مساءلة حادّة للتقليد الديني، حيث يتخذ الشاعر

موقفًا نقديًا من توريث الاعتقاد دون نظرٍ أو تمحيص، ويعبّر عن ذلك بقوله[٣٨]:

عاشُـــوا كما عاشَ آباءٌ لهم سَـــلفُوا وأُورِثُوا الدين تقليدًا كما وجدُوا

فمـا يُراعون مـا قـالوا ومـا سمعُوا وما يُبالون من غيٍّ لمن ســـجدُوا

والعُـدم أروحُ ممـا فيـه عَـالَمُهُمْ وهو التكلُّف إن هَبُّوا وإن هجدُوا

وتكشف هذه الأبيات عن رفض صريح للعقل الذي يكتفي بالامتثال لما هو موروث، وتعبّر في المقابل عن تقدير للعقل الذي يُمارِس وظيفته النقدية عبر السؤال والتأويل، وهو ما عبّر عنه بعض الدارسين بكونه "رفضًا وتسفيهًا للعقل المطيع، وفي المقابل تقديرًا وإعلاءً شأن العقل المتمرد"[٣٩]، ويغدو هذا العقل الفاعل أداة لتحويل اليقين الجاهز إلى إشكال مفتوح، يعيد من خلاله الفرد بناء فهمه الخاص للحقيقة.

وضمن هذا الأفق، تتخذ النبوة في الوعي الشعري عند أبي العلاء صورة إشكالية محاطة بالتساؤل، بفعل ما يراه الشاعر من هيمنة التقليد الأعمى، وإقصاء التفكير الحر في تلقي الدين، ويتحول الشك في هذا السياق إلى مسار معرفي دائم، تترجم فيه فكرة الحقيقة النهائية لصالح حركة عقلية متواصلة تُعْمِلُ التأويل في الدين والوجود، وتُبقي المعنى في حالة انفتاح واحتمال، وهو ما يرسّخ الفوضى الفكرية بوصفها نسقًا منتجًا لا يستقر عند يقين واحد.

وبهذا تتجلّى الفوضى الفكرية في لزوميات أبي العلاء المعرّي بوصفها حالةً معرفيةً متولدة من اشتغال الشك داخل البنية الشعرية، حيث يتحول السؤال إلى أداة إنتاج دلالي، ويتحوّل التوتر بين العقل والواقع إلى نسقٍ فكريٍّ فاعل، فالشك عند المعرّي لا

(٣٨) المعري، اللّزوميات، ١: ٢٣٥.

(٣٩) عبد القادر زيدان، "قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعرّي"، ط١، (مصر: دار الوفاء، ٢٠٠٦م)، ١: ١٢٢.

يقف عند حدود الإنكار أو التقرير، وإنما يتخذ صورة حركة ذهنية مستمرة، تُفكك المسلّمات، وتعيد النظر في أنماط الاعتقاد السائدة، وتكشف عن اختلال العلاقة بين الموروث والسلوك، وبين القول والفعل.

ومن خلال هذا الاشتغال، يُنتج الخطاب الشعري فضاءً دلاليًا مفتوحًا، تتداخل فيه المفارقة، والتناقض، وانكسار العلاقة السببية، بما يُقارب منطق النظم غير الخطية في نظرية الفوضى، حيث تتفكك البنى المستقرة، وتتولد المعاني من مناطق التوتر واللايقين، ويغدو الشك في هذا السياق نظامًا معرفيًا منظمًا في ظاهره المضطرب، يعمل على زعزعة اليقين الجاهز، وتحفيز وعي المتلقي على إعادة بناء المعنى وتأويله.

وعلى هذا الأساس، يمثّل نظام الشك أحد المفاتيح المركزية لفهم الفوضى الفكرية في شعر أبي العلاء، ويمهّد للانتقال إلى مستويات أخرى من الفوضى في اللزوميات، تتجلى في البنية القيمية والجمالية، وفي تشكّل المعنى الشعري ذاته، وهو ما تسعى الفصول اللاحقة إلى تتبّعه وتحليله ضمن إطار نسقي متكامل.

المبحث الثاني: الفوضى اللغوية - "الانزياح وصور التقابل"

يُجْمِعُ الدارسون ومصادر اللغة والأدب على رسوخ قدم أبي العلاء المعرّي في اللسان العربي، وبلوغه فيه منزلةً رفيعةً لم تتيسر لكثير من أدباء عصره، إذ تكشف مؤلفاته عن إحاطة واسعة بكلام العرب وغريبه، ومعرفة دقيقة بأسرار اللغة وتصاريفها، فضلًا عن اطلاعه على أخبار الأمم وعلوم الدين من قرآن وحديث وتفسير، وقد انصرف المعرّي إلى تتبع شوارد اللغة وتنقير ألفاظها، سعيًا إلى امتلاك ناصيتها، وهو ما عبّر عنه التبريزي في وصفه الشهير الذي نقله ابن العديم بقوله: "ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعرّي"(٤٠).

ولا يُراد من هذا التقرير إثبات التفوق اللغوي في ذاته، وإنما الإشارة إلى سعة المعرّي المعجمية بوصفها أساسًا معرفيًا مكّنه من الإحاطة بالبنية اللغوية في مستوياتها المختلفة، وهي إحاطة لا تمثّل في ذاتها دليلًا مباشرًا على قدرته الأسلوبية، لكنها تهيئ المجال لبروزها، إذ إن الامتلاك العميق للنظام اللغوي يتيح إمكان خلخلته وإعادة تشكيله عبر أبنية انزياحية تتجلى في أنماط من التقابل الدلالي، يأتي التضاد في مقدمتها، ويُفهم في هذا السياق ضمن أشكال التقابل الدلالي المندرجة في بنية المفارقة، حيث يتجاوز التقابل حدوده اللغوية ليغدو أداة لإنتاج التوتر الدلالي في الخطاب الشعري.

لقد أسهمت الفوضى اللغوية في لزوميات أبي العلاء في توليد عدد من الظواهر الأسلوبية التي تُفصح عن رؤيته الفكرية وفلسفته في النظر إلى الإنسان والمجتمع، ولعلّ من أبرز هذه الظواهر الحذف والإضمار، بوصفهما آليتين لغويتين تكشفان عن مكنونات الخطاب، وتُنتجان دلالات موارية تتجاوز ظاهر التركيب إلى مستويات أعمق من المعنى، تعكس ما يختزنه النص من مضامين خفيّة متصلة بتجربة الشاعر ورؤيته

(٤٠) ابن العديم، "الإنصاف والتحري"، ٥٩٦.

للحياة والناس، ومن ذلك قوله في وصف صِنفٍ من أهل عصره(٤١):

إنسٌ على الأرض تُـدْمِي هـامَهـا مِنها، إذا دَمِيَتْ للوحش أنسـاءُ

فلا تَغُرَّنْـكَ شُـمٌّ من جبـالهمُ وعِزَّةٌ في زمـان الملـكِ قعْسـاءُ

ويصور المعرّي في هذه الأبيات طائفة من الناس استبدّ بها الحقد حتى غدا ينزف من رؤوسهم، في صورة مجازية كثيفة تُحيل إلى العنف الكامن في نفوسهم، وإلى أثر هذا الحقد الذي لا يقف عند حدود البشر، بل يمتد حتى إلى الحيوان. ومن هنا يوجّه الشاعر تحذيره من الاغترار بمظاهر القوة والهيبة التي يتزيّنون بها، وإن بدوا شامخين كالجبال في سلطانهم وملكهم.

ويبرز الحذف هنا بوصفه انزياحًا دلاليًا مقصودًا؛ إذا يرد الفعل (فلا تغرنَّك) في صدر البيت الثاني، ثم يحذف في شطره الآخر عند قوله: (وعزَّة في زمان الملك قعساء)، والتقدير: ولا تغرنك عزَّة في زمان الملك، غير أن هذا الحذف لا ينهض بوظيفة اختصارية فحسب، ولا يُفسَّر بمجرد الاكتفاء بما تقدَّم ذكره، بل يتجاوز ذلك إلى إنتاج دلالة جديدة، تنزع عن هذه العزّة قيمتها، وتُسقِط عنها أيّ استحقاق للتحذير أو الاعتداد.

والحذف هنا لا يُعيد الفعل المحذوف ضمنيًا فقط، وإنما يُفرّغه من ثقله الدلالي، ليُشير إلى أن ما يُسمّى عزّةً في سياق الملك ليست جديرة حتى بأن يُحذَّر منها، لأنها عزة زائفة قائمة على القهر والتقاعس والفساد، وضمن هذا الإطار الانزياحي القائم على الإضمار، يُحوّل المعرّي البنية النحوية إلى أداة نقد اجتماعي، ويجعل من الحذف وسيلة لخلخلة المعنى الظاهر، وإعادة توجيهه في مسار دلالي غير خطي، يُجسّد مظهرًا من مظاهر الفوضى اللغوية الواعية في خطابه الشعري.

(٤١) المعري، اللّزوميات، ١: ٣٩.

ومثله قوله (٤٢):

تَـوَحَّـدْ فـإنَّ اللهَ ربُّـكَ واحـدٌ ولا تَرغَبَنْ في عِشْـرةِ الرُّؤَسَـاءِ

يُقِلُّ الأذى والعيبَ في ساحة الفَتى وإن هُوَ أكـدَى قلـة الجلسَـاءِ

وينطلق المعرّي في هذه الأبيات من مبدأ توحيدي صارم، يجعل من الانقطاع إلى الله مركزًا وحيدًا للمعنى والطمأنينة، في مقابل عالم بشري تحكمه المصالح وتُسيّره شروط المنفعة، ويقوم البناء الدلالي هنا على مفارقة واضحة بين حالين: حال الوفرة واليسر، حيث يكثر الوافدون إلى ساحة الفتى، وحال العسر والكدّ، حيث ينفضُّ هؤلاء سريعًا.

ويبرز الحذف في الشطر الأخير بوصفه دلالية ذات وظيفة تتجاوز الاقتصاد اللغوي؛ إذ يرد الفعل (يُقِلّ) في قوله (يُقِلُّ الأَذى وَالعَيبَ في ساحَةِ الفَتى)، ثم يُحذف عند قوله: (وَإِن هُوَ أَكدى قِلَّةُ الجُلَساءِ)، والتقدير: (وإن هو أكدى يَقِلُّ الجلساء)، غير أن المعرّي لا يُعيد الفعل صراحة، بل يعدل إلى المصدر (قِلَّة)، بما يحمله من دلالة الثبوت والدوام، لا مجرد الحدث العابر.

وبَهذا الانزياح، ينتقل المعنى من توصيف حالة طارئة إلى تثبيت واقع وجودي؛ فغياب الجلساء ليس عارضًا مرتبطًا بظرف اقتصادي أو اجتماعي، وإنما سمة أصيلة تلازم الإنسان في لحظات الانكسار، وتكشف زيف العلاقات التي تُبنى على المنفعة، والحذف هنا لا يُنتجُ نقصًا في المعنى، بل يُحدث فراغًا تأويليًا مشحونًا، يدفع القارئ إلى إعادة تركيب العلاقة بين الفعل والمصدر، وبين الحركة والثبات، وهو ما يُمثّلُ أحد أبرز تجليات الفوضى اللغوية الواعية في خطاب المعرّي.

ومن هنا يتضح أن الحذف عند أبي العلاء لا يعمل داخل حدود البنية النحوية فحسب، بل يتجاوزها إلى القصد الدلالي المتكوّن في لا وعي الشاعر، حيث تتداخل

(٤٢) المعري، اللّزوميات، ١: ٥٢-٥٣.

المحددات النفسية والفلسفية في صياغة المعنى، بما يدفع قارئ اللُّزوميات إلى تأملٍ أعمق، وتفكيكٍ متأنٍ لمستويات الدلالة الكامنة في هذا النسيج الشعري المركّب، وهو ما عبّر عنه بعض الدارسين بكون شعره نتاج تجربة وجودية قاسية "امتلأت بالشرور والسواد، على مستوى المجتمع، أو الحياة، أو حتى حياته الشخصية التي جعلته يلزم بيته ويبدأ عزلته"(٤٣).

أما التعقيد في اللزوميات فلا يظهر بوصفه أثرًا عارضًا، وإنما يتبدّى بوصفه خيارًا أسلوبيًا واعيًا، اشتغل عليه أبو العلاء المعرّي ضمن منظومته اللغوية الخاصة، ولا سيّما في توظيف الجناس واللفظ الغريب، وقد أشار شوقي ضيف إلى هذا المنحى حين وصف الكُلف التي اتخذها المعرّي في اللزوميات، مميزًا بين كُلف دائمة وأخرى عارضة، وذكر أنَّ الدائمة "استخدامه للَّفظ الغريب وللجناس وقد التمس فيه ضروبًا من التعقيد"(٤٤)، ولا ينفصل هذا التعقيد عن العتبة النصّيّة التي يقدّمها عنوان الديوان نفسه، إذا يوحي منذ البداية بنسق لغوي غير مألوف، يعلن عن قصدية التقييد والتشديد، لا على مستوى الوزن فحسب، بل على مستوى البنية التعبيرية والدلالية معًا، بما يجعل التعقيد جزءًا من استراتيجية لغوية تُراكم التوتر داخل النص، وتُسهم في إنتاج ما يمكن تسميته بالفوضى اللغوية الواعية في خطاب المعرّي.

ومن مظاهر هذا التعقيد الأسلوبي ما نجده في قوله (٤٥):

مالي غَدوتُ كقاف رؤبة(٤٦) قُيّدَتْ في الدهر لم يُقدر لها إجراؤها

(٤٣) نادية بنت حسن ضيف الله الصاعدي، "أبو العلاء المعرّي والتفكير الفلسفي في لزومياته"، مجلة بحوث التربية النوعية –جامعة المنصورة، العدد ٢٦ (يوليو ٢٠١٢م): ٢٢٨.

(٤٤) شوقي ضيف، "عصر الدول والإمارات في الشام"، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٠م)، ١٧١.

(٤٥) المعري، اللّزوميات، ١: ٤٤.

(٤٦) إشارة إلى قصيدة رؤبة بن العجاج.

أعْلِلتُ عِلّةَ: قال، وهي قديمةٌ أعيى الأطِبَّةَ كُلَّهُم إبْراؤُها

ويتجلى وجه التعقيد في هذا النص في تشبيه الشاعر نفسه بقاف رؤبة بن العجاج؛ إذ يُحيل المعرّي إلى حرف بعينه، في موضع بعينه، داخل بيت شعري مخصوص، بما يُنتج بنية إحالية مركبة تتجاوز التشبيه المألوف، فقاف رؤبة كما ورد في قوله (٤٧):

وقاتِمِ الأعماقِ خاوي المخترقنْ مُشتبه الأعلام لماع الخَفَقْنْ

حرفٌ محكوم بالسكون، لا نصيب له من الحركات الثلاث (الفتح والضم والكسر)، وقد قُيّد في موضعه قيدًا أبديًا، لا يتصور له تحرّك أو انتقال، ومن هنا يُسقِط المعرّي هذه الحالة الصوتية اللغوية على ذاته، ليصوغَ صورة وجودية للثبات القسري، والعزلة، والعجز عن الانفكاك من مصيرٍ مُغلَق.

ويقوم التعقيد هنا على مستويين متداخلين: تعقيدٍ لفظي يتمثل في العدول عن التشبيه بشيء محسوس أو مألوف إلى رمز لغوي صرف، لا يتجلى معناه إلا لمن يمتلك أدوات اللغة وذاكرتها العميقة؛ وتعقيدٍ أسلوبي يتمثل في طبيعة التشبيه ذاته، حيث لا تُستدعى القاف بوصفها حرفًا مُجردًا، وإنما بوصفها تاريخًا لغويًا وشاهدًا شعريًا وحالة صوتية ودلالية في آنٍ واحدٍ.

والفوضى في هذا الموضع ليست فوضى قواعد أو خلل بناء، وإنما هي فوضى مسارات التأويل؛ إذ ينحرف النص عن القراءة الخطية المباشرة، ويفرض على المتلقي شبكة من الإحالات المتداخلة: (رؤبة –البيت – القاف –التجربة الوجودية للمعرّي)، في مسار غير مباشر لا يُفضي إلى المعنى إلا عبر جهد تأويلي مضاعف، وقد كان بإمكان المعرّي أن يشبّه نفسه بشيء ظاهر في الوجود، لكنَّه آثر رمزًا لغويًا مجردًا، لا

(٤٧) رؤبة بن العجاج، بيت شعري، يُنظر: ابن عقيل، "شرح ابن عقيل"، ط٢٠، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: دار التراث، ١٩٨٠م)، ١: ٢٠.

يُفصح عن دلالته إلا لأهل اللغة والشعر، وهو ما يكشف عن نمط خاص من الفوضى اللغوية الواعية لدى شاعر كان بحقٍّ "أعجوبة الأعاجيب في حفظ شوارد اللغة وآثارها وأصولها"(٤٨).

ومن تجليات الانزياح اللغوي في اللزوميات ما يتصل بالمجاز، بوصفه أثرًا مباشرًا من آثار الفوضى اللغوية الواعية في بناء المعنى، ومن ذلك قوله(٤٩):

تكلَّم هذا الدُّهرُ بالنُّصْحِ مُعلنًا جَهارًا بما أخفته عنَّا الهوامسُ

ويقوم هذا التركيب على تشخيص الزمن عبر إسناد فعل الكلام إليه، وهو انزياح دلالي واضح يخرج بالعبارة من دائرة التقرير إلى فضاء المجاز، إذ يُنسب الفعل إلى غير فاعله الحقيقي بعلاقة سببية، فالدهر هنا لا يُقدَّم بوصفه إطارًا زمنيًا محايدًا، وإنما يُستدعى كفاعل ناطق، يحمل خبرة التجربة، ويُفصح عمَّا راكمه من محنٍ ومصائر.

وبهذا الانزياح، يتحول الزمن من خلفية صامتة إلى عنصر مشارك في إنتاج الدلالة، يُعيد صياغة وعي الشاعر بالعالم، ويكشف عن أثر التجربة القاسية التي عاشها المعرّي؛ إذ يصبح الدهر شاهدًا ناطقًا بما لم تُفصح عنه التجارب الأخرى، لا لأن تلك التجارب صامتة في ذاتها، بل لأنها لم تبلغ حدّ الكثافة الوجودية التي بلغها الشاعر، ولا يتأتى هذا المعنى إلا عبر المجاز، بوصفه أداة لغوية قادرة على احتواء فائض التجربة، ونقل ما يعجز عنه التعبير المباشر.

ومن هنا يتجلى المجاز كآلية فوضوية واعية تُعيد توزيع العلاقة بين الذات والعالم، وتُحمّل اللغة طاقة دلالية تتجاوز حدود التعيين المباشر، وهو ما يُمثّل أحد وجوه الخلق اللغوي الجديد في خطاب المعرّي، حيث تنعكس الفوضى الفكرية في صورة انزياحات

(٤٨) توفيق محمد الجوهري سبع، "عبقرية المعرّي اللغوية"، مجلة كلية اللغة العربية –جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٧ (١٩٧٧م): ١٤٦.

(٤٩) المعري، اللّزوميات، ٢: ١٦.

مجازية تُعبّر عن عقل فلسفيّ مأزوم، يشتبك مع الوجود عبر اللغة.

وفي السياق ذاته، تتجلى البنية الانزياحية في اللزوميات من خلال الثنائيات الضدية، التي تُعد من أبرز المفاهيم النقدية ذات الجذور الفلسفية، وقد انتقلت من مجال التفكير الفلسفي إلى حقل التحليل الأدبي بوصفها أداة لقراءة البنى المتقابلة داخل النص، وقد أشار بعض الدارسين إلى أن هذه الظاهرة تمثل في أصلها "ظاهرة فلسفية تم سحبها على النقد الأدبي، وأول من طبقها على الأدب البنيويون، ويُعدَّ هذا المصطلح مفردة من مفردات الثقافة الغربية"(٥٠)، غير أن حضورها في الشعر العربي سابق على هذا التأسيس الاصطلاحي الحديث، إذ تجلّت في أشكال متعددة مثل المقابلة والطباق.

ويأتي توظيف أبي العلاء للثنائيات الضدية في اللزوميات توظيفًا يتجاوز البنية البلاغية إلى أفق دلالي أكثر عمقًا، حيث لا تُستثمر هذه الثنائيات لتحقيق توازن شكلي، وإنما لتكثيف التوتر داخل الرؤية، وبناء المعنى من قلب الصراع بين الأضداد: الحياة والموت، الوجود والعدم، الإيمان والشك، الزهد والترف. وبهذا المعنى، تتحول الثنائية إلى أداة فكرية تُجسّد الفوضى اللغوية بوصفها انعكاسًا لفوضى أعمق في النظر إلى العالم، حيث لا يُنتج المعنى عبر الانسجام، بل عبر التناقض والتجاور القَلِق بين الأقطاب المتقابلة.

ولا شك أنَّ أكثر هذه الثنائيات حضورًا في لزوميات أبي العلاء المعرّي هي ثنائية الموت والحياة، إذ تتكثّف فيها رؤيته الوجودية للعالم، وتظهر بوصفها مركزًا دلاليًا تتقاطع عنده مفاهيم الألم، والراحة، والجدوى، والعدم، ويتجلّى هذا التصور بوضوح في قوله(٥١):

يـدلُّ على فضـــل الممـات وكونـه إراحةُ جِســمٍ أن مســلكه صَـعْبُ

(٥٠) يحيى عبد العظيم حسانين أبو العنين، "جدارية الروح وتهاويم الجسد في رائية المعرّي"، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية ٢٦، العدد ٧٧ (يناير ٢٠٢٤م): ٧.

(٥١) المعري، اللّزوميات، ١: ٦٩.

ألمْ تـرَ أنَّ المجـدَ تـلـقـاكَ دُونـه شـــدائدُ من أمثالها وجبَ الرُّعبُ

وتنهض هذه الأبيات على مفارقة حادّة تقلب التراتب القيمي المألوف؛ إذ يُقدَّم الموت بوصفه راحة، وتُصوَّر الحياة مسلكًا شاقًا محفوفًا بالمخاوف والشدائد، وهي مفارقة تصادم الوعي الجمعي الذي يجعل الحياة غاية مطلقة، والموت نهاية مرهوبة، غير أن المعرّي يعيد ترتيب هذه الثنائية انطلاقًا من تجربة وجودية ترى في استمرار الحياة عبئًا، وفي نهايتها خلاصًا جسديًا ونفسيًا، ويتصاعد هذا التصور إلى حدٍّ صادم، حين يدعو إلى تهنئة أقارب الميت، لا تعزيتهم، في قوله(٥٢):

قضـــى الله أنَّ الآدميَّ مُـعـذَّبٌ إلى أن يقول العالمون به قضَـــى

فـهـنِّي وُلاةَ المـيـتِ يـومَ رحـيـلـه أصابُوا تُراثًا واستراحَ الذي مضَى

ولا يصدر هذا الموقف عن نزعة لغوية فحسب، وإنما عن فوضى فكرية عميقة أعادت تشكيل علاقة الإنسان بالحياة والموت؛ فالموت في وعي المعرّي ليس فقدًا، بل تحُققٌ للراحة التي ظلَّ الإنسان ينشدها دون أن يبلغها في حياته. ومن هنا تتداخل القيم الأخلاقية والمادية في بنية واحدة، حيث يُبرَّر الفرح بالموت، ليس لما يحققه للميت من سكون، وإنما بما يترتب عليه من انتقال الثروة إلى الأحياء، في رؤية تكشف قسوة العالم، وهشاشة المعنى الإنساني داخله.

وبهذا تتحول ثنائية الحياة والموت إلى نموذج دلالي كاشف عن المرجعية الفلسفية القلقة التي تنعكس لغويًا في خطاب المعرّي، حيث لا يُبنى المعنى على الانسجام، بل على الصدمة، ولا يتولّد من الطمأنينة، بل من قلب المفارقة والتناقض.

ويفضي ذلك إلى مفارقة ضدية أخرى تشكّل امتدادًا بنيويًا لمفارقة الحياة والموت عند أبي العلاء المعرّي، وهي ثنائية الفقر والغنى، بوصفهما تمثيلًا اجتماعيًا لاختلال

(٥٢) المعري، اللّزوميات، ١: ٦٠.

العدالة في العالم الإنساني، يقول(٥٣):

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحتهُ فقيرٌ مُعرَّى أو أميرٌ مُدوَّجُ
وقد يُرزقُ المجدودُ أقواتَ أمَّةٍ ويُحرمُ قوتًا واحدٌ وهو أحوجُ
ولو كانت الدنيا عروسًا وجدتُّها بما قتلت أزواجها لا تُزوَّجُ

وتقوم هذه الثنائية على مفارقة صادمة تُعرّي بنية المجتمع في عصر المعرّي، حيث يتجاور الفقر المدقع مع الترف المفرط، دون أن تحكم العلاقة بينهما معايير الاستحقاق أو الجهد، فيتحول الغنى إلى قرين المصادفة، والفقر إلى قدرٍ يُلاحق الأجدر، ولا تُقدَّم هذه الصورة بوصفهما توصيفًا اجتماعيًا محايدًا، بل باعتبارها دليلًا شعريًا على عالم مختلّ التوازن، تتفكك فيه العلاقة بين العمل والجزاء، وبين القيمة والمكانة.

ومن هنا تُسهم ثنائية الفقر والغنى في ترسيخ مفارقة الموت والحياة في فلسفة أبي العلاء، إذ لا يعود تفضيل الموت نزعة لغوية أو وجدانية عابرة، وإنما أفقًا فلسفيًا للخلاص من عالمٍ تقوم أنظمته على المفارقة واللاعدالة، فالحياة – في هذا السياق– تُعاد قراءتها بوصفهما فضاءً للحرمان والاختلال، في حين يُستعاد الموت رمزًا للراحة والانفصال عن نظام لا يمنح الإنسان ما يستحقه بقدر ما يُخضعه لمنطق المصادفة والقهر.

وعلى الرغم من التنافر الظاهر في هذه الثنائيات، فإن انتظامها داخل شبكة دلالية واحدة يُنتج نوعًا من التوازن الداخلي، تتجلّى فيه فلسفة المعرّي القائمة على كشف التناقض لا حلّه، وعلى مساءلة القيم لا تثبيتها، وهو ما يمنح هذا التناقض انسجامه العميق داخل بنية الخطاب الشعري، ويجعل الفوضى اللغوية هنا أداة وعي لا مظهر اضطراب.

وبذلك يتبيّن أن الفوضى اللغوية في لزوميات أبي العلاء المعرّي لا تمثل خروجًا

(٥٣) المعري، اللّزوميات، ١: ١٩١.

على نظام اللغة أو انكسارًا في بنيتها، بل هي ممارسة واعية لإعادة توجيه هذا النظام عبر بنية انزياحية تتجلى في أنماط متعددة من التقابل الدلالي، يأتي التضاد في مقدمتها بوصفه صورة جزئية ضمن بنية أوسع من المفارقة، إلى جانب الحذف والتعقيد، بما يسمح بإنتاج دلالة متوترة ومفتوحة على التأويل، كما أتاحت هذه الفوضى للمعرّي أن يُحمِّل لغته رؤيته الفلسفية للعالم، وأن يحوّل البنية الأسلوبية إلى أداة كشف لا زينة لفظية، فغدت اللغة نفسها فضاءً للصراع بين الثبات والتحوّل، وبين المعنى الموروث والمعنى المعاد تشكيله داخل تجربة شعرية عميقة ومركّبة.

المبحث الثالث: الفوضى الجمالية - "المفارقة والنظام الخفي"

لا تُفهم المفارقة في خطاب أبي العلاء المعرّي بوصفها مجرد شكل بلاغي أو محسّنٍ أسلوبي، بل باعتبارها عقدًا تأويليًا بين النص والقارئ، يقوم على ازدواج الدلالة وتوليد المعنى عبر التوتر بين الظاهر والمضمر؛ إذ إنها تقول شيئًا "وتقصد النقيض الذي لا يلبث أن نتبين حقيقته، وهي ذات أهمية خاصة بحكم أنها لغة شاعرة لا مجرد محسن بديعي"(٥٤)، ومن ثمّ تنطوي المفارقة على طاقة دلالية مزدوجة تؤدي وظيفة معرفية تتجاوز التزيين اللفظي إلى إحداث صدمة دلالية تُحفّز الوعي، لتغدو بذلك بنية دلالية تنتج المعنى من داخل التوتر القيمي، حيث لا تكتفي بعرض التقابل، بل تتجاوزه إلى إعادة تشكيله في أفق تأويلي أوسع.

وتتجسّد هذه الوظيفة بوضوح في لزوميات أبي العلاء، حيث تتحول المفارقة إلى بنية معرفية فاعلة لا تكتفي بعرض الأضداد، بل تُنتج معنى ثالثا يتشكّل في وعي الشاعر وفلسفته، ويُعاد بناؤه داخل نسيج شعري مشحون بالتوتر القيمي، كما يتجلى في قوله(٥٥):

ألم تعجَب من الشيخ المعنَّى ... يقوم على انتحاء وارتعاشِ

يكونُ عن الصلاةِ له قُعودُ ... ويمشي في المفاوز للمعاشِ

وتقوم المفارقة أعلاه على تقابل حادّ بين العجز عن النهوض لأداء الصلاة والتزوّد للآخرة، والنشاط المفرط في السعي وراء المعاش وشؤون الدنيا؛ فالشيخ الذي يتثاقل عن

(٥٤) سعيد علوش، "معجم المصطلحات الأدبية"، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م)، ١٦٢.

(٥٥) المعري، اللّزوميات، ٢: ٥٩.

الفعل الأعلى قيمة هو ذاته الذي يقطع المفاوز طلبًا للرزق، في صورة تكشف خللًا عميقًا في ترتيب القيم.

ولا تنحصر المفارقة في السخرية من فرد بعينه، بل تتخذ بعدًا رمزيًا يُشخّص اختلالًا جماعيًا، حيث يُستثمر الجهد في الدنيا ويُهمَل ما يُعلَن نظريًا غايةً للوجود، في ازدواج فاضح بين خطاب إيماني وسلوك عملي مناقض.

ومن ثمّ تتبدّى الفوضى الجمالية هنا بوصفها آلية واعية، تنبع من توتر داخلي بين القيم المعلنة والممارسة الفعلية، وتغدو المفارقة أداة كشف نقدي تُسائل البنية الأخلاقية والاجتماعية من داخلها، لا مجرد تضاد أسلوبي عابر.

وثمة أيضا قوله(٥٦):

نفوسٌ للقيامة تشرئبُّ وغيٌّ في البطالة مُتلئبُّ

تأبَّى أن تجيءَ الخيرَ يومًا وأنتَ ليوم غفرانٍ تئبُّ

فلا يغررك بِشرٌ من صديق فإنّ ضميره إحنٌ وخَبُّ

وإنَّ الناسَ طفلٌ أو كبيرٌ يشيبُ على الغواية أو يشبُّ

وتُجسِّد هذه الأبيات مفارقة جمالية تقوم على الانفصام بين التطلّع المعلن إلى الآخرة والاستعداد النفسي لها، وبين السلوك العملي الغارق في التقاعس والبطالة؛ فالنفس تشتاق ليوم الغفران، لكنها تعجز عن ترجمة هذا الشوق إلى فعلٍ أخلاقي في حاضرها، وهو تناقض يقرأه المعرّي بوصفه خللًا عميقًا في البنية القيمية للإنسان والمجتمع، لا حالة عارضة.

(٥٦) المعري، اللّزوميات، ١: ٧٩.

ومن خلال هذه المفارقة، تتبدّى الفوضى الجمالية في لزوميات أبي العلاء قائمة على ركيزتين حاكمتين: الله عزَّ وجلَّ ثم العقل؛ إذ إن القطيعة معهما تفسّر اضطراب علاقة الإنسان بذاته وبالآخرين، ويكشف المعرّي، بمرارة واعية، تناقض الناس بين ترقّبهم للقيامة وعجزهم عن الالتزام العملي بمقتضياتها، فينتهي إلى تحذير صارم من الاغترار بالبشر والاطمئنان إلى ظواهرهم، حيث يرى الغواية سمةً شائعة قد ترافق الإنسان في جميع أطوار عمره.

وبهذا المعنى، لا تُختزل المفارقة في كونها تضادًا لغويًا أو لعبة بلاغية، بل تتأسس بوصفها نتاجَ عقلٍ فلسفيّ يعيد ترتيب العلاقة بين القيم والوجود، ويحوّل التناقض الاجتماعي إلى بنية جمالية كاشفة داخل الخطاب الشعري. ومن هذا الأفق، تتصل المفارقة في شعر المعرّي باتساق تجربته الحياتية وصرامتها الأخلاقية، حيث يغدو التوتر بين القول والفعل، والمعلن والمضمر، مادةً جمالية تتكثف في بنيته الشعرية، وهو ما يفسّر كثافة حضورها في خطابه، كما عبّر بعض الدارسين عن ذلك بقوله: "فقد أخلص المعرّي لإبداعه، ولم ينشغل بما سواه، ولم يتزوج فتشغله امرأة وتفرض عليه الإخلاص لها، ولم يشغله الولد والذرية فيتفرغ لتربيتهم، ولم تشغله شهواته؛ فقد شغلته سجُونه عن هذا الأمر، ولم يشغله حب المال والدنيا فلم يتسكع قصور الملوك والأمراء، فقد منحه الله نفسًا قوية سمت به عما انغمس فيه معاصروه"(٥٧)، وتتجلى هذه الصلة في أن البنية الجمالية للمفارقة لا تنفصل عن أفقه الفكري وتجربته الوجودية، بل تتكثف فيها.

وقد أسهمت عزلة أبي العلاء المعرّي في ترسيخ الفوضى بوصفها محورًا تأسيسيًا

(٥٧) شعيب خلف، "بلاغة المفارقة في إنسانيات أبي العلاء المعرّي"، مجلة فكر وإبداع، العدد ٧٢ (ديسمبر ٢٠١٢م): ١٤٠.

في لغته وفلسفته وإبداعه؛ إذ لزم بيته قرابة تسعٍ وأربعين سنة، بدوافع متداخلة، في مقدمتها نزعة فطرية دلّ عليها شعره، وذهاب بصره الذي عمّق حياءه ونفوره من الاختلاط خشية السخرية أو الازدراء، ولم تكن هذه العزلة انقطاعًا سلبيًا، بل فضاءً واعيًا للتأديب الذاتي والتفكير الحر، نضجت فيه حكمته، وصفا عقله، وتشكّلت رؤيته النقدية للمجتمع، وهو ما انعكس جليًا في شعره بوصفه مرآةً لصفاء العقل وتعاليه عن الدنايا، يقول(٥٨):

أنســـيـتَ حـقَّ الله أم أهملتـه ... شَـرٌّ مِن النَّاسِـي هو المتْنَاسِـي

تبغي الطهـارةَ في الحيـاة وإنمـا ... أجســـادُنا جُـَملٌ مِنَ الأدْنَاسِ

إنْ صَـــحَّ عقلُـكَ فـالتفرُّد نعمـةٌ ... ونوى الأوانسِ غـايـةُ الإينـاسِ

وتكشف هذه الأبيات توتّرًا عميقًا بين ادعاء الطهارة وحدود الجسد الإنساني، وهو توتّر لا يطرحه المعرّي وعظيًا، بل يصوغه في بنية جمالية تأملية تُجسّد وعيه بالفجوة بين المثال والواقع، ومن ثمّ تتشكّل فلسفة المعرّي في ضوء مرجعية عليا يستحضرها في وعيه، يتقدّم فيها النظر العقلي بوصفه أداة للفهم والتأمل، وتصبح العزلة شرطًا معرفيًا لإعادة النظر في العالم لا هروبًا منه.

وتُعدّ هذه العزلة من أبرز دوافع الفوضى الفكرية في شعره؛ إذ أطلقت طاقة التفكير، ووسّعت أفق التأمل في أسئلة الكون والإنسان والإيمان، بعد تجربة اجتماعية كشفت له آفات الجماعة، فآثر الانفراد بوصفه تفردًا أخلاقيًا ومعرفيًا أفرز هذه الفوضى

(٥٨) المعري، اللّزوميات، ٢: ٤٩.

المنتِجة، يقول (٥٩):

إذا انفرد الفتى أُمِنَتْ عليه ... دنايا ليس يُؤْمِنُها الخِلاطُ

فلا كذبٌ يُقال ولا نميمٌ ... ولا غلطٌ يُخاف ولا غِلاطُ

وهكذا تتجلّى العزلة عند أبي العلاء لا بوصفها نفيًا للعالم، بل نظامًا شخصيًا بديلًا عن نظام اجتماعي مأزوم، تُعاد من خلاله صياغة العلاقة بين الفكر والقيم، وتتحول فيه الفوضى الظاهرة إلى نظام خفيّ يحكم التجربة الشعرية من الداخل.

كذلك يؤكد المعرّي هذا المنحى في قوله (٦٠):

الحكم لله؛ فالبثْ مفردًا أبداً ... ولا تكن بصنوف الناس مُختَلِطًا

وتتجلّى العزلة عند المعرّي، في هذه الدعوة الصريحة إلى التفرد، بوصفها اختيارًا واعيًا لا اضطرارًا وجوديًا؛ إذ آثر لزوم بيته طلبًا لصفاء العقل، واتقاءً لاختلاطٍ رأى فيه نفاقًا وسطحيّةً وإعادة إنتاجٍ للوهم، ولم يكن نفوره من الناس كراهيةً لذواتهم، بل رفضًا لمنظومة اجتماعية مختلّة تُقصي الحكمة وتكافئ الجهالة، ومن ثمّ لا تُفهم عزلته انسحابًا سلبيًا، بل نظامًا شخصيًا بديلًا في مواجهة نظام اجتماعي مأزوم، يُعيد فيه ترتيب علاقته بالعالم على أساس التأمل والعقل، ويحوّل الفوضى الخارجية إلى اتساق داخلي، وهو ما يمكن تسميته بالنظام الخفي الحاكم لرؤيته الجمالية والفكرية.

ويتكشّف هذا النظام الخفي في اللزوميات لا في البنية الدلالية وحدها، بل في الإيقاع والتكرار أيضًا، بوصفهما آليتين منظِّمتين للمعنى داخل فضاء النص، على

(٥٩) المعري، اللّزوميات، ٢: ٧٣.

(٦٠) المعري، اللّزوميات، ٢: ٧٤.

مستوى البيت والمقطع معًا، ومن ذلك قوله(٦١):

لـقـد عـلـم الله رب الـكـمـالِ بِـقِـلَّـةِ عِـلْـمِـي وديـني ومـالِي
وأنَّ الـتـجـمَّـل قـد ضـــاق بِي فـكـيـفَ أُنافـسُ أهـلَ الجَـمَـالِ
أريـــد الإناخـــة في مـــنـــزِلٍ وقَـدْ حُـدِيَـتْ لِسِـــــواهُ جِمَـالِي
لقـد خـاب من يبتغي نُصـــرتي وعـاجـزةٌ عـن يمـيـني شِمـالِي
هـويـتُ انـفـرادِيَ كَـيْـمَـا يخِـفُّ عَمَّنْ أُعـاشِـــرُ ثِقْـلَ احْتِمَـالِي

وتُنتج هذه الأبيات إيقاعًا داخليًا مشبعًا بالحزن، يتأسس على تكرار ياء المتكلم، بما يوحي بالانكفاء على الذات والإنصات للصوت الداخلي في فضاء العزلة، ويتعزّز ذلك باتساقه مع القافية القائمة على اللام المكسورة، فتتشكل بنية إيقاعية مغلقة تُعمّق الإحساس بالضيق والانحصار، ولا يقف هذا الإيقاع عند حدّه الموسيقي، بل ينهض بوظيفة دلالية، إذ تُحيل كثافة ضمير المتكلم إلى مسار من التجرد المتدرّج: من المال والقبول الاجتماعي إلى العجز الجسدي والنفسي، وهكذا يتحول التكرار من تقنية أسلوبية إلى آلية تنظيم داخلية تُعيد ترتيب التجربة الشعورية، وتحوّل الفوضى الوجودية إلى نظام إيقاعي منضبط يُجسّد فلسفة المعرّي في التفرد والانفصال عن العالم.

وفي هذا الإطار، لا تحضر الفوضى والشك في اللزوميات بوصفهما تيهًا أو اضطرابًا، بل باعتبارهما آلية معرفية عقلية لصوغ السؤال ومساءلة الوجود، كما يتجلى بوضوح في قوله(٦٢):

(٦١) المعري، اللّزوميات، ٢: ٢٥٢.
(٦٢) المعري، اللّزوميات، ٢: ١٤٨.

عليكَ بتقوى الله في كل حالة ... فإنَّ الذي نصَّ الرِّكابَ سيُبْرِكُ

إذا مرَّتِ الأوقاتُ حُرِّكَ ساكنٌ ... وسكِّن في أضعافها المتحرِّكُ

تباينَ في الدين المقالُ؛ فجاحدٌ ... وصاحبُ توحيدٍ وآخرُ مُشرِكُ

وتُعْجِزُ دُنياكَ القويَّ يَرُومُها ... ويَطْلُبُ أُخْرَاه الضَّعيفُ فيُدركُ

وتنهض هذه الأبيات في مقام وصية جامعة تُعيد ترتيب علاقة الإنسان بالكون والمآل، وتكشف تفاوتًا وجوديًا في مواقف الناس من الدين والدنيا، يتجسّد سلوكيًا في انقسامهم بين مغترٍّ بالدنيا مسلوب الإرادة، وعاقلٍ أدرك حقيقتها فأعرض عنها وإن بدا ضعيف الظاهر قوي البصيرة.

ومن هذا الأفق، تتشكّل الفوضى في اللزوميات مسارًا للتطهير العقلي الواعي في زمن اختلّت فيه القيم وتنازعت فيه العقول، فتغدو أداة لإعادة تصحيح التصورات وتحرير الفكر من الأوهام، وبهذا تتأسس المفارقة في خطاب المعرّي ضمن نظامٍ خفيّ يعيد ترتيب القيم من داخل التناقض، ويحوّل الفوضى الظاهرة إلى اتساقٍ دلالي تحكمه سلطة العقل والعزلة ومساءلة المسلّمات، بما يجعل التجربة الشعرية مسار كشفٍ لا زخرفًا بلاغيًا.

الخاتمة:

وينتهي هذا البحث إلى قراءةٍ ترى أن ما يُتداول في لزوميات أبي العلاء المعرّي بوصفه فوضى أو شكًّا يمكن النظر إليه في إطار نسق جمالي ومعرفي واعٍ، يتشكّل من خلاله نظام خفي يحكم بنية الخطاب الشعري، وقد بيّنت القراءة التحليلية أن المفارقة عند المعرّي تتجاوز حدود وظيفتها البلاغية لتغدو أداة تأويلية تعيد ترتيب القيم والمعاني، وتحوّل التناقض الظاهري إلى آلية للكشف وبناء الدلالة، ضمن أفق تأويلي يجاور القراءات التي تعاملت مع هذه الظواهر بوصفها اضطرابًا فكريًا أو قلقًا وجوديًا.

كما أظهر البحث أن هذه الفوضى الجمالية تصدر عن عقل فلسفي ناقد، تتولّد من وعي حاد بتناقضات الإنسان والمجتمع، وتتحول داخل النص إلى بنية منتظمة تضبط الإيقاع والصورة والدلالة، وتنتج اتساقًا داخليًا يتجاوز منطق الثنائيات المبسّطة؛ وبذلك يمكن النظر إلى الفوضى في اللزوميات بوصفها استراتيجيةً جماليةً ومعرفيةً، لا موقفًا سلبيًا من الوجود.

وتفتح هذه القراءة أفقًا تأويليًا جديدًا لقراءة شعر أبي العلاء، يُسهم في مراجعة التصنيفات النقدية السائدة، ويعزّز فهم العلاقة بين العقل والشعر في التراث العربي، مع ما يتيحه ذلك من إمكانات بحثية لاحقة تمتد إلى نصوص تراثية أخرى ضمن منظور نقدي بينيّ تتقاطع فيه المقاربات الجمالية والفلسفية والبلاغية.

المصادر والمراجع:

ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، د.ت).

الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وآخرين، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

أبو تمام، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، (القاهرة: دار المعارف، ط٤، د.ت).

أبو العنين، يحيى عبد العظيم حسانين، جدارية الروح وتهاويم الجسد في رائية المعرّي: دراسة في الثنائيات الضدية، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، جامعة المنوفية، مج ٢٦، ع ٧٧ (يناير ٢٠٢٤م).

بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، (الجزائر: وزارة الثقافة، ٢٠٠٧م).

بلقا، إلياس، الوجود بين السببية والنظام، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٩م.

بوعزّة، محمد، هيرمينوطيقا المحكي: النسق والكاوس في الرواية العربية، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، (د.ت).

الجوهري سبع، توفيق محمد، عبقرية المعرّي اللغوية، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٧ (١٩٧٧م).

الحجرية، ابتسام بنت عبد الله بن مبارك، الفوضى الانفعالية في شعر المتنبي، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، سلطنة عمان، ٢٠١٠م.

خلف، شعيب، بلاغة المفارقة في إنسانيات أبي العلاء المعرّي في اللزوميات، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث، ج ٧٢ (ديسمبر ٢٠١٢م).

زيدان، عبد القادر، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعرّي، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٦م.

سيسه، محمد ألف، مظاهر التشاؤم في شعر أبي العلاء المعرّي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد ٢٣ (سبتمبر ٢٠٢٣م).

شرف الدين، خليل، أبو العلاء المعرّي مبصر بين عميان: في سبيل موسوعة فلسفية، القاهرة: منشورات دار مكتبة الهلال، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الصاعدي، نادية بنت حسن ضيف الله، أبو العلاء المعرّي والتفكير الفلسفي في لزومياته، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، ع ٢٦ (يوليو ٢٠١٢م).

ضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات في الشام، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٩٠م.

عبد الحميد، محمد محيي الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، القاهرة: دار التراث، ط٢٠، ١٤٤٠هـ/١٩٨٠م.

عبد النظير، محمود معروف، شعرية المفارقة وأثرها على قلق الوجود والفناء عند أبي العلاء المعرّي، مجلة القراءة والمعرفة، جامعة عين شمس (أكتوبر ٢٠١٩م).

علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

علوش، سعيد، نظرية عمائية أم استراتيجية معرفية، مجلة علامات، العدد ١٣ (٢٠٠٠م).

غرايبة، نهال عبد الله عبد الرحمن، جماليات الفوضى ودلالاتها في الشعر العباسي: أبو نواس وأبو تمام والمتنبي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الهاشمية، الأردن، ٢٠٢٠م.

فيصل، سوزان ناجي، الفوضوية وتمثلاتها في فنون ما بعد الحداثة: دراسة تحليلية، مجلة نابو للبحوث والدراسات، العدد ٥٢ (تشرين الأول ٢٠٢٥م).

كيليطو، عبد الفتاح، أبو العلاء المعرّي: أو متاهات القول، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط١، ٢٠٠٠م.

مباركة، مأمون تيسير محمد، قضايا الحذف ودلالته في شعر أبي العلاء المعرّي، مجلة البلقان للبحوث والدراسات، جامعة عمان الأهلية، مج ٢٣، ع ١ (٢٠٢٠م).

مرتاض، عبد الملك، شعرية القصيدة: قصيدة القراءة، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٤م.

المعرّي، أبو العلاء، اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، (القاهرة/بيروت: مكتبة الخانجي – مكتبة الهلال، د.ت).

الموافي، محمد عبد العزيز، حركة التجديد في الشعر العباسي، القاهرة: مطبعة التقدم، د.ت.

Bibliography

Ibn Faris, Ahmad bin Zakariya. "Maqaayees Al-Lughah". Investigated by Abdul-Salaam Muhammad Haaroon. (Beirut: Dar Al-Fikr, n.d., 1399 AH / 1979).

Ibn Manzoor, Muhammad bin Mukarram. "Lisaan Al-Arab". Investigated by Abdullah Ali Al-Kabeer et al. (Cairo: Dar Al-Ma""aarif, n.d.).

Al-Azhari, Muhammad bin Ahmad. "Tahdheeb Al-Lughah". Investigated by Ahmad Abdul-Aleem Al-Bardooni. (Cairo: Al-Daar Al-Misriyyah lil-Ta""leef wal-Tarjamah, n.d.).

Al-Asfahani, Abu Al-Faraj."Al-Aghaani". Investigated by Ihsaan Abbaas et al. (3rd edition. Beirut: Dar Saadir, 1429 AH / 2008).

Abu Tammaam."Deewaan Abi Tammaam bi-Sharh Al-Khateeb Al-Tabreezi". Investigated by Muhammad, Abduh, Azzaam. (4th edition. Cairo: Dar Al-Ma'aarif, n.d.).

Abu Al-Aneen, Yahya Abdul-Azeem Hassanein. "Jidaariyyat Al-Rooh wa-Tahaweem Al-Jasad fi Raaiyyat Al-Ma'arri: Diraasah fi Al-Thuna'iyyaat Al-Diddiyyah". Markaz Al-Khidmah Research Journal (in Arabic), University of Menoufia 26 (77), (January 2024).

Bashshaar bin Burd. "Deewaan Bashshaar bin Burd". Investigated by Muhammad Al-Taahir bin Aashoor. (Algeria: Ministry of Culture, 2007).

Balqaa, Ilyaass."Al-Wujood bayna Al-Sababiyyah wal-Nithaam". (1st edition. United States: Al-Ma'had Al-Aalami lil-Fikr Al-Islaami, 2009).

Bou-azza, Muhammad."Heermeenooteeqaa Al-Mahki: Al-Nasaq wal-Kaaws fi Al-Riwaayah Al-Arabiyyah". (Beirut: Muassasat Al-Intishaar Al-Arabi, n.d.).

Al-Jawhari Saba, Tawfiq Muhammad. Abqariyyat Al-Maarri Al-Lughawiyyah". College of Arabic Language Journal (in Arabic), Imam Muhammad bin Saud Islamic University 7, (1977).

Al-Hijriyyah, Ibtisaam bint Abdullah bin Mubaarak. "Al-Fawdaa Al-Infi-aaliyyah fi Shi""r Al-Mutanabbi". MA Thesis, University of Nizwa, Sultanate of Oman, 2010.

Khalaf, Shuaib."Balaaghat Al-Mufaaraqah fi Insaaniyyat Abi Al-Alaa, Al-Ma-arri fi Al-Luzoomiyyaat". Fikr wa-Ibda, Journal (in Arabic) 72, (December 2012).

Zaydaan, Abdul-Qaadir."Qadaayaa Al-Asr fi Adab Abi Al-Alaa, Al-Ma-arri. (1st edition. Egypt: Dar Al-Wafaa, lil-Tibaaah wal-Nashr, 2006).

Seessah, Muhammad Alf."Mazahir Al-Tashaaum fi Shir Abi Al-Alaa Al-Maarri". Hawliyaat Al-Turaath Journal (in Arabic) 23, (September 2023).

Sharaf Al-Deen, Khaleel."Abu Al-Alaa Al-Maarri Mubsir bayna Umyaan: fi Sabeel Mawsooah Falsafiyyah". (Cairo: Manshooraat Dar Maktabat Al-Hilaal, 1405 AH / 1985).

Al-Saaidi, Naadiyah bint Hasan Dayf Allah."Abu Al-Alaa Al-Maarri wal-Tafkeer Al-Falsafi fi Luzoomiyyaatih". Buhouth Al-Tarbiyah Al-Nawiyyah Journal (in Arabic) 26, (July 2012).

Daif, Shawqi. Asr Al-Duwal wal-Imaraat fi Al-Shaam". (2nd edition. Cairo: Dar Al-Maaarif, 1990).

Abdul-Hameed, Muhammad Muhyi Al-Deen."Sharh Ibn Aqeel ala Alfiyyat Ibn Maalik". (20th edition. Cairo: Dar Al-Turaath, 1440 AH / 1980).

Abdul-Nazeer, Mahmud Maroof. "Shiriyyat Al-Mufaaraqah wa-Atharuhaaala Qalaq Al-Wujood wal-Fanaa,inda Abi Al-Alaa, Al-Maarri". Al-Qiraaah wal-Marifah Journal (in Arabic), (October 2019).

Alloosh, Saeed."Mujam Al-Mustalahaat Al-Adabiyyah". (1stedition. Beirut: Dar Al-Kitaab Al-Arabi, 1405 AH / 1985).

Alloosh, Saeed. "Nadhariyyat Amaaiyyah am Istrateejiayyah Marifiyyah?". Alaamaat Journal (in Arabic) 13, (2000).

Ghraaybah, Nihaal Abdullah Abdul-Rahmaan. "Jamaliyyat Al-Fawdaa wa-Dalaalaatuhaa fi Al-Shir Al-Abbasi: Abu Nuwaas wa-Abu Tammaam wal-Mutanabbi". PhD Dissertation, The Hashemite University, Jordan, 2020.

Faysal, Suzaan Naaji."Al-Fawdaawiyyah wa-Tamaththulaatuhaa fi Funoon Maa Bad Al-Hadaathah: Diraasah Tahleeliyyah". Naaboo Journal for Research and Studies (in Arabic) 52, (October 2025).

Kilitto, Abdul-Fattaah."Abu Al-Alaa Al-Maarri: Aw Mataahaat Al-Qawl". (1st edition. Casablanca: Dar Toobqaal lil-Nashr, 2000).

Mubaarakah, Mamoon Taysir Muhammad."Qadaayaa Al-Hadhf wa-Dalaalatuh fi Shir Abi Al-Alaa Al-Maarri". Al-Balqaan Journal for Research and Studies (in Arabic) 23 (1), (2020).

Murtaad, Abdul-Malik."Shiriyyat Al-Qaseedah: Qaseedat Al-Qiraaah". (1st edition. Beirut: Al-Muassasah Al-Jaamiiyyah lil-Diraasaat wal-Nashr, 1994).

Al-Maarri, Abu Al-Alaa."Al-Luzoomiyyaat". Investigated by Ameen Abdul-Azeez Al-Khaanji. (Cairo / Beirut: Maktabat Al-Khaanji – Maktabat Al-Hilaal, n.d.).

Al-Mawaafi, Muhammad Abdul-Azeez."Harakat Al-Tajdeed fi Al-Shir Al-Abbasi". (Cairo: Matbaat Al-Taqaddum, n.d.).

أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات الحوار لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

The Impact of Peer Learning Strategy on Developing Dialogue Skills among Learners of Arabic as a Second Language at the Islamic University of Madinah

د. أحمد بن محمد بن أحمد شيخ

أستاذ التربية الإسلامية المشارك بقسم إعداد وتدريب المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: dr.ahsheikh@gmail.com/asheikh@iu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
03/02/2026		12/04/2026

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-011

المستخلص

سعى هذا البحث إلى استقصاء فاعلية استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات الحوار لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، اعتمدت الدراسة المنهج شبه التجريبي (تصميم المجموعة الواحدة) على عينة مكونة من (٢٠) طالباً، شمل التدخل التدريسي (٢٠) جلسة تدريبية مكثفة، واستُخدمت بطاقة ملاحظة مكونة من (١٢) مؤشراً تغطي ثلاثة محاور: الأداء اللغوي، التفاعل الاجتماعي، والمناقشة الأكاديمية، تمت معالجة البيانات إحصائياً باستخدام اختبار (ت) للعينات المترابطة، وحساب حجم الأثر، كشفت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح التطبيق البعدي؛ حيث ارتفع المتوسط الحسابي من (١,٦٢) إلى (٤,٢٨)، مما يشير إلى أثر كبير للاستراتيجية في تعزيز الكفاءة التواصلية، وخفض القلق اللغوي لدى المتعلمين، أوصى البحث بدمج تعليم الأقران كأداة تدريسية محورية في برامج اللغة المتقدمة، مع ضرورة إجراء بحوث مستقبلية تتناول أثر الاستراتيجية في بيئات تعلم ذكية.

الكلمات المفتاحية: أثر استراتيجية، تعليم الأقران، مهارات الحوار، طلاب العربية لغير الناطقين بها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

Abstract

This study investigated the effectiveness of the peer learning strategy in developing dialogue skills among non-native speakers of Arabic at the Islamic University of Madinah. Adopting a quasi-experimental approach (one-group pretest-posttest design), the study was conducted on a sample of (20) students. The instructional intervention included (20) intensive training sessions, utilizing an observation checklist of (12) indicators across three domains: linguistic performance, social interaction, and academic discussion. Data were analyzed using the Paired Samples T-test and effect size measures. The results revealed statistically significant differences in favor of the post-test, with the mean score increasing from (1.62) to (4.28). These findings demonstrate a substantial impact of the strategy on enhancing communicative competence and reducing language anxiety. The study recommends integrating peer learning as a core instructional tool in advanced language programs and suggests further research into its effectiveness within smart learning environments.

Keywords: Peer learning; Dialogue skills; Teaching Arabic to Speakers of Other Languages (TASOL/TAFL); Islamic University of Madinah; Quasi-experimental design.

مقدمة البحث:

تتبوأ اللغة العربية مكانة استراتيجية فريدة بوصفها جسراً حضارياً وثقافياً يربط بين الشعوب، والوعاء الأصيل للتراث الإسلامي، وفي سياق تعليمها للناطقين بغيرها، لا سيما في المؤسسات الرائدة كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تجاوز الهدف التعليمي إطار التلقين التقليدي للمفردات والقواعد؛ ليصبح الغرض الأسمى هو تمكين المتعلم من الكفاية التواصلية التي تجعله فاعلاً في المواقف الحياتية، والأكاديمية المختلفة؛ فالعربية ممارسة اجتماعية، ومنتج عقلي رفيع يتشكل من خلاله وعي المتعلم(١).

ومع التحولات التربوية المعاصرة، برزت الحاجة إلى تفعيل دور المتعلم داخل القاعة الدراسية، وهو ما جسدته نظريات التعلم النشط التي تنقل الطالب من دور المتلقي إلى دور المنتج والمشارك المعرفي(٢). ومن هذا المنطلق، تبرز استراتيجية تعليم الأقران كواحدة من أكثر الأساليب فاعلية؛ لكونها تخلق بيئة تعلم اجتماعية تزيد من اندماج الطلاب، خاصة في المهارات اللغوية التي تتطلب ممارسة جماعية مستمرة، وهو ما يتقاطع مع رؤية المملكة ٢٠٣٠ في تجويد مخرجات التعليم العالي.

وتستمد هذه الاستراتيجية رصانتها من إطار التعلم الاجتماعي الثقافي لفيجوتسكي، وتحديداً مفهوم منطقة التنمية القريبة؛ حيث تتيح للمتعلم صقل مهاراته من خلال التفاعل الحي مع أقرانه تحت إشراف الميسر، وتأتي مهارات الحوار والمناقشة

(١) العظامات، هايل عقله بنيه، "أثر استخدام استراتيجية أنشطة القراءة المباشرة في تنمية مهارات الاستيعاب الاستماعي عند طلبة المرحلة الأساسية العليا في منطقة البادية الشمالية الشرقية"، (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة البحر الأحمر، ٢٠١٣م)، ٣٦١.

(٢) الشمري، عبد الله. "تطبيق ثلاثة أساليب للتعلم النشط في تدريس التربية الإسلامية لطلاب الصف التاسعة بدولة الكويت وآثارها في تحصيلهم وتفكيرهم الإبداعي"، (رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كويت، ١٩٨٥م)، ١٣٦.

في طليعة المهارات التي تنميها هذه الاستراتيجية، فالمناقشة ليست مجرد تبادل للحديث، بل هي عملية ذهنية ولفظية؛ تهدف للوصول لرأي مشترك عبر الإقناع والتفاعل النشط(١).

إن التكامل بين الحوار والمناقشة يمثل أداة حيوية لبناء الموقف التعليمي، فبينما يمثل الحوار النواة الأولى لتبادل الأفكار بين فردين، تأتي المناقشة لتوسع هذه الدائرة وتعمقها، مما يسهم في صهر الآراء المتباينة في بوتقة معرفية واحدة، وهو ما يحتاجه طالب الدراسات العليا للوصول إلى الأداء الأكاديمي الرصين(٢).

ورغم هذا التأصيل النظري، إلا أن الواقع الميداني –من خلال خبرة الباحث التدريسية التي تمتد لـ (١٥) عاماً في المعهد– يكشف عن فجوة ملموسة؛ إذ يلاحظ انحسار القدرة الحوارية والنقاشية لدى طلاب الدبلوم العالي، وعجز الكثير منهم عن إدارة مناقشات فكرية ناضجة تتناسب مع مستواهم المتقدم، وميلهم إلى استجابات لغوية مقتضبة ونمطية لا تعكس عمق تخصصاتهم.

وقد تعزز هذا الرصد الميداني بما أظهرته تقارير توصيف المقررات الفصلية المرفوعة للأقسام العلمية، والتي بينت وجود ضعف حقيقي في مهارات التفاعل الشفوي الأكاديمي لدى نسبة كبيرة من الطلاب، ومن هنا جاء هذا البحث ليختبر أثر استراتيجية تعليم الأقران في معالجة هذا القصور، وتنمية مهارات الحوار والمناقشة لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ سعياً لسد

(١) سعادة، جودت، وآخرون، "التعلم النشط: بين النظرية والتطبيق"، (ط١، عمان: دار الشروق للنشر، ٢٠٠٦م)، ٤٠٩.

(٢) عاشور، راتب، ومحمد مقدادي. "المهارات القرائية والكتابية طرائق تدريسها واستراتيجيتها"، (ط١، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ١٢٦.

الفجوة بين الكفاية اللغوية، والأداء التواصلي.

- **مشكلة البحث:**

تتجلى مشكلة البحث الحالي في وجود فجوة نوعية ملموسة بين الحصيلة المعرفية لطلاب الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبين قدراتهم الفعلية على توظيف تلك الحصيلة في سياقات حوارية، وأكاديمية ناضجة؛ فبالرغم من بلوغهم مستويات لغوية متقدمة، إلا أن خبرة الباحث التدريسية التي تمتد لـ (١٥) عاماً في هذا الميدان، وبالاستناد إلى تقارير توصيف المقررات السنوية المرفوعة للأقسام العلمية، رصدت ضعفاً مطرداً في مهارات المناقشة العلمية، والإقناع، حيث تشير الملحوظات الميدانية إلى أن هؤلاء الطلاب يواجهون صعوبات حقيقية في إدارة التفاعلات الشفوية المعقدة، ويميلون غالباً إلى الصمت أو تقديم استجابات نمطية مقتضبة لا تعكس ثقل تخصصاتهم الشرعية، واللغوية، مما يبرهن على تأثرهم بالأنماط التدريسية التقليدية التي تفتقر للبيئة التفاعلية المحفزة، ورغم إشارة دراسات سابقة كدراسة العتيبي (٢٠٢١)، والعظامات (٢٠١٨) لقصور الأداء التواصلي العام، إلا أنها لم تعالج بعمق إشكالية الحوار الأكاديمي لدى طلاب الدراسات العليا، وهو ما أوجد ضرورة ملحة لاستقصاء أثر استراتيجية تعليم الأقران كمدخل إجرائي نوعي لسد هذه الفجوة، وتنمية تلك المهارات، وبناءً عليه يسعى البحث للإجابة عن السؤال الرئيس: ما أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات الحوار لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

- **أسئلة البحث:**

وتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

س١: ما مهارات الحوار اللازم تنميتها لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

س٢: ما أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات الحوار لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

س٣: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية في التطبيقين (القبلي، والبعدي) لبطاقة ملاحظة الحوار ككل، لصالح التطبيق البعدي؟

- **أهداف البحث:**

١. بناء قائمة مهارات الحوار اللازم تنميتها لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٢. قياس أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات الحوار لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٣. وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية في التطبيقين (القبلي، والبعدي) لبطاقة ملاحظة الحوار ككل، لصالح التطبيق البعدي.

- **فرضيات البحث:**

١. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في مهارات الأداء اللغوي (الطلاقة التعبيرية، السلامة النحوية، الثراء المعجمي، النطق والتمثيل) بين التطبيق القبلي والبعدي لصالح البعدي.
٢. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في مهارات التفاعل الاجتماعي (إدارة الدور، البدء وتوجيه الحوار، التفاوض على المعنى، لغة الجسد التواصلية) بين التطبيق القبلي والبعدي لصالح البعدي.

٣. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في مهارات المناقشة الأكاديمية (الاستدلال والبرهان، التفنيد النقد الأدبي، المرونة والإقناع، التلخيص والتركيب) بين التطبيق القبلي والبعدي لصالح البعدي.

- **حدود البحث:**

- **الحدود الموضوعية:** استراتيجية تعليم الأقران، ودورها في تنمية مهارات الحوار والمناقشة.
- **الحدود البشرية:** طلاب مرحلة الدبلوم العالي.
- **الحدود المكانية:** معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- **الحدود الزمانية:** الفصل الثاني من العام الجامعي ١٤٤٧هـ.

- **مصطلحات البحث:**

يعرف الباحث مصطلحات البحث إجرائياً بالآتي:

- أثر: هو مقدار التغيير في مستويات أداء طلاب الدبلوم العالي في مهارات الحوار والمناقشة، بعد تطبيق استراتيجية تعليم الأقران، وتقاس من خلال بطاقة الملاحظة، والاختبارات القبلية، والبعدية.
- استراتيجية تعليم الأقران: هي مجموعة من الخطوات المنظمة التي يتبعها طلاب الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، حيث يقوم الطلاب بدور المعلم لزملائه في مواقف حوارية مخططة؛ بهدف تبادل الخبرات، وتطوير مهارات الحوار والمناقشة.
- مهارات الحوار والمناقشة: هي مجموعة الأداءات الشفهية التي يمارسها طلاب الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أثناء المحاضرات، وتتضمن: مهارات الأداء اللغوي، مهارات التفاعل الاجتماعي، مهارات المناقشة الأكاديمية، وتقاس بالدرجة التي يحصل عليها الطالب في بطاقة الملاحظة المعدة لذلك.

- طلاب العربية لغير الناطقين بها: الطلاب المسجلون في الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعد استكمالهم المرحلة الجامعية في التخصصات المختلفة.

- **أهمية البحث:**

يكتسب هذا البحث قيمته العلمية من كونه استجابة للمتطلبات المعاصرة في تجويد تعليم العربية للناطقين بغيرها، وربطه بالمعايير العالمية في تعليم اللغات الأجنبية، وتتحدد أهمية البحث في الجوانب الآتية:

- **الأهمية النظرية:**

١. يقدم البحث إطاراً نظرياً حديثاً يوضح أثر تعليم الأقران في تنمية مهارات الحوار لدى طلاب الدبلوم العالي، مما يثرى المكتبة التربوية العربية في هذا المجال التخصصي.
٢. يؤكد البحث على أن مهارات الحوار والمناقشة ليست كلاماً عشوائياً، بل هي مهارات مركبة تجمع بين الجانب المعرفي (الفكر)، والاجتماعي (التفاعل)، واللغوي (المفردات، والتراكيب).
٣. يعتمد البحث على قائمة علمية دقيقة لمهارات الحوار والمناقشة، يمكن أن تكون مرجعاً للباحثين، والمعلمين؛ لتقييم مستوى الطلاب في المستويات المختلفة بدقة.
٤. يدعم البحث الاتجاهات الحديثة التي تجعل الطالب محور العملية التعليمية، وهو ما يتوافق مع رؤية المملكة ٢٠٣٠ في رفع جودة مخرجات التعليم الجامعي.

- **الأهمية التطبيقية:**

١. يزود البحث أعضاء هيئة التدريس في معاهد اللغة العربية للناطقين بغيرها على أسلوب تدريسي تفاعلي يخرجهم من الروتين التقليدي، ويساعد في

خلق بيئة دراسية حيوية، وجذابة.

٢. يساعد البحث طلاب الدبلوم العالي على التغلب على الخوف من التحدث (القلق اللغوي)، وتأهيلهم للانتقال بثقة لمراحل الدراسات العليا (الماجستير، والدكتوراه).

٣. يصمم البحث بطاقة ملاحظة خاصة لتقويم أداء الطلاب الشفهي في الحوار والمناقشة، يمكن للمختصين، والباحثين استخدامها كأداة عملية، وعادلة للتقييم.

٤. يكسب البحث الطلاب خبرات عملية في القيادة، والتعاون من خلال ممارسة دور المعلم (القرين) لزملائهم؛ مما يرفع من كفايتهم الأكاديمية، والتربوية.

الإطار النظري للبحث:

المحور الأول / تعليم الأقران في ضوء الفلسفة البنائية، واكتساب اللغة:

تعد استراتيجية تعليم الأقران من التحولات الجوهرية في الفكر التربوي المعاصر، حيث تقوم على فلسفة التعلم التعاوني التي تمنح المتعلم دوراً قيادياً في بناء المعرفة، ويُعرف تعليم الأقران بأنه أسلوب يقوم الأفراد من خلاله بتعلم بعضهم بعضاً، حيث يساهم الطلاب الذين يمتلكون مهارة أو تحصيلاً أعلى في مساعدة زملائهم الذين هم في مستواهم الدراسي أو أقل.(١) إن هذه العملية ليست مجرد نقل للمعلومات، بل هي وسيلة لإتقان المهارات العملية واللغوية، حيث ينعكس إتقان المهارة إيجابياً على قدرات الطالب ومستواه الأكاديمي.(٢)وتتعدد أنماط هذه الاستراتيجية لتشمل تعليم

(١) جبر، آيات محمد، وعلوان، حيدر عبد الزهرة. "أثر استخدام استراتيجية تدريس الأقران في تحصيل واستبقاء تلميذات الصف الخامس الابتدائي لمادة الرياضيات"، (مجلة العلوم التربوية والنفسية، الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية،٢٠١٦م)،٥٢٠.

(٢) علي، شعبان حسن. " أثر استخدام استراتيجية تدريس الأقران على إتقان المهارات الفنية لدى طلاب قسم التربية الفنية بكلية التربية النوعية"، (مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة =

الأقران من نفس العمر الذي يسهل التواصل اللغوي لتقارب القاموس اللفظي بين المتعلمين.[١]ونمط التعلم التبادلي الذي يسهم في تنمية التحصيل المعرفي، والمهاري، والاتجاهات نحو المادة.[٢] كما تؤكد الدراسات أن هذه الاستراتيجية تخلق بيئة تعلم اجتماعية تكسر حاجز الرهبة اللغوية، وتنمي مهارات التفكير العليا.[٣]إن تطبيق هذا الأسلوب يضمن بقاء أثر التعلم، ويحفز المتعلم على الانخراط في أنشطة تتطلب أداءً متقناً، كما يساعد على تجاوز مشكلات الراكب المجاني من خلال وضع معايير تقويم محددة، وصريحة تدفع الجميع للمشاركة الفعالة.[٤]ويشير عبد الحافظ[٥]إلى أن فاعلية هذا التوجه تظهر بوضوح في اكتساب المهارات التي تتطلب دقة وتكراراً، مما يجعلها

=

المنصورة،٢٠١٥م)،١٨٥.

(١) جبر، وعلوان، مرجع سابق، ٥٢٠.

(٢) عبد العظيم، حمدي أحمد، " أثر استراتيجية مقترحة للتقويم الذاتي ببيئات التعلم الإلكتروني على إتقان تعلم طلاب تكنولوجيا التعليم واتجاهاتهم نحو الاستراتيجية"، (دراسات وبحوث تكنولوجيا التربية، الجمعية العربية لتكنولوجيا التربية،٢٠١٤م)،١٢٠.

(٣) الشريف، محمد حارب مليفي، " أثر استخدام استراتيجية تدريس الأقران في تنمية مهارات التفكير العليا والاتجاه نحوها في مقرر الدراسات الاجتماعية في المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية"، (العلوم التربوية، جامعة القاهرة،٢٠٢٤م)،١١٥.

(٤) محمد، مصطفى عبد السميع، وآخرون، "أثر استراتيجية تقويم الأقران القائمة على بيئات التعلم الإلكترونية في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى طلاب معهد الدراسات التربوية"، (تكنولوجيا التربية، دراسات وبحوث،٢٠١٤م)،٢١٢.

(٥) عبد الحافظ، فؤاد عبد الله. "فاعلية استخدام استراتيجية تدريس الأقران على تنمية بعض مهارات التجويد وبقاء أثر التعلم لدى الطلاب المعلمين شعبة اللغة العربية"، (مجلة القراءة والمعرفة، العدد ٦٨، يوليو ٢٠٠٧م)،٧٨.

بيئة مثالية لتعزيز التواصل اللفظي الصفي، وتجاوز مشكلات الانطواء اللغوي لدى الناطقين بغير العربية فمن خلال تفاعل الطالب مع أقرانه، يجد مساحة آمنة لتجربة الأنماط اللغوية، وتلقي التغذية الراجعة الفورية، مما يحول القاعة الدراسية إلى مجتمع تعلم نابض بالحياة.

ويرى الباحث بناءً على ما ورد في هذه المراجع الرصينة أن استراتيجية تعليم الأقران تمثل الحل المنهجي الأمثل لمعالجة مشكلة انحسار القدرة الحوارية لدى طلاب الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فمن خلال الأدوار التي تفرضها الاستراتيجية (قرين معلم/ قرين متعلم)، يضطر الطالب لغوياً إلى توسيع عباراته وشرح مفاهيمه لزميله، مما يخرجه من حيز الاستجابة المقتضبة إلى حيز الإنتاج اللغوي المسهب، ويستفيد البحث الحالي من هذه الأنماط (خاصة التبادلية)؛ لتناسب النضج الأكاديمي لطلاب الدبلوم العالي، حيث إن الحوار بين الأقران في هذا المستوى يتجاوز مجرد الحفظ إلى التحليل، والنقد اللغوي، وهو ما يسعى البحث الحالي لقياس أثره في تنمية مهارات الحوار والمناقشة الأكاديمية.

المحور الثاني / مهارات الحوار من منظور الفعل التواصلي:

يمثل الحوار جوهر العملية التواصلية، وهو مراجعة للكلام بين طرفين يتضمن الأخذ والرد، والعرض والاعتراض[١]. وللحوار أدبيات وأصول علمية، حيث يجب على المحاور أن يمتلك الكفاية في موضوع الحوار وحسن استخدام اللغة، واختيار الألفاظ الحسنة للوصول للهدف[٢]. وقد فرق الباحثون بين الجدل المحمود الذي يهدف لإظهار الحق بالإقناع والتوجيه، وبين الجدل المذموم الذي يهدف للغلبة،

(١) البصير، عمار مفتاح. "مفهوم الحوار ودور المحاور في العملية التعليمية والاجتماعية"، (عالم التربية، المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، ٢٠١٤م)، ٢٤٢.

(٢) المرجع السابق، ٢٤٣.

واللدد في الخصومة[١]. وفي سياق تعليم اللغة، يُعد السمع أبو الملكات اللسانية، والحوار هو الميدان الذي يطبق فيه المتعلم ما سمعه وقرأه[٢].

إن الحوار الفعال يتطلب قدرة على عرض الكلمات الجديدة والتعابير التي تناسب الأفكار والخبرات[٣]. كما يتطلب مهارات فرعية مثل استخدام الأدلة المنطقية، واحترام الرأي الآخر، وعدم احتكار الحديث، وهي ما تسمى المجاملة الاجتماعية في المناقشة[٤]. إن تدريب متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها على هذه المهارات يجعلهم أكثر قدرة على التفاعل في المواقف الحياتية، والأكاديمية، وينقلهم من مرحلة الفهم الآلي للغة إلى مرحلة الذكاء الحواري الذي يمكنهم من إدارة مواقف تواصلية معقدة بمرونة ولغوية رفيعة.

ويؤكد الباحث أن مهارات الحوار في هذا البحث لا تقف عند حدود الكلام العابر، بل تركز على الحوار الأكاديمي الممنهج لطلاب الدبلوم العالي، ويربط الباحث بين ما ورد في الإطار النظري حول الجدل المحمود، وبين طبيعة البيئة العلمية بالجامعة الإسلامية، حيث يحتاج الطالب القدرة على عرض رأيه الشرعي أو اللغوي بقوة الدليل اللغوي، والمنطقي، لذا فإن البحث الحالي يوظف تعليم الأقران ليكون منصة يتدرب فيها الطلاب على هذه الأدبيات المحمودة كالمجاملة الاجتماعية، وعدم احتكار الحديث قبل الانتقال للمواجهة المباشرة مع المعلم أو الجمهور.

---

(١) المرجع السابق، ٢٤٦.

(٢) مدكور، علي أحمد. "طريقة المناقشة وأهميتها في تعليم الكبار"، (التربية المستمرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،١٩٨٤م)، ٥٠.

(٣) المرجع السابق، ٥٢.

(٤) المرجع السابق، ٥٣.

المحور الثالث / مهارات المناقشة الأكاديمية، وتعليم الأقران:

تعد المناقشة تطويراً للمهارات الحوارية، وهي الحديث الذي يدور بين مجموعة للوصول إلى رأي مشترك عبر الإقناع(١). وتشمل مهارات المناقشة القدرة على التخطيط لعمل ما، وعرض المعلومات والمعارف بشكل منظم(٢). وتتنوع المناقشات إلى مناقشة حرة تهدف للحصول على أفكار بارعة، ومناقشة موجهة تسعى لاتخاذ قرارات محددة(٣). ومن أهم مهاراتها القدرة على تغيير موضوع المناقشة بذكاء لإنقاذ الموقف اللفظي، أو التسليم برأي المتكلم عند ثبوت صحته(٤). وتلعب استراتيجية الأقران دوراً حاسماً هنا عبر تقويم الأقران الذي يدفع الطلاب للمشاركة الفعالة، وفهم معايير التقويم الصريحة(٥). إن المناقشة الأكاديمية تتطلب من المتعلم أن يكون قادراً على تلخيص الآراء السابقة وربطها بموضوع البحث الحالي، وهو ما ينمي لديه مهارات التفكير الناقد(٦). وفي تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، تمثل المناقشة الاختبار الحقيقي للطلاقة اللغوية، حيث يضطر المتعلم لتركيب جمل معقدة، واستخدام روابط منطقية لإقناع زملائه، مما يقلل من ظاهرة الراكب المجاني، ويجعل كل

(١) سعادة، مرجع سابق، ٤٠٩.

(٢) مدكور، مرجع سابق، ٥٣.

(٣) المرجع السابق، ٥٤.

(٤) المرجع السابق، ٥٥.

(٥) محمد، مصطفى عبد السميع، وآخرون، "أثر استراتيجية تقويم الأقران القائمة على بيئات التعلم الإلكترونية في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى طلاب معهد الدراسات التربوية"، ٢١٢.

(٦) المرجع السابق، ٢٠٥.

متعلم مسؤولاً عن حصته الكلامية[١].

ويرى الباحث أن مهارات المناقشة الأكاديمية هي الهدف الأسمى لطلاب الدبلوم العالي؛ لأنها تمهد لهم الطريق للالتحاق بالدراسات العليا في الجامعة، ويربط الباحث بين أنواع المناقشة الحرة، والموجهة، وبين بطاقة الملاحظة التي أعدها في هذا البحث، حيث صُممت البطاقة لقياس قدرة الطلاب على تغيير موضوع المناقشة، واستخدام الأدلة، والوصول لرأي مشترك، وهي مهارات تم التوصل لها من خلال هذا الإطار النظري الرصين، وتطبيقها ميدانياً عبر استراتيجية تعليم الأقران لمعالجة الضعف في مهارات الحوار والمناقشة لدى طلاب الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- **الدراسات السابقة:**

١. دراسة الفل (٢٠٢٤)[٢]، بعنوان: أثر استخدام استراتيجية تعليم الأقران على تحصيل طلاب المرحلة الابتدائية في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المعلمين، هدف البحث إلى التعرّف على أثر استخدام استراتيجية تعليم الأقران على تحصيل طلاب المرحلة الابتدائية في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المعلمين، ولتحقيق أهداف الدراسة اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي باستخدام استمارة استبيان كأداة لجمع البيانات، وقد طبّقت الدراسة على عينة بلغت (٧٠) معلماً ومعلمة للغة الإنجليزية بالمدارس الابتدائية بمدينة الغردقة بمحافظة

(١) المرجع السابق، ٢١٣.

(٢) الفل، عمرو. "أثر استخدام استراتيجية تعليم الأقران على تحصيل طلاب المرحلة الابتدائية في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المعلمين"، (مجلة كلية التربية جامعة أسيوط، المجلد ٤٠، العدد ٢، فبراير ٢٠٢٤م)، ٧٠-١٠٤.

البحر الأحمر، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين فعالية استخدام معلمي اللغة الإنجليزية لاستراتيجية تعليم الأقران تعزى إلى متغيرات المؤهل العلمي وعدد سنوات الخبرة، ووجود علاقة ارتباطية طردية قوية ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين استخدام استراتيجية تعليم الأقران والتحصيل الأكاديمي في اللغة الإنجليزية لدى طلاب المرحلة الابتدائية، وأوصت الدراسة بضرورة تدريب المعلمين على استخدام استراتيجيات حديثة تعتمد على التدريس التبادلي مثل تعليم الأقران، واختبار فاعلية استراتيجية تعليم الأقران في تدريس مواد تعليمية أخرى غير اللغات، وتوسيع خبرات المعلمين حول أهمية مواكبة التطورات الحديثة في استخدام أحدث الاستراتيجيات، وإجراء بحوث ودراسات تتناول العلاقة بين استراتيجية تعليم الأقران ومتغيرات أخرى تختلف عن التحصيل الأكاديمي في مراحل تعليمية مختلفة.

٢. دراسة عودة الله، والجراح (٢٠٢٣)[١]، بعنوان: تأثير استراتيجية تدريس الأقران واستراتيجية المائدة المستديرة المتزامنة على تطوير مهارات التحدث باللغة العربية بين طلاب الصف السابع في الأردن، هدفت الدراسة إلى الكشف عن تأثير استراتيجية تدريس الأقران واستراتيجية المائدة المستديرة المتزامنة في تطوير مهارات التحدث باللغة العربية بين طلاب الصف السابع في الأردن، وتم استخدام المنهج شبه التجريبي، وتألفت عينة الدراسة من ٤٨ طالباً من الصف

(١) عودة الله، أسامة عمر محمود، وعبد الله عزام الجراح. "تأثير استراتيجية تدريس الأقران واستراتيجية المائدة المستديرة المتزامنة على تطوير مهارات التحدث باللغة العربية بين طلاب الصف السابع في الأردن"، (دراسات: العلوم التربوية، المجلد ٥٠، العدد ٢، يونيو ٢٠٢٣م).

السابع في المدرسة الجامعية، وتم تقسيم عينة الدراسة إلى ثلاث مجموعات: مجموعتان تجريبيتان، ومجموعة تحكم، تم تدريس المجموعة التجريبية الأولى باستخدام طريقة تدريس الأقران، وتم تدريس المجموعة الثانية التجريبية الثانية باستخدام طريقة المائدة المستديرة المتزامنة، وتم تدريس المجموعة الضابطة باستخدام الطرق التقليدية، تم استخدام مقياس التحدث، وتم التحقق من صحته، وموثوقيته، وأظهرت النتائج اختلافات ذات دلالة إحصائية في وسائل المجموعات الدراسية الثلاث على مقياس التحدث، مما يشير إلى فعالية تدريس استراتيجية تدريس الأقران واستراتيجية المائدة المستديرة المتزامنة مقارنة بالتدريس التقليدي، وخلصت الدراسة إلى تنظيم دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية في المرحلة الأساسية العليا لمساعدتهم على إعداد وتنفيذ الدروس باستخدام استراتيجية تدريس الأقران واستراتيجية المائدة المستديرة المتزامنة.

٣. دراسة العتيبي (٢٠٢١)[١]، بعنوان: استراتيجية الحوار التعليمي ودوره في تعليم العربية لغير الناطقين بها دراسة تطبيقية على طالبات معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة أم القري القسم النظري، هدفت إلى الكشف عن مدى فاعلية استراتيجية الحوار في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة أم القرى، ومدى قدرة الحوار التعليمي في تطوير العملية التعليمية في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين

(١) العتيبي، منيرة فطيم جميل. "استراتيجية الحوار التعليمي ودوره في تعليم العربية لغير الناطقين بها دراسة تطبيقية على طالبات معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة أم القرى"، (مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، المجلد ١٢، العدد ٢٥، ديسمبر ٢٠٢١م).

بها، وقد استخدمت الباحثة منهجين: المنهج الوصفي في إعداد الجزء النظري، والمنهج شبه التجريبي في الدراسة الميدانية، وقد أعدت الباحثة خمس أدوات بحثية وهي: إعداد دروس حوارية، تم تفعيلها في تدريس المجموعة التجريبية، والاستبانة، وهي على قسمين: استبانة موجهة لمعلمات اللغة العربية بمعهد أم القرى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، في جامعة أم القرى، واستبانة موجهة لطالبات معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، الاختبارات القبلية والبعدية، التي أجرتها الباحثة على أفراد العينة، وقد حكمت الأدوات السابقة للتأكد من صدقها، وذلك بعرضها على عدد من المحكمين، ومن المختصين في مجال تعليم اللغة العربية وآدابها، أشارت النتائج إلى ضرورة التنوع في استراتيجيات تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، وأن للحوار التعليمي أثر إيجابي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٤. دراسة مخلوف (٢٠٢١)[(١)]، بعنوان: استراتيجية التعلم المنظم ذاتياً لتنمية مهارات المحادثة والحوار وآدابهما لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، هدف هذا البحث إلى تنمية مهارات المحادثة والحوار وآدابهما لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية من خلال استراتيجية التعلم المنظم ذاتياً، واستخدم البحث المنهج التجريبي، وقد أثبتت النتائج بعد تطبيق الاختبار والمقياس المتدرج ارتفاع متوسط درجات تلاميذ المجموعة التجريبية بعدي، مما أثبت فاعلية استخدام استراتيجية التعلم المنظم ذاتياً لتنمية مهارات المحادثة والحوار وآدابهما لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية لدى أفراد المجموعة التجريبية.

(١) مخلوف، دينا السيد عبد الواحد. "استراتيجية التعلم المنظم ذاتياً لتنمية مهارات المحادثة والحوار وآدابهما لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية"، (مجلة كلية التربية جامعة المنصورة، العدد ١١٦، أكتوبر ٢٠٢١م)

٥. دراسة عثمان (٢٠١٨)[١]، بعنوان: أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات فهم المقروء لدى الطالب قسم الإعداد اللغوي بجامعة الراية، هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات فهم المقروء لدى الطالب قسم الإعداد اللغوي بجامعة الراية، الدراسة المنهج التجريبي للوصول إلى الأهداف المنشودة، نظراً لطبيعة الموضوع التي تتطلب إجراء تجربة ميدانية لاستخلاص النتائج. شملت عينة البحث (٢٠) طالباً من معهد راية العالي للغة العربية، تم تقسيمهم إلى مجموعتين: مجموعة تجريبية، ضمت (١٠) طلاب، ومجموعة ضابطة، ضمت (١٠) طلاب، وقد أظهرت النتائج وجود أثر إيجابي لاستخدام استراتيجيات تعليم الأقران في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى طلاب المعهد، وذلك وفقاً للنتائج الآتية: توصلت الدراسة إلى قائمة بمهارات الفهم القرائي موزعة على خمسة مستويات، حيث بلغ إجمالي عدد المهارات في جميع المستويات خمس عشرة مهارة، أثبت البحث أن التدريس باستخدام استراتيجية تعليم الأقران قد أثر فعلياً في تطوير مهارات الفهم القرائي لدى طلاب معهد راية، كما أثبتت الدراسة أن استخدام استراتيجيات تعليم الأقران أكثر فاعلية من طريقة التدريس المباشر في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى الطلاب.

٦. دراسة العظامات (٢٠١٨)[٢]، بعنوان: أثر استراتيجية الحوار والنقاش في تنمية

(١) عثمان، رضوان شحرون. "أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات فهم المقروء لدى الطالب قسم الإعداد اللغوي بجامعة الراية"، (مجلة الراية الإسلامية، المجلد ٢، العدد ٢، أكتوبر ٢٠١٨م).

(٢) العظامات، هايل عقله بنيه. أثر استراتيجية الحوار والنقاش في تنمية مهارات التحدث لدى طلبة الصف الرابع الأساسي في البادية الشمالية الشرقية"، (مجلة جامعة تشرين للبحوث =

مهارات التحدث لدى طلبة الصف الرابع الأساسي في البادية الشمالية الشرقية، هدفت هذه الدراسة إلى بيان أثر استخدام استراتيجية الحوار والنقاش في تنميه مهارات التحدث لدى طلبة الصف الرابع الأساسي في مديرية التربية والتعليم لمنطقة البادية الشمالية الشرقية، استخدمت هذه الدراسات المنهجين شبه التجريبي والوصفي وتمثلت أدوات الدراسة في اختبارين تحصيليين قبلي وبعدي للصف الرابع الأساسي واستبانة لمعلمي ومعلمات اللغة العربية الذين يدرسون الصف الرابع الأساسي، للعام الدراسي ٢٠١٧/٢٠١٨م، تكونت عينة الدراسة من (١٠٨) طالباً وطالبة، و(٦٨) معلماً ومعلمة، تم تعيينهم على الدراسة بشكل عشوائي إلى مجموعتين تجريبيتين، ومجموعتين ضابطتين، وتم تدريس المجموعتين التجريبيتين باستخدام استراتيجية الحوار والنقاش، بينما تم تدريس المجموعتين الضابطتين بالطريقة الاعتيادية، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام الإحصاءات الوصفية وتحليل التباين المصاحب، وأظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح المجموعتين التجريبيتين ولصالح الإناث.

٧. دراسة عبد الحافظ (٢٠٠٧)[(١)]، بعنوان: فاعلية استخدام استراتيجية تدريس الأقران على تنمية بعض مهارات التجويد وبقاء أثر التعلم لدى الطلاب المعلمين شعبة اللغة العربية، هدفت الدراسة إلى إعداد وحدة مقترحة في علم التجويد؛ لتدريس بعض مهارات التجويد، والكشف عن مدى فاعلية استخدام

=

والدراسات العلمية، المجلد ٤٠، العدد ٣، ٢٠١٨م).

(١) عبد الحافظ، فؤاد عبد الله. "فاعلية استخدام استراتيجية تدريس الأقران على تنمية بعض مهارات التجويد وبقاء أثر التعلم لدى الطلاب المعلمين شعبة اللغة العربية"، (مجلة القراءة والمعرفة، العدد ٦٨، يوليو ٢٠٠٧م).

استراتيجية تدريس الأقران على تنمية بعض مهارات التجويد لدى طلاب الفرقة الرابعة بشعبة اللغة العربية، والكشف عن مدى فاعلية استخدام استراتيجية تدريس الأقران على بقاء أثر التعلم لدى طلاب الفرقة الرابعة بشعبة اللغة العربية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي في الإطار النظري، والتجريبي في التطبيق الميداني، وتوصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق ذات دلاة إحصائية بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية، والمجموعة الضابطة في التطبيق القبلي لبطاقة ملاحظات مهارات التجويد، وأما التطبيق البعدي فيوجد فروق دالة إحصائياً لصالح المجموعة التجريبية، مما يؤكد فاعلية أسلوب تدريس الأقران في تدريس بعض مهارات التجويد، وبقاء أثر التعلم والقدرة على الاحتفاظ بأداء مهارات التجويد.

- **التعليق على الدراسات السابقة:**

- تنوعت البيئات التعليمة في الدراسات السابقة بدءاً من المرحلة الابتدائية كدراسة الفل (٢٠٢٤)، ودراسة العظامات (٢٠١٨)، وصولاً إلى إعداد المعلمين كدراسة عبد الحافظ (٢٠٠٧)، مما يؤكد مرونة استراتيجية تعليم الأقران، وقابلتيها للتطبيق في مختلف المستويات العمرية.
- أجمعت الدارسات السابقة كدراسة عودة الله والجراح (٢٠٢٣)، ودراسة عثمان (٢٠١٨)، على تفوق استراتيجية تعليم الأقران، والحوار، والمناقشة التعليمية على الطرق التعليمية التقليدية في تنمية المهارات المختلفة.
- اختلفت المناهج المستخدمة في الدراسات السابقة بين المنهج الوصفي كما في دراسة (الفل، ٢٠٢٤)، أو المنهج شبه التجريبي كما في دراسة عودة الله والجراح (٢٠٢٣)، أو المنهج التجريبي كما في دراسة عثمان (٢٠١٨)، أو الجمع بين منهجين كما في دراسة العتيبي (٢٠٢١)، ودراسة العظامات

(٢٠١٨)، ودراسة عبد الحافظ (٢٠٠٧).

أوجه الشبه والاختلاف بين الدراسات السابقة، والبحث الحالي:

- اتفق البحث الحالي مع الدراسات السابقة كدراسة الفل (٢٠٢٤)، ودراسة عودة الله والجراح (٢٠٢٣)، ودراسة عثمان (٢٠١٨)، في التركيز على تعليم الأقران كمتغير مستقل، والاستفادة منها في هذه الدراسة.
- اتفق البحث الحالي مع الدراسات السابقة كدراسة العتيبي (٢٠٢١)، ودراسة العظامات (٢٠١٨)، في تنمية مهارات الحوار، والمناقشة، والتحدث، بينما اختلفت الدراسة الحالية مع دراسة عثمان (٢٠١٨)، التي ركز على فهم المقروء.
- تميز البحث الحالي عن الدراسات السابقة في تطبيقها على طلاب الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بينما ركزت الدراسات السابقة على التعليم العام.
- استفاد البحث الحالي من الدراسات السابقة كدراسة العتيبي (٢٠٢١)، ودراسة عثمان (٢٠١٨)، في بناء وتصميم قائمة مهارات المناقشة والحوار، ومؤشراتهما.
- استفاد البحث الحالي من الدراسات السابقة كدراسة العظامات (٢٠١٨)، ودراسة عبد الحافظ (٢٠٠٧) في بناء بطاقة الملاحظة، والاختبارات القبلية، والبعدية.
- استفاد البحث الحالي من الدراسات السابقة في تعزيز الإطار النظري للبحث.
- جاء البحث الحالي استجابة لتوصيات دراسة الفل (٢٠٢٤)، بضرورة إجراء بحوث تتناول العلاقة بين تعليم الأقران، ومتغيرات مختلفة في مراحل تعليمة متنوعة، لذلك فإن هذا البحث يمثل إضافة علمية في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

- **إجراءات البحث، ومنهجه:**
- **منهج البحث:**

استخدم البحث المنهج المختلط (الوصفي، وشبه التجريبي)، حيث استُخدم المنهج الوصفي التحليلي لبناء الإطار النظري وتصميم قائمة مهارات الحوار والمناقشة، وأداة الملاحظة، بينما استُخدم المنهج شبه التجريبي القائم على تطبيق المجموعة الواحدة (قبلي – بعدي)؛ لقياس أثر المتغير المستقل (استراتيجية تعليم الأقران)، في المتغير التابع (مهارات الحوار والمناقشة).

- **مجتمع البحث:**

يتكون مجتمع البحث من جميع طلاب مرحلة الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعددهم (٥١) طالباً، مقسمين على ثلاث شعب دراسية، من جنسيات مختلفة، وتخصصات جامعية متعددة.

- **عينة البحث:**

تم اختيار عينة البحث بالطريقة القصدية من طلاب مرحلة الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث تكونت العينة من شعبة دراسية واحدة بلغ عددها (٢٠) طالباً، مما يمثل نسبة تقريبية قدرها (٣٩٪) من إجمالي المجتمع البحثي الذي يضم (٥١) طالباً، وقد رُوعي في هذا الاختيار التأكد من تمثيل العينة لمجتمع البحث بدقة، حيث تضم الطلاب من جنسيات مختلفة، وتخصصات أكاديمية متنوعة (شرعية، ولغوية)، هذا التنوع يخلق بيئة تفاعلية واقعية وغنية، مما يسمح بقياس أثر استراتيجية تعليم الأقران بشكل صحيح، بالإضافة إلى ذلك فإن حجم العينة يتناسب مع متطلبات المنهج شبه التجريبي، حيث يسهل هذا العدد عملية ضبط المتغيرات، ودقة الملاحظة، لضمان الحصول على نتائج تعليمية موثوقة.

جدول (١) توزيع أفراد عينة البحث وفقاً لمتغير البحث (الجنسية)

الجنسية	العدد	النسبة المئوية	الجنسية	العدد	النسبة المئوية
إندونيسيا	٥	٢٥ %	أثيوبيا	١	٥ %
روسيا	٢	١٠ %	السودان	١	٥ %
المملكة المتحدة	٢	١٠ %	سوريا	١	٥ %
السعودية	١	٥ %	سيراليون	١	٥ %
الهند	١	٥ %	سيرلانكا	١	٥ %
الصومال	١	٥ %	كينيا	١	٥ %
باكستان	١	٥ %	نيبال	١	٥ %
الإجمالي		٢٠		١٠٠٪	

جدول (٢) توزيع أفراد عينة البحث وفقاً لمتغير البحث (التخصص)

التخصص	العدد	النسبة المئوية
شريعة	٨	٤٠ %
قرآن كريم	٤	٢٠ %
حديث شريف	٤	٢٠ %
لغة عربية	٤	٢٠ %
الإجمالي	٢٠	١٠٠٪

- **أدوات البحث، وإجراءاته:**

اعتمد البحث الحالي في قياس أثر استراتيجية تعليم الأقران على أداتين أساسيتين، تم بناؤهما وفق المعايير التربوية الحديثة، وهما:

أولاً: إعداد استبانة مهارات الحوار والمناقشة (الأداة المعيارية): استهدف الباحث بناء قائمة معيارية بمهارات الحوار والمناقشة اللازمة لطلاب الدبلوم العالي، حيث استُهلت الإجراءات باستقراء الأدبيات، والدراسات السابقة ذات الصلة، كدراستي العتيبي (٢٠٢١)، ومخلوف (٢٠٢١)؛ لاستخلاص المهارات المتسقة مع الخصائص الأكاديمية، والنمو اللغوي للعينة، مما أسفر عن بناء صورة أولية للأداة شملت (١٢) مؤشراً فرعياً، توزعت بالتساوي على ثلاثة محاور رئيسة هي: (الأداء اللغوي، والتفاعل الاجتماعي، والمناقشة الأكاديمية)؛ ولضمان كفاءة الأداة وصدقها

الظاهري، عُرضت على خمسة من الخبراء، والمحكمين المختصين في مناهج وطرق تدريس اللغة العربية، وبناءً على ملاحظاتهم الجوهرية حول الصياغات العلمية، واللغوية، أجرى الباحث التعديلات اللازمة بالحذف، والإضافة، حتى استقرت الأداة في صورتها النهائية محتفظة ببنائها الثلاثي، ومؤشراتها الاثني عشر؛ لتشكل بذلك مرجعاً إجرائياً دقيقاً قادراً على قياس أثر التدخل التجريبي في تنمية المهارات المستهدفة لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها

جدول (٣) توصيف قائمة مهارات الحوار والمناقشة في صورتها النهائية

المهارات	المهارات الفرعية	النسبة المئوية
المهارة الأولى: مهارات الأداء اللغوي	٤	٣٣,٣٣٪
المهارة الثانية: مهارات التفاعل الاجتماعي	٤	٣٣,٣٣٪
المهارة الثالثة: مهارات المناقشة الأكاديمية	٤	٣٣,٣٤٪
٣	١٢	١٠٠٪

ثانياً: بطاقة ملاحظة مهارات الحوار والمناقشة (أداة القياس)، تُمثل بطاقة الملاحظة الأداة الرئيسة التي اعتمدها البحث لتحويل الأداء الشفهي النوعي إلى بيانات كمية قابلة للقياس في مرحلتي الاختبار القبلي والبعدي؛ حيث جرى تصميمها بالاستناد إلى الأدبيات المنهجية لكل من العظامات (٢٠١٨)، وعبد الحافظ (٢٠٠٧) لضبط مستويات التقييم، وبناء المعايير، وقد اعتمد الباحث مقياس ليكرت الخماسي؛ لتقدير أداء عينة البحث (٢٠ طالباً)، متراوحاً بين درجة (٥) لتقدير (ممتاز)، ودرجة (١) لتقدير (ضعيف)، مع تحديد مدى حسابي دقيق لتفسير المتوسطات الحسابية الناتجة، ولضمان رصد المهارات الحوارية في سياق تواصل طبيعي، حُدد زمن الملاحظة بثلاثين دقيقة من وقت التفاعل الحر بين الأقران في كل جلسة، بمجموع (٢٠) جلسة تدريبية مكثفة، كما أخضع الباحث الأداة لاختبارات الثبات عبر أسلوب ثبات الملاحظين بالاستعانة بملاحظ خارجي جرى تدريبه على بنود البطاقة، حيث تم تقييم عينة استطلاعية خارج إطار البحث، وأسفرت معادلة كوبر

عن نسبة اتفاق بلغت (٠,٨٩)، وهي قيمة ثبات مرتفعة تعكس موضوعية الأداة، وقدرتها على الرصد الدقيق بعيداً عن التحيز الذاتي.

ثالثاً: إجراءات التدخل التجريبي: ونتائج المعالجة: لتحقيق أقصى فاعلية لاستراتيجية تعليم الأقران، اعتمد الباحث تصميماً إجرائياً دقيقاً بدأ بمرحلة القياس القبلي؛ لتشخيص واقع مهارات الحوار لدى عينة البحث (٢٠) طالباً، والتي كشفت عن فجوات تواصلية حادة، وبعد ذلك تمت عملية تشكيل أزواج الأقران، بأسلوب مقصود قائم على التكامل المهاري، حيث تم دمج طالب ذو أداء مرتفع (قرين معلم) مع زميله ذو الأداء المنخفض (قرين متعلم) بناءً على نتائج الاختبار القبلي؛ لضمان تدفق الدعم اللغوي داخل الثنائيات، وتضمن التدخل التجريبي تنفيذ (٢٠) جلسة حوارية مكثفة، استُخدمت فيها مادة تعليمية مشتقة من مقرر مهارات الاتصال، روعي في اختيار موضوعاتها ملاءمتها للمستوى الأكاديمي لطلاب الدبلوم العالي، وتحفيزها على الجدل الفكري، وقد أظهرت نتائج المعالجة الإحصائية تحولاً جذرياً في الأداء، حيث قفز المتوسط العام من الدرجة الضعيفة (١,٦٢) إلى الدرجة الممتازة (٤,٢٨) في القياس البعدي، وبقيمة (ت) فائقة الدلالة بلغت (١٩,٤٥)، كما سجل حجم الأثر قيمة مرتفعة جداً (٠,٩٥)، مما يبرهن علمياً على أن استراتيجية تعليم الأقران نجحت في سد الفجوة الحوارية بنسبة (٩٥٪)، لاسيما في مهارات المناقشة الأكاديمية التي كانت الأكثر استجابة للتدخل، مما يؤكد أن توفير بيئة تفاعلية آمنة، وتدريب الأقران على إدارة الحوار هو المفتاح الرئيس لتحويل الطلاب من الصمت اللغوي إلى التمكن من آليات الاستدلال، والبرهان الأكاديمي.

- **ثبات أداة البحث:**

تم استخدام معامل ألفا كرونباخ؛ للتأكد من ثبات أداة البحث، والتجانس الداخلي للأداة، وذلك على عينة استطلاعية من مجتمع البحث من طلاب مرحلة

الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

جدول (٨) معاملات ثبات ألفا كرونباخ للمهارات، ومؤشرات القائمة

المهارات	المؤشرات	معامل الثبات
المهارة الأولى: مهارات الأداء اللغوي	٤	٠,٨٤
المهارة الثانية: مهارات التفاعل الاجتماعي	٤	٠,٨١
المهارة الثالثة: مهارات المناقشة الأكاديمية	٤	٠,٨٧
الثبات العام للبطاقة	١٢	٠,٨٩

يتضح من نتائج الجدول السابق أن قيم معامل الثبات لكافة مهارات القائمة مرتفعة، حيث بلغ (٠,٨٩) لإجمالي قائمة مهارات الحوار والمناقشة، فيما تراوحت ثبات المهارات ما بين (٠,٨١) كحد أدنى، وبين (٠,٨٧) كحد أعلى، وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الثبات، مما يعطي مؤشر مناسبتها لتحقيق أهداف البحث الحالي، وإمكانية إعطاء نتائج مستقرة وثابتة في حال إعادة تطبيقها في الميدان؛ للوقوف على أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات الحوار والمناقشة لدى طلاب الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية الناطقين لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

معامل الاتساق الداخلي لكل المؤشرات: تم قياس ثبات كل مؤشر من خلال ارتباط المؤشر بالدرجة الكلية للمهارة، وهي القيمة التي تعطي مؤشراً على قوة بناء الأداة:

جدول (٩) معامل الاتساق الداخلي لكل المؤشرات

م	مؤشرات الأداء	معامل الارتباط	قيمة ألفا
	الطلاقة التعبيرية	٠,٧٨**	٠,٨٨
	السلامة النحوية	٠,٨٢**	٠,٨٧
	الثراء المعجمي	٠,٧٥**	٠,٨٩
	النطق والتمثيل	٠,٨٠**	٠,٨٨
	إدارة الدور	٠,٧٢*	٠,٨٩
	البدء وتوجيه الحوار	٠,٨٤**	٠,٨٧
	التفاوض على المعنى	٠,٧٩**	٠,٨٨
	لغة الجسد التواصلية	٠,٧٦**	٠,٨٨
	الاستدلال والبرهان	٠,٨٨**	٠,٨٦
	التفنيد النقد الأدبي	٠,٨٥**	٠,٨٧
	المرونة والإقناع	٠,٨١**	٠,٨٨
	التلخيص والتركيب	٠,٨٣**	٠,٨٧
** دالة عند مستوى ٠,٠١		* دالة عند مستوى ٠,٠٥	

يتضح من نتائج الجدول السابق أن معامل الاتساق الداخلي متجانس، وأن قيمة ألفا متقاربة جداً، وهذا يدل على عدم وجود مؤشر يضعف ثبات الأداة، وأن كل الفقرات تساهم في قوة الاختبار.

- المادة التعليمية (مفردات مقرر مهارات الاتصال في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها): والذي تكونت من عشرة مواضيع مختلفة، تضمنت جلسات حوارية، وموضوعات للنقاشات الأكاديمية؛ بهدف ضبط كيفية تطبيق المتغير المستقل (أثر استراتيجية تعليم الأقران)، وضمان عدم تدخل أية عوامل خارجية في قياس النتائج.

- **نتائج البحث، وتفسيرها، ومناقشتها:**

تم عرض نتائج البحث، ومناقشتها في ضوء أسئلة البحث الآتية:

أولاً: نتائج البحث المتعلقة بالسؤال الأول: ما مهارات الحوار اللازم تنميتها لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

وللإجابة عن السؤال الأول تم إعداد قائمة مهارات الحوار والمناقشة، والتي وجهت إلى المختصين في مجالات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والمناهج وطرق التدريس، بلغ عددهم (٥) محكمين، وبعد جمع الاستجابات تم حساب الأوزان النسبية، لتكرار موافقة المحكمين على مناسبة المهارات، ومؤشرات الأداء الدالة عليها، وتعديل صياغة المهارات أو المؤشرات الدالة التي أشار إليها المحكمون، وإضافة ما رآه المحكمون على القائمة من مؤشرات أداء لم ترد في القائمة، وبعد إجراء التعديلات، تم صياغة القائمة النهائية لمهارات المناقشة والحوار اللازم تنميتها لدى طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفيما يأتي عرض لهذه القائمة:

- المهارة الأولى: مهارات الأداء اللغوي.

١. الطلاقة التعبيرية: حيث يتحدث بطلاقة دون توقفات طويلة، أو تردد يقطع حبل الأفكار.

٢. السلامة النحوية: يوظف القواعد النحوية والصرفية التي درسها بشكل صحيح أثناء الحديث العفوي.

٣. الثراء المعجمي: يستخدم مصطلحات أكاديمية ولغوية متخصصة، تناسب مستوى الدبلوم العالي.

٤. النطق والتمثيل: ينطق الأصوات من مخارجها الصحيحة مع تغيير الصوت حسب السياق (استفهام، تعجب).

- المهارة الثانية: مهارات التفاعل الاجتماعي.

٥. إدارة الدور: يلتزم بآداب المداخلة، فلا يقاطع زميله، وينتظر اللحظة المناسبة للرد.

٦. البدء وتوجيه الحوار: يمتلك القدرة على فتح محاور جديدة للنقاش، أو طرح أسئلة تحفيزية لأقرانه.
٧. التفاوض على المعنى: يطلب التوضيح عند عدم الفهم (مثل: ماذا تقصد بـ...؟) أو يعيد صياغة فكرته لتوضيحها.
٨. لغة الجسد التواصلية: يوظف التواصل البصري وإيماءات الوجه لتعزيز الرسالة اللغوية أثناء الحوار.

- المهارة الثالثة: مهارات المناقشة الأكاديمية.

٩. الاستدلال والبرهان: يدعم وجهة نظره بالأدلة النقلية (آيات، أحاديث) أو الأدلة العقلية والمنطقية.
١٠. التفنيد النقد الأدبي: يرد على حجج زملائه بموضوعية، مبيناً نقاط الضعف في فكرتهم بلغة علمية مهذبة.
١١. المرونة والإقناع: يغير رأيه إذا ثبتت صحة حجة الطرف الآخر، أو ينجح في إقناع الأقران برأيه.
١٢. التلخيص والتركيب: يستطيع في نهاية المناقشة تلخيص أبرز نقاط الاتفاق والاختلاف التي دارت مع أقرانه.

ثانياً: نتائج البحث المتعلقة بالسؤال الثاني: ما أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات الحوار لدى طلاب العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

وللإجابة عن السؤال الثاني تم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية التي تعكس التطور عند طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قبل تطبيق استراتيجية الأقران، وبعدها، كما في الجداول الآتية:

أولاً: نتائج التطبيق القبلي في المهارة الأولى: مهارات الأداء اللغوي

م	مؤشرات الأداء	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأداء
١	الطلاقة التعبيرية	١,٨٥	٠,٨١	ضعيف
٢	السلامة النحوية	١,٥٥	٠,٥١	ضعيف
٣	الثراء المعجمي	١,٧٥	٠,٧٢	ضعيف
٤	النطق والتمثيل	١,٦٥	٠,٦٧	ضعيف
المتوسط العام في الاختبار القبلي		١,٧٠	٠,٦٨	ضعيف

يوضح هذا الجدول نتائج مستوى الطلاب قبل استخدام استراتيجية تعليم الأقران، حيث حصل المتوسط العام للمهارة الأولى: مهارات الأداء اللغوي، على متوسط حسابي (١,٧٠)، وانحراف معياري (٠,٦٨) بمستوى ضعيف.

ثانياً: نتائج التطبيق البعدي في المهارة الأولى: مهارات الأداء اللغوي

م	مؤشرات الأداء	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأداء
	الطلاقة التعبيرية	٤,١٥	٠,٧٥	جيد جداً
	السلامة النحوية	٤,٣٠	٠,٧٣	ممتاز
	الثراء المعجمي	٣,٩٥	٠,٨٣	جيد جداً
	النطق والتمثيل	٤,٢٥	٠,٩١	ممتاز
المتوسط العام في الاختبار البعدي		٤,١٦	٠,٨١	جيد جداً

يوضح هذا الجدول نتائج مستوى الطلاب بعد استخدام استراتيجية تعليم الأقران، حيث حصل المتوسط العام للمهارة الأولى: مهارات الأداء اللغوي، على متوسط حسابي (٤,١٦)، وانحراف معياري (٠,٨١) بمستوى جيد جداً.

أولاً: نتائج التطبيق القبلي في المهارة الثانية: مهارات التفاعل الاجتماعي.

م	مؤشرات الأداء	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأداء
١	إدارة الدور	١,٨٥	٠,٦٧	ضعيف
٢	البدء وتوجيه الحوار	١,٦٥	٠,٦٧	ضعيف
٣	التفاوض على المعنى	١,٦٠	٠,٦٧	ضعيف
٤	لغة الجسد التواصلية	١,٥٥	٠,٦٠	ضعيف
المتوسط العام في الاختبار القبلي		١,٦٦	٠,٦٥	ضعيف

يوضح هذا الجدول نتائج مستوى الطلاب قبل استخدام استراتيجية تعليم الأقران، حيث حصل المتوسط العام للمهارة الثانية: مهارات التفاعل الاجتماعي، على متوسط حسابي (١,٦٦)، وانحراف معياري (٠,٦٥) بمستوى ضعيف.

ثانياً: نتائج التطبيق البعدي في المهارة الثانية: مهارات التفاعل الاجتماعي.

م	مؤشرات الأداء	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأداء
١	إدارة الدور	٤,٤٠	٠,٦٨	ممتاز
٢	البدء وتوجيه الحوار	٤,٤٥	٠,٧٦	ممتاز
٣	التفاوض على المعنى	٤,٣٠	٠,٧٣	ممتاز
٤	لغة الجسد التواصلية	٤,٢٠	٠,٧٧	جيد جداً
المتوسط العام في الاختبار البعدي		٤,٣٤	٠,٧٣	ممتاز

يوضح هذا الجدول نتائج مستوى الطلاب بعد استخدام استراتيجية تعليم الأقران، حيث حصل المتوسط العام للمهارة الثانية: مهارات التفاعل الاجتماعي، على متوسط حسابي (٤,٣٤)، وانحراف معياري (٠,٧٣) بمستوى ممتاز.

أولاً: نتائج التطبيق القبلي في المهارة الثالثة: مهارات المناقشة الأكاديمية

م	مؤشرات الأداء	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأداء
	الاستدلال والبرهان	١,٤٥	٠,٥١	ضعيف
	التفنيد النقد الأدبي	١,٤٥	٠,٥١	ضعيف
	المرونة والإقناع	١,٦٥	٠,٦٧	ضعيف
	التلخيص والتركيب	١,٥٠	٠,٥١	ضعيف
المتوسط العام في الاختبار القبلي		١,٥١	٠,٥٥	ضعيف

يوضح هذا الجدول نتائج مستوى الطلاب قبل استخدام استراتيجية تعليم الأقران، حيث حصل المتوسط العام للمهارة الثالثة: مهارات المناقشة الأكاديمية، على متوسط حسابي (١,٥١)، وانحراف معياري (٠,٥٥) بمستوى ضعيف.

ثانياً: نتائج التطبيق البعدي في المهارة الثالثة: مهارات المناقشة الأكاديمية

م	مؤشرات الأداء	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الأداء
	الاستدلال والبرهان	٤,٣٥	٠,٧٥	ممتاز
	التفنيد النقد الأدبي	٤,٢٥	٠,٧٢	ممتاز
	المرونة والإقناع	٤,٤٠	٠,٦٨	ممتاز
	التلخيص والتركيب	٤,٣٥	٠,٧٥	ممتاز
المتوسط العام في الاختبار البعدي		٤,٣٤	٠,٧٢	ممتاز

يوضح هذا الجدول نتائج مستوى الطلاب بعد استخدام استراتيجية تعليم الأقران، حيث حصل المتوسط العام للمهارة الثالثة: مهارات المناقشة الأكاديمية، على

متوسط حسابي (٤,٣٤)، وانحراف معياري (٠,٧٢) بمستوى ممتاز.

تفسير النتائج، ومناقشتها:

- الفارق في المتوسطات: نلاحظ أن المتوسط العام للمهارة الأولى: مهارات الأداء اللغوي، حصل في الاختبار القبلي على (١,٧٠)، والاختبار البعدي على (٤,١٦)، بمقدار تحسن في الأداء لصالح الاختبار البعدي بلغ (٢,٤٦) درجة، والمتوسط العام للمهارة الثانية: مهارات التفاعل الاجتماعي، حصل في الاختبار القبلي على (١,٦٦)، والاختبار البعدي على (٤,٣٤)، بمقدار تحسن في الأداء لصالح الاختبار البعدي بلغ (٢,٦٨) درجة، والمتوسط العام للمهارة الثالثة: مهارات المناقشة الأكاديمية، حصل في الاختبار القبلي على (١,٥١)، والاختبار البعدي على (٤,٣٤)، بمقدار تحسن في الأداء لصالح الاختبار البعدي بلغ (٢,٨٣) درجة، والزيادة تعكس فاعلية كبيرة لاستراتيجية تعليم الأقران في المهارات الثلاثة.
- الانحرافات المعيارية: نلاحظ أن الانحراف المعياري في المهارة الأولى: مهارات الأداء اللغوي، حصل في الاختبار القبلي على (٠,٦٨)، والاختبار البعدي على (٠,٨١)، والمهارة الثانية: مهارات التفاعل الاجتماعي، حصل في الاختبار القبلي على (٠,٦٥)، والاختبار البعدي على (٠,٧٣)، والمهارة الثالثة: مهارات المناقشة الأكاديمية، حصل في الاختبار القبلي على (٠,٥٥)، والاختبار البعدي على (٠,٧٢)، حيث الزيادة متقاربة، ومنخفضة نسبياً، وهذا يشير على أن استراتيجية تعليم الأقران رفعت من مستوى معظم طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بشكل متقارب.
- ترتيب مؤشرات مهارات الحوار والمناقشة: حصلت مهارة البدء وتوجيه الحوار على متوسط (٤,٤٥)، بدرجة ممتاز، وهذا يدل على أن استراتيجية تعليم

الأقران حولت الطلاب إلى دور المحرك، والموجه للحوارات، وإعطاء الطلاب الجرأة في الحوار والمناقشة فيما بينهم، وحصلت مهارة المرونة والإقناع، ومهارة إدارة الدور على متوسط (٤,٤٠)، بدرجة ممتاز، وهذا يدل على امتلاك معظم الطلاب خلفية معرفية شرعية، وأن هذه الاستراتيجية أتاحت لهم استخدامها وتوظيفها في إدارة الحوار، وإثبات ما يقدمونه بطرق الإقناع، وحصلت مهارة الاستدلال والبرهان، ومهارة التلخيص والتركيب على متوسط (٤,٣٥)، بدرجة ممتاز، مما يدل على أثر استراتيجية تعليم الأقران في معظم الطلاب من خلال إثبات ما يقدمونه بالأدلة المختلفة، والبراهين العقلية، والمنطقية، ثم تلخيصه في نقاط؛ لمراجعتها، وتثبيتها في أذهان الطلاب، وحصلت مهارة السلامة النحوية، ومهارة التفاوض على المعنى على متوسط (٤,٣٠)، بدرجة ممتاز، مما يدل على التزام معظم الطلاب بالقواعد النحوية عند الحوار والمناقشة، وتعدد المعاني، والمفاهيم التي تتفق مع الموضوع المطروح للمناقشة، وحصلت مهارة النطق والتمثيل، ومهارة التفنيد النقد الأدبي على متوسط (٤,٢٥)، بدرجة ممتاز، وهذا يدل على أن استراتيجية تعليم الأقران طورت لغة الطلاب كأصوات، وأداة للتفكير، مما جعلهم قادرين على ممارسة دور المعلم الذي يفند، وينتقد، ويحلل بصوت عربي فصيح، ومؤثر، وحصلت مهارة لغة الجسد التواصلية على متوسط (٤,٢٠)، ومهارة الطلاقة التعبيرية على متوسط (٤,١٥)، ومهارة الثراء المعجمي على متوسط (٣,٩٥)، بدرجة جيدجداً، مما يدل على إذابة الجليد بين الطلاب، وكسر حاجز الخوف، والتوازن بين السرعة والدقة في التعبير، بناء على الحصيلة الجيدة لدى الطلاب من المفردات المتخصصة.

ثالثاً: نتائج البحث المتعلقة بالسؤال الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطي درجات طلاب المجموعة التجريبية في التطبيقين (القبلي، والبعدي) لبطاقة ملاحظة الحوار ككل، لصالح

التطبيق البعدي؟

استراتيجية الأقران ساعدتهم في كسر حاجز الخجل الاجتماعي اللغوي، وأما بقية الجنسيات فكان التحسن لديهم في مهارات السلامة النحوية.

تفسير النتائج ومناقشتها: يسعى هذا القسم إلى تقديم قراءة تحليلية للنتائج التي أسفر عنها البحث، وربطها بالسياق التربوي لتعليم العربية للناطقين بغيرها، ومناقشتها في ضوء الدراسات السابقة والنظريات التربوية ذات الصلة:

١) كشفت نتائج البحث عن تحديد (١٢) مؤشراً أدائياً تمثل الحد الأدنى اللازم لمهارات الحوار الأكاديمي لدى طلاب الدبلوم العالي، ويعزو الباحث شمولية هذه القائمة وتوزعها على ثلاثة محاور (الأداء اللغوي، والتفاعل الاجتماعي، والمناقشة الأكاديمية) إلى كون الحوار في المستويات المتقدمة معقدة، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة العتيبي (٢٠٢١) في أن الحوار التعليمي يتجاوز مجرد النطق إلى كونه تفاعلاً فكرياً، كما تتقاطع مع دراسة مخلوف (٢٠٢١) التي أبرزت دور الكفاية التواصلية، والذكاء الاجتماعي في إدارة الموقف الحواري، وقد تميزت القائمة الحالية بتقديم بُعد المناقشة الأكاديمية (الاستدلال والتفنيد)، وهو ما يعد استجابة لتوصية دراسة الفل (٢٠٢٤)، بضرورة مواءمة طرق التدريس مع النضج المعرفي لطلاب الدراسات العليا، متجاوزةً بذلك التركيز التقليدي على مهارات التحدث البسيطة التي ركزت عليها دراسة العظامات (٢٠١٨)، كما يرى الباحث أن مهارة التفاوض على المعنى التي تضمنتها القائمة تمثل جوهر استراتيجية تعليم الأقران، وهو ما أكدته دراسة عودة الله والجراح (٢٠٢٣) من فاعلية هذه الاستراتيجية في تنمية المهارات التي تتطلب تفاعلاً ثنائياً نشطاً.

٢) أظهرت النتائج طفرة نوعية في أداء الطلاب، حيث تحولت المتوسطات الحسابية من النطاق الضعيف إلى الممتاز، ويُرجع الباحث هذا التحسن الجوهري إلى

الخصائص البنائية لتعليم الأقران التي توفر بيئة تعلم آمنة، حيث يقل فيها القلق اللغوي مقارنة بالمواجهة المباشرة مع المعلم، وتتطابق هذه النتائج مع دراسات عودة الله والجراح (٢٠٢٣)، والعظامات (٢٠١٨) في أن الأساليب التفاعلية هي المحرك الرئيس للجرأة اللغوية، كما تعزز رؤية عثمان (٢٠١٨)، وعبد الحافظ (٢٠٠٧) في أن تعليم الأقران يمثل البديل الأمثل للنمط الإلقائي التقليدي، حيث يسمح للطالب بتمثيل الدور، وممارسة القيادة اللغوية، مما ساعد في رفع كفاءة المهارات المعقدة كالتفنيد والبرهنة، وهو ما يثبت نجاح الاستراتيجية في المستويات العليا وفق ما طالبت به دراسة الفل (٢٠٢٤).

٣) أثبتت القيمة الإحصائية لاختبار (ت) وجود فروق جوهرية (٠,٠٠٠) لصالح التطبيق البعدي، مما يؤكد أن التدخل التجريبي كان هو السبب المباشر في هذا النمو، ويُفسر الباحث هذا النجاح بقدرة الاستراتيجية على تحويل الطالب من مستهلك للغة إلى منتج لها، وقد لوحظ بشكل خاص تفوق طلاب التخصصات الشرعية (الشريعة، القرآن، الحديث) في مهارات الاستدلال والمناظرة، ويعزو الباحث ذلك إلى طبيعة خلفيتهم المعرفية التي تعتمد على الاستنباط والحجة، مما يجعل تعليم الأقران منصة لاستثمار هذا المخزون الفكري وتصريفه لغوياً، وهو ما يدعم رأي العتيبي (٢٠٢١) في ضرورة تنويع التدريس بما يخدم طبيعة المادة، كما ساهمت الاستراتيجية في كسر حاجز الخجل اللغوي الثقافي، لاسيما لدى طلاب شرق آسيا، من خلال النمط التشاركي الذي نادت به دراسة مخلوف (٢٠٢١) ختاماً، يرى الباحث أن هذا التحسن لم يكن لغوياً فحسب، بل كان تحولاً في الهوية الأكاديمية للطالب، حيث أصبح ينظر للغة العربية كوسيلة للتفكير المنطقي لا كقوالب مصمتة، مما يثبت أن التعلم بين الأقران يمثل الحلقة المفقودة في تطوير مهارات الحوار الأكاديمي الرصين.

- **توصيات البحث:**

بناء على نتائج البحث الحالي، يوصي الباحث بما يأتي:

١. ضرورة اعتماد استراتيجية تعليم الأقران في التدريس لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها؛ لفاعليتها في رفع كفاءة الحوار، وخفض القلق اللغوي.
٢. تصميم أدلة إجرائية للمعلمين، وكيفية توزيع الأدوار بين الطلاب، وكيفية إدارة الجلسات الحوارية الأكاديمية.
٣. الاستفادة من بطاقة الملاحظات لمهارات الحوار والمناقشة التي بنيت كأداة تقويمية رسمية في الاختبارات الشفهية.
٤. تدريب طلاب المراحل العليا (الدبلوم، الماجستير، الدكتوراه) على مهارات التفنيد، والنقد الأدبي، والاستدلال والبرهان؛ فهذه المهارات تتناسب مع مستواهم العلمي.

- **مقترحات البحث:**

يقترح الباحث إجراء البحوث المستقبلية الآتية:

١. أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات الكتابة الأكاديمية لدى طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٢. التحديات التي تواجه معلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في تطبيق استراتيجية تعليم الأقران داخل الفصول المزدحمة.
٣. بناء بيئة حوارية افتراضية (عن بعد) قائمة على تعليم الأقران لتنمية مهارات اللغة العربية.
٤. فاعلية تعليم الأقران في مقابل التعلم القائم على المعلم في تنمية مهارات الحوار لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستويات المتقدمة.

المراجع

البصير، عمار مفتاح. «مفهوم الحوار ودور المحاور في العملية التعليمية والاجتماعية». عالم التربية ١٥، العدد ٤٨ (أكتوبر ٢٠١٤).

جبر، آيات محمد. «أثر استخدام استراتيجية تدريس الأقران في تحصيل واستبقاء تلميذات الصف الخامس الابتدائي لمادة الرياضيات». مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد ١٢٤ (٢٠١٦).

جري، خضير عباس. «أثر استراتيجية تعلم بالأقران في تنمية الفهم الجغرافي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي». مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد ١١٤ (٢٠١٥).

الحبار، ندى لقمان محمد أمين. «أثر استخدام استراتيجية تدريس الأقران في تحصيل طالبات الصف الرابع الإعدادي في مادة التربية الإسلامية». مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ١٠، العدد ٣ (٢٠١١).

الحربي، سلطان هايف محمد. «فاعلية استخدام استراتيجية تدريس الأقران في علاج صعوبات القراءة الجهرية لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي في محافظة حفر الباطن السعودية». مجلة العلوم التربوية والنفسية ١، العدد ٤ (مايو ٢٠١٧).

حواس، نجلاء يوسف يوسف أحمد. «برنامج مقترح قائم على استراتيجية تعلم الأقران في تنمية بعض المهارات اللغوية وأثره على اكتساب بعض المهارات الاجتماعية لدي الأطفال بطيئي التعلم في رياض الأطفال». مجلة كلية التربية، العدد ١٤ (يونيو ٢٠١٣).

سعادة، جودت، فواز عقل، مجدي زامل، جميل إشتية، وهدي أبو عرقوب. التعلم النشط: بين النظرية والتطبيق. ط١. عمان: دار الشروق للنشر، ٢٠٠٦.

السليني، فراس محمود مصطفى، وفؤاد فلاح محمد مقدادي. «أثر استخدام

استراتيجية التعلم بالأقران في تحصيل طلاب الصف الخامس الأساسي في قواعد اللغة العربية في الأردن». مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية ٣، العدد ١٢ (أكتوبر ٢٠١٥).

الشريف، محمد حارب مليفي. «أثر استخدام استراتيجية تدريس الأقران في تنمية مهارات التفكير العليا والاتجاه نحوها في مقرر الدراسات الاجتماعية في المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية». العلوم التربوية ٣٢، العدد ١ (يناير ٢٠٢٤).

الشمري، عبد الله. «تطبيق ثلاثة أساليب للتعلم النشط في تدريس التربية الإسلامية لطلاب الصف التاسعة بدولة الكويت وآثارها في تحصيلهم وتفكريهم الإبداعي». رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الكويت، ١٩٨٥.

عاشور، راتب، ومحمد مقدادي. المهارات القرائية والكتابية طرائق تدريسها واستراتيجيتها. ط١. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

عبد الحافظ، فؤاد عبد الله. «فاعلية استخدام استراتيجية تدريس الأقران على تنمية بعض مهارات التجويد وبقاء أثر التعلم لدى الطلاب المعلمين شعبة اللغة العربية». مجلة القراءة والمعرفة، العدد ٦٨ (يوليو ٢٠٠٧).

عبد الرزاق، وفاء. «أثر استخدام تعليم الأقران في تحصيل تلميذات الصف الخامس الابتدائي في مادة العلوم العامة». مجلة العلوم الإنسانية، العدد ١٢ (٢٠١٢).

عبد العظيم، حمدي أحمد. «أثر استراتيجية مقترحة للتقويم الذاتي ببيئات التعلم الإلكتروني على إتقان تعلم طلاب تكنولوجيا التعليم واتجاهاتهم نحو الاستراتيجية». دراسات وبحوث تكنولوجيا التربية (الجمعية العربية لتكنولوجيا التربية، مصر)، (إبريل ٢٠١٤).

عبد الكريم، داليا فاروق. «فاعلية استراتيجية تدريس الأقران في تنمية مفهوم الذات

لدى طلبة قسم الجغرافيا في كلية التربية الأساسية». مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ٧، العدد ١ (٢٠٠٧).

العتيبي، منيرة فطيم جميل. «استراتيجية الحوار التعليمي ودوره في تعليم العربية لغير الناطقين بها دراسة تطبيقية على طالبات معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة أم القرى». مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ١٢، العدد ٢٥ (ديسمبر ٢٠٢١).

عثمان، رضوان شحرون. «أثر استراتيجية تعليم الأقران في تنمية مهارات فهم المقروء لدى الطالب قسم الإعداد اللغوي بجامعة الراية». مجلة الراية الإسلامية ٢، العدد ٢ (أكتوبر ٢٠١٨).

عثمان، عبير كمال محمد. «فعالية استخدام استراتيجية تدريس الأقران في تدريس الفنية وعلاقتها ببعض المخرجات التعلمية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بمدينة الرياض». رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، مصر، ٢٠١١.

عطية، جمال سليمان. «فاعلية استراتيجية تدريس الأقران في تنمية مهارات القراءة الجهرية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية». مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس. القاهرة، ٢٠٠٤.

العظامات، هايل عقله بنيه. «أثر استخدام استراتيجية أنشطة القراءة المباشرة في تنمية مهارات الاستيعاب الاستماعي عند طلبة المرحلة الأساسية العليا في منطقة البادية الشمالية الشرقية». رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة البحر الأحمر، ٢٠١٣.

العظامات، هايل عقله بنيه. «أثر استراتيجية الحوار والنقاش في تنمية مهارات التحدث لدى طلبة الصف الرابع الأساسي في البادية الشمالية الشرقية». مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ٤٠، العدد ٣ (٢٠١٨).

علي، شعبان حسن. «أثر استخدام استراتيجية تعليم الأقران على إتقان المهارات الفنية لدى طلاب قسم التربية الفنية بكلية التربية النوعية». مجلة بحوث التربية النوعية، العدد ٤٠ (أكتوبر ٢٠١٥).

عودة الله، أسامة عمر محمود، وعبد الله عزام الجراح. «تأثير استراتيجية تدريس الأقران واستراتيجية المائدة المستديرة المتزامنة على تطوير مهارات التحدث باللغة العربية بين طلاب الصف السابع في الأردن». دراسات: العلوم التربوية ٥٠، العدد ٢ (يونيو ٢٠٢٣).

الفل، عمرو. «أثر استخدام استراتيجية تعليم الأقران على تحصيل طلاب المرحلة الابتدائية في اللغة الإنجليزية من وجهة نظر المعلمين». مجلة كلية التربية جامعة أسيوط ٤٠، العدد ٢ (فبراير ٢٠٢٤).

مخلوف، دينا السيد عبد الواحد. «استراتيجية التعلم المنظم ذاتياً لتنمية مهارات المحادثة والحوار وآدابهما لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية». مجلة كلية التربية جامعة المنصورة، العدد ١١٦ (أكتوبر ٢٠٢١).

Bibliography

Al-Basir, Ammar Miftah. "Mafhoum al-Hiwar wa-Dawr al-Muhawir fi al-Amaliyya al-Ta'limiyya wa-al-Ijtima'iyya". *Alam al-Tarbiya* (in Arabic) 15, no. 48 (October 2014).

Jabr, Ayat Muhammad. "Athar Istikhdam Istiratijiyyat Tadris al-Aqran fi Tahsil wa-Istibqa' Tilmidhat al-Saff al-Khamis al-Ibtida'i li-Maddat al-Riyadiyyat". *Majallat al-Ulum al-Tarbawiyya wa-al-Nafsiyya* (in Arabic), no. 124 (2016).

Juri, Khadir Abbas. "Athar Istiratijiyyat Ta'allum bi-al-Aqran fi Tanmiya al-Fahm al-Jughrafi lada Tilamid al-Saff al-Khamis al-Ibtida'i". *Majallat al-Ulum al-Tarbawiyya wa-al-Nafsiyya* (in Arabic), no. 114 (2015).

Al-Habbar, Nada Laqman Muhammad Amin. "Athar Istikhdam Istiratijiyyat Tadris al-Aqran fi Tahsil Talibat al-Saff al-Rabi' al-I'dadi fi Maddat al-Tarbiya al-Islamiyya". *Majallat Abhath Kulliyat al-Tarbiya al-Asasiyya* (in Arabic) 10, no. 3 (2011).

Al-Harbi, Sultan Hayif Muhammad. "Fa'aliyya Istikhdam Istiratijiyyat Tadris al-Aqran fi 'Alaj Su'ubat al-Qira'a al-Jahriyya lada Tilamid al-Saff al-Sadis al-Ibtida'i fi Muhafazat Hafar al-Batin al-Sa'udiyya". *Majallat al-Ulum al-Tarbawiyya wa-al-Nafsiyya* (in Arabic) 1, no. 4 (May 2017).

Hawwas, Najla Yusuf Yusuf Ahmad. "Barnamaj Muqtarah Qa'im 'ala Istiratijiyyat Ta'allum al-Aqran fi Tanmiya Ba'd al-Maharat al-Lughawiyya wa-Atharuhu 'ala Iktisab Ba'd al-Maharat al-Ijtima'iyya lada al-Atfal Bati'i al-Ta'allum fi Riyad al-Atfal". *Majallat Kulliyat al-Tarbiya* (in Arabic), no. 14 (June 2013).

Sa'ada, Jawdat, Fawwaz Aql, Majdi Zamil, Jamil Ishtiya, and Huda Abu Aqub. *Al-Ta'allum al-Nashit: Bayna al-Nazariyya wa-al-Tatbiq*. (1st ed. Amman: Dar al-Shuruq lil-Nashr, 2006).

Al-Silini, Firas Mahmud Mustafa, and Fu'ad Fallah Muhammad Muqdadi. "Athar Istikhdam Istiratijiyyat al-Ta'allum bi-al-Aqran fi Tahsil Tullab al-Saff al-Khamis al-Asasi fi Qawa'id al-Lugha al-Arabiyya fi al-Urdun". *Majallat Jami'at al-Quds al-Maftuha lil-Abhath wa-al-Dirasat al-Tarbawiyya wa-al-Nafsiyya* (in Arabic) 3, no. 12 (October 2015).

Al-Sharif, Muhammad Harib Mulayfi. "Athar Istikhdam Istiratijiyyat Tadris al-Aqran fi Tanmiya Maharat al-Tafkir al-Ulya wa-al-Ittijah Nahwuha fi Muqarrar al-Dirasat al-Ijtima'iyya fi al-Marhala al-Mutawassita fi al-Mamlaka al-Arabiyya al-

Sa'udiyya". *Al-Ulum al-Tarbawiyya* (in Arabic) 32, no. 1 (January 2024).

Al-Shammari, Abd Allah. "Tatbiq Thalathat Asalib lil-Ta'allum al-Nashit fi Tadris al-Tarbiya al-Islamiyya li-Tullab al-Saff al-Tasi'a bi-Dawlat al-Kuwayt wa-Atharuha fi Tahsilihim wa-Tafkirihim al-Ibda'i". (Master's thesis, Middle East University, Kuwait, 1985).

Ashur, Ratib, and Muhammad Muqdadi. *Al-Maharat al-Qira'iyya wa-al-Kitabbiyya Tara'iq Tadrisiha wa-Istiratijiyatiha*. (1st ed. Amman: Dar al-Masira lil-Nashr wa-al-Tawzi', 2005).

Abd al-Hafiz, Fu'ad Abd Allah. "Fa'aliyya Istikhdam Istiratijiyyat Tadris al-Aqran 'ala Tanmiya Ba'd Maharat al-Tajwid wa-Baqa' Athar al-Ta'allum lada al-Tullab al-Mu'allimin Shu'bat al-Lugha al-Arabiyya". *Majallat al-Qira'a wa-al-Ma'rifa* (in Arabic), no. 68 (July 2007).

Abd al-Razzaq, Wafa'. "Athar Istikhdam Ta'lim al-Aqran fi Tahsil Tilmidhat al-Saff al-Khamis al-Ibtida'i fi Maddat al-Ulum al-Amma". *Majallat al-Ulum al-Insaniyya* (in Arabic), no. 12 (2012).

Abd al-Azim, Hamdi Ahmad. "Athar Istiratijiyya Muqtarahah lil-Taqwim al-Dhati bi-Bi'at al-Ta'allum al-Iliktruni 'ala Itqan Ta'allum Tullab Taknulujiya al-Ta'lim wa-Ittijahatihim nahwa al-Istiratijiyya". *Dirasat wa-Buhuth Taknulujiya al-Tarbiya* (in Arabic) (April 2014).

Abd al-Karim, Daliya Faruq. "Fa'aliyya Istiratijiyyat Tadris al-Aqran fi Tanmiya Mafhoum al-Dhat lada Tullab Qism al-Jughrafi fi Kulliyat al-Tarbiya al-Asasiyya". *Majallat Abhath Kulliyat al-Tarbiya al-Asasiyya* (in Arabic) 7, no. 1 (2007).

Al-Utbi, Munira Fatim Jamil. "Istiratijiyyat al-Hiwar al-Ta'limi wa-Dawruhu fi Ta'lim al-Arabiyya lighayr al-Natiqin biha: Dirasa Tatbiqiyya 'ala Talibat Ma'had Ta'lim al-Lugha al-Arabiyya lighayr al-Natiqin biha fi Jami'at Umm al-Qura". *Majallat Kulliyat al-Dirasat al-Islamiyya wa-al-Arabiyya lil-Banāt* (in Arabic) 12, no. 25 (December 2021).

Uthman, Ridwan Shuhrun. "Athar Istiratijiyyat Ta'lim al-Aqran fi Tanmiya Maharat Fahm al-Maqrou' lada al-Talib Qism al-I'dad al-Lughawi bi-Jami'at al-Raya". *Majallat al-Raya al-Islamiyya* (in Arabic) 2, no. 2 (October 2018).

Uthman, Abir Kamal Muhammad. "Fa'aliyya Istikhdam Istiratijiyyat

Tadris al-Aqran fi Tadris al-Fanniyya wa-'Alaqatiha bi-Ba'd al-Mukhrajat al-Ta'allumiyya lada Tilamid al-Marhala al-Ibtida'iyya bi-Madinat al-Riyad". (Unpublished master's thesis, Helwan University, Egypt, 2011).

Atiyya, Jamal Sulayman. "Fa'aliyya Istiratijiyyat Tadris al-Aqran fi Tanmiya Maharat al-Qira'a al-Jahriyya lada Tilamid al-Marhala al-Ibtida'iyya". *Majallat Dirasat fi al-Manahij wa-Tara'iq al-Tadris* (in Arabic). Cairo, 2004.

Al-Azamat, Hayil 'Aqila Banya. "Athar Istikhdam Istiratijiyyat Anshidat al-Qira'a al-Mubashara fi Tanmiya Maharat al-Istiya' al-Istima'i 'inda Tullab al-Marhala al-Asasiyya al-Ulya fi Mantiqat al-Badiya al-Shamaliyya al-Sharqiyya". (Unpublished PhD diss., Red Sea University, 2013).

Al-Azamat, Hayil 'Aqila Banya. "Athar Istiratijiyyat al-Hiwar wa-al-Niqash fi Tanmiya Maharat al-Tahadduth lada Tullab al-Saff al-Rabi' al-Asasi fi al-Badiya al-Shamaliyya al-Sharqiyya". *Majallat Jami'at Tishrin lil-Buhuth wa-al-Dirasat al-Ilmiyya* (in Arabic) 40, no. 3 (2018).

Ali, Shu'ban Hasan. "Athar Istikhdam Istiratijiyyat Ta'lim al-Aqran 'ala Itqan al-Maharat al-Fanniyya lada Tullab Qism al-Tarbiya al-Fanniyya bi-Kulliyat al-Tarbiya al-Na'iyya". *Majallat Buhuth al-Tarbiya al-Na'iyya* (in Arabic), no. 40 (October 2015).

Oudat Allah, Osama Umar Mahmud, and Abd Allah Azzam al-Jarrah. "Ta'thir Istiratijiyyat Tadris al-Aqran wa-Istiratijiyyat al-Ma'ida al-Mustawira al-Mutazamina 'ala Tatwir Maharat al-Tahadduth bi-al-Lugha al-Arabiyya bayna Tullab al-Saff al-Sabi' fi al-Urdun". *Dirasat: al-Ulum al-Tarbawiyya* (in Arabic) 50, no. 2 (June 2023).

Al-Fall, Amr. "Athar Istikhdam Istiratijiyyat Ta'lim al-Aqran 'ala Tahsil Tullab al-Marhala al-Ibtida'iyya fi al-Lugha al-Injliyya min Wijhat Nazar al-Mu'allimin". *Majallat Kulliyat al-Tarbiya Jami'at Asyut* (in Arabic) 40, no. 2 (February 2024).

Makhlouf, Dina al-Sayyid Abd al-Wahid. "Istiratijiyyat al-Ta'allum al-Munazzam Dhatiyyan li-Tanmiya Maharat al-Muhadatha wa-al-Hiwar wa-Adabuhuma lada Tilamid al-Marhala al-I'dadiyya". *Majallat Kulliyat al-Tarbiya Jami'at al-Mansura* (in Arabic), no. 116 (October 2021).

برنامج مقترح لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بتوظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

A Proposed Program to Enhance Higher Diploma Students' Awareness of the Use of Language-Based Tasks in Teaching Arabic as a Foreign Language

د. ماجد بن سالم بن جابر السناني

أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: majidsalmj@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
15/11/2025		14/12/2025

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-012

المستخلص

هدف البحث الحالي إلى قياس مدى وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية بالمهام اللغوية، وتصـــميم برنامج مقترح يعزز لدى طلاب الدبلوم العالي توظيف المهام اللغوية، ولتحقيق هذا الهدف اســـتخدم الباحث المنهج الوصـــفي التحليلي، وتمثلت عينة البحث (٢٤) خريجا، واستخدم الباحث أداة الاختبار لقياس وعي طلاب الدبلوم العالي، وأسـفرت نتائج البحث عن ضـعف وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية بتوظيف المهام اللغوية بنســبة بلغت (٣٩,٠٦٪)، وفي ضـوء هذه النتائج قدم الباحث برنامجا مقترحا لطلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية بتوظيف المهام اللغوية حيث اشـــتمل البرنامج على المقدمة والأهداف العامة والإجرائية، وحدد موضـــوعات البرنامج، ومن أهمها: نشـــأة المهام اللغوية وتعريفها، والنظريات الحديثة المتعلقة بالمدخل القائم على المهام اللغوية، وخصائص المهام اللغوية، ومراحل تنفيذ المهمة اللغوية، وتقويم المهمة، والاتجاه الإيجابي للمهام، وكيفية تطبيقها، وللاســـتفادة من نتائج البحث قدم الباحث مجموعة من التوصـــيات ومجموعة من الدراسات المقترحة.

الكلمات المفتاحية: طلاب الدبلوم العالي، المهام اللغوية، الوعي.

Abstract

The current study aimed to measure the awareness of Higher Diploma students at the Arabic Language Teaching Institute regarding language-based tasks and designing a proposed program that enhances postgraduate diploma students' use of language tasks. To achieve this goal, the researcher employed the descriptive-analytical method. The study sample consisted of 24 graduates. The researcher used a test instrument to measure the awareness of Higher Diploma students. The findings revealed a low level of awareness among the students regarding the use of language-based tasks with a rate of 39.06%. Considering this, the researcher proposed a program for Higher Diploma students at the Arabic Language Teaching Institute to employ language-based tasks. The proposed program included an introduction, general and procedural objectives, defined program topics. Among the most important topics were: the emergence and definition of language-based tasks, modern theories related to the task-based approach, and the characteristics of language-based tasks, stages for implementing language-based tasks, task assessment, and fostering a positive attitude towards tasks and how to apply them. To benefit from the study's findings, the researcher provided a set of recommendations and suggested future studies.

Keywords: Higher Diploma Students, Language-Based Tasks, Awareness.

المقدمة

تسهم المؤسسات التعليمية في توفير بيئة تعليمية مناسبة، تراعي احتياجات متعلميها، وتتأكد من تنمية المعارف والمهارات والخبرات التي يحتاجونها سواء كان جسديا أو عقليا أو اجتماعيا، فمعرفة المؤسسات بتلك الاحتياجات ودراستها بصورة علمية بحثية من شأنه أن يدعم العملية التعليمية المراد تحقيقها تنمية وجودة وأداء، من خلال الإعداد الجيد للمعلمين وتدريبهم.

يمثل المعلم العنصر الأساسي في نجاح العملية التعليمية وتطورها؛ فهو العامل الحاسم في إخفاقها أو تقدمها، وذلك متوقف على أدائه أمام طلابه، ومعرفته بالتطورات الحديثة التي تساعده على خلق بيئة تعليمية مميزة، تدفع بعجلة التعلم إلى مزيد من التقدم والرضا، وتكوين مخرجات حقيقة تساعد على وضع تعليم مزدهر من خلال أجيال متعلمة قادرة على صنع المستقبل.

وكون الهدف الرئيس لتعليم اللغة العربية سواء للناطقين بها، أو للناطقين بلغات أخرى يتمثل في تنمية مهارات اللغة (الاستماع – التحدث – القراءة – الكتابة)، وعناصرها (الأصوات – المفردات – التراكيب)، فإن عبء تحقيق هذا الهدف يقع بشكل كبير على المعلم بوصفه المخطط، والمنفذ، والموجه، والميسر، والمقوم لعملية تعليم اللغة العربية[١].

ويعد تدريب الطلاب المعلمين في الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية على أحدث المداخل وطرق تعليم اللغة العربية أمرا ضروريا لا مناص منه، فمعرفته الكاملة في هذا المجال يساعده على تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالشكل المطلوب

(١) علي عبدالمحسن الحديبي. "فاعلية برنامج تدريبي قائم على معايير الجودة في تنمية معايير الأداء المهني لدى معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى". *مجلة كلية التربية بجامعة أسيوط*، ٣٢(٣)، (٢٠١٦م): ٥٧٢.

الذي نصت عليه مخرجات التعلم في توصيف البرنامج، وذلك لا يتم إلا من خلال مراجعة مخرجات التعلم وتطويرها، وفق دراسات حديثة تشير إلى مداخل تعليم اللغة العربية، وطرق تطبيقها.

وينطلق برنامج الإعداد المهني لمعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها من ضرورة مراعاة البرنامج للمناهج والمواد التعليمية التي سيقوم بتدريسها، وانطلاقه من الكفايات الأساسية اللازمة لمعلم اللغة العربية في معرفته الكافية بالمداخل التدريسية المشهورة والمعاصرة في تعليم اللغات الأجنبية، وكيفية الإفادة منها في تعليم اللغة العربية(١).

ومن هذه المداخل مدخل المهام اللغوية، الذي ظهر نتيجة التحولات في تعليم اللغة في السبعينيات والثمانينيات، نتيجة التركيز على المعنى والتواصل بدلا من الاقتصار على البنية اللغوية، وقد اعتبر أن مجرد تدريس القواعد غير كاف ما لم يدمج مع مهام تساعد المتعلم على التعبير عن المعاني والتفاعل، وهو يمثل امتدادا للمنهجية التواصلية، وينظر إليه كوسيلة أكثر واقعية لتطوير الكفاءة اللغوية؛ لأنه يشرك المتعلم في مواقف حقيقية أو شبه حقيقية تشبه استخدام اللغة في الحياة اليومية(٢).

وانطلاقا من ذلك يمكن الإفادة من مدخل المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، لما له دور كبير في تنمية الكفاءة اللغوية والاتصالية لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، من خلال استخدام اللغة العربية في مواقف تواصلية حقيقية بالعموم، واستخدام قواعد اللغة العربية من أجل أداء اتصالي يتسم بسلامة اللغة وحسن التعبير بالخصوص.

---

(١) محمود كامل الناقة. برنامج الإعداد التربوي لمعلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى (الأسس، الكفايات، الأهداف، عناصر الإعداد). *مجلة الجامعة الإسلامية*، ٣٦، (٢٠٠٢م): ٣٤٧-٣٥٢.

(2) Skehan, P. "Task-Based Instruction". Language Teaching 36 (1) (2003): 3. https://doi.org/10.1017/S026144480200188X

فالتعليم القائم على المهام اللغوية يركز بشكل أساسي على توفير بيئة تعليمية داعمة ومعينة للمتعلمين، تساعدهم على اكتساب مهارات اللغة وتعلمها من خلال مواقف اتصالية، ومهمات تعليمية محددة ذات مغزى، وأثناء ذلك يتم استقبال المدخل اللغوي المتضمن في المهمة وتعلم المهارات، مما يجعل تعلم مهارات اللغة ذا معنى وقيمة لدى المتعلمين المشاركين في أداء المهام اللغوية(١).

وفي هذا النوع من التعليم تصمم المهمة اللغوية بصورة تقترب من المواقف الحقيقة، فيتعرض المشاركون في المهمة اللغوية إلى دخل لغوي، من خلال استخدام أساليب لغوية معينة للنجاح في تنفيذ هذه المهمة، كما أنهم يتعاونون مع زملائهم، ويستمعون إليهم، ويتحدثون معهم، أو يكتبون إليهم، ويقرؤون ما يقدمونه لهم، كما أنهم يتعرضون لكمٍّ من الأصوات والمفردات والتراكيب اللازمة لتنفيذ المهمة، وهذا بدوره يؤثر في زيادة المخرجات اللغوية لديهم، واكتساب مهارات اللغة وعناصرها(٢).

وقد أكدت عدد من الدراسات على أهمية المدخل القائم على المهام اللغوية، ودوره الفعال في اكتساب اللغة، وأوصت بضرورة تدريب المعلمين على استخدام المهام اللغوية في الصف الدراسي، ومنها دراسة الشهري(٣)، ودراسة بازيار وكراغاني(٤)،

(١) محمد حسين حمدان. "برنامج قائم على المهام اللغوية لتنمية مهارات الطلاقة القرائية والتحدث الوظيفي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية". *مجلة التربية*، ٥(١٩٢)، (٢٠٢١): ١٦٦.

(٢) هداية إبراهيم الشيخ علي. "المهام اللغوية التواصلية وأثرها في اكتساب الوظائف النحوية لدى متعلمي العربية لغة ثانية". *العلوم التربوية*، ٢٥(٢)، (٢٠١٧م): ١٠٦.

(٣) غالية محمد الشهري. "فعالية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات التحدث لدى متعلمات اللغة العربية بالمدارس العالمية". *مجلة دار العلوم*، ١٥٣، (٢٠٢٥م): ١٧١-٢٥٢.

(٤) رسول بازيار، وحميد كراغاني. "دراسة لتعليم اللغة العربية على ضوء المنهج القائم على المهام". *مجلة الناطقين بغير العربية*، (١٥)، (٢٠٢٢م): ٦١-٨٤.

ودراسة آل مسبل[١]، ودراسة سيف[٢].

وعلى الرغم من أهمية المدخل القائم على المهام اللغوية ودوره في اكتساب اللغة الثانية، فقد لاحظ الباحث من خلال تدريسه للطلاب المعلمين في الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية، ومناقشتهم حول المهام اللغوية وأهميتها، قلة معرفتهم بالمهام اللغوية، ودورها في تنمية الأداء اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها.

ونظرًا لعدم وجود دراسات على حد علم الباحث استهدفت معرفة وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية؛ لتوظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ووضع برنامج مقترح لتعزيز وعيهم نحو المهام اللغوية، رأى الباحث مناسبة تناول هذا الموضوع، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث.

تحديد مشكلة البحث:

يواجه الطلاب المعلمون أثناء التدريب الميداني بعض التحديات والصعوبات في العملية التعليمية، وهذا أمر طبيعي كونها تجربة جديدة لهم، فاستخدام ما تعلموه في الدبلوم العالي من مداخل حديثة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ينبغي أن يطبق داخل القاعة الدراسية، ويفترض أن هذا التدريب يقابله توجيه وعناية واهتمام من قبل المشرفين، ورغم ذلك هناك نقص في الاحتياجات التدريبية لهم.

(١) نورة فايز آل مسبل. "برنامج تعليمي قائم على مدخل المهام اللغوية وفاعليتها في الدافعية نحو تعلم اللغة الإنجليزية لدى طالبات الصف الأول الثانوي". *المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية*، ٣٥، (٢٠٢٣م): ٦١٥-٦٣٦.

(٢) أحمد محمد سيف. "فاعلية استراتيجية تدريسية مقترحة في ضوء مدخل التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات تعلم القواعد النحوية والوعي بها لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية". المجلة التربوية، ٧٨، (٢٠٢٠م): ٤١٩-٤٥٨.

وتؤكد دراسة العيلي[١] بأن الطلاب المعلمين في معهد تعليم اللغة العربية بحاجة كبيرة للاحتياجات التدريبية التي تساعدهم في إتقان العملية التعليمية، كما تؤكد دراسة الزهراني[٢] على ضعف الربط بين ما يتعلمه الطالب المعلم من نظريات ومداخل وبين ممارستها في القاعة الدراسية أثناء التدريب الميداني.

وتمثلت مشكلة البحث الحالي في معرفة وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لتوظيف المهام اللغوية، وعدم وجود برنامج مقترح عن المدخل القائم على المهام اللغوية، وللتصدي لهذه المشكلة يجيب الباحث عن السؤال الرئيس التالي: **ما البرنامج المقترح لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بتوظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؟**

وتتفرع عن السؤال الرئيس، الأسئلة الآتية:

- ما مدى وعي طلاب الدبلوم العالي في توظيف المهام اللغوية؟
- ما البرنامج المقترح لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بتوظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؟

أهداف البحث:

تمثلت أهداف البحث الحالي في:

- التعرف على وعي طلاب الدبلوم العالي في توظيف المهام اللغوية.
- إعداد البرنامج المقترح لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بتوظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

(١) ناصر مسلم العيلي. "الاحتياجات التدريبية للطلاب معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها". دراسات عربية في التربية وعلم النفس، ١٣٠، (٢٠٢٠م): ٩٧-١٢٨.

(٢) عبدالله محمد الزهراني. "تقييم بعض جوانب التربية الميدانية من وجهة نظر الطلاب المعلمين بكلية التربية، ١(١٦٣)، (٢٠١٥م): ٢٢١-٢٦٦.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه:

- يفيد متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في تنفيذ مهام لغوية تواصلية تنمي لديهم المهارات اللغوية وعناصرها.
- يفيد معلمي اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بمعرفتهم بالمدخل القائم على المهام اللغوية، وتوظيفها.
- يفيد القائمين على إعداد برامج الدبلوم العالي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتطويرها، من خلال تقديم برنامج قائم على المهام اللغوية.
- يسهم في فتح المجال لإجراء دراسات مستقبلية في تنمية توظيف المهام اللغوية، والاستفادة منها في حقل تعليم اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

حدود البحث:

التزم البحث الحالي الحدود الآتية:

- **الحدود الموضوعية:** البرنامج المقترح لتوظيف المهام اللغوية التي تم التوصل إليها في البحث الحالي.
- **الحدود البشرية:** الطلاب المتخرجون من الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية.
- **الحدود الزمنية:** الفصل الدراسي الأول في العام الجامعي ١٤٤٧هـ.
- **الحدود المكانية:** معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

مصطلحات البحث:

١. **المهام اللغوية:** خطة عمل تتطلب من المتعلمين معالجة اللغة بشكل عملي؛ من أجل تحقيق نتيجة يمكن تقييمها من حيث ما إذا كان المحتوى المقصود

نقل بشـــكل صـــحيح ومناســـب؛ تحقيقا لهذه الغاية التي تتطلب الاهتمام الأساسي بالمعنى، والاستفادة من حصيلتهم اللغوية(١).

وتُعرف المهام اللغوية إجرائيا في هذا البحث بأنها: مجموعة من الأنشـــطة التي يعدها الطلاب المعلمون في برنامج الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية لتنمية أداء متعلمي اللغة العربية قراءة واســتماعا وتحدثا وكتابة، من خلال إجراءات محددة ونتائج متوقعة وتغذية راجعة.

٢. **الوعي**: ويعني امتلاك المتعلم للجانب المعرض للســـلوك وإدراكه للجوانب المختلفة السلبية والايجابية(٢).

ويعرف الوعي إجرائيا في هذا البحث بأنه: إدراك طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية، على توظيف المدخل القائم على المهام اللغوية، كما يقاس بالدرجة التي يحصل عليها الطالب المعلم في أداة الاختبار المعدة لهذا الغرض.

٣. **طلاب الدبلوم العالي**: يقصد بهم في هذا البحث إجرائيا: الطلاب المتخرجين من مرحلة البكالوريوس، ويتم إعدادهم في تخصـــص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بمعهد تعليم اللغة العربية لمدة عام كامل، من أجل تأهيلهم تربويا ومعرفيا للعمل في هذا المجال.

(1) Ellis, R. Task-Based Language Learning and Teaching. Oxford: Oxford University Press, 2003, 16.

(٢) أحمد حسين اللقاني، وعلي أحمد الجمل. معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس. (ط٣، القاهرة: درا عالم الكتب، ٢٠٠٣م). ٣٣٧.

الإطار النظري

يلقي الباحث في هذه الخلفية النظرية الضـــوء على إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، والمهام اللغوية من حيث تعريفها، وأهميتها، وخصـائصـها، وأنواعها، ومراحلها، وتقويمها، وتفصيل ذلك كما يلي:

أولا: إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها

تسعى المؤسسات التعليمية المختصة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها إلى إعداد معلميها لغويا ومعرفيا وتربويا، إعدادا متميزا، ومتخصصا في علم اللغة التطبيقي، للتعامل مع المواقف التعليمية بمهارات عالية في كافة الجوانب التعليمية والمواقف التواصلية، وجميع ما يدور في حجرة الصف، من خلال استخدامه أساليب التدريس والمداخل والطرق الحديثة المثمرة والفعالة.

ولتحقيق المخرجات التعليمية والتدريسية التخصصية لابد أن تركز المؤسسات التعليمية على المعلم من خلال تطويره وحسـن اختياره للقيام بالمهام التدريسـية، كما ينبغي تنمية معارفه وتعزيز مهاراته المعرفية والتربوية؛ ليتمكن من أداء رسـالته التعليمية بما يتلاءم مع متطلبات العصر، واحتياجات المتعلمين اللغوية، والمهارية، والثقافية[١].

كما ينطلق المحور الأساسي في إعداد معلم اللغة العربية من خلال فحص المواد الأساسـية الفعالة في إعداده، والعمل على التأكد من تضـمنها، بحيث يزوده برنامج الإعداد بالقدرات والمهارات والاتجاهات التي تمكنه من أن يكون متميزا في عمله، منتميًا لعمله، راضيا عنه، راغبا في تنمية شخصيته وتطويرها[٢].

(١) عبيد الله عبد الله الفايدي. "تصور مقترح لبناء اختبار معياري لقياس كفايات معلمي اللغة العربية لغة ثانية". *مجلة اختبار اللغة*، ١(١)، (٢٠٢٣م): ١٨٠.

(٢) حسن شحاته. "تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق". (ط٥، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م). ٤٣١.

ويعد التدريب الميداني أحد العناصر المهمة والمكملة للجانب النظري من خلال إعداده جيدا من قبل المتخصصين، فهو المحصلة التطبيقية على ما تعلمه في حجرات الدراسة، وقدرته على الكشف عن مستوى أدائه، وإيجاد الحلول المبتكرة التي تواجه من مشكلات عملية، للبحث عن أساليب تطويره الذاتي سواء كان ذلك على الصعيد المعرفي أو اللغوي أو التربوي.

وذلك يصنع منه معلما قادرا على جذب انتباه متعلميه لمجريات موضوعه ودرسه، من خلال استخدامه الوسائل المعينة التي تعزز لدى متعلميه المشاركات الفعالة للإجابة عن الأسئلة المطروحة لهم، والمشاركات في الأنشطة الصفية المتعددة، مثل الأنشطة الشفوية، أو الأنشطة الكتابية، أو الأنشطة التنافسية، أو الأنشطة التعاونية(١).

وهناك مهارات ينبغي أن يتعلمها المتعلم؛ لتحقيق متطلبات القرن الحادي والعشرين، مما يتطلب أن يكون المعلم مؤهلا تأهيلا مناسبا ينمي مهارات المتعلمين، وبما يتناسب مع متطلبات هذا القرن، انطلاقا من الإعداد الجيد للمعلم، وحسن الانتقاء(٢). وهذا مما يؤكد على دور مخرجات البرنامج في تعليم اللغة العربية، واستمرارية مراجعتها وتطويرها.

لذلك فإنه يتطلب عند إعداد برنامج مخصص لإعداد معلم اللغة العربية لغير

(١) عبد الرحمن إبراهيم الفوزان. "إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها". (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ٢٠١١م). ١٤.

(٢) أبو بكر عبد الله شعيب. "معايير إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى وفقا لمهارات القرن الحادي والعشرين". بحث منشور في مؤتمر اللغة العربية الدولي الرابع بالشارقة الذي نظمه المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والجامعة القاسمية، المنعقد في تاريخ ٢٩-٣٠ / ١/ ٢٠٢٠م. ٢٢.

الناطقين بها أن يشتمل على تغطية جوانب إعداد معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وإسهامه في التنمية المتكاملة، والشاملة، والمتوازنة (اللغوية، تعليم اللغة العربية، التربوية والثقافية)، والتوافق مع التوجهات الحديثة في عمليتي التعلم والتعليم، ومواكبة متطلبات الجودة، وتنمية مهارات القرن الحادي والعشرين(١).

وأكدت العديد من المؤتمرات الدولية والمحلية إلى ضرورة مراجعة برامج إعداد المعلمين وتطويرها، وبناء برامج إعدادهم على أساس الكفايات والأدوار، وتدريب المعلمين على أساليب ومداخل التعليم والتعلم الحديثة، كما أكدت على التعليم والتدريب المستمر(٢).

ويتضح مما سبق، أن إعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها لا يقتصر على تزويدهم بالمعرفة اللغوية أو طرائق التدريس، بل يشمل تعزيز وعيهم التربوي بالمداخل الحديثة في تعليم اللغات، ومن أهمها المدخل القائم على المهام اللغوية، ويذكر كلٌ من Long وNorris(٣) أن المعلمين يحتاجون إلى إعداد واضح لفهم وتطبيق التعلم القائم على المهام بشكل فعال.

فتنمية وعي طلاب الدبلوم العالي بالمدخل القائم على المهام اللغوية أمرٌ بالغ الأهمية؛ كونه يساعد على تحسين أداء متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، ويصقل

(١) علي عبد المحسن الحديبي. "برنامج إعداد معلم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى". (ط١، الشارقة: المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج، ٢٠١٩). ١٩ – ٢٠.

(٢) ربيعة ضو الجربي، وخديجة طليمون. "برامج تدريب المعلمين ودورها في تحسين نوعية الخدمة بالمؤسسات التعليمية الليبية"، *المؤتمر العلمي الأول (الجمعية الليبية للمناهج وإستراتيجيات التدريس)*، (٢٠٢١): ٤٢٢.

(3) Michael H. Long and John M. Norris, "Teacher Preparation and Support for Task-Based Language Teaching," in The Cambridge Handbook of Task-Based Language Teaching, ed. Mohammad Javad Ahmadian and Michael H. Long (Cambridge: Cambridge University Press, 2021) , 448.

مهاراتهم اللغوية بصورة متكاملة، ويعزز الجانب التواصلي بكفاءةٍ عالية.

وتشير الدراسات التربوية أن قياس وعي الطلاب اللغوي والمعرفي والمهاري يمكن قياسه بأداة الاختبار، فقد أشارت دراسة الرمادي(١) بإعداد أداة اختبار متكون من أسئلة مقالية وأسئلة موضوعية لقياس وعي الطلاب، كما أكدت دراسة Zrig(٢) أنه استخدم أداة الاختبار في قياس الوعي لدى طلاب متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، وهذا ما اعتمده الباحث في قياس الوعي لدى طلاب الدبلوم العالي.

وخلاصة القول: إن الطالب المعلم له مكانة مهمة في النظام التعليمي، فهو الميسر القادم للعملية التعليمية، والقادر على تنمية أداء متعلميها، وتحفيزهم على التعلم المطلوب، فإعداده يتطلب جهدا مؤسسيا خاضعا للتطوير والمعرفة الكاملة وتعزيز وعيهم في مداخل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بوجه عام، والمدخل القائم على المهام اللغوية بوجه خاص.

ثانيا: المهام اللغوية

ظهرت في فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي تغيرات مهمة في تدريس اللغة نظريًا وعمليًا. فعلى الصعيد العملي أخذت الطريقة التواصلية في تدريس اللغات اهتمام المعنيين بهذا المجال، وظهرت سلسلة كتب دراسية جديدة، وعلى الصعيد النظري ازداد ارتباط تدريس اللغة التواصلية بالنماذج التعليمية المبنية على المعنى للغة التي توجه نحو تنمية القدرة على التواصل باعتبارها الغاية الأساسية(٣).

---

(١) أماني زكريا الرمادي. "إعداد اختبار لتحديد مستوى الوعي المعلوماتي لدى طلاب الجامعات المصرية ". *مجلة بحوث في علم المكتبات والمعلومات*، (١٤)، (٢٠١٥م): ٨١.

(2) Zrig, A. Morphological awareness and word complexity in an EFL context: Linguistics. International Journal of Linguistics and Translation Studies, 2(4). (2021):27.

(3) Skehan, Language Instruction through Tasks, 298.

وارتبط ظهور المدخل القائم على المهمة بمشـــروع بانجالور في الهند الذي قاده برافو (١٩٧٩-١٩٨٤) وكان الهدف منه اختبار المتعلمين لاكتساب اللغة الثانية عن طريق أداء مهام ذات معنى، بدلا من دراســة القواعد بشــكل مباشــر، والمهمة هنا ليست مجرد نشاط تدريبي، بل موقف تواصلي يحتاج فيه المتعلمون إلى استخدام اللغة لتحقيق هدف ما(١).

وتعرف المهمة اللغوية بأنها: خطة عمل تتطلب من المتعلمين معالجة اللغة بشـــكل عملي؛ من أجل تحقيق نتيجة يمكن تقييمها من حيث ما إذا كان المحتوى المقصــود نقل بشــكل صــحيح ومناســب؛ تحقيقا لهذه الغاية التي تتطلب الاهتمام الأساسي بالمعنى، والاستفادة من حصيلتهم اللغوية(٢). فهي أنشطة تتطلب استخداما للغة مركزة على المعنى بشكل أساسي(٣).

كما تعرف بأنها: تصور عقلي يرى أن اللغة مجموعة من المهام، يقوم بها الطالب بشــكل فردي، أو زوجي، أو جماعي؛ ولتحقيق أهداف التعلم، أو نشــاط يطلب من المتعلمين القيام به؛ للوصـول إلى نتائج تعليمية من خلال بعضِ العمليات التي تسـمح للمعلم بضبط وتنظيم الموقف التعليمي(٤).

وتعرف أيضا بأنها: نشاط يتطلب من المتعلمين التوصل إلى نتيجة معينة انطلاقا من معلومات معطاة، من خلال عملية من التفكير، ويتيح للمعلم أن يضـــبط هذه

(1) Sánchez, A. “The Task-Based Approach in Language Teaching”. *International Journal of English Studies* 4 (1), (2004): 44.
(2) Ellis, R. Task-Based Language Learning and Teaching. 16.
(٣) المصدر السابق ٣.
(٤) فايزة السيد عوض، وآخرون. "مداخل تعليم اللغة العربية: رؤية تحليلية". (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٩م). ١٥٦.

العملية وينظمها[١].

ويتضح من التعريفات السابقة، أن المهمة اللغوية هي خطة مكونة من أنشطة يقوم بها المتعلم، تتضمن أهدافًا واضحة، وموقفًا تواصليًا يساعد المتعلمون على اكتساب اللغة المراد تعلمها استماعا وتحدثا وقراءة وكتابة من خلال إجراءات محددة ونتائج متوقعة وتغذية راجعة.

وتكمن أهمية المدخل القائم على المهام اللغوية في تعزيز كفاءة المتعلمين التواصلية، لا سيما في تطوير مهارات الطلاقة والدقة والتفاعل، كما يقدم فوائد كبيرة لتعلم اللغة، مما يجعله نهجًا قيّمًا لتطوير الكفاءة التواصلية في بيئات تعليمية متنوعة[٢].

ويعد تعليم اللغة وفق مدخل المهام منهجا يحسن مهارات الاتصال اللغوي، ويعزز جانبين أساسيين من جوانب اللغة، وهما: الطلاقة، والدقة، كما يكسبهم الثقة في استخدام اللغة، ويجعل المتعلمين أكثر مرونة وإبداعًا، من خلال المهام القائمة على التواصل في مواقف واقعية[٣].

فهذا النوع من التعليم يساعد على تكامل المهارات اللغوية وتنميتها لدى متعلميها، فالمهام اللغوية التي يقوم بها المتعلم من استماع للنص أو الحوار، وقراءته للأفكار المتضمنة فيه، وكتابة أهم الملحوظات أو إعداد تقرير بذلك، وتطبيقه أمام الطلاب تحدثا يجعل المهارات اللغوية في قالب واحد.

واستنادا إلى ما سبق فإن استخدام المهام اللغوية يساعد المتعلمين على تنمية

(1) Prabhu, N. S. Second Language Pedagogy. Vol. 20. Oxford: Oxford University Press, 1987, 24.

(2)Alasal, M. "Exploring the Role of Task-Based Language Teaching in Enhancing Communicative Competence." International Journal of Linguistics, Literature and Translation 8 (2), (2025):48.

(3)Chunning Xie, and Lan Guang. The Effectiveness of Task-Based Language Teaching in Improving Communicative Competence. *International Journal of Advanced and Applied Sciences* 12 (1), (2025): 263.

مهارات التفكير لديهم وحل المشكلات، فالمهام تحتاج من المتعلمين تنشيط التفكير حتى يتمكنوا من إتمام المهمة المطلوبة لديهم، وحل جميع المشكلات التي تواجههم في ذلك، ويتوقف هذا الأمر على دور المعلم وقدرته على تنفيذ مراحل المهمة بالشكل المطلوب وتركيزه على أن يجعل المتعلم هو محور العملية التعليمية.

ويتبلور دور المعلم في المدخل القائم على المهمة على تحديد المهام وترتيبها، وتهيئة المتعلمين لأداء المهمة، ولفت انتباه المتعلمين إلى الصيغة اللغوية المستهدفة، وتدريب المتعلمين على الاستراتيجيات اللازمة لأداء المهمة، وإرشاد المتعلمين في أثناء أداء المهمة، وتقديم المساعدة للمتعلمين عند الحاجة(١)، وتقويم المتعلمين وتقديم التغذية الراجعة لهم.

وتتطلب هذه الأدوار ضرورة أن يكون المعلم صاحب خبرة ومهارات عالية في التدريس، ومقدرة على السيطرة داخل القاعة التدريسية، إضافة إلى تمكنه من طرق التدريس الحديثة؛ لأن تنفيذ هذه المهام داخل القاعة التدريسية يستغرق وقتًا أطول من الوقت المتاح في التدريس التقليدي، كما أن المتعلم في منظورها متعلم نشط، تدور حوله العملية التعليمية بأكملها.

أما المتعلم فيتمثل دوره في هذه المدخل بتحمل مسؤولية أداء المهام، والتفكير في معطيات المهام، وتحليلها للوصول إلى السبيل الأنسب لإتمامها، وتطبيق استراتيجيات التعلم المناسبة لإنجازها بفاعلية وحماس في أداء المهمة التي تسند إليه، والمشاركة في العمل الجماعي أو الثنائي، وملاحظة زملائه، والتقويم الذاتي لإنجاز المهام المطلوبة، والتواصل باللغة المستهدفة خلال أداء المهام اللغوية، والعمل كعضو في فريق عمل(٢).

(1) Oxford, R. L. Task-Based Language Teaching and Learning: An Overview. *Asian EFL Journal* 8 (3), (2006): 108.

(٢) آل مسبل، "برنامج تعليمي قائم على مدخل المهام اللغوية وفاعليتها في الدافعية نحو تعلم اللغة الإنجليزية لدى طالبات الصف الأول الثانوي". ٦٢٢.

وأداء المتعلمين في المهام اللغوية يمكن توضيحه من خلال ثلاثة أبعاد رئيسة، هي: التعقيد، والدقة، والطلاقة، وهذ الأبعاد تعكس مراحل التغير في النظام اللغوي الكامن لدى المتعلم؛ إذ يرتبط التعقيد بتطور اللغة البينية، وتشير الدقة إلى ازدياد التحكم وتقليل الخطأ، بينما تعبر الطلاقة عن التحكم في الأداء اللغوي وتلقائيته(١).

وتتميز المهمة اللغوية في إطار التعلم القائم على المهام بخصائص أساسية تجعلها مختلفة عن الأنشطة الصفية التقليدية، يذكرها Ellis(٢) ومن أبرزها:

١. تشكل المهمة خطة لنشاط المتعلم، فتتشكل هذه الخطة من خلال مواد تعليمية، أو خطط مخصصة للأنشطة التي تنشأ أثناء التدريس.
٢. تسعى المهمة إلى إشراك المتعلمين في استخدام اللغة بشكل عملي بدلاً من عرضها، وتسعى إلى إتقان اللغة الثانية من خلال التواصل الذي يتطلب تركيزا أساسيا على المعنى.
٣. تتطلب خطة العمل من المتعلمين الانخراط في نشاط لغوي يمثل النشاط الموجود في العالم الواقعي، من خلال المواقف الحياتية التي يتعرض لها المتعلم خارج الصف.
٤. تتطلب خطة العمل من المتعلمين الاستماع إلى نص أو قراءته، وإظهار فهمهم، أو إنتاج نص شفهي، أو مكتوب، أو استخدام المهارات الاستقبالية والإنتاجية معاً.
٥. تتضمن خطة العمل من المتعلمين استخدام عمليات معرفية مثل اختيار المعلومات وتصنيفها وترتيبها والتفكير فيها وتقييمها من أجل تحقيق الهدف.
٦. تنص خطة العمل على النتيجة اللغوية للمهمة، التي توضح هدف النشاط للمتعلمين، وتمثل النتيجة المعلنة للمهمة وسيلة لتحديد متى يكمل

(1) Skehan, P. "Task-Based Instruction". Language Teaching 36 (1) (2003): 9.
(2) Ellis, R. Task-Based Language Learning and Teaching. 9-10.

المشاركون المهمة

وتقسم المهام اللغوية إلى نوعين، هما[١]:

١. مهام موجهة: يكون التركيز في المهام الموجهة على بعض الصيغ والتراكيب اللغوية التي تعد سلفا قبل تنفيذ المهمة، فالتراكيب المضمنة فيها محددة ومقصودة في ذاتها، إلا أن التركيز ينصب على المعنى، لا على الصيغة أو التركيب اللغوي.

٢. مهام غير موجهة: يكون التركيز في المهام على الصيغ والتراكيب اللغوية عرضا، غير معد سلفا، فهي مصممة لاستنباط عينات لغوية عامة، وليس صيغاً أو تراكيب لغوية محددة.

ويتم تنفيذ المهمة في تعليم اللغة من خلال ثلاث مراحل أساسية، وهي[٢]:

١. مرحلة ما قبل المهمة:

- يقدم المعلم موضوع المهمة.
- يوضح المعلم المطلوب من المتعلمين وطريقة التنفيذ.
- يساعد المتعلمين ببعض المفردات والتراكيب الضرورية.
- يقدم نماذج متشابهة من خلال نص أو تسجيل.

وتهدف هذه المرحلة إلى تهيئة المتعلمين معرفيا ولغويا.

٢. مرحلة تنفيذ المهمة:

أ- تنفيذ المهمة: يعمل المتعلمون في أزواج أو مجموعات صغيرة، وهنا يكون التركيز

(١) هداية إبراهيم الشيخ علي، وآخرون. "المواد التعليمية وإعدادها لدى متعلمي العربية لغة ثانية في ضوء مدخل المهام اللغوية التواصلية". *معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية ومركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية*، ٢، (٢٠١٦م)، ٢١.

(2) Dave Willis and Jane Willis. Doing Task-Based Teaching. Oxford: Oxford University Press, 2007.

على التواصل والمعنى أكثر من الدقة.

ب- التخطيط: يقوم المتعلمون بإعداد نتائج أعمالهم من خلال وضع تقرير يوضح ذلك، وهنا يكون الاهتمام بوضوح ودقة اللغة.

ج. التقرير: يقدم المتعلمون نتائج أعمالهم أمام المتعلمين، وهنا يكون دافع لهم في استخدام لغة أكثر دقة.

وتهدف هذه المرحلة إلى استخدام اللغة بوضوح ودقة.

٣. مرحلة ما بعد المهمة:

أ. التحليل: يقوم المتعلمون بإشراف المعلم وتوجيه بتحليل التراكيب اللغوية التي ظهرت أثناء المهمة أو التقرير.

ب. الممارسة: يقوم المتعلمون بالتدريب على التراكيب والمفردات التي تعلموها في المهمة من خلال إعادة تنفيذها أو تدريبات أو أنشطة قصيرة.

وتهدف هذه المرحلة إلى رفع الوعي اللغوي وتحسين الدقة.

ومن خلال مدخل المهام اللغوية يمر تقويم الطلاب في خطوات متناسقة، تبدأ باختيار المهمة المناسبة التي سيقوم بها الطلاب، ثم تحديد المهمة بشكل واضح، وتعريف الطلاب بمعايير التقويم التي ستستخدم لقياس أدائهم. بعد ذلك تأتي مرحلة تنفيذ المهمة داخل الصف حيث ينجز الطلاب المهمة، ويلاحظ أداؤهم ويقوّم، سواء أكان ذلك من قبل المعلم أو الأقران، وأخيرا يتلقى الطلاب تغذية راجعة تساعدهم على تحسين أدائهم اللغوي في المهمات الأخرى، ومن هنا يصبح التقويم عملية مستمرة متكاملة مع التعليم، لا مجرد قياس نهائي للأداء[1].

ويتضح مما سبق، أن التقويم عملية مستمرة لتحديد جوانب الكفاءة اللغوية

(1) Frank Giraldo. Task-Based Language Assessment: Implications for the Language Classroom. *GIST Education and Learning Research Journal* 21, (2020): 216-218.

والتواصلية، فمن خلال المدخل القائم على المهام اللغوية يتم تقويم المتعلمين بأساليب متنوعة من أهمها: بطاقة الملاحظة، وبطاقة تقدير الأداء، والاختبارات الشفوية والتحريرية، والتقويم الذاتي، وتقويم الأقران، والتقرير، وملف الإنجاز.

وبناء على ما سبق، يمكن تصميم تطبيقي قائم على المهام اللغوية وفق خطوات إجرائية تتضمن مراحلها الثلاث، ونحدد المستوى الذي يطبق عليه وهو المستوى المتوسط لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، على النحو الآتي:

أولا/ مرحلة ما قبل المهمة:

أ- الإجراءات المطلوبة:

١- تحديد المهمة: وصف رحلة إلى العمرة.

٢- تحديد المهارات المستهدفة: جميع المهارات (الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة).

٣- تحديد زمن المهمة: ساعتان ونصف.

٤- تحديد نوع المهمة: موجهة.

٥- تحديد المواد المستخدمة: فيديو، صور، ورقة أسئلة.

٦- تحديد أدوات التقويم المستخدمة: بطاقة ملاحظة، اختبار قصير، تقرير.

٧- إعداد تعليمات المهمة بصورة بسيطة تتضمن إجراءات المهمة، وخطواتها، وأهدافها، وتنفيذها، وبعض التوجيهات التي تحث الطلاب على المشاركة الفعالة والتعاون مع زملائه.

٨- تمهيد الدرس من قبل المعلم لرحلة العمرة من خلال ذكر المفردات والتراكيب المستخدمة في وصف الرحلة (مدته خمس دقائق).

ب- أهداف المهمة:

١- يستمع الطالب إلى زملائه في وصف رحلة العمرة.

٢- ينصت الطالب إلى الفيديو الذي يعرضه المعلم عن العمرة.
٣- يتحدث الطالب مع زملائه عن أبرز الأفكار في وصف رحلة العمرة.
٤- يعبر الطالب عن الصور المعروضة عليهم مع زملائه بعبارات صحيحة.
٥- يكتب الطالب مع زملائه أهم الأفكار التي توصل لها كتابة صحيحة.
٦- يكتب الطالب مع زملائه تقريرا مفصلا يتضمن وصفا منظما لرحلة العمرة.
٧- يقرأ الطالب مع زملائه تعليمات المهمة.
٨- يقرأ الطالب التقرير أمام زملائه في الصف قراءة صحيحة.
٩- يصف الطالب تجربة رحلة العمرة بلغة بسيطة من خلال المهارات الأربعة.
١٠- يوظف الطالب المفردات والتراكيب الخاصة بالعمرة في موقف تواصلي متكامل.

ثانيا/ مرحلة تنفيذ المهمة:

١- تقسيم الطلاب إلى مجموعات متجانسة.
٢- يعرض المعلم فيديو عن رحلة العمرة (مدته ربع ساعة).
٣- بعد العرض يوزع المعلم ورقة تحوي أسئلة عن رحلة العمرة من خلال مشاهدتهم للفيديو المعروض لهم (الإجابة تكون بشكل فردي مدته ربع ساعة).
٤- يعد المتعلمون تقريرا عن وصفهم لرحلة العمرة (بشكل جماعي مدته نص ساعة).

ثالثا/ مرحلة ما بعد المهمة:

١- يختار المعلم من كل مجموعة طالبًا يقرأ التقرير عن وصف رحلة العمرة أمام زملائه (مدته نص ساعة).
٢- يقدم المعلم التغذية الراجعة الفورية (مدته خمس دقائق).
٣- يوزع المعلم على الطلاب صورا، تتضمن صورة في الأعلى عن الرحلة وتحتها يصف الطالب وصفا عن هذه الصورة، مثال: صورة ميقات ذي الحليفة،

والتوقف في الطريق عند إحدى محطات الاستراحة، ومقام إبراهيم عليه السلام، وجبل الصفا والمروة (بشكل فردي مدته ربع ساعة).

٤- يعرض كل طالب على زملائه تقرير الوصف الذي أعده، ويتشاور معهم في ذلك (بشكل فردي مدته نصف ساعة).

٥- يجمع المعلم من الطلاب الاختبار، والتقرير الجماعي عن وصف الرحلة، والتقرير الفردي عن وصف الصور.

٦- يتلقى المعلم من الطلاب شفويا مدى استمتاعهم بالمهمة اللغوية، والاستفادة التي حققها المتعلمين، حتى يتسنى للمعلم تطوير المهمات اللغوية القادمة (مدته خمس دقائق).

الدراسات السابقة:

يعرض هنا بعضًا من الدراسات السابقة التي تناولت مدخل المهام اللغوية في تعلم اللغة العربية، وفقا للترتيب الزمني من الأحدث إلى الأقدم، من خلال توضيح هدف الدراسة ومنهجها، وأهم الأدوات المستخدمة، وأبرز النتائج التي توصلت إليها، وهي على النحو الآتي:

- دراسة الشهري[١] هدفت إلى تنمية مهارات التحدث باستخدام أسلوب التعلم القائم على المهام وخصوصا في مهارات الدقة والطلاقة، والمهارات البراجماتية، ومهارات الخطاب، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي عند تحديد المهارات، كما استخدمت المنهج شبه التجريبي عند تطبيقه، ولتحقيق ذلك استخدمت الباحثة الأدوات التالية: قائمة بمهارات التحدث، واختبار مهارة التحدث، ومقياس أداء متدرج، وشملت عينة الدراسة ٥١ طالبة وطالبا في

(١) الشهري، "فعالية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات التحدث لدى متعلمات اللغة العربية بالمدارس العالمية".

المدارس العالمية، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في أدائهم لمهارة التحدث لصالح القياس البعدي، وأوصت الدراسة بالاستفادة من مدخل المهام اللغوية، وعقد الدورات لمعلمي اللغة العربية.

- دراسة بازيار وكراغاني[١] هدفت إلى البحث حول تعلم اللغة العربية في ضوء المدخل القائم على المهام، وقد استخدم الباحثان المنهج شبه التجريبي، ولتحقيق ذلك استخدمت الاستبانة أداة لها، وشملت عينة الدراسة ٥٣ طالبة وطالبا في مرحلة الماجستير بجامعة طهران، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: أن مدخل التكليفات بالمهمات يساعد على تحسين مهارة العملية التعليمية، وتشجيع المتعلمين على استخدام مصادر عدة للحصول على المعلومات، وأوصت الدراسة بأهمية مشاركة المتعلم في العملية التعليمية، والاهتمام بممارسة اللغة واستخدامها في المواقف الحياتية.
- دراسة فضل الله وآخرون[٢] هدفت إلى تعرف كفاءة استخدام مدخل المهام في تنمية بعض مهارات القراءة لدى الناطقين بغير العربية في المستوى المتقدم، وقد استخدم الباحثون المنهج شبه التجريبي، ولتحقيق ذلك استخدم الباحثون الأدوات التالية: قائمة بمهارات القراءة، واختبار مهارة القراءة، وحقيبة مهام الدارس، وشملت عينة الدراسة ١٢ طالبا، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها: تأكيد استخدام مدخل المهام اللغوية في تنمية مهارات القراءة الوظيفية لدى أفراد العينة، وأوصت الدراسة بالاهتمام بالأنشطة التي تنمي

(١) بازيار وكراغاني. "دراسة لتعليم اللغة العربية على ضوء المنهج القائم على المهام".

(٢) فضل الله وآخرون. "كفاءة استخدام المهام في تنمية مهارات القراءة الوظيفية لدى الناطقين بغير العربية".

مهارات الطلاقة القرائية والتحدث الوظيفي، كما أوصت بتصميم برامج تدريبية لمعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتطوير مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالمهام اللغوية المناسبة لهم.

- دراسة حمدان[١] هدفت إلى تنمية مهارات الطلاقة القرائية، ومهارات التحدث الوظيفي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية باستخدام منهج قائم على المهام اللغوية، وقد استخدم الباحث المنهج شبه التجريبي، ولتحقيق ذلك استخدم الباحث أداة الاختبار، وتصميم برنامج قائم على المهام، وشملت عينة الدراسة ٦٣ طالبا في الصف الخامس الابتدائي، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة، لاختباري الطلاقة القرائية والتحدث الوظيفي لصالح القياس البعدي، وأوصت الدراسة بالاهتمام بالأنشطة التي تنمي مهارات الطلاقة القرائية والتحدث الوظيفي، كما أوصت بعقد دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية.
- دراسة سيف[٢] هدفت إلى معرفة فاعلية إستراتيجية تدريسية مقترحة في ضوء مدخل التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات القواعد النحوية والوعي بها لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، فقد استخدم الباحث المنهج شبه التجريبي، ولتحقيق ذلك استخدم الباحث الأدوات التالية: اختبار مهارات تعلم النحو، ومقياس الوعي بمهارات النحو، وإعداد برنامج قائم على مدخل التعلم القائم على المهام، وشملت عينة الدراسة ٦٠ تلميذا، وتوصلت الدراسة إلى عدد من

(١) حمدان، محمد حسين. "برنامج قائم على المهام اللغوية لتنمية مهارات الطلاقة القرائية والتحدث الوظيفي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية".

(٢) سيف، "فاعلية استراتيجية تدريسية مقترحة في ضوء مدخل التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات تعلم القواعد النحوية والوعي بها لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية".

النتائج أهمها: تحسين أداء تلاميذ المجموعة التجريبية في تعلم القواعد النحوية في ضوء مدخل التعلم القائم على المهام، وأوصت الدراسة بعقد دورات تدريبية لمعلمي الصف الثاني على تدريس القواعد النحوية في ضوء مدخل التعلم القائم على المهام، وإعادة النظر في الأنشطة والوسائل التعليمية التي يستخدمها معلمو اللغة العربية.

واتفقت جميع الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في ضرورة تعليم اللغة العربية وفق المدخل القائم على المهام اللغوية، كما اتفقت دراستان مع الدراسة الحالية في استخدام مدخل المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وهي: دراسة بازيار وكراغاني(١)، ودراسة فضل الله وآخرون(٢)، واتفقت دراسة واحدة مع هذه الدراسة في استخدام المنهج الوصفي، وهي دراسة الشهري(٣).

غير أن هذه الدراسة تميزت عن الدراسات السابقة باستهدافها معرفة وعي الطلاب المعلمين في الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية؛ لتوظيف المهام اللغوية، ووضع برنامج مقترح عن المدخل القائم على المهام اللغوية للطلاب المعلمين في الدبلوم العالي.

ولعل أبرز ما استفاده الباحث من الدراسات السابقة في تصميم برنامج مقترح قائم على مدخل المهام اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، من خلال أسسها، وأهدافها، ومبادئها، وكيفية تقويمها.

---

(١) بازيار وكراغاني. "دراسة لتعليم اللغة العربية على ضوء المنهج القائم على المهام".

(٢) فضل الله وآخرون. "كفاءة استخدام المهام في تنمية مهارات القراءة الوظيفية لدى الناطقين بغير العربية".

(٣) الشهري، "فعالية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات التحدث لدى متعلمات اللغة العربية بالمدارس العالمية".

إجراءات البحث:

أولاً: منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، لمناسبة طبيعة البحث الحالي، واستخدم هذا المنهج لقياس وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية، عن طريق استجابات مجتمع البحث، وهم طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية من خلال أداة الاختبار التي تم التوصل لها في هذا البحث.

ثانياً: مجتمع البحث:

تكون مجتمع البحث الحالي من جميع خريجي برنامج الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ويبلغ عددهم (٣١) خريجا للعام الجامعي ١٤٤٦هـ.

عينة البحث:

نظرا لتجانس أفراد مجتمع البحث فقد تم اختيار عينة عشوائية بسيطة بطريقة منتظمة، حيث تم ترقيم الأفراد من ١ إلى ٣١، وتم استبعاد الذين يحملون الرقم (٤) ومضاعفاته وتكونت العينة النهائية بعد ذلك من (٢٤) خريجا بنسبة (٧٧٪) من المجتمع.

أدوات البحث ومواده:

الأداة الأولى: اختبار وعي طلاب الدبلوم العالي بتوظيف المهام اللغوية

فيما يلي توضيح الخطوات التي اتبعت عند إعداد الاختبار، والتي تشتمل عرض ما يأتي:

– الهدف من إعداد الاختبار:

هدف هذا الاختبار إلى قياس مستوى وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية بعد تخرجهم، والوقوف على درجة هذا الوعي؛

تمهيدا لإعداد البرنامج المقترح لطلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية، ويركز الاختبار على قياس قدرة الطلاب على تحليل وتفسير وتوظيف المهام اللغوية في مواقف تعليمية واتصالية مختلفة تندرج تحت مهارات معرفية، ومهارات مهارية، ومهارات تحليلية، ومهارات إنتاجية إبداعية.

– مصادر إعداد الاختبار:

أعد الباحث الاختبار معتمدًا على عدة أمور منها خبرته في إعداد الاختبارات، وكذلك البرنامج المقترح الذي تم التوصل له في البحث الحالي، وبعض المراجع ذات الصلة مثل مرجع عبد الرحمن[١].

– صياغة تعليمات الاختبار:

صيغت تعليمات الاختبار بصورة واضحة ومبسطة، وتضمنت التعليمات الهدف من الاختبار، وعدد الأسئلة التي يجيب عليها الطالب، وطريقة الإجابة عن أسئلة الاختبار، والزمن المحدد للإجابة عن الأسئلة، وبيانات المتعلم مع الإشارة إلى أن نتائج الاختبار سوف تُستخدم لأغراض البحث العلمي فقط.

– الصورة الأولية للاختبار:

تم بناء الاختبار من خمسة أسئلة تشتمل على (٢١) فقرة بحيث يقيس مستوى وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية، وقد تم تصميم الاختبار على النحو التالي:

السؤال الأول: ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة (√) وعلامة خطأ (×) أمام العبارة الخاطئة. ويتكون من (١٠) فقرات، ويقيس مهارة معرفية.

(١) أحمد محمد عبد الرحمن. "تصميم الاختبارات أسس نظرية وتطبيقات عملية". (ط١، الأردن: درا أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).

السؤال الثاني: اختر ما تراه صحيحا. ويتكون من (٧) فقرات، ويقيس مهارة معرفية.

السؤال الثالث: عرف المهام اللغوية، ثم طبق هذا التعريف على مثال توضيحي من اختيارك يبين الفرق بينها وبين التدريبات اللغوية. ويتكون من فقرتين (٢) ويقيس مهارة معرفية مهارية.

السؤال الرابع: كيف تسهم المهام اللغوية في تنمية مهارات التفكير وحل المشكلات عند الطلاب؟ ويتكون من فقرة واحدة (١)، ويقيس مهارة تحليلية.

السؤال الخامس: صمم مثالا على مهمة لغوية مناسبة لطلاب معهد تعليم اللغة العربية، وبين مراحل تنفيذها وأدوات تقويمها. ويتكون من فقرة واحدة (١)، ويقيس مهارة إنتاجية أو إبداعية.

ويتضح مما سبق أن الاختبار في مرحلة تصميمه الأولي من عدد كبير من الأسئلة المعرفية الموضوعية (صح/خطأ، اختيار من متعدد)؛ مما يسهم في رفع درجة صدق الاختبار وثباته، ويمكن من دقة قياس مستوى وعي خريجي الدبلوم العالي في معهد تعليم اللغة العربية.

ويوضح الجدول التالي توصيفا للصورة الأولية للاختبار.

جدول (١) توصيف الصورة الأولية لاختبار وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية

السؤال	نوع السؤال	عدد الفقرات	الدرجة المستحقة	الوزن النسبي
الأول	موضوعي (صح/خطأ)	١٠	٢٠	٣١,٣٪
الثاني	موضوعي (اختيار متعدد)	٧	١٤	٢١,٩٪
الثالث	مقالي	٢	١٠	١٥,٦٪
الرابع	مقالي	١	١٠	١٥,٦٪
الخامس	مقالي	١	١٠	١٥,٦٪
المجموع		٢١	٦٤	١٠٠٪

يتضح من الجدول (١) أن اختبار وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية تكون في صورته الأولية من (٢١) فقرة موزعة على خمسة أسئلة رئيسة (٢) منها موضوعية بوزن نسبي (٥٣,١)، و(٣) مقالية بوزن نسبي (٤٦,٩٪).

– صدق محتوى الاختبار:

للتأكد من مناسبة الصورة الأولية للاختبار، تم عرضه على عدد المحكمين من أعضاء هيئة التدريس بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لإبداء آراءهم حول الاختبار من حيث: مناسبة التعليمات، مدى مناسبة السؤال لقياس الوعي في توظيف المهام اللغوية، مدى مناسبة السؤال لطلاب الدبلوم العالي، دقة السؤال لغويا وعلميا.

– تعديل الاختبار وفقاً لنتائج التحكيم:

تم تحليل آراء المحكمين، وإجراء التعديلات التي أشار إليها المحكمون، وقد اشتملت على تعديل صياغة بعض الفقرات وإعادة ترتيب البعض منها والتي تمثلت على النحو الآتي:

- تعديل الفقرة الثالثة في السؤال الثاني الذي نصه "من خصائص المهمة اللغوية هي....." ليصبح"من خصائص المهمة اللغوية أنها.....".
- تعديل الفقرة الرابعة في السؤال الثاني الذي نصه" ت–مهام قواعدية" ليصبح " ت–مهام تركز على قواعد اللغة".
- تعديل السؤال الرابع الذي نصه "بين كيف تسهم المهام اللغوية في تنمية مهارات التفكير وحل المشكلات عند الطلاب" ليصبح "كيف تسهم المهام اللغوية في تنمية مهارات التفكير وحل المشكلات عند الطلاب ".
- نقل الفقرة الخامسة في السؤال الثاني الذي نصه" من أدوات تقويم المهام

اللغوية....." إلى الفقرة الثامنة من السؤال الأول الذي نصه" أدوات التقويم في المهام اللغوية هما الاختبار والتقرير فقط".

واشتمل الاختبار بعد تحكيمه على (٢١) فقرة، موزعة على خمسة أسئلة رئيسة (٢) منها موضوعية، و(٣) مقالية.

– طريقة تصحيح الاختبار:

لتحقيق الدقة في التصحيح وسرعته، تم تحديد طريقة تصحيح الأسئلة حيث يحصل الطالب على درجتين (٢) على الإجابة الصحيحة في الأسئلة الموضوعية، وصفر للإجابة الخاطئة. أما الأسئلة المقالية فقد تم توزيع الدرجات وفق الجدول التالي:

جدول (٢) طريقة تصحيح الأسئلة المقالية

الفئة	الدرجة من ١٠	الوصف التفصيلي لأداء الدرجة
متميز	٩-١٠	تضمن الإجابة جميع عناصر السؤال المطلوب، مع تعريفات دقيقة أو خطوات واضحة أو أمثلة مناسبة (بحسب طبيعة السؤال)، وترابط منطقي بين الأفكار، وخلوها من أخطاء مفاهيمية جوهرية، مع سلامة لغوية وتنظيم واضح.
جيد جدا	٧-٨	تتضمن الإجابة معظم عناصر السؤال المطلوبة (عنصر واحد ناقص كحد أقصى)، وتظهر فهما صحيحا للفكرة العامة، مع وجود بعض القصور في التفصيل أو الأمثلة، دون وجود أخطاء مفاهيمية جوهرية.
جيد	٤-٦	تتضمن الإجابة بعض عناصر السؤال المطلوبة (عنصران أو أكثر مفقودة)، ويظهر فهم جزئي للمفهوم، مع ضعف في الربط أو التفسير، وقد تتضمن أخطاء مفاهيمية غير جوهرية أو نقصا واضحا في التنظيم.
ضعيف	٠-٣	لا تتضمن الإجابة عناصر السؤال الأساسية، أو تتضمن معلومات غير صحيحة، أو غير مرتبطة بالسؤال، أو تعكس ضعفا واضحا في الفهم

– ضبط الاختبار:

بعد التحقق من سلامة الاختبار بعد تحكيمه، استخدمت درجاته للتعرف على صدقه وثباته وفقا لما يلي:

– معاملات السهولة والصعوبة والتمييز لمفردات الاختبار:

يفيد معامل الصعوبة والسهولة في إيضاح مدى سهولة أو صعوبة سؤال ما في الاختبار، وهو عبارة عن النسبة المئوية من المستجيبين الذين أجابوا عن كل مفردة من مفردات الاختبار إجابة صحيحة أو خاطئة، وقد أعتبر "أن السؤال الذي يكون معامل السهولة له أقل من (٠,١٥) يكون عالي الصعوبة، والسؤال الذي يكون معامل

السهولة له أكبر من (٠,٨٥) يكون عالي السهولة. كما تم حساب معامل التمييز لتحديد مدى فاعلية كل مفردة من مفردات الاختبار في التمييز بين إجابة كل طالب، والطالب الآخر في الدرجة النهائية للاختبار؛ وذلك من أجل الإبقاء على المفردات ذات التمييز العالي والجيدة فقط. وقد أعتبر "أن المفردة التي يتراوح معامل تمييزها من (٠,١٥ – ٠,٨٥) مقبولة، أما المفردة التي يقل معامل تمييزها عن (٠,١٥) أو يزيد عن (٠,٨٥) فيتم رفضها. ويوضح الجدول التالي قيم معاملات السهولة والصعوبة لمفردات الاختبار.

جدول (٣): معامل السهولة والصعوبة والتمييز لمفردات الاختبار

رقم المفردة	معامل السهولة	معامل الصعوبة	معامل التمييز	رقم المفردة	معامل السهولة	معامل الصعوبة	معامل التمييز
١	٠,٥٨	٠,٤٢	٠,٢٩	١٢	٠,٦٧	٠,٣٣	٠,٥٠
٢	٠,٦٧	٠,٣٣	٠,٥٠	١٣	٠,٧١	٠,٢٩	٠,٥٩
٣	٠,٧٥	٠,٢٥	٠,٦٧	١٤	٠,٥٨	٠,٤٢	٠,٢٩
٤	٠,٥٤	٠,٤٦	٠,١٥	١٥	٠,٥٨	٠,٤٢	٠,٢٩
٥	٠,٥٨	٠,٤٢	٠,٢٩	١٦	٠,٧١	٠,٢٩	٠,٥٩
٦	٠,٥٨	٠,٤٢	٠,٢٩	١٧	٠,٧٥	٠,٢٥	٠,٦٧
٧	٠,٦٣	٠,٣٨	٠,٤٠	١٨	٠,٥٨	٠,٤٢	٠,٢٩
٨	٠,٥٤	٠,٤٦	٠,١٥	١٩	٠,٥٤	٠,٤٦	٠,١٥
٩	٠,٥٨	٠,٤٢	٠,٢٩	٢٠	٠,٥٨	٠,٤٢	٠,٢٩
١٠	٠,٥٨	٠,٤٢	٠,٢٩	٢١	٠,٦٣	٠,٣٨	٠,٤٠
١١	٠,٥٤	٠,٤٦	٠,١٥				

وأظهرت النتائج أن قيم معاملات السهولة لمفردات الاختبار قد تراوحت من (٠,٥٤ – ٠,٧٥). وتندرج هذه القيم ضمن المدى المقبول لنسبة درجة السهولة المتعارف عليها في هذا الخصوص والمحصورة ما بين (٠,١٥ – ٠,٨٥)، وأن قيم

معاملات التمييز لمفردات الاختبار قد تراوحت من (٠,١٥-٠,٦٧). وجميع هذه القيم مناسبة، مما يدل على قبول هذه المفردات من حيث معامل التمييز؛ كونها حصلت على قيم تناسب المدى المتعارف عليه لهذه المعاملات. وبذلك يستقر الاختبار على جميع فقراته البالغ عددها (٢١) فقرة.

– زمن الاختبار:

تم حساب الزمن اللازم للإجابة عن أسئلة الاختبار من خلال حساب حاصل جمع الزمن الذي استغرقه أول طالب، وآخر طالب في الاجابة عن أسئلة الاختبار مقسوماً على عددهما، ووجد أن زمن الاختبار هو (٥٥) دقيقة بالإضافة إلى (٥) دقائق لإلقاء التعليمات، وتوضيح كيفية الإجابة على أسئلة الاختبار، وبذلك يكون الزمن المناسب لتطبيق الاختبار (٦٠) دقيقة أي ساعة.

– صدق الاختبار:

للتأكد من صدق الاختبار تم احتسابه بطريقتين:

- **الصدق الذاتي**: وذلك باحتساب الجذر التربيعي لمعامل ثبات الاختبار الذي بلغت قيمته (٠,٨٣٥)، وبتطبيق المعادلة بلغت قيمة معامل الصدق الذاتي لأسئلة الاختبار (٠,٩١٣). وهي قيمة مرتفعة تدل على صدق الاختبار، وتمتع أسئلته بدرجة عالية من الدقة والمرونة والتوازن عند تطبيقه.
- **صدق الاتساق الداخلي**: وذلك بحساب معامل الارتباط (بيرسون) بين درجة كل مفردة والدرجة الكلية للاختبار، ووُجد أن قيم معاملات الارتباط بين درجة كل مفردة من المفردات والدرجة الكلية للاختبار دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (٠,٠١). مما يدل على الاتساق الداخلي لأسئلة الاختبار ومفرداته، وصلاحيته للتطبيق.

– ثبات الاختبار:

تم التأكد من ثبات الاختبار باستخدام معادلة ألفا كرونباخ، وقد وجد أن الاختبار يتمتع بدرجة ثبات مرتفعة، وذلك من خلال قيمة معامل الثبات (ألفا) للدرجة الكلية للاختبار والتي بلغت قيمتها (٠,٩٣٧)، وهي قيمة مرتفعة تشير إلى صلاحية الاختبار لتحقيق أهداف البحث من خلال الإجابة عن أسئلته، مما يؤدي إلى إمكانية الوثوق في النتائج التي يمكن أن تسفر عنه عند تطبيقه.

– الصور النهائية للاختبار:

بعد التأكد من صدق الاختبار، وحساب ثباته، احتفظ الاختبار بجميع أسئلته، وبذلك أصبح مكونا في صورته النهائية من (٢١) فقرة، موزعة على خمسة أسئلة رئيسة (٢) منها موضوعية، و(٣) مقالية.

الأداة الثانية: البرنامج المقترح لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بتوظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

قد يسهم البرنامج في تعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بمفهوم المهام اللغوية وأهميتها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتمكين طلاب الدبلوم العالي من توظيف المهام اللغوية في مواقف تعليمية وتواصلية حقيقية، وتعزيز الكفاءة التواصلية لدى متعلمي اللغة العربية في مواقف واقعية، وإكساب مهارات التفكير وحل المشكلات عبر الأنشطة القائمة على المهام، وصولاً إلى إعدادهم للمشاركة الفاعلة في ممارسات تعليمية معاصرة، تنسجم مع الاتجاهات الإيجابية نحو توظيف المهام اللغوية، والمداخل الحديثة في تعليم اللغات. وفيما يلي توضيح الخطوات التي اتبعت عند إعداد البرنامج، والتي تشتمل عرض ما يأتي:

– مصادر إعداد البرنامج:

أعد الباحث البرنامج معتمدا على خبرته في تعليم اللغة العربية، وبعض المراجع

والدراســـات التي تناولت المهام اللغوية مثل مرجع الشـــميمري[١]، ومرجع عوض وآخرون[٢]، ودراسة Alasal[٣]، ودراسة آل مسبل[٤]، ودراسة الشيخ علي[٥]،

– محتوى البرنامج:

تم بنـاء محتوى البرنامج بصـــورة منهجيـة تجمع بين الجـانـب النظري والعملي التطبيقي، بحيث يهدف إلى تعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية، وإكســـابهم المعرفة والمهارات اللازمة لتوظيف هذه المهام. وفيما يلي تصور تفصيلي لمحتوى البرنامج المقترح:

- المقدمة العامة للبرنامج.
- الأهداف العامة للبرنامج.
- الأهداف الإجرائية للبرنامج.
- موضوعات ومحتوى البرنامج
- مراحل تنفيذ البرنامج.
- التطبيق على المهام اللغوية.
- أبرز أدوات التقويم المستخدمة.

(١) يوسف عبد الرحمن الشميمري. "تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها القائم على المهام". (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ١٤٤١هـ).

(٢) عوض وآخرون. "مداخل تعليم اللغة العربية: رؤية تحليلية".

(3)Alasal, M. Exploring the Role of Task-Based Language Teaching in Enhancing Communicative Competence.

(٤) آل مسبل، نورة فايز. "برنامج تعليمي قائم على مدخل المهام اللغوية وفاعليتها في الدافعية نحو تعلم اللغة الإنجليزية لدى طالبات الصف الأول الثانوي".

(٥) الشيخ علي وآخرون. "المواد التعليمية وإعدادها لدى متعلمي العربية لغة ثانية في ضوء مدخل المهام اللغوية التواصلية".

- التغلب على معوقات توظيف المهام اللغوية.

– صدق محتوى البرنامج:

للتأكد من مناسبة الصورة الأولية للاختبار، تم عرضه على عدد المحكمين من أعضاء هيئة التدريس بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لإبداء آراءهم حول البرنامج من حيث: مراحل بناء البرنامج، ومناسبة المحتوى التعليمي، ومدى مناسبة الموضوعات لتعزيز الوعي في توظيف المهام اللغوية، ومدى مناسبة الأنشطة التي يشتمل عليها البرنامج في إكساب طلاب الدبلوم العالي المعرفة والمهارات اللازمة لتعزيز الوعي في توظيف المهام اللغوية، ودقة المحتوى لغويا وعلميا.

– تعديل البرنامج وفقاً لنتائج التحكيم:

تم تحليل آراء المحكمين، وإجراء التعديلات التي أشار إليها المحكمون، وقد اشتملت على بعض التعديلات في موضوعات ومحتوى البرنامج، تعديل صياغة الأهداف بشكل أدق وقابل للقياس، إلغاء بعض الأنشطة واستبدالها بأخرى.

– الصور النهائية للبرنامج:

بعد التأكد من صدق البرنامج المقترح لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية، بعد تحكيمه، تكون في صورته النهائية من أهداف عامة وإجرائية، وموضوعات ومحتوى البرنامج، ومراحل تنفيذه، والأنشطة المستخدمة، وأبرز أدوات التقويم المستخدمة.

نتائج البحث

الإجابة عن السؤال الأول: ما مدى وعي طلاب الدبلوم العالي في توظيف المهام اللغوية؟

للإجابة عن السؤال السابق بهدف التعرف على مدى وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية يمكن استخدام التحليل الوصفي، وذلك من خلال:

- حساب المتوسط الحسابي لكل سؤال.
- حساب الانحراف المعياري لكل سؤال.
- حساب النسب المئوية لكل سؤال.
- ترتيب الأسئلة حسب الأداء.

لمعرفة المستوى العام للوعي يُحسب مجموع درجات الطلبة (المجموع ٦٠) ثم قسمته على عددهم (٢٤). ثم تحويل المتوسط الحسابي إلى نسبة مئوية باستخدام المعادلة التالية:

$$\text{نسبة الوعي} = \frac{\text{المتوسط الحسابي}}{٦٠} \times ١٠٠$$

ولتحديد مستوى الوعي اعتمد الباحث استخدام المقياس التالي:

أقل من ٥٠٪	منخفض
من ٥٠ إلى ٧٠٪	متوسط
من ٧٠٪ فأكثر	مرتفع

ويوضح الجدول التالي النسب المئوية لاختبار وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية

م	رقم السؤال	درجة السؤال	مجموع الدرجات المستحقة	متوسط الدرجات	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	مستوى الوعي	الترتيب
١	الأول	٢٠	٣١٠	١٣,٤٨	٢,٤٣	٦٤,٥٨٪	متوسط	١
٢	الثاني	١٤	١٦٤	٧,١٣	٢,٤٧	٤٨,٨١٪	منخفض	٣
٣	الثالث	١٠	٥٩	٢,٥٧	١,٨٠	٢٤,٥٨٪	منخفض	٤
٤	الرابع	١٠	٣٨	١,٦٥	١,٩٠	١٥,٨٣٪	منخفض	٢
٥	الخامس	١٠	٢٩	١,٢٦	١,٦٠	١٢,٠٨٪	منخفض	٥
الدرجة الكلية		**٦٠**	**١٥٣٦**	**٢٦,٠٩**	**٦,٣٢**	**٣٩,٠٦٪**	**منخفض**	

تشير نتائج الجدول السابق أن المتوسط الحسابي الكلي لدرجات أفراد عينة البحث في اختبار الوعي بالمهام اللغوية بلغ (٢٦,٠٩) من الدرجة الكلية للاختبار. وبلغت قيمة الانحراف المعياري (٦,٣٢) وهذا يدل على وجود تباين ملحوظ في أداء الخريجين.

وأظهرت النتائج أن النسبة المئوية العامة للوعي (٣٩,٠٦٪)، وتقع هذه النسبة ضمن المستوى المنخفض، وهذا يدل على أن مستوى خريجي الدبلوم في المهام اللغوية منخفض بشكل عام، مما يعكس ضعفًا في امتلاك المهارات اللغوية التي يقيسها الاختبار.

وأظهرت النتائج أن السؤال الأول حقق أعلى متوسط وأعلى نسبة مئوية مقارنة ببقية الأسئلة، مما يدل على أن خريجي الدبلوم يمتلكون مستوى متوسطا من الإتقان في المهارة المعرفية، وربما يعود ذلك إلى أنها واحدة من المهارات الأساسية الأكثر تدريبا خلال البرنامج الدراسي لطلاب الدبلوم.

وسجل السؤال الخامس أدنى متوسط وأقل نسبة مئوية، مما يدل على أن المهارة الإنتاجية الإبداعية تعد الأضعف لدى خريجي الدبلوم؛ وربما يعود ذلك إلى أنها مهارة مركبة تتطلب كفاءة لغوية عالية لم تتحقق لدى العينة.

ويمكن تلخيص النتائج السابقة كالآتي:

- يتسم مستوى خريجي الدبلوم في المهام اللغوية بالانخفاض العام.
- يوجد تفاوت بين المهارات اللغوية، حيث كانت بعض المهارات في مستوى متوسط، بينما غالبيتها جاءت في مستوى منخفض.
- تعكس النتائج الحاجة إلى إعادة النظر في برامج إعداد خريجي الدبلوم، مع التركيز على تنمية المهارات اللغوية التطبيقية، خاصة المهارات التي أظهرت أدنى مستويات أداء.

فالمدخل القائم على المهام اللغوية يواجه صـــعوبات وتحديات عند تطبيقه في الممارســـات التعليمية الواقعية(١)، حيث إن أغلب الدراســـات في المدخل القائم على المهام اللغوية لدى الطلاب المعلمين اتجهت نحو الاتجاهات نحو هذا المدخل، وفي حدود علم الباحث لم يجد دراسة استخدمت الاختبار لقياس الوعي المعرفي والتطبيقي للمهام اللغوية وهي ما تسعى الدراسة إليه.

وتشـــير دراســـة Ogilvie, & Dunn(٢)إلى أن المقرر الدراســـي زاد من توجه الطلاب المعلمين نحو تدريس اللغة القائم على المهام، إلا أن هذا التوجه الإيجابي لم يترجم إلى استخدام أو تطبيق فعلي خلال التدريب العملي.

وتكشـــف نتائج دراســـة Li& Zou (٣) أن المعلمين المتدربين يتبنون في الغالب مواقف محايدة (مع ميل نحو الإيجابية) تجاه تدريس اللغة القائم على المهام، في حين أن فهمهم له أساسي وسطحي ومحدود.

(1) Ellis, R. Task-Based Language Learning and Teaching

(2) Ogilvie, G., & Dunn, W. (2010). Taking teacher education to task: Exploring the role of teacher education in promoting the utilization of task-based language teaching. Language Teaching Research, 14(2), 161–181.

(3) Li, J., & Zou, W. (2021). A study of pre-service teachers' perceptions of task-based language teaching via metaphor analysis in a Chinese context. Journal of Education for Teaching, 47(5), 1–13.

ويرى الباحث أن ضـــعف وعي طلاب الدبلوم العالي في توظيف المهام اللغوية ربما يعود إلى عدة أسباب لعل من أهمها:

- قلة اهتمام الطلاب المعلمين بإدراك أهمية المهام اللغوية.
- قلة اطلاع الطلاب المعلمين على المداخل الحديثة في تعليم اللغة.
- عدم تدريب الطلاب المعلمين على توظيف المهام اللغوية.
- عدم تناول مقررات برنامج الدبلوم العالي للمدخل القائم على المهام اللغوية.

وهذا يتفق مع دراسة الزهراني.

الإجابة عن الســـؤال الثاني: ما البرنامج المقترح لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بتوظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؟

مقدمة البرنامج:

يعد الوعي بتوظيف المهام اللغوية من الركائز الأساسية في إعداد طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية، لما له من أثر مباشـــر في تحســـين الأداء اللغوي لدى المتعلمين وتمكينهم من اســتخدام اللغة في مواقف تواصــلية واقعية. وقد أظهرت نتائج الدراسـة الحالية ضـعفا واضـحا في وعي طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية في توظيف المهام اللغوية، وأنهم يفتقرون إلى الفهم العميق لطبيعة المهام اللغوية، وأسس بنائها وتطبيقها.

ومن هـذا المنطلق، يهـدف البرنامج المقترح إلى تعزيز وعي طلاب الـدبلوم العـالي بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية؛ لتوظيف المهام اللغوية بوصفها مدخلا حديثا لتطوير الأداء اللغوي لدى متعلمي العربية لغير الناطقين بها، وذلك من خلال تزويدهم بالمعارف النظرية والمهارات التطبيقية التي تمكنهم من تصـميم وتنفيذ مهام لغوية تسـهم في تحسين مهارات الاستماع، والمحادثة، والقراءة، والكتابة بطريقة تكاملية تفاعلية.

ويأتي هذا البرنامج اسـتجابة لحاجة ميدانية ملحة كشـفتها نتائج الدراسـة الحالية،

والتي أشارت إلى ضعف وعي طلاب الدبلوم بتوظيف المهام اللغوية، رغم أهميتها في تنمية الكفاية التواصلية. لذا يسعى البرنامج إلى إحداث نقلة نوعية في إعداد طلاب الدبلوم العالي، من خلال تمكينهم من تطبيق المهام اللغوية بصورة علمية واعية، بما يعزز كفاءتهم المهنية، ويسهم في رفع جودة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

فلسفة البرنامج:

يرتكز البرنامج على فلسفة ضرورة تدريب طلاب الدبلوم العالي على توظيف المهام اللغوية؛ لتحسين الأداء اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، من خلال تزويدهم بالمعارف والمهارات اللازمة والاتجاهات الإيجابية نحو توظيف المهام اللغوية بخطوات وإجراءات صحيحة.

منطلقات البرنامج:

١- أهمية دور المعلم في استخدام المدخل القائم على المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٢- ضرورة تدريب الطلاب المعلمين على توظيف المهام اللغوية.

٣- ضرورة تنمية مهارات الطلاب المعلمين في توظيف المهام اللغوية.

٤- ضرورة خلق اتجاه إيجابي للطلاب المعلمين على استخدام المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

الأهداف العامة للبرنامج:

١- تعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بالمعارف المتعلقة بالمهام اللغوية.

٢- تعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بالمهارات المتعلقة بالمهام اللغوية.

٣- تعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بالاتجاه الإيجابي نحو توظيف المهام اللغوية.

الأهداف الإجرائية:

في نهاية البرنامج يكون المتعلم قادرا على أن:

١- يتعرف على نشأة المهام اللغوية.
٢- يعرف المهمة اللغوية تعريفا صحيحا.
٣- يذكر أهمية المهام اللغوية في تنمية مهارات اللغة.
٤- يربط بين اكتساب اللغة والمهام اللغوية.
٥- تحليل دور المعلم عند تنفيذ المهام اللغوية.
٦- تحليل دور المتعلم عند تنفيذ المهام اللغوية.
٧- يربط النظريات الحديثة في استخدام المهام اللغوية بتعليم اللغة.
٨- يشرح خصائص المهام اللغوية.
٩- يبين المبادئ الأساسية لمدخل المهام اللغوية.
١٠-يميز بين أنواع المهام اللغوية (الموجهة، غير الموجهة).
١١-يوضح معايير بناء المهام اللغوية.
١٢-يشرح خطوات تنفيذ المهمة (مرحلة ما قبل المهمة، أثناء المهمة، ما بعد المهمة).
١٣-يفرق بين استخدام أدوات التقويم البديل في المهام اللغوية.
١٤-يتدرب على بناء مهام لغوية مناسبة لمستوى المتعلمين.
١٥-يطبق درس نموذجي مبني على المهام اللغوية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
١٦-يكون اتجاهات إيجابية نحو توظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
١٧-يضع حلولا لمعوقات تطبيق المهام اللغوية.
١٨-يوظف التقنيات الحديثة (الذكاء الاصطناعي) في تصميم مهام لغوية متنوعة.

فالأهداف الإجرائية يمكن توزيعها على المهارات وفق النحو الآتي: الأهداف من رقم ١ إلى ١٣ مهارات معرفية، والأهداف رقم ١٤، ١٥، ١٧، ١٨مهارات مهارية، والهدف رقم ١٦ مهارة وجدانية.

موضوعات البرنامج:

١- نشأة المهام اللغوية.
٢- تعريف المهام اللغوية.
٣- أهمية المهام اللغوية.
٤- اكتساب اللغة وعلاقتها بالمهام اللغوية.
٥- أدوار المعلم في المهام اللغوية.
٦- أدوار المتعلم في المهام اللغوية.
٧- أهم النظريات التي يرتكز عليها المدخل القائم على المهام اللغوية.
٨- خصائص المهام اللغوية.
٩- المبادئ الأساسية لمدخل المهام اللغوية.
١٠-أنواع المهام اللغوية.
١١-معايير بناء المهام اللغوية.
١٢-مراحل تنفيذ المهمة اللغوية.
١٣-تقويم المهمة اللغوية.
١٤-أمثلة على المهام اللغوية.
١٥-التطبيق على المهمة اللغوية.
١٦-التغلب على معوقات توظيف المهام اللغوية.

المخرجات العامة المتوقعة:

١- ارتفاع وعي طلاب الدبلوم العالي بأهمية المهام اللغوية.
٢- تمكنهم من تصميم مهام لغوية فاعلة ومناسبة للمتعلمين.
٣- قدرتهم على تنفيذ الدروس وفق منهجية المهام اللغوية.
٤- اكتساب اتجاه إيجابي نحو توظيف المهام في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

ويرى الباحث أن البرنامج الحالي المقترح لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي في توظيف المهام اللغوية يعد أداة جيدة لتطبيقها على طلاب الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث تم بناؤه وفقًا لمواصفات محددة ودقيقة، تضمن تغطية جميع الجوانب والمفاهيم المطلوبة حول البرامج التدريبية. كما خضع البرنامج للتحكيم من قبل خبراء في مجالات متعددة متعلقة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مما يضمن موثوقيته وصدقه، ويؤدي إلى إجراء تقييمٍ دقيقٍ وموضوعيٍّ للمعارف والمهارات اللازمة لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي في توظيف المهام اللغوية.

التوصيات والمقترحات:

أولا: التوصيات:

في ضوء ما أسفرت عنه نتائج البحث الحالي يوصي الباحث بما يأتي:

١. الاستفادة من البرنامج المقترح في الدراسة الحالية لتعزيز وعي طلاب الدبلوم العالي بتوظيف المهام اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٢. تنظيم ورش عمل تطبيقية؛ لتدريب طلاب الدبلوم العالي على توظيف المهام اللغوية في القاعات التدريسية.

٣. حث أعضاء هيئة التدريس في البرنامج على تسليط الضوء نحو المهام اللغوية ودورها في تحسين الأداء اللغوي.

٤. حث الطلاب المعلمين أثناء التدريب على تطبيق المهام اللغوية في مواقف تعليمية حقيقية.

٥. توفير بيئة تعلم محفزة في معهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٦. تطوير أدلة إرشادية أو نماذج تعليمية توضح خطوات توظيف المهام اللغوية بفاعلية في تعليم العربية لغير الناطقين بها.

٧. مراجعة برنامج الدبلوم العالي بشكل مستمر من قبل متخصصين في تعليم اللغة العربية.

٨. تضمين البرنامج المقترح في توصيف برنامج الدبلوم العالي بمعهد تعليم اللغة العربية.

ثانيا: المقترحات:

استكمالا لما بدأه البحث الحالي، يقترح الباحث إجراء الدراسات المستقبلية التالية:

١. دراسة معوقات توظيف المهام اللغوية في معهد تعليم اللغة العربية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.

٢. أثر البرنامج المقترح في هذه الدراسة لتعزيز الوعي بتوظيف المهام اللغوية ولتحسين الأداء اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٣. الذاتية اللغوية والاتجاه الإيجابي نحو تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

آل مسبل، نورة فايز. "برنامج تعليمي قائم على مدخل المهام اللغوية وفاعليتها في الدافعية نحو تعلم اللغة الإنجليزية لدى طالبات الصف الأول الثانوي". *المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية*، ٣٥، (٢٠٢٣م): ٦١٥-٦٣٦.

بازيار، رسول، وكراغاني، حميد. "دراسة لتعليم اللغة العربية على ضوء المنهج القائم على المهام". *مجلة الناطقين بغير العربية*، (١٥)، (٢٠٢٢م): ٦١-٨٤.

الجريبي، ربيعة ضو، وطليمون، خديجة. "برامج تدريب المعلمين ودورها في تحسين نوعية الخدمة بالمؤسسات التعليمية الليبية"، *المؤتمر العلمي الأول (الجمعية الليبية للمناهج وإستراتيجيات التدريس)*، (٢٠٢١م): ٤١٩-٤٣١.

الحديبي، علي عبد المحسن. "برنامج إعداد معلم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى". (ط١، الشارقة: المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج، ٢٠١٩م).

الحديبي، علي عبد المحسن. "فاعلية برنامج تدريبي قائم على معايير الجودة في تنمية معايير الأداء المهني لدى معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى". *مجلة كلية التربية بجامعة أسيوط*، ٣٢(٣)، (٢٠١٦م): ٥٧٠-٦٥٣.

حمدان، محمد حسين. "برنامج قائم على المهام اللغوية لتنمية مهارات الطلاقة القرائية والتحدث الوظيفي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية". *مجلة التربية*، ٥(١٩٢)، (٢٠٢١م): ١٤٦-٢١٨.

الرمادي، أماني زكريا. "إعداد اختبار لتحديد مستوى الوعي المعلوماتي لدى طلاب الجامعات المصرية ". *مجلة بحوث في علم المكتبات والمعلومات*، (١٤)، (٢٠١٥م): ٨١-١٣٣.

الزهراني، عبد الله محمد. "تقييم بعض جوانب التربية الميدانية من وجهة نظر الطلاب

المعلمين بكلية التربية، ١(١٦٣)، (٢٠١٥م): ٢٢١-٢٦٦.

سيف، أحمد محمد. "فاعلية استراتيجية تدريسية مقترحة في ضوء مدخل التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات تعلم القواعد النحوية والوعي بها لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية". المجلة التربوية، ٧٨، (٢٠٢٠م): ٤١٩-٤٥٨.

شحاته، حسن. "تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق". (ط٥، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م).

شعيب، أبو بكر عبد الله. "معايير إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى وفقا لمهارات القرن الحادي والعشرين". بحث منشور في مؤتمر اللغة العربية الدولي الرابع بالشارقة الذي نظمه المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والجامعة القاسمية، المنعقد في تاريخ ٢٩-٣٠ / ١/ ٢٠٢٠م.

الشميمري، يوسف عبد الرحمن. "تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها القائم على المهام". (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ١٤٤١هـ).

الشهري، غالية محمد. "فعالية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات التحدث لدى متعلمات اللغة العربية بالمدارس العالمية". *مجلة دار العلوم*، ١٥٣، (٢٠٢٥م): ١٧١-٢٥٢.

الشيخ علي، هداية إبراهيم. "المهام اللغوية التواصلية وأثرها في اكتساب الوظائف النحوية لدى متعلمي العربية لغة ثانية". *العلوم التربوية*، ٢٥(٢)، (٢٠١٧م) ١٠٤-١٧٤.

الشيخ علي، هداية إبراهيم، وآخرون. "المواد التعليمية وإعدادها لدى متعلمي العربية لغة ثانية في ضوء مدخل المهام اللغوية التواصلية". *معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية ومركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية*، ٢، (٢٠١٦م): ١١-٦١.

عبد الرحمن، أحمد محمد. "تصميم الاختبارات أسس نظرية وتطبيقات عملية". (ط١، الأردن: درا أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).

عوض، فايزة السيد، وآخرون. "مداخل تعليم اللغة العربية: رؤية تحليلية". (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٩م).

العيلي، ناصر مسلم. "الاحتياجات التدريبية للطلاب معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها". دراسات عربية في التربية وعلم النفس، ١٣٠، (٢٠٢٠م): ٩٧-١٢٨.

الفايدي، عبيد الله عبد الله. "تصور مقترح لبناء اختبار معياري لقياس كفايات معلمي اللغة العربية لغة ثانية". *مجلة اختبار اللغة*، ١(١)، (٢٠٢٣م): ١٧١-٢٠٦.

فضل الله، محمد رجب، وآخرون. "كفاءة استخدام المهام في تنمية مهارات القراءة الوظيفية لدى الناطقين بغير العربية". *مجلة كلية التربية بجامعة العريش*، ١٠(٢٩)، (٢٠٢٢م): ٢١-٥١.

الفوزان، عبد الرحمن إبراهيم. "إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها". (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ٢٠١١م).

اللقاني، أحمد حسين، والجمل، علي أحمد. معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس. (ط٣، القاهرة: درا عالم الكتب، ٢٠٠٣م).

الناقة، محمود كامل. برنامج الإعداد التربوي لمعلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى (الأسس، الكفايات، الأهداف، عناصر الإعداد). *مجلة الجامعة الإسلامية*، ٣٦، (٢٠٠٢م): ٣٤٧-٣٥٧.

المراجع الأجنبية:

Alasal, M. (2025). Exploring the role of task-based language teaching in enhancing communicative competence. *International Journal of Linguistics, Literature and Translation, 8*(2), 48-59.

Ellis, R. (2003). Task-based language learning and teaching. Oxford University Press.

Giraldo, F. (2020). Task-based language assessment: Implications for

the language classroom. GIST Education and Learning Research Journal, 21, 209–233.

Li, J., & Zou, W. (2021). A study of pre-service teachers' perceptions of task-based language teaching via metaphor analysis in a Chinese context. Journal of Education for Teaching, 47(5), 1–13.

Long, M. H., & Norris, J. M. (2021). Teacher preparation and support for task-based language teaching. In M. J. Ahmadian & M. H. Long (Eds.), The Cambridge handbook of task-based language teaching (p. 448). Cambridge University Press.

Ogilvie, G., & Dunn, W. (2010). Taking teacher education to task: Exploring the role of teacher education in promoting the utilization of task-based language teaching. Language Teaching Research, 14(2), 161–181.

Oxford, R. L. (2006). Task-based language teaching and learning: An overview. Asian EFL Journal, 8(3), 94–121.

Prabhu, N. S. (1987). *Second language pedagogy* (Vol. 20). Oxford: Oxford university press.

Sánchez, A. (2004). The task-based approach in language teaching. International Journal of English Studies, 4(1), 39–71.

Skehan, P. (2007). Language instruction through tasks. In *International handbook of English language teaching* (pp. 289-301). Boston, MA: Springer US.

Skehan, P. (2003). Task-based instruction. *Language Teaching*, *36*(1), 1–14. https://doi.org/10.1017/S026144480200188X.

Willis, D., & Willis, J. (2007). Doing task-based teaching. Oxford University Press.

Xie, C., & Lan, G. (2025). The effectiveness of task-based language teaching in improving communicative competence. International Journal of Advanced and Applied Sciences, 12(1), 263–273.

Zrig, A. (2021). Morphological awareness and word complexity in an EFL context: Linguistics. International Journal of Linguistics and Translation Studies, 2(4), 27–46.

Bibliography

Al-Misbel, Noura Fayez. “An Educational Program Based on the Task-Based Approach and Its Effectiveness in Motivating First-Year Secondary Students to Learn English” (in Arabic), The Arab Journal of Educational and Psychological Sciences, 35 (2023): 615–636.

Baziyar, Rasoul, and Karaghani, Hamid. “A Study of Teaching the Arabic Language in Light of the Task-Based Approach” (in Arabic), Journal of Arabic Language Learners, 15 (2022): 61–84.

Al-Jareebi, Rabia Dhou, and Taleimoun, Khadija. “Teacher Training Programs and Their Role in Improving the Quality of Service in Libyan Educational Institutions” (in Arabic), The First Scientific Conference (Libyan Association for Curricula and Teaching Strategies), (2021): 419–431.

Al-Hudhaibi, Ali Abdulmohsen. “The Arabic Language Teacher Preparation Program for Speakers of Other Languages” (in Arabic), (1st ed., Sharjah: The Educational Center for the Arabic Language for Gulf States, 2019).

Al-Hudhaibi, Ali Abdulmohsen. “The Effectiveness of a Training Program Based on Quality Standards in Developing Professional Performance Standards Among Teachers of Arabic for Speakers of Other Languages” (in Arabic), Assiut University Journal of the Faculty of Education, 32(3) (2016): 570–653.

Hamdan, Mohammed Hussein. “A Task-Based Program for Developing Reading Fluency Skills and Functional Speaking Among Primary School Students” (in Arabic), Journal of Education, 5(192) (2021): 146–218.

Al-Ramādī, Amānī Zakariyyā. “Developing a Test to Determine the Level of Information Literacy Awareness among Egyptian University Students” (in Arabic). Journal of Research in Library and Information Science, 14 (2015): 81–133.

Al-Zahrānī, ʿAbd Allāh Muḥammad. “Evaluating Certain Aspects of Field Education from the Perspective of Student Teachers at the College of Education” (in Arabic). 1(163) (2015): 221–266.

Saif, Ahmed Mohammed. “The Effectiveness of a Proposed Instructional Strategy in Light of the Task-Based Learning Approach in Developing Grammar Learning Skills and Grammar Awareness Among Preparatory Stage Students” (in Arabic), The

Educational Journal, 78 (2020): 419–458.

Shehata, Hassan. "Teaching the Arabic Language Between Theory and Practice" (in Arabic), (5th ed., Cairo: Al-Dar Al-Masriyya Al-Lubnaniyya, 2002).

Shuaib, Abu Bakr Abdullah. "Standards for Preparing Teachers of Arabic for Speakers of Other Languages in Accordance with Twenty-First Century Skills" (in Arabic), a paper presented at the Fourth International Arabic Language Conference in Sharjah, organized by the Educational Center for the Arabic Language for Gulf States in cooperation with the Ministry of Education and Al-Qasimia University, held on 29–30 January 2020.

Al-Shamimri, Youssef Abdulrahman. "Foreign Language Learning and Task-Based Language Teaching" (in Arabic), (Riyadh: King Fahd National Library Cataloging-in-Publication Data, 1441 AH).

Al-Shahri, Ghalia Mohammed. "The Effectiveness of Task-Based Learning in Developing Speaking Skills Among Learners of Arabic in International Schools" (in Arabic), Dar Al-Uloom Journal, 153 (2025): 171–252.

Al-Sheikh Ali, Hidaya Ibrahim. "Communicative Language Tasks and Their Effect on the Acquisition of Grammatical Functions Among Learners of Arabic as a Second Language" (in Arabic), Educational Sciences, 25(2) (2017): 104–174.

Al-Sheikh Ali, Hidaya Ibrahim, et al. "Instructional Materials and Their Development for Learners of Arabic as a Second Language in Light of the Communicative Task-Based Approach" (in Arabic), Ibn Sina Institute for Humanities and King Abdullah Bin Abdulaziz International Center for the Arabic Language, 2 (2016): 11–61.

Abdulrahman, Ahmed Mohammed. "Test Design: Theoretical Foundations and Practical Applications" (in Arabic), 1st ed., Jordan: Osama Publishing and Distribution, 2011.

Iwad, Faiza Al-Sayyid, et al. "Approaches to Teaching the Arabic Language: An Analytical Perspective" (in Arabic). (Riyadh: King Fahd National Library, 2019).

Al-ʿAylī, Nāṣir Muslim. "Training Needs of Student Teachers of Arabic for Non-Native Speakers" (in Arabic). Arab Studies in Education and Psychology, 130 (2020): 97–128.

Al-Faidi, Ubaidallah Abdullah. "A Proposed Framework for Constructing a Standardized Test to Measure the Competencies of

Teachers of Arabic as a Second Language" (in Arabic), Language Testing Journal, 1(1) (2023): 171–206.

Fadlallah, Mohammed Rajab, et al. "The Effectiveness of Using Tasks in Developing Functional Reading Skills Among Non-Native Speakers of Arabic" (in Arabic), Faculty of Education Journal, Arish University, 10(29) (2022): 21–51.

Al-Fawzan, Abdulrahman Ibrahim. "Insights for Teachers of Arabic to Non-Native Speakers" (in Arabic). (Riyadh: King Fahd National Library Cataloging-in-Publication, 2011).

Al-Luqani, Ahmed Hussein, and Al-Jammal, Ali Ahmed. "Dictionary of Educational Terms in Curriculum and Teaching Methods" (in Arabic), (3rd ed., Cairo: Dar 'Alam Al-Kutub, 2003).

Al-Naqah, Mahmoud Kamel. "The Educational Preparation Program for Teachers of Arabic to Speakers of Other Languages (Foundations, Competencies, Objectives, Components of Preparation)" (in Arabic), Islamic University Journal, 36 (2002): 347–357.


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١
١٩٦١

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature



Issue : 20

Apr - Jun 2026

part 1

مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة
للُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكَّمة



العدد : 20
أبريل - يونيو 2026م

الجزء 2

Arcif
معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي
Arab Citation & Impact Factor


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١
١٩٦١


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي

(رئيس هيئة التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي

(مدير التحرير)

أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي

أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي

أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي

أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان

أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة بمصر

أ.د. سعيد العوادي

أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بالمغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عياد بن عيد الثبيتي

أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى

أ.د. سالم بن سليمان الخماش

أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. منصور بن محمد الغامدي

أستاذ الصوتيات الحاسوبية بهيئة تقويم التعليم والتدريب

أ.د. عبد الفتاح محمد حبيب

أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الزقازيق بجامعة الأزهر

أ.د. حسن دربر

أستاذ الترجمة وعلم المصطلح بجامعة القاضي عياض بالمغرب

أ.د. عزالدين محمد المجدوب

أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية

أ.د. محمد بن صالح الشنقيطي

أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة جدارة بالأردن

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد بجامعة تونس

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.

– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.

– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.

– مقدّمة.

– صلب البحث.

– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.

– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.

– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: https://journals.iu.edu.sa/ALS

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	التعدد والتماثل في جموع تكسير المفردات الثلاثية المجردة دراسة وصفية في كتاب سيبويه (ت:١٨٠هـ) **د. ندى بنت صالح بن عبد الرحمن المحيميد**	١١
٢)	تعميم الدلالة في ألفاظ البئر **د. عبد العزيز بن صالح بن ردة الغانمي**	٨٥
٣)	التعبيراتُ الاصطلاحيةُ في كتابِ الزاهرِ في معاني كلماتِ الناسِ للأنباريِّ – دِراسَةٌ تَرْكيبيَّةٌ دِلاليَّةٌ **د. أمل مساعد سعد الأحمدي**	١٣٣
٤)	بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوّع القراءات: قصة سبأ أنموذجا **سعيد بن يحيى بن هادي العواجي**	١٩١
٥)	السِّياقُ وتنوعُ دلالات الصّوت في القرآنِ الكريمِ **د. نورة سلمان الجهني**	٢٥١
٦)	قضايا الاستشهاد في (موجز البلاغة) للطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) **د. هاني بن عبيد الله الصاعدي**	٢٩١

م	البحث	الصفحة
(٧)	آليات السبك النصي في ديوان رائحة التراب لإبراهيم مفتاح **د. أفراح أبو البشر محمد بابكر**	٣٥٥
(٨)	هندسة الأهواء في رواية "عرس الزين" للطيب صالح **د. عبد الله بن حسن محمد القرني**	٤٠٣
(٩)	منهج العقاد النَّقدي في مقدِّماته الغيرية كتَّاب القصَّة أنموذجًا دراسة تحليلية نقدية **د. ساري بن محمد الزهراني**	٤٦١
(١٠)	البنية الإيقاعية في ديوان: أبجديات الكون **د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني**	٥١٣
(١١)	فاعلية برنامج قائم على المسلمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها **د. عادل علي غانم السناني**	٥٧٣
(١٢)	فاعلية إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى **د. عبد الرحمن ضيف الله الهرساني**	٦٢٥

التَّعدد والتَّماثل
في جموع تكسير المفردات الثلاثية المجردة
دراسة وصفية في كتاب سيبويه(ت:١٨٠هـ)

Multiplicity and Pattern Symmetry in Broken Plurals of Triliteral Basic Nouns:
A Descriptive Study in Sībawaih's Book

د. ندى بنت صالح بن عبد الرحمن المحيميد

أستاذ مساعد في قسم النحو والصرف وفقه اللغة، كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: Nadaalmuhaimeed1@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
07/01/2026		12/04/2026

نشر البحث
A Research Publication

May 2026 = **محرم ١٤٤٨هـ**

DOI:10.36046/2356-000-020-013

ملخص البحث باللغة العربية:

يبحث هذا الموضوع صيغ جموع التَّكسير حال تعددها لمفرد واحد ثلاثي مجرد، وعكس ذلك حين تماثلها لمفردات مختلفة ثلاثية مجردة.

وهذا التَّعدد أو التَّماثل يبرز قوانين دقيقة اعتمدها العرب في كلامهم بين رحابة وضيق في جمع الكثرة والقلة، وفي جمع الأسماء والصفات، وفي الجمع القياسي والسماعي.

وقد جعلته في مبحثين:

المبحث الأول: تعدد جموع تكسير المفردات الثلاثية المجردة.

المبحث الثاني: تماثل جموع التَّكسير للمفردات الثلاثية المجردة.

الكلمات المفتاحية: التَّعدد، التَّماثل، جموع، التَّكسير، سيبويه.

Abstract

This study examines the patterns of broken plurals in cases where multiple plural forms correspond to a single triliteral basic noun, and conversely, cases in which identical broken plural forms correspond to different triliteral basic nouns. Such multiplicity and symmetry reveal precise principles adopted by the Arabs in their language use, reflecting both breadth and restriction in the formation of plurals of abundance and paucity, in the pluralization of nouns and adjectives, and in regular (analogical) versus irregular (attested) plurals. The study is structured into two main sections: The first section addresses the multiplicity of broken plurals of triliteral basic nouns. The second section addresses the symmetry of broken plural forms among different triliteral basic nouns.

Keywords: Plurality, similarity, broken plurals, Sibawaih**.**

المقدمة

باسم الله الذي أعز اللغة العربية باصطفائها لغة كتابه، والصلاة والسلام على الهادي المنير نبينا محمد وآله وأصحابه، وبعد:

فقد تأملت في تقلب لسان العرب حين يجمعون المفردات بين جمع سالم وجمع مكسر، ثم وجدتهم يتسعون فيجمعون الكلمة الواحدة بأكثر من جمع مكسر، ويضيق اتساعهم في كلمات أخر فلا تجمع إلا جمعًا واحدًا، ورأيتهم حينًا يؤاخون بين صيغ المفردات المختلفة فيقصرونها على صيغة جمع واحدة، فأردت أن أقف على حكمتهم في ذلك، ومعرفة طرائقهم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- تعدد جموع بعض المفردات الثلاثية، وعدم تعددها لمفردات أخر.
- العلاقة بين المفرد وجمع التَّكسير.
- العلاقة بين جموع التَّكسير المختلفة لمفرد واحد.

أهداف الموضوع:

١) إظهار براعة اللغة العربية في جوانب سعتها وضيقها.
٢) الكشف عن أسباب تماثل جموع بعض المفردات المختلفة وزنًا ونوعًا.
٣) إبراز التفات سيبويه إلى تعدد جموع التَّكسير وتماثلها للمفردة الواحدة.
٤) الوقوف على أكثر الأوزان الثلاثية المجردة متعددة الجموع فيما تناول سيبويه من هذا الباب.
٥) الوقوف على أكثر صيغ جموع المفردات الثلاثية المجردة ورودًا في أبواب الجموع من الكتاب.

منهج البحث:

اتَّبعت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي من خلال تتبع كلام سيبويه

ودارسيه، وكثير من النحويين.

ابتدأ هذا البحث بمقدمة وتمهيد ثم مبحثين بعدهما خاتمة، اشتملت المقدمة على صورة للموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وما سبقه من دراسات، ومنهج البحث.

أما التَّمهيد، فقد بينت فيه حد جمع التَّكسير، ومقارنة العلماء بين حروف المفرد والجمع، ثم وضّحت منهج سيبويه في دراسته جموع التَّكسير، ومن تبعه ومن استحدث طريقًا أخرى، ثم وقفت على سبب تعدد جموع التَّكسير لمفرد واحد.

وأما المبحث الأول، وهو تعدد جموع تكسير المفردات الثلاثية المجردة، ففيه ثلاثة مطالب: الأول: تعدده بين قلة وكثرة، والثاني: تعدد جموع القلة بين السماع والقياس. والثالث: تعدد جموع الكثرة بين القياس والسماع.

وأما المبحث الثاني فهو: تماثل جموع التَّكسير للمفردات الثلاثية المجردة، وفيه مطلبان، الأول: تماثل جموع الصيغ الثلاثية في الأسماء والصفات، والثاني: تماثل جمع الاسم والصفة. ثم الخاتمة وفيها أبرز النتائج، ثم ذيلته بالفهارس الفنية.

الدراسات السابقة:

- ظاهرة التَّعدد في الأبنية الصرفية، وسمية المنصور، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الرابع، العدد الثالث، ١٤٢٣هـ.

تناول فيه البحث تعدد الصيغ لموضوعات مختلفة مثل الأسماء الثلاثية، والمصادر، وصيغ المبالغة، وذُكِر منها جموع التَّكسير في صفحتين ونصف من هذا البحث كان مضمونها مجموعة أسئلة دون أجوبة يستفهم فيها عن سبب قلة أبنية جموع القلة، وكثرة أبنية جموع الكثرة؟ ولماذا خصصت أبنية للقلة وأبنية للكثرة؟ ...إلخ

- تعدد صيغ الجموع وتداخلها في المصباح المنير للفيومي، عادل العبيدي، وتغريد جبير، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد التَّاسع، ٢٠١٣م.

وهو بحث محدد في الجموع المذكورة في كتاب (المصباح المنير) لمفرد واحد وأسباب

تعددها، أما هذا البحث فإنّه يدرس جموع صيغ الثلاثي المجرد المذكورة في كتاب سيبويه.

- الفروق الدلالية في أبنية التَّكثير، العدوي محمد راضي، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة المرج، العدد: الأول، ٢٠١٣م.

وقد تناول الباحث فيه جمعًا متعددًا لمفردتين فقط، وهما:(عبيد وعباد) و(إخوان وإخوة)، وانتهى إلى أنّ المباني المتحدة في الصيغة لا تطّرد غالبًا في دلالة واحدة، والسياق هو الذي يبرز دلالة كل صيغة.

- تعدد جموع المفرد الواحد في العربية، الأسباب، والوظائف، عبد الله الشراعي، مجلة القلم، كلية الآداب، جامعة إب، السنة الثامنة، العدد: السابع والعشرون، ٢٠٢١م.

تطرق هذا البحث لأسباب تعدد جموع المفرد الواحد، ووظائف هذا التَّعدد، ولم يتحدث عن الصيغ المفردة بأنواعها ثلاثية وغير ثلاثية، ومجردة ومزيدة، ولم يتحدث عن صيغ جموع التَّكسير.

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة: الأولى،١ ١٣٨٥هـ

حصر هذا البحث جميع الأبنية الصرفية في كتاب سيبويه، وقسمها وفق الموضوعات: المشتقات، المصادر، جموع التَّكسير.

وفي حديثه عن جموع التَّكسير سرد فيه أبنية الجموع القياسية والسماعية والشاذة وذلك لموضوع البحث المتعلق بجمع الأبنية في كل باب.

أما هذا البحث فلم يستقص جمع أبنية الجموع، بل كان يستقصي الصيغة المفردة من الأسماء والصفات الثلاثية المجردة التي يتعدد جمعها بصيغ مختلفة أو يتماثل جمعها مع صيغ أخرى.

تمهيد:

حُدّ جمع التَّكسير بأنّه ما تغيَّر فيه بناءُ واحدِه لفظاً أو تقديرًا ودلّ على أكثر من اثنين[١]، وذهب ابن السراج وغيره إلى أنّ القياس أن يكون لفظ الجمع أثقل من لفظ الواحد، وأن ما جاء من نحو: أَسَد وأُسْد، فـ(فُعْل) مقصور من (فُعُول) حذفت الواو وبقيت الضمة، ثم خفف.[٢]وردّه الرضي بوروده في أمثلة مختلفة نحو: أحمَر وحُمْر، وحمار وحُمُر.[٣]

(١) ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني، "اللمع في العربية" تحقيق: فائز فارس، (بدون طبعة، الكويت، دار الكتب الثقافية، بدون تاريخ):٢٢؛ عبد القاهر الجرجاني،" المقتصد في شرح التكملة" تحقيق: أحمد الدويش (الطبعة الأولى، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٨هـ)١: ٨١٣؛ أبو البقاء العكبري، "اللباب في علل البناء والإعراب"، تحقيق: عبد الإله النبهان، (الطبعة: الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م) ٢: ١٧٨؛ ابن الحاجب، "الكافية في علمي التصريف والخط"، تحقيق: حسن العثمان، (الطبعة الثانية، المكتبة المكية، ١٤٣٥هـ_٢٠١٤م): ٤٠؛ المرادي، "توضيح المقاصد بشرح ألفية ابن مالك"، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (الطبعة: الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٨م) ١: ٣٣١؛ ابن قاسم المالكي، "شرح حدود النحو للأبذي"، تحقيق: خالد فهمي،(الطبعة: الأولى، القاهرة، مكتبة الآداب ، ١٤٢٩هـ): ٨١.

(٢) ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو"، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (بدون طبعة، لبنان، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ) ٢ :٤٣١؛ ابن الوراق، "علل النحو"، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، (الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م) :٥١٩_٥٢١؛ ابن يعيش، "شرح المفصل"، تحقيق: إميل بديع يعقوب، (الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م):٣ :٢٣٩.

(٣) ينظر: الرضي، "شرح شافية ابن الحاجب"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، (بدون طبعة، بيروت، دار الكتب العلمية ،١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) ٢: ٩٦.

وقد يأتي الجمع على لفظ الواحد فيتماثلان، نحو: فُلْك وفُلْك[١]، ولا بد عندئذ من تقدير اختلاف الضمة في اللفظين على نحو ما قُدّرت الضمة غير الضمة في مصغّر (عُريب) ومرخّم (منصُ). [٢]

سلك سيبويه في دراسته جموع التَّكسير تتبع صيغ المفرد ثم بيان تكسيرها جمع قلة وكثرة، وتبعه في ذلك أغلب النحويين[٣]، وسلك الزمخشري وابن مالك طريقًا أخرى بذكر صيغة الجمع ثم بيان ما يجمع عليها من المفردات، وتبعهما بعضهم[٤]. أما ابن السراج فقد جمع بين الطريقين؛ إذ اتخذ طريق سرد الجموع ثم بيان ما يجمع عليها من الصيغ المفردة مع الاسم الثلاثي المذكر، واتخذ طريق سرد الصيغة ثم بيان ما تجمع عليه مع الاسم الثلاثي الذي فيه تاء تأنيث.[٥]

عبر سيبويه عن جمع القلة بـ(أدنى العدد) وحصره بالثلاثة إلى العشرة، وعبر عن

(١) لم يرد من ذلك إلا ستة ألفاظ، وهي: فلك، وهجان، ودِلاص، وشِمال، وعِفتان، وكِناز. ينظر: المرادي، توضيح المقاصد، ٣: ١٣٧٧.

(٢) ينظر: العكبري، اللباب، ٢: ١٧٨.

(٣) مثل المبرد، والرماني، وابن خروف، وابن يعيش، وابن الحاجب، والرضي، ينظر: المبرد، "المقتضب"، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، (بدون طبعة، بيروت، عالم الكتب، بدون تاريخ) ٢: ١٩٥؛ ابن خروف، "شرح الكتاب، تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب من باب الإضافة إلى المحلوف به إلى باب نظائر ما مضى من المعتل"، تحقيق: صالح الحارثي، (رسالة علمية، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٤١_١٤٤٢هـ) ٣ :١١٨؛ ابن يعيش، شرح المفصل،٣: ٢٣٢؛ الرضي، شرح الشافية، ٢: ٨٩.

(٤) ينظر: الزمخشري "المفصل"، تحقيق: علي بو ملحم، (الطبعة: الأولى، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٩٣م): ٢٣٥-٢٣٧؛ ابن مالك، "الألفية" (بدون طبعة، القاهرة، دار التعاون، بدون تاريخ) :٥٦.

(٥) ينظر: ابن السراج، الأصول، ٢: ٤٣١-٤٤١.

جمع الكثرة بـ(ما جاوز أدنى العدد)[١].

وقد كان سيبويه في مواضع من كتابه ينص على أنّ المثنى جمع،[٢] وقد يكون ذلك بما عالله المبرد باعتبار أصل المعنى؛ لأنّ معنى (جمع) ضم شيء إلى شيء.[٣]

أفرد بابًا لصيغ الأسماء الثلاثية المجردة، صحيحة العين، متحركة الوسط أو ساكنته، وختمه بما لحقته تاء التَّأنيث، وأفرد بابًا لمعتل العين منها، ثم بابًا لصيغ الأسماء الثلاثية المزيدة بما فيها معتل العين.

كان سيبويه ينص على الصيغة إلا في موضع واحد من غير الثلاثي المجرد نحا إلى وصفها، فقال في غير (فُعْلَى أَفْعَل): "وأما ما كان على أربعة أحرف، وكان آخره ألف التَّأنيث... وكذلك ما كانت الألفان في آخره للتأنيث"[٤]

بيّن سيبويه ضبط الصيغة عن طريق الأمثلة دون بيان للحركات ودون تصريح بها. وكان في غالب تناوله يبدأ بذكر صيغة المفرد، ثم بيان وزن جمع القلة القياسي الذي يأتي عليه، ثم يمثل بالمفرد وجمعه. ثم يذكر وزن جمع الكثرة القياسي ويمثل عليه، وهو في ذلك يعنى بالصحيح السالم، ثم يذكر بعد سرد جموع القلة والكثرة جموع الصيغة إن كانت

(١) ينظر: سيبويه،" الكتاب"، تحقيق: إميل يعقوب، (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩) ٤: ٤٧.

(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب: ٤ :٩٨، ٤٣١٦، وهو مذهب بعضهم، وذهب الجمهور إلى أنّ أقل الجمع ثلاثة، ينظر: ابن مالك، "شرح تسهيل الفوائد" تحقيق: عبدالرحمن السيد، ومحمد المختون، (الطبعة الأولى، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) ١:٧٠؛ ابن هشام، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" ت: يوسف البقاعي، (بدون طبعة، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٧_١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م) ١ :٥٣؛ السيوطي، "همع الهوامع" تحقيق: عبدالحميد هنداوي، (بدون طبعة، مصر، المكتبة التوقيفية، بدون تاريخ) ١ :١٧٠.

(٣) ينظر: المبرد، المقتضب،٢: ١٥٦.

(٤) سيبويه، الكتاب، ٤: ٨٤.

معتلة الآخر، أو مضعفة، ثم الأوزان السماعية مبتدئًا بالقلة ثم الكثرة مع الأمثلة، ثم يعرض لنيابة جمع عن الجمع القياسي.

وقد عرض سيبويه صيغ الأسماء المذكرة الثلاثية التي تكسّر بعشر صيغ، دون ذكر لما استبعده، وهما (فُعِل)، و(فِعُل) أما (فِعُل) فلأنه ليس في الكلام، وأما (فُعِل) فليس في الأسماء والصفات، ذكر ذلك في موضع آخر من كتابه(١)، واستدرك عليه الزبيدي وابن خروف(٢) بأمثلة على (فُعِل) رواها الأخفش، وهي(رُئِم) (٣) و(دُئِل) (٤)، وردّ بأنّ هذين فعلان سُمّي بهما(٥).

أما صيغ الأسماء الثلاثية المذكرة، فهي: فَعْل، نحو: كَعْب، وفَعَل، نحو: جَمَل، وفَعِل، نحو: كَبِد، وفِعَل، نحو: عِنَب، وفَعُل، نحو: عَضُد، وفُعَل، نحو: نُغَر(٦) ، وفِعِل، نحو: إبِل، وفِعْل، نحو: حِمْل وفُعْل، نحو: بُرْد، وما يؤنث منها بالتَّاء ستة، وهي: فَعْلَة

(١) ينظر: السابق:٤ :٣٣٦.

(٢) ينظر: الزبيدي، "الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيها مهذبًا" تحقيق: اغناطيوس كؤيدي، (بدون طبعة، روما، ١٨٩٠م)، ٦؛ ابن خروف، شرح الكتاب، ت: الحارثي، ٣ :١١٧.

(٣) أي: الأست، ينظر: الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بدون طبعة، الكويت، وزارة الإرشاد والإنباء، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م_١٤٢٢هـ٢٠٠١م)، رأم، ٣٢ :٢١١.

(٤) الدأل: مشية فيها ضعف، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، دأل:٢٨ :٤٦٢.

(٥) ينظر: الجرجاني، المقتصد، ١ :٨٢٥؛ الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، (الطبعة: الأولى، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، ٢ :٥٦٠؛ ابن عصفور، "الممتع"، (الطبعة: الأولى، لبنان، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م)،٥١.

(٦) هو البلبل أو فرخ العصفور الضاوي، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، نغر:١٤ :٢٦٣.

نحو: قَصْعَة، وفَعَلَة نحو: رَقَبَة، وفُعْلَة نحو: بُرْقَة[١]، وفِعْلَة نحو: لِقْحَة[٢]، وفَعِلَة نحو: مَعِدة، وفُعَلَة نحو: ثُخَمَة.

وأما الصفات؛ فالأصل فيها أن تجمع جمع سلامة لمشابهتها الفعل[٣]، وما يجمع من الصفات الثلاثية المذكرة جمع تكسير فهي سبعة، خمس منها تكسيرها قياسي، وهي: فَعْل نحو: صَعْب، وفَعَل نحو: حَسَن، وفُعُل نحو: شُلُل[٤]، وفِعْل نحو: جِلْف، وفُعْل نحو: حُلْو، واثنتان تكسيرهما سماعي، وهما: فَعُل نحو: حَذُر، وفَعِل نحو: فَزِع، وما يؤنث منها بالتَّاء فَعْلَة فقط نحو: عَبْلَة. وذكر سيبويه أن ما جاء بالتَّاء غيرها يجمع جمع السلامة؛ قال ابن يعيش في تكسير الصفات إذا لحقتها التَّاء: "ولم يسمع التَّكسير في شيء منها إلا في مثال واحد، وهو (فَعْلَة)، فإنهم كسروه على (فِعال)، قالوا: عَبْلة، وعِبَال، وكَمْشَة، وكِماش. يقال: رجل كمش وامرأة كمشة بمعنى: الماضي السريع، كأنهم لكثرة (فَعْلَة) تصرفوا فيها على نحو من تصرفهم في (فَعَل)"[٥].

ولم يذكر سيبويه (فُعِل)، و(فِعُل) و(فِعَل) و(فُعَل) و(فِعِل)، أما (فُعِل)، و(فِعُل) فلما ذكر في الأسماء من أنّ (فِعُل) ليس في الكلام، وأن (فُعِل) ليس في الأسماء والصفات، وأما (فِعَل) و(فُعَل) و(فِعِل) فقد ذكر الرضي أن ما ورد عليها من الصفات

(١) هي الأرض الغليظة، فيها حجارة ورمل وطين مختلط بعضها ببعض، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، برق:٢٥ :٥٢.

(٢) هي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، لقح، ٧ :٩٣.

(٣) الرماني، "شرح كتاب سيبويه من باب جمع الأعجمي الذي على ثلاثة أحرف إلى نهاية باب ألف الوصل" تحقيق: تركي المعبدي، (رسالة علمية، المدينة النبوية، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٦هـ) ٧ :١٤٠.

(٤) هو الغلام الخفيف السريع. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، شلل:٢٩ :٢٨١.

(٥) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ٣ :٢٥٦.

قليل لم يسمع له تكسير[١].

أما (فِعَل) فقد ذكر ابن السّكيت أنه لم يأتِ (فِعَل) في الصفات إِلَّا حرف واحد في قولهم: قوم عِدَى، أي: غرباء. [٢]

وذكر ابن عصفور[٣] أن (فِعَل) في الصفات لم يأت منه إلا عِدَى، وزِيَم[٤].

وذكر الرضي[٥] أنّ (فُعَل) لم يسمع فيه إلا حُطَم[٦] وخُتَع[٧]، وذكر ثعلب والرضي[٨] أنّ (فِعِل) لم يسمع فيه إلا بِلِز[٩]، وإِبِد[١٠].

وقد علل ابن خالويه اقتصار سيبويه في (فِعِل) على الاسم (إبل)، وتصريحه بأنه

(١) ينظر: الرضي، شرح الشافية، ٢ :١٢٣.

(٢) ينظر: ابن السكيت" إصلاح المنطق" تحقيق: محمد مرعب، (الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م)٢ :٤٤.

(٣) ينظر:ابن عصفور، الممتع، ٥٢.

(٤) أي: متفرق. ينظر: الجوهري، "الصحاح" تحقيق: ت: أحمد عبد الغفور عطار (الطبعة: الرابعة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م) زيم: ٥ :١٩٤٧.

(٥) ينظر: الرضي، شرح الشافية، ٢ :١٢٢.

(٦) هو الرجل قليل الرحمة للماشية يهشم بعضها ببعض، ينظر: الجوهري، الصحاح، حطم:٥ :١٩٠١.

(٧) هو الرجل الحاذق بالدلالة الماهر به. ينظر: ابن منظور، "لسان العرب" (الطبعة الثالثة، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ)، ختع:٨ :٦٢.

(٨) ينظر: الجوهري، الصحاح، بلز:٣ :٨٦٥، الرضي، شرح الشافية، ٢ :١٢٢، ابن منظور، لسان العرب، بلز:٥: ٣١٣.

(٩) امرأة بِلِز، أي: ضخمة. ينظر: الجوهري، الصحاح: بلز:٣ :٨٦٥.

(١٠) أي: ولود. ينظر: الجوهري، الصحاح: إبد:٢ :٤٣٩.

لم يجد غيره بأنّه بلا خلاف، والبقية مختلف فيهن[١].

وأما صيغ جموع الاسم الثلاثي المجرد فهي عشرة، أربع منها صيغ لجموع القلة، وهي: أَفْعُل، وأَفْعَال، وأَفْعِلة، وفِعْلَ، وست منها صيغ لجموع الكثرة، وهي: فِعال، وفُعول، وفِعلان، وفُعْلان، وفِعَلَة، وفُعُل.

كَثُرت أبنية جمع الثلاثي لكثرة الثلاثي وسعة استعماله، وتعددت جموع بعض الصيغ الثلاثية لكثرة ورودها، فجاء لصيغة (فَعْل) ـ لخفته وكثرة دورانه ـ عشرة جموع، ما بين قلة وكثرة، وسماع وقياس[٢]، قال ابن يعيش بعد تقرير ذلك: "فلذلك كان لكل مثال من أمثلة الثلاثي أمثلة كثيرة في الكثرة والقلة، ولم يكن للرباعي إلا مثال واحد، القليل والكثير فيه سواء، وهو (فعالل)، نحو: (خناجر)، و(براثن)، ولم يكن للخماسي مثال في التَّكسير؛ لانحطاطه عن درجة الرباعي في التَّصرف، وكان محمولاً على الرباعي في جمعه، نحو: (فرازد)"[٣].

بل إن الاسم إذا قلّ تطابق إفراده وجمعه لضعف الحاجة إليه، نحو: ذَفْلَى[٤]، لم يقتصر سبب تعدد صيغ جموع المفرد الواحد على كثرة الاستعمال، والتَّفريق بين القليل والكثير، فقد تعددت الصيغ للتفريق أو التَّخفيف، أما التَّفريق فقد فرقوا بين جمع ما لحقته تاء التَّأنيث من البنية، فجاء جمع (فِعْل) مختلفًا عن جمع (فِعْلَة)، يقال في جمع الكثرة من (فِعْل) الصحيح فُعُول وفِعال، نحو: حِمْل وحُمول، وذِئب وذئاب، ويجمع ما

(١) ينظر: ابن خالويه، " ليس في كلام العرب" تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (الطبعة: الثانية، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ٩٧.

(٢) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي، ٦ :٦١١، ابن يعيش، شرح المفصل، ٣ :٢٢٥_٢٢٦، الرضي، شرح الشافية، ٣ :٢٣٤.

(٣) الرضي، شرح المفصل، ٣ :٢٢٥_٢٢٦.

(٤) ينظر: الجرجاني، المقتصد، ١ :٨٣٢.

لحقته التَّاء على فِعَل، نحو: قِرْبَة وقِرَب.

وفي (فَعِل) و(فَعِلة)، اقتصر في المجرد من التَّاء على جمع القلة، أما (فَعِلَة) فإنه جمع على (فِعَل) نحو: كَبِد وأكباد، ومَعِدَة ومِعَد.

وكذلك جمع (فَعْل) يختلف عن جمع (فَعْلَة) إذ يجمع (فَعْل) قياسًا على فِعال وفُعول، ويقتصر جمع ما لحقته التَّاء على فِعال، قال الجرجاني معللاً: "وكأنّ الكلمة لما تغيّرت بتاء التَّأنيث أحبوا أن يكون لها نهج لا يكون للتذكير فقصروها على مثال واحد"(١)، وفرقوا بين المذكر والمؤنث المعنوي، قال سيبويه:" وأما من أنّث اللِّسان فهو يقول: ألسنٌ. ومن ذكّر قال: ألسنة"(٢).

واستحسنت العرب هذا التَّعدد؛ للتفريق بين المفردات المشتركة، من ذلك استعمالهم لجمع العين الباصرة صيغة (فُعُول) فقالوا: عيون، واستعمالهم لجمع عين الناس صيغة (أفعال) فقالوا: أعيان، مع جواز استعمالهما في الموضعين(٣)، وكذلك تعددت جموع الصيغة الواحدة؛ للتفريق بين الاسم والصفة، مثل: جمع صيغة (فاعل) على (فواعل)، فنحو (حاتم) الاسم المذكر العاقل يجمع على فواعل فيقال: (حواتم) أما الصفة إن كانت لمذكر عاقل فلا تجمع على (فواعل) إلا شذوذًا نحو: فارس وفوارس(٤).

أما تعدد الصيغ للتخفيف، فعلى نحو استثقال الحركة على معتل العين؛ فقد جمع (فَعْل) صحيح العين في القلة على (أَفْعُل)، ومعتلها على (أفعال) (٥).

---

(١) السابق:١ :٨٥١.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٤ :٨٣.

(٣) ينظر: ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بدون طبعة، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ)، ٢٨٢.

(٤) ينظر: سيبويه، الكتاب،٤ :٨٩؛ ابن يعيش، شرح المفصل،٣ :٢٩٧؛ ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ٤ :١٨٦٥.

(٥) ينظر: سيبويه، الكتاب:٤ :٤٧، ٦٤.

وكان من أسباب تعدد الصيغ اختلاف لهجات العرب، قال سيبويه في تكسير (فَعَل) على (فُعْل) سماعًا: "وبلغني أنّ بعض العرب يقول: (نَصَف) و(نُصْف)" (١)، وقال في تكسير (فَعْل) صفة على (فِعال): "وسمعنا من العرب من يقول: فَسْل وفُسُول، فكسروه على (فُعُول)" (٢)، وقالت وسمية المنصور: "وتعدد الجموع للمفرد الواحد يُرَدُّ إلى أنّ الرواة دونوا ما سمعوه في مناطق مختلفة"(٣).

لم يكن ترتيب سيبويه في إيراد الصيغ معتمدًا على شيء بيّن؛ إذ زاوج بين متحرك العين وساكنه، وبين ما كثر وروده وما قلّ.

وقد رتّب الرَّماني صيغ المفرد بحسب الخفة، وما ترتب عليها من كثرة ورود وكثرة جموع، فابتدأ بما سكنت عينه، ثم نظر إلى حركة الفاء وأكثرها خفة، ثم انتقل إلى ما تحركت جميع حروفه، ووازن بين الحركات فقدّم ما حركته الأكثر خفة، فكانت أولاً، وهي بالنظام الآتي: فَعْل، فِعْل، فُعْل، فَعَل، فَعِل، فِعَل، فَعُل، فُعُل، فُعْل، فِعِل(٤).

يؤيد الكلام السابق ندرة ورود (فِعِل) في الأسماء والصفات، إذ جاء من الأسماء (إِبِل) و(إِطِل)، وفي الصفات (بِلِز) و(إِبِد) (٥).

(١) السابق:٤ :٥١.

(٢) السابق: ٤ :١٠٣.

(٣) وسمية المنصور، "ظاهرة التعدد في الأبنية الصرفيّة". *مجلة الدراسات اللغوية*، المجلد الرابع، العدد الثالث، (١٤٢٣هـ):١٢٠.

(٤) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي:٦ :٦١٣.

(٥) ينظر: سيبويه، الكتاب،٤ :٥٣؛ ابن السراج، الأصول،٣ :١٨١؛ الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي، ٦ :٦١٣؛ ابن جني، "المنصف" (الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث، ١٩٥٤م) ١ :١٨.

المبحث الأول: تعدد جموع تكسير المفردات الثلاثية المجردة

المطلب الأول: تعدده بين قلَّة وكثرة

نصّ سيبويه على أنّ تعدد تكسير الصيغة الواحدة سببه كثرة ورود الصيغة في كلام العرب، وكلما قلّت الصيغة لزمت القياس من جموع القلة والكثرة، ثم القياس من جموع القلة في الثلاثي المجرد، والقياس من جموع الكثرة في الثلاثي المزيد.

قال سيبويه: "وما كان على ثلاثة أحرف وكان فَعِلاً فإنّما تكسّره من أبنية أدنى العدد على (أَفْعال)، وذلك نحو: كَتِف وأكتاف، وكَبِد وأكباد، وفَخِذ وأفخاذ، ونَمِر وأنمار، وقلما يجاوزون به؛ لأنّ هذا البناء نحو (كَتِف) أقل من (فَعَل) بكثير، كما أنّ فَعَلاً أقل من (فَعْل)؛ ألا ترى أنّ ما لزم منه بناء الأقل أكثر، فلم يُفعل به ما فُعِل بـ(فَعْل)؛ إذ لم يكن كثيرًا مثله، كما لم يجئ في مضاعف (فَعَل) ما جاء في مضاعف (فَعْل) لقلته، ولم يجئ في بنات الياء والواو من (فَعَل) جميع ما جاء في بنات الياء والواو من (فَعْل) لقلتها، وهي على ذلك أكثر من المضاعف؛ وذلك أنّ فَعَلاً أكثر من فَعِل، وقد قالوا: النمور والوعول، شبهوها بالأسود، وهذا النحو قليل؛ فلما جاز لهم أن يَثبتوا في الأكثر على (أفعال) كانوا له في الأقل ألزم، وما كان على ثلاثة أحرف وكان فِعَلاً فهو بمنزلة الفَعِل"(١).

وقال في الثلاثي المزيد بعد أن ذكر أنّ فَعِيلة، وفِعالَة، وفَعالَة، وفُعَالَة، وفُعُولة يلزم تكسيرها على (فَعائِل): "وكل شيء كان من هذا أقلّ كان تكسيره أقل كما كان ذلك في بنات الثلاثة"(٢).

وظاهر النقل السابق عن سيبويه أنّ أول ما ينحا إليه من الجموع هو جمع القلة، يؤيده تعليله عدم تكسير الرباعي المجرد على أوزان القلة بقوله: "فإن عنيت الأقل لم

(١) سيبويه، الكتاب:٤ :٥٣.

(٢) السابق:٤ :٨٧.

تجاوز ذا؛ لأنّك لا تصل إلى التَّاء لأنه مذكّر، ولا إلى بناء من أبنية أدنى العدد؛ لأنّهم لا يحذفون حرفًا من نفس الحرف، إذ كان من كلامهم أن لا يجاوزوا بناء الأكثر وإن عنوا الأقل"(١).

لكن الرضي يصرح بأنّ جمع الكثرة هو الأصل في الجموع، قال في شرح الشافية: "واعلم أَن جمع القلة ليس بأصل في الجمع؛ لأنه لا يذكر إلا حيث يراد بيان القلة، ولا يستعمل لمجرد الجمعية والجنسية كما يستعمل له جمع الكثرة، يقال: فلان حَسَن الثياب، في معنى حسن الثوب، ولا يحسن حسن الأثواب، وكم عندك من الثوب والثياب، ولا يحسن من الأثواب"(٢).

والذي يظهر لي أن جمع القلّة هو الأصل بما فيه من جمعي السلامة(٣)؛ لأنّ أبنية القلة أخف، ولأنّها أقرب إلى المفرد من أبنية الكثرة، إذ يجوز فيها أن تصغر على لفظها، وأن يوصف المفرد بها فيقال: ثوب أسمال، وأن يعود إليها الضمير بلفظ الإفراد(٤)؛ ولأنّ جمع القلة هو المتدرج بعد الإفراد والتَّثنية؛ ولأنّ أعم صيغ الجموع وأكثرها في الأسماء والصفات هي صيغة (أفعال) (٥)، وأنّه حين لم تجمع الأسماء بجمع المذكر السالم نُحي بها إلى جموع التَّكسير، وحين جمعت الأسماء المؤنثة بالألف والتَّاء استغني به عن جموع القلة، وكذلك حين جمعت الصفات بجمع المؤنث السالم، وصفات من يعقل بجمع

(١) السابق:٤ :٨٧.

(٢) الرضي، شرح الشافية:٢ :٩٢

(٣) على الأصح من الأقوال، وينظر خلافهم في عد جموع السلامة من جموع القلة أو للقلة والكثرة أو للكثرة إن عدم جمع القلة في اللباب للعكبري:٢ :١٧٩، شرح المفصل لابن يعيش،٣ :٢٢٤، شرح الشافية للرضي،١ :٢٦٧

(٤) الرضي، شرح الشافية، ٢ :٢٢٠

(٥) السابق، ٢ :٢٣١.

المذكر السالم استغني بهما عن جموع القلّة، يظهر ذلك من قول سيبويه في عدم تكسير صيغة (فَعُل) صفةً: "وأما ما كان فَعُلاً فإنّه لم يكسّر على ما كُسر عليه اسمًا؛ لقلته في الأسماء، ولأنّه لم يتمكَّن في الأسماء للتكسير والكثرة والجمع ك(فَعِل)، فلمّا كان كذلك، وسهلت فيه الواو والنون، تركوا التَّكسير وجمعوه بالواو والنون، وذلك: حَذِرون وعجلون، ويقظون ونَدُسُون[١]، فألزموه هذا إذ كان (فَعَل)، وهو أكثر منه قد منع بعضه التَّكسير، نحو: صَنَعُون ورَجَلُون، ولم يكسّروا هذا على بناء أدنى العدد كما لم يكسروا (الفَعَل) عليه، وإنما صارت الصفة أبعد من (الفُعُول) و(الفِعال)؛ لأنّ الواو والنون يُقدر عليهما في الصفة ولا يُقدر عليهم في الأسماء؛ لأنّ الأسماء أشد تمكناً في التَّكسير"[٢].

بل إنّ الصيغة الثلاثية التي تكسّر قياسًا بالجمعين قلة وكثرة إذا كانت مضعفة وقلّ ورودها في كلام العرب لزمت جمع القلة على نحو ما لزم مضعف (فَعَل) الأفعال، نحو: لَبَب وألباب[٣]، وفنن وأفنان،[٤] ولزم معتل الآخر من (فُعْل) أفعال لقلته، نحو: مُدي وأمداء[٥]، وكذلك نجد أوزان القلة تنوب عن أوزان الكثرة في كثير من الصيغ، نحو: كتْف وأكتاف، وقَتَب وأقتاب[٦]، ورُكْن وأركان[٧]، قال سيبويه في لزوم بعض معتل العين من (فَعَل) الأفعال: "وقد يُستغنى بأفعالٍ في هذا الباب فلا يجاوزونه، كما لم يجاوزوه في غير المعتل، وهو في هذا الأكثر؛ لاعتلاله ولأنه (فَعَل)، و(فَعَل) يُقتصر

(١) النَّدُس: الذي يخالط الناس ويخف عليهم، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ندس:١٦ :٥٤٥.
(٢) سيبويه، الكتاب، ٤ :١٠٦
(٣) اللَّبَب: ما يشد على صدر الدابة يكون للرحل والسرج ليمنع استئخاره، ينظر: الزبيدي، تاج العروس: لبب: ١٩٠.
(٤) ينظر: سيبويه، الكتاب،٤ :٥٦
(٥) ينظر: السابق، ٤ :٥٦
(٦) القتب: رحْل صغير على قَدْرِ السنام، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، قتب،٣ :٥١٦.
(٧) سيبويه، الكتاب، ٤ :٥٠، ٥٢، ٥٦.

فيه على أدنى العدد كثيراً، وهو أولى من (فَعْل) كما كان ذلك في باب سَوطٍ، وذلك نحو: أبوابٍ وأموالٍ، وباعٍ وأبواعٍ"[١].

ومع كون جمع القلة قد وضع ليضاف إليه اسم أدنى العدد، فيقال خمسة أسباب، وهذا لا يكون في الصفة إذ لا تضاف إلى العدد [٢] نجد أن صيغ الصفات التي يجمع عليها الاسم جمع قلة وكثرة تنحا إلى جمع القلة، قال سيبويه:" وأما ما كان فِعْلاً فإنهَّم قد كسروه على أَفْعالٍ، فجعلوه بدلاً من فُعولٍ وفِعالٍ، إذ كان أفعالٌ ما يكسَّر عليه الفُعُل، وهو في القلة بمنزلة فُعُلٍ أو أقل. وذلك قولك: جِلفٌ وأجلافٌ، ونِضْوٌ وأنضاءٌ[٣]، ونِقْضٌ وأنقاضٌ[٤]. ومؤنثه إذا لحقته الهاء بمنزلة مؤنَّث ما كسر على أفعالٍ من باب فعلٍ".[٥]

وقد علل سيبويه عدم جمع الرباعي المجرّد جمع تكسير قلة أو جمع إناث بقوله:" وأما ما كان من بنات الأربعة لا زيادة فيه فإنّه يكسّر على مثال (مفاعل)، وذلك قولك: ضِفْدَعٌ وضَفادعٌ، وحُبْرُجٌ وحُبارجُ[٦]، وخِنْجَرٌ وخَناجر، وجِنْجِنٌ وجَناجِن[٧]، وقِمَطرٌ وقَماطر[٨]. فإن عنيت الأقل لم تجاوز ذا؛ لأنَّك لا تصل إلى التَّاء لأنَّه مذكر، ولا إلى بناءٍ من أبنية أدنى العدد؛ لأنَّهم لا يحذفون حرفًا من نفس الحرف؛ إذ كان من

(١) ينظر: السابق:٤ :٥٩٠_٥٩١.

(٢) السابق:٤ :١٠٣.

(٣) النِّضْو: حديدة اللجام بلا سير، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، نضو،٤٠ :٩٨.

(٤) النِّقض والنقضة: المهزول من السَّير ناقة أو جملاً، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، نقض، ١٩ :٨٩.

(٥) سيبويه، الكتاب، ٤ :١٠٥.

(٦) اسم لطير من طيور الماء، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، حبرج،٥ :٤٥٨.

(٧) الجناجن: عظام الصدر، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، جنن،٣٤ :٣٧٦.

(٨) القمطر: ما يُصان فيه الكتب، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، قمطر،١٣ :٤٧٢.

كلامهم أن لا يجاوزوا بناء الأكثر وإن عنوا الأقل"[١].

وقال الرماني بعد أن ذكر كثرة جموع الثلاثي: "ولا يجوز أن يكون الرباعي بهذه المنزلة؛ لقلة الرباعي، فقل تصرفه في أبنية الجموع كما قلّ في نفسه"[٢].

أما الصيغ التي تجمع بالجمعين قياسًا فمن الأسماء الثلاثية المجردة: فَعْل، فَعَل، فِعْل، فُعْل، أما الصفات الثلاثية فلم تجمع قياسًا بالجمعين.

فَعْل: جمع القلة في الأسماء قياسًا: أَفْعُل، نحو: كَلْب وأَكْلُب، وسماعًا: أَفْعَال، واستثقلت ضمة (أَفْعُل) على الأجوف الواوي واليائي، فجاء قياسهما على (أَفْعَال)، نحو: بَيْت وأبيات، وسُمع: أَفْعُل، نحو: عَيْن وأَعْيُن.

وجموع الكثرة: فِعال وفُعُول وفِعَالة وفُعُولة، نحو: كِعاب، وكُعوب، وفِحالة، وفُحولة، وسماعًا: فَعِيل، وفِعَلة، وفُعْلان وفِعلان، نحو: كَليب، وغِرَدَة[٣]، وظُهْران[٤]، وعِبْدان.

وقياس الأجوف الواوي: فِعَال؛ لاستثقال ضمتي (فُعُول) على الواو وقبلها، نحو: ثَوْب وثِياب، وسماعًا: فِعلان وفِعَلَة، نحو: ثَوْر وثِيْران، وعَوْد وعِوَدة[٥]، أمّا الأجوف اليائي فقياسه (فُعُول وفُعولة)، نحو: ضَيْف وضُيُوف، وخَيْط وخُيُوطَة.

فَعَل: جمع القلة: أَفْعَال، نحو: جَمَل وأَجْمال، وقاع وأَقْواع، وسماعًا: أَفْعُل، نحو: زَمَن وأَزْمُن، وجمع الكثرة: فِعال وفُعول، نحو: جِمَال، وأُسُود، وسماعًا: فُعْلان أو فِعْلان، وفِعالة، وفُعْل، نحو: خُرْبان، وفِتْيان، وجِمالة، وأُسْد.

أما الأجوف الواوي واليائي فإنّهما يكسّران للكثرة على (فِعْلان)، نحو: جار

(١) سيبويه، الكتاب، ٤ :٨٧.

(٢) الرماني، شرح الكتاب، ت: المعبدي:٦ :٥٩٢.

(٣) جمع (غَرْد) وهو نوع من الكمأة، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، غرد، ٨: ٤٦٥.

(٤) جمع الظهر، وهو خلاف البطن، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ظهر،١٢ :٤٧٩.

(٥) جمع (عَوْد) وهو البعير المسن، ينزر: تاج العروس، عود،٨ :٤٣٤.

وجِيْران، وقاع وقِيْعان،، والمؤنث منهما على (فُعْل) نحو: دار ودُور، وساق وسُوق، وقد كُسّر المؤنث سماعًا على (فِعْلان) و(فِعال) نحو: دار ودِيران ودِيار.

فِعْل: جمع القلة: أَفْعَال، نحو: حِمْل وأَحْمَال، وفِيل وأَفْيَال، وسماعًا: أَفْـعُـل، وقياس جمع الكثرة: فُعُول وفِعال، نحو: عِرق وعُروق، وذِئب وذِئاب، وسماعًا: فِعَلة، نحو: قِرْد وقِرَدة.

أما الأجوف اليائي فيكسر للكثرة على (فُعُول) نحو: دِيك ودُيُوك، والأجوف الواوي على (فِعال) نحو: رِيح ورِياح.

فُعْل: جمع القلة: أَفْعُال، نحو: قُفْل وأَقْفَال، ومُدْي وأَمداء، وعُود وأَعْواد، وجمع الكثرة: فُـعُـول وفِـعال، نحو: جُنْد وجُنُود، وقُرط وقِراط، وسماعًا فُعْل وفِعَلة، نحو: صُلْب وصِلَبة، وفُلْك وفُلُك.

أما الأجوف الواوي فإنّه يكسّر للكثرة على (فِعْلان) نحو: عُود وعِيدان.

فَعَلَة: تجمع سماعًا جمع قلة على (أَفْعُل) نحو: أَكَمَة وآكَم، وتجمع جمع كثرة قياسًا على (فِعَال) وسماعًا على (فُعْل) نحو: خَشَبَة وخُشْب، وقيل: فُعْل مقصور من (فُعول)[١].

فِعْلَة: تجمع سماعًا جمع قلة على (أَفْعُل) نحو: نعمة وأنعم، وشدة وأشد، وتجمع جمع كثرة قياسًا على (فِعَل) نحو: سِدْرة وسِدَر [٢].

وقد ذهب بعضهم إلى أنّ (أنعُم) جمع المصدر (نُعْم) و(أَشُد) جمع (شَدّ)، وذهب آخرون إلى أنّ (أَشُد) جمع لا واحد له [٣].

ويلاحظ من السابق أنّ تعدد جموع الكثرة لا يوافقه تعدد جموع القلة في الصيغة

(١) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل:٣ :٢٤٥.

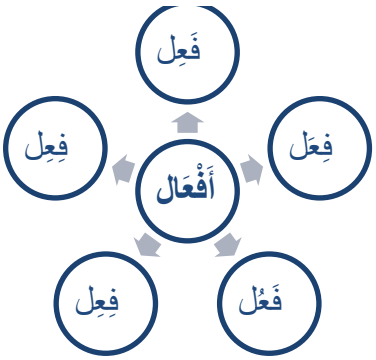
(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب:٤ :٥٩_٦٠.

(٣) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ٣ :٢٤٨.

نفسها، وقد علل الرماني ذلك بأنّ الكثير أحقّ بتكثير البناء(١).

وقد لزمت بعض صيغ الأسماء الثلاثية المجردة جمع القلة في القليل والكثير؛ لقلتها، وهي الموضحة في الرسم الآتي:

فَعِل، فِعَل، وفَعُل، وفُعُل، وفِعِل، وكلها تجمع على (أَفْعال) قياسًا للقليل والكثير.



وقد ورد منها ما جُمِع جمع كثرة سماعًا، وهي:

– فَعِل، فقد ذهب سيبويه إلى أنه يُجمع سماعًا على (فُعول) مثل: النُمُور والوُعُول، وتبع سيبويه في ذلك المبرّد، وابن الحاجب، والرضي(٢).

وذهب ابن جني، وابن مالك وتبعهما المرادي، وابن هشام، والسيوطي إلى أنّ (فَعِل) يجمع جمع كثرة قياسًا على (فُعُول) (٣).

(١) الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي،٦ :٥٩٣.

(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب،٤ :٥٣، المبرد، المقتضب، ٢ :٢٠٢، ابن الحاجب، الشافية:٤٤، الرضي، شرح الشافية، ٢ :٩٨.

(٣) ينظر: ابن جني، اللمع،١٧٣؛ ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ٤ :١٨٥٢؛ المرادي، توضيح المقاصد،٣ :١٣٩٤؛ ابن هشام، أوضح المسالك: ٤ :٣٠٧؛ السيوطي، همع الهوامع،٣ =

وذكر ابن الحاجب، والرضي، والمرادي، وابن هشام جمعه سماعًا على (فُعُل)، وذكر الرضي أنّه مخفف من (فُعُول)، وأضاف المرادي (فِعال)[١].

أمّا الصفات، فلم تكسر بالجمعين معًا، فقد كسر منها (فَعْل) و(فَعَل) على جمع الكثرة (فِعال)، واستغني بجموع السلامة عن تكسيرها للقلة، وعلل سيبويه عدم جمع (فَعْل) جمع قلة: "لأنّه لا يضاف إليه ثلاثة وأربعة ونحوهما إلى العشرة، وإنّما يوصف بهن"[٢].

وعلّل الرماني ذلك بأنّ تكسير الصفة ضعيف؛ لأنّ الأصل في الصفة أن تجمع جمع سلامة لمشابهتها للفعل، فقال: "وليس لقائل أن يقول: إنّ الصفة لما كانت تابعة للاسم وجب أن تجري على مشاكلته في بناء القليل؛ لأنّه ليس للصفة أن تستوفي أبنية الأسماء الثلاثية؛ لضعفها في جمع التَّكسير، وقوتها في جمع السلامة؛ لقربها من الفعل من وجوه، منها: أنّها مضمنة بالموصوف كما أنّ الفعل مضمّن بالفاعل، ومنها أنّها مشتقة من المصدر كما يشتق الفعل من المصدر، ومنها أنّه يوصف بها كما يوصف بالفعل، ومنها أنّها تعمل عمل الفعل.

فلمّا قرب من الفعل هذا القرب لم يكن أصلاً في التَّكسير؛ لأنّ الفعل لا يكسر، وكان أصلاً في جمع السلامة؛ لأنّ الفعل يجري لفظه على ذلك، فيكون قولهم (يضربون) بمنزلة (ضاربون) وإن كان المعنى مختلفًا في أنّ الجمع في الفعل إنما هو للضمير، وليس كذلك الصفة، فلهذا لم يجب للصفة أن تستوفي أبنية الجموع، التي هي للأسماء

.٣٥٧:

(١) ينظر: ابن الحاجب، الشافية:٤٤؛ الرضي، شرح الشافية،٢ :٩٨؛ المرادي، توضيح المقاصد،٣ :١٣٩٤؛ ابن هشام، أوضح المسالك، ٤ :٢٨٤.

(٢) سيبويه، الكتاب،٤ :١٠٣.

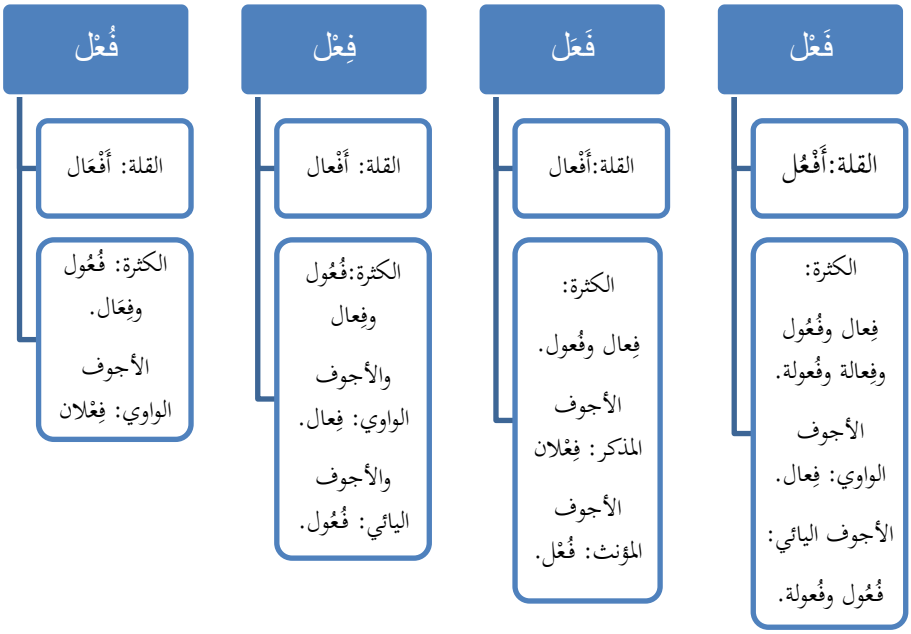
الثلاثية"[١].

وكسّر منها قياسًا (فُعْل) و(فُعُل) (فِعْل) على جمع القلة (أَفْعال) فقط، بل إن بعض صيغ الصفات لا تكسّر أصلاً نحو (فَعُل) و(فَعِل)؛ وعلل الرماني عدم تكسيرهما بقلتهما في الكلام، فقل جمعهما، وكان جمع السلامة وهو الأصل أحق بهما[٢].

رسم يوضح صيغ الأسماء التي تجمع جمع قلة وكثرة قياسًا:

(١) الرماني، شرح الكتاب، ت: المعبدي، ٧ :١٤٠.

(٢) ينظر: السابق:٧ :١٤٥.



المطلب الثاني: تعدد جموع القلة بين السماع والقياس.

عبّر سيبويه عن القياس بـ"القياس" [١]، وبـ"الأصل" [٢]، وبعبارات غير مباشرة نحو: "فإنّك إذا كسرته لأدنى العدد بنيته على ...." [٣] وعبر عن السماعي بعبارات مختلفة، منها: "ليس ذلك بالباب في كلام العرب" [٤]، و"ليس ذلك بالأصل" [٥] و"فلا يعلم

(١) سيبويه، الكتاب،٤: ٤٨، ٥١، ٥٢.
(٢) السابق:٤: ٤٨.
(٣) السابق:٤: ٥٠.
(٤) السابق:٤: ٤٨.
(٥) السابق:٤: ٤٨.

إلا بالسمع" (١)، و"ذلك قليل" (٢) و"قليل عزيز ليس بالأصل" (٣) و"ربما جاء.." (٤) و "ربما كسروا"(٥).

وقد تعددت جموع الاسم الثلاثي بين القياس والسماع؛ لقوته على التَّصرف بكثرته فكثرت جموعه، ولا يكون هذا في الرباعي؛ لقلته، ولا يكون في الصفات؛ لثقلها بمشابهتها الفعل (٦).

جاءت جموع القلة عند سيبويه على أربع صيغ، ثلاث منها قياسية، وهي: أَفْعُل، أَفْعال، أفْعِلة، وواحدة سماعية، وهي: فِعْلَة.

لم يُجمِع العلماء على هذه الصيغ؛ فقد أَضاف الكوفيون: فِعَلَة، وأَفْعِلاء، وفُعَل، وفِعَل، وفَعَلَة، ورد الجمهور رأيهم بعدم تصغيرها على ألفاظها، وعدم تفسير العدد من الثلاثة إلى العشرة بها (٧).

ذكر سيبويه أنّ جموع القلة القياسية في الثلاثي المجرد (أَفْعُل) و(أَفْعال)، وهما لا يتعددان لواحد، قال: "وليست أَفْعُل وأَفْعَال شريكين في شيء". واختص الثلاثي المزيد

(١) السابق:٤ :٤٨.
(٢) السابق:٤ :٥١.
(٣) السابق:٤ :٦٠.
(٤) السابق:٤ :٤٧.
(٥) السابق:٤ :٥١.
(٦) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي:٥٩٢؛ الرضي، شرح الشافية،٢ :١١٦.
(٧) ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح والتَّصحيح لمشكلات الجامع الصّحيح"، تحقيق: طَه محسن، (الطبعة: الأولى، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٥ هـ):١٥٠؛ المرادي، توضيح المقاصد،٣ :١٣٧٨؛ الشاطبي، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية" تحقيق: عبدالرحمن العثيمين وآخرين، (الطبعة: الأولى، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م) ٧ :١٢، ١٤_١٣.

بـ(أَفْعِلَة)، ولم يجمع الرباعي والخماسي جمع قلة لما يستدعيه من حذف حرف أصلي.

علّل ابن يعيش اختصاص جمع القلة في الثلاثي المجرّد بـ(أَفْعُل) و(أَفْعَال) بأنّ شبه جمع القلة بالواحد[١] جعلهم يختارون هذين البنائين لعدم وجود نظير لهما في الواحد[٢].

اختص (أَفْعُل) بصيغة (فَعْل)، وجرى (أَفْعال) على كل الأبنية الأخرى إلا (فُعَل) غير واوي العين، لاستغنائه بـ(فِعْلان) عن جموع القلة.

أما صيغ الثلاثي التي تعددت جموع قلتها بين السماع والقياس فهي ثلاث صيغ فقط، وهي:

أولاً: فَعْل: جمع القلة قياسًا: أَفْعُل، وسماعًا: أفعال، نحو: عَبْد وأَعْبُد، وفَرْخ وأَفْرُخ وأَفْراخ[٣].

وقد ذكر سيبويه أن وزن (أَفْعُل) هو الأصل في جمع (فَعْل)[٤]، ويجمع معتل العين بالواو والياء على (أَفْعَال)، وقد علّل الرماني اختصاص (فَعْل) بـ(أَفْعُل) بأنّ وزن (فَعْل) هو النهاية في الخفة فاختير له أخف اللفظين وأقلهما حروفًا[٥].

ولم يعرض سيبويه لمعتل الفاء بالواو، والمضعّف، والذي يظهر أنّ سيبويه يرى جمعهما على (أَفْعُل) وأدخلهما في عموم قوله، فلم يخصهما بالذكر؛ يؤيد ذلك أنّه عندما أورد مما شذّ أمثلة ذكر منها (أَجْداد)، ثم قال: ومن ذلك قولهم: أَفْراخ، وأَجْداد، وأَفْراد، وأَجُدٌّ عربية وهي الأصل"[٦].

---

(١) ينظر: ص:١٧ من هذا البحث.

(٢) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل،٣ :٢٣٣.

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب،٤ :٤٧.

(٤) ينظر: السابق:٤ :٦٥.

(٥) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي، ٦ :٦١٢.

(٦) ينظر: سيبويه، الكتاب، ٤ :٤٨.

وقد ذكر ابن مالك أنهما مثل معتل العين في جمعهما على (أَفْعَال) قياسًا[١]، وقال في المضعّف: "ولم يسمع في شيء منه (أفْعُل) إلا نادرًا ك(كَفّ) و(أَكُف)"[٢].

وذهب ابن عقيل إلى قياس جمع (فَعْل) على (أَفْعَال)؛ لكثرة ما سمع، إذ زاد على المئة[٣].

ثانيًا: فَعَل: جمع القلة: أَفْعال، وسماعًا: أَفْعُل، نحو: جَمَل وأَجْمال، وزَمَن وأَزْمُن [٤].

ذكر سيبويه أنّ الثبات في باب (فَعَل) على (أَفْعَال) أكثر من الثبات في باب (فَعْل) على (أَفْعُل)، وعلّل الرماني ذلك بقوة (أَفْعال) [٥]، لجريانه في غالب الأبنية، وعلّله ابن يعيش بأنّ خفّة (فَعْل) وكثرته جعلتهم يتوسعون فيه أكثر[٦].

وخالف سيبويه يونس في ذهابه إلى أنّ المؤنث معتل العين يجمع على (أَفْعُل) قياسًا، نحو: دار وأَدْوُر، وساق وأَسْوُق، وذهب سيبويه إلى ندرته مثل ما جاء في السماع من غير المؤنث معتل العين على (أَفْعُل)، نحو: جَمَل وأَجْمُل، وزَمَن أَزْمُن، واحتج سيبويه بأنّ التَّأنيث قد جاء في (رَحى وأَرْحَاء)، و(قَفا وأَقْفَاء)[٧].

وردّ ابن طاهر احتجاج سيبويه بأنّ (رَحَى) و(قَفا) ليستا معتلتي العين،[٨] ورجّح

---

(١) ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية،٤ :١٨١٨_١٨١٩.

(٢) ينظر: السابق:٤ :١٨٢٠.

(٣) ينظر: ابن عقيل" المساعد على تسهيل الفوائد" تحقيق، محمد كامل بركات، (الطبعة: الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٠هـ-١٤٠٥هـ) ،٣ :٤٠٣.

(٤) ينظر: سيبويه، الكتاب، ٤ :٥٠_٥١.

(٥) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي، ٦ :٦٠١.

(٦) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل،٣ :٢٣٨.

(٧) ينظر: سيبويه، الكتاب، ٤ :٦٨

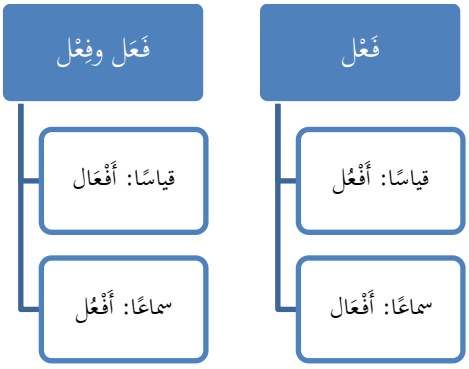
(٨) ينظر: ابن طاهر، "الطرر"، *مجلة الدراسات الإسلامية*، العدد الثاني، (١٤٣٦هـ) :١٢٥.

ابن خروف رأي يونس وابن طاهر؛ لكثرة الاستعمال[١].

ثالثًا: فِعْل، يجمع جمع القلة قياسًا على (أَفْعال)، وسماعًا على (أَفْعُل)، مثال: ذِئْب وذِئَاب وأَذْؤُب[٢].

أما فُعْل، فهو يجمع جمع قلة على (أَفْعال) قياسًا، ولم يسمع غيره، وأما فَعِل، وفِعَل، وفَعُل، وفُعُل، وفِعِل، فكلها تجمع على (أفعال) في القليل والكثير.

رسم يوضح ما يجمع من صيغ الأسماء جمع قلة قياسًا وسماعًا معًا:



المطلب الثالث: تعدد جموع الكثرة بين القياس والسماع

بيّن سيبويه أنّ الصيغة التي تجمع جمع كثرة هي صيغة كثر ورودها في كلام العرب، فإن قلّ ذلك استغني بجمع القلة عن جمع الكثرة، يظهر ذلك في قوله: "وما كان على ثلاثة أحرف وكان فَعِلاً فإنّما تكسّره من أبنية أدنى العدد على (أَفْعال)، وذلك نحو: كَتِف وأَكْتاف، وكَبِد وأَكْباد، وفَخِذ وأَفْخاذ، ونَمِر وأنمار، وقلّما يجاوزون به؛ لأنّ هذا

(١) ينظر: ابن خروف، شرح الكتاب، ت: الحارثي،٣: ١٤٥.

(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب، ٤ :٥٤.

البناء نحو: كَتِف أقل من (فَعَل) بكثير، كما أنّ فَعَلاً أقل من فَعْل، ألا ترى أنّ ما لزم منه بناء الأقل أكثر فلم يُفعل به ما فُعِل بـ(فَعْل) إذ لم يكن كثيرًا مثله، كما لم يجئ في مضاعف (فَعَل) ما جاء في مضاعف (فَعْل)؛ لقلته، ولم يجئ في بنات الياء والواو من (فَعَل) جميع ما جاء في بنات الياء والواو من (فَعْل) لقلتها، وهي على ذلك أكثر من المضاعف؛ وذلك أن فَعْلاً أكثر من (فَعَل)" (١).

تعددت جموع بعض الصيغ بناء على هذه الكثرة، فنجد مثلاً أنّ صيغة (فَعْل) صحيح العين عند سيبويه يأتي منها جمعان قياسيان، هما (فِعال) و(فُعول) (٢)، وما اندرج تحتهما عند إرادة تحقيق تأنيث الجمع بزيادة التَّاء، وهما (فِعالة) و(فُعُولة) وكذلك جموع سماعية، وهي: (فَعِيل)(٣) و(فِعَلَة)(٤) و(فُعلان) و(فِعْلان)(٥)، وقد ألمح سيبويه إلى أنّ الكلمة الواحدة لها جمع واحد من الجموع المتعددة للصيغة الواحدة دون بيان لضوابط مجيئها على هذا الجمع أو ذاك، وجعل تعدد جمع المفردة من القليل، قال في جمع (فَعْل) جمع كثرة: "فإذا جاوز العدد هذا فإنَّ البناء قد يجيء على (فِعالٍ) وعلى (فُعولٌ) وذلك قولك: كِلابٌ وكِباشٌ وبِغالٌ، وأمّا الفُعُول، فنُسُورٌ وبُطُونٌ، وربّما كانت فيه اللغتان فقالوا: فُعُول فِعال، وذلك قولهم: فروخٌ وفراخٌ، وكُعُوبٌ وكِعابٌ وفُحُولٌ وفِحالٌ".

وقد نقل المرادي عن بعض النحويين أنّ (فِعال) و(فُعول) لهما ثلاثة أضرب، ضرب يجتمعان فيه، مثل: كِعاب وكُعُوب، وضرب ينفرد به (فِعال) مثل: كِلاب،

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب،٤ :٥٣
(٢) ينظر: السابق:٤ :٤٧.
(٣) ينظر: السابق:٤ :٤٧.
(٤) ينظر: السابق:٤ :٤٨.
(٥) ينظر: السابق:٤ :٥١.

وضرب ينفرد به (فُعُول) مثل: فُلُوس، ثم قال:" وقال غيره: فُعُول وفِعال كَثُرا في جمع (فَعْل) الصحيح العين فعلى أيهما جمعته العرب اتبع، فإن لم يُحفظ منها واحد نُظِر في بقية أبنية الجموع، فإن جمع على واحد منها أو أكثر اتبع، فإن لم يوجد جمع على أي منهما على التَّخيير.

قال بعض المتأخرين(١): وينبغي أن تعلم أنّ أكثر الجموع سماعي، لكن منها ما يغلب، فيُذكر الغالب؛ ليحمل عليه ما لم يسمع جمعه"(٢).

ويظهر من النصوص السابقة أنّ الجموع سماعية عن العرب، وأنّ هذا القياس الموضوع موضوع لما لم يسمع، فإن ورد فإنّه يقاس على الأكثر من كلام العرب، وهو ما صرّح به ابن يعيش، والرضي، والجاربردي، وزكريا الأنصاري(٣)، قال ابن يعيش: "والمراد بقولنا أنّه القياس أنّه لو ورد اسم، ولم يُعرف كيف جمعه، لكان القياس أن يجمع على المنهاج المذكور، فعلى هذا لو سمّيت بالمصدر من نحو: (ضَرْب)، و(قَتْل)؛ لكان القياس في جمعه أن تقول في القلة: أَضْرُب، وأَقْتُل، قياسًا على (أَفْلُس) و(أَكْعُب)، وفي الكثير: ضروب، أو ضِراب، وقُتُول أو قِتال، قياسًا على: فُلُوس، وكِعاب"(٤).

هذا اللبس لم يكشف كذلك عند من درس جموع التَّكسير بذكر صيغة الجمع ثم بيان المفردات التي تكون عليها، فنجد ابن هشام في (أوضح المسالك) يذكر أوزان

(١) هو الجاربردي في شرح الشافية، "مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط"، (الطبعة: الأولى، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٣٥هـ)، ١ :٤٧٣.

(٢) المرادي، توضيح المقاصد:٣ :١٣٩٥_١٣٩٦.

(٣) ينظر: الرضي، شرح الشافية:٢ :٨٩؛ الجاربردي، مجموعة شروح الشافية:١ :٤٧٣؛ زكريا، مجموعة شروح الشافية،١ :٤٧٥.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل:٣ :٢٣٤.

الجموع، وعند وقوفه على الوزن الحادي عشر (فِعال) يذكر أنّ هذا الجمع لثلاثة عشر وزنًا منها: (فَعْل) اسم أو صفة، ويمثل له بـ(صِعاب وكِعاب)، ثم يقف على الوزن الثاني عشر (فُعول)، ويذكر أنّه جمع لأربعة أوزان، منها (فَعْل)، ثم يقف على الوزن الرابع عشر (فُعلان)، ويذكر أنّه يكثر في ثلاثة، منها: اسم على (فَعْل) دون تفريق بين المفرد (فَعْل) في الجموع الثلاثة![1].

قرن سيبويه بين بعض الجموع المتعددة للصيغة الواحدة ووصفها بالأخوة، قال في أكثر من موضع: "وفِعال وفُعُول أختان"[2].

قال الجرجاني: "فإنّ الذي يوجبه القياس أن يكون لكل مثال جمع واحد في الكثرة وآخر في القلة هذا هو المتوسط، وما عداه من مجيء أمثلة كثيرة نحو: كِلاب وأكْلُب وكَلِيب وفِراخ وأَفْراخ وأَفْرُخ وفُروخ فتوسع واستكثار من الألفاظ"[3].

وقد حصر سيبويه الصيغ الثلاثية التي تتعدد جموع كثرتها بين القياس والسماع، وهي:

أولاً: صيغ تتعدد جموعها القياسية:

أ) صحيح العين من: فَعْل، وفَعَل، وفِعْل، وفُعْل، تجمع على: فُعُول، وفِعال، فمما جاء على (فَعْل): كَعْب وكُعُوب وكِعاب، ومن صيغة (فَعَل): جَمَل وجِمال، وأَسَد وأُسُود، ومن صيغة (فِعْل): حِمْل وحُمول، وذِئْب وذِئاب، ومن صيغة (فُعْل): جُنْد وجُنُود، وقُرْط وقِرَاط، وتزاد التَّاء تحقيقًا لتأنيث الجمع مع (فَعْل) قياسًا فيقال: فِعالة، وفُعُولة نحو: فِحالة وبُعُولة.

(١) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك،٤ :٢٨٣، ٢٨٥.

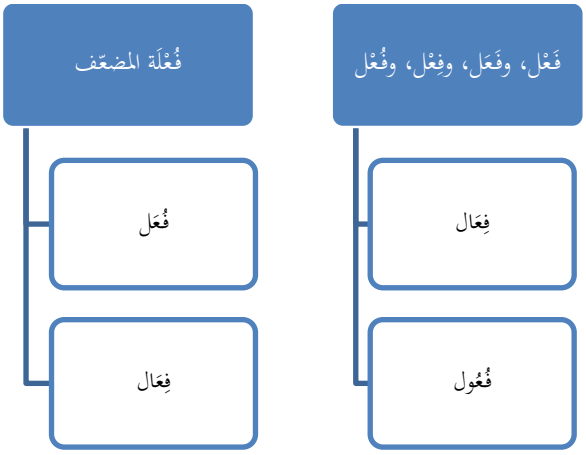
(٢) سيبويه، الكتاب، ٤ :٥٣، ٤ :٥٧.

(٣) الجرجاني، المقتصد،١ :٨٤٣.

ذكر سيبويه أنّ هذه الصيغ القياسية تتفاوت كثرتها في بعض الصيغ، فقد جاءت (فِعال) أكثر من (فُعُول) في صيغة (فَعَل) و(فَعْلَة)، وجاءت (فُعول) أكثر من (فِعال) في صيغة (فِعْل) و(فُعْل)، وعلة ذلك عند الرماني أنّ الضم في فُعول أبين في معنى الجمع ليفرق عن المفرد (فِعْل)، أما كثرة (فُعول) مع (فُعَل) فأيضًا للفرق بينه وبين مضعّفه الذي يلزم (فِعال)(١).

ب) فُعْلَة، ويجمع على (فُعَل) في الصحيح والمعتل، نحو: رُكْبَة ورُكَب، وكُلْيَة وكُلَى، ويجمع على (فُعَل) و(فِعال) في المضعّف نحو: قُبّة وقُبَب وقِباب.

رسم يوضح صيغ الأسماء الثلاثية التي تتعدد جموع كثرتها قياسًا:



ثانيًا: صيغ أسماء تتعدد جموعها سماعًا:

بيّن سيبويه أنّ ما يحكم عليه بالسماع هو ما قلّ وروده عن العرب، قال في جمع

(١) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي،٦ :٦١٥، ٦١٨.

(فُعْل) على (فِعَلَة):" وقد يجيء إذا جاوز أدنى العدد على (فِعَلَة)"[١].

أ) فَعْل صحيح العين، ويجمع جمع كثرة سماعًا على: فَعِيل، وفُعْلان، وفِعْلان، وفِعَلَة، نحو: كَلْب وكَليب، وثَغْب وثُغْبان[٢]، وحَجْل وحِجْلان[٣]، وفَقْع وفِقَعَة، وذكر سيبويه أنّ (فِعلان) أقل من (فُعلان).

ب) فَعَل صحيح العين، ويجمع سماعًا على فُعْلان، وفِعلان، وفِعالة، وفُعْل، نحو: حَمَل وحُمْلان، وخَرَب وخِرْبان[٤].

ج) فَعُل صحيح العين، ويجمع سماعًا على فِعال وفَعْلَة، نحو: رَجُل ورِجال، ورَجَلَة.

د) فِعْل صحيح العين، ويجمع سماعًا على فِعَلَة، وفُعْلان، وفِعلان، نحو: قِرْد وقِرَدَة، وشِقْذ وشُقذان[٥]، ورِئد ورِئْدان[٦].

هـ) فُعْل صحيح العين، ويجمع سماعًا على فُعْل، وفِعَلَة، نحو: فُلْك وفُلْك، وجُحْر وجِحْرَة.

و) فَعْلَة: صحيح العين، يجمع قياسًا على: فِعال، نحو: قَصْعة وقِصاع، وسماعًا على فُعول، وفِعَل، نحو: بَدْرة وبُدُور، هَضْبَة وهِضَب، وحَلْقَة وحِلَق.

---

(١) سيبويه، الكتاب، ٤ :٥٥.

(٢) الثغب: أكثر ما بقي من الماء في الوادي، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ثغب:٢ :٩٤.

(٣) جمع الحجلة، وهو نوع من الطيور، ينظر:الزبيدي، تاج العروس، حجل:٢٨ :٢٧٩.

(٤) الخَرَب: ذكر الحبارى، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، خرب:٢ :٣٤٩.

(٥) الشقذ ولد الحرباء. ينظر: الفيروزآبادي،" القاموس المحيط" تحقيق: مكتب تحقيق النصوص، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (الطبعة: الثامنة، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) شقذ:٣٣٤.

(٦) الرئد: فرخ الشجر. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، قدح، ٧ :٤٢.

مثّل سيبويه لفعيل بـ(كليب)[١]، وهذا يخالف ما ذكره ابن يعيش عن سيبويه أنّه يرى (كَلِيب) ونحوه اسمًا للجمع مثل (الجامل)[٢]، وقد ذهب المبرّد وابن السراج إلى أنّ (فَعِيل) اسم جمع[٣]، وذهب بعضهم إلى أنّه جمع الجمع[٤].

أما ما ذكره سيبويه من السماع والقياس فلم يُجمِع عليه العلماء، فقد ذهب ابن مالك وتبعه ابن هشام إلى أنّ (فَعْل) يجمع قياسًا على (فُعْلان) [٥]، ولم يقصره على السماع مثل سيبويه ومن تبعه[٦].

وجعل ابن مالك وتبعه ابن هشام (فُعْل) مما يجمع قياسًا على (فُعُول وفِعال) وأضاف (فِعَلَة)، نحو: جُحْر وجِحَرة، وهو ما جعله سيبويه ومن بعده، مثل المبرّد والرضي من السماعي[٧].

وخالف ابن مالك، والرضي، وابن هشام سيبويه في (فَعَل) فقد ذهب سيبويه إلى

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب، ٤ :٤٧.

(٢) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ٣ :٢٣٨.

(٣) ينظر: العيوني، "حواشي كتاب سيبويه" (الطبعة الثانية، مكة المكرمة، دار طيبة الخضراء، ١٤٤٣هـ)، ٣ :١٤٠٧؛ ابن السراج، الأصول،٢ :٤٣٢؛ وينظر خلافهم في ناظر الجيش،" تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد" تحقيق: محمد فاخر وآخرين، (الطبعة: الأولى، القاهرة، السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٨هـ)، ٩ :٤٧٩٥.

(٤) ينظر: أبو حيان، "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، تحقيق: رجب عثمان محمد، (الطبعة: الأولى، القاهرة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م)، ١ :٤٣٩.

(٥) ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية:٤ :١٨٥٩؛ ابن هشام: أوضح المسالك:٤ :٢٨٧.

(٦) ينظر: سيبويه، الكتاب،٤ :٥١؛ المبرد، المقتضب، ٢ :١٩٥.

(٧) ينظر: المبرد، المقتضب،٢ :١٩٨؛ ابن مالك، الألفية:٦٦؛ الرضي، شرح الشافية:٢ :٩٤؛ أوضح المسالك:٤ :٢٨١.

أنّ (فَعَل) قد يأتي صحيحًا أو معتل الآخر فيجمع على (فِعَال) أو (فُعُول)، وقد يأتي أجوفًا فيجمع على (فِعلان) نحو: قاع وقِيْعان، وقد يأتي أجوفًا مؤنثًا فيُجمع على (فُعْل)، نحو: ساق وسُوق، ويُجمع سماعًا على: فُعُول وفِعلان، نحو: سُؤوق ونِيران.

أما ابن مالك والرضي فقد جعلا (فَعَل) الأجوف مما يجمع قياسًا على (فِعلان) دون تفريق بين المذكر والمؤنث(١).

وجعل ابن هشام (فَعَل) مما يجمع على (فِعال، وفِعْلان) دون تفريق بين الأجوف وغيره ولم يذكره في (فُعُول)، ومثل له بـ(تاج وتيجان، ونار ونيران)، وهو ما قصره سيبويه على السماع(٢).

أما الجزولي فقد سرد جموع الكثرة ولم يفرق بينها من حيث القياس والسماع عكس ما بيّن في جموع القلة(٣).

(١) ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية،٤ :١٨٥٧_١٨٥٨؛ الرضي، شرح الشافية:٢ :٩٥.
(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب:٤ :٥٠؛ ابن هشام، أوضح المسالك،٤ :٢٨٤، ٢٨٧.
(٣) ينظر: الجزولي، المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق: شعبان عبدالوهاب، (بدون طبعة، مكة المكرمة، مطبعة أم القرى، بدون تاريخ):٢٩١

المبحث الثاني: تماثل جموع التَّكسير للمفردات الثلاثية المجردة

المطلب الأول: تماثل جموع الصيغ الثلاثية في الأسماء والصفات

تماثلت جموع بعض الصيغ المختلفة للأسماء أو الصفات، وعلل سيبويه ذلك بتشابهها، من ذلك قوله فيما تماثلت فيه جموع القلة والكثرة في الأسماء: "وأما ما كان فَعَالاً فإنّهم إذا كسّروه على بناء أدنى العدد فعلوا به ما فعلوا بـ(فِعال)؛ لأنّه مثله في الزيادة والتَّحريك والسكون، إلا أنّ أوله مفتوح، وذلك قولك: زَمَان وأَزْمِنَة، ومَكان وأَمْكِنَة، وقَذَال وأَقْذِلة، وفَدَان وأَفْدِنة.

وإذا أردت بناء أكثر العدد قلت: قُذُل وفُدُن. "(١).

لم يقتصر وجه الشبه على البنية من حيث الزيادة والحركات، فقد أشبه الاسم (فَعَل) (فَعْل) في جمعه على (فِعال)؛ لأنّ (فَعَل) أخفّ أبنية الأسماء الثلاثية التي حروفها متحركة، و(فَعْل) أخفّ أبنية الأسماء الثلاثية التي عينها ساكنة، وكذلك شابه جمع الاسم (فَعَلَة) جمع الاسم (فَعْلَة)؛ لأنّه أخفّ الأبنية المتحركة ومذكره (فَعْل) أخفّ الأبنية العشرة. (٢)

وجمعت أكثر من صيغة للأسماء سماعًا على (فُعْل)، فجمعت صيغة (فُعْل) على (فُعْل) فيقال: (فُلْك) في الإفراد والجمع؛ لأنّها حُملت على صيغة (فَعَل) في جمعها سماعًا على (فُعْل) نحو: أَسَد وأُسْد؛ لتشابههما بالخفة.

وكذلك صيغة (فَعْل) جمعت سماعًا على (فُعْل) للتناسب بين المفرد والجمع في الخفة(٣).

وغير التَّشابه في حروف البنية وحركاتها والتَّشابه في الخفّة ذكر سيبويه وجهًا ثالثًا

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب،٤ :٨٠.

(٢) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: المعبدي:٧ :١٤٣، ت: الحربي:٦ :٦٣١.

(٣) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي:٦ :٦١٩.

للتشابه وهو التَّشابه في القلة، فذكر أنّ الاسمين الثلاثيين (فَعُل) نحو: عَضُد و(فُعُل) نحو: عُنُق يُجمعان على (أَفْعال)؛ لقلتهما، قال سيبويه: "وما كان على ثلاثة أحرف وكان فُعُلاً فهو بمنزلة الفَعُل؛ لأنّه قليلٌ مثله، وهو قولك: عُنُقٌ وأعناقٌ، وطُنُبٌ وأطنابٌ، وأُذُنٌ وآذانٌ".(١)

وقال في تشابة جمع (فِعْل) و(فُعُل) صفة على (أَفْعال):" وأما ما كان فِعْلاً فإنهَّم قد كسروه على أَفْعالٍ، فجعلوه بدلاً من فُعولٍ وفِعالٍ، إذ كان أفعالٌ ما يكسَّر عليه الفُعُل، وهو في القلة بمنزلة فُعُلٍ أو أقل. وذلك قولك: جِلفٌ وأجلافٌ"(٢).

وقد تشابهت جموع بعض الصفات حملاً على تماثل جمع الأسماء؛ لتشابهها في الصيغة، قال سيبويه في تكسير الصفة (فَعَل): "وأما ما كان فعَلاً فإنهم يكسرونه على فِعال، كما كسّروا (الفَعْل)، واتفقا عليه كما أنهما متفقان عليه في الأسماء، وذلك قولك: حَسَن وحِسَان، وسَبَط(٣) وسِبَاطٌ، وقَطَطٌ (٤)وقِطاطٌ"(٥).

– جموع قياسية لمفردات مختلفة:

أولاً: جموع القلة:

تماثل كثير من صيغ الأسماء والصفات الثلاثية المجردة بجمعه القياسي على (أَفْعَال)، وهذه الصيغ هي:

١) ما كان اسمًا صيغته ثلاثية متحركة الوسط إلا (فُعَل) وهي: (فَعَل، فَعِل، فِعَل، فَعُل، فُعُل، فِعِل) نحو: أَسَد وآساد، وكَتِف وأَكْتاف، وعِنَب وأَعْناب، وعَجُز وأعجاز، وعُنُق وأَعْناق، وإبِل وآبال.

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب:٤ :٥٣.

(٢) ينظر: السابق:٤ :١٠٥.

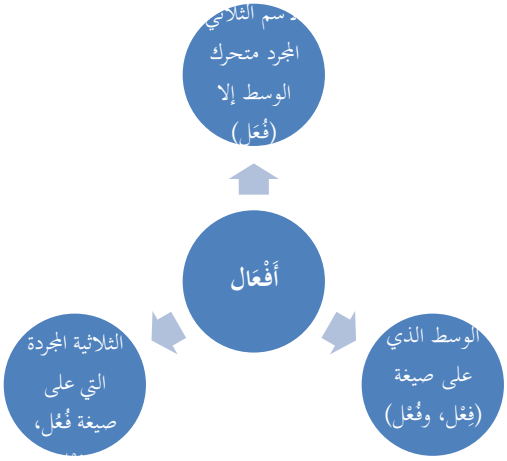
(٣) السبط: الشعر المسترسل، ينظر:الزبيدي، تاج العروس، سبط،١٩ :٣٢٧.

(٤) القطط: شديد جعودة الشعر، ينظر: الزبيدي، تاج العروس: قطط،٢٠ :٣٥.

(٥) ينظر: سيبويه، الكتاب،٤ :١٠٥.

٢) الأسماء التي على صيغة فِعْل، وفُعْل، وكذلك الاسم الأجوف من (فَعْل): نحو حِمْل وأحمال، ومُدْي وأَمْداء، وسوط وأسواط.
٣) الصفات التي على صيغة فُعُل، وفِعْل، نحو: جُنُب وأجناب، وجِلْف وأجلاف.

رسم يوضح ما تماثل من صيغ الأسماء والصفات الثلاثية المجردة بجمعه القياسي على (أَفْعَال)



ثانيًا: جموع الكثرة:

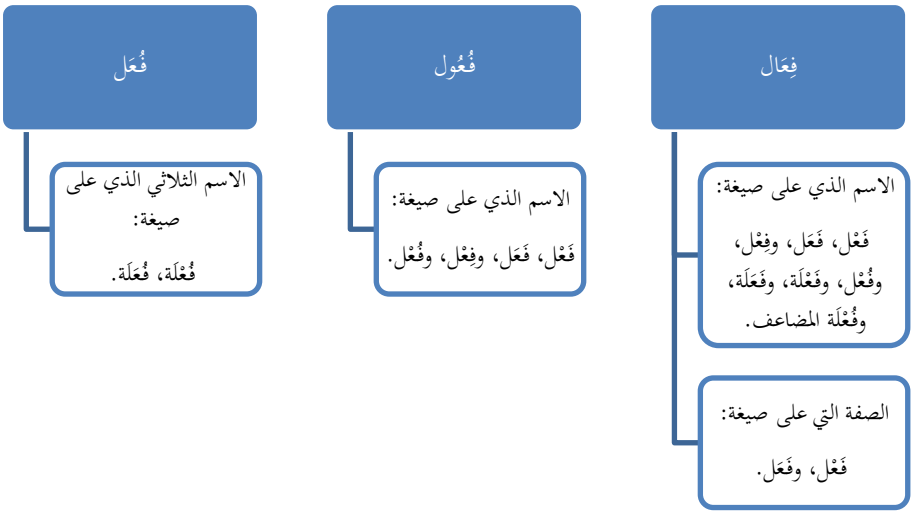
أ) جمع الكثرة (فِعال):

١) يكون جمعًا للاسم الثلاثي الذي على صيغة فَعْل، فَعَل، وفِعْل، وفُعْل، وفَعْلَة، وفَعَلَة، وفُعْلَة المضاعف، نحو: كَعْب وكِعاب، وجَبَل وجِبال، وذِئب وذئاب، وقُرْط وقِراط، وقَصْعَة وقِصاع، وقُبّة وقِباب.
٢) يكون جمعًا للصفة التي على صيغة فَعْل، وفَعَل، نحو: صَعْب وصِعاب، وحَسَن وحِسَان.

ب) جمع الكثرة (فُعُول) ويشترك مع (فِعَال) في مجيئه جمعًا للثلاثي الذي على صيغة: فَعْل، فَعَل، وفِعْل، وفُعْل، نحو: نَسْر ونُسُور، وأَسَد وأُسُود، وعِدْل وعُدول، وبُرْج وبُروج.

ج) جمع الكثرة (فُعَل) يكون جمعًا للاسم الثلاثي المختوم بالتَّاء الذي صيغته فُعْلَة، فُعَلَة، نحو: رُكْبَة ورُكَب، وثُخَمَة وثُخَم.

رسم يوضح ما تماثل من جموع الكثرة فيما اختلف من الصيغ الثلاثية المجردة



وقد خرجت جموع بعض الصيغ على غير ما تستحقه من القياس إلى صيغ سماعية مألوفة كثر ورودها قياسًا أو سماعًا(١).

(١) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: المعبدي:٧: ١٤٣.

– جموع سماعية:

أولاً: جموع القلة:

أَفْعُل، وتجمع عليه سماعًا الصيغ الثلاثية الآتية: (فَعَل، فِعْل، فُعْل، فِعْلَة) نحو: زَمَن وأَزْمُن، وذِئب وأذؤب، ورُكْن وأَرْكُن، ونِعْمة وأَنْعُم.

ثانيًا: جموع الكثرة:

١) فُعْلان وفِعْلان، وتجمع عليهما سماعًا الصيغ الثلاثية الآتية: (فَعَل، فِعْل، فُعْل) نحو: خَرَب وخِرْبان، وحَمَل وحُملان، وذِئب وذُؤبان، وصِنْو وصِنوان، وحُشّ وحُشّان وحِشّان.

٢) فُعُول وتجمع عليه سماعًا الصيغ الثلاثية الآتية: (فَعِل، فِعَل، فَعْلَة)، وهذه الصيغ كلها تجمع قياسًا على (أفعال)، فلما كان (أفعال وفعول) مشتركين قياسًا في جمع (فَعْل، وفَعَل، وفِعْل، وفُعْل) اشتركا هنا لكن عن طريق القياس والسماع، وجعل الأثقل للسماع[(١)]، من ذلك: نَمِر ونُمور، وضِلَع وضُلُوع، وبَدْرة وبُدُور[(٢)].

٣) فِعَلَة، وتجمع عليه سماعًا الصيغتين الثلاثيتين: (فِعْل، فُعْل) نحو: قِرْد وقِرَدَة، وجُحْر وجِحَرَة.

٤) فُعْل، ويجمع عليه سماعًا فَعَل، وفُعْل، وفَعْل، والأجوف من فَعَلَة نحو: أسد وأُسْد، وفُلْك وفُلك، ورَهْن ورُهْن، وناقة ونوق، وقد ذهب الرماني إلى أنّه مقصور من الجمع القياسي (فُعول)[(٣)].

المطلب الثاني: تماثل جمع الاسم والصفة:

تنوعت جموع الأسماء والصفات، فجمعت جمع تصحيح، وتكسير، وقد غلب

(١) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي:٦ :٦٢٩، ابن يعيش، شرح المفصل، ٣ :٢٤٤.

(٢) البدرة: جلدة السخلة إذا فطم، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، بدر:١٠ :١٤٢.

(٣) ينظر: الرماني، شرح الكتاب، ت: الحربي، ٦ :٦١٩.

جمع التَّصحيح على الصفات لمشابهتها للفعل، والأفعال لا تكسر، وجاز تكسير الصفة على قلة وضعف إذا غلبت الاسمية عليها، وذلك حين لا تستعمل الصفة مع الموصوف فتقوم مقامه، يقال في (رجل عبد):عبد[١]؛ لهذا كسرت الصفات على نحو تكسير الأسماء إلا أنّها أقلّ توسعًا، قال سيبويه في (فواعيل) و(فعالين) و(فعايل): "ولا نعلمه جاء في الصفة"[٢]، وقال في عدم جمع الاسم الذي على (فاعِل) وأصله صفة على (فَواعِل) مثل الأسماء: "ولا يكون فيه (فَواعِل) كما كان في: تَابِل[٣] وخَاتِم وحاجِرٍ؛ لأنّ أصله صفة وله مؤنث، فيفصلون بينهما؛ إلا في (فَوارِس) فإنَّهم قالوا: فَوارِس، كما قالوا: حَواجِر؛ لأنَّ هذا اللفظ لا يقع في كلامهم إلَّا للرجال، وليس في أصل كلامهم أن يكون إلا لهم. فلما لم يخافوا الالتباس قالوا: فواعل"[٤].

وقال ابن خروف: قد تنفرد الصفة بجمع لا يكون في الأسماء كما قد ينفرد الاسم أيضًا، وقد يشتركان [٥].

أما مشابهتها الفعل فمن حيث الشكل والعمل؛ قال الرضي: "اعلم أَنّ الأصل في الصفات أَن لا تكسر، لمشابهتها الأفعال وعملها عملها، فيلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل، وهو الواو والنون، فيتبعه الألف والتَّاء؛ لأنّه فرعه، وأَيضًا تتصل الضمائر المستكنة بها، والأصل أن يكون في لفظها ما يدل على تلك الضمائر، وليس في التَّكسير ذلك، فالأولى أَن تجمع بالواو والنون ليدل على استكنان ضمير العقلاء الذكور، وبالألف والتَّاء ليدل على جماعة غيرهم"[٦].

(١) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ٣ :٢٥٠.
(٢) سيبويه، الكتاب، ٤ :٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢.
(٣) التبل: العداوة في القلب، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، تبل:٢٨ :١٣٣.
(٤) سيبويه، الكتاب، ٣ :٨٩.
(٥) ينظر: ابن خروف، شرح الكتاب، ت: الحارثي، ٣ :٢١٣.
(٦) الرضي، شرح الشافية، ٢ :١١٦.

لهذه المشابهة تفاوتت الصفات في كثرة تكسيرها وقلته، فكُسّرَت الصفات المشبهة من الثلاثي أكثر من تكسير اسمي الفاعل والمفعول؛ لأنّ شبهها بالفعل أقل، وكسر من الثلاثي اسم الفاعل أكثر من غير الثلاثي، وأكثر من اسم المفعول الثلاثي وغيره؛ لأنّ اسمي الفاعل والمفعول من غير الثلاثي أشبه بفعلهما المضارع من اسم الفاعل الثلاثي، وأجرت الميم في اسم المفعول الثلاثي مجرى غير الثلاثي(١).

أما سبب التَّماثل بين الصيغ المختلفة في الأسماء والصفات فقد يكون مرده اختيار أكثر صيغ الجمع خفة مع صيغ المفرد التي قل ورودها لثقلها، نحو جمع (فُعُل) و(فِعْل) و(فُعْل) اسمًا وصفة على (أفعال)(٢).

وقد اشتركت الأسماء والصفات في تكسير سبع صيغ ثلاثية مجردة، وهي: فَعْل، وفَعَل، وفَعُل، وفَعِل، وفُعْل، وفُعُل، وفِعْل، واشتركت بعض هذه الصيغ في الأسماء والصفات على صيغة جمع واحدة، وهذه المواضع هي:

أ) جمع القلة:

يجمع قياسًا على (أَفْعَال) ما يأتي:

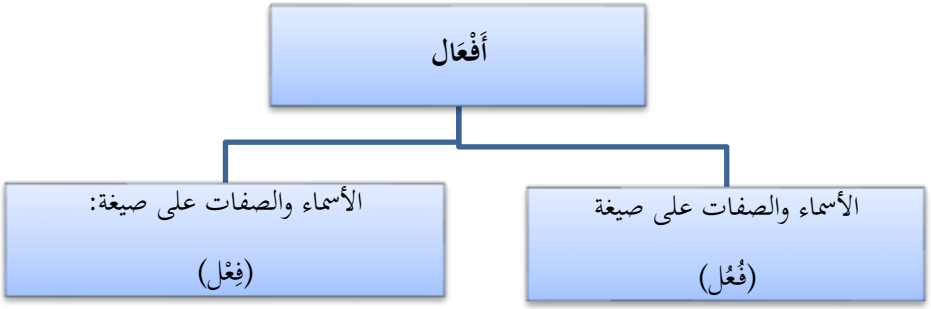
(فُعُل) اسمًا وصفة نحو: عُنُق، وجُنُب و(فِعْل) اسمًا وصفة نحو: عِرْق، وجِلْف، فيقال: أَعْنَاق، وأجناب، وأعراق، وأجلاف، وكذلك يجمع (فُعْل) في الأسماء والصفات على (أفعال) لكنّه في الأسماء جمع قياسي، وفي الصفات جمع سماعي، نحو: نحو: جُنْد وأجناد، ومُرّ وأمرار.

ويجمع سماعًا (فِعْل) في الأسماء نحو: ذِئب، وفي الصفات نحو: جِلْف على (أَفْعُل)، فيقال: أَذْؤب وأَجْلُف.

(١) الرضي، شرح الشافية، ٢ :١١٧.

(٢) الرضي، شرح الشافية،٢ :١٢٢.

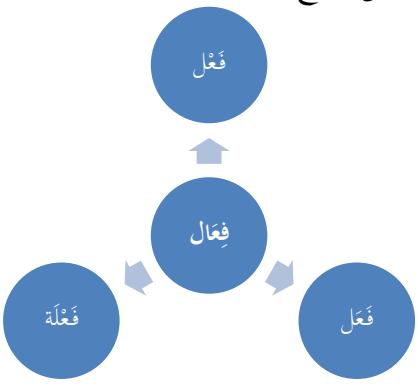
رسم يوضح تماثل الأسماء والصفات الثلاثية المجردة في جمعها جمع قلة:



ب) جمع الكثرة:

يجمع قياسًا (فَعْل) اسمًا نحو: فَرْخ، وصفة نحو (صَعْب) و(فَعَل) اسمًا نحو: جَمَل، وصفة نحو: (حَسَن) على (فِعال)، فيقال: فِراخ، وصِعاب، وجِمال، وحِسان، وكذلك (فَعْلَة) مؤنث (فَعْل) جاء في الاسم: ضَيْعة وضِياع، وفي الصفة: جَعْدَة وجِعاد.

رسم يوضح تماثل صيغ الأسماء والصفات الثلاثية المجردة في جمعها جمع كثرة:



النتائج:

١) تعدد صيغ جمع المفردة يدل على خفة صيغة المفرد وكثرة استعمالها، وقلتها تدل على العكس.

٢) تعدد صيغ الجمع يدل على تعدد لهجات العرب.

٣) تماثل صيغ الجموع لأكثر من مفرد يدل على تشابه في المفردات إما في القلة أو الصيغة أو في الخفة والكثرة.

٤) سكوت سيبويه عن بعض الأوزان يعني أنّها غير مستعملة.

٥) سكوت سيبويه عن بعض الأسماء التي في وزن (فِعِل) يعني أنّها غير متفق عليها.

٦) جموع التَّكسير سماعية، والقياس فيما لم يسمع.

٧) جمع القلة هو الأصل في الجموع؛ لخفته ولمشابهته المفرد.

٨) ٨) أكثر صيغة مفرد ثلاثي مجرد تعددت جموعها هي (فَعْل) فقد جمع عليها أحد عشر جمعًا، ثم (فَعَل) و(فِعْل) وجمع عليهما ثمانية جموع.

٩) أكثر صيغة جمع جمعت عليها المفردات الثلاثية هي (أَفْعَال) فقد جمع عليها ثماني عشر ومئة كلمة، ثم (فِعَال) بأربع وستين كلمة، ثم (فُعُول) بثمان وأربعين كلمة.

١٠) جُمِعت المفردات الثلاثية متعددة الجموع ومتماثلتها على خمسة عشر صيغة من صيغ جموع التَّكسير.

وفي الجداول الآتية مزيد إيضاح لهذه النتائج.

الجدول (١)

عدد الكلمات المجموعة على كل صيغة جمع وردت في كتاب سيبويه في أبواب جموع تكسير المفردات الثلاثية المجردة

جموع قلة			جموع كثرة											
أَفْعُل	أَفْعال	فِعْلَة	فُعول	فُعُولة	فِعال	فِعَالة	فَعِيل	فِعْلان	فُعْلان	فِعَلَة	فُعْل	فِعَل	فَعِل	فُعَل
٣٨	١١٨	١	٤٨	٥	٦٤	٤	٣	٣٢	١٢	٢٠	٢٠	٢٢	٢	٢٣

الجدول (٢)

تفصيل بالمفردات الواردة في أبواب جموع تكسير المفردات الثلاثية المجردة وجموعها

الصيغة	عدد جموع الصيغة	المفردة	عدد جموع المفردة	جموع القلة			جموع الكثرة											
				أَفْعُل	أَفْعال	فِعْلَة	فُعول		فُعُولة	فِعال	فِعَالة	فَعِيل	فِعْلان	فُعْلان	فِعَلَة	فُعْل	فَعِل	فُعَل
		أَنْف	٢		آنَاف													
		أيْر			آيار													
		بَتّ	٣	أَبُتّ			بُتُوت			بِتَات								
		بَطْن	٢	بِطون										بُطْنان				
		بَعْل	١						بُعُولة									
		بَغْل	١							بِغَال								
		بَيْت	٢		أَبْيَات		بُيُوت											
		ثَدْي	٢	أثْدٍ			ثُدْيّ											
		ثَعْب	١											ثُعْبان				
		ثَوْب	٢		أثْواب					ثِياب								
		ثَوْر	٣		أَثْوار								ثِيْرَان		ثِوَرَة			

فَعْل	١١	جَبْء	١														جِبَأَة				
		جَحْش	١														جِحْشان				
		جَدّ	٢	أَجُدّ	أَجْداد																
		حَجْل	١														حِجْلان				
		خَيْط	٣		أَخْياط					خُيُوط		خُيُوطة									
		دَلْو	٣	أَدُلّ						دُلِيّ			دِلاء								
		رَأْد	١		أَرْآد																
		رَأْل	١														رِئْلان				
		رَهْن	١																رُهْن		
		رَفْغ	١		أَرْفاغ																
		زَنْد	١		أَزْناد																
		زَوْج	٢		أَزْوَاج													زِوَجَة			
		سَوْط	٢		أَسْواط								سياط								
		شَيْخ	٤		أَشْياخ					شُيُوخ							شِيخان	شِيَخة			
		صَقْر	٢	أَصْقُر						صُقُور											
		صَكّ	٣	أَصُكّ						صُكوك			صِكاك								
		ضَبّ	٢	أَضُبّ									ضِباب								

		ظَبْي	٢	أَظْبٌ					ظِبَاء												
		ظَهْر	١												ظُهْرَان						
		عَبْد	٤	أَعْبُد					عِباد		عبيد	عِبْدان									
		عَمّ	١						عُمُومة												
		عَوْد	١	أَعْواد											عِوَدَة						
		عَيْن	٣	أَعْيُن	أَعْيان			عُيُون													
		عَيْر	١						عُيُورة												
		فَحْل	٣					فُحول	فُحُولة	فِحال	فِحَالة										
		فَرْخ	٤	أَفْرُخ	أَفْرَاخ			فُرُوخ		فِراخ											
		فَرْد	١		أَفْراد																
		فَقْع	١												فِقَّعَة						
		فَوْج	١					فُوُوج													
		قَعْب	١												قِعَبَة						
		قَوْز	١									قِيْزَان									
		قَوْس	٢		أَقْواس					قِياس											
		قَيْد	٢		أَقْياد			قُيُود													
		كَبْش	١	كِبَاش																	

		كَفّ	١	أَكُفّ																	
		كلب	٣	أَكْلُب				كِلاب			كَلِيب										
		كَعْب	٣	أَكْعُب				كِعاب				كُعوب									
		لَوْح	١		أَلْواح																
		نَسْر	٢	أَنسُر								نُسور									
		نَوْع	١		أَنْواع																
		وَجْذ	١								وِجْذان										
(فَعْل) في الصفات		ثَطّ	١														ثُطّ				
		جَون	١														جُون				
		حَشْر	١														حُشْر				
		خَدْل	١					خِدال													
		صَدْق	١														صُدْق				
	٤	صَعْب	١					صِعاب													
		ضَيْف	٢								ضِيْفَان	ضُيُوف									
		عَبْل	١					عِبال													
		فَسْل	٢					فِسَال				فُسول									
		كَتّ	١														كُتّ				

		كهْل	١			كُهُول										
		وَرْد	١										وُرْد			
		وَغْد	٢								وِغْدان	وُغْدان				
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعولة**	**فِعال**	**فِعالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعْلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
فَعَل	٨	أَسَد	٢		آساد		أُسُود									أُسْد			
		باب	١		أَبْواب														
		باع	١		أَبْواع														
		بَرَق	٢		أَبْراق								بِرْقان						
		تاج	٢		أَتْواج								تِيجان						
		جار	٢		أَجْوار								جِيْران						
		جَبَل	٣	أَجْبُل	أجْبال					جِبال									
		جَمَل	٤	أَجْمُل	أجْمال					جِمال	جِمَالة								
		حَجَر	٢							حِجار	حِجارة								
		حَمَل	٢		أَحْمال									حُمْلان					
		خَرَب	٢		أَخْراب								خِرْبان						

		دار	٤	أَدْوُر					دِيَار					دِيران			دُور						
		ذكر	٢				ذُكُور				ذِكارة												
		رَحَى	١		أَرْحَاء																		
		رَسَن	١		أَرْسان																		
		زَمَن	١	أَزْمُن																			
		ساج	١											سِيْجان									
		سَاق	٣	أسْؤُق			سُؤوق										سُوق						
		سَلَق	٢		أَسْلاق										سُلْقان								
		شَبَث	١											شِبْثَان									
		شَعَر	٢		أَشْعار		شُعُور																
		صَفَا	٢		أَصْفَاء		صُفِيّ																
		عصا	٢	أُعْصِ			عُصِيّ																
		غار	١											غِيْران									
		غَلَق	١		أَغْلاق																		
		غَنَم	١		أَغْنام																		
		فَتى	١											فِتْيان									
		فَنَن	١		أَفْنَان																		

		قاع	٢		أَقْواع																		
		قَتَب	١		أَقْتاب																		
		قَدَم	١		أَقْدام																		
		قَفَا	٢		أَقْفاء		قِفيّ																
		لَبَب	١		أَلْباب																		
		مال	١		أَمْوال																		
		مَدَد	١		أَمْداد																		
		ناب	٣	أَنْيُب	أَنْياب		نُيُوب												نِيب				
		نار	٢	أَنْوُر															نِيْران				
		نَصَف	١																نُصْف				
		وَثَن	١																وُثْن				
		وَرَل	٢		أَوْرَال														وِرْلان				
		بَرَم	١		أَبْرام																		
(فَعَل)		بَطل	١		أَبْطال																		
في		حَسَن	٢																				
الصفات	٢	سَبَط	٢																				
		عَزَب	١		أَعْزاب																		

		قَطَط	١						قِطاط								
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعولة**	**فِعال**	**فِعالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فَعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
فَعِل	٣	فَخِذ	١		أفْخاذ														
		كَبِد	١		أَكْباد														
		كَتِف	١		أَكْتاف														
		نَمِر	٣		أَنْمار		نُمُور									نُمْر			
		وَعِل	١				وُعُول												
(فَعِل)في الصفات	١	نَكِد	١		أَنْكاد														
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعولة**	**فِعال**	**فِعالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فَعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
فِعَل	٣	إرَم	٢		آرام		أُرُوم												
		ضِلَع	٣	أَضْلُع	أَضْلاع		ضُلُوع												
		عِنَب	١		أَعْناب														

		قِمَع	١		أَقْماع													
		مِعي	١		أَمْعاء													
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعَالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
		رَجُل	٢			رِجْلَة				رِجال									
		سَبُع	١							سِباع									
فَعُل	٣	عَجُز	١		أَعْجاز														
		عَضُد	١		أَعْضاد														
(فَعُل)		نَجُد	١		أَنْجاد														
في الصفات	١	يَقُظ	١		أَيْقاظ														
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعَالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
		أُذُن	١		آذان														
		طُنُب	١		أَطْناب														

فُعُل	١	عُنُق	١		أَعْناق															
(فُعُل) في الصفات		جُنُب	١		أَجْناب															
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فَعَل**	
فُعَل	٢	جُعَل	١										جِعْلان							
		خُزَز	١										خِزّان							
		رُبَع	١		أَرْباع															
		رُطَب	١		أَرْطاب															
		صُرَد	١										صِرْدان							
		نُغَر	١										نِغْران							
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فَعَل**	
فِعِل	١	إبِل	١		آبال															
الصيغة	**عدد**	**المفردة**	**عدد**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فَعَل**	

	جموع الصيغة		جموع المفردة																			
		بِئْر	٢		آبار						بِئار											
		جِذْع	٢		أَجْذاع			جُذُوع														
		جِرْو	٢	أجْرٍ							جِرَاء											
		جِيد	٢		أَجْياد			جُيُود														
		حِسْل	٢		أَحْسال														حِسَلَة			
		حِمْل	٢		أَحْمال			حُمُول														
		خِمْس	١		أَخْماس																	
		دِيْك	٢					دُيُوك											دِيَكَة			
		ذِئْب	٣	أَذْؤُب							ذِئاب						ذُؤْبان					
		رِئْد	١													رِئدان						
		رِجْل	١	أَرْجُل																		
فِعْل	٨	رِيْح	٢		أَرْوَاح						رِياح											
		زِقّ	٣		أَزْقاق						زِقَان						زُقّان					
		سِتْر	١		أَسْتار																	
		شِبْر	١		أَشْبار																	

		شِسْع	١				شُسُوع														
		شِقْذ	١														شُقْذان				
		صِرْم	١														صُرْمان				
		صِنْو	١											صِنْوان							
		ضِرْس	١									ضَرِيس									
		طِمْر	١			أَطْمار															
		عِدْل	٢		أَعْدال		عُدُول														
		عِذْق	٢		أَعْذاق		عُذُوق														
		عِرْق	٢		أَعْراق		عُروق														
		فِيْل	٣		أَفْيال		فُيُول									فِيَلَة					
		قِدْح	٣	أَقْدُح	أَقْدَاح				قِدَاح												
		قِدْر	٢	أَقْدُر			قُدُور														
		قِرْء	١				قُرُوء														
		قِرْد	١													قِرَدَة					
		قِطْع	١	أَقْطُع																	
		قِنْو	٢											قِنْوان	قُنْوان						
		كِيْس	١													كِيَسَة					

		كِيْر	١		أَكْيَار														
		لِصّ	١				لُصوص												
		مِيْل	١		أَمْيال														
		نِحْي	٣		أَنْحاء		نُحِيّ		نِحَاء										
		نِير	١		أَنْيار														
(فِعْل) في الصفات		حِلْف	٢	أَحْلُف	أَحْلاف														
		عِلْج	٢		أَعْلاج											عِلَجَة			
	٣	نِضْو	١		أَنْضاء														
		نِقْض	١		أَنْقاض														
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعَالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
		بُرْج	٢		أَبْراج		بُرُوج												
		بُرْد	٢		أَبْراد		بُرود												
		جُحْر	١		أَجْحَار										جِحَرة				
		جُرْح	١				جُرُوح												
		جُزْء	١		أَجْزاء														

فُعْل	٧	جُمْد	٢		أَجْماد			جِماد													
		جُنْد	٢		أَجْناد							جُنُود									
		حُبّ	٢		أَحْباب											حِبَبَة					
		حُشّ	٢								حِشّان		حُشّان								
		خُرْج	١												خِرَجَة						
		حُوت	٢		أَحْوات						حِيْتان										
		خُفّ	٢		أَخْفاف			خِفاف													
		خُصّ	٢		أَخْصاص			خِصاص													
		زُكْن	٢	أَزْكُن	أَزْكان																
		شُفْر	١		أَشْفار																
		صُلْب	٢		أَصْلاب											صِلَبَة					
		عُشّ	٢		أَعْشاش			عِشاش													
		عود	٢		أَعْواد						عِيْدان										
		غُول	١		أَغْوال																
		فُلْك	١													فُلْك					
		قُرْط	٢		أَقْراط			قِراط													
		قُفّ	٢		أَقْفاف			قِفاف													

		قُلْب	٢		أَقْلاب											قِلَبَة				
		كُرْز	٢		أَكْراز											كِرَزَة				
		كُوز	٢		أَكْواز												كِيْزان			
		مُدْي	١		أَمْداء															
		نُون	١														نِيْنان			
الصيغة	**المفردة**	**عدد جموع الصيغة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعَالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
	بَدْرَة		١				بُدُور												
	جَفْنَة		٢							جِفان							جِفَن		
	جَمْرَة		١							جِمَار									
	جَوْبَة		١																جُوَب
	حَلْقَة		١														حِلَق		
	خَيْمَة		١														خِيَم		
	دَبّة		١							دِبَاب									
	دَوْلَة		١																دُوَل
فَعْلَة	رَكْوَة	٥	١							رِكَاء									

		رَوْضَة	١								رِيَاض										
		سَلّة	١								سِلال										
		شَفْرَة	١								شِفار										
		ضَيْعَة	٢								ضِيَاع								ضِيَع		
		ظَبْيَة	١								ظِبَاء										
		عَيْبَة	١								عِيَاب										
		غَلْوَة	١								غِلاء										
		قَرْيَة	١																		قُرَى
		فَشْوَة	١								قِشاء										
		قَصْعَة	١								قِصاع										
		مَأْنَة	١						مُؤون												
		نَزْوَة	١																		نُزَى
		نَوْبَة	١																نُوَب		
		هَضْبَة	١																هِضَب		
(فَعْلَة)		جَعْدَة	١								جِعَاد										
في	١	عَبْلَة	١								عِبال										
الصفات		كَمْشَة	١								كِماش										

الصيغة	عدد جموع الصيغة	المفردة	عدد جموع المفردة	أَفْعُل	أَفْعال	فِعْلَة	فُعول		فُعُولة	فِعال	فِعَالة	فَعِيل	فِعْلان	فُعْلان	فِعَلَة	فُعْل	فِعَل	فَعِل	فُعَل
فَعَلَة	٤	أَكَمَة	٢	آكُم												أُكْم			
		بَدَنَة	١													بُدْن			
		تارة	١														تِيَر		
		خَشَبَة	١													خُشْب			
		رَحَبَة	١							رِحَاب									
		رَقَبَة	١							رِقَاب									
		ساحة	١													سُوح			
		قارة	١													قُور			
		قامة	١														قِيَم		
		لابة	١													لُوب			
		ناقة	٣	أَيْنُق						نِيَاق						نُوق			
الصيغة	عدد جموع الصيغة	المفردة	عدد جموع المفردة	أَفْعُل	أَفْعال	فِعْلَة	فُعول		فُعُولة	فِعال	فِعَالة	فَعِيل	فِعْلان	فُعْلان	فِعَلَة	فُعْل	فِعَل	فَعِل	فُعَل

فُعْلَة	٣	بُرْقَة	١										بِرَاق								
		بُرْمَة	١										بِرَام								
		جُبّة	١										جِباب								
		جُدّة	١																		جُدَد
		جُفْرَة	١																		جُفَر
		جُلّة	١										جِلال								
		حُطْوَة	١																		حُطَى
		دُوْلَة	١																		دُوَل
		زُكْبَة																			زُكَب
		زُبْيَة	١																		زُبَى
		سُرّة	١																		سُرَر
		سُورَة	١																		سُوَر
		سُوقَة	١																		سُوَق
		عُرْوَة	١																		عُرَى
		غُرْفَة	١																		غُرَف
		قُبّة	١										قِباب								
		كُلْيَة	١																		كُلَى

		مُدْيَة	١														مُدَى		
		نُقْرَة	١								نِقَار								
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعَالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
فِعْلَة	٢	دِيْمَة	١														دِيَم		
		رِبّة	١														رِبَب		
		رِشْوَة	١														رِشًا		
		رِيْبَة	١														رِيَب		
		سِدْرَة	١														سِدَر		
		شِدّة	١	أَشُدّ															
		عِدّة	١														عِدَد		
		فِرْيَة	١														فِرًى		
		قِدّة	١														قِدَد		
		قِرْبَة	١														قِرَب		
		قِيْمَة	١														قِيَم		
		كِسْرَة	١														كِسَر		

		لِحْيَة	١													لِحًى		
		نِعْمَة	١	أَنْعُم														
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعَالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
فَعِلَة	١	مَعِدَة																مَعِد	
		نَقِمَة																نَقِم	
الصيغة	**عدد جموع الصيغة**	**المفردة**	**عدد جموع المفردة**	**أَفْعُل**	**أَفْعال**	**فِعْلَة**	**فُعول**		**فُعُولة**	**فِعال**	**فِعَالة**	**فَعِيل**	**فِعْلان**	**فُعْلان**	**فِعَلَة**	**فُعْل**	**فِعَل**	**فَعِل**	**فُعَل**
فُعَلَة	١	تُخَمَة	١																تُخَم
		تُهَمة	١																تُهَم

المراجع:

أ– الكتب المطبوعة:

الأبذي، ابن قاسم المالكي، "شرح حدود النحو"، تحقيق: خالد فهمي، (الطبعة: الأولى، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٤٢٩هـ).

ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بدون طبعة، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ).

الأنباري، أبو البركات، " الإنصاف في مسائل الخلاف" (الطبعة: الأولى، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م).

الأندلسي، أبو حيان، "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، تحقيق: رجب عثمان محمد، (الطبعة: الأولى، القاهرة، الخانجي، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م).

الجرجاني، عبد القاهر، "المقتصد في شرح التَّكملة"، تحقيق: أحمد الدويش، (الطبعة الأولى، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٨هـ).

الجزولي، عيسى بن عبد العزيز، "المقدمة الجزولية في النحو"، تحقيق: شعبان عبد الوهاب، (بدون طبعة، مكة المكرمة، مطبعة أم القرى، مكة المكرمة، بدون تاريخ).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "اللمع في العربية" تحقيق: فائز فارس، (بدون طبعة، الكويت، دار الكتب الثقافية، بدون تاريخ).

الجوهري، أبو نصر إسماعيل، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (الطبعة: الرابعة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م).

ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان، "الكافية في علمي التَّصريف والخط"، تحقيق: حسن العثمان، (الطبعة الثانية، المكتبة المكية، ١٤٣٥هـ_٢٠١٤م).

ابن خالويه، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد "ليس في كلام العرب"، تحقيق: أحمد

عبد الغفور عطار، (الطبعة: الثانية، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي، "شرح شافية ابن الحاجب"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، وآخرين، (بدون طبعة، بيروت، دار الكتب العلمية ١٣٩٥ هـ).

الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيها مهذبًا، ت: اغناطيوس كؤيدي، (بدون طبعة، روما، ١٨٩٠م).

الزبيدي، أبو الفيض محمد "تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بدون طبعة، الكويت، وزارة الإرشاد والإنباء، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م_١٤٢٢هـ٢٠٠١م).

الزمخشري، جار الله، "المفصل"، تحقيق: علي بو ملحم، (الطبعة: الأولى، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٩٣م).

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري، "الأصول في النحو"، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (بدون طبعة، لبنان، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ).

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، "إصلاح المنطق"، تحقيق: محمد مرعب، (الطبعة: الأولى، دار إحياء التَّراث العربي، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م).

سيبويه، عمرو بن عثمان، "الكتاب"، تحقيق: إميل يعقوب، (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بدون طبعة، مصر، المكتبة التَّوقيفية، بدون تاريخ).

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية"، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين وآخرين، (الطبعة: الأولى، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

ابن عصفور، علي بن مؤمن، "الممتع" (الطبعة: الأولى، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م).

ابن عقيل، بهاء الدين، "المساعد على تسهيل الفوائد"، تحقيق: محمد كامل بركات، (الطبعة: الأولى، جامعة أم القرى، دار الفكر، دمشق، دار المدني، جدة، ١٤٠٠، ١٤٠٥ هـ).

العكبري، أبو البقاء عبد الله، "اللباب في علل البناء والإعراب"، تحقيق: عبد الإله النبهان، (الطبعة: الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م).

العيوني، سليمان، "حواشي كتاب سيبويه"، (الطبعة الثانية، مكة المكرمة، دار طيبة الخضراء، ١٤٤٣هـ).

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، "القاموس المحيط"، تحقيق: مكتب تحقيق التَّراث، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، (الطبعة: الثامنة، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتَّوزيع، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

ابن مالك، جمال الدين أبي عبد الله محمد، " الألفية" (بدون طبعة، دار التَّعاون، بدون تاريخ).

ابن مالك، جمال الدين أبي عبد الله محمد، "شرح تسهيل الفوائد"، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد المختون، (الطبعة الأولى، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتَّوزيع، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)

ابن مالك، جمال الدين أبي عبد الله محمد، "شواهد التَّوضيح والتَّصحيح لمشكلات الجامع الصّحيح"، تحقيق: طه محسن، (الطبعة: الأولى، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٥ هـ).

المرادي، عبد الرحمن علي سليمان، "توضيح المقاصد بشرح ألفية ابن مالك"، (الطبعة: الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م".

مجموعة الشافية في علمي التَّصريف والخط، (الطبعة الأولى، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٣٥هـ).

المبرِّد، محمد بن يزيد، "المقتضب"، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، (بدون طبعة،

بيروت، عالم الكتب، بدون تاريخ).

ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب" (الطبعة: الثالثة، بيروت، دار صادر، ١٤٤١هـ).

ناظر الجيش، محب الدين الحلبي، "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد" تحقيق: محمد فاخر وآخرين، (الطبعة: الأولى، القاهرة، السلام للطباعة والنشر والتَّوزيع، ١٤٢٨هـ).١٩٧٥م).

ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، تحقيق: يوسف البقاعي، (بدون طبعة، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٧_١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).

ابن الوراق، "علل النحو"، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، (الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م).

ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، "شرح المفصل"، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

ب) الرسائل العلمية:

ابن خروف، أبو الحسن علي بن محمد "تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب من باب الإضافة إلى المحلوف به إلى باب نظائر ما مضى من المعتل"، تحقيق: صالح الحارثي، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٤١_١٤٤٢هـ

الرماني، أبو الحسن، "شرح كتاب سيبويه، من باب التَّصغير إلى نهاية باب جمع الجمع"، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، تحقيق: أحمد الحربي، ١٤٣٦هـ.

الرماني، أبو الحسن، "شرح كتاب سيبويه لأبي الحسن الرماني، من باب جمع الأعجمي الذي على ثلاثة أحرف إلى نهاية باب ألف الوصل"، الجامعة الإسلامية، المدينة

النبوية، تحقيق: تركي المعبدي، ١٤٣٦هـ.

ج) المجلات العلمية:

ابن طاهر، "الطرر"، تحقيق: بدر الجابري، *مجلة الدراسات الإسلامية*، العدد الثاني، ١٤٣٦هـ.

وسمية المنصور، "ظاهرة التَّعدد في الأبنية الصرفية"، *مجلة الدراسات اللغوية*، المجلد:٤، العدد:٣، ١٤٢٣هـ.

Bibliography

A) Printed Books:

Abdhi, Ibn Qasim al-Maliki, "Sharh Hudud al- Nahw," investigated by: Khalid Fahmi, (First Edition, Cairo, Maktabat al-Adab, 1429H).

Anbari, Abu al-Barakat, "Al-Insaf fi Masa'il al-Khilaf," (First Edition, al-Maktabah al-Asriyyah, 1424H–2003)

Andalusi, Abu Hayyan, "Irthishaf al-Darrb min Lisan al-Arab," Investigated by: Rajab Uthman Muhammad, (First Edition, Cairo, al-Khanji, 1418H–1998).

Ibn al-Athir Abu al-Fath Diya al-Din, "Al-Mathal al-Sa'ir fi Adab al-Katib wa al-Sha'ir," investigated by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, (Without Edition, Beirut, al-Maktabah al-Asriyyah, 1420H).

Ayni, Sulayman, "Hawashi Kitab Sibawaih," (Second Edition, Makkah al-Mukarramah, Dar Taybah al-Khadra, 1443H).

Fayruzabadi, Majd al-Din Muhammad ibn Yaqub, "Al-Qamus al-Muhit," investigated by: Maktab Tahqiq al-Turath, Ishraf Muhammad Naim al-Irqasusi, (Eighth Edition, Beirut, Muassasat al-Risalah, 1426H–2005) .

Ibn Hajjaj, Ibn al-, Jamal al-Din ibn Uthman, "Al-Kafiyah fi Ilmay al-Tasrif wa al-Khatt," investigated by: Hasan al-Uthman, (Second Edition, al-Maktabah al-Makkiyyah, 1435H–2014) .

Ibn Hisham al-Ansari, Abdullah ibn Yusuf, "Awdaḥ al-Masalik ila Alfiyyat Ibn Malik," investigated by: Yusuf al-Biqai, (Beirut, Dar al-Fikr, 2007).

Ibn Aqil, Baha al-Din, "Al-Musaid ala Tashil al-Fawaid," investigated by: Muhammad Kamil Barakat, (Umm al-Qura University, Dar al-Fikr / Dar al-Madani, 1400–1405H).

Ibn Asfur, Ali ibn Mumin, "Al-Mumti," (Maktabat Lubnan, 1996).

Ibn Hisham al-Ansari, Abdullah ibn Yousuf, "Awdaḥ al-Masalik ila Alfiyyat Ibn Malik," Critical Edition: Yusuf al-Biqai, (Beirut, Dar al-Fikr, 2007).

Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman, "Al-Luma' fi al-Arabiyyah," investigated by: Faiz Faris, (Kuwait, Dar al-Kutub al-Thaqafiyyah).

Ibn Khalawayh, Abu Abdullah al-Husain ibn Ahmad, "Laisa fi Kalam al-Arab," investigated by: Ahmad Abd al-Ghafur Attar, (Makkah, 1399H–1979).

Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram, "Lisan al-Arab," (Third

Edition, Beirut, Dar Sadir, 1441H).
Ibn Malik, Jamal al-Din Abu Abdullah Muhammad, "Al-Alfiyyah," (Dar al-Taawun).
Ibn Malik, Jamal al-Din Abu Abdullah Muhammad, "Sharh Tashil al-Fawaid," investigated by: Abd al-Rahman al-Sayyid, Muhammad al-Makhtun, (Cairo, Hajar, 1410H–1990).
Ibn Malik, Jamal al-Din Abu Abdullah Muhammad, "Shawahid al-Tawdih wa al-Tashih li Mushkilat al-Jami al-Sahih," investigated by: Taha Muhsin, (Maktabat Ibn Taymiyyah, 1405H).
Ibn al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad ibn al-Sari, "Al-Usoul fi al-Nahw," investigated by: Abd al-Husain al-Fatli, (Muassasat al-Risalah).
Ibn al-Sikkit, Abu Yusuf Yaqub ibn Ishaq, "Islah al-Mantiq," investigated by: Muhammad Murib, (Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1423H–2002).
Ibn al-Warraq, Abu al-Hasan Muhammad ibn Abd Allah, "Ilal al-Nahw," investigated by: Mahmud Jasim al-Darwish, (Maktabat al-Rushd, 1420H–1999).
Ibn Yaish, Yaish ibn Ali, "Sharh al-Mufassal," investigated by: Emil Badi Yaqub, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1422H–2001).
Jurjani, Abd al-Qahir, "Al-Muqtasid fi Sharh al-Takmila," investigated by: Ahmad al-Duwaysh, (Riyadh, Imam bin Saud university, 1428H).
Jazouli, Isa ibn Abd al-Aziz, "Al-Muqaddimah al-Jazouliyyah fi al-Nahw," (Makkah, Umm al-Qura Press).
Jawhari, Abu Nasr Ismail, "Al-Sihah Taj al-Lughah," investigated by: Ahmad Abd al-Ghafur Attar, (Beirut, Dar al-Ilm lil-Malayin, 1987).
Mubarrid, Muhammad ibn Yazid, "Al-Muqtadab," investigated by: Muhammad Abd al-Khaliq Azimah, (Beirut, Alam al-Kutub).
Muradi, Abd al-Rahman, "Tawdih al-Maqasid be Sharh Alfiyyat Ibn Malik," (Cairo, Dar al-Fikr al-Arabi, 2008).
Nazir al-Jaish, Muhibb al-Din al-Halabi, "Tamhid al-Qawaid be Sharh Tashil al-Fawaid," investigated by: Muhammad Fakhr, (Cairo, 1428H).
Al-Radi, Muhammad ibn al-Hasan, "Sharh Shafiyat Ibn al-Hajib," investigated by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah).
Shatibi, Abu Ishaq Ibrahim, "Al-Maqasid al-Shafiyah," investigated by: Abd al-Rahman al-Uthaymin, (Makkah, 1428H–2007).

Sibawaih, 'Amr ibn Uthman, "Al-Kitab," investigated by: Emil Yaqub, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1999).

Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman, "Ham al-Hawami fi Sharh Jam al-Jawami," (Egypt, al-Maktabah al-Tawqifiyyah).

'Ukbari, Abu al-Baqa Abd Allah, "Al-Lubab fi Ilal al-Bina wa al-Irab," investigated by: 'Abd al-Ilah al-Nabhan, (Damascus, Dar al-Fikr, 1995).

Zamakhshari, Jar Allah, "Al-Mufassal," investigated by: Ali Bu Malham, (Beirut, Maktabat al-Hilal, 1993).

Zubaidi, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan, "Al-Istidrak ala Sibawaih," investigated by: Ignatius Kudi, (Rome, 1890).

Zubaidi, Abu al-Fayd Muhammad, "Taj al-Arus min Jawahir al-Qamus," investigated by: a group of investigators, (Kuwait, 1965–2001)

B) Academic Dissertations

Ibn Kharouf, Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad, "Tanqih al-Albab fi Sharh Ghawamid al-Kitab min Baab al-Idafah ila al-Mahluf bihi ila Baab Naza'ir ma Mada min al-Mu'tall," investigated by: Salih al-Harithi, Islamic University of Madinah, 1441–1442H.

Rummani, Abu al-Hasan, "Sharh Kitab Sibawaih min Baab al-Tasghir ila Nihayat Baab Jam'al-Jam'," Critical Edition: Ahmad al-Harbi, Islamic University of Madinah, 1436H.

Rummani, Abu al-Hasan, "Sharh Kitab Sibawaih li Abi al-Hasan al-Rummani min Baab Jam'al-A'jami al-ladhi 'ala Thalathat Huruf ila Nihayat Baab Alif al-Wasl," investigated by: Turki al-Ma'badi, Islamic University of Madinah, 1436H.

C-Academic Journals:

Ibn Tahir, "Al-Turrar," Journal of Islamic Studies, Issue 2, 1436H.

Wasimiyah al-Mansur, "Zahirat al-Ta'addud fi al-Abniyah al-Sarfiyyah," Journal of Linguistic Studies, Vol. 4, iss. 3, 1423H

تعميم الدلالة في ألفاظ البئر

Generalization of meaning in the words of the well

د. عبد العزيز بن صالح بن ردة الغانمي

أستاذ مشارك بقسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية بكلية العلوم والآداب

بجامعة الملك عبد العزيز برابغ

البريد الإلكتروني: aalghanemi5@kau.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
19/11/2025		11/01/2026

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-014

ملخص

يدرس هذا البحث الألفاظ المتعلقة بالبئر، وهي الألفاظ التي تدل على حفر البئر، وشكلها، وحجمها، وقلة مائها، وكثرته، وطريقة الاستقاء منها، وأدوات جلب الماء منها، وتنقيتها، وترابها، وطبيعة أرضها، وغير ذلك من الألفاظ المتعلقة بالبئر، وخرجت من المعنى الخاص الذي كانت تدل عليه إلى معنى أعم، وأشمل كما رصده علماء اللغة في معاجمهم، والبئر ذو أهمية كبرى في حياة العربي، فهو مورد مائهم، فجزيرة العرب تخلو من الأنهار، وتقل فيها المياه، وجمعت المعاجم العربية الألفاظ المتعلقة بالبئر، وأوضحت ما تعممت دلالته من هذه الألفاظ، وجمع الباحث بعض هذه الألفاظ التي حدث فيها التعميم، وذكر دلالتها الأصلية، ثم أوضح مظاهر التعميم فيها، واستشهد البحث بأقوال العرب من شعر، ونثر، كما اعتمد البحث على قول علماء اللغة في اشتقاق العرب دلالات عامة من بعض الألفاظ المتعلقة بالبئر.

الكلمات المفتاحية: علم الدلالة – التطور الدلالي – التعميم – البئر.

Abstract

This study examines the terms related to wells, which are terms that indicate digging the well, its shape, size, scarcity or abundance of its water, the method of drawing water from it, the tools used to fetch water, the purification of water, its soil, the nature of its land, and other terms related to wells. These terms have moved from the specific meaning they originally indicated to a more general and comprehensive meaning, as recorded by linguists in their dictionaries. The well holds great importance in the life of the Arab, as it is their water source; the Arabian Peninsula lacks rivers and has scarce water. The Arabic dictionaries have compiled the terms related to wells and clarified the generalized meanings derived from these terms. The researcher collected some of these terms in which generalization occurred, explained their original meanings, then illustrated the aspects of generalization in them. The study cited the words of Arabs from poetry and prose, and also relied on linguists' statements about how Arabs derived general meanings from some terms related to wells.

Keywords: Semantics - Semantic Development - Generalization - Well.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تهتم معاجمنا العربية بتطور الألفاظ العربية، ومعرفة الأصل الذي يعود له اللفظ، ومن ذلك الألفاظ المتعلقة بالبئر، فقد سجَّل علماء اللغة في معاجمهم ما اشتقه العرب من هذه الألفاظ في التعبير عن بعض صفاتهم الجسدية، والنفسية، والاجتماعية، وعن سلوكهم، وتسمَّوا بها، كما استعملوها في ميادين العلم، والمعرفة، واستعاروها أيضًا لبعض صفات بهائمهم، وعلماء اللغة لاحظوا تعميم دلالة بعض الألفاظ المتعلقة بالبئر، وصرَّحوا بذلك في مصنفاتهم، وهذا أمر طبيعي؛ لأنَّ البئر من الأمور المهمة في حياة العرب، ويرد في الذهن بشكل متكرر، فلا يستغني العربي عن البئر، فهو المصدر الأهم الذي يستقي منه الماء، فالجزيرة العربية لا يوجد بها أنهار، وبحيرات دائمة، كما أنَّها تتصف بقلة الأمطار، وقد جمعت بعض هذه الألفاظ المتعلقة بالبئر، ونقلت ما قاله بعض علماء اللغة عن تعميم دلالتها، وتوسيعه، وما اشتقه العرب من هذه الألفاظ، وهذا التعميم حدث في وقت مبكر؛ لأنَّ قدامى اللغويين كالخليل بن أحمد، وابن السكيت، وابن دريد، وغيرهم ذكروا ذلك في معاجمهم، واستشهدوا عليه من قول العرب من شعر، ونثر، وهذا يدل على توسيع العرب لهذه الألفاظ منذ العصر الجاهلي، وأسأل الله عز وجل أنْ ينفع بهذا العمل، وأنْ يجعله عملًا مباركًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث في دراسة الألفاظ المتعلقة بالبئر عند العرب، وما حدث فيها من تطور تمثل في تعميم الدلالة، ومعلوم أنَّ العرب يعتمدون على الآبار حيث لا توجد الأنهار في الجزيرة العربية، وهذا ما أعطى الآبار أهمية قصوى عند العرب.

مشكلة البحث:

كثرة الألفاظ المتعلقة بالبئر التي تعمَّمت دلالتها، ودخلت في مجالات شتى من شؤون الحياة، وقد صرَح علماء اللغة بذلك عند تفسيرهم لهذه الألفاظ.

موضوع البحث:

دراسة تعميم الدلالة في الألفاظ المتعلقة بالبئر عند العرب.

أهداف البحث:

- رصد الدلالات الأصلية للألفاظ المتعلقة بالبئر، والدلالات المتوسعة عنها.
- الكشف عما صرح به علماء اللغة من تعميم دلالة بعض الألفاظ المتعلقة بالبئر.
- ذكر الدلالة الخاصة للفظ، وما تفرع عنها من دلالات عامة.

تساؤلات البحث:

- ما مظاهر التعميم في بعض الألفاظ المتعلقة بالبئر؟
- هل أشار اللغويون إلى ظاهرة التعميم في الألفاظ المتعلقة بالبئر؟
- ما العلاقة بين الدلالة الأصلية للفظ وبين الدلالات العامة التي رصدها علماء اللغة في كلام العرب؟

سبب اختيار الموضوع:

لاحظ الباحث أنَّ بعض الألفاظ المتعلقة بالبئر توسعت دلالتها، فشملت مجالات أخرى ليس لها علاقة بالبئر، ووجد أنَّ علماء اللغة صرحوا بهذه الظاهرة، ولاحظوا أنَّ العرب اشتقوا دلالات جديدة من الألفاظ المتعلقة بالبئر.

مجال البحث وحدوده:

تعميم الدلالة في الألفاظ المتعلقة بالبئر من خلال النظر في دلالة الكلمة الأصلية، وما شملته من دلالات أخرى ذكرها اللغويون في مصنفاتهم.

منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي، فهو يصف دلالات الجذر اللغوي للفظ، ثم يوضح الدلالات المتوسعة عن الدلالة الأصلية.

الدراسات السابقة:

- الدراسة الأولى: "تعميم الدلالة في ألفاظ الإبل" للدكتور عبد الرزاق فراج الصاعدي، مجلة الدارة التي تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، العدد الأول، محرم ١٤١٨هـ، السنة الثالثة والعشرون.

درس الباحث ألفاظ الإبل التي اتسعت دلالتها، وخرجت من حقل الإبل إلى مجالات أخرى جديدة، فهو يذكر في بحثه الدلالات المتطورة للفظ، ثم يرجعها للدلالة الأصلية التي تعود إلى الإبل، ودراستي تختلف عن هذه الدراسة حيث إنَّ دراستي تهتم بالألفاظ المتعلقة بالبئر، وليس الإبل.

- الدراسة الثانية: بحث بعنوان: "التوسع الدلالي في استخدام أسماء الحيوان دراسة دلالية معجمية في حقول البدن والأوجاع والسلوك والأشكال والأعلام " للدكتور سالم بن سليمان بن غيث الخماش – مجلة كلية دار العلوم – جامعة الفيوم – ديسمبر عام ٢٠٠٧م – عدد ١٨.

درس الباحث فيها ألفاظ الحيوان التي توسعت، وتجاوزت دلالة الحيوان، وأصبحت تدل على أعضاء البدن، والعلل، والأشكال، والسلوك، كما دخلت في الأعلام، فتسمَّى بعض البشر بأسماء الحيوانات، واستفاد الباحث من اللغات السامية؛ لكي يثبت أنَّ دلالة اللفظ الأصلية خاصة بالحيوان، وانتقلت بعد ذلك إلى مجالات أخرى، والحيوانات التي درسها من فصائل متعددة مثل: السباع، والدوييات، والبهائم الأليفة، وحيوانات البحر، والحشرات، والطيور، ودراستي تختلف عن دراسة الأستاذ الدكتور سالم الخماش، لأنَّ دراستي تدور في حقل الألفاظ المتعلقة بالبئر.

- الدراسة الثالثة: " التطور الدلالي في القاموس المحيط بين النظرية والتطبيق" – زينب زيادة دسوقي البغدادي – المجلة العلمية بكلية اللغة العربية بأسيوط – ٢٠١٦م – عدد ٣٥– مصر.

درست الباحثة في التمهيد الجزء النظري، ويشمل: التعريف بالفيروز آبادي، ومكانته العلمية، وكشفت عن سر تسمية كتابه بالقاموس المحيط، كما درست التطور الدلالي، ومفهومه، ومظاهره، ثم انتقلت إلى الجزء التطبيقي الذي تحدثت فيه عن أنواع التطور الدلالي، وجعلته في خمسة فصول: تخصيص الدلالة، وتعميم الدلالة، وانتقال الدلالة، ورقي الدلالة، وسموها، وانحطاط الدلالة، وفي الفصل الخاص بتعميم الدلالة أوضحت العبارات التي تدل على التعميم، وهي: (كل – يكون – غلب على – ثم استعمل لكل)، وهي تذكر دلالات اللفظ، ثم تذكر التعميم الدلالي الذي حدث في اللفظ، ودراستي تختلف عن دراسة الباحثة؛ لأنَّ دراستي تركز على نوع واحد من أنواع التطور الدلالي، وهو تعميم الدلالة، كما أنَّها تهتم بالألفاظ المتعلقة بالبئر في جميع المعاجم، وليس في القاموس المحيط فقط.

التمهيد:

عرف أحمد مختار عمر ظاهرة تعميم المعنى، أو توسيع المعنى بأنَّها: نقل معنى الكلمة من معنى خاص إلى معنى عام(١)، قال أحمد مختار عمر: «ويعني توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل»(٢).

ومثَّل لها إبراهيم أنيس بلغة الأطفال حين يطلقون اسم الشيء على ما يشبهه، وذلك لقلة محصولهم اللفظي، فيطلقون لفظ (الأب) على كل رجل يشابه أباه في الشكل، والمظهر(٣)، وتحدث علي عبد الواحد وافي عن أسباب تعميم دلالة الألفاظ، فقال: «كثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه، وتكسبه العموم»، وضرب أمثلة لذلك، ومنها: البأس، وكانت خاصة بالشدة في الحرب، ثم شاع استعمالها في كل شدة(٤).

وظاهرة التعميم توجدها اللغات لحاجة مهمة، وضرورة ملحة يضطر إليها المتكلم، فيعبُّر من خلالها عن تطورات الحياة، ومستجداتها، ومثال ذلك ما ذكره علي عبد الواحد وافي، فقال: «والقطار كان يطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم في السفر، ولكن تغير الآن مدلوله الأصلي تبعا لتطور وسائل المواصلات، فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية»(٥).

---

(١) انظر أحمد مختار عمر، "علم الدلالة". (ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م)،٢٤٣.

(٢) عمر، "علم الدلالة"، ٢٤٣.

(٣) انظر إبراهيم أنيس، "دلالة الألفاظ". (ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م)، ١٥٥.

(٤) علي عبد الواحد وافي، "علم اللغة". (ط٩، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م)،٣٢٠.

(٥) السابق ص٣٢٤.

والألفاظ تتطور باستمرار، قال محمد المبارك: «إنَّ ما يعتري الكائنات من تبدل، وتحول قد يعتري كذلك الألفاظ، فتتغير من ناحية شكلها، ومبناها كأنْ تتغير حروفها، وأصواتها، أو صيغتها، وبناؤها، أو من ناحية معناها، وهذا موضوع بحثنا، فقد تنتقل الكلمة من معنى إلى آخر، أو تضيف إلى معناها معنى أخر جديدًا دون أن تترك الأول، فتتعدد بذلك المعاني التي تدل عليها، وتستعمل في أي واحد منها على حسب الأحوال، والمقامات»(١).

والتعميم يعطي المتحدث خيارات واسعة لاستعمال الألفاظ التي يحتاجها في التعبير عما يريد، وهذا الأمر يزيد الثروة اللفظية للمتكلمين، وينميها(٢).

والمتكلمون دائمًا يعممون ألفاظ الشيء الذي يكثر في محيطهم، واستعمالهم، وكلامهم، والكلمة التي تُعَمَّم دلالتها لها شأن وأهمية في كلام العرب، وتتردد عند ابن دريد عبارة (ثم كثر في كلامهم) للكلمات التي تتعمَّم دلالتها، فيقول: «ورجل ضخم: كثير اللحم عظيم الجرم، وامرأة ضخمة، ضخم الرجل ضخما وضخامة، ثم كثر في كلامهم حتى جعلوا كل عظيم ضخما، فقالوا: شأنٌ ضخمٌ، وأمرٌ ضخمٌ»(٣)، والبئر له أهمية كبرى في حياة العربي في الصحراء، فهو مورد الماء الذي يشربون منه، ويسقون إبلهم، وأغنامهم، ونخيلهم، وزراعتهم، وكلهم يردون هذا المورد بكل فئاتهم من الرجال، والنساء، والأطفال، ولا يستغنون عنه بأي حال من الأحوال.

والألفاظ المتعلقة بالبئر التي حدث فيها تعميم الدلالة، هي:

(١) محمد المبارك، "فقه اللغة وخصائص العربية". (ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٦٤م)،٢٠٧.

(٢) انظر أحمد عبد الرحمن حماد، "عوامل التطور اللغوي". (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٣م)، ١٢٥.

(٣) محمد بن الحسن بن دريد، "جمهرة اللغة". تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، مادة "ضخم" ١: ٦٠٨.

بَضْ:

قال الخليل: «وبئر بَضُوضٌ: يجيء ماؤُها قليلاً قليلاً»(١).

وقال ابن دريد: «بَضَّ الماءُ يَبضُّ بَضّاً، وبُضُوضاً: إذا رَشَح من صَخْرة، أَو أَرْضٍ»(٢).

قال أبو زبيد الطائي في بَضِّ الماء:

يا عُثْمَ أدْرِكْنِي فإنّ رَكِيَّتِي صَلَدَتْ فَأَعْيَتْ أَنْ تَبِضَّ بِمائِها(٣)

وتوسع العرب في معنى (بَض)، فجعلوه للمرأة الناعمة ذات الجلد الرقيق، والرجل الذي يكون جلده رقيقًا، وممتلئًا(٤)، ويُقال للمرأة: باضَّةٌ، وبَضَّةٌ، وبضِيضَةٌ، وبَضَاضٌ، ويُقال للرجل: بَضٌّ(٥)، وقال الزمخشري في هذا المعنى: «كأن البشرة لرقتها تَبِضُّ بما وراءها»(٦).

وقال ابن الأثير: «البضَاضَةُ: رقَّةُ اللّوْنِ، وصفَاؤُه الّذِي يُؤثِّر فيه أدْنَى شيْءٍ»(٧).

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين". تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال)، مادة "بض" ٧: ١٦.

(٢) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "بض" ١: ٧١.

(٣) انظر المرجع نفسه، مادة "بضض" ١: ٧٢.

(٤) انظر: محمد بن أحمد الأزهري، "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، مادة "بض" ١١: ٣٣٠.

(٥) انظر: علي بن إسماعيل بن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، مادة "بض" ٨: ١٦٦.

(٦) جار الله محمود بن عمر الزمخشري، "أساس البلاغة". (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، مادة "بضض" ١: ٤١.

(٧) المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، "النهاية في غريب الحديث والأثر". تحقيق: طاهر أحمد

ومن أمثال العرب: (لا يَبِضُّ حَجَرهُ)، قال الميداني عن هذا المثل: «البَضْ أدنى ما يكون من السيلان يضرب للبخيل الذي لا خير فيه»(١).

وذكر ياقوت الحموي أنَّ بَضَّة من أسماء بئر زمزم(٢).

جَحَف:

قال الصاحب بن عباد: «الجحْفُ: مثْلُ الجرْفِ، اجْتحَفْنا ماءَ البئْر إلاّ جُحْفةً واحدَةً بالكفِّ، والجحَافُ: أنْ يَسْتَسْقيَ الرّجُلُ، فَيُصيْبُ الدّلْوُ فمَ البئْرِ، فتَتَخَرَّق، والجحُوْفُ: الدّلْوُ التي تَجْحَفُ بالماءِ تأخذُه»(٣).

وتطورت دلالة (جحف)، ودخلت في مجالات أخرى غير ماء البئر، فدلت على الفتيان الذين يتجاحفون الكرة بينهم بالصوالجة(٤).

كما دلت على تناول المقاتلين بعضهم بعضاً بالعصي والسيوف، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «خذوا العطاء ما كان عطاء، فإذا تجاحفت قريش على الملك، وكان عن دين أحدكم فدعوه»(٥).

وسُمِّيت الجُحْفَةُ بهذا الاسم؛ لأنَّ قومًا من أخوة عاد نزلوا (مَهْيَعَة)، وهو الاسم

الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م)، مادة "بضض" ١: ١٣٢.

(١) أحمد بن محمد الميداني، "مجمع الأمثال". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار المعرفة)، ٢: ٢٢٩.

(٢) انظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، "معجم البلدان". (بيروت: دار الفكر)، ١: ٤٤٣.

(٣) إسماعيل بن عباد، "المحيط في اللغة". تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٤م)، مادة "جحف" ٢ :٤١.

(٤) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "جحف" ٤/ ٩٦.

(٥) رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني، "العباب الزاخر". تحقيق: فير محمد حسن، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨م)، مادة "جحف" ١: ٣٧٥.

القديم للجحفة، فاجتحفهم سيل كبير، فسُمِّيت الجُحْفَة[١].

جَخَر:

قال الأزهري: «جَخَّرنَا البِئرَ: وسّعناها، وجخَر جَوفُ البِئرِ: اتّسع، وأَجخَرَ فلانٌ إذا وسّعَ رَأسَ بئره، وأَجخَر: إذا أَنبَعَ ماءً كثيراً من غير مَوضِعِ بِئرٍ»[٢].

فالمعنى الأصلي هو: اتساع البئر، واستعاره العرب للدلالة على شدة الأكل عند الإنسان[٣]؛ لأنَّ كثرة الأكل توسع البطن.

ومنه امتلاء بطن الفرس، فيزول نشاطه، وينكسر[٤]، ومنه كذلك الجَاخِرُ، وهو الوادي الواسع[٥].

والجَخَرُ هو: اتساع بطون الغنم؛ بسبب شرب الماء، قال ابن شميل: «الجَخَرُ في الغنم: أَن تشرب الماء، وليس في بطنها شيء، فَيَتَخَضْخَضَ الماءُ في بطونها، فتراها جَخِرَةً خاسِفَة»[٦].

والذي يبدو أنَّ لفظ (جخر) كان خاصًا باتساع البئر، ثم اتسع المعنى، فشمل اتساع البطن، والوادي.

جَفَرَ:

المشهور عند الناس أنَّ (الجَفْر) لذكر المعزى إذا بلغ أربعة أشهر، و(الجَفْرَة)

(١) انظر: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "جحف" ١: ٤٣٩.

(٢) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "جخر" ٧: ٢٥.

(٣) انظر: ابن عباد، "المحيط في اللغة"، مادة "جخر" ٤: ٢٠٥.

(٤) انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مادة "جخر" ٥: ٦.

(٥) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "جخر" ٧: ٢٥.

(٦) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة "جخر" ٤: ١١٩.

للأنثى[١]، وهذا صحيح، ولكنَّ الأصل هو البئر الواسعة غير المطوية[٢]، فالجَفْرُ من ولد المعزى يُسَمَّى بهذا الاسم إذا كبُر، واتسع جنباه، يقول الصاحب بن عباد: «الجَفرُ، والجَفرَةُ من أولادِ الشاءِ: ما استَجْفَرَ، أي: صار له بَطنٌ، وسعَةُ جَوفٍ»[٣].

ومن الآبار القديمة بمكة بئر الجَفْر، وهي لبني تميم بن مرة[٤].

ويُقال لمن عظم بطنه: أَجفِرَ بَطْنه، واستَجفَرَ بطنه[٥]، وقال الخليل بن أحمد في معنى (الجَفير): «الجفير شبه الكنانة إلا أنَّه أوسع يُجْعلُ فيه نُشّابٌ كثير»[٦].

والفرس إذا عظُم وسطه، وانتفخ يُقال له: فرسٌ مُجْفَرٌ[٧]، فدلالات (جَفَر) تدور حول اتساع الجنبين، أو الوسط، وأصلها من البئر الواسعة التي لم تطو.

جَمَّ:

قال الأزهري: «جمّت البئرُ، فهي تَجُمُّ جُمُومًا إذا كثرَ ماؤها، واجْتَمَعَ، ويقال: جئْتُها، وقد اجْتَمَعَتْ جُمَّتُها، وجَمُّها، أي: ما جمَّ، وارتفع»[٨].

والجمَّةُ هي: «بئْر واسعَةٌ كثيرةُ الماء»[٩]، وفسَّر الراغب الأصفهاني معنى (جَمًّا) في

(١) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "جفر" ١١: ٣٤.

(٢) انظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "جفر" ١، ٤٦٦.

(٣) ابن عباد، "المحيط في اللغة"، مادة "جفر" ٧: ٩١.

(٤) انظر: محمد بن موسى الهمداني، "الأماكن ما اتفق لفظه واختلف مسماه". تحقيق: حمد الجاسر، (الرياض: دار اليمامة، ١٤١٨هـ)، ٣٦٧.

(٥) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "جفر" ١١: ٣٤.

(٦) الفراهيدي، "العين"، مادة "جفر" ٦: ١١١.

(٧) انظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "جفر" ١: ٤٦٦.

(٨) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "جم" ١٠: ٢٧٥.

(٩) ابن عباد، "المحيط في اللغة"، مادة "جم" ٦: ٤١٩.

قوله تعالى: (وتُحِبُّونَ المالَ حبّاً جمّاً) بالكثير، وهو من جَمَّة الماء، أي: مجتمع الماء[١].

والبئر إذا كانت كثيرة الماء يُقال لها: الجُمُوم، ومنه قول الراجز:

فصبَّحَتْ قلَيْذَماً هُمُومَا

يزِيدُهَا مَخجُ الدّلاَ جُمُوما[٢]

ثم تطور معنى (الجَمْ)، فأصبح يدل على الكثير من كل شيء[٣]، ومنه قول أنس رضي الله عنه: (تُوفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، والوحيُ أجمُّ ما كان لم يفْتُرْ عنه) أي: أكثر ما كان[٤].

وقال الراجز:

إنْ تغْفِرِ اللّهُمَّ تغْفِرْ جمَّا

وأَيُّ عبْدٍ لكَ لا ألَمَّا[٥]

وكأنَّ لفظ (الجَمْ) صار مرادفًا للفظ (كثير)، قال الأزهري: «ويقال: جاء فلانٌ في جُمّةٍ عظيمةٍ، أي: في جماعةٍ يَسألون في جمَالَةٍ، ومالٌ جمٌّ، أي: كثيرٌ»[٦].

ويُقال: جَمَّ الفرسُ إذا تجمَّع ماؤه؛ بسبب تركه للضراب[٧].

والشاة التي لا قرن لها يُقال لها: الجَمَّاء، وذكرها يُقال له: الأجَم[٨]، وأرى أنَّ

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، مادة "جم" ١: ٩٦.

(٢) انظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "جم" ١: ٤٢٠.

(٣) انظر: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "جم" ١: ٩٢.

(٤) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "جم" ١٠: ٢٧٧.

(٥) البيت نسبه ابن منظور إلى أمية بن أبي الصلت، انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادة "لم"١٢: ٥٥٠.

(٦) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "جم" ١٠: ٢٧٥.

(٧) انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادة "جم" ١٢: ١٠٦.

(٨) انظر: الفراهيدي، "العين"، مادة "جم" ٦: ٢٧، ٢٨.

سبب هذه التسمية كثرة شعر الرأس في الغنم التي لا قرن لها.

فلفظ (الجَم) كان في الأصل يدل على كثرة ماء البئر، ثم تطور المعنى، فأصبح يدل على الكثير من كل شيء.

دَلْو:

قال أبو منصور الأزهري: «الدَّلْوُ: معروفة، وقد أدْلَيْتُها، أي: أرسلتها في البئر؛ لأستقِيَ بها»(١)، وجمع الكثرة للدلو: الدِّلاء، والدِّلِيّ، وجمع القلة: أَدْلٍ(٢).

وتوسع العرب في لفظ (الدلو)، فأطلقوه على الداهية، ويُقال: (جاءَ فلانٌ بالدّلْو) أي: بالداهية، ومنه قول الراجز:

يَحْمِلْنَ عَنْقاءَ وعَنْقَفِيرا

والدَّلْوَ والدَّيْلَم والزَّفِيرا(٣)

واستعار العرب من لفظ (الدلو) معنى التوصل إلى الشيء(٤)، ومنه قول الشاعر:

وما طلب المعيشة بالتمني ولَكِنْ أَلْقِ دلْوَكَ في الدِّلاءِ(٥)

ومن أمثال العرب في الحث على كسب المال، وطلب الرزق قولهم: (أَلْقِ دلْوَكَ في الدِّلاءِ)(٦).

(١) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "دلا" ١٤: ١٢١.

(٢) انظر: ابن عباد، "المحيط في اللغة"، مادة "دلو" ٩: ٣٥٣.

(٣) انظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "دلى" ٢: ٢٩٣.

(٤) انظر: الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، مادة "دلو" ١: ١٧١.

(٥) البيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه موجود بديوانه، انظر: علي بن أبي طالب، "ديوان علي بن أبي طالب". تحقيق: يوسف فرحات، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م)،٩.

(٦) انظر: القاسم بن سلام الهروي، "الأمثال". تحقيق: عبد المجيد قطامش، (بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، ١٩٩.

فالدلو يأتي بالمادة التي لا يستغني عنها البشر، وهي الماء، وكذلك المال يحتاج إليه البشر في حياتهم كحاجتهم إلى الماء.

ومن المعاني التي جاء بها العرب من لفظ (الدلو) قولهم: «أدلى فلان بحجته، أي: احتجَّ بها»[١].

ومثله قول الصاحب بن عباد: «ودَلَوتُ حاجتي أدْلوْها، أي: طَلَبْتها بالشّفَعاءِ كما يجَرُّ الدَّلوُ»[٢].

وسمَّى العرب أحد بروج السماء بالدلو؛ لأنَّه يشبه آلة الدلو المعروفة[٣]، وبرج الدلو فيه شدة البرد[٤].

والعرب ميزوا بروج السماء من بعض بإضافة البرج إلى ما يشبهه في الشكل، فقالوا: برج السنبلة، وبرج الدلو، وبرج الثور[٥].

ومن المعاني المشتقة من دلو البئر ما جاء في قوله تعالى: (وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ)[٦]، قال الثعلبي: «أي: تلقون أمور تلك الأموال بينكم، وبين أربابها إلى الحكام، وأصل الإدلاء إرسال الدلو، وإلقاؤه في البئر، يقال أدلى دلوه إذا أرسله قال الله تعالى: (فأَدْلَى دلْوَهُ)[٧]، ودلاها إذا أخرجها، ثمّ جعل كل إلقاء

(١) الفراهيدي، "العين"، مادة "دلو" ٨: ٦٩.

(٢) ابن عباد، "المحيط في اللغة"، مادة "دلو" ٩: ٣٥٣.

(٣) انظر: ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "دلو" ٩: ٤٢٦.

(٤) انظر: عبد الله بن أسعد اليافعي، "مرآة الجنان وعبرة اليقظان". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ٣: ٢٧٣.

(٥) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، "تفسير التحرير والتنوير". (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ٣٠: ٢٣٨.

(٦) البقرة: ١٨٨.

(٧) يوسف: ١٩

قول أو فعل إدلاء، ومنه قيل للمحتج بدعواه: أدلى بحجته إذا كانت سبباً له يتعلق به في خصومته كتعلق المسقي بدلو قد أرسلها هو سبب وصوله إلى الماء»[١].

ومنه أيضًا ما نقله ثابت عن الفراء: «الدّلْوُ: السّيْرُ الرُّوَيْدُ، دلَوْتُها أدْلُوها دلُواً»[٢]، وهو يقصد: دلوتُ الإبل، ومنه قول الشاعر:

لا تعْجَلا بالسّيْرِ وادلُواها
لبئْسَما بُطءٌ ولا نرْعاها[٣]

وتولد هذا المعنى من الدلو؛ لأنَّ إخراج الدلو من البئر يكون برفق، وتأنٍ، ولهذا وصفوا الرجل الذي يسرع في إخراج الدلو من البئر بقولهم: (ألُوب)[٤].

رَجا:

الرَّجَا: ناحية كل شيء[٥]، وأصله كما قال الجوهري: «ناحية البئر وحافتاها، وكل ناحية رجا»[٦]، وذكر ابن فارس أنَّ (الرَّجَا) خاص بناحية البئر، ويُثنى الرجا على: (رَجَوان)[٧]، والجمع أرجاء[٨]، ومنه قوله الله تعالى: (وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا)[٩]، وقال الشاعر:

(١) الثعلبي، "تفسير الثعلبي"، ٢: ٨٤.
(٢) ثابت بن أبي ثابت، "الفرق". تحقيق: حاتم صالح الضامن، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، ١٠١.
(٣) انظر: السابق ١٠١.
(٤) انظر: ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "ألب" ١٠: ٤٠٨.
(٥) انظر: الفراهيدي، " العين"، مادة "رجو" ٦: ١٧٦.
(٦) الجوهري، "الصحاح"، مادة "رجا" ٦: ٢٣٥٣.
(٧) انظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "رجى" ٢: ٤٩٥.
(٨) انظر: ابن فارس، "لسان العرب"، مادة "رجا" ١٤: ٣٠٩.
(٩) الحاقة: ١٧.

فلا يُرْمَى بِيَ الرَجَوانِ أَنِّيَ أَقَلُّ القَوْمِ مَنْ يُغْنِي مَكانِي[١]

وأوضح أبو منصور الجواليقي معنى البيت بقوله: «ليس مثلي من يطرح، وتقطع الأمور دونه، فقل من يقوم مقامي، ويغني غنائي، ويسد مسدي»[٢].

ومن أمثال العرب: لا يُرْمَى به الرَجَوانِ، ومعناه: «لا يُخْدع، فيزال عن وجه إلى وجه، وأصله: الدلو يُرمى بها رجوا البئر»[٣].

زَبَر:

قال الخليل: «الزّبْر: طيُّ البئْر، تقول: زبَرْتُها، أي: طوَيتُها»[٤]، وطي البئر يكون بالحجارة[٥].

والحجارة التي تستعمل لطيِّ البئر تُسمَّى زَبْرًا[٦].

ومن المعاني المشتقة من هذا الأصل ما جاء في مسند الإمام أحمد، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وأَهْلُ النّارِ خَمْسَةٌ)، وذكر منهم: (الضّعِيفُ الذي لاَ زبْرَ له)[٧]، فذكر ابن قتيبة أنَّه: الرجل ضعيف العقل الذي لا رأي له[٨]، وذهب ابن دريد إلى أنَّه

(١) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "رجى" ٢: ٤٩٥.

(٢) موهوب بن أحمد الجواليقي، "شرح أدب الكاتب". تحقيق: طيبة حمد بودي، (الكويت: كلية الآداب – جامعة الكويت، ١٩٩٥م)،٢١٢.

(٣) الزمخشري، "أساس البلاغة"، مادة "رجو" ١: ٢٢٣.

(٤) الفراهيدي، "العين"، مادة "زبر" ٧: ٣٦٢.

(٥) انظر: ابن دريد "جمهرة اللغة"، مادة "زبر" ١: ٣٠٨.

(٦) انظر: ابن سيده، "المخصص" ١: ٢٧١.

(٧) انظر: أحمد بن حنبل الشيباني، "مسند الإمام أحمد بن حنبل". (مصر: مؤسسة قرطبة)، رقم الحديث: ١٧٥١٩، ٤: ١٦٢.

(٨) انظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، "غريب الحديث". تحقيق: عبد الله الجبوري، (بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ)، ١: ٣٠٥.

الذي ليس له ما يعتمد عليه من مال، ونحوه[١].

وقال الأزهري عن أصل قوله صلى الله عليه وسلم: (لا زبر له): «وأصلُ الزَّبر طيُّ البئر إذا طوِيت تماسكتْ واستحكمتْ»[٢].

وإذا لم يكن عند الإنسان مال، أو عقل، فهو كالبئر غير المطوية التي لا تتماسك، ولا تثبت، ويسهل هدمها، ودفنها.

وذكر ابن سيده معنى قول العرب للرجل: ليس له زبر، أي: «ليس له رأْي يمْسِكه كما تمْسِك الحجارةُ البئْر عن الانْهيار، والسّقوط»[٣].

ويُقال للرجل الصلب الشديد: زَبْرٌ، وقال ابن دريد: «وأحسبه أيضا من زبر البئر، وهو أن تطويها بالحجارة»[٤].

وقال ابن سيده: «واسْتَعَارَ ابنُ أَحمرَ الزَّبْرَ للرِّيح، فقال:

وَلَهَتْ عَلَيهِ كُلُّ مُعْصِفَةٍ هَوْجاءَ لَيْس لِلُبِّها زَبْرُ»[٥]

والزَّبِير والزَّوْبَرُ من أسماء الداهية[٦]، قال الزبيدي: «والدّاهِيَة من الدّهاءِ، وهو العقْل»[٧].

قال أبو هلال العسكري: «وأصل الكلمة الفخامة، والغلظ، ومنه سميت القطعة من الحديد زُبْرَة، والشعر المجتمع على كتف الأسد زُبْرَة، وزَبْرتُ البئرَ إذا طويتها

(١) انظر: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "زبر" ١: ٣٠٨.
(٢) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "زبر" ١٣: ١٣٥.
(٣) ابن سيده، "المخصص" ،١: ٢٧١.
(٤) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "زبر" ١: ٥٦.
(٥) ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "زبر" ٩: ٣٣.
(٦) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "زبر" ١٣: ١٣٦.
(٧) الزبيدي، "تاج العروس"، مادة "أحد" ٧: ٣٧٨.

بالحجارة، وذلك لغلظ الحجارة، وإنما قيل للكتابة في الحجر زَبَر؛ لأنها كتابة غليظة ليس كما يكتب في الرقوق، والكواغد»(١).

ومن الأسماء المشهورة عند العرب: الزُّبير، كالزبير بن عبد المطلب، وهو من فرسانهم، وشعرائهم، قال ابن دريد: «واشتقاق الزّبير من الزَّبر، وأصل الزّبر طيُّ البئر بالحجارة زبَرت البئرَ أزْبرها زبراً إذا طويتها بالحجارة»(٢).

وهناك جمع من الصحابة عُرفوا باسم الزُّبير، كالزبير بن العوام، والزبير بن عبيدة، والزبير بن أبي هالة، والزبير بن عبد الله(٣).

سَعْبَر:

ذكر الخليل أنَّ السَّعْبَرة هي: البئر ذات الماء الكثير(٤).

والأصل هو كثرة الماء في البئر، وتوسع المعنى، فدلَّ على كثرة النبيذ، قال الأزهري: «ومرّ الفرزدق بصديق له فقال: ما تشتهي يا أبا فِراس؟ فقال: شواءً رَشْراشًا، ونبيذًا سعْبَرًا، وغناءً يفتق السمع»(٥).

كما يقال للسعر الرخيص: سَعْبَرٌ، وذلك قول ابن سيده: «وخرج العجاج يريد اليمامة، فاستقبله جرير بن عطيّة الخَطَفَى، فقال له: أَين تريد؟ قال أُريد اليمامة، قال

(١) الحسن بن عبد الله العسكري، "الفروق اللغوية". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)،٣٢١.

(٢) محمد بن الحسن بن دريد، "الاشتقاق". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي)،٤٧.

(٣) انظر: الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، مادة "زبر" ١: ٥١٠.

(٤) انظر: الفراهيدي، "العين"، مادة "سعبر" ٢: ٣٣٢.

(٥) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "سعبر" ٣: ٢١٩.

تجد بها نبيذًا خِضْرِمًا، وسِعْرًا سَعْبَرًا»[١].

ولعلَّ الباعث على قول العرب للسعر الرخيص: سَعْبر هو أنَّ الشيء إذا كثر رخص ثمنه، فلفظ (سعبر) يدل على الكثرة.

سَمَل:

قال الكسائي: «سَمَلْتُ بين القوم، وسَمَمْتُ إذا أصلحت بينهم»[٢]، قال الكميت:

وتَنْأَى قُعُورُهُمُ في الأُمُور على مَنْ يَسُمُّ ومن يَسْمُلُ[٣]

ويرى ابن فارس أنَّ الإسمال بمعنى الإصلاح بين الناس أصله من: (سَمَلْتُ البئرَ) أي: نقيتُها، فكأنَّه نقى ما بينهم من الخصومة[٤]، ومنه السامل وهو من يسعى في إصلاح معاشه[٥].

شأو:

قال ابن دريد: «والشَّأْوُ: ما يخرج من تراب البئر إذا نقيت أخرجت منها شأوا، أو شأوين»[٦].

وقال الحربي: «والشَّأْو: ما أخرج من البئر، يُقال: أخرج شَأْوًا أو شَأْوَين يعنى

(١) ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "سعبر" ٢: ٤٤٩.

(٢) أحمد بن محمد الخطابي، "غريب الحديث". تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ)، ١: ٥٦٥.

(٣) السابق ١: ٥٦٥، والبيت للكميت موجود في ديوانه، انظر: الكميت بن زيد الأسدي، "ديوان الكميت". تحقيق: محمد نبيل طريفي، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م)، ٣٠١.

(٤) انظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "سمل" ٣: ١٠٣.

(٥) انظر: الجوهري، "الصحاح"، ماد "سمل" ٥: ١٧٣٢.

(٦) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "شأو" ١: ٢٤١.

ملء الزَّبيل، والمِشْآةُ: الزبيل»[١].

ومن معاني الشَّأْو: الغاية، وإذا سبقت القوم تقول: (شَأْوتُ القَوْمَ)[٢].

قال الشمَّاخ يصف فرسه وأتانه:

فإنْ يلقيا شَأواً بأَرضٍ هوَى لهُ مُفرَّضُ أَطرَافِ الذِّرَاعَين أَفلَجُ[٣]

قال ابن قتيبة في تفسير البيت: «الشَّأْو هاهنا روثهما، أصله مقدار زبّيل من تراب يخرج من البئر، ويُقال للزبيل الذي يخرج به التراب المشآة، شبه روثهما في اجتماعه بذلك»[٤].

طَم:

قال الأزهري: «الطّمّ: طمُّ البئرِ بالتّراب، وهو الكبْس»[٥]، ثمَّ استعمل العرب الطَّم في معان أخرى غير كبس البئر بالتراب، ومن ذلك: تسمية البحر بالطَّمْ، ومنه قولهم: (طَمَّ الأمرُ) إذا غلب، ويُقال للرجل الذي لا يفصح: (الطِّمْطِم) فكأنَّه طَمَّ كالبئر[٦].

والطَّامة هي: «الصّيْحة الّتي تَطمُّ على كلّ شيء»[٧]، وذكر أبو البقاء الكفوي

(١) إبراهيم بن إسحاق الحربي، "غريب الحديث". تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ)، ٢: ٦٢٧.

(٢) انظر: الفراهيدي، "العين"، مادة "شأو" ٦: ٢٩٧.

(٣) البيت للشماخ، انظر: عبد الله بن مسلم الدينوري، "المعاني الكبير"، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي اليماني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م)،٦٢٨.

(٤) ابن قتيبة، "المعاني الكبير" ٦٢٨.

(٥) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "طم" ١٣: ٢٠٩.

(٦) انظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "طم" ٣: ٤٠٦.

(٧) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "طم" ١٣: ٢٠٩.

دلالة (طَم)، فقال: «كل شيء كثر حتى علا، وغلب، فقد طم»[١].

ويقول العوام: (انْطَمْ) بمعنى: اسكت، وكأنَّه من إغلاق الفم كما يغلق التراب البئر، فينقطع الكلام.

فالدلالة الأصلية لـ(طَمْ) هي كبس البئر بالتراب، حتى يعلوها، ويسويها بالأرض.

قرح:

قال ابن سيده: «قَرِيحَةُ الشباب أوله، وقيل قَرِيحَةُ كل شيء أوله»[٢]، وطبع الإنسان الذي جُبِل عليه، وهو أول خلقته يُسَمَّى: قريحة[٣].

ولفظ القَرِيحَةِ في الأصل يدل على أول ماء يخرج من البئر بعد حفرها، واستعار العرب هذا اللفظ للدلالة على حسن استنباط العلم، فيقال: (لفلان قَرِيحَةٌ جيدةٌ) أي: أنَّه مستنبط للعلوم[٤]، وقال ابن هرمة:

فإنّك كالقَرِيحَةِ حين تُمهَى شروبُ المِاءِ ثم تعُودُ مَأجَا[٥]

وأمَّا القُرَاح فهو: الخالص من كل شيء الذي لا يخالطه شيء غيره، ومن ذلك: ماء قُراح، ويُقال للأرض التي لا شجر فيها: أرض قراح[٦].

فأصل القَرِيحَةِ لأول ماء يخرج من البئر عند حفرها، ثم توسع العرب في دلالتها،

(١) أيوب بن موسى الكفوي، "الكليات". تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م)، ٥٨١.

(٢) ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "قرح" ٢: ٥٧٧.

(٣) انظر: الزبيدي، "تاج العروس"، مادة "قرح" ٧: ٥١.

(٤) انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادة "قرح" ٢: ٥٥٨، وانظر: محمد عبد الرؤوف المناوي، "التعاريف"، تحقيق: محمد رضوان الداية، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ)، ٥٨١.

(٥) البيت نسبه الأزهري إلى ابن هرمة، انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "مهي" ٦: ٢٤٩.

(٦) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "قرح" ٤: ٢٨.

وصارت تدل على استنباط الإنسان للعلم.

قوم:

قال الأزهري: «والقامة عند العرب: البكْرة التي يُسْتقى بها الماء من البئر»(١).

وذكر الجوهري أنَّ القامة هي: البَكْرَة بأداتها، واستشهد بقول الشاعر:

لما رأَيتُ أنَّها لا قامَهْ

وأَنَّني مُوفٍ على السّآمَهْ

نزَعْتُ نزْعًا زعْزَعَ الدّعَامَهْ(٢)

وتطور معنى (القامة)، فدلَّ على جماعة الناس، وقامة الإنسان، ويُقال: فلان حسنُ القامةِ(٣)، وأصل ذلك كله من قامة البئر.

وذكر ياقوت الحموي بأنَّ القامة اسم جبل بنجد(٤)، ولم أجد في المصادر القديمة وصفًا، أو ذكرًا لهذا الجبل الذي ذكره الحموي، حتى نكتشف سبب تسميته بهذا الاسم.

كدي:

قال الخليل: «والكُدْيَةُ صلابة في الأرض، وأكْدَى الحافر أي بلغ الصُّلْبُ من الأرض»(٥).

وتوسعوا في دلالة (أكدى)، فقالوا لمن قل عطاؤه: (أكْدَى) قال المبرد: «يُقال: أَكْدَى، إذا أقلَّ، وأصل ذلك في البئر تُحْفَرُ، فإذا بلغ منها إلى حَجَرٍ، أو كدن استصعب

(١) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "قوم" ٩: ٢٦٦.

(٢) انظر: الجوهري، "الصحاح"، مادة "قوم" ٥: ٢٠١٨.

(٣) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "قوم" ٩: ٢٦٦.

(٤) انظر: الحموي، "معجم البلدان" ٤: ٣٠٠.

(٥) الفراهيدي، "العين"، مادة "كدي" ٥: ٣٩٦.

على الحافر»[١].

وفي قوله تعالى: (أَعْطَى قَلِيلاً وأَكْدَى)[٢] قال الزجاج: «معنى أَكْدَى: أمْسَكَ من العطيّة، وقطع، وأصْلُه من الحفْرِ في البئر»[٣].

وذكر ابن دريد أنَّ العرب يقولون للرجل الذي لم يُوفق لمطلوبه: أَكْدَى، ويقولون: (وأكدى المِعْدِنُ) إذا لم يُخرج شيئًا، ولم يتكون به جوهر[٤].

وقالت العرب: (أَكْدَى النّبْتُ) إذا قصُر من البرْدِ، وإذا أجدب العامُ قالوا: أَكْدَى[٥].

لجَف:

قال الزمخشري: «لجَفْت البئر: حفرت في جوانبها، وفي البئر لَجَفٌ، وهو ما حفر في جانب منها، أو أكله الماء حتى صار كالكهف، وبئر ذات لجف، وألجاف، وقد تلَجَّفَتِ البئر، ولجَّفَها مَخضُ الدّلاءِ»[٦].

واستعار العرب ذلك في الجرح، فقال:

يحُجُّ مأمومةً في قعْرها لجَفٌ فاستُ الطَّبيبِ قذَاها كالمغَاريد[٧]

واللَّجَف يُطلق أيضًا على الحجر البارز داخل البئر الذي يقطع الدِّلاء إذا تعلقت

(١) محمد بن يزيد المبرد، "التعازي والمراثي"، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ٦٥.

(٢) النجم: ٣٤.

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، مادة "كدا" ١٠: ١٧٧.

(٤) انظر: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "كدا" ٢: ١٠٦٠.

(٥) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "كدا" ١٠: ١٧٧.

(٦) الزمخشري، "أساس البلاغة"، مادة "لجف" ١: ٥٥٩.

(٧) انظر: ابن سيده، "المخصص" ٥: ٤٣.

به، قال الشاعر:

الدَّلْوُ دَلْوِي إِنْ نَجَتْ من اللَّجَفْ

وإِن نجا صاحبُها من اللَّفَفْ[١]

وتوسع العرب في استعمال لفظ (لجف)، فجعلوه للمكيال الواسع، فقالوا: (لَجَفَ القومُ مكيالَهم) إذا وسعوه من أسفله[٢].

ومن المعاني المتطورة عن (لجف) قولهم: (اللَّجيف) وهي سهام عريضة النصل[٣]، وهو معنى مأخوذ من البئر ذات اللَّجَف، وهي الواسعة من الأسفل.

ومن خيل النبي صلى الله عليه وسلم فرس يُقال له: (اللَّجيف) قال ابن الأثير في سبب التسمية: «هو من السرعة لأن اللجيف سهم عريض النصل»[٤].

وقال أبو سليمان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «أنَّه ذكر الدجال، وفتنته، ثم خرج لحاجته، فانتحب القوم، حتى ارتفعت أصواتهم، فأخَذ بِلجَبَتَيِ البابِ، فقال: مهْيَمْ»[٥].

وذكر الخطابي أنَّ المروي في الحديث: (بلجبتي الباب)، والصواب بالفاء: (بلجفتي الباب)، ثم قال: «والذي أريد به في الحديث إنما هو العضادتان دون الأسكفة، ودون ما يجعل فوق الباب من الخشب»[٦].

(١) انظر: الخطابي، "غريب الحديث" ١: ٥٥٢.

(٢) انظر: محمد بن يزيد المبرد، "الكامل في اللغة والأدب"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٣، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م)، ١: ٩٤.

(٣) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "لجف" ١١: ٥٩.

(٤) ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، مادة "لجف" ٤: ٢٣٤.

(٥) ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، مادة "لجب" ٤: ٢٣٣.

(٦) الخطابي، "غريب الحديث" ١: ٥٥١.

وبسبب اتساع عضادتي الباب، وعرضها شبهوها بالبئر المتلَجِّفَةُ.

مِيح:

قال الخليل: «المَيْحُ في الاستقاء: أَن ينزل الرجلُ إِلى قرار البئر إِذا قل ماؤها، فيملأ الدلو بيده يَمِيحُ فيها بيده، ويَمِيحُ أَصحابه، والجمع ماحة»(١).

وورد في الحديث: «أنهم وردوا بئراً ذمَةً، أي: قليلاً ماؤها، قال ونزلنا فيها ستّةً ماحَةً»(٢).

ومنه قول الشاعر:

يا أيُّها المائِحُ دَلوِي دُونَكَا

إني رأيتُ النّاسَ يَحمَدُونَكا(٣)

فأصل الميح للاستقاء من البئر، ثم عُمِّم المعنى، فصار يدل على كل منفعة، قال الخليل: «وكلُّ من أَعْطى معروفاً، فقد ماحَ»(٤).

قال الجوهري: «ومِحْتُ الرجلَ: أَعطيته، واسْتَمَحْتُه: سأَلته العطاء، ومِحْتُه عند السلطان: شَفَعْتُ له، واسْتَمَحْتُه: سأَلته أَن يشفع لي عنده»(٥).

(١) الفراهيدي، "العين"، مادة "ميح" ٣: ٣١٥.

(٢) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "ميح" ٥: ١٨٠، والحديث موجود في ابن سلام، "غريب الحديث"١: ٤٢.

(٣) انظر: ابن سلام، "غريب الحديث"، مادة "ميح" ١: ٤٣.

(٤) الفراهيدي، "العين"، مادة "ميح" ٣: ٣١٥.

(٥) الجوهري، "الصحاح"، مادة "ميح" ١: ٤٠٨.

ويُقال للسائل، أو الآخذ: مُمْتَاحٌ، ومُسْتمِيحٌ[١]، ويُقال للمسؤول: مُسْتَمَاحٌ[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها في صفة أبيها: «وامْتَاحَ منَ الْمهْوَاةِ» أي: استقى من البئر العميقة، وامتاح على وزن (افتعل) من الميح، وهو العطاء، وهي تريد: أنَّه تحمَّل ما لم يتحمله غيره[٣].

نبث:

ذكر الخليل أنَّ النَّبِيثةِ هي التراب الذي يخرجه الحافر من البئر[٤]، وجمع النَّبِيثةِ: نَبَائِث، والنَابِث هو حافر البئر[٥].

وقال الأزهري: «يُقال: ما رأيتُ له عيناً، ولا نَبثاً، كقولك: ما رأيتُ له عيناً، ولا أثراً؛ وقال الراجز:

فلا ترى عيناً ولا أَنباثاً

إلا معَاث الذِّئب حين عاثا»[٦].

واتسعت دلالة (نبث)، فلم تعد مقتصرة على إخراج التراب من البئر، بل صارت تدل على معان أخرى كإظهار الشر، أو استخراج أمور الناس، وذكر أبو علي القالي في قول العرب: (خَبِيْثٌ نَبِيْثٌ) أنَّ النَّبِيْثَ يمكن أن يكون الذي يُظهر شره، أو يكون الذي يستخرج أمور الناس، وهو مأخوذ من قولهم: (نَبَثْتُ البِئْرَ أنْبُثُها) إذا أخرجت

(١) انظر: ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، مادة "ميح" ٤: ٣٧٩.

(٢) انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادة "ميح" ٢: ٦٠٩.

(٣) انظر: ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، مادة "هوا" ٥: ٢٨٤.

(٤) انظر: الفراهيدي، "العين"، مادة "نبث" ٨: ٢٣٠.

(٥) انظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "نبث" ٥: ٣٧٩.

(٦) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "نبث" ١٥: ٧٦.

ترابها، والقياس أن يُقال: خَبيْثٌ نابثٌ[١].

ومن مظاهر اتساع دلالة (نبث) ما قاله ابن عباد: «نَبَثوا عن الأمرِ: بَحَثوا عنه، وأبدى نَبيْثَةَ القَومِ، أي: سرَّهم، وانتَبَثَ السَّويْقُ في الماءِ: ربَا»[٢].

ومن لعب الصبيان الأُنْبُوثَةُ، وهي: «لُعْبَةٌ يَلْعَبُ بها الصِّبْيانُ يَحْفِرونَ حَفِيرًا، ويَدْفِنُونَ فيه شيْئًا، فمَن اسْتَخْرَجَه، فقد غَلَبَ»[٣].

وتقول العرب: (نَبَثَت الضَّبُعُ التُّرابَ بقَوائِمها في مَشْيِها) أي: استثارته[٤].

نَبَط:

قال الخليل: «النّبَطُ: الماء الذي يَنبُطُ من قعر البئر إذا حفرت؛ وقد نبَط ماؤها يَنبِط نَبطاً، ونبوطاً، وأنبطنا الماء، أي: استنبطناه، وانتهينا إليه»[٥].

وذكر ابن قتيبة أنَّ سبب تسمية النبط بهذا الاسم هو استخراجهم المياه من باطن الأرض[٦].

واتسعت دلالة (نبط)، فشملت ميادين العلم، والفكر، وفي ذلك يقول ابن دريد: «وكلُّ شيءٍ أظْهَرْتَهُ بعْدَ خفائهِ فقَدْ أنْبَطْتُه واسْتنْبَطْتَهُ، واستنبطت من فلان علمًا، أو

(١) انظر: إسماعيل بن القاسم القالي، "الأمالي في لغة العرب". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م)، ٢: ٢١٣.

(٢) ابن عباد، "المحيط في اللغة"، مادة "نبث" ١٠: ١٥٦.

(٣) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "نبث" ١: ٢٦٢.

(٤) انظر: ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "نبث" ١٠: ١٦٧.

(٥) الفراهيدي، "العين"، مادة "نبط" ٧: ٤٣٩.

(٦) انظر: ابن قتيبة، "غريب الحديث" ٣: ٧٠٥.

خبرًا، أو مالًا إذا استخرجته منه»[١].

وعبَّر عن ذلك الخطابي بقوله: «ثم قيل في كل ما يستخرجه الإنسان من مكنون سر، أو غامض علم قد استنبطه»[٢].

ومن أمثال العرب: (لَتَجِدَنَّ نَبَطَهُ قَرِيبًا)، ويقول الميداني في تفسيره: «النبط الماء الظاهر من الأرض يضرب لمن يؤخذ ما عنده سهلا عفوا»[٣].

نزف:

قال الراغب الأصفهاني: «نَزْفُ الماءِ نزحُهُ كله من البئر شيئًا بعد شيء، وبئرٌ نَزوفٌ نُزِفَ ماؤه، والنُّزْفةُ الغُرْفة، والجمع النُّزَفُ»[٤].

والمِنْزَفَة هي: «دلو تُشَدّ في رأس عود طويل، ويُنصب عُود، ويُعرض ذلك العود الذي في طرفه الدّلو على العود المنصوب، ويُستقى به الماء»[٥].

وورد في الحديث: (زَمْزمُ لا تُنْزَف ولا تُذَمُّ)، أي: «لا يفنى ماؤها على كثرة الاستقاء»[٦].

وتوسع العرب في معنى النَّزْف، فقالوا: (نَزَفَهُ الدمُ) إذا خرج منه الكثير من الدم، حتى يضعف[٧].

(١) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "نبط" ١: ٣٦٢.
(٢) الخطابي، "غريب اللغة" ١: ٥٢١.
(٣) الميداني، "مجمع الأمثال" ٢: ١٨٦.
(٤) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، مادة "نزف" ١: ٤٨٨.
(٥) ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "نزف" ٢: ٨٢١.
(٦) ابن الأثير، "النهاية في غريب الأثر"، مادة "نزف" ٥: ٤١.
(٧) انظر: الجوهري، "الصحاح"، مادة "نزف" ٤: ١٤٣١.

وتقول العرب: (أَنْزَفَ القَوْمُ)، وهو يدل على معان مختلفة، ومنها: ذهاب أموالهم[١]، أو انقطاع شرابهم[٢]، أو ذهاب عقولهم من السكر[٣].

ومثله: (أَنْزَفَ الرَّجُلُ)، ومعناه: «انْقَطَعَ كلامُه، أو ذَهَبَ عَقْلُه، أو ذَهَبَتْ حُجَّتُه في خُصومَةٍ، أو غَيْرِها»[٤].

وقال الصغاني «أنزَفَ الرجل العَبرة: أفناها بكاء»[٥]، قال العجّاج: وصرَّحَ ابنُ مَعمَرٍ لمنْ دمَرْ

وأنزَفَ العَبرَةَ منْ لاقى العبَرْ[٦]

ويُقال للسكران: النَّزيف، أي: نُزِف عقله[٧]، ومنه قول امرئ القيس:

وإذْ هي تمْشِي كمشْيِ النّزِيْ فِ يصْرَعُهُ بالكثِيْبِ البُهُرْ[٨]

وامرؤ القيس في هذا البيت شبه مشي المرأة بمشي السكران الذي ذهب عقله،

(١) انظر: ابن سيده، "المخصص" ٣: ٤٥١.

(٢) انظر: الجوهري، "الصحاح"، مادة "نزف" ٤: ١٤٣١.

(٣) انظر: محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ)، ٢٣: ٥٥.

(٤) ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "نزف" ٩: ٦١.

(٥) الصغاني، "العباب الزاخر"، مادة "نزف" ٢: ٢٠.

(٦) البيت للعجاج موجود في ديوانه، انظر: العجاج بن رؤبة، "ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه". تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، (دمشق: مكتبة أطلس، ١٩٧١م)، ١١.

(٧) انظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة "نزف" ٥: ٤١٦.

(٨) البيت لامرئ القيس في ديوانه، انظر: "ديوان امرئ القيس". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٥، القاهرة: دار المعارف)، ١٥٦.

أو بالذي ذهب دمه، فلا يقدر أن يسرع في المشي[١].

وتصف الرجل بالنزيف، أو المنزوف إذا يبست منه العروق، وجف منه اللسان بسبب العطش، ومنه قول الشاعر:

فَلَثَمتُ فاها آخذاً بِقرونِها شُربَ النّزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشرَجِ[٢]

فالنَّزْف في الأصل لنزح الماء كله من البئر، ثم عُمِّم المعنى، فأصبح يدل على خروج الدم من البدن، ونزول الدمع من العين، والسكران الذي فقد عقله، وغيرها من المعاني.

نكش:

قال ابن دريد: «ونَكَشْتُ الرَّكِيَّة أنكُشها نَكْشاً، إذا أخرجتَ ما فيها من الحَمأة والطين»[٣].

وقال الجوهري: «ونَكَشْتُ البئر أَنْكِشُها بالكسر، أَي: نَزفْتها»[٤].

وعمَّموا هذا المعنى بعد أنْ كان خاصًا بالبئر، فصار يشمل كل شيء أتيت عليه، وفرغت منه[٥]، ومثَّل الأزهري لذلك بقوله: «تقولُ: انتهوا إلى عُشبٍ، فنكَشُوهُ، أي: أتَوْا عليه»[٦].

(١) انظر: ديوان امرئ القيس ص١٥٦.

(٢) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "نزف" ١٣: ١٥٤، والبيت لعمر بن أبي ربيعة موجود في ديوانه، انظر: عمر بن أبي ربيعة، "ديوان عمر بن أبي ربيعة". تحقيق: محمد العناني، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩١١م)،١٠٢.

(٣) جمهرة اللغة، مادة (شكن) ٢/ ٨٧٨.

(٤) الجوهري، "الصحاح"، مادة "نكش" ٣: ١٠٢٣.

(٥) انظر: الفراهيدي، "العين"، مادة "نكش" ٥: ٢٩٧.

(٦) الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "نكش" ١٠: ١٨.

ومن المعاني التي عمَّها لفظ (نكش) الشجاعة، قال ابن سيده: «وقال رجل من قريش في علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عنده شجاعة ما تُنْكَشُ، فاستعاره في الشجاعة»(١).

وعلَّق ابن قتيبة على قولهم: عنده شجاعة ما تُنْكَشُ، فقال: «قوله: (ما تنكش) أي: لا تستخرج، وأصل هذا في البئر يُقال: هذه بئر ما تُنْكَشُ، أي: ما تنزح».(٢)

ويُقال: (ورجل مِنْكَش) أي: نقّاب في الأمور(٣)، كأنَّه نقَّبَ فيها حتى أخرج ما فيها من الأسرار.

هكم:

قال الزركشي: «التهكم وهو الاستهزاء بالمخاطب مأخوذ من تهكم البئر إذا تهدمت»(٤).

ويستشهد الزمخشري على التهكم بمعنى الاستهزاء بقول حسان بن ثابت:

تهكم عامرٍ بابي بُراءٍ ليغفره وما خطأ كَعْمدِ(٥)

ومن معاني التهكم: التكبُّر(٦)، ولا تخرج السخرية، والاستهزاء في الغالب إلا

(١) ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "نكش"

(٢) ابن قتيبة، "غريب الحديث" ٢: ١٠٦.

(٣) انظر: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "نكش" ٢: ٨٧٨.

(٤) الزركشي، "البرهان في علوم القرآن" ٢: ٢٣١.

(٥) انظر: الزمخشري، "أساس البلاغة"، مادة "هكم" ١: ٧٠٤، والبيت موجود في ديوان حسان بن ثابت، انظر: حسان بن ثابت، "ديوان حسان بن ثابت". تحقيق: وليد عرفات، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م)،٦٦.

(٦) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "هكم" ٦: ٢٢.

من المتكبر.

وقال ابن سيده: «والمتهكِّم: المتكبر، وهو أيضا الذي يتهدم عليك من الغيظ، والحمق»[١].

والتهكم هو السيل الكثير الذي لا يطيقه الناس[٢]، وذلك أنَّه يهدم بيوتهم، ومزارعهم، وهو مأخوذ من تهكّمت البئر بمعنى: تهدمت.

هَوْهَاة:

قال الخليل: «وبئر هَوْهَاء بوزن حمراء التي لا متعلق لها، ولا موضع لرجل نازلها؛ لبعد جاليها»[٣].

وتوسعوا في دلالة هوهاء، فقالوا للرجل الجبان ذو الفؤاد الضعيف: هَوْهاءٌ، وهَوْهاةٌ، وهَوْهاءَةٌ[٤]، وسبب إطلاق العرب هذا اللفظ على الجبان؛ لأنَّ الجبان خالي الجوف من الفؤاد، كما أنَّ الجوف من الأرض عند العرب هو ما اتسع، واطمأنَّ[٥]، والبئر الهوهاء واسعة.

وذكر الخليل أنَّ الجبان يُقال له: هواء، وقلبه هواء[٦] ، ومن ذلك قوله تعالى: (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء)[٧].

(١) ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "هكم" ٤: ١٤٧.
(٢) انظر: الأزهري، "تهذيب اللغة"، مادة "هكم" ٦: ٢٢.
(٣) الفراهيدي، "العين"، مادة "هوه" ٤: ١٠٧.
(٤) انظر: ابن سيده "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "هوهو" ٤: ٣٤٤.
(٥) انظر: ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "جوف" ٧: ٥٦٣.
(٦) انظر: الفراهيدي، "العين"، مادة "هوى" ٤: ١٠٤.
(٧) إبراهيم: ٤٣.

وَضَخ:

أصل الوَضَخ الاستقاء، قال الخليل: «وأصله في الاستقاء من البئر يبادر الرجلان، فينظر أيهما أكثر استقاءً، وأقوى، فاستعمل على الاستعارة في كل شيء»(١).

وذكر الجوهري أنَّ المواضَخَة هي: «تَبَاري المسْتَقيينِ، ثم أُسْتُعيرَ في كل مُتَبارِيينِ»(٢).

وكل المعاني الأخرى مشتقة من هذا الأصل كما صرَّح به الخليل، والجوهري.

ومن الدلالات التي شملها لفظ (وضخ) قولهم: واضَخْتُ الرجلَ، أي: باريته، وفعلتُ كما يفعل(٣).

ويُقال: تواضَخَت الإبلُ، أي: سارت متبارية، وتواضخ الفَرسان، أي: تباريا(٤).

(١) الفراهيدي، "العين"، مادة "وضخ" ٤: ٢٨٣.

(٢) الجوهري، "الصحاح"، مادة "وضخ" ١: ٤٣٥.

(٣) انظر: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، مادة "وضخ" ١: ٦٠٩.

(٤) انظر: ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، مادة "وضخ".

الخاتمة:

- الألفاظ المتعلقة بالبئر التي درسها البحث أربعة وعشرون لفظًا.
- درس البحث تعميم الدلالة في بعض الألفاظ المتعلقة بالبئر، وهي ألفاظ تدل على قلة ماء البئر، وكثرته، وطريقة الاستقاء من البئر، وصفة حفر البئر، ووصف البئر من حيث السعة، والضيق، وأدوات جلب الماء من البئر، وتنقيتها، وترابها، وغيرها من الألفاظ.
- تسمَّى البشر ببعض هذه الألفاظ، مثل: الزُّبير، وأصل الزّبْر: طي البئر بالحجارة.
- استعمل العرب هذه الألفاظ في الدلالة على بعض الصفات الجسدية عند البشر، كقولهم: (رجلٌ بَضٌّ، وامرأةٌ بَضَّةٌ) لمن اتصف برقة اللون مع صفائه، ومثل: (القامة)، وهي البكرة التي يستقى بها الماء، فأصبحت تدل على قامة الإنسان.
- كما استعمل العرب هذه الألفاظ عن طريق التوسع في الدلالة على سلوك الإنسان، مثل: (جَحَر) دلت على كثرة الأكل؛ لأنَّ البطن يتسع بها كما تتسع البئر، وكلفظ (النَّبِيث)، وهو الذي يظهر الشر.
- سمَّى العرب بعض الآبار بصفتها التي اتصفت بها، مثل: بئر الجَفْر.
- أطلق العرب على بعض البروج السماوية لفظ (الدلو)، وهو من الألفاظ المتعلقة بالبئر.
- توسع العرب في إطلاق بعض هذه الألفاظ على بعض صفات البشر النفسية، والاجتماعية، كقولهم للرجل الذي لا مال له، ولا عقل: (لا زَبْرَ له)، وقولهم للرجل الذي لا يفصح: (الطِّمْطِم).
- استعار العرب من الألفاظ المتعلقة بالبئر للدلالة على صفة من صفات بهائمهم،

كلفظ (الجَمَّاء) للشاة التي لا قرن لها.

- دخلت بعض الألفاظ في مجال العلم، والمعرفة، مثل لفظ: (القَرِيحَة)، وهو أول ماء يخرج من البئر، فأصبح يدل على حسن استنباط العلم، وكذلك لفظ (نَبَط)، وهو الماء الذي يظهر حين حفر البئر، فصار يدل على حسن استخراج أسرار العلم.
- يوصي الباحث بدراسة تعميم الدلالة في ألفاظ النبات، كقولهم: (شجرة النسب) في حفظ الأنساب، وكتسميتهم لبعض البشر بأسماء النبات، كقتادة، وسلمة، وأراكة، وغيرها.

المصادر والمراجع:

الأزهري، محمد بن أحمد، "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

الأسدي، الكميت بن زيد، "ديوان الكميت". تحقيق: محمد نبيل طريفي، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م).

الأصمعي، عبد الملك بن قريب، "الأصمعيات". تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، (ط٧، مصر: دار المعارف، ١٩٩٣م).

الأنباري، محمد بن القاسم، "الزاهر في معاني كلمات الناس". تحقيق: حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م).

أنيس، إبراهيم، "دلالة الألفاظ". (ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري". تحقيق: مصطفى ديب البغا، (ط٣، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م).

ثابت، ثابت بن أبي ثابت، "الفرق". تحقيق: حاتم صالح الضامن، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

بن ثابت، حسان بن ثابت، "ديوان حسان بن ثابت". تحقيق: وليد عرفات، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م).

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، "الكشف والبيان". تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م).

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، "غريب الحديث". تحقيق: دكتور عبد المعطي أمين القلعجي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م).

الجرجاني، عبد القاهر، "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمد التنجي، (بيروت: دار الكتاب

العربي، ١٩٩٥م).

ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، "النهاية في غريب الحديث والأثر". تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "التمام في تفسير أشعار هذيل". تحقيق: أحمد ناجي القيسي وخديجة عبد الرزاق الحديثي وأحمد مطلوب ومصطفى جواد، (بغداد: منشورات وزارة المعارف، ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م).

الجواليقي، موهوب بن أحمد، "شرح أدب الكاتب". تحقيق: طيبة حمد بودي، (الكويت: كلية الآداب – جامعة الكويت، ١٩٩٥م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، "تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

الحربي، إبراهيم بن إسحاق، "غريب الحديث". تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ).

الحموي، ياقوت بن عبد الله، "معجم الأدباء". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م).

الحموي، ياقوت بن عبد الله، "معجم البلدان". (بيروت: دار الفكر).

حماد، أحمد عبد الرحمن، "عوامل التطور اللغوي". (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٣م).

الخطابي، أحمد بن محمد، "غريب الحديث". تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ).

الخماش، سالم سليمان. "أسماء الحيوان المستعملة في حقول الجماد". *مجلة الدراسات اللغوية* ١، (١٤٢٢هـ): ١٠٥ – ١٧٠.

الخماش، سالم سليمان، "دور ألفاظ أعضاء الجسم في تشكيل ألفاظ الجبل في العربية".

مجلة كلية دار العلوم ٨٣، (٢٠١٥م): ٣٧٣ – ٤٤١.

ابن دريد، محمد بن الحسن، "الاشتقاق". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي).

ابن دريد، محمد بن الحسن، "جمهرة اللغة". تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، "غريب الحديث". تحقيق: عبد الله الجبوري، (بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ).

الدينوري، عبد الله بن مسلم، "المعاني الكبير". تحقيق: عبد الرحمن بن يحي اليماني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: محمد سيد كيلاني، (لبنان: دار المعرفة).

ابن أبي ربيعة، عمر، "ديوان عمر بن أبي ربيعة". تحقيق: محمد العناني، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩١١م).

الزاهد، محمد عبد الواحد، "العشرات في غريب اللغة". تحقيق: يحي عبد الرؤوف جبر، (عمَّان: المطبعة الوطنية، ١٩٨٤م).

الزبيدي، محمد مرتضى، "تاج العروس". (مصر: دار الهداية للنشر والتوزيع).

الزركشي، محمد بن بهادر، "البرهان في علوم القرآن". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩١هـ).

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، "أساس البلاغة". (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، "الكشاف". تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

السعدي، العجاج بن رؤبة، "ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه". تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، (دمشق: مكتبة أطلس دمشق، ١٩٧١م).

السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر، "الأفعال". (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).

ابن السكيت، "إصلاح المنطق". تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، (ط٤، القاهرة: دار المعارف).

ابن السكيت، "الكنز اللغوي". تحقيق: اوغست هفنر، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٠٣م).

ابن سلام، القاسم بن سلام الهروي، "الأمثال". تحقيق: عبد المجيد قطامش، (بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

ابن سيده، علي بن إسماعيل، "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).

الشيباني، أحمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد بن حنبل". (مصر: مؤسسة قرطبة).

الشيباني، إسحاق بن مرار، "كتاب الجيم". تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م).

الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد، "العباب الزاخر". تحقيق: فير محمد حسن، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨م).

ابن أبي طالب، علي، "ديوان علي بن أبي طالب". تحقيق: يوسف فرحات، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م).

الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ).

عاشور، محمد الطاهر، "التحرير والتنوير". (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).

ابن عباد، الصاحب، "المحيط في اللغة". تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م).

العسكري، أبو هلال، "جمهرة الأمثال". تحقيق: أحمد عبد السلام ومحمد سعيد زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

العسكري، الحسن بن عبد الله، "الفروق اللغوية". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).

عمر، أحمد مختار، "علم الدلالة". (ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م).

ابن فارس، أحمد، "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٠م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، "العين". تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال).

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، "القاموس المحيط". (بيروت: مؤسسة الرسالة).

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، "الأمالي في لغة العرب". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م).

الكفوي، أيوب بن موسى، "الكليات". تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م).

الكندي، امرؤ القيس بن حجر، "ديوان امرؤ القيس بشرح أبي سعيد السكري". تحقيق: أنور عليان أبو سويلم ومحمد علي الشوابكة، (العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م).

المبرد، محمد بن يزيد، "التعازي والمراثي". تحقيق: خليل المنصور، (بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٩٩٦م).
المبرد، محمد بن يزيد، "الكامل في اللغة والأدب". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٣، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).
المبارك، محمد، "فقه اللغة وخصائص العربية". (ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٦٤م).
مصطفى، إبراهيم وآخرون، "المعجم الوسيط". (مصر: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة).
المناوي، محمد عبد الرؤوف، "التعاريف". تحقيق: محمد رضوان الداية، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ).
الميداني، أحمد بن محمد، "مجمع الأمثال". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار المعرفة).
الهمداني، محمد بن موسى، "الأماكن ما اتفق لفظه واختلف مسماه". تحقيق: حمد الجاسر، (الرياض: دار اليمامة، ١٤١٨هـ).
وافي، علي عبد الواحد، "علم اللغة". (ط٩، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م).
اليافعي، عبد الله بن أسعد، "مرآة الجنان وعبرة اليقظان". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

Bibliography

al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Tahdhīb al-lughah". taḥqīq : Muḥammad ʻAwaḍ Murʻib, (Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 2001M).

al-Asadī, al-Kumayt ibn Zayd, "Dīwān al-Kumayt". taḥqīq : Muḥammad Nabīl Ṭarīfī, (Bayrūt : Dār Ṣādir, 2000M).

al-Aṣmaʻī, ʻAbd al-Malik ibn Qarīb, "al-Aṣmaʻīyāt". taḥqīq : Aḥmad Muḥammad Shākir wa-ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, (ṭ7, Miṣr : Dār al-Maʻārif, 1993M)

al-Anbārī, Muḥammad ibn al-Qāsim, "al-zāhir fī maʻānī Kalimāt al-nās". taḥqīq : Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin, (Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah, 1412h – 1992m).

Anīs, Ibrāhīm, "Dalālat al-alfāẓ". (ṭ5, al-Qāhirah : Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah, 1984m).

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl, "Ṣaḥīḥ al-Bukhārī". taḥqīq : Muṣṭafá Dīb al-Bughā, (ṭ3, Bayrūt : Dār Ibn Kathīr, 1407h – 1987m).

Thābit, Thābit ibn Abī Thābit, "al-firaq". taḥqīq : Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin, (ṭ2, Bayrūt : Mu'assasat al-Risālah, 1405h-1985m).

Ibn Thābit, Ḥassān ibn Thābit, "Dīwān Ḥassān ibn Thābit". taḥqīq : Walīd ʻArafāt, (Bayrūt : Dār Ṣādir, 2006m).

al-Thaʻlabī, Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm, "al-kashf wa-al-bayān". taḥqīq : al-Imām Abī Muḥammad ibn ʻĀshūr, murājaʻat wa-tadqīq : al-Ustādh Naẓīr al-Sāʻidī, (Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 1422H – 2002M).

Ibn al-Jawzī, Abū al-Faraj ʻAbd al-Raḥmān ibn ʻAlī, "Gharīb al-ḥadīth". taḥqīq : Duktūr ʻAbd al-Muʻṭī Amīn alqlʻjy, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1405h – 1985m).

al-Jurjānī, ʻAbd al-Qāhir, "Dalā'il al-iʻjāz". taḥqīq : Muḥammad al-Tūnjī, (Bayrūt : Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1995m).

Ibn al-Athīr, Abū al-Saʻādāt al-Mubārak ibn Muḥammad, "al-nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar". taḥqīq : Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī wa-Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, (Bayrūt : al-Maktabah al-ʻIlmīyah, 1399h-1979m).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʻUthmān, "al-tamām fī tafsīr ashʻār Hudhayl". taḥqīq : Aḥmad Nājī al-Qaysī wkhdyjh ʻAbd al-Razzāq al-Ḥadīthī wa-Aḥmad Maṭlūb wa-Muṣṭafá Jawād, (Baghdād : Manshūrāt Wizārat al-Maʻārif, 1381h – 1962M).

al-Jawālīqī, Mawhūb ibn Aḥmad, "sharḥ adab al-Kātib". taḥqīq : Ṭaybah Ḥamad Būdī, (al-Kuwayt : Kullīyat al-Ādāb – Jāmi‘at al-Kuwayt, 1995m).
al-Jawharī, Ismā‘īl ibn Ḥammād, "Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah". taḥqīq : Aḥmad ‘Abd al-Ghafūr ‘Aṭṭār, (ṭ2, Bayrūt : Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 1399h – 1979m).
al-Ḥarbī, Ibrāhīm ibn Isḥāq, "Gharīb al-ḥadīth". taḥqīq : Sulaymān Ibrāhīm Muḥammad al-‘Āyid, (Makkah al-Mukarramah : Jāmi‘at Umm al-Qurá, 1405h).
al-Ḥamawī, Yāqūt ibn ‘Abd Allāh, "Mu‘jam al-Udabā’". (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1411h – 1991m).
al-Ḥamawī, Yāqūt ibn ‘Abd Allāh, "Mu‘jam al-buldān". (Bayrūt : Dār al-Fikr).
Ḥammād, Aḥmad ‘Abd al-Raḥmān, "‘awāmil al-taṭawwur al-lughawī". (Bayrūt : Dār al-Andalus, 1983m).
al-Khaṭṭābī, Aḥmad ibn Muḥammad, "Gharīb al-ḥadīth". taḥqīq : ‘Abd al-Karīm Ibrāhīm al-‘Azbāwī, (Makkah al-Mukarramah : Jāmi‘at Umm al-Qurá, 1402h).
al-Khammāsh, Sālim Sulaymān. "Asmā’ al-ḥayawān al-musta‘malah fī ḥuqūl al-jamād". Majallat al-Dirāsāt al-lughawīyah 1, (1422H) : 105-170.
al-Khammāsh, Sālim Sulaymān, "Dawr alfāẓ a‘ḍā’ al-jism fī tashkīl alfāẓ al-Jabal fī al-‘Arabīyah". Majallat Kullīyat Dār al-‘Ulūm 83, (2015m) : 373 – 441.
Ibn Durayd, Muḥammad ibn al-Ḥasan, "al-ishtiqāq". taḥqīq : ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, (ṭ3, al-Qāhirah : Maktabat al-Khānjī).
Ibn Durayd, Muḥammad ibn al-Ḥasan, "Jamharat al-lughah". taḥqīq : Ramzī Munīr Ba‘labakkī, (Bayrūt : Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 1987m).
al-Dīnawarī, ‘Abd Allāh ibn Muslim ibn Qutaybah, "Gharīb al-ḥadīth". taḥqīq : ‘Abd Allāh al-Jubūrī, (Baghdād : Maṭba‘at al-‘Ānī, 1397h).
al-Dīnawarī, ‘Abd Allāh ibn Muslim, "al-ma‘ānī al-kabīr". taḥqīq : ‘Abd al-Raḥmān ibn Yaḥyá al-Yamānī, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1984m).
al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad, "al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān". taḥqīq : Muḥammad Sayyid Kīlānī, (Lubnān : Dār al-Ma‘rifah).
Ibn Abī Rabī‘ah, ‘Umar, "Dīwān ‘Umar ibn Abī Rabī‘ah". taḥqīq :

Muḥammad al-ʻAnānī, (al-Qāhirah : Maṭbaʻat al-Saʻādah, 1911m).
al-zāhid, Muḥammad ʻAbd al-Wāḥid, "alʻshrāt fī Gharīb al-lughah". taḥqīq : Yaḥyá ʻAbd al-Raʾūf Jabr, (ʻmmān : al-Maṭbaʻah al-Waṭanīyah, 1984m).
al-Zubaydī, Muḥammad Murtaḍá, "Tāj al-ʻarūs". (Miṣr : Dār al-Hidāyah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ).
al-Zarkashī, Muḥammad ibn Bahādur, "al-burhān fī ʻulūm al-Qurʾān". taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (Bayrūt : Dār al-Maʻrifah, 1391h).
al-Zamakhsharī, Jār Allāh Maḥmūd ibn ʻUmar, "Asās al-balāghah". (Bayrūt : Dār al-Fikr, 1399h – 1979m).
al-Zamakhsharī, Jār Allāh Maḥmūd ibn ʻUmar, "al-Kashshāf". taḥqīq : ʻAbd al-Razzāq al-Mahdī, (Bayrūt : Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʻArabī).
al-Saʻdī, al-ʻAjjāj ibn Ruʾbah, "Dīwān al-ʻAjjāj riwāyah ʻAbd al-Malik ibn Qarīb al-Aṣmaʻī wa-sharaḥahu". taḥqīq : ʻAbd al-Ḥafīẓ alsṭly, (Dimashq : Maktabat Aṭlas Dimashq, 1971m).
al-Saʻdī, Abū al-Qāsim ʻAlī ibn Jaʻfar, "al-afʿāl". (Bayrūt : ʻĀlam al-Kutub, 1403h – 1983m).
Ibn al-Sikkīt, "Iṣlāḥ al-manṭiq". taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Shākir wa-ʻAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, (ṭ4, al-Qāhirah : Dār al-Maʻārif).
Ibn al-Sikkīt, "al-Kanz al-lughawī". taḥqīq: Ūghust Hafnir, (Bayrūt: al-Maṭbaʻah al-Kāthūlīkīyah lil-Ābāʾ al-Yasūʻīyīn, 1903m).
Ibn Sallām, al-Qāsim ibn Sallām al-Harawī, "al-amthāl". taḥqīq : ʻAbd al-Majīd Qaṭāmish, (Bayrūt : Dār al-Maʾmūn lil-Turāth, 1400h-1980m).
Ibn sydh, ʻAlī ibn Ismāʻīl, "al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-Aʻẓam". taḥqīq : ʻAbd al-Ḥamīd Hindāwī, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2000M).
al-Shaybānī, Aḥmad ibn Ḥanbal, "Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal". (Miṣr : Muʾassasat Qurṭubah).
al-Shaybānī, Isḥāq ibn Marār, "Kitāb aljym". taḥqīq : Ibrāhīm al-Ibyārī wa-ākharūn, (al-Qāhirah : Majmaʻ al-lughah al-ʻArabīyah, 1395h – 1975m).
al-Ṣaghānī, Raḍī al-Dīn al-Ḥasan ibn Muḥammad, "al-ʻUbāb al-zākhir". taḥqīq : Fīr Muḥammad Ḥasan, (Baghdād : al-Majmaʻ al-ʻIlmī al-ʻIrāqī, 1978m).
Ibn Abī Ṭālib, ʻAlī, "Dīwān ʻAlī ibn Abī Ṭālib". taḥqīq : Yūsuf Faraḥāt, (Bayrūt : Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 2003m).

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, "Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān". (Bayrūt : Dār al-Fikr, 1405h).
Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, "al-Taḥrīr wa-al-tanwīr". (Tūnis: Dār Saḥnūn lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 1997m).
Ibn ‘Abbād, al-Ṣāḥib, "al-muḥīṭ fī al-lughah". taḥqīq: Muḥammad Ḥasan Āl Yāsīn, (Bayrūt : ‘Ālam al-Kutub, 1414h – 1994m).
al-‘Askarī, Abū Hilāl, "Jamharat al-amthāl". taḥqīq: Aḥmad ‘Abd al-Salām wa-Muḥammad Sa‘īd Zaghlūl, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1408h – 1988m).
al-‘Askarī, al-Ḥasan ibn ‘Abd Allāh, "al-Furūq al-lughawīyah". taḥqīq : Muḥammad Bāsil ‘Uyūn al-Sūd, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 2000M).
Umar, Aḥmad Mukhtār, "‘ilm al-dalālah". (ṭ5, al-Qāhirah : ‘Ālam al-Kutub, 1998M).
Ibn Fāris, Aḥmad, "Maqāyīs al-lughah". taḥqīq : ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, (ṭ2, Bayrūt : Dār al-Jīl, 1420h – 1990m).
al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, "al-‘Ayn". taḥqīq : Mahdī al-Makhzūmī wa-Ibrāhīm al-Sāmarrā’ī, (Bayrūt : Dār wa-Maktabat al-Hilāl).
al-Fayrūz Ābādī, Muḥammad ibn Ya‘qūb, "al-Qāmūs al-muḥīṭ". (Bayrūt : Mu’assasat al-Risālah).
al-Qālī, Abū ‘Alī Ismā‘īl ibn al-Qāsim, "al-Amālī fī Lughat al-‘Arab". (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1398h – 1978m).
al-Kaffawī, Ayyūb ibn Mūsá, "al-Kullīyāt". taḥqīq : ‘Adnān Darwīsh wa-Muḥammad al-Miṣrī, (Bayrūt : Mu’assasat al-Risālah, 1998M).
al-Kindī, Imru’ al-Qays ibn Ḥajar, "Dīwān Imru’ al-Qays bi-sharḥ Abī Sa‘īd al-Sukkarī". taḥqīq : Anwar ‘Alyān Abū Suwaylim wa-Muḥammad ‘Alī al-Shawābikah, (al-‘Ayn : Markaz Zāyid lil-Turāth wa-al-tārīkh, 2000M).
al-Mibrad, Muḥammad ibn Yazīd, "al-Ta‘āzī wa-al-marāthī". taḥqīq : Khalīl al-Manṣūr, (Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1996m).
al-Mibrad, Muḥammad ibn Yazīd, "al-kāmil fī al-lughah wa-al-adab". taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (ṭ3, al-Qāhirah : Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1997m).
al-Mubārak, Muḥammad, "fiqh al-lughah wa-khaṣā’iṣ al-‘Arabīyah". (ṭ2, Bayrūt : Dār al-Fikr, 1964m).
Muṣṭafá, Ibrāhīm wa-ākharūn, "al-Mu‘jam al-Wasīṭ". (Miṣr : Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, Dār al-Da‘wah).

al-Munāwī, Muḥammad ʻAbd al-Raʾūf, "al-taʻārīf". taḥqīq : Muḥammad Raḍwān al-Dāyah, (Bayrūt : Dār al-Fikr, 1410h).
al-Maydānī, Aḥmad ibn Muḥammad, "Majmaʻ al-amthāl". taḥqīq : Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʻAbd al-Ḥamīd, (Bayrūt : Dār al-Maʻrifah).
al-Hamadānī, Muḥammad ibn Mūsá, "al-amākin mā ittafaqa lafẓihi wa-ikhtalafa msmāh". taḥqīq : Ḥamad al-Jāsir, (al-Riyāḍ : Dār al-Yamāmah, 1418h).
Wāfī, ʻAlī ʻAbd al-Wāḥid, "ʻilm al-lughah". (ṭ9, al-Qāhirah : Nahḍat Miṣr lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ, 2004m).
al-Yāfiʻī, ʻAbd Allāh ibn Asʻad, "Mirʾāt al-Jinān wa-ʻibrah al-Yaqẓān". (al-Qāhirah : Dār al-Kitāb al-Islāmī, 1413h-1993M).

التعبيراتُ الاصطلاحيةُ في كتابِ الزاهرِ في معاني كلماتِ الناسِ للأنباريّ
دِراسَةٌ تَرْكيبيَّةٌ دِلاليَّةٌ

Idiomatic Expressions in the Book Al-Zāhir fī Maʿānī Kalimāt al-Nās by al-Anbārī: A Syntactic and Semantic Study

د. أمل مساعد سعد الأحمدي

أستاذ علم اللغة المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: Aahmadib@taibahu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
16/11/2025		12/02/2026

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-015

المستخلص:

تُعدّ التعبيرات الاصطلاحية من أبرز الظواهر اللغوية التي تعكس الذاكرة الجماعية للناطقين بالعربية، وتمثل حلقة وصل بين التراث اللغوي والاستعمال المعاصر. تناولت هذه الدراسة التعبيرات الاصطلاحية الواردة في كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، بوصفها مكوّنًا لغويًا وثقافيًا يكشف رؤية الجماعة اللغوية في القرن الرابع الهجري. وهدفت الدراسة إلى استجلاء مفهوم التعبيرات الاصطلاحية قديمًا وحديثًا، وتحديد خصائصها وتمييزها من الأمثال، ثم تحليل نماذج منتخبة من الكتاب تحليلًا تركيبيًا ودلاليًا، مع تتبّع ما يقابلها في العربية المعاصرة. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي؛ إذ انتخبت عشرة تعبيرات اصطلاحية من *الزاهر* وصنّفتها وفق أنماطها التركيبية (الاسمية، والفعلية، والوصفية، والإضافية، والعبارية)، ثم قدّمت تحليلًا تفصيليًا لكل تعبير مدعّمًا بثلاثة جداول إحصائية تحليلية. وأظهرت النتائج أن النمط الاسمي شكّل النسبة الأكبر (٨٠٪) من التعبيرات المدروسة، يليه النمطان الفعلي والعباري بنسبة (١٠٪) لكل منهما. كما كشفت الدراسة أن (٨٠٪) من التعبيرات المنتخبة ما تزال مستخدمة في العربية المعاصرة بدرجات متفاوتة؛ فمنها ما حافظ على صيغته الأصلية، ومنها ما طرأت عليه تغييرات طفيفة في التركيب أو الدلالة، في حين خرج (٢٠٪) منها من الاستعمال. وتُسهم الدراسة في تعميق الفهم العلمي للتعبيرات الاصطلاحية في التراث اللغوي العربي، وتوثيق صلتها بالاستعمال المعاصر، بما يخدم الدراسات المعجمية واللسانية التطبيقية ويعزز التواصل اللغوي بين الأجيال.

الكلمات المفتاحية :التعبيرات الاصطلاحية؛ الزاهر في معاني كلمات الناس؛ أبو بكر الأنباري؛ الأنماط التركيبية؛ التحليل الدلالي؛ الدراسة الإحصائية؛ المعجم التراثي.

Abstract:

Idiomatic expressions are among the most significant linguistic phenomena that reflect the collective memory of language speakers, serving as a bridge between linguistic heritage and contemporary usage. This study examines idiomatic expressions found in the book *Al-Zāhir fī Maʿānī Kalimāt al-Nās* by Abū Bakr al-Anbārī (d. 328 AH), viewing them as linguistic and cultural components that reflect the worldview of the Arabic-speaking community in the fourth century AH. The study aims to clarify the concept of idiomatic expressions in both classical and modern traditions, identify their characteristics, distinguish them from proverbs, analyze selected examples from the book syntactically and semantically, and trace their counterparts in contemporary Arabic. The study adopts a descriptive-analytical-statistical approach by selecting ten idiomatic expressions from *Al-Zāhir*, classifying them according to their structural patterns verbal, nominal, adjectival, genitive, and phrasal and providing a detailed analysis of each expression alongside three analytical statistical tables. The findings reveal that the nominal pattern constitutes the largest proportion at 80% of the studied expressions, followed by the verbal and phrasal patterns at 10% each. The study also finds that 80% of the selected expressions remain in use in contemporary Arabic to varying degrees; some have preserved their original forms, while others have undergone minor changes in structure or meaning, whereas 20% have fallen out of use. The study contributes to deepening the scientific understanding of idiomatic expressions in Arabic linguistic heritage and documenting their connection to contemporary usage, thereby serving lexicographic and applied linguistic studies and facilitating intergenerational linguistic communication.

Keywords: Idiomatic expressions; Al-Zāhir fī Maʿānī Kalimāt al-Nās; Abū Bakr al-Anbārī; Structural patterns; Semantic analysis; Statistical study; Classical lexicography.

مقدمة:

تمثل التعبيرات الاصطلاحية جانبًا من ذاكرة الشعوب، وتتقاطع في بعض وجوهها مع المثل؛ إذ تُعد وعاءً تنقل من خلاله الجماعة أفكارها ومعتقداتها وتجاربها، بل وتصوراتها المستقبلية. وقد ظلت هذه القوالب اللغوية قادرة على حفظ دلالة التركيب وتداولها عبر الأجيال.

يسعى هذا البحث، في ضوء المستويات اللغوية ولا سيما المستوى الدلالي بوصفه المحور الذي تنتظم حوله بقية المستويات، إلى دراسة نماذج منتخبة من التراكيب الاصطلاحية الواردة في كتاب *الزاهر في معاني كلمات الناس* لأبي بكر الأنباري. ويبدأ بتتبّع مصطلح "التعبير الاصطلاحي" قديمًا وحديثًا وصولًا إلى تحديد المفهوم المعتمد في الدراسة، ثم يعرض خصائص التعبير الاصطلاحي مع التمييز بينه وبين المثل، ويصنّف التراكيب المدروسة وفق أنماطها التركيبية، قبل أن ينتقل إلى تحليل تركيبي ودلالي للنماذج المختارة، مع رصد ما يقابلها في العربية المعاصرة، وصولًا إلى النتائج.

ويظل التعبير الاصطلاحي مجالًا خصبًا للمراجعة والتأمل؛ لأنه يحمل قيم الثقافة وتمثلاتها، ويستمد خصوصيته من أن معناه لا يُستنتج من مفرداته منفردة، بل من الاستعمال الجماعي الذي استقر عليه التداول.

وتنبع أهمية الموضوع من أمرين: أولهما أن الدراسة تتناول كتابًا تراثيًا لم ينل حظه الكافي من البحث في هذا الجانب، وثانيهما أنها تعالج ظاهرة لغوية حيوية تتصل بالبعد الاجتماعي والثقافي للغة.

واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لملاءمته طبيعة الدراسة، إذ يتيح وصف التعبيرات الاصطلاحية في *الزاهر* وصفًا دقيقًا، ثم تحليلها تركيبيًا ودلاليًا على نحو يحقق أهداف البحث.

أسئلةُ البحثِ:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الإشكالات الآتية:

١. ما مفهوم التعبيرات الاصطلاحية في التراث اللغوي العربي والخطاب المعاصر؟

٢. كيف عُرضت التعبيرات الاصطلاحية في كتاب *الزاهر في معاني كلمات الناس*؟

٣. ما التعبيرات الاصطلاحية المشابهة والمتداولة في العربية المعاصرة؟

أهدافُ البحثِ:

يهدف هذا البحث إلى:

١. بيان دلالة التعبير الاصطلاحي في التراث اللغوي والعربية المعاصرة.

٢. الكشف عن منهج *الزاهر* في عرض التعبيرات الاصطلاحية.

٣. تحديد ما يقابل التعبيرات المدروسة في العربية المعاصرة من صيغ مشابهة متداولة.

الدراساتُ السابقةُ

تناولت دراسات عدة موضوع التعبيرات الاصطلاحية من زوايا مختلفة، ومن أبرزها:

- المضياني، محمد بن نافع (٢٠٠٩م). «التعبيرات الاصطلاحية: نظرة في مفهومها وخصائصها ومحددات معناها في المعجم العربي» .*مجلة علوم اللغة*، مج١٢، ع٢، ص١٠١–١٦٢.
- الشريف، فاطمة أحمد وآخرون (٢٠٢٠م). «التعبيرات الاصطلاحية في اللغة العربية بين التراث والعربية المعاصرة» .*مجلة البحوث والدراسات الشرعية*، مج١٠، ع١١٠.
- غراب، عزة حسني محمد (٢٠١٥م). «التعبيرات الاصطلاحية في القرآن الكريم: دراسة دلالية تركيبية». رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.

- أسلان بك، سلغريوف (٢٠١٤م). «التعبيرات الاصطلاحية في القرآن الكريم بين العربية والشيشانية: دراسة تقابلية». أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية.

موقعُ الدراسةِ الحاليةِ من الدراساتِ السابقةِ

تتميز هذه الدراسة بأنها تتخذ كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري نصًا معجميًا تراثيًا، يوثق جانبًا من الاستعمال اللغوي الشائع في القرن الرابع الهجري، وتجعله ميدانًا للتحليل التركيبي والدلالي، مع رصد ما يقابله في العربية المعاصرة؛ وهو اتجاه لم تتناوله الدراسات المذكورة بالتركيز نفسه.

فقد اقتصرت دراسة المضياني على الجانب النظري لمفهوم التعبيرات الاصطلاحية، وخصائصها، ومحددات معناها في المعجم العربي، دون تطبيق على نص تراثي محدد. وتناولت دراسة الشريف، وآخرين، التعبيرات الاصطلاحية بين التراث والمعاصرة، تناولًا عامًا دون التخصيص بمصدر تراثي بعينه.

أما دراسة غراب، فتلتقي مع البحث الحالي في اعتماد التحليل التركيبي والدلالي، غير أنها انصرفت إلى النص القرآني بوصفه نصًا مقدسًا، ذا خصوصية لغوية وبلاغية، في حين ينصرف هذا البحث إلى نص معجمي تراثي هو الزاهر، بما يتضمنه من شواهد على الاستعمال اليومي الشائع في عصره، مع بيان ما يقابله في العربية المعاصرة.

وأما دراسة أسلان بك، فتقتصر على المقارنة التقابلية بين العربية والشيشانية في النص القرآني، دون التوسع في التحليل التركيبي والدلالي، أو رصد المقابلات المعاصرة للتعبيرات.

وبناء على ما سبق، تتمثل الإضافة العلمية لهذا البحث في:

- أولًا: التطبيق على نص معجمي تراثي محدد هو *الزاهر في معاني كلمات الناس*.
- ثانيًا: الجمع بين التحليل التركيبي والدلالي للتعبيرات الواردة في الكتاب، ورصد ما يقابلها في العربية المعاصرة من صيغ مشابهة.
- ثالثًا: إبراز الصلة بين الاستعمال التراثي للتعبيرات الاصطلاحية والاستعمال المعاصر، بما يكشف عن استمرارية بعض هذه التراكيب وحيويتها عبر الزمن.

عينةُ الدراسةِ

تتمثل عينة الدراسة في عشر تعبيرات اصطلاحية، منتقاة من كتاب *الزاهر في معاني كلمات الناس*، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط٢، ٢٠١١م. وقد روعي في اختيار العينة معياران:

- تمثيل أنماط تركيبية مختلفة (اسمية، فعلية، عبارية).
- تحقيق تنوع دلالي يغطي حقولًا متعددة كالحركة، والحالة النفسية، والعلاقات الاجتماعية وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن البحث اعتمد ترقيم المواد كما ورد في *الزاهر* وفق الطبعة المذكورة، دون إعادة ترقيم؛ تيسيرًا للرجوع إلى النص الأصلي في موضعه. لذلك قد تظهر أرقام غير متسلسلة للتعبيرات المدروسة؛ لأنها أرقام موادها في الكتاب.

منهجُ البحثِ وخطتُه

يتمحور البحث حول مقدمة، وثلاثة مباحث رئيسة، وخاتمة؛ حيث يختص **المبحث الأول** بالإطار النظري للتعبيرات الاصطلاحية، فيعالج مفهومها، وخصائصها المميزة، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين الأمثال. ويأتي **المبحث الثاني** ليعرض تصنيف التعبيرات الاصطلاحية وفق بنيتها التركيبية. أما **المبحث الثالث** فهو مبحث تطبيقي يتضمن تحليلاً تركيبيًا ودلاليًا لعينة منتخبة من كتاب 'الزاهر'، مدعوماً بدراسة إحصائية مقارنة، ثم تُختتم الدراسة بخاتمة، تتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعبيرات الاصطلاحية: الإطار النظري

المطلب الأول: مفهوم التعبير الاصطلاحي

أولاً: التعبير الاصطلاحي في اللغة

إن الإحاطة بالمصطلح منطلق رئيس في تحصيل المعرفة، وهو الذي يُحدِّد مقصود الباحث؛ فمن هنا لا يمكن معالجة أي موضوع بغياب فهم مصطلحاته وإدراكها، كما يقول الجاحظ: «لِكُلِّ صِنَاعَةٍ أَلْفَاظٌ، وَمِنَ الْبَدِيهِيِّ أَلَّا تُفْهَمَ آثَارُ أُولَئِكَ الْقَوْمِ أَوْ تِلْكَ الصِّنَاعَةُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ».(١)، وفي هذا الإطار نستهل بتبيان موضوع الدراسة «التعبيرات الاصطلاحية» قديماً وحديثاً، لا سيما أنه مفهوم قد يشوبه شيء من اللبس والخلط.

التعبير الاصطلاحي: في اللغة

التعبير مصدر من الفعل المضعف عبَّر: «عَبَّرَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ: أَعْرَبَ وَبَيَّنَ. وَعَبَّرَ عَنْ فُلَانٍ: تَكَلَّمَ عَنْهُ؛ وَاللِّسَانُ يُعَبِّرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ».(٢)

وكلمة (الاصطلاحيّ) مصدر كذلك، من الفعل: اصطلح؛ والاصطلاح كما جاء في التعريفات هو: «عِبَارَةٌ عَنِ اتِّفَاقِ قَوْمٍ عَلَى تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمٍ مَا يُنْقَلُ عَنْ مَوْضِعِهِ الْأَوَّلِ، وَإِخْرَاجُ اللَّفْظِ مِنْ مَعْنًى لُغَوِيٍّ إِلَى آخَرَ، لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُمَا، وَقِيلَ: اتِّفَاقُ طَائِفَةٍ عَلَى وَضْعِ اللَّفْظِ بِإِزَاءِ الْمَعْنَى، وَقِيلَ: إِخْرَاجُ الشَّيْءِ عَنْ مَعْنًى لُغَوِيٍّ إِلَى مَعْنًى آخَرَ، لِبَيَانِ الْمُرَادِ، وَقِيلَ: لَفْظٌ مُعَيَّنٌ بَيْنَ قَوْمٍ مُعَيَّنِينَ».(٣)

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. «البيان والتبيين»، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط٧، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م)، ج١، ص١٣٦.

(٢) «لسان العرب»، مادة (عبر)، ج٤، ص٥٣١.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد الشريف. «كتاب التعريفات»، تحقيق: جماعة من العلماء، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ص٢٨.

ومن ثم، يمكن القول: إنه يشير إلى تركيب لغوي خرج عن معناه الوضعي إلى معنًى توافقي؛ وهذا هو أس دلالة مفهومه الاصطلاحي كما سنرى.

ثانياً: التعبير الاصطلاحي في الاصطلاح

- **نظرةٌ في التراثِ اللغويّ**

لا شك أن المعجم العربي القديم زاخر بالتعبيرات الاصطلاحية؛ فهي من الكليات اللغوية المشتركة بين جميع اللغات، لكن المصطلحات المشيرة إلى هذا المجال قد تعددت؛ الأمر الذي يُشي بعدم استقرار المفهوم في الدرس القديم، وهذا أمر بدهي يتماشى مع بداية الدرس اللغوي.

وقد استخدم اللغويون القدماء زمرة من المصطلحات بمعنى «التعبير الاصطلاحي»، هي: المثل، والتمثيل، والمماثلة، والمأثورات، والكنايات، والتشبيهات، والعبارات الخاصة [(١)]، وقد تلتقي بعض نماذج ما يندرج تحت هذه المصطلحات مع مفهوم التعبير الاصطلاحي، وقد يفترق.

ويُلاحظ أن التعبيرات الاصطلاحية العشرة المدروسة في هذا البحث تتقاطع مع هذه المصطلحات القديمة بدرجات متفاوتة؛ فتعبير نحو «لكل ساقطة لاقطة» يُعد من قبيل المثل عند القدماء، بينما يدخل تحت مصطلح «التعبير الاصطلاحي» في الدرس الحديث، وكذلك تعبير «لفلان قدم صدق» يندرج ضمن الكنايات، وتعبير «ألقى

(١) المضياني، محمد بن نافع. «التعبيرات الاصطلاحية: نظرة في مفهومها، وخصائصها، ومحددات معناها في المعجم العربي»، مجلة علوم اللغة، مج١٢، ع٢، (٢٠٠٩م): ص١٠٨-١١٠؛ وأبو سعد، أحمد. «معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية: القديم منها والمولد»، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ع٣، (١٩٩١م): ص٥-٦؛ والعسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله» .كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر»، (ط٢، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧١م)، ص٣٦٤؛ والجرجاني، عبد القاهر. «دلائل الإعجاز»، (ط٣، القاهرة :مطبعة المدني، ١٩٩٢م)، ص٢٦٢.

حبله على غاربه» من التمثيل، و«خضراء الدمن» من العبارات الخاصة، و«الحديث ذو شجون» من المأثورات.

وهذا التنوع يُبرز غنى الظاهرة وتعدد مستوياتها في التراث اللغوي العربي، ويؤكد أن المفهوم واحد وإن تعددت المصطلحات الدالة عليه عبر العصور(١).

فقد ورد مصطلح المثل عند كثير من علماء اللغة ويُريدون به التعبير الاصطلاحي، منهم: أبو عبيدة (ت٢٠٨هـ)، وأبو زيد (ت٢١٥هـ)، والأصمعي (ت٢١٦هـ)، وغيرهم(٢)؛ أضف إلى ذلك وجود هذا النمط من التعبير في بطون المعاجم العربية كمعجم العين للفراهيدي (ت١٧٥هـ)، والفاخر للمفضل الضبي (ت٢٩١هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ)، وغيرها مما حفل بالتعبيرات الاصطلاحية التي اعتني بها وبعرضها تحت مسميات مختلفة كما ذُكر آنفاً.

وفي كتب البلاغة والنقد، نرى الجرجاني موظفاً مصطلح "المثل" للدلالة على التعبيرات الاصطلاحية، فيقول: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَرَاكَ رَجُلًا تُقَدِّمُ رِجْلًا، وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاعْتَمِدْ عَلَى أَيَّتِهِمَا شِئْتَ. وَالسَّلَامُ»، وقولهم: «أَلْقَى حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ»، وقول النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ، فَقِيلَ: وَمَا خَضْرَاءُ الدِّمَنِ؟ قَالَ: الْمَرْأَةُ

(١) المضياني، محمد بن نافع. «التعبيرات الاصطلاحية»، ص١٠٨-١١٠؛ وأبو سعد، «معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية»، ص٣٠٦-٣١٦؛ والجرجاني، «دلائل الإعجاز»، ص٤٤٠-٤٤١.

(٢) المضياني، محمد بن نافع. «التعبيرات الاصطلاحية: نظرة في مفهومها، وخصائصها، ومحددات معناها في المعجم العربي»، مجلة علوم اللغة، مج١٢، ع٢، (٢٠٠٩م): ص١٠٨ .

الْحَسْنَاءُ فِي الْمَنْبِتِ السُّوءِ»[1],[2]، معقباً عليها بقوله: «وَهَكَذَا كُلُّ كَلَامٍ كَانَ ضَرْبَ مَثَلٍ، لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى تَمْيِيزٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ الَّتِي تَكُونُ لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ لَا تُعْرَفُ مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَلَكِنْ تَكُونُ الْمَعَانِي الْحَاصِلَةُ مِنْ مَجْمُوعِ الْكَلَامِ أَدِلَّةً عَلَى الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ» [3]

ويوضح أبو هلال العسكري مصطلح "المماثلة"، الذي يُشير لمعنى «التعبير الاصطلاحي» بقوله: «الْمُمَاثَلَةُ: أَنْ يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ الْعِبَارَةَ عَنْ مَعْنًى، فَيَأْتِيَ بِلَفْظَةٍ تَكُونُ مَوْضُوعَةً لِمَعْنًى آخَرَ، إِلَّا أَنَّهُ يُنْبِئُ إِذَا أَوْرَدَهُ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ». [4]

ووضع الزمخشري في المجاز نوعين آخرين، أحدهما: «التعبيرات الخاصة التي فقدت معناها الحرفي من ألفاظها المؤلفة منها، وصار لها معان جديدة لا تمت للقديمة» [5]، وهذا يتصل بمفهوم التعبيرات الاصطلاحية.

- **نظرة في الدراسات اللغوية الحديثة**

كما ظهر لنا لم تحظ التعبيرات الاصطلاحية في التراث بمفهوم محدد، ولعل ذلك

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر. «دلائل الإعجاز»، (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩٢م)، ص٤٤٠-٤٤١.

(٢) يُروى عن النبي ﷺ: «إيَّاكم وخضراءَ الدِّمَن، المرأةُ الحسناءُ في المنبتِ السُّوء». رواه الدارقطني في الأفراد، والعسكري في الأمثال .قال العجلوني في كشف الخفاء :حديثٌ ضعيفٌ تفرَّد به الواقدي. ينظر: إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومُزيل الإلباس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ)، ١: ٨٩.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر. «دلائل الإعجاز»، ص٤٤١.

(٤) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. «كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر»، (ط٢، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧١م)، ص٣٦٤.

(٥) نُقِلَ عن: نصار، حسين. «المعجم العربي: نشأته وتطوره»، (ط٢، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦٨م)، ج٢، ص١٠٧٢.

يُعزى لتجاذب هذه الظاهرة من طرف عديد من المجالات والمستويات اللغوية، يقول علي القاسمي: «إِنَّ التَّعَابِيرَ الِاصْطِلَاحِيَّةَ جُزْءٌ مِنْ ظَاهِرَةٍ لُغَوِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ لَفَتَتْ انْتِبَاهَ الدَّارِسِينَ، وَأُطْلِقَتْ عَلَيْهَا أَسْمَاءٌ عَدِيدَةٌ كَالتَّضَامِ وَالتَّوَارُدِ وَالْقَرَائِنِ اللَّفْظِيَّةِ، وَهِيَ طَلَبُ الْكَلِمَاتِ كَلِمَاتٍ مُعَيَّنَةٍ»[١]، ويُعرّف بورجر التعبير بأنه: «سِلْسِلَةٌ لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ تَفْسِيرُ مَعْنَاهَا الْإِجْمَالِيّ مِنْ خِلَالِ الْمَعْنَى الْمُطْلَقِ لِلْكَلِمَاتِ»[٢]، ويُشير الطرابلسي إلى أنه: «الْوَحْدَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ الدُّنْيَا الَّتِي يَحْتَضِنُهَا تَرْكِيبٌ مَا فِي الْكَلَامِ، وَلَا تَحُدُّهَا بِنْيَةٌ خَاصَّةٌ، وَتَهْتَدِي إِلَيْهَا بِتَقْطِيعِ الْكَلَامِ بِمُرَاعَاةِ تَمَامِ الْمَعْنَى»[٣].

وحدد ميلتس خمس سمات أساسية للتعبير، هي: قابلية الإعادة والاسترجاع، استحالة الترجمة الحرفية، عدم القابلية للتجزئة، الغموض، الثبات[٤]. وللتعبيرات دور كبير في تعزيز هيكل الكلام الداخلي، «فَهِيَ بِمَثَابَةِ الْمِحْوَرِ الَّذِي يَلْتَحِمُ فِيهِ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى، فَيَنْصَهِرُ فِيهِ الشَّكْلُ وَالْمَضْمُونُ» [٥]. ومن جهة إبداع المعنى فإن قيمة التعبير الرئيسة تتجلى «فِي الْإِيحَاءِ بِالْمَعْنَى، وَعَدَمِ الْمُبَاشَرَةِ، وَالتَّعَدُّدِ، وَاقْتِنَاصِ لَازِمِ الْمَعْنَى، بِالِاسْتِجَابَةِ مَعَ عَنَاصِرِهِ، وَإِعْمَالِ الذِّهْنِ لِفَهْمِ الْمُرَكَّبِ التَّعْبِيرِيّ الْجَدِيدِ».[٦] ويتسم التعبير بالاختزال، ويمكن عده نوعاً من أنواع الاقتصاد في استخدام المفردات.

(١) القاسمي، علي. «المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق»، (ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٢م)، ص٩.

(٢) نُقِلَ عن: العبد، محمد. «إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي: مدخل لغوي أسلوبي»، (ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨م)، ص١٠٧.

(٣) لطرابلسي، محمد الهادي. «خصائص الأسلوب في الشوقيات»، (ط١، تونس: منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م)، ص٣١٨.

(٤) نُقِلَ عن: العبد، محمد. «إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي»، ص١٠٧.

(٥) الطرابلسي، محمد الهادي. «خصائص الأسلوب في الشوقيات»، ص٣١٨.

(٦) نُقِلَ عن: العبد، محمد. «إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي»، ص١٠٧.

أما مصطلح "التعبير الاصطلاحي" (idiom): الذي يدل على عبارة ذات معنًى لا يمكن أن يُستمد من مجرد فهم معاني كلماتها منفصلةً؛ فقد ينطبق جزء من حديثنا على عدم استقراره في القديم على نظيره الحديث، وإن كان هناك اتفاق إلى حد بعيد في المفهوم لكنهم قد تداولوا جملة من المصطلحات، نحو: المسكوكة اللغوية، [١] التركيب الثابت، التعبير، المثل، ولعل الأكثر شيوعاً هو التعبير الاصطلاحي ترجمةً للمصطلح الأجنبي (Idiom).

ونروم أن نستقرئ بعضاً من التعريفات، نحو ما ذكره علي القاسمي: «إِنَّ التَّعْبِيرَ الِاصْطِلَاحِيَّ هُوَ اجْتِمَاعُ كَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، بِحَيْثُ تَعْمَلَانِ بِصِفَتِهِمَا وَحْدَةً دَلَالِيَّةً وَاحِدَةً».[٢]

ويشير حسام الدين إلى مسألة الثبات في تعريفه مع التنصيص على مصطلح "التعبيرات الاصطلاحية"، فيقول: «نَمَطٌ تَعْبِيرِيٌّ خَاصٌّ بِلُغَةٍ مَا، يَتَمَيَّزُ بِالثَّبَاتِ، وَيَتَكَوَّنُ مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، تَحَوَّلَتْ عَنْ مَعْنَاهَا الْحَرْفِيِّ إِلَى مَعْنًى مُغَايِرٍ اصْطَلَحَتْ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ».[٣] ويشترك المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية بتعريفه مع ما قيل في التعريفين السابقين: «وَحْدَةٌ لُغَوِيَّةٌ تَتَكَوَّنُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى جَدِيدٍ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمَعَانِي الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا الْكَلِمَاتُ الْمُكَوِّنَةُ لَهُ مُنْفَرِدَةً».[٤]

---

(١) حسان، تمام. «اللغة العربية: معناها ومبناها»، (ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م)، ص١١٥.

(٢) القاسمي، علي. «المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق»، ص٩.

(٣) حسام الدين، كريم زكي. «التعبير الاصطلاحي»، (ط١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية)، ص٣٤.

(٤) صيني، إسماعيل، وآخرون. «المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية»، (ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م).

ويذهب أحمد مختار إلى إطلاق مصطلح (تعبير) في تعريفه هذه الظاهرة اللغوية: «نَمَطٌ ثَابِتٌ مِنَ التَّعْبِيرَاتِ يَخْتَصُّ بِلُغَةٍ بِعَيْنِهَا، وَيَتَكَوَّنُ مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَلَا يَتَّضِحُ مَعْنَاهُ الْكُلِّيُّ مِنْ تَجْمِيعِ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ الْمُكَوِّنَةِ لَهُ».(١)

كما ألمح عكاشة إلى البعد الاجتماعي الثقافي الذي يحكم هذا النمط من التعبير: «قَالَبٌ لَفْظِيٌّ جَاهِزٌ يُعَبِّرُ عَنْ مَعْنًى خَاصٍّ يَرْتَبِطُ بِهِ، وَيَدْخُلُ مَعَهُ فِي عَلَاقَةٍ ثَابِتَةٍ، فِي إِطَارِ اجْتِمَاعِيٍّ وَثَقَافِيٍّ وَاحِدٍ»،(٢) ضارباً جملة من الأمثلة عليه، منها: (مدت الحكومة يد العون لمنكوبي الزلزال) أي: ساعدتهم، ونقول في (جاء على جناح السرعة) أي: مسرعاً، و(ألقى الرئيس الضوء على حقيقة الموقف) أي: أبانه وكشفه، وقوله تعالى: ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾[النحل:٧](٣)، في حين ذكرها محمود فهمي حجازي تحت مصطلح (التراكيب الثابتة).(٤)

ويمكن جمع التعاريف السابقة في القول: «كُلُّ عِبَارَةٍ تَتَأَلَّفُ مِنْ لَفْظَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَتُنْظَمُ مَعاً فِي الْوَضْعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ عِلْمُ النَّحْوِ، وَلَكِنَّهَا فِي النِّهَايَةِ تُؤَدِّي إِلَى دَلَالَةٍ تَخْتَلِفُ عَمَّا يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ التَّرْكِيبِ، وَيُمْكِنُ أَنْ تُحَدَّدَ بِأَنَّهَا عِبَارَةٌ تَتَجَاوَزُ مَعْنَاهَا الدَّالَّةَ عَلَيْهِ فِي اللُّغَةِ، أَوْ فِي ظَاهِرِ التَّرْكِيبِ إِلَى مَعْنًى آخَرَ بَلَاغِيٍّ يَتَحَصَّلُ بِطَرِيقِ الْمَجَازِ، أَوْ

(١) عمر، أحمد مختار. «صناعة المعجم الحديث»، (ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٩م)، ص١٣٥.

(٢) عكاشة، محمود. «التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة»، (ط٢، القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١١م)، ص١٧٦.

(٣) عكاشة، محمود. «التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة»، ص١٧٨.

(٤) حجازي، محمود فهمي. «مدخل إلى علم اللغة»، (ط١، القاهرة: دار قباء)، ص١٥٨.

بِأُسْلُوبِ التَّعْبِيرِ الْكِنَائِيّ، وَهِيَ مَا سَوْفَ نَعْنِيهِ بِقَوْلِنَا: (الْعِبَارَةُ الِاصْطِلَاحِيَّةُ)».[١]

ويشير أحمد مختار أيضاً إلى أن المثل قد يندرج تحت هذا النمط من التعبيرات: «وَيَعُدُّ اللُّغَوِيُّونَ الْأَمْثَالَ (proverbs) مِنْ نَوْعِ الِاعْتِبَارَاتِ الِاصْطِلَاحِيَّةِ، بِاعْتِبَارِهَا تُمَثِّلُ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ التَّحَدِّيَاتِ التَّجْمُعِيَّةِ. وَمِثْلُ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّعْبِيرَاتِ لَا يُغَيَّرُ».[٢]

وخلاصة القول، نرى جملة من المعايير التي تحكم هذا المفهوم (التعبير الاصطلاحي)، من ضمنها البعد اللغوي فهو وحدة لغوية، والتحديد التركيبي فهو اجتماع لفظين أو أكثر، وسمة الثبات، وتواطؤ الجماعة اللغوية على الدلالة الجديدة من هذا الانتظام اللغوي الثابت، وتواترها في الاستخدام.

ومن الجدير بالذكر، أن معنى هذه التعبيرات الاصطلاحية لا يتولد عن الإسناد أو التركيب المباشر، بل له دلالة جديدة اصطلحت عليها الجماعة اللغوية، فتعبير نحو «السوق السوداء» يتجاوز دلالته الإسنادية المباشرة؛ ليشير إلى السوق غير القانونية التي تتداول التعاملات التجارية متجاهلة التشريعات والأحكام.

المطلب الثاني: خصائص التعبير الاصطلاحي

- **أولاً: الطابع المجازي**

تتجلى في التعبيرات الاصطلاحية صور متعددة، فهي تنتمي إلى الضرب الثاني من الكلام –حسب تعبير عبد القاهر الجرجاني– وهو: «الضَّرْبُ الَّذِي لَا تَصِلُ مِنْهُ إِلَى الْغَرَضِ بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ وَحْدَهُ، وَلَكِنَّ اللَّفْظَ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهُ الَّذِي يَقْتَضِيهِ مَوْضِعُهُ فِي

(١) أبو سعد، أحمد. «معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية: القديم منها والمولد»، جامعة قطر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ع٣، (١٩٩١م): ص٣٠٦-٣١٦.

(٢) عمر، أحمد مختار. «صناعة المعجم الحديث»، ص١٣٦.

اللُّغَةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى لَهُ دَلَالَةٌ ثَانِيَةٌ تُوصِلُ إِلَى الْغَرَضِ، وَمِدَارُ هَذَا الْكِنَايَةُ وَالِاسْتِعَارَةُ وَالتَّمْثِيلُ». (١)

والعدول عن الحقيقة إلى المجاز يحدث -في رأي ابن جني- لمعان ثلاثة: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن انتفت هذه المعاني الثلاثة كان الكلام حقيقة لا مجازاً. (٢)

- **ثانياً: الاقتصاد اللغوي**

يتسم التعبير بالاختزال، ويمكن عده نوعاً من أنواع الاقتصاد في استخدام المفردات، فهو «يُعَبِّرُ عَنِ الْمَعْنَى فِي صُورَةٍ لُغَوِيَّةٍ مُخْتَزَلَةٍ»،(٣) فقد يصل إلى كلمتين أو كلمة واحدة، وقد يكون موجزاً في دلالته كذلك.

- **ثالثاً: عدم القابلية للترجمة الحرفية**

لا يُترجم التعبير الاصطلاحي إلى لغة أخرى ترجمة حرفية؛ لعدم وجود مقابل حرفي أو شكلي، إنما يُراعى في الترجمة الطبيعة المجازية والبيئة الجغرافية والثقافية التي شاع فيها التعبير.

- **رابعاً: الثبات التركيبي**

إنها وحدة دلالية بنيوية مترابطة؛ أي أنها لا تخضع لأي نوع من أنواع التغيير مثل الاستبدال، أو الحذف، أو التقديم والتأخير، لأن هذا يؤدي إلى تحطيم المعنى تماماً، ومن

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر. «دلائل الإعجاز»، (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩٢م)، ص٢٦٢.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان. «الخصائص»، تحقيق: محمد علي النجار، (ط٢، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر)، ج٢، ص٤٢٢.

(٣) العبد، محمد. «إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي: مدخل لغوي أسلوبي»، (ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨م)، ص١٠٨.

أمثلة ذلك: (على العين والرأس)؛ أي بكل سرور، فليس بمقدورنا القول: في العين والرأس، أو على الرأس والعين. (١)

- **خامساً: الارتباط بالبيئة المحيطة**

إنها تستمد عناصرها الدلالية من البيئة المحيطة بها؛ لأن اللغة لا تنفصل عن عمل الذهن، ولا يعمل ذهن الإنسان إلا من خلال بيئة تُحيط به بكل مكوناتها، تؤثر فيه، وتتأثر به (٢).

المطلب الثالث: التعبير الاصطلاحي والمثل: فروق جوهرية

على الرغم من التقاطع الكبير بين التعبير الاصطلاحي والمثل، فإن ثمة فروقاً جوهرية تميز أحدهما عن الآخر من حيث البنية والوظيفة والسياق، ويمكن إبراز أهم هذه الفروق من خلال الجدول الآتي:

(١) صاحبي، دليلة. «المسكوكات اللغوية في كتاب سيبويه»، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري – تيزي وزو، الجزائر، (٢٠١٤م): ص١٠.

(٢) ناصف، مصطفى. «اللغة والتفسير والتواصل»، (ط١، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٥م)، ص٣١.

جدول رقم (١): الفروق الجوهرية بين التعبير الاصطلاحي والمثل

وجه المقارنة	التعبير الاصطلاحي	المثل
اللزوم اللفظي	لازمةٌ لفظيةٌ ثابتةٌ	ليسَ لازمةً لفظيةً دائماً
الحكمة والحقيقة العامة	لا يشتملُ عليها إلَّا في التعبيراتِ المَثَلِيَّةِ	يشتملُ عليها في الغالبِ
الارتباط بواقعة تاريخية	لا يرتبطُ بوقائعَ تاريخيةٍ محدَّدةٍ، بل يعكسُ أفكارَ الجماعةِ اللغويةِ ومعتقداتِها	يرتبطُ غالباً بواقعةٍ تاريخيةٍ أو حَدَثٍ معيَّنٍ، كما قِيلَ :لِكُلِّ مَثَلٍ قِصَّةٌ
الطقوسية والمواقف	يتَّصلُ بالمواقفِ الطقوسيةِ أو التنفيذيةِ والحقوقيةِ	لا يتَّصلُ دائماً بالطقوسيةِ وإنِ اتَّصلَ بالمواقفِ التمثيليةِ
الفعل اللغوي الاجتماعي	لا يُفضِي إلى فعلٍ لغويّ واجتماعيٍّ يتبعُ التلفُّظَ به	يُؤدِّي رسالةً تحملُ خطاباً ما، لكنَّه لا يُفضِي إلى فعلٍ حقوقيٍّ
التشبيه والتمثيل	ليسَ نوعاً من التشبيهِ والتمثيلِ بالضرورةِ	يُعَدُّ نوعاً من التشبيهِ والتمثيلِ

خلاصة: يمكن الاعتداد بنصوص المسكوكات اللغوية (التعبيرات الاصطلاحية) بصفتها بنية لغوية تعبيرية لها خصائصها وسماتها، شأنها شأن أنواع النصوص التعبيرية الأخرى. (١)

(١) اليزيدي، أمين عبد الله. «المسكوكات التعبيرية اللغوية، دراسة في الخطاب وفعل التأويل: نماذج مختارة من لهجة صنعاء ومحيطها»، مجلة الكلم، جامعة أحمد بن بلة وهران – الجزائر، ع٥، (٢٠١٨م): ص١٢٩-١٣١.

المبحث الثاني: تصنيف التعبيرات الاصطلاحية وفق البنية التركيبية

يستند التصنيف التركيبي إلى العلاقة النحوية التي تنظم عناصر التعبير الاصطلاحي، وقد قسم اللغويون هذه التعبيرات على أنواع وأنماط مختلفة حسب المنظور، فمنهم من قسمه إلى شكلين: الشكل المركب، والشكل المبسط(١)، ومنهم من نظر إلى عدد العناصر اللغوية فجعلها على ثلاثة أصناف: الجملة، التركيب الإضافي، الكلمة المفردة أو التركيب الأحادي،(٢) ولعل أكثر التصنيفات شيوعاً هو تقسيمها على خمسة أنماط، نعرضها فيما يأتي:

١) التعبير الفعلي

وهو التعبير الذي يبدأ بفعل، سواء أكان ماضياً أم مضارعاً أم أمراً، ويعد هذا النمط من أكثر التعبيرات الاصطلاحية حيوية وديناميكية؛ لاحتوائه على حدث متجدد، ومن أمثلته: (ترك له الحبل على الغارب)؛ أي: أطلق له حرية التصرف دون قيد أو رقابة، و(ضرب عصفورين بحجر)؛ أي: حقق هدفين بفعل واحد، و(ألقى بثقله)؛ أي: استخدم نفوذه وسلطته، ويتميز هذا النمط بإمكانية تصريف الفعل حسب الزمن، والفاعل، مع بقاء المعنى الاصطلاحي ثابتاً.

٢) التعبير الاسمي

وهو التعبير الذي يتكون من جملة اسمية، مؤلفة من مبتدأ وخبر، ويتسم بالثبات

(١) حسام الدين، كريم زكي. «التعبير الاصطلاحي»، (ط١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية)، ص٢١٩.

(٢) أبو سعد، أحمد. «معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية: القديم منها والمولد»، جامعة قطر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ع٣، (١٩٩١م): ص٥-٦.

والاستقرار الدلالي؛ إذ تفيد الجملة الاسمية معنى الديمومة والاستمرار، ومن أمثلته: (يدٌ من حديد)؛ كناية عن الحزم والقوة في التعامل، و(قلبُه على كفّه)؛ أي صريح واضح لا يخفي مشاعره، و(الصمتُ من ذهب)؛ أي السكوت في بعض المواقف أفضل من الكلام. ويمكن أن يكون الخبر مفرداً أو جملة أو شبه جملة، مما يتيح تنوعاً في البنية التركيبية لهذا النمط.

٣) التعبير الإضافي

وهو التعبير الذي يقوم على علاقة الإضافة بين المضاف والمضاف إليه، حيث يشكلان معاً وحدة دلالية متماسكة، لا يمكن فصلها أو تغييرها دون الإخلال بالمعنى الاصطلاحي، ومن أمثلته: (قاب قوسين أو أدنى)؛ أي: قريباً جداً وشيكاً، و(ابن الليل)؛ كناية عن اللص، و(أم الكتاب)؛ أي: أصله وجوهره، و(رأس المال)؛ أي: المبلغ الأصلي المستثمَر، ويمتاز هذا النمط بالإيجاز والتكثيف الدلالي؛ إذ يعبر عن معانٍ واسعة بتركيب لغوي مختصر.

٤) التعبير الوصفي

وهو التعبير الذي يتكون من موصوف وصفة، حيث تشكل الصفة عنصراً جوهرياً في تحديد المعنى الاصطلاحي للتعبير، ولا يمكن فصلها عن الموصوف، أو استبدالها بصفة أخرى، ومن أمثلته: (الصحافة الصفراء)؛ أي: الصحافة غير المهنية التي تنشر الإثارة والفضائح، و(الحرب الباردة)؛ أي: الصراع السياسي دون مواجهة عسكرية مباشرة، و(السوق السوداء)؛ أي: التجارة غير المشروعة، و(اليد العليا)؛ أي: المعطي أو صاحب السلطة، وغالباً ما يعتمد هذا النمط على المجاز اللوني، أو الوصفي؛ لإنتاج المعنى الاصطلاحي.

٥) التعبير العباري

وهو التعبير الذي يتكون من شبه الجملة (الجار والمجرور أو الظرف)، ويستخدم عادة في سياقات محددة لوصف حالة أو ظرف معين، ومن أمثلته: (بشق الأنفس)؛ أي: بعد عناء، ومشقة شديدة، و(على قدم وساق)؛ أي: بجد واجتهاد وسرعة، و(في قلب الحدث)؛ أي: في موضع الأهمية والتأثير المباشر، و(على أحر من الجمر)؛ كناية عن شدة الانتظار والترقب، ويمتاز هذا النمط بإيجازه الشديد؛ إذ يعبر عن معان مركبة بتركيب لغوي بسيط وموجز.[١]

(١) عكاشة، محمود. «التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة»، (ط٢، القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١١م)، ص١٧٦-١٧٨.

المبحث الثالث: التعبيرات الاصطلاحية في الزاهر- دراسة تطبيقية

اشتمل هذا المبحث التطبيقي على تحليل تركيبي دلالي لعشرة تعبيرات اصطلاحية، منتخبة من كتاب «الزاهر في معاني كلمات الناس»، تنوعت بين الأنماط التركيبية المختلفة، وتوزعت على صفحات الكتاب؛ ويوضح الجدول الآتي هذه التعبيرات مع بياناتها التفصيلية:

جدول رقم (٢): إحصاء شامل للتعبيرات الاصطلاحية المدروسة من كتاب «الزاهر»

م	التعبير الاصطلاحي	المعنى الاصطلاحي	النمط التركيبي	الصفحة
1	لكل ساقطة لاقطة	لكل كلمة خطأ من يتحفظها ويحملها عنه	اسمي	307
2	بالرفاء والبنين	دعاء للمتزوج بالاتفاق والانسجام وإنجاب الأطفال	عباري (شبه جملة)	725
3	هو الموت الأحمر	الموت الشديد الهول؛ حيث يرى الإنسان الدنيا حمراء	اسمي (بضمير الشأن)	289
4	لفلان قدم في الخير	له سابقة وتقدم في فعل الخير	اسمي	445
5	الحديث ذو شجون	الحديث متشعب له فروع كثيرة	اسمي (إضافي)	196
6	هو الفاتق والراتق	هو الذي يصلح ويفسد، صاحب الأمر كله	اسمي (بضمير الشأن)	223
7	بيننا مسافة	بيننا خصومة وجفاء وعداوة	اسمي	156
8	هذه الغنيمة الباردة	الغنيمة السهلة التي تنال بلا قتال	اسمي (وصفي)	234
9	ما يدري من طحاها	لا يدري من بسطها وصنعها (عن الجهل التام)	فعلي	189
10	كأنما على رؤوسهم الطير	شدة الوقار والسكون والأدب	اسمي (تشبيهي)	145

(المصدر :مستخرج من الزاهر في معاني كلمات الناس للأَنباري)

يتضح من الجدول السابق أن الدراسة التطبيقية شملت (١٠) تعبيرات اصطلاحية

من كتاب «الزاهر»، توزعت على أنماط تركيبية متنوعة؛ إذ غلب عليها النمط الاسمي بأشكاله المختلفة (الجملة الاسمية البسيطة، والمستهلة بضمير الشأن، والإضافية، والوصفية، والتشبيهية)، مع حضور محدود للنمط الفعلي والعباري، كما توزعت هذه التعبيرات على صفحات مختلفة من الكتاب تراوحت بين الصفحة (١٤٥) والصفحة (٧٢٥)؛ مما يعكس انتشار هذه الظاهرة اللغوية عبر مادة الكتاب، وعدم اقتصارها على باب معين، وفيما يأتي تحليل تفصيلي لكل تعبير من هذه التعبيرات.

المطلب الأول: التعبيراتُ الاسميةُ البسيطةُ

تمثل التعبيرات الاسمية البسيطة النمط الأكثر شيوعاً في كتاب «الزاهر»، وهي تتكون من مبتدأ وخبر دون تعقيدات تركيبية. وقد وردت في عينة الدراسة ثلاثة تعبيرات من هذا النمط، نعرضها فيما يأتي:

- **أولاً: قَوْلُهُمْ: لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ**[(١)]

«مَعْناهُ: لِكُلِّ كَلِمةٍ سَاقِطةٍ، أيْ: يَسْقُطُ بها الإنْسانُ، لاقِطٌ لها، أيْ: مُتَحَفِّظٌ لها، فكان يَجِبُ أنْ يُقالَ: لِكُلِّ سَاقِطةٍ لاقِطٌ، أيْ: لِكُلِّ كَلِمةٍ خَطَأٍ مُتَحَفِّظٌ لها، فأُدْخِلَتِ الهاءُ في اللاقِطةِ، لِتَزْدَوِجَ الكَلِمةُ الثَّانِيةُ مع الأُولى». [(٢)]

وفي «مَجْمَعِ الأَمْثالِ»: «قال الأَصْمَعِيُّ وغَيْرُهُ: السَّاقِطةُ: الكَلِمةُ يَسْقُطُ بها الإنْسانُ؛ أيْ: لِكُلِّ كَلِمةٍ يُخْطِئُ فيها الإنْسانُ مَنْ يَتَحَفَّظُها فيَحْمِلُها عنه، وأُدْخِلَ الهاءُ في "لاقِطةٍ" إرادةَ المبالَغةِ، وقيل: أُدْخِلَتْ لازْدِواجِ الكَلامِ، يُضْرَبُ في التَّحَفُّظِ عند النُّطْقِ، وقيل: أرادَ لِكُلِّ كَلِمةٍ سَاقِطةٍ أُذُنٌ لاقِطةٌ؛ لأنَّ أداةَ لَقْطِ الكَلامِ الأُذُنُ»[(٣)]،

(١) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم. "الزاهر في معاني كلمات الناس"، تحقيق: حاتم الضامن، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠١١م، ص٣٠٧. [التعبير رقم: ١٨٩]

(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٧.

(٣) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد. "كتاب مجمع الأمثال"، تحقيق: محمد محيي الدين، د.ط، =

فمعنى هذه العبارة أن لكل كلمة تسقط من اللسان وإن كانت نابية، أذنٌ لاقطة، تشيعها بين الناس.

التحليل التركيبي

هو تركيب اسمي، قدم فيه الخبر على المبتدأ وجوبًا؛ إذ جاء نكرة، وذكر ابن جني في «باب في إصلاح اللفظ»: «ومِنْ ذلك أيضًا قَوْلُهُمْ: لَكَ مالٌ، عَلَيْكَ دَيْنٌ، فالمالُ والدَّيْنُ هنا مُبْتَدَآنِ وما قَبْلَهُما خَبَرٌ عنهما، إلَّا أنَّكَ لو رُمْتَ تَقْديمَهُما إلى المكانِ المقَدَّرِ لهما لم يَجُزْ، ولَقَبُحَ الابْتِداءُ بالنَّكِرةِ في الواجِبِ، فلَمَّا جَفا ذلك في اللَّفْظِ، أخَّرُوا المبْتَدأَ وقَدَّمُوا الخَبَرَ وكان ذلك سَهْلًا عليهم، ومُصْلِحًا ما فَسَدَ عِنْدَهُمْ، وإنَّما كان تَأَخُّرُهُ مُسْتَحْسَنًا مِنْ قِبَلِ أنَّهُ لَمَّا تَأَخَّرَ وَقَعَ مَوْقِعَ الخَبَرِ، ومِنْ شَرْطِ الخَبَرِ أنْ يَكونَ نَكِرةً، فلِذلك صَلَحَ به اللَّفْظُ وإنْ كُنَّا قد أحَطْنا عِلْمًا بأنَّهُ في المعْنى مُبْتَدأٌ».(١)

وفي الأثر الدلالي لهذا التقديم والتأخير، فإن تقديم الخبر في هذا التعبير الاصطلاحي وهي دلالة التخصيص، فكأن لدينا طرفين، أحدهما ساقط والآخر لاقط له.

واستهِل الخبر بـ(كل) وهي اسم مضاف إلى نكرة فأفاد استغراق أفرادها، وروعِي معنى ما أضيف إليه المؤنث (ساقطة) فأتى المبتدأ مؤنثًا (لاقطة). جاء في «المغني»: «اسْمٌ مَوْضوعٌ لاسْتِغْراقِ أفْرادِ المنْكَرِ، نحوُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، واعْلَمْ أنَّ لَفْظَ (كُلٍّ) حُكْمُهُ الإفْرادُ والتَّذْكيرُ، وأنَّ مَعْناها بحَسَبِ ما تُضافُ إليه، فإنْ كانتْ مُضافةً إلى مُنْكَرٍ وَجَبَ مُراعاةُ مَعْناها».(٢)

بيروت: دار المعرفة، ج٢، ص١٩٣. وانظر: العسكري، أبو هلال. "جمهرة الأمثال"، ج٢، ص١٧٩؛ الهاشمي، أحمد. "الأمثال"، ص٢١٣.

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان. "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ج١، ص٣١٧.

(٢) ابن هشام، عبد الله بن يوسف. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، ط٦، دمشق: دار الفكر، =

وإن تركيب: اللام + كل + (اسم نكرة) ساقطة + مبتدأ نكرة (لاقطة)، شائع في الأمثال والتعبيرات الاصطلاحية؛ ولعل ذلك يُعزى إلى طبيعة التركيب الدلالية الذي تولد عن استخدام (كل) التي تفيد معنى الإحاطة، وهو معنى يُرام تحصيله في التعبير الاصطلاحي عادةً، وذكر في «بدائع الفوائد»: «إنَّ (كُلًّا) إذا تَقَدَّمَتْ تَقْتَضي الإحاطةَ بالجِنْسِ». (١)

الاستعمال المعاصر

وهذا التعبير بهذا التركيب ما زال متداولًا إلى اليوم، غير أن دلالته اتسعت؛ فيشمل كل تصرف منبوذ مشين، أو إنسانٍ سيئ الخلق يجد من يلتقطه، أو يحاكيه، أو يُعجب به؛ ولذلك قيل (٢):

لِكُلِّ سَاقِطَةٍ فِي الْحَيِّ لَاقِطَةٌ * وَكُلُّ كَاسِدَةٍ يَوْمًا لَهَا سُوقُ**

وهناك تعبيرات على غراره في المبنى والمعنى، فيقولون: "لكل حشفة مقرْمِش"(٣)؛ والحشفة: التمر الرديء، والمعنى فيهما واحد، وهو: كل ما رغب عنه، ثمة من يرغب فيه.

- **ثانيًا: قَوْلُهُمْ: لِفُلَانٍ قَدَمٌ فِي الْخَيْرِ**

١٩٨٥م، ص١٩٣-١٩٦.

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "بدائع الفوائد"، بيروت: دار الكتاب العربي، ج١، ص٢١٢.

(٢) شطّا الدمياطي، أبو بكر عثمان بن محمد (المشهور بالبكري)."إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)"، ط١، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٣، ص٢٦٣.

(٣) تيمور، أحمد. "الأمثال العامية"، ط٢، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م، ص٢٠٣. وانظر: العوني، فالح حنظل. "معجم الأمثال العامية"، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١م، ص١٨٩.

«مَعْناهُ: لَهُ سابِقةٌ في الخَيْرِ». (١)

وجاء في «المعجم الوسيط»:(٢) يُقالُ: لِفُلانٍ قَدَمٌ في العِلْمِ أو الكَرَمِ ونَحْوِهما، ويُقالُ: قَدَمُ صِدْقٍ وقَدَمُ كَرَمٍ. وفي التَّنْزيلِ العَزيزِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [يونس: ٢]: سابِقةَ فَضيلةٍ، ويُقالُ: لَهُ عِنْدَ فُلانٍ قَدَمٌ: مَعْروفٌ، وما قَدَّمَهُ الإنْسانُ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ.

التحليل التركيبي

هو تركيب اسمي ورد فيه تقديم وتأخير، فأصل التركيب: قدم في الخير لفلان، تقدم الخبر (الجار والمجرور) ليس على سبيل الوجوب؛ إذ إن تنكير المبتدأ (قدم) قد خُصص بالوصف (في الخير) مما أهله للابتداء، لكنه أُخر؛ لإرادة دلالة التخصيص، فسابقة الخير هي لفلان بعينه.

وفي الواقع يمكن أن نتأمل تحديد (القدم) دون سائر أعضاء الإنسان، ونعزوه إلى كونها آلة السعي، وهي حاملة الإنسان، سواء أكان إلى طريق الخير أم إلى طريق الشر، وجيء بها نكرة؛ لإرادة التعظيم من مسعاها.

الاستعمال المعاصر

توظيف الأعضاء في التعابير الاصطلاحية متداول، نحو: "له أيادٍ بيضاء"، لدلالة المعروف، و"للجدران آذان"(٣)، لمعنى التحذير من أن الخبر قد ينتشر دون إدراك

(١) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم. "الزاهر في معاني كلمات الناس"، تحقيق: حاتم الضامن، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠١١م، ص٤٠٠.

(٢) «المعجم الوسيط»، مادة (قدم)، ج٢، ص٧٢٥.

(٣) تيمور، أحمد. "الأمثال العامية"، ط٢، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م، ص٢٨٩. وانظر: العوني، فالح حنظل. "معجم الأمثال العربية"، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١م، ص٤٢١.

الشخص، و"يقدم قدمًا ويؤخر أخرى"، كناية عن التردد.

- **ثالثًا: قَوْلُهُمْ: بَيْنَنَا مَسَافَةٌ**(١)

«مَعْناهُ: بَيْنَنا بُعْدٌ، والأَصْلُ في هذا أنَّ القَوْمَ كانوا إذا أشْكَلَ عليهم الطَّريقُ، فلم يَعْرِفوا مِقْدارَهُ، شَمُّوا تُرْبَتَهُ، فعَرَفوا بذلك مِقْدارَ قُرْبِهِ مِنْ بُعْدِهِ».

التحليل التركيبي

جاء التعبير الاصطلاحي مركبًا اسميًا مكونًا من جزأين: مركب اسمي (حذف مركب التعليق الاسمي "كائن" حذفًا إجباريًا) + مركب ظرفي (ظرف + مضاف إليه)؛ سوغ المبتدأ النكرة لتقدمه، و"مسافة" اسم، وقع مبتدأ.

الاستعارة التصورية

وتمثيل الدلالة المعنوية في دلالة مادية كثير في التعبيرات الاصطلاحية، وللتوجه المكاني الفيزيائي تحديدًا أثر في الفكر البشري وتصوراته، وهنا تشغل الاتجاهات الفضائية أساسًا لبنية العبارة، فالمسافة المقصودة هنا مسافة قد تكون نفسية، ومنها بنيت تراكيب شبيهة: "أعطني مساحتي"(٢)، "اترك بينك وبين الآخر مسافة"(٣)، "لا تلغ المسافة بيننا"(٤)، وعلى هذا المنوال.

ويمكن أن نخضع هذا التعبير الاصطلاحي لمفهوم الاستعارة التصورية؛ التي تؤدي التجربة الجسدية فيها دورها مهمًا في تحقيق الفهم، فبها نتمكن من فهم المشاعر المجردة،

(١) الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس"، ص٥٦٣. [التعبير رقم: ٤٧٩]

(٢) الجندي، أحمد علي. "أمثالنا الشعبية في الميزان"، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥م، ص٢٣٤.

(٣) عبد الحميد، شمس الدين. "معجم الأمثال والتعابير الاصطلاحية"، القاهرة: دار العلم والثقافة، ٢٠٠٢م، ص١٨٩.

(٤) راجح، أحمد. "الأمثال الشعبية دراسة تحليلية"، بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٠م، ص١٤٥.

«العَقْلُ لا يَنْفَصِلُ عن تَجْرِبةِ الجَسَدِ، بل إنَّ التَّجْرِبةَ العَقْليَّةَ في كَثيرٍ مِنْ جَوانِبِها تَقَعُ تحتَ سَيْطَرةِ الجَسَدِ المجازيَّةِ، حيثُ يَنْقُلُ العَقْلُ مِنْ خِلالِ الاسْتِعارةِ بُنى التَّجارِبِ المادِّيَّةِ، كالحَرَكةِ، والرُّؤْيةِ البَصَريَّةِ، والاحْتِواءِ، ومَنْطِقَها، وتَفاعُلَها؛ لِيُشَكِّلَ مِنْها المفاهيمَ المجَرَّدةَ».

المطلب الثاني: التعبيرات الاسمية المركبة

أولاً: التعبيرات المستهلة بضمير الشأن

- **قَوْلُهُمْ: هُوَ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ**(١).

«معناه: أن يَشْتَدَّ فَزَعُ الرجل حتى يَضْطَرِبَ بصرُه ويَتَغَيَّر، فيرى الأشياء أمامه مُشوَّشةً كأنها حمراءُ أو سوداءُ».(٢)

وذكر في «لسان العرب»، مادة (حمر): «قال الأَصْمَعِيُّ: يُقالُ: هُوَ المَوْتُ الأَحْمَرُ والمَوْتُ الأَسْوَدُ؛ قال: ومَعْناهُ: الشَّديدُ؛ قال: وأُرى ذلك مِنْ أَلْوانِ السِّباعِ كأَنَّهُ مِنْ شِدَّتِهِ سَبُعٌ؛ قال أبو عُبَيْدٍ: فكأَنَّهُ أرادَ بقَوْلِهِ: احْمَرَّ البَأْسُ، أَيْ: صارَ في الشِّدَّةِ والهَوْلِ مِثْلَ ذلك».(٣) فيدل على هول الميتة، وقد يستخدم لما يصيب الإنسان من فواجع ومصائب.

التحليل التركيبي

ونرى تركيبًا اسميًا استهل بضمير الشأن يتلاءم وعظمة ذكر الموت في نفس المتلقي، جاء في «شرح المفصل»: «اعْلَمْ أَنَّهُمْ إذا أرادوا ذِكْرَ جُمْلةٍ مِنَ الجُمَلِ الإسْمِيَّةِ، أو الفِعْليَّةِ فقد يُقَدِّمونَ قَبْلَها ضَميرًا يَكونُ كِنايةً عن تِلْكَ الجُمْلةِ، وتَكونُ الجُمْلةُ خَبَرًا عن ذلك الضَّميرِ، وتَفْسيرًا له، ويُوَحِّدونَ الضَّميرَ؛ لأَنَّهُمْ يُريدونَ الأَمْرَ والحَديثَ، لأنَّ كُلَّ جُمْلةٍ

(١) الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس"، ص٥٢٤. [التعبير رقم: ٤٥٨]

(٢) المصدر نفسه، ص٥٢٤.

(٣) «لسان العرب»، مادة (حمر)، ج٤، ص١٩٧.

شَأْنٌ وحَديثٌ، ولا يَفْعَلونَ ذلك إلَّا في مَواضِعِ التَّفْخيمِ والتَّعْظيمِ».[١]

ويظهر بناء هذا التركيب الاسمي: (هو): ضمير الشأن + (الموت): الخبر + (الأحمر): النعت؛ ومنحت الاسمية دلالة الثبوت والدوام، إذ تطرق التعبير إلى حقيقة وجودية لا جدال فيها.

دَلالةُ الأَلْوانِ في التَّعْبيراتِ الاصْطِلاحيَّةِ

وإن استخدام اللون في التعبير الاصطلاحي أمر معهود في اللغات جمعاء، وتختلف دلالات الألوان باختلاف الثقافات والسياقات؛ إذ تخصص المجتمعات معاني متباينة لذات اللون الواحد بحسب خلفيتها الثقافية وتجاربها التاريخية.[٢]

وفي الثقافة العربية، يحمل اللون الأحمر –كما يظهر في التعبير السابق – دلالة الهول والشدة والخطر؛ إذ يرتبط بلون الدم والموت العنيف، ولهذا قيل: «الموت الأحمر» و«احمر البأس» دلالة على أشد أنواع الموت والقتال، وهذه الدلالة تتفق مع ما يحمله الأحمر في كثير من الثقافات من إشارة إلى الخطر والتحذير.

وهناك كثير من التعبيرات الاصطلاحية المتداولة اليوم توظف اللون؛ لتحمل بدلالاته أفكارها، فيقال: «دربك أخضر»[٣]؛ استبشارًا وتفاؤلًا يبعث في نفس المتلقي، لما يكتنزه الأخضر من دلالة مبهجة في الثقافة العربية؛ لارتباطه بلون الجنة، والزرع، وكل ما يشرح الخاطر.

---

(١) ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. "شرح المفصل للزمخشري"، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ج٣، ص١١٤.

(٢) عكاشة، محمود. "التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة"، ط٢، القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١١م، ص١٧٦–١٧٨؛ وعمر، أحمد مختار. "علم الدلالة"، ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م، ص١١٥.

(٣) الجندي، أحمد علي. "أمثالنا الشعبية في الميزان"، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥م، ص١٥٦.

على خلاف اللون الأصفر مثلًا، فيقال: «ابتسامة صفراء» [١]؛ بمعنى: غير صادقة، بل تحمل خلفها شعورًا بالمجاملة أو السخرية، وكذلك: «صحف صفراء» [٢]؛ وتعني: غير مهنية، تهدف إلى إثارة الرأي العام لزيادة عدد المبيعات، وإشاعة الفضائح مستخدمة المبالغة أو الانحياز.

وهناك تعبيرات تستخدم المقابلة بين لونين متضادي الدلالة، فيقال: «**خَبِّئْ قِرْشَكَ الأَبْيَضَ لِيَوْمِكَ الأَسْوَدِ**»[٣] في الدعوة إلى الاقتصاد، فلا يدري الإنسان ما هو مقبل عليه من ظروف قد تكون صعبة، ومنها أيضًا: «**قَلْبُكَ أَبْيَضُ**» [٤]؛ دلالة على التسامح وسعة النفس، في حين تدل «قلبك أسود» على ضيق النفس، وعدم الغفران، وتذكر الإساءة.

- **قَوْلُهُمْ: هُوَ الْفَاتِقُ وَالرَّاتِقُ**[٥].

«مَعْناهُ: هُوَ مالِكُ الأَمْرِ، فهو يَفْتَحُ ويُغْلِقُ ويُضَيِّقُ ويُوَسِّعُ».

التحليل التركيبي

وهنا مركب اسمي مصدر بضمير الشأن لمعنى التفخيم، يقول ابن يعيش: «اعْلَمْ أَنَّهُمْ إذا أرادوا جُمْلةً مِنَ الجُمَلِ الاسْمِيَّةِ أو الفِعْلِيَّةِ فقد يُقَدِّمونَ قَبْلَها ضَميرًا يَكونُ كِنايةً عن تِلْكَ الجُمْلةِ، وتَكونُ الجُمْلةُ خَبَرًا عن ذلك الضَّميرِ، وتَفْسيرًا له، ويُوَحِّدونَ الضَّميرَ لأَنَّهُمْ يُريدونَ الأَمْرَ والحَديثَ، لأَنَّ كُلَّ جُمْلةٍ شَأْنٌ وحَديثٌ، ولا يَفْعَلونَ ذلك إلَّا في مَواضِعِ التَّفْخيمِ والتَّعْظيمِ... ويُسَمِّيهِ الكوفيُّونَ الضَّميرَ المجْهولَ لأَنَّهُ لم يَتَقَدَّمْهُ ما يَعودُ إليه».

(١) راجح، أحمد. "الأمثال الشعبية دراسة تحليلية"، بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٠م، ص٨٩.
(٢) «معجم اللغة العربية المعاصرة»، مادة (صفراء)، ج٢، ص١٣٥٦.
(٣) تيمور، "الأمثال العامية"، ص١٢٥.
(٤) العوني، "معجم الأمثال العامية"، ص٢٧٦.
(٥) الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس"، ص٥٠٧. [التعبير رقم: ٤٣٠]

وبالإضافة إلى معنى التفخيم، فثمة مبالغة في جعل الأمر كله بيديه، فإن شاء فتحه وشقه، وإن شاء أغلقه وأصلحه، «إنَّ ضَميرَ الشَّأْنِ أو القِصَّةِ على اخْتِلافِ أحْوالِهِ، إنَّما يَرِدُ على جِهةِ المبالَغةِ في تَعْظيمِ تِلْكَ القِصَّةِ، وتَفْخيمِ شَأْنِها، وتَحْصيلِ البَلاغةِ فيه، مِنْ جِهةِ إضْمارِهِ أوَّلًا وتَفْسيرِهِ ثانِيًا؛ لأنَّ الشَّيْءَ إذا كان مُبْهَمًا فالنُّفوسُ مُتَطَلِّعةٌ إلى فَهْمِهِ ولها تَشَوُّقٌ إليه».

وبين الفتق والرتق طباق، والطباق هو: «الجَمْعُ بين المتَضادَّيْنِ، أيْ مَعْنَيَيْنِ مُتَقابِلَيْنِ في الجُمْلةِ»، ومما يلفت الانتباه هو أن هذين المتضادين منسوبان لشخص واحد، ومن هنا ساغ توظيف ضمير الشأن، فليس بالأمر المعتاد أن يحوز الإنسان القرار في إصلاح الأمور وإفسادها، أو جمعها ونثرها.

الاستعمال المعاصر

ولعل هذا التعبير الاصطلاحي ليس متداولًا بصيغته في اللغة المعاصرة، لكن ثمة تعابير على غرار مبناه ومعناه، نحو: "هو الآمر والناهي"[(١)]، دلالة على سلطته المطلقة.

ثانيًا: التَّعْبيراتُ الإضافيَّةُ

- **قَوْلُهُمْ: الحَديثِ ذو شُجونٍ**[(٢)].

«مَعْناهُ: الحَديثُ ذو فُنونٍ وتَمَسُّكٍ وتَشَبُّكٍ مِنْ بَعْضِهِ ببَعْضٍ، يُقالُ: شَجَرٌ مُتَشَجِّنٌ: إذا الْتَفَّ بَعْضُهُ ببَعْضٍ».[(٣)]

يساق هذا التعبير في الحديث يتذكر به غيره، فعندما نتحدث عن شخص في موضوع ما، فإننا ننتقل إلى موضوع آخر، ثم إلى موضوع غيره، وهكذا... فالحديث

(١) أمين، أحمد. "قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية"، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م، ص٦٧. وانظر: تيمور، "الأمثال العامية"، ص٤١٢.

(٢) الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس"، ص٤٤٥. [التعبير: ٣٣٩]

(٣) الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس"، ص٤٤٥.

يجذب بعضه بعضًا، ولذا قيل: الحديث ذو شجون.

أصل المثل

وجاءَ في «مَجْمَعِ الأَمْثالِ»:[1] «الحَديثُ ذو شُجونٍ. قد نَظَمَ الشَّيْخُ أبو بكرٍ عليُّ بنُ الحُسَيْنِ القُهِسْتانِيُّ هذا المَثَلَ ومَثَّلًا آخَرَ في بَيْتٍ واحِدٍ، وأحْسَنَ ما شاءَ، وهو مِنْ بَحْرِ الطَّويلِ:[2]

تَذَكَّرَ نَجْدًا وَالْحَدِيثُ شُجُونُ * فَجُنَّ اشْتِيَاقًا وَالْجُنُونُ فُنُونُ**

وأوَّلُ مَنْ قال هذا المَثَلَ ضَبَّةُ بنُ أدٍّ بنُ طابِخَةَ بنُ إلْياسَ بنُ مُضَرَ، وكان له ابْنانِ يُقالُ لأحَدِهِما سَعْدٌ وللآخَرِ سَعيدٌ، فنفرَتْ إبِلٌ لِضَبَّةَ تحتَ اللَّيْلِ، فوَجَّهَ ابْنَيْهِ في طَلَبِها، فتَفَرَّقا فوَجَدَها سَعْدٌ، فرَدَّها، ومَضى سَعيدٌ في طَلَبِها فلَقِيَهُ الحارِثُ بنُ كَعْبٍ، وكان على الغُلامِ بُرْدانِ فسَأَلَهُ الحارِثُ إيَّاهُما، فأَبى عليه، فقَتَلَهُ وأخَذَ بُرْدَيْهِ، فكان ضَبَّةُ إذا أمْسى فرَأى تحتَ اللَّيْلِ سَوادًا قال: أسَعْدٌ أمْ سَعيدٌ؟ فذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا يُضْرَبُ في النَّجاحِ والخَيْبةِ، فمَكَثَ ضَبَّةُ بذلك ما شاءَ اللهُ أنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ إنَّهُ حَجَّ فوافَى عُكاظَ فلَقِيَ بها الحارِثَ بنَ كَعْبٍ ورَأى عليه بُرْدَيِ ابْنِهِ سَعيدٍ، فعَرَفَهُما، فقال له: هل أنتَ مُخْبِري ما هذانِ البُرْدانِ اللَّذانِ عليكَ؟ قال: بَلى لَقِيتُ غُلامًا وهُما عليه فسَأَلْتُهُ إيَّاهُما فأَبى عَلَيَّ فقَتَلْتُهُ وأخَذْتُ بُرْدَيْهِ هذَيْنِ، فقال ضَبَّةُ: بسَيْفِكَ هذا؟ قال: نَعَمْ، فقال: فأَعْطِني أنْظُرْ إليه فإنِّي أظُنُّهُ صارِمًا، فأَعْطاهُ الحارِثُ سَيْفَهُ، فلَمَّا أخَذَهُ مِنْ يَدِهِ هَزَّهُ، وقال: الحَديثُ ذو شُجونٍ، ثُمَّ ضَرَبَهُ به حتَّى قَتَلَهُ، فقيل له: يا ضَبَّةُ أفي الشَّهْرِ الحَرامِ؟ فقال: سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ، فهو أوَّلُ مَنْ سارَ عنه هذه الأَمْثالُ الثَّلاثةُ».

(١) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد. "مجمع الأمثال"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ج٢، ص١٩٦.

(٢) البيت للقهستاني من بحر الطويل. انظر: الميداني، "مجمع الأمثال"، ج٢، ص١٩٦.

وقال الفرزدق من بحر الطويل:(١)

لَا تَأْمَنَنَّ الْحَرْبَ إِنَّ اسْتِعَارَهَا * كَضَبَّةَ إِذْ قَالَ: الْحَدِيثُ شُجُونُ**

التحليل التركيبي

ولدينا مركب اسمي، ينقسم إلى مبتدأ معرفة (الحديث) + اسم من الأسماء الخمسة (ذو) + مضاف إليه (شجون)، ويقول السهيلي بشأن (ذو) في مسألة (الأسماء النواقص): «اعْلَمْ أنَّ العَرَبَ لَمَّا جَعَلَتِ الاسْمَ الذي هو الذي ذو وَصْلةً إلى وَصْفِ النَّكِراتِ بالأَجْناسِ، فقالوا: هذا رَجُلٌ ذو مالٍ، حيثُ لم يُمْكِنْهُمْ أنْ يَشْتَقُّوا مِنَ "المالِ" ونَحْوِهِ اسْمًا يَكونُ وَصْفًا للرَّجُلِ جارِيًا عليه، كما أمْكَنَهُمْ ذلك في الفِعْلِ، حيثُ اشْتَقُّوا مِنْهُ أسْماءً يَصِفونَ بها ويُضْمِرونَ فيها ما يَعودُ على المَوْصوفِ».(٢)

ثالثًا: التَّعْبيراتُ الوَصْفيَّةُ

- **قَوْلُهُمْ: هَذِهِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ**(٣).

«مَعْناهُ: هذه الغَنيمةُ التي وُصِلَ إليها بلا تَعَبٍ، ولا مُقاساةَ عَناءٍ. وذلك أنَّ "الغَنيمةَ" سَبيلُها ألَّا يُوصَلَ إليها إلَّا بعدَ حَرْبٍ، واصْطِلاءٍ بحَرِّها، وطولِ مُنازَعةٍ فيها. فإذا وَصَلَتِ الغَنيمةُ بغَيْرِ قِتالٍ، ولا مُنازَعةٍ، فهي بارِدةٌ، ولم يُكابَدْ فيها حَرُّ الحَرْبِ وتَوَقُّدُها. ثُمَّ اسْتَعْمَلَتِ العَرَبُ ذلك في كُلِّ شَيْءٍ يَصيرُ إلى الإنْسانِ، فيَكْثُرُ عِنْدَهُ، ويَشْتَدُّ سُرورُهُ به، مِنْ غَيْرِ عَناءٍ، ولا شِدَّةِ نَصَبٍ».

ورود المثل في الحديث النبوي

---

(١) الفرزدق، همام بن غالب. "ديوان الفرزدق"، تحقيق: علي فاعور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ج١، ص٢٢٣. البيت من بحر الطويل.

(٢) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. "نتائج الفكر في النحو"، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ص١٣٦.

(٣) الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس"، ج٢، ص١٧٠. [التعبير رقم: ٦٩٣]

جاءَ في الحَديثِ: «الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ»[1]، قال **المُبارَكْفوريُّ**: «لِوُجودِ الثَّوابِ بلا تَعَبٍ كَثيرٍ»، قال الخَطَّابِيُّ: «الغَنيمةُ الباردةُ أي السَّهْلةُ؛ ولأنَّ حَرارةَ العَطَشِ لا تَنالُ الصَّائِمَ فيه»، وقال ابنُ رَجَبٍ: «مَعْنى أنَّها غَنيمةٌ باردةٌ أنَّها حَصَلَتْ بغَيْرِ قِتالٍ ولا تَعَبٍ ولا مَشَقَّةٍ، فصاحِبُها يَحوزُ هذه الغَنيمةَ بغَيْرِ كُلْفةٍ»[2].

التحليل التركيبي

وهو مركب اسمي مصدر باسم مبهم، «والمعْنِيُّ بالإبْهامِ وُقوعُها على كُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَيَوانٍ وجَمادٍ وغَيْرِهما، ولا تَخْتَصُّ مُسَمًّى دونَ مُسَمًّى، هذا مَعْنى الإبْهامِ فيها، لا أنَّ المرادَ به التَّنْكيرَ، ألا تَرى أنَّ هذه الأَسْماءَ مَعارِفُ»[3]، نلاحظ أن المشار إليه (الغنيمة) ملفوظ، فكان ذلك أقوى في المعنى؛ «فكذلك: ﴿**وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا**﴾ [هود: ٧٢]، وهذا أقْوى في الدَّلالةِ؛ لاجْتِماعِ اللَّفْظِ مع التَّوَجُّهِ» [4] متبعة بالوصف (الباردة).

وهي تعبير متداول في اللغة المعاصرة بصيغته ودلالاته؛ فيقال في سياق أن يُظفر بالإحسان دون مشقة وعناء.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامع الترمذي"، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل الصوم في الشتاء، حديث رقم (٧٩٧)، ج٣، ص١٣٦. والطبراني في "المعجم الكبير"، ج٣، ص١٥٧، حديث رقم (٢٩٦٠). قال الألباني: ضعيف. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين. "ضعيف الجامع الصغير وزيادته"، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٠م، حديث رقم (٥٩٥٧).

(٢) المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي"، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ج٣، ص٣٦٤.

(٣) ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. "شرح المفصل للزمخشري"، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ج٣، ص٣٤٨.

(٤) السهيلي، "نتائج الفكر في النحو"، ص١٨٠.

رابعًا: التعبيرات التشبيهية

- **قَوْلُهُمْ: جُلَسَاءُ فُلَانٍ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ** (١).

«قال أبو بكرٍ: في هذا قَوْلانِ: أحَدُهُما أنْ يَكونَ المعْنى أنَّهُمْ يَسْكُنونَ فلا يَتَحَرَّكونَ، ويَغُضُّونَ أبْصارَهُمْ، والطَّيْرُ لا تَقَعُ إلَّا على ساكِنٍ، يُقالُ للرَّجُلِ إذا كان حَليمًا وَقورًا: إنَّهُ لَساكِنُ الطَّائِرِ. والقَوْلُ الثَّاني: أنَّ الأَصْلَ في قَوْلِهِمْ: كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ: أنَّ سُلَيْمانَ بنَ داوُدَ عليهما السَّلامُ كان يَقولُ للرِّيحِ: أقِلينا، وللطَّيْرِ: أظِلِّينا، فتَقُلُّهُ وأصْحابَهُ الرِّيحُ وتُظِلُّهُمُ الطَّيْرُ، وكان أصْحابُهُ يَغُضُّونَ أبْصارَهُمْ هَيْبَةً له وإعْظامًا، ويَسْكُنونَ فلا يَتَحَرَّكونَ ولا يَتَكَلَّمونَ بشَيْءٍ، إلَّا أنْ يَسْأَلَهُمْ عنه فيُجيبونَ».

المعنى والدلالة

هذا التعبير بحكم التركيب والمجاز كناية عمن يطرقون ساكنين إذا تكلم عالم، أو خطيب، أو صاحب شأن، فلا يتكلمون ويغضون أبصارهم هيبة ورهبة، بحيث لو نزل على رؤوسهم طير لم يطر، وهو تعبير اصطلاحي خرجت كلماته عن معناها الأصلي إلى هذا المعنى البلاغي، فجرى مجرى المثل، وشاع استعماله عند العرب بهذا المعنى.

ورود الأثر في صفة مجلس النبي ﷺ

روي في صفة مجلس رسول الله ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ».(٢) قال الطِّيبِيُّ: «هو كِنايةٌ عن إطْراقِهِمْ رُؤوسَهُمْ، وسُكوتِهِمْ، وعَدَمِ الْتِفاتِهِمْ يَمينًا وشِمالًا، أيْ على رَأْسِ كُلِّ واحِدٍ طَيْرٌ يُريدُ صَيْدَها ولا يَتَحَرَّكُ، وهذه كانتْ صِفةَ مَجْلِسِ

(١) الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس"، ص١٨٩-١٩٠. [التعبير رقم: ١٤١]

(٢) أخرجه أبو داود في "السنن"، كتاب الأدب، باب في المزاح، حديث رقم (٤٨٥٣)؛ والترمذي في "الشمائل المحمدية"، ص٢٢٣. وانظر: الشافعي، محمد بن إدريس. "مسند الإمام الشافعي"، ترتيب: سنجر، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ج٢، ص١٦٧. والأثر حسن.

رَسولِ اللهِ ﷺ، وأصْلُهُ أنَّ الغُرابَ إذا وَقَعَ على رَأْسِ البَعيرِ فيَلْتَقِطُ مِنْهُ الحَلَمةَ والحَمْنانةَ فلا يُحَرِّكُ البَعيرُ رَأْسَهُ لِئَلَّا يَنْفِرَ عنه الغُرابُ».

التحليل التركيبي

هو تركيب اسمي مصدر بالحرف الناسخ (كأن) الذي صار بعد دخول (ما) الكافة حرفًا يفيد حصر التشبيه: (كأنما)، وهي كلمة للتنبيه، وهي عند الخليل وسيبويه والأخفش وجمهور البصريين والفراء أنها مركبة من كاف التشبيه وإن، فأصل قولك: (كأن زيدًا الأسد) عندهم: إن زيدًا كالأسد؛ فالكاف تشبيه صريح قدموها للاهتمام بالتشبيه، ففتحت (إن)؛ لأن المكسورة يدخل عليها حرف جر.(١) وذلك يتناسب ودلالة التعبير بتشبيه حالة السكون بالرجل الذي حط على رأسه طير، ثم قدم الخبر الجار والمجرور؛ لإفادة التخصيص والاهتمام. «أمَّا إذا وَلِيَتْها جُمْلةٌ اسْمِيَّةٌ نحوَ قَوْلِكَ: كَأَنَّما خالِدٌ أسَدٌ، فالذي يَظْهَرُ أنَّ القَصْدَ هو قَصْرُ المشَبَّهِ على مُشَبَّهٍ به مُعَيَّنٍ».(٢)

الاستعمال المعاصر

وما زال التعبير الاصطلاحي مستعملًا بصيغته، ولكن هذا الاستعمال اليوم ابتعد عن معاني الحلم والوقار والإجلال، واقتصر على معاني السكون والوجوم والإطراق وانعدام الحيلة.

المطلب الثالث: التعبيرات الفعلية

- **أولاً: قَوْلُهُمْ: مَا يَدْرِي مَنْ طَحَاهَا** (٣).

(١) الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين"، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م، ج١، ص١٩٧.

(٢) ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي" .شرح المفصل للزمخشري"، قدم له: إميل بديع يعقوب، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ج٤، ص٥٦١ .

(٣) الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس"، ص٢٦١. [التعبير رقم: ١٤٣]

«مَعْناهُ: ما يَدْري مَنْ بَسَطَها. يُقالُ: طَحا اللهُ الأَرْضَ ودَحاها، أيْ: بَسَطَها، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، أيْ بَسَطَها».

وقد جاء في الفاخر[١]: «قَوْلُهُمْ: ما يَدْري ما طَحاها: قال الأَصْمَعِيُّ: طَحاها مَدَّها، يَعْنونَ الأَرْضَ، قال اللهُ جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: ٦]، ويُقالُ: طَحا قَلْبُهُ في كذا وكذا إذا تَطاوَلَ وتَمادى».

منه قول علقمة بن عبدة التميمي من بحر الطويل:[٢]

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ * بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ**

أيْ تَطاوَلَ وتَمادى في ذلك.

وما يدري عن الأرض ومن طحاها، بمعنى: لا يدري عن الدنيا وما فيها، وما زال التعبير متداولًا في اللغة المعاصرة، وغالبًا ما يقال في سياق التهكم والسخرية. وجاء في الشعر من بحر الطويل:[٣]

وَأَمْسَكَ بِالْكِتَابِ يَهُزُّ رَأْسًا * وَيَفْتِلُ شَارِبًا وَيَقُولُ: هَاهَا**

وَأَطْرَقَ لِلْمَسَائِلِ، أَيْ بِأَبِيّ! * وَلَا يَدْرِي لَعَمْرُكَ مَا طَحَاهَا**

التحليل التركيبي

وهو تركيب فعلي مكون من: حرف نفي (ما) + فعل مضارع (يدري) + الفاعل

---

(١) المفضل، أبو طالب المفضل بن سلمة. "الفاخر"، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٠هـ، ص١٩.

(٢) علقمة بن عبدة التميمي. "ديوان علقمة الفحل"، تحقيق: سعيد نسيب مكارم، ط١، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م، ص٣٨. البيت من بحر الطويل.

(٣) البيتان من بحر الطويل. لم أعثر على نسبة قطعية لهما، وقد وردا في سياقات متفرقة في كتب الأدب واللغة. انظر: الثعالبي، أبو منصور. "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م، ص٤٥٦.

(الضمير المستتر) + مفعول به (من) الموصولة، وجملة الصلة (طحاها). «فأمَّا "ما" فإنَّها تَنْفي ما في الحالِ، فإذا قيل: "هو يَفْعَلُ" وتُريدُ الحالَ، فجَوابُهُ ونَفْيُهُ "ما يَفْعَلُ"».[١]

المَطْلَبُ الرَّابعُ: التَّعْبيراتُ العِباريَّةُ

- **أولاً: قَوْلُهُمْ: بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ** [٢].

«مَعْناهُ: قال أبو بكرٍ: قال الأَصْمَعِيُّ: الرِّفاءُ على مَعْنَيَيْنِ: يَكونُ الرِّفاءُ مِنَ الاتِّفاقِ وحُسْنِ الاجْتِماعِ، ومِنْهُ قَوْلُهُمْ: رَفَأْتُ الثَّوْبَ أَرْفَؤُهُ رَفْئًا، مَعْناهُ: ضَمَمْتُ بَعْضَهُ إلى بَعْضٍ، والوَجْهُ الآخَرُ: أنْ يَكونَ الرِّفاءُ مِنَ الهُدوءِ والسَّكينةِ، يُقالُ: رَفَوْتُ الرَّجُلَ إذا سَكَّنْتُهُ». [٣]

وهو تعبير اصطلاحي يتداوله الناس فيما بينهم قديمًا؛ إذ يقال للمتزوج الحديث تهنئة له: بالرفاء والبنين، والرفاء لغةً: الانسجام والالتئام، فتكون دلالتها: أرجو لك ولزوجك حياة يعمها الاتفاق والانسجام، وترزقان الأولاد.

وجاء في «لسان العرب»: «وقال في باب تَحْويلِ الهَمْزةِ: رَفَوْتُ الثَّوْبَ رَفْوًا يُحَوِّلُ الهَمْزةَ واوًا كما تَرى. أبو زيدٍ: الرِّفاءُ: الموافَقةُ، وهي المرافاةُ بلا هَمْزٍ؛ وأنْشَدَ مِنْ بَحْرِ الطَّويلِ:[٤]

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ أَبَا رُوَيْمٍ * يُرَافِيني، وَيَكْرَهُ أَنْ يُلَامَا**

والرِّفاءُ: الالْتِحامُ والاتِّفاقُ. ويُقالُ: رَفَّيْتُهُ إذا قُلْتَ للمُتَزَوِّجِ: بِالرِّفاءِ والبَنينَ؛ قال ابنُ السِّكِّيتِ: وإنْ شِئْتَ كان مَعْناهُ: بالسُّكونِ والطُّمَأْنينةِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَفَوْتُ الرَّجُلَ

(١) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ج٥، ص٣١.
(٢) الأنباري، "الزاهر في معاني كلمات الناس"، ص٣٥١. [التعبير رقم: ٢٢٨]
(٣) المصدر نفسه، ص٣٥١.
(٤) البيت للشاعر القتّال الكلابي (من بحر الطويل). انظر: «لسان العرب»، مادة (رفأ)، ج١، ص٢٦.

إذا سَكَّنْتُهُ».[1]

التحليل التركيبي

وهو تركيب عباري يتكون من: حرف جر (الباء) + اسم مجرور (الرفاء) + عاطف (واو) + اسم معطوف (البنين)، ومتعلقه محذوف. يقول ابن هشام: «والسَّادِسُ: أنْ يُسْتَعْمَلَ المُتَعَلِّقُ مَحْذوفًا في مِثْلٍ أو شِبْهِهِ، كقَوْلِهِمْ لِمَنْ ذَكَرَ أمْرًا قد تَقادَمَ عَهْدُهُ: حينَئِذٍ، الآنَ، أصْلُهُ: كان ذلك حينَئِذٍ واسْمَعِ الآنَ، وقَوْلُهُمْ للمُعَرِّسِ: بِالرِّفاءِ والبَنينَ، بإضْمارِ: أعْرَسْتَ».[2]

وما زال هذا التعبير متداولًا إلى اليوم، لكن العامة تخطئ أحيانًا فتقول: بالرفاه والبنين، ويريدون معنى «لِينِ العَيْشِ، وفِعْلُهُ: رَفِهَ رَفاهةً ورَفاهِيةً، والمِصْدَرُ (رَفاهٌ) لا وُجودَ له، والصَّوابُ أنْ يُقالَ: بالرَّفاهةِ أو بالرَّفاهِيةِ والبَنينَ».[3]

ومن قبيل هذا التعبير، يقال في اللغة المعاصرة: "منك المال، ومنها العيال"؛ وهذه النظرة في تقسيم الأدوار بين الزوجين تعكس نظرة المجتمع وحمولته الثقافية لهذه المؤسسة الاجتماعية، فالرجل هو المسؤول عن النفقة، وجلب احتياجات الأسرة، أما المرأة فالمنوط بها تربية العيال، والعناية بهم.

(١) «لسان العرب»، مادة (رفأ)، ج١، ص٢٦.

(٢) الأنصاري (ابن هشام)، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، ص٥٨٢.

(٣) «معجم الأخطاء الشائعة»، مادة (بالرِّفاء والبنين)، ص١٠٧.

المطلب الخامس: التحليل الإحصائي والمقارن

بعد استعراض التعبيرات الاصطلاحية العشرة وتحليلها تركيبياً ودلالياً، يمكن رصد خصائصها من حيث البنية التركيبية على النحو الآتي:

جدول رقم (٣): توزيع التعبيرات الاصطلاحية حسب النمط التركيبي

النمط التركيبي	العدد	النسبة المئوية	أمثلة
اسمي	8	80%	لكل ساقطة لاقطة، هو الموت الأحمر
عباري (شبه جملة)	1	10%	بالرِّفاء والبنين
فعلي	1	10%	ما يدري من طحاها
المجموع	10	100%	

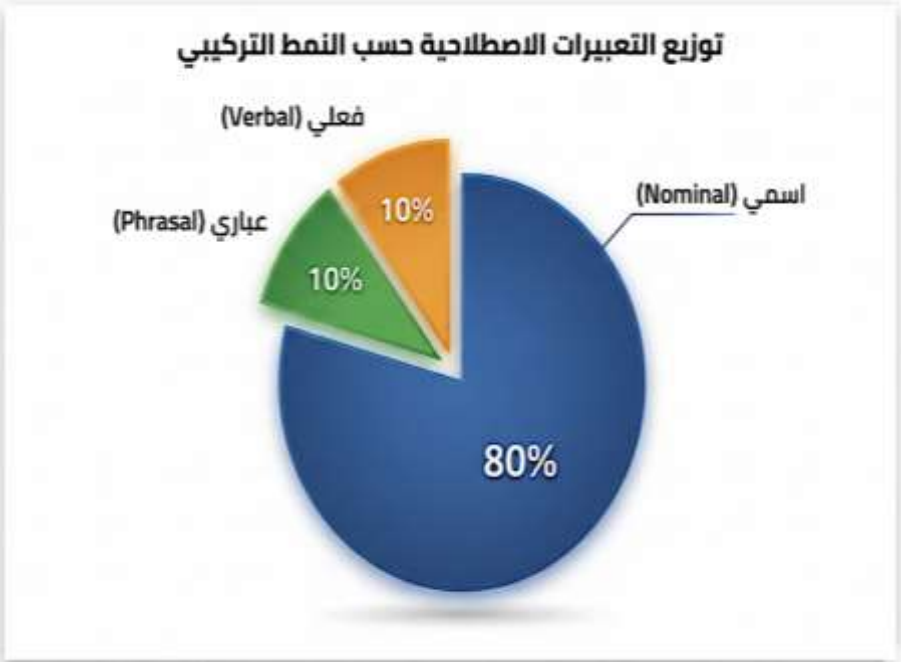
(المصدر :نتائج التحليل التركيبي لعينة الدراسة)

يتبين من الجدول السابق أن النمط الاسمي هو الغالب على التعبيرات الاصطلاحية المدروسة في هذا البحث؛ إذ بلغت نسبته (٨٠٪) من إجمالي التعبيرات، وهو ما يتوافق مع طبيعة التعبيرات الاصطلاحية التي تميل إلى الثبات والاستقرار؛ والجملة الاسمية أقدر على التعبير عن الدلالات المستقرة الثابتة، وقد تنوع النمط الاسمي بين الجملة الاسمية البسيطة، والجملة المستهلة بضمير الشأن (هو)، والتركيب الإضافي (الحديث ذو شجون)، والتركيب الوصفي (الغنيمة الباردة)، والتركيب التشبيهي (كأنما على رؤوسهم الطير)؛ مما يعكس ثراء الأنماط التركيبية داخل الفئة الواحدة.

أما النمطان الفعلي والعباري، فقد جاءا بنسبة ضئيلة (١٠٪ لكل منهما)، وهذا لا يعني ندرتهما في «الزاهر»، بل يعكس اختيار عينة البحث التي ركزت على تنويع الأمثلة لتشمل مختلف الأنماط التركيبية والدلالية، ومن الملاحظ أن النمط الفعلي في التعبيرات الاصطلاحية يأتي غالباً في صيغة الجملة الفعلية المنفية أو الاستفهامية؛ مما يضفي على التعبير طابعاً تقريرياً أو تعجبياً.

ويمكن تمثيل هذا التوزيع بيانياً على النحو الآتي:

شكل رقم (١): توزيع التعبيرات الاصطلاحية حسب النمط التركيبي



(المصدر: مستخلصٌ من بيانات الجدول رقم (٣).

يُظهر الشكل السابق بوضوح الهيمنة الكبيرة للنمط الاسمي على التعبيرات الاصطلاحية المدروسة؛ إذ يمثل أربعة أخماس العينة (٨٠٪)، في حين يتقاسم النمطان الفعلي والعباري الخمس الباقي بالتساوي (١٠٪ لكل منهما). وهذه النتيجة تتسق مع الطبيعة الدلالية للتعبيرات الاصطلاحية التي تميل إلى التعبير عن معان ثابتة ومستقرة؛ والجملة الاسمية أقدر على حمل هذه الدلالات.

ومن الجوانب المهمة في دراسة التعبيرات الاصطلاحية: تتبع استمراريتها في الاستعمال اللغوي المعاصر، وهو ما يكشف عن حيوية هذه التعبيرات وقدرتها على البقاء عبر الأزمنة المختلفة. ويوضح الجدول الآتي حالة الاستمرارية للتعبيرات المدروسة:

جدول رقم (٣): توزيع التعبيرات الاصطلاحية حسب الاستمرارية في العربية المعاصرة

حالة الاستمرارية	العدد	النسبة المئوية	أمثلة
مستمر بقوة	4	40%	لكل ساقطة لاقطة، لفلان قدم في الخير
مستمر بتغيير	4	40%	بالرِّفاء والبنين، هو الموت الأحمر
تطور دلالي	1	10%	بيننا مسافة
محدود الاستخدام	1	10%	هذه الغنيمة الباردة
المجموع	10	100%	

(المصدر :نتائج رصد الاستعمال المعاصر للتعبيرات الاصطلاحية محلّ الدراسة)

تكشف بيانات الجدول السابق عن نتيجة مهمة؛ وهي أن (٨٠٪) من التعبيرات الاصطلاحية المدروسة لا تزال مستخدمة في العربية المعاصرة، سواء بصيغتها الأصلية دون تغيير (٤٠٪)، أو بتغييرات طفيفة في اللفظ أو السياق (٤٠٪)؛ مما يؤكد حيوية هذه التعبيرات واستمرارية التراث اللغوي العربي عبر القرون.

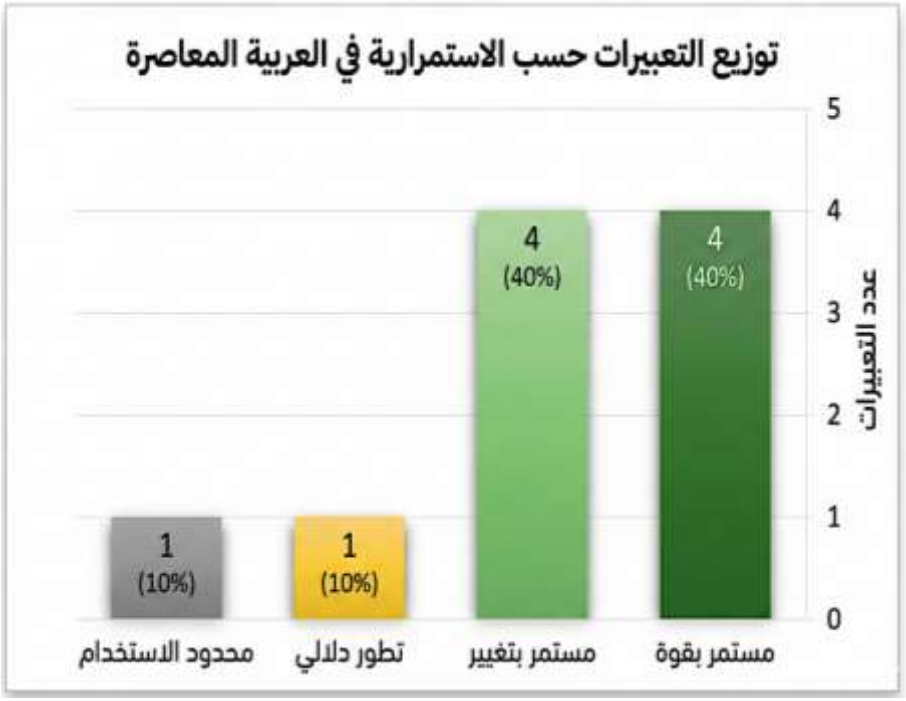
فالتعبيرات المستمرة بقوة مثل «لكل ساقطة لاقطة» و«لفلان قدم في الخير» لا تزال تستخدم بصيغتها نفسها في الفصحى المعاصرة والخطاب الأدبي والإعلامي، دون أي تغيير يذكر، أما التعبيرات المستمرة بتغيير، فقد طرأ عليها تحريف شائع في الاستعمال العامي كـ«بالرفاه والبنين» بدلاً من «بالرِّفاء والبنين» بسبب الخلط بين "الرِّفاء" من الموافقة و"الرَّفاه" من رغد العيش، أو استخدمت بتنويعات مثل «الموت الأسود» و«الموت الأحمر» بالدلالة نفسها.

وأما التعبيرات التي شهدت تطوراً دلالياً مثل «بيننا مسافة»، فقد انتقل معناها من الخصومة والعداوة حصراً في الاستعمال القديم، إلى معان أوسع تشمل المسافة المكانية الحقيقية والمسافة النفسية والفكرية في الاستعمال المعاصر، في حين أن بعض التعبيرات مثل «الغنيمة الباردة» أصبح استخدامها محدوداً في العصر الحديث؛ لارتباطها بسياقات تاريخية وثقافية خاصة بعصور الفتوحات والغزو.

وتؤكد هذه النتيجة أن التعبيرات الاصطلاحية ليست مجرد تراكيب لغوية جامدة، بل هي كائنات حية قادرة على التكيف مع المتغيرات الزمنية والثقافية، مع احتفاظها بجوهر معناها الأصلي في الذاكرة الجماعية للجماعة اللغوية.

ويمكن تمثيل حالات الاستمرارية بيانياً على النحو الآتي:

شكل رقم (٢): توزيع التعبيرات الاصطلاحية حسب الاستمرارية في العربية المعاصرة



(مستخلصٌ من بيانات الجدولِ رقمِ (٣)

يبرز الشكل السابق النتيجة الرئيسة لهذه الدراسة؛ وهي أن الغالبية العظمى من التعبيرات الاصطلاحية الواردة في «الزاهر» (٨ من أصل ١٠، أي ٨٠٪) لا تزال حية في الاستعمال اللغوي المعاصر، وإن تفاوتت درجة الاستمرارية بين الحفاظ على الصيغة الأصلية والتغيير الطفيف، وهذا يؤكد الصلة الوثيقة بين التراث والمعاصرة، ويبرز قدرة التعبيرات الاصطلاحية على مقاومة التغيير عبر الزمن، بوصفها قوالب لغوية جامدة متوارثة، تحمل معاني مستقرة في الذاكرة الجماعية للجماعة اللغوية.

الخاتمة

ضمَّ كتابُ «الزاهر في معاني كلمات الناس» للأنباريِّ جملةً كبيرةً مما يُصنَّف تحت التعبيرات الاصطلاحية، وقد تناول هذا البحثُ دراسةً تركيبيةً دلاليةً لنماذجَ منتخبةٍ منها، وخلص إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائجُ

١. في المفهوم والمصطلح:

كان ثمة تصوُّرٌ لمفهوم التعبيرات الاصطلاحية لدى القدماء، لكنهم لم يُفردوا له الدرسَ مستقلاً، بل ضمَّنوه الأمثالَ والتعبيراتِ المجازيةَ والكناياتِ، مستخدمين مصطلحاتٍ متعددةً مثل: المثل، التمثيل، المماثلة، والعبارات الخاصة.

بدأ المصطلحُ أكثر استقراراً في الدرس الحديث تحت مسمى "التعبير الاصطلاحي(idiom) "، وهذا يتسق مع طبيعة المعرفة المتراكمة وتطوُّر المنهج اللغوي.

تميَّزت التعبيراتُ الاصطلاحيةُ بخصائصَ محددةٍ أبرزها: الثبات، التواتر، انزياح المعنى عن الدلالة الحرفية، و**تواطؤ** الجماعة اللغوية.

٢. في منهج الأنباريِّ وطريقة عرضه:

لم يخصِّص الأنباريُّ التعبيراتِ الاصطلاحيةَ بالذكر أو التصنيف، إنما سردها مبثوثةً في كتابه مع الكلمات والتعبيرات الشائعة المتداولة بين الناس آنذاك.

عالج الأنباريُّ التعبيراتِ بمنهجٍ لغويٍّ دقيقٍ، موضِّحاً المعنى الأصليَّ للألفاظ ثم المعنى الاصطلاحيَّ، مع الاستشهاد بالقرآن والحديث والشعر.

تناول البحثُ تحليلاً مفصَّلاً لعشرة تعبيرات اصطلاحية من الزاهر، منها:

- "لكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ"
- "بالرِّفاء والبنين"
- "هو الموتُ الأحمرُ"

- "لفلانٍ قدمٌ في الخير"
- "الحديثُ ذو شجونٍ"
- "هو الفاتقُ والراتقُ"
- "بيننا مسافةٌ"

٣. في التحليل التركيبي:

غلبت التراكيبُ الاسميةُ على التعبيرات المحلَّلة بنسبة ٨٠٪، وهو ما يتوافق مع طبيعة التعبير الاصطلاحي الذي يميل إلى الثبات والدوام، بينما شكَّلت التراكيبُ الفعليةُ ١٠٪، والعباريةُ ١٠%.

شاع استخدامُ التقديم والتأخير في كثيرٍ من التعبيرات؛ لإفادة معانٍ بلاغيةٍ كالتخصيص والاهتمام، مثل:

- "لكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ" (تقديم الخبر وجوباً)
- "لفلانٍ قدمٌ في الخير" (تقديم الخبر للتخصيص)

وُظِّف ضميرُ الشأن في عددٍ من التعبيرات لإفادة التفخيم والتعظيم، مثل:

- "هو الموتُ الأحمرُ"
- "هو الفاتقُ والراتقُ"

استُخدِمت أدواتٌ لغويةٌ بعينها بكثرةٍ، مثل (كلّ) للإحاطة في "لكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ"، و(ذو) للوصف في "الحديثُ ذو شجونٍ"، والأسماءُ المبهمةُ (كأنما) في "كأنما على رؤوسهم الطيرُ."

٤. في التحليل الدلالي:

اعتمدت معظمُ التعبيرات على آلياتٍ بلاغيةٍ محددةٍ، أبرزها: الاستعارة، الكناية، المجاز المرسل، والطباق (مثل: الفاتق/الراتق).

لعبت الألوانُ دوراً محورياً في التعبير عن المعاني، وحملت دلالاتٍ ثقافيةً عميقةً:

- الأحمر: الموتُ الأحمرُ (القتل بالسيف/الشدة)

- الأصفر: الابتسامةُ الصفراءُ (الزائفة/المصطنعة)
- الأبيض/الأسود: قِرشُك الأبيضُ ليومك الأسود (الادخار للأزمات)

وُظِّفت أعضاءُ الجسد (القدم، اليد، الأذن، الرأس) لبناء تعبيراتٍ اصطلاحيةٍ تعكس التجربةَ الحسيةَ للإنسان وانعكاسَها على المفاهيم المجردة، مثل:

- "لفلانٍ قدمٌ في الخير" (السابقة/الخبرة)
- "له أيادٍ بيضاءُ" (المعروف)
- "للجدران آذانٌ" (التحذير من إفشاء الأسرار)

حملت التعبيراتُ قيمَ المجتمع ونظرتَه للحياة، مثل: "بالرِّفاء والبنين"، "منك المالُ ومنها العيالُ" (توزيع الأدوار بين الزوجين).

٥. في الاستمرارية والتداول:

معظمُ التعبيرات الاصطلاحية المنتخبة ما زالت متداولةً في العربية المعاصرة بنسبة ٨٠٪ من العينة المدروسة، وهي موزعةٌ كالآتي:

- تعبيراتٌ حافظت على معناها ومبناها الأصليين (مثل: "لكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ")
- تعبيراتٌ حافظت على معناها مع تغيُّرٍ طفيفٍ في المبنى.
- تعبيراتٌ تطوَّر معناها أو اتَّسع ليشمل سياقاتٍ جديدةً.

بعضُ التعبيرات ولَّد نظائرَ معاصرةً، مثل:

- "بيننا مسافةٌ" – "أعطني مساحتي"، "لا تُلغِ المسافةَ بيننا"
- "هو الفاتقُ والراتقُ" – "هو الآمرُ والناهي"

ملاحظةٌ لغويةٌ مهمة: يشيع خطأٌ في التعبير "بالرِّفاء والبنين"؛ إذ يُنطَق "بالرَّفاه" (بالهاء)، والصوابُ: "بالرِّفاء" (بالهمزة) من رَفَأَ الثوبَ أي أصلحه وضمَّ بعضَه إلى بعض.

شكَّلت التعبيراتُ الاصطلاحيةُ جسراً تاريخياً يربط بين العربية الفصحى القديمة واللغة المعاصرة، مما يؤكد استمراريةَ التراث اللغوي.

٦. في الثراء المعجمي:

يمكن استخلاصُ معجمٍ صغيرٍ للتعبيرات الاصطلاحية من «الزاهر في معاني كلمات الناس»، يكون نواةً لمعجمٍ ضخمٍ من التراث اللغوي العربي بأجمعه.

يُسهم هذا المعجمُ المقترحُ في:

- توثيق التراث اللغوي.
- خدمة الدارسين والباحثين.
- تيسير فهم النصوص التراثية.
- إثراء المكتبة العربية بمرجعٍ متخصصٍ.

ثانياً :التوصياتُ

في ضوء ما توصَّل إليه البحثُ من نتائج، يوصي الباحثُ بما يأتي:

١. توصياتٌ بحثية:

- إجراءُ دراساتٍ موسَّعةٍ على كتب التراث اللغوي الأخرى (مثل: الفاخر للمفضَّل، الأمالي، الكامل للمبرِّد) لجمع التعبيرات الاصطلاحية وتصنيفها.
- دراسةُ تطوُّر التعبيرات الاصطلاحية عبر العصور المختلفة (العصر الجاهلي، صدر الإسلام، العصر العباسي، المعاصر).
- إجراءُ دراساتٍ تقابليةٍ بين التعبيرات الاصطلاحية العربية ونظائرها في اللغات الأخرى (الإنجليزية، الفرنسية، التركية).
- دراسةُ الأبعاد الثقافية والاجتماعية للتعبيرات الاصطلاحية في التراث العربي وانعكاساتها على الهوية الجماعية.

٢. توصياتٌ تطبيقية:

- إعدادُ معجمٍ شاملٍ للتعبيرات الاصطلاحية من كتب التراث اللغوي

العربي، يكون مرجعاً للباحثين والدارسين، مرتَّباً حسب: الحروف الهجائية، الحقول الدلالية (الألوان، أعضاء الجسد، الطبيعة...)، الأنماط التركيبية (اسمية، فعلية، عبارية).

- توظيفُ التعبيرات الاصطلاحية في تعليم اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها، لإثراء الحصيلة اللغوية.
- الاستفادةُ من التعبيرات الاصطلاحية في إثراء المحتوى اللغوي والأدبي المعاصر (الرواية، المسرح، السيناريو).
- إنشاءُ قواعدِ بياناتٍ رقميةٍ للتعبيرات الاصطلاحية مع تحليلها التركيبي والدلالي، تكون متاحةً للباحثين عبر الإنترنت.

٣. توصياتٌ منهجية:

- الاهتمامُ بدراسة الظواهر اللغوية في كتب التراث بمناهجَ حديثةٍ تجمع بين الأصالة والمعاصرة.
- توسيعُ نطاق البحث ليشمل كتبَ الأنباري الأخرى (الأضداد، الإنصاف في مسائل الخلاف) وكتبَ اللغويين المعاصرين له.
- استخدامُ أدوات الإحصاء اللغوي الحديثة في دراسة التعبيرات الاصطلاحية كمياً وكيفياً (Corpus Linguistics).

وختاماً، فإن التعبيرات الاصطلاحية تُمثِّل كنزاً لغوياً وثقافياً يستحق مزيداً من الدرس والتحليل، وكتاب «الزاهر في معاني كلمات الناس» يُعدُّ نموذجاً ثرياً لهذه الظاهرة اللغوية، ويفتح آفاقاً واسعةً للبحث في التراث اللغوي العربي. واللهُ وليُّ التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

أ. الكتب

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم. "الزاهر في معاني كلمات الناس". تحقيق: حاتم صالح الضامن. (ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠١١م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "الخصائص". تحقيق: محمد علي النجار. (ط٤. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "بدائع الفوائد". (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". (ط٦. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م).

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. "شرح المفصل للزمخشري". (ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي. "شرح المفصل للزمخشري". قدم له: إميل بديع يعقوب. (ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين". (ط١. بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م).

العجلوني، إسماعيل بن محمد. "كشف الخفاء ومُزيل الإلباس". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ).

الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. "شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب". تحقيق: يوسف حسن عمر. (ط١. بنغازي: منشورات جامعة قار يونس،

١٩٧٥م).

أمين، أحمد. "قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية". (ط١. القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م).

الدمياطي، أبو بكر عثمان بن محمد البكري. "إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين". (ط١. بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

تيمور، أحمد. "الأمثال العامية". (ط٢. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م).

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. "البيان والتبيين". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (ط٧. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م).

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز. (ط٣. القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩٢م).

الجرجاني، علي بن محمد الشريف. "كتاب التعريفات". تحقيق: جماعة من العلماء. (ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).

الجندي، أحمد علي. "أمثالنا الشعبية في الميزان". (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥م).

حجازي، محمود فهمي. "مدخل إلى علم اللغة". (ط١. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).

الحراصي، عبد الله. "دراسات في الاستعارة المفهومية". (ط١. مسقط: مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، ٢٠٠٢م).

حسام الدين، كريم زكي. "التعبير الاصطلاحي: دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية". (ط١. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،

١٩٨٥م).

حسان، تمام. "اللغة العربية: معناها ومبناها". (ط٥. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م).

راجح، أحمد. "الأمثال الشعبية: دراسة تحليلية". (بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٠م).

رمضان، عبد التواب. "موسوعة الأمثال والحكم". (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٨م).

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. "نتائج الفكر في النحو". (ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م).

الشافعي، محمد بن إدريس. "ديوان الإمام الشافعي". تحقيق: إميل بديع يعقوب. (ط٢. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م).

صيني، إسماعيل، وآخرون. "المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية". (ط١. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م).

الطرابلسي، محمد الهادي. "خصائص الأسلوب في الشوقيات". (ط١. تونس: منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م).

العبد، محمد. "إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي: مدخل لغوي أسلوبي". (ط١. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨م).

عبد الحميد، شمس الدين. "معجم الأمثال والتعابير الاصطلاحية". (القاهرة: دار العلم والثقافة، ٢٠٠٢م).

العدناني، محمد. "معجم الأخطاء الشائعة". (ط١. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٣م).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. "جمهرة الأمثال". (بيروت: دار الفكر، د.ت).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. "كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر". (ط٢. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧١م).

عكاشة، محمود. "التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة". (ط٢. القاهرة: دار النشر

للجامعات، ٢٠١١م).

علقمة بن عبدة التميمي. "ديوان علقمة الفحل". تحقيق: سعيد نسيب مكارم. (ط١. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م).

عمر، أحمد مختار. "علم الدلالة". (ط٥. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م).

عمر، أحمد مختار. "صناعة المعجم الحديث". (ط٢. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٩م).

عمر، أحمد مختار. "معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط١. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م).

العوني، فالح حنظل. "معجم الأمثال العامية". (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١م).

الفرزدق، همام بن غالب. "ديوان الفرزدق". تحقيق: علي فاعور. (ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).

القاسمي، علي. "المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق". (ط١. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٢م).

القزويني، محمد بن عبد الرحمن الخطيب. "الإيضاح في علوم البلاغة". تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (ط٣. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م).

المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي". (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

المفضل، أبو طالب المفضل بن سلمة. "كتاب الفاخر". تحقيق: عبد العليم الطحاوي. (ط١. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٠هـ).

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد. "مجمع الأمثال". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

ناصف، مصطفى. "اللغة والتفسير والتواصل". (ط١. الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٥م).

نصار، حسين. "المعجم العربي: نشأته وتطوره". (ط٢. القاهرة: مكتبة مصر،

١٩٦٨م).

الهاشمي، أحمد. "الأمثال". (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).

ب. المعاجم

إبراهيم مصطفى، وآخرون. "المعجم الوسيط". مجمع اللغة العربية. (ط٤. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م).

ج. الدوريات (المقالات والأبحاث)

أبو سعد، أحمد. "معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية: القديم منها والمولد". مجلة الوثائق والدراسات الإنسانية .مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر. العدد ٣، (١٩٩١م): ص٥-٦ وص٣٠٦-٣١٦.

اليزيدي، أمين عبد الله ."المسكوكات التعبيرية اللغوية: دراسة في الخطاب وفعل التأويل (نماذج مختارة من لهجة صنعاء ومحيطها)". مجلة الكلم .جامعة أحمد بن بلة – وهران، الجزائر. العدد ٥، (٢٠١٨م): ص١٢٩-١٣١.

المضياني، محمد بن نافع. "التعبيرات الاصطلاحية: نظرة في مفهومها، وخصائصها، ومحددات معناها في المعجم العربي" . مجلة علوم اللغة .المجلد ١٢، العدد ٢، (٢٠٠٩م): ص١٠١-١٦٢.

د. الرسائل الجامعية

صاحبي، دليلة. "المسكوكات اللغوية في كتاب سيبويه". رسالة ماجستير. جامعة مولود معمري – تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٤م.

Bibliography

First: Arabic References and Sources

A. Books

Al-Anbari, Abu Bakr Muhammad bin al-Qasim. "Al-Zahir fi Ma‘ani Kalimat al-Nas". Investigated by Hatem Saleh al-Damen. (2nd ed. Beirut: Mu'assasatur-Risalah, 2011).

Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman. "Al-Khasa'is". Investigated by Muhammad Ali al-Najjar. (4th ed. Cairo: General Egyptian Book Organization, 1999).

Ibn al-Qayyim, Muhammad bin Abi Bakr. "Bada’i‘ al-Fawa’id". (Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, n.d.).

Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad bin Mukarram. "Lisan al-Arab". (3rd ed. Beirut: Dar Sader, 1414 AH).

Ibn Hisham al-Ansari, Abd Allah bin Yusuf. "Mughni al-Labib ‘an Kutub al-A‘arib". (6th ed. Damascus: Dar al-Fikr, 1985).

Ibn Ya‘ish, Muwaffaq al-Din Ya‘ish bin Ali. "Sharh al-Mufassal li al-Zamakhshari". (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2001).

Ibn Ya‘ish, Muwaffaq al-Din Abu al-Baqa’ Ya‘ish bin Ali. "Sharh al-Mufassal li al-Zamakhshari". foreword by Emil Badi‘ Ya‘qub. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2001), 4: 561.

Al-Anbari, Abu al-Barakat Abd al-Rahman bin Muhammad. "Al-Insaf fi Masa’il al-Khilaf baina al-Nahwiyyin al-Basriyyin wa al-Kufiyyin". (1st ed. Beirut: Al-Maktabah al-Asriyyah, 2003).

Al-'Ajluni, Isma'il bin Muhammad. "Kashf al-Khafa’ wa Muzil al-Ilbas". (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1408 AH).

Al-Istarabadhi, Radi al-Din Muhammad bin al-Hasan. "Sharh al-Radi ‘ala al-Kafiyah li Ibn al-Hajib". Investigated by Yusuf Hassan Omar. (1st ed. Benghazi: Garyounis University Press, 1975).

Amin, Ahmad. "Qamus al-‘Adat wa al-Taqalid wa al-Ta‘abir al-Misriyyah". (1st ed. Cairo: Hindawi Foundation, 2012).

Al-Dumyati, Abu Bakr Uthman bin Muhammad al-Bakri. "I‘anat al-Talibin ‘ala Halli Alfaz Fath al-Mu‘in". (1st ed. Beirut: Dar al-Fikr, 1418 AH / 1997).

Taimour, Ahmad. "Al-Amthal al-‘Ammiyyah". (2nd ed. Cairo: Hindawi Foundation, 2012).

Al-Tha‘alibi, Abu Mansur Abd al-Malik bin Muhammad. "Thimar al-Quloub fi al-Mudaf wa al-Mansub". Investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. (1st ed. Cairo: Dar al-Ma'arif, 1965).

Al-Jahiz, Abu Uthman Amr bin Bahr. "Al-Bayan wa al-Tabyin".

Investigated by Abd al-Salam Muhammad Harun. (7th ed. Cairo: Maktabat al-Khanji, 1998).
Al-Jurjani, Abu Bakr Abd al-Qahir bin Abd al-Rahman. "Dala'il al-I'jaz". (3rd ed. Cairo: Matba'at al-Madani, 1992).
Al-Jurjani, Ali bin Muhammad al-Sharif. "Kitab al-Ta'rifat". Investigated by a group of scholars. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1983).
Al-Jundi, Ahmad Ali. "Amthaluna al-Sha'biyyah fi al-Mizan". (Cairo: Al-Dar al-Misriyyah al-Lubnaniyyah, 2005).
Hegazi, Mahmoud Fahmi. "Madkhal ila 'Ilm al-Lughah". (1st ed. Cairo: Dar Quba, n.d.).
Al-Harrasi, Abdullah. "Dirasat fi al-Isti'arah al-Mafhumiyyah". (1st ed. Muscat: Oman Establishment for Press, 2002).
Husam al-Din, Karim Zaki. "Al-Ta'bir al-Istilahiy: Dirasah fi Ta'sil al-Mustalah wa Mafhumihi". (1st ed. Cairo: Anglo Egyptian Bookshop, 1985).
Hasan, Tammam. "Al-Lughah al-Arabiyah: Ma'naha wa Mabnaha". (5th ed. Cairo: Alam al-Kutub, 2006).
Rajeh, Ahmad. "Al-Amthal al-Sha'biyyah: Dirasah Tahliliyyah". (Beirut: Dar al-Nahda al-Arabiyah, 2000).
Ramadan, Abd al-Tawwab. "Mawsu'at al-Amthal wa al-Hikam". (Cairo: Maktabat al-Adab, 2008).
Al-Suhaili, Abu al-Qasim Abd al-Rahman bin Abd Allah. "Nata'ij al-Fikr fi al-Nahw". (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1992).
Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris. "Diwan al-Imam al-Shafi'i". Investigated by Emil Badi' Ya'qub. (2nd ed. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1996).
Sini, Ismail, et al. "Al-Mu'jam al-Siyaqi li al-Ta'birat al-Istilahiyyah". (1st ed. Beirut: Librairie du Liban, 1996).
Al-Trabulsi, Muhammad al-Hadi. "Khasa'is al-Usloub fi al-Shawqiyyat". (1st ed. Tunis: Tunis University Press, 1981).
Al-'Abd, Muhammad. "Ibda' al-Dalalah fi al-Shi'r al-Jahili: Madkhal Lughawi Usloubi". (1st ed. Cairo: Dar al-Ma'arif, 1988).
Abd al-Hamid, Shams al-Din. "Mu'jam al-Amthal wa al-Ta'abir al-Istilahiyyah". (Cairo: Dar al-Ilm wa al-Thaqafah, 2002).
Al-'Adnani, Muhammad. "Mu'jam al-Akhta' al-Sha'i'ah". (1st ed. Beirut: Librairie du Liban, 1983).
Al-'Askari, Abu Hilal al-Hasan bin Abd Allah. "Jamharat al-Amthal". (Beirut: Dar al-Fikr, n.d.).

Al-'Askari, Abu Hilal al-Hasan bin Abd Allah. "Kitab al-Sina‘atayn: al-Kitabah wa al-Shi‘r". (2nd ed. Cairo: Dar al-Fikr العربي - al-Arabi, 1971).

Ukasha, Mahmoud. "Al-Tahlil al-Lughawi fi Daw’ ‘Ilm al-Dalalah". (2nd ed. Cairo: Dar al-Nashr li al-Jami‘at, 2011).

‘Alqamah bin ‘Abdah al-Tamimi. "Diwan ‘Alqamah al-Fahl". Investigated by Said Nasib Makarem. (1st ed. Beirut: Dar Sader, 2000).

Omar, Ahmad Mukhtar. "‘Ilm al-Dalalah". (5th ed. Cairo: Alam al-Kutub, 2006).

Omar, Ahmad Mukhtar. "Sina‘at al-Mu‘jam al-Hadith". (2nd ed. Cairo: Alam al-Kutub, 2009).

Omar, Ahmad Mukhtar. "Mu‘jam al-Lughah al-Arabiyah al-Mu‘asirah". (1st ed. Cairo: Alam al-Kutub, 2008).

Al-'Awni, Falih Hanthal. "Mu‘jam al-Amthal al-‘Ammiyyah". (Beirut: Librairie du Liban, 2001).

Al-Farazdaq, Hammam bin Ghalib. "Diwan al-Farazdaq". Investigated by Ali Fa'our. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1987).

Al-Qasimi, Ali. "Al-Mu‘jamiyyah al-Arabiyah baina al-Nazariyyah wa al-Tatbiq". (1st ed. Beirut: Librairie du Liban, 2002).

Al-Qazwini, Muhammad bin Abd al-Rahman al-Khatib. "Al-Idah fi ‘Ulum al-Balaghah". Investigated by Muhammad 'Abd al-Mun‘im Khafaji. (3rd ed. Beirut: Dar al-Jil, 1993).

Al-Mubarakfuri, Muhammad 'Abd al-Rahman bin Abd al-Rahim. "Tuhfat al-Ahwadhi bi Sharh Jami‘ al-Tirmidhi". (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, n.d.).

Al-Mufaddal, Abu Talib al-Mufaddal bin Salamah. "Kitab al-Fakhir". Investigated by Abd al-Alim al-Tahawi. (1st ed. Cairo: Dar Ihya’ al-Kutub al-Arabiyah, 1380 AH).

Al-Maidani, Abu al-Fadl Ahmad bin Muhammad. "Majma‘ al-Amthal". Investigated by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid. (Beirut: Dar al-Ma‘rifah, n.d.).

Nasif, Mustafa. "Al-Lughah wa al-Tafsir wa al-Tawasul". (1st ed. Kuwait: Alam al-Ma‘rifah, 1995).

Nassar, Husain. "Al-Mu‘jam al-Arabi: Nash’atuhu wa Tatawwuruhu". (2nd ed. Cairo: Maktabat Misr, 1968).

Al-Hashimi, Ahmad. "Al-Amthal". (Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, n.d.).

B. Dictionaries

Ibrahim, Mustafa, et al. "Al-Mu‘jam al-Wasit". Arabic Language

Academy. (4th ed. Cairo: Maktabat al-Shorouk al-Dawliyah, 2004).

C. Journals (Articles and Research Papers)

Abu Sa‘d, Ahmad. "Mu‘jam al-Tarakib wa al-‘Ibarat al-Istilahiyyah al-Arabiya: al-Qadim minha wa al-Muwallad". Documents and Humanities Studies Journal (in Arabic), Qatar University, 3, (1991): 5-6, 306-316.

Al-Yazidi, Amin Abdullah. "Al-Masqukat al-Ta‘biriyyah al-Lughawiyyah: Dirasah fi al-Khitab wa Fi‘l al-Ta’wil (Selected Models from Sana'a Dialect and its Surroundings)". Al-Kalim Journal (in Arabic), Ahmed Ben Bella University - Oran, Algeria, 5, (2018): 129-131.

Al-Madyani, Muhammad bin Nafi‘. "Al-Ta‘birat al-Istilahiyyah: Nazrah fi Mafhumiha, wa Khasa’isiha...". Journal of Language Sciences (in Arabic) 12, no. 2, (2009): 101-162.

D. Theses and Dissertations

Sahibi, Dalila. "Al-Masqukat al-Lughawiyyah fi Kitab Sibawayh". Master’s Thesis. (Mouloud Mammeri University - Tizi Ouzou, Algeria, 2014).

بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوّع القراءات: قصة سبأ أنموذجا

The Rhetoric of Contextual Shifts in Directing the Diversity of Qira'at (Qur'anic modes of recitation): The Story of Saba’ as a Case Study

د. سعيد بن يحيى بن هادي العواجي

أستاذ مشارك بقسم الأدب والبلاغة بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: sawaji@iu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
21/01/2026		25/02/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-016		

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل تنوّع القراءات القرآنية في قصة سبأ تحليلًا بلاغيًا سياقيًا، من خلال ربطه بالبناء السياقي والتحوّلات الخطابية في القصة، وتنطلق من أن تنوّع القراءات في قصة سبأ تنوّعٌ أدائيٌّ منتظم، يسهم في توسيع الدلالة وتوجيه الخطاب دون أن يفضي إلى تعدّد المعنى، وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي مع الاستعانة بأداتي الوصف والتحليل، وتوظيف أدوات التحليل البلاغي والسياقي في تتبّع مواضع تنوّع القراءات، وربطها بسياقاتها اللغوية والخارجية، وتبيّن أن قصة سبأ تقوم على تكرار السياقات التالية: (نعمة—إعراض—عاقبة) مرتين بحيث أُعيدت في فضائي السكن والسفر بما يخدم الوظيفة التذكيرية والتحذيرية للخطاب القرآني، كما أظهرت النتائج أن تنوّع القراءات في سياقات النعمة والإعراض والعاقبة يؤدي وظائف بلاغية متمايزة من أبرزها توسيع الدلالة، والتدرّج من الوصف إلى التكليف، وكشف البنية النفسية للاعتراض، وبناء صورة بلاغية مركّبة للعقوبة، وخلصت الدراسة إلى أن تنوّع القراءات عنصر بنائي فاعل في تشكيل الدلالة وتحقيق التماسك النصي في الخطاب القصصي القرآني.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، السياق، التوجيه البلاغي، تنوع القراءات.

Abstract

This study aims to analyze the diversity of Quranic modes of recitation (Qirā'āt) in the story of Saba' through a contextual-rhetorical analysis, linking it to the contextual structure and discursive shifts within the narrative. It proceeds from the premise that the diversity of recitations in the Story of Saba' is a systematic performative variation that contributes to expanding signification and directing the discourse without leading to a multiplicity of meaning. The research adopted an inductive approach, utilizing the tools of description and analysis, and employing methods of rhetorical and contextual analysis to trace the instances of diverse readings and connect them to their linguistic and external contexts. The study revealed that the Story of Saba' is built upon the repetition of the following contexts: (Blessing – Rejection – Consequence) twice, such that they are reenacted within the spheres of residence and travel, serving the admonitory and warning function of the Qur'anic discourse. The results also showed that the diversity of recitations within the contexts of blessing, rejection, and consequence performs distinct rhetorical functions, most notably expanding signification, graduating from description to obligation, revealing the psychological structure of objection, and constructing a composite rhetorical image of punishment. The study concluded that the diversity of recitations is an active structural element in shaping signification and achieving textual coherence in the Qur'anic narrative discourse.

Rhetoric, Context, Rhetorical Guidance, Diversity of modes of recitation (Qirā'āt).

المقدمة

توجه القصة في القرآن الكريم الأذهان إلى دلالات عميقة، وتجعل من الحالة الوجدانية ذاكرة إيمانية مؤثرة في ظل الصراع بين الحق والباطل وبين الإذعان والاعتراض، والقصص القرآنية متعددة ومتنوعة ومتضمنة أساليب أسلوبية وقصصية وخطابية عديدة، كل ظاهرة فيها تحتاج إلى دراسة.

وجاءت قصة (سبأ) في سورة سبأ محملة بدلالات عميقة؛ لتوجيه القارئ نحو الثبات على المبدأ، والإيمان بالله مع الإرشاد إلى الالتزام بالتوحيد الخالص وعدم الاعتراض وكفران النعمة، والملاحظ أن آيات القصة في سورة (سبأ) على التصاق بما قبلها من آيات وبما بعدها من آيات؛ إذ إن السورة تتحدث عن تحولات أحوال العباد من حال إلى حال، إلا أن آيات القصة غزيرة بالأساليب وعميقة بالتحولات السياقية اللغوية والحالية.

ولاحظ الباحث من خلال القراءة في كتب التفاسير حديث عن سياقات القصة بشكل غير مباشر، مما ألهمه البحث في هذه القصة وسياقاتها، لكن الذي لفت نظر الباحث وجود اختلاف في القراءات داخل هذه السياقات ولذلك ارتأى أن يبحث عن الارتباط بين هذه السياقات وبين التنوع في القراءات.

ولا يخفى أن الدراسات البلاغية حول هذا الموضوع ليست متوسعه، وأن توجيه القراءات عادة ما تكون لغوية وصوتية ونحوية، ولذلك تتجه هذه الدراسة إلى التوجيه البلاغي من حيث ربط التنوع بالسياق وتحولاته؛ لتبحث في توجيه القراءات دلاليًا، وربط التنوع والاختلاف بالسياقات التي ترد فيها، ويكون هذا التوجيه من جهة البلاغة؛ لأن البلاغة هي الهدف الأخير في كشف المعنى وبيان الدلالة، إن البلاغة هي من تقوم

بالربط بين التفسير والنحو وعلم الأصوات والصرف وتنظمها في نظام واحد معرفيا، وتضيف عليها منهجيتها في سبر أغوار النص بعد تفكيكه، ومحاولة بناء دلالته العميقة، وعلى ضوء هذا جاء البحث بعنوان: **بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوع القراءات: قصة سبأ أنموذجا**.

أهداف الدراسة

١- بيان طبيعة التحوّلات السياقية في قصة سبأ، والكشف عن دورها في بناء الخطاب القرآني.

٢- حصر مواضع تنوّع القراءات في آيات قصة سبأ، وربطها بالسياقات التي ترد فيها.

٣- الكشف عن العلاقة بين تنوع القراءات والتحوّلات السياقية من منظور بلاغي.

٤- بيان الوظائف البلاغية التي ينجزها تنوّع القراءات داخل الخطاب القصصي في قصة سبأ.

٥- تقديم نموذج تطبيقي لتوجيه القراءات بلاغيا، يمكن الإفادة منه في دراسات أخرى.

الدراسات السابقة:

أولًا: الدراسات البلاغية في توجيه القراءات

تناول كتاب أحمد سعد محمد (التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية) وأصله رسالة دكتوراه عام ١٤١٨هـ من جامعة عين شمس[١] اختلاف القراءات من منظور بلاغي وربطه بمفهوم الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، واعتمد المنهج الوصفي التحليلي، مع تصنيف الظواهر البلاغية الناتجة عن اختلاف القراءة، وعلى الرغم من أهميتها في تأصيل

(١) أحمد سعد محمد، "التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية". (القاهرة: مكتبة الآداب).

التوجيه البلاغي للقراءات، فإنها لم تتجه إلى تحليل العلاقة بين القراءة وبين السياق اللغوي وغير اللغوي وتحولاتهما، وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى معالجته.

وتناولت دراسة عبد الرحيم بن عبد الرحمن المعنونة بـ "المعالم البلاغية في توجيه القراءات القرآنية"[(١)] إبراز العلاقة البينية بين علم توجيه القراءات وعلم البلاغة، واعتمد المنهج الاستقرائي التحليلي التطبيقي، وتوصل إلى سعة مجال بلاغة القراءات والحاجة إلى دراسات استقصائية. غير أن هذه الدراسة بقيت في إطار التصنيف البلاغي العام، بينما يتجه البحث الحالي إلى تحليل التحولات الدلالية السياقية وأثر القراءات في توجيه المعنى وبناء الخطاب من خلال قصة سبأ في سورة سبأ.

أما دراسة مناء الغامدي بعنوان: (القصدية التداولية في قصة قوم سبأ)[(٢)] ، فقد تناولت تجليات القصدية التداولية في قصة قوم سبأ في سورة سبأ، وبيّنت علاقتها بالمقصد العام للسورة ودورها في تحقيق الفاعلية التواصلية للنص، من خلال تحليل عدد من الوسائل اللغوية والبلاغية مثل الاستثناء والتكرار والتوكيد، مع اعتماد المنهج التداولي في الكشف عن كيفية توظيف اللغة لتحقيق مقاصد الخطاب وتوجيه المتلقّي. وتتفق الدراستان في تحليل قصة سبأ، بينما يختلف بحثي هذا عن هذه الدراسة في التركيز على بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوع القراءات داخل قصة سبأ.

وبحثت دراسة أخرى في القراءات القرآنية لتغريد الخطيب بعنوان: (اختلاف

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن، "المعالم البلاغية في توجيه القراءات القرآنية". المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات ٢٠، (٢٠٢٠).

(٢) مناء الغامدي، "القصدية التداولية في قصة قوم سبأ". مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ٢، (٢٠٢٣م).

أحرف التنزيل في القصص القرآني: قصة سبأ أنموذجًا)[١] الألفاظ التي اختلف القرّاء في قراءتها في قصة سبأ، وبيّنت أثر اختلاف القراءات في توجيه معاني القصة وتفسيرها، مع إبراز دور أحرف التنزيل والروايات الواردة عن الصحابة في تقوية بعض الدلالات التفسيرية للنص القرآني. ويتقاطع البحثان في تناول قصة سبأ وعلاقة القراءات بتوجيه المعنى، كما تتفق الدراستان في أن اختلاف الأحرف القرآنية في قصة سبأ من قبيل التنوع الذي لا تناقض فيه. غير أن هذا البحث يركّز على بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوع القراءات، وهو ما لم تتجه إليه دراسة الدكتورة تغريد الخطيب التي انحصرت في التوصيف القائم على علم القراءات وما يتصل به من علوم اللغة والتفسير، دون دراسة السياق بنوعيه اللغوي والمقامي، والانسجام الدلالي، والربط بين الآيات، إذ عالجت كل قراءة على حدة دون ربطها بسياقاتها، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى استدراكه من منظور بلاغي.

خطة الدراسة

المقدمة، وتشمل: مشكلة الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، وخطتها، ومنهجها.

التمهيد: تنوع القراءات والسياق في الدرس البلاغي القرآني

- مفهوم تنوع القراءات وحدوده.
- السياق في الخطاب القرآني.
- مدخل إلى قصة سبأ وسياقاتها العامة.

(١) تغريد الخطيب، "اختلاف أحرف التنزيل في القصص القرآني: قصة سبأ أنموذجا". مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ٤٠، (٢٠٢٢م).

الفصل الأول: سياق النعمة.

الفصل الثاني: سياق الاعراض والتذمر.

الفصل الثالث: سياق العاقبة.

الخاتمة: وفيها نتائج الدراسة.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة المنهج الاستقرائي مع استخدام أداتي الوصف والتحليل البلاغي، وذلك من خلال تتبّع مواضع تنوّع القراءات في آيات قصة سبأ، ووصفها، ثم تحليلها في ضوء السياقات التي ترد فيها، للكشف عن وظائفها البلاغية وأثر التحوّلات السياقية في توجيهها.

التمهيد: (تنوع القراءات والسياق في الدرس البلاغي القرآني)

مفهوم تنوع القراءات وحدوده

مفهوم القراءات لغة: مشتقة من مادة (ق ر أ)، وتدل القراءة في اللغة على الجمع وضم الشيء بعضه إلى بعض[١]، وتأتي بمعنى التلاوة[٢]؛ أي: ضمّ أصوات الحروف لتكوين الكلمات المنطوقة، ومن ثمّ يَتَجَهُّ هذا المعنى اللغوي في التعريف الاصطلاحي إلى جمع القراءات، وإلى اعتبار النطق أداءً عقليًا مرتبطًا باستيعاب الذهن له، وما يقتضيه الأثر من معانٍ عند التلقي.

مفهوم القراءات اصطلاحا: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[٣]، ويعد هذا التعريف الأساس المنهجي لعلم القراءات، من حيث كونه علمًا قائمًا على الأداء المنقول، وعلى وصف الكيفية، والتأكيد على الاختلاف في الرواية، والعزو إلى الناقلة، بما يؤكد أن القراءات ليست اجتهادًا فرديًا، وإنما ممارسة علمية محكومة بالنقل والرواية.

الأحرف السبعة وتنوع القراءات:

يُقرّ العلماء بأن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، اعتمادًا على ما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة، غير أنهم اختلفوا في تحديد المقصود بهذه الأحرف وبيان

(١) جمال الدين ابن منظور، "لسان العرب". (مصر: دار المعارف، طبعة بولاق، ١٣٠٠هـ) ١: ١٢٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن". (ط١، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ): ٦٦٨.

(٣) محمد ابن الجزري، "منجد المقرئين ومرشد الطالبين". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م): ٩.

معناها الاصطلاحي، فتعدّدت آراؤهم في تفسيرها، ومن هذه الأحاديث ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"(١)، وهو ما يدل على التيسير في وجوه القراءة.

ويرى بعض العلماء أن المراد بالسبعة حقيقة العدد ولكن اختلفوا في تحديد ماهية الأحرف على قولين:

القول الأول: أنها لغات أو لهجات عربية نزل بها القرآن، كقريش وهذيل وهوازن وكنانة وتميم واليمن، أو قريش وهذيل وتميم وأسد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر، على اختلاف في حصر هذه القبائل وتحديدها(٢).

القول الثاني: ما ذكره ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): وقد تتبعت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

١- الاختلاف في إعراب الكلمة أو حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها.

٢- أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب.

٣- أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها في الكتاب

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري"، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم (٤٩٩١)، (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٢م)، ١٢٧٦.

(٢) ينظر: محمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق عبدالله التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة: ٢٠٠٦م)، ١: ٧٦.

ولا يزيل صورتها.

٤- أن يكون الاختلاف في الكلمة يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها.

٥- أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها.

٦- أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير.

٧- أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان[١].

يلاحظ أن ضبط اختلاف القراءات وتنوعها حاضرة في المنهجية العلمية لدى علماء القراءات، وهي مقرونة بالضابط الاصطلاحي المتمثل في عزو القراءة إلى ناقلها، كما يُلاحظ أن تنوّع القراءات واختلافها – بعد الوصف والتحرير – لا يفضي إلى تعدد المعنى في جوهره؛ إذ يبقى المعنى على ما هو عليه، وإن اختلف المنطوق، وتسعى إلى أن يظل المفهوم واحدًا، ويتسع التأويل الراجح داخله دون أن يُنتج معاني متعدّدة أو متغايرة بتعدّد أو تغير الأفهام.

ويُعدّ هذا أصلًا ضابطًا لهذه الدراسة، وضابطًا للتوجيه البلاغي القائم على السياق، وينبغي أن يكون ضابطا عاما في الدراسات البلاغية المتوجهة إلى دراسة القرآن الكريم.

وعلى ضوء ما سبق فإن الباحث يعرف مصطلح تنوّع القراءات إجرائيا بأنه: اختلاف أوجه القراءة في النص القرآني اختلافًا منضبطًا، ينتج عنه تنوّع وظيفي، ويتفاعل مع السياق الذي ترد فيه القراءة، بما يسهم في بناء المعنى وتوجيه الخطاب من منظور بلاغي.

ثانيا: مصطلح السياق

لغويا يرجع ابن فارس مادة (س و ق) إلى أصل واحد هو حدو الشيء[٢]، ويذكر

(١) عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، "تأويل مشكل القرآن". تحقيق السيد أحمد صقر، (ط٢، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٣م): ٣٦-٣٧.

(٢) أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة". تحقيق عبدالسلام هارون، (بيروت: دار الجيل)، ٣: ١١٧.

الزبيدي أن أصل السِّياق هو سُوَاق فقُلبت الواو ياءً لانكسار السين[١]. والمعنى الحقيقي عند ابن فارس هو سَوْق الدواب، ويوسّع ابن منظور الدلالة لتشمل التتابع، فالسِّياق حركة تتابع الأبل يقود بعضها بعضًا[٢]، ثم تنتقل الدلالة عند الزبيدي إلى المجال اللغوي مجازيا ومنه أن يسوق الحديث أحسن سياق [٣].

فالسِّياق مجازًا هو: ترتيب الكلام وسرده على نظام متتابع يقود بعضه إلى بعض، كما تُساق الإبل في طريق واحد.

المفهوم الاصطلاحي للسياق:

السياق هو ما يصاحب اللفظ مما يعين على توضيح المعنى وتحديد المراد، سواء أكان هذا التوضيح ناتجًا عن موضع اللفظة في الاستعمال، أم عن عناصر غير لغوية مصاحبة للكلام تفسره وتكشف دلالته[٤]، وبناءً على ذلك لا يُنظر إلى اللفظ مفردًا، بل في علاقته بما قبله وما بعده، وفي السياقات التي قيل فيها، ومن هنا المعنى لا يثبت للفظ إلا داخل سياقه، وأن الدلالة تتولد من مجموع القرائن اللفظية والحالية.

أما البلاغيون فقد صاغوا هذا التصور في إطار معياري يقوم على المطابقة بين الكلام وبين مقتضى الحال، وعبّروا عنه بمقولاتهم المشهورة مثل: لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، فالبلاغة عندهم لا تتحقق بمجرد فصاحة اللفظ، بل بمراعاة

(١) محمد الزبيدي، "تاج العروس"، تحقيق مصطفى حجازي، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٩م)، ٢٥: ٤٧٥.

(٢)ابن منظور، "لسان العرب". ٣: ٢١٥٤.

(٣) الزبيدي، "تاج العروس"، ٢٥: ٤٨٣.

(٤) ينظر: محمد أحمد أبو الفرج، "المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث". (ط١، مصر: دار النهضة، ١٩٦٦م): ١١٦.

أحوال المتكلمين والمخاطَبين، وتنوّع المقاصد والأغراض، واختلاف المقامات من شكر وشكاية، وتهنئة وتعزية، وإخبار واستفهام، وذكر وحذف[١]، وبذلك أصبح المقام عنصرًا حاكمًا في توجيه المعنى والحكم على بلاغة الكلام، وأضحى السياق شرطَ ضرورةٍ في الفهم والتقويم، يراعى أثناء التحليل.

يذهب السكاكي إلى أن "مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال"[٢]، ويعرّف القزويني البلاغة بأنها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[٣]، بينما يرى العسكري أنها "حسن التأليف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها"[٤]، ويُفهم من مصطلح مقتضى الحال أن يكون الكلام منسجمًا مع الحالة التي يُقال فيها، ملائمًا للموقف الذي يَرِد ضمنه[٥]، أمّا عبد القاهر الجرجاني فقد صاغ هذا المعنى في إطارٍ أدقّ حين سمّى السياق اللغوي بـ"النَّظم"، وعرّفه بأنه "تعليق الكلم بعضِها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[٦] على وجهٍ يقتضيه العقل ويستدعيه المقام.

(١) السكاكي، "مفتاح العلوم". ضبط: نعيم زرزور، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م): ١٦٨.

(٢) السكاكي، "مفتاح العلوم": ١٧٥.

(٣) محمد القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة". ضبطه: عبدالرحمن البرقوقي، (دار الفكر العربي، ١٩٠٤م): ٣٣.

(٤) أبو هلال العسكري، "الصناعتين". تحقيق محمد البجاوي، (لبنان: المكتبة العصرية، لبنان،١٤١٩هـ): ١٦١.

(٥) أحمد مطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية". (ط٢، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧م): ٦٤٢.

(٦) عبدالقاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود شاكر، (ط٣، جدة: دار المدني، ١٩٩٢م): ٥٤.

ويفضي مجموع هذه المقولات إلى أن علماء البلاغة في التراث العربي قد أسّسوا لمفهوم السياق، تنظيرًا وتطبيقًا وتحليلًا، وإن اختلفت عباراتهم، فاجتمعوا على أن قيمة الكلام البلاغية لا تُستمد من ألفاظه مفردة، بل من انتظامها في بنيةٍ تراعِي النسق وتستجيب لمقتضيات الحال أو المقام.

وفي الدراسات اللسانية الحديثة عُدّ السياق مفهومًا علميا يقوم على تلازم عنصرين: السياق اللغوي المتمثل في تتابع الوحدات وانتظامها في نسق واحد، والسياق غير اللغوي أو سياق الموقف المتمثل في الملابسات الاجتماعية والثقافية المصاحبة للخطاب، وقد توسع هذا المفهوم ليشمل تقسيمات أدق، كالسياق التركيبي الذي يتحدد به المعنى من خلال البنية التركيبية أو هي" البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية"(١)، والسياق المعجمي الذي تضبطه العلاقات الدلالية بين المفردات أو "السياق الذي ترد فيه المفردة بوصفها وحدة دلالية معجمية"(٢).

فضلًا عن السياق الاجتماعي الذي يراعي عناصر المناسبة والعرف والزمان والمكان، ويتحدد المعنى في هذا التصور من تفاعل السياق اللغوي بالسياق الحالي معًا، ومن هذا المنطلق يُفهم سياق المقام أو سياق الحال في القرآن الكريم من خلال المناسبة أو السبب، ويُعبَّر عنه في كتب التفسير بسبب النزول، أو بما يَرِد من إشارات إلى العادات والمضامين والتقاليد التي يحتضنها النص القرآني(٣).

(١) عودة خليل عودة، "التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم". (ط١، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م): ٧٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: عبدالحكيم القاسم، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير". (ط١، الرياض: دار التدمرية، ٢٠١٢م)، ١: ٩٠، و٢: ٣٥١.

وتشتغل هذه الدراسة على مستويين من السياق:

- الأول، السياق الخارجي أو ما يُعرف بالسياق غير اللغوي: ويتمثل في الإطار الذي يحدّد أطراف الخطاب، ومقاصده، ومضامينه، وأحواله، وأحداثه التاريخية والاجتماعية.
- والثاني، السياق الداخلي، أو السياق اللغوي: ويعنى بدراسة البنى اللغوية في مستوياتها المختلفة، من حيث علاقات السبك بين هذه البنى، والبنى التركيبية والمعجمية، وما تنهض به من وظائف دلالية داخل النص.

وبناءً على هذا التأسيس المنهجي للسياق يُنظر إلى تنوّع القراءات على أنه مظاهر لغوية صوتية وصرفية وتركيبية ومعجمية، تتضافر مع السياقات الخارجية في بناء الدلالة وتوجيه الفهم، بما يفضي إلى دراسة منضبطة تؤدي إلى فهم الوظائف البلاغية للخطاب القرآني.

السياق العام لقصة سبأ(١):

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾

(١) إسماعيل بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". (ط١، لبنان: المكتبة العلمية، ١٩٩٤م)، ٣: ٤٨٥-٤٩٠.

فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٥ – ٢٠].

يذكر تعالى ما كان لِسَبَإٍ في مسكنهم من النعمة والغبطة، والعَيْش الهنيّ الرغيد، واتّساع الأرزاق والزروع والثمار، حتى كانت آية في محلّهم الذي يسكنون فيه؛ إذ كانت لهم جنتان عن يمين وشمال، وبلدة طيبة وربٌّ غفور، وبُعث إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته. وكان لهم وادٍ عظيم تأتيه سيول كثيرة، وبنوا سدًّا محكمًا يكون مجمعًا للماء، فغرسوا الأشجار واستغلّوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن، حتى ذُكر أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل فيتساقط فيه من الثمار ما يملؤه من غير كلفة ولا قطاف؛ لكثرته ونضجه واستوائه. وذُكر أيضًا اعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، ليُوحِّدوه ويعبدوه.

ثم وقع الإعراض: أعرضوا عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس، فاستحقوا العقوبة: فأرسلنا عليهم سيل العرم، وقيل في العرم: المياه، وقيل الوادي، وقيل الجرذ، وقيل الماء الغزير؛ وبسبب ذلك بدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل؛ فتبدّلت الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة إلى الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾.

ويأتي في السياق كذلك ذكر ما كان بينهم وبين القرى التي بارك فيها الله من

القرى الظاهرة المتواصلة المتقاربة، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث ما ينزل سيجد ماءً وثمرًا، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى، وقدّر الله فيها السير وأباحه لهم فقال: سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين؛ ثم بطروا هذه النعمة فقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم بكفرهم، فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق، فتفرّقوا في البلاد، ولهذا تقول العرب: تفرّقوا أيدي سبأ، وشذر مذر. وفي ذلك كله لعبرة ودلالة: إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور؛ صبّار على المصائب، شكور على النعم.

تحولات السياقات في قصة سبأ:

تبدأ القصة بسياق النعمة، ثم يعقبه سياق الإعراض، لتنتهي بالعاقبة، وذلك في إطار السَّكن والإقامة، ثم يعود السياق مرة أخرى إلى نعمةٍ متجددة، يعقبها إعراض، فتنتهي بعاقبة أخرى، ولكن هذه المرّة في إطار السَّفر والانتقال.

ويكشف هذا التكرار البنائي أن القصة لا تقوم على سرد القصة فقط، وإنما تُبنى على خطاب التذكير بعد التذكير، من خلال إعادة الخطاب في فضاءين مختلفين (السكن/السفر)، بما يرسّخ العبرة ويترك أثرا لدى القارئ.

والجدول التالي يوضح التحولات السياقية العامة للقصة:

رقم الآية	الآية	السياق	الفضاء الدلالي
١٥	لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ	سياق النعمة الأول	السكن والإقامة
١٦	فَأَعْرَضُوا۟	سياق الإعراض الأول	السكن والإقامة
١٦	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ	سياق العاقبة الأول	السكن والإقامة
١٧	ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ	سياق العاقبة بالتذكير	عام/ شمولي
١٨	وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ	سياق النعمة الثاني	السفر والتنقل
١٩	فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ	سياق الإعراض والتذمر الثاني	السفر والتنقل
١٩	فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ	سياق العاقبة الثاني	السفر والتنقل
١٩-٢٠	إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ	الخاتمة السياقية سياق العاقبة بالتذكير	عام/ شمولي

وفيما يأتي بيان تطبيقي وتحليل بلاغي لهذه السياقات، مع الكشف عن الأنساق اللغوية والدلالية التي تسهم في توجيه معاني تنوّع القراءات داخل كل سياق من سياقات الخطاب القرآني.

الفصل الأول: سياق النعمة

أولًا: السياق غير اللغوي (الخارجي)

يتأسس سياق النعمة في آيتي سبأ (١٥، ١٨) على التذكير بحدث تاريخي، يخاطب العرب بما وقع لقومٍ كانوا قريبين منهم مكانًا وزمانًا، وهم قوم سبأ، وسبأ اسم لأبي اليمن ثم أصبحوا أمة، وجعلهم آية، أي: حجة واضحة وعلامة بينة[١]؛ ليكون ذلك أبلغ في الموعظة وأقرب إلى الاعتبار.

وقد تمثلت الآية العظمى التي جعلها الله لهم في جنتين عن يمين مسكنهم وعن شماله، محصورتين بين جبلين، حتى إن المرأة كانت تخرج بمكتلها على رأسها، فتمشي بين الجبلين فيمتلئ مكتلها من غير أن تمس بيدها شيئًا[٢]، في صورةٍ قصوى من وفرة الرزق وسهولة التحصيل.

ثم يأمرهم الله بالأكل من ثمرات هاتين الجنتين، وبشكره سبحانه على ما أنعم به عليهم من رزقه، لينتهي بذلك وصف النعمة الخاصة المرتبطة بالرزق، ويُستأنف خبرٌ آخر عن طبيعة البلدة نفسها، فيقال: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾، أي ليست سبخة ولا موبوءة، ولا يوجد فيها ما يؤذي من هوامٍّ أو آفات، ثم يُتبع ذلك بقوله: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، أي يغفر ذنوبكم إن أطعتموه[٣].

غير أنهم أعرضوا، لنجد السياق في الآيتين التاليتين (١٦ –١٧) يتحول إلى سياق الإعراض فسياق العاقبة، ثم يعود الحديث مرة أخرى للحديث عن سياق النعمة، حيث جاء في الآية الأخرى رقم (١٨) وصفٌ لنعمٍ إضافية، متعلقة بالسفر والأمن، وذلك في

(١) محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (ط٣، مصر: مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٨م)، ٢٢: ٧٦.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٧٧.

(٣) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٧٨.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾، أي قرى متصلة متتابعة، كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية، ويروح فيأوي إلى أخرى[١]، وكما أُمروا بالأكل في الآية (١٥)، أُمروا هنا بالسير، فقال لهم: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾، أي لا يخافون جوعًا ولا عطشًا ولا ظلمًا ولا اعتداءً[٢]، فالأمن والنعيم يشمل الإقامة والرحيل.

وبذلك يتبين أن نعم الله عليهم كانت شاملة، متكاملة، مستمرة، في الحضر والسفر، في المكان والزمان، ومع ذلك أعرضوا، وهو ما سيُبيَّن في الفصل الثاني.

ثانيًا: توصيف السياق اللغوي وعلاقات السبك في سياق النعيم:

- في الآية رقم (١٥)

افتتحت الآية بأسلوب التوكيد والتحقيق، من خلال لام التوكيد في ﴿لَقَدْ﴾، للابتداء وفائدتها توكيد مضمون الجملة، يقول ابن عثيمين: "كلما وجدت في القرآن (لقد) فإنها جملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات وهي القسم المقدّر، واللام، وقد"[٣]، ويرى أن الآية مؤكدة بهذه المؤكدات الثلاث[٤]، وهذا التفسير يتفق مع ما بينه ابن هشام: حيث عد هذه اللام ابتدائية وفائدتها توكيد مضمون الجملة، وأن المشهور في دلالتها أنها لام القسم، ونقل رأيا آخر أنها تفيد التوكيد ويجوز فيها قسَمٌ مقدَّرٌ[٥]، وفي كلا التوجهين فإن اللام سواء أكانت لام قسم أم كانت لام توكيد متضمنة للقسم فإن الدلالة تتجه

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٣- ٨٥.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٥.

(٣) منير الدحام، "الشيخ ابن عثيمين (١٣٧٤-١٤٢١هـ) جهوده وآراؤه العلمية في علم البلاغة". (ط١، لبنان: دار ابن حزم، ٢٠١٣م): ٩٩.

(٤) محمد ابن عثيمين، "التفسير الثمين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى"، اعتنى به أشرف كمال، (ط١، القاهرة: مكتبة الطبري، ٢٠٠٩م)، ١٠: ٣٢٨.

(٥) ابن هشام الأنصاري، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (مصر: مطبعة المدني، د.ت): ٢٢٩.

إلى تأكيد الله بحدوث القصة، حتى لا يظن أحدٌ بعدم وقوعها، والفعل الماضي الناقص ﴿كَانَ﴾ يدل على تحقق الوقوع، وفي التركيب النحوي، قُدِّم الخبر ﴿لسبأ﴾ على المبتدأ ﴿آيَةٌ﴾، على القول بأن آية اسم كان، وذلك لاقتضاء المقام تقديم المسند[١] وهو هنا بيان حال سبأ وعبرة ما حدث لهم فلذلك تم تقديمه.

ثم ينتقل السياق من الخبر إلى الإنشاء ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾

فأمر الأكل للإباحة، إذْ عَدَّ السكاكي الإباحة من دلالات الأمر، ويربطها بأمرين: الأول مدى ارتباط الجملة بالمتكلم من جهة الاستعلاء بمعنى أن يكون الآمر أعلى من المأمور، والثاني ربط الدلالة بقرائن الأحوال وما يناسبه المقام [٢]، فالأمر للإباحة لأن الأكل غير منهي عنه، والسياق هنا ليس سياق تشريع بل سياق تذكير بالنعمة لقوم ظلموا أنفسهم، وقد ذكر التفتازاني أن صيغة الأمر تستعمل لغير طلب الاستعلاء مما يناسب المقام بحسب القرائن، وقد ذكر أن الأصوليين والبلاغيين قد بينوا أن من دلالات الأمر الندب أو الإباحة[٣].

أما أمر الشكر للإلزام، حيث إن اقتران الأمر بشكر الله موجبة بالدين وبالشريعة وبأمر الله الظاهر في القرآن الكريم، بل إن إرسال الرسل إلى قوم سبأ كانت لذلك، وفي السياق العام ذُكِر أن الله أرسل لقوم سبأ رسلا ولم يؤمنوا بهم، فاقتران الأمر بالشكر هي علاقة تعبُّدٍ مع المنعم ووظيفة هذا الأمر في البلاغة إلزام المخاطبين بشكر المنعم، يقول

(١) عبد المتعال الصعيدي، "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة". (ط١٧، مصر: مكتبة الآداب،٢٠٠٥م)، ١: ١٤٤.

(٢) السكاكي، "مفتاح العلوم": ٣١٨-٣١٩.

(٣) سعد الدين التفتازاني، "المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم". تحقيق عبدالحميد الهنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ٢: ٤٢٤-٤٢٥.

ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: "وجوب الشكر واجب عقلا كما هو واجب شرعا"(١)، أي: كلوا؛ لأن الرزق من ربكم، واشكروا؛ لأن النعمة تستوجب الاعتراف والإيمان والشكر له سبحانه.

ثم يتحول السياق اللغوي بلاغيًا من الإنشاء إلى الخبر في قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، وجاءتا جملتين اسميتين للدلالة على ثبوت النعمة واستمرارها لهم إن هم آمنوا، أي: قبل التذمر والإعراض وقبل العقوبة والهلاك.

علاقات السبك في الآية (١٥):

- الربط الإسنادي: بين سبأٍ وآية، أصليٌّ؛ لأن بناء الجمل تتكون من مسند ومسند إليه.
- الربط بالبدل: في (جنتان) بوصفها بدلًا من آية، وذلك باعتبار القراءة التي ترى أن الجنتين بدلا عن آية، وفي البلاغة يفسر البدل على أنه زيادة تقرير وإيضاح للمبدل عنه(٢).
- الفصل: بين الجملة الخبرية (جنتان) والجملة الطلبية (كلوا). تقوم مسألة الفصل والوصل في البلاغة على الربط بالواو العاطفة، ولا تكتفي البلاغة برصد وتوصيف الظاهرة الأسلوبية، بل توجهها توجيها بلاغيا يفيد المعنى ويغنيه، وفي هذه الآية تظهر مسألة الفصل من أجل التأثير على المتلقي، حيث تستأنف الجملة "كلوا من رزق الله واشكروا له" بدون استعمال حرف العطف الواو بعد قوله تعالى: "جنتان عن يمين وشمال"، لأن الاستئناف بدون واو بناء معنوي مختلف ينبغي الانتباه له، ثم لا توجد جهة جامعة تركيبية بين الجملتين مما يسمى في البلاغة بـ

(١) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١٠: ٣٤٤.

(٢) الصعيدي، "بغية الإيضاح"، ١: ١١٤.

(كمال الانقطاع) فالجملة الأولى خبرية والثانية إنشائية[١].

- العطف بالواو: بين (يمين وشمال) والوصل بين الجملتين: (كلوا واشكروا)، إذ استعملت الآية العطف بين يمين وشمال، والوصل بالواو العاطفة بين اشكروا اللاحقة وكلوا السابقة؛ وذلك لأن بينهم في السياق اللغوي جهة جامعة في الدلالة والحكم الإعرابي وفي العلاقة، إما اقتضاء في الأولى، وإما سببا ونتيجة في الثاني [٢].
- الفصل ثم الوصل: تعود الظاهرة مرة أخرى في الجملة الأخيرة من الآية ١٥، بين الجملتين الإنشائية السابقة ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ وبين الجملتين الخبريتين في قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، وهنا كمال انقطاع[٣]؛ لأن الأولى إنشائية والثانية خبرية، ثم إن في الاستئناف توجيه عقلي لإدراك مضمون الجملة المستأنفة ومحتواها التأثيري، ثم جاء الربط بالوصل بينهما بالواو بين الجملة الخبرية اللاحقة رب غفور وبين الجملة الخبرية السابقة بلدة طيبة لاشتراكهما في جميع المستويات الأسلوبية والدلالية والحكم الإعرابي وأيضا للعلاقة المضمونية بين الأولى والثانية وهي علاقة شمولية في النعيم بين نعيم الدنيا الزائل وبين نعيم الآخرة الدائم، وثمة أسلوب بلاغي له دور في فهم سياق النعمة ألا وهو تنكير (بلدة) وتنكير (رب) وهذا التنكير المتكرر والتقسيم المنظم للدلالة على عظمة هذه البلدة، وأيضا على تعظيم الرب سبحانه عز وعلا وارتفع، فمن دلالات التنكير التعظيم[٤].

توصيف السياق اللغوي في الآية (١٨)

جاء فعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بمعنى الإنشاء والإيجاد، وتعدّى إلى مفعول واحد هو قرى

(١) التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٣٩.
(٢) ينظر: التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٣٤.
(٣) التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٣٩.
(٤) الصعيدي، "بغية الإيضاح"، ١: ١٠٢.

ظاهرة، وأسند إلى الله بصيغة الجمع تعظيمًا، ثم عُطف عليه ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾، تأكيدًا لتكامل النعمة، وبلاغيا استعمل أداة الربط (واو العاطفة) بين الجملتين، وهو من الوصل الذي يسمى كمال الاتصال، للاشتراك في الحكم الإعرابي، وللاقتران في المناسبة الموضوعية.

ثم ينتقل السياق إلى الأمر الإباحي –كما في الآية (١٥) –: ﴿سِيرُوا﴾، ويُختَم بالحال: ﴿آمِنِينَ﴾، وصاحب الحال الواو في سيروا العائدة إلى قوم سبأ في الآية ١٥، وعبد القاهر الجرجاني يرى أن الحال إذا خلا من الواو فهو إثبات للحال في صاحبه، وتجعل الكلام خبرا واحدا، بمعنى أن يتصل أحد المعنين بالآخر، ولا تستأنف الحال في معنى آخر كما في الحال بالواو[١]، وفي هذا السياق يكون المعنى: إثبات الأمن للمسافرين.

والفعل الماضي هنا يؤكد تحقق وقوع النعمة في السفر، من طريقين: الأول أن من جعل بينهم وبين القرى التي باركها الله هو الله سبحانه، والثاني أن الفعل الماضي يدل على تحقق وقوعه.

علاقات السبك في الآية (١٨)

تُفيد الواو في قوله تعالى ﴿وجعلنا﴾ الربطَ السياقي بالآية الأولى ضمن سياق النعمة، وقد ذهب الشوكاني إلى أن هذه الواو معطوفة على قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية﴾[٢]، بما يجعل الجملة امتدادًا لسياق النعمة، ويُلاحظ أن الخطاب في سياق النعمة يعتمد الواو العاطفة أداة ربط دلالي حيث تفيد الإضافة لمظاهر الإحسان وتُحافظ على استمرار النسق الخبري، في حين ينتقل السياق عند الاعتراض ثم العاقبة إلى الفاء الدالة على التعقيب والسببية، لترصد التحوّل من النعمة إلى العقوبة، ويستمر النسق بنفس الطريقة في الآية رقم (١٥) الربط بالواو بين (جعلنا وقدرنا)، ثم الفصل

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١٣.

(٢) محمد الشوكاني، "فتح القدير". تحقيق سعيد اللحام، (لبنان: دار الفكر، ١٩٩٣م)، ٤: ٤٥٧.

بين الخبر (قدرنا) والطلب (سيروا) لكمال الانقطاع.

ثالثا: دلالات تنوع القراءات في سياق النعمة

لِسَبَإٍ / لِسَبَأَ

القراءة المعروفة (لِسَبَإٍ) بهمزة مكسورة ومنونة، وقُرِئتْ (لِسَبَأَ) [١]، اختلف المفسرون في تأويل القراءتين، فالطبري يرى أن صرفه وتنوينه على أنه اسم رجل، ومنعه من الصرف على أنه اسم قبيلة أو أرض[٢]، ويذهب الشوكاني إلى أن الصرف على إرادة الحيّ من الناس، ويقوّي ذلك قوله ﴿في مساكنهم﴾، ولو أريدت القبيلة لقيل مساكنها[٣]، أما ابن حيان الأندلسي فيرى أن الصرف يكون إذا أُريد به الحي أو الموضع أو الأب، والمنع إذا أُريدت القبيلة[٤].

وتؤدي القراءتان إلى اتساع المعنى من حيث شمول النعمة، فقراءة الصرف والتنوين تُبرز النعمة بوصفها واقعة على الحيّ والأفراد، بينما تُظهر قراءة منع الصرف شمولها للفضاء الاجتماعي قبيلةً أو أرضًا؛ وبذلك تتكامل القراءتان في تعميق صورة النعمة امتدادًا بشريًا ومكانيًا، ويرتبط هذا الاتساع الدلالي بالسياق اللغوي القائم على التوكيد، والقسم المقدر، والفعل الماضي، والأخبار المتتابعة، وجملتي الطلب بالأمر بينها، مما يُقرّر تحقق النعمة واستقرارها قبل التحول إلى سياق الإعراض ثم العاقبة.

---

(١) أبو عمرو والبزي وابن محيصن وحميد والأعمش بفتح الهمزة غير منونة، النوزاوازي، "المغني في القراءات". تحقيق محمود الشنقيطي، (ط١، السعودية: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ٢٠١٨م)، ٣: ١٣٩٦.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٧٧.

(٣) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٤٥٤.

(٤) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل، (مصر: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠١٠م)، ٨: ٥٣٣

مَسْكَنِهِم / مَسَاكِنِهِم[١]

يرى الطبري أن قراءة ﴿مَسَاكِنِهِمْ﴾ بالجمع هي قراءة الجمهور، ومعناها منازل آل سبأ[٢]، وقرأ غيرهم بالإفراد ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾. ويذهب ابن حيان الأندلسي إلى أن قراءة الجمع ظاهر؛ لأن لكل واحدٍ مسكنًا، وأما الإفراد فيُحمل على المصدر، أي في سكناهم، حتى لا يُراد بالمفرد الجمع إلا على وجهٍ سائغ[٣]، وهو ما عده سيبويه من باب الضرورة، ويرى الشوكاني أن وجه الجمع كثرة المنازل وتعددها، وأن الإفراد إما مصدر يشمل القليل والكثير، أو اسم مكان أريد به معنى الجمع[٤].

تبرز القراءتان في السياق الخارجي سعة العمران وانتشار النعمة على مستوى الجماعة، بما ينسجم مع واقع سبأ التاريخي واتساع مساكنهم، بينما تتسق مع السياق اللغوي السابق واللاحق القائم على التوكيد بالفعل الماضي، ثم الانتقال إلى أسلوب الأمر (كلوا – اشكروا)، ثم الجمل الخبرية (بلدة طيبة ورب غفور)، بما يجعل النعمة لغويا وواقعيا في مركز الفضاء الدلالي للسكن أثناء تأويل القراءة، ويتآزر ذلك مع المعجم الدلالي لسياق النعمة، حيث تحيل الجنتان إلى الخصب والإنبات، وعن يمين وشمال إلى الإحاطة والقرب المكاني، وكلوا من رزق ربكم إلى الإباحة والوفرة وسهولة التحصيل،

(١) مسكَنِهم: بغير الألف كوفيٌّ، غير أبي بكر، وقاسم، وابن سلوان، وكسر كاف مسكِنِهم علي، وخلف، والأعمش، قرأ حمزة، وخلف، وحفص، والأعمش، وطلحة من طريق الهمذاني، وابن أبي ليلى، وابن أبي عبلة، وكرداب، والكسائي في مسكَنهم بغير ألف، الباقون جمع، وهو الاختيار على أصل الجمع لا الجنس، يوسف بن علي البسكري، "الكامل في القراءات الخمسين". تحقيق عمر حمدان وتغريد حمدان، (ط١، المدينة المنورة: ٢٠١٥م)، ١١٠. القراءة المعروفة مساكنهم، ينظر: المغني في القراءات، ٤: ١٥١٠.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٧٧.

(٣) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". ٨: ٥٣٣

(٤) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٤٥٤.

واشكروا له إلى الاستجابة والطاعة لله، ثم تُوصف البيئة ببلدة طيبة ويُتوَّج السياق برب غفور بما يحقق النعمة التامة لقوم سبأ، وبذلك تتكامل القراءتان في بناء صورة للنعيم لغويّةً ومكانيّةً، تمهيدًا للتحول إلى سياق الإعراض ثم العاقبة.

جَنَّتَان / جَنَّتَيْن(١)

يقول الطبري: رُفعت الجنة ترجمةً عن الآية؛ لأن معنى الآية ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ أي: هي جنتان عن أيمانهم وشمائلهم(٢)، وقال الزجاج: آية مرفوعة على أنها اسم كان، وجنتان وقعت على نوعين: على أنها بدل من آية، وعلى إضمار، كأنه لما قيل آية قيل: جنتان(٣)، وقال الفراء: الجنتان مرفوعتان لأنهما تفسير الآية (أي بدل)، ولو كان أحد الحرفين منصوبًا لكان صوابًا(٤)، وقيل: جنتان ابتداء، وخبره في قوله عن يمين وشمال، ولا يظهر هذا الوجه؛ لأنه نكرة، ولا مسوّغ للابتداء بها إلا أن يُقدَّر لها وصف محذوف، أي: جنتان لهم، أو عظيمتان لهم عن يمين وشمال(٥).

وقُرئت جنتين بالنصب، على أن آية اسم كان، وجنتين خبرها، وقيل: إن وجه كون الجنتين آية هو انقلابها إلى نبات الخمط، والأثل، والسدر مكان الأشجار المثمرة(٦)، وقال ابن عثيمين: جنة بدل من آية، ويجوز أن تكون عطف بيان؛ لأنها

(١) القراءة المعروفة جنتان، بألف للعشرة، وقُرِئ جنتين بالياء بدل الألف لابن أبي عيلة، "المغني في القراءات"، ٤: ١٥١١.

(٢) الطبري، "جامع التأويل" ص:٧٧-٧٨.

(٣) أبي إسحاق إبراهيم الزجاج، معاني القرآن، علق عليه: أحمد فتحي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ج٤/٨..

(٤) أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: محمد النجار، الدار المصرية، ٣٥٨.

(٥) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مرجع سابق، ج٨/٥٣٤.

(٦) المرجع السابق.

بيّنت الآية ووضحتها[١]، وقال ابن عاشور: جنتان بدل من آية باعتبار تكملته بما اتصل به من المتعلَّق والقول المقدّر، وفي جعل جنتان في نظم الكلام بدلًا من آية كناية عن طيب تربة بلادهم [٢].

يكشف الخلاف في إعراب (جنتان) عن وظيفة سياقية تتجاوز الجانب النحوي إلى بناء دلالة النعمة في القصة، فرفع (جنتان) على الترجمة، أو البدل، أو عطف البيان يجعل النعمة ذاتها هي الآية وزيادة إيضاح وتقرير، ويُصوِّر استقرار النعمة في مساكن آل سبا، ممتدة في المكان عن يمين وشمال، ومتحققة في الواقع قبل وقوع الإعراض، أمّا قراءة النصب، فجعلت الآية عنوانًا عامًا، والجنتين بيانًا لمظهرها، وهو توجيه يشير إلى النعمة من زاوية المآل، حين انقلبت الجنتان إلى خمط، وأثل، وسدر، فصار التحول آية كذلك وعاقبة، وبذلك يتكامل الخلاف الإعرابي مع السياق؛ إذ يؤسس الرفع لسياق الاستقرار، ويهيئ النصب للانتقال إلى سياق الإعراض ثم العاقبة، دون تعارض بين الوجهين، مما يُحكم بناء القصة ويعمّق أثرها البلاغي.

بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ / بَلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبًّا غَفُورًا[٣]

ذهب الزجّاج والنحّاس إلى أن قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ مرفوع على معنى الإخبار، أي: هذه بلدةٌ طيبةٌ، والله ربٌّ غفور[٤]، فجعلوا التركيب قائمًا على تقدير اسم إشارة ومبتدأ محذوف. ويتفق معهم ابن عثيمين[٥]، إذ يرى أن الجملتين

(١) ابن عثيمين، التفسير الثمين، مرجع السابق، ج١٠/ ٣٣٤.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، ط١، لبنان، ج٢٢/٣٤-٣٦.

(٣)نصبا: حميد بن الوزير عن يعقوب، وأبو بشر القطان عنه، قرأ حميد بن الوزير عن يعقوب، وابن خثيم، والجوينيُّ، وعاصم الجحدري، والباقون رفعا وهو الاختيار لموافقة المصحف، الكامل في القراءات، مرجع سابق، م٦/١١١، ينظر: المغني في القراءات، مرجع سابق، ١٥١١.

(٤) الزجاج، مرجع سابق، ج٤/٨.

(٥) ابن عثيمين، التفسير الثمين، مرجع سابق. ج١٠/٣٣٠.

خبران لمبتدأ محذوف، وتقديره: هي بلدةٌ طيبةٌ، والله ربٌّ غفور.

ويذهب ابن عاشور إلى أن جملة ﴿بلدةٌ طيبةٌ﴾ من تمام القول، وهي مستأنفة في الكلام المقول، بتقدير: بلدةٌ لكم طيبةٌ، وخبرها محذوف تقديره: لكم، وأن جملة ﴿وربٌّ غفورٌ﴾ معطوفة عليها، والتقدير: وربٌّ لكم، أي ربّكم غفور(١).

ثم جاءت قراءة النصب، فقرأ رُويس بنصب الأربعة، ووجَّه أحمد بن يحيى ذلك على إضمار فعل، أي: اسكنوا بلدةً طيبةً واعبدوا ربًّا غفورًا، وذهب الزمخشري إلى أن النصب على المدح(٢).

يوضح هذا التنوع في القراءات وفي التوجيه دلالة النعمة في سياق قصة سبأ، فإذا حُذِف المسند إليه في نحو: ﴿بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور﴾، اتجه الخطاب إلى تعظيم النعمة في ذاتها، أمّا إذا حُذِف الخبر (المسند)، كما في توجيه ابن عاشور بتقدير (لكم)، فإن الدلالة تستدعي قرب النعمة منهم وتخصيصها بالمخاطَبين، وحذف الخبر لدلالة السياق عليه، وتمهيدًا لتحميلهم مسؤولية الاعتراض، وإذا حُذِف فعل الأمر في قراءة النصب، وقدِّر نحو (اسكنوا، اعبدوا)، تحوّل التكليف من صيغة الأمر الصريح إلى نعمة ميسَّرة تُفهم بدلالة السياق الذي يشير إلى فضل الله عليهم سبحانه، أمّا النصب على المدح، فيفصل الوصف عن الإسناد الخبري ليجعله مقام ثناءٍ مستقل قبل الانتقال إلى سياق الإعراض وما يترتب عليه من عاقبة.

رابعًا: وظائف تنوع القراءات بلاغيًّا في سياق النعمة (سورة سبأ: ١٥–١٨)

يؤدّي تنوّع القراءات في سياق النعمة وظائف بلاغيةً تتجاوز اختلاف الأداء الصوتي أو التوجيه النحوي، لتسهم في بناء المعنى الكلّي للقصة وتمهد الخطاب نفسيا للانتقال إلى السياقات اللاحقة، ومنها:

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق. ج٢٢/٣٦.

(٢) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". مرجع سابق. ج٨/٥٣٤.

أولًا، توسيع أفق النعمة:

تُسهم القراءات المتنوّعة في بيان سعة نعمة الله سبحانه، كما في (لِسَبَإٍ/لِسَبَأَ) و(مَسْكَنِهِم/مَسَاكِنِهِم)، إذ تتوزّع الدلالة بين الفرد والجماعة، وبين الحيّ والمكان، فيتحقّق شمول النعمة إنسانيًّا ومكانيًّا.

ثانيًا، ترسيخ النعمة قبل زوالها:

تؤكد رفع (جَنَّتَان) وجعلها بدلًا عن (آية)، أنها متحقّقة قبل الإعراض، أمّا قراءة النصب (جَنَّتَيْن) يربط التأويل بالتحوّل اللاحق حين تنقلب النعمة نفسها إلى عاقبة، وهكذا تتضافر القراءتان لإثبات حصول النعمة قبل الإعراض والتذمر، والتنبيه إلى إمكانية زوالها إذا لم يشكروا المنعم سبحانه.

ثالثًا، التدرّج من الوصف إلى التكليف:

في (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) يُفضي الرفع إلى خطاب وصفيّ يُعلي شأن النعمة، بينما تستدعي قراءات النصب –سواء بتقدير فعل أو على المدح– معنى القرب والاختصاص، وبذلك ينتقل السياق من توصيف النعمة إلى تحميل المخاطَبين مسؤولية الاستجابة لأمر الله، فمن يشكر الله ينجو ومن يكفر به يهلك.

رابعًا، التكامل مع النسق الأسلوبي العام:

ينسجم تنوّع القراءات مع تحولات السياقات اللغوية بين الخبر والإنشاء، وبين الوصل والفصل، ومع التحوّل من الواو الجامعة في سياق النعمة إلى استئناف الجملة من دون استخدام حرف العطف، أو التمهيد للتحول بالفاء السببيّة في سياق الإعراض من الآية التالية، فالقراءات تسهم مع أدوات السبك في بيان تماسك القصة القرآنية وأثرها الدلالي.

خامسا: وظيفة الإيضاح بعد الإجمال

تُؤدّي بعض أوجه القراءات وظيفةً بلاغية تتمثّل في الانتقال من الإجمال إلى

التفصيل، لشدّ الانتباه وترسيخ المعنى في الذهن، مثل: قراءة ﴿جَنَّتَانِ﴾ مرفوعة على البدل أو عطف البيان، فتجعل الآية متجسّدة في صورة حسّية واضحة، هي الجنتان عن يمين وشمال، وعلى قراءة النصب ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ يبقى الإجمال محفوظًا في لفظ (آية)، ويأتي التفصيل متأخرًا، في مآلها حين انقلبت إلى خمط وأثل وسدر.

سادسا: وظيفة التدرّج السياقي اللغوي.

يسهم تنوّع القراءات في تحقيق تدرّج سياقي داخلي منتظم، فالقراءات التي تُثْبِتُ الجمل الخبري (رفع: جنتان، بلدةٌ طيبةٌ، ربٌّ غفورٌ) تؤسس مرحلة الاستقرار النعيمي، حيث تُعرض النعمة بوصفها واقعًا قائمًا، أمّا القراءات التي تستدعي تقدير المحذوف (هي، لكم، اسكنوا، اعبدوا) أو تُفهم على المدح، فإنها تنقل الخطاب تدريجيًّا إلى مستوى التكليف الضمني.

سابعا: وظيفة الانسجام النصي

تُسهم القراءات المتنوّعة في حفظ الاتساق الشكلي والانسجام الدلالي، من خلال مقصد الآية وتعدّد طرق الأساليب؛ فالقراءات المختلفة تتوزّع على مستويات الإسناد، والحذف، والبدل، والإنشاء داخل الخطاب، لكنها جميعًا تظلّ خاضعة للمعنى في الفضاء الدلالي للسكن داخل سياق النعمة الأول قبل الإعراض.

الفصل الثاني: سياق الإعراض والتمرد

أولًا: السياق غير اللغوي / الخارجي

يظهر من سياق القصة أن نعيم قوم سبأ لم يستمر، حيث جاء الخطاب في الآية السابقة (١٥) مقرونًا بالأمر بشكر الله على النعمة بعبادته وطاعته وطلب المغفرة منه؛ ولكنهم أعرضوا، وقد أورد الطبري رواية مفادها أن الله بعث إلى سبأ ثلاثة عشر رسولًا فكذّبوهم[١]، ويرى ابن كثير أن الإعراض كان عن التوحيد والعبادة والشكر[٢]، في حين يذهب السعدي إلى أن الإعراض وقع عن المنعم سبحانه وتعالى[٣].

وفي سياق القصة يتتابع النعيم أولًا، ثم يعقبه الاعتراض، ويتجلى هذا الاعتراض في صور متعددة، من أبرزها:

- نكران المنعم سبحانه، إذ إن الله نسب النعمة إلى نفسه صراحة بقوله: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾، ثم أحال عليه بضمير الغائب في قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾، فذُكر الرب ظاهرًا، ثم أُشير إليه بالضمير، في دلالة على وضوح المنعم وحضور أثره.
- ترك شكر الله عز وجل على ما أنعم به، ويُفهم ذلك من سياق المعنى، فالجنّة من الله، والرزق من الله، والشكر متوجّه إليه وحده، وقد خُتمت آية النعمة في الآية (١٥) بقوله: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، ثم جاء عقبها مباشرة قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾، دون تصريح بمتعلَّق الإعراض، اعتمادًا على دلالة السياق وقربه الموضوعي والمكاني.
- الإعراض عن التوحيد والعبادة والشكر، ويتأكد هذا من السياق العام لسورة

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٧٨.

(٢) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٣: ٤٨٥.

(٣) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان"، (جدة: دار المدني)، ٤: ١٨٤.

سبأ، التي افتُتحت بالحمد لله، وبيان علمه، وجزائه للصالحين، وعقابه للكافرين، ثم عرضت قصة داود وسليمان عليهما السلام بوصفهما نموذجين للنعمة المقرونة بالشكر والتوحيد والعبادة، ثم جاءت قصة قوم سبأ على النقيض من ذلك، إذ جاءتهم الرسل فكفروا، ولم يحققوا التوحيد، ولم يلتزموا بالعبادة، ولم يؤدّوا شكر النعمة.

دلائل التذمّر في سياق الآية رقم (١٩)

يتجلى الاعتراض والتذمّر في الآية رقم (١٩) من خلال قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، حيث يعيد النص بيان إعراضهم وتذمرهم في الفضاء الدلالي للسفر، وقد اختلف المفسرون في توجيه القول على رأيين: الأول أن يكون على جهة الدعاء، والثاني أن يكون على جهة الخبر.

فأما على جهة الدعاء، فيذكر الطبري أنهم قالوا: يا ربنا باعد بين أسفارنا، واجعل بيننا وبين الشام فلواتٍ ومفاوز، لنركب الرواحل ونتزوّد الأزواد، وهو ما يدل على بطر القوم بنعمة الله عليهم، وجهلهم بمقدار العافية التي أُسبغت عليهم، وقد عُجّلت لهم الإجابة على هذا الدعاء[١]، وعند الشوكاني يتجه مجموع هذه القراءات على اختلاف صيغها إلى تصوير بطر النعمة من قوم سبأ، فإما دعوا ربهم إلى تباعد الأسفار ضجرا من القرب وكفرا بالنعمة، وإما أخبر عنهم بوقوع التباعد فعلا فصار الكلام شكوى وتذمرا، فاجتمع في السياق معنى طلب البُعْدِ ابتداءً ثم تحقق جزاءً، ثم ظهرت الشكوى منهم[٢].

ويأتي في السياق المضموني عقب ذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، أي

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٥.

(٢) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٤٥٨.

كفروا بالله، وبطروا نعمته، وتعرّضوا لنقمته[١]، بينما يفسّر الطبري هذا الظلم بأنه ما وقع منهم من معاصٍ تُسخط الله عليهم وتوجب لهم العقاب[٢].

ومن خلال هذا السياق يُستدل على التذمّر والاعتراض بما يأتي:

- تعاقب النعمة ثم الإعراض، ويُفهم الإعراض في السياق على أنه إعراض عن المنعم، وعن توحيد الله، وعن طاعته وشكره.
- صدور الإعراض من قوم سبأ بتكذيب الأنبياء.
- ظهور التذمّر والشكوى صراحة في قولهم: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾.
- دلالة القول على التذمّر سواء أُوِّل دعاءً، أم إخبارًا، فالدعاء يحمل معنى البطر والكفر، والإخبار يتضمن الشكوى والتذمر.
- وصفهم بالظلم لأنفسهم في السياق، وهذا الظلم مرتبط بالأفعال الموجبة لهذا الوصف: الدعاء، والشكوى، وكفران النعمة، وبطرها، وردّ الحق.

ثانيًا: توصيف السياق اللغوي وعلاقات السبك في الآية رقم (١٦)

يُلاحظ في الآية وجود سياقين: سياق للتذمّر جاء وسيطًا بين النعمة والعاقبة، وسياق للعاقبة سيُتناول في الفصل الثالث. ويتكوّن سياق التذمّر في هذه الآية من لفظ واحد فقط هو قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾.

وقد افتُتحت الآية بالفاء الدالة على التعقيب، ويكشف هذا التعقيب عن ترتيب الأحداث، إذ تقدّمت النعمة ثم أعقبها الاعتراض والتذمّر. وجاء الفعل بصيغة الماضي، بما ينسجم مع السياق القصصي ويدل على تحقق وقوع الفعل منهم، وتعود واو الجماعة في الفعل إلى قوم سبأ المذكورين في الآية السابقة، كما جاءت هذه الكلمة سببًا مباشرًا للعاقبة التي تلتها في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، في إطار ارتباط السبب

(١) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٤٥٨.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٥.

بالنتيجة والأثر، وقد قرر عبد القاهر الجرجاني أن حروف العطف توجب مع الإشراك معان، وأن الفاء على الخصوص تفيد الترتيب من غير تراخٍ، فإذا عُطِفت بها جملة على جملة تظهر فائدتها السببية(١)، وهذه الفائدة البلاغية هو ما يجده القارئ في هذا السياق.

توصيف السياق اللغوي وعلاقات السبك في الآية رقم (١٩)

تُقسَّم الآية رقم (١٩) كذلك بين سياق التذمّر وسياق العاقبة، والآية جاءت بعد سياق النعمة الثاني من آيات القصة، آية رقم (١٨)، حيث يظهر التذمّر في صدر الآية، وتأتي العاقبة في ختامها.

ويظهر سياق التذمّر فيها من خلال مستويين بلاغيين ناتجين عن تنوّع القراءة.

حيث يُبدأ بالسياق التركيبي، استُخدمت أداة العطف (الفاء) في قوله: ﴿فقَالُوا﴾ لربط سياق التذمّر الثاني في الآية (١٩) بسياق النعمة الثاني في الآية (١٨)، كما تحيل واو الجماعة إلى قوم سبأ منذ مفتتح القصة في الآية (١٥)، ويأتي فعل القول بوصفه أداة معجمية ترتبط دلالته بتنوّع القراءة، إذ يدل إمّا على الدعاء، أو على الإخبار.

ثم تأتي مقولة القول: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾، وتحمل احتمال الدعاء والنداء، أو احتمال الخبر والشكوى ﴿رَبُّنَا بَاعَدْ﴾، وفي كلا النسقين توحي الدلالة التركيبية بالاعتراض والتذمّر. ويُختتم سياق التذمّر التركيبي في الآية بأداة العطف (الواو) التي تربط جملة ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بما قبلها ربط مشاركة بين (قالوا وظلموا) لأنها بينهما ارتباط في الحكم الإعرابي وفي المعنى المضموني، إذ إن القول تذمّر، والظلم تذمر بفعل ناتج عنه، وجاء في صيغة خبرية فعلية في الجملتين مما يدل على تحقق وقوعه، مما مهّد لاستحقاق العقوبة.

ثالثا: دلالات تنوّع القراءات في سياق التذمّر

السياق البلاغي الأول:

(١)الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٢٢٤.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، ﴿رَبَّنَا بَعِّدْ﴾[1]

تتشكّل البنية من جملة خبرية فعلية، ثم جملة طلبية نداء، ثم جملة طلبية أمر، ثم جملة خبرية فعلية، ويُفسَّر هذا بلاغيًا بأن قوله ﴿فَقَالُوا﴾ حكاية لتذمرهم بالقول بعده، ثم يأتي النداء ﴿رَبَّنَا﴾ بحذف أداة النداء، دلالة على شعورهم بقرب المنادى سبحانه، ونسبة الربوبية إليه إقرارًا بتوحيد الربوبية من حيث الخلق والرزق والتصرف، مع اقتران ذلك بالتذمّر من النعمة، على نحو ما ورد في خطاب بني إسرائيل: ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾. وتدل صيغة النداء هنا على خروج عن مقتضى الظاهر إلى التوسل مع الاعتراض على النعمة، ومما هو مقرر في البلاغة إذا أتى النداء في سياق الدعاء فهو لحمل المخاطب على المطلوب بأن يوقع هذا المطلوب[2].

أما قراءتا ﴿بَاعِدْ﴾ و﴿بَعِّدْ﴾ فهما أمران يحملان دلالة الدعاء، ومناط الدعاء في الطلب الخضوع[3]، ويتضمنان طلب جعل الأسفار بعيدة، وقد خرج هذا الدعاء عن مقتضى الظاهر إلى دلالة التذمّر من حالة النعيم الميسّر الذي خلا من مشقة السفر، "فمن نصب ربنا جعله نداءً، فإن جاء بعده طلب كان ذلك أشرا منهم وبطرا"[4]، وتُسهم الدلالة الصوتية في تعزيز المعنى البلاغي، فالألف في ﴿بَاعِدْ﴾ تشير إلى امتداد المسافة المطلوبة، والتضعيف في ﴿بَعِّدْ﴾ يدل على قوة المطلوب في نفوسهم وشدة الشعور به.

السياق البلاغي الثاني:

(١) القراءة المعروفة ربَّنا باعِد بألفٍ وكسر العين وإسكان الدال، قراءة العشرة، وابن كثير، وهشام، وأهل البصرة، أما الحسن والجحدري ربَّنا نصب، بعِّد بفتح الباء، وتشديد العين وكسرها، من غير ألف وجزم، النوزاوازي، "المعني في القراءات"، ٤: ١٥١٣.

(٢) التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٣٣.

(٣) محمد الدسوقي، "حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح"، تحقيق خليل إبراهيم، (ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م) ٢: ٥٢١.

(٤)الأندلسي، "البحر المحيط"، ٨: ٥٣٨.

﴿فقالوا رَبُّنَا بَاعَدَ﴾، ﴿رَبُّنَا بَعَّدَ﴾[١]

تأتي القراءة هنا في صورة جملة إسنادية خبرية اسمية تتكوّن من مبتدأ وخبرها جملة فعلية، "ومن رفع (ربنا) فلا يكون الفعل إلا ماضيا، وهي جملة خبرية فيها شكوى بعضهم إلى بعض مما حل بهم من بُعْدِ الأسفار"، فالإخبار في القراءة الثانية ليست للدلالة على فائدة الخبر ولا لازم الخبر، وإنما خرج إلى مقتضى آخر، ألا وهو الدلالة على الشكوى والتذمر، والدليل على ذلك ما جاء في نهاية سياق الآية الكريمة، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ فالصبر على المصيبة دلالة الإيمان والشكوى عكسها.

ويتصل التفسير البلاغي بمفهوم المسند والمسند إليه، حيث ذُكر المسند إليه ﴿رَبُّنَا﴾ مع حضوره المتكرر في سياق القصة منذ الآية (١٥)؛ لإبراز معنى الربوبية والاعتراف بالمنعم المتصرف، ويكشف هذا الأسلوب عن التشكي الذي يفهم من السياق، إذ إن المقصود من الإخبار هو الشكوى والتذمّر والاعتراض، ويعزّز هذا الغرض مجيء المسند في الجملة الاسمية الخبرية في صورة فعل ماضٍ، خرج عن مقتضى الظاهر إلى المبالغة في الشكوى، بما تحمله ألف ﴿بَاعَدَ﴾ وتضعيف ﴿بَعَّدَ﴾ من دلالات صوتية ومعنوية.

وفي هذه القراءة المسند إليه (ربُّنا) وهو المبتدأ، والمسند (باعد) أو (بعد) وهو فعل ماض، وقد ذُكِر المسند إليه من أجل الحيطة حتى تُسَدّ كلُّ ثغرة على كل متأول فيهم،

(١) السلمي عن زيد، وابن شاذان عن الضرير، كلاهما عن يعقوب، والوليد بن مسلم عن ابن عامر، (ربُّنا بّعَّد) بالفتحات مع تشديد العين، وهي قراءة ابن عباس ومحمد ابن الحنفية، وأبو رجاء (ربُّنا) برفع الباء باعد بألف وفتح العين والدال، "المغني في القراءات"، ٤: ١٥١٣، (ربُّنا باعَدَ) خبر أبو حيوة وبصري غير أبي عمرو وأيوب الزعفراني، والجحدري، والحسن، والباقون على الدعاء، وهو الاختيار لقوله "وظلموا أنفسهم"، الكامل في القراءات الخمسين، ٦: ١١٣.

لئلا يُفهم أن مصدر الشكوى والتذمر ليسا من الله، بل كانوا يتذمرون ويشتكون من الله كفرا والعياذ بالله، وإما لزيادة الإيضاح والتقرير مِن قِبَلِ آل سبأ، ولتأكيد اختصاصه سبحانه بالتبعيد، ولذلك كفروا.

رابعا: الوظائف البلاغية لتنوّع القراءات في سياق الاعتراض والتذمّر

يُنتج تنوّع القراءات في قوله تعالى:﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ شبكةً من الوظائف البلاغية المتداخلة، تتجاوز مجرّد الاختلاف الصوتي أو الصرفي أو التركيبي إلى بناء دلالة مركّبة تكشف عمق الإعراض والتذمّر داخل السياق القرآني.

١- وظيفة كشف البنية النفسية للتذمّر: يسهم تنوّع القراءة بين الدعاء والإخبار في إظهار التذمّر بوصفه حالة نفسية داخلية: ففي قراءة الأمر (باعِد / بعِّد) يتجلّى التذمّر بوصفه رغبة واعية في نقض حالة النعمة، وفي قراءة الخبر (باعَد / بعَّد) يظهر التذمّر في صورة شكوى بعضهم لبعض مما حدث لهم، وهنا تتكامل القراءة مع السياق في كشف انتقالهم من عدم الشكر إلى الاعتراض على التوحيد والعبادة والشكر.

٢- وظيفة اتساع مفهوم التذمّر من الضمني إلى الصريح: فالقراءة الخبرية تُوحي بتذمّر غير مباشر، أقرب إلى الشكوى النفسية، أما القراءة الطلبية (الأمر/الدعاء) تنقل التذمّر إلى حيّز الفعل والطلب، فيتحوّل من إحساس داخلي إلى موقف لغوي صريح، وهذا التصعيد يتناغم مع البناء القصصي في السورة؛ مع قوله أولا ﴿فأعرضوا﴾ ثم ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾.

٣- وظيفة تعميق المفارقة البلاغية بين النعمة والتذمّر: تكشف القراءات المتنوعة عن مفارقة بلاغية بين نعمة القرب، والأمن، وسهولة السير تقابلها رغبة في البُعد، والمشقة، وطول الأسفار، فالألف في (باعِد / باعَد) والتضعيف في (بعِّد / بعَّد) تؤدّيان وظيفة بلاغية في تعميق المفارقة بين ما أُعطوه وما طلبوه.

٤- وظيفة تحميل الذات مسؤولية الهلاك: يؤدي تنوّع القراءات دورًا مهمًا في تهيئة الجملة اللاحقة، ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، فالقراءات، على اختلافها، تؤول جميعًا إلى نتيجة واحدة: أن التذمّر – دعاءً كان أو شكوى – فعل ظلمٍ للنفس، وبذلك يصبح تنوّع القراءة أداة بلاغية توظف لتبرير الحكم التالي للجملة وهو ظلم النفس.

٥- وظيفة الانسجام بين التحولات السياقية: تُسهم القراءات في تحقيق الانسجام الدلالي من خلال الفاء العاطفة ذات الدلالة السببية، فالفاء في القراءتين تكشف عن تحوّلٍ سببيّ؛ إذ صارت النعمة نفسها باعثًا على التذمّر، وبذلك يتحقق التماسك بين التحولات السياقية لأداء الرسالة في الخطاب القرآني.

٦- وظيفة خدمة النسق العام لسورة سبأ: يأتي تنوّع القراءات في هذا الموضع منسجمًا مع النسق الموضوعي للسورة، القائمة على: إبراز الفرق بين شكر المنعم وكفر النعمة، والمقارنة بين نموذجَي داود وسليمان (الشكر) وقوم سبأ (التذمّر).

الفصل الثالث: سياق العاقبة

أولًا: السياق غير اللغوي / الخارجي

يتجه سياق القصة الخارجي نحو القوم ونحو المخاطَب معًا، ولذلك فإن العاقبة بلاغيًا في هذه القصة تتوزع في اتجاهين: اتجاهٍ نحو قوم سبأ بالعقوبة ومضامينها، واتجاهٍ نحو المخاطَب بالتذكير والعظة والوعيد؛ لبناء خطاب توجيهي يتداخل فيه العقوبة بالعبرة.

في الآية رقم (١٦) تظهر العقوبة التي حلّت بسبأ بعد كلمة الإعراض، وهي السبب المباشر فيما حلّ بهم بعد ذلك، فجاءت العقوبة من جنس النعمة؛ إذ كانت نعمتهم قائمة على السد والثمار والبساتين، فهدم الله عليهم السد، وأذاقهم القحط، واستُبدلت جناتهم وبساتينهم بشجر لا ثمر له، وبشجر له ثمر طعمه مر، وبشجر ثمره جيد لكنه قليل جدًا[١]، فقد أُرسل عليهم سيل العرم، والعرِم – بكسر الراء – أو العَرْم – بفتحها – قراءتان تدلان على السد، أو على السيل نفسه[٢]، أو على الجرذ الذي أمره الله بثقب أسفل السد فأغرقهم[٣]، وقيل إن العرم صفة بمعنى غزير، من باب إضافة الاسم إلى صفته أي: سيل غزير أرسله الله إلى قوم سبأ[٤]، أو هو وادٍ تجتمع فيه السيول إذا أمطرت اليمن، ويرى الطبري أن الله أرسل عليهم دابة، فسال الماء من الوادي والسد، وذهب إلى مواضع غير تلك التي كانوا ينتفعون بها، أو أُسيل على جناتهم وأرضهم، ففسد عمرانهم ونعيمهم[٥].

وجعل الله مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك، وهو

(١)السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ٤: ١٨٤.
(٢) الشوكاني، "فتح القدير"، ٦: ٤٥٥.
(٣)السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ٤: ١٨٤.
(٤) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٣: ٤٨٧.
(٥) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٧٩-٨٠.

الخمط، والأثل وهو الطرفاء أو السَّمُر، وجعل مكان الفاكهة شيئًا من سدرٍ قليل[١].

فالتبديل إشارة إلى الانتقال من وفرة النعمة إلى شحّ العطاء.

وفي الآية التالية رقم (١٧) يتجه الخطاب في ظاهره إلى قوم سبأ، غير أن دلالته تتجاوزهم إلى توجيهٍ وعظي عام للناس كافة، حتى يتعظوا، إذ يقرر مبدأ الجزاء من جنس العمل.

فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ أي جزيناهم ذلك الجزاء المذكور في الآية السابقة بسبب كفرهم، ثم يأتي الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ بمعنى أن جزاء الله بالعقوبة إنما يكون للكافر، أما المؤمن فإن الله يتوب عليه إذا آمن وتاب، والمجازاة المكافأة[٢]، يقول ابن عثيمين: "يعني ما نجازي بالعقوبات إلا من كفر بالله سواء كان كفر نعمة فيجازى على قدر ذنبه، أو كفر مخرج عن الملة"[٣].

وسياق العاقبة في هذه الآية تحمل مستويين: دلالة عامة للناس كافة، مفادها أن من فعل مثل فعل سبأ ناله مثل جزائهم، ودلالة خاصة بقوم سبأ، حيث تمثلت العاقبة في العقوبة التي نزلت بهم، وما سيتبعها من عقوبات في الآيات اللاحقة.

وفي الآية رقم (١٩) يستمر خطاب العاقبة، غير أنه ينتقل إلى مستوى آخر، فإذا كان سياق النعمة قد شمل مسكنهم وسفرهم، فإن سياق العقوبة نالهم في مسكنهم وسفرهم، فجعلهم الله أحاديث، ويرى الطبري أن "الله صيّرهم أحاديث للناس، يضربون بهم المثل في السب"[٤]. وتظهر العاقبة هنا عقوبة واقعة على سبأ، وفي الوقت نفسه تعد عاقبة تذكيرية وعظية لمن سمع عنهم من العرب أو سيَسمع، ثم جاء قوله: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ

(١) المرجع السابق، ٨١.

(٢) المرجع السابق، ٨٢.

(٣) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١٠: ٣٣٢.

(٤) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٦.

كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي فرّقهم الله في الأرض، يقول الطبري عن الشعبي: "أما غسان فلحقوا بالشام، وأما الأنصار – الأوس والخزرج – فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعُمان"(١).

ويُختم سياق هذه الآية بعاقبة التذكير والوعظ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي أن تمزيقهم عبرة ودلالة على ما يجب أن يفعله العبد تجاه نعم الله؛ فإن أُعطي شكر، وإن ابتُلي صبر، فالعبرة هنا مشروطة بوعي المخاطَب واعتباره بما حدث.

ويُختَم سياق العاقبة بمضمون القصة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي صدق ظن إبليس فيهم حين اتبعوه، وهم قوم سبأ، أو بمعنى صدق عليهم ظنه، والمعنى أن ما توقعه الشيطان وظنه من إغواء الكفار – ومنهم سبأ – قد وقع وتحقق(٢) حينما ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ سورة ص [٨٢]، فكانت العاقبة هنا خطابية إلى الناس حتى لا يقعوا فيما وقعت فيه سبأ من الإعراض واتباع خطوات الشيطان.

ثانيًا: توصيف السياق اللغوي وعلاقات السبك

– في الآية رقم (١٦)

يبدأ سياق العاقبة في الآية رقم (١٦) بحرف العطف الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، وهي فاء التعقيب السببي، إذ ربطت العقوبة مباشرةً بالإعراض، فجاءت العاقبة نتيجةً سببية لما قبلها، ومن هنا يأتي التحول إلى سياق العقوبة، وقد بُنيت الجملة بالإسناد الخبري الفعلي باستخدام الفعل الماضي، وهو ما يدل على تحقق وقوع العقوبة، ويؤكد تسلسل السياقات والأحداث في القصة.

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٦.

(٢) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١: ٣٤١.

ويُلاحظ أن الله سبحانه استخدم ضمير المتكلم (نا الفاعلين) الدال على التعظيم في السياقات الثلاث، في مقابل ضمير الجمع الغائب العائد إلى قوم سبأ، وهو استعمال بلاغي يفيد تعظيم المتكلم سبحانه، ويُقابل ضمير الجمع العائد إلى المخاطَبين ضمير المتكلمين العائد إلى الذات الإلهية سبحانه العظيم، بما ينسجم مع مقام العقوبة والقدرة.

ثم تأتي جملة أخرى معطوفة بحرف الواو للربط بين سياقات العاقبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾، وبينهما مشاركة في الحكم الإعرابي وفي مضمون العقوبة، ويلاحظ أن بناء الجملة قائم كذلك على الفعل الماضي، دلالةً على تحقق وقوع فعل التبديل. وقد تعدّى الفعل إلى مفعولين: الأول ضمير الغائب العائد إلى قوم سبأ، والثاني (جنتين). ومعنى التبديل استبدال شيء بشيء، والمقصود هنا استبدال جنتين من النعيم بجنتين من العقوبة، وهو انتقال دلالي وواقعي من الوفرة إلى الحرمان، "سمى هذا المعوّضُ جنتين على سبيل المقابلة؛ لأن ما كان فيه خمط وأثل وسدر لا يسمى جنة"(١).

ويستمر سياق العقوبة في الآية نفسها باستخدام تعاقب الصفات ثلاث مرات لبيان صفات بساتين العقوبة؛ فالصفة الأولى في قوله: ﴿ذَوَاتَيْ﴾: وهي صفة للجنتين المستبدلتين، ثم جاءت الصفة الثانية في قوله: ﴿خَمْطٍ﴾: وهي صفة للأكل، (ومن سدر): وهي صفة لشيء، و(قليل): وهي صفة لسدر(٢)، كما جاء في تتمة الآية بربط حرف العطف الواو للمشاركة بين مكونات الجنتين بعد العقوبة، مع استخدام الربط المعجمي.

فالجنتان بعد العقوبة تتكوّنان من: أُكُل خَمْط: وهو شجر الأراك، وأَثْل: وهو

(١)الأندلسي، "البحر المحيط"، ٨: ٥٣٦.

(٢) محيي الدين الدرويش، "إعراب القرآن الكريم". (ط١٧، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٩م) ٦: ٢٢٨.

شجر من شجر الصحراء لا ثمر له، وسِدْر: وهو الوحيد الذي له ثمر، لكنه قليل[١]، وذلك إمعانًا في تصوير العقوبة، وهكذا تتضافر دلالة السياق اللغوي مع الحقل الدلالي المعجمي للنبات، لتؤكد دلالة العاقبة من جهة العقوبة الواقعة في فضاء مسكنهم الدلالي.

ثم تأتي الآية (١٧) لتنتقل من سياق القصة إلى سياق التذكير والاعتبار، فبعد عرض ما حدث لقوم سبأ في مسكنهم، يُنجز الخطاب القرآني العاقبة بالتذكير، فيقول المولى سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾، وقد بُنيت الجملة بالإسناد الفعلي الخبري، وتكوّنت من فعل وفاعل ومفعولين، غير أن المفعول به الثاني (ذلك) قُدّم على بقية الجملة، وهو تقديم بلاغي لغرض إبراز المعنى المركزي للعقوبة، وقد أقر عبد القاهر الجرجاني تقديم المفعول من العناية بالموضوع مع إضافة معان تناسب السياق الذي ورد فيه التقديم[٢]، والبلاغيون يرون أن التقديم لازمٌ للتخصيص غالبا[٣]، وذكروا أن تقديم المفعول المتعلق على فعله من أجل التخصيص[٤]، وجعل ابن عاشور "تقديم (ذلك) على عامله للاهتمام بشدة ذلك الجزاء واستحضاره باسم الإشارة من عظمة هوله"[٥]، فاسم الإشارة يعود إلى تبديل جنتيهم عقوبةً بجنتين، أي: جزيناهم ذلك الجزاء بالتبديل. وجاءت الباء في قوله: ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ للسببية، و(ما) مصدرية، أي بسبب كفرهم[٦].

ويأتي قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ليؤكد معنى العاقبة في سياق الخطاب التذكيري، فالجزاء هنا بمعنى العقوبة أو المكافأة، و(هل) بمعنى (ما) النافية به، ولم يُرَدْ

(١) السعدي، "تيسير العزيز الرحمن"، ٤: ١٨٤.

(٢)الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٠٧.

(٣) التفتازاني، "ألمطول"، ٣٥٧.

(٤) شمس الدين الكرماني، "تحقيق الفوائد الغياثية"، تحقيق د. علي العوفي، (ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ)، ١: ٤٢١.

(٥) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٢: ٤٠.

(٦) ينظر: ابن عثيمين، " التفسير الثمين"، ١٠: ٣٣٦.

بالاستفهام السؤال عن مجهول، وإنما أريد به النفي بأسلوب أبلغ[١]، أي: لا نجازي إلا الكفور، وقد عُدِل عن أسلوب النفي الصريح إلى الاستفهام لقوة التأثير، إذ يدعو المخاطَب إلى التفكير قبل الجواب، فإذا أجاب بالنفي لا يعاقب غير الكفور، صار مقرا بالحكم، فالاستفهام لتثبيت الحكم وأداة إقناع، وذلك لأن الاستفهام استنكاريا في معنى النفي ودل على ذلك الاستثناء[٢].

ثم تعود التحولات السياقية في الآية (١٩)، حيث يُعاد النظام الأول نفسه: سياق نعمة، ثم سياق اعتراض وتمرد، ثم سياق عاقبة. فالآية السابقة (١٨) تتحدث عن النعمة، ثم يتحول السياق في بداية الآية (١٩) إلى التذمر، وفي الآية نفسها، وبعد انتهاء سياق التذمر، ينتقل السياق إلى العاقبة في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، فجاء الربط بأداة العطف الفاء للتعقيب النسقي والسببي أيضا بعد التذمر.

وقد استُخدمت الجملة الإسنادية الفعلية الخبرية لتقرير واقع العاقبة، مع فعل (جعل) الدال على التصيير، إذ تعدّى إلى مفعولين: الأول ضمير (هم) العائد إلى قوم سبأ، والثاني (أحاديث)، ويلاحظ هنا استخدام إيجاز القصر؛ فعلى الرغم من أن الجملة تامة من حيث التركيب، فإن المعاني التي تحتملها كثيرة جدًا: ما الأحاديث؟ ومن المتحدثون؟ ولماذا تحدثوا؟ وما الحكمة من جعل قصتهم أحاديث؟ وهذا من إيجاز القصر الذي تكون فيه الألفاظ أقل من المعاني مع الوفاء بها، دون حذف ركن من أركان الجملة، وهو من أساليب البلاغة القرآنية.

ثم تتبعها جملة أخرى معطوفة بواو المشاركة في العقوبة، في قوله تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾، ويستمر السياق اللغوي في الجملة الإسنادية الخبرية الفعلية، مع استخدام

(١) ينظر: عبدالفتاح لاشين، "المعاني في ضوء أساليب القرآن"، (ط٤: المكتبة الأموية، ١٩٨٣م)، ١٨٣.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٢: ٤١.

الفعل الماضي للدلالة على تحقق وقوع التمزيق، وتم الوصل بين وجعلناهم أحاديث ومزقناهم بواو العاطفة، لاتحاد النوع بين الجملتين لأنهما خبريتان فعليتان، ومسندتان إلى فاعل واحد وهو ضمير (نا) الدالة على التعظيم، واتحاد المقام، وهو مقام العقوبة، واتحاد الغرض فالأولى للهلاك المعنوي والثانية للهلاك المادي، لهذا جاء الوصل بين الجملتين.

تُختتم الآية (١٩) بنسق لغوي مختلف، إذ تأتي جملة خبرية اسمية في سياق العاقبة للعبرة، ولذلك استُخدم الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ فالجملة السابقة (ومزقناهم) تؤدي وظيفة تصوير العقوبة، بينما جاءت هذه الجملة لأداء وظيفة التعليل والاعتبار، فاستؤنفت دون واو، وافتُتحت بـ(إن) للتوكيد، مع تقديم شبه الجملة (في ذلك) لإبراز المعنى المركزي، إذ يعود اسم الإشارة إلى ما تقدّم من صور العقوبة في الحضر والسفر، وهذا من (شبه كمال الاتصال)، حيث تُفصل الجملة الثانية فصل الجواب عن السؤال[١] المقدّر: ما مراد الله بسياق العقوبة؟ فتكون الإجابة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾. ثم جاء قوله: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لتقرير ثنائية التعامل مع النعمة والمحنة، فالصبر للمحنة والشكر للنعمة، في طباق يرسّخ البعد الأخلاقي لخطاب قصة سبأ.

وتُختم القصة بما بدأت به لغويًا، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾، حيث جاءت الواو عاطفة على ما سبق من أحداث القصة، واللام للتوكيد، مع تقدير القسم، وقد للتحقيق، وقد ورد في (صدق) قراءتان: بالتشديد وبالتخفيف، وكلتاهما جملة خبرية فعلية بالماضي تدل على تحقق وقوع الظن، والضمير في (عليهم) يعود إلى قوم سبأ، وجاء الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استثناءً متصلًا، لأن المستثنى منه قوم سبأ، وحرف الجر (من) بيانية لا تبعيضية، كما يرى ابن عثيمين[٢]،

(١) التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٤٧.

(٢) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١٠: ٣٤٢.

وتدل الآية بلاغيًا على التذكير بعداوة الشيطان للإنسان، وعلى بيان حال العاقبة بالوعظ والتذكير العام.

ثالثا: دلالات تنوّع القراءات في سياق العاقبة.

﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ و﴿ذَوَاتَيْ أُكْلٍ خَمْطٍ﴾[١] إن القراءتين تدلان على أن المأكول مرٌّ وبشعٌ، فيكون (خمط) صفة للمأكول، مع اختلاف لغوي في ضبط (أُكُل) و(أُكْل) دون اختلاف في الدلالة، أما قراءة ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ بالإضافة[٢]، فيُراد بالخمط شجر الأراك، ويكون الأُكُلُ ثمره، فيتجه المعنى إلى تعيين نوع النبات لا مجرد وصف طعمه، مع اتفاق القراءات جميعها على تصوير انقلاب النعمة إلى عقوبة، ويكون لتنوع القراءات دلالة بلاغية في التنفير والتقبيح وإحداث أثر الخوف من العاقبة من كل وجه.

وكذلك في قوله: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ بالكسر[٣]، حيث تكون الواو عاطفة على (أُكُلٍ)، فيتحقق التعداد البياني لأصناف النبات العقابي، أما قراءة النصب ﴿وَأَثْلًا وَشَيْئًا مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[٤]، فتكون الواو عاطفة على (جنتين)، فيتحول التركيز

(١) القراءة المعروفة بتخفيف الهمز وضم الكاف، حمزة، والأعمش، والبرجمي، وقتيبة: يسكنون سكتة لطيفة، مدني بإسكان الكاف أكْل، باقي القراء بالتنوين –أي تنوين اللام– مع اختلاف أصولهم، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١١.

(٢) بصريٌّ، غير أيوب، وطلحة، وأبو حيوة (أُكُلِ خمط) غير تنوين على الإضافة، المغني في القراءات العشر، م١٥١١/٤، مضاف بصري، غير أيوب، وأبو طلحة، وأبو حيوة، ليضاف الأكل إلى الخمط دون أن يجعل أحدهما الاخر، "الكامل في القراءات الخمسين"، ٦: ١١١، ينظر: محمد بن الجزري، "النشر في القراءات العشر". تحقيق السالم الشنقيطي، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٥هـ)، ٥: ١٨٦٣.

(٣) القراءة المعروفة مجروران، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١٢. ينظر: "النشر في القراءات العشر"، ٥: ١٨٦٣.

(٤) الفضل بن إبراهيم النحوي منصوبان منونان، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١٢.

من التعداد الوصفي إلى إبراز فعل الاستبدال نفسه، فيتكامل المعنيان في تصوير انقلاب النعمة إلى نقمة.

ويظهر هذا التكامل أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ و﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾[1] ؛ فقراءة البناء للمعلوم تُبرز شدة العقوبة وهيبة المجازي سبحانه، وتقوم بوظيفة التهديد والإنذار، بينما قراءة البناء للمجهول تُبرز مسؤولية الكافر عن مصيره، وتقوم بوظيفة التقرير والعدل، في اتساع دلالي منسجم لا تعارض فيه.

وكذلك تتكامل قراءتا: ﴿صَدَّقَ عليهم إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ و﴿صَدَقَ عليهم إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾[2]، وتفيد القراءتان بالتخفيف والتشديد معنيين متكاملين هما الصِّدق والتَّصديق؛ فـ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف يدل على صدق إبليس في إخباره، بينما ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد يدل على تصديق الواقع لذلك الإخبار، وبذلك تحمل القراءتان دلالة واحدة من جهتين مختلفتين: صدقُ الظن من جهة الإخبار، وتصديقُه من جهة الوقوع حين تحقق الاتباع فعلاً[3].

---

(١) كوفيٌّ غير أبي بكر، وأبان، ويعقوب، وابن مقسم، والزعفراني، بالنون وكسر الزاي، الكفور نصب، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١٢، وكذلك في: "الكامل في القراءات الخمسين"، ٦: ١١٢، وأضاف: الباقون بالياء وضمها وفتح الجيم والزاي (الكفورُ) رفع. "فقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وحفص بالنون مع كسر الزاي، الكفورَ بالنصب، ... وقرأ الباقون بالياء وفتح الزاي، ورفع الكفورُ" كذا في: "النشر في القراءات العشر"، ٥: ١٨٦٣.

(٢) القراءة المعروفة (صدَق) بتخفيف الدال، إبليسُ رفع، ظنَّه نصب، كوفي وابن عبدالخالق والضرير عن يعقوب: كذلك إلا أنه بتشديد الدال، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١١، صدَّق مشدد كوفي والباقون خفيف، كذا في: "الكامل في القراءات الخمسين"، ٦: ١١٣، ينظر: النشر في القراءات العشر، ٥: ١٨٦٣.

(٣) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١٠: ٣٤١.

القراءة الأولى ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف:

ترتبط قراءة ﴿صَدَقَ﴾ بالسياق اللغوي من حيث إسناد الفعل إلى إبليس بوصفه مُخبِرًا عن ظنه، فجاء قوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ تعقيبًا يبيّن صدق الإخبار، وأفادت الفاء ارتباط الاتباع بمضمون الظن من جهة التعقيب التتابعي للأفعال، ويؤكد هذا المعنى في السياق الخارجي لقصة سبأ بدلالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ العائدة على القوم بعد إعراضهم عن الشكر، فكان صدق الظن قائمًا على استعدادهم الفطري لاتباعه، وليس على أن لإبليس سلطانا وقدرة عليهم والدليل اللغوي على ذلك هو الاستثناء في قوله تعالى: إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الذين لم يدخلوا في مضمون هذا الإخبار، فانتقض العموم وبقيت المصداقية في حدود المتبعين لإبليس.

القراءة الثانية ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد:

أما قراءة ﴿صَدَّقَ﴾ فتتصل بالسياق اللغوي من جهة تحويل الإسناد إلى تحقق المضمون، فجاء قوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ شاهدًا لغويًا على تصديق الواقع للظن، ثم قُيِّد هذا التصديق بالاستثناء: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليدل على أن التصديق كان محدودا، وفي السياق الخارجي لقصة سبأ ينسجم ذلك مع خطاب التذكير والذي يقرر أن سلطان إبليس لا يعمل إلا على من لديه قابلية، مع بقاء المؤمن خارج هذا النسق.

وبهذا تنتظم الآية في بناء بلاغي قائم على التوكيد والتعليل والاحتراس؛ فافتتاحها بـ﴿وَلَقَدْ﴾ يجمع بين القسم المحذوف ولام التوكيد لتحقيق تقوية الخبر وتقريره، وجاء الفعل ﴿صَدَقَ / صَدَّقَ﴾ بتعدّد القراءات على سبيل التنوع في القراءة وتوسيع الخطاب، جامعًا بين الإسناد القولي والإسناد التحقيقي، وأفادت الفاء في قوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ الارتباط الفعلي بين الظن الاتباع في القراءة الأولى، والفاء التعليلية في القراءة الثانية، فجعلت الاتباع معلَّلًا بصدق الظن، ثم جاء أسلوب الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على جهة الاحتراس ورفع توهّم العموم، وبذلك

يكتمل النسق البلاغي للآيات في تقرير سنّة إغواء إبليس للبشر، مع إبراز أثر الإيمان في دفع هذا الإغواء وكسر سلطانه، بما يؤكد أن البلاغة القرآنية تتجه إلى توجيه الخطاب نحو التحذير من الضلالة والكفر، والتنبيه إلى خطر إبليس وظنّه، وترسيخ وعي الاختيار والمسؤولية لدى الإنسان

رابعًا: الوظائف البلاغية لتنوّع القراءات في سياق العاقبة

١- وظيفة التوسيع الدلالي للعقوبة:

يُسهم تنوّع القراءات في نقل صورة العاقبة من دلالة واحدة إلى دائرة أوسع من المعاني، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ بقراءة التنوين، و﴿ذَوَاتَيْ أُكُلِ خَمْطٍ﴾ بقراءة الإضافة؛ إذ تُبرز القراءتان وصف العقوبة الحسية بمرارة طعم المأكول، أو المعنوية الدالة على الحرمان، وبذلك العاقبة تشمل فعل الاستبدال وأثره.

٢- وظيفة التنويع بين الإجمال والتفصيل:

تجلّى هذا الأثر في تنوّع القراءات في قوله تعالى: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ بالجر، ﴿وَأَثْلًا وَشَيْئًا مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ بالنصب؛ حيث تميل قراءة الجر إلى التفصيل الوصفي بتعداد عناصر النبات العقابي، فتُجزّئ صورة العاقبة وتُبرز مظاهرها المتعددة، في حين تميل قراءة النصب إلى الإجمال والتكثيف، بجعل هذه العناصر داخلة في بنية الاستبدال نفسها، وبهذا التنويع يُراعي الخطاب القرآني اختلاف طرائق التلقي.

٣- وظيفة توزيع المسؤولية بين الفاعل والمفعول:

يظهر هذا بجلاء في تنوّع القراءات في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ و﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾؛ إذ تُبرز قراءة البناء للمعلوم جهة الفاعل وتُظهر هيبة المُجَازِي سبحانه بإسناد الفعل إليه مباشرة، بينما تُبرز قراءة البناء للمجهول جهة المفعول، فتُحمّل الكفور مسؤولية فعله.

٤- وظيفة الانتقال من القصة إلى العبرة والخطاب:

يسهم تنوّع القراءات في نقل الخطاب من مستوى السرد القصصي لما وقع لقوم سبأ إلى مستوى التذكير العام والتحذير من كفران النعمة، كما يتضح من اتصال سياق العاقبة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، حيث تُحيل القراءات المتعددة في سياق العقوبة إلى معنى كلي يتجاوز خصوصية قوم سبأ، وبهذا تتحول العاقبة من واقعة تاريخية محددة إلى رسالة موجَّهة.

٥- وظيفة التأثير النفسي والتخويف:

يؤدي التنوع وظيفة نفسية واضحة، إذ يُعمّق الشعور بالتقبيح والتنفير من مآل الكفر، كما في اختلاف القراءات في وصف المأكول والنبات، وفي طريقة إسناد العقوبة، فمرة يُصوَّر الحرمان في طعم الغذاء، ومرة في طبيعة النبات، ومرة في شمول فعل الاستبدال، فيعظم الأثر التخويفي في نفس المتلقي.

٦- وظيفة الكشف عن المسار السببي للعاقبة:

يتجلّى هذا في تنوّع القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ و﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾؛ حيث تُبرز قراءة التشديد المسار السببي الممتد من الظن إلى الإغواء ثم الاتباع، بينما تُبرز قراءة التخفيف النتيجة النهائية لهذا المسار من غير نظر إلى تفصيل مراحله، وبذلك تُقدَّم العاقبة بوصفها ثمرة سلوك متراكم واختيار بشري يتحمل مسؤوليته.

الخاتمة:

تُلخّص الدراسة في النتائج الآتية:

١- أن تنوع القراءات تنوع أدائي منضبط، تحكمه الدلالة ورسالة الخطاب القرآني.

٢- يُعدُّ السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي ضابطا منهجيا لتوجيه تنوّع القراءات بلاغيا.

٣- بين التحليل أن البناء السياقي لقصة سبأ قائم على نسق تكراري منتظم (نعمة- إعراض- عاقبة)، أعيد في فضائي السكن والسفر، بما يؤكد توجّه الخطاب القرآني للقصة إلى التذكير والإرشاد والتحذير.

٤- أظهرت الدراسة وظائف تنوع القراءات البلاغية في الفضاء الدلالي داخل السياقات الخارجية واللغوية للنعمة، من أبرزها: توسيع الدلالة، والتدرج من الوصف إلى التكليف، والتكامل مع النسق العام، والإيضاح بعد الإجمال، والانسجام النصي.

٥- تكشف الدراسة أن تنوع القراءات في سياق الإعراض والتذمر ينتج وظائف بلاغية، من أبرزها: توصيف البنية النفسية، بين الدعاء والإخبار بالشكوى، مع تأكيد مسؤولية الذات مسؤولية الهلاك، وتعميق المفارقة بين النعمة والتذمر، ووظيفة الاتساق النصي والربط بين التحولات السياقية، والانسجام الدلالي مع النسق الموضوعي العام لسورة سبأ.

٦- أسهم تنوع القراءات في سياق العاقبة في بناء صورة مركبة للعقوبة تجمع بين التحذير والتقرير، والتنويع بين الإجمال والتفصيل، وتوزيع المسؤولية بين الفاعل سبحانه والمفعول به، ووظيفة الانتقال من القصة إلى العبرة والخطاب، ووظيفة

التأثر النفسي والتخويف، والكشف عن المسار السببي للعاقبة.

٧- وجود علاقة بلاغية وظيفية بين تنوع القراءات والتحولات السياقية في القصة، بوصفه عنصرا من عناصر بناء المعنى، متضافرا مع اختلاف الأداء في النطق.

٨- أن تنوع القراءات يتشكل في بنيته من اختلافات صوتية وصرفية وتركيبية ونحوية، ويترك أثرا بلاغيا في السياق بسبب التفاعل بين المستويات داخل النسق.

المراجع:

أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل، (مصر: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠١٠م).

إبراهيم الزجاج، "معاني القرآن". علق عليه: أحمد فتحي، (ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٧م).

ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ط١، لبنان: مؤسسة التاريخ) ٢٢: ٣٤-٣٦.

ابن هشام الأنصاري، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (مصر: مطبعة المدني، د.ت)

أبو هلال العسكري، "الصناعتين". تحقيق محمد البجاوي، (لبنان: المكتبة العصرية، لبنان،١٤١٩هـ).

أحمد البنا، "إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر" تحقيق شعبان إسماعيل (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧م).

أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة". تحقيق عبدالسلام هارون، (بيروت: دار الجيل).

أحمد مطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية". (ط٢، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧م): ٦٤٢.

إسماعيل بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". (ط١، لبنان: المكتبة العلمية، ١٩٩٤م).

جمال الدين ابن منظور، "لسان العرب". (مصر: دار المعارف، طبعة بولاق، ١٣٠٠هـ) ٣: ٢١٥٤.

سعد الدين التفتازاني، "المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم". تحقيق عبدالحميد الهنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

شمس الدين الكرماني، "تحقيق الفوائد الغياثية"، تحقيق د. علي العوفي، (ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ).

عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان"، (جدة: دار المدني).

عبد المتعال الصعيدي، "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة". (ط١٧، مصر: مكتبة الآداب،٢٠٠٥م).

عبدالحكيم القاسم، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير". (ط١، الرياض: دار التدمرية، ٢٠١٢م).

عبد الفتاح لاشين، "المعاني في ضوء أساليب القرآن"، (ط٤: المكتبة الأموية، ١٩٨٣م).

عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود شاكر، (ط٣، جدة: دار المدني، ١٩٩٢م).

عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، "تأويل مشكل القرآن". تحقيق السيد أحمد صقر، (ط٢، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٣م).

عودة خليل عودة، "التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم". (ط١، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م)

محمد ابن الجزري، "منجد المقرئين ومرشد الطالبين". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)

محمد ابن عثيمين، "التفسير الثمين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى"، اعتنى به أشرف كمال، (ط١، القاهرة: مكتبة الطبري، ٢٠٠٩م)..

محمد أحمد أبو الفرج، "المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث". (ط١، مصر: دار النهضة، ١٩٦٦م).

محمد الدسوقي، "حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح"، تحقيق خليل إبراهيم، (ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)..

محمد الزبيدي، "تاج العروس"، تحقيق مصطفى حجازي، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٩م).

محمد الزركشي، "البرهان في علوم لقرآن". تحقيق يوسف المرعشلي وآخرون، (ط١، لبنان: دار المعرفة، ١٩٩٠م)

محمد الشوكاني، "فتح القدير". تحقيق سعيد اللحام، (لبنان: دار الفكر، ١٩٩٣م)..

محمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق عبد الله التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة: ٢٠٠٦م).

محمد القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة". ضبطه: عبد الرحمن البرقوقي، (دار الفكر العربي، ١٩٠٤م).

محمد النوزاوازي، "المغني في القراءات". تحقيق محمود الشنقيطي، (ط١، السعودية: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ٢٠١٨م).

محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري"، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم (٤٩٩١)، (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٢م).

محمد بن الجزري، "النشر في القراءات العشر". تحقيق السالم الشنقيطي، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٥هـ).

محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (ط٣، مصر: مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٨م،).

محيي الدين الدرويش، "إعراب القرآن الكريم". (ط١٧، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٩م).

منير الدحام، "الشيخ ابن عثيمين (١٤٣٧-١٤٢١هـ) جهوده وآراؤه العلمية في علم البلاغة". (ط١، لبنان: دار ابن حزم، ٢٠١٣م).

يحيى بن زياد الفراء، "معاني القرآن"، تحقيق: محمد النجار، (الدار المصرية) ، ٣٥٨.

يوسف البسكري، "الكامل في القراءات الخمسين". تحقيق عمر حمدان وتغريد حمدان، (ط١، المدينة المنورة: ٢٠١٥م).

يوسف السكاكي، "مفتاح العلوم". ضبط: نعيم زرزور، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).

أحمد سعد محمد، "التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية". (القاهرة: مكتبة الآداب).

عبد الرحيم عبد الرحمن، "المعالم البلاغية في توجيه القراءات القرآنية". المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات ٢٠، (٢٠٢٠).

مناء الغامدي، "القصدية التداولية في قصة قوم سبأ". مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ٢، (٢٠٢٣م).

تغريد الخطيب، "اختلاف أحرف التنزيل في القصص القرآني: قصة سبأ أنموذجا". مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ٤٠، (٢٠٢٢م).

الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن". (ط١، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ).

Bibliography

Al-Andalusi, Abu Hayyan. Al-Bahr al-Muheet. Edited by Sidqi Muhammad Jamil. Cairo: Dar al-Fikr for Printing and Publishing, 2010.

Al-Zajjaj, Ibrahim. Ma‘ani al-Qur’an. Commented on by Ahmad Fathi. 1st ed. Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 2007.

Ibn Ashur. At-Tahrir wa at-Tanwir. 1st ed. Lebanon: Mu’assasat al-Tarikh, vol. 22, pp. 34–36.

Ibn Hisham al-Ansari. Mughni al-Labib ‘an Kutub al-A‘arib. Edited by Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd al-Hamid. Cairo: Al-Madani Press, n.d.

Al-‘Askari, Abu Hilal. Al-Sina‘atayn. Edited by Muhammad al-Bajawi. Lebanon: Al-Maktaba al-‘Asriya, 1419 AH.

Al-Banna, Ahmad. Ithaf Fudala’ al-Bashar bil-Qira’at al-Arba‘a ‘Ashar. Edited by Sha‘ban Ismail. 1st ed. Beirut: ‘Alam al-Kutub, 1987.

Ibn Faris, Ahmad. Maqayis al-Lughah. Edited by ‘Abd al-Salam Harun. Beirut: Dar al-Jeel.

Matloub, Ahmad. Mu‘jam al-Mustalahat al-Balaghiyya. 2nd ed. Lebanon: Maktabat Lubnan Nashirun, 2007, p. 642.

Ibn Kathir, Isma‘il. Tafsir al-Qur’an al-‘Azim. 1st ed. Lebanon: Al-Maktaba al-‘Ilmiyya, 1994.

Ibn Manzur, Jamal al-Din. Lisan al-‘Arab. Cairo: Dar al-Ma‘arif, Bulaq edition, 1300 AH, vol. 3, p. 2154.

Al-Taftazani, Sa‘d al-Din. Al-Mutawwal: Sharh Talkhis Miftah al-‘Ulum. Edited by ‘Abd al-Hamid al-Hindawi. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 2001.

Al-Karmani, Shams al-Din. Tahqiq al-Fawa’id al-Ghayathiyya. Edited by ‘Ali al-‘Awfi. 1st ed. Medina: Maktabat al-‘Ulum wa al-Hikam, 1424 AH.

Al-Sa‘di, ‘Abd al-Rahman. Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir al-Kalam al-Mannan. Jeddah: Dar al-Madani.

Al-Sa‘idi, ‘Abd al-Muta‘al. Bughiyat al-Iydah li Talkhis al-Miftah fi ‘Ulum al-Balagha. 17th ed. Cairo: Maktabat al-Adab, 2005.

Al-Qasim, ‘Abd al-Hakim. Dalalat al-Siyaq al-Qur’ani wa Atharuh fi al-Tafsir. 1st ed. Riyadh: Dar al-Tadmuriyya, 2012.

Lashin, ‘Abd al-Fattah. Al-Ma‘ani fi Daw’ Asalib al-Qur’an. 4th ed. Damascus: Al-Maktaba al-Umawiyya, 1983.

Al-Jurjani, ‘Abd al-Qahir. Dala’il al-I‘jaz. Edited by Mahmud Shakir.

3rd ed. Jeddah: Dar al-Madani, 1992.

Ibn Qutaybah, ‘Abdullah ibn Muslim. Ta’wil Mushkil al-Qur’an. Edited by al-Sayyid Ahmad Saqr. 2nd ed. Cairo: Dar al-Turath, 1973.

‘Uda, ‘Awda Khalil. Al-Tatawwur al-Dilali Bayna Lughah al-Shi‘r al-Jahili wa Lughah al-Qur’an al-Karim. 1st ed. Jordan: Maktabat al-Manar, 1985.

Ibn al-Jazari, Muhammad. Munajjid al-Muqri’in wa Murshid al-Talibin. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1420 AH / 1999.

Ibn ‘Uthaymin, Muhammad. Al-Tafsir al-Thamin. Prepared by Ashraf Kamal. 1st ed. Cairo: Maktabat al-Tabari, 2009.

Abu al-Faraj, Muhammad Ahmad. Al-Ma‘ajim al-Lughawiyya fi Daw’ Dirasat ‘Ilm al-Lughah al-Hadith. 1st ed. Cairo: Dar al-Nahda, 1966.

Al-Dusuqi, Muhammad. Hashiyat al-Dusuqi ‘ala Mukhtasar al-Sa‘d Sharh Talkhis al-Miftah. Edited by Khalil Ibrahim. 1st ed. Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 2002.

Al-Zabidi, Muhammad. Taj al-‘Arus. Edited by Mustafa Hijazi. Kuwait: Government Printing Press, 1989.

Al-Zarkashi, Muhammad. Al-Burhan fi ‘Ulum al-Qur’an. Edited by Yusuf al-Mar‘ashli et al. 1st ed. Lebanon: Dar al-Ma‘rifa, 1990.

Al-Shawkani, Muhammad. Fath al-Qadir. Edited by Sa‘id al-Lahham. Lebanon: Dar al-Fikr, 1993.

Al-Qurtubi, Muhammad. Al-Jami‘ li Ahkam al-Qur’an. Edited by ‘Abdullah al-Turki. 1st ed. Beirut: Mu’assasat al-Risala, 2006.

Al-Qazwini, Muhammad. Al-Talkhis fi ‘Ulum al-Balagha. Edited by ‘Abd al-Rahman al-Barquqi. Cairo: Dar al-Fikr al-‘Arabi, 1904.

Al-Nawzawazi, Muhammad. Al-Mughni fi al-Qira’at. Edited by Mahmud al-Shinqiti. 1st ed. Saudi Arabia: Saudi Scientific Society for the Qur’an and Its Sciences, 2018.

Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma‘il. Sahih al-Bukhari. Book of the Virtues of the Qur’an, Hadith no. 4991. 1st ed. Beirut: Dar Ibn Kathir, 2002.

Ibn al-Jazari, Muhammad. Al-Nashr fi al-Qira’at al-‘Ashr. Edited by al-Salim al-Shinqiti. Medina: King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur’an, 1435 AH.

Ibn Jarir al-Tabari, Muhammad. Jami‘ al-Bayan ‘an Ta’wil Ay al-Qur’an. 3rd ed. Cairo: Maktabat wa Matba‘at al-Babi al-Halabi wa Awladuh, 1968.

Al-Darwish, Muhyi al-Din. I‘rab al-Qur’an al-Karim. 17th ed. Damascus: Dar Ibn Kathir, 1999.

Al-Dahham, Munir. Al-Shaykh Ibn ‘Uthaymin (1421–1437 AH): His Scholarly Efforts and Rhetorical Views. 1st ed. Lebanon: Dar Ibn Hazm, 2013.

Al-Farra’, Yahya ibn Ziyad. Ma‘ani al-Qur’an. Edited by Muhammad al-Najjar. Cairo: Al-Dar al-Misriyya, p. 358.

Al-Biskri, Yusuf. Al-Kamil fi al-Qira’at al-Khamsin. Edited by ‘Umar Hamdan and Taghrid Hamdan. 1st ed. Medina, 2015.

Al-Sakkaki, Yusuf. Miftah al-‘Ulum. Edited by Na‘im Zarzur. 3rd ed. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1987.

Aḥmad Saʿd Muḥammad, "Al-Tawjīh al-Balāghī lil-Qirāʾāt al-Qurʾāniyyah." (Al-Qāhirah: Maktabat al-Ādāb).

ʿAbd al-Raḥīm ʿAbd al-Raḥmān, "Al-Maʿālim al-Balāghiyyah fī Tawjīh al-Qirāʾāt al-Qurʾāniyyah." Al-Majallah al-Iliktrūniyyah al-Shāmilah Mutaʿaddidat al-Takhassuṣāt 20, (2020).

Munāʾ al-Ghāmidī, "Al-Qaṣdiyyah al-Tadāwuliyyah fī Qiṣṣat Qawm Sabaʾ." Majallat Kulliyyat al-Lughah al-ʿArabiyyah bi Asyūṭ 2, (2023).

Taghrīd al-Khaṭīb, "Ikhtilāf Aḥruf al-Tanzīl fī al-Qaṣaṣ al-Qurʾānī: Qiṣṣat Sabaʾ Unmūdhajan." Journal of the Faculty of Usul al-Din and Da'wah in Asyut 40, (2022).

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān. (Ṭ1, Beirut: Dār al-Qalam, 1412 AH).

السِّياقُ وتنوعُ دلالات الصّوت في القرآنِ الكريمِ

Context and the Diversity of the Connotations of Sound in the Qur'an

د. نورة سلمان الجهني

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة الملك عبد العزيز بجدة –المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: nssaljohani@kau.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
02/09/2022		04/12/2022

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-017

المُستخلص:

تناول هذا البحث السِّياق وتنوعُ دلالات الصوت في القرآن الكريم؛ وفق المنهج الوصفي التحليلي، فبدأ البحث بتمهيد تناول تعريف السياق لغة واصطلاحًا، وأنواع السياق، ودراسة السياق القرآني وأنواعه، ثم تعرضت الدراسة لدلالات السياق بطبقاته المرتفعة والمتوسطة والمنخفضة، وارتباط كل منها بالسياق والمقام المناسب؛ حيث تنوعت دلالات الصوت وطبقاته في القرآن الكريم قوة وضعفًا وارتفاعًا وانخفاضًا، ومن ثم بيان دلالات الأصوات المرتفعة والمتوسطة والمنخفضة، ومالها من تأثير في النفوس يرتبط بخصوصية السِّياق تلك الخصوصية التي تفرد بها القرآن الكريم، ويتضح ذلك بتأمل تلك اللفظة ودقتها في سياقها.

الكلمات المفتاحية: السياق، دلالات الصّوت، جمالية الأصوات، القرآن الكريم.

Abstract

This research deals with the context and the diversity of sound connotations in the Noble Qur'an. According to the descriptive analytical approach, the research began with a preface dealing with the linguistic and technical definition of context, the types of contexts, and the study of the Qur'anic context and its types. Where the connotations of the sound and its levels varied in the Noble Qur'an, strength and weakness, high and low, and then the indication of the connotations of high, medium and low sounds, and their effects on the soul, effects tied to the Qur'an's distinctive contextual particularity, a particularity that distinguishes the Qur'an and becomes evident when one contemplates a word and its precision within its context.

Keywords: The Context - Sound Connotations - The Beauty of Sounds - Noble Quran.

مقدمة

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وأشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيمثل التنوع بين دلالات الصوت في القرآن الكريم صورة من صور التنوع الأسلوبي في المقامات المختلفة؛ ذلك التنوع الذي لا يتسنَّى تفسيره، أو استكناه أسراره، في أي صورة من الصور إلا عن طريق الكشف عن وجه ملاءمتها لخصوصية السياق الذي وردت فيه، والوقوف على مدى التحامها أو ارتباطها العضوي بكل ما يحتويه هذا السياق، ويتفرد به من ملابسات وقرائن وأحوال.

لقد جاءت دلالات الصوت في القرآن في ثلاث طبقات مختلفة، لكل طبقة دلالاتها المتنوعة الخصوصية التي جعلتها سمة تعبيرية تميزت في سياقها، ويشمل السياق جانبي المقام والمقال، أو يتضمن سياق النص والموقف، فيتبين مدى دقة التعبير القرآني في استعمال هذه الدلالة وطبقتها، وارتباطها بالسياق الواردة فيه، فجاءت كل دلالة صوتية تحمل المعنى الأنسب والأليق في سياقها، فكانت هي الأدق في المقام دون غيرها.

وانطلاقًا من هذه الرؤية عزمت الباحثة على دراسة هذه الدلالات الصوتية، والكشف عن وجه التلاؤم السياقي بين كل دلالة من دلالات الصوت وخصوصية موقعه في البيان القرآني، والوقوف على السياق الخاص بكل دلالة من تلك الدلالات وأثرها في النفوس.

وفيما يخص الدراسات السابقة فلم أقع – خلال فترة البحث – على دراسة تناولت دلالات الصوت وتنوعها بطبقاتها المختلفة في السياق القرآني، ودقة استعمال التعبير القرآني لدلالة دون غيرها في السياق الواردة فيه، وإنما كانت تدرس دلالات الألفاظ في السياق القرآني بوجه عام، ومنها:

ألفاظ وتراكيب ودلالات جديدة في السياق القرآني، رسالة ماجستير من قسم

اللغة العربية كلية الآداب جامعة الشرق الأوسط في الأردن، للباحثة: تمام محمد السيد، ٢٠١٠م.

- دلالات الألفاظ في القرآن الكريم من منظور سياقي، قراءة نقديّة، للدّكتور محمد صحراوي، نشر في مجلّة الدّراسات اللغوية بالرياض، ٢٠٠٧م.
- الأبعاد النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، دراسة تحليليّة دلاليّة للدّكتور: مجيب سعد الكرعاوي، نشر في مجلة مركز دراسات الكوفة جامعة الكوفة بالعراق، ٢٠١١م.

أما هذه الدراسة فقد ركزت على دارسة دلالات الصوت والكشف عن وجه التلاؤم السياقي بين كل دلالة من دلالات الصوت وخصوصية موقعها في البيان القرآني وإيثار دلالة في سياقها الخاص الذي أصبحت خيطًا أصيلاً في نسيجه، ولبنة فاعلة في تشكيل بنيته الدلالية الخاصة.

وجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، تفصيلها على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أسباب اختيار الموضوع وأهميته والدراسات السابقة.

التمهيد: تعريف السياق، وأنواع السياق الداخلي والخارجي، والسياق القرآني وأنواعه.

المبحث الأول: جمالية الأصوات المرتفعة بين التفظيع الذاتي وشدة الأثر.

المبحث الثاني: جمالية الأصوات المتوسطة بين الاتزان النفسي والفكر العقلي.

المبحث الثالث: جمالية الأصوات المنخفضة بين خوف النفس ورهبة الموقف.

التمهيد

أولاً: السياق لغة واصطلاحًا

السياق في اللغة:

جاء في لسان العرب: ساق الإبل يَسُوقها سَوْقًا وسِياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاق، وسَوَّاق يَسُوق بهن أي: حادٍ يحدو الإبل فهو يَسُوقهن بحدائه، وانْساقَت وتَساوقت الإبل تَساوقًا إذا تتابعت، وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوقة، والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضًا، وساق إليها الصَّداق والمهر سِياقًا وأساقه(١).

والسياق المهر، قيل للمهر: سَوْق؛ لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرًا؛ لأنها كانت الغالب على أموالهم، وضع السَّوق موضع المهر وإن لم يكن إبلاً وغنمًا(٢).

وذهب ابن فارس إلى أن: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدود الشيء، يقال: ساقه يسُوقه سَوقًا، والسَّيِّقة: ما استيق من الدوابّ"(٣).

ثم انتقلت تلك الدلالة الحسية إلى معنى مجازي أشار إليه الزمخشري: "وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"(٤).

ويرى المثنى أن السياق في اللغة: يدل على تتابع منتظم في الحركة لبلوغ غاية

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، "لسان العرب". (ط٤، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٥م): (سوق)

(٢) المرجع السابق، (سوق).

(٣) الرازي، أحمد فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق إبراهيم شمس الدين. (ط٢، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م): (سوق).

(٤) الزمخشري، جارالله فخر، "أساس البلاغة". (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م): ٤٢٢.

محددة دون أن يكون هناك انقطاع أو انفصال[١].

وبذلك القول: إن السَّياق بمعناه اللغوي يرتبط بجانبين: الأول جانب مادي مشتق من السوق والتتابع، أخذًا من معانيها الحسية كسوق الإبل والمهر، والجانب المعنوي يرتبط بتتابع الكلام وتساوقه وتقاوده.

السَّياق في الاصطلاح:

ورد لفظ السَّياق في التراث العربي بهذه الصيغة وبصيغ مختلفة، إلا أنه لم يُذكر له تعريف واضح، ولم يُعتدَّ به كمصطلح عند كل من: اللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، والأصوليين، وإنما كل ما ذكر كان حديثًا عن أهمية السَّياق وأثره في ترجيح المعاني وفهم النصوص؛ لذا لم يوضع له تعريف محدد، ولم يذكر له في كتب الاصطلاح مفهوم[٢].

ثم وقف أحد الباحثين المحدثين عند مفهوم السياق وعرفه بقوله: "ويمكن تعريف السّياق عمومًا بأنه: تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، ويمكن تعريف دلالة السّياق بأنها: فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده، ويمكن تعريف دلالة السّياق في التفسير بأنها: بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق، إلا بدليل صحيح يجب التسليم له"[٣].

ويناقش الدكتور عبد الفتاح البركاوي، مفهوم السّياق ويخلص إلى أن: "مفهوم السياق في معنى الظرف الخارجي يرادفه في التراث العربي كل من: المقام، والحال،

(١) ينظر: محمود، المثنى عبد الفتاح، "نظرية السَّياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية". (ط١، عمان: دار وائل، ٢٠٠٨م): ١٤.

(٢) ينظر: الجرجاني، "التعريفات". الكفوي، "الكليات". ابن المناوي، "التوقيف على مهمات التعاريف". مطلوب، أحمد "معجم المصطلحات البلاغية". طبانة، بدوي "معجم البلاغة العربية".

(٣) القاسم، عبد الحكيم عبد الله، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير". (رسالة ماجستير: كلية أصول الدين، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية): ٩٣.

والموقف، وأن مفهوم السياق يتسع أيضًا؛ ليشمل ما يُعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بسياق النّص Verbal Context، وسياق الموقف، أو المقام الخارجي وهو وما يعرف بـ Context of situation أي أن هذا السياق كما فهمه العرب يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال والمقام، ويمكن تقسيمه تبعًا لذلك إلى:

١- السياق اللغوي وهو المستفاد من عناصر مقالية داخل النص.

٢- السياق الخارجي وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص"(١).

وبذلك يمكن القول: بأن مصطلح السياق كانت له جذور عند العلماء العرب، فهو مرادف وموافق لما يعرف بالمقام، أو الحال، أو الموقف، وما عُرف عند البلاغيين بمقتضى الحال.

وهناك العديد من المصطلحات التي تتداخل مع السّياق، فتعدُّ مرادفة له، بل إن كثيرًا من المفسرين يطلقونها ويقصدون بها السياق متجاوزين في استخدامها ومنها مصطلح النظم.

وكذلك، فإننا نجد أن المفسرين يفرقون بين السياق والنظم ويُميّزون بينهما، ومن ذلك أن شيخ المفسرين الإمام الطبري،

يعطف السياق على النظم مفرقًا بينهما بقوله: "وأشدها اتساقًا على نظم الكلام وسياقه"(٢).

وكذلك أبو السعود، ذكر في تفسيره مصطلحي النظم والسياق بقوله: "ويأباه

(١) البركاوي، عبد الفتاح، "دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث". (ط١، القاهرة: دار المنار، ١٤١١هـ): ٣١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤م)، ١: ٤٧٩.

سباق النظم الكريم وسياقه"[١]، وفي هذا دلالة على اختلافهما لديه.

ومثلهما الإمام الألوسي، في تفسيره فقال: "وسياق النظم الكريم وسباقه ظاهر"[٢]، وبذلك يتضح أن المراد من السياق غير المراد بالنظم.

وقد فرق المثنى، بينهما بقوله: إن النظم هو الذي يربط المعنى باللفظ ويجعل اللفظ في تناسب مع المعنى، أما السياق فإنه يختلف عن النظم، إذ إنه يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة ويقول: "السياق هو علاقة المعنى بالمعنى، والنظم هو علاقة اللفظ بالمعنى"[٣].

ثانيًا: أنواع السّياق:

الحقيقة أن هناك قدرًا من التداخل بين أنواع السياق، فمنها ما يرتبط بالنص، ومنها ما يرتبط بظروف خارج النص، فمن أنواع السياق[٤]:

١– السياق اللغوي الداخلي: وهو السياق اللغوي أو سياق النص (Verbal Context)، وهو المحدود بحدود النص لا يتجاوزه، ويبدأ ببنية الكلمة المفردة وتركيب الجملة وعلاقات الجمل، ويندرج فيه البحث في علاقات الحروف والأصوات في الكلمة، وفيه تكون الكلمة سياق الحرف والصوت، والجملة سياق الكلمة، وينتهي بالنص بوصفه سياقًا للجملة.

(١) أبو السعود، محمد بن محمد، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٢٨م)، ٤: ٣٧٣.

(٢) الألوسي، محمود، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ١١: ٣٧٤.

(٣) محمود، مرجع سابق، ١٩.

(٤) ينظر: بلبع، عيد، "السياق وتوجيه دلالة النص". (ط١، مصر: بلنسية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م): ١٣٠.

ومنه **السياق اللغوي العام**: (General Context) وهو: المتعلق بالنصوص التي ينبثق النص عنها، أو ينبثق فيها، أو يشترك معها بنسب تزيد أو تقل، فنصوص المتحدث سياق النص الواحد عنده، والنصوص المشتركة في الظواهر والأغراض سياق نصوص المتحدث، فالشعر العربي سياق للقرآن الكريم بما يحمل من مسوغات الفهم، كما أن الحديث النبوي سياق للقرآن الكريم بما يحمل من تفسير وتفصيل، والقرآن الكريم سياق للحديث النبوي، والأحاديث سياق للحديث الواحد وهكذا.

وبذلك، يمكن القول بأن الوقوف عند السياق الداخلي، ودراسة سياق النص له دور في الوقوف على الدلالة التي لا يمكن الوصول لها بمعزل عن سياق النص.

٢- السياق الخارجي: هو الذي يغني عن السياق من العناصر غير اللغوية، فهو المتعلق بمجموعة من الظروف والملابسات والعناصر الخارجية غير اللغوية (Non Linguistic Context) تلك التي عُرفت في التراث العربي بالحال والمقام والموقف إضافةً إلى المحددات الخاصة بالمرسل والمستقبل، وقد أطلق عليها بعض اللغويين السياق العاطفي.

ومنه **سياق التلقي**: وهو المتعلق بثقافة المتلقي، وموقفه الفكري والعقائدي، **ومذهبه** السياسي، ويرى بعض الباحثين أنه ينبغي أن يستقل بذاته عن أنواع السياق الأخرى؛ لأن بين النوعين ظروفًا لغوية وغير لغوية، ثقافية واجتماعية، وعاطفية، وانفعالية، مقامية، وحالية، ومن ثمّ فهو يعد نوعًا قائما بذاته.

ثالثًا: السياق القرآني:

يذكر المثنى تعريفًا **للسياق القرآني** بقوله: هو: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[(١)]. فالمقصود بذلك أن السياق القرآني هو: تتابع المعاني الفرعية لخدمة المعنى

(١) محمود، مرجع سابق، ١٥.

الأصلي الوارد في السورة، وسير هذه المعاني بانتظام مقصودًا من المتكلم، باعتبار أن اللفظ القرآني هو الحامل للمعاني وبه تظهر صورتها، فالغاية الأصيلة للسياق القرآني هي إعطاء معنى تام يؤدي الغرض الذي لأجله أنزل القرآن، فيكون لهذه المعاني المتتابعة دور في إبرازه وتوضيحه من غير انقطاع لهذه المعاني داخل الآيات أو الفصل بينها [١].

وهناك نوعان للسياق القرآني [٢]:

الأول: السياق من حيث الخصوص والعموم:

للسياق القرآني عدة أنواع من حيث العموم والخصوص، فهناك **السياق العام "سياق السور"**، وهو الذي يكون من بداية السورة حتى نهايتها إذ إنه يشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة.

والسياق الخاص "سياق المقطع" يأخذ سياق المقطع دورًا مهمًا في إبراز تشخيص الموضوع القرآني، وبيان وجه المناسبة بين الآيات، ومعرفة المعاني التي اشتمل عليها المقطع في السورة، فهو يشكل محورًا رئيسيًا من محاور سياق السورة.

ثم السياق الأخص "سياق الآية"، وهو يرتبط ارتباطًا وثيقًا بسياق المقطع، حيث يشكل سياق الآية لبنة في بناء سياق المقطع، وتتحد مباني الآية حول معاني مقطعها، ويشكل المقطع عضوًا أساسيًا في جسم السورة، حيث تدور جميع المقاطع حول فلك السورة.

الثاني: السياق من حيث الترجيح الاجتهادي:

ذكر بعض الباحثين أن السياق القرآني نوعان هما: السباق واللحاق، وبالنظر في هذين النوعين يتضح أنهما لا يستقلان بأنفسهما، وإنما يظهر أحدهما في الترجيح الدلالي بمعنى أن السباق في سياق ما يرجح معنى على آخر، واللحاق في سياق آخر

(١) ينظر: محمود، مرجع سابق، ١٦.

(٢) المرجع السابق، ٧٧.

يرجح معنى على معنى، وقد يجتمعان ويرجحان معنى على آخر، ففي هذا النوع يبحث السياق في خاصية الترجيح، إذ المفسر يُرجِّح بالسباق، أو باللحاق، أو بهما معًا.

ونخلص من ذلك: أن معاني القرآني جاءت مترابطة متماسكة، فالمعنى المبدوء به موضح ومفسر لما بعده والمعنى المختوم به مبين دال على ما سبق، لذا، فالسياق القرآني جاء وفق نظام دقيق محكم معجز تحدى الله به الإنس والجن.

إن تصريف القول في القرآن الكريم أمر يستدعي الوقوف عنده، لأنه يجسد إحساسًا يتوقف على ما يشعر به وعلى قوة التأثير في نفسيته.

لقد تجلى جمال الخطاب القرآني في كافة الأمور، منها في المحسوسات التي نراها، ونلمسها، وندركها بحواسنا، وكذلك من غير المحسوسات، فجاء مخاطبًا العقل البشري، ولا غرابة أن يكون القرآن معجزة إلهية حظيت فيها مراعاة المقام في سياق آياته المختلفة، بسماته الكلامية وعلاماته الإعجازية، فخاطب القرآن الناس بحسب مقاماتهم مراعيًا أحوالهم مقسمًا خطابه لهم على طبقات فمالت له الأنفس وهذه تعدُّ سمة إعجازية له.

المبحث الأول: جمالية الأصوات المرتفعة بين التفظيع الذاتي وشدة الأثر:

تنوعت دلالات الصوت وطبقاته في القرآن الكريم، ومنها دلالات الأصوات المرتفعة ومالها من تأثير في النفوس يرتبط بخصوصية السياق تلك الخصوصية التي تفرد بها في القرآن الكريم ويتضح ذلك بتأمل تلك اللفظة ودقتها في سياقها.

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[الأعراف:٧٨].

وردت الآية في سياق عذاب قوم ثمود بعد إصرارهم على تكذيب نبيهم صالح – عليه السلام – وعقرهم للناقة التي نهاهم عن مسها فأخذتهم الرجفة وأهلكتهم.

جاءت دلالة الصوت في هذا السياق باسم الأثر الذي تتركه هذه الطبقة من الصوت، وقيل الرجفة: كانت صوتًا شديدًا خلع قلوبهم، وهي الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك، والرجفة: هي الزلزلة يقال: رجف الشيء رجفًا، وأصله حركة مع

الصوت، ولم يبيّن سبب رجفة الأرض بهم، فالرجفة اسم للحالة الحاصلة[١]، وعلى ذلك، فالرجفة فيها شدة عظيمة في الصوت مما يؤدي إلى الحركة الشديدة نتيجة الخوف والرعب من هذا الصوت العظيم.

والرجفة: من الرَّجفِ الاضْطراب الشديدِ، يقال: رَجَفتِ الأرضُ والبحرُ، وبحرٌ رجَّاف، والإرجافُ إيقاع الرَّجفةِ إما بالفعل وإما بالقوْل، ويقال: الأرَاجيفُ؛ مَلاقيحُ الفتن[٢].

وقيل: إن الرجفة مترتبة على الصيحة؛ لأنهم لما صيح بهم رجفت قلوبهم فهلكوا، حيث جمعت بين الصوت والحركة، فالتعبير بلفظ الرجفة لم يتناول إلا ما كان عذابًا بها، فهو عذاب مقيد بصفة، وناسب خصوص الرجفة إفراد الدار بعدها مناسبة تركيب النظم.

وجاء التعبير القرآني بالرجفة دون غيرها كالزلزلة؛ لأن الرجفة هي الزلزلة الشديدة العظيمة التي ترتجف منها القلوب فتهلك، وقيل هي الصيحة من السماء والهزة من الأرض، أما الزلزلة فهي الهزة الخفيفة التي قد لا يقع لها أثر[٣]، وبذلك يتضح دقة النظم القرآني في استعمال هذه الدلالة دون غيرها.

في حين أنه عبرّ عن الصوت في السياق نفسه في عذاب قوم ثمود، ولكن بلفظ الصيحة بقوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[هود:٦٧]،

(١) ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (لبنان: دار الفكر، ١٩٩٥م)؛ ينظر: الشوكاني، محمد علي، "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)؛ ينظر: الطبري، مرجع سابق، ٦: ٢٢٢

(٢) الأصفهاني، الراغب، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق محمد خليل. (ط٤، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٥م): ١٩٦.

(٣) ينظر: العسكري، أبو هلال، "الفروق اللغوية". تحقيق محمد باسل. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م): ٣٧٧.

وصيح: صاحَ صيحةً شديدة، وصاح به، وصَيّح به، وصايحه: ناداه.

والصيحة: هي الصوت الشديد المرتفع، يقال: صاح فلان إذا رفع صوته بقوة، وأصل ذلك تشقيق الصوت، من قولهم: انْصاح الخَشَبُ أو الثوب إذا انشق فَسُمع منه صوت(١).

وذكر البقاعي أن في الرجفة جمعا بين الصيحة والزلزلة في مكان واحد، فكانت أمكن وأعظم نكالًا، وأما الصيحة فتطلق على ما كان من العذاب بالرجفة وغيرها، فهو عذاب مطلق غير مقيد بصفة، وهو من الألفاظ الكلية، فناسب عموم الصيحة جمع الديار بعدها(٢).

ونخلص من ذلك أن الصيحة والرجفة جاءت في السّياق القرآني للدلالة على الصوت المرتفع المميت للإنسان، فطبقتها الصوتية العالية جعلت منها صوتًا قاتلاً للإنسان، فلا يقدر معه على الحركة، بدليل قوله: ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ أي: في أماكن سكناهم؛ لأن حركتهم حال سماعهم صوت الرجفة أصبحت معدومة، ولكن الصيحة مداها يكون أوسع من الرجفة بدليل قوله:﴿فِي دِيَارِهِمْ﴾ أي: في المنطقة التي يسكنون فيها وليس في دارهم، فهناك احتمالية لتحمُّل صوت الصيحة بعض الوقت أما الرجفة فلا وقت لتحمّلها، فكلاهما من دلالات الصوت المميتة التي وردت في سياق العذاب.

ومما يلحظ أن اللفظتين **"الرجفة والصيحة"** في هذين الموضعين، بل وفي جميع مواضع وردهما في القرآن الكريم جاءت معرفة بـ"أل"؛ للدلالة على الكمال في صفة كل منهما، وشدة الصوت، وقوته وفظاعته ...، وهذا يتلاقى مع شدة العذاب الذي نزل بهؤلاء المكذبين.

(١) ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٢٧٦؛ ينظر: الألوسي، مرجع سابق، ٤: ٣١٢.

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي): ٢١٠.

ومن دلالات الصوت المرتفع التي وردت في سياق العذاب صوت الصرصر، في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فُصِّلَت:١٦]

. صَرْصَرًا: قيل: رياح باردة شديدة الصوت لها صوت مزعج، وهي من الصِرّ: وهو البرد الذي يصِرُّ أي يجمع ويقبض ومن الصَّرَّة: الصيحة المزعجة(١).

وعبّر السياق القرآني بهذه اللفظة دون غيرها؛ لأن الصرصر هي ريح شديدة البرد والصوت والعصوف حتى كانت تجمد البدن ببردها، فتكون كأنها تصره – أي تجمعه – في موضع واحد، فتمنعه التصرف بقوته، وتقطع القلب بصوتها(٢)، فناسبت دلالة هذا الصوت وطبقته سياق العذاب والهوان والذل الذي وقع عليهم لجحودهم وكفرهم، وكان لها وقع على النفس وأبلغ في التعبير عن المعنى المراد.

وتكررت الدلالة نفسها في سياق عذاب قوم عاد في سورة القمر بقوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[القمر:١٩]، وكذلك في سورة الحاقة بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:٦]، وكان لكل خطاب قراني سياقه المناسب للمقام، ففي سورة الحاقة زاد في وصف الريح بقوله: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ فهي أشدُّ مما سبقها، فكانت عاتية تميزها أبلغ وأبلغ؛ وذلك لاستمرارها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة كما في الآية التي تليها بقوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧]، فهذه الأيام كفيلة بالتدمير

(١) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق محمد حسين شمس الدين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ١٠: ٣٥؛ ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٢٨٢؛ ينظر: أبو السعود، مرجع سابق، ٥: ٤٤٠.

(٢) ينظر: البقاعي، مرجع سابق، ٢١٥.

والعذاب، وفي هذا السياق زاد في النخل المقتلع فجاء بصيغة الجمع ﴿نَخْلٍ﴾.

ولما زادت الريح عتوًا وأمدًا ذكر أنها استأصلتهم كُلَّهم فلم تُبقِ منهم أحدًا بقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾فجمع النخل الكثير المدَّمر مع الريح المتَّصفة بزيادة التدمير ﴿رِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ فجاء التعبير القرآني مناسبًا لسياق الآيات.

ثم جاء التعبير القرآني بذكر مجرد لهذه الأيام دون تحديد لعددها بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فُصِّلَت:١٦]، وفي سياق هذه السورة لما تقدم في الآيات السابقة استكبارهم وادعاؤهم أنهم أشد الناس قوة، اقتضى هذا المقام تحقيرهم في إهلاكهم فجاء التعبير القرآني بالأيام دون الليالي، بقوله: ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ إشارة إلى الأيام الثمانية المصرَّح بها في السياق السابق.

أما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾في سورة القمر كان المقصود في السِّياق تقريب قيام الساعة، ووصف سيرهم إلى الداعي بالإسراع جاء التعبير القرآني عن عذابهم بأقل ما يمكن فعبّر بـ (اليوم) المراد به الجنس الشامل للقليل والكثير، وقد يعبّر به عن مقدار من الزمان يتم فيه أمر ظاهر سواءٌ أكان لحظةً أو أيامًا أو شهورًا أو أكثر من ذلك أو أقل فـ﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾ هو اليوم الذي بدأ فيه العذاب وكان مقدمة لثمانية أيام مهلكة من العذاب؛ لذا جاء الخطاب القرآني بقوله: ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾؛ ليؤكد استمرار العذاب والنحس والدمار عليهم إلى ثمانية أيام(١). ولذلك ذكر الألوسي المقصود باليوم في آية القمر بقوله: "والمراد باليوم مطلق الزمان لقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا

(١) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق؛ البقاعي، مرجع سابق، ٢٢٠؛ الرازي، أبو عبد الله محمد، "مفاتيح الغيب". (ط٣، مصر: المكتبة التوقيفية، ١٤٢٠هـ)، ١٥: ٢٥؛

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾، وقوله سبحانه: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[١].

ونخلص من ذلك أن دلالة صوت الريح الصرصر في جميع السياقات السابقة وردت في سياق عذاب قوم عاد، وهذه الدلالة الصوتية وطبقتها كان لها دورها العميق وأثرها على النفس في التعذيب والتدمير الداخلي قبل العذاب الجسدي الخارجي، كما نلحظ أن كل سياق يتوجه لخدمة المعنى العام والمقام في السورة، فكان لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص وهذا يعدُّ من وجوه إعجاز القرآن.

ومن دلالات الصوت المرتفع المنكر صوت الحمير في قوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]، وصوت الحمير، قيل: أوله زفير، وهو صوت قوي، وآخره شهيق، وهما صوتا أهل النار، وقيل: هو الصوت المنكر.

وفي الآية دليل على استنكار وقبح رفع الصوت في المخاطبة، والملاحاة بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية، وبذلك يكون صوت الحمير من دلالات الصوت العالي، وهي طبقة مرتفعة من الصوت قد تكون أعلى من طبقة الصوت العادي؛ لذلك أمر الخطاب القرآني بالغضّ من الصوت وخفض طبقته، وجاء التعبير القرآني بهذه الدلالة للصوت في سياق التحذير والمبالغة في الذم والتهجين من رفع الصوت، وصوره بأقبح صورة إذ شبه الصوت المرتفع للإنسان بصوت الحمير؛ وذلك بسبب طبقته العالية[٢].

ومن دلالات الصوت المرتفعة التي جاء بها التعبير القرآني الشهيق والزفير، ومن

(١) الألوسي، مرجع سابق، ٢٧: ١٢٩.

(٢) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن". (القاهر: المكتبة التوقيفية، د. ت)، ٢: ٦٥.

ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٞ ﴾[هود:١٠٦]، ونلحظ أن هذه الدلالة جاءت في سياق العذاب، وهو الصوت الصادر من الإنسان المعذّب في النار، والشهيق والزفير من أصوات المكروبين والمحزونين، فالزفير: هو تردد النَّفَس حتى تَنْتَفِخ الضلوع منه، وزَفَر يزْفِر زفيرًا، وهو اغتراف النَّفس للشدَّة، وقيل: هو صوت حاد، أما الشهيق: فهو طُولُ الزفير، وهو ردُّ النَّفَس، والزفَّيرُ مدُّه، فالزَّفِير: أوّلُ صوت الحمار، والشهِيق: آخره؛ لأن الزفير إدخال النَّفس، والشهيق آخره[1]، وقيل هو صوت ثقيل، وهي من أشنع الأصوات وأقبحها.

وبعد أن ذكر سياق الآيات السابقة بعض قصص المرسلين، وما حلَّ بأممهم من النكال والدمار، ذكر هنا العبرة من سرد هذه القصص، وهي أن تكون شاهدًا على تعجيل العقوبة للمكذبين والانتقام العاجل منهم وبرهانًا على تأييد الله ونصرته لأوليائه وأنبيائه، وقد ذكرت الآيات يوم القيامة وانقسام الناس فيه إلى فريقين: سعداء، وأشقياء ثم بدأ بتصوير أحوالهم؛ ولأن المقام مقام تهديد ووعيد، بدأ بالأشقياء، وشبه أصواتهم بأصوات الحمير[2].

وخص – سبحانه – من بين أحوالهم الأليمة حالة الزفير والشهيق؛ تنفيرًا لهم من المعاصي ومن كل ما من شأنه أن يوصلهم إلى النار، وتبشيعًا لتلك الحالة التي يصلون إليها في النار من سوء المنقلب، وتعاسة الحال.

وفي ذكر الخطاب القرآني هذه الدلالة الصوتية في سياق العذاب في سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٠] ونلحظ أنهم

(١) ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٢١٨، ٢٧٣؛ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". تحقيق محمد النجار. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٣: ١٣١، ٣٥٨.

(٢) ينظر: البقاعي، مرجع سابق، ٢٢٣.

السياق القرآني في هذا المقام ذكر الزفير دون الشهيق؛ وذلك لأن العذاب في آيات الأنبياء أشد من عدة أوجه: ففي هذا المقام كان الحديث عن الكافرين وما يعبدون من دون الله بقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾، وهذا شرك بالله ومن كبائر الذنوب، أما السياق في سورة هود فكان الحديث فيه عن الأشقياء على وجه العموم، وأهو أعم من سياق الآية في سورة الأنبياء، فإن من الأشقياء من لم يعبد الأصنام، وقد يكون من أهل الكتاب، فذكر في سياق الأنبياء أشقى الأشقياء، وهم الذين أشركوا بالله وعبدوا الأصنام، فالجمع بينهم مع آلهتهم في العذاب أشدُّ تبكيتًا وإهانة لهم، فاقتضى ذلك زيادة تعذيبهم، كما ذكر الخطاب القرآني أنهم حصب جهنم أي: أسفل النار، فالحصب هو القاع والنار تُسعَّر بهم، فذكر في هذا السياق الزفير ولم يذكر الشهيق؛ لأن الإنسان يحتاج الشهيق ليزفر، وإن لم يستطع أن يأخذ الشهيق ضاق صدره، فدلّ ذلك على ضيق صدورهم، فهم يحاولون الشهيق، ولا يتمكنون منه، وهذا من أشد العذاب، إضافة إلى ذلك أنهم لا يسمعون وهذا عذابٌ آخر(١).

فجاءت كل سمة تعبيرية ودلالة صوتية تحمل المعنى الأنسب والأليق في سياقها، فكانت هي الأدق في المقام دون غيرها.

وجاء كذلك صوت الشهيق والزفير في الخطاب القرآني، ونسب للنار في سياق العذاب أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك:٧]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:١٢]، أي: سمعوا لجهنم نفسها صوتًا عاليًا قبيحًا كصوت الحمار؛ لشدة غليانها وتوقدها، وذكر الخطاب القرآني

(١) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، "على طريق التفسير البياني". (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠١٧م)، ٣: ٣٤٤.

في سورة الملك قبح المصير الذي أُعد للكافرين، وهو ما يسمعونه فيها من أصوات عالية مؤلمة مخيفة، وعليه فالسياق يرجّح أن الشهيق إنما هو لجهنم، لا لأهلها من المشركين، وممن طُرح فيها قبلهم، أي: سمعوا لجهنم صوتًا كصوت الحمير، وهو حسيسها المنكر الفظيع، على سبيل الاستعارة التصريحية، كما أفاد أبو السعود[1]، ولما كان الشهيق، الذي هو اجتلاب الهواء إلى الصدر بشدة لقوة الاحتياج إلى التنفس، وهو يقتضي تردد الأنفاس في الصدر، أطلق على صوت التهاب نار جهنّم الشهيق تفظيعًا له[2]، فناسب ذكره في هذ المقام ليناسب نظم السورة ومقاصدها من طلاقة قدرة الله وسعة علمه في معرفة بواطن الأشياء وظواهرها ولمناسبة قوله:﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ بخلاف السّياق في سورة الفرقان قوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ فأثبت التعبير القرآني هنا الزفير الذي هو في الأصل: إخراج الأنفاس بدفعٍ وشدة بسبب ضغط التنفس؛ ليناسب سياقها في تعداد النعم الظاهرة[3].

ونخلص من السياقين السابقين أن لجهنم شهيقًا وزفيرًا، كان له دوره في التأثير النفسي على الكافرين قبل طرحهم فيها وتعذيبهم بها، فناسبت هذه الدلالة الصوتية وطبقتها المرتفعة سياق العذاب الذي وردت فيه، وجاء التعبير القرآني بكل دلالة صوتية في سياقها المناسب للمقام، وقد وردت هاتان الدلالتان الصوتيتان في سورتين افتتحت كلاهما بـ (تبارك).

ومن الدلالات الصوتية التي جاء بها التعبير القرآني (الجأر) وقد وردت في سياق

(١) أبو السعود، مرجع سابق، ٥: ١٢٠.

(٢) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م)، ٢: ١١٥؛ الألوسي، مرجع سابق، ٤: ٣٤٢

(٣) ينظر: الأكرت، أحمد، "من لطائف النظم القرآني في الكشف عن المعاني في "سورة الملك" دراسة تفسيرية". المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم بطنطا العدد الخامس، (٢٠١٩م): ٨٣٤.

العذاب في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٤] والجأرُ في اللغة: رفع الصوت، وهو الصراخ بصوت عالٍ، ومنه: جَأرَ يجأر جُؤارًا: رفع صوته مع تضرع واستغاثة(١)، أي: رفعوا أصواتهم مع التضرع والاستغاثة مما حلّ بهم من عذابنا، فهم يصرخون ويتوجعون.

وجاء التعبير القرآني بالجأر دون غيره كالصياح في هذا المقام؛ لأن الصياح هو رفع الصوت بلا معنى له(٢)، أما الجأر هو رفع الصوت بالاستغاثة والصراخ ذلاً وانكسارًا وجزعًا(٣)، فكان التعبير بالجأر أدق وأبلغ في السياق لما فيه من تهويل شديد لهذا اليوم الذي لا ينفع فيه التضرع والاستغاثة، فهم لم يرفعوا أصواتهم في النار لمجرد الصياح فقط، وإنما قصدوا من رفع الصوت الاستغاثة وطلب النصرة من أتباعهم ... وهذا لا يؤديه التعبير بالصياح وإنما يؤديه ما جاء عليه النظم المعجز ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴾، ولذلك جاء الرد عليهم من قبل الله تعالى في الآية التالية لها في قوله: ﴿ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٥].

ومن دلالات الصوت المرتفعة التي جاء بها التعبير القرآني الاستصراخ بقوله تعالى(٤): ﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ [القصص: ١٨] ، الصُّراخ: الصوت الشديد؛ صرخ يصرُخُ صُراخًا، الصريخ: المستغيث، والمصرخ: المغيث، والاستصراخ: الاستغاثة، والاستصراخ: الإغاثة، ويستصرخه: يستغيث به، مأخوذ من الصراخ وهو رفع الصوت؛ لأن من عادة المستغيث

(١) ابن منظور، مرجع سابق، (جأر).
(٢) ينظر: العسكري، مرجع سابق، ٥٠.
(٣) ينظر: البقاعي، مرجع سابق، ٢٢٣.
(٤) ينظر: الزمخشري، مرجع سابق، ٤١٧.

بغيره أن يرفع صوته طالبا النجدة والعون.

وجاء التعبير القرآني بالاستصراخ دون الصُّراخ وغيره؛ لأن الصراخ صوت المستغيث وصوت المغيث إذا صرخ بقومه للإغاثة، أما الاستصراخ هو الاستغاثة والمبالغة في الصراخ، فهو يستغيث بموسى للمرة الثانية، فهي أبلغ من الصراخ؛ لأنها تدل على أن صراخهم منكر خارج عن الحد المعتاد[1]، فجاءت هذه الكلمة في مبناها أوفى للمعنى في تعبيرها عن حال الرجل الذي طلب المساعدة؛ لأن كل زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى.

ونخلص من ذلك أن هذه الدلالة الصوتية بطبقتها المرتفعة كانت أدق في السياق؛ فلو عبَّر السياق القرآني بـ (يستنجده أو يستغيثه) لم تؤدِ المعنى الذي جاء به صوت الاستصراخ؛ لأن الاستنجاد هو طلب النجدة، ولم يكن ذلك حال الرجل، والاستغاثة هي طلب الغوث، وهو دعاء من قريب لبعيد فلم يكن ذلك واقع حاله، لأنهما جميعًا في مكان واحد[2]، أما لفظ (يستصرخه) في مبناها وصياغتها القوية أوفى بالمراد، وفي معناها نتخيل ذلك الرجل يسترعي الانتباه بأن يأتي له موسى؛ لذلك هي اللفظ المعبّر كل التعبير عن حال ذلك الرجل.

ومن الدلالات الصوتية التي جاء بها السياق القرآني في سياق العذاب يصطرخون في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧]، فالاصطراخ: افتعال من الصراخ، وهو الصياح الشديد المصحوب بالتعب

(١) ينظر: السيوطي، جلال الدين، "الإتقان في علوم القرآن". تعليق مصطفى البغا. (ط١، بيروت: دار كثير، ١٩٨٧م)، ٢: ٩١٢.

(٢) ينظر: الرازي، مرجع سابق، ٨: ٢٢٣، الأندلسي، أبو حيان محمد، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق صدقي محمد جميل. (ط١، بيروت: دار الفكر، د.ت)؛ القرطبي، مرجع سابق، ١٣: ٢١٢.

والمشقة، فهم يصيحون من شدة ما نابهم، ويستغيثون ويضجون بالدعاء رافعين أصواتهم(١).

وجاء التعبير القرآني بـ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾؛ لأن الاصطراخ هو صوت غليظ محشرج مختلط الأصداء، متناوح من شتى الأرجاء، إنه صوت المنبوذين، وجرس اللفظ نفسه يوحي بهذه المعاني جميعًا(٢)، فالزيادة في الألفاظ توحي بالزيادة في المعنى، فالطاء يُضيف معنى الشِّدة في استغاثة الكافرين، إنه صراخٌ قويّ نابعٌ من نفوس مُحَطَّمة يائسة، فالسياق في الآية يقتضي هذه الزيادة التي تعبر عن المعنى المراد، وكان لهذا الدلالة الصوتية وطبقتها المرتفعة تأثيرها النفسي على السامع في الردع والتنفير، حيث بيّنت لنا هذا الصوت في ظِّل الإهمال له، فلا يجد من يهتمُّ به أو يلبّيه، ونلمح من وراء ذلك صورة العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون.

وكذلك من الدلالات الصوتية التي عبّر بها السياق القرآني الجهر في قوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨]، الجهر: يقال لظُهُور الشيء بإفراط حاسة البَصرِ أو حاسةِ الَّسمْعِ، وهو إعلان الشّي وكشفُه وعُلُوّه، يقال: جَهَرَ الشيءُ إذا ظهر، وأجْهَرْتُه أنا، وقد جَهَرَ بكلامه وقراءته: رفع بهما صوته، وَجَهُرَ صوتُه جَهَارةٌ، وهو جهير الصوت(٣).

ومعنى الآية أن الله تعالى لا يحب من عباده أن يجهروا فيما بينهم بذكر العيوب والسيئات لما في ذلك من المفاسد الكثيرة التي أهمها: أنه مجلبة للعداوة والبغضاء بين من يجهر بالسوء ومن ينسب إليه هذا السوء، وأن ذلك يؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ضارا،

(١) ينظر: أبو السعود، مرجع سابق، ٥: ٢٨٤.

(٢) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٤: ٣٢٤.

(٣) ينظر: ابن فارس، مرجع سابق، ١: ٢٥٠، (جهر)؛ الأصفهاني، مرجع سابق، ص١٠٨؛ الزمخشري، "أساس البلاغة": ١٤٦.

فسماع السوء كعمل السوء يؤثر في نفس السامع، وكثير من الناس يجهل مبلغ تأثير الكلام في القلوب، فلا ينزهون ألسنتهم عن السوء من القول ولا أسماعهم عن الإصغاء إليه(١).

وجاء التعبير القرآني بالجهر دون غيره؛ لأن الجهر دلَّ على عموم الإظهار والمبالغة فيه، وهو يقتضي رفع الصوت به، لذلك كان أعم في معناه من الإظهار والكشف، وأبلغ في التعبير عن المعنى المراد في السياق(٢).

ونخلص من ذلك أن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول ولا الإسرار به، لكنه خصَّ الجهر هنا بالذكر لمناسبة بيان مفاسد الكفار والمنافقين في هذا السياق، والجهر بالسوء أشد ضررا من الإسرار به؛ لأن ضرره وفساده يتفشى بين عامة الناس وسائر الطبقات.

وبذلك، يتضح لنا بلاغة الخطاب القرآني في تعبيره بهذه الدلالات الصوتية بطبقتها المرتفعة وفقًا للمقام، فمنها ما جاء في سياق العذاب المؤدي للهلاك لشدته وقوته، ومنها ما جاء في سياق الذم، والتنفير، والتهجين لما لهذه الأصوات المرتفعة من تأثيرها في النفوس، ووقعها على السامع.

(١) ينظر: المراغي، أحمد مصطفى، "تفسير المراغي". (ط١، مصر: البابي الحلبي وأولاده، ١٩٤٦م): ٢١٠.

(٢) ينظر: العسكري، مرجع سابق، ٣٢٠.

المبحث الثاني: جمالية الأصوات المتوسطة بين الاتزان النفسي والفكر العقلي

يتناول هذا المبحث دلالات الصوت وطبقته المتوسطة في القرآن الكريم، وهو المنهج الذي رسمه القرآن وحثَّ عليه الدِّين الإسلامي، وأصبح دستورًا وهو التوسط، وخفض الصوت في الكلام والخطاب مع العامة؛ لأن ذلك من آداب الحديث، ويزيد الثقة بالنفس.

قولة تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٩].

يأمر الخطاب القرآني في هذه الآية بخفض الصوت بقوله: (وَاغْضُضْ) أي: أنقص منه واخفضه، ولا تتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي السامع، والغَضُّ: نقص قوة استعمال الشيء. فغض الصوت: جعله دون الجهر(١).

وعبّر السياق القرآني بـ ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ ولم يعبر بـ (اغضض صوتك)، لأن المراد هنا هو الاعتدال في الصوت، فلا يخفضه بحيث يكون أقرب إلى الهمس فلا يسمع، ولا يكون أعلى من ذلك فيزعجهم، وإنما يكون بقدر ما يحتاج إليه السامعون، وفي ذلك إشارة إلى التوسط والاعتدال(٢).

ونخلص من ذلك أن الكلام مع الناس لا بُدّ أن يكون صوته متوسطًا حتى يُفهم المراد منه، فلا يجوز ارتفاع الصوت في الحديث العادي، لذا جاء الأمر الإلهي بغضَّ الصوت في الحديث مع الآخرين حتى لا تعّم الضوضاء والخصومات، فقد كانت العرب

(١) ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٣٦٣.

(٢) نظر: السامرائي، مرجع سابق، ٢: ٤٥١.

تفتخر بالمجاهرة في الصوت فجاء النهي الإلهي عن خُلُق الجاهلية؛ لأن رفع الصوت في غاية البشاعة.

ومن دلالات الصوت المتوسطة التي جاء بها الخطاب القرآني دون الجهر بقوله: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

أمر السّياق الكريم في هذه الآية الكريمة بذكر الله والتضرع إليه، ثمّ حددّ كيفيته بالذكر اللساني والنطق به، فجعله دون الجهر من القول، أي لا يرفعه جاهرًا، ولا يخفضه خافتًا، وهو الذكر المتوسط بين الجهر والإسرار، ولكن لَا بد من ذكر اللسان؛ لأنه يسد منافذ الشيطان، فحركة اللسان المقصودة تضبط النفس نحو ذكر الله تعالى، والمقصود من ذلك استيعاب أحوال الذكر باللسان، لأن الذكر اللساني يوجب قوة في الذكر القلبي الروحاني(١).

ولما كان السياق يتحدث عن الأمر بالذكر عند نزغ الشيطان، والأمر بالاستماع لأعظم الذكر، علمهم أدب القراءة والذكر ونلحظ أن تحديد الخطاب القرآني لذكر الله بهذه الطبقة الصوتية بقوله: ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ هو أدخل في الاخلاص وأقرب إلى حسن التفكير وهدوء النفس واطمئنانها.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١١٠].

(١) ينظر: البقاعي، مرجع سابق، ٥: ٤٥؛ الرازي، مرجع سابق، ٨: ١٢٢؛ ابن عاشور، مرجع سابق، ٧: ٧٨.

أي: أقصد طريقًا سريعًا أو صوتًا متوسطًا في صلاتك فلا تجهر بها ويكون صوتًا مرتفعًا ولا تخفضه فلا يسمع، بل أمرًا وسطًا فإن خير الأمور أوسطها(١).

فالجهر: رفع الصوت، وخفت الصوت: إسراره بحيث لا يسمع، وأمرنا بالوسطية والاعتدال وهو المنهج الذي رسمه لنا القرآن الكريم؛ لذلك عبّر عنه السياق الكريم بالسبيل قوله: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

فهذه الطبقة الصوتية المتوسطة بين الجهر والمخافتة من دلالات الأصوات المتوسطة، وهي السبيل والطريق المتبع في الصلاة والدعاء، لأنها الطبقة المؤثرة التي تلين معها القلوب وتتأثر بها النفوس، فالصوت المرتفع أدعى للنفور والدخول في باب الرياء.

وأرشدنا الخطاب القرآني إلى هذه الطبقة المتوسطة بـ ﴿وَلَا تَجْهَرُوا﴾ في الخطاب مع الآخرين؛ فمن الأدب في الحديث والحوار والخطاب عدم رفع الصوت، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحُجُرات:٢]هنا جاء الأمر الإلهي أراد أن يكون الخطاب مع النبي خطاباً مؤدبا غير مرتفع؛ لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير.

ونلحظ أن التعبير القرآني عرض لنا الدلالات الصوتية المتوسطة عرضًا جميلًا معجزًا، لم يراعِ فيه أحوال المخاطب فحسب، بل ينظر إلى مقام المتكلم معه، فجاءت الدلالات متنوعة ومعبرة عن المعنى؛ لأن هذه الطبقة الصوتية هي السبيل الذي رسمه لنا الخطاب القرآني، وأرشد إليه؛ لتأثيره في النفوس واستمالة القلوب وأدعى إلى الاتزان

(١) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٧: ٨٥.

النفسي في التعامل.

ويلحظ أن الصوت المتوسط جاء في سياق التأدب، سواء كان التأدب في خطاب الله تعالى في الصلاة، أو الدعاء، أو التأدب في خطاب النبي (ﷺ)، أو في خطاب البشر بعضهم بعضا.

والتأدب في الخطاب بالتوسط في الصوت يتلاقى مع كون هذه الأمة أمة وسطا كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة:١٤٣]، أي: وسط في كل شيء، ومنها التوسط في الكلام والخطاب.

المبحث الثالث: جمالية الأصوات المنخفضة بين خوف النفس ورهبة الموقف

يتناول هذا المبحث دلالات الصوت بطبقتها المنخفضة، والتي كثيرًا ما ارتبطت بشدة الموقف والخوف والفزع، فكان لهذه الدلالات المتنوعة وقعها في النفوس.

ومن دلالات الصوت المنخفضة التي جاء بها السياق القرآني (الخفت) في قوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾ [طه:١٠٣]، أي: يخفضون أصواتهم ويهمس بعضهم في أذن بعض، لما امتلأت به قلوبهم من الرعب والذعر.

وخفت يخفت وخافت مخافتة والخَفْتُ: إسرار المنْطِقِ، وخَفَت صوته: انخفض، وخفت الرجل: سكت فلم يتكلم، والخُفات: السكوت[١].

وأشار السيّاق القرآني بقوله: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ إلى دلالة صوتية منخفضة فهم يتحدثون فيما بينهم بهذه الطبقة المنخفضة؛ لشدة فزعهم وخوفهم.

وجاء السياق الكريم بـ(يتخافتون) دون غيرها كـ(يتناجون) لأن النجوى للكلام الخفي الذي تناجي به من أردت مع رفعه وإخفائه وستره عن غيره[٢]، أما التخافت فلا يقصد به الستر والخفاء وإنما خفض الصوت فيه تبعًا للمقام.

وبذلك يتضح دقة السياق في استخدام هذه الدلالة الصوتية بطبقتها المنخفضة في هذا المقام التي تدلّ على حديث قائم، ولكن بطبقة منخفضة لشدة وهول الموقف وتأثيره في النفوس، فكانت أدق وأبلغ في السياق من غيرها.

ومن الدلات الصوتية المنخفضة التي جاء بها الخطاب القرآني الهمس في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه:١٠٨]، ولما أخبر السياق الكريم بخشوعهم في الحديث والانقياد للدعوة، أخبر

(١) ينظر: الزمخشري، "أساس البلاغة"، ٢٣١؛ الاصفهاني، مرجع سابق، ١٥٨.

(٢) ينظر: العسكري، مرجع سابق، ٧٥.

بخشوع غير ذلك من الأصوات التي جرت العادة بكونها عن الاجتماع فقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾، أي ارتخت وخفيت وخفضت؛ لخشوع أهلها، وَسَكَنَتْ هَيْبَةً لِلَّهِ، وَإِجْلَالًا وَخَوْفًا، فَلَا تَسْمَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ صَوْتًا عَالِيًا، بَلْ لَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا أَيْ: صَوْتًا خَفِيًّا خَافِتًا مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، والهمسُ: هو الصوت الخفي، وهمس الأقدام أخفى ما يكونُ من صوتها وقيل أَيْ: إِلَّا صَوْتَ خَفْقِ الْأَقْدَامِ وَنَقْلِهَا إِلَى الْمَحْشَرِ[1]، وَالْهَمْسُ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْخَفَاءِ، فَيَشْمَلُ خَفْضَ الصَّوْتِ وَصَوْتَ الْأَقْدَامِ، أو تردد الأنفاس في الصدور خوفاً وترقُبًا.

وقد يشمل صوت الزفير بحشرجة وتردد وتنُّهد، ولما كانت همسًا لأهل المحشر عامة، فربما تشير إلى أصوات التسبيح من أفواه العارفين، فإن لصوته في حشرهم هيمنة وحضورًا، ولاسيما إذا كان لها طابع السرعة، والتكرار؛ مما يؤدي صوتًا ذائبًا خفيفًا، فتعبير الآية بالهمس لم يكن همس الأقدام فقط، بل حتى همس الأفواه[2].

ونلحظ تدرجًا واضحًا في التعبير القرآني بالدلالات الصوتية، فقد بدأ بأصوات المجرمين المحشورين إلى النار وذلك قوله: ﴿يَتَخَافَتُونَ﴾، ومن ثم وصف أصوات المؤمنين على الأرجح وذلك قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾، والآن لم تبق أصوات أمام عظمة هذا المشهد سوى أصوات الماشين (المهموسة) التي تثيرها أقدامهم، وهذا التدرج ليس يمنع أن يكون (همسا) دالا على صوت صادر عن الأفواه، فقد تشتمل هذه الدلالة الصوتية على همس الإقدام وهمس الكلام[3].

(١) ينظر: الاصفهاني، مرجع سابق، ٥٢٣؛ البقاعي، مرجع سابق، ٦: ١٢؛ ابن عاشور، مرجع سابق، ٦: ٢٢.

(٢) ينظر: العارضي، محمد جعفر، "الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم". (أطروحة دكتوراه، الشارقة: جامعة القادسية، ٢٠٠٢م)، ٢١٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ٢١٨.

ويتضح دقة السياق القرآني في التعبير بهذه الدلالة الصوتية المنخفضة في هذا المقام فالموقف مختلف والهول عظيم تخفت فيه الأصوات من شدة الخوف والفزع، وإسناد الخشوع إلى الأصوات مجاز عقلي، فإن الخشوع لأصحاب الأصوات؛ واستعير هنا لانخفاض الصوت وإسراره، وهذا الخشوع من هول المقام.

ومن دلالات الصوت المنخفضة في القرآن النجوى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المجادلة:٩].

النَّجْوَةُ والنَّجاةُ: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وناجيته، وتناجوا وانتجوا: بينهم تناجٍ ونجوى، والنَّجوى: السر، وقيل: النَّجوى من السر والإخفاء، فهو نجيء فلان، أي صاحب سره، والنجو، والنجوى: ما يسر بين اثنين أو أكثر فقد ناجيته ونجوته: ساررته[(١)].

نهى السّياق الكريم عن النجوى؛ لأن التحدث خفية بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان، فهي تثير البغض والتنافر في النفوس ثم وضع ضابطًا لهذه النجوى بأن تكون في الخير والتقوى حديثًا داعيًا إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو التوفيق بين الناس حيث الأمن والعون والدعاء.

وقد جاء التعبير القرآني بالنجوى دون غيرها كالسر؛ لأن النجوى كلام خفي تناجي به غيرك، فالنجوى لا تكون إلا بالكلام والصوت، أما السر: فهو إخفاء الشيء في النفس[(٢)]، وأما السر فقد يكون في الكلام وغيره فهو غير مخصوص بالكلام، لذا كانت هذه الدلالة الصوتية أدق في السّياق، وأبلغ في المعنى من غيرها.

(١) ينظر: منظور، مرجع سابق، (نجو)؛ الفيروز آبادي، مرجع سابق، ٢٠:٥؛ الزمخشري، "أساس البلاغة"، ٨٣٣.

(٢) ينظر: العسكري، مرجع سابق، ٧٥.

واستعملها القرآن الكريم فعلا واسما منها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]، ويضفي (خَلَصُوا) على فعل المناجاة في هذا السياق النفسي المملوء بالخوف، وجهل المصير مبالغة في السرية والإخفاء لأمرهم، فضلًا عن الإشارة إلى الخوف والاضطراب، وتعزيز عامل السرعة في الوصول إلى قرار في الأمر.

ومن الاسم قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

(النجوى) وفي استعمالها في هذا السياق إشارة إلى الحيلة والغدر وتزييف الحق، ووسوسة الشيطان، فالنجوى من الدلالات الصوتية المنخفضة التي اختصت بالكلام والمناجاة مع الغير، وارتبطت هذه الدلالة بطبقتها المنخفضة بالخوف والذعر، وقد نهى عنها الخطاب القرآني لأنها من صفات المنافقين فضلاً عما تتركه في النفوس، ففيها تربية روحية وتهذيب للأخلاق.

ومن الدلات الصوتية المنخفضة التي جاء بها الخطاب القرآني (ركزا) بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

والمعنى أهلكنا هذه الأمم السابقة بالكلية واستأصلناهم، بحيث لا يُرى منهم أحدٌ ولا يسمع منهم حتى هذا الصوتُ الخفيّ.

الركز: الصَّوتُ الخفي، وركزْتُ كذا أي دفنتهُ دَفنًا خفيا، ومنه الركازُ المال المدفون،

وقيل: والرِّكْزُ الصوت الخفي دونَ نطقٍ بحروفٍ ولا فمٍ، وإنما هو صوت الحركات[١].

وذكر بعضهم أن الركز خصَّ بالصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم، والأكثرون على الأول، وخص الصوت الخفي لأنه الأصل الأكثر ولأن الأثر الخفي إذا زال فزوال غيره بطريق الأولى[٢].

وعبّر السياق الكريم في هذا المقام بأضعف دلالة تعبيرية عن الصوت بعد هلاكهم وهي الركز الموحي بالحركة أو الزفير كونه صوتًا خفيًا، وليس كلامًا منطوقًا، فجاءت هذه الدلالة أدق وأبلغ في التعبير عن المعنى في السياق.

ومن دلالات الصوت المنخفضة (حسيسها) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٢].

أي لا يسمعون صوت حركتها، وهو صوتٌ ضعيفٌ كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدًا مما يدلّ على أنهم في غاية الإبعاد عنها بتوفيق الله وطاعته.

والحسيس: صوت يحس به، والحَسِيسُ والحِسُّ: الذي تسمعه مما يمر قريبًا منك، وقيل: الحركة أي لا يسمعون حسها وحركتها[٣].

وجاء التعبير القرآني بـ (حَسِيسَهَا) بدلاً من حسها؛ لأن الحس بمعنى الصوت وغيره أما حسيسها بمعنى حس صوتها، أي: صوت لحركة، وهي دلالة وطبقة صوتية أضعف وأقل من الحس، فكانت في سياقها أبلغ وأدل على المعنى من غيرها.

ونجد أن الخطاب القرآني عبّر عن صوت نار جهنم بدلالة صوتية منخفضه، فارتبطت هذه الطبقة الصوتية المنخفضة بالنار، وما يرتبط بها من مقام نفسي يملؤه والخوف الذعر في ذلك اليوم.

(١) ينظر: الأصفهاني، مرجع سابق، ٢٠٨.

(٢) ينظر: الألوسي، مرجع سابق، ٨: ٥٤.

(٣) ينظر: ابن منظور، مرجع سابق، (حسس)؛ الأصفهاني، مرجع سابق، (حس).

ويتضح من ذلك تنوع الدلالات الصوتية المنخفضة في الخطاب القرآني، وتدرجها من دلالات الصوت المنخفض، لكنه مسموع مثل: (الهمس، والنجوى، والتخافت بالقول) إلى دلالات الصوت المنخفض جدًا على الأسماع حتى لا تكاد تسمعه ومنها: (الركز، والحسيس)، وارتباط هذه الدلالات المنخفضة بإيحاءاتها المختلفة بمقام الخوف القلق والهلع، فبرزت دقة التعبير القرآني في تنوع هذه الدلالات في سياقاتها المختلفة.

الخاتمة

وبعد دراسة دلالات الصوت في القرآن الكريم خرجت الدراسة بعدة نتائج:

١- تنوع دلالات الصوت في القرآن الكريم بطبقاته المختلفة، ودقة اختيار السياق الكريم لكل دلالة صوتية، دقة تتناسب مع مقامها وسياقها الذي ترد فيه، بحيث تؤثر هذه اللفظة على غيرها مما يقاربها في المعنى لاستدعاء المقام لها، فالقرآن يستخدم دلالة محددة في مواقف معينة منضبطة لا تنفك عنها.

٢- ارتباط الدلالات الصوتية المرتفعة بسياق العذاب والهلاك والذم والتنفير من الأصوات المرتفعة، فكان لهذه الدلالات بطبقتها المرتفعة دورها العميق وأثرها على النفس في التعذيب النفسي الداخلي قبل العذاب الجسدي الخارجي.

٣- أرشد الخطاب القرآني بالدلالات الصوتية المتوسطة إلى المنهج والسبيل الذي يتخذه الإنسان في صلاته ودعائه وخطابه وسائر أمور حياته؛ لأنها هي الطبقة المؤثرة التي تلين معها القلوب وتتأثر بها النفوس.

٤- تنوع دلالات الصوت المنخفضة في الخطاب القرآني، وارتباطها بسياق نفسي مملوء بالخوف والاضطراب لأهوال يوم القيامة، ورهبة هذا المقام.

المصادر والمراجع العربية

أ. **الكتب:**

الأصفهاني، الراغب، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق محمد خليل. (ط٤، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٥م).

الألوسي، محمود، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

الأندلسي، أبو حيان محمد، "البحر المحيط في التفسير". تحقيق صدقي محمد جميل. (ط١، بيروت: دار الفكر، د.ت).

البركاوي، عبد الفتاح، "دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث". (ط١، القاهرة: دار المنار، ١٤١١هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

بلبع، عيد، "السياق وتوجيه دلالة النص". (ط١، مصر: بلنسية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م).

الرازي، أحمد فارس، "معجم مقاييس اللغة". محقق إبراهيم شمس الدين. (ط٢، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

الرازي، أبو عبد الله محمد، "مفاتيح الغيب". (ط٣، بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الزمخشري، جارالله فخر، "أساس البلاغة". (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م).

السامرائي، فاضل صالح، "على طريق التفسير البياني". (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠١٧م).

أبو السعود، محمد بن محمد، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (ط١،

بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٢٨م).
السيوطي، جلال الدين، "الإتقان في علوم القرآن". تعليق مصطفى البغا. (ط١، بيروت: دار كثير، ١٩٨٧م).
الشنقيطي، محمد الأمين، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (لبنان: دار الفكر، ١٩٩٥م).
الشوكاني، محمد علي، "فتح القدير". (ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ).
الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤م).
العارضي، محمد جعفر، "الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم". (أطروحة دكتوراه، الشارقة: جامعة القادسية، ٢٠٠٢م).
ابن عاشور، محمد الطاهر، "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م).
العسكري، أبو هلال، "الفروق اللغوية". تحقيق محمد باسل. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).
الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز". تحقيق محمد النجار. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
القاسم، عبد الحكيم عبد الله، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير". (رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية).
القرطبي، محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق أحمد البردوني. (ط٢، القاهر: دار الكتب المصرية، ١٣٤٨هـ).
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق محمد حسين شمس الدين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
محمود، المثنى عبد الفتاح، "نظرية السَّياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية". (ط١،

عمان: دار وائل، ٢٠٠٨م).

المراغي، أحمد مصطفى، "تفسير المراغي". (ط١، مصر: البابي الحلبي وأولاده، ١٩٤٦م).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، "لسان العرب". (ط٤، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٥م).

ب. الدوريات:

الأكرت، أحمد، "من لطائف النظم القرآني في الكشف عن المعاني في "سورة الملك" دراسة تفسيرية". *المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم بطنطا* العدد الخامس، (٢٠١٩م).

Bibliography

A. Books:

al-Aṣfahānī, al-Rāghib, "al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān". Investigated by: Muḥammad Khalīl. (4th ed., Beirut: Dār al-Ma'rifah, 2005).

al-Alūsī, Maḥmūd, "Rūḥ al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa-al-Sab' al-Mathānī". (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1994).

al-Andalusī, Abū Ḥayyān Muḥammad, "al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr". Investigated by: Sidqī Muḥammad Jamīl. (1st ed., Beirut: Dār al-Fikr, n.d.).

al-Barkāwī, 'Abd al-Fattāḥ, "Dalālat al-Siyāq baina al-Turāth wa-'Ilm al-Lughah al-Ḥadīth". (1st ed., Cairo: Dār al-Manār, 1411 AH).

al-Biqā'ī, Ibrāhīm ibn 'Umar, "Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa-al-Suwar". (Cairo: Dār al-Kitāb al-Islāmī, n.d.).

Balba', 'Īd, "al-Siyāq wa-Tawjīh Dalālat al-Naṣṣ". (1st ed., Egypt: Balansiyah for publications and distribution, 2008).

al-Rāzī, Aḥmad Fāris, "Mu'jam Maqāyīs al-Lughah". Investigated by: Ibrāhīm Shams al-Dīn. (2nd ed., Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2008).

al-Rāzī, Abū 'Abdillāh Muḥammad, "Mafātīḥ al-Ghaib". (3rd ed., Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 1420 AH).

al-Zamakhsharī, Jār Allāh Fakhr, "Asās al-Balāghah". (Beirut: al-Maktabah al-'Aṣriyyah, 2009).

al-Sāmurrā'ī, Fāḍil Ṣāliḥ, "'Alā Ṭarīq al-Tafsīr al-Bayānī". (1st ed., Beirut: Dār Ibn Kathīr, 2017).

Abū al-Su'ūd, Muḥammad ibn Muḥammad, "Irshād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm". (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1928).

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, "al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān". Ta'līq Muṣṭafā al-Bughā. (1st ed., Beirut: Dār Kathīr, 1987).

al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn, "Aḍwā' al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur'ān bi-al-Qur'ān". (Lebanon: Dār al-Fikr, 1995).

al-Shawkānī, Muḥammad 'Alī, "Fatḥ al-Qadīr". (1st ed., Damascus: Dār Ibn Kathīr, 1414 AH).

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, "Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl Āy al-Qur'ān". (Beirut: Dār al-Fikr, 1984).

al-'Āriḍī, Muḥammad Ja'far, "al-Dalālah al-Nafsiyyah lil-Alfāẓ fī al-Qur'ān al-Karīm". (PhD Thesis, Sharjah: University of Al-

Qadisiyah, 2002).
Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, "al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr". (Tunis: al-Dār al-Tūnisiyyah, 1984).
al-‘Askarī, Abū Hilāl, "al-Furūq al-Lughawiyyah". Investigated by: Muḥammad Bāsil. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2009).
al-Fairūz Ābādī, Majd al-Dīn Muḥammad, "Baṣā’ir Dhawī al-Tamyīz fī Laṭā’if al-Kitāb al-‘Azīz". Investigated by: Muḥammad al-Najjār. (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, n.d.).
al-Qāsim, ‘Abd al-Ḥakīm ‘Abdullāh, "Dalālat al-Siyāq al-Qur’ānī wa-Atharuhā fī al-Tafsīr". (Master Thesis, Faculty of Theology, Imam Muhammad bin Saud Islamic University).
al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad, "al-Jāmi‘ li-Aḥkām al-Qur’ān". Investigated by: Aḥmad al-Bardūnī. (2nd ed., Cairo: Dār al-Kutub al-Maṣriyyah, 1348 AH).
Quṭb, Sayyid, "Fī Ẓilāl al-Qur’ān". (2nd ed., Egypt: Dār al-Shurūq, n.d.).
Ibn Kathīr, Abū al-Fidā’ Ismā‘īl, "Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm". Investigated by: Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1419 AH).
Maḥmūd, al-Muthannā ‘Abd al-Fattāḥ, "Naẓariyyat al-Siyāq al-Qur’ānī Dirāsah Ta’ṣīliyyah Dalāliyyah Naqdiyyah". (1st ed., Amman: Dār Wā’il, 2008).
al-Marāghī, Aḥmad Muṣṭafā, "Tafsīr al-Marāghī". (1st ed., Egypt: al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlāduh, 1946).
Ibn Manẓūr, Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn, "Lisān al-‘Arab". (4th ed., Beirut: Dār Ṣādir, 2005).

B. Periodicals

al-Akrat, Aḥmad, "Min Laṭā’if al-Naẓm al-Qur’ānī fī al-Kashf ‘an al-Ma‘ānī fī ‘Sūrat al-Mulk’ Dirāsah Tafsīriyyah". *The Scientific Journal of the College of the Qur’an,* Tanta, Issue 5, (2019).

قضايا الاستشهاد في (موجز البلاغة) للطاهر ابن عاشور(١٣٩٣هـ)

Issues of Citation in the Book Moujaz al-Balagha by Al-Tahir Ibn Ashur

د. هاني بن عبيد الله الصاعدي

الأستاذ المشارك بقسم الأدب والنقد والبلاغة بجامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: haniasaadi@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
04/01/2026		03/03/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-018		

المستخلص

قدَّم الطاهرُ ابن عاشـــور في كتابه (موجز البلاغة) متناً بلاغياً محكم البناء، غزير الفوائد على إيجازه واختصـــاره، وقرب مباحثه ومراميه، ومناحي الإبداع في الموجز عديدة إلا أنّ من أظهرها سوقه للشّواهد الجديدة على المتن البلاغيّ، ونظره الجديد في بعض شـــواهد البلاغيين القديمة، وتحكّم هذه الشـــواهد في ســَير متنه واختيار مقرّراته وظهور إبداعاته، ومن المعلوم أنّ الشـاهد هو ما يؤسِّس القاعدة، ويوضـــّح المقرّر، ويفرّع الأقســـام، ويتأصـــّل عليه كلّ ما في المتن من مقرّرات واختيارات وترجيحات؛ فجاءت هذه الدّراسة لتقف مع قضايا الاستشهاد في هذا الموجز وقفة متأنيّة، تستخلصُ جهات الحسن ومناحي الإبداع ليكون ذلك نموذجاً من النّماذج التي تُحتذى.

الكلمات المفتاحية: الاستشهاد – الشاهد – موجز البلاغة – ابن عاشور

Abstract

Al-Ṭāhir Ibn ʿĀshūr, in his book Mūjaz al-Balāghah, presented a rhetorical text that is tightly structured and rich in benefits despite its brevity and concision, as well as the accessibility of its topics and aims.

The avenues of creativity in this concise work are numerous; however, among the most prominent of them are his introduction of new illustrative citations to the rhetorical corpus, his fresh perspective on some of the classical rhetorical examples, and the extent to which these citations govern the progression of the text, the selection of its principles, and the manifestation of its innovative aspects.

It is well known that the illustrative citation is what establishes the rule, clarifies the principle, delineates the categories, and upon which all the principles, choices, and preferences within the text are ultimately grounded. Accordingly, this study examines the issues of citation in this concise work through a careful and deliberate approach, extracting aspects of excellence and dimensions of creativity, so that it may serve as a model to be emulated.

Keywords: "citation – illustrative example – Mūjaz al-Balāghah – Ibn ʿĀshūr"

المقدّمة

الحمدُ لله الذي دلّت شواهدُ إنعامِه على عَظيم برّه بعباده، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد الشّاهد على أمّته بتبليغ رسالته وأداء أماناته، وعلى آله وصحبه العُدول الشُّهود، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الخلود.

أمّا بعد؛ فقد استجمع كتاب (موجز البلاغة) للطّاهر ابن عاشور شرائط الحسن ومقوّمات الإبداع، مع صغر حجمه وقرب مراميه، وكانت جهة استشهاده على المقرّرات البلاغية هي الجهة الأكثر ثراءً وإبداعاً، حتى ليخيّل للنّاظر أنّ هذا المتن صِيغ على ضوء شواهده، وأنها هي التي توجّه مساراته وتبتدع مسائله، فلا غرو أن تجد نوعاً جديداً لم يَسبق للبلاغيين أن تطرّقوا له، قد استنبطه الطّاهر لاستحضاره شاهدَه، وأن تجده مرةً يذكر في نوع آخر بأنه ظفر له بمثالين من كلام العرب، منبّهاً على أنّ كلام العرب بين يديه وهو يصوغ هذا المتن، أو أنه في مرحلة سابقة لكتابة هذا المتن كان يقرأ كلام العرب مستحضراً مقرّرات البلاغة ومسائلها، وقد تجده مرةً أخرى يشير إلى أنّ هذا النّوع البلاغيّ كثير في كلام العرب، أو أنّ ذلك الأسلوب لم يكن معروفاً في شعر العرب إلا في بيت فلان وفلان، كما كانت لديه شواهد بلاغيّة مشهورة في أبواب أخرى غير ما هي عليه عند البلاغيين، فضلاً عن الشّواهد الكثيرة من القرآن والحديث النبويّ وشعر العرب ومنثورهم التي لم يكن لها وجود في كتب البلاغيّين قديماً وحديثاً.

ذلك ما دعاني لبحث قضايا الاستشهاد في هذا المتن الموجز، مستحضراً قيمة الشّاهد البلاغيّ في صياغة المتن البلاغيّ، وتقرير قواعده، واستخلاص مسائله، وضبط مناهجه، وأنّه الأساس المكين في التّأسيس والتّقرير، والموجّه النّصيح في الاختيار والتّأويل، والحَكَم العدل عند التّنازع والاختلاف، والمصدر الأساسيّ في ابتكار الأنواع واستنباط المزايا، والنّموذج الأمثل في التّهدّي لملكة البلاغة والفصاحة.

وهدف الدّراسة هو تقديم هذا النّموذج ليكون واحداً من النّماذج الراقية التي تُحتذَى في صناعة المتون العلمية، وتثوير المسائل القديمة، والسّعيّ لإبراز مناحي الإبداع العلمي في غير مظانّه المعروفة؛ ذلك أنّ المتون محلّ الاختيار والاختصار والتقريب، وتلك غايات تجاوزها الطّاهر ابن عاشور إلى الابتكار بفضل ما طُبع عليه من ملكة إبداعيّة، وثقافة واسعة، وطموح إصلاحيّ.

وبما أنّ الدّراسة تركّز على هدفها في إبراز هذا النموذج بتجلياته المنهجية والإبداعية، فلن تنشغل بتوثيق شواهد ابن عاشور إلا من الجهة التي تصبّ في هدفها، خاصّة أن هذا العمل قد عُني به محقق الموجز الدكتور أحمد بن محمد الشهري، وشارحها الدكتور عبد الله الفوزان في كتابه (الوسيلة والبلاغة في شرح موجز البلاغة)، والدّراسة تحيل إليهما في هذا الجانب التحقيقي؛ منعاً من تضخّم هوامش البحث وزيادة عدد مصادره.

وأمّا خطّة البحث فهي كالآتي:

- **مدخل: عناصر الاستشهاد:** (الشاهد ــ المُستَشهِد ــ المستشهَد فيه ـ المُستشَهَد به).
- **المبحث الأول: القضايا المنهجية** (توثيق الشاهد – تكرار الشاهد – تكثير الشواهد – التعليق على الشواهد — الكثرة والقلة – القديم والحديث).
- **المبحث الثاني: القضايا الإبداعية** (الشواهد الجديدة على المتن البلاغي– الشواهد القديمة في سياق جديد — أسس اختيار الشواهد).

مدخل: عناصر الاستشهاد

أولاً: الشّاهد:

لا يخفى أنّ العلوم والمعارف في ثقافتنا العربية وحضارتنا الإسلامية مؤسّسة على النصّ، هو الذي يؤسّس قواعدها، ويبني أصولها، ويوجّه مقرّراتها، ويفضّ النّزاع حول مسائلها، ويجدّد روحها، وينمّي جدوى توظيفها وصلتها بالحياة والإبداع، وقد قال الجاحظ: "ومدارُ العلم على الشّاهد والمَثَل"(١).

وفي علومنا العربية تكون الشواهد العربية هي العلوم العربية نفسها، كما قال محمد الطنطاوي: "إنّ الشّاهد في علم النّحو هو النّحو"(٢)؛ ذلك أنّ قواعد اللّسان ومعاني البيان مبناها على السّماع من العرب، وقد كانت علوم اللّغة هي اللّغة نفسها قبل أن يتّسع بها التنظير، قال محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس: "كَفَاك من علم الدِّين أن تعرف ما لا يسع جهله، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشّاهد والمثل"(٣).

وكان المؤسّسون لهذه العلوم لا يُقدّمون على الشّاهد شيئاً في عملهم العلمي والبحثي، قال الأصمعي: سألتُ أبا عمرو بن العلاء عن أَلِف مسألة، فأجابني فيها بأَلِف حُجّة، أي: ألف شاهد(٤).

ويقول ابنُ سنان الخفاجيّ: "أفتقرُ إلى تأمّل الديوان الكامل حتى أظفر منه

(١) الجاحظ، "البيان والتبيين"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ١: ٢٧١.

(٢) محمد الطنطاوي، "نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة"، تحقيق وتصحيح ومراجعة: عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، (ط١، مصر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، ١٩٧.

(٣) الجاحظ، "البيان والتبيين"،١:٨٤.

(٤) جمال الدين القفطي، "إنباه الراوة في أخبار النحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، بيروت: دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م)، ٤: ١٣٣.

بالكلمات اليسيرة، فأوردها مثلاً"[١]؛ ولذلك أخلى كتابه من الأمثلة المصنوعة.

ويقول عبد القاهر الجرجاني: "ثمّ إنّك تحتاج أن تستقريَ عدة قصائد، بل أن تَفلِيَ ديواناً من الشّعر حتى تجمع منه عدَّة أبيات"[٢].

ولا يوثق بمسألة حتى يحضر شاهدها، ومن أجل هذا سمّي الشّاهد شاهداً؛ لأنه في اللّغة "يدلّ على معنى حضور وعِلم وإعلام"[٣]، فهو حضورٌ لدليل المسألة، وعلمٌ بأصلها، وإعلام للمخاطب بموردها، وبمعنى آخر: إحضار للدليل الذي يُثبت القاعدة.

وعليه فقد عُرّف الشّاهد عند علماء العربية بأنه: "الجزئيّ الذي يُستشهد به في إثبات القاعدة، لكون ذلك الجزئيّ من التّنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيّتهم"[٤].

وهذا التعريف حاصرٌ للشاهد في وظيفة إثبات القاعدة، والحقّ أنّ وظيفة الشاهد تتجاوز ذلك إلى الحكم بصحّة اللفظة والتركيب، وبيان ما قد يعتري القاعدة من الشذوذ[٥]؛ ولذلك وقف علماء العربية بالشّاهد عند عصور الاحتجاج، قبل شيوع اللّحن وفساد الألسنة وتناقص الملكات، حيث حدّوا ذلك بمنتصف القرن الثاني الهجري

(١) ابن سنان الخفاجي، "سرّ الفصاحة"، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: د. النبوي عبد الواحد شعلان، (ط١، مصر: المكتبة الخيرية، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)، ١٢٤.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود شاكر، (ط٥، القاهرة: مكتبة الخانجي،١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م)، ٨٩.

(٣) أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل ودار الفكر، د.ت)، مادة: شهد.

(٤) محمد علي التهانوي، "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، (ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م). ١:١٤٤٧.

(٥) ينظر: عبد الرحمن الشهري، "الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم"، (ط١، الرياض: مكتبة دار المنهاج،١٤٣١هـ)، ٦٠.

في الحواضر، ومنتصف القرن الرابع في البوادي[١].

والواقع أن هذا الاختصاص الزمني يتعلّق بعلوم اللغة والصرف والنحو دون علم البلاغة والمقررات النقدية؛ إذ من المتفق عليه أنّ شواهد البلاغة يراد بها بيان المعاني وإيضاح المقررات المتعلقة باللطائف التي مستقاها العقل، وتلك غير محصورة بزمن دون زمن، أو جيل دون جيل، وقد نقل ابن رشيق عن ابن جني قوله: "يُستشهد بشعر العرب المولّدين في المعاني كما يُستشهد بشعر العرب في الألفاظ"، وعلّق عليه بقوله: "والذي ذكره أبو الفتح صحيح بيّن؛ لأنّ المعاني إنّما اتّسعت لاتّساع الناس في الدنيا، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض، فمصّروا الأمصار، وتأنّقوا في المطاعم والملابس، وعرفوا بالعِيَان عاقبة ما دلّتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره"[٢].

وقد اتّسعت مصادر البلاغة بشواهد عصورها، وإن كان ذلك قد تناقص مراعاته بعد استقرار البلاغة على متن السّكاكي المشهور، وغدت أغلب شواهدها تنتمي إلى ذلك المتن الذي دارت حوله الشروح والحواشي، وذلك الاتساع إجماعٌ عمليٌّ على عدم حدّ شواهد البلاغة بعصر معين في الاحتجاج، حتى إن عبد القاهر الجرجاني –وهو المؤسّس الحقيقي لعلم البلاغة– قد استشهد على مقرّراته من كلّ العصور، وكانت أكثر شواهده من العصر العباسي القريب منه، "وقد حظي ابن المعتز، والبحتري، والمتنبي، وأبو تمام، بالحظّ الأوفر من هذه الشّواهد"[٣]، وتجاوز ذلك حتى استشهد ببيت فارسي

(١) ينظر: جلال الدين السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، شرحه وضبطه وصحّحه وعنّون موضوعاته وعلّق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٦م)، ٢: ٤٨٤.

(٢) ابن رشيق القيرواني، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط١، القاهرة: دار الطلائع ٢٠٠٦م)، ١: ٢٠٤.

(٣) محمد الأمين المؤدب، "الشاهد البلاغي وإشكالية النموذج – قراءة في أسرار البلاغة =

بعد ترجمته، وذلك في حسن التعليل الذي يكون مبناه على التخييل، وهو قول الشاعر:

لو لم تكن نيّةُ الجَوزاءِ خِدمتَهُ *** لَمَا رَأيتَ عليها عِقدَ مُنتطِقِ[١]

ومن هنا تميّزت الشواهد البلاغية عن غيرها بهذا الاتساع، وأصبح الباب مفتوحاً أمام كل بلاغي يقرّب مباحث هذا العلم، أو يعيد صياغة متنه، لإضافة شواهد جديدة تمثّل عصره وثقافته، ومن ثمّ كانت هذه الجهة تحديداً معياراً دقيقاً في تجدّد البلاغي وتجدّد بلاغته، بما أنّ الشّأن في المقرّرات البلاغية متعلّق بالمعنى، فاكتشاف مقرّر جديد أو أسلوب جديد مرتبطٌ باكتشاف شاهده.

وبعد هذه الافتراقات الجوهرية بينه وبين شواهد اللغة والنحو والصرف، هل يسمّى الشاهد البلاغي شاهداً بالمعنى الاصطلاحي الذي حدّده العلماء؟

منهم من ذكر أن الشواهد البلاغية لا تعدّ شواهد بالمعنى الاصطلاحي الدقيق، فكثيرٌ منها يعدّ أمثلة للقواعد التي وضعها البلاغيون[٢]؛ لافتقادها قيدين في التعريف الاصطلاحي الذي سبق نقله عن التّهانوي، وهما إثبات القاعدة، وزمن الاحتجاج، وهما قيدان متعلّقان بالعلوم الحافظة للغة كالنحو والصرف مثلاً، لا العلوم البلاغية والنقدية المتعلّقة بالمعنى ودلالات التراكيب والصور والمحسنات، وهو ما يعني خصوصية ذلك التعريف، وعدم الإلزام به، خصوصاً أنّ علماء البلاغة المتقدّم منهم والمتأخّر قد أطلق هذا الإطلاق "الشاهد" بالإطلاق، ولم يميّز غالباً بين شاهد ومثال، كما مرَّ إطلاقه عند

للجرجاني"، (العدد الخامس: نادي جدة الأدبي، مجلة جذور، نادي جدة الأدبي، مايو ٢٠٠١م)، ٤٠٧.

(١) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة"، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، (ط١، جدة –القاهرة: دار المدني، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م)، ٢٧٨.

(٢) ينظر: عبد السلام هارون، "معجم شواهد العربية"، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت)، ١١.

الجاحظ من الأوائل، وكما في عنونة عبد الرحيم العباسي لكتابه (معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص) من المتأخرين، ولا يخرج من ذلك إلا الأمثلة المصنوعة التي ينقلها المؤلّف أو يبتكرها؛ لإيضاح المقرّر البلاغي وتقريبه، بيد أنّنا في هذا المقام سنشملها تحت ذلك الإطلاق، من باب التسامح واستيعاب المادة المدروسة في هذا الإطار، وبذلك تنحصر الشواهد البلاغية في خمسة أنواع:

الأول: الشواهد القرآنية.

الثاني: الشواهد النبوية.

الثالث: الشواهد الشعرية.

الرابع: الشواهد النثرية.

الخامس: الأمثلة المصنوعة.

ثانياً: المُستَشْهِد:

وهو العالم أو المؤلّف الذي استشهد بالشواهد في كتابه، ولا يجدر بهذا الوصف إلا من كانت له شواهد جديدة، استحضرها من حفظه وثقافته بكلام العرب، أو كانت له نظرات جديدة في الشواهد القديمة، أما الناقل لسابقه المتابع لغيره فلا يحقّ له هذا الوصف إلا من باب التسامح.

والطاهر ابن عاشور من النوع الأول بلا ريب، فعلى الرغم من تأخّر زمانه إلا أنه أشبه القدماء في سعة اطلاعه على كلام العرب، ودراسته له، وقوّة استحضاره لشواهده، وتكوينُه العلميّ ومؤلّفاته المتنوعة ناطقةٌ بهذه الحقيقة، حيث درّس ديوان الحماسة في وقت مبكر من تحصيله، وكان تدريسه يجمع بين اللّغة والنّقد والذّوق الأدبي[1]، ومجرد الإقبال على تدريس ديوان الحماسة يدلّ على رغبة إصلاحية مبكرة في ربط الناشئة

(١) ينظر: محمد محفوظ، "تراجم المؤلفين التونسيين"، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت)، ٣: ٣٠٤ – ٣٠٥.

بكلام العرب، وعدم الاستغناء بمتون علوم العربية عن تذوق العربية نفسها، كما يدلّ من وجه آخر على أهليّته لمباشرة تلك النصوص القديمة شرحاً ونقداً وتذوّقاً، والذي تجلّى بعدُ في تعاطيه مع نصوصها وشواهدها في كلّ مؤلّفاته الرصينة، سواء في تحقيقه للدواوين والشّروح كتحقيقه لديوان النابغة الذبياني، وديوان بشار بن برد، وديوان سُحيم، وتحقيقه لسرقات المتنبيّ ومُشكل معانيه لابن بسّام النحوي، والواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهانيّ، أو في شروحه المطوّلة والمختصرة، كشرحه لمقدمة شرح المرزوقي لحماسة لأبي تمام، وشرحه قصيدة الأعشى في مدح المحلّق، وشرحه معلقة امرئ القيس، ووقفاته الكثيرة مع شواهد العربية في سائر كتبه وأبحاثه الأخرى في التفسير والحديث والفقه والسيرة وعلوم العربية.

إنّه لا يبعد القول أنّ متانة علم ابن عاشور وإبداعه العلمي يعود بالأمر الأول إلى اتصاله الشديد بمنبع الفصاحة ومدار البلاغة المتمثّل في البيان القرآني، والبيان النبوي، والبيان العربي، حيث كانت أغلب المسائل والقضايا التي يحرّرها، أو يستدرك فيها، أو يضيف عليها، أو يبتكرها، تتأسّس على شاهد عربي، أو ما يؤول إليه الاستقراء والتتبع في الكلام العربي الفصيح، وأظهر تلك القضايا التي ابتكرها من هذا المدار الفسيح قضية "مبتكرات القرآن"، التي جدّ باسمها ورسمها في بلاغة القرآن، وكان النظر موكولاً في الحكم بالابتكار من عدمه للشاهد العربي قبل القرآن وأثناء نزوله، كما يصرّح ابن عاشور كثيراً في عبارات المبتكرات، بأنه لم يعثر على ذلك في كلام العرب قبل القرآن، وهذا يفيد استقراءً طويلاً، وثقةً بثقافته الواسعة بكلام العرب، وإلا لما أقدم على هذا الباب الصعب(١).

ومن البيّن أنّ عمل الشّواهد العربية في بحث ابن عاشور كعملها لدى أوائل علماء

(١) ينظر: هاني بن عبيد الله الصاعدي، "مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور – دراسة بلاغية"، (١٤٣٤هـ: رسالة ماجستير، جامعة أم القرى).

العربية، تؤسّس معرفة جديدة، والعلومُ العربية التي يُظنُّ أنه قد اكتمل بناؤها، واستقرّت أوضاعها، هي علوم قابلة للزّيادة والاتّساع بالشّواهد التي فاتت على مؤسسيها أو على شارحي متونها، فعند قوله تعالى﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾(البقرة:١١١)، يكتشف ابن عاشور نوعاً جديداً من أنواع الإيجاز لم يسبق إليه، فبعد تحليل تركيبها يهديه هذا الشاهد لأن يقول: "فينبغي أن يُعدّ قسماً ثالثاً من أقسام الإيجاز، وهو إيجاز حذف وقصر معاً"(١).

ثالثاً: المُستَشهَد فيه:

ونقصدُ به كتابه موضع الدراسة (موجز البلاغة)، وهو متن بلاغيّ تعليميّ، ألّفه الطّاهر بُغيةَ تقريب علوم البلاغة للمبتدئين من طلاب الزيتونة، لأهل السَّنة الأولى من المرتبة المتوسّطة، قال في مقدمته: "فإنّي رأيت طلبة العلم يزاولون علم البلاغة بطريقة بعيدة عن الإيفاء بالمقصود، إذ يبدؤون بمزاولة (رسالة الاستعارات) لأبي القاسم الليثي السمرقندي، وهي زبدة مستخلصة من تحقيقات (المطوّل) و(المفتاح) يحتسونها قبل إبّانها، ثم يتناولون (مختصر التفتازاني) قبل أن يأخذوا شيئاً من علم المعاني، وفي ابتدائهم شَوط، وانتقالهم طَفرَة، فرأيت أن أضع لهم مختصراً وجيزاً يلمّ بمهمّات علم البلاغة؛ ليكون لهم كالمقدّمة لمزاولة دروس (مختصر التفتازاني)، وضعته وضعَ مَن يَقصد إلى تثقيف طلبة هذا العلم بالمسائل النافعة المجرّدة عن المباحث الطفيفة في فنون البلاغة الثلاثة، فإن هم أتقنوه فهماً ضمنت لهم أن ينطقوا بلسان فصيح، ويملؤوا أوطاب أذهانهم من المحض الصريح"(٢).

فالدافع من تأليفه كان تقريب علم البلاغة، والفئة الموجّه إليها الكِتاب هم المبتدئون،

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، (تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م)، ١: ٦٧٣.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، تحقيق وشرح: د. محمد أحمد آل مزهر الشهري، (ط١، مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)، ٢٧-٢٩.

والعمل فيه كان على الاختصار والإيجاز الذي يلمّ بمهمّات علم البلاغة، ويثقف طلبة هذا العلم بالمسائل الأساسية دون المباحث الدقيقة التي لا يحتاجونها في هذا المرحلة، والغاية التي يرمي إليها الكتاب، أو الثمرة المرتبة من إتقانه، مزدوجة بين تحقيق البلاغة الإنشائية المتمثّلة في حسن إبداع الكلام البليغ كتابة وتحدّثاً، وتحقيق البلاغة العلمية المتمثّلة في حسن النظر إلى الكلام البليغ، وتمييز طبقاته، واستنباط مزاياه.

ومع ذلك فقد تميّز هذا الموجز بمحاسن جمّة، اتسع بها ليُضمّ للكتب المبدعة في حسن تصنيفها، وكثرة فرائدها، ولم يكن الطاهر متوقّفاً على تقرير ما قاله السّلف أو تأكيده، بل أعمل نظره في كثير من المباحث مقوّماً ومسدّداً ومضيفاً، ولابسته الملكة الإبداعية في كثير من المناحي، حتى غدا إيراده للمقرّرات البلاغية المعتادة والشواهد المشهورة تأكيداً لأهليّتها وتعزيزاً لقيمتها؛ لأنه جاءت ضمن هذا السياق الإبداعي الذي صيغ فيه هذا الموجز صياغة واعية، تختار ما هو الأفضل في حقّه وسياقه.

وأمّا عن زمن تأليفه فكان في عام ١٣٤٣هـ، بعد قليلٍ من شروعه في تأليف تفسيره (التحرير والتنوير)، الذي ابتدأه في عام١٣٤١هـ، وفَرَغَ منه عام١٣٨٠هـ، فكانت مدّة تأليفه أربعين عاماً إلا أشهراً، وهذا ما يُفيدنا في تصوّر الجو البياني الذي كان يعيشه الطاهر، في التحامه بالنّصوص البيانية الرفيعة تفسيراً وتذوّقاً واستلهاماً.

رابعاً: المُستشهَد به:

حضرت أنواع الشّواهد كلّها في هذا الموجز الوجيز، وتصدّرت الشواهد القرآنية بنحو مئة شاهد وشاهد، تكرّر منها شاهد واحد في ثلاثة مواضع، وأربعة شواهد في موضعين، فكان جملة الاستشهاد بالقرآن في مئة وسبعة مواضع.

ثم وَلَيها الشّواهد الشعرية بنحو اثنين وتسعين شاهداً، تكرّر منها شاهد واحد في أربعة مواضع، وثلاثة شواهد في موضعين، فكان مجموع الاستشهاد بالشّعر ثمانٍ وتسعين موضعاً.

وجاءت الأمثلة المصنوعة في أربعة وخمسين شاهداً، لم يتكرّر منها شيء، وكان منها ما أصلُه مما قالته العرب نحو: حاتم كثير الرماد، أو في الكناية: عريض القفا وكثير الرماد، وفلان جبان الكلب ومهزول الفصيل، فهي بهذا الاعتبار من الشواهد النثرية، ولكنها اعتبرت أمثلة مصنوعة بحسب طريقة إيرادها في هذا الموجز.

وبلغت الشّواهد النّثرية نحو خمسة عشر شاهداً، لم يتكرّر منها شيء، ويلحق بها الأمثال العربية التي بلغ عددها خمسة أمثال، تكرّر منها شاهد واحد في موضعين، فكان الاستشهاد بالنثر نحو واحد وعشرين موضعاً.

وأمّا الشّواهد النّبوية فبلغت أحد عشر شاهداً، أُدخل في عدادها ما صاحب البيان النبوي من بيان غيره من الصّحابة رضوان عليهم أو غيرهم، كقولهم: "بَقرةٌ تكلّمتْ"، وكلام النّساء في حديث أمّ زَرْع، فقد استشهد به ابن عاشور في موضعين، وقد تكرّر من تلك الشّواهد شاهد واحد في موضعين، فكان الاستشهاد بالبيان النّبوي في نحو اثني عشر موضعاً.

ونتج من ذلك أنّ عدد الشواهد البلاغية بالإضافة إلى الأمثلة المصنوعة قد وصل إلى نحو مائتين وثلاثة وسبعين شاهداً، وبلغ عدد مرات الاستشهاد نحو مائتين واثنتين وتسعين مرة، وهذه نسبة كبيرة تتجاوز حدود المتوقّع في موجز كهذا الموجز، وهي تكشف لنا بوضوح مركزيّة الشاهد في صياغة هذا المتن الوجيز.

ثمّ إنّ نسبة أنواع هذه الشواهد كثرةً وقلةً في هذا الموجز جاءت على ما هو معتادٌ في المصادر العربية على وجه العموم، والمصادر البلاغية على وجه الخصوص، حيث تتصدّر دائماً الشّواهد القرآنيّة والشّواهد الشّعريّة، وتقلّ الشّواهد النّبويّة والشّواهد النثريّة، لكنّ اللّافت أنّ هنالك شواهد جديدة من كلّ نوع من تلك الأنواع، كما سيأتي.

المبحث الأول: القضايا المنهجيّة

قد يبدو لنا من الوهلة الأولى أنّ الطريقة التي اتّبعها ابن عاشور في إيراده الشّواهد البلاغية لم تكن مطردة، ولم يكن يحكمها ضابط ولا منهجيّة معيّنة، وأنها اتسمت بالحرية المطلقة وتعدّد الوجوه، وهذا صحيح من حيث العموم، ولكن ثمة لفتات منهجيّة وإشارات دالّة تضمنتها هذه الطريقة الحرّة، يمكن قراءة ما وراءها من طريقة في التفكير أو التوثيق أو الاختيار أو التعليق، وسنحاول استيعاب هذه القضايا من خلال العناوين الآتية:

توثيق الشواهد:

يحرص ابن عاشور في الأغلب على توثيق شواهده؛ لأنّ ذلك يزيد من صحّة الاستدلال بها، وقوّة الوثوق بمصدرها لدى المتلقيّ، وذلك من أصالة منهجه في سائر كتبه، كما هو حاصل في تفسيره الكبير (التحرير والتنوير)، وفي هذا الموجز الذي صرّح بمعظم قائليها من شعراء ونثّار، إلا ما اشتُهر مجيئه بلا نسبة، كبيت:

وقَبرُ حَربٍ بمكان قَفرُ *** وليس قُربَ قَبر حَربٍ قَبرُ

وعبارته فيه تدلّ على اهتمامه بمسألة التوثيق، حيث قال: "نحو قول الرّاجز الذي لا يُعرف"(١)، فلو كان يُعرَف لذكره، ومثله ما جاء في شاهد الفصل والوصل المشهور عند البلاغيين، قال: "نحو قول الشاعر الذي لم يُعرف:

أقولُ له ارحلْ لا تُقيمنَ عِندنا *** وإلا فكُنْ في الجَهرِ والسِّرِّ مُسلِما"(٢).

وقد حظي اثنان وسبعون شاهداً من الشّواهد الشعرية بتعيين قائله، في مقابل عشرين شاهداً لم يعيّن قائلها، سبعةٌ من هذه العشرين بلا نسبة في سائر المصادر،

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، ٤٥.

(٢) السابق، ١١٢.

واثنا عشر شاهداً ما بين معروف القائل، كبيت أوس بن حجر:

الألمعيُّ الذي يَظنُّ بكَ الظّنـ ـنَ *** كأنْ قَدْ رأى وقَدْ سَمِعا[١]

وبيت ابن خفاجة في التّشبيه:

والرِّيحُ تَعبثُ بالغُصونِ وقَدْ جَرَى *** ذَهَبُ الأَصيلِ على لُجَينِ الماءِ[٢]

ومختلفٌ في نسبته كالبيت المشهور من شواهد البلاغيين:

* أيادٍ لم تَمنْ وإن هي جلّتِ *[٣]

نعم، كان بعض تلك الشواهد غير المنسوبة في (موجز البلاغة) معروفَ النّسبة قد لا تخفى على علم ابن عاشور، لكن العالم لا يُحاسب بمنطق الاطّراد في مثل هذه القضايا التحقيقية؛ ذلك أنه كثيراً ما يُشغل بتحرير المسألة، فلا يعنيه تعيين القائل بقدر ما يعنيه موضع الاستشهاد، ويكفي أن تكون الكثرة الكاثرة من شواهده منسوبة لأصحابها، وأن يكون له عناية في بعض شواهده بتحقيق نسبة الشاهد، أو الاستطراد بالتعرّف على صاحبه، ومراجعة كتب الشواهد في ذلك، والاستدراك عليها، كما وقع ذلك في التحشية على بيت مروان بن أبي حفصة:

له حاجبٌ عن كلِّ أَمرٍ يَشينهُ *** وليسَ له عن طالبِ العُرفِ حاجبُ

قال ابن عاشور: "هو المكنّى بابن أبي السّمط، وهي كنية أبي حفصة لم تشتهر عند الأدباء، وقد نُسب هذا البيت إليه بعنوان هذه الكنية، فتوقّف في معرفته الكاتبون، حتى إنّ صاحب (معاهد التنصيص) ترك موضع ترجمته بياضاً"[٤].

---

(١) السابق، ١١٨.

(٢)السابق، (ص ١٣٤). اكتفى ابن عاشور بهذا الشطر محلّ الشاهد، فتابعته على ذلك.

(٣) السابق، (ص١٤٢) .

(٤) السابق، ٦٥. قال محمد محي الدين عبد الحميد محقّق (معاهد التنصيص على شواهد =

فمجرد إدراج هذا المعلومة التوثيقية في حاشـــية هذا الموجز الموجّه للمبتدئين، تؤكّد مدى عناية ابن عاشور بشواهده، ونصحه لقارئه، فمظنّة هذا التحقيق أن يكون محلّه المطوّلات والشّـروح، وأن يستأثر به صـاحبه لحين إتيان مقامه المناسـب، بيد أنّ السّـــياق التـأليفيّ في وعي ابن عـاشـــور واحـدٌ كلّـه في نثر الفرائـد، والتعقيـب بالاستدراكات.

ولا يختلف توثيق الشواهد النبوية والنثرية عن توثيق الشعر، وإن كان ابن عاشور لا يعنى بتخريج الأحاديث النبوية من مصـــادرها، أو ذكر درجة صـــحّتها، وقد أورد حديثاً لا يصحّ رفعه للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في شواهد إيجاز الاختصار، وهو حديث: "ليكنْ ثوبُك إلى الكعبين فإنه أنقى وأبقى"(١).

تكرار الشواهد:

تكرار الشـواهد في مواضـع مختلفة، والإتيان بها بأكثر من وجه في الاسـتدلال، أمرٌ شـــائع لدى جمهرة العلماء، والشـــواهد بطبيعتها تحمل وجوهاً من المعاني المختلفة

التلخيص): "في المخطوطتين والمطبوعتين بياض، ويظهر أنّ المؤلّف تركه حتى يجد له ترجمة، ثم لم يعثر له على ترجمة". محمد محي الدين عبد الحميد، "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص"، عبد الرحيم العباسي، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد محي الدين عبد الحميد، (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٧م، د.ت)، ١: ١٢٧. مع العلم أن ابن عاشور يعنى بالتوثيق من كتاب (معاهد التنصيص) كثيراً في شواهده وترجماته للشعراء، ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، شرح ديوان النابغة الذبياني، (ط١، تونس: دار سحنون، دار السلام : القاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ١٨/١١.

(١) قال محقّق الموجز محمد الشّهري: "أخرجه بنحوه أحمد في مسنده (٢٣٠٨٦) ولا يصحّ مرفوعاً، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث (١٨٥٧)، وأصله في البخاري موقوفاً على عمر (٣٦٩١) بلفظ: "ارفعْ ثوبَك فإنّه أنقى لثوبك، وأتقَى لربّك"، ولا شاهدَ فيه على هذه الرواية"، ١٢٢.

والتراكيب المتنوعة، وموطن الشاهد لا يحصره في موضع الاستشهاد به، وبلا ريب أن تكرارها والنظر إليها من جهات مختلفة أدعى لفهمها، وأعون على اتساع الرؤية والانتفاع ببلاغة الشاهد وتحليله، وهو نوع من التكامل في التعاطي مع الشواهد البيانية، كمثل التنوع في الشواهد، وجود أحدهما مكمّل للآخر، وإن كان الأصل في تنويع الشواهد وتكثيرها.

ومن أظهر الشّواهد المكرّرة في تحقيق تلك الفوائد من التّكرار، قول محمد بن وهيب في مدح المعتصم العباسي:

ثَلاثةٌ تُشرِقُ الدُّنيا بِبَهجَتِهَا *** شَمسُ الضُّحَى وأَبُو إِسْحَاقَ والقَمَرُ

فقد استشهد به ابن عاشور في الموضعين اللذين استشهد بهما البلاغيون، في تقديم المسند والتشويق إلى ذكر المسند إليه(١)، ثم في باب الفصل والوصل عند تحديد أنواع المناسبات بين المتعاطفات، وتحديداً حينما يكون التناسب موهوماً، ومجرد دعوى في المقامات الشعرية واللطائف(٢)، وهو ما يسمى عند البلاغيين الجامع الوهمي، ووجه الاستشهاد هو العطف بين شمس الضحى وأبي إسحاق والقمر(٣).

(١) ينظر: السابق، ٧٥. ينظر كذلك: الخطيب القزويني، "تلخيص المفتاح"، حققه وخرّج ما فيه وعلّق عليه وصنع فهارسه: د. ضياء الدين عبد الغني القالش، (ط١، استطنبول: دار اللّباب، ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)، ٩٠.

(٢) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، ١٠٨. ينظر: سعد الدين التفتازاني، "شرح تلخيص المفتاح (المطوّل)"، حققه وخرج ما فيه وعلّق عليه وصنع فهارسه: د. ضياء الدين عبد الغني القالش، (ط٢، استطنبول: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، ١٤٤٦هـ — ٢٠٢٤م، ٤٨٥.

(٣) قال السعد التفتازاني: "فإنّ الوهم يبرزها في معرض الأمثال ويتوهم أن هذه الثلاثة من نوع واحد، وإنما اختلفت بالعوارض والمشخصات، بخلاف العقل فإنه يعرف أنّ كلّا منها من نوع =

ولعلّ هذا هو الشاهد الوحيد لدى ابن عاشور من هذا النوع الذي يستشهد به في موضعين على وجهين مختلفين من المزية البلاغية، وأما بقيّة شواهده المكرّرة فقد تكرّرت مواضعها مع اتحاد وجه الاستشهاد بها، كمثل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة:٥) فقد استشهد به في المرة الأولى في توضيح الخصوصيات في مباحث علم المعاني، وفي المرّة الثانية في تقديم المفعول للحصر، وفي المرة الثالثة في طريق التقديم من طرق القصر(١).

وقد بلغتْ الشّواهد المكرّرة في (موجز البلاغة) نحو عشرة شواهد، أربعةٌ من الشّواهد القرآنية، وشاهد من الشّواهد النبويّة، وأربعة شواهد من الشّواهد الشعريّة، وشاهد من الأمثال العربية، ولم يتكرّر شيء من الأمثلة المصنوعة، وهذا يكشف عن شيء من الغرض الأساسيّ من التّكرار، وهو التربية البيانيّة على حسن التذوق، وهو ما لا تؤديه تلك الأمثلة المصنوعة، والتي هي محكومة بسياقها في التقريب والإفهام.

تكثير الشواهد:

تختصّ الشواهد البلاغية بوظيفة أخرى غير قضية بيان المقرّر البلاغي، واستنباط المزية، وهي وظيفة تنمية الذوق والتدريب العملي على حسن إنشاء الكلام البليغ، وتكثيرُ الشواهد في الكتب البلاغية يصبُّ في تحقيق هذا الغرض، قال ابن رشيق: "كلَّما أكثرتُ من الشّواهد فإنّما أريد بذلك تأنيس المتعلِّم وتجسيره على الأشياء الرائعة"(٢).

والشواهد أولى بالذّكر في تحقيق هذا من المقرّرات البلاغية؛ لأنّ الملكة اللسانية

آخر، وإنما اشتركت في عارض هو إشراق الدنيا ببهجتها، على أنّ ذلك في أبي إسحاق مجاز". المطوّل، ٤٨٥.

(١) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، ٣٥/٨٠ / ٨٧ .

(٢) ابن رشيق، "العمدة"، ٢: ٥٢.

لا تنشأ بمدارسة علوم العربية، وإنما تنشأ فقط بمدارسة البيان العالي وتفقده ومزاولته ومراجعته(١).

وتجد ذلك عند النّحاة أيضاً؛ لإدراكهم أنّ هذه الشواهد هي خير من يَصِل طالب العربية بالبيان البليغ، بالإضافة لتقوية استدلالهم من خلال بيان كثرة وجود ذلك في كلام الفصحاء، وهذا يحقق مقاصد تعليمية معلومة(٢).

وابنُ عاشور ضَمِن لمن يُتقن هذا الموجز فَهْماً أن ينطق بلسان فصيح، ويملأ أوطاب ذهنه من المحض الصريح، وهذا أوّل ما يتوجّه إلى ما ضمّنه الموجز من شواهد كثيرة اختارها بعناية، وهي طريقة له في تفسيره (التحرير والتنوير)، صرّح بها وجرى العمل عليها، حيث قال: "لم يكن غنًى للمفسِّر في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية ببيت من الشعر، أو شيء من كلام العرب؛ لتكميل ما عنده من الذّوق عند خفاء المعنى، ولإقناع السامع والمتعلّم اللّذين لم يَكمل لهما الذّوق في المشكلات"(٣).

ولأجل ذلك ربما تراه يَستشهد على الآية الواحدة أحياناً بثمانية أبيات، كما عند تفسيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢) (٤).

(١) ينظر: ابن خلدون، "مقدمة ابن خلدون"، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، (ط٧، القاهرة: دار نهضة مصر للنشر، ٢٠١٤م)، ٣: ١١٤٧.

(٢) ينظر: ابن هشام الأنصاري، "شرح شذور الذهب"، (معه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة: دار الطلائع، د.ت)، ٣٩/٤٠.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١: ٢١.

(٤) ينظر: السابق، ٤: ٢٩-٣٦.

وأكثر موضع تكاثرت فيه الشواهد في (موجز البلاغة)، عند الذي أسماه ابن عاشور "إيجاز الاختصار"، وهو المسمّى عند البلاغيين "إيجاز القصر"، فقد استشهد بأربعة شواهد منوعة، من القرآن ومن الحديث ومن الشّعر ومن النّثر، وهي على الترتيب:

- "القتلُ أنفى القتل".
- ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ (البقرة: ١٧٩) .
- "لِيكنْ ثَوبُك إلى الكَعْبَين فإنَّهُ أَنْقَى وأَبْقَى".
- قول المعري: "أُولُو الفَضْلِ في أَوطَانِهِمْ غُرَباءُ"(١).

وتكثير الشواهد في هذا الموضع مما له دلالته؛ إذ إيجاز القصر عند البلاغيين مما ليس له أنماط محددة سوى ضابطه في غزارة المعاني مع قلّة الألفاظ، والإحالةُ على شواهده المتكاثرة من الكلام البليغ من شأنه إفادة المتعلّم بالنماذج الحيّة والملهمة لتنمية ذائقته البيانية، وحاسته النقديّة.

التّعليق على الشّواهد:

في المتون الموجزة إذا حضر التعليق فإنه يأخذ صفة الشارح الموضّح لوجه الاستشهاد غالباً؛ وذلك لأنه موجّه للمبتدئ الذي قد لا يحسن تعيين وجه الاستشهاد، فضلاً عن فهم الشاهد نفسه، وغالباً ما تتجرّد الشواهد من التعاليق إذا ما وضح المقرّر العلمي واتضح المراد من الشاهد.

وقد حضر التعليق في (موجز البلاغة) كثيراً، وكان غالب حضوره إيضاحاً للمعنى، أو بياناً للمزية البلاغية، فمما جاء إيضاحاً للمعنى قولُه بعد الاستشهاد بقول المعريّ في تقديم المسند إليه للتشويق:

والذي حَارَتْ البريّةُ فيهِ ***حَيوانٌ مُستَحدثٌ من جَمادِ

(١) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، ١٢٢.

"يريد: حشر الأجساد"[1].

ومما جاء بياناً للمزية البلاغية قوله عند الاستشهاد باستعمال الإنشاء فيمن حاله غير حال مَن يُساق إليه ذلك الإنشاء، كنَهْي مَن لم يتّصف بفعل عَن أن يفعله، نحو: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (إبراهيم:٤٢) : "والقَصدُ من ذلك طلب الدّوام، فيُنزَّل المتّصفُ منزلةَ غير المتّصف تَحريضاً على الدّوام على الاتّصاف"[2].

فإذا كان في الشاهد مزيد مزيّة، كأن تتكرّر فيه الأساليب المستشهد بها، فإن ابن عاشور يمنحه مزيد عناية، ويتّسع به التعليق، كما في استشهاده بآية النحل: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل:١٠٦) في طرق القصر، وهو شاهدٌ جديدٌ على متن البلاغة؛ ولذلك أطنب نوعاً ما في التعليق عليه، قال: "فهو قصرٌ بعد قصر؛ لأنّ قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ أخرج المُكَره من الكافر، ثم أخرج منه من شرح بالكفر صدراً، فالتقدير: من كفر بالله مُكرَهاً لا غَضِب عليه، ولكن مَن شَرحَ بالكُفر صَدراً، واعلمْ أنّ هذه الآية فيها ثلاثة طرق من طرق القَصْر"[3].

والملاحظة العامّة في التعليق على الشواهد التي تشمل ابن عاشور وغيره من البلاغيين، أنه يشتدّ حضور التعليق في الأبواب الأكثر غموضاً على المبتدئين، كباب الحذف وباب القصر وباب الفصل والوصل وباب الاستعارة، ويقلّ في خلافها من الأبواب قريبة الفهم والتّصوّر، كباب الإنشاء وباب التشبيه وباب المحسنات البديعية، وهذا وقوفٌ عند الوظيفة

(١) السابق، ٦٨.

(٢) السابق، ١٠١.

(٣) السابق، ٨٨.

الأساسيّة للشاهد في السياق العلمي، وهي وظيفة الإيضاح والبيان.

الكثرة والقلة:

يعتمد معيار الكثرة والقلة على تحديد القيمة والاطراد والابتكار في ذاك المعنى أو ذلك الأسلوب، فحين يُقال: وهذا كثيرٌ في كلام العرب، يُفهَمُ منه تأكيد القيمة الأسلوبية، وأنّ هؤلاء العرب قد وجدوا فيه ما يفي بأغراضهم البيانية، وهذا لَفتٌ للمبتدئ بحسن رعاية هذا الأسلوب، وحسن استيعابه، وإذا قيل: هذا قليلٌ أو نادرٌ في كلام العرب، فهو مظنّة الابتكار ودقّة المسلك وصعوبة المأخذ، وكلا الأمرين: الحكمُ بالكثرة والحكمُ بالقلّة، تقويةٌ لحكم الاستشهاد، وتعضيد لأهلية المُستشهِد في معالجة هذا الباب، فهو شاهد صدق على سعة معرفته بكلام العرب ومقادير الاستعمالات فيه.

ومن عادات ابن عاشور التي تُلازمه كثيراً في هذا الموجز وفي غيره من مؤلّفاته الموسّعة، تنصيصه على الكثرة والقلّة في الشواهد التي يسوقها؛ وذلك لأنّها –بالإضافة إلى ما سبق– تُبنى عليها أحكام عديدة في الجواز والقياس ومستوى الفصاحة وغيرها.

وهو لَمَّا جاء للمسألة المعروفة في عطف الإنشاء على الخبر، وقد منع بعضُ البيانيين ذلك، قال: "والقرآن طافحٌ بذلك"(١)، قاله في أواخر تفسيره بعدما مرَّ بشواهد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن، وهذه الكثرة حاسمة للخلاف؛ ولذلك أفرد لها عنونة في الموجز، وقال: "منع بعض علماء العربية عطف الإنشاء على الخبر، وعطف الخبر على الإنشاء، والحقُّ أنّ ذلك ليس بممنوع، وهو كثيرٌ في الكلام البليغ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٩: ١١٠.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠ * وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ (ص:١٧-٢١)، عطف﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ على أخبار داوُد"[١].

واكتفاؤُهُ بشاهد واحد -هاهنا- على خلاف عادته، فإنّه إذا حَكَمَ بالكثرة أو الشّيوع أورد أكثر من شاهد، كما في تقديم المفعول وما بمعناه، كالجار والمجرور والظرف، ومجيئه لمعنى القصر، قال: "فقد يكون للحصر نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وفي الحديث الصحيح: "فَفِيهما فَجاهد"، يعني: الأبوين، وهو كثيرٌ في كلامهم"[٢].

وكما عند تقديم أسماء العدد عند قصد جمع أشياء، ليفيد التقديم تشويقاً للمعدود، قال: "وقد شاع عند العرب تقديمُ أسماء الأعداد عند قصد جمع أشياء، ليفيد التقديم تشويقاً للمعدود: نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "سَبعةٌ يظلّهم الله بظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، إمام عادل.."إلخ، ونحو: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن..."الحديث، ونحو قول محمد بن وهيب في مدح المعتصم العباسي:

ثلاثةٌ تُشرقُ الدّنيا بِبَهجتِها *** شَمسُ الضُّحى وأبو إِسحاقَ والقَمَرُ"[٣].

وحين ذكر محسّن القلب قسّمه إلى مطرّد وغير مطرّد، وأورد في المطّرد الذي نصّ على أكثريته عند العرب حتى كان أكثر من الأصل، أورد أربعة شواهد[٤]:

- قولهم: "ما كاد يفعل"، يريدون: كاد ما يفعل.
- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة:٧١).
- قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ (النور:٤٠) .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة،"، ١١٤/١١٥.
(٢) السابق، ٨٠/٨١.
(٣) السابق، ٧٤/٧٥.
(٤) السابق، ١٦٨/١٦٩.

– قول رؤبة من التشبيه المقلوب:

ومَهمَهٍ مغبرَّةٌ أَرْجاؤُهُ ***كَأنَّ لَونَ أَرضِهِ سَماؤُهُ

وفي المقابل يذكر ابن عاشور قلة الاستعمال في بعض الأساليب، وربما كان الحكم بالقلة والندرة أصعبُ من الحكم بالكثرة والشيوع، ومن الطبيعي أن يكون حضوره أقل من حضور الحكم بالكثرة، وإن مجرد وجوده مرّة أو مرتين يدلّ على ثقافة واسعة بكلام العرب، وقد ذكر ابن عاشور أن التورية لم تكن معروفة في شعر العرب إلا في شاهدين(١):

الأول: قول لبيد يذكر قتلاهم، ويورّي بأبيه ربيعة، قتل يوم ذي عَلَق:

ولا مِن رَبيعِ المُقترِينَ رُزِئتُهُ ***بذي عَلَقٍ فاقْنَي حَيَاءَكِ واصْبِرِي

الثاني: قول عنترة:

جَادَتْ عَليه كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ *** فَتَرَكنَ كُلَّ قَرارةٍ كالدِّرْهمِ

وفي المجاز في علاقة التقييد، وهو: إطلاق اللفظ الموضوع لمعنى مقيّد على المعنى المطلق، يحشّي ابن عاشور على ذلك بحاشية إبداعيّة، يقول فيها: "وقد ظفرتُ له بمثالين من كلام العرب أردتُّ ذكرهما هنا لقلّة أمثلته:

المثال الأول: قول سلامة بن جَنْدَل:

ولّى حَثيثاً وهذا الشَّيبُ يَتْبَعهُ *** لو كانَ يُدرِكُهُ رَكْضُ اليَعاقيبِ

فجعل لليعاقيب –وهي ذكور الحَجْل– ركضاً.

المثال الثاني: قول طرفة في المعلقة:

وإن تَلْتَمِسني في الحوانيتِ تَصْطدِ

(١) السابق، ١٧٧.

فأطلقَ على لقائه لفظ الاصطياد"[1].

والمثالان بحسب تعبير ابن عاشور من الشعر الجاهلي، وتنصيصه على سبب إيرادها لهما هو قلّة شواهد هذا النوع، وكلمة "ظفرتُ" توحي بالبحث الدؤوب، والترصّد الدائم، والفرح الناجز بالعثور على شواهد من بليغ القول لنوع نادر.

القديم والحديث:

قد سبق أنّ الشواهد البلاغية غير محصورة بزمن معين، وأنّ من المعتاد أن تجد الشاهد من الشعر الجاهلي بجوار الشاهد المحدث من أيّ عصر من العصور، وذلك ما يفسح للمتن البلاغي أن يتجدّد مع كلّ زمن، وإن كان الواقع البلاغي قد استقرّ في غالب شواهده على مرحلة التلخيص وشرّاح التلخيص، وبقيت مساحة من الحرية ضيقة، تتسع بمقدار ما يتسع البلاغي بالتحامه بأدب عصره، واستحضاره له في تقرير مسائل البلاغة، فيثري قارئه بما هو قريب من لغته، وسمت عصره.

والواقع أنّ ابن عاشور كان يميل بحسب ثقافته بالأدب القديم إلى الشواهد القديمة، خصوصاً الشعر الجاهلي، والأمثال العربية القديمة، وقد قال في التجنيس (الجناس): "وهو قديمٌ في كلام العرب، كما في المثل العربي القديم:

هذا جنايَ وخيارُه فيه *** إذ كلُّ جانٍ يَدهُ إلى فِيهِ"[2].

بيد أنه في موضعين من (موجز البلاغة) ساق شاهدين من الشعر التونسي القريب من الحديث:

الأول: في التّعقيد المعنوي، ممّا يعود إلى الكناية التي تخفى لوازمها خفاء شديداً، وهو قول بعض المهوسين في مدح بعض علماء تونس:

يا قريبَ العَهدِ من شُربِ اللَّبن

(١) السابق، ١٤٠ .

(٢) السابق، ١٨٣.

وقال: أردتُّ أنه نال العلم على صغر سنّه[١].

الثاني: في **التورية**، حيث ذكر ابن عاشور أنّ ممن اشتُهر بالإبداع فيه علي الغراب الصفاقسي المتوفى (سنة ١١٨٣هـ)، كقوله:

جَمَعتُ هوى ظبيٍ وقد كَانَ جَامِعاً *** لزيتُونةٍ مِن فَـوقِ أَغْصَـــانِهَا التَوَى

فَيَا جَامعَ الزّيتونة الفَـاتِنِ الـــوَرَى *** تَفَضّل بمعروفٍ على جَامعِ الهَوَى[٢]

وبذلك شمل الاستشهاد عنده كلّ العصور الأدبية تقريباً، سوى بعض القرون المتأخّرة التي ضعف فيها الأدب والشعر ضعفاً شديداً، وكان في غيبة عن الاستشهاد حتى لدى علمائه الذين عاصروه، وإن كان النّصيب الأكبر في الشّواهد الشّعرية كان من نصيب الشّعر الجاهليّ والإسلاميّ، وكان النابغة الذبياني هو أكثر شاعر استشهد به من الشعر الجاهلي، حيث بلغت ستة شواهد، ستةُ شواهدَ غلب عليها أنّها شواهد جديدة على المتن البلاغي، ولا غرابة في ذلك إن استحضرنا أن ابن عاشور قد حقّق ديوان النابغة وشرحه، فكان استحضاره له أكثر من استحضاره لغيره، مع أنه استشهد بامرئ القيس، وزهير، وطرفة، ولبيد، والمهلهل، وعنترة، وعمرو بن كلثوم، وأوس بن حجر، وطريف بن تميم العنبري، وغيرهم من شعراء العصر الإسلامي.

(١) ينظر: السابق،٤٢، لم أجد مصدراً لهذا البيت فيما بين أيدي من مراجع، وفيما يظهر من سمته أنه من الشعر الحديث أو من الشعر القريب من الحديث.

(٢) ينظر: السابق، ١٧٨.

المبحث الثاني: القضايا الإبداعيّة

نعني بالقضايا الإبداعية تلك القضايا التي بها استجدَّ بها النظر عند ابن عاشور، أو تعلّق بها شيءٌ زائدٌ عن المعتاد في عملية الاستشهاد، كاستشهاده بشواهد جديدة، وكتوظيفه لشواهد قديمة في أبواب أخرى غير الأبواب التي استُشهد فيها لدى البلاغيين، وكأساس اختياره لشواهده سواءً القديمة أو الجديدة، ونبدأ بالقضيتين الأوّليين، ثم نأتي إلى تلك الأسس؛ لأنها أخفى ما في القضايا، والإشارة فيها أغمض، والنّظر فيها مَوكولٌ إلى الاستنباط ومغزى الكلام.

الشواهد الجديدة على المتن البلاغي:

من الواضح أنّ ابن عاشور وهو يصوغ موجزه كان بين يديه (مفتاح العلوم) للسكاكيّ، (تلخيص المفتاح) للقزوينيّ وكذا (الإيضاح)، و(مختصر المعاني) للسّعد التفتازانيّ وكذا (المطوّل)، وأنّه استقى شواهده من هذه المصادر المشهورة، تردفها مصادر أخرى ككتابي عبد القاهر (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، و(سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي، و(المثل السائر) لابن الأثير.

ولا ريبَ أنّ الطاهر قد قرأ جلّ المصادر البلاغية والنقدية، ولكنّ تلك المصادر –آنفة الذكر– كان حضورها أكثر من غيرها، وعليه فكلُّ شاهد من خارج هذه المنظومة يكون الطاهر قد استقاه من مصدره المباشر، من القرآن الكريم، ودواوين الشعر، وكتب الأدب، ودواوين السنة النبوية، وكتب التاريخ، وغيرها من كتب العلوم الأخرى، ويمكن عدّه بذلك شاهداً جديداً في المتن البلاغي.

وهذا مسردٌ للشواهد الجديدة، مرتّبة بحسب ترتيب مباحثها في (موجز البلاغة)، نذكرها بالصورة التي ذكرها بها ابن عاشور، ذكر جزءاً من الآية أو أتمّها، ذكر جزءاً من الحديث أو أتمّه، ذكر شطراً من الشعر أو أتمّه، مع بيان وجه الاستشهاد بها، مع تتمة ذلك في الحاشية، وقد أعرضت عن توثيق ما يشتهر وما صحّت نسبته عن قائله من

هذه الأبيات؛ لأنّ ذلك جهدٌ قام على وجه جيد محقق كتاب (موجز البلاغة) الدكتور محمّد الشّهري، وشارحه الدكتور عبد الله الفوزان في (الوسيلة والبلاغة في شرح موجز البلاغة)، ولئلا يثقل البحث بعمليات التوثيق فيخرج عن مساره، اللهمّ إلا ما احتاج إلى ذلك من الأشطار الشعرية والأحاديث النّبوية والقطع النّثرية:

١. قول الحطيئة:

يُريدُ أن يُعربه فيُعجمَه (١)

وجه الاستشهاد: في سياق تحديد منزلة علم البلاغة بين منازل علوم العربية، وإفادة حدود ما تفيده المعرفة بعلوم اللغة والنحو والصرف، وأنه مثَل من تجرد من هذه المعرفة مثل هذا الذي يريد أن يعرب الكلام فيعجمه، أي: لا يبيّنه، وهذه المسألة نادراً ما يتعرّض لها البلاغيون بهذه الصورة.

٢. قول بعض المهوسين في مدح بعض علماء تونس:

يا قريبَ العَهد مِن شُرب اللَّبن

وجه الاستشهاد: في التعقيد المعنوي، مما يرجع للكناية التي تخفى لوازمها

(١) قبله:

الشّعرُ صَعبٌ وطـويلٌ سُلَّـمهْ
إذا ارتقى فيـه الذي لا يَعْلَـمهْ
زلّتْ به إلى الحضيـض قَدمُـهْ
والشِّعر لا يستطيعه مَن يظلـمه
يُـريد أن يُعـربه فيُعـجمـه

ينظر: ديوان الحطيئة براوية وشرح ابن السّكيت، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، ٢٩١.

خفاءً شديداً.

٣. قولُ المهلهل:

قُلْ لبني حِصْنٍ يَرُدُّونَهُ *** أو يَصْبِرُوا للصَّيلَمِ الخَنفقَيقِ

وجه الاستشهاد: في سياق بيان أسباب غرابة الكلمة، وأن كلمة "الخنفقيق"، أي: الداهية المهلكة، في قول المهلهل غريبة، لكونها غير متكرّرة الاستعمال في المحفوظ من فصيح نظم العرب ومنثورهم.

٤. قول زهير:

ومن هابَ أسبابَ المنايا يَنَلنَهُ

وجه الاستشهاد: في تنافر الحروف، في التنبيه على الثقل الذي لا يضجر اللسان، فلا يضر، ولا يقدح في فصاحة الكلمة، في كلمة "ينلنه"(١).

٥. قول المعرّي:

تَعَبٌ كلُّها الحياةُ فما أَعـ *** ـجبُ إلا من طامِعٍ في ازديادِ

وجه الاستشهاد: في مخالفة قياس النحو، فيما يسمى عند البلاغيين "ضعف التأليف"، ومحلّه في هذا الشاهد في تقديم التأكيد "كلُّها" على المؤَكَّد.

٦. قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ (الحديد:٩).

وجه الاستشهاد: في تبيان معنى الخصوصية في الكلام، وأنها تكثر وتقلّ بحسب وجود الدواعي والمقتضيات، وهذا الشاهد شاهد للكثرة، حيث اشتمل على خصوصيتين في "ينزّل"، عبّر بصيغة التضعيف الدالة على التكرير، وبصيغة المضارع

(١) وتمامه: لو رامَ أسباب السماء بسُلَّمٍ، وهي من معلقته المشهورة، وقد استشهد ابن عاشور بهذا البيت في تفسيره، في ثلاثة مواضع: ١٦: ٢٥، ٢٣: ٢١٧، ٢٤: ١٤٦.

الدالة على التجدد والاستمرار.

٧. قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ (آل عمران:٢).

وجه الاستشهاد: في ذات سياق الشاهد السابق، تمثيلاً على شاهد القلّة، والذي حوى خصوصيّة واحدة، وهي خصوصيّة التّضعيف في الفعل "نَزَّلَ".

٨. قول الحطيئة:

أَبَتْ شَفتايَ اليومَ إلا تَكَلُّمَا *** بِسُوءٍ فما أَدرِي لمَنْ أَنَا قَائِلُه

وجه الاستشهاد: ورد حاشيةً على الكلام عن أغراض الخبر، وتحديداً على القصد الأول من أغراض الخبر، وهو إفادة المخاطب الحكم، حيث ذكر ابن عاشور أن المتكلّم لا يقصد من كلامه مجرّد النطق به كالسّعال والأنين، وأن قول الحطيئة هذا إنما هو ضرب من التمليح؛ إذ جعل نفسه لا يستطيع البقاء بلا هجاء.

٩. قول عبد بني الحساس:

كفى الشّيبُ والإسْلامُ لِلمَرءِ نَاهِيا (١)

وجه الاستشهاد: في أغراض الخبر، في تنزيل الموجود منزلة المعدوم لنكتة تتعلق بالمخاطب، والذي هو من وجوه عدم جري العالم على موجب علمه، فإنّ المقصود منه تذكير من لم يزعه الشيب والإسلام؛ إذ قد علم كل الناس أنهما وازعان، وهذا الشاهد مشهور مستشهد به في مصادر التفسير والنحو واللغة والنقد، غير أنه لم يستشهد به في كتب البلاغة العلمية.

١٠. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (النساء: ١٣٦).

وجه الاستشهاد: في سياق الشّاهد السابق، في الخطاب بالإنشاء لمن حَصل منه الفعل المطلوب، ويقصد منه الزّيادة من الفعل.

(١) صدره: عميرةَ ودّع إن تجهّزتَ غازياً، وهو بيت مشهور لسُحيم عبد بني الحساس.

١١. قول النبي –صلّى الله عليه وسلم– للذي رآه يُصلّي يَنقر نَقرَ الدّيك: "صَلِّ فإنَّكَ لم تُصَلِّ"(١).

وجه الاستشهاد: في سياق الشّاهد السّابق، من وجوه تنزيل الموجود منزلة المعدوم، وذلك لاختلال الفعل حتى كان غيرَ مجدٍ لفاعله.

١٢. قول عنترة:

إِنْ كُنتِ أَزمَعتِ الفِراقَ فَإِنَّما*** زُمَّتْ رِكَابُكُمُ بِلَيلٍ مُظلِمِ

وجه الاستشهاد: في سياق الشّاهدين السّابقين، ولكن من وجه تعلّق النّكتة بالمتكلّم، ليريك أنه عالم بالخبر.

١٣. قول تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (هود:٢٥) .

وجه الاستشهاد: في أضرب الخبر تمثيلاً على الخبر الإنكاري.

١٤. قول طرفة:

لَعَمْرُكَ إنّ الموتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى*** لَكَالطِّوَلِ المُرخَى وثِنْيَاهُ بِاليدِ

وجه الاستشهاد: في إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فجاء الشاعر بثلاثة مؤكدات، مع أن مجيء الموت –ولو بعد العمر– أمر معلوم لكل أحد، وذلك لقصد الرد على من كان حاله في لومه إياه على الكرم وتناول اللذات حال من ينكر إدراك الموت إياه.

١٥. قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنّ مِن الشَّعرِ لَحكمةً، وإنّ من البَيانِ لَسِحْراً"(٢).

وجه الاستشهاد: في توكيد الخبر بـ "إنّ" لمجرد الاهتمام بالخبر دون إنكار.

---

(١) رواه البخاري (٧٥٧) ، ومسلم (٣٩٧).

(٢) أصله في الصحيحين، قوله: "إنّ من الشّعر لحكمة" في البخاري (٦١٥١)، وقوله: "إنّ من البيان لسحراً" في البخاري (٥٧٦٨)، ومسلم (٨٧٣).

١٦. المثل: "إنّ البُغاثَ بِأَرضِنا يَسْتَنسِرُ".

وجه الاستشهاد: توكيد الخبر لمجرد الاهتمام، لكون الخبر فيه غرابة.

١٧. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٦).

وجه الاستشهاد: في الحقيقة العقلية، في أسلوب النفي.

١٨. قول أمّ زَرْعٍ: "أَنَاسَ مِن حُلِيٍّ أُذُنِيَّ، ومَلأَ من شَحْمٍ عَضُدَيَّ"(١).

وجه الاستشهاد: في المجاز العقلي، في ملابسة السببية.

١٩. قوله تعالى: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان:١٠).

وجه الاستشهاد: في المجاز العقلي، في ملابسة الزمانية.

٢٠. قول الشاعر:

وفَضْلُ يَسيرٍ في البِلادِ يَسِيرُ

وجه الاستشهاد: تعريف المسند إليه بالعلم للإشارة إلى أن المسمّى له حظ من اسمه، و"يسير" في البيت ليس مسنداً إليه، ولكنّ البلاغيين يتوسّعون في استحضار النظائر(٢).

٢١. قول زهير:

ومَنْ لم يَذُدْ عن حَوضِهِ بسِلاحِهِ *** يُهَدَّمْ، ومَن لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظلَمِ

وجه الاستشهاد: في اختيار الاسم الموصول على المعرف بأل، فإنه لم يقل: المستسلم مهضوم مثلاً، بل أتى بالموصول ليشير بالصّلة إلى علّة الحكم.

٢٢. قول أبي الطيّب المتنبي:

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٩) ، ومسلم (٢٤٤٨).

(٢) ينظر: عبد الله الفوزان، "الوسيلة والبلاغة في شرح موجز البلاغة للعلام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور"، (ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٤٣هـ)، ١٧٢.

أَسَامِياً لَمْ تَزْدهُ مَعْرِفَةً *** وإنّما لَذَةً ذَكَرنَاهَا

وجه الاستشهاد: سبقُ أبي الطيّب المتنبي علماءَ البلاغة إلى التّنبيه على إيراد العلم لقصد التلذّذ.

٢٣. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ (البقرة:٢١) .

وجه الاستشهاد: اختيار المضاف الضمير في "ربكم" على الاسم العلم، فلم يقل مثلاً: اعبدوا الله.

٢٤. قول العبَّاس بن مِرْداس:

وقَدْ كُنْتُ في الحَربِ ذَا تُدْرَإٍ *** فَلَمْ أُعْطَ شَيئاً ولَمْ أُمْنَعِ

وجه الاستشهاد: في تمييز مزيّة التّنكير سواء التّعظيم أو التّحقير بالقرينة وسياق الكلام، فالتّنكير في "شيئاً" للتعظيم، أي: لم أعط شيئاً عظيماً، بقرينة قوله: "ولم أمنع".

٢٥. في الحديث: "بقرةٌ تَكَلّمتْ"(١).

وجه الاستشهاد: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي للاهتمام به.

٢٦. قوله تعالى: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ﴾ (محمد:٣٦) .

وجه الاستشهاد: دلالة "إنْ" الشّرطية في الغالب على عدم اليقين، سواء كان مستقرب الوقوع لكن بلا جزم، كما في هذه الآية، أو كان مشكوكاً في وقوعه ضعيف الاحتمال، كما في الشاهد اللاحق.

٢٧. قول المعرّي:

فَإنْ أستطعْ في الحَشَرِ آتِكَ زَائِراً ***وهَيْهَاتَ، لِي يَومَ القِيامَةِ أَشْغَالُ

(١) هذا لفظ حديث رواه الطبراني في الأوسط (٦٧٨٥)، في الرّجل الذي أراد أن يركب البقرة، ولفظه: "سبحان الله، بقرة تكلّمت"، والحديث رواه البخاري (٣٤٧١) بلفظ: "بقرةُ تكلّم"، ومسلم (٢٣٨٨) بلفظ: "أبقرة تكلّم؟".

وجه الاستشهاد: موضّح في الشاهد السابق.

٢٨. قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: ١).

وجه الاستشهاد: دلالة "إذا" الشّرطية على اليقين بوقوع شرطها.

٢٩. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (فاطر: ٤٥).

وجه الاستشهاد: تمثيلاً على أنّ نعم الله على عباده كثيرة، والمصائب نادرة، تعليقاً على الشاهد المشهور عند البلاغيين في الفرق بين "إذا" و"إنْ"، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾.

٣٠. قول النّابغة:

إذا تَغَنّى الحَمَامُ الوُرقُ ذَكَّرَنِي *** وَلَو تَرَحَّلتُ عَنها أُمَّ عَمّارِ

وجه الاستشهاد: استعمال "إذا" في مقام عدم اليقين، كتصوّر الأمر المحبوب كثيراً وقوعه لشدّة تعلّق القلب بكثرته.

٣١. قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "سَبعةٌ يُظلّهم اللهُ في ظلِّه يَومَ لا ظلّ إلا ظلّه: إمامٌ عادلٌ.."[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١). الحديث بتمامه: "سبعةٌ يُظلّهم الله يوم القيامة في ظلّه، يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل، وشابّ نشأ في عبادة الله، ورجل ذَكَر الله في خلاءٍ ففاضت عيناه، ورجل قلبه مُعلّق في المسجد، ورجلان تحابّا في الله، ورجل دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال إلى نفسها، قال: إنّي أخاف الله، ورجلٌ تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شمالُه ما صنعت يمينُه".

وجه الاستشهاد: تقديم أسماء العدد عند العرب عند قصد جمع أشياء، ليفيد التقديم تشويقاً للمعدود.

٣٢. قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كلمتان حبيبتان إلى الرّحمن.. "[١].

وجه الاستشهاد: نفس الشاهد السابق.

٣٣. قول الحريري في المقامة الأولى: "فَإِذَا هُوَ مُثَافِنٌ لِتِلمِيذٍ، على خُبْزٍ سَمِيدٍ، وعِجْلٍ حَنِيذٍ، وقُبَالَتَهُمَا خَابِيةُ نَبِيذٍ".

وجه الاستشهاد: التّقديم لأجل السّجع فحسب.

٣٤. قول الشاعر (جرير):

أَتَصحُو أَمْ فُؤَادُكَ غَيرُ صاحِ *** عشيّةَ هَمَّ قَومُكَ بالرَّواحِ

وجه الاستشهاد: حاشية في أنّ بقية المفاعيل غير المفعول به إذا لم تذكر لا يوجد دليل على أن المتكلم قصد ذكرها ثم حذفها، بمعنى أنه لا يوجد دليل من جهة اقتضاء الفعل لواحد منها، وإن كان قد يوجد دليل لفظي مثل وقوع الفعل في جواب سؤال مقيّد ببعض تلك المفاعيل، إلا أن المقدر كالمذكور، كقول الشّاعر في الشّاهد، فإنّك لو قدّرت له جواباً فقلت: نعم أصحو، لكان التّقدير: أصحو عشية همَّ قومي.

٣٥. قول النّبيّ –صلى الله عليه وسلّم–: "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"[٢].

وجه الاستشهاد: تقديم الجار والمجرور على عاملهما لمعنى الحصر؛ لأنّ السّائل طلب منه أن يوجّهه للجهاد فقال له: "لَكَ أَبَوان؟" قال: نَعَم، قال: " ففيهما فَجَاهِدْ"، وكانا كبيرين.

٣٦. قول السّموأل:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٠٦) ، ومسلم (٢٦٩٤). الحديث بتمامه: "كلمتان خفيفتان على اللّسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سُبحان الله وبحمده، سُبحان الله العظيم".

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٢١)، ومسلم (٢٦٣١).

تَسْيلُ على حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا *** ولَيْستْ على غَيرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ

وجه الاستشهاد: على القصر غير الاصطلاحي، فقد أفاد القصر بطريقة غير مختصرة، بل بجملتي إثبات ونفي.

٣٧. قول كعب بن زهير:

لا يَقَعُ الطّعنُ إلا في نُحُورهمْ *** وما لَهمْ عَنْ حِياضِ الموتِ تَهلِيلُ

وجه الاستشهاد: في بيان الحكم والمحكوم عليه، وأنّ من صوره أن يتعلّق أحدهم بأحد ركني الإسناد، كالمجرور المتعلق بالمسند كما في البيت، فقصر الطعن على الكون في نحورهم.

٣٨. قول عمر بن أبي ربيعة:

فَقَالَتْ وأَلقَتْ جَانِبَ السِّترِ إنّما *** مَعِي فَتَحدَّثْ غَيْرَ ذِي رِقبةٍ أَهْلِي

وجه الاستشهاد: في بيان الحكم والمحكوم عليه، وأنّ من صوره أن يتعلّق أحدهم بأحد ركني الإسناد، كالظّرف في البيت، أي: إنّك لا تتحدث الآن إلا معي فقل ما شئت.

٣٩. قول لبيد:

وما المرءُ إلا كالشِّهَابِ وضَوئِهِ*** يَحورُ رَمَاداً بَعدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ

وجه الاستشهاد: في تعداد شواهد طُرق القصر، في طريق النفي والاستثناء.

٤٠. قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَفِسُونَ﴾ (المطففين :٢٦).

وجه الاستشهاد: في طرق القصر، في تقديم ما حقّه التأخير من معمول فعل.

٤١. قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران:٦٧) .

وجه الاستشهاد: في القصر، في طريق العطف بلكن بعد الواو.

٤٢. قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ

بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل :١٠٦) .

وجه الاستشهاد: في القصر، في طريق العطف بلكن بعد الواو.

٤٣. قوله النبي –صلى الله عليه وسلم–: "اللّهُمّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا"[١].

وجه الاستشهاد: العطف بـ "لا" من طرق القصر.

٤٤. قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾ (المنافقون:٤).

وجه الاستشهاد: في إفادة تعريف المسند بلام الجنس قصره على المسند إليه قصرَ ادّعاء.

٤٥. قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ (الكوثر:٣) .

وجه الاستشهاد: كالشاهد السابق.

٤٦. قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ (التوبة:١٠٤).

وجه الاستشهاد: من طرق القصر، في توسّط الضمير.

٤٧. قوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ (الكهف:٣٩) .

وجه الاستشهاد: كالشاهد السابق.

٤٨. قوله تعالى: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ (النساء:١١٧) .

وجه الاستشهاد: على القصر الادّعائي.

٤٩. قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ (القصص:٢٤) .

وجه الاستشهاد: إتيان الإنشاء في صورة الخبر، في السؤال.

٥٠. قول امرئ القيس:

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

فَيَا لَكَ مِنْ لَيلٍ كَأنّ نُجُومَهُ *** بِكُلِّ مَغَارٍ الفَتْلِ شُدّتْ بِيَذبلِ

وجه الاستشهاد: مجيء النّداء في معنى التعجّب في باب الاستغاثة.

٥١. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (إبراهيم:٤٢) .

وجه الاستشهاد: استعمال الإنشاء فيمن حاله غير حال من يساق إليه ذلك الإنشاء، كنهي من لم يتّصف بفعل عن أن يفعله.

٥٢. قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ (يس : ٣٠) .

وجه الاستشهاد: نداء من لا ينادى، بتنزيله منزلة من ينادى.

٥٣. قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (الغاشية:١٢-١٣) .

وجه الاستشهاد: لا تذكر جمل الكلام تعداداً بلا وصل إلا في المواضع التي يقصد فيها التعداد.

٥٤. قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (الدخان:١٥-١٦) .

وجه الاستشهاد: قصد إظهار انفصال الجمل واستقلالها، تكملة لمواضع الفصل في المسألة ما قبل السابقة.

٥٥. قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ (الرحمن :٧) إلى قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (الرحمن:١٠) .

وجه الاستشهاد: في ذكر المناسبات التي تسوّغ العطف بين الجملتين، وهذا الشاهد ذكره في مناسبة شبه التّضاد.

٥٦. قوله تعالى: { ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية:١٧) وما بعدها من آيات.

وجه الاستشهاد: شاهد لما جمع من الجمل بين أمثلة القرب من التّماثل والتّضاد،

فوُصِل بينها.

٥٧. قول كعب:

إنَّ الأمَانيَّ والأَحْلامَ تَضلِيلُ [١]

وجه الاستشهاد: شاهد على صحّة العطف إذ كان العطف حيث لا توجد مناسبة مُؤذِناً بمقصد، كمقصد التشبيه في عطف الأحلام على الأماني، والقصد تشبيه أمانيه الناشئة عن وعودها بالأحلام في اللذاذة وعدم التحقق.

٥٨. قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن:٦) .

وجه الاستشهاد: في كون التناسب بين المتعاطفين غريباً نابعاً لتناسب شيئين آخرين، فإنّ التناسب أوجده ما يأتي بعده من قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ (الرحمن :٧) ، وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ (الرحمن:١٠) ؛ لأنّ النّجم من توابع السماء والشّجر من توابع الأرض.

٥٩. قول عمرو بن كلثوم:

نَزَلتُم مَنزلَ الأضيافِ منَّا *** فَعَجَّلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا

وجه الاستشهاد: حسن العطف بالفاء إذا قويت المناسبة، ومعنى البيت: نزلتم بأرضنا لحربنا فبادرنا بقتالكم، وهذا تهكّم.

٦٠. قول ابن زَمَرَك:

هَبَّ النّسيمُ على الرّياض مَعَ السَّحَرْ *** فَاسْتَيقَظَتْ في الدَّوحِ أَجفانُ الزَّهَرْ

وجه الاستشهاد: حسن العطف؛ لأنّ استيقاظ أجفان الزهر في الدّوح مما يترتّب على هبوب النسيم على الرياض في وقت السحر.

٦١. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد:٧) .

---

(١) وصدره: فلا يَغُرَّنَّكَ ما مَنّتْ وما وَعَدَتْ، من قصيدته المشهورة: بانت سعاد.

وجه الاستشهاد: عطف الجملتين؛ لأن المقصود التشريك في حكم القصر؛ إذ المقصود من الجملتين الرد على من اعتقد خلاف ذلك.

٦٢. ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ (الرعد:٧-٨) .

وجه الاستشهاد: تعيّنُ الفصل، إذ لم يقصد بجملة "الله يعلم" دخولها في حكم القصر؛ إذ لا قصد للرد على معتقد أن الله لا يعلم ما تحمل كل أنثى؛ إذ لم يكن في المخاطبين من المشركين وأهل الكتاب من يعتقد ذلك.

٦٣. قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (البقرة:٢٣) إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ (البقرة: ٢٥).

وجه الاستشهاد: عطف طائفة من الجمل على مجموع طائفة أخرى، حيث عطفت الآية الثانية على الآية الأولى؛ لأن قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ مسوقٌ لبيان عقاب الكافرين، وقوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ مسوقٌ لبيان المؤمنين.

٦٤. قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ (الحديد:٣).

وجه الاستشهاد: نظير الشاهد السابق ولكن في المفردات، فالقصد عطف وصفين متقابلين على وصفين متقابلين، وكلها لموصوف واحد.

٦٥. قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾(ص:١٧-٢١).

وجه الاستشهاد: عطف "وهل أتاك" على أخبار دواد، عطف إنشاء على خبر، وصحة جواز ذلك، خلافاً لمن منعه، بل كثر ذلك في الكلام البليغ.

٦٦. في الحديث: "لِيكنْ ثَوبُكَ إلى الكَعبَين فإنّه أَنقى وأَبقى"(١).

وجه الاستشهاد: في إيجاز الاختصار، أو ما يسمى عند البلاغيين إيجاز القصر.

٦٧. قول المعرّي:

أولو الفَضْلِ في أَوطَانهم غُرَبَاءُ (٢)

وجه الاستشهاد: في إيجاز الاختصار، أو ما يسمّى عند البلاغيين إيجاز القصر.

٦٨. قول ابن أبي العاص لثقيف حين همّوا بالارتداد عام الرّدّة: "كُنتُم آخرَ العَربِ إسلاماً فلا تَكُونُوا أوّلَهم ارْتِدَادَاً"(٣).

وجه الاستشهاد: من الإيجاز تركُ المقدمات في الخطب لضيق المقام.

٦٩. قول بديع الزمان لابن أخته: "أنتَ ابني ما دُمتَ والعِلمُ شانُك، والمدرسة مكانُك، والمحبرة حليفُك، والدّفتر أليفُك، فإنْ قصَّرتَ ولا إخَالكَ، فَغَيرِي خَالُك"(٤).

وجه الاستشهاد: الإيجاز في الغرض لقصد أن يَعِيَ السّامعُ الكلام.

٧٠. قول النّابغة:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) عجزه: تَشُذُّ وتَنَأى عَنهُم القُرباءُ. ينظر: أبو العلاء المعري، "ديوان اللّزوميات"، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، (بيروت: مكتبة الهلال، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت)، ١: ٣٢.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البيان والتبيين"،٢: ٦٧، واستشهد به ابن عاشور في "أصول الخطابة والإنشاء"، ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "أصول الإنشاء والخطابة"، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، (ط١، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٣٣هـ)، ٨٩/ ٩٠.

(٤) ينظر: رسائل بديع الدين الهمذاني مع شرحها (كشف المعاني والبيان)، تحقيق: إبراهيم الأحدب الطرابلسي، (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين،١٩٨٠م)، ٥٢٣. واستَشهد به ابنُ عاشور في سياق الشاهد السابق أيضاً في "أصول الخطابة والإنشاء"، ٩٠.

لَكَلفتني ذَنبَ امرئٍ وتَركتَه *** كذِي العِرِّ يُكوَى غَيرُه وهو رَاتِع

وجه الاستشهاد: في تشبيه التمثيل، في النوع الذي يكون كلا الطرفين مفرداً، فإنه شبّه نفسه بالبعير المكوي لمرض غيره، كما شبه المرء بذي العر، وكلا المشبهين مفرد، والمشبه به الهيئة.

٧١. قول الشاعر(١):

وَجهُكَ البدرُ لا بل الشّمْسُ لو لَمْ *** تُفْضَ للشَّمسِ كَسْفةٌ وأُفولُ

وجه الاستشهاد: في التشبيه البليغ، حين يكون المشبه به خبراً عن المشبه.

٧٢. قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ (غافر:٦٤) .

وجه الاستشهاد: في التشبيه البليغ، حين يكون المشبّه به حالاً.

٧٣. قول النابغة:

فَبِتُّ كأنَّ العائداتِ فَرشَنَ لي *** هَرَاساً به يُعلَى فِرَاشِي ويُقشَبُ

وجه الاستشهاد: قد يحذف المشبه به، فيكون التشبيه مكنيّاً، ويشار إليه ببعض ما هو من خصائص المشبه به، فالمشبه به هو المريض الذي يشتد ألمه بالليل، وقد حذفه وأشار إليه بالعائدات، لأن المقصود تشبيه نفسه لا تشبيه العائدات، وإنما جاء بذكر "فرشن لي" زيادة في تهويل آلامه، وهذا النوع هو الذي تتفرع منه الاستعارة المكنية، ولم يذكره المتقدمون.

٧٤. قول سلامة بن جَنْدَل:

ولّى حَثيثاً وهذا الشَّيبُ يَتبعهُ *** لو كان يُدركه رَكضَ اليَعاقِيبِ

(١) ذكره ابن هشام في (مغني اللبيب)، ولم ينسبه لأحد، ابن هشام الأنصاري، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، (ط١، اسطنبول: دار اللباب، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م)، ١٦٢.

وجه الاستشهاد: في تعداد علاقات المجاز، في شواهد علاقة التقييد، أي: إطلاق اللفظ الموضوع لمعنى مقيد على المعنى المطلق، حيث جعل لليعاقيب – وهي ذكور الحجل– ركضاً.

٧٥. قول طرفة:

وإنْ تَلْتَمِسني في الحوانيتِ تَصْطدِ

وجه الاستشهاد: كالشاهد السابق، شاهدٌ آخر على علاقة التقييد، وقد ذكر ابن عاشور قلة شواهدها، أطلق طرفة –هاهنا– على لقائه لفظ الاصطياد.

٧٦. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ (البقرة:٢٥٨).

وجه الاستشهاد: في استعارة الحرف، لمعنى ليس له حرف يؤدى به.

٧٧. قول عنترة:

وشَكَى إليَّ بِعَبرةٍ وتَحمحمِ

وجه الاستشهاد: ساقه في الحاشية لبيان أن تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية تقسيم لا طائل من تحته.

٧٨. قول المجيب: نعم، لمن قال له مثلاً:

تُنَاغِي غَزَالاً عند بابِ ابنِ عامرٍ [1]

(١) هذا صدر بيت ذكره ابن هشام في (المغني) ولم ينسبه لأحد، ٦٠٠، وتمامه:

كَخِلّْ أَمَاقِيكَ الحِسانَ بإثْمِدِ

وجاء في ديوان حسان بن ثابت –رضي الله عنه– البيت هكذا:

فَنَاغِ لدى الأبوات حُوراً نواعماً *** وكحِّلْ مآقِيكَ الحسان بإثْمِدِ

ينظر: ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د. سيد حنفي حسنين، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، =

وجه الاستشهاد: في الاستعارة التصريحية، شاهداً على التصريح بالمشبه به واستعماله في المشبّه مقدّراً، أي: نعم، أناغي غزالاً.

٧٩. قول أبي فراس:

فَلمّا اشتَدَّتْ الهَيجَاءُ كُنّا *** أَشَدَّ مَخَالِباً وأَحَدَّ نَابَـا

وجه الاستشهاد: في الاستعارة المكنية.

٨٠. قوله تعالى: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ (النساء:٤) .

وجه الاستشهاد: في ذكر اللّازم الذي هو من مُلائماتِ المشبّه به، وعدم صلاحيته للاستعارة، حيث شبّه في الآية المالَ المأخوذ بالطّعام والشّراب، وجَعَل له الهناء والمري.

٨١. قول الحسين بن الضحاك يخاطب عمرو بن مسعدة ليشفع له لدى المأمون الخليفة:

أَنتَ يا عَمرُو قُوّتِي وحَيَاتِي *** ولِسَانِي وأَنْتَ ظُفْرِي ونَابِي

وجه الاستشهاد: في ذكر اللازم الذي هو من ملائمات المشبه به، وصلاحيته للاستعارة، فإنه أراد تشبيه نفسه بسبعٍ، وتشبيه المخاطب الذي به يُدافع السَّبع عن نفسه.

٨٢. قول النّابغة:

وبنُو سُواءةَ لا مَحَالةَ أنّهم*** آتُوكَ غيرَ مُقَلَّمِي الأَظفَارِ

وجه الاستشهاد: في الاستعارة الترشيحية.

٨٣. قولها(١):

١٩٧٤م)، ١٣٤.

(١) أي: قول الأعرابية، كما جاء في تفسير القرطبي أن "الأصمعي قال: سمعتُ جارية أعرابية تنشد وتقول:

أَسْتغفرُ اللهَ لِذنبي كُلّـهْ *** قَبَّلتَ إنساناً بِغيرِ حِلّهْ

=

أَسْتَغفِرُ اللهَ لِأَمْرِي كُـلِّهْ *** قَتلتُ ظَبْياً ناعِماً في دلّهْ
انتصفَ اللَّيلُ ولمْ أُصَلِّهْ

وجه الاستشهاد: شاهد على ندرة أن يقصد المتكلم من التجريد في الاستعارة إبطال الاستعارة، فيكون التجريد بمنزلة إخراج الخبء، فإن الشاعرة لما أرادت تشبيه القرآن في براعة مستمعه بالظبي في براعة المنظر نبّهت على أن الظبي قرآن يُصلَّى به.

٨٤. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (التوبة:٣٨) .

وجه الاستشهاد: في ترشيح التمثيلية، فجملة "اثاقلتم" تمثيلٌ لهيئتهم في التنصّل من الخروج بهيئة الجسم الثقيل تنقلّه، وقوله: "إلى الأرض" ترشيح.

٨٥. قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (النساء:١١٥) .

وجه الاستشهاد: في الكناية الواضحة، والتي لا تحتاج إلى إعمال رويّة.

٨٦. قال من رثى طريف بن تميم العنبري:

عَظيمُ رَمَادِ النّارِ لا مُتَعَبِّسٌ *** ولا مُويسٌ منها إذا هُوَ أَوْقَدَا

وجه الاستشهاد: في وجود كناية كثرة الرماد عن الكرم في أدب العرب.

٨٧. حديث أمّ زَرْع: "زَوجِي طَويلُ النِّجادِ، كثيرُ الرَّمادِ"(١).

مثلَ الغَزال ناعِماً في دَلِّهْ *** فانتصفَ اللّيل ولَمْ أُصَلِّهْ

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أو يعد هذا فصاحة مع قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ (القصص:٧) الآية، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين". أبو عبد الله القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م)، ١٦: ٢٣٤.

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨) . بلفظ: "زوجي رفيعُ العِماد، طويلُ النِّجاد، =

وجه الاستشهاد: نفس الشاهد السابق.

٨٨. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: ٧١) .

وجه الاستشهاد: في النوع المطّرد من أسلوب القلب.

٨٩. قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ (النور: ٤٠).

وجه الاستشهاد: كالشاهد السابق.

٩٠. قول النابغة:

دَعَاكَ الهوى واستَجْهَلَتكَ المنازلُ *** وكيف تَصَابي المرءِ والشَّيبُ شاملُ

وجه الاستشهاد: في أسلوب التجريد، من المحسنات المعنوية.

٩١. طالع قصيدة البوصيري:

أَمِنْ تَذَكّرِ جَيْرانٍ.. البيت[1]

وجه الاستشهاد: كالشاهد السابق.

٩٢. قول لبيد يذكر قتلاهم، ويورّي بأبيه ربيعة، قتل يوم ذي علق:

ولا مِن رَبِيعِ المُقْتِرِينَ رُزِئْتُهُ *** بِذِي عَلَقٍ فاقْنَيْ حَيَاءَكِ واصْبِرِي

وجه الاستشهاد: في التّورية.

٩٣. قول عنترة:

جَادَتْ عَليهِ كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ *** فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدِّرهَمِ

وجه الاستشهاد: كالشاهد السابق.

٩٤. عليّ الغراب الصفاقسي:

عظيمُ الرّماد".

(١) البيت بتمامه:

أمِنْ تذكّرِ جَيرانٍ بِذي سَلَمٍ *** مَزَجتَ دَمعاً جَرى من مُقلة بدمٍ.

جمَعتُ هوى ظَبيٍ وقَدْ كانَ جَامِعاً *** لِزيتونةٍ من فَوقِ أَغصَانها الـتَوَى

فَيَا جَامعَ الزَّيتونةِ الفاتِنَ الـــوَرَى *** تَفَضّلْ بِمَعرُوفٍ على جَامِعِ الهَوَى

وجه الاستشهاد: في التّورية.

٩٥. قول ابن الخطيب شاعر الأندلس:

ورَوَى النُّعمانُ عن مَاءِ السَّمَا *** كَيفَ يَروِي مَالِكٌ عن أَنَسِ

وجه الاستشهاد: في التلميح، من المحسنات المعنوية.

الشواهد القديمة في سياق جديد:

النّظر الجديد في شواهد قديمة، وتحريكها من باب إلى باب آخر، يعدُّ قيمة إبداعيّة في الانتفاع بالشواهد، ولفتِ المتعلِّم إلى زاوية جديدة لم تخطر بباله حين يركّز على موضع الاستشهاد المشهور، وبذلك يتحرّك ذهنه نحو مساحة تحليلية أوسع للشّاهد البلاغي، وتكون خطوة أولى في جعل الشّاهد الواحد مرمى لكلّ المباحث البلاغية التي احتواها، بل في النظر إلى الأسلوب الواحد من منظورين، كالنظر إلى التقديم والتأخير في بناء الاستعارة مثلاً.

وقد سبق أن رأينا كيف وافق ابنُ عاشور البلاغيين في تكرير شاهد واحد في موضعين مختلفين، في بيت محمد بن وهيب:

ثلاثةٌ تُشرق الدنيا بِبَهجتها *** شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقَمرُ

بيد أنّا –هاهنا– مُعنونَ بالشّاهد البلاغيّ الذي استشهد به ابن عاشور في موضع غير الموضع الذي استشهد به البلاغيون فيه، وإن لم يكن قد استشهد به ابن عاشور في موضعه الأصلي، ومن أظهر تلك الشواهد الشاهدان التي يُوردهما البلاغيون عادةً في باب السرقات الشعرية، وهما بيت بشّار:

مَن راقبَ النَّاسَ لم يَظفرْ بحاجَتِهِ *** وفازَ بالطيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

وبيت سلم الخاسر:

مَن راقبَ النّاسَ ماتَ كَمْداً *** وفَــازَ باللَّذةِ الجَسُورُ

حيث استشهد بهما ابن عاشور في مقدمة باب (الإيجاز والإطناب والمساواة)، شاهدين على المساواة والإيجاز، فبيتُ بشّار من قبيل المساواة، وبيت سَلْم من قبيل الإيجاز في تقدير ابن عاشور، ولم يصنّف البلاغيون هذين البيتين هذا التصنيف سوى أن ذكروا أن بيت سلم أبلغ لأنه أخصر(١).

وذكر السّعد التفتازانيّ من الشّواهد في باب وصف المسند إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (الإنسان:١٩-٢٠) ذكره إضافة على شاهد (التلخيص) الذي ذكر شاهداً على كون الوصف يأتي مُبيناً للمسند إليه، وهو قول أوس بن حجر:

الألمعيُّ الذي يظنّ بك الظـ *** ـن كأنْ قَدْ رأى وقَدْ سَمِعا

قال السّعد: "ومثله في النّكرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (الإنسان:١٩-٢١) ، فإن "الهَلَع سرعةُ الجزع عند مسّ المكروه، وسرعةُ المنع عند مسّ الخير""(٢).

هذان الشّاهدان ذكرهما ابنُ عاشور شاهدين على الإطناب، وعلى نوع منه سمّاه بالتفسير، وأقربُ الظنّ أنه استقاهما من (المطوّل) في ذلك الموضع، وأتى بهما في هذا الموضع تجديداً.

وهذا مسلكٌ مطروقٌ لدى الأئمة المبدعين في صناعة المتون وتجديدها، فالأبيات المشهورة لدى البلاغيين:

سأشكرُ عَمْــراً إنْ تَــرَاختْ مَنِيّتِي *** أَيــادِيَ لــم تَمنُنْ وإنْ هيَ جَــلّتِ

(١) ينظر: الخطيب القزويني، "تلخيص المفتاح"، ٣٤٠.

(٢) المطوّل، ١٨٣، وما بين قوسين كلام الزمخشري في الكشّاف، كما أثبت ذلك محقّق المطوّل.

فتًى غَيرَ مَحجوبِ الغِنى عَنْ صَدِيقِهِ *** ولا مُظهرُ الشَّكَوى إذا النَّعلُ زلّتِ

رأى خَلّتي مِن حَيثُ يَخفى مَكانُها *** فَكَـانتْ قـذى عَينيهِ حتّى تجـلّتِ

استشهد عبد القاهر بالبيتين الأولين فيما يسمى "القطع والاستئناف" في حذف المبتدأ "المسند إليه"، في باب الحذف(١)، وتابعه السّكاكي في استشهاده به في باب طي المسند إليه(٢).

واستشهد بها الخطيب القزويني في (تلخيص المفتاح) في النوع البديعي اللّفظي (لزوم ما لا يلزم)، وهو: أن يجئ قبل حرف الرّويّ، أو ما في معناه من الفاصلة، ما ليس بلازم في السجع(٣).

ثمّ جاء ابن عاشور واستشهد بعجز البيت الأول في المجاز، وتحديداً في المجاز المرسل المفرد، شاهداً على إطلاق الأيادي على النّعم، والعلاقة –كما معروف– علاقة السّببية(٤).

وبهذا تعددت زوايا النّظر في هذا الشّاهد، وترسّخ حضوره في المصادر البلاغيّة، ولعلّهم وجدوا في معناه الأخلاقيّ وجمال حبكه البلاغي ما يستحق تكراره، وتوظيفه في أكثر من باب.

أسس اختيار الشواهد:

عمليةُ اختيار الشّواهد بالنسبة للمتأخّر من العلماء يحكمها سياقُ متنٍ مستقرّ بشواهده المتداولة، فلا مفرّ له من اعتمادها، أو اعتماد أكثرها مما دار عليه النّقاش بين البلاغيين في شروحهم وحواشيهم، ومن ثمّ كان من الطبيعي جدّاً اعتماد ابن عاشور على شواهد (تلخيص المفتاح)، وإيراده لأكثرها في مواضعها من أبوابها، فهذا الأساس

(١) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٤٩.

(٢) ينظر: أبو يعقوب السكاكي، "مفتاح العلوم"، ١٧٦.

(٣) ينظر: الخطيب القزويني، "تلخيص المفتاح"، ٣٣٥/٣٣٦.

(٤) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، ١٤٢.

الأوّل في اختيار ابن عاشور لشواهده، وهو أساس العلمية والشّهرة والاستفاضة.

ثمّ يعضد هذا الأساس وجود شواهد أخرى في مصادر بلاغية أخرى غير متنها المشهور، أو شواهد نحوية يوظفها في أبواب بلاغية، فيكون إيراده لها مكيّفاً بهذا الاعتبار.

ثمّ يأتي اختياره لشواهده الجديدة منطلقاً من حيثيات تعليمية وبلاغية وابتكارية، وهو –كما ذكر– صنع هذا الموجز لغرضين أساسين: إعانة المبتدئين على أن ينطقوا بلسان فصيح، وإعانتهم على أن يملؤوا أذهانهم بالمسائل البلاغيّة الأساسيّة الخالصة، إضافة إلى غرض إبداعيّ دفعه إليه روحه الابتكاريّة، وكان نتيجته ابتكار أنواع ومقرّرات في المتن البلاغيّ لم يسبق للمتقدّمين أن تعرّضوا لها.

ومحصّل ذلك وتفصيله أنّ ابن عاشور في اختياره شواهده اعتمد على أربعة أسس:

الأساس العلمي:

غرض هذا الأساس كان التّواصل مع المتن البلاغيّ شرحاً وفهماً، باعتبار أنّ شواهد العلوم في مصادرها المؤسّسة، ومتونها المستقرّة، قد أصبحت ركناً ركيناً من العلم نفسه، والاستغناء عنها استغناءٌ عن جزء من العلم، بل من دليله المنصوب حجّة على مقرّراته، وعناية العلماء قديماً وحديثاً بإفراد شواهد هذه العلوم بمؤلّفات مستقلة تأتي في سياق تأكيد هذه الحقيقة.

وقد بلغ ما اعتمده الطاهر ابن عاشور من شواهد (الإيضاح) و(تلخيص المفتاح) قرابة الواحد والتّسعين شاهداً، عزّزها ببعض شواهد العلوم القريبة، كقول الشاعر:

وجهُكَ البَدرُ لا بَلْ الشَّمسُ لَو لَمَ *** تُقْضَ للشَّمسِ كَسْفةٌ وأُفولُ

حيث استشهد به ابن عاشور في التّشبيه البليغ، على كون المشبّه به خبراً عن المشبّه[1]، واستشهد به النّحاة على أنّه يزاد "لا" قبل "بل" بعد الإيجاب لتوكيد

(١) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، ١٣٣.

الإضراب[1].

واستحضار ابن عاشور لهذه الشّواهد كما يتجلّى من هذا المثال استحضارَ الحافظ الواعي لما فيها من قضايا ومواطن استشهاد، وإنّا ندرك البون الشّاسع بين موطن الاستشهاد في هذا الشّاهد بين النّحو والبلاغة، ولكنّ فِعلَ ابن عاشور في توظيف الشّاهد النّحويّ في سياق بلاغيّ يرشد الطّالب إلى قيمة التّرافد بين هذين العِلمين، بل يشير إلى وحدة العلوم العربيّة من خلال وحدة شواهدها.

الأساس التعليمي:

انتحى ابن عاشور منحى التّقريب في هذا الموجز بالطريقة التي رآها مُجدية في هذا المقام، وكانت الشّواهد جُزءاً من هذه العمليّة، حيث تلمح ذلك من كثرة تمثيله بالأمثلة المصنوعة، واقتصاره في بعض المواضع على شطر من البيت، أو جزء من النّثر؛ دفعاً بالمبتدئ إلى التّركيز على موطن الشّاهد، وقد ترى هذا الأساس حاضراً في اختياره لبعض شواهده الجديدة، كاستشهاده في ترك المقدّمات من الإيجاز بقول بديع الزمان لابن أخته: "أنتَ ابني ما دمتَ والعلمُ شانُك، والمدرسةُ مكانُك، والمحبرةُ حليفُك، والدّفترُ أليفُك، فإنْ قَصّرتَ ولا إخَالُك، فَغِيرِي خَالُك"[2].

ولا يخفى ما في الاستشهاد بهذا الشّاهد من تأنيس المتعلِّم وتجسيره على القِيم التربويّة الرائعة، وتعزيزه بالشّواهد التي تصلح أمثلةً لتجديد نشاطه التعليميّ، والارتقاء به نحو معالي الأمور.

ونرى من مظاهر هذا الأساس اختيار الشواهد التربويّة، كشاهد البرّ بالوالدين،

(١) ينظر: ابن هشام الأنصاري، "مغني اللبيب"، ١٦٢.

(٢) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، ١٢٤.

حديث: "ففيهما فجَاهدْ"، فقد جاء به ابن عاشور في التّقديم الذي يفيد الحصر مع شاهد آخر(١).

ويكفي في هذا المقام ملاحظة تصدّر الشّواهد القرآنيّة والشّواهد الشّعرية قائمةَ الشّواهد المختارة؛ إذ كلّ آية فيها ما فيها من الهدايات الإرشاديّة النافعة للمتعلّم، وكثيرٌ من الشّعر فيه ما فيه من الدعوة إلى المكارم الأخلاقيّة والفضائل النفسيّة.

الأساس البلاغي:

طرح ابن عاشور في مقدّمة تفسيره (التّحرير والتّنوير) ما يمكن تسمّيته "تكميل الذوق"، وعدّه أمراً لازماً للمفسِّر، لا يتحصّل له إلا من خلال استشهاده في تفسير الآية ببيت من الشّعر أو شيء من كلام العرب، قال: "لم يكن غنًى للمفسِّر في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية ببيت من الشّعر، أو شيء من كلام العرب؛ لتكميل ما عنده من الذّوق عند خفاء المعنى، ولإقناع السّامع والمتعلّم اللّذين لم يكمل لهما الذّوق في المُشكِلات"(٢).

والبلاغيُّ تقعُ له هذه الحاجة من جهتين، جهةٌ يشترك فيها مع المفسّر في الاستعانة بالشّواهد العربية على تكميل ذوقه في صحّة النظر وحسن الفهم، وجهةٌ يتفرّد بها في كونه يتغيا مطلب الإتقان في إنشاء صناعته، كما لو كان مكان ذلك البليغ الذي أنشأ هذه البلاغة في بيانه، ولا يحقّق له هذه الغاية على وجهها الأكمل إلا العناية بأرفع البيان وأجزله، ولذلك مال ابن عاشور في موجزه إلى الاستشهاد بالشّعر الجاهلي، وكان يفضّل النّابغة كما يظهر من كثرة استشهاده بشعره؛ وذلك لأنّ "شِعره بالمنزلة

(١) ينظر: السابق، ٨١.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١: ٢١.

العليا فصاحةَ لفظ، وبلاغةَ تركيب، وشرف معنى، وتباعداً عن الضّرورات وعن ضعف التّأليف"(١).

على أنه نَقَرأُ من جهة أخرى أنّ تحرّر البلاغيين – والطّاهر ابن عاشور منهم – من تضييق دائرة الاستشهاد بدائرة زمنيّة أو مكانيّة، قد أعطاهم الحريّة في تخيّر شواهدهم من كلّ ما جادت به العصور والأمصار من فتيّ البيان وبليغه، ومن ثمّ أفسح لقارئهم الطمعَ في نوال هذه البلاغة التي لا تحدّ بعصر ولا تختصّ بمصر.

الأساس الابتكاريّ:

الشّواهد في الأسس السّابقة تُستحضر تاليةً لمقاصدها ومسائلها، أمّا في هذا الأساس فالشّاهد هو مَن يبتكر المسألة من أصلها، أو يأتي بشاهد لما لا شاهد له عند العلماء، وهذا الأساس نوع نادر في تاريخ العلوم كلّها، لا تعثر عليه إلا في الفَرْط بعد الفَرْط لدى العلماء الذين وهبوا أنفسهم للتّجديد والابتكار.

وقد وقع هذا في (موجز البلاغة) في موضعين:

الأول: في نوع جديد من التّشبيه سمّاه ابن عاشور "التّشبيه المكنيّ"، عرّفه بأنه: التّشبيه الذي يحذف فيه المشبّه به، ويُشار إليه ببعض ما هو من خصائص المشبّه به، بناه على شاهد للنّابغة:

فَبِتُّ كأنّ العَائِداتِ فَرْشَنَ لِي *** هِراساً به يُعلَى فِرَاشِي ويُقشَبُ

قال في توضيح هذا النوع: "فالمشبّه به هو المريض الذي يشتدّ ألمه باللّيل، وقد حذفه وأشار إليه بالعائدات؛ لأنّ المقصود تشبيه نفسه لا تشبيه العوائد، وإنما جاء

(١) ديوان النابغة الذبياني، ٥.

بذكر "فرشن لي "زيادةً في تهويل آلامه"[١]، ثم قال: "وهذا النّوع هو الذي تتفرّع منه الاستعارة المكنيّة، ولم يذكره المتقدّمون"[٢].

الثاني: في الكناية، في العثور على شاهد يتعيّن فيه أن يكون أُريد لازم المعنى مع المعنى، قال ابن عاشور: "ظفرتُ بمثال يتعيّن فيه أن يكون أريدُ لازم المعنى مع المعنى، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾(النجم:٤٣)، أراد: أفرح وأحزن، والضّحك والبكاء كذلك"[٣].

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، ١٣٢. قال ابن عاشور في شرح ديوان النابغة: "وفي ذكر "العائدات" استعارة مكنية؛ إذ شبّه نفسه في تحزنه من لوم النعمان بمريض مُضنى، وحذف المشبه به ورمز إليه بذكر ما هو من لوازمه، أي: العائدات على طريقة التّخييل، وشبّه العائدات التي تخيّلها بنساء وضعن له على فراشه هراساً، وهذا تشبيه معقول ومتخيّل بمحسوس". ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ٥٥.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، "موجز البلاغة"، ١٣٥.

(٣) السابق، ١٥٩.

الخاتمة

بعد قراءة (موجز البلاغة) مرّات عديدة؛ استفراغاً للجهد في إتقان هذا البحث، تبيّن لي أنّ ابن عاشور حتى وهو يكتب للمبتدئين لا يستطيع الانفكاك عن النَّفَس التحاوريّ التّجديديّ مع المسائل والأفكار والقضايا، يتّضح ذلك إذا ما قارنت هذا الموجز بأمثاله من المتون البلاغية المعاصرة التي كُتبت في السّياق الزّمني ذاته، ككتاب (حسن الصّياغة في فنون البلاغة) لهارون عبد الرّازق، أو (علوم البلاغة) لأحمد المراغيّ؛ ومن أجل هذا فحَقّ هذا الموجز أن يُدارس في مختبرات البحث كدراسته في قاعات الدّرس، والموضوعات الجديرة بالبحث فيه لا تخفى؛ إذ وضع ابن عاشور ما يُميّزها على عادته في التّنصيص على ما انفرد به، أو صاغته يد إبداعه، ومن أبرزها موضوعان:

أمّا الأوّل فهو بناء باب الفصل والوصل، فقد خالف فيه ابن عاشور طريقة البلاغيين في معالجتهم لقضايا هذا الباب، عِلماً أنّ غالب شواهده فيه شواهد جديدة، استدعتها طبيعة معالجته الفريدة لهذا الباب.

وأمّا الثّاني فتحريراته في باب الاستعارة، فقد تجاوزت أن تكون مقرّرات تعليميّة إلى كونها تحقيقات بحثيّة، هدى إليها التّأمل الطّويل والنّظر المتمعّن.

أمّا عن النتائج فقد توصّل البحث إلى استظهار المناحيّ المنهجيّة والإبداعيّة في قضايا الاستشهاد في (موجز البلاغة)، وتبيّن أن ابن عاشور يجري على سنن علمائنا المؤسّسين في التّعامل مع عملية الاستشهاد، وأنه قد وضع الشّاهد أساساً لاستحضار المسألة وابتكارها، لا على أنه تابع لتقريرها أو توضيحها فحسب، تبيّن ذلك من خلال الأنواع والتحقيقات الابتكارية التي أضافها على المتن البلاغيّ، كالتشبيه المكنيّ الذي تتفرّع منه الاستعارة بالكناية على حدّ وصفه، حيث استشهد له ببيت للنّابغة الذبياني، فكانت جدّة الشّاهد هي التّي أحدثت هذا النّوع، ومن المعلوم أنّ الأنواع والتقاسيم حين تنبع من استحضار شواهدها البيانية تكون أولى بالأخذ والاعتماد مما

يُفتِقُه النّظر العقليّ والتّقسيم المنطقيّ.

وكانت القضايا المنهجيّة كتوثيق الشّواهد، وتكرارها، وتكثيرها، والتّعليق عليها، والتّنصيص على قِلّتها أو كثرتها، أو قِدَمها وحَداثتها، مما يتعاضد هذا كلّه على رسم صورة نموذجيّة لهذا التّعامل الإبداعيّ مع الشّواهد، فوق أنّه يعطي صورة دقيقة لنوعيّة قراءة العالم للمتن العلميّ المستقرّ، وأنها قراءة تضع المتن المختار على صفحة البيان البليغ، فتعيد تنظيم بعض أبوابه ومراجعة بعض مقرّراته من خلال ذلك، فينشأ من جرّاء ذلك استحضار شواهد جديدة تبلغ خمسة وثمانين شاهداً، مثّلت سعة اطلاع ابن عاشور وثقافته بكلام العرب، أي: بنسبة تقارب نصف شواهد الموجز، والتي بلغت مائتين وتسعة عشر شاهداً، دون الأمثلة المصنوعة.

كما نشأ من ذلك نَظرُهُ الجديد للشّواهد القديمة، واستحضارها في أبواب أخرى غير ما اشتهرت به عند البلاغيين، وهذا جانبٌ من التّوظيف الإبداعيّ يُعزّز من قيمة تلك الشّواهد، وحسن اختيار البلاغيين لها.

وانتهى البحث إلى استنباط أربعة أسس كانت تتحكّم في اختيار الطّاهر لشواهده، سواء القديمة أو الجديدة، وهذه الأسس بكمونها تحت كلِّ عمليات الاستشهاد عند ابن عاشور، كانت بمثابة النّتيجة الكبرى التي استقرّت عليها هذه الدّراسة، وحُقُّ للقارئ أن يعود إليها، ويتأكّد منها، لأني رأيتُ أنّ اختصارها – هاهنا– قد يُخلُّ بتبيان حقيقتها.

والنّتيجة التي أختم بها، هو أنّ قارئ ابن عاشور في سائر مؤلفاته سيُدرك أنّ عملية استحضاره للشواهد مسبوقة بالحفظ الواعي لكثير من الدّواوين والكتب الأدبيّة، كشعر الجاهليّين وشعر الإسلاميّين وشعر الأندلسيّين وديوان الحماسة ومقامات الحريريّ، وفي هذا مطمعٌ لمن أراد أن يَقتدي بهذا النّموذج الإبداعي في سعة محفوظه وقوّة استحضاره.

المصادر والمراجع

ابن السكيت." ديوان الحطيئة – براوية وشرح". تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه. (ط١، القاهر: مكتبة الخانجي، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

ابن بحر الجاحظ، أبو عثمان عمرو. " البيان والتبيين". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د.ط، بيروت: دار الجيل، د.ت).

ابن ثابت، حسان. " ديوان". تحقيق: د. سيد حنفي حسنين. (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م).

ابن خلدون. " مقدمة ابن خلدون". تحقيق: علي عبد الواحد وافي. (ط٧، القاهرة: دار نهضة مصر للنشر، ٢٠١٤م).

ابن رشيق القيرواني، أبو الحسن. " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده". حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد. (ط١، القاهرة: دار الطلائع، ٢٠٠٦م).

ابن عاشور، الطاهر. "أصول الخطابة والإنشاء". تحقيق: ياسر بن حامد المطيري. (ط١، الرياض: مكتبة دار المنهاج –الرياض، ١٤٣٣هـ).

ابن عاشور، للعلامة الشيخ محمد الطاهر." الوسيلة والبلاغة في شرح موجز البلاغة". تحقيق: عبد الله بن صالح الفوزان. (ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٤٣هـ).

ابن عاشور، محمد الطاهر. " التحرير والتنوير". (تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م).

ابن عاشور، محمد الطاهر. " موجز البلاغة". تحقيق وشرح: د. محمد أحمد آل مزهر الشهري. (ط١، مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣م).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. " معجم مقاييس اللغة". تحقيق وضبط: عبد السلام هارون. (بيروت: دار الجيل ودار الفكر).

الأنصاري، ابن هشام. " شرح شذور الذهب، ومعه كتاب منتهى الأرب". بتحقيق

شـــرح شـــذور الذهب، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد. (القاهرة: دار الطلائع).

الأنصـاري، ابن هشـام. " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق: د. فخر الدين قباوة. (ط١، استطنبول: دار اللباب، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م).

البخاري، أبو عبد الله. "الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسُننه وأيامه، المعروف بـــ (صحيح البخاري)". أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد. (ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٣م).

التفتازاني، سعد الدين. " شرح تلخيص المفتاح (المطوّل)". حققه وخرج ما فيه وعلّق عليه وصنع فهارسه: د. ضياء الدين عبد الغني القالش. (ط٢، استطنبول: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث ١٤٤٦هـ – ٢٠٢٤م).

التهانوي، محمد علي. "كشـــاف اصـــطلاحات الفنون والعلوم". تحقيق: د. علي دحروج. نقل النص الفارســـي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي. (ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م).

الجرجاني، عبد القادر. " الشاهد البلاغي وإشكالية النموذج". قراءة في أسرار البلاغة للجرجاني، د. محمد أمين المؤدب. مجلة جذور، نادي جدة الأدبي، ع (٥)، (مايو ٢٠٠١م).

الجرجاني، عبد القاهر. " دلائل الإعجاز". قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود شـــاكر. (ط٥، القاهرة: مكتبة الخانجي –القاهرة، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٤م).

الجرجاني، عبد القاهر. "أسرار البلاغة". قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر. (ط١، جدة: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م).

الخفاجي، ابن سنان. " سرّ الفصاحة". حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: د. النبوي

عبد الواحد شعلان. (ط١، مصر: المكتبة الخيرية، ١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٤م).

الذبياني، النابغة. " ديوان ". جمع وتحقيق وشرح: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. (ط١، تونس، دار سحنون – القاهرة: دار السلام ،١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م).

السكاكي، أبو يعقوب. " مفتاح العلوم". ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) .

السيوطي، جلال الدين. " المزهر في علوم اللغة وأنواعها." شرحه وضبطه وصحّحه وعنّون موضوعاته وعلّق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى وآخرون. (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٦م).

الشهري، عبد الرحمن بن معاضة. " الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم". (ط١، الرياض: مكتبة دار المنهاج – الرياض، ١٤٣١هـ).

الصاعدي، هاني بن عبيد الله. " مبتكرات القرآن عند الطاهر ابن عاشور دراسة بلاغية". (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ١٤٣٤هـ).

الطبراني، الحافظ أبي القاسم. " المعجم الأوسط". تحقيق: طارق بن عوض الله محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م).

الطنطاوي، محمد. " نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة". تحقيق وتصحيح ومراجعة: عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل. (ط١، مصر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م).

العباسي، عبد الرحيم. " معاهد التنصيص على شواهد التلخيص". حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد محي الدين عبد الحميد. (مصر: مطبعة السعادة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م).

القرطبي، أبو عبد الله. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦م).

القزويني، الخطيب. " تلخيص المفتاح". حققه وخرّج ما فيه وعلّق عليه وصنع فهارسه: د. ضياء الدين عبد الغني القالش. (ط١، إسطنبول: دار اللّباب، ١٤٤٦هـ . ٢٠٢٤م).

القفطي، جمال الدين. " إنباه الرواة في أخبار النحاة". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١، بيروت: دار الفكر العربي – القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٢م).

محفوظ، محمد. "تراجم المؤلفين التونسيين". (د.ط ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت).

المعري، أبي العلاء. " ديوان اللّزوميات". تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، (د.ط، بيروت: مكتبة الهلال – القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت).

النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري. " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم – المعروف بـــ (صحيح مسلم)". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت،).

هارون، عبد السلام. " معجم شواهد العربية". (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، دون تاريخ).

الهمذاني، بديع الدين." رسائل". مع شرحها (كشف المعاني والبيان)، إبراهيم الأحدب الطرابلسي. (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٨٠م).

Bibliography

Ibn al-Sikkit. " Diwān al-Ḥuṭaī'ah – Be-rewāyah wa-sharḥ". Investigated by Dr. Nu'man Muhammad Amin Taha. (1st ed., Cairo: Maktabat al-Khanji, 1407H - 1987).

Ibn Bahr al-Jahiz, Abu Uthman Amr. "al-Bayān wa-al-Tabyin". Investigated by Abd al-Salam Mohammed Harun. (n.d., Beirut: Dar al-Jil).

Ibn Thabit, Hassan. "Diwān". Investigated by Dr. Sayid Hanafi Hassanein. (Egyptian General Book Organization, 1974).

Ibn Khaldun. "Muqaddimat ibn Khaldūn". Investigated by Ali Abd al-Wahid Wafi. (7th ed., Cairo: Dar Nahdat Misr for Publishing, 2014).

Ibn Rashiq al-Qairawani, Abu al-Hasan. "al-ʿUmda Fī Maḥāsin al-Shiʿr wa-ādābih wa-Naqdih". Investigated, annotated and with footnotes by Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid. (1st ed., Cairo: Dar al-Tala'i', 2006).

Ibn 'Ashur, al-Tahir. "'Uṣūl al-Khaṭābah wa-al-Inshā'". Investigated by Yasser bin Hamed al-Mutairi. (1st ed., Riyadh: Dar al-Minhaj Library, 1433 AH).

Ibn 'Ashur, by the scholar Sheikh Mohammed al-Tahir. "al-Wasīlah wa-al-Balagha Fī Sharḥ Mūjaz al-Balāgha". Investigated by Abdullah bin Saleh al-Fawzan. (1st ed., Dammam: Dar Ibn al-Jawzi, 1443H).

Ibn Ashur, Mohammed al-Tahir. "al-Taḥrīr wa-al-Tanwir". (Tunisia: Dar Sahnun, 1997).

Ibn Ashur, Mohammed al-Tahir. "Mūjaz al-Balāgha". Investigated and explained by Dr. Mohammed Ahmad Al Mazhar al-Shahri. (1st ed., Makkah: Dar Tayiba al-Khadra, 1445H - 2023).

Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmad. "Muʿjm Maqāyis al-Lugha". Investigated and revised by Abd al-Salam Harun. (Beirut: Dar al-Jil and Dar al-Fikr).

Al-Ansari, Ibn Hisham. "Sharḥ Shudhūr al-Dhahab, Ūmʿh Ktāb Mnth L-Arb". Investigated by Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid. (Cairo: Dar al-Tala'i').

Al-Ansari, Ibn Hisham. "Mughni al-Labīb ʿan Kutub al-Aʿārīb". Investigated by Dr. Fakhr al-Din Qabawa. (1st ed., Istanbul: Dar al-Lubab, 1439H - 2018).

Al-Bukhari, Abu Abduillah. "Saḥīḥ al-Bukhārī". Supervised by Shu'ayb al-Arna'ut and Adil Murshid. (1st ed., Dar al-Risalah al-'Alamiyah, 1432 AH - 2013).

Al-Taftazani, Sa'd al-Din. "Sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ (al-Muṭawwal)". Investigated, annotated and indexed by Dr. Diya' al-Din 'Abd al-Ghani al-Qalash. (2nd ed., Istanbul: Dar al-Lubab for Studies and Heritage Research, 1446 AH - 2024).

Al-Tahanawi, Mohammed 'Ali. "Kashāf Iṣṭilāḥāt al-Funūn wa-al-Uʿlūm". Investigated by: Dr. 'Ali Dahrouj. Translated from Persian into Arabic by: Dr. 'Abdullah al-Khalidi. (1st ed., Beirut: Maktabat Lubnan Nashirun, 1996).

Al-Jurjani, 'Abd al-Qadir. "al-Shāhd al-Blāghī wa-ishkāliyat al-Namūdhaj". A reading of Al-Jurjani's "Secrets of Eloquence," by Dr. Mohammed Amin al-Mu'addab. Judhur Magazine, Jeddah Literary Club, No. (5), (May 2001).

Al-Jurjani, 'Abd al-Qahir. "Dalā'il al-Iʿjāz". Read and annotated by: Abu Fahr Mahmud Shakir. (5th ed., Cairo: Maktabat al-Khanji, Cairo, 1424H - 2004).

Al-Jurjani, 'Abd al-Qahir. "'Asrār al-Balāgha". Read and annotated by: Abu Fahr Mahmud Mohammed Shakir. (1st ed., Jeddah: Al-Madani Press, Cairo - Dar Al-Madani, 1412H - 1991).

Al-Khafaji, Ibn Sinan. "Sirr al-Faṣāḥa". Investigated, annotated and indexed by: Dr. Al-Nabawi Abd Al-Wahid Shaalan. (1st ed., Egypt: Al-Maktabah Al-Khayriyah, 1445H - 2024).

Al-Dhubyani, Al-Nabigha. "Diwān" Collected, Investigated and explained by: Sheikh Mohammed Al-Tahir Ibn Ashur. (1st ed., Tunis: Dar Sahnun - Cairo: Dar Al-Salam, 1430H - 2009).

Al-Sakkaki, Abu Yaqub. "Miftāḥ al-ʿUlūm". Investigated, annotated and annotated by: Na'im Zarzur. (2nd ed., Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1407 AH - 1987).

Al-Suyuti, Jalal Al-Din. "al-Muzhir Fī ʿlūm al-Lugha wa-'Anwāʿhā". Explained, Investigated, corrected and titled, with footnotes added by: Mohammed Ahmad Jad al-Mawla and others. (Beirut: Al-Maktabah al-'Asriyah Publications, 1986).

Al-Shahri, Abd al-Rahman ibn Mu'adhah. "al-Shāhd al-Shiʿrī Fī Tafsīr al-Qurān al-Karīm". (1st ed., Riyadh: Dar al-Minhaj Library, 1431 AH).

Al-Sa'idi, Hani ibn Ubaid Allah. "Mubtakarāt al-Qurān ʿenda al-Tāhr Ibn ʿāshūr. Drāst balāghiyah". (Master's Thesis, Umm al-Qura University, 1434 AH).

Al-Tabarani, al-Hafiz Abu al-Qasim. "al-Muʿjam al-Awsaṭ". Investigated by: Tariq ibn Awad Allah Mohammed and Abd al-Muhsin ibn Ibrahim al-Husaini. (Cairo: Dar al-Haramain, 1415H -

1995).
Al-Tantawi, Mohammed. "Nsh'at al-Naḥw wa-Tārīkh Ashharr al-Nuḥāt". Investigated, corrected and reviewed by: Abd al-Rahman ibn Mohammed ibn Isma'il. (1st ed., Egypt: Library for the Revival of Islamic Heritage, 1426H - 2005).
Al-Abbasi, Abd al-Rahim. "Maʿāhid al-Tanṣīṣ ʿla Shawāhid al-Talkhīṣ". Investigated, annotated and indexed by Mohammed Muhyi al-Din Abd al-Hamid. (Egypt: Al-Sa'adah Press, 1367 AH - 1947).
Al-Qurtubi, Abu Abdillah. "al-jāmiʿ li aḥkām al-Qurān". Investigated by Abdullah ibn Abd al-Muhsin al-Turki. (1st ed., Beirut: Al-Risalah Foundation, 1427H - 2006).
Al-Qazwini, Al-Khatib. "Talkhīṣ al-Miftāḥ". Investigated, annotated and indexed by Dr. Diya' al-Din Abd al-Ghani al-Qalash. (1st ed., Istanbul: Dar al-Lubab, 1446H - 2024).
Al-Qafti, Jamal al-Din. "Inbāh al-Ruwāt Fī Akhbār al-Nuḥāt". Investigated by Mohammed Abu al-Fadl Ibrahim. (1st ed., Beirut: Dar al-Fikr al-Arabi - Cairo and the Cultural Books Foundation, 1406H - 1982G).
Mahfouz, Mohammed. "Tarājm al-Mu'lfīn al-Tūnisiyin". (n.d., Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, n.d.).
Al-Ma'arri, Abu al-'Ala'. "Diwān al-Luzūmīyāt". Investigated by Amin 'Abd al-'Aziz al-Khanji, (n.d., Beirut: Maktabat al-Hilal - Cairo: Maktabat al-Khanji, n.d.).
Al-Naisabouri, Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri. "Ṣaḥīḥ Mslm". Investigated by Mohammed Fu'ad 'Abd al-Baqi. (n.d., Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, n.d.).
Haroun, 'Abd al-Salam. "Muʿjam Shawāhid al-ʿArabiyyah". (3rd ed., Cairo: Maktabat al-Khanji, n.d.).
Al-Hamadhani, Badi' al-Din. "Rasā'il". With its explanation (Unveiling the Meanings and the Statement), Ibrahim Al-Ahdab Al-Tarabulsi. (The Catholic Press of the Jesuit Fathers, 1980).

آليات السبك النصي
في ديوان رائحة التراب لإبراهيم مفتاح

Textual Casting Mechanisms in Ibrahim Miftah's Collection "The Scent of Soil"

أفراح أبو البشر محمد بابكر

أستاذ مساعد بجامعة حائل

البريد الإلكتروني: aminosman829@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
23/09/2025		16/12/2025
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-019		

مستخلص:

سعت هذه الدراسة إلى البحث عن آليات السبك النصي في ديوان (رائحة التراب) للشاعر السعودي إبراهيم عبد الله مفتاح، ودراستها دراسة نصية، مستخدمة المنهج النصي؛ لكونه المنهج الأنسب لهذه الدراسة، ومستعينة بالمنهجين الوصفي والتحليلي. واقتضت طبيعة الموضوع أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، تعقبها خاتمة ثم قائمة المصادر والمراجع. وبيانها كما يلي: المبحث الأول: الإحالة. المبحث الثاني: الاستبدال. المبحث الثالث: الحذف. المبحث الرابع: الربط (العطف). المبحث الخامس: التماسك المعجمي. وكان من أهم النتائج التي توصل إليها: أدت الإحالة دورا بارزا في تماسك النصوص الشعرية وربط بعضها ببعض؛ كونها تمتلك عددا من الوسائل والآليات، وأهمها الضمائر التي تعد أكثر أنواع الإحالة ورودا في الديوان. أسهمت تقنية الحذف في تماسك النصوص الشعرية، من خلال شحذها ذهن المتلقي لتأويل المحذوف من خلال السياقات اللغوية أو المقامية.

الكلمات المفتاحية: السبك، نحو النص، رائحة التراب، التضام، الاتساق.

Abstract:

This study sought to search for the history of the textual casting in the collection of poems (The Smell of Dust) by the Saudi poet Ibrahim Abdullah Miftah, and its textual study, using the textual version; the ideal place for this study, and using the descriptive and analytical methodology. The nature of the subject required that it be divided into development and introduction and five sections, followed by a ring and then a list of sources and references. Its statement is as follows: The first section: Reference. The second section: Substitution. The third section: Deletion. The fourth section: The hidden (conjunction). The fifth section: The lexical motive. Among the most important results that it reached were: Muscle spasms noticeably in massaging the texts of poetry and linking part of them; and it does not possess several means and mechanisms, the most important of which is the pronoun, which is the most common type of reference to the collection. The deletion technique was notified in inviting poetic texts, through its intention to the recipient's mind to interpret the deleted through the linguistic or situational caravan.

Keywords: Casting, Textuality, Smell of Soil, Inclusion, Coherence.

مقدمة:

ارتبطت الدراسات اللغوية التقليدية بالنحو، وهو علم يختص بدراسة الجملة وتحديد العلاقات التي تربط بين الكلمات والأدوات التي تتكون منها، وقد ظلت الدراسات اللغوية على هذه الحالة مدة طويلة، لا يتجاوز فيها النحو دراسة ما فوق الجملة، وهو النص، حتى العصر الحديث الذي انتعشت فيه العلوم كافة ولا سيما الدراسات اللغوية، فنشأ علم لساني جديد يهتم بدراسة النص، أطلق عليه مصطلح "نحو النص".

إن نحو النص –بوصفه علما موضوعه النص كله، لا الجملة– لا شك أنه سيحتاج إلى وسائل وآليات متعددة، يستعين بها في تحقيق الغاية التي أوجد من أجلها، وهي الكشف عن نصية النص، ومدى تلاحم أجزائه، وتماسك عناصره بعضها ببعض؛ باعتباره وحدة لغوية واحدة، تترابط شكليا، ودلاليا، فاستُعملت لذلك مفاهيم ومصطلحات تدل عليه، ومن تلك المفاهيم والمصطلحات التي اشتهرت في حقل لسانيات النص: السبك النصي، والاتساق، والانسجام، والترابط، وغيرها من المصطلحات التي تدل على معنى واحد.

وقد تميز نحو النص عن نحو الجملة بميزتين: الأولى أن نحو الجملة معياري، أي أنه يُخضع الجملة عند دراستها لقواعده الصارمة، فيحكم بصوابية الجملة إذا وافقت قواعده، ويرفضها إذا خالفتها، أما نحو النص فهو وصفي لا يهتم بهذا المعيار، والثانية أن موضوع النحو التقليدي وهو الجملة يمكن تقسيمه إلى كلمات، بخلاف النص، إذ لا يمكن فصل أجزائه بعضها عن بعض؛ لأنه بذلك سيفقد وحدته الدلالية، فتنعدم نصيته.

ونظرا لأهمية نحو النص في دراسة النصوص فقد رأت الباحثة ضرورة تطبيق هذا النوع من الدراسات على ديوان (رائحة التراب)، للشاعر السعودي إبراهيم مفتاح؛ كونه لم يدرس دراسة نصية تناولت آليات السبك النصي فيه، على حد علمها.

أما الدراسات السابقة التي تناولت شعر إبراهيم مفتاح، موضوع الدراسة فهي دراسات قليلة، ومختلفة عن هذه الدراسة، مما زاد من أهمية هذا البحث، ومن تلك الدراسات:

– دراسة بعنوان: بحث نقدي في ديوان رائحة التراب، لإبراهيم عبد الله مفتاح، بين إيقاعية النشيد ومفردات الرحلة الغنائية: قراءة نقدية، للدكتور/ محمدين محمدين يوسف. وهي دراسة نقدية ليس لها صلة بموضوع هذا البحث.

وقد اتبع البحث في دراسة هذا الموضوع المنهج النصي، بالإضافة إلى المنهجين الوصفي والتحليلي؛ كونهما منهجين مساعدين لا يستغني عنهما المنهج الرئيسي، وتم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد، وخمسة مباحث، ثم خاتمة، وأخيرا قائمة المصادر والمراجع:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وخطة تقسيمه.

التمهيد: وتطرق إلى التعريف بالنص، والسبك النصي، وآلياته، وهي المفاهيم التي تضمنها العنوان.

المبحث الأول: الإحالة.

المبحث الثاني: الاستبدال.

المبحث الثالث: الحذف.

المبحث الرابع: الربط (العطف).

المبحث الخامس: التماسك المعجمي.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

قائمة المصادر المراجع: وفيها المراجع التي استفاد منها البحث.

التمهيد

يعد السبك النصي من المفاهيم اللسانية الحديثة التي تقوم على البحث عن أدوات التماسك والترابط بين العناصر المشكلة لنص ما، من بدايته إلى نهايته، ودراستها، ووصفها، عن طريق رصد تلك الأدوات التي حددتها الدراسات اللسانية الحديثة وهي: الإحالة، والحذف، والاستبدال، والربط (العطف)، التماسك المعجمي، ذلك أنه لا يمكن عد النص نصاً بمجرد تتابع جمله، أو فقراته، أو أجزائه، ما لم يكن بين تلك الأجزاء علاقات دلالية أولاً، وروابط لغوية شكلية من ناحية ثانية.

النص:

النص لغة: أَصل النَّصّ: مُنْتَهَى الأَشياء ومَبْلغُ أَقْصاها، ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ ضربٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ. والنَّصُّ: السَّيْرُ الشَّدِيدُ والحثُّ، ونَصَصْت الشَّيْءَ: رَفَعْتُهُ، وَمِنْهُ مِنَصَّة الْعَرُوسِ. والنَّصُّ: الإِسْنادُ إِلى الرَّئِيسِ الأَكبر، والنَّصُّ: التوْقِيفُ، والنصُّ: التَّعْيِينُ عَلَى شيءٍ مَا، ونصُّ الأَمرِ شدتُه[1].

النص اصطلاحا: يعد مصطلح "النص" من المصطلحات اللسانية التي لم يتفق علماء اللغة على تعريفها تعريفا دقيقا، أو تحديد ماهيتها بحدود معينة، فقد أدى اختلاف مشارب أولئك العلماء وانتماؤهم إلى مدارس لغوية متباينة الأسس، والمعايير، والخلفية النظرية والفكرية، إلى اختلافهم في تعريفه، وقد تتقارب هذه التعريفات حينا، وتتباين حينا آخر.

ومع هذا فقد أشار هاليداي ورقية حسن إلى أن لفظة نص "تُستخدم في علم

(١) ينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، ط ٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٧: ٩٨، وبيان بنت إبراهيم بن عبد العزيز السيف، "التماسك النصي في حديث السبعة"، *مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية* ٥، ع ١ (٢٠٢٣): ٣٨٦–٤٢١، https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1431.٣٨٨.

اللغويات لتشير إلى فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة"[١]، وذلك بغرض التواصل مع الآخرين، أو نقل الأفكار، أو التعبير عما في النفس، عن طريق الكلمات والجمل والعبارات التي يتشكل منها النص.

وعرفه برينكر –مستندا في ذلك إلى الجانب الدلالي المحوري– بأنه مجموعة منظمة من القضايا اللغوية الدلالية، أو المركبات القضوية، التي يرتبط بعضها ببعض على أساس محوري موضوعي، أو عدد من الأسس، وفق علاقات منطقية دلالية[٢]، تنتظم النص من بدايته إلى نهايته.

إن النص نسيج لغوي متماسك مكون من علامات لغوية يرتبط بعضها مع بعض، ويدور حول موضوع دلالي محوري، يمثل وحدة متكاملة من علامات منطقية دلالية لألفاظ مكتوبة أو منطوقة،

مهما كان طولها، فقد تكون جملة، أو كتابا كاملا[٣]، بشرط أن تدور حول موضوع دلالي واحد.

فهو، إذن، وحدة لغوية غير محدودة الطول، فقد تكون وحدة صغيرة في حدود الجملة الواحدة، وقد تصل إلى مؤلف ضخم، إنه وحدة دلالية "لا من حيث الشكل، وإنما من حيث المعني"[٤]، أي أن النص لا يتكون من الجمل فحسب، بل إنه يتكون

(١) أحمد عفيفي، *نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي*، ط ١ (القاهرة: زهراء الشرق، ٢٠٠١): ٢٢.

(٢) ينظر: سعيد بحيري، *علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات*، ط ١ (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون– لونجمان، ١٩٩٧)، ١٠٩– ١١٠.

(٣) ينظر: دعاء حسن جلوب، "التماسك النصي في ديوان *الذخائر* للشيخ محمد علي اليعقوبي"، رسالة ماجستير (جامعة ميسان، كلية التربية، ٢٠٢٣): ١٣.

(٤) ينظر: تنوير بنت أحمد هندي، "الاتساق والانسجام في آية الكرسي"، *مجلة الآداب للدراسات* =

بواسطتها، أو أنه كامن في طياتها، وهذا يعني أنه وحدة من نوع مختلف.

السبك:

قبل البدء في تعريف السبك ينبغي الإشارة إلى أن الباحثين العرب قد اختلفوا في ترجمة المصطلح (Cohesion)، فقد ترجموه إلى عدة مصطلحات، منها: السبك، والاتساق، والتضام، والتماسك(١). وبعضهم يسميه: التناسق الفني للكلمات، وآخرون يسمونه: الترابط(٢).

فالسبك في اللغة يعني: تَسْبِيكُ السَّبيكَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ يُذابُ ويُفْرَغُ فِي مَسْبَكة مِنْ حَدِيدٍ، وَالْجَمْعُ السَّبائِكُ. والسبائك أيضا: مَا سُبِكَ مِنَ الدَّقِيقِ ونُخِلَ فأُخذ خَالِصُهُ ويسمى: الحُوَّارى(٣). أي أن السبك في اللغة يعني إعادة تشكيل المعدن، بعد إذابته ثم صبه في قالب معين؛ ليخرج بصورة جديدة، وهيئة مختلفة.

أما في اصطلاح اللسانيين المحدثين فيُعرف بأنه: مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص له خصائصه النصية، لكن هذا لا يعني أن السبك لا يتم إلا في المستوى الدلالي فحسب، بل إنه يتم أيضا في مستويات أخرى،

اللغوية والأدبية ١، ع ١٢ (٢٠٢١): ٢٤٧–٧٣، https://doi.org/10.53286/arts.v1i12.778.٢٤٩

(١) ينظر: حيدر أحمد حسين، "آليات السبك النصي في ميمية عبد الحسن زلزلة"، *مجلة الجامعة العراقية*، ع ٥٥، ج ١ (د.ت): ٢٩٦. وينظر: إبراهيم يحيى محمد هجري، "الاتساق في قصيدة (الراحل الحبيب) للشاعر عيسى بن علي جرابا"، *مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية* ٥، ع ١ (٢٠٢٣): ٥٣–٥٨، https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1430

(٢) ينظر: أحمد عفيفي، *نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي*، ط ١ (القاهرة: زهراء الشرق، ٢٠٠١): ١٠٥.

(٣) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ١٠: ٤٣٨.

كالنحو، والمعجم والصوت والكتابة[١]، فهو إذن يدرس الوسائل الشكلية التي تربط العناصر المكونة للنص بعضها ببعض، وفقا للمستويات اللغوية الأربعة، ابتداء من الصوت، وانتهاء بالدلالة، وهذا يقتضي الحديث عن الاتساق المعجمي، والاتساق النحوي أيضا.

وقد أشار اللغويون العرب القدماء إلى أهمية السبك ودوره في تماسك النصوص، والحكم عليها بالجودة والحسن، ولذا نرى الجاحظ يشير إلى دور السبك في ربط أجزاء النصوص بعضها ببعض، الذي تتأسس بلاغتها عليه، إذ يرى أن أجود الشعر ما كان متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، وهذا يعني أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الماء السلسال العذب[٢].

كما نجد أن أبا هلال العسكري قد عد السبك معيارا من معايير فصاحة الكلام، إذ يرى أن الكلام الواحد يسمّى "فصيحا بليغا إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيّد السبك، غير مستكره فجّ، ولا متكلّف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء، لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف"[٣].

إن السبك –باعتباره وسيلة من وسائل ترابط النص وتماسكه التي تمحنه صفة النصية– يقصد به تلك العلاقات القائمة بين الأجزاء المشكِّلة للنص، سواء كانت جملا أم فقرات، لفظية كانت أم معنوية[٤]، التي تعمل على قراءة النص قراءة سليمة؛ مما

(١) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص". ط١، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م): ١٥.

(٢) أبو عثمان الجاحظ، "البيان والتبيين". د.ط، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ١: ٧٥.

(٣) أبو هلال العسكري، "الصناعتين". تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ): ٨.

(٤) ينظر: أحمد عفيفي، "نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي": ٩٨.

يؤدي إلى تفسيره تفسيرا صحيحا، وفهم المراد منه بطريقة مثلى؛ باعتباره كُلًّا لا يتجزأ، ونصا يتناول مجموعة من الحقائق المتتالية التي لا ينفصل بعضها عن بعض، ولو بدا ذلك ظاهريا، لكنها في الحقيقة يجب أن يكون بينها رابط ما، معنويا كان أو شكليا، وهو ما يسعى نحو النص إلى الكشف عنه.

فإذا كان نحو الجملة يهتم بالعلاقات التي تربط أجزاء الجملة فيما بينها، من حيث الإسناد، والتبعية، والمفعولية، وغيرها من العلاقات النحوية، من خلال الروابط اللفظية أو المعنوية القائمة بين تلك المكونات، فإن نحو النص يسعى إلى البحث عن العلاقات التي تربط بين أجزاء النص (جمل النص، وعباراته، وكلماته) عن طريق الأدوات الشكلية، أو العلاقات المعنوية التي تطبع النص بطابع النصية.

ولما كان الربط في نحو الجملة واضحا جليا، بين مكونات الجملة الواحدة، أو بين جملتين، بالأدوات الشكلية المعروفة كحروف المعاني، وكالأساليب النحوية، فإنه ينبغي لنحو النص أن يبحث عن الوسائل والأدوات الضمنية في البنية الكلية للنص، بالإضافة إلى وسائل الربط التقليدية؛ لأن الربط بين فقرتين، أو جزأين متباعدين في النص يمكن أن يكون دلاليا بدون أداة[1]، وهذا هو ما يميز نحو النص عن نحو الجملة؛ ذلك أن آليات الفهم في نحو النص تتجاوز الجملة الواحدة؛ لتقيم شبكة من العلاقات بين الجمل المتباعدة داخل النص الواحد، بالإضافة إلى إقامة شبكة من العلاقات الأخرى بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر[2]، وهي التي نعني بها ظروف أو ملابسات إنتاج الخطاب، كالمتكلم، والمتلقي، والمقام، وغير ذلك، وبناء على هذا فإن يمكن القول إن نحو النص لا يقتصر على دراسة النص من حيث بنيته اللغوية الشكلية المنجزة، وإيجاد العلاقات بين مكوناته فحسب، ولكنه يدرس النص من أكثر من جهة، فيبحث عن

(١) ينظر: أحمد عفيفي، "نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي": ١٠٠.

(٢) ينظر: الأزهر الزناد، "نسيج النص". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م): ١٦.

آليات سبكه، وأنواعها، والإحالات، والسياق الذي أنتج فيه، وكذا منتج النص، ومستقبله، بالإضافة إلى أنه "يبين كيف يجري الترابط المشترك بين الجمل المؤلفة وانتظام متواليا‌تها، وبين علم الدلالة والتداولية"(١).

آليات السبك:

هي الآليات أو الوسائل التي يُسبك بها النص من حيث الشكل والمضمون (الجانب الدلالي)؛ ذلك أن المعاني تتحقق كأشكال، والأشكال تتحقق كتعبيرات. وهذا يعني أنها تلك الآليات التي يظهر أثرها على بنية النص السطحية، أو في مضمونها، وهي خمس آليات(٢):

١- الإحالة.

٢- الاستبدال.

٣- الحذف.

٤- الوصل.

٥- الاتساق المعجمي.

وسيتم تطبيق هذه الآليات على ديوان (رائحة التراب) للشاعر إبراهيم محمد مفتاح، في مباحث خمسة، وذلك على النحو الآتي:

(١) ينظر: فان دايك، "النص والسياق". ترجمة عبد القادر قنيني، (د.ط، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٣٠٠٠م): ٢٥، وينظر: العليوي صالح بن أحمد بن سليمان. ٢٠٢١. "أثر السياق في التوجيه البلاغي". الآداب للدراسات اللغوية والأدبية ١ (١):١٧٠-٢١٠. https://doi.org/10.53286/arts.v1i1.228.: ١٧٧.

(٢) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ١٥- ٢٤.

المبحث الأول: الإحالة

تعد الإحالة من أهم وسائل السبك التي تعمل على تماسك النصوص من ناحية البنية الشكلية، وقد عرفها دي بوجراند على أنها: مجموعة من العلاقات التي تربط بين العبارات والأشياء، والأحداث والمواقف، في العالم، من خلال العبارات التي تدل عليه (أ العالم)، وهي عبارات ذات طابع بدائلي في نص ما، تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص(١).

وعرفها هاليداي ورقية حسن بأنها: العلاقات الدلالية التي تعمل على استرجاع المعنى الإحالي في الخطاب مرة أخرى، فيتماسك النص باستمرارية المعنى، ويتم ذلك بواسطة أدوات أو عناصر لا يمكن تأويلها بنفسها، وإنما من خلال ما تشير إليه(٢)، من عناصر لغوية أو غير لغوية، سواء كانت داخل النص أم خارجه.

وتنقسم الإحالة إلى قسمين، هما(٣):

أ- الإحالة المقامية وهي: إحالة عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي للنص.

ب- الإحالة النصية وهي: إحالة على عناصر لغوية موجودة داخل النص، وتنقسم إلى قسمين:

- إحالة قبلية، وتعني الإحالة إلى عنصر لغوي سبق التلفظ به في النص.
- إحالة بعدية، وتعني الإحالة إلى عنصر لغوي مذكور بعدها في النص، ولاحق لها.

(١) ينظر: دي بوجراند، "الخطاب والنص والإجراء". ترجمة تمام حسان، (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م): ٣٢٠. وينظر: إبراهيم الزين، أثر الضمائر في تحقيق التماسك اللفظي والانسجام الدلالي: ٣٢٦.

(٢) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ١٧.

(٣) ينظر: الأزهر الزناد، "نسيج النص": ١١٨- ١١٩.

وتتمثل أدوات الإحالة في[١]:

- الضمائر: وهي: (أنا، نحن، أنت، أنتم، هو، هي، هما... إلخ).
- أسماء الإشارة: وهي: (هذا، هذه، هذان، هؤلاء ... إلخ).
- أدوات المقارنة: وهي: (أفضل، أكثر، أحسن، ... إلخ).

أما أهمية الإحالة فتأتي من دورها في تحقيق الاقتصاد اللغوي في النصوص، من خلال تجنب التكرار للعناصر المحال إليها بنفسها، وإعادتها بلفظها مرات عديدة في النص، ولا سيما إذا كانت عناصر رئيسة في النص، إذ يكتفى بالإشارة إليها بإحدى أدوات الإحالة، مما يمنح النص تماسكا يؤدي إلى استمراريته.

ومن الروابط الإحالية في ديوان (رائحة التراب)، ما يأتي:

أولا: الإحالة بالضمائر:

لقد وردت الإحالة بالضمائر في الديوان بشكل كبير، ومن ذلك الإحالة في قوله في قصيدة (شهرزاد تتحدث نهارا)[٢]:

وتهرب من ليلها "شهـرزاد" إلى مـوعد مثقـل بـالنهـار
لتـنـثـر في بهـوه وجـههـا وتـوقظ فيه بقـايـا الحـوار
يدثرهـا الصمت والمستحيـل وبوح الحديث الذي لا يُدار
تناست زمان امتصاص الفراغ وشكل الخـرافي والمستعـار
حكـايـاتها الآن أسمـال بؤس ومأساة عصر رعـاة الكبـار
ترشرش بالـدمع بهـو الحـديث وجمهرة الصمت خلف الستار

(١) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ١٨- ١٩.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب". (ط١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٦م): ٦١- ٦٢.

أطلَّت على الصمت شاءت تقول تــوارى الــكلام وراء الخــمــار

نلاحظ في هذا المقطع من القصيدة ورود عدد من الضمائر التي يحيل أكثرها إحالة قبلية، إلى مرجع سبق ذكره في النص، وهو (شهرزاد)، وهذا المرجع هو المحور الرئيس الذي تدور حوله الأبيات، وتعود إليه تلك الضمائر التي تشير للغائب، وتنوعت بين ضمائر متصلة تدل على الملكية (ها) التأنيث، ومنها: (وجهها، يدثرها، حكاياتها)، وضمائر وجودية مستترة (هي) في الفعل (ترشرش، أطلَّت)، ولهذا نجد أن هذه الضمائر قد عملت على تماسك النص، من خلال الإحالة إلى العنصر الرئيس في النص، دون تكراره، مما يجعل النص مترابطا دون انقطاع، مع الاقتصاد اللغوي.

ومن الإحالة بالضمائر أيضا قوله في قصيدة (لا خراج بعد المطر) التي يخاطب فيها السحابة[1]:

أمطري لا حيث شئتِ

لا كما تهوين

أو تهوى اشتهاءات الرياحْ

فالضمائر الواردة في المقطع قد أحالت إلى مرجع سابق غير مذكور في النص صراحة، ولكنه موجود خارج النص، ويمكن معرفته من خلال السياق، ومن خلال العنوان (لا خراج بعد المطر)، فالإمطار من صفات السحب فحسب، فقد أحالت الضمائر (ياء المخاطبة) في الأفعال: (أمطري، شئتِ، وتهوين)، إحالة نصية قبلية إلى السحاب، وهذه الإحالة مقامية؛ لأن مرجعها خارج النص؛ ما أدى إلى سبك النص، من خلال عودة كل تلك الضمائر إلى ذلك المرجع، فيتكرر الحديث عنه كلما ذُكِرتْ.

كما نجد الإحالة بالضمير أيضا قوله في قصيدة (رائحة التراب)[2]:

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٢٤.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٣٥.

هذا حصاني لم يعد

لصهيله ركض الخيول

نامت حوافره الغلاظ

وغاص في الرمل المسير

حيث نجد الضمير البارز المتصل الدال على الملكية، وهو: (الهاء) العائد على مرجع سابق مذكور في النص، وهو (حصاني)، فهي إحالة قبلية، إذ نجده في الملفوظين: (لصهيله، حوافره)، وهذه الإحالة قد أدت إلى تماسك أجزاء النص، وترابطها من خلال إعادة الكلام عن ذلك العنصر عن طريق الضمائر المحيلة إليه؛ ما جعل الكلام متصلا غير منقطع، كما أن ذلك يمنع النص من الوقوع في الركاكة؛ لو أن المرجع تكرر بنفسه، ومن هنا برز دور الضمائر في الاختزال والتكثيف، مع المحافظة على قوة النص.

وإذا كان هذا في الإحالة القبلية، فإن الإحالة البعدية قد نالت حظها في الديوان، ومن ذلك قول إبراهيم مفتاح في قصيدة (البسوس تهب من جهة أخرى)[١]:

في يومها المنحوس

قالت البسوس:

لا بد ناقتي تقوم

أو فاملأوا لي جلدها من النجوم

نجد في بداية هذه القصيدة أن الشاعر قد افتتحها بالضمير العائد على مرجع لاحق، فيما يسمى بالإحالة البعدية، حيث أحال ضمير الملكية البارز في (يومها)، إلى مرجع لاحق ومذكور في السطر التالي، وهو (البسوس)، وهي إحالة بلا شك ستزيد

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ١٩.

من سبك النص وتلاحمه، ولكن المهم هو أن عودة الضمير على متأخر غرضه شد انتباه المتلقي إلى ما أضيف إليه الضمير، أكثر من المرجع نفسه، فالمقدم هو المهم[١]، وهنا ركز الشاعر على (يومها المنحوس) أكثر من تركيزه على (البسوس) نفسها؛ ليهيئ المتلقي لسماع ما يسوؤه ويكرهه من مصائبها، وطالعها المشؤوم.

ومن الإحالة البعدية بالضمائر أيضا قوله في قصيدة (الغياب)[٢]:

تُفاتِحُنا صمتهـــا البوصـــلة وترنو إلى وجهـــة مســـدلة

وتبحث في الأفق عن نجمة على وجهها تنضج الأسئلة

حيث أحال ضمير الملكية المتصل في كلمة (صمتها) إلى مرجع مذكور بعده، وهو كلمة (البوصلة)؛ وهذا التقديم للضمير العائد على متأخر، يعد من خصائص العربية، وغرضه التركيز على المذكور المقدم؛ كونه محط عناية المتكلم، إذ إن الشاعر هنا مهتمٌ بصمت البوصلة، أكثر من البوصلة نفسها؛ مما يعني عدم جدواها، وعدم قدرتها على توجيه مستخدميها الوجهة المناسبة. والإحالة هنا قد أدت إلى ربط أجزاء النص شكليا ودلاليا أيضا.

لقد ربطت الضمائر أجزاء النص، ما أدى إلى سبكه وتماسكه، عن طريق إعادة الكلام عن المرجع المحال إليه، كما أنها عملت على الاختزال والاقتصاد اللغوي؛ لأن إعادة اللفظ يؤدي إلى الإطالة، فيمل منه السامع[٣]؛ ولذا بدا النص معها مترابطًا مكثفًا

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب". تحقيق عبد السلام هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)، ٤: ٤١٨.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٢٨.

(٣) ينظر: ابن جني، "الخصائص". (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت)، ١: ٨٤.

دالًّا على موضوعه.

ثانيا: الإحالة بأسماء الإشارة:

من أنواع الإحالة الواردة في ديوان (رائحة التراب) الإحالة بأسماء الإشارة، ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (لا خراج بعد المطر)[١]:

أمطري لا حيث شئتِ

لا كما تهوين

أو تهوى اشتهاءات الرياحْ

فهنا أرضي يباب وصحاريَّ عطاشى

ترتمي فيها ارتعاشات السرابْ

نلحظ في هذا المقطع أن الشاعر أحال باسم الإشارة المكاني (هنا)، إلى المكان الذي يتحدث عنه، وهو عنصر إشاري يدل على قرب المشار إليه؛ لخلوه من (الكاف) الدال على البعد، ولم يشترط في (هنا) مطابقته للمرجع في التذكير والتأنيث؛ لأنه يصلح لكليهما دون تغيير في بنيته، وقد دل على قرب المرجع، وهو (أرضي، صحاريَّ) من نفس المتكلم/ الشاعر ومكانته لديه، فلذلك أسنده إلى نفسه مستعملا ضمير الملكية (الياء)، وقد عمل العنصر الإشاري هنا على الربط بين طرفي الخطاب: حديث الشاعر مع السحاب، وحديثه عن أرضه الظمأى، والجامع بينهما هو حاجة الأرض لماء المطر، مما زاد من تماسك النص بشكل أكثر.

ومن الإحالة باسم الإشارة أيضا قوله متحدثا عن مدينة (بيش)[٢]:

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٢٤.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٥٠.

تلك التي ذاب في أفيـائها تعبي ولملمت حرقة العشاق في سهري
يا بيش جئتك وعدا فوق جبهته كل اللقاءات منذ البدء فانتظري
هذا الذي عاد للوادي يعـاقـره حلم المساء وسحر الليل والقمـرِ

فقد استعمل الشاعر هنا عنصرين إشاريين مختلفين بعدا وقربا، فاسم الإشارة (تلك) أحال إلى مدينة بيش، وهي عنصر مذكور في النص، واسم الإشارة (هذا) أحال إلى الشاعر نفسه، الذي جرد من نفسه شخصا آخر، ورمز إليه بـ (هذا)، وقد عملا على تماسك النص، من خلال الإحالة الإشارية، من حيث إن كلا منهما طابق ما يشير إليه نوعا وعددا، فربطا الكلام بعضه ببعض، فبدا مسبوكا متماسكا.

ثالثا: الإحالة بأدوات المقارنة:

ومن الإحالة الواردة في ديوان (رائحة التراب) الإحالة بأدوات المقارنة، وهي قليلة جدا في الديوان مقارنة بغيرها من وسائل الإحالة، ومما جاء منها قول الشاعر[1]:

وندامى قهوة الصبح التي هي أشهى من بنات العنبِ
عن رفاق عندما كنا هنا نقطـع الـود لأوهى سببِ

في هذا المقطع من القصيدة التي يتحدث فيها الشاعر عن قرية (القِصَار) التي كان له فيها ذكريات جميلة في فترة طفولته، مع أقرانه من الأطفال، فهو يستعيد تلك الذكريات واصفا علاقاته مع رفاق طفولته، مشيدا بجمالها، وروعتها، ومصورا سرعة انصرامها؛ لأنها علاقة قائمة على المزاج العفوي الآني للطفولة.

فقد استعمل أداتي المقارنة (أشهى)، و(أوهى)، حيث ربطت الأولى بين طرفي الجملة اللذين عُقدت بينهما المقارنة، وهما: قهوة الصبح، وبنات العنب (الخمر)، في حين أن الثانية

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٥٩.

لم تربط بين طرفي المقارنة، إذ لا توجد مقارنة هنا، وإنما جاءت لتصوير ضآلة السبب الذي يؤدي إلى خصامه مع زملاء الطفولة، ورغم هذا فإنها تشير إلى مقارنة خفية بين علاقة الأطفال المزاجية، وعلاقة الكبار القائمة على تحمل الآخر، ومواصلته دون النظر إلى أسباب الخصام البسيطة، التي يمكن تجاوزها. وهذه المقارنة بدورها قد ربطت بين طرفي الكلام، وحققت تماسكا على مستوى الجمل المشكِّلة للنص.

المبحث الثاني: الاستبدال

يعد الاستبدال أحد آليات سبك النصوص، التي تؤدي إلى اتساقها وتماسكها، ويُعرف بأنه: "عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"(١)، فهو يعني إحلال عنصر لغوي محل عنصر لغوي آخر في النص، بشرط وجود علاقة من نوع ما بينهما، مع إمكانية قيام العنصر الجديد بأداء وظيفة العنصر القديم دون أن يتغير الترتيب(٢)، أو يختل المعنى.

إن الاستبدال يساهم في اتساق النص من خلال العلاقة بين العنصرين المستبدِل، والمستبدَل، وهي علاقة قبلية بين عنصرين في النص: سابق، ولاحق؛ مما يؤدي إلى الاستمرارية في المعنى، والتي تعني "وجود العنصر المستبدل، بشكل ما، في الجملة اللاحقة"(٣).

وقد أشار بوجراند إلى أن ما يجب التنبه إليه في عملية الاستبدال هو أن إعادة اللفظ في العبارات الطويلة أو المقطوعات الكاملة قد تكون ضارة؛ لأنها تحبط العملية الإعلامية، ما لم يكن هناك تحفيز قوي(٤). وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أقسام، بناء على نوع الاستبدال، وهي(٥):

١- الاستبدال الاسمي: وهو أن يكون المستبدل اسما، ويتم ببعض الكلمات، مثل: آخر، أخرى، أحد.

---

(١) محمد خطابي، "لسانيات النص": ١٩.

(٢) ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، "بناء الجملة العربية". (د.ط، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٣م): ١١-١٢.

(٣) محمد خطابي، "لسانيات النص": ٢٠.

(٤) ينظر: دي بوجراند، "النص والخطاب والإجراء": ٣٠٦.

(٥) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ٢١.

٢- الاستبدال الفعلي: وهو أن يكون المستبدل فعلا، ويتم ببعض الأفعال، مثل: فَعَلَ.

٣- الاستبدال القولي: ويعني أن تضع لفظا أو جزءًا منه بدلا من قول كامل، نحو:

عندما مرضت أدركت حينئذٍ نعمة الصحة، فالتنوين في (حينئذٍ) عوض عن الجملة التي سبقته.

وقد سمى النحاة العرب[١]هذا التنوين: (تنوين العوض)؛ لأنه يكون عوضا عن محذوف سواء كان حرفا أم جملة؛ وهذا من شأنه أن يؤدي إلى الاقتصاد اللغوي، مع المحافظة على استمرارية المعنى، كما هو الشأن في الإحالة.

ومن أمثلة الإحالة عن طريق الاستبدال ما جاء في قصيدة (ساعتي)[٢]:

لفاتنتي ساعة ساعتان وفي معصمي ساعة واحدة

لها عقرب في مسار الزمان وآخر ينبو عن القاعدة

يتمتم حينا وحينا يئن ويُسقط دقاته الزائدة

وحينا يبدد ساعاته ويمضغ وقتا بلا فائدة

...

وحينا عقاربها لا تدور وتمكث في معصمي راكدة

استبدل الشاعر في البيت الثاني كلمة (عقرب) وعوض عنها بكلمة (آخر)، مما جعل الكلام مترابطا، وعائدا بعضه إلى بعض، والحقيقة أن معنى (آخر)، ومعه معنى البيت، لم يتحدد إلا بعد الرجوع إلى المستبدل منه، وإلا لاختل المعنى، وهذا الربط الدلالي بالإضافة إلى الربط الشكلي قد منح البيت معناه وزاد من تماسكه، دون الحاجة إلى تكرار اللفظة نفسها.

(١) حسن بن قاسم المرادي، "الجنى الداني في حروف المعاني". تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م): ١٤٥.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٣٣.

وفي البيت الرابع حصل الاستبدال مرتين: الأولى على مستوى الجملة، بين (يبدد ساعاته)، و(يمضغ وقتا بلا فائدة)، فهما بنفس المعنى، والثانية على مستوى اللفظة، بين لفظة (ساعاته)، و(قتا).

وفي البيت الأخير استبدل الشطر الأول بالشطر الثاني، فحدث استبدال جملة بجملة أخرى، إذ هما في نفس المعنى؛ مما زاد من تماسك النص، وترابطه شكليا ومعنويا، كما أن التعبير عن المعنى بطرق متنوعة يدفع السأم عن المتلقي، ويجعل النص منفتحا على تأويلات شتى؛ مما يسهل فهمه؛ "فالجملة المبينة لسابقتها تمثل جوابا عن سؤال يفترض أن يطرحه السامع كلما تعطل الفهم، وهذا يرتبط بدور اللغة القائم على البيان"(١).

ومن الإحالة بالاستبدال أيضا قوله(٢):

ولَكَمْ فتشت عن مملكتي عُشتي.. بيتي.. عُروسِ القصبِ

عن جدار يحتمي في ظله جـــدتي.. جـدي.. وأمي وأبي

إذ نجد أن الشاعر عند حديثه عن قرية (القِصَار)، التي تتسم ببساطتها، وتواضع مبانيها ومحدوديتها، قد استبدل لفظة (مملكتي) التي ترمز إلى أبهة الملك، وعظمة المملوك، بأكثر من لفظة (مملكتي، عُشتي.. بيتي.. عُروسِ القصبِ، جدار يحتمي فيه ....)، حتى لا يتوهم السامع أن لديه مملكة حقيقية، لكنه أراد أن يُشعره بأن تلك الأشياء البسيطة في حقيقتها المادية، هي عظيمة وثمينة لديه، وقد أدى هذا الاستبدال إلى البحث عما تحيل إليه كل لفظة منها، وهو (مملكتي)، فبإحالتها كلها إلى هذه اللفظة تحقق تماسك النص، وزاد ترابطه؛ ذلك أن هذه الأسماء تعرب (بدلا) بحسب نحو الجملة، وهنا نجد أن نحو الجملة قد تآزر مع نحو النص؛ لخدمة النص؛ بما يؤدي إلى حسن سبكه.

(١) الأزهر الزناد، "نسيج النص": ٣٩.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٥٨- ٥٩.

المبحث الثالث: الحذف

يعد الحذف أحد أدوات السبك النصي التي تحدث داخل النص، ويعرفه هاليداي ورقية حسن بأنه: علاقة داخل النص، تنبني على إسقاط كلمة أو أكثر بشرط ألا يتأثر المعنى، أو الصياغة(١)، بهذا الحذف، وإنما تكتسب به النصوص تلاحما وتماسكا وبلاغة.

وقد تنبه البلاغيون العرب لأهمية الحذف ودوره البلاغي في تماسك النصوص، حيث عرفه عبد القاهر الجرجاني بأنه "بابٌ دقيقُ المسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإِفادة، وتَجِدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إِذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبِنْ" (٢). فقد أشار الجرجاني إلى أهمية الحذف، وخطورته في آن واحد، من حيث كونه أبلغ من الذكر أحيانا، وأزيد إلى الإفادة، لكنه باب دقيق المسلك، قد يُوقِع في المحذور إذا أسيء تقديره.

أما فائدته فتتمثل في قيامه بدور واضح في اتساق النص، وترابط أجزائه، شأنه شأن الاستبدال والإحالة، إلا أن ما يجعله متميزا عنها هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق بالنص، فالحذف يعمل على استثارة ذهن المتلقي، وحثه على معرفة العنصر المحذوف، وفتح باب التأويل لديه؛ للولوج إلى عالم النص بغية استنطاقه، من خلال محاولة إعادة المحذوف من النص(٣). ومن العناصر المحذوفة التي تندرج ضمن آليات السبك النصي، وتعمل على تلاحمه وتماسكه: (الاسم، الفعل، العبارة، الجملة، مجموعة من الجمل)، وقد ورد لدى إبراهيم مفتاح أشكال متنوعة من الحذف، ومما ورد منها في

(١) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ٢١.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود شاكر، (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ١٩٩٢م): ١٤٦.

(٣) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ٢٢؛ حيدر أحمد حسين، "آليات السبك النصي في ميمية عبد الحسن زلزلة": ٢٩٨.

ديوانه قوله في قصيدة (عَلَمي)[1]:

مُشرعُ النبض سيدُ الكبرياءِ مورقُ الخفق مترع بالعطاء

في هذا البيت حذف الشاعرُ المبتدأَ وهو (العَلَم) الذي يُستشف من عنوان القصيدة، مكتفيا بدلالة الأخبار عليه؛ تعظيما لمكانته، وتنبيها على علو منزلته في نفسه، وإشارة إلى شهرته التي أطبقت الآفاق —كما يرى الشاعر–؛ إذ لا يحتاج إلى تسميته حتى يعرفه المتلقي، وتقدير الكلام: عَلَمي مُشرعُ النبض، سيدُ الكبرياءِ، مورقُ الخفق، مترعٌ بالعطاء. وهذا الحذف يعد من حذف الاختصار والتعظيم معا، حيث ربط الأخبار بالمبتدأ، بشكل موجز ومختصر، ولو لم تُعرف مرجعية الحذف لما اتضح معنى البيت.

وحذف المبتدأ هو من أساليب العربية المعروفة؛ لا سيما حين يكون المبتدأ مما لا يخفى على المتلقي ولا يُحتاج إلى ذكره كونه مفهوما من سياق المقام، أو من السياق اللغوي، كعناوين الكتب، والأبواب، والفصول، التي تعرب أخبارا لمبتدأ محذوف غالبا.

ومن الحذف ما ورد في قصيدة (لا خراج بعد المطر)[2]:

أمطري بعد ثوانٍ

بعد يومٍ

بعد عامْ

حيث حذف الشاعرُ الفعل (أمطري) الذي يعد جملة فعلية مكونة من الفعل (فعل الأمر: أمطر)، والفاعل (ياء المخاطبة) العائد على السحابة، المفهومة من سياق القصيدة. وقد اتسق الحذف هنا مع دلالة الجدب والقحط الذي تعانيه الأرض، ومن

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ١٥.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٢٥.

هنا تم تقدير المحذوف (أمطري) في السطرين التاليين: (بعد يومٍ/ بعد عامٍ) الذي يحيل إلى قوله السابق: (أمطري بعد ثوانٍ)؛ مما جعل الكلام منسبكا، متماسكا، متصلا بعضه ببعض.

ومن الحذف أيضا ما جاء في قصيدة (على بوابة التثاؤب)[١]:

ألا أيتها الطفلة القادمة

متى يكبر الوشم في معصميك؟!

وتحلو الأساور في ساعديك؟!

نلاحظ أن الشاعر قد حذف أداة الاستفهام (متى) الدالة هنا على استبطاء زمن حصول الفعل؛ لدلالة السؤال السابق عليها. فالاسم (متى) الذي سبق ذكره في السطر الثاني: (متى يكبر الوشم في معصميك؟!)، قد دل على أن المحذوف في السطر الثالث: (وتحلو الأساور في ساعديك؟!) هو اسم الاستفهام (متى) نفسه، ومن هنا فقد أدى الحذف وظيفته في اتساق الكلام، وسبكه بطريقة مختصرة ومكثفة.

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٢٧.

المبحث الرابع: الوصل

الوصل، ويسميه بعضهم الربط أو العطف، هو أحد آليات السبك النصي التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض بطريقة شكلية[١]، بأحد حروف العطف، ويتميز الوصل عن بقية الآليات السابقة بأنه لا يحتوي إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق؛ ذلك أن الوصل يعد تحديدا للطريقة التي يرتبط بها العنصر اللاحق مع العنصر السابق بشكل منظم، كما أنه يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات[٢].

ويقوم الوصل، أو الربط بدور كبير في ربط أجزاء النص بعضها ببعض، فيربط بين الأسماء، والجمل، والفقرات، مما يعمل على تماسك النص وترابطه بشكل سليم؛ ذلك أن النص يعد وحدة نصية واحدة متماسكة الأجزاء، وجمله متتابعة بشكل منطقي[٣]؛ فكل جملة مرتبطة بما قبلها وما بعدها برباط من نوع ما، ولو تغير وضعها لاختل المعنى، وهذه الأدوات هي التي تحدد ماهية هذه الروابط.

أما أهمية الوصل/ الربط فإنها تكمن في قيامه بـ "إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق، بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية"[٤].

---

(١) ينظر: إلف نو أومير أوغلو، "قصيدة أحيا وأيسر للمتنبي دراسة في ضوء علم نحو النص". *مجلة إسطنبول للدراسات العربية، إسطنبول* ١، (٢٠٢٣م): ٤٨.

(٢) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ٢٢- ٢٣؛ دي بوجراند، "النص والخطاب والإجراء": ٣٤٦.

(٣) ينظر: الأزهر الزناد، "نسيج النص": ٣٧.

(٤) تمام حسان، "البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣م): ١٠٩.

وينقسم الربط لدى علماء اللغة النصيين إلى أربعة أنواع، هي[١]:

– ربط إضافي: وأدواته الواو، و(أو)، وقد وردت أدوات الربط في ديوان (رائحة التراب) بأنماط متعددة، ولكن أكثرها ورودا حروف العطف التي تعني اشتراك المتعاطفين بالحكم والإعراب، مع إفادة الترتيب أو بدون إفادته، ومن ذلك قول الشاعر[٢]:

تائه.. تشكو العناوين ضياع اسمي

وتشكوني المواقعْ

ويدي تمتد في اللاشيء

جاء الربط في هذا المقطع بالواو، وهو ربطٌ وصلَ ما بعده بما قبله، مع اشتراك هذه المعطوفات في الحكم، وهو أنها أتت لتبين شيئا واحدا، وهو الإخبار عن المتكلم المحذوف (أنا)، فالجمل الاسمية والفعلية المتعاطفة بالواو: (تشكو العناوين ضياع اسمي/ وتشكوني المواقعْ/ ويدي تمتد في اللاشيء) هي أخبار للمبتدأ نفسه (أنا/ الشاعر/ الذات المتكلمة)، معطوفة على الخبر الأول (تائه)، وقد أدى ربطها بالعطف إلى تماسك الكلام عن طريق إسنادها كلها إلى مسند إليه واحد مقدر في بداية الكلام.

وفي قصيدة أخرى نجد أن العطف بالواو قد أدى دورا مهما في سبك النص، حيث ربط بين عدة أسماء في حكم واحد وجعلها مشتركة فيه، ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (القِصَار)[٣]:

ويعيد الحبُّ فينا مـــوردا لبراءات الصبـــا واللُّعَبِ

(١) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ٢٣؛ دعاء حسن جلوب، "التماسك النصي في ديوان الذخائر للشيخ محمد علي اليعقوبي": ٥١–٥٧.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٤٣.

(٣) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٥٩.

ومساءاتي وصبحي والدمى ورفاقي في زوايا اللَّعِبِ
وبكور البئر والدلو الذي كان يشتاق ثغور القِرَبِ

حيث بدأ الشاعر هنا يسرد ذكريات طفولته في قرية القصار، والسرد يقتضي الوصف لأحداث متتالية أو متزامنة؛ مما يستلزم استعمال حروف العطف للربط بينها ونسقها في فكرة واحدة، ووصلها لكيلا تنقطع، فقد جاء الربط بـ (الواو) سبع مرات في الأبيات الثلاثة، ليجمع الملفوظات الآتية: (براءات الصبا واللُّعَبِ ومساءاتي وصبحي والدمى ورفاقي وبكور البئر والدلو) في حكم واحد هو أن موردها جميعا هو الحب؛ ما أدى إلى ربط أول الكلام بآخره، وجعل بعضه في نسق بعض.

ولم تأت الواو هنا للترتيب، إذ لا يشترط النحاة ذلك[1]، وإنما يكفي أنها أشركت المتعاطفات في الحكم، بما يعمل على تماسك النص وتلاحمه.

– ربط عكسي (استدراكي): ويعني عكس ما هو متوقع، أي أنه الربط بين شيئين بينهما علاقة تعارض، فتكون النتيجة بخلاف ما هو متوقع، وأدواته: لكن، بل، لا، غير أن... إلخ. ومما جاء في الديوان منها قول الشاعر[2]:

ولكن سيدي (...)
بلا لكن
أنا أدري بأنك جئت من أسبوع
...
أتيت نهاية الأسبوع
ولكني وجدت الباب يرفضني
وفوق الباب ترمقني

(١) ينظر: المرادي، "الجنى الداني في حروف المعاني": ١٦٢.
(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٣٩– ٤٠.

رجاءً.. فـ "الدخول ممنوع".

يتناول هذا المقطع جزءا من حديث الموظف مع أحد العملاء، الذي ظل يتردد كثيرا على المكتب دون أن تنجز معاملته، فوعده الموظف أن ينجزها في الأسبوع التالي، ولما عاد العميل كان يتوقع أن ينجز له الموظف معاملته، ولكنه تفاجأ بعكس ذلك، إذ وجد أن الباب مقفل تماما، وعلاوة على ذلك فقد كان مكتوبا عليه ممنوع الدخول.

وهنا نلاحظ أن أداة الربط (لكن) ربطت بين جملتين: الأولى: أن المتكلم جاء في ميعاده وكان متوقعا أن تنجز معاملته، والثانية: أنه فوجئ بعكس ذلك تماما، إذ وجد الباب موصدا في وجهه، وفوق هذا كُتب عليه عبارة (ممنوع الدخول) التي تشير إلى زيادة الإمعان في الرفض والطرد، وهذا الربط الاستدراكي قد ربط بين جزأي النص، وجعله متماسكا مسبوكا، رغم الفاصل الزمني الكبير (أسبوع) بين الحدثين، من خلال ربط ما كان متوقعا بما حصل له بالفعل.

– ربط سببي: ويكون بين جملتين إحداهما سبب في الثانية، أو نتيجة لها، وهي علاقة ربط منطقية بين عنصرين أو تركيبين متتاليين في النص، قائمة على السببية[١]، وأدواته: لهذا، لذلك، لأن، الفاء السببية، لكي، لام التعليل، من أجل... إلخ. وقد استعمل الشاعر هذا النوع من الربط بالأداة (مِنْ) في قوله[٢]:

كلما حاولت أن أغرس كفي

في عيون الطرقاتْ

أثقلتني لثغة الخطوِ

وأعيا شفتيَّ الآه؛ من طرح السؤال

(١) ينظر: الأزهر الزناد، "نسيج النص": ٤٨.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٤٣.

لقد جاء الربط هنا مخالفا للربط السابق، فهو ربط سببي، حيث ربط بين تركيبين لغويين؛ أحدهما سبب لحصول الآخر، بالأداة (مِن)، التي ربطت بين عبارة (طرْحِ السؤال)، والجملة الشرطية (كلما حاولت أن أغرس كفي/ في عيون الطرقاتْ/ أثقلتني لثغة الخطوِ/ وأعيا شفتيَّ الآه).

فالشاعر يبين لنا أن ثقل خطوه، وعيَّ شفتيه عن الحركة، كان سببه كثرة طرح السؤال نفسه؛ حتى أن شفتيه عجزتا عن التأوُّهِ الذي يعد أدنى حالات النطق، فربطت (مِن) السببية بين هذين التركيبين، كونها بيَّنت سبب ما قبلها، بما ذُكر بعدها، وهو ما زاد من تماسك النص وسبكه.

ومن الربط السببي بلام التعليل قول الشاعر(١):

لملمت في شفتي عذري لأقذفه بين الركام فأقصاني تمنعه

ورحت أطعم خطوي للدروب فعا فتني الدروب وخطوي تاه موضعه

نجد أن (لام التعليل) ربطت بين الجملة السابقة (لملمت في شفتي عذري) والجملة اللاحقة (لأقذفه بين الركام)؛ حيث إن الجملة الثانية التي بعد اللام جاءت تعليلا للجملة الأولى، فسبب لملمته عذره في شفتيه هو قذف ذلك العذر بين الركام، وهنا يتجلى دور اللام في ربط أجزاء النص، والعمل على تماسكها.

– ربط زمني: ويتم بين عنصرين أو حدثين متتابعين زمنيا، وهو ربط مخالف للربط بالواو، إذ إنه يشترط في الربط الزمني التتابع بين حدثين أو تركيبين زمنيا، ومن أدواته: ثم، بعد، قبل ذلك، أخيرا، في النهاية، وغيرها. ومن الربط الزمني قول الشاعر(٢):

قالت لنا عندما عدنا سواحلنا: لا تأمنوا البحر إن البحر مكارُ

البحر إن هفهفت يوما نسائمه فإنه بعد حال الصحو غدارُ

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ١٧.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٥٦.

فنلاحظ أن أداة الربط الزمنية (بعد) ربطت بين جملتين فعليتين، ودلت على تعاقب الحدثين اللذين ربطت بينهما في زمن الحدوث، وهما: حال البحر قبل الهيجان أثناء سكون الرياح، وحاله وقت الاضطراب بعد هبوب الرياح؛ فأسهمت (بعد) في تماسك النص شكليا، واتحاد أجزائه دلاليا.

وقد جاء الرابط الزمني هنا حاملا بعدا آخر، وهو المقارنة بين حالتي شيء واحد، وهو البحر؛ فكانت عودة هاتين الحالتين إلى مرجع واحد (البحر) قد زادت من سبك النص، وقوة تماسكه.

المبحث الخامس: الاتساق المعجمي

يعد الاتساق المعجمي صورة من صور السبك النصي، ومظهرا من مظاهر تماسكه وترابط أجزائه، إذ يقوم على مستوى المعجم؛ بما يؤدي إلى استمرارية المعنى، بالاعتماد على مفردات معجمية تفرض أثرها الدلالي في النص، من خلال حركة تولد تلك الاستمرارية(١)، والسبك المعجمي هو الأداة الأخيرة من أدوات السبك النصي، وهو مختلف عن بقية الأدوات الأخرى، من حيث إنه لا يمكن الحديث فيه عن العنصر المفترِض، والعنصر المفترَض كما هو الشأن في الأدوات السابقة، ولا عن وسيلة شكلية نحوية؛ للربط بين عناصر النص(٢)، فهذا الاتساق يعتمد على حدس القارئ، ومعرفته بسياق الكلام، والدلالات التي تحملها الألفاظ وتحيل إليها، وينقسم إلى قسمين هما:

أولا: التكرار:

وهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي، ويعني إعادة عنصر معجمي بنفسه، أو بمرادفه، أو شبه مرادف، أو عنصر مطلق أو عام(٣). ومن صوره:

أ- التكرار المحض/ التام: وهو تكرار المفردة أو الجملة بلفظها، دون تغيير، مما يؤدي إلى استمرارية النص؛ من خلال إعادة الكلام عن الشيء نفسه، ومنه قول الشاعر في قصيدة (حالة عصيان استثنائية) (٤):

طفل تــراكمت الآلام في فمــه وأُتخمت بصـــريـــر القيد أذرعــه

(١) ينظر: حيدر أحمد حسين، "آليات السبك النصي في ميمية عبد الحسن زلزلة": ٣٠٠.

(٢) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ٢٤.

(٣) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ٢٤- ٢٥.

(٤) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ١٨.

...

وعربدت في حنايا الطفل أعيرة ما أعظم الطفل صدرا حين يشرعــه

كرر الشاعر لفظ (الطفل) ذاته دون تغيير، في هذا المقطع ثلاث مرات: مرتين معرفا بـ(أل)، ومرة بدونها، وهو تكرار يوحي بأهمية هذا العنصر في القصيدة؛ كونه يشكل المحور الرئيس فيها، وعليه تدور أبيات القصيدة، إنه الطفل الفلسطيني المقاوم الذي حمل عبء التحرير منذ نعومة أظفاره، والذي ودعته أمه بقبلتها الحارة قبل أن يكبر؛ نتيجة الأعيرة التي سكنت صدره، فمات بسببها، وهذا التكرار قد وجه ذهن المتلقي إلى أن هذا العنصر هو مدار النص؛ مما جعله منسبكا بصورة مُثلى.

ومن التكرار الذي ورد لدى الشاعر أيضا تكرار الجمل، كما في قوله[1]:

في يومها المنحوس

قالت البسوس:

لا بد ناقتي تقوم

...

وقالت البسوس:

ناقتي.. لا بد تدخل الحقول

...

مذ قالت البسوس:

إنها تريد من نجومنا ثمن

لقد كرر الشاعر جملة (قالت البسوس) ثلاث مرات في القصيدة، في ثلاثة

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ١٩- ٢٠.

مواضع؛ ليعمق لدى المتلقي فكرة مفادها أن رأي (البسوس)، تلك المرأة الشؤم، هو رأس المصائب والانتكاسات التي حلت بالأمة، فكلما استطرد الشاعر أو خرج إلى موضوع آخر أعاد علينا هذه الجملة ليذكرنا بخطر قولها وعدم صوابيته، مما زاد من ترابط النص بعضه ببعض. وقصة (البسوس) هنا هي استنساخ لقصتها الحقيقية في التراث العربي، حين كانت سببا في نشوب الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب، بسبب ناقتها، ولذلك صارت مضرب المثل في الشؤم، فقيل: "أشأم من البسوس"(١).

ومن ذلك قصيدة (ساعتي)(٢):

لفاتنتي ســـــاعة ساعتان وفي معصمي ساعة واحدة
لها عقرب في مسار الزمان وآخر ينبو عن القاعـــدة
يتمتم حيـــنا وحينا يئن ويُسقِط دقاته الزائـــــدة
وحينا يبدد ساعـــــاته ويمضغ وقتا بلا فائـــــدة
وحيـــنا يلملم في صمته ثواني من عمرها شـــاردة

...

وحينا عقـــاربها لا تـــــدور وتمكث في معصمي راكـــدة

في هذه القصيدة نجد أن الشاعر كرر لفظة (حينا) خمس مرات، وهو تكرار يتناسب مع حركة عقرب الساعة التي لا تهدأ، كما أنها تعكس حالة القلق والتوتر لدى الشاعر، فحركة عقرب ساعته المتنوعة بتنوع الأحيان تعكس حجم حركته هو أيضا،

(١) أبو الفضل الميداني، "مجمع الأمثال". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ١: ٣٧٤.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٣٣- ٣٤.

كما تعكس حالة توقفه في نهاية المطاف؛ نتيجة لانتظاره الطويل، ثم الخلود إلى السكون بعد ذلك، وقد أدى هذا التكرار إلى ربط جميع الجمل والتراكيب اللغوية بعضها ببعض، كونها ترسم صورة الحركات الكثيرة والمتتابعة لعنصر واحد هو عقرب الساعة.

ب– التكرار الجزئي: ويكون بإعادة العنصر اللغوي بصيغة أخرى، ولكنها مشتقة من الجذر اللغوي نفسه، ويسمى الاشتقاق الصرفي، ومنه قول الشاعر[١]:

تعانق فيها ثـواني البيــاض وتوقظ في صمتها الأزمنة
لتُنبَتَ وعدا شهي الصهيل يخبئ في ركضــه أحـصنة
وصحوة وقت تعيد الزمان وتـرجـع لي فتنتي المزمنــة

التكرار هنا بين الأزمنة، والزمان، والمزمنة، فالزمان مفرد، والأزمنة جمع، والمزمنة اسم فاعل من المادة نفسها، التي اشتقت منها جميع هذه العناصر وهي مادة (ز م ن).

فالزَّمَنُ والزَّمانُ: اسْمٌ لِقَلِيلِ الْوَقْتِ وَكَثِيرِهِ، وهما أيضا: العَصْرُ، وَالْجَمْعُ: أَزْمُنٌ وأَزْمانٌ وأَزْمِنةٌ. وأَزْمَنَ الشيءُ: طَالَ عَلَيْهِ الزَّمان، وَالِاسْمُ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَنُ والزُّمْنَة. وأَزْمَنَ بِالْمَكَانِ: أَقام بِهِ زَماناً[٢]، فالمزمنة: اسم فاعل من (أزمن)، أي طويلة الوقت التي لا تنقطع، ومنه سمي المرض الذي لا دواء له: مرضا مزمنا. وهنا نجد أن هذه الألفاظ تعود إلى جذر اشتقاقي واحد هو (ز م ن).

وقد أدى هذه التكرار، وإن كان جزئيا، إلى استحضار المادة الأصل، والجذر الأول لها كلها، فيربط الذهن بين تلك الألفاظ؛ كونها من جذر واحد، فيصبح الكلام منسبكا متصلا بعضه ببعض، حتى ولو طالت المسافة بين تلك العناصر داخل النص.

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٤٨.
(٢) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ١٣: ١٩٩.

إن التكرار بشقيه التام والجزئي، يعمل على اتساق النص، وتماسك أجزائه، من حيث إنه يساعد "منتج النص في القدرة على خلق صورة لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر"[١].

ت– الترادف: وهو إعادة اللفظ لا بنفسه، ولكن بإعادة لفظ آخر يرادفه في المعنى، وقد أشار بوجراند إلى دور المترادفات في سبك النص، ولكنه نبَّه إلى أنه قد لا يكون للمدلول المطلوب إلا اسم واحد، وهنا لا مجال للاستبدال، كما أنه أكد على ضرورة استعمال المصطلحات المحددة في التقارير العلمية[٢]؛ نظرا لما تختص به المصطلحات من دقة في الدلالة، ولكيلا تضيع الفائدة المرجوة من وضعها، وهذا الأمر ينطبق على القوانين، والدساتير، واللوائح المنظمة لعمل الهيئات والمؤسسات المختلفة.

ومما ورد من الترادف التام لدى إبراهيم مفتاح قوله [٣]:

ألا أيتها الطفلة القادمة

متى يكبر الوشم في معصميك؟!

وتحلو الأساور في ساعديك؟!

فقد جاء الترادف بين لفظين بينهما ترادف تام، وهما: (معصميك وساعديك)، فنجد أن الشاعر كرر المعنى بلفظ آخر غير اللفظ الأول؛ رغبة في تأكيده في ذهن القارئ، وطرد الملل عنه، عن طريق التبديل بين الألفاظ الدالة على المعنى نفسه، فالمعصم

(١) دي بوجراند، "النص والخطاب والإجراء": ٣٠٦.

(٢) ينظر: دي بوجراند، "النص والخطاب والإجراء": ٣٠٦.

(٣) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٢٧.

هو: مَوضِع السوار من الْيَد. والساعد هو: مَا بَين الْمرْفق والكف من أَعلَى[١].

وإذا تأملنا وجدنا أن الساعد هو الموضع الذي تضع فيه المرأة السوار بغية الزينة؛ لأنه الجزء الذي يظهر، بخلاف العضد الذي لا يظهر إلا إذا رفع عنه الثياب، ومن هنا كان اللفظان مترادفين تماما؛ مما زاد من تماسك النص.

ومن ذلك أيضا قوله[٢]:

هذا حصاني لم يعد

لصهيله ركض الخيول

في هذا المقطع نجد أن الترادف قد جاء بين كلمة: (حصاني) في السطر الأول، وكلمة: (الخيول) في السطر الثاني، وهما يحملان الدلالة نفسها، إذ تشيران إلى مدلول واحد وهو ذلك الحيوان المعروف، لكن الفرق الدلالي الدقيق بينهما هو أن الحصان اسم للواحد، والخيول اسم للجنس، وهنا نلاحظ أن الترادف قد ربط بين جزأي الكلام بصورة جيدة، من خلال إعادة القارئ إلى الموضع الأول الذي ذكر فيه لفظ (حصاني).

ثانيا: التضام:

وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل، أو بالقوة؛ نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك، وهذه العلاقات هي: علاقة التعارض، كولد وبنت، وفوق وتحت، وعلاقة الكل بالجزء، والجزء بالجزء، أو عناصر من نفس القسم العام، مثل: كرسي، طاولة. فكل زوجين من الأمثلة السابقة غير مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه

(١) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ١٢: ٤٠٨؛ ٣/ ٢١٤.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٣٥.

نفسه، ولكن ورودهما في خطاب ما يسهم في النصية[١].

أ- علاقة التعارض/ التضاد: ومما ورد منها عند الشاعر قوله[٢]:

يحمر صمت الثواني حين يشطـــرني فيها التداخل بين الصبح والغسقِ
تـــورمت لغتي حيـــن اشتملت بهـــا واصفر لون مدادي في سمـا أفقي
هنا شربت صباحي وابتدأت ضحىً وسـاومتني انتظـارا حمـــرة الشفقِ

وردت المصاحبات المعجمية من خلال التضاد في هذا النص بين الأسماء، فالتضاد بينها في قوله: (الصبح، والغسق) في البيت الأول، و(صباحي، والشفق) في البيت الثالث. فالصبح والغسق متضادان؛ من حيث إن الصبح بياض، والغسق سواد. والصبح والشفق متضادان أيضا؛ من حيث إن الصبح هو بداية النهار، والشفق بداية الليل.

فذكر أي لفظة منها يحيل الذهن إلى ضدها تماما، ومن هنا يترابط النص دلاليا؛ مما يؤدي إلى استمراره؛ ذلك أن علاقة الضدية من أوثق العلاقات الدلالية بين الألفاظ[٣].

ومن علاقة التضاد أيضا قول الشاعر في قصيدة (الغياب)[٤]:

تنامى عليها اخضرار الصباح وللم أوراقـــــه المهمـــلة
فـــألغت تبعثـــر أيامهـــا وضمت لآخـــرهـا أولَّه
هـو النضج يا سيدي قـــادم يُعَنْقِدُ في غصنه سنبـــلة

(١) ينظر: محمد خطابي، "لسانيات النص": ٢٤- ٢٥.
(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٢٢- ٢٣.
(٣) ينظر: أحمد مختار عمر، "علم الدلالة". (ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م): ١٧٨.
(٤) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٢٩.

في هذا النص ورد التضاد في نوعين من الألفاظ: الأسماء والأفعال، فالتضاد الاسمي بين الكلمتين: (آخرها، وأولَّه)، والتضاد الفعلي بين: (لملم) في البيت الأول، و(تبعثر) في البيت الثاني، وقد أدت علاقة التضاد/ التقابل بين تلك الألفاظ إلى تقوية التماسك بين أجزاء النص، وصرفت الذهن عند ذكر أي منها إلى ذكر مقابلها؛ فيزداد النص سبكا، واستمرارا على المستوى الدلالي.

ب– علاقة الكل بالجزء: ومن ذلك قول الشاعر[١]:

طفـل تراكـمت الآلام في فمـه وأُتخمت بصرير القيد أذرعه
ألغت رجولته الحضن الذي انسكبت أناته في حناياها تجمعه
قالت له: بـورك العصيان وارتجلت من حزنها دمعة حرّى تودعه
رشت بقبلتهـا أنفـاس جبهـته وزغردت في مآقيها مدامعـه

تتجلى العلاقة المعجمية في هذا النص من خلال علاقة الكل بالجزء، ويتضح ذلك في الألفاظ (فمه، أذرعه، جبهته، مدامعه) التي تمثل أجزاء من اللفظ الدال عليها كلها وهو (طفل)، المذكور في بداية البيت الأول، فالشاعر يتحدث عن بسالة الطفل الفلسطيني، في دفاعه عن وطنه المحتل، ويصور ما تعرض له من تعذيب، ثم مقتله، ومشهد حزن أمه عليه، وهذه العلاقة تعمل على ربط عناصر النص فيما بينها، وسبك أجزائه؛ مما يجعل النص مستمرا في دلالته على موضوعه المركزي، وهو الطفل.

ت– علاقة الجزء بالجزء: ومما جاء منه في الديوان قوله[٢]:

أتى لها العرَّافُ

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ١٨.

(٢) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ٢٠– ٢١

ألقى كيسه المخنوق بالحبال من يديه
وفك ربطة تغتالها الأقذار والسواد
قال لها: من جعبتي سأُخرج الزمان
سأنثر الأيام والسنين
ستبصرين في ثنايا المنضدة
حكاية أشياؤها معقدة
...
للمرة الأولى أرى تناثر الوَدَعْ
والقمقم الذي امَّحى عفريته من الهلع
أرى تمرد الدخان

في هذه القصيدة نجد أن المصاحبة المعجمية قد تمت من خلال علاقة الجزء بالجزء، وهي علاقة بين أدوات العراف التي يستخدمها في الشعوذة، وهي: (كيسه، الحبال، ربطة، الأقذار، السواد، جعبتي، المنضدة، الوَدَع، القمقم، عفريته، الدخان)، فكل عنصر منها متصل بالآخر اتصالا وثيقا؛ لتشكل في مجموعها الأدوات المستعملة في السحر والشعوذة والعرافة؛ إذ لا يخلو منها منزل كاهن أو مشعوذ.

فالكيس والجعبة والربطة عناصر مرتبطة بالحبال؛ لأنها تعمل على إحكام ربطها وعدم خروج ما بداخلها، والقمقم والعفريت والدخان عناصر متلازمة، فالدخان هو صورة العفريت حين يخرج من القمقم، والأقذار والسواد مرتبطة بكل ما سبق؛ لأنها مما يجلب الأرواح الشريرة ويسعدها. وهنا نلاحظ الدور الذي قامت به هذه العلاقة في سبك النص واستمراره، وترابطه من حيث الدلالة.

ث– علاقة بين عناصر من نفس القسم: ومنه قول الشاعر واصفا العَلَم السعودي[١]:

مزدهٍ بالشمـــوس له الأفـــق انطلاقا ومعطيات الضيـــــاءِ
أينما رفَّ عـانقته قلـــــوب وافتدى خفقه زكيُّ الدمـــــاءِ
يمتطي زرقــة السماء اعتــزازا ويباهي بالجمـلة البيضـــــاءِ
"لا إلـــه إلا الإلـــهُ" وسيفٌ في جبين الوجود عـذب النـداءِ
عُقد النصر في ذراه اخضرارا وسقته النفـوس زهـو الإبـــاءِ

إن المصاحبة المعجمية في هذا النص تتمثل في العلاقة بين الألفاظ التالية: (زرقة، البيضاء، اخضرارا)، وهي علاقة تقوم على انتماء هذه الألفاظ إلى حقل دلالي واحد، وهو حقل الألوان، فالأبيض، والأخضر يرمزان إلى لوني العلم السعودي (الأخضر لون العلم، والأبيض لون كلمة التوحيد، وصورة السيفين والنخلة)، في حين رمز اللون الأزرق (زرقة) إلى الخلفية التي يظهر عليها العلم، وهو لون السماء؛ وهو رمز إلى علوه وارتفاعه.

لقد أدت هذه العلاقة إلى تماسك النص دلاليا، من خلال المصاحبة المعجمية التي أوجدتها العلاقة بين تلك الألوان، وانتمائها إلى حقل معجمي واحد.

(١) إبراهيم مفتاح، "رائحة التراب": ١٥.

النتائج:

- سبك الشاعر قصائد ديوانه بصورة جيدة، مستعينا بشبكة من العلاقات النحوية والدلالية، التي انتظمت تلك القصائد، فبدت مترابطة شكليا، متماسكة دلاليا؛ مما يشير إلى قدرة الشاعر على اختيار آليات السبك النصي بدقة.
- أدت الإحالة دورا بارزا في تماسك النصوص الشعرية وربط بعضها ببعض؛ كونها تمتلك عددا من الوسائل والآليات، وأهمها الضمائر التي تعد أكثر أنواع الإحالة ورودا في الديوان.
- مثَّلت الضمائر وسيلة من وسائل الاقتصاد اللغوي في النصوص؛ من حيث إنه يُكتفى معها بالضمير: بارزا أو مستترا، دون الحاجة إلى إعادة الاسم المذكور بنفسه.
- تعد أدوات العطف أكثر أدوات السبك النصي ورودا في ديوان (رائحة التراب)؛ نظرا لكثرة دوران حروف العطف على الألسن، وحاجة المتكلم إليها في ربط أجزاء الكلام.
- تعد الإحالة بأدوات المقارنة أقل آليات السبك ورودا في الديوان، ولعل ذلك بسبب عدم اهتمام الشاعر بعقد المقارنات في الديوان؛ مما قلل من مساحتها فيه.
- استعمل الشاعر أدوات الربط بكل أنواعها: الإضافي، والسببي، والاستدراكي، والزمني استعمالا دقيقا، بما يتناسب والغرض المطلوب؛ مما منح النص مزيدا من السبك على المستوى النحوي.
- اتضح أثر الاستبدال في اتساق النصوص، من خلال العلاقة بين العنصرين المستبدِل، والمستبدَل، وهي علاقة قبلية بين عنصرين في النص: سابق، ولاحق؛

مما أدى إلى الاستمرارية في المعنى.

- أسهمت تقنية الحذف في تماسك النصوص الشعرية، من خلال شحذها ذهن المتلقي لتأويل المحذوف من خلال السياقات اللغوية أو المقامية.
- شكَّلت آليتا التكرار والتضام وسيلتين معجميتين مهمتين في ترابط أجزاء القصائد بعضها ببعض، وترابطها دلاليا؛ مما أدى إلى استمرار النص وتدفقه دون انقطاع، من خلال العلاقات المختلفة بين الألفاظ، كالتضاد، وعلاقة الجزء بالكل، والجزء بالجزء، وغيرها.

المصادر والمراجع:

ابن جني، عثمان. *الخصائص*. ط ٤. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. ط ٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

أوغلو، إلف نو أومير. "قصيدة أحيا وأيسر للمتنبي: دراسة في ضوء علم نحو النص". *مجلة إسطنبول للدراسات العربية* ١ (2023).

بحيري، سعيد .*علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات*. ط ١. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون–لونجمان، ١٩٩٧.

بوجراند، دي .*الخطاب والنص والإجراء*. ترجمة تمام حسان. ط ١. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨.

الجاحظ، أبو عثمان. *البيان والتبيين*. د.ط. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ.

الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز*. تحقيق محمود شاكر. ط ٣. القاهرة: مطبعة المدني؛ جدة: دار المدني، ١٩٩٢.

جلوب، دعاء حسن. "التماسك النصي في ديوان *الذخائر* للشيخ محمد علي اليعقوبي". رسالة ماجستير، جامعة ميسان، كلية التربية، ٢٠٢٣.

حسان، تمام. *البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني*. ط ١. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣.

حسين، حيدر أحمد. "آليات السبك النصي في ميمية عبد الحسن زلزلة". *مجلة الجامعة العراقية*، ع ٥٥، ج ١ (د.ت).

خطابي، محمد. *لسانيات النص*. ط ١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١.

دايك، فان. *النص والسياق*. ترجمة عبد القادر قنيني. د.ط. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠.

الزناد، الأزهر. *نسيج النص*. ط ١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣.

الزين، إبراهيم عبد الله أحمد. "أثر الضمائر في تحقيق التماسك اللفظي والانسجام الدلالي للجملة في معلقة امرئ القيس". *مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية* 6، ع ٣ (٢٠٢٤): ٣٢٠–٣٩
https://doi.org/10.53286/arts.v6i3.2075.

سيبويه، عمرو بن عثمان .*الكتاب* .تحقيق عبد السلام هارون. ط ٣. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨.

السيف، بيان بنت إبراهيم بن عبد العزيز. "التماسك النصي في حديث السبعة ".*مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية* 5، ع ١ (٢٠٢٣): ٣٨٦–٤٢١.
https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1431.

عبد اللطيف، محمد حماسة. *بناء الجملة العربية* .د.ط. القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٣.

العسكري، أبو هلال. *الصناعتين* .تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ.

عفيفي، أحمد. *نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي* .ط ١. القاهرة: زهراء الشرق، ٢٠٠١.

عمر، أحمد مختار. *علم الدلالة*. ط ٥. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨.

العليوي، صالح بن أحمد بن سليمان. "أثر السياق في التوجيه البلاغي" *مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية* 1، ع ١ (٢٠٢١): ١٧٠–٢١٠.
https://doi.org/10.53286/arts.v1i1.228.

المرادي، حسن بن قاسم. *الجنى الداني في حروف المعاني*. تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.

مفتاح، إبراهيم. *رائحة التراب*. ط ١. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٦.

الميداني، أبو الفضل. *مجمع الأمثال*. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. د.ط. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

هجري، إبراهيم يحيى محمد. "الاتساق في قصيدة (الراحل الحبيب) للشاعر عيسى بن علي جرابا". *مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية* ٥، ع ١ (٢٠٢٣): ٣٥٣–٥٨.
https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1430.

هندي، تنوير بنت أحمد. "الاتساق والانسجام في آية الكرسي". *مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية* 1، ع ١٢ (٢٠٢١): ٢٤٧–٧٣
https://doi.org/10.53286/arts.v1i12.778.

Bibliography

Ibn Jinni, ʿUthmān. *Al-Khaṣāʾiṣ*. 4th ed. Cairo: Egyptian General Book Organization, n.d.

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. *Lisān al-ʿArab*. 3rd ed. Beirut: Dār Ṣādir, 1414 AH.

Oghlu, Elf No Omar. "Al-Mutanabbi's Poem 'Aḥyā wa Aysar': A Study in the Light of Text Linguistics." *Istanbul Journal of Arabic Studies* 1 (2023).

Beheiri, Saeed. *Text Linguistics: Concepts and Trends*. 1st ed. Beirut : Librairie du Liban Publishers–Longman, 1997.

Beaugrande, De. *Discourse, Text, and Process*. Translated by Tammam Hassan. 1st ed. Cairo: ʿĀlam al-Kutub, 1998.

Al-Jāḥiẓ, Abū ʿUthmān. *Al-Bayān wa al-Tabyīn*. No ed. Beirut: Dār wa Maktabat al-Hilāl, 1423 AH.

Al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir. *Dalāʾil al-Iʿjāz*. Investigated by Maḥmūd Shākir. 3rd ed. Cairo: al-Madanī Press; Jeddah: Dār al-Madanī, 1992.

Jalloub, Duʿāʾ Ḥasan. "Textual Cohesion in *Dīwān al-Dhakhāʾir* by Shaykh Muḥammad ʿAlī al-Yaʿqūbī". Master's thesis, University of Maysan, College of Education, 2023.

Hassan, Tammam. *Al-Bayān fī Rawāʾiʿ al-Qurʾān: A Linguistic and Stylistic Study of the Qurʾānic Text*. 1st ed. Cairo: ʿĀlam al-Kutub, 1993.

Husain, Haidar Ahmad. "Mechanisms of Textual Tying in ʿAbd al-Ḥasan Zalzalah's Mimiyyah." *Al-Iraqia University Journal*, no. 55, pt. 1 (n.d.).

Khattabi, Muḥammad. *Text Linguistics*. 1st ed. Casablanca: Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1991.

Dijk, Teun A. van. *Text and Context*. Translated by ʿAbd al-Qādir Qunīnī. No ed. Casablanca: Afrique Orient, 2000.

Al-Zanad, al-Azhar. *The Fabric of the Text*. 1st ed. Casablanca: Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1993.

Al-Zein, Ibrahim Abdullah Ahmed. 2024. "The Impact of Pronouns on Achieving Verbal Cohesion and Semantic Harmony of the Sentence in Imru' Al-Qais's Mu'allaqah". *Arts for Linguistic & Literary Studies* 6 (3):320-39. https://doi.org/10.53286/arts.v6i3.2075.

Sibawayh, ʿAmr ibn ʿUthmān. *Al-Kitāb* [The Book]. Edited by ʿAbd al-

Salām Hārūn. 3rd ed. Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1988.

Al-Saif, Bayan Bint Ibrahim Bin Abdulaziz. 2023. "Textual Coherence in the Hadith of 'The Seven'". *Arts for Linguistic & Literary Studies* 5 (1):386-421. https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1431.

ʿAbd al-Laṭīf, Muḥammad Ḥamāsah. *The Structure of the Arabic Sentence*. No ed. Cairo: Dār Gharīb, 2003.

Al-ʿAskari, Abū Hilāl. *Kitāb al-Ṣināʿatayn* [The Two Crafts]. Edited by ʿAlī Muḥammad al-Bajāwī and Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. No ed. Beirut: Al-Maktabah al-ʿAṣriyyah, 1419 AH.

ʿAfīfī, Aḥmad. *Toward Text Grammar: A New Approach in Syntactic Studies*. 1st ed. Cairo: Zahraʾ al-Sharq, 2001.

ʿUmar, Aḥmad Mukhtār. *Semantics*. 5th ed. Cairo: ʿĀlam al-Kutub, 1998.

Al-Alaiwi, SalSaleh Bin Ahmed Bin Suleimaneh Ahmed Saleh. 2021. "The Impact of Context on Rhetorical Guidance". *Arts for Linguistic & Literary Studies* 1 (1):170-210. https://doi.org/10.53286/arts.v1i1.228.

Al-Murādī, Ḥasan ibn Qāsim. *Al-Jinā al-Dānī fī Ḥurūf al-Maʿānī* [The Closely Gathered Meanings of Particles]. Edited by Fakhr al-Dīn Qabāwah and Muḥammad Nadīm Fāḍil. 1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1992.

Muftah, Ibrāhīm. *The Scent of the Soil*. 1st ed. Beirut: Arab Scientific Publishers, 2016.

Al-Maydanī, Abū al-Faḍl. *Majmaʿ al-Amthāl* [Collection of Proverbs]. Edited by Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd. No ed. Beirut: Dār al-Maʿrifah, n.d.

Hijri, Ibrahim Yahya Muhammed. 2023. "Cohesion in the Poem of 'al-Rāḥil Al-Ḥabīb' by Issa Bin Ali Jaraba". *Arts for Linguistic & Literary Studies* 5 (1):353-58. https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1430.

Hindi, T. B. A. (2021). Consistency and Harmony in Ayat Al-Kursi. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *1*(12), 247–273. https://doi.org/10.5328 `6/arts.v1i12.778

هندسة الأهواء في رواية "عرس الزين" للطيب صالح

The Engineering of Passions in the Novel "The Wedding of Zein" by Tayeb Salih

د. عبدالله بن حسن محمد القرني

أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والفنون بجامعة بيشة_ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: Ahqarni@ub.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
12/01/2026		03/03/2025
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-020		

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ"**هندسة الأهواء في رواية عرس الزين، للطيب صالح**" للوقوف على خطوط وأبعاد وكميات الأهواء المتمظهرة في الرواية، وكيفية تمظهرها وبنائها من خلال قياس انفعال الذات وتفاعلها في رواية عرس الزين؛ ولتحقيق ذلك أُعتمد المنهج السيميائي، وسيمياء الأهواء تحديدًا، للوقوف على تمظهرات الأهواء ورصد انفعالات الذات وحالتها النفسية، واقتضى ذلك تقسيم الدراسة على مبحثين سبقهما تمهيد ومقدمة وتبعهما خاتمة، خصص التمهيد للحفريات المعرفية حول مصطلح سيمياء الأهواء، وتضمن المبحث الأول التمظهرات الهووية في الرواية ودلالتها، وعُني المبحث الثاني بالخطاطة الاستهوائية في الرواية ومراحلها.

وتوصلت الدراسة لجملة من النتائج، أهمها: إن سيمياء الأهواء في الرواية تتمثل في انفعالات الذات تجاه موضوع ما، فضلًا عن تأثر الذات بالآخر بأي شكل من الأشكال، وقد تمثل ذلك باضطراب الذات، وحماسها وانتقالها من حالة إلى أخرى، وإدراكها وطاقتها الانفعالية التي تترد بين الانخفاض والارتفاع تجاه موضوع ما، للقيام بفعل ما، يعكس للآخر حالة الذات، تجاه الموضوع من خلال وسيط ينقل الحالات الانفعالية للذات ويمثل صورتها، ألا وهو الجسد الذي يمثل واسطة بين الذات والآخر.

الكلمات المفتاحية: سيمياء الأهواء – التوترية – المؤشر الجسدي – عرس الزين – التمظهرات الهووية – الخطاطة الاستهوائية.

Abstract:

This study, entitled "The Engineering of Passions in the Novel The Wedding of Zein, by Tayeb Salih," aims to identify the lines, dimensions, and quantities of passions manifested in the novel, and how they are manifested and constructed by measuring the emotion of the self and its interaction in the novel The Wedding of Zein. To achieve this, the semiotic method was adopted, specifically the semiotics of passions, to identify the manifestations of passions and monitor the emotions of the self and its psychological state. This required dividing the study into two sections, preceded by a preface and an introduction, and followed by a conclusion. The preface was dedicated to the epistemological excavations around the term semiotics of passions. The first section included the manifestations of identity in the novel and their significance, and the second section dealt with the syllabic scheme in the novel and its stages.

The study reached a number of conclusions, the most important of which is: The semiotics of passions in the novel are represented in the emotions of the self towards a subject, as well as the self being affected by the other in any way. This was represented by the disturbance of the self, its enthusiasm and its transition from one state to another, and its awareness and emotional energy that fluctuates between low and high towards a subject, to do an action that reflects to the other the state of the self towards the subject through a mediator that conveys the emotional states of the self and represents its image, namely the body, which represents a mediator between the self and the other.

Keywords: Semiotics of passions – tension – bodily indicator – wedding of Zein – identity manifestations – erotic schema.

المقدمة:

تعد السيمياء من المناهج النقدية التي تحتاج لتأمُّل تام، يستطيع منه الناقد الولوج إلى أعماق النص، والمتأمل في نظرية سيمياء الأهواء يجد أنها انبثقت من هذا المنهج النقدي الذي قامت قواعده وأسسه على أيدي النقاد السابقين، فركزت بعض المقاربات السيميائية المبكرة على البنى الدلالية، ثم اتسعت السيميائيات لاحقا نحو دراسة الذات والجسد والتواترية، وهو ماتمثله سيمياء الأهواء، فالتفت النقاد للذات والانفعالات باعتبارها الأساس لكل عمل أدبي، وبهذا توسع نطاق الاهتمام بالذات، وانفتحت السيمياء على دراسة الذات وانفعالاتها وحالاتها النفسية، وما يتعلق بها ومايتبثق منها، فأصبحت الذات هي (المركز)، فهي المؤثرة والمتأثرة، وتمثل الأهواء شكل من أشكال انفعالات و وجود الذات، وهذا ما أشار إليه سعيد بنكراد في تقديمه لكتاب غريماس وفونتنيّ (سيميائيات الأهواء)[1]، فالأهواء تُنتج حين تتفاعل الذات مع عوالمها الداخلية، وحين تصطدم بالعالم وتتفاعل مع العوالم الخارجية، فهي ناتجة عن حركة ديمومية تدفع بالمتكلم إلى شيء... وتقوده إلى شيء آخر...

ولا يكاد يخلو أي عمل أدبي من أهواء الذات وانفعالاتها سواءً أكان شعرًا أو نثرًا، وتحتل الرواية مكانًا مرموقًا في المجال الأدبي، إذ تعكس نظرة الكتاب، لمالها من تجلي يتناسب مع المجتمع وتحولاته الاقتصادية والسياسية والثقافية... فالرواية بمثابة الآلة التي لها القدرة على تصوير تلك التحولات المواكبة لإيقاع الحياة...

وعليه فقد اتخذ البحث من سيمياء الأهواء موضوعًا قائمًا على رواية"عرس الزين"

(١) ألجيرداس ج. غريماس، جاك فونتنيي. "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس". ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، (ط١، بيروت: ٢٠١٠م): ٢٨.

كمادة بحثية للوقوف على أبعاد الأهواء وقياس الانفعالات الواردة فيها.

أسباب اختيار الدراسة: قلة الدراسات في هذا المجال، والرغبة في اكتشاف الأهواء التي تجلت في الرواية، وتحليل الانفعالات والأهواء الواردة فيها، إلى جانب التطلع إلى معرفة المدلول الكامن وراءها، علاوة على تنوع الأهواء في الرواية لاسيما الأهواء الثانوية.

أهمية الدراسة: إلقاء الضوء على الأهواء المسيطرة في الرواية، والكشف عن مدلولات الأهواء وعلاقتها بالذات والتوترية، إلى جانب أهمية الرواية من الناحية الاجتماعية والثقافية والسياسية، فهي من أهم الأعمال الأدبية في الأدب العربي.

هدف الدراسة: البحث عن الأهواء التي تمظهرت في الرواية وكيفية تشكيلها، وكيفية بنائها من خلال الذات، مع بيان دورها ومدلولاتها، وبيان كيفية تشكل الأهواء من خلال القوة الانفعالية الكامنة في نص الرواية، إلى جانب الكشف عن علاقة الأهواء بالذات وإحداث التوترات من خلال الاستهواء الكامن والذي يمثل الأساس التركيبي في الرواية.

أسئلة الدراسة: ما الأهواء التي تمظهرت في الرواية، وكيف تشكلت من خلال الذات؟، وما الدلالات المتعلقة بالأهواء التي تمظهرت في الرواية؟، وكيف تشكلت الأهواء من خلال القوة الانفعالية الكامنة في الرواية؟، وكيف عبر الجسد عن انفعالات الذات من خلال السلوكيات التي أحدثها.

منهج الدراسة: المنهج السيميائي بشكل عام، وسيمياء الأهواء بشكل خاص؛ لغرض تتبع الأهواء في الرواية، والكشف عنها، وبيان دلالاتها العميقة.

الدراسات السابقة: ليس هناك –على حد علمي– دراسات تناولت الأهواء للرواية من جانب سيميائي، فتناولت الدراسات الرواية من زوايا سردية وأسلوبية وعجائبية، بينما يتجه هذا البحث إلى سيمياء الأهواء بوصفها جهازًا إجرائيًا لتحليل

دينامية الانفعال، ومنها:

- ❖ بناء المنظور الروائي ودلالته في رواية "عرس الزين" للطيب صالح، نهلا ناصر الدين، مجلة أوراق ثقافية، العدد:١٣، بيروت، ٢٠٢١م.
- ❖ البنية السردية في رواية عرس الزين للطيب صالح، رسالة ماجستير، شوارفية خيرة، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، ٢٠٢٣م.
- ❖ عجائبية الحدث والشخصية في رواية "عرس الزين" للطيب صالح، سعدية موسى، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد:٣٠، ٢٠٢١م.
- ❖ العجائبية في رواية "عرس الزين" للطيب صالح، هجيرة مشروك، لامية جمعي، رسالة ماجستير، جامعة البويرة، الجزائر،٢٠٢٠م.
- ❖ عرس الزين دراسة في ضوء النظرية السلوكية اللغوية، حسين يوسف، هاشم العزام، مصطفى عوض ، أحمد عزام، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد:٨١، العدد:٢، ٢٠٢١م.
- ❖ الغرابة في شخصيات رواية عرس الزين للكاتب الطيب صالح، فتح الرحمن محمد الجعلي، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، الإمارات العربية، العدد:٥١، ٢٠٢٠م.
- ❖ قراءة أسلوبية في رواية "عرس الزين" للطيب صالح، سعد بوفلاقة، مجلة الآداب، جامعة منتوري قسنطينة، العدد:٩، ٢٠٠٨م.

خطة الدراسة: المقدمة: فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة. **التمهيد:** الحفريات المعرفية حول مصطلح سيمياء الأهواء. **المبحث الأول:** التمظهرات الهووية في الرواية ودلالتها. **المبحث الثاني:** الخطاطة الاستهوائية في الرواية. **الخاتمة:** وفيها أهم نتائج الدراسة.

التمهيد: الحفريات المعرفية حول مصطلح سيمياء الأهواء

شاعت السيميائية في الميدان النقدي، وأتاحت للباحثين منطلقات عديدة لتناول المعطى الأدبي من اتجاهات مختلفة، وهذا مما أسهم في بلورة النقد، والتعامل مع المعنى وقضايا الدلالة، ولا شك أن ذلك جعل لها مكانتها في العالم النقدي الواسع؛ فقد حظيت بالعناية البالغة من قبل النقاد، حيث انصب مجالها على العلامات والرموز للبحث عن المعنى وأنساق الدلالة.

والسيميائية في المشهد الفكري المعاصر احتلت مكانة مميزة، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصية، من حيث أصوله وامتداداته، ومن حيث مردوديته وأساليبه التحليلية، إنها علم يستمد أصوله ومبادئه، وطرق تحليله من مجموعة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنتروبولوجيا(١).

وبعد أن شاعت السيميائية تفرعت عنها منطلقات جديدة ومن تلك المنطلقات ظهرت "سيمياء الأهواء"، والتي ارتبطت بسيمياء الفعل أو العمل.

وعند التأمل لاهتمام السيميائية نجدها تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني، إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني، بدءًا من الانفعالات البسيطة ومرورًا بالطقوس الاجتماعية، وانتهاءً بالأنساق الإيديولوجية الكبرى(٢).

إن كل فعل إنساني لابد أن يحمل حالة انفعالية، فإلى جانب أن العامل يعمل (حالة الأشياء) فهو في الوقت نفسه يشعر (الحالة النفسية)(٣).

---

(١) ينظر: سعيد بنكراد."السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها". دار الحوار، مكتبة الأدب المغربي، سورية، (ط٣، ٢٠١٢م):٢٥.

(٢) ينظر: بنكراد،"السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها":٢٥.

(٣) محمد الداهي."السيميائيات: سيميائية الأهواء". عالم الفكر، المجلس الوطني، للثقافة والفنون والآداب، المجلد: (٣٥، العدد: ٣، ٢٠٠٧م):٢٤٠،٢٣٩.

ومن أهم منطلقات السيميائية ظهور **"سيميائية الأهواء"**، إذ شكل ظهور مقال غريماس، الذي جاء بعنوان: "حول تكييفات الكينونة"، إيذانًا بميلاد سيميائية الأهواء، وقد تناول فيه "الوجود الكيفي للذات" أي ما يعود لعوالم الكينونة بعد أن كرس جهوده في السنوات السابقة لصياغة الحدود الضابطة لتكييفات الفعل في أفق إرساء الأهلية الكيفية للذات السردية(١).

وجدت التجديدات الأساسية لسيمياء الأهواء طريقها للنور مع بداية التسعينيات، وبالتحديد سنتي (١٩٩١ ـ ١٩٩٤م)، واهتمت بالأساس (التوترية، الإثيسيا) وقد تم التدقيق والنظر في المسألة بعد ست سنوات، وذلك سنة ١٩٩٨م، في كتاب: **"التوتر والدلالة"** لجاك فونتانيل وكلود زيلبيربيرج، وشيئًا فشيئًا بدأت تتضح الملامح العامة لسيميائيات الأهواء(٢).

وخصص غريماس وجاك فونتانيي كتابهما "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس"؛ لدراسة الأهواء، حيث ركزا على مجموعة من المفاهيم التحليلية كالجسد والانفعال، والكمية والامتداد والكثافة، والإيقاع والقوة والضغط والتوتر والإحساس، والطاقة الشعورية والصالح والطالح، والانفصال والاتصال، والعالم الداخلي والخارجي، والذات والموضوع، وحالات النفس وحالات الأشياء(٣).

وأدى ظهور سيمياء الأهواء على يد الباحثيّن الفرنسيّن (غريماس وجاك) في كتابهما المشترك، لنشوء تيار جديد يتمتع بنظام استقلالي خاص؛ وذلك نظرًا لأهمية الهوى الذي يعد أساس الدلالة، وجوهر انبثاق المعنى.

وعالجا غريماس وفونتانيي مسألة الأهواء في ثلاثة فصول، حيث توجها لدراسة

(١) ينظر: جاك فونتنيي،"سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس":٤٥.

(٢) ينظر: السابق، ص ٤٦،٤٧.

(٣) ينظر: جميل حمداوي."مستجدات النقد الروائي".(ط١، ٢٠١١م):٣٣.

الأهواء المرتبطة بالذات وتأثيرها على الخطابات النصية، متجنبين المقاربات الأخلاقية والفلسفية والنفسية...، لعل هدفهما استكشاف آثار المعنى في المقاطع النصية التي تعكس صورة الهوى الذاتي.

ويشكل الهوى بعدًا جديدًا في العملية التوليدية، يعرف بالبُعد الانفعالي، فعندما يقوم الإنسان بفعل ما يضيف إلى هذا الفعل شحنة انفعالية تحدد مدى كثافته وفاعليته.

ولا يستطيع أي إنسان أن يوجد مجرد من الهوى تماماً؛ لأن أي حركة أو أي فعل يقوم به لابد أن يكون مؤطراً بهوى محدد، يحدد علاقته مع موضوع ما، أو مع الآخرين، فكل ما ينتاب الإنسان من أحاسيس وانفعالات هي في حقيقتها أهواء.

وهذا ما تعنى بدراسته "سيماء الأهواء" حيث تتعلق كل التعلق وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالذات الإنسانية، وكل النصوص والخطابات السردية[١]، بهدف الكشف عن المعنى، وذلك من قراءة المكونات التركيبية والدلالية للنصوص، وتحليلها وتأويلها على مستوى السطح والعمق.

وتتم دراسة الهوى باعتبار إمكانات تحققه، لا باعتباره مضمونًا كليًا يحمل معناه في ذاته، وهذا يعني الكشف عن المخزون الانفعالي المودع في النفس كشكل احتمالي لسلوك ممكن دون الاكتراث لتصنيفاته الاجتماعية السلبية منها والإيجابية، إذ أن الهوى يمثل أحد أشكال وجود الكلية الانفعالية، أي ما يترتب عن انشطار الذات لحظة اصطدامها بالعالم[٢].

ويعد الهوى قوة كامنة في داخل الذات، وتظهر هذه القوة في الجسد الذي يتجلى الانفعال من خلاله، والذات هي التي تجسد الأهواء من خلال تحقق ما لموضوعٍ ما، فالذات الغاضبة هي التي جسدت هوى الغضب، ويتم ذلك من خلال الجسد،

(١) ينظر: السابق، ص٢٧.

(٢) ينظر: جاك فونتنيي،"سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس": ٢٨.

"فالانفعالات تأتي إلى النفس بقوة الجسد، وما فيه من حركة وديناميةٍ تحمل معها كل عنف الطبيعة والمفاجأة"[١]"ويملك قدرة هائلة على الكشف بالظاهر عن الباطن بكيفيات تفاعله، وانفعاله ووجوه فعله، وعموم علاقاته مع غيره"[٢].

وتكمن خصوصيته وفعاليته في الإحساس، إنه يضيف من خلال خلق حالة انسجام في الوجود السيميائي، مقولات استعداد الذات –التي تشكل العطر الانفعالي– نفسيًا وفسيولوجيًا على الإحساس بشيء، وتحديد موقعه في العالم الخارجي أو الداخلي على حدٍ سواء[٣]، وتقع الأهواء بين الذات والجسد، فالفرد يعيش جسده بتزامن مع جسد الآخر من خلال انفعال يعبر عنه ويثيره[٤]، ذلك أنه لا يمكن إدراك مايتضمنه هوىً ما إلا من خلال الجسد الذي يتوسط الذات.

وتهتم سيمياء الأهواء بدراسة انفعالات الذات الجسدية والحالات النفسية، ووصف آليات اشتغال المعنى داخل النصوص والخطابات المستهواة، ويتم ذلك من مكونين أساسين، هما: (التوتري/انعكاس العالم الطبيعي على الذات)، (العاطفي أو الانفعالي/منبع الأحاسيس والعواطف)[٥].

ويُدرك العالم في سيميائية الأهواء متصلًا بالذات، وحالات النفس ضمن كلية

(١) رينه ديكارت."انفعالات النفس". ترجمة وتقديم: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، بيروت:(ط١، ١٩٩٣م):٩.

(٢) سعاد صابية."تأويل الجسد في مقامات بديع الزمان الهمذاني".مجلة دراسات معاصرة، الجزائر، جامعة تيسمسيلت، المجلد:(٨، العدد:١، ٢٠٢٤م):٢٥٢.

(٣) ينظر: جاك فونتنيي،"سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس":٥٧، وهامشها.

(٤) نجاه بلعزي."مفهوم الخطاطة الجسدية وصورة الجسد والصورة المرآتية في التحليل النفسي".مجلة مقاربات، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، العدد:(٣٠، ٢٠١٨م):١٤٠.

(٥) ينظر: جميل حمداوي،"مستجدات النقد الروائي":٣١،٣٠.

قائمة على التداخل والانصهار والتفاعل، على خلاف سيمياء العمل، الذي يدرك منفصلا عن الذات(١).

ويعد الهوى بؤرة سيميائية الأهواء؛ لأنه يمثل سلسلة من الحالات الانفعالية التي تتطور خارج البعدين المعرفي والتداولي، حيث يخضع لسيرورة تنقله من حالة بدون ملامح سابقة على أية معرفة إلى تحققات ضمن أدوار بعينها، وبهذا يمثل الهوى بُعدًا جديدًا داخل المسار التداولي الذي يسميه جريماس وفونتنيي بالبعد الانفعالي، فالذات لا تقوم بالفعل فقط بل تشكل شحنة انفعالية تحدد درجة الكثافة التي يتحقق من خلالها الفعل(٢).

وتعنى سيميائية الأهواء بتناول الأهواء ووصفها، وتحديد مساراتها، في حين تكمن منهجية اشتغال الأهواء في تحديد كفاءات الذات انطلاقا من جهات كينونة الهوى، والبحث في التوتر الاستهوائي الذي يدفع إلى تصييغ الذات وربطها بموضوعها القيمي(٣)، فتشكل الهوى في الخطاب ينطلق من التوتر الذي يولد الاستهواء الذي يمثل القوة الانفعالية الكامنة التي يستند إليها خطاب الأهواء لرسم عوالمه(٤).

ويولد الاستهواء الانفعال الذي تقف وراءه كفاءة الذات، مما ينتج عنه عناصر عاملية، أو فعل تلفظي خطابي، ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي:

توتر ← استهواء ← هواء ← كفاية ← فعل تلفظي(٥).

(١) ينظر: السابق، ص٤٠.

(٢) رشيدباعلي."سيميائية الأهواء: المفهوم وآليات الاشتغال المنهجي".مجلة عطاء للدراسات والأبحاث، العدد:(٥، ٢٠٢٤م):١٦١.

(٣) ينظر: السابق، ص١٦٣.

(٤) ينظر: جاك فونتنيي،"سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس":٣١.

(٥) ينظر: باعلي،"سيميائية الأهواء: المفهوم وآليات الاشتغال المنهجي":١٦٣.

فالهوى ناتج عن قوة ذاتية كامنة في الذات يستند إليها، ويتجسد من خلالها، وقد حملت كلمة الهوى في اللغة العربية كل ما يتعلق بالعواطف والأحاسيس مذمومًا أكان أم محمودًا(١)، إذ تتأسس الأهواء من العواطف والأحاسيس، ويمكن القول: إنَّ الأهواء هي الانفعالات التي تنتاب الذات، ولعل ذلك أهم ما يميز سيمياء الأهواء، إذ أنها أضافت بُعدًا تحليلًا جديدًا في دراسة النصوص والخطابات، وهو ما يسمى بالبعد الانفعالي والاستهوائي، إلى جانب البعد العاملي والمعجمي الموجوديّن في سيميائية الفعل أو الأشياء(٢).

كما تدرس ملفوظات الإحساس على المستوى الخطابي لا على مستوى التمظهر، وتعنى بالمتلفظ الذاتي وآليات تخطيب الأهواء، والاستعانة بالبنية العاملية والسردية، في تحليل الخطاب الاستهوائي، ومن ثم الانتقال من التلفظ إلى الأهواء، ومن الإستيتيقا إلى القيم، وهنا يدرس تمظهر الجهات والتشخيص التصويري، وعمليات التلفظ، أي المستوى الصرفي التركيبي الدلالي للعواطف(٣)، وإضافة إلى أن الأهواء تخص الذات، فهي ميزة الخطاب.

السيميائية سعت لدراسة الأهواء وتحليلها وإعادة بنائها من منظور سيميائي؛ بهدف إثبات استقلالية البعد الانفعالي وتحديده، بالإضافة لتوضيح كيفية تشكله ضمن الخطاب في إطار النظرية السيميائية العامة، كما تناولت السيميائية الحالة النفسية من خلال مجموعة من المفاهيم الجديدة.

ولا يخلو أي نص من الأهواء، فهي تتجلى في الخطاب حاملة لآثار معنوية بالغة الخصوصية، ويمثل هذا المعنى باعتباره أريجًا مبهمًا يتعذر تحديده، وإن التأويل الذي تبنته

(١) ينظر: الداهي،"السيميائيات: سيميائية الأهواء":٢١٩.

(٢) ينظر: حمداوي،"مستجدات النقد الروائي":٤٤.

(٣) ينظر: السابق، ص٤٥.

السيميائيات مفاده أن هذا العطر الخاص ينبعث من تنظيم خطابي للبنيات الكيفية[١]، ولعل ما يميز الخطابات هي الأهواء في حد ذاتها.

وبهذا يمكن القول: إنَّ التناول السيميائي للأهواء شكل طفرة نقدية في تناوله لانفعالات الذات المرتبطة بالفعل، وفاعل الفعل، فركز على انفعالات الذات واهتم بحالاتها النفسية، ومدى تجليها في النصوص وانسجامها وتصنيف هذه الأهواء وبواعثها، وكيف أنها تنبعث من طاقة استهوائية تكمن في داخل الذات الممتلئة بالأهواء والانفعالات، فهي الحاملة للهوى والمنتجة للدلالة.

(١) جاك فونتنيي،"سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس":٦٧.

المبحث الأول: التمظهرات الهووية في الرواية ودلالتها

ترتبط الأهواء بالجانب الأساسي في حياة الإنسان، ويتمثل في: (الحالة النفسية والانفعالات)، ومايعتريها من مشاعر وأحاسيس تتأرجح بين السعادة والشقاوة.

وهذه الأحاسيس ظاهرة نفسية متولدة من تأثر إحدى الحواس بمؤثر ما، وهناك من أطلق عليها الإدراكات(١)، فالهوى سلسلة من الحالات الانفعالية التي تتطور داخل بعدين: المعرفي، والتداولي، فحين يقوم الإنسان بالفعل يضمن فعله شحنة انفعالية، تحدد درجة الكثافة التي يتحقق من خلالها هذا الفعل، وهي إشارة أيضًا إلى طبيعة كينونة الذات الفاعلة وتأثيرها في فعلها(٢).

ولأجل الوقوف على تمظهرات الأهواء التي تحملها الذات، لابد من الوقوف على التمظهر الأساسي الذي تنتمي إليه، ويتم ذلك من خلال الاستفادة من علم الدلالة.

وسيركز هذا المبحث، على:

- الأهواء المسيطرة في الرواية.
- التمظهرات الأساسية التي تنتمي إليها الأهواء المتمظهرة.
- الاتجاه الشعوري للذات الانفعالية.

ويتم تناول الأهواء التي سيطرت، بناءً على الاتجاه الشعوري للذات، على النحو الآتي:

- **أهواء إيجابية:** (الاهتمام، الفضول، الحب، الصداقة، الاحترام، المودة، الأمل، الحنين، الفرح، الحماس، الاعتراف، الافتتان، الإعجاب، اللامبالاة).

(١) ينظر: جميل صليبا."المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية". ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت:(١٩٨٢م):٤٣.

(٢) ينظر: جاك فونتنيي،"سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس":١٢.

- **أهواء سلبية:** (الخوف، القلق، الاضطراب، الخيبة، الاحتقار، الاستخفاف).

والأهواء التي سيطرت على الرواية أغلبها إيجابية وتعبر عن الرغبة، ويمكن عدها أهواءً أساسية، مثل: هوى الاهتمام الذي تبعه هوى الفضول، وهوى الحب الذي ارتبط بعدة أهواء، مثل: (الصداقة، المودة، الاحترام، الافتتان، الإعجاب، الفرح، الحماس، الحنين، الاعتراف، اللامبالاة) فكان الاتجاه الشعوري للذات اتجاهًا إيجابيًا، وحين ارتبط بأهواء أخرى تعبر عن الفقد، مثل:(القلق، الخوف، الاضطراب، الخيبة، الاحتقار، الاستخفاف) كان الاتجاه الشعوري في هذه الحالة إتجاهًا سلبيًا، وهكذا اختلطت في الرواية الأهواء وتداخل بعضها ببعض، فتكررت أهواء ذات طابع تفاعلي مقابل أهواء توترية/قلقية.

هوى (الاهتمام):

الاهتمام بالشيء، بمعنى: إعطاؤه أهمية، ويحمل الاهتمام علاقة ثلاثية، تتكون من ثلاثة عناصر، هي: (المهتم، المهتم به، موضوع الاهتمام)، ويرمز إلى وجود ذات تعنى بالشيء (موضوع القيمة) المرتبط بالمهتم به، وهذا الاهتمام تَولد في الرواية منذ بدايتها، وذلك عندما بدأت حليمة بائعة اللبن حديثها عن عرس الزين لآمنة، في قولها [١]:

"سمعت الخبر؟ الزين مو داير يعرس"

تولد من قبل ذات آمنة، من انفعالها حتى كاد الوعاء يسقط من يديها، وقد تحقق ذلك في رد فعل آمنة عند سماعها للخبر، وهذا ماحقق استهواءً، فإذا لم يكن يعنيها أمر زواج الزين لما ظهر عليها أثر الانفعال، ولما غشتها حليمة اللبن، وهذا ما أكده النص[٢]:

(١) الطيب صالح. "رواية عرس الزين". دار الجيل، بيروت: (ط١، ١٩٩٧م):٣.
(٢) السابق، الصفحة نفسها.

" كاد الوعاء يسقط من يدي آمنة، واستغلت حليمة انشغالها بالنبأ فغشتها اللبن"

يتجلى أثر اهتمام آمنة بموضوع زواج الزين، حيث أصبح هوىً له تأثيره وفاعليته، ليس في هذا الموضع فحسب، وإنما تجلى في مواضع أخرى من الرواية من ذوات مختلفة، ومن ذلك ما ورد في الرواية، عندما وصل الطريفي المدرسة متأخرًا، فحين سأله الناظر عن سبب تأخره فما كان به إلا أن سأله: **"يافندي سمعت الخبر؟ "فسأله الناظر عن الخبر، فقال: "الزين ماش يعقدو له بعد باكر"**(١).

وهذا ما يجسد مدى اهتمام الطريفي بأمر الزين وزواجه، ومما يزيد هذا التجسيد ردة فعل الناظر، فقد أصابته الدهشة بما أخبره الطريفي، ويتضح ذلك في قول (٢): **"وسقط حنك الناظر من الدهشة"**.

ويتجلى هوى "الاهتمام" في موضع آخر، والذي يجعل بعض الشخصيات منشغلة كل الانشغال بغيرها، فحين أقبل عبد الصمد لدكان الشيخ علي، وعلى وجهه آثار الغضب للمطالبة بدينه من الشيخ علي بالخير أو الشر، أخبره الشيخ علي بأنه سيحكي له حكاية عرس الزين، فجلس ليستمع لحديثه، وهنا تولد الاهتمام في ذات عبد الصمد عندما حدثه الشيخ علي، إذ تولد في نفسه فضولاً لسماع خبر زواج الزين، وقد استطاع الشيخ علي التأثير عليه، حتى أنه قعد ليستمع، ولم يخلص دينه من الشيخ علي في ذلك اليوم، وهكذا استطاع الشيخ علي أن يشغله ولم يعطيه نقوده(٣).

وأصبح موضوع عرس الزين محل اهتمام وعناية، حيث الكل يترقب ذلك، وكل

(١) ينظر: السابق، ص٣،٤.

(٢) السابق، ص٤.

(٣) ينظر: السابق ص٥.

شخصية ينتاب ذاتها فضولًا بشأن أمر الزين، ويظهر ذلك جليًا في قول[١]:

"ولما انتصف النهار كان الخبر على فم كل واحد"

حيث كانت ذات الزين هي مركز الاهتمام، فهي التي شغلت أهالي القرية، ويمكن تمثيل ذلك في:

المهتم ← المهتم به ← موضوع القيمة

(أهالي القرية) (الزين) (الزواج).

وهكذا ينكشف التجلي الهووي، وتظهر الذات الهووية التي تكشف عن مدى اهتمامها لموضوع الاهتمام، فندرك إمكانية إرادة الذات من رغبتها لمعرفة الشيء بواسطة الآخر.

وتجلى الاهتمام في موضع آخر، إنه شعور أصاب الزين حين طلب من محجوب أن يزوجه ابنته علوية، فأجابه بقوله: **البت أنا مضيتها ليك... تحش قمحك وتلم تمرك وتبيعه وتحضر القروش يجي نعقد لك... فأطرق الزين كأنه قد أخذ يفكر في مستقبل حياته، وقال: اسمعوا ياخوانا الرجل ذا مرقت منه كلمة**[٢].

وهكذا انتاب ذات الزين الاهتمام الذي أتى ردة فعل لانفعال داخلي في ذاته، جاء إثر مؤثر خارجي، وهو كلام محجوب، وهذا يوحي بتفاعل ذات الزين مع ذات محجوب، وبهذا أصبحت ذات الزين فاعلة ومتأثرة في آن واحد.

وقاد التفكير ذات الزين للاهتمام بالموضوع، فالإرادة والقدرة على التفكير تهيء الذات المفكرة لتكون أساسًا للذات الهووية.

ويستمر ظهور هوى الاهتمام لتصوير ذات الزين الهووية عندما قال له العمدة[٣]:

(١) السابق، ص٦.

(٢) السابق، ص١٢.

(٣) السابق، ص١٦.

"إن بقيت اشتغلت شديد الليلة نعرس لك عزة"، فحين أحس العمدة بمدى اهتمام الزين بالموضوع استغل ذلك لصالحه وكلفه بأعمال شاقة، فالأعمال التي قام بها تعبر عن مدى اهتمامه بأمر الزواج من ابنة العمدة، فذات الزين قدمت كل تلك التضحية اهتمامًا بموضوع الزواج.

وهكذا يتابع هوى الاهتمام طريقه ليس في ذات الزين فحسب، إنما في ذوات أخرى، ومن ذلك مشاعر أم فتاة القوز وانفعالها حين رأت ابنتها واقفة مع الزين، فقالت[1]: **"حليمة شنو موقفك مع الدرويش دا"**.

فاهتمام الأم بابنتها يدل على أنها ترغب لها برجلٍ غير الزين، ولخوفها على ابنتها من الوقوع في حب شخص كالزين، حتى أنها وصفته بأنه "درويش" مما يوحي بعدم ارتياح الأم للزين؛ لأنه لا ينتمي إلى طبقة عليا من طبقات المجتمع، فهوى "اهتمام" الأم ولد في ذاتها انفعالًا، دفع ذاتها إلى خلق فعل جسدي، تجسد في قولها عن الزين بأنه درويش.

ومما يعبر عن الحالة الشعورية التي يتوسطها هوى الاهتمام، عودة آمنة لتسأل بائعة اللبن "حليمة" للمرة العاشرة[2]: **"فتى داير يعرس منو؟"، وللمرة العاشرة، قالت حليمة: "نعمة"**.

وبهذا عبرت آمنة عن مدى اهتمامها بعرس الزين، وعلى من سيعرس، ولعل هذا الهوى "الاهتمام" كان متضمنًا لهوى آخر هو "الفضول"، فآمنة تتطلع وتنتظر بترقب عرس الزين، ومن هي البنت التي سيعرس عليها، ولعل اهتمامها وفضولها هو ناتج عن ذات قلقة متوترة ولدت "الاهتمام" الذي حمل نوعًا من الخوف من أن يعرس الزين على نعمة، فقد انتاب ذات آمنة قلق شعوري بشأن زواج الزين من نعمة؛ لأنه سبق ورفضت ابنها أم نعمة عندما ذهبت آمنة لتطلب "نعمة" زوجة لابنها، فما ورد في الرواية يدل

(١) السابق، ص١٨.

(٢) السابق، ص٢٦.

على أن اهتمام آمنة بموضوع عرس الزين ليس مآله عنايتها له وأمر زواجه حبًا وفرحًا له، وإنما لغرضٍ آخر، وهذا يؤكد حقيقة مفادها: أن ليس كل اهتمام هو لصالح المهتم به، ولكنه لفائدة في نفس المهتم وهنا تدفع الذات الرغبة في ذلك، فليس كل من يهتم لأمرك يريد لك الخير، فقد يكون ذلك الاهتمام لحاجة في ذاته.

ومما يدل على ذلك(١): **"اختلطت الدهشة في صدر آمنة بالغضب..."**، ولعل اهتمام آمنة بزواج نعمة والزين هو الذي أثارها، فلم تستطيع أن تسيطر على انفعالها، فاختلطت الدهشة بالغضب!، وذلك ناتج عن الانفعالات الكامنة في ذات آمنة.

ويتجلى هوى "الاهتمام" مجسدًا أهمية الزين بالنسبة لأمه وابنة عمه نعمة، وبعض أهالي القرية، عندما أصابه حادث مريع، فبدى أثر ذلك الاهتمام من الانفعالات التي مثلتها ردود أفعالهم التي عبرت عن ذوات مليئة بالقلق والخوف، كما في(٢): **حين سمعت أم الزين خبطة قوية عند باب الحوش، وفجأة رأت الزين مخبوطًا، فصرخت صرخة سمعها حاج إبراهيم وامتلأ الدار بالناس رجالًا ونساءً... وفقد الناس رشدهم وأخذ عبدالحفيظ يصيح في الزين وقد احمرت عيناه من الغضب: "كلمنا من عمل فيك العملة دي...، وتصارخت النساء وبعضهن أخذن في البكاء، وكانت نعمة تقف عن بعد، وقد حل محل الغضب في عينيها حنو عظيم.**

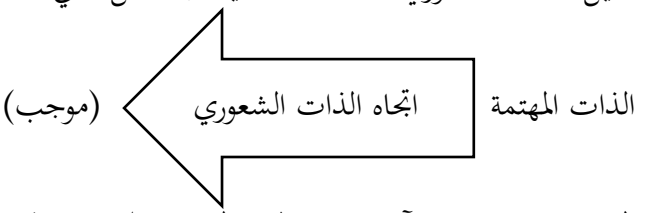
فالاهتمام الذي ظهر من أم الزين ونعمة والحاج إبراهيم وغيرهم، لم يتوقف فيما ظهر منهم خارجيًا، لكن كان له فاعليته في داخل هذه الذوات، وهذه الفاعلية هي التي دفعت الذوات إلى تلك السلوكيات.

فالحالة التي وجدوا فيها الزين لم تكن شيئًا مرغوبًا بالنسبة لهم؛ لذلك ظهر على الذوات عدم تقبلها لما حدث وبدى عليها أثر الغضب والإنزعاج من حالة الزين.

(١) السابق، ص٢٦.

(٢) السابق، ص٤٠.

ويمكن التمثيل للاتجاه الشعوري للذات الانفعالية، بالشكل الآتي:



ويتجلى الاهتمام في موضع آخر، إذ يظهر الشيخ علي اهتمامًا لأمر الزين وزواجه، يقول[١]: "**حكاية عرس الزين مؤكدى؟**"، **ويرد عليه الناظر**[٢]: "**يارجل دا موضوع مدهش، ازاي حاج إبراهيم يقبل؟ الزين رجل درويش ماله ومال الزواج؟**"، وقد بدى الاهتمام واضحًا في كلام الشيخ علي، ومليئًا بالغرابة، وكذلك في كلام الناظر، فذات الناظر لاتظهر الاهتمام فحسب، بل يرافقه التعجب والغرابة، ونوعًا من السخرية، فقد ارتبط هوى الاهتمام بالتعجب والسخرية ونوع من الاستخفاف بالزين، وأنه ليس سوى رجل درويش وكيف سيتزوج من بنت كنعمة، الفتاة الجميلة وصاحبة الجاه والحسب، وهذه من الأهواء التي تعبر عن النقص.

وهوى"الاهتمام" كما تجلى من ذات الزين، وذوات أهالي القرية، كذلك تجلى من ذات "إمام المسجد"، وذلك ناتج عن الحس الحي في ذات الإمام، وشعوره بمدى أهمية الأشياء، فقد كان يهتم بأمور انشغل عنها أهل القرية، كتتبعه لأخبار الإذاعة والصحف ومناقشته لأمر الحرب، بينما كان أهل القرية مشغولين بأمور الحياة، فالفارق بينهم وبين إمام المسجد يظهر من عناية الإمام بهذه الأمور، وهم يغفلون عنها، فالإمام رجل متعلم قضى سنوات في الأزهر[٣].

فالاهتمام الذي ظهر من ذات "**إمام المسجد**"، يعكس قيمة العلم الذي تلقاه

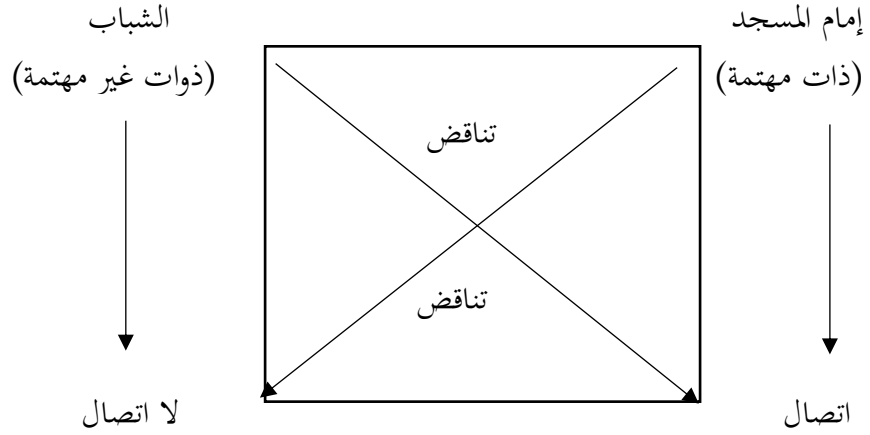
(١) السابق، ص٦٦.

(٢) السابق، ص٦٩.

(٣) ينظر: السابق، ص٧٦.

بالأزهر، ومعرفة الإمام للأمور الدينية، ماجعله مؤهلًا لإبداء الاهتمام والرعاية وتوجيه الناس، مقارنة بالرجل العادي أو بأهالي القرية الذين لم يكن لهم تأثير سوى ضمن أصدقائهم وعائلتهم... وأكثر انشغالهم وتركيزهم على جزيئات الحياة.

كل ذلك عكس تنقل السودان بين الماضي والحاضر والمستقبل، وعكس تمرد الشباب على القيم والمبادئ، وكيف أنهم يعيشون حياتهم بعيدًا عن الالتزام بمبادئ الدين، التي كان يمثلها إمام المسجد وأتباعه، وهنا يتجلى التناقض بين (اهتمام، لا اهتمام)، ويمكن تمثيل أنماط وجود الذات بالتالي:



هكذا ظهرت علاقة التناقض من (اهتمام، اتصال)//(لا اهتمام، لا اتصال)، وقد عكس هذا التناقض حالة الذات ومشاعرها تجاه موضوع الاهتمام.

وتجلى هوى "الاهتمام" من شعور محجوب وشلته بأن الزين إحدى المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهم، ويظهر جليًا من حرصهم على إبعاده عن المشاكل، إذ عبرت ذات محجوب وشلته عن الاهتمام بالزين، بالرعاية والعناية من قبل تلك الذوات،

حتى أنهم كانوا يعلمون عنه أكثر مما تعلم عنه أمه، وهذا ماعبر عنه[١]: **"كانوا يعلمون عنه أكثر مما تعلم عنه أمه"**.

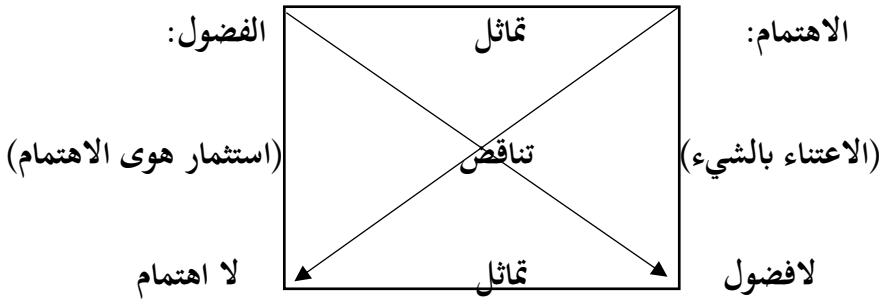
وهوى"الاهتمام" لم يسيطر على ذات واحدة في الرواية دون غيرها، فقد سيطر على عدة ذوات في مواضع متعددة، حيث ظهر من بداية الرواية وامتد لنهايتها، فحين أُعلن عرس الزين بدأت أمه بالزغاريد، ثم تابعها من تابعها من أهالي ونساء القرية، وهذا يعني أن أمه تهتم لأمر الزين، ورعايته وهذا ما يجعل ذاتها أكثر اتصالًا بموضوع القيمة والذي يتمثل بـ"عرس الزين"، ففرحها بعرس ابنها، ونقل حليمة لخبر عرسه لآمنة، وكلام الطريفي لزملائه عن قصة الزين ونعمة، وما رواه عبد الصمد للناس في السوق من أقاويل، والزغاريد التي ملأت الأرجاء... وغيرها، كل ذلك يدل على مدى الاهتمام لأمر الزين وزواجه، بل يعكس هذا الاهتمام الذي حظي به "عرس الزين" مدى أهمية الزواج بالنسبة للفرد بشكل خاص ومدى أهميته للمجتمع بشكل عام، ناهيك عن أنه يتيح للفرد الشعور بالأمان والاستقرار، في حين أنه أساس بناء المجتمع، إذ يسهم في بناء الأجيال، وتعزيز الروابط الاجتماعية والقيم والمبادئ.

فكانت الذوات مصدر الاهتمام، ورافق ذلك شعور هذه الذوات برغبتها وواجبها تجاه موضوع الاهتمام، ويتم ذلك من الإرادة، فإن الذي يريد، يعرف كيف يصل لما يريد، فالواجب يولد الإرادة التي تقوم، من جهتها، بتغييره استرجاعيًا، فالإرادة تصاحبها المعرفة، والاثنان يتغيران تفاعليا[٢].

(١) السابق، ص٨١.

(٢) ينظر: جاك فونتنيي،"سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس":١٩٣.

وقد رافق هوى "الاهتمام" هوى "الفضول"، ويمكن التمثيل لهما في:

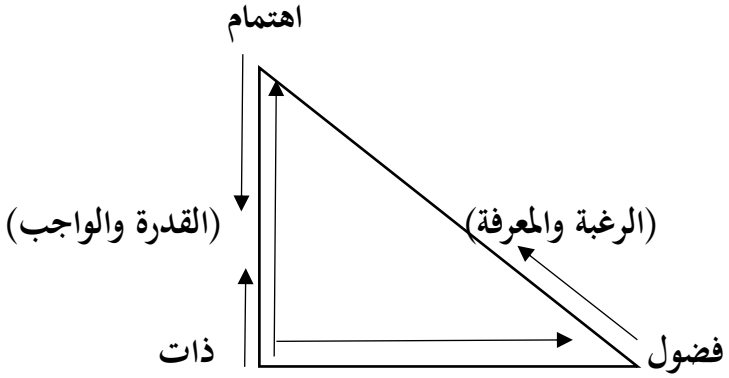


يصنف الفضول ضمن الأهواء المتقاطعة، وجهته هي رغبة المعرفة، وموضوعه هوى البحث عن الحقيقة، وزمنيته تستشرف آفاق المستقبل(١)، وهذا ما اتضح في الرواية، فقد كانت كل ذات هووية ترغب بمعرفة الحقيقة وتبحث عنها، من خلال هوى "الفضول".

واتضح التماثل بين: (الاهتمام، الفضول)، فالاهتمام يولد في الذات الفضول لمعرفة الشيء والوصول إليه، وبين: (لا اهتمام، لا فضول)، فإذا كانت الذات غير مهتمة بموضوع ما؛ لن تدفعها رغبة لمعرفة الشيء والوصول إليه.

ويبدو أن هوى الفضول يدل على الاهتمام، و هوى الاهتمام يرتبط ارتباطًا وثيقًا بهوى الفضول والتطلع لمعرفة الشيء، وذلك من إرادة الكينونة التي تروم إلى (المعرفة)، وعندما يرتبط الفضول بالاهتمام فإنه سيكون شعورًا مرافقًا له في بعض الحالات، وسيكون سبب فضول الذات هو اهتمام الذات، ويمكن النظر إليه باعتباره موضوعًا للاهتمام وتابعًا له، تتولد من خلاله المعرفه، وهكذا يصبحان خاصية من خصائص الذات، ويمكن التمثيل لذلك بالشكل الآتي:

(١) الداهي،"السيميائيات: سيميائية الأهواء":٢٢٥.



مماسبق يمكن القول: إن الذوات استثمرت هوى "الاهتمام" في (الفضول، التطلع، الترقب، الدهشة، التعجب، السخرية، الاستخفاف، الانتظار، الفرح)؛ لإظهار أهمية الموضوع.

فقد كان للاهتمام فاعليته وقد وضح العلاقة الموجودة بين الذات والآخر، و أعلى من شأن رسالة الرواية، التي تضمنت: الزواج والعناية بأمر الفرح، ومايتنتج عن الزواج من ترابط ووحدة، وهذا ما تحقق من عرس الزين الذي عم فيه الفرح والخير والبهجة والمحبة على أهالي القرية، والبلد بكاملها بفعل هذا العرس الذي شغل أهالي القرية الذين كانوا في ترقب دائم لحدوثه، وهكذا زانت الأجواء في هذا العرس ولعل هذا مايفسر مدلول اسم "الزين"، وهو ما كانت تبحث عنه ذات الكاتب من هذه الرواية.

ومن الأهواء الإيجابية: هوى (الحب):

الحب: نقيض البغض، والحب: الوداد والمحبة، وأحبه فهو مُحِب، وهو محبوب...[١]، ويحمل هوى الحب معنى التعلق والميل، والرغبة في الشيء، ويعبر عن كثافة شعورية تنبع من أعماق الذات.

ويصنف ضمن فئة الأهواء الانتعاضية التي تخص العلاقة الموجودة بين ذاتين

(١) ينظر: ابن منظور."لسان العرب". دار إحياء التراث العربي، بيروت:(ط٣، ١٩٩٩م):٧.

وتعمل على تقنينها، ويوجد ضمن: أهواء متعلقة في زمنيتها بالمستقبل، على نحو: (الكراهية، والحذر، والصداقة، والحب)، وأخرى مجردة من أي بعد مستقبلي، على نحو: (اللامبالاة، والاحتقار، والصداقة، والحب)[١].

ويرتبط هذا الهوى بأهواء، مثل: (الفرح، الحزن، الافتتان، الاعجاب، الرغبة، الحنين، القلق، الاضطراب، الخيبة، اللامبالاة)، فعندما يكون المحب في علاقة مع المحبوب تنتابه إحدى هذه الأهواء لذا يمكن تصنيفها ضمن هوى"الحب"وقد ارتبطت هذه الأهواء بمشاعر الذات، كما في الرواية.

ومن أجل تصوير ذلك لابد من تناول التمظهرات التي توضح البعد الدلالي الاستهوائي الذي تحتمله العدة العاملية التي تتكون من ثلاثة عناصر، هي: (المحب، المحبوب، الحب)، ومن هذه التمظهرات "الفرح" الذي يحمل دلالة السرور والبهجة نتيجة الحب لشيء ما، ومثال ذلك شخصية الزين، فقد عبر عن شخصية مرحة مسرورة، وهذا يدل على أن ذات الزين كانت محبة للحياة[٢]:

"يولد الأطفال فيستقبلون الحياة بالصريخ، ولكن الزين استقبل الحياة ضاحكًا وظل هكذا طوال حياته".

فشعوره بالفرح يحيل لمدى حبه للحياة، فقد كان يضاحك النساء والأطفال وتعلو ضحكته فوق ضحكتهم حتى أن الكاتب ذكر أنها أصبحت جزءاً من البلد، وكأن السرور هو ما تقوم عليه الحياة.

كان الفرح ينبع من ذات الزين بكل عفوية، يعبر عن مشاعره بلا مبالاة ولا اكتراث لشيء، ودليل ذلك أنه كان يضحك بطريقة غريبة:[٣]

"يستلقي على قفاه ضاحكًا... يضحك بطريقته الفذة، ذلك الضحك

(١) الداهي،"السيميائيات: سيميائية الأهواء":٢٢٥.

(٢) الطيب صالح،"عرس الزين":٧.

(٣) السابق، ص٩.

الغريب الذي يشبه نهيق الحمار".

وهكذا عبرت ذات الزين عن مشاعر الفرح بالضحك، فشبهه الكاتب بالحمار في الضحك، ولم ينتاب الفرح ذات الزين فقط، فقد انتاب ذوات أخرى، كالفتيان الصغار حينما كانوا يمشون معه، والنساء اللاتي كن يشعرن بالفرح معه، وقد تعددت دلالات ذلك الشعور، وهي: فرح الزين الذي عبر عنه الضحك ناتج عن ذات حيوية محبة للحياة، وفرح الأطفال يدل على مدى سعادتهم مع الزين، في حين يدل ضحك العمدة حين أعلن الزين أنه مقتولًا في ابنته عزة على التعجب، وكان يحمل وراءه شعورًا بالغيرة، وفرح الحنين بالزين يدل على حبه له، وفرح الإمام بسيف الدين؛ لأنه أصبح رجلًا تائبًا، ذلك الفعل الذي صدر من سيف الدين ولد في ذات الإمام فرحًا، وهذا الهوى دفع الإمام إلى أن أصبح يذكره في خطبه ويخرج ويدخل معه[1]:

"الإمام فرح بسيف الدين فرحًا عظيمًا".

وكان الباعث للفرح عامل خارجي، تمثل في: فعل سيف الدين، وعامل داخلي، تمثل في: شعور الإمام بالسرور لفعل سيف الدين، وأيضًا كان الباعث للفرح عامل خارجي، حين ذكر الزين أن الحنين قال له سوف يعرس أحسن بنت في البلد، فأثار فيه انفعالًا، تمثل في أنه زغرد زغرودة عظيمة، فشكل الفرح اتصالًا بذات الزين، ولا يقل شعور أم الزين بالسرور والبهجة عن شعور الزين، فقد كشف ما ورد في الرواية عن العاطفة التي جعلت ذات أم الزين تعبر عن مشاعرها، إذ كانت أول من زغرد، وصرح الكاتب أن فرحها كان لعدة أسباب، أنها فرحت لصالح ابنها، وكانت قلقة لشأنه، كونه ابنها الوحيد، فمن سيهتم فيه ويقوم برعايته، وهذا الفرح كان صادقًا ومنتظرًا منها، وقد تحققت أمنيتها، رغم القلق الذي أصابها، ولعل هذا ماجعلها تشعر بالفرح من أعماقها.

وتشكل هوى الفرح لدى ذوات أخرى مجاراة لفرح أم الزين، إذ ظهر أثره على: أصدقاء الزين، الجيران، أهالي القرية، العشيرة، فهذا الهوى يظهر أنه ارتبط بذات الزين

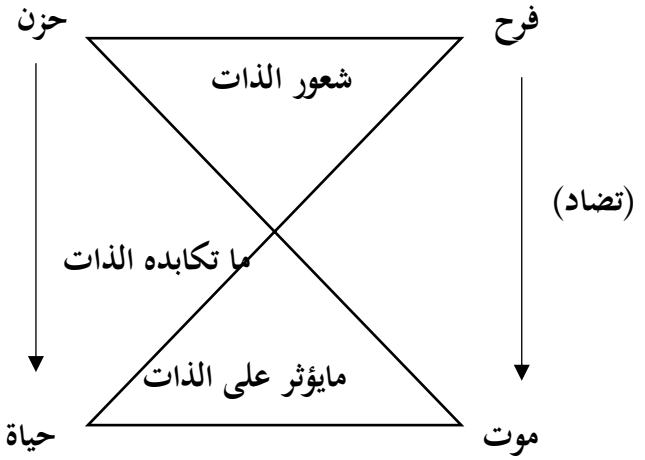
(١) السابق، ص٨٤.

منذو ولادته، بينما الذوات الأخرى تولد لديها من عدة عوامل، كانت السبب في تولد هذا الهوى الذي ارتبط بالأمل والانتظار والترقب لهذا الفرح، بينما ذات الزين لم تكن تنتظر الفرح، كانت تصنعه من نسيج العالم الخارجي وعوالمها الداخلية، ويمكن تمثيل الذات الكامنة للفرح التي تهوى الضحك، ولا تريد الحزن وتتميز بأنها ترغب بالسرور بقدرة ذات متصلة، وذلك بالشكل الآتي:

الذات الهووية ⟵ اتصال / لا انفصال

(جهة الذات) ⟵ القدرة/ الواجب

فالذات الفرحة بنيت بواسطة التأثيرات، وهوى الفرح بالنسبة لذات الزين اشتمل على شكلين، هما: (الاتصال، واللا انفصال)، وهذا ما وضح علاقة الذات بالموضوع، إلا أن ذات الزين حصل لها لحظة انفصال عن الفرح حين انتابها الشعور بالحزن على الحنين، ففاضت عاطفة الزين وعبرت بالبكاء عن عاطفتها، ويمكن التمثيل لذلك في الشكل السيميائي الآتي:



نجد أن ماورد في الرواية يمثل مفارقة، فالزين ولد وهو يضحك، لكنه بكى في المقبرة على فقد الحنين، بمعنى أن ذات الإنسان لا تحتمل هوى الحزن، فالحزن: نقيض

الفرح، وهو خلاف السرور[١]، والإنسان بطبيعته محبًا للحياة وكارهًا للموت، وهنا يتجلى التضاد بين (الفرح/الحزن)، (الحياة/الموت).

ويعد الحب شعورًا تجاه الآخر، وينتج عن هذا الشعور أهواء تتمثل في: (الافتتان، الإعجاب، الرغبة، الصداقة)، ويرافقها مشاعر تكون إيجابية كالفرح واللامبالاة والأمل، وقد تكون سلبية كالحنين والحزن، والقلق والاضطراب والخيبة والحزن... فصنفت جميعها بأنها أهواء.

ومما ينتج عن هوى"الحب"الشعور بالافتتان، وقد جاء في لسان العرب: فتن الرجل بالمرأة وافتتن، وأهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها[٢]، فالرجل إذا توله بامرأة فقد فتن بها، والافتتان شعور داخل الذات ينتابها لحظة إعجابها وانجذابها تجاه شخص أو شيء ما، فالزين أظهر هذا التوله بالفتيات التي أُعجب بهن، وهذا الهوى الذي تجلى عبر السطح دل على افتتان الزين، وقد عبر الكاتب عن حالة الزين في مواضع كثيرة، إذ لفت انتباه القارئ لافتتان الزين وإعجابه بكل امرأة تثير مشاعره، ومثال ذلك:

عندما قال الزين لمحجوب: **"أنت داير تعرس لي بتك علوية..."**، **فأجابه محجوب بجد وحزم: "البت أنا مضيتها لك"**[٣]. فأخذ الزين هذا الوعد، ومضى يفكر بها وظل مشغولًا بها، حتى صاح: **"أنا مكتول في حوش محجوب"**[٤].

وهذا ما يحيل على افتتان الزين بابنة محجوب، وما تلبث أن تتزوج فيفتن بامرأة أخرى ويصرح بإعجابه بها، كما صرح بإعجابه بعزة ابنة العمدة والفتاة التي من فريق القوز، وابنة عمه نعمة، فالافتتان دفع ذات الزين إلى التعبير والبوح عن مدى التوله

(١) ابن منظور، "لسان العرب":١٥٨.

(٢) السابق:١٧٩.

(٣) ينظر: الطيب صالح، "عرس الزين":١٢.

(٤) السابق، ص١٣.

والإعجاب بكل فتاة كانت تقع عينه عليها، وتجلى ذلك من تصريح ذات الزين، فقد عبر من الصياح، فإن ما افتتن بها قد قتلته، ومما ورد: **"عزة بنت العمدة كاتلالها كتيل، الزين مكتول في حوش العمدة"**(١).

وللانفعالات التي كانت تنتج من الزين نتيجة الافتتان والإعجاب، كان البعض يستغل ذلك لصالحه...، وعندما كانت تصيب ذات الزين الخيبة بعد أن تتزوج كل فتاة أعجب بها، فسرعان ما يصيح أنه مفتون بامرأة أخرى، فبعد أن تزوجت عزة ابنة العمدة، صاح بأعلى صوته: **"أنا مكتول في فريق القوز"**، ..**وقالت له فتاة القوز تعبث به:"الزين تعرسني؟، وتبكم برهة، فقد فتنه جمال الفتاة وأخذته حلاوة حديثها، لكنه ما لبث أن صاح بأعلى صوته: "واكتلتي ياناس"**(٢).

وهكذا عبرت ذات الزين لحالتها الشعورية التي تنتابها وأثر الحماس الذي يحدثه هوى "الافتتان" في ذاته، وقد احتوت ذاته على الرغبة بالشيء الذي يفتن به، وقادها هذا الافتتان إلى التعبير عن حالته الشعورية، كما عبر عن ذلك حين زغرد زعرودة عظيمة، وصاح بأعلى صوته(٣): **"أروك ياناس الغريق، ياأهل البلد، الزين مكتول، كتلته نعمة بنت الحاج إبراهيم"**.

والذات بمشاعرها عكست مدى افتتانها وإعجابها، وعبرت عن الرغبة بالشيء، وهذا ما أضفى على الرواية دينامية وحيوية، ويتضح أن لدى الذات عاطفة تجاه الذوات الأخرى، وهذا ما أكد استعدادها ورغبتها في بناء علاقة مع الآخر، ويمكن التمثيل لذلك بالآتي:

(الهوى المسيطر)	(جهة الذات)	(الاتجاه الشعوري)
الذات الهووية ←	**الافتتان** ←	**والإعجاب** ← **الرغبة موجب**

(١) السابق، ص١٦.

(٢) ينظر: السابق، ص١٨.

(٣) ينظر: السابق، ص٩٣.

وعبر هوى الافتتان عن الإعجاب وتبعته الرغبة، ولم يعبر عن الحب في معناه الحقيقي إلا في مواضع قليلة جدًا، ودليل ذلك أن ذات الزين لم تستقر على حالة واحدة، فقد فتن بأكثر من امرأة، وإن كان الميل والتعلق وإظهار الافتتان من علامات الحب، إلا أن حب الزين لهن لم يكن حبًا خالصًا، فكان إذا تزوجت من فُتن بها، سرعان ما يعلن إعجابه بأخرى.

ولم تكن ذات الزين وحدها قد أصابها الافتتان، فقد وقع ذلك في نفس الناظر، إذ دفعه الشعور لِأن يطلب بنت الحاج إبراهيم، وكانت في سن بناته، وذلك يعود لإعجابه بها وافتتانه(١): "...**صادفها ذات يوم وجهًا لوجه، راعه جمالها... وعاش ليالي وصورتها لا تفارق ذهنه لعلها أيقظت في قلبه إحساسًا دفينًا لم يذكره منذ عشرين عامًا**".

وهذا دليل على أن ابنة الحاج إبراهيم كانت عاملًا خارجيًا أثار مشاعر الناظر وأثر، حتى قاده هذا الشعور للقيام بفعل، هو طلب ابنة الحاج إبراهيم من أبيها للزواج، فكانت مشاعر الحاج إبراهيم مليئة بالغضب تجاه الناظر، الذي قادته مشاعره وانفعالاته إلى التصرف دون تفكير، والتنبه بأنها بعمر بناته، ولعل الفائض الشعوري هو الذي أثر عليه فأصابه شعور بالحب تجاهها، وهكذا سيطرت عليه عاطفته ودفعته للقيام بفعل دون النظر من جانب عقلاني.

وحمل الهوى شعورًا بالحنين لوقوع الشيء الذي تتوق إليه الذات، ومماجاء في لسان العرب، الحنين: الشوق وتوقان النفس، حن إليه يحن حنينًا فهو حان(٢)، فسيطر الحنين على الرواية منذ بدايتها، باعتباره شعورًا انتاب كل ذات، فكانت كل ذات في شوق وانتظار لعرس الزين، وهذا ماجعل الذوات التي عبر عنها تفيض بانفعالاتها شوقًا

(١) ينظر: السابق، ص٧٠.

(٢) ابن منظور،"لسان العرب":٣٦٧.

إلى ماتنتظر، مما يعكس رغبة الذات بالشيء الذي تحن للحصول عليه.

والحنين منذ بداية الرواية إلى نهايتها، حنين إلى "عرس الزين"، وهذا الشعور تفاعلت معه جُل الذوات التي في الرواية، فقد شغلها موضوع "عرس الزين"، فظلت في شوق ولهفة حتى تحقق ذلك، وذلك ما أفصح عن مكنون أهالي القرية وشوقهم وترقبهم إلى انتظار تغير حياتي يحدث للقرية؛ ليذهب البؤس ويعم الفرح، والحنين كان شعورًا يعوض عن الشعور بالفقد الذي كانت تعاني منه أهالي القرية، فشعور أهالي القرية مآله أنها تفتقد شيئًا ما.

وقد ورد ضمن الشخصيات شخصية أطلق عليها الكاتب اسم "الحنين"، فكان شخص مبروك، والقرية شغلهم الشاغل "عرس الزين"، وينتهي الحنين فيتحقق "عرس الزين" وكأنه حلم كانت القرية تنتظر تحققه، فهذا الشعور الذي أصابهم لن يطفئه إلا "عرس الزين"، وحقًا توقف ذلك بتحقق العرس، وكما انتهى الحنين من ذوات أهالي القرية بحادث "عرس الزين" كذلك انتهت شخصية الحنين بحادث الموت، فقد توفي الحنين قبل "عرس الزين"، وهذا مما يعكس مدلول الرواية، إذ كانت موافقة نعمة على الزين وزواجه منها بعد وفاة الحنين، وهذا ما يحمل إشارة إلى أن الشعور بالحنين توقف عندما تحقق "عرس الزين"، فالذي كان يحن له الجميع قد حدث، لذلك اختفى شعور الحنين من قلوب القرية، ودليل هذا من الرواية أن الرجل الحنين توفي قبل "عرس الزين"، فعندما انتهى الشوق والحنين عَرس الزين، هكذا كان موت الرجل الذي سمي بالحنين رمزًا لانتهاء الشوق لعرس الزين، ويمكن التمثيل بالشكل الآتي:

اتصال

(الذات الهووية) ⟵ **(تضاد)** ⟶ **(شعور الحنين)**

انفصال

فالذات الهووية كانت في علاقة اتصال مع الحنين، وانقطعت عنه حين تحقق

عرس الزين.

وكما حملا هوى "الافتتان وهوى الإعجاب" شعورًا بالحنين، فحملا شعورًا بالفرح والأمل تارة، والاضطراب والقلق والحزن تارة، فحين كانت ذات الزين تفتن بامرأة كان ينتابها الشعور بالفرح والأمل والحنين، كان يأمل بأنه سيتزوج الفتاة التي فُتن بها ويحن لذلك، ويأخذه على محمل الجد، ويبذل ما بوسعه، حتى أن البعض استغل ذلك وكلف الزين بالقيام بأعمال شاقة على أنه سيزوجه ابنته، ولعل فرح وأمل الزين هو ما كان يتحكم بسلوكياته التي دفعته للقيام ببعض الأفعال.

وهكذا كان شعور الزين بالفرح والأمل ظاهرًا، لكن شعوره بالقلق: الانزعاج[1]، والاضطراب تجاه الزواج لم يكن ظاهرًا للمتأمل، ويمكن فهم ذلك من خلال الغوص في البنية العميقة للنص، فلاشك أن ذات الزين كان يصيبها قلقًا هو قلق الاستقرار على حب امرأة واحدة، وإن لم يكن ذلك ظاهرًا في البنية السطحية، إلا أن ماورد في الرواية دل بعمق على ذلك، فقد تبع قلق ذات الزين اضطراب، ولعل ما يكشف عنه سؤال الزين لمحجوب، هل سيعرس له ابنته؟، وحالة الزين أثناء صياحه بأعلى صوته: أنه مفتون بإحدى فتيات القرية، فحين كان يسخر منه بعض القرية عما يفعله، وكيف لبنات مثل: ابنة العمدة، وابنة محجوب، وابنة عمه، سيقبلن بزوج كالزين؟!، فلا شك أن هذا سيثير الزين، إلا أنه لم يظهر عليه أثر ذلك، لكن ذات الزين انفجر غضبها على سيف الدين، فضربه وكاد أن يقتله، والدليل أن الحنين سأل الزين عن سبب ذلك، فصرح بأن أخت سيف الدين كانت تريده لكنهم عرسوها لرجل آخر، وكان سيف الدين قد ضربه بالفأس في رأسه، وهذا ما جسد شعور ذات الزين بالقلق والاضطراب، ويدل على أن الزين وإن كان شخصية ليست من طبقة عليا في المجتمع، إلا أن لها مشاعر وأحاسيس كغيرها من الشخصيات.

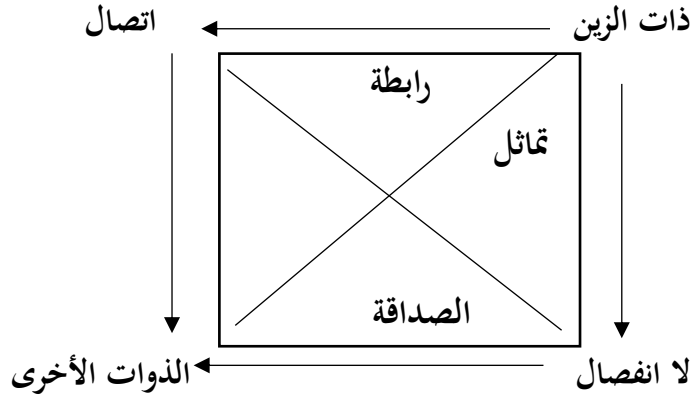
(١) ابن منظور،"لسان العرب":٢٨٧.

وإن كان الزين قد أظهر اللامبالاة، حين كانت تتزوج البنت التي أعلن إعجابه بها، كان لا يظهر أثر الزعل أو الحزن، فيضحك ويرقص ويأكل في عرسها، وهذا ما يعكس شخصيته المحبة للحياة والمليئة بالتجدد واللامبالاة.

وفي ضوء الأمل والحنين وشعور القلق والاضطراب، إلا أن ذات الزين تمسكت بالصورة التي هي عليها منذ بداية الرواية، وهذا ماجسده الكاتب من الاسم الذي أطلقه لذات الزين، فقد تناسب مع شخصيته في الرواية، فهي مرحة محبة للحياة، وإن لم يكن جميلًا من حيث الشكل، فقد كان يُفتن بأجمل الفتيات، والجمال لايقتصر على الشكل فقط، فشخصيته كانت حسنة، ومناسبة لاسمه، وأوضحت شخصيته عما يحتاجه المجتمع من الفرح والوئام والحيوية، وترك الحزن والخلافات؛ للاستمرار في مواصلة الحياة، والعيش في ظل المحبة والتفاؤل.

ومما يعبر عن هوى "الحب"، الصداقة، وتعد تعبيرًا عن رابطة الإخاء والمودة التي تربط بين شخصين، فعبرت عنها بعض الذوات كصداقة الزين للحنين، وصداقته لعشمانة الطرشاء، وموسى الأعرج، وبخيت، والحاج عبدالصمد، ومحجوب، وغيرهم، فهي ناتجة عن رابطة المحبة التي تقيم خيوطها ذات الزين مع الذوات الأخرى، والزين حافظ على تلك الرابطة، بالرغم من الاستهزاء والسخرية التي كان يتلقاها عندما كان يجلس مع أصدقائه، من أمثال: الشيخ علي، عبد الصمد، عبد الحفيظ، أحمد إسماعيل، وغيرهم.

وعلاقة الزين بالحنين، ومشاعره التي كان يظهرها تجاهه، حتى أنه كان يقبله على رأسه، وعلاقته بعشمانة الطرشاء، وموسى الأعرج، وبخيت، الذين كان أهل البلد يعتبرونهم من الشواذ، كانت علاقة مليئة بالود والتقدير والمساعدة، فكان الزين يمد لهم العون، وهذا ناتج عن شعور ذاته بالمسؤولية والواجب تجاههم، ولتقديره للصداقة التي تربطه بالذوات الأخرى، على الرغم مما كان يلقاه من سخرية وماشابه ذلك، فكانت علاقته بتلك الذوات (علاقة اتصال/لاانفصال)، ويمكن تمثيل ذلك بالآتي:



وهكذا اتضحت قدرة الذات وواجبها، فقد حافظت الذات الهووية على الرابطة التي تربطها بالذوات الأخرى، والدليل: المساعدة، إظهار الحب، الاحترام، وهذا ماتحقق من هوى الصداقة الذي ظهر للمتأمل.

مماسبق يمكن القول: إنَّ تمظهرات الأهواء في الرواية تشكلت من البنية التركيبة والدلالية للنص، ويكمن ذلك في تنوع الأهواء الإيجابية التي ارتبطت بأهواء أخرى سلبية، فضلاً عما أحدثته من خلال البنية السردية من إشارات تعكس رغبة الذات وتوترها واتصالها وانفصالها.

المبحث الثاني: الخطاطة الاستهوائية

تمثل عنصرًا مهمًا في تناول سيمياء الأهواء، وتعرف بأنها[١]: عبارة عن نموذج مستقل يتسم بقيمة استكشافية خاصة، وتتكون من المراحل الآتية: (التكون/الانكشاف الشعوري، التأهب، الصوغ/المحور الاستهوائي، العاطفة، التقويم الأخلاقي).

وهذه المراحل تبين مدى تصاعد الهوى من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وذلك ما تستدعيه الحالة النفسية للذات؛ من أجل تناولها وفهمها من خلال التناول السيميائي للأهواء المتمظهرة في النص، وسيتم تناول تلك المراحل، على النحو الآتي:

- **التكون (الانكشاف الشعوري):**

يمثل المرحلة التي ينكشف فيها شعور الذات عندما تعبر عما ينتابها داخليًا من أهواء، وتمثل بروز الذات الاستهوائية في الخطاب، إذ تصبح في حالة الشعور بهوى معين[٢].

تكونت الذات الاستهوائية لآمنة عندما حدثتها حليمة عن عرس الزين، فتكون لدى ذات آمنة هوى الاهتمام عقب ذلك الخبر، فشعرت بالاضطراب تجاهه، ويتجلى الانكشاف الشعوري من وصف الكاتب للحالة التي أصابت آمنة عند سماعها للخبر، إذ يكشف حالة الذات المضطربة إثر سماعها للخبر[٣]: **"كاد الوعاء يسقط من يدي آمنة"**.

وتكونت الذات الاستهوائية لدى الناظر عندما سأله الطريفي عن سماعه لخبر

---

(١) محمد الداهي."تجليات الأهواء في رواية الضوء الهارب لمحمد برادة".مجلة فكر، العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد:(٦، ٢٠٠٥م):١١٨.

(٢) الداهي،"السيميائيات: سيميائية الأهواء":٢٣٦.

(٣) الطيب صالح،"عرس الزين":٣.

عرس الزين، إذ بدى شعور الناظر بالاهتمام والرغبة لسماع الموضوع[١]:"**سقط حنك الناظر من الدهشة**"، فردت فعل الناظر كانت مليئة بالدهشة، وتكونت الذات الاستهوائية لدى ذات عبد الصمد حين حدثه الشيخ علي بحكاية عرس الزين، فتولد في نفسه فضولًا لسماع حكاية عرس الزين؛ فجلس ليستمع للخبر ونسي موضوع الدين الذي عند الشيخ علي، ونلاحظ أن هوى الاهتمام تولد لدى ذات الزين عندما أخبره محجوب بأنه سيزوجه ابنته علوية، فأخذ يفكر في الموضوع وأخذ الموضوع على عاتقه، وتولد هوى الاهتمام في ذات الزين عندما أخبره العمدة أنه سيزوجه ابنته إذا اشتغل بشدة، وبفعل الاستهواء الذي أصاب ذات الزين أخذ يعمل تلك الأعمال الشاقة.

وتكون هوى الاهتمام في ذات أم فتاة القوز، لما رأت ابنتها واقفة مع الزين، فقررت إبعادها عنه، فذلك الهوى الذي تكون في ذات أم فتاة القوز تكون من قلق الأم على ابنتها، ومثل ما تكون هوى الاهتمام في ذات آمنة الذي صاحبه شعور بالاضطراب في بداية الرواية، عاد ليتكون مرة أخرى في الفضول والانتظار والترقب، على من سيعرس الزين، فتسأل آمنة حليمة[٢]: "**فتى داير يعرس منو؟**"، وتكونت الذات الاستهوائية لآمنة عندما أخبرتها حليمة أن الزين سيعرس "نعمة" حينها أصاب ذات آمنة الغضب والدهشة تجاه الخبر الذي سمعته من حليمة، وكذلك تكون هوى الاهتمام لدى ذوات القرية، من الخوف والغضب الذي انتاب ذواتهم، وهذا ما تشكل في الرواية عندما أصيب الزين بحادث مريع.

ويتجلى الانكشاف الشعوري لبعض الذوات من موقف تلك الذوات، لما سمعت خبر عرس الزين، مثل: الشيخ علي، والناظر...، ورافق ذلك الانكشاف شعورًا بعدم التصديق والتعجب والدهشة والسخرية.

(١) السابق، ص٤.

(٢) السابق، ص٢٦.

وفي موضع آخر يتكون هوى الاهتمام لدى ذات الإمام من حسه المسؤول الذي يمتلكه تجاه الأشياء، وهذا ماهيأ ذاته الشعورية للعناية ببعض الأمور التي انشغل عنها أهالي القرية، مما شكل ثنائية ضدية، بين:

اهتمام ⟵ لا اهتمام

(ثنائية ضدية)

فهوى الاهتمام تكون لدى ذات محجوب وشلته من حرصهم على الزين، إذ يرون أن الزين إحدى مسؤلياتهم.

وهكذا يبدو أن هوى الاهتمام تَكون من ردات فعل أغلبها خارجية، تبعتها دوافع داخلية وهذا الانكشاف الشعوري الذي أصاب الذوات اختلف من موضع لآخر، ورافقه شعور يختلف باختلاف المواقف.

كل ذلك تحقق من كينونات الذات، وهكذا سيطر هوى الاهتمام منذ بداية الرواية لنهايتها، وتحقق عرس الزين، الذي كان دافعًا قويًا دفع الذوات للاهتمام بموضوع القيمة، وقد اختلفت الحالة الشعورية لتلك الذوات من وضع لآخر، وعبر عن ذلك: (الدهشة، الفضول، الغضب، الخوف، القلق، الترقب، السخرية، الاستخفاف، الفرح...) وكانت الغلبة للآخر للتحكم في انفعال الذات.

وتولدت الذات الاستهوائية للزين منذ ولادته، إذ تولد هوى الفرح لدى ذات الزين عند ولادته، ولد ذاتًا ضاحكة محبة للحياة، وتبع ذلك استمرارها على الشعور بالفرح وحب الحياة والتجدد، وعبر عن ذلك الضحك المستمر الذي رافق الزين، ويمكن وصفه بأنه فرحًا ذاتيًا، وإن لم يكن هناك عاملًا خارجيًا يدعو لذلك، بخلاف الانكشاف الشعوري الذي أصاب بعض الذوات نتيجة مؤثرات خارجية، مثل: فرح النساء والفتيان لمرافقتهم الزين، وضحك العمدة يعبر عن الفرح الذي كان ردة فعل لما قام به الزين، وشعور ذات الحنين بالفرح تجاه الزين لما له من مكانة في قلبه، وفرح ذات الإمام بسيف

الدين لِما قام به من فعل طابت به نفس الإمام، كل ذلك كان نتيجة عوامل خارجية تحكمت لهذه المشاعر التي أصابت تلك الذوات وكشفت عن شعورها.

وتكون الفرح لدى ذات الزين لما تحقق ما قال له الحنين، أثار ذلك فيه انفعالًا، فرافقه الشعور بالفرح، وتكونت الذات الاستهوائية لدى أم الزين عندما تحقق عرسه، فشعرت بالسعادة، وتكونت الذات الاستهوائية لدى ذوات أخرى عند سماعها خبر العرس، فقامت بالزغاريد.

وتكونت الذات الاستهوائية للزين عندما تحقق عرسه، فحين تذكر أن الحنين لم يكن موجودًا، حزن حزنًا شديدًا وذهب للمقبرة، وهذا ما يمثل تحولًا بين: الفرح، الحزن، ويشكل علاقة ضدية، مما ولد في ذاته الشعور بالحزن والفقد.

وتتكون الذات الاستهوائية للزين عندما أخبره محجوب أنه سيعرسه على ابنته؛ فأخذ يفكر بها وظل مشغولًا بها، وهذا ما أثار الحماس في ذات الزين بفعل الافتتان والإعجاب بابنة محجوب، وكذلك تكون هوى الافتتان لدى ذات الزين بفعل بنت العمدة؛ فصرح الزين بأنها قد قتلته، وتكون الإعجاب لدى ذات الزين مجددًا، لما سألته فتاة القوز[1]: **"الزين تعرسني؟"** فأصابه الإعجاب، وصرح أنه مقتول في فريق القوز، هذا ما عبر عن انكشاف شعور ذات الزين، عندما ترغب بشيء ما، وتفتنها إحدى الفتيات بجمالها، فحين قبلت فيه ابنة عمه"نعمة"تجلى شعوره، فصرح بأنه مقتول، وزغرد زغرودة عظيمة.

وتكون هوى الافتتان لدى ذات الناظر، عندما صادف "نعمة" ذات يوم وجهًا لوجه؛ فدفعه ذلك الشعور إلى أن يطلبها من أبيها، وكان الدافع عاملًا خارجيًا أحدث تحركًا داخليًا، أثار المشاعر الداخلية فانكشف الشعور من ذلك الفعل.

وتكون الشعور بالحنين عندما كان موضوع"عرس الزين"محل اهتمام القرية، فظلت

(١) السابق، ص١٨.

الذوات في حالة شوق، وتكون الشعور بالحنين لدى ذات الزين، عندما كان يصيبه الافتتان بإحدى الفتيات، وكان يرافق ذلك الحنين أملًا، فحين كان يجد ما يعزز إعجابه بالفتاة التي يعجب بها، ويفتنه جمالها، كان يشعر بالفرح والبهجة، ويزداد حنينًا لتحقق ذلك، ويتكون لدى ذاته الشعورية غضب يرافقه قلق واضطراب؛ لأنه رأى سيف الدين وتذكر موقفه معه وكيف أنه عرس أخته لرجل آخر وضرب الزين برأسه، فحين تذكر ذلك انكشف شعوره بالغضب تجاه سيف الدين، فأثار ذلك الزين وكان شعوره شعورًا سلبيًا تجاه سيف الدين، هكذا أحدث سيف الدين شعورًا سلبيًا لذات الزين تبعه انفعالًا، كان هذا الانفعال نتيجة مؤثر خاجي.

وفي هوى"الصداقة"التي ترتبط بهوى الحب، تكونت الذات الاستهوائية للزين، لوجود أصدقائه معه، إذ شعر بواجبه تجاههم، فحافظ على تلك العلاقة التي تقوم على المودة والمساعدة، ويمكن القول: أن أي فعل يكمن وراءه جملة من المشاعر قد تكون سلبية؛ فتولد في الذات انفعالًا سلبيًا، وقد تكون إيجابية؛ فتولد في الذات انفعالًا إيجابيًا.

- **التأهب(الاستعداد):**

يعرف بأنه مرحلة تحديد الذات لنوع الهوى، فتقدر الكفاءة، إذ تتوافر الذات على المؤهلات الضرورية للتعبير عن هوى معين(١).

ويظهر الاستعداد جليًا منذ بداية الرواية، حين أتت حليمة بائعة اللبن متأهبة لتخبر آمنة بخبر لم تكن تعرفه من قبل، وذلك كشف استعدادها لإخبار آمنة، ثم يوحي بتأهب آمنة لمعرفة ما لم تعرفه، إذ تقول لها حليمة: **"سمعت الخبر"**(٢)، وكذلك ما عبر

(١) ينظر: حياة بوسعدة، نصر الدين بن غنيسة."سيمياء الأهواء من منظور النقاد العرب، محمد الداهي أنموذجا".جامعة بسكرة، الجزائر، مجلة قراءات، المجلد:(١٥، العدد:١، ٢٠٢٣م):٤١٢.

(٢) الطيب صالح،"عرس الزين":٣.

عنه كلاً من: الناظر، عبد الصمد من تأهب لسماع الخبر، وإن ذواتهم بحاجة إلى معرفة الخبر، ما جلعهم يعيشون وضع الدهشة، والترقب، والمفاجئة، والاستغراب، حينها تدرك الذات مدى تأهبها لسماع ذلك الخبر.

ولما كان الزين يجلس مع أصدقائه، من أمثال: محجوب، ظهر تأهبه للضحك، بالرغم من السخرية والاستفزاز، وما يلقى منهم، فحين كان يحكي قصة الجروح التي على جسمه: "**الجرح دا يا جماعة ليه حكاية، ويستفزه محجوب قائلًا: حكاية شنو ياعوير؟ يامشيت تسرق ضربوك بغصن شوك...**"(١)، فيقع هذا موقعًا حسنًا في نفس الزين، ثم يستلقي على قفاه ضاحكًا، وبهذا الضحك استطاع أن يتغاضى عن السخرية التي يتلقاها ويتجاوزها.

وفي هوى "الاعجاب والافتتان" كان الزين في حالة تأهب مستمر، متأهبًا لتحمل مسؤولية الكلام الذي يلقيه عليه أحدهم بشأن زواجه من ابنته، والدليل: تأهبه عندما أخبره محجوب أنه سيعرس له ابنته، فصمت برهة وأخذ يفكر، وقال: "**اشهدوا ياخوانا، الرجل ذا مرقت منه كلمة، باكر بعد باكر مايجي يفكر**"(٢)، كان الرد هذا على محجوب دليلًا قاطعًا على مدى تأهبه للموضوع، ودليلًا واضحًا على عاطفة الزين تجاه ابنة محجوب، وتجاه موضوع الزواج.

ثم يتأهب الزين لقصة حب أو افتتان أخرى تكشف عن عاطفته، ويعلن عن مدى افتتانه بأعلى صوته، حتى يسمعه كل القرية، فيفصح عن شعوره تجاه البنت التي فتنه جمالها، ومما يكشف ذلك تصريحه في أكثر من موضع، بأن ابنة العمدة قد قتلته، وفتاة القوز، وابنة عمه نعمة.

إن ذلك تولد من عاطفة الزين التي أثارها الحماس الذي ينبع من أعماقه، فحين

(١) السابق، ص٨.

(٢) السابق، ص١٢.

شعر بهوى"الافتتان"صرح بإعجابه بتلك الفتيات، وقام بالأعمال الشاقة التي يُكلف بها، "**استغل العمدة العاطفة فسخر الزين في أعمال كثيرة شاقة، يعجز عنها الجن... فكان يحمل جوز الماء على ظهره في عز الظهر، في حر تئن منه الحجارة، يسقي جنينة العمدة، ويمسك فأسًا أضخم منه، يقطع شجرة أو يكسر حطبًا، ويجمع العلف لحمير العمدة**"(١).

هكذا هيأ الزين ذاته؛ لأجل ما أصابه من افتتان بابنة العمدة، ظنًا أنه سيزوجه ابنته، ذلك ما دفعه لتحمل الأعمال الشاقة.

كذلك كانت ذات الزين متأهبة عندما كانت في صداقة مع الذوات الأخرى، مثل صداقته للحنين، مما يجعل تأهبه يتجه لمقابلة الحنين بوجه حسن، وبكل مودة، فكان إذ رآه يترك انشغاله ويسرع لمعانقة الحنين، ولعل ذلك ما أسهم في تقوية علاقة الزين بالحنين وتقربه منه أكثر.

وما يجعل ذات الزين متأهبة للتعبير عن مشاعرها هو تقديرها لرابطة الصداقة، والتعبير عن عاطفتها وتقديمها المساعدة، لكل من: عشمانة، وموسى، وبخيت، حين كان يعدهم أهل البلد من الشواذ، فكان الزين متأهبًا لمساعدتهم، وذلك يعكس علاقة ودية تولدت من العاطفة التي تتوسط ذاته.

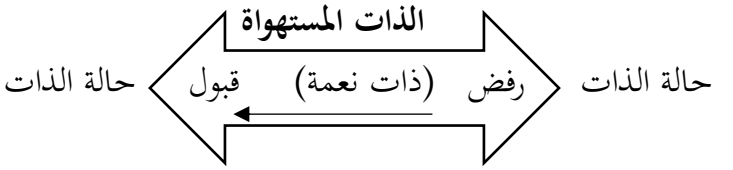
ومما يدل على التأهب: تأهب الزين للحياة، فقد استقبلها ضاحكًا، وهذا ماعبر عن رغبة الذات في البقاء والاستمرار على حالة من البهجة والسرور.

ويتجلى شعور آمنة حين تعود لتسأل حليمة عن زواج الزين، مما يعبر عن عدم معرفتها، ويوحي بإحساسها بالقلق، وتأهبها لمعرفة من سيعرس الزين، للوصول إلى الحقيقة.

ويظهر رفض نعمة لإدريس ابن آمنة من: هز كتفها، وتصريحها بأنها لا تدوره، وهذا ما تجلى في الرواية، إذ يدل على إحساس نعمة بعدم تقبلها، فتبع ذلك الإحساس

(١) ينظر: السابق، ص١٦، ١٧.

الإفصاح عن عدم قبولها له، هكذا عكست ذات نعمة معرفتها لإحساسها الداخلي، فكانت مهيأة للرفض ومتأهبة لذلك، ويبدو أن ذات نعمة كانت مهيأة للشعور بإحساس القبول بالزين، وهذا يدل على تحول حالة نعمة بين(الرفض، القبول)، ويمكن تمثيل ذلك بالشكل الآتي:



فنعمة رفضت ابن آمنة، الذي سبق الزين لطلبها وقبلت بالزين.

ومما يعبر عن ذلك:"**حين خطر الزين على ذات نعمة تحس إحساسًا دافئًا في قلبها، ويمتزج معه شعورًا بالشفقة، يخطر على بالها أن الزين عديم الأهل، يتيم، بحاجة إلى الرعاية**"(١)، فذات نعمة حين كانت في حالة إحساس تجاه الزين بالعطف والشفقة؛ وجب عليها أن تكون في حالة استعداد لتقبله زوجًا لها.

وضمن هوى الاهتمام نجد ما يمثل تأهب الذات وهو حالة الخوف التي أصابت أم الزين، وعمه إبراهيم، وابنة عمه نعمة، وبعض القرية، ومما دل لتأهب تلك الذوات للاهتمام بأمر الزين: إحساس أمه برجفة خفيفة بجنبها الأيسر، صرخت صرخة قوية، فقدانها الوعي، صياح عبد الحفيظ أحد أصدقاء الزين، واحمرار عينيه من الغضب، صراخ النساء، وبكاء بعضهن، وما ظهر على عيني نعمة، فهوى الاهتمام تولدت عاطفته عندما شعرت تلك الذوات بخوف شديد على الزين.

ويمثل التأهب عنصرًا مهمًا لتكون الهوى، فتكون هوى الافتتان –الذي يدل أحيانًا على الحب– لدى ذات الناظر عندما شعر بإحساس غريب تجاه نعمة ابنة الحاج

(١) ينظر: السابق، ص٣٦، ٣٧.

إبراهيم، ويدل ذلك على تأهبه لهوى الافتتان حين مصادفته لها وجهًا لوجه، فراعه جمالها، وأيقظ في قلبه إحساسًا دفينًا، فأصبح مفتونًا بها.

ويتجلى تأهب الزين لهوى الحقد، عندما عبر عن شعوره بالغضب تجاه سيف الدين، فضربه حتى كاد يقتله، وبذلك أظهر الزين حالة التحول الذي أصابه من (صبر/لاصبر)، ليتحول صبره وسكوته لغضب شديد، فكان أهالي القرية لا يلقون منه إلا الضحك والمزاح والمرح واللامبالاة، إلى أن انفجر غضبه على سيف الدين، فالضغط النفسي دفع ذات الزين للقيام بضربه، ماجعل الزين في تأهب لذلك، حتى أنه ردد في غضب: **"الحمار الدكر لازم أكتله"**[(١)]، وكان الزين في ذمه لسيف الدين، كأنه يريد أن يطفىء غضبه، لكن ذلك مما زاد تحفيزه على ضربه أكثر، فكأن الزين متأهبًا للتعبير عن مدى غضبه لسيف الدين، والكشف عن حقده عليه، ويمكن تفسير ما أثار ذات الزين أكثر ليس ضرب الزين في رأسه، وزواج أخته على رجل آخر فحسب، بل أنه كان رجلًا غير صالح، يقضي لياليه مع الجواري، ويتناول الخمر...

وظهرت الأسباب التي دلت على هوى الاهتمام، فحين كان إمام المسجد مدركًا لبعض الأمور التي لا يأبه لها بعض القرية، كان متأهبًا لهوى الاهتمام، وذلك من: تتبعه للأخبار والصحف، خطبه التي كان يلقيها عن الحساب والعقاب والجنة والنار، مداومته لأداء الصلاة في أوقاتها، وكان لايعطي بعض الأمور أهمية، ولايشعر بالقلق إذا تأخر موسم الحصاد، وبذلك استطاع ألا يتأثر بالملهيات ومشاغل الحياة، فشعر أن مافي الدنيا زائل...، هكذا رقيت نفسه من حب الحياة ومتاعها لحب العالم الآخر، فولد في نفسه شعورًا بحب الآخرة أغناه عن متاع الدنيا.

وبدأت كل من ذات محجوب وشلته التأهب لهوى الاهتمام، من الشعور الذي انتابهم بأن الزين مسؤوليتهم، فتجلى التأهب في حرصهم على إبعاده من المشاكل.

(١) السابق، ص٤٤.

وكان الزين يكره الإمام، إذ يظهر تأهب الزين لهوى الكره: "**كان مجرد وجوده في مجلس يكفي لإثارته، فيسب ويصرخ ويتعكر مزاجه، ولكن بالرغم مما كان يصدر من الزين، إلا أن الإمام كان صبورًا، ويتحمل ذلك، ويقول: بأن الزين فسد بسبب معاملة الناس له، كأنه شخص شاذ**[(١)]". وهذا يدل على أن انفعال ذات الزين قد حصل، وذلك من الجسد الذي عبر عن ذاته.

وتعبر ذات الزين عن شعورها بالفرح، من تأهبها للفرح: "**الحنين قال لي: باكر تعرس أحسن بت في البلد وانفجر بزغرودة...**[(٢)]"، ذلك الشعور جعله يصيح بأعلى صوته بأنه قد قُتل بسبب نعمة ابنة عمه، ذلك الإحساس جعله يعبر بتلك الطريقة، وقد توافق ذلك مع رغبته، إذ وصل الشعور ذروته، مما أحدث تحولًا انفعاليًا، فتحولت الذات إلى ذات تحس وتعبر وتتحرك، مما عكس تأهب الذات، إذ تشكل في ذات الزين الفرح الذي عبر عن عاطفته.

وتتولد العاطفة لدى ذوات القرية بدءًا من أم الزين، ومرورًا بجيرانها وأهلها، وانتهاءً بأهالي البلد، فعاطفة الحنين قد أصابتهم من قَبل حدوث عرس الزين، ولدت في هذه الذوات الفرح والبهجة، لِما كانوا ينتظرونه، وعبرت هذه الذوات عن تأهبها لهوى الفرح، من: الزغاريد، عدم السخرية من حدوث عرس الزين، توافد بعض الأهالي من أطراف البلد، الاحتفال الذي يشمل: (الزغاريد، الغناء، الرقص، التصفيق، الضرب على الطبول...)، وهكذا استطاعت تلك الذوات في ظل هذا التأهب أن تعبر عن شعورها، والانتقال من حالة(انتظار وحنين) إلى حالة(تحقق وفرح)، لينتهي شعور الحنين الذي أصابها، فقد كانت تحن وتنتظر هذا العرس لتعيش الفرح.

(١) ينظر: السابق، ص٨٢.

(٢) السابق، ص٩٣.

وبدأت ذات الزين بالتأهب لهوى الفرح في موضع آخر، بالرغم من الحزن الذي تبعه البكاء على الحنين، عندما تذكر أنه قد مات ولم يحضر عرسه، إلا أن ذات الزين عادت بعد ذلك للشعور بالفرح، وكان ذلك بفعل ذات محجوب ومن سار معه للبحث عن الزين، واستطاع الزين تجاوز حزنه على الحنين، وعاد لحالته الشعورية بالفرح بزواجه[١]: **"ابشروا بالخير...ابشروا بالخير"**.

وظهرت ذات محجوب خائفة، فأيقظ ذلك شعورًا في ذاته، فتأهبت لهوى الخوف، وذلك ما تجلى واضحًا من: (البحث عن الزين، الذعر الذي أصاب محجوب، والذهاب للمقبرة)، وهكذا تهيأت الذوات لتكون بمستوى عالٍ من القدرة على تحمل هوى الخوف، وما يتبعه من شعور بالقلق والاضطراب، ذلك ما دفع الذوات للبحث عن الزين، فكان الهوى سببًا في إحداث الفعل، ولعله ما جعل تلك الذوات محفزة على الاستعداد. هكذا عمل الهوى على تحفيز الانفعال اللازم ليتناسب مع حدوث الفعل.

- **الصوغ (المحور الاستهوائي):**

تعد هذه المرحلة أساسية لتحقق الهوى، فمن خلالها تتعرف الذات أسباب اضطرابها، وتدرك القيم الانفعالية التي كانت موضوعًا لها في المرحلتين السابقتين[٢].

ومن أمثلته[٣]:**"كاد الوعاء يسقط من يدي آمنة"**، إذ حدث تحولًا استهوائيًا لذات آمنة، فقد انتقلت من:(لا اضطراب) إلى (الاضطراب)، ويمكن التمثيل للصوغ الاستهوائي بالآتي:



(١) السابق، ص١١٢.

(٢) ينظر: الداهي،"السيميائيات: سيميائية الأهواء":٢٣٧.

(٣) الطيب صالح،"عرس الزين":٣.

فالاضطراب أحدث رعشة في يدي آمنة، حتى كاد الوعاء يسقط من يديها، ويدل على أن خبر حليمة استثار حالة استقرار آمنة، ومثله ماحدث للناظر عندما أخبره الطريفي بالخبر فأثاره، هكذا كان الآخر سبب انتقال الحالة الشعورية والانفعال للذات.

ويتجلى الصوغ الاستهوائي، في قول الزين[١]: **"اشهدوا ياخوانا، الرجل ذا مرقت منه كلمة"**، ما يعبر عن إدراك ذات الزين لأهمية الموضوع وانتقال ذات الزين من حالة (لا اهتمام) إلى (اهتمام).

وفي قول[٢]: **"حليمة شنو موقفك مع الدرويش دا"**، تدرك الذات هنا السبب الذي جعلها تغضب حين رأت ابنتها واقفة مع الزين؛ وذلك نتيجة القلق والتوتر الذي أصاب ذات أم حليمة.

ويتمثل المحور الاستهوائي من شعور آمنة بالدهشة والغضب، الذي كان نتيجة الخبر الذي سمعته من حليمة، ما يجعل القارىء يشعر بالاضطراب الذي أحاط بذات آمنة حين سمعت الخبر.

ويتجلى الصوغ الاستهوائي في الخوف على الزين الذي عكسه ما ورد في الرواية، إذ انتقلت حالة الذوات من (استقرار) إلى(لا استقرار)، إنه يمثل اهتمامًا من الذوات بالآخر، وجاء هذا الاهتمام على شكل حالة انفعالية أصابت الذوات(قلق، اضطراب، خوف) مما جعل الآخر محل اهتمام.

ويتشكل الصوغ الانفعالي في هوى الحب من ذات الزين التي تعكس الحب[٣]:"...**استقبل الحياة ضاحكًا**"، لعل تعبير الكاتب يجعلنا ندرك المفارقة بين حالة الأطفال التي يولدون عليها، وحالة الزين، ومدى الفرق بينهما، وهذا يمثل ثنائية ضدية،

(١) السابق، ص١٢.

(٢) السابق، ص١٨.

(٣) السابق، ص٧.

بين: (البكاء/ الضحك)، فحالة الزين تدل على الاستمرار، أنه ظل يضحك طوال حياته، مما يعكس الانبساط والسرور.

ويكمن الصوغ الاستهوائي في أقوال الزين[١]: **"أنا مكتول في حوش محجوب"، "عزة بنت العمدة كاتلالها كتيل"، "واكتلتي ياناس"، "الزين مكتول كتلته نعمة بنت الحاج إبراهيم"**.

التي تحقق هوى الافتتان والإعجاب، وأدركت ذات الزين الانفعال الذي صاحبها أثناء تحقق ذلك، فجاء كلام الزين معبرًا لذلك؛ إذ وجد ذاته مقتولة بفعل تلك الفتيات، وهذا ما يدل على استثارة ذاته، ومن ذلك عبر عن الحالة التي عليها، فعبر بأبشع شيء ألا وهو (القتل)، الذي يعبر عن حالة الفتك والعبث التي أصابت ذاته، فلا سبيل له للخلاص من تلك الحالة التي أصابته إلا بالصياح والتصريح مستخدمًا أداة النداء التي تعبر عن توجع ذاته، لعل هناك من يرثي لحالته أو يجيب نداءه، فعبر لكل ما انتابه من أحاسيس، وحاول من ذلك أن يتخلص من كل توله يشعر به.

ومما يحقق الصوغ الانفعالي، إدراك ذات الناظر للانفعال الذي أصابها حين صادفت نعمة ابنة الحاج إبراهيم وجهًا لوجه، وحاول أن يستوقفها ويستبطئها قبل ذهابها[٢]: **"راعه جمالها... وعاش ليالي وصورتها لاتفارق ذهنه لعلها أيقظت في قلبه إحساسًا دفينًا لم يذكره منذ عشرين عامًا"**. فكان من مؤشرات الإعجاب والافتتان والحب، وهذا ما أثار مشاعر الناظر، بل أنه وقع في الحب، والدليل: أنها أيقظت في قلبه إحساسًا لم يعهده منذ سنوات، فشدة الحب التي أصابت الناظر أثارت لذاته طاقة انفعالية حفزته للقيام بفعل هو: طلب نعمة من أبيها، وفي المقابل نجد أن للحاج إبراهيم ردة فعل، فعندما ذهب الناظر ليطلب ابنته للزواج وهي بعمر بناته، أصابه الغضب

(١) السابق، ص١٣،١٦،١٨،٩٣.

(٢) ينظر: السابق، ص٧٠.

لفعل الناظر.

ويتشكل المحور الاستهوائي للفرح في مشاعر ذات الزين، وأمه، والقرية، الذي عبرت عنه الزغاريد[١]:**"انفجر بزغرودة عظيمة"، "أول من زغردت أم الزين، وزغرد معها جيرانها وأحبائها وأهلها وعشيرتها"**.

فالزغاريد توحي بالفرح والابتهاج الذي أحاط بتلك الذوات تعبيرًا لمشاعرها، وبفعلها نجدها ذواتًا انشرح صدرها واستبشرت لتحقق العرس.

فكان الهوى مصدرًا للطاقة الانفعالية التي يستلزمها الفعل لتحققه، عبر وسيط هو الجسد، ليؤدي دوره في الانفعال وتحقق المعنى؛ إذ أن تصرف الذات تجاه هوى معين دفعها للقيام بفعل.

- **العاطفة:**

تبين ردود فعل الجسد إزاء الإحساسات المحزنة أو المبهجة، حيث تصبح العاطفة حدثًا استهوائيًا قابلًا للملاحظة والتقويم، إذ يكتمل فيها نضج الهوى، إذ يمكننا إخضاعه لعملية التحليل؛ لفهم الذات واستخراج الخطاطة الاستهوائية[٢]، وهذه العاطفة تظهر النشاط الانفعالي للجسد على شكل رد فعل يبين الحالة الداخلية للذات.

فقد استطاعت حليمة أن تثير ذات آمنة بحديثها، فبدت ذات آمنة في حالة توتر واضطراب، حيث ظهرت ردة فعلها لحليمة[٣]: **"كاد الوعاء يسقط من يدي آمنة"**، هكذا عكس الجسد حالة الاضطراب التي أصابت آمنة عند سماعها للخبر.

ومما جعل ذات الزين تظهر في حالة انفعال، هو عاطفتها التي تحولت لرد فعل يلاحظه الآخرون، ذلك ما عبر عن حالة الزين حين كان يصيبه الافتتان، فكان يقف

(١) ينظر: السابق، ص٩٣،٩٦،٩٧.

(٢) ينظر: الداهي،"السيميائيات: سيميائية الأهواء":٢٣٧.

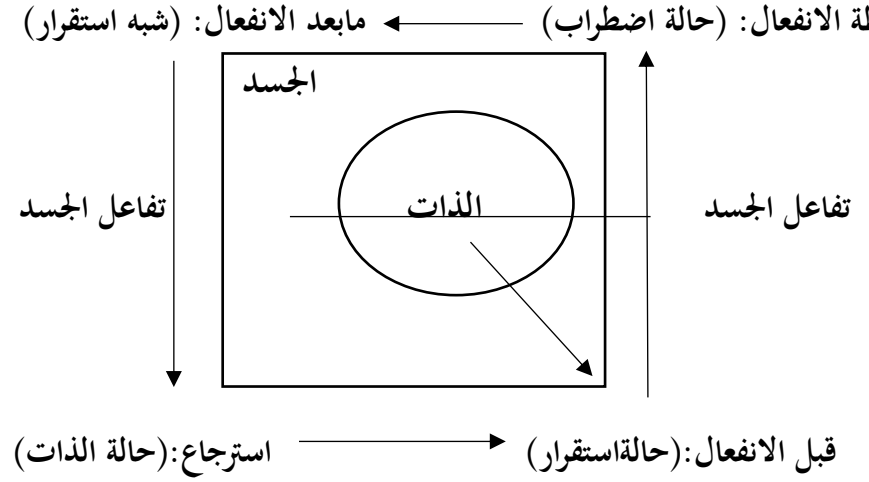
(٣) الطيب صالح،"عرس الزين":٣.

وقفة غير طبيعية، ويصيح بأعلى صوته أنه مقتول نتيجة افتتانه بالفتيات، فوقفته وهيئته وصياحه، يدل على الوله الذي أصاب ذاته، وأنه في حالة عذاب مما يلقى، وذلك ما يعكسه تعبير الزين بالقتل تشبيهًا لفعل من فُتن بهن، ومن التعبيرات: (واكتلتي، أنا مكتول، قتلت لها كتيل)، فيدل على المعاناة التي كابدتها ذاته.

وفي موضع آخر يبدو رد فعل ذات الزين واضحًا، إذ يكشف انفعالها لحظة مقابلتها للحنين، وتكشف عن مدى حبها للحنين، فكان يترك مافي يده ويذهب لمعانقته حين يراه، فكان الدافع مكانة الحنين عنده ومشاعره تجاهه.

وتتجلى العاطفة من خوف أم الزين الذي يدل على الحنان الأمومي، ويعكس علاقة اتصال الأم بابنها، ماجعل الاضطراب والخوف يسيطر على ذاتها، فقد أثرت العاطفة عليها بشكل سلبي، وتمثلت في ردة فعل توحي بشدة عاطفية، فحين أصيب الزين بحادث تشكلت ردة فعلها من صراخها الذي سمعه الحاج إبراهيم والجيران، وفقدانها الوعي، وتمثلت من ردات الفعل التي ظهرت من بعض القرية، وعكس ذلك تمثل الجسد الذي ظهرت سلوكياته جلية للآخر، فردات الفعل التي ظهرت كانت غير متقبلة لما أصاب الزين، وكشف ذلك عن انفعالاتها ومحبتها للزين والاهتمام لأمره، فكان التعبير بالانفعال بعدة صور، هي: (الصراخ، البكاء، الغضب)، مما عكس عاطفة تلك الذوات.

ومما يجسد عاطفة الذات إحساس الزين بالحقد على سيف الدين، فالانفعال الجسدي لذات الزين، عبر عن مشاعرها تجاه سيف الدين، وتكون هوى الحقد والكره في آن واحد، وتمثل في انفعال جسد ذات الزين تجاه سيف الدين، حيث أنه ضربه ضربًا شديدًا حتى كاد يقتله، ودل على مشاعر الزين تجاهه، وهي: (حقد، غضب، كره، عدم الارتياح)، ومر انفعال الزين بثلاث حالات، يمكن التمثيل لها بالشكل الآتي:



وظف الكاتب المؤشرات التي تدل على انفعال ذات الزين؛ ليعكس الحالة الداخلية لذات الزين قبل الانفعال وبعده، فحين أتى الحنين عاد الزين إلى حالة شبه مستقرة، وكان انفعال ذات الزين مساره من انخفاض لارتفاع، ثم عاد للانخفاض حين استرجعت الذات الحالة السابقة التي كانت عليها قبل الانفعال.

وتعبر ذات الزين عن هوى الكره في الانفعال الذي يتجلى بواسطة الجسد، الذي جسد مشاعر الذات وعاطفتها تجاه الإمام[1]: "كان مجرد وجوده في مجلس يكفي لإثارته، فيسب ويصرخ ويتعكر مزاجه، ولكن بالرغم مما كان يصدر من الزين، إلا أن الإمام كان صبورًا، ويتحمل ذلك...".

فعبرت ذات الزين من الجسد عن عدم ارتياحها لذات الإمام، وذلك ما أكده سلوك الزين الذي يتخفى وراء مشاعر سلبية تجاه الإمام، ورغم ذلك الانفعال الذي صدر من ذات الزين إلا أن ردة فعل الإمام تجاه ذلك كان إيجابيًا، إذ تحمل ما صدر

(١) ينظر: السابق، ص٨٢.

من ذات الزين، فحين انفعل الزين كان الغرض من ذلك إثارة ذات الإمام؛ لإحداث حالة مضطربة في نفسه، يتولد عنها انزعاج الإمام، فلم تتحقق رغبة ذات الزين بذلك، ولم يظهر أي انفعال من الإمام تجاه ذلك.

وتظهر العاطفة الكامنة وراء الانفعال الذي أصاب: ذات الزين، وأمه، والقرية، فعند استبشارهم بخبر العرس أثارهم ذلك؛ مما أحدث فيهم تأثيرًا انعكس في ردات فعلهم تجاه الموضوع، فالزين زغرد زغرودة عظيمة تعبيرًا عن مشاعره، وما أثار الذوات الأخرى هو سماعها للخبر، ثم أنه سيقام احتفالًا وسيجتمع الأهالي، وهو ما كانت تبحث عنه وتنتظره تلك الذوات بشوق عظيم؛ لتعيش أجواء تلك المناسبة السعيدة.

- **التقويم الأخلاقي:**

تُقوم الأهواء من منظور جماعي لبيان موقعها داخل إطار سوسيو ثقافي أو من منظور فردي؛ لكون المقوم نفسه يعد جزءًا من المشهد الاستهوائي(موقف الغيور من ميل عاشقته إلى منافسه)[١].

وعند التأمل في الأهواء التي سيطرت في الرواية نجد أن: حليمة توصلت من ردة فعل آمنة إلى معرفة موقفها من زواج الزين وعدم ارتياحها، وكشف عن مكنون آمنة (الغضب، الغيرة، حب الذات، عدم حب الخير للغير).

ولم تكشف ذات آمنة فقط عن عاطفتها، فقد كشفت جل الذوات التي وردت من انفعالاتها وسلوكياتها، وتضمن هوى الاهتمام شكلين، أحدهما سلبي، وثانيهما إيجابي، عبر الأول عن عدم رضى الذات بالخير للآخر، فتبدو الذوات (غيورة، غاضبة، متوترة)، وعبر الثاني عن حب الخير للآخر، فتبدو الذوات (مسرورة، محبة...)، فعندما يكون مُتَجه الاهتمام إيجابيًا يكون مضمونه الدعوة للتضامن، ونبذ الحقد والغيرة والكره، والابتعاد عن المشاحنات التي تشتت أفراد المجتمع.

(١) الداهي،"السيميائيات: سيميائية الأهواء":٢٣٧.

وبدت ذات الزين في حالة شبه مستقرة مما كانت تلقى، فهي ذات من طبقة متوسطة لم تأخذ حقها مثل باقي الذوات، وذلك مما ينعي أفراد المجتمع بسبب إعلائهم للشخص الذي يكون على مستوى عالٍ من المادية، وذلك ماجعل بعض القرية يستخفون بفعل الزين، حين كان يفتن بإحدى الفتيات، ويرون أنه غير مناسب لهن، نظرًا للطبقة التي ينتمي إليها، وكونه شخص غير متعلم، ولم يكن بمستوى عال من الجمال، كما وصفه كاتب الرواية.

هكذا عبرت الذوات عن عواطفها، ففي هوى الاهتمام كان الاهتمام تارة لصالح الذات (المهتمة)، وتارة لصالح الآخر(المهتم به)، وفي هوى الافتتان والإعجاب تدرك ذات الزين أن إغراقها في الافتتان ببعض الفتيات لافائدة منه، وقد استطاع الزين التخلص من حالته شبه المستقرة التي كان فيها بسبب تلك الفتيات التي يثيره جمالهن، واستطاع التخلص من نظرة المجتمع الدونية التي يُنظر بها للشخص العادي المتواضع، والذي من طبقة عادية من المجتمع، وعبر عن ذلك التخلص بقوله: **ابشروا بالخير**...[(١)].

ذلك دليل من ذات الزين يؤكد العوض الذي حظي به، وما يؤكد ذلك أكثر المؤشر السيميائي الذي حمله اسم البنت التي تزوجها الزين"نعمة"، فقد كانت موافقتها التي تفاجئ بها أهالي القرية نعمة أصابت ذات الزين، وعم إثرها الفرح والخير والوحدة.

كل ذلك كشف عن تأثير الآخر على الذات بشقيه (السلبي، والإيجابي)، وتفاعل الذات مع ذلك من الجسد الذي عبر عن انفعالاتها بسلوكيات مختلفة أسهمت في تحقق المعنى المراد، هكذا شكل الآخر مثيرًا لانفعالات الذات الداخلية، التي تكون من خلالها الهوى والذي دفعها للقيام بفعل، والذي يخضع للتقويم الأخلاقي.

وبناءً على ماسبق، يتضح أن عاطفة الكاتب ومشاعره تجاه القرية وطقوسها، ولد فيه انفعالًا جعله يتخذ من السلوك الكتابي وسيلة للتعبير، حيث حاول من هذه الرواية

(١) الطيب صالح،"عرس الزين":١١٢.

أن يصنع عالمًا مليئًا بالشخصيات والحركة، فجعل هذه الشخصيات تتحرك حيث يريد وتؤدي أدوارًا يقصدها، لعل ذلك يرضي نفسه، وشكل من هذه الرواية صورة للواقع المضطرب، الذي يحتاج للكثير من (القوة، الحيوية، اللامبالاة...) للتجاوز.

كما عكست الرواية نبذ المجتمع للشخص العادي، وجعل الكاتب موضوع الرواية الأساسي"الزواج"، وهو خير شاهد على قبول المجتمع لصاحب المال، على عكس الشخص الذي يكون أقل شأنًا؛ فلا يقبل به غالبية الناس، فالكاتب يدعو للمساواة والتضامن، ويؤكد أن الحياة بطبيعتها بحاجة لذلك؛ ليعم الفرح والخير.

الخاتمة:

توصل البحث إلى جملة من النتائج:

١) صورت الرواية الحياة الريفية، وبساطة أهل الريف، وطقوس معيشتهم، وكدهم في العمل؛ لأجل الحصول على العيش.

٢) عكست الرواية معاناة الأفراد (الذين ينتمون إلى طبقة عادية من طبقات المجتمع)، من الفروق الطبقية، ومعاناتهم من الفقر، والعادات الاجتماعية التي تربط الزواج بالمال والجمال.

٣) عبرت الرواية عن تجارب الذات، ومدى تأثرها بالآخر وتفاعلها معه، وكيف كان له دورٌ فاعلٌ في إثارة الحماس في عوالمها الداخلية؟، حيث انعكس ذلك على سلوكيات الجسد.

٤) برزت العلامات الدالة على الأهواء، وظهرت آثار هذه الأهواء، إذ انكشفت عواطف الذات وأحاسيسها من تكون الأهواء، التي دلت على علاقة الذات بالآخر وتفاعلها، وكيف استطاع الآخر التأثير عليها؟.

٥) كان تنوع الأهواء في الرواية دليلًا واضحًا لتفاعل الذات مع العالم الخارجي.

٦) حملت الأهواء جانبين: أحدهما سلبي، وثانيهما إيجابي، الأول: كان تأثيره لصالح الذات، والثاني: كان تأثيره ضد الذات، مما أثار توترها واضطرابها.

٧) لم تكن الأهواء التي ظهرت في الرواية أهواءً فردية فقط، فقد كان هناك أهواء ارتبطت بالجانب الجماعي.

٨) عبر تنوع الأهواء عن تحول حالات الذات، من وضع إلى آخر، وقد تداخل بعضها ببعض، مثل ارتباط هوى الاهتمام بالانتظار والفضول، وارتباط هوى

الحب بالصداقة، وملازمة هوى الافتتان للإعجاب...

٩) كان توتر الذات نابعًا من الإدراك الداخلي للذات نفسها، الذي كان ردة فعل لما يأتي من الخارج، لحظة انصدام الذات بالعالم الخارجي.

١٠) وضحت سيمياء الأهواء الرابطة القوية التي تربط الذات بعالمها الداخلي"الإدراك"، وعالمها الخارجي، ومايحدث من تأثير وتأثر.

١١) كشفت الخطاطة الاستهوائية عن تكون الأهواء وتأهب الذات، كما كشفت عن أحوال شعور الذات، وما انتابها من انفعال تبعه فعل، حدث بواسطة سلوك الجسد، ويمكن التمثيل لذلك بالشكل الآتي:

شعور ذاتي/ انفعال/ (حماس/ تفاعل الجسد) / فعل جسدي.

المصادروالمراجع:

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي."لسان العرب". دار إحياء التراث العربي، (ط٣، بيروت: ١٩٩٩م).

باعلي، رشيد. "سيميائية الأهواء: المفهوم وآليات الاشتغال المنهجي". مجلة عطاء للدراسات والأبحاث، (العدد: ٥، ٢٠٢٤م).

بلعزي، نجاه. "مفهوم الخطاطة الجسدية وصورة الجسد والصورة المرآتية في التحليل النفسي". مجلة مقاربات، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل، (العدد: ٣٠، ٢٠١٨م).

بنكراد، سعيد. "السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها". دار الحوار، مكتبة الأدب المغربي، (ط٣،سورية: ٢٠١٢م).

جاك فونتنيي، ألجيرداس ج. غريماس. "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس". ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، (ط١، بيروت: ٢٠١٠م).

حمداوي، جميل. "مستجدات النقد الروائي". (ط١، ٢٠١١م).

الداهي، محمد. "السيميائيات: سيميائية الأهواء". عالم الفكر، المجلس الوطني، للثقافة والفنون والآداب، (المجلد: ٣٥، العدد: ٣، ٢٠٠٧م).

الداهي، محمد. "تجليات الأهواء في رواية الضوء الهارب لمحمد برادة". مجلة فكر، العلوم الإنسانية والاجتماعية، (العدد: ٦، ٢٠٠٥م).

ديكارت، رينه. "انفعالات النفس". ترجمة وتقديم: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، (ط١، بيروت: ١٩٩٣م).

صابية، سعاد. "تأويل الجسد في مقامات بديع الزمان الهمذاني". مجلة دراسات معاصرة، الجزائر، جامعة تيسمسيلت، (المجلد: ٨، العدد:١، ٢٠٢٤م).

صالح، الطيب. "رواية عرس الزين". دار الجيل، (ط١، بيروت: ١٩٩٧م).

صليبا، جميل. "المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية". (ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٨٢م).

نصر الدين بن غنيسة، حياة بوسعدة. "سيمياء الأهواء من منظور النقاد العرب، محمد الداهي أنموذجا". جامعة بسكرة، الجزائر، مجلة قراءات، (المجلد:١٥، العدد:١، ٢٠٢٣م).

Bibliography:

Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram ibn Ali. "Lisan al-Arab". (Dar Ihya al-Turath al-Arabi, (3rd ed., Beirut: 1999).

Baali, Rashid. "The Semiotics of Passions: Concept and Methodological Approaches" (in Arabic). Ata'a Journal for Studies and Research, (Issue: 5, 2024).

Belazi, Najah. "The Concept of the Body Sketch, the Body Image, and the Mirror Image in Psychoanalysis" (in Arabic). Muqarabat Journal, Muqarabat Foundation for Publishing, Cultural Industries, and Communication Strategies, (Issue: 30, 2018).

Benkrad, Said. "Semiotics: Its Concepts and Applications" (in Arabic). (Dar al-Hiwar, Library of Moroccan Literature, (3rd ed., Syria: 2012).

Jacques Fontenier, Algirdas J. Greimas. "The Semiotics of Passions: From States of Things to States of the Mind." Translated and introduced by Said Benkrad, Dar al-Kitab al-Jadeed al-Muttahida, (1st ed., Beirut: 2010).

Hamdawi, Jamil. "Developments in Novel Criticism." (1st ed., 2011).

Al-Dahi, Muhammad. "Semiotics: The Semiotics of Passions"(in Arabic). *Alam Al-Fikr*, National Council for Culture, Arts and Letters, (Vol. 35, iss. 3, 2007).

Al-Dahi, Muhammad. "Manifestations of Passions in Muhammad Barada's Novel *The Fleeing Light*." *Fikr* Journal, Humanities and Social Sciences, (No. 6, 2005).

Descartes, René. "The Passions of the Soul". Translated and introduced by George Zinati, Dar Al-Muntakhab Al-Arabi for Studies, Publishing and Distribution, (1st ed., Beirut: 1993).

Sabiya, Suad. "The Interpretation of the Body in the Maqamat of Badi' al-Zaman al-Hamadhani". *Contemporary Studies Journal*, Algeria, University of Tissemsilt, (Vol. 8, iss. 1, 2024).

Saleh, Al-Tayeb. "The Novel *The Wedding of Zein*." Dar al-Jil, (1st ed., Beirut: 1997).

Saliba, Jamil. "The Philosophical Dictionary in Arabic, French, English, and Latin Terms." (Vol. 1, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut: 1982).

Nasr al-Din bin Ghanisa, Hayat Bousaada. "The Semiotics of Passions from the Perspective of Arab Critics: Muhammad al-Dahi as a Case Study." University of Biskra, Algeria, Qira'at Journal, (Vol. 15, iss. 1, 2023).

منهج العقاد النَّقدي في مقدِّماته الغيرية
كتَّاب القصَّة أنموذجًا -دراسة تحليلية نقدية

Al-Aqqad's Critical Method in His Introductory Forewords to Others' Works The Book of the Short Story as a Case Study
A Critical–Analytical Study

د. ساري بن محمد الزهراني

أستاذ النَّقد الأدبي المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة الباحة – المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: smszahrani@bu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
25/01/2026		03/03/2025

نشر البحث
A Research Publication

محرم ١٤٤٨هـ = May 2026

DOI:10.36046/2356-000-020-021

المستخلص

يناقش هذا البحث منهج عباس محمود العقاد النقدي، في ضوء مجموعة ما كتبه من مقدِّمات نقدية لبعض القصص الفنية؛ بدءًا من موقفه من القصة عمومًا، بالمقارنة مع الشعر، مع الكشف عن رؤاه النقدية للفن القصصي، وفقًا لما احتوته بعض النماذج من نواحٍ واقعية، وجوانب نفسية، أو على ما اشتملت عليه من وقائع وأحداث وشخصيات، وما تضمَّنته من صدق فني، مع بيان التشكُّلات البيئية في بناء القصة، وأثرها على كاتبها. ويختم البحث بالأحكام الانطباعية التي أصدرها العقاد، مع ما يصحبها من تعريف بكاتب القصة ومكانته الأدبية. وخلص البحث إلى أنَّ القصة كان لها حضورها في مقدِّمات العقاد الغيرية، وأنَّ الرؤى النقدية التي أبان عنها كانت محكومةً بسياقات تأريخية؛ نظرًا لقرب عهد الأدب العربي بكتابة القصة الفنية؛ فضلًا عن قلة، أو غياب الدراسات النقدية التي تهتم بالقصة، بتعدُّد أنواعها وتشكُّلاتها.

الكلمات المفتاحيَّة: العقاد، منهج، مقدِّمات، فن، القصة

Abstract

This study examines the critical method of Abbas Mahmoud Al-Aqqad through a selection of the critical forewords he wrote for a number of literary short stories. It begins by addressing his stance on the short story as a literary genre in general, in comparison with his position on poetry, and proceeds to uncover his critical perspectives on narrative art. The analysis is grounded in what these selected models reveal in terms of realism, psychological dimensions, and their incorporation of events, incidents, and characters, as well as the degree of artistic authenticity they embody. The study also elucidates the impact of environmental formations on the construction of the short story. It concludes by discussing some of the impressionistic judgments issued by Al-Aqqad, together with the accompanying introductions to the short-story writers and their literary standing. The study concludes that the short story occupied a notable presence in Al-Aqqad's forewords to others' works, and that the critical views he articulated were shaped by historical contexts, given the relatively recent emergence of the modern Arabic short story, in addition to the scarcity—or absence—of critical studies concerned with the short story in its diverse types and formations.

Keywords: Al-Aqqad, Methodology, Introductions, Art, The Story.

مدخل

تعتبر المقدِّمة عتبة أُولى للولوج إلى مضامين الكتاب المقدَّم له، وهذا العتبة، مع أهميتها، تُعدُّ المفتاح الأول لأيِّ كتاب أو دراسة. وكثيرًا ما تلقى المقدِّمة عنايةً خاصةً من المؤلِّف، باعتبارها أداةً جوهريةً للولوج إلى أجواء النص، وسبيلًا نحو الاهتمام به، أو الانصراف عنه، الأمر الذي أولاها الكتاب والمؤلِّفون عنايتهم الخاصة.

وكلما كانت المقدِّمة أصيلةً في مضمونها، عميقةً في رؤيتها، استطاعت استمالة المتلقِّي، وكلما ضعفت ووهنت صرفت القارئ عنها؛ فضلًا عن الانصراف لما احتواه الكتاب.

والتقديم عبارة عن نصٍّ يكتبه غير المؤلِّف؛ بهدف التعريف بالمؤلِّف، والكشف عن مَوَاطِن الإجادة أو القصور، وقد يكون التقديم بطلب من الكاتب أو المؤلِّف لهدف ما، قد يكون تسويقًا، أو حفرًا معرفيًّا، وفي كلا الحالين، فالتقديم يبقى حفاوةً أبويةً –مثلًا– إلى صوت واعد.

ونظرًا لانعدام الدراسات العلمية التي عُنيت بالآراء النقدية في مقدِّمات عباس محمود العقاد (١٨٨٩– ١٩٦٤م) لبعض القصص الفنية –حسب علمي واجتهادي– ، فقد آثرتُ أنْ أقومَ بدراسة علمية لمقدِّماته التي كتبها في هذا السياق؛ وذلك لوضوح آراء العقاد ومنهجه من خلال ما كتبه من مقدمات غيرية؛ وذلك تحت عنوان "منهج العقاد النقدي في مقدِّماته الغيرية: كتاب القصة أنموذجًا".

وستحاول هذه الدراسة مقاربة تلك المقدِّمات التي كتبها العقاد، مصحوبة بالآراء النقدية التي كشفها وأبان عنها.

وانطلاقًا من ذلك، تسعى هذه الدراسة نحو الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما موقف العقاد من القصة الفنية عمومًا؟ وما معيار المفاضلة ما بينها وبين الشعر؟
- ما المنهج الذي سار عليه العقاد في كتابة مقدِّماته الغيرية لفن القصة؟

– ما الآراء النقدية التي تضمَّنتها مقدِّمات العقاد الغيرية للقصة الفنية؟

– ما أبرز الجوانب الفنية التي أبان عنها العقاد في تلك المقدِّمات الغيرية؟

وأهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع للبحث والدراسة يعود إلى:

١– قلَّة الدراسات النقدية، والبحوث العلمية التي عُنيت بمقدِّمات العقاد الغيرية لفن القصة.

٢– الكشف عن انهج العقاد النقدي للقصة في ضوء ما كتبه من مقدِّمات.

وبناء على ذلك؛ سأقوم باستقراء وتصنيف ما كتبه العقاد من مقدمات غيرية، ودراستها وتحليلها بناء على المنهج الوصفي التحليلي؛ للوقوف على ما حملته مقدِّمات العقاد الغيرية من آراء نقدية، تشكِّل في مجملها رؤيةً واضحةً للمنهج الذي اتَّخذه العقاد.

ومع كثرة الدراسات والأبحاث التي تناولت فكر العقاد عمومًا، وآراءه النقدية خصوصًا، إلَّا أنَّني لم أعثر على أيِّ دراسة علمية تناولت ما كتبه من مقدِّمات غيرية للمؤلَّفات القصصية، ما عدا ما قام به الباحث عبدالرحمن حسن قايد في كتابه "مقدِّمات العقاد"(١) من جمع لما كتبه العقاد في تقديمه لبعض الكتب، والمؤلَّفات، والدواوين الشعرية، والقصص الفنية، بحيث يقف ما قام به صاحب "مقدِّمات العقاد" عند حدود الجمع في كتاب واحد، دون تحليلها، أو استخراج حصيلة ما فيها من آراء، وهذا لا يعني التقليل من القيمة العلمية التي قام بها؛ لأنَّ هدفه البحثي كان جمع تلك المقدِّمات؛ فقد كان له فضل جمعها؛ الأمر الذي سهَّل عليَّ إنجاز ما تحاول أن تقوم به هذه الدراسة.

وبناءً على كل ذلك؛ فقد قُسِّمت الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسة؛ سبقها مدخل، ثمَّ ختمت الدراسة بأبرز النتائج، فقائمة بالمصادر والمراجع. حيث بُني المحور الأول على موقف العقاد من الشعر والقصة، وما يتَّصل به من المقاييس والمقاربات، والبواعث

(١) ينظر: عبدالرحمن حسن قايد، "مقدِّمات العقاد"، (الرياض: آفاق المعرفة، ١٤٤١هـ).

والمراحل، والأنواع والمقوِّمات، في حين قام المحور الثاني بدراسة التجلِّيات القصصية من منظور العقاد، وما يرتبط بها من نماذج واقعية، وجوانب نفسية، وأحداث سردية، وصدق فني، فضلًا عن أثر البيئة في كتابة القصة، فيما نهض المحور الثالث بالأحكام ذات الطابع الانطباعي، وما عرَّض به من التعريف ببعض كُتَّاب القصة ومكانتهم الأدبية.

المحور الأول: موقف العقاد من الشعر والقصة

١–١ مقاييس ومقاربات

ينظر عباس محمود العقاد إلى جميع الفنون الأدبية نظرةً فكريةً أكثر منها أدبية؛ وذلك يعود إلى خلفيته الثقافية والفكرية والفلسفية، الأمر الذي انعكس على مقاييسه في تفضيل الشعر على سائر الفنون الأخرى، ومنها القصة الفنية.

وتأسيسًا على ذلك؛ فإنَّ العقاد يرى جميع الفنون والآداب تقوم على مقياسين يغنيان عن أيِّ مقاييس أخرى؛ هما الأداة بالقياس إلى المحصول، ثم الطبقة التي يشيع بينها كل فن من الفنون(١).

ومن هذا المنطلق، تتَّضح رؤيته إلى الفنون الأدبية؛ إذ كلما قلَّت الأداة، وزاد المحصول، ارتفعت طبقة الفن والأدب، وكلما زادت الأداة، وقلَّ المحصول، مال إلى النزول والإسفاف.

وفي هذا السياق، يتجلَّى موقف العقاد من القصة والرواية، حينما قال: "وما أكثر الأداة، وأقل المحصول في القصص والروايات، إنَّ خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذي يعطيك بيت كهذا البيت:

وَتَلَفَّتَتْ عَينِي فَمُذْ خَفِيَتْ *** عَنهَا الطُّلُولُ تَلَفَّتَ القَلبُ

أمَّا لماذا؟ فلأنَّ الأداة هنا موجزة سريعة، والمحصول مسهب باقٍ؛ ولكنَّك لا تصل

(١) ينظر: عباس محمود العقاد، "في بيتي"، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م)، ٢٠ وما بعدها.

في القصة إلى مثل هذا المحصول إلَّا بعد رحلة طويلة في التمهيد والتشعيب.

في حين يقوم مقياس الطبقة حسب شيوع كل فن من الفنون بينها، فهو أقرب من هذا المقياس إلى إحكام الترتيب والتمييز. ولا خلاف في منزلة الطبقة التي تروج بينها القصة دون غيرها من فنون الأدب، سواء نظرنا إلى منزلة الفكر، أو منزلة الذوق، أو منزلة السن، أو منزلة الأخلاق.

ومن الملاحظ أنَّ العقاد ينطلق من رؤيته قبلًا إلى ما سمَّاه بالشيوع والذوق، والسهولة والصعوبة؛ إذ ليس أكثر شيوعًا من ذوق القصة، ولا أندر من ذوق الشعر والطرائف البليغة، وليس أسهل من تحصيل ذوق القصة، ولا أصعب من تحصيل الذوق الشعري الرفيع حتى بين النخبة من المثقفين.

ولتجلية ذلك؛ نلاحظ أنَّ العقاد كان واضحًا حيال مقياس المفاضلة ما بين الشعر والقصة، حينما قال: "لا أقرأ القصة حيث يسعني أنْ أقرأ كتابًا أو ديوان شعر، ولستُ أحسبها من خيرة ثمار العقول، قد تكون الرواية أخصب قريحة وأنفذ بديهة من الشاعر أو الناثر البليغ، ولكن الرواية تظل بعد هذا في مرتبة دون مرتبة الشعر ودون مرتبة النقد أو البيان المنثور"(١).

ومن خلال المقتبس السابق، نرى أنَّ العقاد محكوم بمعيار استثنائي، هو أنَّ البلاغة هي الإيجاز، وصولجان الشاعر هنا أعلى من مصباح الناقد، فهو بهذا يدافع عن الشعر باعتباره ديوان العرب؛ ولكنْ من العدل عدم التعميم في الحُكم، فهناك روايات تفوق أعمال كبار الشعراء، ولكلِّ عصر نجومه؛ الأمر الذي يحيلنا إلى الخلفية الذهنية، والنبع الثقافي، والفكري، والفلسفي؛ فضلًا عن السياقات التأريخية لبواكير القصة في الأدب العربي.

ومع ذلك؛ وتأكيدًا على ما ذهب إليه، نلحظ أنَّ العقاد يرى أنَّ الشعر أنفس من القصة، وأنَّ محصول خمسين صفحة من الشعر الرفيع أوفر من محصول هذه

(١) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الصفحات من القصة الرفيعة؛ لأنَّ الشعر أوفر وأغنى، وأنَّ معدن الشعر أنفس وأغلى من معدن الرواية(١).

وفي سبيل إثبات ذلك، يطالب بأخذ ألف صفحة من رواية أو عدَّة روايات، وأخذ ألف صفحة من الشعر الرفيع، ثم الرجوع إلى حُكم القرَّاء فيما شعروا به بعد قراءة القصائد، وقراءة الحكايات، أو قدر ما يشعرون به على سبيل الظن والتخمين(٢). وهذا المطلب الذي يحتكم إليه العقاد، ينطلق من مبدأ عقلي بحت؛ لأنَّ العقل يحتله الأسبق إليه، وبهذا فالشعر سابق، وهذا السبق هو الذي شكَّل تلك الذائقة؛ لأنَّ مزاحمة هذا المحتل وإزاحته ليست بالأمر الهيِّن أو السهل.

وتأسيسًا على ذلك؛ فالعقاد يستزيد من دواوين الشعر، ولا يستزيد من القصص، وأنَّ القصة ليست بالعمل الذي يحسب للأديب، وأنَّها ليست بأفضل الثمرات التي تثمرها القريحة الفنية، وإنْ اتَّخذها معرضًا للتحليل النفسي، أو للإصلاح الاجتماعي لا يفرضها ضربة لازب على كل كاتب؛ لأنَّ الشعر من شأنه -حسب رأيه- أنْ يجمع المعنى الكثير في اللفظ القليل، فتلك هي المفاضلة بين طبيعة الشعر وطبيعة القصة، وإنْ بلغت في بابها غاية الإتقان(٣).

وهذا الامتياز الذي يخصه العقاد للشعر، والذوق الشعري لا يقلل من أهمية القصة، ولا يحسن، ويضعها في مرتبة أدنى من الشعر، ولعل رأي العقاد محكوم -آنذاك- بسياقات تأريخية؛ نظرًا لقرب العهد بكتابة القصة الفنية في الأدب العربي؛ فضلًا عن الخلفية الثقافية والتغذية المعرفية والفكرية للعقاد نفسه، الأمر الذي يحيلنا إلى إجابة

(١) ينظر: عباس محمود العقاد، "يسألونك". (ط٣، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨١م)، ٢٠١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

العقاد، حينما سُئل عن رأيه في القصة، فقال: "ليس خلو أدب أمة من القصة دليلًا على نقص في أدب أمة، أو في أدب الفرد أيضًا"(١).

ورأي العقاد قبلًا –من منظوري– يقوم مقام الحامي عن الشعر، وإجابته عن رأيه في القصة في هذا السياق محكوم بما سبق أنْ عرَّضنا بها؛ فضلًا عن أنَّ العقاد نفسه لما يزل أسير معيار الذوق القديم في أحكامه ومنطلقاته، كما هو موقفه – مثلًا– من شعر التفعيلة.

في حين، نجد الروائي نجيب محفوظ يتصدى للرد على موقف العقاد من القصة في مقالة مطوَّلة بلغت عدد كلماتها أكثر من ١٤٠٠ كلمة، نشرت بمجلة الرسالة(٢)، في محاولة منه لتفنيد المقياسين المطروحين من العقاد، واصفًا ما يقول به العقاد حول المفاضلة ما بين الفنون كمن يرمي بحيرتها الساجية بحجر ثقيل يطين رائقها، ويبعث الثورة في أطرافها... يقول نجيب محفوظ: "إنَّ هذا اللون من الفن وذاك منحط، هذا عزيز وذاك مبتذل، يقول هذا وهو أعلم الناس بالفنون، وأحبهم لها. وأحقهم بأنْ يعرف لكلٍّ قدره ومنزلته. ولن يفيد الفن شيئًا من تحقيره لبعض أنواعه. إلَّا أنْ يُغضِب قومًا أبرياء يحبون الحق كما يحبه، ويولعون بالجمال كما يولع به، ويبذلون في سبيل التعبير عنه كلَّ ما في طاقتهم من قدرة وحب. وعسى أنْ يقول قائل: إنَّ العقاد ما قصد التحقير، ولكنَّه مفكر وله الحق –كل الحق– أنْ يرتِّب الفنون عامة أو فنون الأدب خاصة كيفما يرى. وهذا حق في ذاته، ولكنِّي في هذه القضية رأيتُ العقاد الخصوم، يتغلَّب على العقاد الناقد، فحكم العقاد على القصة حكم مزاج وهوى لا حكم نقد

(١) مارون عبود، "المختبر: تحليل ونقد لآثار الكُتَّاب المعاصرين"، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢١م)، ١٦.

(٢) نجيب محفوظ، "القصة عند العقاد"، مجلة الرسالة، ع ٦٣٥، سنة ١٩٤٥م.

وفلسفة"[١].

وللعقاد موقفه من سرديات القصة، سواء على مستوى الحادثة، أو حياة الشخصيات، أو الأبطال، أو عملية التشويق -كما هو ملاحظ- في معرض حديثه عن طرائق الكُتَّاب في كتابة القصة؛ فمن القصاصين -مثلًا- مَن يجعل معوله على الحادثة الواقعة، فلا تطيق أنْ تقرأ له قصة تخلو من حادثة مروِّعة، ذات خطر في حياة أحد أبطالها، وهو في هذا الباب صاحب قدرة بارعة لا يُستهان بها في تمثيل الحوادث، واستكناه خفاياها، والانتقال بها مع أطوارها المتعاقبة إلى غايتها. ومنهم مَن معوله على الشخصية يحلِّلها أو يعرضها لقارئه باللون الذي يعجبه، وقد يكون الكاتب خبيرًا بتحليل الشخصيات، أو لا تكون له خبرة التحليل، ولكنَّه مقتدر على إبرازها على صورة تسحر الأبصار، وتدعوك إلى العناية بها، كما تُعنى بمن تعرفهم من الصحب والأقربين. ومنهم مَن يعول على التشويق، ويعتمد التقديم والتأخير في سرده لأخباره ومواقفه تعليقًا لهوى الاستطلاع في نفوس القرَّاء الذين يأخذون بهذا الأسلوب، ومنهم مَن يطرح التشويق جانبًا، ويُخيَّل إليه أنَّه يتعمد الإطالة أنفة أنْ يُظن به أنَّه يشغل باله بتسلية القرَّاء، ويصطنع الحيلة للنزول عندهم منزلة الرضا والقبول، ولكنَّه يعوِّض التشويق بالدقة والجد في التزام الحقائق وبلاغة التعبير[٢].

ولا نكاد نختلف مع ما ذهب إليه محمد مندور، حينما وصف العقاد بالسعة والإدراك لهذا الفن؛ ما يوحي باتِّساع نظرته إلى هذا الفن وتنوُّع منهاجه؛ ولكن دون أنْ يتبيَّن للعقاد رأي خاص في هذا الفن[٣].

وذلك الرأي الذي يقول به مندور، يتَّضح من خلال بيان العقاد حيال الكتابة

(١) المرجع السابق.

(٢) عباس محمود العقاد، "بين الكتب والناس"، (مصر: شركة مصر، ١٩٥٢م)، ٢٠٢.

(٣) محمد مندور، "النقد والنقاد المعاصرون"، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢م)، ٦٦.

القصصية، حينما سعى لتأصل أنواعها خاصة في العصر الحديث، ومنها الرواية، وهي تقابل كلمة نوفيل Novel في اللغات الأجنبية، ومنها الرواية الصغيرة، وهي التي تقابل كلمة نوفليت Novelette، ومنها القصة أو الحكاية، وهي التي تقابل كلمة "استوري" Story، ومنها الحكاية القصيرة أو النادرة، وهي التي تقابل كلمة "شورت استوري" Story shorts، وترجمتها الحرفية على حسب أصل الكلمة: تاريخ قصير.

وفي سبيل إيضاح ذلك؛ يرى العقاد أنَّ القصة الصغيرة أو الحكاية –كما يصفها– لا تتَّسع لرسم الشخصية كاملة، أو عدَّة شخصيات كاملة من جميع جوانبها، ولا تتَّسع كذلك للحوادث الكبيرة، ولا للحادثة الواحدة التي لا تتم إلَّا مع التشعُّب والاستيفاء والإحاطة بأحوال جملة من الناس في مختلف المواقف والأحوال؛ ولكنَّها قد تعطينا لونًا من ألوان الشخصية، كما تتمثَّل في موقف من المواقف، فنفهمها بالإيحاء والاستنتاج، وقد تعرض لنا موضوعًا نفسيًّا، أو موضوعًا اجتماعيًّا يُنظر إليه بنظرة عابرة، ويُؤخذ على حدة، فيدل كما تقدم دلالة الموقف والإيحاء(١).

ومع تفاوت آراء العقاد في القصة الفنية؛ إلَّا أنَّه يرى أنَّ نصيب القصة في الكتابة المنثورة آخذ في الازدياد والانتشار، وأنَّ فن القصة بين الآداب العالمية، وفي بعض

(١) عباس محمود العقاد، "ألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي – نقد ونماذج مترجمة من أدب القصة)، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م)، ٣٣. ولعل سبب اختيار العقاد لبعض النصوص القصصية من الأدب الأمريكي وقيامه بنقلها إلى العربية كان له مغزى ودلالة خاصة لديه، نظرًا لما تحمله من سمات الموقف والحدث الذي يستغرق الحواس ويغمر النفس بالعاطفة المتقدة، وهي في نفس الوقت تعبر عن رؤية العقاد تجاه مثل هذا النوع من القص من هنا كانت القصة الصغيرة كما سمَّاها العقاد لونًا من الكتابة مناسبًا كل المناسبة للأدب الأمريكي، منذ أنْ استقل هذا الأدب بأقلامه، ومواضيعه، وعرف له رسالة قائمة بذاتها غير المحاكاة والتقليد، ينظر: شوقي بدر يوسف، "العقاد وفن القصة"، استرجعت بتاريخ ١٤٤٧/٥/٢٥هـ، موقع الانطولوجيا https://alantologia.com/blogs/

القصص التي تُؤلَّف في هذه الفترة، نزوع إلى ما يُسمَّى بالأدب المكشوف ترتضيه طائفة من قرَّاء الجنسين، ولا يُقابل بالرضا عنه من جمهرة القرَّاء، ثم يُلاحظ مع هذا أنَّ الترجمة تنقص في الربع الثاني، وأنَّ التأليف يزداد ويتمكَّن في كثير من الأغراض. ولعل مرجع هذا إلى نمو الثقة بالنفس في الأمم العربية، وإلى ظهور طائفة من الكُتَّاب يستطيعون الكتابة في موضوعات مختلفة، كانت وقفًا على الترجمة قبل ثلاثين أو أربعين سنة(١).

١-٢ بواعث ومراحل

إذا كان العقاد في مقدِّمته لـ"المغفل وقصص أخرى" لعبدالله بن حبيب (٢) يرى أنَّ للقصة شأنًا في حياة الإنسان منذ طفولته إلى شيخوخته الفانية؛ فإنَّه في المقابل يجمع ما بين القصة التي تروى للترويح والتسلية وتزجية الفراغ، والقصة بمعناها الفني.

ويفسر العقاد فحوى رأيه، بالإشارة إلى أنَّ الطفل الوافد إلى الدنيا لا نجده إلَّا وهو محب للقصة والخرافة، مستجمع فيها كل ما يدركه خياله من صور الحياة، ثم إذا أيفع وتنبَّه فيه ذلك الشعور الغريب المسمَّى "الحب" دخل من الحياة في طفولة جديدة تريه الدنيا مرة أخرى، وكأنَّه يراها أول مرة، فيشغف بالقصة في هذه الطفولة القصيرة أشد من شغفه بها في طفولته الأولى، ويحب أنْ يرى لعواطفه وأحاسيسه أمثلةً أخرى في سير الأبطال والعشَّاق، وكأنَّه المشدوه؛ لفرط ما يفاجئه من الشعور، فلا يزال محتاجًا إلى توكيد بعد توكيد، ومثال بعد مثال.

وهو بهذا يؤكد -كما يؤكد غيره من الباحثين- أنَّ قراءة القصة للطفل في سن مبكرة من العوامل المساعدة في تكوين شخصيته، والوصول بها إلى درجة من النمو والنضج، وتسمح للطفل أنْ يعيش حياته مستمتعًا بها ومتفاعلًا مع البيئة التي يعيش

(١) عباس محمود العقاد، "الاتجاهات الحديثة في الأدب العربي"، *مجلة الرسالة* ٦٠٦، *(١٩٤٥م)*.
(٢) ينظر: قايد، "مقدِّمات العقاد"، ٩٥.

فيها بمدخلاتها المتعددة [١].

ومن الملاحظ أنَّ القصة تلعب دورًا محوريًّا في النمو الانفعالي لدى الأطفال؛ نظرًا لما لها من تأثير على مشاعره وانفعالاته، فمن بواعثها إدخال السرور والبهجة على نفسه، مع ما يصحبها من المشاركة الوجدانية؛ فضلًا عن تنمية مشاعر العطف والحنان من خلال التعاطف مع الضعفاء في أحداث القصة والإحساس بمعاناتهم. وربما تساعد القصة في العلاج الطبي والنفسي للأطفال، كما تستخدم القصة كأداة مهمة في علاج الاكتئاب والاضطراب والمخاوف المرضية [٢].

من جانب آخر يربط العقاد ولع الطفل بالقصة والخرافة والخيال، باعتبارها صورة حية من صور الحياة، حتى إذا تنبَّه فيه شعور الحب، رأى الحياة بوجه آخر لا كما رآها أول مرة، وهو بهذا الرأي لا يخرج عمَّا عرف عن العقاد نفسه من ولع بالبحث عن البواعث النفسية، وتعليلها. وكثيرًا ما تلعب قصص الخيال دورها في تنمية معرفة الأطفال بالكون والحياة، الأمر الذي من خلاله يتحولون بالتدريج إلى الاقتراب من الحقيقة، وذلك من خلال الانغماس بين صراع الخير والشر[٣] حينما تدخل الطفولة –كما يرى العقاد–[٤] إلى عداد الرجال، فيعرف الحياة، وتُلجِئه المعرفة إلى السلوى والتأسي والاعتبار بالحوادث، فيأنس إلى القصة، ويستريح إلى أخبار الناس، ويحب من حين إلى

(١) عبد الفتاح أبو المعال، "أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم"، (عمان: دار الشروق، ٢٠٠٥م)، ٣٣.

(٢) معراج أحمد معراج الندوي، "القصة ودورها في بناء مستقبل الأطفال"، *مجلة الكلمة ١٤٣/ مارس، (٢٠١٩م)*. "استرجعت بتاريخ ١٨/٥/١٣٣٧هـ" من موقع http://www.alkalimah.net/Articles/Read/

(٣) سمير عبدالوهاب أحمد، "قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العملية"، (عمان: دار المسيرة، ٢٠٠٤)، ٦٨.

(٤) يُنظر: قايد، "مقدِّمات العقاد"، ٩٥.

حين أنْ يستعيد غرارات الصبا وأشواقه، فيقرأ القصة ويؤخذ بما فيها من شواهد الصدق والعلم وحسن التمثيل. أمَّا إذا استوى إلى الشيخوخة، فهو يفرغ إلى العمل والتجربة والمشاهدة، فلا يبقى له إلَّا أنْ يقص ما يراه، أو يستمع إلى قصص الآخرين.

ووفقًا لتلك التقسيمات للمراحل التي أشار إليها العقاد؛ فإنَّه في المقابل يتبعها بالتأكيد على أنَّ الأمة كالفرد في العناية بالقصة والأقاصيص، فهي من عهد الهمجية إلى عهد الحضارة، لا تخلو من القصة القصيرة في عصر من العصور. ومَن يظن القصة القصيرة شيئًا حديثًا من مبدعات هذه الأيام، فهي -كما يؤكد العقاد- من أقدم ما عرفته الأمم من آدابها، ولا يرد على الخاطر أنَّها شيء حديث إلَّا أنَّها ذاعت كثيرًا بعد نشأة الصحافة اليومية والأسبوعية، ودَاخَلَها الافتتان؛ لتعدُّد الكُتَّاب واختلاف الأمم، فقيل: إنَّ القصة الصغيرة ظاهرة طريفة، وليست بالظاهرة الطريفة إلَّا الأداة التي استخدمت لنشرها والافتتان بها [(١)].

في مقدِّمته لـ"أقاصيص من الهند"، التي قام بترجمتها خليل جرجس خليل، نُلاحظ أنَّ العقاد يشي إلى علاقة البيئة بكتابة القصة، وأثرها في معرفة الأمة، مشيرًا إلى ندرة ما يمكن معرفته عن أمة عظيمة من عشرين قصة صغيرة، كما تعرف الهند من هذه القصص التي تبتدئ القصة منها وتنتهي في بضع صفحات[(٢)].

ويرى العقاد أنَّ تلك القصص لا تخرج في مجموعها من غير الهند الخالد، ولا تستطيع أنْ تنقلها من بيئة إلى بيئة ولو غيرت ما فيها من أسماء المواقع وعناوين العادات، بل نحسب أنَّ نقل قصة واحدة إلى بيئة أخرى أعسر من نقل مجموعة قصصية واسعة تكتب في أمة فتنسب إلى أمة أخرى [(٣)].

(١) يُنظر: المرجع السابق، ٩٦.

(٢) يُنظر: المرجع السابق، ٣٣١.

(٣) يُنظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

في السياق ذاته؛ يطرح العقاد سؤالًا ضمنيًّا حول الفارق بين القصة الصغيرة في الهند، والقصص الصغيرة في الأمم المعاصرة التي تكثر منها بجميع الأساليب على مختلف الألوان.

ويُرجع العقاد أنَّ الفارق يعود إلى سببين؛ الأول منهما راجع إلى طبيعة الأمة، أمَّا الثاني فيعود إلى عراقة القصة في الآداب الهندية. ويفسر ذينك السببين إلى أنَّ الهند عبر تاريخها الطويل قد عالجت مشكلة الوجود العظمى، وجعلتها في الطليعة بين مسائل العقيدة، ومسائل المجتمع، ومسائل الحياة الفردية، ويرى أنَّ الهند قد طال عهدها بعلاج هذه المشكلة من الناحية الوجودية والاجتماعية، والحياة الخاصة حتى غلب طابعها على طابع تبرزه الصبغة المحلية، والصبغة الشخصية في كاتب من الكُتَّاب، أو أثر من أثر الكتابة [١].

في حين، يذهب العقاد إلى أنَّ أصدق ما يُقال عن بعض القصص الهندية أنَّها –مع إتقان الفن– قد أفلحت في تصوير جانبين مهمين؛ هما: تصوير النفس البشرية، وتصوير البيئة الهندية، معتبرًا أنَّها في أسلوب الأقصوصة تُجاري أحسن الأساليب المأثورة في الآداب العالمية، وهي بعد هذا صورة صادقة من واقع الهند، وفي نفس الإنسان[٢].

ويبدو أنَّ منهج العقاد يسير على ذات النسق؛ إلَّا أنَّ السؤال الجوهري هو: كيف صورت تلك القصص النفس البشرية، والبيئة الهندية؟، وهل العقاد يعتقد أنَّ فن القص عبارة عن نقل فوتوغرافي، أو صناعة واقع موازٍ؟

ولا يكاد موقف العقاد يختلف كثيرًا عمَّا سبق القول به حال النظر إلى مجمل قصص "جي دي موباسان"، حيث يُلاحظ في أثناء عرضه لحياة هذا القصَّاص، بالاعتقاد أنَّ حياته القصيرة قد هيأت له في نشأته، وأعماله، وهواياته؛ سُبل الاتصال بكل طائفة من طوائف قومه وغير قومه، من المترددين على باريس، أو على الشواطئ

(١) يُنظر: المرجع السابق، ٣٣٢.

(٢) يُنظر: المرجع السابق، ٣٣٦.

الفرنسية، أو ممَّن رآهم في رحلاته العارضة إلى البلاد الخارجية [١].

وهذه الحياة القصيرة -حسب رأى العقاد- تُعدُّ الذخيرة الوافية التي يحملها "موباسان"، فهي مَن يستمد منها وعيه المتيقظ المستوعب كل ما حشده في قصصه من الشخوص الحية التي يظهر بينها الفلَّاح، والصيَّاد، والسائس، والموظف، والرئيس، والنائب، والوزير، والقائد، والجندي، كما يظهر بينها مئات الشخوص من الرجال والنساء على اختلاف الأمزجة والأخلاق والمنازل الاجتماعية، والأفكار العامة والخاصة، وتتألَّف منها جميعًا "دنيا" عامرة يحسها القارئ كما يحسها في الدنيا التي يضطر فيها الأحياء، وتتمثَّل فيها الطبيعة البشرية على صورة "الحقيقة المتواضعة"، فلا تزويق فيها ولا مبالغة، ولا رأي فيها للكاتب غير الرأي الذي يراه الإنسان فيمن يعاشرهم من صحبه وعشرائه، بغير حاجة إلى التحليل والتفصيل، بل هي البداهة التي نلتقي بها من الطبيعة والحياة؛ وحي الخبرة، والعادة، والحس المطبوع [٢]. ومجمل تعويل العقاد يقوم على صوت المبدع، وحفاوته بالقاص "موباسان" حفاوةً بالفن الذي ينقض رأيه السابق.

ومن الملاحظ -أيضًا- أنَّ رأي العقاد لا يكاد يختلف كثيرًا فيما ذهب إليه حيال ما سمَّاه بـ"الوجهة الاجتماعية"[٣] التي يجدها فيما كتبه ديكنز في "أوليفر تويست"؛ إذ يرى أنَّ "ديكنز" كتبها في العصر الذي برزت فيه مشكلة الفقر، ومشكلة التطور في جميع أنحاء الحياة الإنجليزية، بل الأوروبية على جملتها، من اجتماعية أو سياسية أو فكرية، وعولجت هذه المشكلة باعتبارها حينًا مشكلة "الفائض" من نفايات السكان، وحينًا على اعتبارها مشكلة الحقوق الدستورية، وحينًا آخر على اعتبارها فرعًا من فروع قضية التطوير وتنازع البقاء، وحينًا غير هذا وذاك على اعتبارها مشكلة المال والعمل

(١) يُنظر: المرجع السابق، ٤٠٤.

(٢) يُنظر: المرجع السابق، ٤٠٥.

(٣) يُنظر: المرجع السابق، ٤١٧.

وتفسير التاريخ من الناحية الاقتصادية.

مع ذلك؛ يرى[١] أنَّ تطبيق هذه النظريات جميعًا يسفر عن سخافة كل فلسفة تهمل الحقائق الإنسانية، والعوامل النفسية، لتحصر مقادير الإنسان فردًا أو جماعةً في نظرية من نظريات الحساب والأرقام، أو نظريات الفروض والآراء، وهذه هي السخافة التي كاد ديكنز يسخر منها كلما سخر من الفلاسفة ودعاة الأخلاق والفضائل على الأوراق.

١–٣ أنواع ومقومات

كثيرًا ما يطلق العقاد في مقدِّماته على القصة القصيرة، مسمَّى "القصة الصغيرة"؛ إلَّا أنَّه لا يعدُّ أيَّ قصة من هذا النوع إلَّا خليقة أنْ تحسب من أعمال الفن والأدب؛ وفقًا لما أطلق عليه من تقسيمات[٢]، بحيث تتضمَّن القصة الشارحة، والقصة الواصفة، والقصة المحللة، وأخيرًا القصة المسجلة. وإذا لم تكن القصة الفنية بهذه التوصيف؛ فهي حكاية لا يجني منها القارئ غير إزجاء الفراغ.

وبناءً على ذلك؛ يسعى العقاد إلى تقديم مجموعة من المقوِّمات التي تقوم مقام البرهان على ما يستند إليه؛ فـ"القصة الشارحة" –كما يراها– هي التي تتناول فكرة معضلة لا تدرك إلَّا بالتعمق وإجهاد الذهن وإطالة الرؤية. وتعود نجاعة هذا النوع إلى ما يقوم به القاص من تعهُّد للعمل بالتبسيط والتقريب حتى تلوح للقارئ، وكأنَّها من المألوف في علاقات الناس اليومية، فيخف محملها على الذهن، وتعينه بعد ذلك على استكناه نظائره بصدق الملاحظة وحسن التخريج.

في حين يرى أنَّ "القصة الواصفة"؛ هي مَن تقوم مقام تصوير المناظر والعواصف تصويرًا يشترك فيه الحس والخيال، فتعرض على القارئ ألوانًا من جمال الطبيعة ودقائق الأطوار.

(١) يُنظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) يُنظر: المرجع السابق، ٩٦.

أمَّا ما سمَّاها بـ"القصة المحللة"، فتعود إلى أنْ ترد طبائع النفوس وأخلاقها إلى بواعثها وأسبابها على منوال تختفي فيه الدراسة، ويظهر فيه الأثر الفني والإلهام.

في مقابل ذلك؛ فإنَّ "القصة المسجلة" تضطلع بما يشبه الصور التي يلتقطها السائح في رحلاته من نماذج الوجوه، والبلدان، والمعامل، والعادات، بحيث يقوم القاص بتسجيل ما يراه، ويحفظه من الضياع.

وفي السياق ذاته، نلحظ أنَّ العقاد يقف موقف الإشادة بما تضمَّنته قصة "شعاب قلب" لنجيب الزحلاوي، وذلك في معرض نقداته لها(١)، وذلك بما عبرت عنه من أوصاف ملائمة لها، مع اشتمالها على البلاغة وحسن التمثيل، كقول القاص في لحظة انتظار: "تمضي الثواني والدقائق والساعات، بل العمر كله يمضي في طريق الزمن، والزمن لا ينفك منذ الأزل وسيبقى مدى الآباد يسير بنظام محكم الضبط، فعلام اختل اليوم نظامه، وهدأت دورته، وتركني وحدي أنا؟! أنا الشاذ المضطرب، الصاخب الهادئ، المفكر والمبلبل، أنا السعيد الحزين، والباكي الضاحك، علام تركني في أرض يلوح لي الآن أنَّها تدور دورة معكوسة؟!"..

ولعل المقتَبس السابق، يرينا مدى انشغال العقاد بفكرة اللغة الشاعرة، ورؤية مفكر يبحث عن فكرة وليس عن تقنية قص، كما يُلاحظ ذلك عندما يشي في أثناء مقدِّمته لقصة "في ربيع الحياة" لمحمد أحمد قمر، إلى أنَّ الحكاية القصصية ينبغي ألَّا تكون مجرد حكاية تروى للتسلية أو الاطلاع؛ بل ينبغي أنْ يكون في مضامين الحكاية ما يومئ إلى مكمن الداء، وإلى عقابيله المحذورة في حياة المجتمع، وحياة الآحاد(٢).

أمَّا من حيث الوجهة الفنية، فيرى العقاد أنَّ قصة "أوليفر تويست"، لـ "تشارلز ديكنز" تُعدُّ من بواكير الشباب، وإنْ كتبها قبل الخامسة والعشرين، ونشرها متسلسلة

(١) المرجع السابق، ١١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٣.

في صحيفة من صحف المتفرقات، وكان هذا التسلسل من الأسباب التي اضطرته إلى الإكثار من المفاجآت والمصادفات، ومن مواقف التشويق والتعليق ما بين نهايات الفصول المنشورة، وأوائل الفصول المنتظرة، وكانت غضارة الصِّبا –كما يصفها العقاد– أحد الدواعي الطبيعية لما تخللها من "العاطفيات" المعهودة في بواكير الشباب(١).

ومن هنا نلحظ أنَّ العقاد يدرك؛ ولكنَّه لا يحسن الوصف والتشخيص؛ لأنَّ "أوليفر تويست" رواية، وليست قصةً، الأمر الذي يمكن القول به: إنَّ مفهوم القصة عند العقاد لم يكن واضحًا؛ فكثيرًا ما يقع الخلط ما بين الحكاية، والأقصوصة، والقصة القصيرة التي يسمِّيها القصة الصغيرة، والرواية(٢).

ومع عناية العقاد بموضوع القصة؛ إلَّا أنَّه في المقابل يولي جمال التعبير، وحسن التمثيل عناية أكثر، كما لُوحظ في مقدِّمته لقصة "في ربيع الحياة"؛ حينما أكد أنَّ "القصة فن من الفنون الجميلة، وكل فن من الفنون الجميلة فهو في لبابه تعبير وتأثير، وليس جمال التعبير زينة في القصة وكفى؛ لأنَّه بلاغة كما يُسمَّى في العرف الشائع، وليست البلاغة في لفظها ومعناها إلَّا إبلاغًا للتأثير(٣) إلى حيث ينبغي أنْ يبلغ من الحسن أو من الخيال"(٤).

في هذا السياق، يشير(٥) إلى أنَّ هناك مختارات نثرية بليغة تظهر في اللغات الأوروبية فصولًا من القصص، أو نبذًا من مواضع الوصف فيها، وهو ما يُعدُّ نموذجًا للبلاغة النثرية في تلك اللغات، ولا يمنعها، مع ذلك أنْ ترتقي إلى الذروة في فن القصة

(١) المرجع السابق، ص ٤١٦.

(٢) يُنظر: العقاد، "ألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي"، ١٥، وما بعدها.

(٣) البلاغة ليست إبلاغًا؛ بل بلوغًا للتأثير.

(٤) يُنظر: قايد، "مقدِّمات العقاد"، ١٤٤.

(٥) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

من حيث الموضوع والتركيب.

المحور الثاني: تجليات القصة بين الواقعية والإنسانية

٢–١ الواقعية: نماذج حياتية. وجوانب نفسية

يعمد العقاد في بعض مقدِّماته للغير إلى التعرُّض لفحوى بعض القصص، والتعريف بمحتواها، والإشارة حينًا إلى ما تضمَّنته من نماذج حياتيه ترتبط بالواقع، مع شيء من الجوانب النفسانية لبعض شخوص تلك القصص، ومن ذلك –مثلًا– حينما يضرب العقاد بنموذج على ما احتوته مجموعة عبدالله حبيب المعنونة بـ"المغفل وقصص أخرى"، باعتبارها تحتوي على قصص "مسجلة"، وأخرى "واصفة"، إذ يراها من طراز جميل يضاهي أشباهه في قصص أشهر الكُتَّاب الغربيين، ومن ذلك –أيضًا– ما نتلمسه في قصة "الشيخ عبدالله"؛ نظرًا لما تحفظه من نماذج الحياة الأزهرية، ويكاد ينسحب الأمر –أيضًا– على قصص "الشحاذ الأعمى"، و"السارق"، و"مجنون ليلى السوداني"، و"مملكة الدراويش"؛ نظير ما فيها من تسجيل، ووصف لحالات اجتماعية، أو خلقية يزخر بها طلاب الملاحظات والمأثورات(١).

حينما قدَّم العقاد عرضًا موجزًا لبعض القصص الهندية، كما في قصة "ثمن السعادة"، أشار إلى أنَّ الكاتب يسلم بطلته للغواية السهلة، فتترك زوجها ويتركها بغير داعٍ ذي بال يفرض عليهما ضرورة الانفصال، ولكنَّهما إذا عادا إلى اللقاء كان هو ضريرًا لا يطلبها ولا يبحث عنها، وكانت هي امرأة مطرودة مشردة يوشك أنْ يصيبها الندم بجنون لا يشفى، فتعود إليه راضية بجزاء العطف عليه والتكفير عن هجرته بالسهر على خدمته، ويتقبلها هو إشفاقًا عليها من دنس الابتذال وبلاء الجنون(٢).

وبالنهج ذاته، دون تسمية القصة، يجري كاتب القصة مع الواقع، فيرينا –كما يصف

(١) يُنظر: المرجع السابق، ٩٦.

(٢) المرجع السابق، ٣٣٤.

العقاد–[١] أنَّ الطفل الذي نلقبه بالملك الطاهر قد يسرق، وأنَّ طفلًا مثله نلقبه بالملك الطاهر قد يقسو ويلعب بالقسوة، وإنَّ الحسان "الملائكيات" قد يقع بينهن من الغدر والمكيدة ما يغبطهن عليه الشيطان. ولكن هذا الكاتب الممعن في الواقعية يرينا الواقع كما هو، ولا يرينا إياه شرًّا محضًا، ولا ألما صرفًا، ولا ظلمًا مستعصيًا على الإنصاف.

والعقاد كثيرًا ما يحفل بالواقعية التسجيلية، وكأنَّ القص مجرد تصوير فوتوغرافي للواقع وليس صناعة واقع موازٍ له.

في حين يقدِّم العقاد خلاصة مطولة لقصة "صديقنا المشترك"، لتشارلز ديكنز[٢]، تدور حول رجلٍ يُسمَّى هارمون، وكان له ولد وحيد سمَّاه جون، ولم يرضَ عن مسلكه حين بلغ الشباب، فأقصاه عنه، وكتب وصيته عنه، فأعطى فيها جزءًا من ثروته لخادمه بوفن، واشترط لتوريث ولده الغائب أنْ يتزوج من بنت كانت عند وفاته طفلة في الرابعة أو الخامسة، فإذا أبى الزواج منها، أو قضى نحبه في غيبته آل الميراث كله إلى الخادم بغير شريك.

وعلى مدى أكثر من ثلاث صفحات، يعرض العقاد ملخصًا لفحوى الرواية، ثم يعقبه بالتأكيد: "كل هذه المصادفات، لا تعدو أنْ تكون حيلةً من حيل التأليف في دور من أدوار الضعف وكساد القريحة، يلجأ إليها لتركيب جثمان القصة، وربط العلاقة بين حوادثها، ومواقف أبطالها وبطلاتها؛ ولكنَّ القصة فيما عدا ذلك آية من آيات ديكنز في وصف الطبيعة البشرية"[٣].

فالعقاد بهذا يعيب ما تحمله الرواية من المصادفات، ويعيب ما فيها من حيل التأليف، وكساد القريحة، في مقابل تلك الإشادة في وصف الطبيعة البشرية، فكأنَّه يرى أنَّ الثيمة التي تتضمَّنها الرواية تشكَّل ملمحًا متميزًا؛ ولكنَّ العرض جمع ما بين الضعف

(١) يُنظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) يُنظر: المرجع السابق، ٣٨٠.

(٣) يُنظر: المرجع السابق، ٣٨٢.

والترهل؛ ومع ذلك فالعقاد كثيرًا ما يخلط بين مفهوم القصة، والقصة الطويلة، والرواية، وذلك حسب قوله: "كان ديكنز يقول بعد شروعه في كتابة هذه القصة الطويلة.."[١]، ثم يقول بعد سطر واحد: "فهذه الرواية صدرت"[٢].

وعلى الرؤية ذاتها، نجد العقاد يعرض في مقدِّمته للمجموعة المعنونة بـ"الفرد والمجتمع" من ترجمة كامل عطا[٣]، وذلك في سياق عرضه لمجموعة من القصص لكل من الكاتب الفرنسي مارسيل بروست "ذكريات الماضي"، والكاتب الروسي دستيفسكي "الجريمة والعقاب"، مشيرًا إلى أنَّ بطل الجريمة والعقاب -مثلًا- ناشئ مختل النفس، يعيش في بيئة تزيد من اختلال العيش، واختلال التفكير، ويدركه العطف في بساطته البريئة فيلتمس فيه عوضًا نافعًا يصلح له ما أفسده داء الجسم، وداء النفس، وداء المجتمع الذي جنى عليه وارتكب فيه الجناية.

ويعلِّق العقاد بالقول: "وهذه الطفولة المنوَّعة في معارضها المتعدِّدة وفي أساليب عرضها المشوِّقة زادٌ حسنٌ لقراءة المتعة، وقراءة الفائدة، قد تنفع الكبير فيما يعلمه عن نفسه ويود أنْ يعلمه عن الإنسان الصغير"[٤].

وينحو العقاد ذلك المنحى، حينما عرضه لتشارلز ديكنز في "أولفر تويست"[٥]، فتويست هو اسم طفل لقيط، ولد في قرية تبعد عن لندن شمالًا بنحو خمسة وسبعين ميلًا، وماتت أمه على أثر ولادته، وأطلق عليه ساعي الملجأ الذي نشأ فيه اسم "تويست" على حساب المصادفة التي اتفقت له يوم وصوله إلى الملجأ، إذ كان من عادة

(١) يُنظر: المرجع السابق، ٣٧٩.
(٢) يُنظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٣) يُنظر: المرجع السابق، ٤١٢.
(٤) المرجع السابق، ٤١٢.
(٥) المرجع السابق، ٤١٦.

الساعي الذي يوكل إليه تسليم اللقطاء أنْ يخصص حرفًا من الحروف الأبجدية لكل يوم من أيام الأسبوع، وكان حرف التاء هو حرف ذلك اليوم، فسمَّاه باسم يبدأ بالتاء، وهو اسم تويست، وهكذا تبدأ سلسلة المصادفات التي صحبت هذا الطفل في كل مرحلة من مراحل حياته.

وعلى امتداد ثلاث صفحات ونصف، هي الخلاصة التي أبان فيها العقاد عن أحداث تلك المصادفات، مشيرًا إلى أنَّ ما عداها آية من آيات الفن الرائع في تصوير الشخوص، ووصف الحياة الاجتماعية بين الحاضرة والريف بكل ما اشتملت عليه من أخلاق وعادات، ومن عوارض الزمن ولوازم الطبيعة البشرية، وهو بهذا يرى أنَّ الاستطراد في سرد المصادفات لا قيمة له، فهو بهذا يعزِّز من القيمة البلاغية للنص.

٢–٢ البناء القصصي

يحتفي العقاد في مقدِّماته الغيرية لبعض القصص بالأساليب الفنية، التي تُعدُّ ركنًا جوهريًّا في بناء القصة الفنية، وإنْ بدا ذلك الاحتفاء متفاوتًا بين التوسع والإطناب، إلى الإيجاز والاقتضاب.

ففي مقدِّمته للمجموعة القصصية "شعاب قلب" لـ"حبيب الزحلاوي" –مثلًا– يلاحظ أنَّ هناك توسعًا لافتًا بالإشارة إلى ما تضمَّنته المجموعة من توخي كاتبها لأساليب شتى في سرد الوقائع والأحداث وإبلاغها إلى نفس القارئ، مشيدًا بجميع الأساليب، خاصةً فيما يتصل بعملية التشويق التي ينبغي أنْ يكون غرضًا من أوائل أغراض الكتابة القصصية[١].

وحين يشيد العقاد بالتشويق في القص؛ إلَّا أنَّه في المقابل يعرض بالانتقاد بما سمَّاهم بـ"متحذلقة العصر"[٢] الذين ينكرون التشويق ويعجزون عنه، كأنَّما تنفير القارئ

(١) المرجع السابق، ١١٧.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

غرض من الأغراض في اعتقادهم، يقابل الترغيب فيما اتفق عليه القصَّاصون والكُتَّاب.

وذلك الرأي الذي يطلقه العقاد، يؤكده في سياق مقدِّمته لقصة "في ربيع الحياة"، وإنْ كانت بعبارة أخرى، معتبرًا النمط الذي سار عليه القاص محمد قمر في بناء أحداث القصة وسرد وقائعها بأنَّه نمط أميل إلى الأسلوب الواقعي المقرر؛ لأنَّه يصف ما يراه ويحسه ويتعقله؛ متخذًا الربط بين تخصص القاص، وعمله القصصي سبيلًا نحو الإجادة وحسن الأداة في سرد الأحداث والوقائع(١).

وبهذا فالعقاد يبرهن على أنَّ الوعي الثقافي، أو المجال الثقافي لكاتب القصة، مدعاة إلى استثماره في بناء القصة الفنية، باعتباره سبيلًا نحو الإحكام والاتقان؛ فضلًا سيرورة سرد الأحداث وبناء الوقائع.

ولذلك؛ ربط العقاد ما بين تخصص القاص محمد قمر بدراسته الرياضية من جانب، وحسن تقسيمه وتقديره من جانب آخر، الأمر الذي أدى بالعقاد إلى القول بأنَّه يكتب بحساب، ويختصر بحساب؛ ولكنَّه لا يجور بحسابه على ناحية الشعور، ولا ناحية الخيال؛ لأنَّ الفرض الرياضي والخيال الشعري قد يتلاقيان ولا يتناقضان(٢).

مع ذلك؛ نُلاحظ أنَّه يشير إلى أنَّ من الجائز في بعض الوقائع المشاهدة أنْ نقول عنها: إنَّها غريبة نادرة، وأنَّها لا تجري مع المألوف في جميع الأحوال. كما أنَّه من الجائز -أيضًا- أنْ يُقال عن القصة المؤلَّفة: إنَّها خضعت لمشيئة المؤلِّف، في محاولة منه للتأثير والإقناع، وأنَّه قد احتال على الحادثة حتى جرت على هواه وفقًا لما ارتآه(٣).

ويؤيد العقاد رأيه، مع الاستدراك المشروط؛ حينما قال: "إذا كان لا بد من هذا في كل تأليف، فإنَّه لخير مئة مرة أنْ يحتال المؤلِّف ما في الحياة من الجد، والخير، والمعنى،

(١) المرجع السابق، ١٤٣.

(٢) المرجع السابق، ١٤٣-١٤٤.

(٣) يُنظر إلى رأيه في أقاصيص من الهند، ترجمة خليل برجس خليل، قايد "مقدِّمات العقاد"، ٣٣١.

ولا يحتال مثل هذا الاحتيال لتجريدها من كل جد وكل خير ومن كل معنى، وإبرازها في صورة التفاهة والفهاهة لا يصدقها إلَّا من يريد تصديقها، وكذلك يفعل الكثيرون من كُتَّاب الغرب في هذا الأيام"(١).

ووفقًا لذلك المقتبس، نُلاحظ أنَّ العقاد يولي عناية كبيرة بوظيفة القاص، بحيث تقوم على نشر الحق، والخير، والجمال.

وفي موضع آخر، يصف العقاد الأسلوب الذي اتبعه "جي دي موباسان" بالمعجزة، باعتباره يمتلك القارئ بتفصيلاته، كما يملكه بالحادثة "المهمة" التي يُقال عنها: إنَّها بيت القصيد في القصة العرضية، فيكاد القارئ يأسف لانتقال الحديث من الاستطراد إلى بيت القصيد المطلوب، ولا يستطيع أنْ يقول لنفسه إذا عاود قراءة القصة: هل هو يعيدها للوصول مرة أخرى إلى الخاتمة، أو لعبور الطريق إليها بين الوصف والتمهيد والاستطراد؟(٢). وهو بهذا يحفل بفكرة التوزان ما بين الحبك والسبك؛ لأنَّ نجاح القاص مرهون بتجاوز الحشو والتطويل، مع القدرة على إحكام بناء القصة، إذا اجتمع مع المضمون الهادف، وهنا يتحقق الإبداع.

في مقابل ذلك، نلحظ أنَّ العقاد عندما كتب عن مجموعة قصص لـ"أوهنري"، نجده يرد على قول بعض النقاد: إنَّ أوهنري قديم؛ لأنَّه يتكلف الخواتيم المحكمة، ويحسبون أنَّ الخاتمة المحكمة مصطنعة متكلفة على أية حال؛ على اعتبار أنَّ حوادث الحياة اليومية لا تنتهي تلك النهاية المنتظمة في جميع الظروف، والواقع –كما يرى العقاد– أنَّ خواتيم أوهنري محكمة في إيجازه وإسهابه عند الاستطراد مع النادرة الصغيرة إلى السلسة المتتابعة؛ ولكنَّه لا يحكم الخواتيم وحدها دون المطالع والبدايات، وقد سرد بعض المعجبين به أمثلة من أوائل قصصه يقل مثيلها بين قصص الفحول في براعة

(١) قايد، "مقدمات العقاد"، ٣٣٧.

(٢) المرجع السابق، ٤٠٥.

الاستهلال[١]. وبهذا يتَّضح أنَّ للعقاد فهمه الخاص حول فكرة الاسترسال والطبع، يخالف بها غيره من النقاد.

ويدافع العقاد عن أوهنري حينما ربط بين كتاباته والسياق الطبيعي على رأي دعاة مدرسة "العفو وقلة المبالاة"؛ معتقدًا أنَّ الكاتب المقتدر على حسن الاستهلال، وحسن الختام يتكلَّف إذا اجتنب القصة المحبوكة الأطراف ليُقال إنَّه مسترسل مطبوع، وإنَّه إذا عمد إلى الحادثة الطبيعية، وأحسن بدايتها وختامها، فذلك إتقان في الصناعة لا يخل بصدق الطبيعة، ولا بصدق التمثيل لحقائق الحياة، فإنَّ القافية المحكمة في موضعها لا تقدح في طبع الشاعر ولا في عبقريته الصادقة، ولكنَّها قدرة فنية يعجز عنها غيره، ولا يطالب هو بمجاراة العجزة فيما يقدر عليه[٢].

٢-٣ الصدق الفني

يرى العقاد أنَّ الصدق هو جوهر الجمال، وأُس البلاغة، وقوام الذوق السليم، (...) وأنَّ صدق الكتابة هو النفاذ إلى روح الموضوع، والإحاطة بأصوله ومقوِّماته[٣].

وقد تناول العقاد قضية الصدق الفني؛ وفقًا لفلسفته في الجمال؛ حيث ناقش مفهوم الصدق والأخلاق، والصدق والجمال، والمبالغة والصدق في منهج جمع ما بين النظرية والتطبيق[٤]، وهذا الصدق يتطلَّب الأداء الجميل الحكيم[٥].

وقد عبَّر العقاد عن رأيه في العمل الفني الأصيل بأنَّه خلق إبداعي ينبع من أعماق

(١) المرجع السابق، ٤٤٥.

(٢) المرجع السابق، ٤٤٨.

(٣) عباس محمد العقاد، "ساعات بين الكتب العقاد"، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٩١م)، ٧٠-٧١.

(٤) عطية علي عطية حنفي، "الصدق الفني عند العقاد"، *مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ١٨، (١٩٩٨م): ٢٢٩.*

(٥) بدر الدين أبو غازي، "الفن في عالمنا"، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٥م)، ٧٩.

الذات الإنسانية، ويعبّر في صدق وإخلاص عن روح الفنان، والصدق الفني في جوهره هو آية الشاعرية الأولى(١).

وتأسيسًا على ذلك؛ فإنَّ الصدق الفني يُعدُّ من أبرز القضايا التي اعتنى بها العقاد في مقدِّماته الغيرية، مؤكدًا أنَّ كل صدق فني يعطينا معرفة فنية نفسية، ويخلق في وجداننا وخيالنا حركة جائشة، وكلاهما زاد لا غنى عنه في عمل من أعمال الحياة، أو قوة من قوى الأخلاق.

يشير العقاد إلى أنَّ المعرفة النفسية، والحركة الجياشة في الوجدان والخيال، تُعدُّ من الصدق الفني، وبغير هذين لا يفلح عمل، ولا يشعر صاحب إحساس.

ويعير العقاد اهتمامًا بالغًا بما يُسمَّى الخيال والتفلسف، وتحليل الشخصية حتى غدت سمة بارزة في نقداته للمقدِّمات القصصية؛ فإذا قال ناقد الأدب عن مؤلِّفي القصص القصار: إنَّه لا يتفلسف، ولا يتخيل ولا يكثر من تحليل الشخصيات فليس بأديب أو فنان.

وفي هذا السياق يطرح العقاد سؤالًا منتظرًا يسبق إلى ألسنة الكثيرين:

كيف إذن يجيد كتابة القصة القصيرة؟، أو يجيد الكتابة الفنية على إطلاقها، وهو لا يتفلسف، ولا يتخيل، ولا يبالي أنْ يحلل "الشخصيات" القصصية؟

وعطفًا على تلك الرؤية، يُلاحظ أنَّ العقاد يشي بامتياز إلى ما يمتلكه القاص الفرنسي جي دي موباسان من ملكة الخيال؛ فضلًا عن استخلاص الفكرة من الحادثة، كما يصنع الرواة المتفلسفون، وليس الكُتَّاب المحلِّلون بأقدر منه على تصوير الشخصيات، وعلى الصدق في نقلها من الحياة والطبيعة وموافقتها لمذاهب العلماء النفسانيين(٢).

(١) حنفي، "الصدق الفني عند العقاد"، ٢٢٩.

(٢) قايد، "مقدِّمات العقاد"، ٤٠٣.

ويؤكد العقاد أنَّ "موباسان" لديه قدرة في أنْ يخلق الحوادث، ويفكر فيها، ويرسم الرجال والنساء الذين يشتركون فيها رسمًا يرتضيه الباحث النفساني، ويجعله نموذجًا له في دراساته كنماذج الحياة المنقولة عن الطبيعة بغير تشويه أو تهويل(١).

بهذه النظرة؛ نجد العقاد يصف "موباسان" بامتلاك القدرة على خلق شخوصه، كما يجد خلق حوادثه في الأقاصيص التي يرضي بها نزعة العصر في أخبار الجريمة، وأحاديث الروع والفزع، فلا يحس القارئ أنَّ هناك خيالًا يعمل لتلفيق الحوادث والصور الإنسانية التي تلائم وقائع الإجرام والانحراف؛ في مقابل ذلك يرى العقاد أنَّ موباسان لم ينتقل من دنياه إلى دنيا المؤلِّفين والمتخيلين؛ لأنَّ أسلوبه يخلق ولا يتكلف، ويعطي ما أخذ من الحياة بغير زيادة ولا اقتضاب(٢).

فالصدق الفني الذي يقول به العقاد عن موباسان، يمكن ملاحظته -أيضًا- حينما وصف ما تضمَّنته قصة "رقيق الأرض" لنظمي لوفا، من صدق فني منزَّه من الأغراض، مع التفريق ما بين الصدق المنزَّه من الأغراض، والصدق الذي ينتهي إلى غرض، أو لا يؤدي إلى نتيجة(٣).

ولتجلية ذلك؛ نرى العقاد يقف عند ما سمَّاه بالقصة الواقعية حينما قال: "أمَّا القصة الواقعية التي يسميها بعضهم بـ"القصة الفنية الصادقة"، ويحسبها مسخرة لخدمة هذا المذهب الاجتماعي أو ذاك"(٤)، ويُعدُّ هذا النوع من القصص ليس من الفن، ولا من الصدق في شيء؛ لأنَّه يعتبره "خديعة" لتسخير القارئ في خدمة عقيدة القاص

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٢) المرجع السابق، ٤٠٥.
(٣) المرجع السابق، ١٣٧.
(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ودعواه[١].

يفسِّر العقاد هذا النوع من الفن بالقول: "خديعة لا شك فيها؛ إذ نحن لا نعرف من الناس طائفة كلها خير، أو طائفة كلها شر، ولا نعرف من الناس جماعة كلها إنصاف أو جماعة كلها ظلم، وما من طائفة أو جماعة يروى عنها ما يثبت فسادها إلَّا أمكنك أنْ تروي عنها كذلك ما يثبت صلاحها، فإذا قصر الكاتب وصفه على الجانب الذي يزري بها، ويدعو إلى محاربتها، أو قصر وصفه على الجانب الذي يرفع شأنها، ويدعو إلى مؤازرتها، فهو خادع يحجب بعض الحقيقة لغرض في نفسه، ولن يكون الخداع قرينًا للصدق في عالم الفن ولا في عالم الأخلاق"[٢].

ولتعزيز رُؤيته؛ يذهب إلى أنَّ كل شخصية من شخصيات "رفيق الأرض" تُعدُّ أنموذجًا للصدق الفني، على اعتبار أنَّك واجدٌ لها نظيرًا في بيئة من البيئات، وكل حادثة من حوادثها فمن الجائز جدًّا أنْ يصادفها القارئ في تجاربه الفنية.

ويستدرك العقاد بالقول: "وإنَّما يربطها الكاتب برباط الفن؛ فإذا هي وحدة حية معروضة في نطاقها المحدود، ماثلة أمام القارئ بغير افتئات على فكرة أو على شعور أو على هواء"[٣].

ويربط العقاد بين الصدق الفني، وأثر الاستعداد لفن القصة، وما يتعلق بأدوات القاص، وهذا ما نُلاحظه في نقداته لقصة "في ربيع الحياة" لمحمد قمر، فـ"دقة الملاحظة" تُعدُّ من أبرز تلك الأدوات، ولا سيَّما في المواقف النفسية، فلا تفوت القاص التفاتة نفسية في موضع من مواضعها، من حيث يبدو عليه أنَّه يتعمل لإقحام التحليل النفساني في غير حاجة إليه، بل يشعر القارئ كأنَّه يتوقع تلك اللفتة في موضعها، وكأنَّها لازمة

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) المرجع السابق، ١٣٨.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

من لوازم السياق في سرد الحوادث والتعقيب عليها.

فإذا كان العقاد يعدُّ "دقة الملاحظة" من أبرز أدوات القاص؛ فإنَّ حُسن الترتيب، أو حُسن الملاحظة بين الحوادث، تُعدُّ هي الأخرى أداة من تلك الأدوات، بحيث يبدو على القاص أنَّه يتعمل للتشويق، أو أنَّه يخطئ في إهمال التشويق.

وفي هذا السياق، يربط العقاد بين ما تتضمَّنه "في ربيع الحياة" من صدق فني، وما تحمله من أطوار متعدِّدة ترتبط عادة بالشخصيات القصصية، كما يلاحظ في قوله: "فليس في قصته هذه حالة لا تقع في حياتنا المصرية المعهودة، سواء نظرنا إليها من الوجهة الخلقية، أو من الوجهة الاجتماعية، أو من وجهة التقاليد الموروثة التي بطلت مسوغاتها في أحوال المجتمع الحديث"(١).

فإذا كان العقاد يعدُّ "موباسان" من أصحاب الملكات، وتعدُّد الأدوات، كملكة الخيال، واستخلاص الفكرة، وتحليل الشخصيات؛ فإنَّه في المقابل يستدرك بالقول: "ولكن هذه الملكات كانت أدوات صغرى، ولم تكن أداته الكبرى التي يملك بها زمام القصة القصيرة، واستحق بها أنْ يُسمَّى سيِّد كُتَّابها، أو يتقدَّم إلى الطليعة بين الأوائل الممتازين من أولئك الكُتَّاب(٢).

وهذه الأداة "الكبرى" التي يصف العقاد بها ملكات "موباسان"، تعود إلى ما سمَّاه بـ"الحس الصادق الواعي المحيط"، باعتباره التعبير بالكلمة المحكمة، والتفصيل والوافي؛ ولكنَّه مبرأ من الفضول(٣).

ويسير العقاد على هذا النهج حينما يصف كتابات رنج لاردنر القصصية باعتبارها تحمل طوابع نشأته على تتابع أطوارها، فعليها -أولًا- طابع الصحة الحسابية

(١) المرجع السابق، ١٤٣.

(٢) المرجع السابق، ٤٠٣.

(٣) المرجع السابق، ٤-٤.

والدقة الآلية من أثر التربية الهندسية أو الصناعية الأولى. وعليها –ثانيًا– طابع التبليغ الصحفي الذي يتهم أصحابه بأسلوب التشويق والتهويل، وإشباع رغبة التطلُّع والفضول، ويبحثون عن الأسرار والفضائح التي تصلح للثرثرة الاجتماعية وتشغل الفراغ الأكبر من صحف الأخبار وأبواب القصص والتبليغات "الشخصية". وعلى كتابته – ثالثًا– طابع السرعة التي لا بد منها لنقل حوادث الرياضة ومفاجآتها، ومنها ما ينقل من ميدان اللعب، أو ينقل برسومه ومواقعه على حسب حركات الميدان، وما يتعاورها من أدوار الكر والفر والهجوم والدفاع(١).

وممَّا يميِّز كتابات رنج لاردنر القصصية أنَّها تحمل طابع الرياضة، وأبرز ما فيها نبذ التكلف، وتعود الصراحة في الأمور التي درج الناس في عصر "الجنتلمان" على كتمانها والإغضاء عنها، وافتراض الجهل بها أو تجاهلها، واستباحة النفاق والروغان عند الإشارة إلى أحداثها(٢).

٢–٤ مكونات الشخصية

كثيرًا ما يربط العقاد في بعض مقدِّماته الغيرية، بين أحداث القصة، ووقائعها، وأبطالها بالجوانب النفسية، والشخصية الإنسانية، والمشكلات الاجتماعية، وما يتخللها من صراع بين الخير والشر.

ففي معرض ما كتبه العقاد من مقدِّمة لترجمة "أقاصيص من الهند" لخليل جرجس خليل نُلاحظ أنَّه يؤكد أنَّ كل تلك القصص كان يكفي القارئ منها –حسب قواعد هذا الفن– أنْ يلمح على جناح السرعة وجهًا مخططًا في موقف من المواقف العاجلة، فلا يميزه بشخصية مستقلة، ولا يربطه بمشكلة من المشكلات الاجتماعية، أو مشكلات

(١) المرجع السابق، ٦٢٤.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الوجود العظمى التي نحسبها من مشكلات الإنسانية الخالدة[١].

ويشير العقاد إلى أنَّك عندما تقرأ أمثال "أقاصيص من الهند"، تعرف شخصية إنسانية، مميزة بملامحها الواضحة، غير مقصورة على الخطوط الغامضة في زحام الصورة والأشباح، وتقرأها فتلم منها بمشكلة اجتماعية من مشكلات الأسرة، أو مشكلات الرزق، أو مشكلات الاختلاف بين العرف القديم ومطالب العصر الحديث، وقد تقرأها فتلم بجانب من الصراع الدائم بين الخير والشر، أو بين الشرف والنذالة، أو التدبير والمصادفة في تسيير مقادير الأحياء[٢].

وقد يرد على الخاطر -كما يصف العقاد- أنَّ هذه المشكلات النفسية أو الاجتماعية تقحم على القصة إقحامًا لا يجيزه سياق الحادث، ولا حكم الفن في موضوع هذه الأقاصيص الصغار، إلَّا أنَّ الواقع أيضًا أنَّك تقرأ الأقصوصة فلا تلمح فيها إقحامًا ولا اعتسافًا لحادث من الحوادث، ولا لعظة من العظات، بل تعرف الحادث من سياق الحوار أو من إشارات الحديث، التي تغنيك إجادة الكاتب في حبك القصة عن فضول القول أو عن تكلف العظة والاعتبار في موضعه، وتحب أنْ تحاسبه على شيء من مخالفة الواقع في سبيل الموعظة أو في سبيل التأثير والتهويل فلا تستطيع؛ لأنَّ الواقع الذي نشاهده أمامنا يرينا الكثير من أمثال هذه الحوادث، خالصًا في لبابها من وشوائب التأليف أو شوائب التلفيق والتكليف[٣]، وهو بهذا يرى أنَّ الارتباط بالواقع سمة من سمات جماليات النص القصصي.

ويقف العقاد في معرض حديثه عن "أوليفر تويست"، للقاص تشارلز ديكنز أمام هذا العمل وقفات جمعت بين الفنية، والاجتماعية، والإنسانية، إلَّا أنَّه يعتبر الوجهة

(١) المرجع السابق، ٣٣٣.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، ٣٣٦.

الإنسانية هي الوجهة التي تبادر القارئ من كل صفحة كتبها هذا الكاتب العظيم – حسب وصفه– منذ بدأ حياته القلمية إلى أنْ ختمها قبل ختام حياته.

ويدافع العقاد عن هذا الكاتب بالقول: "فليس في وسع قارئ أنْ يحسب على ديكنز شعورًا يلحق بطائفة من طوائف بني الإنسان وينفيه من طائفة أخرى، وليست له زمرة يخصها بالحب أو زمرة بالنقمة، وليست ظنونه الحسنة أو السيئة وقفًا على إنسان؛ لأنَّه فقير معطوف عليه، أو وقفًا على إنسان آخر؛ لأنَّه غني محسود، ولكن الإنسانية عنده أسرة واحدة موزعة المحاسن والعيوب، وأهل للثقة في مواضعها وأهل للريبة في مواضعها، حيث تقضي الحقيقة والعطف السليم، ولا يزال للخير عنده موضعه من الدنيا ومن النفس البشرية، قد تحجبه حادثة من الحوادث أو حين من الأحيان، ولكنَّه لن يحتجب على مدى الحوادث في كل زمان ومكان"(١).

ويكاد العقاد يسير على هذا النهج خاصة حينما يربط بين أعمال الكاتب الفنية، وما يتعلَّق بها من جوانب إنسانية، بحيث تبرز في رجال ديكنز ونسائه وأطفاله، وبين أغنيائه وفقرائه، حتى يلقاهم كاتب الروس لقاء الصديق للصديق بعد انقضاء جيل، وعلى مسافة الألوف من الأميال(٢).

وعلى هذا الرأي تقريبًا، نلحظ أنَّ العقاد في مقدِّمته لمجموعة قصص لـ "أوهنري" يصف الكاتب بأنَّه في موسمه الآن، حينما كان في موسمه عند نهاية القرن التاسع عشر أو عند بداية القرن العشرين؛ لأنَّه ينقل عن الطبيعة التي لا تختفي تحت عنوان من العناوين، ولأنَّه كان يستطيع أنْ يكتفي بنموذج الطبيعة كلما روى عن شخصه وعن البيئة التي تقلب فيها ولم يبتعد منها طوال حياته(٣).

(١) المرجع السابق، ٤١٧-٤١٨.

(٢) المرجع السابق، ٤١٨.

(٣) المرجع السابق، ٤٤٦.

أمَّا لماذا؟؛ فلأنَّ العقاد يرى أنَّ أبطال "أوهنري" وبطلاته جميعًا هم من جمهرة المغامرين، والمتشردين، والناجحين، وغير الناجحين؛ ومنهم الباعة الجوَّالون، وبائعات الدكاكين، ومنهم الأفاقون المحتالون، وأصحاب الملايين البارزون، ومنهم من يظلم المجتمع، أو يظلمه المجتمع، أو يظلم نفسه باختياره ولا يبالي أنْ يعرف مكانه القانوني باصطلاح الساسة والاجتماعيين(١).

ويضيف العقاد، ولقد عرف هؤلاء جميعًا بعمله ومعيشته وحُسن حظه وسوء حظه على السواء؛ لأنَّه كان من سوء حظه وحسن حظه معًا أنْ عاش بين السجناء ثلاث سنوات، وتلك توفيقة من توفيقات الحظ الحسن للمؤلِّف الذي يكتب عن المشردين وطرداء القانون وظلمة المجتمع وظلمه(٢).

٢-٥ أثر البيئة

درج العقاد في مقدِّماته الغيرية على تقديم فكرة عامة عن حياة بعض كُتَّاب القصة الذين تناول أعمالهم القصصية، بدءًا من تاريخ الولادة، مرورًا بأثر البيئة في أعمالهم القصصية، الأمر الذي غدت بعض كتاباتهم مرآة لحياتهم الاجتماعية، والنفسية، والفكرية، كما لُوحظ -على سبيل المثال- في مقدِّمته لقصص موباسان، ومارسيل بروست، و أوهنري، وبرنج لارندر.

ففي مقدِّمته لـ"قصص القصيرة" لموباسان، نلحظ اهتمام العقاد بإعطاء فكرة عامة عن حياة الكاتب، نظرًا لأثرها على نتاجه الأدبي، يقول العقاد: "نشأ موباسان في أسرة عريقة تقلبت بها أحوال الثورات والفتن التي عمت البلاد قبل القرن التاسع عشر، فصارت إلى حال من الكفاف لا تغنيها عن طلب الرزق بعمل من أعمال الوظيفة أو الصناعة، وتربى في إقليم نورماندي من ريف فرنسا، وعاش هناك بين

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) المرجع السابق، ٤٤٦.

الفلاحين والملاحين، وعاشر الفقراء والنبلاء من أبناء الإقليم، فاشترك في هويات هؤلاء وهؤلاء، من رياضة الفروسية، إلى ملاحقة الزوارق، إلى ملاهي الصيد في البر والبحر، مع إحكام الرماية بالليل والنهار وفي السهول والوعور"(١).

ويشير العقاد إلى مشاركة موباسان في حرب السبعين، وهو ينتظم في سلك الجندية، ومنها إلى التماس الرزق بعمل من الأعمال، فتولى وظيفة كتابية حسنة بوزارة البحرية، ثم بوزارة التربية والتعليم، ثم اعتزل وظائف الدواوين. وشرع في كتابة القصة ونظم الشعر وهو في نحو الثلاثين، وألَّف القصص الطوال، كما ألَّف القصص القصار، ولكنَّه امتاز بالقصة القصيرة فغلبت عليه شهرتها، ولولا مقابلة النقاد بين مطولاته وبين قصصه القصار التي تُعدُّ بالمئات لكان من أعلام القصة الطويلة في العالم، وإنْ لم يبلغ فيها مبلغ النخبة الممتازين(٢).

وبتلك الأسطر، يرى العقاد أنَّه في هذا الوعي المحيط وجدت هذه العبقرية كفايتها من مادة الغذاء التي استوعبتها من مواردها العديدة في أدوار حياتها الحافلة على قصرها وسرعة نمائها؛ لأنَّ موباسان لم يجاوز الثالثة والأربعين، ولم تكن أيامه الأخيرة خلوًا من أكدار الهم والمرض، ولا من الأكدار القاسية التي أوشكت أنْ تذهله عن وعيه، وتغشى على حسه، وتعقد لسانه عن النطق المبين، فضلًا عن الكلام البليغ(٣).

ثم يعرّج العقاد بالحديث عن مولد موباسان، ونشأته، وطفولته، ومطالعاته، ومرضه، مشيرًا إلى تردُّده على معاهد الفن، والاستماع إلى روائع الموسيقى والغناء، والاقتباس من آراء الخاصة في أندية الطبقة الموسرة والحكم على الأذواق والمشارب في عامة ألوان الأدب والفكر، ومتابعة القضايا العصرية في ميادين السياسة والاجتماع،

(١) المرجع السابق، ٤٠٤.
(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وتمهَّلت له عدَّة الناقد الأنيق، أو عدَّة الناقد المتفرج بمعزل عن ضرورات العيش وسلطان القراء والناشرين[١].

ولم تكن تلك الإشارات العبارة التي قدَّمها العقاد بمعزل عن أثر ذلك في أدب وفن موباسان، فمن اليسير -كما يرى العقاد- أنْ نفهم كيف أصبحت حياته كلها موكولةً إلى ذكرى الماضي ومطالعة الكتب؛ لأنَّهما كل ما يستطيع من متعة ومن عمل في حياته الحاضرة، ولكن الذكرى في مثل هذه الحالة شيء يزيد كثيرًا على العودة إلى الماضي، كما تزيد المطالعة في مثل الحالة على تلاوة الكلمة، وفهم العبارة، وعرض الفكرة أو الخاطرة المسطورة.

وبين عالم الحس، وإعادة الماضي، عند موباسان، يقول العقاد: "كأنَّه يجتر طعامًا حارًّا من وجبات الغذاء في يومه وساعته، وإنَّ المطالعة هنا ليست بقراءة الكلمات، وبفهم المعاني، بل هي "إحياء أدوار"، كالأدوار الطبيعية التي يحييها الفنان القدير المطبوع على مسرح التمثيل"[٢].

وبهذا تكون القراءة عند موباسان لا تنقل إلينا شيئًا خلت منه نفوسنا؛ ولكن الكتاب أداة كأدوات النظر، يضعها الكاتب على عيني القارئ؛ ليكشف له طوايا نفسه، ولم يكن ليعثر بما تطويه لو لم يهده إليها ذلك الكتاب.

وما ينطبق على موباسان، يكاد ينسحب على ما كتبه في مقدِّمة "ذكرى الماضي"، لمارسيل بروست، حيث نلحظ ذلك الاهتمام بالوقوف على حياة بروست من النواحي الأدبية، والنفسية، والاجتماعية، ويقدِّم في الآن مفتاحًا لأعماله الفنية في كلمتين؛ هما: الذاكرة والمطالعة[٣].

(١) المرجع السابق، ٤٣٢.
(٢) المرجع السابق، ٤٣٢.
(٣) المرجع السابق، ٤٣١.

وفي "مجموعة قصص" لـ"أوهنري"، يكتب العقاد، من أول سطر هذه العبارة: "ولد وليام سدني بورتر في سنة ١٨٦٢، وتوفي في سنة ١٩١٠ عن ثمان وأربعين سنة"(١) وشاء له القدر أنْ يدخل السجن مظلومًا، وأن يكون هو مسؤولًا قبل غيره عمَّا لحقه من الظلم والاتهام الكاذب، فقد جار عليه رؤساء مصرف كان يعمل فيه فاتهموه بالاختلاس والتبديد، وأشفق هو من تسليم نفسه عند توجيه التهمة إليه فهرب وتوارى، وكان هروبه وتواريه من قرائن الإدانة عليه، ثم روجعت وقائع التهم فثبت منها أنَّ بعض السرقات التي أتهم بها لم تحدث إلَّا بعد خروجه من المصرف، ولكنَّه كان قد أمضى ثلاث سنوات في السجن وهو لا يدري كيف يدفع الشبهة عن نفسه، فذاق من مرارة الحياة كل ما ذاقه أبطاله وبطلاته باستحقاق وبغير استحقاق، وذاق معهم كذلك كل ما ذاقوه من حلاوة العيش الطليق والعيش المسؤول وغير المسؤول(٢).

وبذات المنهج والأسلوب يمكن ملاحظته عندما بدأ العقاد بالتعريف برنج لاردنر أثناء مقدِّمته لـ"مجموعة قصصية قصيرة"، حيث يشير إلى مولده، وتعلمه، وحياته الصحفية، يقول العقاد: "ولد لاردنر ونشأ في نايلز بمشيجان، وتعلم دروسه الأولى، فوعى منها ما يرشحه للقبول بمدرسة الصناعة أو الهندسة الآلية. ولم يشتغل كثيرًا بالأعمال الصناعية الهندسية، بل قاده الشغف بالألعاب الرياضية إلى مراسلة الصحف لكتابة أخبار المباريات والتعليق عليها"(٣).

ويربط العقاد ما بين حياة لاردنر الصحيفة وكتابة المقالات، فاستحالت مقالاته منهجًا وسطًا بين الوصف "التخطيطي" والقصة القصيرة. ثم كتب قصصه القصيرة، فاختار معظم أبطالها وحوادثها من بيئة الألعاب الرياضية، واستقرَّت له الشهرة على

(١) المرجع السابق، ٤٤٥.
(٢) المرجع السابق، ٤٤٨.
(٣) المرجع السابق، ٦٢٣.

أسلوبه في استخدام اللغة الدارجة والحوادث الشائعة بين الرياضيين ورواد معاهد الرياضة على الخصوص، فغلبت شهرته بالقصة على شهرته بالتبليغات الصحفية[١].

ويشير العقاد أنَّ هذه الثقة بهذه الشهرة أوحت لرنج لارندر إلى اتخاذ صفة المعلم لطلاب فنه، فألَّف كتاب "كيف تكتب قصة؟"، أودعه نماذج من القصص تطبيقًا لنظرياته على أمثلتها من تأليفه، ولم يقرنها بنماذج من تأليف القصاصين الآخرين على طريقة غير طريقته هو في اللغة، وفي تشخيص الأبطال والبطلات وانتقاء الموضوعات، ولعله أصاب بذلك؛ لأنَّ القصة القصيرة على العموم فن منوَّع متعدِّد الجوانب، غير فنه الخاص الذي كاد ينحصر في التخطيط الصحفي وما هو في حكمه عند قرَّاء أخبار الرياضة وتبليغات الصحف عن أبطالها ومن يلوذ بهم من عشاقها والمراهنين عليها[٢].

المحور الثالث: الأحكام الانطباعية ومخاض الآصرة

٣-١ قاصون: التعريف والمكانة

في جل، أو أغلب مقدِّمات العقاد الغيرية، نلاحظ أنَّ هناك مستويين من الرؤية التي يطرحها؛ الأولى تتعلَّق بالتعريف بكاتب القصة، والثانية مرهونة بمكانة صاحبها في عالم الأدب.

ففي مقدِّمة العقاد لـ"لقصص روسية"، لمحمد السباعي يشير إلى أنَّ مقدِّمته لا تتَّسع للوفاء بحق السباعي في الأدب العربي الحديث على وجه الإسهاب والتفصيل، وإنَّما يتَّسع لذلك كتاب شامل لعصره ولمكانه هو من عصره، وهو أجل مكان؛ معتبرًا إيَّاه في طليعة المدرسة الأدبية الحديثة في نهضة الأدب المصري التي تجددت منذ أوائل القرن العشرين[٣].

(١) المرجع السابق، ٤٢٣.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، ١٢٩.

يفسِّر العقاد المعنى المقصود بالمدرسة الحديثة، بالقول: "تلك المدرسة التي فتحت للشرقيين أبواب الثقافة الإنجليزية، ووجهتهم إلى مقاييس الثقافة النادرة بين الثقافات الإنسانية، فلم يسبق السباعي أحد إلى التعريف بمزايا الشعر الإنجليزي، ومحاسن المقالة الإنجليزية، ولا سيَّما مقالات التصوير الخلقي والنقد الحصيف والسبحات الخيالية التي ترى على أحسنها في كلام هازلت ولي هنت وكارليل، وكل منهم مدرسة وحده في عالم المنثور"(١).

وممَّا يذكر للسباعي بالحمد والإعجاب –حسب رأي العقاد– أنَّ فتنته بالإنجليزية لم تفتنه عن جمال البلاغة العربية، كما فتنت سواه من المترجمين عن تلك اللغة أو غيرها من اللغات، فكان حريصًا كل الحرص على متانة الأسلوب، وفحولة اللفظ، واستبقاء البلاغة الموروثة عن العربية الأولى. فإذا قرأ العربي هذه الصحائف فهو يفيد من لغة العرب، ويفيد –أيضًا– من معاني الروس المخلدين، وهذه هي الترجمة التي تضيف إلى ثروة العقول ثروة اللغات(٢).

ولا يكاد منهج العقاد في جوهره يختلف كثيرًا عمَّا يمكن ملاحظته، وهو يصدر مقدِّمته حول "رقيق الأرض"، لنظمي لوقا، حينما أشار إلى أنَّ الكاتب قد عالج القصة تأليفًا، وترجمة في مناسبات كثيرة، ثم كتب "رقيق الأرض"؛ فأودعها من هذه الخبرة الفنية، خلاصة طيبة تتراءى في ترتيبها وتبويبها، وفي صوغها وأسلوبها، فهي بهذه المزايا خليقة أنْ تتقدم إلى القراء بغير تقديم(٣).

ويوجِّه العقاد رسالةً واضحةً إلى قارئ "رقيق الأرض"، قائلًا: "فإذا قال القارئ بعد الفراغ من قراءتها: إنَّ تقديمي لها تحصيل حاصل، وإنَّه يجاوز الواقع الذي اطَّلع

(١) المرجع السابق، ١٣١.
(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٣) المرجع السابق، ١٣٩.

عليه، فليذكر أيضًا أنَّ الصدق المنزَّه الذي يطابق الواقع جائز في التقديم جوازه في التأليف!"[١].

في مقابل ذلك نُلاحظ أنَّ العقاد يمزج ما بين عبقرية تشارلز ديكنز، ما احتوته قصة "صديقنا المشترك"، حينما أكد أنَّ هذه القصة ليست فريدة العقد في مجموع القصص التي اشتهر بها أستاذ القصة في عصره غير مدافع، ولكنَّها قد تكون فريدة العقد في الدلالة على أصالة تلك الأستاذية، وغزارة ينبوعها من عبقريته السخية، تلك الأستاذية التي يلم بها فتور السن والسقم، وتبقى منها بعد ذلك كل هذه البقية من القدرة والبراعة[٢].

في حين يصف العقاد جي دي موباسان بسيِّد كُتَّاب القصة القصيرة، وذلك في معرض حديثه عن قصص موباسان، حينما قال: "ولا أدل على سعة العبقرية الفنية، وعلى تعدد الملكات التي تتجمع أو تتفرق في أعمال العباقرة الفنيين، من أنْ يكون ذلك هو الواقع حقًّا، وأنْ يكون هو الواقع، في أمر كاتب يُسمَّى أحيانًا بسيِّد كُتَّاب القصة القصيرة، ولا ينكر عليه أحد أنَّه في طليعة كتَّابها العالميين، وهو الكاتب الفرنسي الشهير جي دي موباسان"[٣].

وينعت العقاد أسلوب موباسان بالتعبير المطبوع، الذي أغناه كثيرًا عن التبذل في أساليب الأدب المكشوف، وعلى إسهابه في تمثيل العلاقات بين الجنسين من الأزواج أو العشاق؛ لأنَّه كما قال بعض نقاده: يستطيع أنْ يكتب ما شاء دون أنْ يضع النقط على الحروف[٤].

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٢) المرجع السابق، ٣٨٣.
(٣) المرجع السابق، ٤٠٣.
(٤) يُنظر: المرجع السابق، ٤٠٥-٤٠٦.

وردًّا على مَن ألحق موباسان بالمدرسة الطبيعية أو مدرسة الطبيعيين NaturaIits تشبيهًا له بإميل زولا، ومَن جرى مجراه من خصوم المثالية والمجازية في الآداب الأوروبية الحديثة؛ يعتقد العقاد أنَّ موباسان أقرب إلى الواقعيين منه إلى الطبيعيين؛ لأنَّ قدرته على التعبير السليم ترفعه عن منال تلك المدرسة الطبيعية التي تعجز عن التعبير الجميل المحكم، فتتورط فيما تسميه بخشونة الفطرة وسذاجة الخامة في أيدي العاجزين عن الصقل والتهذيب(١).

وممَّا يُلاحظ أنَّ هناك وعيًا وانفتاحًا معرفيًّا وإدراكًا للتحوُّلات التي طالت الفني القصصي العالمي، وذلك حينما أشار إلى أنَّ أصوب الآراء في موباسان أنَّه تلميذ فلوبير، وليس بتلميذ زولا وإخوانه الطبيعيين، فمن فلوبير –وهو موطنه– تعلَّم الكلمة المحكمة والتفصيل الذي يسلك وسيلة الاستطراد بغير حاجة إلى الفضول، ولعله أدرك أستاذه وتفوق عليه في هذه المزية؛ لأنَّه خرج من حظيرة المدرسة المحدودة، وانتهى إلى مدرسة الفن الخالد التي تشبه كل فن في كل حقبة، فلا صبغة لها تفصيلها عن الجيد المختار من عمل العباقرة الخالدين، وإنَّما هي صبغة واسعة تلتقي في صفة من الصفات بكل ما يؤثر ويستجاد(٢).

ويسلِّط العقاد الضوء على جانب من مكانة فرنسوا رابليه من الناحية الإنسانية، وذلك في معرض مقدَّمته لـ"مائدة المعرفة" خاصة فيما يتعلَّق بولعه بالإغريقية، معتبرًا ذلك قبسًا صغيرًا من هيامه بكل معرفة مستطاعة في زمانه، فكان يقرأ كل ما وصل إلى يديه، ويبحث عن كل كتاب مجهول لم يصل إليه، وتعلم الطب وبرع فيه، وحاضر عن أطباء اليونان، واطَّلع على آرائهم وأقوالهم في لغتهم الأصلية، ولم يشغل أبناء عصره بفرع

(١) المرجع السابق، ٤٠٧.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

من فروع المعرفة إلَّا كان له فيه السهم الأوفر بين أهليه[١].

ويرى العقاد أنَّ موقع رابليه في المجموعة الموسومة باسم "مائدة المعرفة"، أو "الدعوة إلى المعرفة"؛ فهو -ولا خلاف- مكان الصدر بين أعلامها البارزين؛ لأنَّه ربما كان أسبقهم إلى دعوة المعرفة، وأشدهم نهمًا على مائدتها.. ولا يزال أثره الأدبي أكثر آثار القرن الخامس عشر رواجًا بين قرَّاء العصر الحديث وكتابه ورواته، فليس في الأزمنة التي خلفته علم من أعلام القصة أو المسرحية لم يقتبس عنه ولم يرجع إليه. ويعتقد العقاد أنَّ رابليه كان أقرب إلى أنْ يكون مصرفًا أدبيًّا في ثروته الكتابية[٢].

وفي معرض حديث العقاد عن مجموعة قصص قصيرة، يشير إلى مكانة الأديب "رنج لاردنر" في عالم الكتابة، فمقياسها مقياس الخبر الناجح، والتبليغ المقروء لساعته، أو لمناسبته التي تتجدَّد بعد تلك الساعة؛ فإنَّ مقاييس اللغة المهذبة في آيات الأدب الخالد لا تصلح لتقدير بلاغة اللهجات الدارجة التي لا يدَّعيها كاتبها، أو لا يستطيع أنْ يدَّعي فيها أنَّه يخلقها أو يصنع فيها صنيعًا يحسب له فضله غير الأمانة في حكايتها، وهي أمانة صحفية وفكاهة رياضية، لا يبخسها عشاقها ما دامت مقروءة في مناسباتها، ولكنَّها قد تجني على الجانب الإنساني الخالد في العمل الفني إذا ذهبت لطيتها، وحملت معها غياهب النسيان ما يذكر منها وما ينسى[٣].

في أثناء حديث العقاد عن "مجموعة قصص" لـ"أوهنري" نلحظ أنَّ تاريخ كاتب تلك القصص يغري الناقد المولع بالتقسيم أنْ يقيم الفواصل بينه وبين مدارس عدة من أتباع المذاهب الحديثة، فهناك إغراء بحسبانه من الجيل القديم؛ لأنَّه متقدِّم على ابتداء الحرب العالمية الأولى وانتهائها، وهناك إغراء بحسبانه من السابقين غير العصريين؛ لأنَّ

(١) المرجع السابق، ٥٧٤.

(٢) المرجع السابق، ٥٧٥.

(٣) المرجع السابق، ٦٢٦.

أقاصيصه ونوادره خلت من مصطلحات علم النفس في المسائل الجنسية على التخصيص، وهناك إغراء بإخراجه من عداد الكُتَّاب الهادفين ممَّن يؤيدون جانب اليمين أو جانب اليسار في مشكلات المجتمع الحديث(١).

ويؤكد العقاد أنَّ كل هذه الفواصل صالحة لإبعاد أوهنري عن العصر الحاضر بعنوان من العناوين؛ ولكن هذه الفواصل كلها لا ترتفع إلى القمة، ولا تغوص إلى القرار وراء السطوح والأسماء، لو استطاع "صفاف حروف" بارع أنْ يبذر بين سطوره كلمات من فرويد ويونج، وكلمات أخرى من مبادئ النازية أو الشيوعية، وكلمات غير هذه وتلك عن الصواريخ والسياحات الفضائية، لما استطاع الناقد الحصيف أنْ يفرق بين أقدم نوادره، وأحدث النوادر التي تمتلئ بها اليوم أحدث الصحف من مطبوعات العام الحادي والستين؛ لأنَّ نوادره عن ضحايا المجتمع تصلح لخمسة كتب أو ستة، يتخذها كل منهم زادًا للترويج بدعايته إلى هدف من الأهداف(٢).

٣–٢ النقد الانطباعي

في مقدِّمات العقاد الغيرية –موضوع الدراسة– كثيرًا ما يُلاحظ ذلك الحضور لما ما يمكن تسميته بالتقريظ المتشبع بالحفاوة؛ سواء فيما يتعلَّق بالقصة المكتوبة أو بصاحبها، وهذا السِّمة عادة ما تكون في إطار ما يطلق عليه عادة بالنقد الانطباعي.

ومهما كان الأمر؛ فإنَّ العقاد قد استطاع توظيف هذا النوع من النقدات، إمَّا على سبيل المدح، والثناء خاصة في معرض ما كان يربطه من آصرة بالكاتب، وإمَّا على سبيل الدعم والتشجيع خاصة في معرض الإشادة بما يجود به بعض الكُتَّاب الناشئين.

وتأسيسًا على عليه؛ نُلاحظ أنَّ العقاد، ومنذ السطر الأول لمقدِّمته لمجموعة حبيب الزحلاوي "شعاب القلب"، يشيد بصاحب المجموعة بالقول: "فعرف الجهاد في

(١) المرجع السابق، ٤٤٥.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

سبيل الوطن، كما عرف الجهاد في سبيل العمل، وتمرس بالناس كما تمرس بنفسه، واختبر حياة الأسرة وملابساتها كما اختبر حياة المجتمع الشرقي وملابساته، وزار مع هذا بلادًا غير بلاده الشرقية، فسنحت له فرص شتى للمقابلة والموازنة والاستفادة من هنا وهناك"(١).

وهذا ما يُلاحظ -أيضًا- في معرض ما كتبه العقاد في مقدِّمته لـ"قصص روسية" لـ"محمد السباعي"، حيث تتبدى بجلاء مدى الإشادة والاطراء، ومقدار الثناء والتبجيل للسباعي؛ فضلًا عن سمة الوفاء والعرفان التي يسعى العقاد إلى الالتزام بها مع بذلها وتقديمها لتاريخ السباعي خاصة بعد وفاته، حيث يقول بعد سطرين من كتابة مقدِّمة تلك القصص: "منذ توفي الصديق النابغة ونحن نفكر في قضاء حقه بشيء من الذكر والتأبين، وكان صديقنا الأستاذ المازني يوالي التفكير في ذلك ويمهِّد له أسبابه، فعلم أنَّ الوفاء للفقيد العزيز قد يوجب علينا إرجاء ذلك الجزاء الضئيل في جانب فضله على أدب مصر الحديث وأدب العربية بأسرها، وإنَّه وأيم الحق لمن عجائب المقادير، إلَّا أنَّه ظن صادق وتقدير لا غبار عليه"(٢).

ولا تخلو نقدات العقاد الغيرية في هذا السياق من الجمع بين الثناء على المجموعة القصصية، والإشارة إلى أوائل العهد بكاتب القصة، ما تتخللها من علاقة صحفية حينما جمعت ما بينه وبين السباعي -مثلًا-، وما يدور بينهما من تساؤلات حول ما يقرآن ويكتبان؛ فضلًا عما يتخلل كل ذلك من طرائف وفكهات كان يرتجلها السباعي(٣).

ويعدِّد العقاد في مقدِّمته ما استبقى من ذكريات مع السباعي بالإشارة إلى زيارته

(١) المرجع السابق، ١١٧.
(٢) المرجع السابق، ١٢٩.
(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

في حلوان، حيث يقول: "زرت حلوان –وكان يسكنها يومئذٍ– فسألت عنه، فلم يعرفه أحد إلَّا حين وصفته لبعض الباعة بأنَّه "الرجل الذي يتأبط الكتب حيث سار" فقال: نعم، نعم، عرفته! وصحبني إلى منزله، فوجدته فيه، ووجدت في حجرة الاستقبال كتبًا وعودًا وقانونًا موسيقيًّا، وهو يوقع بعض الألحان ويناقش فيها بعض أبناء الصناعة، فقلت له: الآن أعرف سر غرامك بالإيقاع والجرس المقبول في فواصل الكلام، فقال: إنَّني لا أتمنى شيئًا كما أتمنى ما يسمِّيه الموسيقيون "إصبعًا حلوة" في تناول القلم وتناول الريشة؛ لأنَّ تعبيرهم هذا بـ"الإصبع الحلوة" هو خير من تعبير البلغاء بـ"نفس الشاعر" أو الكاتب في صوغ الأبيات وتنسيق العبارات"(١).

ولا تكاد تخلو مقدِّمات العقاد الغيرية من بعض الكلمات والعبارات التي تتَّسع لتصبح صالحة لكل أديب أو كاتب قصة؛ ومن ذلك –على سبيل التمثيل– قوله في السباعي: "فكان حريصًا كل الحرص على متانة الأسلوب، وفحولة اللفظ، واستبقاء البلاغة الموروثة عن العربية"(٢)، أو قوله في نظمي لوقا: "نظمي أديب شاعر، أخذ بقسط حسن من دراسة القانون، وأخذ بقسط أحسن وأوفى من دراسة الفلسفة، واطلع على ثمرات العبقرية العربية وفي اللغتين الفرنسية والإنجليزية، وواجه الحياة بحس شاعر وفكر فيلسوف، وقد كانت له وهو دون العشرين دراسات لديكارت، ولما وراء الطبيعة، تستوجب الثناء لو صدرت من أبناء الثلاثين أو الأربعين"(٣).

فما يقول به العقاد في تلك الأسطر السابقة؛ من كلمات وعبارات، يمكن إطلاقها على كل أديب، أو شاعر، أو قاص دون تعيين أو تخصيص، الأمر الذي يكاد ينسحب فيما أطلقه من الأوصاف على القاص محمد قمر، وذلك في معرض تقديمه لقصة "في

(١) المرجع السابق، ١٣٠.
(٢) المرجع السابق، ١٣٢.
(٣) المرجع السابق، ١٣٩.

ربيع الحياة" حينما قال: "صاحب هذه القصة الأديب محمد قمر كاتب موهوب في فن القصة، لا شك في استعداده لهذا الفن بأكثر من أداة"(١).

وتلك الأحكام المطلقة من العقاد تنسحب على السباعي-أيضًا-؛ كقوله: "فلم يسبق السباعي أحد إلى التعريف بمزايا الشعر الإنجليزي، ومحاسن المقالة الإنجليزية، ولا سيَّما مقالات التصوير الخلقي والنقد الحصيف، والسبحات الخيالية التي ترى على حسنها في كلام هازلت ولي هنت وكارليل، وكل منهم مدرسة وحده في عالم الشعور"(٢).

(١) المرجع السابق، ص ١٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣١.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

- كانت الخلفية الثقافية والفكرية والفلسفية لدى العقاد؛ العلَّة الأولى في تفضيل الشعر عن سائر الفنون الأدبية الأخرى، ومنها القصة الفنية. باعتبار الشعر ديوان العرب وفنهم الأول.
- يمكن اعتبار الامتياز الذي خصه العقاد للشعر محكومًا بسياقات تأريخية؛ نظرًا لقرب العهد بكتابة القصة الفنية في الأدب العربي آنذاك.
- تتشكَّل رؤية العقاد للفنون والآداب وفق مقياسين، هما الأداة بالقياس إلى المحصول، ثم الطبقة التي يشيع بينها كل فن من الفنون.
- يرى العقاد أنَّ للقصة شأنًا في حياة الإنسان؛ لأنَّها صورة من صور الحياة، مع التفريق ما بين القصة التي تروى للترويح والتسلية، والقصة بمعناها الفني.
- في بعض المقدِّمات نلحظ أنَّ هناك مستويين من الرؤية التي يطرحها العقاد؛ الأول يتمحور حول التعريف بكاتب القصة، والثاني بمكانة صاحبها في عالم الأدب.
- مفهوم القصة عند العقاد مفهوم واسع يدخل تحته الحكاية، والأقصوصة، والقصة، والرواية.
- الصدق الفني من أبرز القضايا التي اعتنى بها العقاد في مقدِّماته؛ لأنَّه يرى أنَّ الصدق يعطينا معرفةً فنيةً نفسيةً، ويخلق في وجداننا وخيالنا حركةً جائشةً.
- يُولي العقاد عنايةً كبيرةً بفن القصة، سواء على مستوى الحادثة، أو حياة الشخصيات، أو الأبطال، أو عملية التشويق.
- يعتقد العقاد أنَّ القصة الصغيرة لا تتَّسع لرسم الشخصية بصورة مكتملة، ولا

للحوادث الكبيرة ولا للحادثة الواحدة التي لا تتم إلَّا مع التشعب والاستيفاء في مختلف المواقف والأحوال.

- يحتفي العقاد في مقدِّماته بالأساليب الفنية التي تُعدُّ ركنًا جوهريًّا في بناء القصة الفنية، وإنْ بدا ذلك الاحتفاء متفاوتًا ما بين التوسع والإطناب، والإيجاز والاقتضاب.
- كثيرًا ما يربط العقاد في بعض مقدِّماته بين أحداث القصة، ووقائعها، وأبطالها بالجوانب النفسية، والشخصية الإنسانية، والمشكلات الاجتماعية، والصراع بين الخير والشر.
- كثيرًا ما يطلق العقاد في مقدِّماته مُسمَّى "القصة الصغيرة"؛ بحيث تتضمَّن القصة الشارحة، والقصة الواصفة، والقصة المحللة، والقصة المسجلة.
- أشاد العقاد بما تحمله بعض القصص من بلاغة التأثير وحُسن التمثيل؛ معتبرًا القصة فنًّا من الفنون الجميلة، فهو في لبابه تعبير وتأثير، وليس جمال التعبير زينة في القصة وكفى.
- يعمد العقاد في بعض مقدِّماته إلى التعريض بفحوى بعض القصص، والتعريف بمحتواها، والإشارة حينًا إلى ما تضمَّنته من نماذج حياتية، مع شيء من الجوانب النفسانية.
- أَولَى العقاد اهتمامًا بالغًا بما يُسمَّى الخيال والتفلسف، وتحليل الشخصية حتى غدت سمةً بارزةً في نقداته للمقدمات القصصية.
- تميَّزت مقدِّمات العقاد بخلوها تقريبًا من النقدات الجارحة، أو السعي نحو إظهار العيوب والسقطات.
- يمزج العقاد -أحيانًا- في مقدِّماته ما بين العلاقة الشخصية ما بينه وبين صاحب

القصة بذكر بعض الذكريات وآصرة الود.

- لُوحظ في بعض مقدِّمات العقاد ما يمكن تسميته بالتقريظ المتشبّع بالمدح والثناء؛ سواء فيما يتعلَّق بالقصة المكتوبة، أو بصاحبها في إطار ما يطلق عليه عادة بالنقد الانطباعي.

ثانيًا: التوصيات

- تشكِّل المقدِّمات الغيرية رافدًا جوهريًّا للقضايا النقدية، ومستودعًا لمناقشتها، والكشف عمَّا تحمله من آراء تضاف إلى النقد الأدبي.
- تزخر بعض كتب العقاد ومقالاته بالكثير من الآراء النقدية حيال فن القصة، خلافًا لتلك الآراء التي سطرها في مقدماته الغيرية؛ الأمر الذي يتطلب من الباحثين العناية بها، ودراستها.

المصادروالمراجع

أولًا: المصادر

قايد، عبد الرحمن حسن، "مقدِّمات العقاد"، (الرياض: آفاق المعرفة، ١٤٤١هـ).

ثانيًا: المراجع

أ. الكتب:

أبو المعال، عبد الفتاح، "أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم"، عمَّان: دار الشروق، ٢٠٠٥م).

أبو غازي، بدرالدين، "الفن في عالمنا"، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٥م).

أحمد، سمير عبد الوهاب، "قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العملية"، (عمَّان: دار المسيرة، ٢٠٠٤).

عبود، مارون عبود، "المختبر: تحليل ونقد لآثار الكتاب المعاصرين"، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢١).

العقاد، محمود العقاد، "بين الكتب والناس"، (القاهرة: شركة مصر، ١٩٥٢).

العقاد، محمود العقاد، "ساعات بين الكتب العقاد"، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١م)

العقاد، محمود العقاد، "في بيتي"، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م).

العقاد، محمود العقاد، "ألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي: نقد ونماذج مترجمة من أدب القصة"، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م).

مندور، محمد، "النقد والنقاد المعاصرون"، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢١م).

ب. مجلات:

حنفي، عطية علي عطية، "الصدق الفني عند العقاد"، (مجلة كلية اللغة العربية، ١٨،

جامعة الأزهر، ١٩٩٨م).

العقاد، عباس محمود، "الاتجاهات الحديثة في الأدب العربي"، (مجلة الرسالة ٦٠٦، ١٩٤٥م).

محفوظ، نجيب، "القصة عند العقاد"، (مجلة الرسالة ٦٣٥، ١٩٤٥م).

الندوي، معراج أحمد معراج، "القصة ودورها في بناء مستقبل الأطفال"، مجلة الكلمة، ١٤٣، لندن، ٢٠١٩م).

ج. مواقع:

يوسف، شوقي بدر، "العقاد وفن القصة"، *موقع الانطولوجيا*

https://alantologia.com/blogs/

Bibliography

Sources and references

Sources

Qāyid, ʿAbd al-Raḥmān Ḥasan. Muqaddimāt al-ʿAqqād. (Riyadh: Āfāq al-Maʿrifah, 1441 AH).

References

A. Books

Abū al-Maʿālī, ʿAbd al-Fattāḥ. "Adab al-Aṭfāl wa-Asālīb Tarbiyatihim wa-Taʿlīmihim wa-Tathqīfihim". (Amman: Dār al-Shurūq, 2005).

Abū Ghāzī, Badr al-Dīn. "Al-Fann fī ʿĀlaminā". (United Kingdom: Hindawi Foundation, 2025).

Aḥmad, Samīr ʿAbd al-Wahhāb. "Qiṣaṣ wa-Ḥikāyāt al-Aṭfāl wa-Taṭbīqātihā al-ʿAmaliyyah". (Amman: Dār al-Masīrah, 2004).

ʿAbbūd, Mārūn ʿAbbūd. "Al-Mukhtabar: Taḥlīl wa-Naqd li-Āthār al-Kuttāb al-Muʿāṣirīn". (United Kingdom: Hindawi Foundation, 2021).

al-ʿAqqād, Maḥmūd ʿAbbās. Bayna al-Kutub wa-al-Nās. (Cairo: Sharikat Miṣr, 1952).

al-ʿAqqād, Maḥmūd ʿAbbās. "Sāʿāt Baina al-Kutub". (Beirut: Manshūrāt al-Maktabah al-ʿAṣriyyah, 1991).

al-ʿAqqād, Maḥmūd ʿAbbās. "Fī Baytī". (United Kingdom: Hindawi Foundation, 2014).

al-ʿAqqād, Maḥmūd ʿAbbās. "Alwān min al-Qiṣṣah al-Qaṣīrah fī al-Adab al-Amrīkī: Naqd wa-Namādhij Mutarjamah min Adab al-Qiṣṣah". (United Kingdom: Hindawi Foundation, 2014).

Mandūr, Muḥammad. Al-Naqd wa-al-Nuqqād al-Muʿāṣirūn. (United Kingdom: Hindawi Foundation, 2021).

B. Journals

Ḥanafī, ʿAṭiyyah ʿAlī ʿAṭiyyah. “Al-Ṣidq al-Fannī ʿinda al-ʿAqqād”. *Journal of the Faculty of Arabic Language* 18 (al-Azhar University, 1998).

al-ʿAqqād, ʿAbbās Maḥmūd. “Al-Ittijāhāt al-Ḥadīthah fī al-Adab al-ʿArabī”, *al-Risālah Journal* 606 (1945).

Maḥfūẓ, Najīb. “Al-Qiṣṣah ʿinda al-ʿAqqād”, *al-Risālah Journal* 635 (1945).

al-Nadwī, Miʿrāj Aḥmad Miʿrāj. “Al-Qiṣṣah wa-Dawruhā fī Bināʾ Mustaqbal al-Aṭfāl.” *al-Kalimah Journal* 143 (London, 2019).

C. Websites

Yūsuf, Shawqī Badr. “Al-ʿAqqād wa-Fann al-Qiṣṣah”, Al-Antūlūjiyā Website.

البنية الإيقاعية في ديوان: أبجديات الكون

The Rhythmic Structure in the Poetry Collection: The Alphabet of the Universe

د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها

بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

البريد الإلكتروني: amalkahtani@pnu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
18/11/2025		11/01/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-022		

شكر وتقدير

أُنجِز هذا البحث بدعمٍ من هيئة الأدب والنشر والترجمة، في المملكة العربية السعودية، تحت مظلّة كرسي أدب الأطفال واليافعين، بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، فلهم منا خالص الشكر والتقدير.

المستخلص:

يتناول هذا البحث البنية الإيقاعية في ديوان: "أبجديات الكون"؛ إذ يعد الإيقاع من أهم العناصر التي تشكل بنية الشعر، وتحقّق أثرًا بارزًا في خلق الجمال والانسجام، وهو روح القصيدة وجوهرها؛ حيث يجمع بين الجمالية والتأثير النفسي والدلالة التعبيرية.

كما يتضمن توضيحًا لمعنى الإيقاع وأهميته في الشعر العربي، وقد تناولت في مباحثه الإيقاع الخارجي المتمثل في الوزن والقافية، والإيقاع الداخلي الذي يمثله: التكرار، والجناس، والتصريع، والتدوير؛ للكشف عن الأثر الإيقاعي في بناء القصيدة الموجهة للأطفال واليافعين، وبيان الخصائص الصوتية والموسيقية التي تميزت بها قصائد الديوان.

وقد كشف البحث عن وعي الشعراء بثراء العروض العربي، وعكس نجاحهم في تحقيق جاذبية فنية وإيقاعية تلائم الفئة المستهدفة.

الكلمات المفتاحية: البنية الإيقاعية، الوزن والقافية، الموسيقى الداخلية، أبجديات الكون، الإحصاء.

Abstract:

This study examines the rhythmic structure of the Diwan *The Alphabets of the Universe*, considering rhythm as one of the fundamental components shaping poetic form. Rhythm plays a central role in generating beauty and harmony and constitutes the spirit and essence of the poem. Through its integration of aesthetic value, psychological influence, and expressive significance, rhythm emerges as a key element in the construction and impact of poetic discourse.

It also provides an explanation of the concept of rhythm and its significance in Arabic poetry. The study addresses external rhythm, represented by meter and rhyme, as well as internal rhythm, manifested through repetition, alliteration, assonance, and enjambment. This analysis seeks to reveal the rhythmic effect in the construction of poems intended for children and adolescents, and to clarify the phonetic and musical features that distinguish the poems of the Diwan.

The research demonstrated the poets' awareness of the richness of Arabic prosody and reflected their success in achieving an artistic and rhythmic appeal appropriate to the target audience.

Keywords: rhythmic structure, meter and rhyme, internal music, alphabet of the universe, statistics.

المقدمة

يتناول هذا البحث البنية الإيقاعية في ديوان: "أبجديات الكون" وهو من مبادرات هيئة الأدب والنشر والترجمة، ضمّ قصائد لخمسة عشر شاعرًا وشاعرة سعوديين، ألهمتهم تجربة صوغ الشعر لليافعين، بوصفها خطوة أولى في درب التعرف على العوالم الشعرية، وحافزًا للإبداع واكتشاف جماليات اللغة العربية من خلال مواضيع مرتبطة بقيم الخير والعطاء والجمال، ومستمدة من واقع المجتمع السعودي وقيمه وتطلعاته، كما تنبع فكرة هذا الديوان من فرادة تجربة كل شاعر أو شاعرة شارك فيه تعزيزًا وتشجيعًا وترويجًا لأدب اليافعين(١).

ويعد الإيقاع من أهم العناصر التي تشكّل بنية الشعر، وتميزه عن غيره من أنواع الأدب، وتحدث التأثير المطرب على المتلقي، وتسهم في بناء وحدة النص.

أهمية الموضوع:

إن عناية شعراء الديوان بالبنية الإيقاعية يثير العديد من التساؤلات حول طبيعة الإيقاع الشعري الموجّه إلى اليافعين، وكيفية اختيار البحور والأوزان والقوافي، وتوظيف الموسيقى الداخلية؛ لإيصال المعاني المختلفة.

من هذا المنطلق ومن خلال قراءة متفحّصة لديوان "أبجديات الكون"، فإني سأدرس البنية الإيقاعية من خلال الإيقاع الخارجي المتمثل في: الوزن والقافية، والداخلي الذي يمثله: التكرار، والجناس، والتصريع، والتدوير؛ للكشف عن الأثر الإيقاعي في بناء القصيدة الموجهة لليافعين، وبيان الخصائص الصوتية والموسيقية التي تميزت بها قصائد الديوان.

---

(١) يُنظر: "**ديوان أبجديات الكون**"، (المملكة العربية السعودية: من مبادرات هيئة الأدب والنشر والترجمة، ٢٠٢٤م)، الغلاف الخلفي.

أسباب اختيار الموضوع:

مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، أنني وجدته موضوعًا بكرًا، لم يُبحَث فيه، ولم تُكتَب دراسة عنه، إضافة إلى اهتمامي بالشعر والإيقاع بشكل عام، والشعر السعودي بشكلٍ خاص.

أهداف البحث:

تُبنى هذه الدراسة على سؤال رئيس هو:

ما طبيعة الإيقاع الشعري عند شعراء ديوان: "أبجديات الكون"؟

وتتفرع من هذا السؤال عدة أهداف:

- معرفة كيفية تشكّل البحور والأوزان عند شعراء الديوان.
- توظيف الشعراء القافية في قصائدهم الموجهة إلى اليافعين.
- الكشف عن دور الموسيقى الداخلية في البنية الإيقاعية لديوان: "أبجديات الكون".

الدراسات السابقة:

حسب علم الباحثة واطلاعها لا توجد دراسة سابقة تناولت البنية الإيقاعية في ديوان: أبجديات الكون، لكني وجدت دراسات عديدة تناولت البنية الإيقاعية للشعر عند بعض الشعراء، أو الشعر بشكل عام، مثل:

١- أبو جحجوح، خضر محمد. "البنية الإيقاعية في شعر بشار بن برد: دراسة وصفية إحصائية ومقاربة جمالية أسلوبية". *الجامعة الهاشمية: مجلة العلوم الإنسانية* ٣٢، (شتاء ٢٠١٨م).

٢- أبو طالب، إبراهيم بن محمد. "البنية الإيقاعية في شعر محمد الثبيتي". *مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية* ٢ م ١٠، (١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣م).

٣- آل خليفة، لولوة بنت خليفة. "البنية الإيقاعية في الشعر العربي المعاصر". *جامعة البحرين: المجلة العلمية بكلية الآداب ٤٨*، (٢٠٢٢م).

٤- براينه، عبدالوهاب عبدالمقصود. "البنية الإيقاعية في ديوان "بقايا سراب" لعبدالعليم القباني". *جامعة الأزهر: كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، المجلة العلمية ٣٧ الإصدار ٤*، (نوفمبر ١٤٤٦هـ- ٢٠٢٤م).

٥- الحربي، ياسمين حمد حمود غالي. "البنية الإيقاعية في ديوان الأفنان للشاعر عبدالرحمن شكري: دراسة عروضية تطبيقية". *الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة ٢٢*، (فبراير ٢٠١٩م).

٦- سعديو، راضية. وَصوفان، نسيمة. "البنية الإيقاعية في ديوان "عناقيد الغضب" لعبد الملك بو منجل". *جامعة محمد الصديق بن يحيى: كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، رسالة ماجستير*، (٢٠١٧/ ٢٠١٨م).

٧- وقاد، مسعود. "البنية الإيقاعية في شعر فدوى طوقان". *جامعة ورقلة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، رسالة ماجستير*، (٢٠٠٣/ ٢٠٠٤م).

منهج الدراسة:

تنهض هذه الدراسة بوصفها دراسة أسلوبية إحصائية؛ للكشف عن الأثر الإيقاعي في بناء القصيدة الموجهة لليافعين، وبيان الخصائص الصوتية والموسيقية التي تميزت بها قصائد الديوان.

خطة البحث:

ستقسّم هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثَبَت للمصادر والمراجع.

- المقدمة

- **التمهيد:** سيتضمن توضيحًا لمعنى الإيقاع وأهميته في الشعر العربي.
- **المبحث الأول: الإيقاع الخارجي**
  ١- الوزن
  ٢- القافية
- **المبحث الثاني: الإيقاع الداخلي**
  ١- التكرار
  ٢- الجناس
  ٣- التصريع
  ٤- التدوير
- **الخاتمة**
- **ثَبَت المصادر والمراجع**

تمهيد:

يعد الإيقاع من أهم الخصائص المميزة للشعر العربي، فهو يمنح القصيدة الموسيقى الداخلية والخارجية التي تجذب السامع والقارئ، وتجعلها أكثر تأثيرًا في النفس، وهو مكوّنٌ أساسي في تشكيل البنية الشعرية؛ حيث يمس الكيان الكلي للقصيدة، ويتداخل في علاقات عضوية مع لغتها ودلالاتها وصورها(١).

ويطالعنا في المخصص قول منسوب للخليل بن أحمد: "الإيقاع هو حركات متساوية الأدوار، لها عوداتٌ متتالية"(٢)، فالإيقاع لديه يعتمد على حركات صوتية متكررة ومتساوية، تخلق نمطًا فريدًا، فالأوزان المختلفة في الشعر العربي تعتمد على أنواع مختلفة من الإيقاع؛ الأمر الذي يتيح تنوعًا كبيرًا في التعبيرات الشعرية.

وهو من المصطلحات القديمة التي ظهرت عند النقاد العرب مثل ابن طباطبا؛ حيث يقول في كتابه عيار الشعر: "وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم بصوابه، ويرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه، فإذا اجتمع الفهم مع صحة وزن الشعر صحةُ المعنى وعذوبةُ اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تمّ قبوله، واشتماله عليه، وإن نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها وهي: اعتدال الوزن، وصواب المعنى، وحسن الألفاظ، كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه"(٣)، فقد ربط ابن طباطبا

(١) يُنظر: عبد الرحمن آلوجي، "الإيقاع في الشعر العربي"، (ط١، دمشق: دار الحصاد، حزيران ١٩٨٩م)، ٥٠.

(٢) أبو الحسن بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ابن سيده، "المخصّص". اعتنى بتصحيحه مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، (طبعة جديدة مصححة ومنقحة ومفهرسة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)، باب الملاهي والغناء، ١٣: ٩.

(٣) محمد أحمد بن طباطبا، "عيار الشعر". شرح وتحقيق عباس عبد الستار، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، ٢١.

الإيقاع بالشعر الموزون المطرب، وجعله جزءًا أساسيًّا يؤثر في جماله وحسنه، ويسهم في إيصال المعنى بصورة واضحة، ويؤثر على ذوق المتلقي وفهمه، ويبرز دلالات النص.

وقد جاء في لسان العرب مرتبطًا بالغناء والألحان: فـ"الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها"(١)، فإيقاع اللحن يعني توزيع النغمات والأصوات في الغناء؛ لتأتي متتابعة بانتظام كالبحر الموسيقي، فالترتيب الزمني للنغمات والأصوات يخلق إحساسًا بالحركة.

ويساعد التكرار المنتظم في الأصوات والمقاطع على إثارة العاطفة، فيشعر المتلقي بالمتعة والانفعال مع النص، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال التلاحم بين الصوت والدلالة؛ إذ لا يكتسب الصوت قيمته الجمالية بمعزلٍ عن المعنى، كما أن الإيقاع يفقد تأثيره حين تنغلق الدلالة على القارئ(٢)، فلا بد من التوازن بين الألفاظ والمعاني؛ ليتآلف الصوت مع الصورة الشعرية في بناء متكامل.

والإيقاع بشكل عام هو: "التواتر المتتابع بين حالتي الصمت والصوت، أو النور والظلام، أو الحركة والسكون، أو القوة والضعف، أو الضغط واللين، أو القصر والطول، أو الإسراع والإبطاء، أو التوتر والاسترخاء..."(٣)؛ حيث تتسع دلالته لتشمل الحركة في أبعادها الصوتية والبصرية والجسدية والنفسية؛ ليغدو بنية شاملة للغة والفنون والحياة.

و"تكمن أهمية الإيقاع في أنه امتداد رأسي منتظم في النص الشعري، يكتنفه

(١) ابن منظور، "لسان العرب". تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، (طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلًا كاملًا ومذيلة بفهارس مفصّلة، بيروت: دار المعارف، د.ت)، مادة: وقع.

(٢) يُنظر: إبراهيم أنيس، "موسيقى الشعر العربي"، (ط٢، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢م)، ١٩.

(٣) يُنظر: محمد صابر عبيد، "القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية: دراسة"، (دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠١م)، ١٦.

أدوات إيقاعية متعددة في كل بيت شعري، تتفاعل جميعها في صنع منظومة إيقاعية تأتلف فيه الألفاظ مع المعاني والتراكيب مع مضامينها في النص، والأوزان مع ما يمثلها أو تمثله من ألفاظ النص الشعري ومعانيه"[١]، فهو ليس مجرد عنصر شكلي أو زخرفي، بل بنية جوهرية تتجاوز الوزن والقافية؛ لتشمل التكرار، والجناس، والتصريع وغيرها من عناصر الموسيقى الداخلية.

إن الإيقاع يحقّق أثرًا بارزًا في خلق الجمال والانسجام في الشعر العربي، فهو قوته الأساسية[٢]، وهو روح القصيدة؛ حيث يجمع بين الجمالية والتأثير النفسي والدلالة التعبيرية.

(١) د. عبد الوهاب عبد المقصود برانية، "البنية الإيقاعية في ديوان "بقايا سراب" لعبدالعليم القباني". *جامعة الأزهر– كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، المجلة العلمية ٣٧ الإصدار ٤*، (نوفمبر ١٤٤٦هـ– ٢٠٢٤م)، ١٤.

(٢) يُنظر: عبيد، "القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية"، ١٢.

المبحث الأول: الإيقاع الخارجي

١ – الوزن:

إن الوزن هو الأساس الذي تقوم عليه موسيقى الشعر العربي، فهو يحدد هويته، ويُحدث تأثيره الجمالي والوجداني، وهو العنصر الأول الذي يميز الشعر عن النثر، وبدونه يفقد النص طبيعته الشعرية، كما يخلق الموسيقى الأساسية المنتظمة التي تعطي القصيدة طابعها الغنائي، ويساعد على سهولة الحفظ والترديد، وينسجم مع المعاني فيبرز دلالتها ويعمق أثرها، فيمنح النص وحدة إيقاعية.

ويعد الوزن مظهرًا من مظاهر الإيقاع، ومكونًا من مكوناته، فهو لا يمثل الإيقاع كلّه بل يتجسد بوصفه إحدى صوره، فالإيقاع سابق في وجوده على الموسيقى والشعر، ومرتبط بالتجربة الإنسانية التي تمنحه طبيعته الدلالية، وتشكل نظامه الإيقاعي الخاص(١).

وقد حظي الوزن الشعري بعناية بالغة عند النقّاد القدامى؛ إذ عدّوه المكوّن الأساسي الذي يُميّز الشعر عن غيره من فنون القول، منذ أن وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) علم العَروض لضبط أوزان الشعر وتقنينها؛ وتُجمع المصادر العروضية القديمة على أن وضع هذا العلم جاء استجابة لحاجة مُلحّة؛ إذ عُدّ العروض ميزانًا دقيقًا لشعر العرب، يميز صحيحه من مكسوره، ويحفظ للشعر نسقه وموسيقاه(٢)، وتابع النقّاد من بعده هذا التصور، فعرّف قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) الشعر بأنّه:

---

(١) يُنظر: عبيد، "القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية"، ٢٠.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني النحوي، "كتاب العروض". تحقيق أحمد فوزي الهيب، (ط٢، الكويت: دار القلم، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م)، ٢٤؛ وَالخطيب التبريزي، "الكافي في العروض والقوافي". تحقيق حسن عبد الله، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م)، ١٧.

"قولٌ موزونٌ مُقفّى يدلّ على معنى"(١)، جاعلًا الوزن أولَ شرط من شروط الشعر، كما أكّد ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) على أنّ الوزن "أعظم أركان حدّ الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة"(٢)، وهو ما رسّخ فكرة الوزن بوصفه العلامة الفارقة بين الشعر والنثر، فالوزن لم يكن عند القدامى مجرد نغمة عابرة، بل قانونًا عروضيًا محكمًا، وشرطًا جوهريًا تقوم عليه بنية الشعر.

وسأرصد في هذا المطلب كيفيّة تشكّل البحور والأوزان الموجّهة إلى اليافعين عند شعراء الديوان، وأكثر البحور استخدامًا لديهم حسب الجدول رقم (١).

جدول رقم (١)

الأوزان التي استخدمها الشعراء في ديوان أبجديات الكون.

م	البحر	القصيدة		التكرار التراكمي	عدد الأبيات	النسبة المئوية	المرتبة
		تامة	مجزوء				
١	الوافر	٣	٢	٥	٤٣	٣٠,٠٦٪	الأولى
٢	البسيط	٢	–	٢	١٩	١٣,٢٨٪	الثانية
٣	الرجز	٢	–	٢	١٨	١٢,٥٨٪	الثالثة
٤	المتقارب	٢	–	٢	١٧	١١,٨٨٪	الرابعة
٥	الرمل	١	–	١	١٧	١١,٨٨٪	الخامسة
٦	الكامل	–	١	١	١٢	٨,٣٩٪	السادسة
٧	الخفيف	–	١	١	٩	٦,٢٩٪	السابعة
٨	المتدارك	١	–	١	٨	٥,٥٩٪	الثامنة
الإجمالي		١١	٤	١٥	١٤٣	١٠٠٪	

من خلال الجدول السابق، واستقراء قصائد الديوان، يتبيّن أن البحور التي

(١) أبو الفرج قدامة بن جعفر، "نقد الشعر". تحقيق وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٥٣.

(٢) ابن رشيق القيرواني، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه". تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ١٣٤.

استخدمها الشعراء ثمانية بحور جاءت وفق الترتيب التالي: (الوافر، البسيط، الرجز، المتقارب، الرمل، الكامل، الخفيف، المتدارك) وأهملوا البحور الثمانية التالية: (الطويل، الهزج، المديد، السريع، المضارع، المقتضب، المجتثّ، المنسرح).

وقد جاء الوافر بنوعيه: التامّ والمجزوء في المرتبة الأولى بتكرار بلغ خمس مرات، وبنسبة (٣٠,٠٦٪) أي ثلث قصائد الديوان، والشعراء الذين كتبوا على بحر الوافر هم: أحمد المنعي، وقصيدته بعنوان: "أفكاري"[١]؛ حيث استخدم الوافر التام، وإبراهيم الوافي وقصيدته بعنوان: "التدوين.. رحلة الخلود"[٢] واستخدم مجزوء الوافر، وحوراء الهميلي، وعنوان قصيدتها: "أسئلة"[٣]كتبتها على الوافر التام، وطارق الصميلي، وقصيدته بعنوان: "وحدة الوطن"[٤] التي كتبها على مجزوء الوافر، وأخيرًا مشاعل العبد الله، في قصيدتها: "حكاية نجمة"[٥] على الوافر التام.

ولا غرابة أن يتصدر الوافر بحور الشعر في هذا الديوان، فهو بحر سلسٌ، موسيقيّ، مليءٌ بالإيقاع، يناسب الفئة العمرية الموجّهة إليها قصائد الديوان، وهو كذلك من "أكثر البحور مرونة، وألينها وزنًا، وأغناها موسيقية، ويشيع فيه النغم العذب الحنون، وتنطلق الموسيقى الشجيّة المطربة، وهو صالح لمعظم الموضوعات، ومن أكثر البحور استعمالًا، نظم عليه الأقدمون والمعاصرون شتى الأغراض والمعاني، فاحتواها بكل طواعية ومرونة ويسر"[٦].

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ٢.
(٢) المرجع نفسه، ٦.
(٣) المرجع نفسه، ١٧.
(٤) المرجع نفسه، ٢٦.
(٥) المرجع نفسه، ٣٣.
(٦) محمد علي الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ-

ويأتي بعد الوافر البحور التالية بمعدل قصيدتين لكل بحر، وهي: "البسيط، والرجز، والمتقارب"، وقد وضعتُ البسيط في المرتبة الثانية لكثرة عدد الأبيات المنظومة عليه، وهي (تسعة عشر بيتًا) بنسبة (١٣,٢٨٪) وقد كتب عليه سلطان الضيط، وعنوان قصيدته: "العطاء"[١]، وكذلك محمد إبراهيم يعقوب، وقصيدته التي بعنوان: "البحر.. نافذة أخرى"[٢]، وهو كذلك من "أشهر بحور الشعر العربي، وأكثرها استعمالًا، ومن أكثرها استيعابًا للأغراض والمعاني المختلفة"[٣]، ومن البحور المفضلة لدى العديد من الشعراء في العصرين القديم والحديث.

وجاء في المرتبة الثالثة بحر الرجز، بمعدل قصيدتين و(ثمانية عشر بيتًا) بنسبة (١٢,٥٨٪)، وقد كتب عليه جاسم عساكر، وعنوان قصيدته: "الجديّة"[٤]، وخليف الغالب، وعنوان قصيدته: "كبارنا"[٥]، وهو من البحور السهلة، ومن أكثرها تغيّرًا في الإيقاع؛ لذا أطلقوا عليه (حمار الشعر)، وعلى وزنه أكثر العلماء من نظم المتون العلمية[٦].

وفي المرتبة الرابعة كان بحر المتقارب بمعدل قصيدتين أيضًا، و(سبعة عشر بيتًا) بنسبة (١١,٨٨٪)، كتب عليه: حسن الربيح، وقصيدته بعنوان: "أغنية المسافر"[٧]،

١٩٩١م)، ٨٠.

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠.

(٣) الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ٤٢.

(٤) "ديوان أبجديات الكون"، ١١.

(٥) المرجع نفسه، ١٩.

(٦) يُنظر: الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ٥٣.

(٧) "ديوان أبجديات الكون"، ١٣.

وفايز ذياب، وعنوان قصيدته: "الشجرة"[١]، وهو من البحور المناسبة لكتابة الأناشيد؛ فله "رنّة واضحة، ونغمة حماسية مطربة محبّبة"[٢]، وقد أكثر المعاصرون من النظم عليه سواء أكان في قصائدهم العمودية أم التفعيلية.

وبعد ذلك يأتي بحر: "الرمل، والكامل، والخفيف، والمتدارك" بمعدل قصيدة واحدة لكل منهم، وقد جعلت الترتيب لأكثرهم في عدد الأبيات.

أبدأ ببحر الرمل في المرتبة الخامسة، وقد كتب عليه: جاسم الصحيّح، وعنوان قصيدته: "النخلة.. شجرة الكبرياء"[٣] وامتدت قصيدته إلى (سبعة عشر بيتًا) بنسبة (١١,٨٨٪)، و"يتميز الرمل بالرقة والرشاقة، ويلائم الموضوعات المتصلة بالعواطف... لذا كثر في شعر الأندلسيين، وأخرجوا منه ضروب الموشحات"[٤]، وهو من البحور المناسبة للأدب الموجّه إلى اليافعين؛ لخفّته وانسيابه[٥].

ويأتي في المرتبة السادسة: بحر الكامل، الذي كتب على مجزوئه: حسن القرني، وعنوان قصيدته: "الثقافة"[٦] وعدد أبياتها: (اثنا عشر بيتًا) بنسبة (٨,٣٩٪)، وهو من البحور التي تلائم كل أنواع الشعر وموضوعاته، ومحبب لدى القدماء والمعاصرين.

وفي المرتبة السابعة يأتي بحر الخفيف، وكتب على مجزوئه: شتيوي الغيثي، وعنوان

(١) المرجع نفسه، ٢٨.

(٢) الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ٣٩.

(٣) "ديوان أبجديات الكون"، ٨.

(٤) الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ٩٣.

(٥) يُنظر: عبد الله الطيب، "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، (ط٣، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م)، ١: ١٤٨، ١٥٨.

(٦) "ديوان أبجديات الكون"، ١٥.

قصيدته: "عقارب الساعة"[١] وعدد أبياتها: (تسعة) بنسبة (٦,٢٩٪)، وهو "من أكثر البحور طلاوة ولينًا وموسيقية، وليس في بحور الشعر بحر كالخفيف يصلح للتصرف في الأغراض والمعاني"[٢]، وقد كتب عليه القدماء والمحدثون.

وفي المرتبة الثامنة والأخيرة يأتي بحر المتدارك، وقد كتب عليه: إبراهيم حلّوش، وعنوان قصيدته: "رموز الإبداع"[٣]، وجاءت بـ (ثمانية أبيات) بنسبة (٥,٥٩٪).

يتضح من خلال العرض السابق أن شعراء الديوان قد نوّعوا في بحورهم الشعرية، معتمدين على أشهرها، وأكثرها استخدامًا، وأغناها موسيقية؛ لتناسب طبيعة الأدب الموجّه إلى اليافعين، الذين ينجذبون إلى الأوزان الرشيقة، والمتدفقة، والخفيفة ذات الإيقاع الراقص، وابتعدوا عن الأوزان الثقيلة وقليلة الاستعمال في الشعر العربي عمومًا؛ ممّا يعبر عن وعيهم بثراء العروض العربي، ويعكس نجاحهم في تحقيق جاذبية فنية وإيقاعية تلائم الفئة المستهدفة.

٢– القافية:

تعد القافية ركيزةً أساسية في الشعر العمودي، وجزءًا لا يتجزأ من بناء القصيدة العربية، وعنصرًا موسيقيًا مهمًا يشارك الوزن في الإيقاع، وهي "زخرف القصيدة الذي يحدث التناغم والتناسب والاطراد، وأول ما يلفت انتباه المتلقي؛ حيث ترضي ذوقه، وتطرب في جرسها أذنه"[٤]، كما أنها ليست مجرد عنصر صوتي يضفي على القصيدة مسحة عروضية تعنى بالتطريب وإثارة الاستجابة الوجدانية المباشرة، بل تتخطى هذا

(١) المرجع نفسه، ٢٤.

(٢) الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ١٠٠.

(٣) "ديوان أبجديات الكون"، ٤.

(٤) ياسمين حمد حمود غالي الحربي، "البنية الإيقاعية في ديوان الأفنان للشاعر عبد الرحمن شكري: دراسة عروضية تطبيقية". *الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة* ٢٢، (فبراير ٢٠١٩م)، ٩٨.

الدور إلى أداء وظيفة دلالية تسهم في بناء المعنى وتوجيهه داخل النص الشعري[١].

ويعرف علماء العروض القافية بأنها: المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، ويلزم تكرار نوعها في كل بيت، وبشكل أدق تبدأ من آخر حرف ساكن في البيت إلى أول ساكن سبقه مع المتحرك الذي قبل الساكن[٢].

وقد أولى عدد من النقاد القدامى اهتمامهم بالقافية، فهي "لم تكن مجرد عنصر موسيقي بل هي أيضًا جزء لا يتجزأ من الدلالة"[٣]، فالقافية عند ابن رشيق هي "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرًا حتى يكون له وزن وقافية"[٤]، كما مر بنا تعريف قدامة بن جعفر للشعر بأنه "قولٌ موزونٌ مقفّى يدل على معنى"[٥]، ومع أن هذه التعريفات تمثل رؤية تقليدية للشكل الظاهري للشعر أكثر من الجوهر الفني، فإنها خدمت النقد في العصر القديم.

ورغم انفتاح الشعراء على التجارب المختلفة كشعر التفعيلة خارج الديوان، فإننا نلحظ اهتمامهم بالقافية؛ خاصة في القصيدة الموجهة إلى اليافعين؛ لما للقافية من جرس موسيقي محبب قادر على أن يثبت في الذاكرة، ويعزّز الحفظ، ويرسخ الكلمات؛ مما يجعل الاسترجاع سهلًا.

ومن خلال الاطلاع على قصائد الديوان، نجد التزام الشعراء جميعهم بالقافية،

(١) يُنظر: عبيد، "القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية"، ٨٨.

(٢) يُنظر: الإمام أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، "كتاب القوافي". تحقيق أحمد راتب، (ط١، بيروت: دار القلم، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م)، ٨.

(٣) ايت العسري عادل، "مظاهر تجديد القافية في الشعر العربي". *الجزائر: جامعة البليدة، مجلة اللغة العربية وآدابها١، م١٠*، (جولاي ٢٠٢٢م)، ٦١.

(٤) القيرواني، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه"، باب القوافي، ١: ١٥١.

(٥) ابن جعفر، "نقد الشعر"، ٥٣.

سواء الموحّدة، أم المنوعة؛ حيث جاءت اثنتا عشرة قصيدة بالقافية الموحدة، وثلاث قصائد بقوافٍ منوّعة.

وباستقراء قصائدهم، فقد استخدموا من أنواعها ما يمثله الجدول التالي رقم (٢):

جدول رقم (٢)

أنواع القافية وعدد تكرارها في القصائد ذات القافية الموحّدة.

المتواترة	المتراكبة	المترادفة	المتداركة	المتكاوسة
٥	٣	٢	٢	صفر

من خلال الجدول السابق نلحظ أن التكرار الأعلى في القصائد ذات القوافي الموحدة التي استخدمها شعراء الديوان، كان للمتواترة، وهي "كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين"(١)، يليها المتراكبة، بثلاث حركات بين ساكنيها، ثم المترادفة، والمتداركة بعدد قصيدتين لكل منهما، والمترادفة هي القافية التي اجتمع ساكناها ولزمها الردف، أما المتداركة فهي التي توالى فيها حركتان بين ساكنيها(٢).

جدول رقم (٣)

أنواع القافية وعدد تكرارها في القصائد ذات القافية المنوّعة.

المتواترة	المترادفة	المتداركة	المتراكبة	المتكاوسة
٢١	٤	٣	صفر	صفر

(١) الأخفش، "كتاب القوافي"، ١٢.

(٢) يُنظر: الأخفش، "كتاب القوافي"، ١١، ١٢.

وفي القصائد المنوعة القوافي، كان التكرار الأعلى للمتواترة كذلك بعدد واحد وعشرين بيتًا، ثم المترادفة بأربعة أبيات، فالمتداركة بثلاثة أبيات.

أما المتكاوسة بأربع حركات بين ساكنيها، لم ترد أبدًا في قصائد هذا الديوان، وهي "قليلة على العموم في الشعر العربي القديم فضلًا عن الشعر المعاصر"[1].

جدول رقم (٤)

أنواع القوافي من حيث الإطلاق والتقييد والتكرار في القصائد ذات القافية الموحّدة.

	القافية المقيدة		القافية المطلقة		
	مقيدة مردوفة	مقيدة مجردة	مطلقة مردوفة موصولة بلين	مطلقة مجردة من الردف والتأسيس موصولة بلين	مطلقة مجردة من الردف والتأسيس موصولة بهاء
	٢	١	٤	٤	١
مجموع عدد القصائد	٣		٩		

(١) إبراهيم بن محمد أبو طالب، "البنية الإيقاعية في شعر محمد الثبيتي". *مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية* ٢، م١٠، (١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣م)، ٣٨.

جدول رقم (٥)

أنواع القوافي من حيث الإطلاق والتقييد والتكرار في القصائد ذات القافية المنوّعة.

	قصيدة: الجديّة					
	مقيدة مردوفة	مقيدة مجردة	مطلقة مردوفة موصولة بلين	مطلقة مردوفة موصولة بهاء	مطلقة مجردة من الردف والتأسيس موصولة بلين	مطلقة مجردة من الردف والتأسيس موصولة بهاء
	١	١	٥	صفر	١	صفر
	قصيدة: أغنية المسافر					
	٣	٢	١	١	صفر	١
	قصيدة: الثقافة					
	صفر	صفر	٤	٤	٤	صفر
مجموع عدد الأبيات	٤	٣	١٠	٥	٥	١
	٧		٢١			

من خلال الجدولين رقم (٤) و(٥) نلحظ أن شعراء الديوان قد وظفوا القافية المطلقة بنسبة أكبر من القافية المقيدة؛ حيث استخدموا القافية المطلقة في تسع قصائد، بينما وردت القافية المقيدة في ثلاث قصائد فقط، وذلك في القصائد ذات القافية الموحدة.

وكذلك في القصائد ذات القافية المنوعة؛ فقد وردت القافية المطلقة في إحدى وعشرين بيتًا، أما المقيدة ففي سبعة أبيات فقط.

فالقوافي المطلقة تكون أكثر نعومة وانسيابًا وانفتاحًا، وتساعد الشعراء على التدفّق العذب وتمنحهم مساحة أكبر للتعبير العاطفي أو الغنائي، كما أن الصوت المتحرك يكون وقعه أقوى، ويُنتج نغمةً موسيقية تثبت في الأذهان؛ وذلك يناسب الأدب الموجه لليافعين.

ونلحظ أن الشعراء اكتفوا بتوظيف ست قوافٍ فقط من أنواع القوافي التسع، فلم يرد في قصائدهم: (المطلقة المؤسسة الموصولة بلين) أو (المطلقة المؤسسة الموصولة بهاء)

أو (المقيدة المؤسسة).

فمن القوافي المطلقة استخدموا: (القافية المطلقة المردوفة الموصولة بلين) في أربع قصائد مثل: "وأفردُ في خيالاتي جناحي"(١)، وَ:"بكم أحرفنا تزدانُ"(٢)، وَ:"كأيّ فسيلةٍ تهوى النخيلا"(٣)، وَ:"لها لغزٌ يحيرنا كثيرا"(٤).

واستخدموا: (المطلقة المجردة من الردف والتأسيس الموصولة بلين) في أربع قصائد أيضًا مثل: "وندركُ بحرنا صورا"(٥)، وَ "ولا لديّ بكفّي كان أو شَفَتي"(٦)، وَ "أشيعوا الحبّ في المدنِ"(٧)، وَ "البحر نافذةٌ أخرى إلى نفسي"(٨).

واستخدموا: (المطلقة المجردة من الردف والتأسيس الموصولة بهاء) مثل: "والثواني مجلجلةْ"(٩).

ومن المقيدة استخدموا: (المقيدة المردوفة) بواقع قصيدتين مثل: "مثلما يصعد لله الدعاءْ"(١٠)، وَ"بهمْ تطيبُ أنفسُ الصغارْ"(١١)، وَ (المقيدة المجردة) بقصيدة واحدة:

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ٣.
(٢) المرجع نفسه، ٥.
(٣) المرجع نفسه، ١٨.
(٤) المرجع نفسه، ٣٤.
(٥) "ديوان أبجديات الكون"، ٧.
(٦) المرجع نفسه، ٢٣.
(٧) المرجع نفسه، ٢٧.
(٨) المرجع نفسه، ٣١.
(٩) المرجع نفسه، ٢٥.
(١٠) المرجع نفسه، ٩.
(١١) المرجع نفسه، ٢٠.

"ومدّي على الأرضِ ظلَّ الخفرْ"[١].

وإذا تأملنا القصائد المنوعة القافية، نجد أنهم استخدموا ست قوافٍ وأهملوا ثلاثًا مثل القصائد الموحدة التفاعيل على النحو التالي:

(المطلقة المردوفة الموصولة بلين) في عشرة أبيات؛ خمسة منها في قصيدة: "الجدية" على النحو التالي: "أريد للحياة أن تراني، وَ: أصحبُ الضياءَ والطيورا، وَ: إذا هوت سواعدي بالفأسِ، وَ: مسافرًا يمضي إلى الجذورِ، وَ: لا يفرّ من يدي طموحي"[٢].

ومن قصيدة: "أغنية المسافر": "وأنزلُ أرضًا وأحمل زادا"[٣]، ومن قصيدة "الثقافة": "إني أحبُّ يدي إذا ما كان في كفي كتابُ، وَ: أجري كما تجري الجداول حين يمطرها السحابُ، وَ: خضراء تعتمرُ النّدى والشمسُ أسبابي العذابُ، وَ: ليرى فؤادي ما يرى شيخٌ وما فتئ الشبابُ"[٤].

وبعد ذلك (المطلقة المردوفة الموصولة بهاء) في خمسة أبيات، فقد وردت في: "أغنية المسافر": "فأحكي لصبحي حتى النهاية"[٥]، وفي قصيدة "الثقافة": "لا بالسنينِ يزيدُ عمرُ المرءِ.. لا.. بل بالثقافةْ، وَ: عقلي عقولٌ إذْ سللتُ الحقَّ من بين الخرافةْ، وَ: وكذاكَ قال محمدٌ بالوحيّ لابن أبي قحافةْ"[٦].

وكذلك (المطلقة المجردة من الردف والتأسيس)؛ حيث وردت في خمسة أبيات

(١) المرجع نفسه، ٢٩.
(٢) المرجع نفسه، ١٢.
(٣) المرجع نفسه، ١٤.
(٤) المرجع نفسه، ١٦.
(٥) المرجع نفسه، ١٤.
(٦) المرجع نفسه، ١٦.

أيضًا في قصيدة: "الجدية": "فليست الأعمار بالتمني"(١)، وفي قصيدة "الثقافة": "لي من يقولُ اقرأ لتخدمَ موطنًا وتشيدَ صرحا"، وَ: بالعلمِ لا بسواهُ نُجلي ليلةً ونجيءُ صُبحا، وَ: سنظلُّ نشرحُ كيف تُستبقُ الخطى في الأفق شرحا، وَ: ليقالَ مرحى للعقولِ وما بنتْ بالعلمِ مرحى"(٢).

أما (المطلقة المجردة من الردف والتأسيس الموصولة بهاء) فقد وردت مرة واحدة في قصيدة "أغنية المسافر": "أضيف لنفسي حياة وخيرة"(٣).

وإذا تأملنا (المقيدة المردوفة) فقد وردت أربع مرات في قصيدة: "الجدية": "به أضيء ظلمة الطريقْ"(٤)، وفي: "أغنية المسافر": "أرى من سمائي جمال النهار، وَ: جبالا.. صحارى.. نخيلا.. مياه، وَ: أعودُ إليه، إذا الشوق خان"(٥).

أما المقيدة المجردة فقد وردت ثلاث مرات؛ مرة في قصيدة: "الجدية": "وأعشقُ الطريقَ للعملْ"(٦)، ومرتين في "أغنية المسافر": "بكل الشواطئ لي منتجعْ، وَ: أحب التنقل أهوى السفرْ"(٧).

نستنتج من العرض السابق أن الشعراء استخدموا القوافي التي تؤدي المعنى، وتيسر الفهم، وتثبت المفردات؛ ليكون الإيقاع منتظمًا وسهل الترديد، ومناسبًا للفئة العمرية

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ١٢.
(٢) المرجع نفسه، ١٦.
(٣) المرجع نفسه، ١٤.
(٤) المرجع نفسه، ١٢.
(٥) المرجع نفسه، ١٤.
(٦) المرجع نفسه، ص١٢.
(٧) المرجع نفسه، ص١٤.

المقصودة في هذا الديوان.

أما حروف القافية فقد استخدم الشعراء ثلاثة عشر حرفًا من أصل ثمانية وعشرين، وهي من الحروف المألوفة، سهلة النطق، التي تعزز الإيقاع المحبّب، وتتناسب مع طبيعة المتلقي كما في الجدول رقم (٦)، وتجنبوا الحروف الثقيلة، ونادرة الاستخدام في الشعر العربي مثل: الثاء، والخاء، والذال، والزاي، والضاد، والطاد، والظاء، والغين وغيرها.

جدول رقم (٦)

حروف الرويّ وعدد تكرار استخدامها في ديوان أبجديات الكون.

م	حرف الرّوي	التكرار التراكمي	عدد الأبيات	النسبة المئوية	المرتبة
١	الراء	٦	٤٠	٪٢٧,٩٧	الأولى
٢	النون	٤	٢٠	٪١٣,٩٨	الثانية
٣	اللام	٣	٢٠	٪١٣,٩٨	الثالثة
٤	الهمزة	١	١٧	٪١١,٨٨	الرابعة
٥	الحاء	٣	١٣	٪٩,٠٩	الخامسة
٦	السين	٢	١١	٪٧,٦٩	السادسة
٧	التاء	١	٩	٪٦,٢٩	السابعة
٨	الباء	١	٤	٪٢,٧٩	الثامنة
٩	الفاء	١	٤	٪٢,٧٩	
١٠	الدال	١	١	٪٠,٦٩	التاسعة
١١	القاف	١	١	٪٠,٦٩	
١٢	العين	١	١	٪٠,٦٩	
١٣	الهاء	١	١	٪٠,٦٩	
١٣	الياء	١	١	٪٠,٦٩	
الإجمالي		٢٧	١٤٣	٪١٠٠	

نلحظ من الجدول السابق أن حرف (الراء) هو أكثر الحروف استخدامًا، فقد ورد في ست قصائد بمعدل أربعين بيتًا بنسبة (٢٧,٩٧٪)، يليه (النون) و(اللام) بنسبة (١٣,٩٨٪) لكل منهما، ثم (الهمزة) بنسبة (١١,٨٨٪)، ف (الحاء) بنسبة (٩,٠٩٪)، ثم (السين) بنسبة (٧,٦٩٪)، ف (التاء) بنسبة (٦,٢٩٪)، يليهما (الباء وَالفاء) بمرتبة واحدة وبنسبة (٢,٧٩٪) لكل منهما، ثم: (الدال، والقاف، والعين، والهاء، والياء) بمعدل بيت واحد لكل منهم ونسبة (٠,٦٩٪).

المبحث الثاني: الإيقاع الداخلي

١ – التكرار:

يعد التكرار "ظاهرة بارزة في بنية النص الشعري الحديث"[١]، وأداة أسلوبية وجمالية مهمة في الأدب عمومًا، وفي الأدب الموجه إلى الأطفال واليافعين خاصة؛ لما له من وظائف متعددة كدعم الجانب الإيقاعي والموسيقي، وتعزيز الفهم وترسيخ المعنى، وتسهيل الحفظ والاستظهار.

وقد وظّف شعراء الديوان التكرار بأنواعه المختلفة كتكرار الصوت، والكلمة: (اسم، فعل، حرف) والجملة، وتركيب الجملة في قصائدهم المتنوعة.

ومن أمثلة تكرار الصوت: تكرار حرف الفاء في قصيدة: "أفكاري" (ثماني عشرة) مرة في الكلمات التالية: "أفكر، في، أفرد، في، تهتف، الفلاح، فأرسم، في، فتصبح، فما، كفاح، فكرت، في، فأقدم، ففي، مفتاح، في"[٢].

بل ورد صوت الفاء ست مرات في بيت واحد:

إذا فكّرتَ في حلمٍ فأقدم

ففي الإقدامِ مفتاح النجاحِ[٣]

والفاء صوت رخوي من الحروف الشفوية، ومن صفاته الهمس والانفتاح[٤]، ولعلنا نعود إلى عنوان القصيدة: "أفكاري" وكأن حرف الفاء أعطى مساحة صوتية

(١) عبد القادر علي زروقي، "جماليات التكرار وديناميةالمعنى في الخطاب الشعري، نماذج من شعر محمد بلقاسم خمار". *مجلة الأثر* ٢٥، (جون ٢٠١٦م)، ١٣٣.

(٢) "ديوان أبجديات الكون"، ٣.

(٣) المرجع نفسه، ٣.

(٤) يُنظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، "مقدمة في علم أصوات العربية"، (ط٣، القاهرة: الجريسي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ٩٣، ١٠٨.

مريحة للتأمل والتفكر في المستقبل والأحلام والطموحات، ومن ثم الانطلاق والاندفاع؛ ليجاري معنى الإقدام نحو النجاح، فالتكرار أضفى إيقاعًا متناغمًا ومعنى متماسكًا يوصل رسالة القصيدة بوضوح.

ومن تكرار الأصوات تكرار حرف السين في قصيدة: "الجدية" لجاسم عساكر أربع مرات في بيت واحد:

فلتسألوا الصخورَ أي بأسِ

إذا هوتْ سواعدي بالفأسِ(١)

والسين حرف لثوي يعيق الهواء أثناء النطق به بسبب اتصال طرف اللسان باللثة العليا(٢)، كما أنه احتكاكي مهموس فيه صفير ورخاوة، ويتميز برقة النغمة(٣)، هذه الرقّة خفّفت من خشونة الفعل (ضرب الصخر) وخلقت توازنًا بين القسوة والعمل وبين الجهد والإصرار، وقد أغنى التكرار الإيقاع بجرس موسيقي يحاكي صوت الفأس في الصخور، وعكس معنى البأس والقوة الكامنة في المشهد.

ومن تكرار الكلمة تكرار الاسم: "للحياة" في القصيدة نفسها:

أتيتُ للحياةِ بالأماني

أريدُ للحياةِ أن تراني(٤)

فقد جاء التكرار في الموقع العروضي نفسه، فخلق توازنًا إيقاعيًا بين الصدر والعجز، ولم يكن صوتيًا فحسب؛ بل أحدث تأكيدًا دلاليًا، ورسّخ أهمية الحياة وطموحه

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ١٢.

(٢) يُنظر: البركاوي، "مقدمة في علم أصوات العربية"، ١٠٣.

(٣) يُنظر: أحمد مختار عمر، "دراسة الصوت اللغوي"، (د.ط، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، ٣١٦، ٣٢٤.

(٤) "ديوان أبجديات الكون"، ١٢.

بأن تراه وتقرّ بوجوده وجهده؛ فالقصيدة "منظومة في حب الحياة والأمل وامتداح الجد والاجتهاد"[١] كما جاء في تقديمها، كما أن التكرار "إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها"[٢].

ومثل ذلك تكرار الفعل في قول إبراهيم الوافي في قصيدة: "التدوين.. رحلة الخلود":

نسافرُ في عقولِ الناسِ
حيثُ ندوّنُ العِبَرا
حياةُ المرءِ خطواتٌ
ندوّنُ وقعَها أثرا[٣]

ففي تكرار الفعل: "ندون" تأكيد للمعنى؛ إذ القصيدة قائمة على توضيح أهمية التدوين في تخليد الآثار والحضارات والذكريات، كما يعكس الإصرار على الرسالة، والإلحاح على فكرة التوثيق وصناعة الأثر؛ فالتدوين ليس فعلا عابرًا، بل فعلًا مستمرًا متجددًا.

وفي القصيدة نفسها تكرار للاسم: "التدوين" للمغزى ذاته:

هو التدوينُ خلّدنا
حضارات ومدّخرا
لنا في الحرفِ ذاكرة
وفي تدوينهِ ذكرا[٤]

وقد خدم التكرار الموسيقى الداخلية، وأحدث توازنًا صوتيًا ودلاليًا في القصيدة كلها.

---

(١) المرجع نفسه، ١١.

(٢) نازك الملائكة، "قضايا الشعر المعاصر"، (ط١١، بيروت: دار العلم للملايين، أكتوبر ٢٠٠٠م)، ٢٧٦.

(٣) "ديوان أبجديات الكون"، ٧.

(٤) المرجع نفسه، ٧.

وفي قصيدة: "عقارب الساعة" تكرار لكلمة: "ساعة":

ساعةٌ بعد ساعةٍ

يزرعُ الوقتُ سنبلةْ(١)

لقد أعطى تكرار الكلمة في صدر البيت إيقاعًا متناغمًا يشبه دقات الساعة المتتابعة، هذا الإيقاع يبعث شعورًا بالزمن وأهميته وهو يمضي خطوة بعد خطوة، وكأن التكرار محاكاة صوتية إيقاعية لمعنى الوقت نفسه، فهو تصوير حركي للزمن المتواصل الذي يناسب فكرة الإنبات والنمو والعمل.

وفي قصيدة: "الثقافة" لحسن القرني تكرار لكلمة: "مرحى":

ليقالَ مرحى للعقولِ وما بنتْ بالعلمِ مرحى(٢)

نلحظ أن التكرار منح البيت جرسًا احتفاليًا، وأضفى نغمة فرح قصيرة الإيقاع، فكلمة مرحى تعني التحية والتقدير والابتهاج، وفي لسان العرب "إذا رمى الرجل فأصاب قيل: مرحى له! وهو تعجب من جودة رميه"(٣)، وتكرارها يظهر أن الفرح ليس عابرًا أو فرديًا، بل متجدّدًا ومستمرًا مع كل إنجاز عقلي وعلمي، والعلم يقتضي احتفالًا مضاعفًا كما ضاعف الشاعر كلمة "مرحى".

كما كرّر الحرف: "لا" في القصيدة نفسها:

بالعلمِ لا بسواه نُجلي ليلةً ونجيءُ صبحا

لا بالسنينِ يزيدُ عمرُ المرءِ.. لا بل بالثقافة(٤)

إن تكرار حرف "لا" ثلاث مرات خلق جرسًا قويًا يوحي بالحزم والصرامة، فقد

(١) المرجع نفسه، ٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ١٦.

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة: مرح.

(٤) "ديوان أبجديات الكون"، ١٦.

كرّر الشاعر النفي؛ ليبرز رفضه التام لأي بديل عن العلم والثقافة، فهو القيمة الحقيقية الذي يقاس به العمر.

وفي قصيدة: "أسئلة" لحوراء الهميلي تكرار لأداة الاستفهام: "هل":

سألتُ النخل هل رجلاي جِذرٌ؟

وكفّي هل بدت غصنًا نحيلا؟!(١)

ليعكس حالة الحيرة عن طريق تعزيز الإيقاع بنغمة استفهامية متتابعة، من خلال توالي "هل" مرتين؛ حيث "تستغرق القصيدة في الخيال والأسئلة المحيرة، فهل الإنسان نخلة أنجبتها الأرض لينمو جذعها إلى حدود السماء؟ وهل لأسئلة الحياة نهاية"؟(٢)، كما يدعم عنوان القصيدة بإظهار إلحاح السؤال وبحث الذات عن إجابة.

وفي قصيدة: "أغنية المسافر" لحسن الرُّبيح تكرار لكلمة "بلادا":

أطوفُ الأقاصي بلادًا بلادًا(٣)

إضافة إلى الغنى الموسيقي والإيقاعي، فإن تكرار الكلمة أسهم في زيادة المعنى، وكثرة البلاد التي يسافر إليها طائر البجع، فيحلق بين السماء والغيوم والشواطئ متأملًا صنيع الله، وجماليات الطبيعة والكون، في رحلة طويلة مليئة بالحنين.

وفي القصيدة ذاتها تكرار لكلمة: "مثلكم":

أنا طائرٌ مثلكم يا بشرْ

أحبُّ التنقلَ أهوى السفر

ولي موطنٌ مثلكم ومكانْ

---

(١) المرجع نفسه، ١٨.

(٢) المرجع نفسه، ١٧.

(٣) المرجع نفسه، ١٤.

أعودُ إليه إذا الشوقُ حان(١)

فوجود الكلمة المكررة في موقعين متناظرين أضفى نغمة هادئة، وأكّد التماهي بين روح الطير وروح الإنسان، والاهتمامات المختلفة مثل حب السفر والاكتشاف والشوق إلى الأوطان.

وكذلك تكرار تركيب جملة: "أنا طائرٌ":

أنا طائرٌ من طيورِ البجعْ
بكلّ الشواطئِ لي منتجعْ
أنا طائرٌ مثلكم يا بشرْ
أحبُّ التنقلَ أهوى السفرْ(٢)

لزيادة الإصرار على التشابه بين طائر البجع والإنسان، وترسيخ فكرة السفر والترحال، كما يشي بحالة من الافتخار والاعتزاز بالحرية والتنقل، إضافة إلى الانسجام الغنائي الذي منحه التكرار على إيقاع النص.

ومن قصيدة: "البحر نافذةٌ أخرى" لمحمد يعقوب، تكرارٌ لكلمة: "حدس" مرتين، وتكرارٌ لكلمة: "بحر" في أكثر من بيت:

هل تتعب الروح؟ من حدسٍ إلى حدسِ
البحر نافذة أخرى إلى نفسي
البحر كان صديقي غايةً وصِبًا
البحر علّمني: الإنسانُ ما غَدهُ؟!

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ١٤.

(٢) المرجع نفسه، ١٤.

كبرتُ والبحرُ أوهامًا أجرّبها(١)

يكرر الشاعر كلمة: "حدس" ليعكس انشغاله بالتجربة الروحية والفكرية، ويثبت قدرته على إدراك الأشياء وفهمها عن طريق الاستشعار الداخلي، ويكرر كلمة: "بحر" ليجعل منه رمزًا أساسيًا لإلهام هذه القصيدة، فتمتدّ تأملاته مع امتداد البحر وشسوعه؛ فهو الصديق والمعلّم ومرآة النفس، فيؤكد حضوره بوصفه أحد منابع الإلهام التي يطل منها الشاعر على ذاته والعالم.

وكذلك يكرر الشاعر حرف النفي: "لم":

لم تروَ بعدُ، ولم أظمأْ إلى الكأسِ

لم أختبره غيابًا، كان لي رئةً(٢)

ليكشف عن الصراع الداخلي بين الامتلاء والفراغ، والحضور والغياب، ويؤكد عشقه للبحر وهيامه، فهو في حالة بين الارتواء والظمأ تجعله في علاقة وطيدة لا تنتهي، وكأنه النفَس الذي يحيا به.

إن التكرار المتنوع للكلمة في هذا النص يعد وسيلة فنية لإثراء الإيقاع، وترسيخ الرموز، وتعميق الدلالات المعنوية.

ومن الأمثلة في قصيدة: "أفكاري" لأحمد المنعي، تكرار كلمة: "رياح":

وإن عرضت لأشرعتي رياحٌ

أروّضها فتصبح من رياحي(٣)

فالتكرار هنا خدم المعنى وزاد في جمالية الإيقاع، كما أكّد أهمية العزم والثقة والإصرار في مقاومة رياح المصاعب، وتحويلها إلى قوة داخلية تسهل الحياة، وتواجه

(١) المرجع نفسه، ٣١، ٣٢.

(٢) "ديوان أبجديات الكون"، ٣٢.

(٣) المرجع نفسه، ٣.

المتاعب بقوة الإيمان.

ومن تكرار الاسم تكرار الضمير: "أنتم" في قصيدة: "رموز الإبداع" للشاعر إبراهيم حلوش:

أنتم للبوح العنوان

أنتم للإبداع رموز[١]

وفيه تأكيد أهمية رموز الإبداع في وطننا، والاحتفاء بهم، والاعتزاز بأدوارهم في المجتمع؛ حيث باتوا عناوين للسموّ الإنساني كما ورد في تقديم القصيدة[٢].

ومن تكرار الجملة الشعرية قول أحمد النعمي في قصيدة: "أفكاري":

فما معنى الأماني دون سعي

وما معنى الحياة بلا كفاحِ[٣]

فقد تكررت الجملة الاستفهامية لإبراز أهمية العلاقة بين الجهد والنتيجة؛ فكيف يكون للأماني لذّة دون تعب؟! فالتكرار يعزز الإيقاع الداخلي للنص، ويؤكد المعنى الفلسفي الذي قصده الشاعر، كما يجعل القارئ في حالة تأمّل في قيمة السعي والكفاح لتحقيق الأماني والأحلام.

ومن الأمثلة تكرار الضمير والحرف:" هي في" لجاسم الصحيح في قصيدة: "النخلة شجرة الكبرياء":

هي في تاريخنا رمز الندى

وهي في الحاضر عنوان السخاء

(١) المرجع نفسه، ٥.

(٢) يُنظر: المرجع نفسه، ٤.

(٣) المرجع نفسه، ٣.

فهي ما بين احتطاب وجناء[١]

للإشارة إلى أهمية النخلة في حياة الإنسان العربي، والحب والعطاء المتبادل، إضافة إلى خدمة التكرار للمعنى فقد أدّى دورًا بارزًا في بناء الإيقاع الداخلي للقصيدة؛ خاصة في ترديد الضمير وحرف الجر (هي في)؛ حيث جاء في مطلع الأبيات فمنح القصيدة جرسًا إيقاعيًا ثابتًا، كما أحدث موسيقى دقيقة متناغمة تنسجم مع الدلالات الإيجابية للندى والعطاء والسموّ.

وكذلك تكرار تركيب جملة: "إنها النخلة":

إنها النخلة في عليائها

تتجلى عن معاني الكبرياءْ

إنها النخلة.. في الأرض نمت

بينما تُنمى لأشجارِ السماء

إنها النخلة يا أبناءنا

بعض ميراث الجدودِ الكرماء[٢]

لتسليط الضوء على مكانة النخلة عبر الزمن، وتأكيد المعنى الرمزي لها كمصدر للفخر والكبرياء والكرم والشموخ؛ لتصبح النخلة محور التجربة الشعرية كلها، كما عمّق تكرار تركيب الجملة الإيقاع المنتظم، وصنع وقفات موسيقية تفصل بين الصور والمعاني، ومنح القصيدة وحدة فنية تجمع بين الموسيقى والدلالة.

وفي قصيدة: "كبارنا" لخليف الغالب تكرار: "وهم لنا":

نحبّهم وهم لنا السماءْ

---

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ١٠.

(٢) المرجع نفسه، ١٠.

نجلّهم وهم لنا المدارْ[١]

أكّد التكرار العلاقة الوثيقة مع الكبار، وأظهر صور الوفاء والحب والاحترام لهم، كما ضاعف أثر المعنى الشعوري، وجعل القارئ يشعر بعمق الروابط والمكانة الرفيعة للكبار في حياة المجتمع.

وفي قصيدة: "العطاء" لسلطان الضيط تكرار لحرف النفي: "لا":

لا شيء أنقى على الأرواحِ واللغةِ
ولا لديّ بكفّي كان أو شفتي[٢]

جاء تكرار الحرف في مقدمة القصيدة؛ لتركيز الانتباه على الالتزام بقيمة العطاء، وتأكيد الثبات على المبادئ عبر النفي، وزيادة الأثر المعنوي للإحساس بقوة القيم التي يدافع عنها، كما ولّد إيقاعًا يضفي على المطلع نغمة التأمل والرفض في آن واحد.

وكذلك تكرار لتركيب جملة: "ما.. دون عطاءٍ":

ما الحبُّ دونَ عطاءٍ في الحياةِ سِوى
أشجارُ بَرٍّ جفاها الماء فانتهتِ
ما الصدقُ دون عطاء غير منقطعٍ
إلا بقدر هباءِ الصمت في اللغةِ
وما الحياةُ؟ وما الإنسان؟ في زمنٍ
بلا عطاء.. سوى روحٍ مشوّهةِ[٣]

يؤكد الشاعر أهمية العطاء كقيمة أساسية في حياة الإنسان، ففي كل مرة يعاد

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ٢١.
(٢) المرجع نفسه، ٢٣.
(٣) المرجع نفسه، ٢٣.

فيها التركيب تتوسّع دلالة: (الحب، الصدق، الحياة، الإنسان...)؛ ليجعل القارئ يشعر بحضور العطاء في كل جانب من جوانب التجربة الإنسانية، إضافة إلى خلق وحدة موسيقية داخلية، ونغمة متكررة تمنح جرسًا متواترًا يربط الأبيات ببعضها.

ومن الأمثلة في قصيدة: "وحدة وطن" تكرار: "بلا":

بلادٌ شعبها يسري
بها كالروح في البدنِ
يسير بها إلى الأمجاد
منتشيًا بلا وهنِ
يراعيها بلا كللٍ
يفاديها بلا ثمنِ(١)

يُبرز التكرار قيمة التوحّد في حب الوطن؛ حيث الإخلاص والدعوة لإشاعة الحب في بناء وطن العزّ والافتخار، بلا تعب ولا ملل، كما خلق إيقاعًا موسيقيًا منسجمًا، يبدأ بنفي الضعف، وينتهي بالتضحية الكاملة من أجل الوطن، دون انتظار مقابل، فحب الأوطان صادق وعظيم.

وحين نقف على قصيدة "الشجرة" لفايز ذياب، نجدها مليئة بالتكرارات المتنوعة؛ مثل تكرار حرف الجر "في":

ففي الصبح غصنكِ يثمر شمسا
وفي الليل فرعكِ يدني القمر(٢)

وتكرار واو العطف مع الفعل: "كنتِ":

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ٢٩.

وما طائرٌ طاف هذا الوجودَ
إلا وكنتِ له المستقر
وكنتِ على الدهر رمز العطاء
ونبع الجمال بشتّى الصور(١)

وتكرار لتركيب جملة: "فيك من":

ففيكِ من الذوق طعمٌ شهيٌّ
وفيكِ من الشمّ نفح الزهرْ
وفيكِ من اللمسِ غصنٌ رطيبٌ
وفيكِ من السمعِ نغم الوترْ(٢)

وتكرار لكلمة: "منظر":

وما منظرٌ يعجبُ المبصرين
كمنظر سِحركِ عند السَّحَرْ(٣)

يعد التكرار من أبرز السمات الأسلوبية والإيقاعية في قصيدة الشجرة؛ حيث تنوع حضوره بين تكرار حرف الجر، وتكرار أداة العطف مع الفعل، وتكرار تركيب الجملة، وتكرار الاسم، وقد أسهم هذا التكرار في تعميق صورة الشجرة بوصفها رمزًا للعطاء والظلال والجمال والخضرة والحياة، كما منح النص إيقاعًا موسيقيًا داخليًا زاد من جاذبيته، وجعل التلقي أكثر تأثيرًا ووقعًا في النفس، إضافة إلى أن تنوع أنماط التكرار في هذا النص أضفى عليه حيوية، وكسر الرتابة، ورسّخ ديمومة حضور الشجرة في الوجدان.

(١) المرجع نفسه، ٢٩.
(٢) "ديوان أبجديات الكون"، ٢٩.
(٣) المرجع نفسه، ٢٩.

وفي قصيدة: "حكاية نجمة" لمشاعل العبد الله تكرارات متنوعة للأفعال، منها تكرار الفعل: "يضيء":

يضيءُ يضيءُ كل الكون منها[١]

وتكرار للفعل "أصبح":

لأصبحَ مثلها نجمًا منيرًا

وأصبح كالثريّا في الأعالي

وأصبح دائمًا شيئًا كبيرا[٢]

فالشاعرة توظف تكرار الفعل بشكل بارز؛ فينشأ جرسٌ موسيقي متناغم، يضفي على النص بعدًا إنشاديًا يقرّبه من الغناء، وتنويعًا إيقاعيًا يزيد من حيوية النص، ويسهم في تصعيد الحالة الشعورية؛ لمضاعفة الانبهار بالنجم، وتحويل النص إلى لوحة إيقاعية، تترجم تدرّج الانفعال من الإضاءة إلى التحوّل والارتقاء، وتمنح المتلقي لذة سمعية توازي جمال الصورة الشعرية.

نلحظ مما سبق أن توظيف التكرار الشعري بأنواعه المختلفة عكس وعيًا فنيًا ناضجًا، تجلّى في القصائد عبر صور متنوعة وُظِّفت أساسًا لخدمة الدلالة، ومنحت البنية الشعرية طاقة إبداعية متجددة أسهمت في تعميق شعريتها، وإبراز أثرها الجمالي، ممّا أسهم في تعزيز البنية الإيقاعية لنصوص الديوان، وإضفاء تناغم موسيقي ساعد في تثبيت المعنى، وتيسير الحفظ لدى اليافعين.

٢–الجناس:

يعد الجناس من أبرز فنون البديع وأكثرها تنوعًا؛ فقد تفرّعت صوره، وتشعّبت

(١) المرجع نفسه، ٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ٣٤.

قضاياه، وكثرت تقسيماته، وهو عند البلاغيين القدامى ما يقوم على اتحاد اللفظين في الصورة والتلفظ مع تباينهما في المعنى(١)، وفي اللغة هو "مصدر جانس والتجنيس تفعيل من الجنس والمجانسة مفاعلة منه؛ لأن إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية، والتجانس مصدر تجانس الشيئان، إذا دخلا تحت جنس واحد"(٢).

وإذا فتشنا في نماذج الجناس الواردة في ديوان "أبجديات الكون"، نجدها في الغالب من جناس الاشتقاق، وهو أن يُشتقّ اللفظان المتجانسان من أصل لغويّ واحد، ويختلفان في المعنى والتركيب الظاهري(٣)، ومن الجناس الناقص؛ حيث التوافق الجزئي في الشكل، والاختلاف في المعنى، ولم يستخدم الشعراء الجناس التام أبدًا، فهو ضئيل الورود في الشعر عامة.

وفي قصيدة: "النخلة.. شجرة الكبرياء" لجاسم الصحيح أمثلة كثيرة على جناس الاشتقاق، فهو من أبرز الأساليب البلاغية والإيقاعية التي اعتمدها الشاعر في بناء صوره الشعرية عن النخلة، ويقوم على الجمع بين ألفاظ تنتمي إلى جذر لغوي واحد، مع اختلاف صيغها ومعانيها، هذا التكرار الاشتقاقي لا يقف عند حدود الألفاظ، بل

(١) يُنظر: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع". وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، ٢٨٨، ٢٨٩؛ وَفضل حسن عباس، "البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع". (ط١١، إربد: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م)، ٢٩٩.

(٢) أحمد المطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها"، (إعادة طبع، بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٧م)، ٢٦٤.

(٣) يُنظر: القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع"، ٢٩٣؛ وَالمطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها"، ٢٦٧، ٢٦٩.

يتجاوزها ليؤدي دورًا إيقاعيًا ودلاليًا متكاملًا.

يقول جاسم:

نشرتْ خُضْرَ الذؤابات على

منكبِ الآفاقِ فاخضرّ الهواءْ(١)

يتجلى في هذا البيت جناسٌ اشتقاقي يبين كلمتي: "خُضْر" و"اخضرَّ"؛ إذ تعودان إلى الجذر اللغوي المشترك (خ ض ر) الذي يدل على اللون الأخضر والنماء، الأولى جاءت على هيئة جمع صفة، أي شيئًا لونه أخضر، بينما الثانية فعل ماضٍ خماسي يدل على النماء، هذا التكرار يقوي الإيقاع الداخلي عبر تشابه الأصوات، ويعمّق المعنى بتكثيف حضور اللون الأخضر في المشهد، حتى يشمل الذؤابات والهواء معًا، فهو يربط بين الخُضرة الماثلة في أعالي وقمم سعف النخلة وبين النماء والخصب بفعل هذا الامتداد الطبيعي، فيعكس صورة شعرية نابضة بالحياة، ويُحدِث صدى صوتيًا داخليًا يزيد من انسيابية الإيقاع.

ويقول:

إنها النخلة في الأرضِ نَمَتْ

بينما تُنمَى لأشجارِ السماء(٢)

يظهر الجناس الاشتقاقي يبين كلمتي: "نمت" و"تُنمَى"، فالكلمتان تعودان إلى الجذر نفسه (ن م و)، الأولى فعل ماضٍ (نمت) أي كبرت وترعرعت، والثانية فعل مضارع مبني للمجهول بمعنى الانتماء لأشجار السماء، وهذا الجناس أحدث أثرًا في البنية الإيقاعية للبيت؛ إذ يخلق هذا التواشج نغمًا داخليًا يربط بين الشطرين، كما يسهم

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ٩.

(٢) "ديوان أبجديات الكون"، ٩.

في رسم صورة نخلة تجمع بين التجذّر في الأرض والانتماء إلى العلو، فيعمّق بذلك الدلالة عبر المقابلة بين الأرض والسماء.

ويقول:

فإذا أشعارنا غنّت بها

لم يطاولها غناء الشعراء(١)

نلحظ في هذا البيت شاهد على جناس الاشتقاق بين كلمتي: "أشعارنا" و"الشعراء"؛ حيث تنتميان إلى الجذر اللغوي المشترك (ش ع ر) مع اختلاف في الصيغة والدلالة السياقية؛ فالأولى جمع (شعر) التي تدل على النتاج الإبداعي ذاته، والثانية جمع لاسم الفاعل (الشاعر) التي تدل على الأشخاص، ويسهم هذا الجناس في تكوين بنية إيقاعية متماسكة مكثفة الدلالة في إطار جمالي متكامل.

وفي قصيدة: "وحدة الوطن" شاهدان على الجناس الناقص، يقول طارق الصميلي:

بلادٌ شعبُها يَسري

بها كالروحِ في البدنِ

يسيرُ بها إلى الأمجادِ

منتشيًا بلا وهنِ

سعوديون عشنا بين

مؤتمِنٍ ومُؤْتَمَنِ(٢)

الشاهد الأول بين كلمتي: "يسري" و"يسير" فالاختلاف في ترتيب الحروف بين

(١) المرجع نفسه، ٩.

(٢) "ديوان أبجديات الكون"، ٢٧.

الكلمتين وفي المعنى أيضًا؛ فالأولى تفيد الامتداد والانسياب، بينما تشير الثانية إلى الحركة المقصودة نحو الغاية، وهذا الجناس يكثّف الإيقاع، ويعمق الدلالة من خلال الجمع بين الانسياب الطبيعي للبلاد في وجدان أبنائها، والسير الواعي نحو الأمجاد.

والشاهد الثاني بين كلمتي: "مؤتَمِنٍ و"مؤتَمَنِ"؛ حيث يتجلّى الجناس الناقص القائم على اختلاف الحركات فقط، فاللفظان يتشابهان في شكل الحروف وترتيبها، لكنهما يختلفان في الحركات "مؤتَمِنٍ" بكسر الميم: الفاعل المانح للأمان، و"مؤتَمَنِ" بفتح الميم: المفعول به الذي وُضع في عهدته الأمان، هذا الجناس يمنح البيت نغمة إيقاعية دقيقة تتأسس على التوازي الصوتي، ويعمّق البنية الدلالية عبر توضيح العلاقة بين المانح للأمان والذي استؤمن عليه، في تأكيد على وحدة الشعب وتكامل أدواره في بناء الوطن.

ويقول فايز ذياب في قصيدة "الشجرة":

وما منظر يعجبُ المبصرينَ

كمنظرِ سِحركِ عندَ السَّحَرْ(١)

فبين كلمتي: "سِحْرك" و"السَّحَر" جناس ناقص؛ الأولى تدل على سِحر الشيء وجماله، والثانية على وقت السَّحَر، أي وقت الفجر، وقد أضفى الجناس جرسًا خفيفًا، وتباينًا دلاليًا يثير الانتباه إلى المعنى المجازي المقصود في النص، ويزيد التركيز على جمال منظر الشجرة وربطه بزمن السَّحَر.

من خلال هذه النماذج، يتضح أن الجناس ليس مجرد تزيين بلاغي أو إيقاعي، بل هو عنصر بنائي يثري النص على مستوى الإيقاع والدلالة، ويسهم في ترسيخ وحدة النص الشعرية من خلال التلاحم بين الأصوات والمعاني، كما يتضح أن أغلب النماذج التي وظّفها الشعراء تقوم على جناس الاشتقاق، مع وجود بعض الأمثلة للجناس

(١) المرجع نفسه، ٢٩.

الناقص، وهو ما يؤكد على وعيهم الفني، وينسجم مع ما ذهب إليه الجرجاني من أن قيمة الجناس لا تتحقق بمجرد التشابه اللفظي، وإنما تستمد جمالها من خدمة المعنى؛ لأن الألفاظ تابعة للمعاني وخادمة لها، فإذا غلب اللفظ على المعنى عُدّ ذلك إخلالًا ببلاغة الكلام وانحرافًا عن طبيعته(١).

٣- التصريع:

البيت المصرع، هو "البيت الذي دخله التصريع"(٢)؛ حيث "غيرت عروضه بزيادة أو نقص؛ لتوافق الضرب في الوزن والسجع"(٣)، ويعرّف ابن رشيق التصريع: بأنه "ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته"(٤)، ويرى أنه مأخوذ من مصراعي الباب تشبيهًا لمطلع القصيدة بمدخلها، وقيل إنه من طرفي النهار، وعلّته أن الشاعر يعجل بالقافية ليُعرِّف السامع أنه في شعر موزون، لذلك يشيع في مطالع القصائد، وقد يرد عند الانتقال بين الأغراض، وكثرته قد تدل على التكلف، غير أنه استُعمل في المواضع المهمة لما فيه من إبانة عن جودة الطبع(٥).

وللتصريع أثر كبير على البنية الإيقاعية للقصيدة؛ إذ "تتجلّى جمالية أسلوب التصريع في براعة حسن الاستهلال التي تضفي على البيت الأول مسحة جمالية، وتمنح الكلام زينة

(١) يُنظر: الإمام عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة في علم البيان". صحّحه وعلّق على حواشيه: السيد محمد رشيد رضا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م)، ٤، ٥.

(٢) غالب بن محمد الشاويش، "الكافي في علم العروض والقوافي"، (حقوق الطبع محفوظة، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)، ٤٠.

(٣) يُنظر: الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ١٣.

(٤) القيرواني، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، باب التقفية والتصريع، ١: ١٧٣.

(٥) يُنظر: القيرواني، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، باب التقفية والتصريع، ١: ١٧٤، ١٧٦.

إيقاعية، وتطرب أذن السامع؛ حيث تهيئ المتلقي للتقبل والانشراح، ومن ثمة يلج إلى عالم القصيدة مستسلمًا لسحر المطلع"[١]؛ مما يجعل الافتتاح أكثر قوة ووقعًا على السامع والقارئ، إضافة إلى تحقيق توازن بين الشطرين يزيد من التناسق الداخلي للقصيدة.

ومن القصائد المصرّعة: "النخلة شجرة الكبرياء" لجاسم الصحيح:

خُلقَت صاعدةً عبرَ الفضاءْ

مثلما يصعدُ للهِ الدعاءْ[٢]

فالقصيدة على بحر الرمل جاء عروضها مقصورًا على وزن: "فاعلانْ" ليوافق ضربها المقصور، والقصر: "هو إسقاط ثاني سبب الخفيف وإسكان أوله"[٣]، ونلحظ أن هذا التصريع حقّق انسجامًا موسيقيًا، وتهيئة للمتلقي لاستقبال النص، ونبّه إلى بداية القصيدة بكل رشاقة؛ إذ تمنح قافية حرف المد مع الهمزة (ـاء) إحساسًا بالامتداد والرفعة والعلو، وهو ما يتماهى مع صورة الصعود إلى السماء، ويعمّق معنى السموّ والارتقاء، ويوحي بحركة صاعدة متصلة بين الفضاء والدعاء.

والقصيدة الثانية هي قصيدة: "الشجرة" لفايز دياب؛ حيث يقول في مطلعها:

تباهي وجري ذيولَ الثمرْ

ومدي على الأرضِ ظلّ الخفرْ[٤]

(١) علي نكاع، "جماليات التصريع في القصائد الأندلسية لأحمد شوقي دراسة أسلوبية". *مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية*، ١٢، م٥، (ديسمبر ٢٠١٧م)، ٢٣٦.

(٢) "ديوان أبجديات الكون"، ٩.

(٣) الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ٩٠.

(٤) "ديوان أبجديات الكون"، ٢٩.

وهي على بحر المتقارب جاء عروضها محذوفا على وزن: "فَعَلْ" ليوافق ضربها، والحذف: "هو إسقاط سبب خفيف من آخر التفعيلة: فعول فَعُو= فَعَلْ"[١]، ونلحظ هدوء القافية ونعومتها بحرف الراء الساكن والمتوسط بين الرخاوة والشدة، والمتميز بالرشاقة والمرونة[٢]، كبهاء الشجرة/ الأنثى التي تفيض حنانًا وحياء بظلّها الممتد، كما منح التصريع الإيقاع نغمة عذبة رقيقة تتماثل مع الشجرة السامقة التي تتباهى بعطائها وخضرتها وثمارها.

والقصيدة الثالثة هي: "البحر.. نافذةٌ أخرى" لمحمد يعقوب:

هل تتعب الروحُ؟ من حدسٍ إلى حدسِ
البحرُ نافذةٌ أخرى إلى نفسي[٣]

والقصيدة من بحر البسيط جاء عروضها مقطوعًا ووزنه: (فَعْلن) ليوافق ضربها، أي أصابه القطع وهو "حذف آخر الوتد المجموع وإسكان ثانيه: فاعلنْ فاعلْ= فَعْلن"[٤]، هذا التصريع عكس سلاسة الحركة بين الأفكار الداخلية والتجربة الروحية، فجعل البيت رشيقًا ونابضًا بالمشاعر، فصوت السين الرقيق المهموس المشبع[٥]منح انسيابية ونعومة، وإحساسًا بالطمأنينة الداخلية رغم التساؤل العميق، كما أضاف أبعادًا جمالية تشبه أجواء البيت المتدفقة.

ورغم قلة القصائد المصرّعة في هذا الديوان، فإنها من الأساليب التي استخدمها

(١) الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ٣٥.
(٢) يُنظر: حسن عباس، "خصائص الحروف العربية ومعانيها"، (منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م)، ٤٩، ٨٤.
(٣) "ديوان أبجديات الكون"، ٣١.
(٤) يُنظر: الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ٤٣.
(٥) يُنظر: عباس، "خصائص الحروف العربية ومعانيها"، ٤٨.

الشعراء لعزف الموسيقى الداخلية، وتعزيز البنية الإيقاعية للنصوص، وقد جاءت منسابة ومتوافقة مع المعنى، وبعيدة عن التكلف والتصنع.

٤– التدوير:

البيت المدور هو ما كان "فيه كلمة مشتركة بين شطريه، بعضها في الشطر الأول، وبعضها في الشطر الثاني"(١)، وقد أشار ابن رشيق إلى ما يُعرف بالتدوير تحت مسمّيي التجميع والمدمج، موضحًا أنه اتصال شطري البيت اتصالًا تامًا يجمعهما تركيب واحد، وأنه يكثر في عروض الخفيف، بينما يُستثقل في سائر البحور إلا في الأعاريض القصيرة كالهزج وما يشبهه(٢).

ويعد التدوير من الظواهر الإيقاعية المهمة في الشعر العربي القديم والحديث؛ فهو يسهم في كسر الإيقاع المنتظم دون الإخلال به، فيخلق شكلًا من التنويع الموسيقي الذي يبقي السامع منتبهًا ومتفاعلًا، و"يسهل عملية الانتقال بما يوفره من انسيابية في مواصلة التلقي"(٣)، فيشارك في إيجاد الترابط الحركي والصوتي بين الشطرين، ويكون مدعاة للوحدة الإيقاعية التي هي جزء من الوحدة الموضوعية في القصيدة، ويمنح الشاعر حرية في توزيع الكلمات فلا يقيد بضرورة إنهاء التفعيلة في نهاية الشطر؛ مما يوسع إمكاناته التعبيرية، ويعينه على ترتيب المعاني دون تكلف، إضافة إلى أنه قد يزيد من سلاسة الجملة الشعرية، ويضفي عليها طابعًا غنائيًا أكثر نعومة.

ولا تحتمل كل القصائد التدوير، فالاستخدام الزائد أو غير المنضبط قد يربك الإيقاع أو يضعف الأثر الموسيقي.

---

(١) يُنظر: الهاشمي، "العروض الواضح وعلم القافية"، ١٤.

(٢) يُنظر: القيرواني، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، باب التقفية والتصريع، ١: ١٧٧، ١٧٨.

(٣) عبيد، "القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية"، ٢٩.

وحين نفتش في قصائد الديوان، نجد الاستخدام المتزن لظاهرة التدوير، خدمت المعنى، وأضفت انسجامًا موسيقيًا، وأثرًا إيقاعيًا مميزًا عند ثلاثة شعراء؛ إبراهيم الوافي في قصيدة: "التدوين.. رحلة الخلود"، وحسن القرني في قصيدة: "الثقافة"، وطارق الصميلي في قصيدة: "وحدة الوطن".

يقول إبراهيم الوافي في قصيدة: "التدوين.. رحلة الخلود":

نسافرُ في عقولِ النا
ـسِ حيثُ ندوّنُ العِبَرا
ونحملُ من شؤونِ اليو
مِ ما نثري بهِ العمرا
سنزرعُ من بذورِ الأمـ
ـسِ كيما نقطفَ الثمرا
ونجمعُ من حطامِ اليو
مِ ما نبني بهِ قَدَرا[1]

لقد استخدم الشاعر ظاهرة التدوير في أربعة أبيات من أصل تسعة؛ فأسهم في خلق إيقاع متصل، يعكس روح الرحلة الفكرية التي يتناولها النص؛ فامتداد الجمل عبر الشطرين دون توقف أسبغ على القصيدة انسيابًا موسيقيًا يشابه حركة السفر في عقول الناس، وجعل الإيقاع أقرب إلى تدفق الفكرة ذاتها من التأمل إلى التدوين، كما أكسب التدوير البناء الإيقاعي مرونة؛ إذ خفّف من حدة الوقف العروضي في مجزوء الوافر، فغدا الإيقاع أكثر حيوية وتواصلًا بين الشطرين.

وبهذا التداخل بين المعنى والإيقاع، تحققت وحدة فنية متناغمة، تجمع بين الحركة

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ٧.

الدلالية المتمثلة في الرحلة والبحث، والحركة الموسيقية المتدفقة التي يجسدها التدوير؛ ليصبح الإيقاع انعكاسًا لتجربة الشاعر الفكرية في الغوص والتدوين واستلهام العِبرة.

وحين نتأمل قصيدة: "الثقافة" لحسن القرني نجد أنها تمثل ظاهرة إيقاعية لوحدها؛ حيث استخدم التدوير في ثمانية أبيات من أصل اثني عشر بيتًا:

أجري كما تجري الجدا ولُ حين يمطرها السحاب
لي من يقول أتوا لتخـ دم موطنًا وتشيدُ صرحا
بالعلمِ لا بسواه نُجـ ـلي ليلةً ونجيء صبحا
سنظلُّ نشرح كيف تُسْـ ـتبقُ الخطى في الأفقِ شرحا
ليُقالَ مرحى للعقو لِ وما بنتْ بالعلمِ مرحى
لا بالسنينِ يزيدُ عمـ ـرُ المرءِ لا بلْ بالثقافة
عقلي عقولٌ إذ سَلَلْـ ـتُ الحقّ من بينِ الخرافة
العلمُ يُحيي والمعا رف تصطفي.. والجهلُ آفة[1]

اعتمد الشاعر في هذه القصيدة على التدوير، الذي أكسب النص إيقاعًا متدفقًا وسريع النبض، فتتابعت الأفعال والجمل في تلاحق صوتي يخلق شعورًا بالاستمرارية والحيوية؛ ليناسب مضمون القصيدة الداعي إلى السعي والنهوض والتجدد، فالجمل الشعرية لا تكتمل دلاليًا إلا بانتهاء الشطر الثاني، وقد أوجد هذا الأسلوب تواصلًا إيقاعيًا متسارعًا بين الأبيات، يسري كجريان الجداول في مطلع القصيدة، فيوازي الحركة الدلالية النشطة التي تعبر عن العمل والعلم والبناء، كما كسر التدوير الرتابة العروضية لمجزوء الكامل، محولًا الوزن المنتظم إلى إيقاع حيّ متحرك يواكب حماسة الخطاب.

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ص١٦.

أما طارق الصميلي فقد استخدم التدوير في خمسة أبيات من أصل تسعة في قصيدة: "وحدة الوطن" على مجزوء الوافر:

وغنوا للحياة ولد

ـجمالِ على مدى الزمن

أخوك على امتداد الأرْ

ضِ مثلُ أخيكَ في السكنِ

يدًا بيدٍ ستُبنى الدا

ر في دعةٍ وفي محنِ

يسيرُ بها إلى الأمجا

دِ منتشيًا بلا وهنِ

سعوديون عشنا بيـ

ـنَ مُؤْتَمِنٍ و مُؤْتَمَنِ(١)

وظّف الشاعر ظاهرة التدوير؛ ليضفي على القصيدة إيقاعًا متصلًا ومتدفقًا يعكس روح الوحدة والترابط التي يقوم عليها النص، فقد امتدت الجمل الشعرية عبر الشطرين دون توقف، فتولّد من هذا الامتداد نَفَس موسيقي يعبر عن استمرارية المعنى وتلاحم الفكر، في انسجام تام مع دلالة الوحدة الوطنية التي يتمحور حولها النص، كما أسهم التدوير في تحويل الوزن المنتظم لبحر الوافر إلى إيقاع نابض بالحركة، يجمع بين السلاسة والانسياب، وبذلك غدت ظاهرة التدوير عنصرًا فنيًا يعمّق البنية الإيقاعية ويجعل النص أكثر تناغمًا بين الصوت والدلالة؛ حيث تتجسد من خلالها وحدة الإيقاع

(١) "ديوان أبجديات الكون"، ص٢٧.

والمعنى على نحو يعبر عن وحدة الوطن التي يحتفي بها الشاعر.

يتضح مما سبق أن التدوير لم يكن مجرد ظاهرة شكلية في هذه القصائد، بل عنصرًا جماليًا فاعلًا لا يقتصر أثره على الموسيقى الخارجية فقط، بل يتجاوزها إلى الإيقاع الداخلي المرتبط بالدلالة؛ لتتشكل وحدة فنية تجمع بين المعنى والحركة والنغم، فحقّق الشعراء من خلالها انسجامًا صوتيًا ودلاليًا يثري التجربة الشعرية، ويزيد من جاذبيتها الفنية؛ مما يعكس وعيهم بالبناء الموسيقي للنص.

كما نلحظ اقتصار ظاهرة التدوير في هذا الديوان على البحور المجزوءة، مثل مجزوء الوافر، ومجزوء الكامل؛ لأنها توفر مرونة عروضية تسمح بتمديد الجمل عبر الشطرين، هذه المرونة الإيقاعية تتيح للشاعر خلق انسياب لغوي متواصل، ينسجم مع حركة المعنى ويمنح النص حيوية أكبر.

وفي ختام هذا المبحث، نستنتج أن البنية الإيقاعية في النص الشعري تُدرك جملة واحدة؛ لأنها تتفاعل جميعها في إلباس النص ثوبه المعبر عنه، والدال على محتواه، فالقارئ يجد نفسه متفاعلًا مع القصيدة من خلال وزنها وقافيتها، وما يتناوب عليها من عناصر إيقاعية أخرى مثل التكرار، والتجنيس، والتصريع، والتدوير وغيرها من العناصر المبثوثة داخل النص[١].

(١) يُنظر: برانية، "البنية الإيقاعية في ديوان "بقايا سراب" لعبدالعليم القباني"، ١٤.

الخاتمة

بعد حمد الله على توفيقه وامتنانه، فقد رَصَدَتْ هذه الدراسة البنية الإيقاعية في ديوان "أبجديات الكون"، من خلال الإيقاع الخارجي المتمثل في: الوزن والقافية، والداخلي الذي يمثله: التكرار، والجناس، والتصريع، والتدوير، بعد تمهيد تضمن توضيحًا لمعنى الإيقاع وأهميته في الشعر العربي؛ لتتمخض هذه الرحلة عبر قصائد الديوان إلى جملة من النتائج:

النتائج:

١- نوّع شعراء الديوان في بحورهم الشعرية، معتمدين على أشهرها، وأكثرها استخدامًا، وأغناها موسيقية؛ لتناسب طبيعة الأدب الموجّه إلى اليافعين.

٢- ابتعادهم عن الأوزان الثقيلة وقليلة الاستعمال في الشعر العربي عمومًا؛ وهذا يعبر عن وعيهم بثراء العروض العربي، ويعكس نجاحهم في تحقيق جاذبية فنية وإيقاعية تلائم الفئة المستهدفة.

٣- نجد التزام الشعراء جميعهم بالقافية، سواء الموحّدة، أم المنوعة، رغم انفتاحهم على التجارب المختلفة خارج الديوان؛ لما للقافية من جرس موسيقي قادر على أن يثبت في الذاكرة، ويعزّز الحفظ، ويرسخ الكلمات؛ خاصة في القصيدة الموجهة إلى اليافعين.

٤- جميع قصائد الديوان كانت من الشعر العمودي؛ لترسيخ الذائقة الشعرية التقليدية للقصيدة العربية الذي يناسب فئة اليافعين.

٥- وظّف الشعراء القوافي التي تؤدي المعنى، وتيسر الفهم، وتثبت المفردات؛ ليكون الإيقاع منتظمًا وسهل الترديد، ومناسبًا للفئة العمرية المقصودة.

٦- استخدم الشعراء في قوافيهم ثلاثة عشر حرفًا من أصل ثمانية وعشرين، وهي من الحروف المألوفة، التي تعزز الإيقاع المحبّب، وتتناسب مع طبيعة المتلقي، وتجنبوا

الحروف الثقيلة، ونادرة الاستخدام في الشعر العربي.

٧- أسهم توظيف التكرار بأنواعه المختلفة في تعزيز البنية الإيقاعية لنصوص الديوان، وإضفاء تناغم موسيقي ساعد في تثبيت المعنى، وتيسير الحفظ لدى اليافعين.

٨- أغلب نماذج الجناس التي وظفها الشعراء تقوم على جناس الاشتقاق، والجناس الناقص، وهو ما يؤكد وعيهم الفني، وينسجم مع ما ذهب إليه الجرجاني من أن الجناس يستمد جماله من خدمة المعنى.

٩- لم يستخدم الشعراء الجناس التام أبدًا، فهو ضئيل الورود في الشعر عامة.

١٠-رغم قلة القصائد المصرّعة في ديوان أبجديات الكون، فإنها من الأساليب التي استخدمها الشعراء لعزف الموسيقى الداخلية، وتعزيز البنية الإيقاعية للنصوص.

١١-جاءت القصائد المصرّعة منسابة ومتوافقة مع المعنى، وبعيدة عن التكلف والتصنع.

١٢-الاستخدام المتزن لظاهرة التدوير؛ حيث خدمت المعنى، وأضفت انسجامًا موسيقيًا، وأثرًا إيقاعيًا مميزًا.

١٣-لم يكن التدوير مجرد ظاهرة شكلية في قصائد الديوان، بل عنصرًا جماليًا فاعلًا يعمّق البنية الإيقاعية ويجعل النص أكثر تناغمًا بين الصوت والدلالة.

١٤-إن البنية الإيقاعية في النص الشعري تُدرك جملة واحدة؛ فالقارئ يجد نفسه متفاعلًا مع القصيدة من خلال وزنها وقافيتها، وما يتناوب عليها من عناصر إيقاعية أخرى مثل التكرار، والتجنيس، والتصريع، والتدوير وغيرها من العناصر المبثوثة داخل النص.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

"ديوان أبجديات الكون"، (المملكة العربية السعودية: من مبادرات هيئة الأدب والنشر والترجمة، ٢٠٢٤م).

ثانيا: المراجع:

أبو جحجوح، خضر محمد. "البنية الإيقاعية في شعر بشار بن برد: دراسة وصفية إحصائية ومقاربة جمالية أسلوبية". *الجامعة الهاشمية: مجلة العلوم الإنسانية* ٣٢، (شتاء ٢٠١٨م).

أبو طالب، إبراهيم بن محمد. "البنية الإيقاعية في شعر محمد الثبيتي". *مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية* ٢ م ١٠، (١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣م).

الأخفش، الإمام أبو الحسن سعيد بن مسعدة. "كتاب القوافي". تحقيق أحمد راتب. (ط١، بيروت: دار القلم، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).

ابن جعفر، أبو الفرج قدامة. "نقد الشعر". تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "كتاب العروض". تحقيق أحمد فوزي الهيب. (ط٢، الكويت: دار القلم، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).

ابن سيده، أبو الحسن بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي. "المخصّص". اعتنى بتصحيحه مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي. (طبعة جديدة مصححة ومنقحة ومفهرسة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

ابن طباطبا، محمد أحمد. "عيار الشعر". شرح وتحقيق عباس عبد الستار. (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).

ابن منظور، "لسان العرب". تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون. (طبعة جديدة

محققة ومشكولة شكلًا كاملًا ومذيلة بفهارس مفصّلة، بيروت: دار المعارف، د.ت).

آل خليفة، لولوة بنت خليفة. "البنية الإيقاعية في الشعر العربي المعاصر". *جامعة البحرين: المجلة العلمية بكلية الآداب* ٤٨، (٢٠٢٢م).

آلوجي، عبد الرحمن. "الإيقاع في الشعر العربي". (ط١، دمشق: دار الحصاد، حزيران ١٩٨٩م).

أنيس، إبراهيم. "موسيقى الشعر العربي". (ط٢، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢م).

براينه، عبد الوهاب عبد المقصود. "البنية الإيقاعية في ديوان "بقايا سراب" لعبدالعليم القباني". *جامعة الأزهر: كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، المجلة العلمية ٣٧ الإصدار* ٤، (نوفمبر ١٤٤٦هـ- ٢٠٢٤م).

البركاوي، عبد الفتاح عبد العليم. "مقدمة في علم أصوات العربية". (ط٣، القاهرة: الجريسي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

التبريزي، الخطيب. "الكافي في العروض والقوافي". تحقيق حسن عبد الله. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م).

الجرجاني، الإمام عبد القاهر. "أسرار البلاغة في علم البيان". صحّحه وعلّق على حواشيه: السيد محمد رشيد رضا. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م).

الحربي، ياسمين حمد حمود غالي. "البنية الإيقاعية في ديوان الأفنان للشاعر عبد الرحمن شكري: دراسة عروضية تطبيقية". *الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة* ٢٢، (فبراير ٢٠١٩م).

زورقي، عبد القادر علي. "جماليات التكرار وديناميةالمعنى في الخطاب الشعري، نماذج

من شعر محمد بلقاسم خمار". *مجلة الأثر* ٢٥ ، (جون ٢٠١٦م).

سعديو، راضية. وصوفان، نسيمة. "البنية الإيقاعية في ديوان "عناقيد الغضب" لعبد الملك بو منجل". *جامعة محمد الصديق بن يحي: كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، رسالة ماجستير*، (٢٠١٧/ ٢٠١٨م).

الشاويش، غالب بن محمد. "الكافي في علم العروض والقوافي". (حقوق الطبع محفوظة، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

الطيب، عبد الله. "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها". (ط٣، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).

عادل، ايت العسري. "مظاهر تجديد القافية في الشعر العربي". *الجزائر: جامعة البليدة، مجلة اللغة العربية وآدابها١ ، المجلد ١٠* ، (جولاي ٢٠٢٢م).

عباس، حسن. "خصائص الحروف العربية ومعانيها". (منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م).

عباس، فضل حسن. "البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع". (ط١١، إربد: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

عبيد، محمد صابر. "القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية: دراسة". (دمشق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠١م).

عمر، أحمد مختار. "دراسة الصوت اللغوي". (د.ط، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١١هـ- ١٩٩١م).

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب. "الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع". وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

القيرواني، ابن رشيق. "العمدة في محاسن الشعر وآدابه". تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم

خفاجي. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

المطلوب، أحمد. "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها". (إعادة طبع، بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٧م).

الملائكة، نازك. "قضايا الشعر المعاصر". (ط١١، بيروت: دار العلم للملايين، أكتوبر ٢٠٠٠م).

نكاع، علي. "جماليات التصريع في القصائد الأندلسية لأحمد شوقي دراسة أسلوبية". *مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية*، ١٢، م٥، (ديسمبر ٢٠١٧م).

الهاشمي، محمد علي. "العروض الواضح وعلم القافية". (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م).

وقاد، مسعود. "البنية الإيقاعية في شعر فدوى طوقان". *جامعة ورقلة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، رسالة ماجستير*، (٢٠٠٣/ ٢٠٠٤م).

Bibliography

First: sources

"Diwan Abjadiyat al-Kawn" (Kingdom of Saudi Arabia: Initiatives of the Literature, Publishing and Translation Commission, 2024).

Second: references

Abu Jahjuh, Khidr Muhammad. " The Rhythmic Structure in the Poetry of Bashshār ibn Burd: A Descriptive–Statistical Study and an Aesthetic–Stylistic Approach" (in Arabic). Hashemite University: Journal of Humanities, 32 (Winter 2018).

Abu Talib, Ibrahim ibn Muhammad. " The Rhythmic Structure in the Poetry of Muḥammad al-Thubaytī" (in Arabic). King Khalid University Journal of Humanities, vol. 2, iss. 10 (1445 AH / 2023).

Al-Akhfash, al-Imam Abu al-Hasan Sa ‘id ibn Mas‘adah. "Kitab al-Qawafi". Investigated by: Ahmad Ratib. (1st ed. Beirut: Dar al-Qalam, 1394 AH / 1974).

Ibn Ja‘far, Abu al-Faraj Qudamah. "Naqd al-Shi‘r". Investigation and commentary by Muhammad ‘Abd al-Mun‘im Khafaji. (Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, n.d).

Ibn Jinni, Abu al-Fath ‘Uthman. "Kitab al- ‘Aroud". Investigated by: Ahmad Fawzi al-Haib. (2nd ed. Kuwait: Dar al-Qalam, 1409 AH / 1989).

Ibn Sidah, Abu al-Hasan ibn Isma‘il. "Al-Mukhassas". Revised by the editorial office of Dar Ihya’ al-Turath al- ‘Arabi. (Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi, 1417 AH / 1996).

Ibn Tabataba, Muhammad Ahmad. "‘Iyar al-Shi‘r". Investigation and commentary by ‘Abbas ‘Abd al-Sattar. (2nd ed. Beirut: Dar al-Kutub al- ‘Ilmiyyah, 1426 AH / 2005).

Ibn Manzur. "Lisan al-‘Arab". Investigated by: ‘Abdullah ‘Ali al-Kabir et al. (Beirut: Dar al-Ma ‘arif).

Al Khalifah, Luluwa bint Khalifah. "Al-Binyah al-Iqa‘iyyah fi al-Shi‘r al-‘Arabi al-Mu‘asir". University of Bahrain: The Scientific Journal of the College of Arts, 48 (2022).

Aluji, ‘Abd al-Rahman. "Al-Iqa‘ fi al-Shi‘r al-‘Arabi". (1st ed. Damascus: Dar al-Hasad, June 1989).

Anis, Ibrahim. "Musiqa al-Shi‘r al-‘Arabi". (2nd ed. Egypt: Maktabat al-Anglo al-Misriyyah, 1952).

Braynah, ‘Abd al-Wahhab ‘Abd al-Maqsud. " The Rhythmic Structure in the Baqāyā Sarāb Collection by ʿAbd al-ʿAlīm al-Qabbā". Al-

Azhar University: Faculty of Arabic Language (Itay al-Barud), the scientific journal, vol. 37, issue 4 (November 1446 AH / 2024).

Al-Barkawi, ‘Abd al-Fattah ‘Abd al-‘Alim. "Muqaddimah fi ‘Ilm Aswat al-‘Arabiyyah". (3rd ed. Cairo: Al-Jarisi, 1424 AH / 2004).

Al-Tabrizi, al-Khatib. "Al-Kaafi fi al-‘Aroud wa al-Qawafi". Investigated by: Hasan ‘Abdullah. (3rd ed. Cairo: Maktabat al-Khanji, 1415 AH / 1994).

Al-Jurjani, al-Imam ‘Abd al-Qahir. "Asrar al-Balaghah fi ‘Ilm al-Bayan". Edited and annotated by al-Sayyid Muhammad Rashid Rida. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1409 AH / 1988).

Al-Harbi, Yasmin Hamad Hamud Ghali. "The Rhythmic Structure in the Dīwān al-Afnān of the Poet ʿAbd al-Raḥmān Shukrī: An Applied ʿArūḍ Study" (in Arabic). Egyptian Society for Reading and Knowledge, 22 (February 2019).

Zuruqi, ‘Abd al-Qadir ‘Ali. "The Aesthetics of Repetition and the Dynamics of Meaning in Poetic Discourse: Selected Models from the Poetry of Muḥammad Belqāsim Khammār". "Al-Athar Journal", 25 (June 2016).

Sa‘diyu, Radiyah, and Sufan, Nasimah. " The Rhythmic Structure in the ʿAnāqīd al-Ghaḍab Collection by ʿAbd al-Malik Bū Manjal"(in Arabic). Master’s thesis, University of Mohamed Seddik Ben Yahia, Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature (2017–2018).

Al-Shawish, Ghalib ibn Muhammad. "Al-Kafi fi ‘Ilm al-‘Arud wa al-Qawafi". (1st ed., 1417 AH / 1996).

Al-Tayyib, ‘Abdullah. "Al-Murshid ila Fahm Ash‘ar al-‘Arab wa Sina‘atiha". (3rd ed. Kuwait: Government of Kuwait Press, 1409 AH / 1989).

‘Adil, Ait al- ‘Asri. "Mazahir Tajdid al-Qafiyah fi al-Shi‘r al-‘Arabi". Algeria: University of Blida, Journal of Arabic Language and Its Literature, vol. 10, iss. 1 (July 2022).

‘Abbas, Hasan. "Khasa’is al-Huruf al-‘Arabiyyah wa Ma‘aniha". (Publications of the Arab Writers Union, 1998).

‘Abbas, Fadl Hasan. "Al-Balaghah: Fununuha wa Afnanuha – ‘Ilm al-Bayan wa al-Badi‘". (11th ed. Irbid: Dar al-Furqan, 1428 AH / 2007).

‘Ubaid, Muhammad Sabir. "The Modern Arabic Poem Between Semantic Structure and Rhythmic Structure: A Study" (in Arabic). (Damascus: Arab Writers Union Publications, 2001).

‘Umar, Ahmad Mukhtar. "Dirasat al-Sawt al-Lughawi". (Cairo: Alam al-Kutub, 1411 AH / 1991).

Al-Qazwini, Jalal al-Din Muhammad ibn ‘Abd al-Rahman ibn ‘Umar ibn Ahmad al-Khatib. "Al-Idah fi ‘Ulum al-Balaghah: al-Ma‘ani wa al-Bayan wa al-Badi‘". Notes by Ibrahim Shams al-Din. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1424 AH / 2003).

Ibn Rashiq al-Qairawani. "Al-‘Umdah fi Mahasin al-Shi‘r wa Adabih". Investigated by: Muhammad ‘Abd al-Mun‘im Khafaji. (Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah).

Al-Matlub, Ahmad. "Mu‘jam al-Mustalahat al-Balaghiyyah wa Tatawwuruha". (Reprint. Beirut: Maktabat Lubnan, 2007).

Al-Mala’ikah, Nazik. "Qadaya al-Shi‘r al-Mu‘asir". (11th ed. Beirut: Dar al- ‘Ilm lil-Malayin, October 2000).

Nakka ‘, ‘Ali. "The Aesthetics of Taṣrīʿ in the Andalusian-Style Poems of Aḥmad Shawqī: A Stylistic Study" (in Arabic). Al-Ḥikmah Journal for Literary and Linguistic Studies, 12, iss. 5 (December 2017).

Al-Hashimi, Muhammad ‘Ali. "Al-‘Arud al-Wadih wa ‘Ilm al-Qafiyah". (1st ed. Damascus: Dar al-Qalam, 1412 AH / 1991).

Waqad, Mas ‘ud. "Al-Binyah al-Iqa‘iyyah fi Shi‘r Fadwa Tuqan". Master’s thesis, University of Ouargla, Faculty of Arts and Human Sciences, Department of Arabic Language (2003–2004).

فاعلية برنامج قائم على المسلمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها

The Effectiveness of a Program Based on Grammatical Postulates in Developing Iʿrāb (case endings) Skills among Learners of Arabic as a Foreign Language

د. عادل علي غانم السناني

الأستاذ المشارك بقسم إعداد وتدريب المعلمين بمعهد تعليم اللغة العربية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: adil.ali@iu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
04/01/2026		03/03/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-023		

مستخلص البحث

جاء البحث الحالي بعنوان: فاعلية برنامج قائم على المسلمات النحوية لتنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها بهدف التعرف على فاعلية البرنامج. ولتحقيق هدف البحث استخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج شبه التجريبي وذلك للتحقق من فاعلية البرنامج القائم على المسلمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى طلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية بمقارنة نتائج مجموعة البحث في التطبيقين: القبلي والبعدي لاختبار مهارات الإعراب. وتكونت عينة البحث من (٣٧) طالبًا من طلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي لعينة البحث لصالح التطبيق البعدي، وهذا يؤكد فاعلية البرنامج، وفي ضوء هذه النتائج قدم الباحث مجموعة من التوصيات أهمها: الاعتماد على المسلّمات النحوية في البرامج التعليمية الأساسية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها عند تدريس النحو، واقترح الباحث مجموعة من الأبحاث التي يعتقد أنها تثري هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: المسلمات النحوية، مهارات الإعراب، متعلمو اللغة العربية الناطقين بغيرها.

Abstract

The study, entitled: "The Effectiveness of a Program Based on Grammatical Axioms for Developing Syntactic Parsing Skills among Non-Native Learners of Arabic," aims to determine the program's effectiveness. To achieve the research objective, the researcher employed both descriptive and quasi-experimental approaches to investigate the effectiveness of the program—based on grammatical axioms—in developing the syntactic parsing skills of first-level students at the Arabic Language Teaching Institute. This was conducted by comparing the research group's performance in the pre- and post-tests designed to assess syntactic parsing skills.

The research sample consisted of (37) first-level students enrolled at the Arabic Language Teaching Institute at the Islamic University of Madinah. The findings revealed statistically significant differences between the pre- and post-measurements of the research sample in favor of the post-test, thereby confirming the program's effectiveness. Considering these results, the researcher proposed several recommendations, most notably: the adoption of grammatical axioms in foundational educational programs when teaching grammar to non-native learners of Arabic. Furthermore, the researcher suggested a series of future studies believed to enrich this field.

Keywords: Grammatical Axioms, Syntactic Parsing Skills, Non-native Learners of Arabic.

المقدمة:

تُعَدّ اللغة العربية من أعرق اللغات الإنسانية وأغناها من حيث البنية والتركيب، وتمثل نظامًا لغويًا متكاملاً يعتمد على الإعراب بوصفه أحد أهم خصائصها المميّزة، إذ يُظهر العلاقات بين مكوّنات الجملة ويربط بعضها ببعض، ويكشف وظائف الكلمات ودلالاتها. ولأجل ذلك احتلّ النحو موقعًا مركزيًا في تعليم العربية، وعدّه العلماء مفتاح الفهم الصحيح للنصوص، وعنصرًا مهمًا في بناء الملكة اللغوية لدى المتعلمين. ومع تطور مؤسسات تعليم العربية للناطقين بغيرها، ازدادت الحاجة إلى طرائق تعليمية تيسّر هذا النظام المعقّد، وتساعد المتعلم الأجنبي على اكتساب مهارات التحليل والإعراب بطريقة واضحة وبعيدة عن الغموض. وقد أشارت الأدبيات الحديثة في تعليم العربية إلى أنّ كثيرًا من متعلمي العربية لغةً ثانية يواجهون صعوبات متكررة في تحديد الوظائف النحوية وفهم العوامل المؤثرة فيها، مما يؤدي إلى كثرة الأخطاء الإعرابية وضعف القدرة على تفسير العلامات النحوية أو تطبيقها في تراكيب جديدة.[١]ويرجع ذلك إلى هيمنة أساليب تعليمية تقدم القاعدة في صورتها التقليدية القائمة على التفريعات والخلافات النحوية، دون تقديم إطار ثابت يوفّر للمتعلم رؤية واضحة للاستعمال النحوي الصحيح.[٢] وهنا تبرز المسلّمات النحوية باعتبارها ثوابت راسخة اتفق عليها النحاة، تشكل أساسًا معرفيًا مستقراً، وتُعد مدخلاً تربويًا فاعلاً في تنظيم المعرفة النحوية لدى

(١) جواد، حسان علي عبد. "أثر فاعلية برنامج تعليمي قائم على المهارات الذهنية في تحصيل قواعد اللغة العربية وتنمية مهارات الإعراب لدى طالبات الصف الثاني المتوسط". *مجلة ديالى للبحوث الإنسانية* ٣، عدد ٩٥ (٢٠٢٣): ١٨.

(٢) مسلم، الوليد حسن علي، ومجدي إبراهيم محمد صافي. "جدوى تعليم أنواع «ما» ووظائفها النحوية بطريقة المعنى لطلاب العربية الناطقين بغيرها بجامعة الملك خالد". *المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية* (٢٠٢٤): ٥.

المتعلم. وقد بيّن دروسي[١] ويوسف[٢] أن اعتماد المسلّمات النحوية يعين المتعلم على فهم بنية الجملة العربية في ضوء مبادئ كلية واضحة، بعيدًا عن التعقيد أو التشتت، مما يعزز قدرته على التحليل والإعراب. كما أظهرت بحوث أخرى[٣] أن التدريس القائم على الثوابت النحوية يسهم في رفع الكفاءة الإعرابية ويسهل الانتقال من حفظ القاعدة إلى مهارة التطبيق العملي.[٤]

لذلك تأتي أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى بناء برنامج قائم على المسلّمات النحوية، وقياس فاعليته في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها، بدراسة تطبيقية على طلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خلال الفصل الدراسي الأول لعام ١٤٤٧هـ.

مشكلة البحث:

الإعراب من أبرز المهارات اللغوية التي تشكل صعوبة على متعلمي العربية لغةً ثانية، إذ تشير الدراسات إلى أنَّ المتعلم الأجنبي يعجز غالبًا عن ضبط العلامات الإعرابية أو تفسير العلاقات النحوية داخل الجملة، بسبب غياب الوعي بالثوابت النحوية التي

(١) دروسي، أيوب. *أصول النحو العربي وأثرها في الدرس اللغوي*. [د.م.]: [د.ن.]، ٢٠٢٠، ص١٠-١٥.

(٢) يوسف، قصي ثعبان. "أصول النحو العربي عند الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي". *مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث* ٣، عدد ٢ (٢٠٢٣)، ١٦٠-١٧٤.

(٣) علي، محمد محمود عبد القادر. "تعليم النحو واللغة للناطقين بغير العربية: رؤية تحليلية". *مجلة البحث العلمي في الآداب* ٢٣، عدد ٥ (٢٠٢٢)، ١٠٤.

(٤) أكحل، عامر. "أثر المتون النحوية في تعليم اللغة العربية". *المجلة العلمية الجزائرية* ٦، عدد ٢ (٢٠٢٢)، ٤١٠.

يُبنى عليها الحكم الإعرابي.[١]،[٢] وتبيّن الأدبيات أن المشكلة ليست في نظام النحو ذاته، بل في الطريقة التي تُعرض بها القواعد، حيث تزداد التفريعات التي تُربك المتعلم وتُشتت فهمه.[٣] وترى الأدبيات أن "المسلمات النحوية" تمثل مدخلًا تربويًا قادرًا على تنظيم المعرفة النحوية لدى المتعلم، وتمكنه من التحليل الإعرابي دون اضطراب.[٤]كما يؤكد الباحثون أن اعتماد المتعلم على المسلّمات يساعده على بناء تصور ثابت للقواعد النحوية ، ويقلل التشتت المعرفي لديه.[٥]

ومن ثمّ تتحدد مشكلة البحث في: ضعف مستوى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في مهارات الإعراب، وغياب برنامج تعليمي مناسب لهم، يسهم في تنمية هذه المهارات لديهم. لذلك سعى البحث إلى بناء برنامج قائم على المسلّمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والتحقق من فاعليته في تنمية مهارات الإعراب لديهم.

أسئلة البحث:

وللتغلب على مشكلة البحث يمكن طرح السؤال الرئيس التالي: **ما فاعلية برنامج قائم على المسلّمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها؟**

---

(١) جواد، حسان علي عبد. "أثر فاعلية برنامج تعليمي قائم على المهارات الذهنية في تحصيل قواعد اللغة العربية وتنمية مهارات الإعراب لدى طالبات الصف الثاني المتوسط". *مجلة ديالى للبحوث الإنسانية* ٣، عدد ٩٥ (٢٠٢٣): ١٨.

(٢) آل يحيى، عبد الكريم سعد صالح. "الصعوبات التي تواجه متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في تكوين الجملة والحلول المقترحة لها". رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، (٢٠٢٠): ٢١٢.

(٣) مسلم وصافي، مرجع سابق، ص٥.

(٤) دروسي، مرجع سابق، ص ١٠-١٥ ويوسف، مرجع سابق ص١٦٠-١٧٤.

(٥) على، مرجع سابق، ص١٠٤، والأكحل، مرجع سابق، ص٤١٠.

ويتفرع عنه ثلاثة أسئلة فرعية:

١. ما المسلمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟
٢. ما المهارات الإعرابية اللازمة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟
٣. ما مكونات البرنامج القائم على المسلمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

أهداف البحث:

- تحديد المسلمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
- تحديد مهارات الإعراب اللازمة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- إعداد برنامج قائم على المسلمات النحوية لتنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- قياس أثر البرنامج القائم على المسلمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أهمية البحث :

- يقدّم برنامجاً عملياً قابلاً للتطبيق في معاهد تعليم العربية.
- يساعد المعلمين على تبسيط القواعد وبناء الوعي التركيبي لدى الطلاب.

- يطوّر أدوات قياس واقعية لمهارات الإعراب.
- يسهم في دعم الاتجاهات الحديثة في تعليم قواعد اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- يثري الأدبيات المتعلقة بتوظيف المسلمات النحوية في تعليم الإعراب.

حدود البحث:

- الحدود المكانية :معهد تعليم اللغة العربية – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الحدود الزمانية :الفصل الدراسي الأول ١٤٤٧هـ.
- الحدود البشرية :طلاب المستوى الأول.
- الحدود الموضوعية :المسلمات النحوية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية لغة ثانية في المستوى الأول والمهارات الإعرابية اللازمة لهم.

مصطلحات الدراسة:

- **المسلمات النحوية:** هي الأسس أو الأركان التي اتفق عليها علماء النحو العربي، والتي استطاع بموجبها النحاة أن يسيروا وفق ما سار عليه العرب الذين يُستشهد بكلامهم.(١)

  ويعرفها الباحث في حدود هذا البحث: بأنها القواعد النحوية التي أجمع عليها علماء النحو (البصريون والكوفيون)، المناسبة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- **مهارات الإعراب:** القدرة على تحديد الوظيفة النحوية للكلمة داخل الجملة، وتمييز العلامات الإعرابية المناسبة لها، وتحليل الروابط النحوية التي تربط بين مكوّنات الجملة، مع تفسير سبب الإعراب وفق القواعد المقررة .وتشمل هذه المهارات: تعيين المحل الإعرابي، تحديد العلامة الإعرابية، الكشف عن العوامل،

(١) دروسي، مرجع سابق، ص١٠.

وضبط أواخر الكلمات ضبطًا صحيحًا.(١)

ويعرفها الباحث في حدود هذا البحث: قدرة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى الأول في معهد اللغة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على التمكن من المهارات الإعرابية اللازمة لهم في هذا المستوى.

منهجية الدراسة وإجراءاتها: يعتمد هذا البحث على منهجين رئيسين، وهما:

المنهج الوصفي: يعتمد هذا المنهج على "وصف ظاهرة من الظواهر، ومتغيراتها كما هي في الواقع؛ وتحليلها للوصول إلى وصفها وصفا دقيقا، لمعرفة أسبابها، والعوامل المؤثرة فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها" (٢).

والمنهج شبه التجريبي: وهو المنهج الذي يقوم على "دراسة العلاقة بين مُتغيّرين على ما هما عليه في الواقع دون التحكم في المتغيرات".(٣)

اعتمد الباحث على هذا المنهج لقياس فاعلية برنامج قائم على المسلمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها. وقد تم استخدام تصميم المجموعة الواحدة ذات الاختبارين القبلي والبعدي لمدة أسبوع خمس جلسات، كل جلسة ساعة أو ساعة ونصف، بحسب الدرس والمناقشات من الطلاب، وتم تطبيق اختبار على عينة البحث لقياس مهارات الإعراب المرتبطة بالمسلمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول قبل وبعد تطبيق البرنامج، ومن ثم مقارنة النتائج بحساب الفروق بين متوسطي درجات عينة البحث في الاختبارين، وتم اختيار طلاب المستوى الأول؛

(١) إبراهيم، عبد العليم. *النحو الواضح في قواعد اللغة العربية*. القاهرة: دار المعارف، د.ت.ص١٢.

(٢) الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. *دليل إعداد الرسائل العلمية والمشروعات البحثية*. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي، د.ت. ص٣٤.

(٣) القحطاني، سالم، وآخرون. *منهج البحث في العلوم السلوكية مع تطبيقات SPSS*. ط٢. الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ، ص١٧٧.

لأنهم بحاجة إلى قواعد ثابتة في النحو ينطلقون منها – بعيدا عن الخلافات النحوية أو الاحتمالات الإعرابية– لتكون مدخلا مشجعا لإتقان النحو العربي.

أدوات البحث

- استبانة لجمع المسلمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتحكيمها.
- استبانة لتحديد مهارات الإعراب اللازمة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتحكيمها.
- اختبار (قبلي – بعدي) لقياس أثر البرنامج التدريبي.
- البرنامج التدريبي تكون من وحدة دراسية (ست دروس مع التدريبات والأنشطة) بُني على هذه المسلمات التي توصل إليها البحث.

الإطار النظري

تمهيد:

المسلّمات النحوية هي أحد أهم المكوّنات المعرفية التي يستند إليها بناء النظام اللغوي لدى المتعلم، فهي تمثّل القواعد التي استقرّ عليها النحاة، واتفقوا على أصلها ووظيفتها، فأصبحت بمنزلة الركائز الثابتة التي يُعتمد عليها في تحليل التراكيب وفهم العلاقات الإعرابية داخل الجملة العربية. ومن هذا المنطلق، يشكّل توظيف المسلّمات النحوية إطارًا تربويًا فعّالًا في تعليم الإعراب؛ لأنها تجمع بين الأصالة اللغوية والاتساق المعرفي، وتوفّر للمتعلم مدخلًا آمنًا يجنّبه الارتباك الناتج عن كثرة الخلافات وتعدد المذاهب النحوية. وتكشف الأدبيات اللغوية والتربوية الحديثة أن صعوبة الإعراب لدى المتعلمين لا تعود بالأساس إلى طبيعة النظام النحوي ذاته، بل إلى غياب منهج قائم على الثوابت النحوية التي تمنح المتعلم وعيًا قاعديًا متماسكًا، يمكّنه من الانتقال من مرحلة الحفظ الآلي للقواعد إلى مرحلة الفهم التحليلي، ومن ثمّ القدرة على التطبيق الحر في سياقات لغوية جديدة.(١) ومن هنا برزت الحاجة إلى معالجة المسلّمات النحوية بوصفها مدخلًا تربويًا، لا مجرد تصنيفات لغوية، عبر تسليط الضوء على مفهومها، وأسُسها العلمية، ومعايير قبولها، والكيفية التي تتفاعل بها مع مهارات الإعراب، وصولًا إلى بناء برنامج تعليمي يعتمد عليها بصورة منهجية.

❖ **مفهوم المسلمات النحوية:**

■ **تعريف المسلمة النحوية وتمييزها عن القاعدة والخلاف النحوي**

هي الأسس أو الأركان التي اتفق عليها علماء النحو العربي، والتي استطاعوا

(١) علي، محمد محمود عبد القادر. "تعليم النحو واللغة للناطقين بغير العربية: رؤية تحليلية". *مجلة البحث العلمي في الآداب* ٢٣، عدد ٥ (٢٠٢٢)، ص١٠٤.

بموجبها أن يسيروا وفق ما سار عليه العرب الذين يُستشهد بكلامهم[١].

وللتَّفرِيق بين المسلمات النحوية والقاعدة والخلاف النحوي، فإن المسلمات الثوابت النحوية المستقرة بإجماع النحاة، والتي يعتمد عليها النحاة دون نزاع، وتشكل أساس الحكم الإعرابي.[٢] بينما القاعدة النحوية هي الصيغة العامة التي تستنبط من تتبع كلام العرب، وربما تكون محل اتفاق أو اختلاف. والخلاف النحوي هو الاختلاف بين المدارس النحوية في التعليل أو التوجيه نتيجةً لاختلاف السماع أو القياس أو المنهج.[٣]

وهي أداة النحاة التي تقيهم من الخطأ في التقعيد؛ لأنها ترتبط بالتقعيد النحوي فكراً عند التعرض لحقائق علم النحو، التي تقود بدورها إلى وضع قواعده، ولا بد من التمييز بين التقعيد والقاعدة عند دراسة علم أصول النحو العربي.[٤]

١,١. الأساس العلمي الذي تُبنى عليه المسلمات النحوية

تقوم المسلّمات النحوية على أسس علمية رصينة مستمدة من علم أصول النحو، وهي نفس المصادر التي اعتمدها النحاة التقليديون لاستنباط القواعد النحوية، مما يمنح هذه المسلمات حالة من الثبوت والدلالة القوية. ومن بين هذه الأسس:[٥]

أ. **السماع**: وهو في مقدمة الأصول النحوية التي يعتمد عليها اللغويون في التقعيد النحوي. ويُعرف السماع لغةً: أنه كل ما تقوم الأذن بالتقاطه من أفواه

(١) دروسي، أيوب. *أصول النحو العربي وأثرها في الدرس اللغوي*. [د.م.]: [د.ن.]، ٢٠٢٠، ص١٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) حسان، تمام. *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٥، ص١١٢.

(٤) يوسف، قصي ثعبان. "أصول النحو العربي عند الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي". *مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث* ٣، عدد ٢ (٢٠٢٣)، ص١٦٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٧٤.

الناطقين، أما اصطلاحاً: فهو ما ثبت في كلام من يوثق في فصاحته، وتشمل كلام الله سبحانه وتعالى وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام العرب قبل البعثة وبعدها إلى آخر زمن الاستشهاد النحوي. فالسماع هو الأخذ المباشر للمواد اللغوية من الناطقين بها دون الحاجة إلى وجود وسيط، وهو أول ما يعتمد عليه النحاة في تقريرهم للأحكام النحوية.

ب. **القياس**: وهو أصل من أصول النحو العربي ويعني مدى اطراد الظاهرة في النصوص اللغوية المروية أو المسموعة، واعتبار ذلك الاطراد القاعدة التي يقاس عليها. ويقوم القياس على تحديد كثافة أو قلة ورود ظاهرة لغوية معينة في النصوص أو غيرها، وبعدها تحديد إمكانية اعتبار هذا الورود بمثابة القاعدة التي يقاس عليها، وبعدها يتم القياس على هذا الاعتبار. وللقياس عدة أركان وهي الأصل، والفرع، وحكم الأصل، والعلة.

ت. **الإجماع**: وهو دليل من الأدلة التي بني عليها النحو، وركناً من الأركان التي يقوم عليها علم أصول النحو العربي. ويسهم في تيسير النحو وإزالة كل ما يعلق به من تجاذبات واختلافات للتركيز على الجوانب المتفق عليها في القضايا النحوية. كما أنه عبارة عن اتفاق المجتهدين من هذه الأمة في عصر على أمر من الأمور. ويتطلب الإجماع وجود سند نحوي يرتكز عليه المجمعون، وهذا السند هو السماع، والقياس، والاستصحاب، والاستحسان.

ث. **استصحاب الحال**: وهو يبين تأثر واضعي أصول النحو بالعلوم والمسائل الفقهية، ولقد رفض أغلب النحاة جعل الاستصحاب أصل من أصول النحو؛ بسبب أنه إقحام لأصول فقهية في أصول نحوية، وقد استغنى النحو العربي بالنص القرآني والشعر لوضع القواعد النحوية المستنبطة، مما ينفي احتياج النحويين لهذه الأصول.

١,٢. معايير قبول المسلمة النحوية في ضوء اتفاق النحاة

من أهم المعايير التي تُقبل فيها المسلمات النحوية (الإجماع النحوي)، وهو الاتفاق بين علماء النحو على حكم معين بحيث يُقبل كقاعدة دون نزاع كبير، و(السماع)، الذي يستشهد به كمصدر أصلي من أصول النحو. ثمّ (القياس)؛ لأن القضية التي تُعدّ مسلمة يجب أن تكون قابلة للقياس عند حالة تشابه (أصل وفرع) بحيث تكون العلة الجامعة بينهما واضحة. وأخيرًا، (الاتساق المنهجي)، بمعنى أن القاعدة أو الأصل الذي يُطرح كمسلّم يجب ألا يتعارض مع أصول نحوية أخرى أقوى، أو أكثر هيمنة في المنهج. وقد اعتمد النحاة القدامى على هذه الأصول لتأسيس النظام النحوي بطريقة متناسقة.(١)

١,٣. أمثلة تطبيقية لمسلمات نحوية تمثل إجماعًا علميًا بين المدارس النحوية:

تتنوّع المسلّمات النحوية التي وقع عليها اتفاق بين النحاة، وتشكّل قواعد راسخة تُدرَّس بوصفها ثوابت لا خلاف فيها؛ وذلك لاعتمادها على أصول قوية من السماع والقياس والإجماع. **ومن هذه المسلّمات:**(٢)

- رفع الفاعل مهما تقدّم أو تأخّر، ومهما تغيّر نوعه مفردًا كان أو مثنّى أو جمعًا.
- نصب المفعول به، وقد تلقى النحاة هذا الحكم بالقبول، كما اعتمدوا عليه في جميع أبواب العمل، حتى إن مدارس النحو لم تختلف في أصل الحكم، بل اختلفت فقط في بعض المسائل الجزئية المتعلقة بتقدير المفعول أو حذفه.
- الابتداء بالنكرة غير الجائزة إلا بمسوّغ؛ لأن النكرة بطبيعتها غير معيّنة، فلا تصلح لبدء الكلام إلا بدليل يرفع إبهامها، كالوقوع في سياق نفي أو استفهام.

---

(١) حسان، تمام. *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٥، ص٢٢٧.

(٢) عبد اللطيف، محمد حماسة. *النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي*. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠، ص٥٥.

- عمل إنّ وأخواتها في رفع الاسم ونصب الخبر، وقد اتفقت المدارس النحوية على هذا الحكم دون تردد؛ لأنه مدعوم بالسماع القرآني والشعري وبالقياس.
- امتناع دخول حرف الجر على الفعل صراحة. (١)

❖ **القيمة التربوية للمسلمات النحوية في تعليم العربية:**

■ **بناء تصور ثابت وواضح للقواعد لدى المتعلم**

تساعد المسلمات النحوية المتعلم في امتلاك إطار نحوي ثابت يمكنه الرجوع إليه مرات عديدة ليتمكن من فهم النصوص وتحليلها، فبتعلم النحو يمكن للمتعلم أن يبني تفكيرًا لغويًا يُمكّنه من إدراك القواعد الأساسية والثوابت النحوية، وتمثل هذه القواعد والثوابت إطارًا بنيويًا للغة عند المتعلم، كما يساعده هذا التصور على تجنب الارتباك في القواعد عندما ينتقل بين مستويات تعلم اللغة أو يتعامل مع النصوص المعقدة. كما أن المسلمات النحوية تشكل مرجعية مشتركة لكل من المعلم والمتعلم، مما يجعل النقاش والحديث حول القواعد النحوية أقل صعوبة، الأمر الذي يساعد على التركيز على الثوابت النحوية أولاً، ومن ثم على الاستثناءات والقواعد الأقل شيوعاُ بعد ذلك، مما يقلل من التشويش لدى المتعلمين، بسبب عدم مواجهتهم لتغيرات كثيرة في القواعد الأساسية التي يتعلمونها. فالمسلمات النحوية تعتبر نواة ثابتة تُمكن المتعلمين من تطبيقها في العديد من السياقات المختلفة.(٢)

■ **تبسيط المفاهيم وتقليل التشتت المعرفي**

تساعد المسلمات النحوية على تبسيط تعلم القواعد للمتعلمين الجدد على شرط أن يبدأ المتعلم بالأساسيات والثوابت النحوية في البداية، ومن ثم يتدرج إلى القواعد

(١) السيوطي، جلال الدين. *الاقتراح في أصول النحو*. تحقيق عبد الحكيم عطية. ط٢. بيروت: دار البيروتي، ٢٠٠٦، ص١١٢.

(٢) علي، مرجع سابق، ص١٠٤.

الأكثر صعوبة أو الاستثناءات النحوية؛ لأن ذلك يقلل من عبء المعلومات على المتعلم. كما يمكن للمسلمات النحوية أن تساهم في تقليل التشتت المعرفي، وهو التشتت الذي ينتج عن الكم الكبير للمعلومات والقواعد النحوية والمعاني المتداخلة. ويمكن تقليل التشتت المعرفي عن طريق تصميم الأنشطة التعليمية التي تراعي التبسيط والتدرج، فيقوم المعلم أولاً بتقديم المسلمات النحوية مع الشواهد الواضحة، ثم التدريبات التطبيقية، ومن ثم نقاش لتوضيح متى يمكن أن تكون القاعدة أوسع أو متى تحدث الاستثناءات النحوية.(١)

❖ **العلاقة بين الاستقرار القاعدي والقدرة على التحليل الإعرابي**

إن معرفة المسلمات والثوابت النحوية ودراستها تساهم بـ:(٢)

- منح المتعلم أدوات تحليلية قوية.
- تطوير الوعي النحوي للمتعلمين.
- توضيح العلاقة بين المكونات النحوية المختلفة، مثل الفاعل والمفعول، وتفسير العلامات الإعرابية بناءً على هذه الثوابت.

❖ **الاتجاهات التربوية الحديثة نحو (النحو الميسر والنحو الوظيفي) المبني على الثوابت**

يتماشى تعزيز مفهوم "المسلمات النحوية" مع التوجهات العربية الحديثة في تعليم اللغة العربية؛ فتعزيز هذا المفهوم يساعد أولاً على بناء مناهج أكثر عملية وقابلية للتطبيق، مما يسهل على المتعلمين أن يستخدموا القواعد النحوية في الحياة اللغوية اليومية، لا في الاختبارات النظرية فحسب. كما أن تضمين هذه المسلمات في المناهج التربوية يجعلها أكثر توازناً ما بين الجانبين النظري والتواصلي، والمسلمات النحوية تساعد

(١) مسلم، صافي، مرجع سابق، ص ٥.

(٢) أكحل، مرجع سابق، ص٤١٠.

على جعل تعلم النحو والقواعد النحوية أداة تواصل وظيفية، لا عبئاً فكرياً فقط.[١]

❖ **المسلمات النحوية في ضوء نظريات اكتساب اللغة الثانية (العبء المعرفي نموذجاً) :**

يُعد الاعتماد على "المسلمات النحوية" في تعليم العربية للناطقين بغيرها ضرورة تدعمها "نظرية العبء المعرفي"؛ لتجنب إرهاق ذاكرة المتعلم. فتقديم النحو كثوابت مستقرة يجنّب المتعلم تشتت الانتباه بين الخلافات والاستثناءات المعقدة ويخفف عنه العبء الذهني، هذا النهج يوجّه طاقة المتعلم مباشرة نحو الفهم والتطبيق العملي، مما يسرّع من عملية اكتساب اللغة وتحويل القواعد من مجرد نظريات تُحفظ إلى مهارات لغوية تُمارَس بطلاقة.

أولاً: تعريف العبء المعرفي:

تعددت المقاربات النظرية في تعريف العبء المعرفي، حيث ركزت الدراسات على العلاقة بين الموارد العقلية وطبيعة المهام المنوطة بالمتعلم؛ فقد أشار (Yang, Ren & Huang,2017)[٢] إلى أن العبء المعرفي يتمثل في مجموع الموارد الذهنية المستهلكة أثناء تنفيذ المهمة، مع التأكيد على وجود علاقة طردية بين حجم استهلاك هذه الموارد وارتفاع مستوى العبء لدى المتعلم.

وفي سياق متصل ترى (هبة الناغي، ٢٠٢٠)[٣] أن العبء المعرفي يتجسد في انشغال الفرد بالمحتوى الدراسي أو الأداء المهاري، مما يؤدي إلى توليد جهد عقلي متزايد

(١) خطاب، محمد. ٢٠٢٤ .*تطوير تعليم النحو* .القاهرة: دار النهضة العربية، ص٢٥٥.

(2) Yang H. Ren W. & Huang T. (2017 June). Interactive Learning Resources Based on Cognitive Load: Design and Application. In 2017 International Symposium on Educational Technology (ISET) (pp. 208-211).

(٣) هبة إبراهيم محمد على الناغي (٢٠٢٠) الذاكرة المستقبلية وعلاقتها بالانتباه الانفعالي والعبء المعرفية باستخدام الإلماعات الانفعالية دراسات تربوية ونفسية، كلية التربية جامعة الزقازيق (١٠٨)، ص: ٢٧٥- ٣٧٠.

يقع عبؤه على الذاكرة العاملة.

ويرى الباحث أن العبء المعرفي في مجال تعليم النحو لمتعلمي اللغة العربية لغة ثانية هو إرهاق المتعلمين بالخلافات النحوية والإعراب التقديري أو القواعد التي تبنى على غيرها قبل تزويدهم بالأساسيات أو المسلمات النحوية. كل ذلك يشكل عبء معرفي على متعلمي العربية.

ثانياً: أنواع العبء المعرفي:

أ- العبء المعرفي الداخلي:

يرى ميرينبور وسويلر [١] أن المعلومات التي يتم تنظيمها وتخزينها في الذاكرة طويلة المدى تكتسب خصائص تختلف عن طبيعتها قبل المعالجة؛ فعلى سبيل المثال، العناصر المعقدة والمتفاعلة (مثل الكلمات المكتوبة) لا يمكن استيعابها كعنصر واحد بسيط، بل تعتمد درجة تعقدها على مستوى "تفاعل العناصر". ويتقرر حجم هذا العبء بناءً على التفاعل بين طبيعة المادة العلمية ومستوى الخبرة السابقة لدى المتعلم؛ حيث يتحدد العبء بمدى تعقيد المعلومات وكفاءة الشخص في معالجتها ذهنياً.

ب- العبء المعرفي الخارجي:

من خلال الاستقراء والتحليل، يذهب كل من جيانغ، وهو، وبوبس [٢]إلى أن العبء الخارجي هو ذاك الجهد الذهني الناتج عن الأشكال التعليمية أو الأنشطة التي تتطلب معالجة ذهنية لا تساهم مباشرة في بناء المخططات العقلية. ويظهر هذا العبء بوضوح عند تشتيت انتباه المتعلم بمهام جانبية، مثل محاولة الربط بين النصوص والرسوم البيانية المتباعدة، مما يستنزف طاقة الذاكرة العاملة في أمور خارجة عن جوهر المحتوى التعليمي.

(1) Sweller, J., van Merriënboer, J. J. G., & Paas, F. (2019). Cognitive architecture and instructional design: 20 years later. *Educational Psychology Review*, *31*(2), 261–292.

(2) Ginns P. Hu F. T. & Bobis J. (2020). Tracing enhances problemsolving transfer but without effects on intrinsic or extraneous cognitive load. Applied Cognitive Psychology. 34(6) 1522-1529.

ت– العبء المعرفي الملائم:

فسر كل من ميرينبور وسويلر[١] العبء الملائم بأنه: الجهد الذهني المخصص فعلياً لعملية التعلم وبناء المخططات العقلية؛ وهو يمثل موارد الذاكرة العاملة الموجهة للتعامل مع "العبء المعرفي الداخلي" بدلاً من استهلاكها في "العبء الخارجي". وتؤكد الدراسة على وجود علاقة عكسية؛ فكلما زادت الموارد المستهلكة في العبء الخارجي، قلّت الفرص المتاحة لمعالجة العبء الداخلي، مما يعيق جودة التعلم. لذلك يُعد العبء الداخلي والملائم مفهومين متداخلين يهدفان معاً إلى تحقيق الفهم العميق.

ثالثا: استراتيجيات العبء المعرفي:

يقوم التعلم الفعال على استخدام المتعلم لاستراتيجيات التعلم، فاستخدام المتعلم لهذه الاستراتيجيات وتدربه على أن يكون مخططاً لاستراتيجيات التعلم يجعله متعلماً فاعلاً في اتخاذ القرارات المتعلقة بعملية التعلم، وهذا ما يحوله من عنصر سلبي إلى عنصر إيجابي في تعلمه.[٢]

وعليه، فإن استراتيجيات العبء المعرفي يقوم بها المتعلم لجعل عملية التعلم أكثر سرعة وسهولة ومتعة، وموجهة ذاتيا بشكل أكبر، بالإضافة إلى قابليتها للانتقال إلى مواقف جديدة باستعمال خطط موجهة لأداء المهمات التعليمية بطريقة ناجحة، أو إنتاج نظم لخفض مستوى التشتت بين المعرفة الحالية للمتعلمين وأهدافهم التعلمية؛ وذلك لأنها تتضمن اختيار المعلومات المناسبة لاستيعاب المتعلم وتنظيمها وتكرار المادة المراد تعلمها، وربط المادة الجديدة بالمعلومات المخزنة في الذاكرة.

---

(1) Sweller, J., van Merriënboer. مرجع سابق، ص٢٩٤

(٢) حسنين، بدرية محمد. (٢٠١٣). التعلم الاستراتيجي: نماذج وتطبيقات. القاهرة: دار الفكر العربي، ص١٠٢.

وهذه الاستراتيجيات هي:

١. **استراتيجية الهدف الحر:** تعتمد على قدرة المتعلم على تحديد الأهداف الكبرى والأهداف الفرعية بدقة وضمان استيعابها التام، من خلال تتبع تحقيق الأهداف الصغرى كخطوات للوصول للهدف الرئيس، ويتم ربط كل معلومة بهدف محدد؛ مما يقلل الجهد الذهني على الذاكرة ويستبعد المعلومات الجانبية التي قد تعيق جودة التعلم.

٣. **استراتيجية الأمثلة المحلولة:** يركز فيها المتعلم على دراسة نماذج لخطوات الحل الجاهزة المتعلقة بالمسألة المراد فهمها. توفر هذه الأمثلة شرحاً تفصيلياً متسلسلاً لطريقة التفكير والعمل، مع التركيز على خطوات الحل بدلاً من الاكتفاء بالنتائج النهائية.

٣. **استراتيجية تركيز الانتباه:** وهي مجموعة من التقنيات تهدف إلى استبعاد مسببات تشتت الذهن الناتجة عن تداخل النصوص والصور والرسوم في المادة التعليمية. تمنع هذه الاستراتيجية من حدوث "تشتت الانتباه" الذي يقع عندما يضطر المتعلم للتركيز في أكثر من مصدر معلوماتي في وقت واحد، مما يرفع كفاءة الاستيعاب.

٤. **استراتيجية التلخيص والاختزال:** منهجية تقوم على اختيار المصدر الأكثر وضوحاً (سواء كان نصاً أو صورة) والاستغناء عن المصادر المكررة التي تشكل عبئاً إضافياً لا حاجة له. فالتعلم القائم على مصدر معلوماتي مركز يحقق نتائج أعمق وأفضل من تكرار نفس المعلومة بصور متعددة.

٥. **استراتيجية تنشيط الخبرة السابقة:** تقوم على مبدأ أن التعلم الحقيقي هو ربط بين ما يعرفه المتعلم سابقاً وما يكتسبه حالياً. يستخدم المتعلمون هذه الاستراتيجية لبناء روابط معرفية قوية تربط المعلومات الجديدة بالخبرات المخزنة لديهم، مما يضمن فهماً صحيحاً ومستداماً للمادة.

لذلك ينبغي مراعاة هذه الاستراتيجيات عند تعليم النحو العربي لمتعلمي العربية لغة ثانية؛ لأنها تعينهم على ضبط النحو خاصة، وعلوم اللغة الأخرى عامة.

❖ **مهارات الإعراب لدى متعلمي العربية لغةً ثانية:**

- **تحديد مهارات الإعراب الأساسية:** توصف مهارات الإعراب على أنها ترابط بين القدرات اللغوية والعقلية، وتنقسم هذه المهارات إلى أربع مكونات رئيسة:(١)

أ- مهارة الفهم: وهي قدرة المتعلم على تحديد العناصر الرئيسة للجملة والتفريق بين أقسام الكلام والعلاقات النحوية بينها، ويعتبر الفهم المدخل الأول للإعراب، حيث لا يمكن أن يقوم أي متعلم بتحديد الوظائف النحوية للجمل قبل أن يدرك المعنى العام للجملة والعلاقات بين مكوناتها.

ب- مهارة التعيين: وهي الخطوة التي تنقل المتعلم من المعرفة النظرية إلى التحديد البنيوي للكلمة، ويقصد بها قدرة المتعلم على تحديد نوع الكلمة وموقعها داخل الجملة وتحديد ما هي وظيفتها النحوية، وتتطلب هذه المهارة الفهم الأولي لتركيب الجمل العربية، والمهارات الذهنية للتعرف على علامات المواقع النحوية المميزة.

ت- مهارة التفسير: يمكن اعتبار هذه المهارة بمثابة أساس الوعي النحوي الذي يعين

(١) جواد، حسان علي عبد. "أثر فاعلية برنامج تعليمي قائم على المهارات الذهنية في تحصيل قواعد اللغة العربية وتنمية مهارات الإعراب لدى طالبات الصف الثاني المتوسط". *مجلة ديالى للبحوث الإنسانية* ٣، عدد ٩٥ (٢٠٢٣): ١٨؛ آل يحيى، عبد الكريم سعد صالح. "الصعوبات التي تواجه متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في تكوين الجملة والحلول المقترحة لها". رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ٢٠٢٠، ص٢١٢؛ عبد الله، بشير عيسى أحمد. "الصعوبات التي يواجهها متعلمو العربية الناطقون بغيرها في مقرر الثقافة السعودية ومقترحات معالجتها". *مجلة الدراسات التربوية والإنسانية* ١٧، عدد ٤ (٢٠٢٥)، ص٦٤.

المتعلم من بناء منطق داخلي للحكم على صحة الجملة وذلك بتفسير علامات كلماتها الإعرابية.

ث- مهارة التطبيق: يظهر المتعلم في هذه المهارة قدرته على إعراب الجمل الجديدة وتكوين الجمل الصحيحة نحوياً وقواعدياً والتحدث بما يتوافق مع تلك القواعد، وهو المؤشر الأقوى على كفاية المتعلم النحوية.

❖ **أثر الإعراب في تنمية الكفاية اللغوية والتحليل التركيبي لدى المتعلم**

يلعب الإعراب الدور الرئيس في تنمية الكفاية اللغوية، لا سيما عند المتعلم الأجنبي الذي يتعلم اللغة العربية لغة ثانية، وذلك لأن الإعراب يمثل الوسيلة التي تؤدي إلى التحدث بشكل سليم؛ لأنَّه يعين على فهم العلاقات المختلفة ما بين المعاني والمكونات النحوية، وتظهر الدراسات أن المتعلمين الذين يتلقون تدريب على مهارات الإعراب المختلفة يظهرون تحسناً كبيراً في فهم النصوص المعقدة مقارنةً بالمتعلمين الذين يتلقون تدريب قاعدي صرف.(١)

وإن قدرة المتعلم على تحليل الجمل يساعده على تجنب الأخطاء المتكررة عند المتعلمين الناطقين بغير العربية، مثل الخلط بين الفاعل والمفعول به، وإهمال العلامات الإعرابية في آخر الكلام، واستخدام التراكيب الدخيلة من لغة المتعلم الأم(٢)، فالإعراب يساعد على تعزيز ثقافة المتعلم اللغوية؛ لأنه يُشعر المتعلم بقدرته على التحكم في بنية الجملة العربية، مما ينعكس بشكل إيجابي على مهارات الكتابة والمحادثة، وبقدرة المتعلم على الإعراب تتحقق الكفاية اللغوية؛ لأن الإعراب هو الخطوة الأخيرة التي يقوم بها المتعلم بعد فهمه للنص، وتعيينه لموقع كل كلمة في الجملة، وتفسيره لسبب اختياره العلامات الإعرابية المناسبة.

(١) جواد، مرجع سابق، ص٢٥.

(٢) آل يحيى، مرجع سابق، ص ٢١٨.

❖ **أبرز الصعوبات الإعرابية لدى الناطقين بغير العربية:**

تتعدد الصعوبات الإعرابية التي يواجهها المتعلم الأجنبي في تعلم اللغة العربية لغة ثانية، ومن هذه الصعوبات:(١)

أ- صعوبات تحليل الجملة: يواجه المتعلمون الأجانب صعوبة في تحديد موقع العنصر أو الكلمة داخل الجملة، لا سيما فيما يخص الجمل الفعلية والجمل الأسمية ذات التوسع التركيبي.

ب- صعوبات العلامات الإعرابية: تمثل العلامات الإعرابية التحدي الأكبر بالنسبة للمتعلمين الأجانب؛ لأن هذا العنصر غير موجود في أغلب اللغات الأجنبية، مما يؤدي إلى التباس في الحركات، ينجم عنه صعوبة في التمييز ما بين الوظائف النحوية للكلمات، مما ينعكس على تفسير المعنى الكلي للجمل.

ت- صعوبات العلاقات الإسنادية: يعاني المتعلمون الأجانب من صعوبة في فهم علاقة الفعل بفاعله أو المبتدأ بخبره، إذ ترتبط هذه العلاقات غالبًا بنظام صرفي قد لا يدركونه في المراحل الأولى. (٢)

ث- تأثير اللغة الأم: ينقل أغلب المتعلمين الأجانب الطرق التي يتم بها بناء الجمل العربية من لغاتهم الأصلية، مما يؤدي إلى حدوث أخطاء إعرابية وتركيبية كبيرة في بنية الجملة العربية، بسبب الاختلاف في تركيب الجمل العربية عن الجمل في لغات أخرى. (٣)

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٠.

(٢) عبد الله، مرجع سابق، ص٧٥.

(٣) أمان الله، سامية، وسارية عندليب كياني، وعريفة أمان الله. "المشكلات التي تواجه تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها". *مجلة العروبة للأبحاث* ٣، عدد ٤ (٢٠٢٢)، ص٤.

❖ **متطلبات تعليم الإعراب في بيئات تعليم العربية للناطقين بغيرها:**

يتطلب تعليم الإعراب للمتعلمين الأجانب الناطقين بغير العربية ما يلي:(١)

- بناء برامج تعليمية قائمة على التحليل: لا بد من دمج مهارات التفكير النحوي في التدريس، بحيث تشمل الأنشطة تحليل الجمل وتفسير العلامات وتصحيح الأخطاء.
- اعتماد الأنشطة التطبيقية: إن التطبيق العملي لجمل جديدة هو العامل الأهم في انتقال المتعلم من المعرفة النظرية إلى المهارة.
- مراعاة اللغة الأم للمتعلم: تبدأ معالجة الأخطاء من تحليل تأثير اللغة الأم.
- توفير بيئة تعلم تفاعلية: وتشمل هذه البيئة الحوار وتمثيل الجمل والتدريب على الإعراب الشفهي والكتابي. (٢)

❖ **العلاقة التفاعلية بين المسلمات النحوية وتنمية مهارات الإعراب:**

كيف تسهم المسلمات النحوية في تكوين الوعي القاعدي لدى المتعلم؟

تعتبر المسلمات النحوية بوصفها القواعد الثابتة التي تستند إلى أصول نحوية متينة، يعتبرها العلماء والنحاة بمثابة نقطة الارتكاز الأساسية في تعلم الإعراب عند المتعلمين، والتي تزودهم بإطار قواعدي ثابت يمكنه من تحليل الجمل وبناءها بشكل صحيح.

وتركز أغلب الدراسات الحديثة على أهمية تقديم القواعد النحوية بطرق سهلة وبسيطة ومتينة لمتعلمي اللغة العربية لغة ثانية، شريطة ألا يكون التركيز المبدئي على القواعد الخلافية أو المتفرقة، بل على الثوابت والمسلمات التي تُسهم في بناء وعي نحوي راسخ يساعد المتعلم على أن يميز بين القاعدة الأساسية التي تقبل التطبيق العام وبين الاستثناء، مما يساهم في تقليل تشتت ذهن المتعلم ويزيد من استقراره اللغوي الإجرائي. كما أن المسلّمات تعد من العوامل الهامة التي تساهم في بناء التصوّر المنهجي لدى

(١) آل يحيى، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٢) جواد، مرجع سابق، ص٣٠.

المتعلم؛ حيث إن المتعلم الذي يبدأ بدراسة المسلمات كأساس يستطيع فهم كيفية ارتباط القواعد بعضها ببعض، ولا يحفظها كجمل منقطعة، فيتحقق لديه وعي نحوي أوسع يتجاوز الحفظ، ويحول القاعدة من شكلها النظري الجامد إلى بنية عقلية يمكنه توظيفها في الكلام.(١)

❖ **دور المسلمات في الانتقال من الحفظ القاعدي إلى الفهم التحليلي للإعراب:**

من التحديات التي تواجه المتعلمين الأجانب عند تعلمهم للإعراب الاعتماد الكبير على الحفظ القاعدي بدون فهم عميق؛ وهنا تبرز أهمية المسلمات النحوية، حيث إنها تسمح بالانتقال التدريجي من التلقين والحفظ الصم إلى التحليل. فعند دراسة النحو على أساس الثوابت النحوية، يمكن للمتعلم أن يركز على القواعد الشائعة أولاً (المسلمات)، وبعدها يبدأ في تطبيقها في الجمل التحليلية، مما يعزز من فهمه لما وراء القاعدة، ويعزز من تفكيره النحوي بسبب قدرته على تفسير السبب وراء اختيار علامة إعرابية معينة بدلاً من حفظها. ويساعد انتقال المتعلم من الحفظ الصم إلى الفهم التحليلي على بناء قدرات لغوية أصيلة، مما يعزز من استقلاليته اللغوية ويقلل من اعتماده على التلقين المستمر.(٢)

❖ **الأثر المعرفي للمسلمات النحوية في تقليل الخطأ الإعرابي وتحسين الأداء الكتابي:**

عندما تدرس هذه القواعد ضمن إطار المسلمات تقوم بتقليل احتمالية ارتكاب الأخطاء، لأنها تقوم على أسس ثابتة وراسخة، لا مجرد تدوين عابر(٣)، كما أن فهم

(١) فتيحة، عبديش. "تعليمية النحو للناطقين بغير العربية". *مجلة المعيار* ٢٩، عدد ٣ (٢٠٢٥)، ص٦٧٤.

(٢) المرجع السابق، ٦٧٧,

(٣) اللهيبي، أفراح بنت حاسن فائز. "دور القواعد النحوية والمهارات اللغوية في تعليم اللغة العربية من منظور التراث العربي". *المجلة المصرية للعلوم التطبيقية* ٣٤، عدد ١٢ (٢٠١٩)، ص٤٤٥.

المتعلّم للقواعد الأساسية وقدرته على تطبيقها بثقة يقلل من الأخطاء الكتابية من حيث التراكيب الإعرابية الصحيحة والاستقرار في اختيار العلامات الإعرابية، مما ينعكس بشكل إيجابي على جودة النص المكتوب. وتساعد البرامج النحوية التي تركز على الثوابت وتطبيقها العملي على انخفاض الأخطاء الإعرابية بشكل ملحوظ لدى الطلاب.(١)

❖ **التوازن بين ثبات القاعدة ومرونة التطبيق في ضوء الإجماع النحوي:**

على الرغم من اعتبار المسلمات ثوابت نحوية، إلا أن تطبيقها العملي ليس جامداً، فهذه الثوابت تتطلب مرونة للتعامل مع الحالات التي يوجد فيها استثناء أو اختلاف، ويضمن الإجماع النحوي تحقيق تلك المرونة. فالإجماع النحوي على قاعدة ما يمنحها قوة ويسمح للنحاة في الوقت نفسه إدراك ما إذا ظهرت حالات جديدة تحتاج إلى تطبيق القاعدة بشكل مختلف أو إعادة تأويلها. فإعادة الصياغة النحوية تسمح للمتعلم أن يربط ما بين المسلمات النحوية والسياقات الحقيقية للغة، كالسياق والدلالة والعلاقة بين العوامل، مما يعطي المرونة في التطبيق ويخفف من الجمود. ولا بد من الإشارة إلى أن المرونة هنا لا تعني إضعاف القاعدة، بل تساعد على تعزيزها للتكيف مع الاستخدام الفعلي للنحو في اللغة الحية.(٢)

❖ **الأسس النظرية لبناء البرنامج القائم على المسلمات النحوية:**

يقوم تصميم البرنامج التعليمي القائم على المسلّمات النحوية على جملة من المبادئ التربوية المرتبطة بالتعلّم اللغوي، ومن أهم هذه المبادئ:

- التدرّج من البسيط إلى المركّب: أي أن يبدأ المتعلّم بالقواعد الأكثر شمولية والأيسر قبل الانتقال إلى القواعد الأكثر تعقيدًا. وقد أثبتت دراسة (فتيحة) أنَّ بناء البرامج

(١) فتيحة، مرجع سابق، ٦٨٠.

(٢) صالح، محمد سيد. "أثر النحو الوظيفي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها". مجلة كلية الآداب ١٣، عدد ٢ (٢٠٢١)، ص٦٤٥.

النحوية الفعّالة لا بد أن يستند إلى ثوابت نحوية؛ لأن هذه الثوابت هي الأساس التي تساعد على الضبط اللغوي للنص وترفع من كفاءة الإعراب.

- التطبيق قبل التنظير: ويدعم هذا المبدأ الاتجاه الوظيفي في النحو الذي يرى أن القاعدة تُكتسب بالممارسة المنظمة داخل الجملة، وليس بالتعريفات النظرية. لذلك لا بد من تصميم برنامج تعليمي ينتقل من عرض المسلمة إلى توظيفها في نماذج لغوية حقيقية، وذلك من أجل تعزيز فهم المتعلم الإجرائي وإكسابه مهارات إعرابية مستقرة.(١)

❖ **آلية اختيار القواعد النحوية وفق معيار الشيوع والإجماع**

يجب أن يعتمد البرنامج القائم على المسلمات النحوية على آلية دقيقة لاختيار القواعد، وتشتمل هذه الآلية على:(٢)

أ- معيار الشيوع: ويعني مدى حضور هذه القاعدة في النصوص سواء كانت نصوصًا معيارية أو معاصرة. ويساعد اختيار القواعد وفق معيار الشيوع المتعلم على التعامل مع أكبر قدر ممكن من التراكيب التي تستخدم في التواصل الحقيقي.

ب- معيار الإجماع: وهو الاتفاق بين النحاة على أصل القاعدة وصحتها. ويضمن هذا المعيار أن تكون القاعدة المختارة ذات أصل راسخ، وليست محل استثناء أو خلاف، مما يقلل من ارتباك المتعلم ويزيد من استقراره المعرفي.

❖ **الأساليب التدريبية والأنشطة التطبيقية لتنمية الإعراب عبر المسلمات:**

يمكن بناء الأساليب التدريبية، والأنشطة التطبيقية في البرنامج باستخدام تسلسل تدريبي محكم، ويبدأ هذا التسلسل أولاً بتمارين للتعرف على المسلمة النحوية، ثم تطبيقها في جمل منفردة، وبعدها في فقرات مترابطة، وفي النهاية يكون المتعلم قادراً على إنتاج

(١) المرجع السابق، ص٦٤٦.

(٢) اللهيبي، مرجع سابق، ٤٤٥.

نصوص قصيرة لتوظيف القاعدة بدون الحاجة إلى مساعدة. وتساعد هذه الأنشطة على رفع قدرة المتعلم على "التوظيف الموقفي للمسلمة"، أي استخدام المسلمة بطريقة علمية في سياقات جديدة غير محفوظة.(١)

❖ **دور التقويم البدائي والنهائي في قياس التحسن في مهارات الإعراب:**

للتقويم دور محوري في البرامج المبنية على المسلّمات النحوية:

فيستخدم التقويم القبلي (البدائي) لتحديد مستوى المتعلم، وحصر الأخطاء الأكثر شيوعًا لديه، وتحديد المسلّمات التي يحتاج إلى تعزيزها في بداية البرنامج.

ويُستخدم التقويم البنائي (أثناء التطبيق) لتتبع تقدم المتعلم في كل وحدة، خصوصًا في مدى استيعابه للأحكام الإعرابية الأساسية وثباتها في أدائه الكتابي والشفهي.

أما التقويم البعدي (النهائي) فيهدف إلى قياس الأثر الحقيقي للبرنامج على مهارات الإعراب، وذلك بمقارنة نتائج الاختبارات اللغوية قبل وبعد التدريب، وتحليل نوعية الأخطاء المتبقية. وقد أكدت دراسات تربوية أنّ البرامج النحوية المعتمدة على الثوابت والإجماع تُظهر انخفاضًا ملحوظًا في نسبة الأخطاء الإعرابية مقارنة بالبرامج التقليدية.(٢)

تحليل أدوات الدراسة:

الأداة الأولى: المسلمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتحكيمها.

تم إعداد الأداة الأولى على هيئة استبانة، هدفت إلى تحديد المسلّمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك تمهيدًا لبناء البرنامج التعليمي القائم عليها.

---

(١) صالح، مرجع سابق، ٦٤٩.

(٢) اللهيبي، مرجع سابق، ٤٤٨.

صدق المحتوى

في ضوء الأدبيات التربوية والدراسات السابقة المتصلة بتعليم النحو للناطقين بغير العربية، أَعدَّ الباحث الاستبانة في صورتها الأولية، حيث اشتملت على مجموعة من العبارات الإيجابية والسلبية، صُممت لاستطلاع آراء المحكمين حول مدى مناسبة هذه المسلّمات النحوية لطلاب المستوى الأول.

وتكوّنت الاستبانة في صورتها الأولية من (29)عبارة موزعة على ستة محاور رئيسة، تغطي الجوانب الأساسية للمسلمات النحوية اللازمة لتنمية مهارات الإعراب.

صدق المحكمين

عُرضت الاستبانة في صورتها الأولية على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في النحو، من محكّمي الأدوات في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك لتحكيمها من حيث:

- سلامة الصياغة اللغوية
- وضوح العبارات
- مدى ملاءمتها لطلاب المستوى الأول
- شمولها للمسلمات النحوية الأساسية

وقد أبدى المحكمون اتفاقهم على الإبقاء على العبارات المناسبة بعد المراجعة، وبناءً على آرائهم تم التوصل إلى الصورة النهائية للاستبانة، والتي اشتملت على (29) عبارة موزعة على ستة محاور.

الأداة الثانية: استبانة لتحديد مهارات الإعراب اللازمة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتحكيمها.

تم إعداد الأداة الثانية على هيئة استبانة، هدفت إلى تحديد مهارات الإعراب

اللازمة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك تمهيدًا لبناء البرنامج التعليمي القائم عليها.

صدق المحتوى

في ضوء الأدبيات التربوية والدراسات السابقة المتصلة بتعليم النحو للناطقين بغير العربية، تم إعداد الاستبانة في صورتها الأولية، حيث اشتملت على مجموعة من العبارات الإيجابية والسلبية، صُممت لاستطلاع آراء المحكمين حول تحديد مهارات الإعراب اللازمة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وتكوّنت الاستبانة في صورتها الأولية من (30)عبارة موزعة على خمسة محاور رئيسة، تغطي الجوانب الأساسية للمهارات الإعراب اللازمة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

صدق المحكمين

عُرضت الاستبانة في صورتها الأولية على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في النحو، من محكّمي الأدوات في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ وذلك لتحكيمها من حيث سلامة الصياغة اللغوية، ووضوح العبارات، ومدى ملاءمتها لطلاب المستوى الأول، وشمولها للمسلمات النحوية الأساسية.

وقد أبدى المحكِّمون مجموعة من الملاحظات والمقترحات، تمثلت فيما يأتي:

١. **حذف عدد من الفقرات** لعدم مناسبتها لمستوى طلاب المستوى الأول، أو لتجاوزها المهارات الإعرابية الأساسية، ومن ذلك الفقرات التي تتطلب معالجة نحوية متقدمة نسبيًا، مثل:
   - تحديد المستثنى.
   - إعراب الحال.

- إعراب التمييز.
- إعراب المنادى.
- بعض الجمل التي لا يصح أن تتبعها واو العطف.
- الفقرات التي تتناول التطبيق المباشر لقواعد نحوية فرعية مثل قاعدة العطف.

٢. **حذف فقرات بعينها** وفق ترقيمها في الصورة الأولية للاستبانة، وهي الفقرات أرقام:
(**٨، ٩، ١٠، ١٤، ١٩، ٢٥**)، وذلك لاتفاق المحكِّمين على عدم ملاءمتها لأهداف الأداة أو لمستوى العينة المستهدفة.

٣. **حذف محور كامل** من محاور الاستبانة، بعد اتفاق المحكِّمين على أن مهاراته لا تندرج ضمن المهارات الإعرابية الأساسية اللازمة لطلاب المستوى الأول، مما أدى إلى إعادة تنظيم محاور الاستبانة بما يحقق الاتساق بين الأهداف والمحتوى.

٤. **حذف بعض الفقرات التابعة لمحاور أخرى** نتيجة لحذف المحور الأصلي، حفاظًا على التوازن البنائي للأداة وتجنّب التكرار أو التداخل بين المهارات.

وبناءً على ملاحظات المحكِّمين، أُجريت التعديلات المقترحة، وأعيد صياغة الاستبانة في صورتها النهائية، بما يضمن صدقها ومناسبتها لأهداف الدراسة، وللمستوى اللغوي لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى الأول.

والتي اشتملت على (19)عبارة موزعة على أربعة محاور.

تصحيح المقياس: جاءت درجات الإجابة على المقياس في ضوء مقياس "Likert" موزعة على النحو التالي:

جدول (١): درجات مقياس الأدوات

المسلمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة						
الدرجة العبارة	أوافق بشدة	أوافق	لست متأكد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
العبارة الإيجابية	٥	٤	٣	٢	١
العبارة السلبية	١	٢	٣	٤	٥
مهارات الإعراب اللازمة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة					
الدرجة العبارة	شائعة بدرجة كبيرة جدًا	شائعة بدرجة كبيرة جدًا	شائعة بدرجة كبيرة جدًا	شائعة بدرجة كبيرة جدًا	شائعة بدرجة كبيرة جدًا
العبارة الإيجابية	٥	٤	٣	٢	١
العبارة السلبية	١	٢	٣	٤	٥

ثالثًا: اختبار مهارات الإعراب لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها (المستوى الأول)

بناء الاختبار

قام الباحث ببناء **اختبار مهارات الإعراب**؛ لقياس أثر البرنامج القائم على المسلّمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها بالمستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك في ضوء أهداف البحث وأسئلته.

أولًا: الهدف من إعداد الاختبار

هدف الاختبار إلى:

- التعرف على مستوى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها (المستوى الأول) في مهارات الإعراب قبل تطبيق البرنامج.
- قياس مدى التقدم الذي طرأ على مهارات الإعراب لدى المتعلمين بعد تطبيق البرنامج، وذلك بالمقارنة بين التطبيقين القبلي والبعدي.

ثانيًا: الصورة الأولية للاختبار

أُعدّ الاختبار في صورته الأولية ليتكوّن من (15)**سؤالًا**، من نوع **الاختيار من متعدد**، بحيث يقيس كل سؤال مهارة من مهارات الإعراب المناسبة لطلاب المستوى الأول، مثل:

- تمييز نوع الكلمة (اسم، فعل، حرف).
- تحديد نوع الجملة.
- إعراب الكلمات وفق موقعها في الجملة.
- التعرف على العلامات الإعرابية الأساسية.

ثالثًا: تحكيم الاختبار

عُرض الاختبار في صورته الأولية على **مجموعة من المحكّمين** المتخصصين في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وذلك لإبداء آرائهم حول:

- مدى مناسبة فقرات الاختبار لمستوى المتعلمين.
- سلامة الصياغة اللغوية للأسئلة.
- مدى ارتباط الأسئلة بمهارات الإعراب المستهدفة.

وبعد الأخذ بملاحظات المحكمين وتوجيهاتهم، أُجريت التعديلات اللازمة على فقرات الاختبار، وأصبح صالحًا للتطبيق.

رابعًا: صدق الاختبار

١. الصدق الظاهري

تحقق الصدق الظاهري للاختبار بعرضه على المحكّمين، حيث أقرّوا بأن فقراته تقيس مهارات الإعراب التي وُضع الاختبار من أجل قياسها، وأنها مناسبة لمستوى طلاب المستوى الأول.

٢. صدق الاتساق الداخلي

لقياس صدق الاتساق الداخلي، طُبق الاختبار على عينة استطلاعية مكوّنة من (57)**متعلمًا** من متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها بالمستوى الأول، وحُسبت معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للاختبار.

وأظهرت النتائج أن بعض الفقرات حققت معاملات ارتباط غير دالة إحصائيًا عند مستوى (٠,٠٥)، وبناءً على ذلك عُدِّل **سؤالان**؛ لعدم وضوح صياغتهما، ثم أُعيد تطبيق الاختبار بعد التعديل على عينة استطلاعية أخرى بلغ عددها **(57)متعلمًا**، وأسفرت النتائج عن تحسن معاملات الارتباط، مما يدل على تحقق صدق الاتساق الداخلي للاختبار في صورته النهائية، وجاءت النتائج على النحو التالي كما يظهر الجدول (٥):

جدول (٢): نتائج الاتساق الداخلي لاختبار مهارات الإعراب لدى المتعلمين اللغة العربية الناطقين بغيرها (المستوى الأول)

م	المهارات	Pearson Correlation	Sig. (2-tailed)	n
1	السؤال الأول: حدد نوع الكلمة التي تحتها خط في الجمل التالية: – ذهبتُ إلى الحرم.	.657**	0.000	37
2	السؤال الأول: حدد نوع الكلمة التي تحتها خط في الجمل التالية: – ذهبتُ إلى الحرم.	.627**	0.000	37
3	السؤال الأول: حدد نوع الكلمة التي تحتها خط في الجمل التالية: – ذهبتُ إلى الحرم.	.356*	0.031	37
4	السؤال الثاني: حدد نوع الجملة التي تحتها خط فيما يلي: – قال تعالى:" فاعلمْ أنه لا إله إلا الله واستغفرْ لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات واللهُ يعلم متقلبكم ومثواكم".	.626**	0.000	37
5	السؤال الثاني: حدد نوع الجملة التي تحتها خط فيما يلي: – قال تعالى:" فاعلمْ أنه لا إله إلا الله واستغفرْ لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات واللهُ يعلم متقلبكم ومثواكم".	.563**	0.000	37
6	السؤال الثاني: حدد نوع الجملة التي تحتها خط فيما يلي: – قال تعالى: " في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه...".	.443**	0.006	37
7	السؤال الثالث: أعرب ما تحته خط في الجمل التالية: – (محمدٌ طالبُ علمٍ يتعلمُ لكي ينشرَ الإسلامَ في بلدِهِ)	.525**	0.001	37
8	السؤال الثالث: أعرب ما تحته خط في الجمل التالية: – (محمدٌ طالبُ علمٍ يتعلمُ لكي ينشرَ الإسلامَ في بلدِهِ)	.724**	0.000	37
9	السؤال الثالث: أعرب ما تحته خط في الجمل التالية: – (محمدٌ طالبُ علمٍ يتعلمُ لكي ينشرَ الإسلامَ في بلدِهِ)	.452**	0.005	37
10	السؤال الثالث: أعرب ما تحته خط في الجمل التالية: – (محمدٌ طالبُ علمٍ يتعلمُ لكي ينشرَ الإسلامَ في بلدِهِ)	.545**	0.000	37
11	السؤال الثالث: أعرب ما تحته خط في الجمل التالية: – (محمدٌ طالبُ علمٍ يتعلمُ لكي ينشرَ الإسلامَ في بلدِهِ)	.552**	0.000	37
12	السؤال الثالث: أعرب ما تحته خط في الجمل التالية: – (محمدٌ طالبُ علمٍ يتعلمُ لكي ينشرَ الإسلامَ في بلدِهِ)	.527**	0.001	37
13	السؤال الثالث: أعرب ما تحته خط في الجمل التالية: – (محمدٌ طالبُ علمٍ يتعلمُ لكي ينشرَ الإسلامَ في بلدِهِ)	.680**	0.000	37
14	السؤال الثالث: أعرب ما تحته خط في الجمل التالية: – (محمدٌ طالبُ علمٍ يتعلمُ لكي ينشرَ الإسلامَ في بلدِهِ)	.385*	0.019	37

15	السؤال الثالث: أعرب ما تحته خط في الجمل التالية: - (محمدٌ طالبُ علمٍ يتعلمُ لكي ينشرَ الإسلامَ في بلدِهِ)	0.189	0.263	37

يتضح من الجدول (٢) أن جميع قيم معاملات الارتباط بين درجة كل سؤال من أسئلة اختبار **مهارات الإعراب لدى المتعلمين اللغة العربية الناطقين بغيرها (المستوى الأول)**، والدرجة الكلية للاختبار الذي تنتمي إليه، دالة إحصائياً، وهذا يدل على وصول الاختبار إلى درجة صدق داخلي موثوقة تسمح بتطبيقه.

ثبات الاختبار: أجري قياس الثبات على الاختبار بعد التطبيق على المتعلمين وجاءت قيم الفا كرونباخ مرتفعة وتدل على ثبات الاختبار وجاهزيته للتطبيق كما يوضح الجدول (٣):

جدول (٣): تحليل ألفا كرونباخ لاختبار مهارات الإعراب لدى المتعلمين اللغة العربية الناطقين بغيرها (المستوى الأول)

الأداة	عدد العبارات	قيمة ألفا كرونباخ
أسئلة الاختبار البرنامج القائم على المسلّمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب	15	0.801

يقصد بمعامل الصعوبة نسبة المتعلمين الذين أجابوا إجابة صحيحة عن السؤال إلى العدد الكلي للعينة (Hogan, 2013,214)، ويحسب وفق المعادلة الآتية:

معامل الصعوبة = عدد الطلاب الذين أجابوا إجابة صحيحة ÷ العدد الكلي للمتعلمين.

أما معامل السهولة فيُحسب وفق المعادلة:

معامل السهولة = ١ – معامل الصعوبة.

أظهرت نتائج تحليل الصعوبة والسهولة لفقرات اختبار مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها أن قيم معامل الصعوبة تراوحت بين (0.556 – 0.889)، وهي قيم تقع ضمن المستويين المتوسط والسهل وفق تصنيف Boopathiraj & Chellamani (2013).

ويُشير هذا التدرج في مستويات الصعوبة إلى:

- وجود توازن نسبي بين الفقرات السهلة والمتوسطة.
- ملاءمة فقرات الاختبار لمستوى طلاب المستوى الأول.
- قدرة الاختبار على قياس الفروق الفردية بين المتعلمين.

وبذلك يُعد الاختبار مناسبًا من حيث مستوى الصعوبة، ويُسهم في تعزيز صدقه البنائي.

تصحيح الاختبار:

وتكوّن اختبار مهارات الإعراب في صورته النهائية من (15)فقرة من نوع **الاختيار من متعدد،** اشتملت كل فقرة على أربعة بدائل، خُصصت درجة واحدة للإجابة الصحيحة، وصفر للإجابة الخاطئة. وقد تم تصحيح الاختبار آليًا باستخدام برنامج إلكتروني مُعدّ لإنشاء اختبارات الاختيار من متعدد. وبذلك بلغت الدرجة الكلية للاختبار (١٥) والصغرى صفر.

تطبيق الاختبار

استُخدم الاختبار بصورته النهائية في:

- **التطبيق القبلي** :لقياس أثر البرنامج القائم على المسلّمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى المتعلمين قبل البدء في تطبيقه.
- **التطبيق البعدي** :لقياس أثر البرنامج القائم على المسلّمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى المتعلمين بعد الانتهاء من تطبيقه.

الأساليب الإحصائية:

- النسب، والمتوسطات، والانحرافات المعيارية.
- معامل ارتباط بيرسون لتحليل العلاقات، وصدق اتساق الأدوات.
- معامل ألفا كرونباخ لقياس ثبات الأدوات.
- معامل السهولة والصعوبة لأسئلة الاختبار.

- اختبار T للعينات المرتبطة.

نتائج الدراسة وتفسيرها:

يعرض هذا الجزء من الدراسة نتائج التحليل الإحصائي للبيانات التي جمعت باستخدام أداة الدراسة، وهي: اختبار مهارات الإعراب، وذلك بهدف الإجابة عن أسئلة البحث، والتحقق من فاعلية البرنامج المقترح في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى الأول بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقد حللت البيانات قبليًا وبعديًا، ووظفت الأساليب الإحصائية المناسبة، باستخدام برنامج SPSSالإصدار ٢٩، للوقوف على أثر البرنامج في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

وفيما يلي عرض نتائج الدراسة وتفسيرها في ضوء أسئلة البحث:

السؤال الأول: ما المسلّمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

أظهرت نتائج تحكيم استبانة المسلّمات النحوية، بعد تحليل آراء أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في النحو وتعليم العربية للناطقين بغيرها، أن المسلّمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول هي تلك التي تتسم بالبساطة، والشيوع، والوظيفية، وتُسهم مباشرة في فهم التراكيب الأساسية للجملة العربية وإعرابها.

وقد تمثلت هذه المسلّمات في مجموعة من القواعد الأساسية، من أبرزها:

- تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، مع التمييز بينها بالعلامات الظاهرة.
- معرفة الأصل في الأسماء الإعراب، والأصل في الحروف البناء.
- إدراك مفهوم الكلام وتركيبه من كلمتين أو أكثر.
- الإلمام بالأفعال الأساسية والعوامل المؤثرة فيها، مثل كان وأخواتها، وإنّ

وأخواتها، وأدوات النصب والجزم الشائعة.

- التعرف إلى الوظائف النحوية الأساسية كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل والمفعول به.
- استيعاب التوابع البسيطة، مثل النعت والعطف بالحروف الشائعة.

وقد أسفر التحكيم عن حذف بعض المسلّمات التي تتطلب مستوى لغويًا أعلى أو تعقيدًا نحويًا لا يتناسب مع خصائص طلاب المستوى الأول، مما أسهم في الوصول إلى قائمة مسلّمات دقيقة ومناسبة، تُعد أساسًا علميًا لبناء البرنامج التعليمي.

جدول (٤) المسلّمات النحوية المناسبة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

المسلمة النحوية	القاعدة المختصرة	مثال توضيحي
١. أقسام الكلمة	الكلمة ثلاثة أنواع: اسم (إنسان، جماد، معنى)، فعل (حدث مرتبط بزمن)، حرف (لربط الكلمات).	محمد (اسم)، يَكْتُبُ (فعل)، فِي (حرف)
٢. حركات الإعراب	الضمة للرفع، الفتحة للنصب، الكسرة للجر.	محمدٌ (مبتدأ) / محمداً (مفعول به)
٣. المعرب والمبني	المعرب ما تغير شكل آخره بتغير العوامل الداخلة عليه، والمبني ما لم يتغير شكل آخره بتغير العوامل الداخلة عليه.	جاء محمدٌ – هؤلاءِ طلابي. رأيتُ محمداً – رأيتُ هؤلاءِ الطلاب. سلمت على محمدٍ – سلمت على هؤلاءِ الطلاب.
٤. الجملة الاسمية وقرائنها	تبدأ بـ اسم، وتتكون من ركنين أساسيين (مبتدأ + خبر) وكلاهما مرفوع (بالضمة).	الطَّالِبُ مُجْتَهِدٌ.
٥. الجملة الفعلية وقرائنها	تبدأ بـ فعل، وتتكون من (فعل + فاعل)، والفاعل دائماً مرفوع (بالضمة).	ذَهَبَ الطَّالِبُ.
٦. التذكير والتأنيث	الفعل يتغير حسب الفاعل (مذكر أو مؤنث).	**لعبَ** محمدٌ / **لعبتْ** فاطمةُ
٧. المرفوعات	المبتدأ والخبر، والفاعل ونائبه، واسم كان وأخواتها وخبر إنَّ وأخواتها، دائما مرفوعة.	محمدٌ مجتهدٌ / كتب محمدٌ الواجب، كُتِبَ الواجبُ/ كان **الولدُ** نشيطاً/ إنَّ الولدَ **نشيطٌ**.
٨. المنصوبات	المفعولات بأنواعها، وخبر كان وأخواتها واسم إنَّ وأخواتها، دائما منصوبة.	رأيتُ المعلمَ – استقبلت الطلاب إكراماً لهم .../ كان الولدُ **نشيطاً**/ إنَّ **الولدَ**

المسلمة النحوية	القاعدة المختصرة	مثال توضيحي
		نشيطٌ.
٩. المجرورات	الاسم الذي يأتي بعد حرف الجر يكون دائماً (مجروراً)، والمضاف إليه أيضاً وعلامة جره الأساسية هي الكسرة.	فِي البَيْتِ / هذا كتابُ **محمدٍ**
١٠. التوابع	أسماء تتبع ما قبلها في كل شيء (الصفة، التوكيد، البدل، العطف).	رأيتُ ولداً **صغيراً** نجحَ الطالبُ **نفسُه** زرتُ العاصمةَ **الرياضَ** جاءَ محمدٌ **وأحمدُ**

السؤال الثاني: ما المهارات الإعرابية اللازمة لطلاب المستوى الأول في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؟

كشفت نتائج استبانة مهارات الإعراب اللازمة، بعد التحكيم والتعديل، عن مجموعة من المهارات الإعرابية الأساسية التي ينبغي توافرها لدى طلاب المستوى الأول، والتي تمثل الحد الأدنى الضروري للتمكن من الإعراب الوظيفي للجملة العربية.

وتتمثل هذه المهارات فيما يأتي:

- التمييز بين أقسام الكلمة (اسم، فعل، حرف) داخل الجملة اعتمادًا على خصائصها وعلاماتها.
- تحليل تركيب الجملة وتحديد نوع الجمل.
- إعراب الأسماء إعرابًا صحيحًا في حالات الرفع والنصب والجر.
- التمييز بين الأسماء المعربة والمبنية في التراكيب البسيطة.
- التعامل الصحيح مع العوامل النحوية الأساسية، مثل كان وأخواتها، وإنّ وأخواتها.

- تحديد الوظائف النحوية داخل الجملة.
- ربط الإعراب بالمعنى والسياق.

وتُظهر هذه النتائج أن مهارات الإعراب المطلوبة لطلاب المستوى الأول تركز على الجانب التطبيقي الوظيفي، بما يتناسب مع مستوى المتعلمين غير الناطقين بالعربية واحتياجاتهم التواصلية.

السؤال الثالث: ما مكونات البرنامج القائم على المسلّمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها؟

في ضوء نتائج السؤالين السابقين، تم بناء البرنامج القائم على المسلّمات النحوية متكامل العناصر، بحيث يحقق هدف تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى الأول.

وتتحدد مكونات البرنامج فيما يأتي:

١. **الأهداف التعليمية**

صياغة أهداف واضحة ومحددة تركز على تنمية مهارات الإعراب الأساسية، وربطها بالمسلمات النحوية المناسبة.

٢. **المحتوى التعليمي**

اختيار محتوى نحوي مبني على المسلّمات النحوية الشائعة، يقدم بصورة متدرجة من السهل إلى الصعب، ويراعي خصائص المتعلمين.

جدول (٥) مكونات المحتوى التعليمي المناسبة لطلاب المستوى الأول لتنمية مهارات الإعراب لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها:

رقم الدرس	الموضوع	عدد الساعات
١	**أقسام الكلمة**	ساعة واحدة
٢	**الجملة الاسمية وقرائنها**	ساعة واحدة
٣	**الجملة الفعلية وقرائنها**	ساعة واحدة
٤	**المعرب والمبني**	ساعة واحدة
٥	**المرفوعات** (المبتدأ والخبر، والفاعل ونائبه، واسم كان وأخواتها وخبر إنَّ وأخواتها)	ساعة ونصف
٦	**المنصوبات** (المفعول بع فقط، وخبر كان وأخواتها واسم إنَّ وأخواتها)	ساعة ونصف
٧	**المجرورات** (المجرور بحرف الجر فقط)	ساعة واحدة
٨	**مراجعة عامة**	ساعة واحدة

٣. **الأنشطة التعليمية**

تصميم أنشطة تطبيقية متنوعة، مثل تحليل التراكيب، وتحديد نوع الكلمة، وإعراب الكلمات داخل الجملة، مع الاعتماد على أمثلة وظيفية من السياق اللغوي.

٤. **أساليب التدريس**

توظيف أساليب تدريس تفاعلية تركز على الفهم والتطبيق، وتبتعد عن التعقيد النظري، مع مراعاة **الفروق** الفردية بين المتعلمين.

٥. **وسائل التقويم**

استخدام أدوات تقويم متنوعة، شملت اختبار مهارات الإعراب، والتقويم القبلي

والبعدي، لقياس **مدى** تحقق أهداف البرنامج.

السؤال الرابع: قياس أثر البرنامج القائم على المسلّمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب

للتحقق من أثر البرنامج القائم على المسلّمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى الأول بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طبق **اختبار مهارات الإعراب** قبليًا وبعديًا على عينة الدراسة المكوّنة من (٣٧) متعلمًا.

واستُخدم **اختبار (ت) لعينتين مرتبطتين (Paired Samples t-test)** لمقارنة متوسطات درجات المتعلمين في التطبيقين القبلي والبعدي.

وقد أظهرت النتائج، كما هو موضح في الجدول، ما يأتي:

التطبيق	المتوسط الحسابي (Mean)	الانحراف المعياري (Std. Deviation)	قيمة t	قيمة كوهين Cohen's d	مستوى الدلالة (p-value)
القبلي	8.865	3.473	4.437	0.73n'	0.000
البعدي	12.378	3.538			

وتشير النتائج إلى وجود **فرق دال إحصائيًا** بين متوسطي درجات المتعلمين في التطبيقين القبلي والبعدي لصالح التطبيق البعدي، حيث بلغت قيمة(4.437) = (t) ، وهي دالة إحصائيًا عند مستوى($\alpha \leq 0.05$) ، إذ بلغ مستوى الدلالة($p = 0.000$) .

كما تم حساب حجم الأثر باستخدام معامل كوهين (Cohen's d) بهدف تحديد القوة العملية للفروق بين التطبيقين القبلي والبعدي، وليس الاكتفاء بالدلالة الإحصائية فقط.

وقد بلغت قيمة حجم الأثر($Cohen's\ d = 0.73$) ، وهي قيمة تشير إلى حجم أثر متوسط يميل إلى الكبير وفقًا لمعايير كوهين وعليه، فإن القيمة المحسوبة تدل على أن المعالجة أو البرنامج التعليمي المستخدم كان له تأثير عملي ملحوظ في تحسين درجات المتعلمين، وليس مجرد فرق إحصائي ناتج عن حجم العينة.

وتعني هذه النتيجة أن التحسن الذي ظهر في متوسط درجات المتعلمين في التطبيق البعدي يُعد تحسنًا ذا أهمية تربوية وتعليمية حقيقية، حيث أسهمت المعالجة التجريبية في رفع مستوى أداء المتعلمين بدرجة متوسطة إلى مرتفعة.

ويُعزى هذا الفرق إلى **فاعلية البرنامج القائم على المسلّمات النحوية** في تنمية مهارات الإعراب لدى المتعلمين، إذ أسهم البرنامج في رفع متوسط الأداء الإعرابي للمتعلمين بعد التطبيق مقارنةً بما كان عليه قبل التطبيق.

رابعاً: الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات:

توصّلت الدراسة، في ضوء نتائجها، إلى الاستنتاجات الآتية:

١. أثبت البرنامج القائم على المسلّمات النحوية فاعلية واضحة في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى الأول، حيث وُجدت فروق دالة إحصائيًا بين متوسطات الدرجات في التطبيقين القبلي والبعدي لصالح التطبيق البعدي.
٢. أسهم اعتماد البرنامج على المسلّمات النحوية الأساسية في تبسيط تعلم النحو، وتقليل صعوبته لدى المتعلمين، مما انعكس إيجابًا على أدائهم الإعرابي.
٣. أظهر التركيز على الإعراب الوظيفي وربطه بالسياق اللغوي فاعلية في تعزيز فهم المتعلمين للتراكيب النحوية، بدل الاقتصار على الحفظ الآلي للقواعد.
٤. بيّنت النتائج أن التدرج في عرض المهارات الإعرابية، وكثرة الأنشطة التطبيقية، يسهمان في تحسين مستوى المتعلمين وثقتهم في استخدام الإعراب.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة، يوصي الباحث بما يأتي:

١. الاعتماد على المسلّمات النحوية في البرامج التعليمية الأساسية عند تدريس

النحو لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها؛ لتكوين قاعدة ثابتة لدى متعلمي العربية لغة ثانية.

٢. تطوير مقررات النحو في معاهد تعليم العربية للناطقين بغيرها بما يراعي التدرج في المهارات الإعرابية.

٣. تدريب معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها على توظيف المسلّمات النحوية في تعليم الإعراب وربطه بالمعنى والسياق اللغوي.

٤. إجراء دراسات مستقبلية لتطبيق البرنامج على مستويات لغوية متقدمة.

المقترحات:

١. تقويم كتب دروس اللغة العربية في ضوء المسلمات النحوية في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢. أثر توظيف المسلّمات النحوية في تنمية مهارات التفكير لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

٣. بناء مقياس مقنن لمهارات الإعراب الوظيفي في ضوء المسلمات النحوية.

٤. أثر استخدام تقنية الواقع المعزز (AR) في تجسيد البناء النحوي للجملة العربية وتنمية الفهم الهيكلي لدى المتعلمين.

المصادروالمراجع

المراجع العربية:

إبراهيم، عبد العليم. *النحو الواضح في قواعد اللغة العربية*. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

أكحل، عامر. "أثر المتون النحوية في تعليم اللغة العربية". *المجلة العلمية الجزائرية* ٦، عدد ٢ (٢٠٢٢).

آل يحيى، عبد الكريم سعد صالح. "الصعوبات التي تواجه متعلمي اللغة العربية لغة ثانية في تكوين الجملة والحلول المقترحة لها". رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ٢٠٢٠.

أمان الله، سامية، وسارية عندليب كياني، وعريفة أمان الله. "المشكلات التي تواجه تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها". *مجلة العروبة للأبحاث* ٣، عدد ٤ (٢٠٢٢).

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. *دليل إعداد الرسائل العلمية والمشروعات البحثية*. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي، د.ت.

جواد، حسان علي عبد. "أثر فاعلية برنامج تعليمي قائم على المهارات الذهنية في تحصيل قواعد اللغة العربية وتنمية مهارات الإعراب لدى طالبات الصف الثاني المتوسط". *مجلة ديالى للبحوث الإنسانية* ٣، عدد ٩٥ (٢٠٢٣).

حسان، تمام. *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٥.

حسنين، بدرية محمد. (٢٠١٣). التعلم الاستراتيجي: نماذج وتطبيقات. القاهرة: دار الفكر العربي.

خطاب، محمد. ٢٠٢٤. تطوير تعليم النحو. القاهرة: دار النهضة العربية.

دروسي، أيوب. *أصول النحو العربي وأثرها في الدرس اللغوي*. [د.م.]: [د.ن.]، ٢٠٢٠.

الرضي، فخر الدين. *شرح الكافية*. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

السليمان، عبد الله. *تعليم العربية للناطقين بغيرها: قضايا نظرية وتطبيقية*. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠١٢.

السيوطي، جلال الدين. *الاقتراح في أصول النحو*. تحقيق عبد الحكيم عطية. ط٢. بيروت: دار البيروتي، ٢٠٠٦.

الشمسان، أبو أوس إبراهيم، ودخيل العواد. "الإجماع في النحو العربي". *المجلة الثقافية*، عدد ٣٥٢ (٢٠١١).

صالح، محمد سيد. "أثر النحو الوظيفي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها". *مجلة كلية الآداب* ١٣، عدد ٢ (٢٠٢١).

ضيف، شوقي. *المدارس النحوية*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢.

عبد اللطيف، محمد حماسة. *النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي*. ط١. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠.

عبد الله، بشير عيسى أحمد. "الصعوبات التي يواجهها متعلمو العربية الناطقون بغيرها في مقرر الثقافة السعودية ومقترحات معالجتها". *مجلة الدراسات التربوية والإنسانية* ١٧، عدد ٤ (٢٠٢٥).

علي، محمد محمود عبد القادر. "تعليم النحو واللغة للناطقين بغير العربية: رؤية تحليلية". *مجلة البحث العلمي في الآداب* ٢٣، عدد ٥ (٢٠٢٢).

فتيحة، عبديش. "تعليمية النحو للناطقين بغير العربية". *مجلة المعيار* ٢٩، عدد ٣

(٢٠٢٥).

القحطاني، سالم، وآخرون. *منهج البحث في العلوم السلوكية مع تطبيقات SPSS*. ط٢. الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ.

اللهيبي، أفراح بنت حاسن فائز. "دور القواعد النحوية والمهارات اللغوية في تعليم اللغة العربية من منظور التراث العربي". *المجلة المصرية للعلوم التطبيقية* ٣٤، عدد ١٢ (٢٠١٩).

مسلم، الوليد حسن علي، ومجدي إبراهيم محمد صافي. "جدوى تعليم أنواع «ما» ووظائفها النحوية بطريقة المعنى لطلاب العربية الناطقين بغيرها بجامعة الملك خالد". *المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية* (٢٠٢٤).

مصطفى، إبراهيم. *إحياء النحو*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٥.

الناقة، محمود كامل. *مدخل إلى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها*. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٥.

هارون، عبد السلام. *تحقيقات ونصوص*. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٥.

هبة إبراهيم محمد على الناغي (٢٠٢٠) الذاكرة المستقبلية وعلاقتها بالانتباه الانفعالي والعبء المعرفية باستخدام الإلماعات الانفعالية دراسات تربوية ونفسية، كلية التربية جامعة الزقازيق (١٠٨).

يوسف، قصي ثعبان. "أصول النحو العربي عند الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي". *مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث* ٣، عدد ٢ (٢٠٢٣).

المراجع الأجنبية:

Sweller, J., van Merriënboer, J. J. G., & Paas, F. (2019). Cognitive architecture and instructional design: 20 years later. *Educational Psychology Review*, *31*(2)

Ginns P. Hu F. T. & Bobis J. (2020). Tracing enhances problemsolving transfer but without effects on intrinsic or extraneous cognitive load. Applied Cognitive Psychology. 34(6).

Yang H. Ren W. & Huang T. (2017 June). Interactive Learning Resources Based on Cognitive Load: Design and Application. In 2017 International Symposium on Educational Technology (ISET).

Bibliography

Ibrāhīm, ʻAbd al-ʻAlīm. "al-naḥw al-Wāḍiḥ fī Qawāʻid al-lughah al-ʻArabīyah". (Cairo: Dār al-Maʻārif).

Akḥal, ʻĀmir. "Athar al-mutūn al-naḥwīyah fī Taʻlīm al-lughah al-ʻArabīyah". The Algerian Scientific Journal 6, issue 2 (2022).

Āl Yaḥyá, ʻAbd al-Karīm Saʻd Ṣāliḥ. "The Difficulties Facing Learners of Arabic as a Second Language in Sentence Formation and the Proposed Solutions" Master's thesis, King Saud University, 2020.

Amān Allāh, Sāmiyah, Sāriyah ʻAndalīb Kiyāny, ʻArifah Amān Allāh. "al-mushkilāt allatī tuwājihu Taʻlīm al-lughah al-ʻArabīyah lil-nāṭiqīn be-ghayrihā". Majallat al-ʻUrūbah lil-Abḥāth 3, issue 4 (2002).

Islamic Univrsity. Guide to Preparing Theses and Research Projects. Madinah: Deanship of Scientific Research, n.d.

Jawad, Hassan Ali Abd. "The Effectiveness of an Educational Program Based on Mental Skills in the Achievement of Arabic Grammar and the Development of Parsing Skills among Second Intermediate Grade Female Students" (in Arabic). Diyala Journal for Humanitarian Research 3, issue. 95 (2023).

Ḥasān, Tammām. al-lughah al-ʻArabīyah maʻnāhā wa-mabnāhā. Cairo: Dār al-Thaqāfah, 1985.

Hasanein, Badriya Muhammad. (2013). "Strategic Learning: Models and Applications" (in Arabic). Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Khaṭṭāb, Muḥammad. 2024. taṭwīr Taʻlīm al-naḥw. al-Qāhirah : Dār al-Nahḍah al-ʻArabīyah.

Drwsy, Ayyūb. uṣūl al-naḥw al-ʻArabī wa-atharuhā fī al-dars al-lughawī. [D. M.] : [D. N.], 2020.

al-Raḍī, Fakhr al-Dīn. "Sharḥ al-Kāfiyah". (Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah).

al-Sulaimān, ʻAbdullāh. "Taʻlīm al-ʻArabīyah lil-nāṭiqīn be-ghairihā : Qaḍāyā Naẓarīyat wa-taṭbīqīyah". (Riyadh: Maktabat al-Rushd, 2012).

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. "al-Iqtirāḥ fī uṣūl al-naḥw". Investigated by ʻAbd al-Ḥakīm ʻAṭīyah. (2nd ed. Beirut: Dār al-Bayrūtī, 2006).

al-Shamsān, Abū Aws Ibrāhīm, Wdkhyl al-ʻAwwād. "al-ijmāʻ fī al-naḥw al-ʻArabī". Cultural Journal, issue 352 (2011).

Ṣāliḥ, Muḥammad Sayyid. "Athar al-naḥw al-waẓīfī fī tadrīs al-lughah al-ʻArabīyah li-ghayr al-nāṭiqīn be-hā". Journal of the Faculty of

Arts, 13, issue 2 (2021).
Ḍaif, Shawqī. al-Madāris al-naḥwīyah. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1982.
ʿAbd al-Laṭīf, Muḥammad Ḥamāsah. al-naḥw wa-al-dalālah : madkhal li-Dirāsat al-maʿná al-Naḥwī al-dalālī. (1st ed,. Cairo: Dār al-Shurūq, 2000).
ʿAbdullāh, Bashīr ʿĪsá Aḥmad. "The Difficulties Faced by Non-Native Learners of Arabic in the Saudi Culture Course and Proposals for Addressing Them" (in Arabic). Journal of Educational and Human Studies 17, issue 4 (2025).
ʿAlī, Muḥammad Maḥmūd ʿAbd al-Qādir. "Teaching Arabic Grammar and Language to Non-Native Speakers: An Analytical Perspective". Journal of Scientific Research in Arts 23, issue 5 (2022).
Fatīḥah, ʿAbdish. "The Pedagogy of Arabic Grammar for Non-Native Speakers", (in Arabic) Al-Miʿyār Journal 29, issue 3 (2025).
al-Qaḥṭānī, Sālim, et al. "Research Methodology in the Behavioral Sciences with SPSS Applications". (2nd ed. Riyadh: Obeikan Publishing, 1425 AH).
"The Role of Grammatical Rules and Linguistic Skills in Teaching the Arabic Language from the Perspective of Arab Heritage" (in Arabic). The Egyptian Journal of Applied Sciences 34, issue 12 (2019).
Muslim, al-Walīd Ḥasan ʿAlī, and Majdi Ibrāhīm Muḥammad Ṣāfī. "The Effectiveness of Teaching the Types of 'Mā' and Their Grammatical Functions through the Meaning-Based Method to Non-Native Arabic Learners at King Khalid University" (in Arabic), International Journal of Humanities and Social Sciences (2024).
Muṣṭafá, Ibrāhīm. "Iḥyā' al-naḥw". (Cairo: Dār al-Maʿārif, 1945).
al-Nāqah, Maḥmūd Kāmil. "Madkhal ilá Taʿlīm al-lughah al-ʿArabīyah li-Ghair al-nāṭiqīn be-hā. al-Qāhirah : Dār al-Fikr al-ʿArabī, 2005.
Hārūn, ʿAbd al-Salām. "taḥqīqāt wa-nuṣūṣ". (Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1965).
Hibat Ibrāhīm Muḥammad ʿalá al-Nāghī (2020) Prospective Memory and Its Relationship to Emotional Attention and Cognitive Load Using Emotional Cues" (in Arabic). Educational and Psychological Studies, Faculty of Education, Zagazig University, issue. 108.
Yūsuf, Quṣayy Thuʿbān. "uṣūl al-naḥw al-ʿArabī ʿinda al-Duktūr Karīm Ḥusain Nāṣiḥ al-Khālidī". Ibn Khaldun Journal for Studies and Research 3, iss 2 (2023).

فاعلية إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

The Effectiveness of the Task-Based Learning Strategy in Developing Functional Writing Skills among Learners of Arabic as a Foreign Language

د. عبد الرحمن ضيف الله الهرساني

أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: alhersani@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
20/01/2026		25/02/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-024		

المستخلص:

هدف البحث إلى التحقق من فاعلية إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، ولتحقيق هدف البحث قام الباحث باختيار إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تعليم مهارات الكتابة الوظيفية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى الثاني ببرنامج الإعداد اللغوي في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأعدّ اختبارًا لقياس تحصيل مهارات الكتابة الوظيفية، واستخدم المنهج شبه التجريبي القائم على المجموعة الواحدة؛ للتحقق من فاعلية هذا البرنامج (المتغير المستقل) في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية (المتغير التابع) من خلال مقارنة نتائج مجموعة البحث في التطبيقين: القبلي والبعدي لاختبار تحصيل مهارات الكتابة الوظيفية.

وتكونت عيّنة البحث من (٢٠) متعلمًا من طلاب المستوى الثاني، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠١) بين متوسطات درجات مجموعة البحث في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار تحصيل مهارات الكتابة الوظيفية لصالح القياس البعدي تُعزَى إلى استخدام إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تعليم هذه المهارات، وفي ضوء هذه النتائج قدّم الباحث مجموعة من التوصيات أهمها: تضمين إستراتيجية التعلّم القائم على المهام ضمن طرائق التدريس المستخدمة في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، واقترح إجراء مجموعة من الدراسات البحثية أبرزها: دراسات مشابهة لتوظيف إستراتيجية التعلّم القائم على المهام في تنمية المهارات اللغوية الأخرى لدى متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى.

الكلمات المفتاحية: التعلم القائم على المهام، الكتابة الوظيفية، متعلمو اللغة العربية الناطقون بلغات أخرى.

Abstract

This study aimed to investigate the effectiveness of the task-based learning strategy in developing functional writing skills among learners of Arabic whose first languages are other than Arabic. To achieve this aim, the researcher adopted the task-based learning strategy in teaching functional writing skills to second-level learners in the Language Preparation Program at the Institute of Teaching Arabic at the Islamic University of Madinah. An achievement test was developed to measure functional writing skills, and a quasi-experimental design based on a one-group pretest–posttest model was employed to examine the effectiveness of the program (independent variable) in developing functional writing skills (dependent variable) by comparing the group's performance on the pre- and post-administrations of the functional writing skills achievement test.

The study sample consisted of (20) learners from the second level. The results revealed statistically significant differences at the (0.01) level between the mean scores of the research group in the pre- and post-tests of functional writing skills in favor of the post-test. These differences were attributed to the use of the task-based learning strategy in teaching these skills. Considering the findings, the researcher presented several recommendations, most notably the integration of the task-based learning strategy into the teaching methods used in programs for teaching Arabic to non-native speakers. The study also proposed several future research directions, particularly conducting similar studies that employ the task-based learning strategy to develop other language skills among learners of Arabic whose first languages are other than Arabic.

Keywords: Task-based learning, functional writing, Arabic as a second language learners.

مقدمة البحث:

تُعد اللغة العربية من أهم اللغات الحية التي تحظى باهتمام عالمي متزايد، ويقبل على تعلمها كثير من الناطقين بلغات أخرى لأغراض مختلفة. وتمثل مهارة الكتابة إحدى مهاراتها الأربعة، وهي المحصلة النهائية لتعلم اللغة، والوعاء الذي يحفظ تراث الأمم وثقافتها.

فالكتابة ليست مجرد عملية آلية لرسم الحروف، بل هي عملية عقلية معقدة تتطلب من الكاتب توظيف مهارات التفكير والتحليل والربط لنقل أفكاره ومشاعره بوضوح ودقة.(١)

وإذا كانت الكتابة بشكليها الإبداعي والوظيفي تحظى بأهمية بالغة في التواصل البشري، فإن الكتابة الوظيفية تكتسب أهمية خاصة وملحة في العصر الحالي؛ نظرًا لارتباطها الوثيق بالحياة اليومية والعملية؛ فهي الأداة التي يُستعان بها لتصريف شؤون الحياة، وقضاء المصالح، وتنظيم العلاقات في المؤسسات المختلفة.(٢)

وتتعدد مجالات الكتابة الوظيفية لتشمل أنواعًا من الأنشطة الكتابية، مثل: كتابة الرسائل بأنواعها، والتقارير، والمذكرات، وملء الاستمارات، والتلخيص، ومحاضر الاجتماعات، والبرقيات.

وتتميز هذه المجالات بأن لها قواعد محددة، وأصولًا مقننة، وتستلزم مهارات معينة ينبغي التقيد بها، فهي لا تعتمد على الخيال أو العاطفة كما هو الحال في الكتابة

(١) عبد المحسن سالم العقيلي، "مهارات الكتابة وإستراتيجياتها: رؤية معاصرة". (القاهرة: رابطة التربية الحديثة، ٢٠٠٩م): ١٣٥.

(٢) محمد بن إبراهيم الفوزان، "أثر استخدام مدخل عمليات الكتابة في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية والاتجاه نحو الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها". (الخرطوم: مجلة العربية للناطقين بغيرها، ٢٠١٨م): ١٦٠

الإبداعية، بل تركز على الدقة، والوضوح، والموضوعية، والمباشرة في العرض.[١]

وتعدُّد المتطلبات الحياتية والمواقف اليومية التي يتعرض لها متعلم اللغة يقتضي تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لديه؛ لتمكينه من قضاء حاجاته في المقام الأول، ومن ثم الاندماج في الحياة الأكاديمية والمهنية، تمهيدًا للتواصل الفعال مع المجتمع.

وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن الكتابة الوظيفية تعد مطلبًا أساسيًا وأوليًا يسبق الكتابة الإبداعية في الأهمية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؛ لأنه لا غنى عنها في معاملاته اليومية.[٢]

وعلى الرغم من هذه الأهمية الكبيرة للكتابة الوظيفية، فإن الواقع الميداني والدراسات السابقة تؤكد وجود ضعف ملحوظ، وقصور واضح في مستوى أداء متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في هذه المهارة. إذ يواجه كثير من المتعلمين صعوبات جمة في صياغة الرسائل، أو كتابة التقارير، أو حتى ملء الاستمارات البسيطة، وكثيرًا ما يلجؤون إلى نماذج جاهزة أو يطلبون المساعدة من الآخرين لإنجاز مهامهم الكتابية.[٣]

(١) سيد السايح حمدان علي، ورمضان إبراهيم علي سلامه، وعبد الوهاب هاشم سيد عامر، "مجالات الكتابة الوظيفية والمهارات اللازمة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية". (قنا: مجلة العلوم التربوية، جامعة جنوب الوادي، ٢٠١٩م): ٣١٢.

(٢) أحمد محمد علي رشوان، "فاعلية برنامج قائم على مدخل العمليات في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب شعبة اللغة العربية في كلية التربية". (جامعة الوادي الجديد: المجلة العلمية لكلية التربية، ٢٠١٣م): ٨٨

(٣) رحاب أحمد عبد الحميد محمد، "برنامج قائم على التعليم المتمايز لتنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب شعبة اللغة العربية بكلية التربية". (المنوفية: مجلة كلية التربية، جامعة المنوفية، ٢٠٢٥م): ٨٢

ويعزى هذا الضعف إلى جملة من الأسباب، منها ما يتعلق بصعوبة المهارة ذاتها، ومنها ما يتعلق بطرائق التدريس التقليدية التي تركز على المنتج النهائي للكتابة وتهمل العمليات والإجراءات التي تؤدي إليه. فكثيرًا ما تدرّس الكتابة بمعزل عن المواقف الحياتية الحقيقية، ودون توظيف إستراتيجيات حديثة تشرك المتعلم في مهام لغوية وظيفية ذات معنى.(١)

كما أن قلة البحوث التي اهتمت بتعليم الكتابة الوظيفية للناطقين بغيرها مقارنة بفروع اللغة الأخرى، وندرة البرامج التي تعتمد على المداخل الحديثة والمهام الوظيفية، قد ساهمت في استمرار هذه المشكلة.(٢)

إن تعليم مهارات الكتابة الوظيفية لا ينبغي أن يقتصر على معرفة القواعد النظرية للكتابة، بل يجب أن يتجاوز ذلك إلى الممارسة العملية التي تمكن المتعلم من استعمال اللغة المكتوبة في سياقات تواصلية حقيقية أو محاكية للواقع.(٣)

ومن هنا تبرز أهمية تبني إستراتيجيات تدريسية حديثة، مثل إستراتيجيات التعلم القائم على المهام، والمدخل الاتصالي، التي تجعل المتعلم محور العملية التعليمية، وتدرّبه

(١) شعبان قرني عبد التواب، "اتجاهات البحث في تعليم الكتابة العربية للناطقين بغيرها". (بني سويف: مجلة كلية الآداب – جامعة بني سويف، ٢٠١٩م): ٣٠٠

(٢) أحمد سيد محمد إبراهيم، وحسن عمران حسن، ومحمد حسين محمد محمد، "برنامج تقني قائم على المدخل الاتصالي والأغراض الدينية لتنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها". (أسيوط: مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، ٢٠٢٤م): ١٧١

(٣) صلاح عبد السميع محمد أحمد، "فاعلية إستراتيجية التدريس التبادلي في تنمية بعض مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب المرحلة الثانوية". (القاهرة: مجلة كلية التربية – جامعة الأزهر، ٢٠٠٩م): ٢٩٣

على أداء مهام كتابية وظيفية محددة تلبي احتياجاته الفعلية.

وتعد إستراتيجية التعلم القائم على المهام الوظيفية إحدى الإستراتيجيات التي تربط تعلم اللغة باستخدامها في إنجاز مهام واقعية، مما يزيد من دافعية المتعلمين، ويشعرهم بقيمة ما يتعلمونه، وينمّي لديهم مهارات الكتابة الوظيفية بصورة متكاملة.

وفي ضوء ما سبق، تظهر الحاجة الملحة إلى إجراء دراسات تُعنى بتطوير إستراتيجيات تعليم الكتابة الوظيفية للناطقين بغير العربية، واختبار فاعليتها في تنمية المهارات اللازمة لهم. وتأتي هذه الدراسة استجابة لهذه الحاجة، وسعيًا لتقديم معالجة منهجية لمشكلة ضعف الكتابة الوظيفية، من خلال توظيف إستراتيجية التعلم القائم على المهام، والتحقق من أثرها في تحسين الأداء الكتابي للمتعلمين، وتزويدهم بالمهارات التي تعينهم على التواصل الفعال والنجاح في حياتهم العلمية والعملية.

مشكلة البحث:

تمثّلت مشكلة البحث في تدنّي مستوى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في مهارات الكتابة الوظيفية، وهو تدنٍّ أكّدته نتائج عدد من الدراسات السابقة. فقد أشارت دراسة (الربابعة، ٢٠١٩)[١] إلى عجز كثير من المتعلمين عن أداء أبسط مهام الكتابة المرتبطة بمتطلبات حياتهم الدراسية والمهنية. كما كشفت دراسة (إبراهيم وآخرين، ٢٠٢٤)[٢] عن استمرار هذا الضعف حتى لدى المتعلمين في المستويات

(١) إبراهيم حسن الربابعة، "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من منظور المدخل الوظيفي". (عمّان: مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٩م): ١٠٥

(٢) إبراهيم وآخرون، "برنامج تقني قائم على المدخل الاتصالي والأغراض الدينية لتنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها": ١٧٤

المتقدمة، ولا سيما عند ممارستهم لأنواع مختلفة من الكتابة الوظيفية. وأكدت دراسة (الفوزان، ٢٠١٨)[١] وجود قصور واضح في مهارات الكتابة الوظيفية بصفة عامة، وفي كتابة الرسالة والتقرير على وجه الخصوص.

كما بيّن (الغامدي، ٢٠٢٢)[٢] وجود قصور واضح في أداء متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى في مهارات الكتابة الوظيفية، تمثّل في ضعف قدرتهم على تلخيص النصوص تلخيصًا سليمًا، وضعفهم في صياغة الرسائل الاجتماعية، والتهاني، والسير الذاتية، نتيجة عدم إلمامهم ببنية هذه الأنماط الكتابية ومتطلباتها الأساسية.

من جهة أخرى، أبرزت دراسة (أبو لبن وآخرين، ٢٠١٦)[٣] وجود فجوة بحثية واضحة تمثّلت في ندرة الدراسات التي تعالج تعليم الكتابة الوظيفية للناطقين بغير العربية. كما أوصت دراسة (أبو غليون وآخرين ،٢٠١٠)[٤] بالاهتمام بمهارة الكتابة الوظيفية، وتوظيف طرائق تدريس مناسبة تسهم في تنمية مهارات الكتابة.

وللتصدي لهذه المشكلة حاول البحث الحالي الإجابة عن الأسئلة الآتية:

---

(١) الفوزان، "أثر استخدام مدخل عمليات الكتابة في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية والاتجاه نحو الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها": ١٦٢

(٢) علي بن محمد بن أحمد آل مصوّي الغامدي، "إستراتيجية التلخيص الكتابي وأثرها في تنمية مهارات الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". (سوهاج: المجلة التربوية، جامعة سوهاج، ٢٠٢٢م): ١٤٧٨

(٣) وجيه المرسي إبراهيم أبو لبن، ونورا إبراهيم عبد الغفار، "فاعلية إستراتيجية مقترحة في ضوء المدخل الاتصالي في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب المستوى المتوسط الناطقين بلغات أخرى". (القاهرة: جامعة عين شمس، ٢٠١٦م): ١١٣٥

(٤) ماجد علي أبو غليون، وعوني صبحي الفاعوري، "تعليم مهارة الكتابة الوظيفية للطلبة الناطقين بغير العربية: مشكلات وحلول". (عمّان: الجامعة الأردنية، ٢٠١٠م): ٩٣

١. ما مهارات الكتابة الوظيفية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط؟
٢. ما مكونات البرنامج القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟
٣. ما فاعلية إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

أهداف البحث

سعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. تحديد مهارات الكتابة الوظيفية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات في المستوى المتوسط.
٢. تحديد مكونات البرنامج القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
٣. قياس فاعلية إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

أهمية البحث

ترجع أهمية البحث إلى الإســـهامات التي يقدمها في مجال تعليم اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وقد تفيد:

١. متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في معاهد تعليم العربية، حيث يمكن أن يسهم البحث الحالي في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية، وتعزيز فهمهم الثقافي للغة العربية بما يساعدهم على التواصل الفعّال في مواقف

حياتية وثقافية متنوعة.

٢. معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ إذ يقدم لهم البحث الحالي دليلًا إجرائيًا لكيفية توظيف إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية والفهم الثقافي، بما يثري ممارساتهم الصفية ويزيد من فاعلية التدريس.

٣. مسؤولي إعداد وتطوير مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ من خلال إبراز إمكانية دمج إستراتيجية التعلم القائم على المهام في المقررات الدراسية، بما يحقق التوازن بين الجوانب اللغوية والمهارات الفكرية والثقافية.

٤. الباحثين في ميدان تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ حيث يفتح البحث آفاقًا جديدة لدراسات مستقبلية تُعنى بفاعلية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات أخرى مثل: مهارات التواصل الشفوي، والكتابة الأكاديمية، والوعي بالهوية الثقافية.

مصطلحات البحث:

التعلم القائم على المهام: يعرفه الباحث إجرائيًا بأنه: منهج يعتمد تنفيذ أنشطة لغوية تُسهم في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط، من خلال تكليفهم بمهام تواصلية ذات معنى؛ لإنجاز نصوص وظيفية مثل الرسائل الرسمية، والتقارير، والسيرة الذاتية، والتلخيص، وملء الاستمارات، وفق خطوات منظمة ووقت محدد.

مهارات الكتابة الوظيفية: يعرفها الباحث إجرائيًا بأنها: مجموعة من الأداءات اللغوية التي يمارسها متعلمو اللغة الناطقون بلغات أخرى في المستوى المتوسط لإنجاز

نصوص ذات أغراض تواصلية عملية في سياقات دراسية أو مهنية، مثل إعداد الرسائل الرسمية، والتقارير، والسير الذاتية، والتلخيص، وملء الاستمارات، وفق بنية لغوية واضحة، وصياغة دقيقة، تحقق الهدف المطلوب بكفاءة.

حدود البحث:

اقتصر البحث على الحدود التالية:

١. الحدود البشرية: مجموعة من متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى – المستوى الثاني – في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢. الحدود الزمنية: الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي (١٤٤٧هـ) لتطبيق تجربة البحث.

٣. الحدود الموضوعية: مجالات الكتابة الوظيفية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية في المستوى المتوسط والمهارات المنتمية إليها.

الإطار النظري للبحث:

أولًا: تعليم الكتابة الوظيفية لمتعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى

١. مفهوم الكتابة الوظيفية:

تُعدّ الكتابة الوظيفية نمطًا من أنماط الكتابة التي تؤدي غرضًا مباشرًا في حياة الفرد والمجتمع، مثل التواصل، والتنظيم، وتبادل المعلومات، مع التركيز على وضوح المعنى، ودقة الصياغة.

وتُعرف الكتابة الوظيفية بأنها ذلك النمط من الإنتاج الكتابي الذي يُستخدم في سياقات الحياة المهنية والعملية، الأمر الذي يمكن متعلمي اللغة من إنجاز متطلبات التعامل مع المؤسسات والجهات الرسمية، وما يرتبط بها من معاملات وإجراءات، ويتجسّد في صور متعددة مثل الرسائل الإدارية، والتقارير، والمراسلات الرسمية، والبرقيات، وغيرها من الصيغ الكتابية ذات الوظيفة المباشرة.(١)

وتتميز الكتابة الوظيفية بالأسلوب المباشر الذي يسعى لتحقيق المطلوب منها دون إطناب أو تكلف في استعمال المحسنات البديعية، وتخلو من الخيال.

وتُعد الكتابة الوظيفية كذلك مجالًا عمليًا لتطبيق معرفة المتعلم اللغوية وتحويلها إلى أداء ملموس؛ إذ ينتقل فيها من مرحلة المحاكاة وفهم النماذج، إلى الكتابة الموجَّهة، ثم الإنتاج الحر. وبذلك تسهم في صقل مهاراته الكتابية وربط اللغة بخبراته اليومية، وتزوّده بمهارات تواصل يحتاج إليها في دراسته وتعاملاته، كما تمهّد لمزيد من المهارات اللغوية خاصة في مجال الكتابة عند انتقاله لمستويات تعليمية متقدمة.

وهذا النوع من الكتابة مع وضوح معالمه إلا أنه قد يشكل عائقا لمتعلم اللغة خاصة في مراحل دراسته الأولى، ويحرمه من التواصل الفعال مع مجتمع اللغة سواء فيما

(١) ماهر شعبان عبد الباري، "الكتابة الوظيفية والإبداعية". (عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م): ٥٣

يحتاج إليه من كتابات رسمية تبدأ بملء استمارة القبول مرورًا بكتابة بعض الخطابات والرسائل. أو فيما يخص حياته العامة في تبادل الرسائل في المناسبات المختلفة.

وتشير الأدبيات التربوية إلى أن تنمية مهارات الكتابة الوظيفية تتطلب تدريب المتعلمين على مجموعة من المهارات الفرعية، مثل: مهارات المحتوى والمضمون كتحديد الأفكار، وترتيبها منطقيًا، ومهارات اللغة والأسلوب كاستخدام المفردات والتراكيب المناسبة، وأدوات الربط، ومهارات الشكل والتنظيم كمراعاة علامات الترقيم، والقواعد الإملائية، والشكل العام للنص.(١)

ويتضح مما سبق أن الكتابة الوظيفية ممارسة لغوية هادفة ترتبط ارتباطًا مباشرًا بحاجات المتعلم الواقعية في حياته الدراسية والمهنية والاجتماعية. فهي تقوم على الوضوح والدقة وحسن تنظيم الأفكار، وتسعى إلى تمكين المتعلم من إنجاز متطلبات التواصل والتعامل في السياقات الرسمية والعامة بفاعلية. ومن ثمّ، فإن استيعاب مفهوم الكتابة الوظيفية يعد خطوة أولى لفهم دورها في بناء الكفاءة التواصلية واللغوية لدى متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى.

٢. أهمية الكتابة الوظيفية لمتعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى

تمثّل الكتابة الوظيفية أحد المرتكزات الأساسية لدى متعلم اللغة؛ إذ تُعد وسيلة رئيسة لتنظيم شؤونه الأكاديمية والاجتماعية، وإنجاز معاملاته المختلفة في البيئة التعليمية. فهي تؤدي دورًا تواصليًا عمليًا يتيح للمتعلم التعبير عن مقاصده واحتياجاته في المواقف الواقعية، ويسهم في تيسير تفاعله مع الآخرين داخل المجتمع اللغوي.

ويشير رجب إلى أن الكتابة الوظيفية تؤدي دورًا مهمًا في قضاء المصالح، وتلبية الحاجات المادية والاجتماعية، والقيام بمتطلبات الحياة والتطلعات الوظيفية، كما تسهم

(١) علي وآخرون، "مجالات الكتابة الوظيفية والمهارات اللازمة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية": ٣١٤.

في ربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض من خلال تبادل المصالح وتحقيق الأهداف. ويؤكد أن تعقّد شؤون الحياة وتسارع إيقاعها، جعلا إنجاز الأعمال مرهونًا بتوفر مهارتي الدقة والسرعة في الأداء الكتابي.(١)

ومن هذا المنطلق يمكن القول إن امتلاك المتعلم لمهارات هذا النوع من الكتابة يلبي كثيرًا من حاجاته على المستوى الشخصي، ويُيسّر عليه التعامل مع المؤسسات داخل منظومة تعلمه أو خارجها.

وتسهم الكتابة الوظيفية في تدريب المتعلمين على مهارات التنظيم والتخطيط وترتيب الأفكار، وتربط التعلم بالمواقف الاجتماعية الحياتية، بما يجعل المتعلم مشاركًا فاعلًا فيها.(٢)

ونظرًا لما ينطوي عليه تعلّم الكتابة من صعوبات وتحديات، فإن تنمية ما يتصل بها من مهارات تُعدّ ضرورة لا غنى عنها لمتعلمي اللغة، لما لها من دور في تحقيق النجاح الأكاديمي. (٣)

ودمج الكتابة الوظيفية في البرامج التعليمية يسهم في نقل المتعلم من دائرة التلقي إلى دائرة الإنتاج، ويمنحه فرصة لاستخدام اللغة في سياقات واقعية تعزز ثقته بنفسه، وتزيد تفاعله داخل البيئة الصفية وخارجها.

وحتى بعد انتهاء فترة التعلم، يبقى أثر مهارات الكتابة الوظيفية، بوصفها أحد

---

(١) محمد رجب فضل الله، "عملية الكتابة الوظيفية وتطبيقاتها: تعليمها وتقويمها". (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣م): ٧٠

(٢) أماني حامد طلبة مرغني، "فاعلية برنامج قائم على الاتصال الكلي لتلاميذ المرحلة الابتدائية المعاقين سمعيًا في تنمية بعض مهارات القراءة والكتابة الوظيفية المناسبة لهم". (أسيوط: جامعة أسيوط، ٢٠٠٧م): ١٠٩

(3) Naudhani, M., and Naudhani, S. "The Impact of the Task-Based Learning on the Teaching of Writing Skills of EFL Learners in Pakistan". ELK Asia Pacific Journal of Social Science 3, (2017): 1

حاجات سوق العمل إذ أصبحت الكتابة الوظيفية ميزة تنافسية، تمنح صاحبها فرصا وظيفية مختلفة.(١)

وخلاصة القول، إن الكتابة الوظيفية تمثل ركيزة أساسية في بناء الكفاءة اللغوية والتواصلية لمتعلم العربية الناطق بغيرها؛ فهي تمكّنه من إدارة شؤونه الحياتية، والنجاح في دراسته وعمله، والتفاعل الإيجابي مع المجتمع الذي يعيش فيه. ومن ثمّ، فإن العناية بتنميتها داخل البرامج التعليمية ضرورة تفرضها متطلبات الحياة الأكاديمية والمهنية والاجتماعية بما يحقق التواصل الكتابي المنظّم والدّقيق.

٣. صعوبات تعلم الكتابة الوظيفية لدى متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى

تُعدّ الكتابة الوظيفية من المهارات اللغوية الأساسية التي يحتاج إليها متعلمو اللغة في مواقف حياتية ودراسية ومهنية محددة، إذ تهدف إلى أداء وظيفة تواصلية واضحة، مثل كتابة الرسائل، وملء الاستمارات، وكتابة التقارير والملخصات. ولا تقوم هذه الكتابة على الإبداع الحر، بقدر ما تعتمد على الدقة، والوضوح، والالتزام بقوالب تنظيمية ولغوية محددة، وهو ما يجعل إتقانها مطلبًا حقيقيًا لمتعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى خاصة في المستويات الأولى من تعليمهم.

ونقلت دراسة أبو لبن وعبد الغفار أن من أبرز الصعوبات التي تواجه متعلمي اللغة في الكتابة الوظيفية استخدام التعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، وضعف توظيف حروف الجر. وتقصير الصوائت، وحذف الحروف أو زيادتها أو استبدالها، والخلط بين صيغ صرفية من أصل واحد، أو اشتقاق صيغ غير مستخدمة في العربية، ونقل التراكيب من اللغة الأم نقلًا حرفيًا. وعدم التفريق بين أزمنة الفعل والتركيز على زمن واحد، إلى

(١) النور محمد عبد السلام، "مهارات الكتابة الوظيفية وعلاقتها بالذكاء اللغوي لدى طلاب المرحلة الثانوية بجمهورية تشاد". (القاهرة: مجلة الشرق الأوسط للعلوم التربوية والنفسية، ٢٠٢٥م): ١١٦

جانب ضعف الدقة في كتابة الهمزات، والخطأ في استخدام علامات الترقيم أو إغفالها، مما يؤثر في وضوح النص الوظيفي ودقته التواصلية.(١)

وأظهرت تجربة هذا البحث صعوبات في الجانب التركيبي، حيث يواجه بعض المتعلمين قصورًا في بناء الجمل الوظيفية بناءً سليمًا، وفي استخدام التراكيب الشائعة المناسبة للسياقات الرسمية أو شبه الرسمية، مثل صيغ الطلب، والتعريف، والتوضيح، والخاتمة؛ نتيجة محدودية الحصيلة اللغوية التي يمتلكها المتعلم من جانب وعدم إلمامه بثقافة اللغة العربية التي تمكنه من الكتابة وفق ثقافة أهلها.

ومن الصعوبات التي تواجه متعلمي اللغة في مجال الكتابة الوظيفية ضعف استخدام الألفاظ الدقيقة، واضطراب الصياغة اللغوية، والقصور في تنظيم النصوص من حيث ترتيب الأفكار، ونظام الفقرات، وتوظيف أدوات الربط، والالتزام بعلامات الترقيم. إضافة إلى كثرة الأخطاء النحوية والإملائية، وضعف سلامة الجمل، مما يحدّ من وضوح النص الوظيفي وتماسكه ودقته.(٢)

وتشير Shehata إلى أن عدم معالجة هذه الصعوبات يحدّ من التواصل بفعالية مع الأساتذة أو الموظفين أو الزملاء أو أي شخص آخر في بيئة التعلم؛ لأن جزءًا كبيرًا من تواصل المتعلم يُجرى كتابةً: كالمقترحات، والمذكرات، والتقارير، والطلبات، والمقابلات الأولية، ورسائل البريد الإلكتروني.(٣)

---

(١) أبو لبن وعبدالغفار، "فاعلية إستراتيجية مقترحة في ضوء المدخل الاتصالي في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب المستوى المتوسط الناطقين بلغات أخرى": ١١٣٥

(٢) عبير سالم المطيري، "درجة ممارسة طالبات كلية التربية في جامعة الكويت لمهارات الكتابة الوظيفية باللغة العربية". (الكويت: المجلة التربوية، ٢٠٢٥م): ٩٧.

(3) Shehata, M. G. M. "Developing IT Students' EFL Functional Writing and Attitude through Task-Based Learning". Sohag University International Journal of Educational Research 7, (2023): 146

ولا شك أن هذه الصعوبات تحدّ من فاعلية الكتابة الوظيفية لدى متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى، وتستدعي اعتماد إستراتيجيات تعليمية تراعي طبيعة هذا النوع من الكتابة ومتطلباته.

ثانيًا: إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية

تُعدّ الكتابة الوظيفية من المهارات اللغوية التي تتطلّب مداخل تدريسية تفاعلية تتجاوز الحفظ والتلقين، وتعتمد على توظيف اللغة في سياقات واقعية ذات صلة بحياة المتعلّم، واحتياجاته اليومية، والأكاديمية، والمهنية.

ومن هنا برزت الحاجة إلى إستراتيجيات تعليمية حديثة تُمكّن المتعلّم من ممارسة اللغة ممارسةً حقيقية، وتجعله محور العملية التعليمية، بما يسهم في تنمية قدرته على إنتاج نصوص وظيفية تحقق الغرض منها بكفاءة ووضوح.

وفي هذا الإطار، تأتي إستراتيجية التعلّم القائم على المهام بوصفها أحد الإستراتيجيات التي انسجمت مبادئها مع طبيعة الكتابة الوظيفية ومتطلباتها، لما توفره من أنشطة تواصلية هادفة تحاكي الواقع وتدعم الاستخدام الفعلي للغة.

وتعد هذه الإستراتيجية تطبيقًا عمليًا للمدخل الاتصالي، حيث يتحول التركيز من تعلم اللغة إلى استخدام اللغة. وقد أثبتت الدراسات أن المدخل الاتصالي مدخل وظيفي يقوم على تعليم اللغة من خلال مواقف حياتية واقعية. وفي هذا السياق، يُنظر إلى المهمة على أنها الوحدة الأساسية لبناء الدرس.(١)

والتعلم وفق هذه الإستراتيجية يسعى لتصميم مناهج التدريس في شكل من مجموعة من المهام التواصلية، بما يحقق إشراك المتعلمين في فهم اللغة المستهدفة ومعالجتها

(١) أبو لبن وعبدالغفار، "فاعلية إستراتيجية مقترحة في ضوء المدخل الاتصالي في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب المستوى المتوسط الناطقين بلغات أخرى": ١١٣٤

وإنتاجها والتفاعل بها.[١]

١. مراحل تنفيذ المهام في الكتابة الوظيفية:

تقوم الكتابة الوظيفية في إطار التعلّم القائم على المهام على إجراءات منهجية متدرجة تضمن انتقال المتعلّم من التهيئة إلى الإنتاج ثم التقويم، بما يحقق الاستخدام الفعلي للغة في سياقات واقعية. ويُسهم تنظيم المهام وفق مراحل واضحة في دعم المتعلّم على التخطيط للكتابة، وتنفيذها ومراجعتها بصورة واعية.

وانطلاقًا من ذلك، تعرض الأدبيات التربوية مراحل تنفيذ المهام في الكتابة الوظيفية بوصفها إطارًا إجرائيًّا يسهم في تنمية مهارات الكتابة وتحقيق أهدافها التواصلية على النحو الآتي:

- مرحلة ما قبل المهمة (التهيئة): تعرض فيها نماذج للكتابة الوظيفية؛ لتنشيط الخلفية المعرفية للطلاب، وتزويدهم بالمفردات الضرورية، ثم يُوجّه الطلاب إلى تحويل خطة الكتابة إلى كتابة فعلية.
- أثناء المهمة (المسودة والتنفيذ): يعمل الطلاب – في مجموعات أو فرادى – لكتابة المسودة الأولى، مع التركيز على المعنى والوظيفة. وهنا يمارس المتعلم اللغة في سياق يحاكي الواقع.
- ما بعد المهمة (المراجعة والتقويم): تتضمن هذه المرحلة المراجعة والتمحيص والتعديل، حيث يتحول الطالب إلى قارئ وناقد لعمله وعمل زملائه، ويقدم المعلم التغذية الراجعة حول اللغة المستخدمة.[٢]

(1) Payman, S., & Gorjian, B. (2014). Effects of task-based strategies on students writing skill among translation students. European Journal of Business and Social Sciences, 3(3), 202.

(2) Naudhani, M., & Naudhani, S. (2017). The impact of the task-based learning on the teaching of writing skills of EFL learners in Pakistan. ELK Asia Pacific Journal of Social Science, 3(2), 3.

٢. مزايا إستراتيجية المهام في تنمية الكتابة:

تكتسب الكتابة الوظيفية أهميتها من كونها نشاطًا لغويًا مرتبطًا بحياة المتعلم الواقعية، يتجاوز حدود الممارسة الصفّية إلى توظيف اللغة في مواقف تواصلية حقيقية. ويُسهم اعتماد المهام الكتابية الوظيفية في جعل التعلم أكثر معنى وفاعلية، لما تتيحه من فرص لربط المعرفة اللغوية بالسياق الاجتماعي والمهني للمتعلمين، وتنمية قدراتهم التعبيرية والتنظيمية بصورة متكاملة.

وقد أشارت (الشريف، ٢٠١٧) أن ربط التعلم بسياقات حقيقية يُعدّ من أهم مرتكزات تنمية مهارات الكتابة الوظيفية؛ إذ يجعل المتعلم أكثر وعيًا بقيمة ما يكتبه، وينقل الكتابة من نشاط صفّي مجرد إلى ممارسة تواصلية ذات معنى تخدم احتياجاته اليومية والاجتماعية والمهنية.(١)

كما أن إنجاز المتعلم لمهام وظيفية ملموسة، مثل: ملء الاستمارة، وكتابة الرسالة والإعلان، يعزز دافعيته للتعلم؛ ويدفعه لنوع من تكامل المهارات اللغوية، إذ تتطلب الكتابة مهارات مختلفة من الاستماع والتحدث والقراءة بما يحقق التنوع اللغوي الشامل.

ومن جهة أخرى يرى (الجهني، ٢٠٢١) أن المهام الكتابية الوظيفية تسهم في تنمية قدرة المتعلمين على تنظيم أفكارهم وترتيبها ترتيبًا منطقيًا؛ إذ تفرض طبيعة هذه المهام التخطيط المسبق والالتزام بتسلسل الأفكار بما ينسجم مع الغرض الوظيفي للنص، مما ينعكس إيجابًا على وضوح المعنى ودقة الأداء.(٢)

(1) Naudhani, M., & Naudhani, S. (2017). The impact of the task-based learning on the teaching of writing skills of EFL learners in Pakistan. ELK Asia Pacific Journal of Social Science, 3(2), 3.

(٢) عبد الرحمن محمد سعيد الجهني، "نموذج تدريسي مقترح قائم على نظرية الحقول الدلالية لتنمية مهارات الكتابة الإبداعية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". المجلة التربوية، جامعة سوهاج ٨٩(١)، (٢٠٢١م): ٤٩٤.

كما بيّنت نتائج الدراسة (Ahmed et al., 2023) أن توظيف المهام في تعليم الكتابة يجعل التعلم أكثر تشويقًا، ويعزّز دافعية المتعلمين وثقتهم بأنفسهم أثناء إنتاج النصوص. وأظهرت النتائج كذلك تحسن المهارات اللغوية عامة، وزيادة مشاركة المتعلمين ونشاطهم في المواقف الكتابية؛ مما يدل على فاعليته بوصفه مدخلًا تربويًّا داعمًا لتطوير الكتابة واللغة معًا.(١)

ويتضح مما سبق أن المهام الكتابية الوظيفية تمثل مدخلًا تربويًا فاعلًا في تنمية مهارات الكتابة، لما تحققه من ربط التعلم بسياقات واقعية ذات معنى، وتعزيز الدافعية لدى المتعلمين، وتنمية قدراتهم على دمج المهارات اللغوية وتنظيم الأفكار وترتيبها ترتيبًا منطقيًا. كما تسهم هذه المهام في معالجة جوانب الضعف التنظيمي في الأداء الكتابي، بما ينعكس إيجابًا على جودة النصوص المنتجة ودقتها، ويؤكد أهمية اعتمادها في برامج تعليم الكتابة الوظيفية للناطقين بغير العربية.

إجراءات البحث وأدواته:

منهج البحث:

أُستخدم المنهج شبه التجريبي القائم على المجموعة الواحدة؛ للتحقق من فاعلية إستراتيجية التعلم القائم على المهام (المتغير المستقل) في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية (المتغير التابع) من خلال مقارنة نتائج مجموعة البحث في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار تحصيل مهارات الكتابة الوظيفية.

مجتمع البحث:

تمثل مجتمع البحث في جميع طلاب المستوى الثاني في معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٤٧هـ والبالغ عددهم

(1) Ahmed, F. E. Y., Kottaparamban, M., & Ali, E. H. F. (2023). Saudi EFL university learners' perspectives on using task-based language teaching in promoting opinion essay writing. Research Journal in Advanced Humanities, 4(2), 168

(٩٠) طالبًا.

عينة البحث:

بلغت عينة البحث (٢٠) طالبًا، أُختيرت بطريقة قصدية من الفصول التي درّسها الباحث، وهي شعبة (٤١٠٨). وهي عينة ممثلة لمجتمع البحث الذين تُعنى الدراسة بقياس مهارات الكتابة الوظيفية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، إضافة إلى جاهزية هذه الفئة للمشاركة في الاختبار والتفاعل مع أدوات الدراسة. كما تتميز هذه المجموعة بامتلاكها الخلفية اللغوية اللازمة، مما يتيح إمكانية قياس المهارات المستهدفة بدقة وموضوعية.

أدوات الدراسة وموادها:

أولاً: إعداد قائمة بمهارات الكتابة الوظيفية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

لبناء أدوات الدراسة والبرنامج التعليمي على أسس علمية دقيقة، أعد الباحث قائمة لمهارات الكتابة الوظيفية، وذلك وفق الإجراءات التالية:

١ .الهدف من إعداد القائمة:

هدف إعداد هذه القائمة إلى تحديد مجالات الكتابة الوظيفية المناسبة للمتعلمين والمهارات في كل منها؛ بحيث يُستنَد إليها في إعداد اختبار يقيس مدى استيعابهم لهذه المهارات، وتنميتها لديهم من خلال توظيف إستراتيجية التعلم القائم على المهام.

٢ .مصادر إعداد القائمة:

استُمدّت هذه القائمة من الأدبيات والبحوث السابقة في مجال تعليم مهارات الكتابة الوظيفية لمتعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى، مثل: دراسة (الفوزان،٢٠١٨)، ودراسة (رشوان، ٢٠١٣)، ودراسة (بلك، ٢٠٢٣)، وغيرها، إضافة إلى خبرة الباحث

في مجال تعليم اللغة العربية.

٣ .الصورة الأولية للقائمة:

تكوّنت قائمة مهارات الكتابة الوظيفية في صورتها المبدئية من أربع مجالات، هي: ملء الاستمارة، وكتابة الرسالة، وكتابة الإعلان، ثم تلخيص نص وظيفي، وارتبطت عدة مهارات بكل مجال منها.

٤. تحكيم قائمة المهارات:

للتحقق من صلاحية القائمة، أعدّ الباحثُ استبانة، ثم عرضها على ستة محكمين مختصين في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. وطُلب منهم إبداء الرأي حول قائمة المهارات، والتعديل عليها وفق ما يرونه من حذف أو إضافة أو تعديل.

ثانيًا: إعداد اختبار تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

أُعد اختبار مهارات الكتابة الوظيفية للمتعلمين وفقًا للخطوات الآتية:

- إعداد صورة أولية للاختبار؛ لتحقيق قياس مدى توافر مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى الثاني.
- تحديد أسئلة الاختبار في ضوء قائمة مهارات الكتابة الوظيفية.
- صياغة تعليمات الاختبار، وإدراجها في أوله.
- صياغة مفردات الاختبار، بحيث تغطي مهارات الكتابة الوظيفية، وحوى الاختبار أربعة أسئلة مقالية.
- عرض الاختبار بصورته الأولية على المحكمين: عرض على أربعة محكمين بهدف إجراء التعديلات المناسبة وفق ما يرونه صوابًا من حيث مناسبة الاختبار للمتعلمين ومستواهم اللغوي، وقياسه للمهارات المطلوبة، وقد رأى المحكمون مناسبته.

تطبيق الاختبار: طُبق في صورته النهائية على عينة البحث، وعددهم (٢٠)

متعلما. وبعد انتهائهم من الإجابة عن مفردات الاختبار فُرّغت النتائج بهدف حساب صدق الاختبار، وثباته، وذلك على النحو التالي:

صدق الاختبار: قيس من خلال النقاط التالية:

- صدق المحتوى: بعد عرضه على المحكمين والأخذ بتعديلاتهم، تأكد الباحث من صدق الاختبار وأنه يقيس ما وضع لأجله.
- صدق الاتساق الداخلي: طُبق على عينة من المتعلمين؛ لقياس صدق الاتساق الداخلي، وتكونت المجموعة من (٢٠) متعلما، وجاءت نتائج صدق الاتساق بعد تطبيق أسلوب ارتباط بيرسون على النحو التالي:

الجدول رقم (١): يبين نتائج معاملات الارتباط بين درجة كل بُعد والدرجة الكلية للاستبانة

العبارات	قيمة معامل الارتباط	المعنوية
المهارة الأولى" ملء الاستمارة"		
كتابة البيانات الشخصية: الاسم، الجنسية، تاريخ الميلاد، مكان الميلاد).	.775**	0.000
كتابة بيانات الاتصال: رقم الجوال والبريد الإلكتروني)	.703**	0.001
كتابة العنوان (الدولة – المدينة – الرمز البريدي)	.568**	0.009
كتابة البيانات الأكاديمية: المستوى، الشعبة، المؤهل).	.543*	0.013
الكتابة في الأماكن المخصصة.	.930**	0.000
الصحة الإملائية.	.930**	0.000
وضوح الخط.	.930**	0.000
المهارة الثانية" الرسالة"		
استخدام العبارة الاستهلالية (مراعاة اللقب).	.512*	0.021
كتابة التحية.	0.223	0.345
كتابة موضوع الرسالة بوضوح.	.496*	0.026
صياغة الخاتمة (الشكر والدعاء).	.557*	0.011
وضوح بيانات التوقيع وشمولها.	0.208	0.378
دقة العبارات ومناسبتها لغرض الرسالة.	.665**	0.001
البعد عن أساليب التبجيل أو التفخيم.	0.324	0.164
استخدام علامات الترقيم	.616**	0.004
الصحة اللغوية	.704**	0.001
المهارة الرابعة "الإعلان"		
كتابة عناصر الإعلان: (العنوان، والمكان، والزمان).	.555*	0.011

تحديد المستفيدين من الإعلان.	.700**	0.001
كتابة العبارات المناسبة.	.467*	0.038
جاذبية الإعلان	.482*	0.032
الصحة اللغوية.	.868**	0.000
استخدام علامات الترقيم.	.700**	0.001
الاختصار.	.785**	0.000
المهارة الثانية" التلخيص"		
استيفاء جميع عناصر الموضوع.	.848**	0.000
وضوح الفكرة الرئيسة.	.842**	0.000
اتباع نظام الفقرات.	.805**	0.000
استخدام علامات الترقيم.	.765**	0.000
الصحة اللغوية.	.910**	0.000

يتضح من الجدول (١) أن جميع قيم معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات الاستبانة والدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه دالة إحصائيًّا، وجاءت الدلالة الإحصائية لجميع العبارات أقل من 0.05، فجميع القيم دالة إحصائيًّا وتنتمي لمقياس الاتجاه، مما يشير إلى تمتع الاختبار بدرجة مناسبة من الصدق البنائي.

- **ثبات الاختبار**: طُبق على عينة من المتعلمين؛ لقياس الثبات، وجاءت قيمة ألفا كرونباخ في التحليل مرتفعة، كما يبين الجدول (٢):

الجدول رقم (٢): يبين نتائج اختبار ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة

الاستبانة	عدد الأسئلة	الثبات
ملء الاستمارة	7	0.874
الرسالة	9	0.701
الإعلان	7	0.774
التلخيص	5	0.808
الكلي	28	0.892

أظهرت النتائج أن معاملات الثبات لجميع المهارات، وكذلك للاختبار، جاءت مرتفعة ومقبولة إحصائيًا، مما يدل على تمتع الاختبار بدرجة عالية من الثبات، وهي قيمة تدل على ثبات المقياس.

- **معامل الصعوبة والسهولة للاختبار**

أظهرت نتائج تحليل معامل الصعوبة والسهولة لفقرات اختبار مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى أن معاملات الصعوبة تراوحت بين (٠,٠٠) و(٠,٩٠). وتشير هذه النتائج إلى تنوّع مستويات صعوبة الفقرات، حيث توزعت بين فقرات سهلة جدًا، وسهلة، ومتوسطة، وصعبة، وصعبة جدًا، وفق تصنيف Boopathiraj & Chellamani (2013). ويعكس هذا التدرج في مستويات الصعوبة توازنًا مناسبًا في بنود الاختبار، مما يسهم في قياس الفروق الفردية بين المتعلمين بمستوياتهم المختلفة، ويعزز من صدق الاختبار وبنائه.

- **نتائج الدراسة وتفسيرها:**

يعرض هذا الجزء من الدراسة نتائج الدراسة التي توصلت إليها من خلال تحليل بيانات الأداتين المستخدمتين، ويجيب عن تساؤلات الدراسة من خلال معالجة البيانات التي جمعت قبليًا وبعديًا، وتحليل فقرات الاختبار، إضافة إلى توظيف الأساليب الإحصائية المناسبة لاستخلاص النتائج. وأجريت جميع التحليلات باستخدام برنامج

SPSS 29؛ للوقوف على أثر البرنامج في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية.

وللإجابة عن السؤال الأول الذي نصّه "**ما مهارات الكتابة الوظيفية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟**"

يهدف هذا السؤال إلى تحديد مهارات الكتابة الوظيفية التي يجب توافرها لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وذلك من خلال تحليل الإطار النظري ومراجعة الأدبيات السابقة، بالإضافة إلى تحديد المهارات التي بُنيت عليها أداة الدراسة. ويُعد هذا السؤال تمهيدًا أساسيًّا لبناء البرنامج التدريبي القائم على المهام، ولتحديد المهارات التي ستُقاس في الاختبار القبلي والبعدي.

وجاء تحديد مهارات الكتابة الوظيفية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى بالاعتماد على احتياجات المتعلمين في المستوى المتوسط، وطبيعة المواقف التواصلية التي تعرض لهم في حياتهم اليومية والدراسية. وقد خلصت الدراسة إلى أن مهارات الكتابة الوظيفية الملائمة لهذه الفئة تتمثل في أربع مجالات رئيسة، وهي:

١– ملء الاستمارة:

وتشمل مهارات كتابة البيانات الشخصية، وبيانات الاتصال، والعنوان، والبيانات الأكاديمية، والكتابة في الحقول المخصصة، والصحة الإملائية، ووضوح الخط. وهي مهارات يحتاج إليها المتعلم في المواقف الرسمية مثل التسجيل، والتقديم، والتعاملات اليومية.

٢– كتابة الرسالة

وتتضمن القدرة على كتابة العبارة الاستهلالية والتحية، وتحديد موضوع الرسالة بوضوح، وصياغة الخاتمة المناسبة، ودقة العبارات، والبعد عن التبجيل المبالغ فيه، ووضوح بيانات التوقيع، واستخدام علامات الترقيم والصحة اللغوية. وهي من أهم المهارات في التواصل الرسمي والشخصي.

٣– كتابة الإعلان

وتشمل: تحديد عناصر الإعلان (العنوان، والمكان، والزمان)، وتحديد الفئة المستهدفة، وصياغة العبارات المناسبة، وجاذبية الإعلان، والصحة اللغوية، واستعمال علامات الترقيم، والاختصار. وهي مهارة وظيفية يحتاج إليها المتعلم في مواقف الحياة العملية.

٤ – التلخيص

ويتطلب المهارات الآتية: استيفاء عناصر الموضوع، ووضوح الفكرة الرئيسة، وتنظيم الفقرات، واستخدام علامات الترقيم، والصحة اللغوية. وهي مهارة ضرورية لفهم النصوص وإعادة تقديم محتواها بشكل مختصر.

وللإجابة عن السؤال الثاني الذي نصه " **ما مكوّنات البرنامج القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟**"

قام الباحث بتحديد المكوّنات الأساسية للبرنامج القائم على المهام، والذي صمّم لتنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. ويتضمن ذلك تحديد الأهداف، والمهام التعليمية، ومعايير الأداء، والأنشطة، وآليات التقويم، والمهارات المستهدفة. ويأتي هذا السؤال لشرح الأساس التربوي الذي بُني عليه البرنامج قبل تطبيقه على أفراد العينة.

واعتمد البرنامج التدريبي في هذه الدراسة على إستراتيجية التعلم القائم على المهام، التي تركز على أداء المتعلم لمهام حقيقية مرتبطة بمواقف كتابية واقعية. وقد تكوّن البرنامج من مجموعة عناصر رئيسة بُنيت بما يتناسب مع مهارات الكتابة الوظيفية المستهدفة ومستوى المتعلمين، وذلك على النحو الآتي:

١ – الأهداف العامة للبرنامج: يهدف إلى تنمية قدرة المتعلمين على فهم النصوص الوظيفية وإنتاجها، ثم تمكينهم من أداء مهام كتابية واقعية مثل: ملء الاستمارة، وكتابة الرسالة، والإعلان، والتلخيص. وكل ذلك يعزز الكفاءة اللغوية والتواصلية لديهم.

٢–المجالات المستهدفة: ركز البرنامج على أربع مجالات وظيفية هي: ملء الاستمارة، وكتابة الرسالة، وكتابة الإعلان، والتلخيص. وتضمن كل مجال مهارات تقوم على مهام عملية.

٣–مكوّنات البرنامج القائم على المهام

أ. مرحلة ما قبل المهمة، وتتضمن:

- تقديم نموذج للمهمة المستهدفة.
- مناقشة عناصر المهارة (مثلاً: عناصر الإعلان – أجزاء الرسالة).
- توجيه المتعلمين إلى المفردات والتراكيب اللازمة.
- توضيح المطلوب من المهمة النهائية.

ب. مرحلة أداء المهمة، وتتضمن:

- قيام المتعلمين بأداء المهمة الكتابية المطلوبة بصورة فردية أو جماعية.
- استخدام إستراتيجيات حل المشكلات اللغوية في أثناء الكتابة.
- إجراء مراجعة أوليّة للنص وفق متطلبات المهمة.
- تبادل المتعلمين لنتائجهم أو نصوصهم لمناقشتها.

ت. مرحلة ما بعد المهمة، وتتضمن:

- تقديم تغذية راجعة من المعلم.
- تعديل النص بناء على الملاحظات.
- التركيز على الأخطاء اللغوية الشائعة.
- إعادة صياغة المهمة أو إنتاج نص مشابه.

٤– الأنشطة التعليمية: تضمّنت الأنشطة ما يأتي:

- تدريبات قصيرة على المفردات والتراكيب قبل المهمة.
- نماذج جاهزة (استمارات، ورسائل، وإعلانات، ونصوص للتلخيص).

- مهام كتابية تطبيقية حقيقية.
- مناقشات صفيّة حول الفروق بين الكتابات الصحيحة وغير الصحيحة.

٥-أدوات التقويم داخل البرنامج: وشملت:

- ملاحظات مباشرة أثناء أداء المهام.
- مراجعة الكتابات النصية للمتعلمين.
- تطبيق المهمة أكثر من مرة لقياس التطور.
- الاختبار القبلي والبعدي لقياس الفاعلية النهائية.

وللإجابة عن السؤال الثالث الذي نصه "**ما فاعلية إستراتيجية التعلّم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة الناطقين بلغات أخرى؟**"

استخدم المنهج شبه التجريبي ذو العينة الواحدة القبلية والبعدية؛ لقياس أثر البرنامج القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة الناطقين بلغات أخرى. وقورنت متوسطات الدرجات قبل تطبيق البرنامج وبعده، بتطبيق اختبار (ت) للعينات المرتبطة للتحقق من دلالة الفروق.

الجدول رقم (٣): يبين نتائج اختبار T

Paired Samples Test					
المهارات		Mean	t	p-value	الدلالة
مهارات الكتابة الوظيفية	قبلي	11.15	-11.759	0.000	يوجد فرق ذو دلالة إحصائية
	بعدي	19.30			

يتضح وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) في مهارات الكتابة الوظيفية؛ حيث كان متوسط درجات المتعلمين في القياس القبلي (٤,٠٠)، في حين ارتفع في القياس البعدي إلى (٥,٣٥)، وبلغت قيمة (ت) المحسوبة (-٣,٤٣٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٠٣)، مما يدل على تحسن دالّ في هذه المهارة لصالح القياس البعدي.

وتدل هذه النتيجة على تحسّن ملحوظ في مستوى مهارات الكتابة الوظيفية لدى المتعلمين بعد تطبيق البرنامج، ويُعزى هذا التحسّن إلى فاعلية إستراتيجية التعلّم القائم على المهام، التي أتاحت للمتعلمين فرصًا حقيقية لممارسة الكتابة الوظيفية في مواقف تواصلية واقعية، وأسهمت في تنمية قدرتهم على توظيف اللغة توظيفًا وظيفيًا صحيحًا.

وبذلك يمكن القول، إن إستراتيجية التعلّم القائم على المهام كانت فعّالة في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وهو ما يجيب عن السؤال الثالث ويؤكد تحقق هدف الدراسة.

نتائج البحث ومناقشتها:

توصّل البحث إلى قائمة تكوّنت من ثمان وعشرين مهارة ضمن أربع مجالات من مجالات الكتابة الوظيفية، وهي: ملء الاستمارة، وكتابة الرسالة، وكتابة الإعلان، ومهارة التلخيص. وتمثّل هذه المهارات الجوانب العملية للكتابة الوظيفية، والتي تهدف إلى تطوير قدرة المتعلمين على إنتاج نصوص واضحة، ودقيقة، وملائمة للغرض الوظيفي المطلوب.

ودلّت نتائج البحث على فاعلية البرنامج التدريبي القائم على إستراتيجية التعلّم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى الثاني بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. كما اتضح أن توظيف هذه الإستراتيجية أسهم في تيسير عملية تعلم الكتابة، وزيادة قدرة المتعلمين على إنتاج نصوص وظيفية دقيقة وذات بنية سليمة، مع رفع مستوى دافعيتهم للتعلم والمشاركة في الأنشطة الكتابية.

إضافة إلى ذلك، فسّرت مجموعة من الأسباب التحسن الملحوظ في مهارات الكتابة الوظيفية لدى عينة البحث نتيجة استخدام إستراتيجية التعلّم القائم على المهام، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١. جِدّة الإستراتيجية في البرنامج التدريبي؛ إذ حفّزت المتعلمين على المشاركة الفعّالة

في إنجاز المهام، مما أدى إلى فهم أعمق للمهارات الكتابية وتطبيقها بنجاح.

٢. اعتماد الإستراتيجية على الأنشطة العملية الواقعية التي تحاكي الحياة الوظيفية، مما ساعد المتعلمين على ربط الكتابة بالواقع وتعزيز فهمهم.

٣. تقسيم المهام إلى خطوات واضحة ومركّزة، بحيث يمكن للمتعلمين التركيز على كل مهارة على حدة، مما سهّل الفهم والتطبيق.

٤. العمل ضمن مجموعات تعاونية أثناء إنجاز المهام، مما بث روح التعاون والتنافس الإيجابي، وزاد من حرص المتعلمين على تحسين كتاباتهم.

٥. تقديم التغذية الراجعة الفورية في نهاية كل مهمة، الأمر الذي ساعد المتعلمين على تصحيح أخطائهم، وتعزيز مهاراتهم الكتابية بشكل مباشر.

٧. تعزيز الثقة بالنفس لدى المتعلمين، إذ لاحظوا تقدمهم في المهارات الكتابية؛ مما شجعهم على مواصلة التعلم والممارسة.

٨. تشجيع التفكير النقدي والتحليلي عند كتابة النصوص؛ مما ساعد المتعلمين على تنظيم أفكارهم، وصياغتها بشكل واضح وملائم.

٩. الربط بين محتوى المهام واحتياجات المتعلمين الواقعية؛ مما زاد من اهتمامهم وتفاعلهم مع البرنامج التدريبي.

١٠. تنمية جميع المهارات الفرعية للكتابة الوظيفية من ملء الاستمارة، وكتابة الرسائل، والإعلان، والتلخيص؛ ما أدى إلى رفع مستوى المهارات الكلية للكتابة الوظيفية.

وجاءت نتائج البحث –بشكل عام– متسقة مع الدراسات السابقة ذات الصلة؛ فقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة رحاب أحمد عبد الحميد محمد (٢٠٢٥)[١]، التي أكدت أهمية تصميم برامج تعليمية قائمة على إستراتيجيات حديثة

(١) رحاب، "برنامج قائم على التعليم المتمايز لتنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب شعبة اللغة العربية بكلية التربية".

تراعي طبيعة المهارة الوظيفية، وتسهم في تحسين الأداء الكتابي بصورة شاملة. واعتمدت هذه الدراسة على التعليم المتمايز، في حين اعتمدت الدراسة الحالية على استراتيجية التعلم القائم على المهام، إلا أن التشابه في النتائج يؤكد أن تنويع الاستراتيجيات التدريسية يسهم بفاعلية في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية.

كما اتفقت مع نتائج دراسة أحمد سيد محمد إبراهيم وآخرين (٢٠٢٤)[١]، التي أكدت أهمية ربط الكتابة الوظيفية بمواقف تواصلية حقيقية، والتركيز على الاستخدام العملي للغة، مما أدى إلى تحسن ملحوظ في أداء المتعلمين. وكان تركيز هذه الدراسة على الجانب التقني، بينما ركزت الدراسة الحالية على أداء المهام الواقعية دون اشتراط وسيط تقني، ما يدل على أن جوهر الفاعلية يكمن في طبيعة المهمة الوظيفية نفسها أكثر من الأداة المستخدمة.

كما اتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة رشوان (٢٠١٣)[٢]، التي كشفت عن ضعف عام لدى الطلاب في مهارات الكتابة الوظيفية، وأكدت فاعلية البرامج القائمة على مداخل حديثة – مثل مدخل العمليات – في تنمية هذه المهارات. ويتضح الاتفاق في تشخيص القصور المبدئي في مهارات الكتابة الوظيفية قبل تطبيق البرامج التعليمية، وفي التأكيد على أن التدريب المنظم والممنهج يسهم في تحسين الأداء الكتابي. واعتمدت هذه الدراسة على مدخل العمليات (التخطيط، والمسودة، والمراجعة)، بينما اعتمدت الدراسة الحالية على التعلم القائم على المهام، إلا أن النتائج المتقاربة تشير إلى أن التركيز على الممارسة الفعلية للكتابة هو العامل الحاسم في تنمية

(١) إبراهيم وآخرون، "برنامج تقني قائم على المدخل الاتصالي والأغراض الدينية لتنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها".

(٢) رشوان، "فاعلية برنامج قائم على مدخل العمليات في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب شعبة اللغة العربية في كلية التربية".

المهارات الوظيفية.

وأخيرًا، فقد اتفقت نتائج الدراسة الحالية بدرجة كبيرة مع نتائج دراسة وجيه المرسي أبو لبن ونورا إبراهيم عبد الغفار (٢٠١٦)[١]، التي أكدت وجود ضعف واضح في مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، والحاجة إلى برامج تعليمية ترتبط بحاجاتهم الواقعية ومواقف الاتصال الحياتية. كما يتطابق مجال المهارات التي حددتها الدراسة السابقة (الرسائل، وملء الاستمارات، والإعلانات، والتلخيص) مع المهارات التي تناولتها الدراسة الحالية، مما يعزز صدق اختيار هذه المهارات ومناسبتها للمستوى المتوسط. ويظهر الاختلاف في أن الدراسة السابقة اعتمدت على المدخل الاتصالي، في حين اعتمدت الدراسة الحالية على استراتيجية التعلم القائم على المهام، إلا أن النتائج المتقاربة تؤكد أن المداخل الوظيفية والاتصالية تلتقي في هدف واحد هو تمكين المتعلم من استخدام اللغة في مواقف حقيقية.

توصيات البحث

في ضوء نتائج البحث، يوصي الباحث بما يلي:

١. تضمين إستراتيجية التعلّم القائم على المهام في طرائق التدريس المستخدمة في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، نظرًا لفاعليتها في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية.
٢. زيادة الوقت المخصّص لتدريب المتعلمين على المهارات الكتابية المختلفة، وعدم اقتصار التدريب على مستوى واحد فقط.
٣. تصميم مهام كتابية واقعية متنوعة تغطي جميع مهارات الكتابة الوظيفية، بما يعزز من قدرة المتعلمين على التعامل مع المواقف العملية.

(١) أبو لبن وعبدالغفار، "فاعلية إستراتيجية مقترحة في ضوء المدخل الاتصالي في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب المستوى المتوسط الناطقين بلغات أخرى".

٤. إعداد برامج تدريبية للمعلمين حول كيفية توظيف إستراتيجية التعلّم القائم على المهام بفاعلية في قاعات الدرس.
٥. التركيز على الأنشطة العملية والتعاونية عند تدريس المهارات الكتابية؛ لما أثبتته الدراسة من أثر إيجابي في رفع دافعية المتعلمين وتحسين مخرجات الكتابة.

مقترحات البحث

استنادًا إلى نتائج البحث، يقترح الباحث إجراء ما يلي:

١. دراسات مشابهة لتوظيف إستراتيجية التعلّم القائم على المهام في تنمية مهارات لغوية أخرى مثل الاستماع، أو المحادثة، أو القراءة لدى متعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى.
٢. دراسات تستهدف مستويات مختلفة من المتعلمين (مبتدئ، ومتوسط، ومتقدم) للتحقق من أثر الإستراتيجية في كل مستوى.
٣. دراسات مقارنة بين إستراتيجية التعلّم القائم على المهام وإستراتيجيات تدريسية أخرى (مثل التعلم التعاوني، وخرائط المفاهيم) في مجال تنمية مهارات الكتابة.
٤. دراسات تجريبية على عينات أكبر، وأكثر تنوعًا بحسب الجنسيات والثقافات؛ لقياس عمومية النتائج.
٥. دراسات نوعية تستقصي اتجاهات المتعلمين ومشاعرهم نحو تعلم الكتابة الوظيفية من خلال استخدام الإستراتيجية.

المراجع

أولا: المراجع العربية:

إبراهيم، أحمد سيد محمد، وعمران، حسن، ومحمد، محمد حسين. "برنامج تقني قائم على المدخل الاتصالي والأغراض الدينية لتنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها". *مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط ٤٠(٧)*، (٢٠٢٤م).

أبو غليون، ماجد علي، والفاعوري، عوني صبحي. "تعليم مهارة الكتابة الوظيفية للطلبة الناطقين بغير العربية: مشكلات وحلول". *رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان*، (٢٠١٠م).

أبو لبن، وجيه المرسي، وعبد الغفار، نورا إبراهيم. "فاعلية إستراتيجية مقترحة في ضوء المدخل الاتصالي في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب المستوى المتوسط الناطقين بلغات أخرى". *المؤتمر السنوي الرابع عشر لمركز تعليم الكبار، جامعة عين شمس*، (٢٠١٦م).

أحمد، صلاح عبد السميع محمد. "فاعلية إستراتيجية التدريس التبادلي في تنمية بعض مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب المرحلة الثانوية". *مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر ١٤٣(٤)*، (٢٠٠٩م).

أحمد، عبد المنعم. "الكتابة الوظيفية: نموذج التلخيص والرسالة الإدارية والتقرير". مجلة مجمع ١، (٢٠١١م)

بلك، بثينة الحسن. "فاعلية المدونات التعليمية الإلكترونية في تنمية مهارتي الكتابتين الوظيفية والإبداعية لدارسي العربية الناطقين بغيرها". *مجلة دراسات العلوم الإسلامية ٨*، (٢٠٢٣م).

الجهني، عبد الرحمن محمد سعيد. "نموذج تدريسي مقترح قائم على نظرية الحقول

الدلالية لتنمية مهارات الكتابة الإبداعية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *المجلة التربوية، جامعة سوهاج ٨٩(١)*، (٢٠٢١م).

حمدان، علي سيد السايح، وسلامه، رمضان إبراهيم علي، وعامر، عبد الوهاب هاشم سيد. "مجالات الكتابة الوظيفية والمهارات اللازمة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية". *مجلة العلوم التربوية، جامعة جنوب الوادي ٣٨*، (٢٠١٩م).

رشوان، أحمد محمد علي. "فاعلية برنامج قائم على مدخل العمليات في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب شعبة اللغة العربية في كلية التربية". *المجلة العلمية لكلية التربية بالوادي الجديد ١١*، (٢٠١٣م).

الربابعة، إبراهيم حسن. "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من منظور المدخل الوظيفي". *دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية ٤٦(١)*، (٢٠١٩م).

شحاتة، حسن سيد، وسليمان، داليا سيد صبري، والسمان، مروان أحمد. "مدخل عمليات الكتابة وتأثيره في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب المرحلة الإعدادية". *مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس ٣٩(٤)*، (٢٠١٥م).

الشريف، منى عبد الله. "درجة توافر مهارات الكتابة الوظيفية في محتوى كتب الكفايات اللغوية للتعليم الثانوي (نظام المقررات)". *مجلة كلية التربية، بنها ١١٠*، (٢٠١٧م).

عبد الباري، ماهر شعبان. "الكتابة الوظيفية والإبداعية". *عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع*، (٢٠١٠م).

عبد التواب، شعبان قرني. "اتجاهات البحث في تعليم الكتابة العربية للناطقين بغيرها". *مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف ٥١*، (٢٠١٩م).

عبد السلام، النور محمد. "مهارات الكتابة الوظيفية وعلاقتها بالذكاء اللغوي لدى طلاب المرحلة الثانوية بجمهورية تشاد". *مجلة الشرق الأوسط للعلوم التربوية*

والنفسية ٥(١)، (٢٠٢٥م).

العقيلي، عبد المحسن سالم. "مهارات الكتابة وإستراتيجياتها: رؤية معاصرة". *القاهرة، التربية المعاصرة، رابطة التربية الحديثة، مصر، ٢٦(٨١)*، (٢٠٠٩م).

علي، سيد السايح، وسلامة، رمضان إبراهيم، وعامر، عبد الوهاب هاشم. "مجالات الكتابة الوظيفية والمهارات اللازمة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية". *مجلة العلوم التربوية، جامعة جنوب الوادي ٣٨*، (٢٠١٩م).

الغامدي، علي بن محمد بن أحمد آل مصوّي. "إستراتيجية التلخيص الكتابي وأثرها في تنمية مهارات الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". *المجلة التربوية، جامعة سوهاج ٩٣(٣)*، (٢٠٢٢م).

فضل الله، محمد رجب. "عملية الكتابة الوظيفية وتطبيقاتها: تعليمها وتقويمها". *القاهرة: عالم الكتب*، (٢٠٠٣م).

الفوزان، محمد بن إبراهيم. "أثر استخدام مدخل عمليات الكتابة في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية والاتجاه نحو الكتابة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها". *الخرطوم: مجلة العربية للناطقين بغيرها ٢٢*، (٢٠١٨م).

محمد، رحاب أحمد عبد الحميد. "برنامج قائم على التعليم المتمايز لتنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلاب شعبة اللغة العربية بكلية التربية". *مجلة كلية التربية، جامعة المنوفية ١*، (٢٠٢٥م).

مرغني، أماني حامد طلبة. "فاعلية برنامج قائم على الاتصال الكلي لتلاميذ المرحلة الابتدائية المعاقين سمعيًا في تنمية بعض مهارات القراءة والكتابة الوظيفية المناسبة لهم". *رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أسيوط*، (٢٠٠٧م).

المطيري، عبير سالم. "درجة ممارسة طالبات كلية التربية في جامعة الكويت لمهارات الكتابة الوظيفية باللغة العربية". *الكويت، المجلة التربوية ٣٩(١٥٥)*، (٢٠٢٥م).

مقطوش، محمد نجيب، وألبرتوس، أورسولا. "دور المكتبات في برنامج تعليم القراءة

والكتابة الوظيفية". بيروت، مكتبة *الإدارة ١(٣)*، (١٩٧١م).

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Ahmed, F. E. Y., Kottaparamban, M., & Ali, E. H. F. (2023). Saudi EFL university learners' perspectives on using task-based language teaching in promoting opinion essay writing. Research Journal in Advanced Humanities, 4(2), 168

Naudhani, M., & Naudhani, S. (2017). The impact of the task-based learning on the teaching of writing skills of EFL learners in Pakistan. ELK Asia Pacific Journal of Social Science, 3(2), 3.

Naudhani, M., and Naudhani, S. "The Impact of the Task-Based Learning on the Teaching of Writing Skills of EFL Learners in Pakistan". ELK Asia Pacific Journal of Social Science 3, (2017): 1

Payman, S., & Gorjian, B. (2014). Effects of task-based strategies on students writing skill among translation students. European Journal of Business and Social Sciences, 3(3), 202.

Shehata, M. G. M. "Developing IT Students' EFL Functional Writing and Attitude through Task-Based Learning". Sohag University International Journal of Educational Research 7, (2023): 146.

Bibliography

Ibrāhīm, Aḥmad Sayyid Muḥammad, ʻImrān, Ḥasan, and Muḥammad, Muḥammad Ḥusain. "A Technological Program Based on the Communicative Approach and Religious Purposes for Developing Functional Writing Skills among Non-Native Learners of Arabic" (in Arabic). Journal of the Faculty of Education, Assiut University 40(7) (2024).

Abū Ghalyūn, Mājid ʻAlī, Wālfāʻwry, ʻAwnī Ṣubḥī. "Teaching Functional Writing Skills to Non-Native Arabic-Speaking Students: Problems and Solutions" (in Arabic). Unpublished master's thesis, University of Jordan, (2010).

Abū Laban, Wajīh al-Mursī, wa-ʻAbd al-Ghaffār, Nūrā Ibrāhīm. "The Effectiveness of a Proposed Strategy in Light of the Communicative Approach for Developing Functional Writing Skills among Intermediate-Level Students Speaking Other Languages" (in Arabic). The Fourteenth Annual Conference of the Center for Adult Education, Ain Shams University, (2016).

Aḥmad, Ṣalāḥ ʻAbd al-Samīʻ Muḥammad. "The Effectiveness of the Reciprocal Teaching Strategy in Developing Some Functional Writing Skills among Secondary School Students" (in Arabic). Journal of the Faculty of Education,

Aḥmad, ʻAbd al-Munʻim. "Functional Writing: The Models of Summarization, Administrative Letter, and Report" (in Arabic). Majma ʻJournal, 1 (2011).

Buluki, Buthainah al-Ḥasan. "The Effectiveness of Educational Blogs in Developing Functional and Creative Writing Skills among Non-Native Learners of Arabic", Journal of Islamic Sciences Studies 8 (2023).

al-Juhanī, ʻAbd al-Raḥmān Muḥammad Saʻīd. "A Proposed Teaching Model Based on Semantic Field Theory for Developing Creative Writing Skills among Non-Native Learners of Arabic" (in Arabic). Educational Journal, Sohag University 89(1) (2021).

Ḥamdān, ʻAlī Sayyid al-Sāyiḥ, Salāmuhu, Ramaḍān Ibrāhīm ʻAlī and-ʻĀmir, ʻAbd al-Wahhāb Hāshim Sayyid. "'"Areas of Functional Writing and the Required Skills among Primary School Pupils" (in Arabic). Journal of Educational Sciences, South Valley University 38 (2019).

Rashwān, Aḥmad Muḥammad ʻAlī. "The Effectiveness of a Program Based on the Process Approach in Developing Functional Writing Skills among Arabic Language Majors at the Faculty of

Education", (in Arabic). Scientific Journal of the Faculty of Education, New Valley 11 (2013).

Al-Rayābi'ah, Ibrāhīm Ḥasan. "Teaching Arabic as a Second Language from the Perspective of the Functional Approach" (in Arabic). Dirasat: Human and Social Sciences 46(1) (2019).

Shaḥātah, Ḥasan Sayyid, Sulaimān, Dāliyā Sayyid Ṣabrī, Wālsmān, Marwān Aḥmad. "The Writing Process Approach and Its Impact on Developing Functional Writing Skills among Preparatory School Students" (in Arabic). Journal of the Faculty of Education, Ain Shams University 39(4) (2015).

al-Sharīf, Muná 'Abdullāh. "The Degree of Availability of Functional Writing Skills in the Content of Language Competency Textbooks for Secondary Education (Course System)" (in Arabic). Journal of the Faculty of Education, Benha University.

'Abd al-Bārī, Māhir Sha'bān. "al-Kitābah al-Waẓīfīyah wa-al-Ibdā'īyah". Amman: Dār al-Masīrah lil-Nashr wa-al-Tawzī', (2010).

'Abd al-Tawwāb, Sha'bān Quranī. "Research Trends in Teaching Arabic Writing to Non-Native Speakers" (in Arabic). Journal of the Faculty of Arts, Beni Suef University 51 (2019).

'Abd al-Salām, al-Nūr Muḥammad. "Functional Writing Skills and Their Relationship with Linguistic Intelligence among Secondary School Students in the Republic of Chad" (in Arabic). Middle East Journal of Educational and Psychological Sciences 5(1) (2025).

al-'Aqīlī, 'Abd al-Muḥsin Sālim. "Writing Skills and Their Strategies: A Contemporary Perspective" (in Arabic). Cairo, Contemporary Education, Modern Education Association 26(81) (2009).

'Alī, Sayyid al-Sāyiḥ, Salāmat, Ramaḍān Ibrāhīm, and 'Āmir, 'Abd al-Wahhāb Hāshim. "Areas of Functional Writing and the Required Skills among Primary School Pupils" (in Arabic). Journal of Educational Sciences, South Valley University 38 (2019).

al-Ghāmidī, 'Alī ibn Muḥammad ibn Aḥmad Āl Mṣwwy. "The Written Summarization Strategy and Its Impact on Developing Writing Skills among Non-Native Learners of Arabic" (in Arabic). Educational Journal, Sohag University 93(3) (2022).

Faḍl Allāh, Muḥammad Rajab. "The Functional Writing Process and Its Applications: Teaching and Assessment" (in Arabic). Cairo: Alam al-Kutub (World of Books), (2003).

al-Fawzān, Muḥammad ibn Ibrāhīm. "The Effect of Using the Writing

Process Approach in Developing Functional Writing Skills and Attitudes toward Writing among Non-Native Learners of Arabic" (in Arabic). Arabic for Non-Native Speakers Journal, 22 (2018), Khartoum.

Muḥammad, Riḥāb Aḥmad ʿAbd al-Ḥamīd. "A Program Based on Differentiated Instruction for Developing Functional Writing Skills among Arabic Language Majors at the Faculty of Education" (in Arabic), Journal of the Faculty of Education, Menoufia University 1 (2025).

Mirghanī, Amānī Ḥāmid ṭalabat. "The Effectiveness of a Whole Language-Based Program for Hearing-Impaired Primary School Pupils in Developing Some Reading Skills and Appropriate Functional Writing Skills" (in Arabic). Unpublished doctoral dissertation, Faculty of Education, Assiut University (2007).

al-Muṭairī, ʿAbīr Sālim. "The Degree of Female Students at the College of Education at the University of Kuwait Practicing Functional Writing Skills in Arabic" (in Arabic). Educational Journal, Kuwait 39(155) (2025).

Maqtoush, Muhammad Najib, and Albertus, Ursula. "The Role of Libraries in a Functional Reading and Writing Education Program" (in Arabic). Beirut, Library Administration, 1(3) (1971).


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١
١٩٦١

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature



Issue : 20

Apr - Jun 2026

part 2